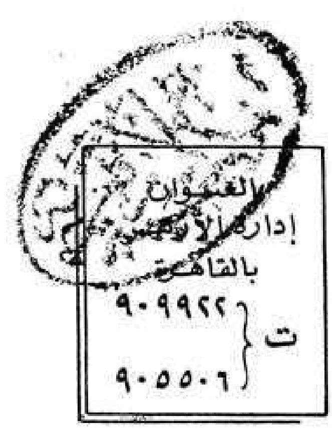
مدير المجلة
ورئيس التحرير
الدكتور
عبد الودود شلبى

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦

الجزء الأول ـ السنة الثانية والخمسون ـ محرم/صفر ١٤٠٠ هـ ـ ديسمبر ٧٩ ـ يناير ٨٠ م



بسم الله الرحمن الرحيم

على هامش المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية

دكتور عبد الودود شلبى

فى الدوحة .. عاصمة دولة قطر . انعقد المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية .

لم يكن تصورى عن هذا المؤتمر ـ قبل السفر ـ يزيد عن تصورى لغيره من المؤتمرات التى ذاعت وانتشرت فى أخريات هذا القرن. وفود تحضر ، واجتماعات يلتئم فيها الشمل .. ثم تصدر بعد ذلك قرارات وتوصيات يتم تكفينهـا وتحنيطها قبل أن تعلن !

غير ان الأمر اختلف هذه المرة. فقد أعلن الشيخ عبد الله الأنصارى رئيس المؤتمر أن دولة قطر قد تعهدت بتنفيذ احدى التوصيات الهامة .

حدث ذلك قبل أن تذاع القرارات ، وفى مفتتح الجلسة الختامية التى أعلنت فيها هذه التوصيات .

لقد تميز هذا المؤتمر عن غيره من المؤتمرات بسمات بارزة من أهمها :

أولا : كان المدعون اليه نخبة من كبار المفكرين والساسة ورجال الحكم .

ثانيا : لم تغفل سكرتاريةالمؤتمر أية هيئة اسلامية فى الشرق أو الغرب •

ثالثا : كثرة البحوث المقدمة وتنوعها فى كل مجال من مجالات العلم والفكر •

رابعا : دقة التنظيم والتنسيق التى تميز بها هذا المؤتمر فى دولة صغيرة العدد والحجم •

خامسا : اخلاص القائمين على هذا المؤتمر واقبالهم على العمل فى حماسة وجد •

أكثر من ثلاثمائة عالم وباحث ومفكر • رؤساء وزراء سابقون ونواب رؤساء وزراء ، ووزراء وزعماء مسلمون حضروا من كل فج • حتى ولاية « لكسمبورج » هذه الدويلة التى لا يكاد يسمع بها الكثيرون هنا فى مصر كانت ممثلة بأحد المفكرين من رجال الاقتصاد والفكر •

ومن المفارقات اللطيفة التى سمعت بها فى هذا المؤتمر أن دولة « سرى لانكا » سوف تحتفل فى شهر يناير القادم احتفالا دوليا بمناسبة انتهاء القرن الرابع عشر الهجرى ، وقد أصدرت حكومتها « البوذية » طابعا تذكاريا لهذه المناسبة وان المسلمين فى « جنوب أفريقيا » يستعدون ايضا للاحتفال بهذه المناسبة •

وكانت الظاهرة البارزة عند جميع المشتركين فى هذا المؤتمر هو الاحساس والثقة بأن العالم الاسلامى مقبل على مرحلة حاسمه ، وأن القرن الخامس عشر الهجرى يجىء فى وقت تتطلع فيه الانسانية الى الخلاص من نير الأنظمة المادية التى تتحكم فى العالم بقوتها الغاشمة •

واذا كان الله سبحانه يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة أمر دينها • فقد بقى على المسلمين أن يعوا جيدا هذه الحقيقة ، وأن يوقن كل مسلم ومسلمة أن مجد الاسلام وعزته رهينان بقوة العقيدة ، والحفاظ على هذه العقيدة •

دكتور عبد الودود شلبى

البيان الختامى

للمؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية
المعقود فى الدوحة

خلال الفترة من ٥ - ١٠ محرم ١٤٠٠ هـ
الموافق ٢٤ - ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩م

متابعة للجهود المشكورة التى بذلت من قبل ، بعقد مؤتمرى السيرة النبوية فى اسلام أباد بالباكستان سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) وفى استنبول بتركيا سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

واستجابة للدعوة الكريمة الموجهة من دولة قطر ، باستضافة المؤتمر الثالث بالدوحة فى مستهل المحرم سنة ١٤٠٠ هـ ، ليكون فاتحة للاحتفالات العالمية بنهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الهجريين .

وتجاوبا مع الرغبة التى أبداها السادة العلماء المشتركون فى المؤتمرين السابقين ، باضافة موضوع السنة النبوية الى السيرة فى تحديد اختصاص المؤتمر .

فقد انعقد فى مدينة الدوحة ، المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية خلال الفترة من ٥ ــ ١٠ محرم ١٤٠٠ هـ (الموافق ٢٤ ــ ٢٩ نوفمبر / تشرين الثانى / ١٩٧٩ م) .

وحضر المؤتمر واشترك فى أعماله ٢٦٧ من الوزراء والعلماء وكبار المسئولين عن الشئون الاسلامية والقضاء الشرعى والافتاء فى العالم الاسلامى ، والمشتغلين بأمور الدعوة والدراسات والفكر الاسلامى الذين وفدوا من سبع وأربعين دولة . وقد وردت أسماؤهم والجهات التى وفدوا منها فى الملحق المرافق لهذا البيان .

كما حضر المؤتمر عن المنظمات الاسلامية الدولية كل من معالى السيد / ظفر الاسلام الأمين العام

المساعد لمنظمة المؤتمر الاسلامى ، ومعالى الشيخ / محمد على الحركان ، الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى ، ودولة الدكتور معروف الدواليبى رئيس مؤتمر العالم الاسلامى لتمثيل منظماتهم والمشاركة فى أعمال المؤتمر •

وفى يوم السبت الخامس من محرم ١٤٠٠ هـ ، وبعد استهلال بتلاوة عطرة من آى الذكر الحكيم افتتح المؤتمر نيابة عن صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر ، سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولى العهد ووزير الدفاع بكلمة رحب فيها بأعضاء المؤتمر مؤكدا أن قدوم القرن الخامس عشر الهجرى يقف بالأمة الاسلامية على مفترق الطرق ويتطلب منها أن تتبوأ مكانتها ، وتقيم موازين القسط بين الشرق والغرب ، وتحرر أرضها وتستعيد مقدساتها وعلى رأسها القدس الشريف والمسجد الأقصى الذى بارك الله حوله •

كما أهاب بعلماء المسلمين أن يبذلوا قصارى جهودهم كى يقدموا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته للبشرية منهجا وقدوة • هذا وقد تعهد سموه باسم دولة قطر برعاية مقررات المؤتمر وتوصياته •

وألقى فضيلة الشيخ عبد الله ابن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعية بدولة قطر كلمة بين فيها عظمة الشريعة الاسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان وأوضح أن السنة النبوية هى شقيقة القرآن ومبينته ، ودعا الى الاقتداء بسيرة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام •

وتحدث معالى ظفر الاسلام الأمين العام المساعد لمنظمة المؤتمر فرحب بالمؤتمر باعتباره فاتحة الاحتفالات العالمية بالقرن الخامس عشر •

ثم ناب عن الوفود سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى ، رئيس ندوة العلماء بالهند ، فشكر لدولة قطر أميرا وحكومة وشعبا حفاوتها بالمؤتمر ، وتوفيرها أسباب النجاح له مؤكدا أن البعثة المحمدية هى

نعمة الله الكبرى على الأمة الاسلامية وأساس حضارتها وعزتها فى ماضيها ، ومرتجى وحدتها وقوتها فى مستقبلها .

واختتم حفل الافتتاح فضيلة الشيخ عبد الله الانصارى مدير الشئون الدينية بدولة قطر ورئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر مرحبا بأعضاء المؤتمر ومنوها بأهمية اضافة السنة النبوية قرينة للسيرة فى موضوعات المؤتمر وأبحاثه .

وفى أعقاب ذلك عقد أعضاء المؤتمر جلسة عمل برئاسة معالى الشيخ محمد على الحركان الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى واختاروا الهيئة الادارية التالية :

١ ــ فضيلة الشيخ عبد الله الانصارى رئيسا للمؤتمر

٢ ــ فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوى نائبا أول للرئيس .

٣ ــ فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى نائبا ثانيا للرئيس

٤ ــ الدكتور عز الدين ابراهيم مقررا عاما

لجان المؤتمر :

ضمانا لتيسير أعمال المؤتمر ولكى يتسع وقته لمناقشة الأبحاث العديدة التى قدمت له ، فقد تقرر أن ينبثق عن المؤتمر أربع لجان تنعقد فى ظلال السيرة النبوية والسنة المشرفة ، وقد تم اختيار هيئاتها الادارية على النحو التالى :

١ ــ لجنة السنة مصدرا للتشريع ومنهاجا للحياة :

الدكتور الحبيب بلخوجه رئيسا

الاستاذ مناع القطان نائبا للرئيس

الشيخ صلاح أبو اسماعيل مقررا

٢ ــ لجنة التربية والشباب :

الدكتور كامل الباقر رئيسا

الدكتور عبد الهادى التازى نائبا للرئيس

الدكتور أحمد رجب عبد الحميد مقررا

٣ ــ لجنة الدعوة والاعلام :

الشيخ محمد الغزالى رئيسا

الدكتور أديب الصالح نائبا للرئيس

الدكتـــور ابراهيم زيد الكيلانى مقــررا

٤ ـ لجنة التراث والمصادر :

الشيخ عوض الله صالح رئيسا

الدكتــور أكرم ضياء العمــرى نائبـا للرئيس

الدكتور محمد مصطفى الأعظمى مقــررا

ابحاث المؤتمر ودراساته :

عكف المؤتمر من خــلال لجانه الأربع على دراسة الأبحاث العلمية المستفيضة التى تقــدم بها السادة العلماء ورجال الفكر الاسلامى فى العــالم والتى تم اعدادها خــلال العام التحضيرى للمؤتمــر ، وبلغ عدد الأبحاث ثلاثة وسبعين بحثـا غطت جوانب عديدة من موضوعات السيرة والسنة النبوية .

وقد درست اللجان المجتمعة هذه الأبحــاث وناقشتها بروية وجهــد دؤوب واستخلصت منها التوصيات الواردة فيما بعد .

وفى الملحق المــرافق ثبت واف بأسماء هذه الأبحــاث وأصحابها ، ولكى يعم النفع المرجو من هــذه الأبحاث ، وتقديرا لقيمتها العلمية ، فان المؤتمر يوصى بمايلى :

١ ــ طباعة الأبحاث مع خلاصة المناقشات التى دارت حولها ونشرها تباعا على نطاق واســع ، وترجمة مختارات منها الى اللغات الأخرى .

٢ ــ أن تتجه المؤتمرات القادمة نحو التخصص ما أمكن ، بجعل كل مؤتمر مختصا بجانب محــدد من جــوانب السنة والسيرة ، تتــوافر جميــع الدراسات على استيفائه مع الأصالة والعمق والابداع ــ وذلك حرصا على تعميق هذه الدراسات وتحاشيا للتكرار فى تناولها .

التوصـــيات :

تدارس المؤتمر من خلال لجانه ، وفى ضوء الأبحاث التى قدمت اليه ، شئون السنة والتشريع ، والتربيــة والشباب ، والدعوة والاعــلام ، والتراث والمصادر والشئون العامة للعالم الاسلامى ، وأصــدر بشأنها التوصيات الآتية :

(أولا) ــ التوصيات المتعلقةبالسنة والتشريع

١ ــ يؤكد المؤتمر أهمية السنة باعتبارها المصدر الثانى للتشريع ، وأنها قرينة القرآن ، فالقرآن وحى الله لفظا ومعنى ، والسنة وحى الله لفظا ومعنى ، وجحود أحدهما ردة عن الاسلام •

لذلك فان المؤتمر يشجب بكل قوة أى تنكر للسنة ، أو تهجم عليها أو تشكيك فيها • كما يستنكر أى دعوة لفصل الدين عن السياسة والدولة •

٢ ــ يناشد المؤتمر الحكومات الاسلامية أن تنص فى دستورها على أن دين الدولة هو الاسلام ، وأن الشريعة الاسلامية بمصدريها الأساسيين : القرآن والسنة ــ هى المصدر الأصيل والوحيد للتشريع •

٣ ــ يهيب المؤتمر بدول العالم التى توجد بها جاليات اسلامية ، أن تعترف بالاسلام ضمن الآديان المعترف بها رسميا فى مجتمعاتها ، وأن تكفل لمعتنقيه كافة الحقوق المقررة لاتباع الأديان الأخرى ، بما فى ذلك حقوق التعبد والتعليم والاحوال الشخصية وفقا لأحكام الاسلام •

٤ ــ يوصى المؤتمر الحكومات الاسلامية بتمويل طبع أمهات كتب السنة ومعاجمها المفهرسة وتيسير اقتنائها ، وتكوين لجنة متخصصة لاصدار « موسوعة للسنة » وترجمتها الى اللغات الحية ، وتعميم نشرها •

٥ ــ يوصى المؤتمر باتخاذ الوسائل الكفيلة بتوجيه الدعاة الى تحرى الاستدلال بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيان ارتباط التشريع والحياة بالسنة والاهتداء بها فى اصلاح المجتمعات والأخذ بيدها الى مدارج الرقى والتقدم والازدهار فى مجالات الحياة المختلفة •

٦ ــ يوصى المؤتمر الحكومات العربية أن تعمل على نشر اللغة العربية الفصحى بين غير العرب ، وأن تمد يد المساعدة الى الجاليات الاسلامية فى البلاد الاجنبية بمدرسى اللغة العربية ، لتمكينهم

من فهم الكتاب والسنة ، والحفاظ على شخصية أبنائهم الاسلامية .

٧ - يوصى المؤتمر بضرورة التصدى اليقظ لكيد أعداء الاسلام ودحض شبهاتهم ، ومتابعة ما ينشر عن السنة والسيرة من مفتريات للرد عليها ، وبيان الحقائق الاسلامية بشتى أساليب البيان المكتوب والمسموع والمرئى وسائر وسائل الاعلام .

٨ - يوصى المؤتمر باحياء كتب تراث السيرة والسنة رواية ودراية ، وتحقيقها تحقيقا علميا بوساطة الهيئات والمؤسسات العلمية الموثقة ، والعناية بالدراسات والبحوث التى تبرز جهود العلماء قديما وحديثا فى وضع قواعد الحديث وأصوله متنا واسنادا ، مما خص الله به هذه الأمة .

٩ - يرى المؤتمر ضرورة رصد الجهود التى تبذل باستمرار من أجل وضع أحكام الشريعة الاسلامية فى صيغة مقننة ، وجمعها وجعلها فى متناول كل دولة اسلامية ، لتفيد منها فى تطبيق الشريعة الاسلامية .

١٠ - يوصى المؤتمر - احياء لسنة النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته الجامعة يوم عرفات - أن تذاع فى هذا اليوم الخالد من موقفه العظيم ، خطبة جامعة ، تتولى اعدادها لجنة متعاونة من العلماء المشهود لهم بالورع والعلم والمعرفة الواسعة يبينون فيها مبادىء الاسلام وأحكامه وهديه وأحوال العالم الاسلامى وقضاياه . وتذاع هذه الخطبة على أوسع نطاق .

(ثانيا) - التوصيات المتعلقة بالتربية والشباب

نظرا لأهمية التربية فى اعداد الأجيال اعدادا شموليا متكاملا ، ليتولوا قيادة مجتمعاتهم فى المستقبل بوعى وكفاية وفاعلية فان المؤتمر يوصى بمايلى :

١ - أن تكون أهداف التربية والتعليم فى البلاد الاسلامية مستمدة من الكتاب والسنة والسيرة النبوية ، وأن تركز على الاتجاه الايمانى للناشئة ، وأن تكون الكتب المدرسية خالية تماما من الأفكار الهدامة المناقضة للاسلام أو المناهضة له .

٢ ــ أن يكون للتربية الاسلامية المستقاة من سيرة النبى الكريم وسنته نصيب كبير من الحصص الأسبوعية ، وأن تشمل : القرآن الكريم حفظا وتلاوة وتفسيرا ، والحديث الشريف ، والفقه ، والتوحيد والسيرة النبوية ، والشخصيات الاسلامية ، وبعض البحوث والدراسات الاسلامية .

وأن يكون اختيار الأساتذة على أساس الكفاءة والايمان برسالة الاسلام قولا وعملا . وأن تعمل كليات التربية على تطوير أساليب التدريس استفادة من منهج الرسول صلى الله عليه وسلم فى التربية ومن جهود المفكرين المسلمين .

٣ ــ الاهتمام باعداد المعلمين وتعميق المعانى الخلقية لديهم ، وأن يكون للتربية الاسلامية نصيب كبير فى مناهج اعدادهم ، وأن يختاروا من ذوى الكفاية والاخلاص والايمان والخلق الاسلامى . وأن يحرص على تحسين الظروف الموضوعية ــ المادية والمعنوية ــ لهم ، ليولوا مهمتهم كل اهتمامهم .

٤ ــ القيام بحملات توعية توضح دور الأسرة فى تربية النشء لتكمل دور المدرسة فى تربية الأبناء تربية اسلامية واعية مع تكليف الجهات المعنية بالتخطيط لذلك على ضوء النظرية الاسلامية فى التربية ، وبخاصة لأطفال ما قبل المدرسة .

٥ ــ احياء نشاط المسجد فى كل مناحى الحياة وبخاصة التربوية والثقافية ، والعمل على انشاء مساجد فى جميع المدارس ودور العلم والكليات الجامعية .

٦ ــ أن تعمل الدول الاسلامية على النهوض بالتعليم الجامعى فى اطار اسلامى من حيث : تنويعه : واستكمال تخصصاته ، وتطوير مناهجه ، وتحديث أساليبه مع تطوير البيئة الجامعية بحيث تشبع حاجات الشباب فى التعليم والبحث العلمى وبما يجعلهم يفضلون جامعات الدول الاسلامية على غيرها ، ويراعى أن تكون نظم

القبول فى هذه الجامعات مرنة لتتيح التحرك الطلابى بينها وتستوعب أبناء الأقليات الاسلامية فى البلاد غير الاسلامية •

كما يوصى المؤتمر بأن تستكمل الجامعات التخصصات التى تهم الفتاة المسلمة ، وأن تنشأ كليات خاصة بالبنات • وأن تكون الدراسات الاسلامية المتعمقة أساسا للمناهج الجامعية ، مع التأكيد على ضرورة العمل على استعادة العلماء المسلمين بكل الوسائل المادية والمعنوية والحيلولة دون هجرتهم •

٧ ــ الاهتمام بتأكيد التمايز بين الفكر الاسلامى والتيارات الفكرية الوافدة وذلك بتشجيع البحث والتأليف فى فلسفة التربية الاسلامية ، وعلم أصول التربية الاسلامى ، وعلم النفس الاسلامى ، وعلم الاجتماع الاسلامى بقصد تدريسها فى كل من جامعات الدول الاسلامية • مع العمل على انشاء أقسام للدراسات العليا فى التخصصات الاسلامية حتى لا يبتعث الطلاب لدراستها فى بلاد غير اسلامية •

٨ ــ تعميق معانى التربية الجهادية فى نفوس شباب الأمة الاسلامية وذلك بمايلى :

أ ــ اعتماد العقيدة العسكرية الاسلامية ــ دون غيرها ــ فى الجيوش الاسلامية ، والعمل على اصدار كتب فيها ، وتطبيق أصولها فى التدريب والتعليم والسلوك العسكرى ، مع الاهتمام بانتقاء الضباط من العناصر المؤمنة حرصا على القدوة الطيبة ، واختيار العلماء المخلصين لتولى الارشاد فى الجيش ، والحرص على بناء المساجد فى ثكناته ومعسكراته •

ب ــ ادخال التدريب العسكرى فى المدارس والمعاهد والجامعات لاعداد الشباب عسكريا ، وتعويدهم الطاعة والانضباط والنظام ، والحرص على اقامة معسكرات سنوية لهم •

جـ ــ العمل على اصدار موسوعة عن التاريخ الحربى الاسلامى طبقا للمنهج العلمى وتخصيص جوائز سنوية لأحسن البحوث فى جوانب العسكرية

الاسلامية ، والتأكيد على تدريس مادة الدعاية النفسية فى الكليات المختلفة .

٩ ــ التأكيد على نظرية الاسلام التربوية التى تؤكد استمرارية التعليم من المهد الى اللحد ، وذلك بالاهتمام الشديد بتربية أطفال ما دون سن المدرسة ، وانشاء مؤسسات حكومية ذات كفاية للقيام بذلك مع تدعيم المؤسسات الأهلية المهتمة بهذا الأمر .

كما يوصى المؤتمر بتنظيم برامج تربوية وثقافية للآباء والأمهات ، وتدعيم جهود محو الأمية وتعليم الكبار ، مع العمل على تنشيط دور المسجد الرائد فى هذا المضمار .

١٠ ــ أن يهتم التعليم بالمهارات العملية ، واشباع ميول الناشئة المهنية ، والارتقاء بنظرتهم للعمل اليدوى والمهنى ، ولتحقيق ذلك يراعى أن تكون الجوانب المهنية والعملية جزءا من برامج التعليم فى مراحله المختلفة ، مع توفير الامكانات المهنية المادية والبشرية التى تكفل تحقيق ذلك .

١١ ــ اصدار مجلات الأطفال وكتبهم والنشرات الخاصة بتوجيههم فى البلاد الاسلامية ، وعدم الاقتصار على المترجم منها مع الحرص على اصدار كتب اسلامية تناسب السن العقلى للأطفال والشباب وتقاوم الأفكار الوافدة الهدامة ، وأن تقدم المواد الملائمة للاطفال بأسلوب مشوق جذاب ، يستخدم منجزات العصر التقنية ، وأن تكون البرامج التليفزيونية والأفلام السينمائية ملتزمة بالأخلاق الاسلامية من احتشام وانضباط ألفاظ ، وسلامة اتجاه ، وتوجيه هادف .

١٢ ــ تكامل دور كل من المؤسسات التربوية والثقافية والاعلامية فى تربية النشء ، بالتخطيط للبرامج التى تقدمها هذه المؤسسات لخدمة التوجيه والتربية الاسلامية للأجيال ، وازالة أى تناقض بينها ليكمل دور كل منها دور الآخر ، وتتمكن من تقديم برامج مشتركة اسلامية هادفة ، وترعى نشاطات الشباب العلمية

والسلوكية بعرضها بأسلوب مشوق جذاب .

١٣ ـ تنقية المناخ الاجتماعى العام ، وواقع الحياة المحيط بالشباب المسلم من المؤثرات التى قد تؤدى الى انحرافه عقائديا أو سلوكيا مع تدعيم كل جهد بناء للمؤسسات والجمعيات الاسلامية فى تربية هؤلاء الشباب تربية اسلامية متكاملة .

١٤ ـ تقديم كل عون ممكن لاتحادات الطلاب والشباب المسلم فى أوروبا وأميركا وتبنى انشاء مدارس لمختلف المراحل وكليات جامعية فى تلك البلاد ليتربى أبناء المسلمين فى بيئات اسلامية ، مع امدادها بمدرسين أكفاء وبخاصة لمادتى التربية الاسلامية واللغة العربية ، وكذلك بالكتب والمصادر والمراجع والأجهزة التى يحتاجونها .

كما يوصى المؤتمر بأن توجه هذه المعونات أيضا الى أبناء الجاليات والأقليات الاسلامية فى بلدان غير اسلامية وبخاصة فيما يتعلق بالمصاحف الشريفة وكتب السيرة والسنة النبوية المترجمة الى اللغات السائدة لديهم ، ويؤكد المؤتمر على أن تكون البعثات الدبلوماسية للدول الاسلامية فى هذه البلاد على مستوى رفيع من الخلق الاسلامى تحقيقا للقدوة الطيبة .

١٥ ـ تيسير انشاء وتدعيم الجمعيات والنوادى الاسلامية للشباب ، وموالاة تدعيمها وتطويرها وتوجيهها الى المنهج الاسلامى السليم ، وتنويع نشاطاتها لتشمل كل مجالات الحياة .

١٦ ـ تدعيم المؤسسات التعليمية فى البلدان الاسلامية المحتلة والتصدى لمحاولات الطمس والتشويه التى تتعرض لها حضارة الاسلام ، مع فتح أبواب المدارس والجامعات أمام أبناء المهاجرين المسلمين الذين اضطروا لترك ديارهم كمهاجرى أفغانستان ، والفلبين واريتريا وقبرص وبلدان شرقى آسيا وغيرهم .

١٧ ــ بذل أقصى عون ممكن للجامعات الاسلامية الناشئة فى كل من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وتيسير التبرع لها حكوميا وشعبيا وامدادها بما تحتاجه من كفايات وخبرات وأجهزة ، والاعتراف بهذه الجامعات وشهاداتها وامدادها بالبحوث والدراسات الاسلامية أولا بأول .

كما يوصى المؤتمر بأن تعامل الدول الاسلامية أبناء الفلسطينيين المقيمين فيها والوافدين اليها معاملة أبنائها فى مدارسها ومعاهدها وجامعاتها .

١٨ ــ تخصيص كراسى استاذية للسيرة والسنة النبوية فى كل من جامعات البلاد الاسلامية تشجيعا للبحث العلمى المعمق فيهما .

١٩ ــ العمل على تصفية المدارس ذات الاهداف التبشيرية الموجودة فى أى بلد اسلامى . مهما كان انتماؤها واحكام الرقابة على أى مدارس اجنبية ، حتى لا تتحول الى عوامل هدم فى البلاد الاسلامية .

٢٠ ــ اعلان الاسبوع الأول من كل عام هجرى اسبوعا للسيرة والسنة النبوية فى جميع مدارس ومعاهد وجامعات البلاد الاسلامية ، ربطا لطلابها بسيرة وسنة نبيهم ، وحفزا لهم على الاقتداء بهما .

٢١ ــ أن تعمل مؤسسات التعليم العالى والاعلام والهيئات العلمية فى الدول الاسلامية على تنفيذ (الجامعة المفتوحة) الذى يعتمد على الاذاعة والتليفزيون تمكينا لربات البيوت ومن فاتهم ركب التعليم النظامى من استكمال دراساتهم بوساطتها ، مع الاهتمام بالدراسات الاسلامية ومنها السنة والسيرة النبوية .

(ثالثا) ــ التوصيات المتعلقة بالدعوة والاعلام

نظرا لما تتطلبه الدعوة الى الله ، من تجديد دائب فى وسائلها وأساليبها ، ومما للاعلام وأجهزته من تأثير بالغ فى توجيه الرأى العام ، فان المؤتمر يوصى بمايلى :

١ ــ ضرورة اهتمام الحكومات والهيئات الاسلامية برسم سياسة

اعلامية مستمدة من روح الاسلام الحنيف ، باعتباره عقيدة وشريعة ونظام حياة ، تلتزم بها أجهزة الاعلام والتوجيه فى الدولة مع اقتراح تشكيل مجلس أعلى للتنسيق بين هذه الاجهزة يشارك فى نشاطه متخصصون فى الشئون الاسلامية .

٢ - تأكيد حاجة العالم الاسلامى الى وكالة أنباء اسلامية ، تضطلع بعبء الاعلام الاسلامى على المستوى العالمى وتتصدى لأساليب الاعلام المعادى ، وتوفر النموذج الأمثل لتقديم الخبر الموثق ، ونظرا لأن منظمة المؤتمر الاسلامى قد اتخذت بعض الخطوات لاقامة وكالة أنباء اسلامية فان المؤتمر يناشد الدول الاسلامية ان تدعم هذه الوكالة أدبيا وماديا وبشريا لتستكمل مقومات وجودها ولتقوم بأداء رسالتها على نحو فعال .

٣ - مطالبة الدول الاسلامية بتخصيص برامج خاصة دائمة عن فلسطين والقدس بوصفهما حقا اسلاميا مغصوبا وان تبرز بطولات المقاومة والمرابطة فى الارض المحتلة وتكشف مخططات الصهيونية الهادفة الى اخلاء الأرض وتهويدها .

٤ - انطلاقا من الايمان بوحدة الأمة الاسلامية فان المؤتمر يوصى الدول الاسلامية بالاكثار من البرامج التى تعرف المسلم بوطنه الاسلامى الكبير وتحارب النزعات الاقليمية والانفصالية وتوثق عرى الوحدة والاخوة بين الشعوب الاسلامية .

٥ - مطالبة الدول الاسلامية بدعم منظمة الاذاعات الاسلامية بجدة ومد يد العون لها حتى تقوم باداء رسالتها فى انتاج البرامج الاسلامية والتنسيق بين اذاعات الدول الاسلامية بأعلى كفاية ممكنة .

٦ - مطالبة ذوى الطاقات الفكرية الاسلامية أن يسهموا اسهاما جادا فى تقديم برامج اذاعية وتليفزيونية هادفة تشتمل على كل ألوان النشاط الفكرى والابداع الفنى : من قصة وتمثيلية وبحث وتحليل ونقد وتعليق .

٧ ــ حث مسئولى الاعلام فى البلاد الاسلامية أن يعملوا على تنقية برامج البث الاذاعى والاعلامى من كل ما يتعارض مع القيم الاسلامية .

٨ ــ نظرا لما للصحافة من تأثير واسع الانتشار فى تكوين الرأى العام فان المؤتمر يوصى رجال الصحافة فى العالم الاسلامى أن يرتفعوا الى مستوى الكلمة المسئولة الشجاعة وان ينأوا عن نشر كل ما يثير الحساسيات والاقليميات ويذكى عوامل الفرقة والانقسام بما يخدم أهداف الاعداء .

٩ ــ حفاظا على تنشئة الاجيال على معانى الاسلام وقيمه العليا فان المؤتمر يوصى بأن تقدم الاذاعات وأجهزة التليفزيون والصحافة فى البلاد الاسلامية برامج متخصصة تحسن عرض الاسلام بلغة الزمن وثوب المعاصرة بما يثبت قدرته .

١٠ ــ أن تحرص أجهزة الاعلام خاصة فى البلاد العربية على الالتزام باللغة العربية الصحيحة صياغة وأداء ، وأن تصل الجماهير بالمأثور من آداب اللغة العربية الرفيعة شعرا ونثرا ، والا تسرف فى استعمال العامية وتمجيدها ؛ وذلك لتعميق صلة المسلم بلغته الفصحى الاصيلة ــ لغة القرآن الكريم والحديث الشريف .

١١ ــ الاهتمام بالسينما والمسرح ، وتوظفيهما فى انتاج أفلام وتمثيليات ومسرحيات هادفة ؛ تعرض مثل الاسلام وتاريخه وأنماطا من بطولاته ، وتعالج مشكلات الحياة فى ضوء توجيهات الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح .

١٢ ــ الاهتمام بانشاء معاهد للدعوة يختار لادارتها والتدريس فيها ذوو الكفاءة من الموجهين لتخرج دعاة واعين يتحلون بالملاءة العلمية ، وقوة الشخصية ، ومرونة الاتصال ، والحذق فى اللغات الحية ــ بما يمكنهم من الدعوة الى الله باقتدار وتأثير وحكمة .

١٣ ــ مناشدة الحكومات الاسلامية تشجيع الكتاب والصحفيين الاسلاميين ، وتوفير المناخ الذى تترعرع فيه الكلمة الحرة المسئولة ، والفكر الهادف المبدع ، والعمل على ايجاد رابطة للكتاب تصون مصالحهم ، وتنسق جهودهم ، وتذيع انتاجهم •

١٤ ــ الأمة الاسلامية أمة مميزة لها شخصيتها المستقلة ولذا يوصى المؤتمر جميع الدول والشعوب الاسلامية باعتماد التاريخ الهجرى فى تقاويمها ومعاملاتها ، كما يوصى بمراعاة الأعياد الاسلامية وتوحيدها وتأكيد يوم الجمعة للعطلة الاسبوعية •

(رابعا ــ التوصيات المتعلقة بالتراث والمصادر

يوصى المؤتمر بمايلى :

١ ــ انشاء مركز بحوث للدراسات المتعلقة بالسيرة النبوية ، يعنى بتجميع مصادر السيرة المخطوط منها والمطبوع ، واختيار محققين أكفاء للقيام بمهام التحقيق العلمى والنشر الأنيق • كما يقوم هذا المركز باخراج دراسات مرجعية (بيبليوجرافية) مفصلة ، تعرف الباحثين بمصادر السيرة ومراجعها وكافة المطبوعات والمقالات والدوريات المتعلقة بها ، وكذلك بالقيام بالدراسات الجغرافية والأثرية لارض الرسالة النبوية ومواقع الغزوات وأحداث فترة النبوة •

ويأمل المؤتمر أن تتبنى دولة قطر التى استضافت دورته الثالثة ، مشروع هذا المركز •

٢ ــ اصدار دائرة معارف اسلامية يقوم على ادارتها وتحريرها علماء مسلمون أثبات ، وذلك لامداد الباحث المسلم بمصدر رئيسى موثق للمعرفة الاسلامية ، ويصونه عن الرجوع الى دوائر المعارف والقواميس الاسلامية المشبوهة التى أصدرها باحثون متحاملون على الاسلام وتاريخه •

٣ ــ تشجيع متاحف البلاد الاسلامية على تخصيص قاعات للسيرة النبوية تضم المخطوطات

والآثار والنماذج المجسمة والخرائط المفصلة المبينة لسيرة الاسلام فى الفترة النبوية .

٤ ـ تشجيع ترجمة معانى القرآن الكريم والحديث الشريف وأهم الكتب التى توضح مزايا الاسلام الى اللغات الحية ولاسيما لغات الشعوب الاسلامية ، وتعريب الكتب الهامة فى السيرة النبوية الشريفة والمكتوبة بلغات غير عربية وفى مقدمتها كتابا العالمين السيد سليمان الندوى ومولانا أبى الأعلى المودودى . وكذلك دراسة الترجمات الموجودة فعلا لمعانى القرآن الكريم والحديث الشريف للتثبت من ضبطها وسلامتها من التحريف والتحذير مما يثبت انحرافه منها .

٥ ـ الاستفادة من الوسائل العلمية المعاصرة مثل الحاسب الآلى (الكمبيوتر) فى دراسات السيرة والسنة النبوية .

٦ ـ مناشدة الحكومات والجامعات الاسلامية تشجيع الدراسات العليا فى موضوعات السيرة والسنة بتخصيص منح دراسية لمن يتخصصون فيها ، مع العمل على نشر أبحاثهم ورسائلهم لتعميم النفع بها .

٧ ـ يزكى المؤتمر الاقتراح المتعلق بانشاء مراكز للمعلومات والوثائق عن العالم الاسلامى ومعاهد علمية تهتم باعداد الدراسات فى الحضارة والتراث والعلوم الاسلامية ، ويناشد الدول الاسلامية القادرة على توفير الأموال اللازمة لانشاء هذه المراكز والمعاهد .

٨ ـ يؤكد المؤتمر ضرورة اعادة كتابة التاريخ الاسلامى بصورة صحيحة موثقة ، وأن يتولى ذلك نخبة من المؤرخين الأثبات الملتزمين بتعاليم الدين الحنيف .

٩ ـ تشكيل لجنة من العلماء المعتمدين ، ترشحهم لجنة المتابعة ، لكتابة كتاب جامع عن السيرة النبوية ، متبعة فيه أصول البحث العلمى الدقيق ، وينشر هذا الكتاب باللغة العربية ، ولغات

العالم الاسلامى الأخرى ، واللغات الغربيـة .

(خامسا) ـ التوصيات العامة

ونظرا لأن انعقاد هذا المؤتمر يجىء فاتحة لنشاط يعم العالم الاسلامى كله حفاوة بمقدم القرن الخامس عشر الهجرى ، فان المؤتمر يقف فى هذه المناسبة وقفة اهتمام أمام عدد من قضاياه وهمومه واهتماماته ويوصى بمايلى :

١ ــ ان قضية فلسطين قضية اسلامية والعدوان عليها عدوان على دار من ديار الاسلام ، وأمر تحريرها مسئولية المسلمين فى كل بقعة من بقاع الأرض والجهاد لتحريرها فريضة اسلامية مقدسة .

واذا كان المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله هو قلب هذه الدار الاسلامية ، فان كل شبر من ترابها هو مناط اهتمام المسلمين جميعا . وان أى تفريط فى ذرة من تراب فلسطين ، أو فى حق من حقوق أهلها انما هو تفريط فى حق من حقوق الله ، ومن يرتكب اصر ذلك فانه يحاد الله ورسوله ويشذ عن اجماع المسلمين ويتجنب سبيل المؤمنين .

وبما أن أهل فلسطين قد أجمعوا على اختيار منظمة التحرير لتضطلع بعبء قيادة جهادهم فان المؤتمر يؤكد أن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى وهى قائدة جهاده .

كما يوصى المؤتمر قادة المنظمة أن يجعلوا الله رائدهم فى جهادهم وأن يعملوا على ترسيخ القيم والمبادىء والأخلاق الاسلامية فى نفوس شبابهم المجاهدين وأن يحفظوا لفلسطين وثورتها ومجاهديها الوجه الاسلامى المشرق .

كما ينبغى على جميع المسلمين أن يتنبهوا الى أن ما جرى فى فلسطين انما هو تمهيد لامتداد العدوان الاستيطانى الى البقاع المجاورة لفلسطين ، وما يجرى الآن فى جنوب لبنان انما هو شاهد صدق على ذلك ، وعليه فان واجب المسلمين أن يتصدوا لاحباط

المؤامرة التى تحاك ضد الجنوب اللبنانى .

٢ - وان المؤتمر يستحضر فى هذه المناسبة صور كثير من ديار الاسلام التى تتعرض لأنواع مختلفة من المظالم من أمثال الفلبين وأفغانستان ، وأريتريا ، وقبرص وغيرها ، فمنها ما تحتل قوى البغى دياره عنوة من أجل امتصاص خيراتها ، ومنها ماتجتاحه موجات رهيبة منظمة من التبشير لتحويل أهله عن وجهة الاسلام ، ومنها ما يتعرض للتقتيل والتنكيل وأفانين التعذيب بغية طمس عقيدته بالقوة ، ومنها ما يتعرض لحروب نفسية وعلمية واقتصادية بغية اخضاعه لارادة الباغين ، ومنها مايتعرض للتهديد بالعدوان المباشرة لتطويعه وتسييره فى ركاب مصالح غير المسلمين ، وكل ذلك يجرى ، مع الأسف الشديد ، بتشجيع وترتيب من قبل الدول الكبرى التى لا تزال سياسة بعضها العدوانية ضد الاسلام والمسلمين تشكل جريمة مستمرة .

وواجب المسلمين ، دولا وحكومات وشعوبا وأفرادا أن يقفوا مع هذه الشعوب الاسلامية المظلومة وقفة انتصار ، يساهمون فيها بدفع الظلم عنها وبمساعدتها على امتلاك ارادتها وحريتها وان المؤتمر يهيب بالحكومات الاسلامية ، بشكل خاص وبالمنظمات الاسلامية أن تبذل قصارى جهدها فى دعم هذه الشعوب ، وفى تأييد حركات التحرير الاسلامية .

وأن المؤتمر يحذر كل من تسول له نفسه الاقدام على أية خطوة عدوانية على الشعب المسلم فى ايران بأن الشعوب الاسلامية فى العالم تعتبر ذلك عدوانا عليها جميعا ، يجب التصدى له ودفعه .

٣ - كما أن المؤتمر يطالب بحزم لوقف الاضطهاد الواقع على العاملين للاسلام فى بعض الدول ويرى أن من واجب الدول الاسلامية أن تدفع الأذى عن الدعاة الى الله وألا تقف موقفا سلبيا من حملات الاضطهاد .

٤ - ولا ينسى المؤتمر أحوال الأقليات والجاليات والتجمعات الاسلامية فى جميع أنحاء العالم ، هذه الجماعات التى يجب أن تنال حقها الطبيعى فى الحياة الكريمة وفى تمتعها بكافة الحقوق المشروعة للانسان ، وفى حريتها فى ممارسة عبادتها ، وفى تطبيق الشريعة الاسلامية فى حياتها الاجتماعية ، وفى تنشئة أبنائها وفقا لمعتقداتها الاسلامية ، كما يؤكد تعاطفه مع تطلعاتها الى بلوغ هذه الأهداف .

٥ - وان المؤتمر ينظر بعين التقدير الى اتجاه بعض الدول الاسلامية الى تأكيد هويتها الاسلامية وتبنيها للشريعة الاسلامية مصدرا للحكم ونظاما للحياة . وان المؤتمر يبارك خطواتها ، ويعلن تأييده لها فى هذا السبيل .

٦ - ان المد الاسلامى يشق طريقه ، بحمد الله لدى الأفراد ولدى الشعوب الاسلامية ، على الرغم من جميع ظروف الاضطهاد المنظم التى تحيط به . وسوف يكون حلول القرن الخامس عشر الهجرى - بالاهتمام الذى يستقبله به المسلمون - أروع مناسبة لتأكيد التعاطف الاسلامى ، والاهتمام بشئون المسلمين .

وان المؤتمر ليتوجه الى المسلمين عامة ، والى حكامهم خاصة أن يستهلوا هذا القرن برجعة حقيقية الى الاسلام ، فيحلوا ما أحل الله ، ويحرموا ما حرم الله ، ويعلنوها حياة اسلامية صريحة ، يحكمها كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبهذا يستحقون تأييد الله تعالى ونصره الذى كتبه للمؤمنين « ولينصرن الله من ينصره .. ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

قرارت ختامية

ويقرر المؤتمر بمناسبة اختتام أعماله مايلى :

١ - تكليف فضيلة رئيس المؤتمر بتشكيل لجنة متابعة تكون مهمتها مايلى :

أ ـ ابلاغ ما انبثق عن هـذا المؤتمر من مقـررات وتوصيات الى جميع الجهـات المعنيـة من حـكومات وهيئـات واتحـادات ووزارات متخصصة • ومناشـدة هذه الجهات العمل على وضعهـا موضع التنفيذ •

ب ـ متابعـة تنفيـذ هـذه القـرارات •

جـ ـ التعـاون مـع الدولة المضيفة للمؤتمر الرابع فى الاعداد له • على أن تستمر هذه اللجنة فى عملهـا حتى بداية المؤتمـر القادم •

٢ ـ قبـول الدعوة الكريمـة الموجهـة من المملـكة المغربيـة باستضافة المؤتمـر الرابع للسيرة والسنة النبوية مع توجيه الشكر الى دولة الامارات العربية المتحدة على تنازلهـا عن دعوتهـا السابقة باستضافة المؤتمر القادم لشقيقتها المملكة المغربية •

٣ ـ يحدد تاريخ المؤتمر القادم بالاتفاق مع الدولة المضيفة على أن يكون فى مطلع العـام الهجـرى ١٤٠٢ باذن الله •

٤ ـ تسـجيل الشكر الوفـير الى دولة قطـر أميرا وحـكومة وشعبـا لحسـن الاستقبال وكرم الضـيافة وما وفرته من امكانات ساعدت على انجاح هذا المؤتمر •

كما يقرر توجيـه الشكر الى فضيلة الاسـتاذ الشيخ عبـد الله الانصارى رئيس المؤتمـر لدوره الرئيسى فى اقامة هـذا المؤتمـر والاشراف على جميع تنظيمـاته ، كما يوجه الشكر الى جميع السادة معاونيه فى اللجنة التحضيرية •

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العـالمين •• "

الأبحاث التى قدمت للمؤتمر

مسلسل	موضوع البحث	مقدمـــه
١	فن الذكر والدعاء عند خاتم الانبياء	الشيخ محمد الغزالى ـ السعودية
٢	الجانب الروحى من اخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال عباداته وادعيته	الدكتور سليمان آتش ـ تركيا
٣	الجانب الخلقى للنبى الكريم	الدكتور الحاج عبد الملك عبد الكريم امر الله ـ اندونيسيا
٤	الجانب الخلقى للنبى الكريم	الدكتور مصلح سيد بيومى ـ قطر
٥	الجانب الخلقى للنبى الكريم	الدكتور محمد طلحة حسن ـ اندونيسيا
٦	الجانب الخلقى للنبى الكريم	الاستاذ فتحى يكن ـ لبنان
٧	الجانب الخلقى للنبى الكريم	الشيخ محمد يونس عبد الجبار ـ بنجلاديش
٨	العسكرية الاسلامية : تاريخ جيش النبى صلى الله عليه وسلم	اللواء الركن محمود شيث خطاب ـ العراق
٩	الجانب العسكرى من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ ـ مصر
١٠	الجانب العسكرى من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم	الشيخ عبد اللطيف زايد ـ قطر
١١	الرسول والقدوة العليا	الشيخ عليوة مصطفى عليوة ـ قطر
١٢	عظمة محمد صلى الله عليه وسلم مجمع العظمات	الاستاذ مصطفى أحمد الزرقاء ـ الاردن

مسلسل	موضوع البحث	مقدمه
١٣	الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيته	الدكتور عبد العظيم الديب ـ قطر
١٤	تربية الناشئة فى ضوء السيرة	الاستاذ محمد محمد على الابشيهى ـ قطر
١٥	خصائص التربية النبوية	الاستاذ محمد الشاذلى النيفر ـ تونس
١٦	تصور لتدريس سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى مناهج التاريخ المدرسية	الدكتور سر الختم عثمان ـ السعودية
١٧	مشكلات الشباب وحلولها فى ضوء الكتاب والسنة	الاستاذ على القاضى ـ قطر
١٨	الجانب الخلقى للنبى الكريم	السيد عنتر حشاد ـ قطر
١٩	رسالة العلامة ابى الاعلى المودودى	مولانا الشيخ ابو الاعلى المودودى ـ باكستان
٢٠	الدراسات المتعلقة برسائل النبى صلى الله عليه وسلم الى الملوك فى عصره	الدكتور عز الدين ابراهيم ـ الامارات
٢١	الاسلام ومستقبل الانسانية	الدكتور عبد الحميد احمد ابو سليمان ـ السعودية
٢٢	اثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية	الدكتور عمر فروخ ـ لبنان
٢٣	رسالة سيرة النبى الامين الى انسان القرن العشرين	مولانا الشيخ ابو الحسن على الحسنى الندوى ـ الهند
٢٤	اثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية	الدكتور محمد عبد الهادى ابو ريدة ـ الكويت
٢٥	الرسالة الاسلامية فى مواجهة الفساد العالى قديما وحديثا	الاستاذ محمد المجذوب ـ السعودية
٢٦	معركة النبوة مع الزعامة	الاستاذ محمد عزه دروزة ـ سوريا
٢٧	المجتمع المدنى قبل الهجرة وبعدها	الدكتور اكرم ضياء العمرى ـ السعودية
٢٨	معركة النبوة مع اهل الكتاب	الاستاذ محمد عزه دروزة ـ سوريا

مسلسل	موضوع البحث	مقدمه
٢٩	الرسول وموقفه من التفرقة العنصرية	الدكتور عبد العـزيز كامـل ــ الكويت
٣٠	التفرقة العنصرية والاسلام	الدكتور محمد البهى ــ مصر
٣١	الاسلام والتسامح الدينى	الدكتور أحمد النتو ــ الفلبين
٣٢	موقف النبى صلى الله عليـه وسلم من الاديان الثـلاثة : الوثنيـة ــ اليهـودية ــ النصرانية	الشيخ حسن خالد ــ لبنان
٣٣	الطب النبوى	الدكتور صـلاح الدين كشريد ــ تونس
٣٤	الطب النبوى	الدكتور نجيب الكيلانى ــ الامارات
٣٥	الطب النبوى	الدكتور غلام كريم ــ جنوب افريقيا
٣٦	الرسول والعلم	الدكتور يوسف القـرضاوى ــ قطر
٣٧	الرسول وموقفه من العلم	الشيخ حسين جوزو ــ يوغوسلافيا
٣٨	موقف الاسلام من العلم واثر الرسـالة الاسـلامية فى الحضارة الانسانية	الدكتور محمد معروف الدواليبى ــ السعودية
٣٩	حول الادب النبوى	الاستاذ أحمد العنانى ــ قطر
٤٠	الرسـول فى الادب العـربى الحديث	الدكتور ماهر حسـن فهمى ــ قطر
٤١	الرسول بلغة المحبة والشعر	الاستاذ سعيد حوا ــ الاردن
٤٢	القدس مسرى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ومكانتها فى الاسلام	الدكتور ابراهيم زيد الكيلانى ــ الاردن
٤٣	لمحات حول الاعلام فى الاسلام	الاستاذ محمد عبـده يمانى ــ السعودية
٤٤	سنة الرسول شقيقة القرآن	الشيخ عبد الله بن زيد المحمود ــ قطر
٤٥	صلة السنة بالقرآن	الشيخ محمد نجيب المطيعى ــ مصر

م	موضوع البحث	مقدمـــــه
٤٦	صلة السنة بالقرآن	الشيخ عبد العزيز بن صـــالح ـ السعودية
٤٧	صلة السنة بالقرآن	الشيخ محمد طيـــب القاسمى ـ الهند
٤٨	السنة المصدر الثانى للتشريع	الشيخ عبد العــزيز بن صالح ـ السعودية
٤٩	السنة المصدر الثانى للتشريع	الاستاذ مقتد حسن محمد ياسين ـ الهند
٥٠	السنة المصدر الثانى للتشريع	الدكتور محمد سعيد رمضـــــان البوطى ـ سوريا
٥١	السنة المصدر الثانى للتشريع	الاستاذ أحمد الفحصى ـ المغرب
٥٢	دراسة للمعاهدات فى العهد النبوى	المفتى عتيق الرحمن العثمـانى ـ الهند
٥٣	دراسة المعـاهدات فى عهـد الرسول صلى الله عليه وسلم	الدكتور خالد كيبا ـ اليابان
٥٤	بعض مقومات الحضارة ونظم الحكم الاسـلامية فى عهـــد الرسول صلى الله عليه وسلم	الدكتور عبد الشافى غنيم ـ قطر
٥٥	الحدود فى الاسلام	القاضى محمد افضـــــل شيمة ـ باكستان
٥٦	الشبهات الواردة	المستشار على على منصـــــور ـ الامارات
٥٧	ردود على الشبهات	الدكتور عبد الكــــريم زيدان ـ العراق
٥٨	السنة النبوية فى مواجهـة شبهات الاستشراق	الاستاذ انور الجندى ـ مصر
٥٩	ردود على الشبهات الواردة	الدكتــور جمعـة على الخـولى ـ السعودية
٦٠	دحض الشبهات الواردة	الشيخ عبد التـواب هيكل ـ قطر

	موضوع البحث	مقدمه
٦١	حول غزوة بنى قريظة	الشيخ سعيد احمد اكبر ابادى ـ الهند
٦٢	سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ غزواته مع اليهود	الدكتور احسان ثريا صيرما ـ تركيا
٦٣	مشكل الحديث فى ضوء اصول التحدث رواية ودراية	الدكتور سعد محمد محمد الشيخ (المرصفى) ـ الكويت
٦٤	وجوب العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفر من انكرها	سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ السعودية
٦٥	السيرة النبوية فى القرآن الكريم	الشيخ محمد على الحركان ـ السعودية
٦٦	السيرة النبوية فى القرآن الكريم	الدكتور التهامى نقرة ـ تونس
٦٧	تدوين السنة واطواره	الشيخ ابراهيم القطان ـ الاردن
٦٨	المنهج العلمى فى تدوين الحديث النبوى	سماحة الشيخ احمد عبد العزيز المبارك ـ الامارات
٦٩	المنهج العلمى فى تدوين السنة	الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر قطر
٧٠	دراسة لكتب السيرة القديمة ومصادرها الاولى	الدكتور تقى الدين الندوى ـ الامارات
٧١	البخارى والجامع الصحيح	الدكتور حسن عيسى عبدالظاهر ـ قطر
٧٢	مشروع لجمع السنة وتصنيفها بواسطة الحاسب الآلى	الدكتور عبد العظيم الديب ـ قطر
٧٣	محاولة لوضع اطلس للسيرة النبوية الشريفة والعصر النبوى	الدكتور حسين مؤنس ـ مصر

بيان الدول المشاركة فى المؤتمر

مسلسل	اسم الدولة	عدد
١	المملكة العربية السعودية	٢٠
٢	رابطة العالم الاسلامى	٣
٣	الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامى العالى	٥
٤	الكويت	١٤
٥	الامارات العربية المتحدة	١٧
٦	البحرين	٧
٧	سلطنة عمان	٢
٨	اليمن الشمالية	٢
٩	العراق	٣
١٠	سوريا	٢
١١	الاردن	٨
١٢	فلسطين	٢
١٣	لبنان	١٠
١٤	مصر	١٥
١٥	السودان	٤
١٦	ليبيا	١
١٧	تونس	٧
١٨	المغرب	١٠
١٩	غينيا	١
٢٠	مالى	٤
٢١	جنوب افريقيا	٥
٢٢	موريشيوس	١
٢٣	تركيا	١٠
٢٤	قبرص	١
٢٥	باكستان	٦
٢٦	افغانستان	٣
٢٧	الهند	١٠
٢٨	بنجلاديش	٢
٢٩	اندونيسيا	٤
٣٠	الفلبين	٣
٣١	تايلاند	١
٣٢	ماليزيا	٢
٣٣	سيريلانكا	٢
٣٤	سنغافورة	٢
٣٥	هونج كونج	١
٣٦	كوريا الجنوبية	٣
٣٧	اليابان	٤
٣٨	استراليا	١
٣٩	بريطانيا	٦
٤٠	اليونان	١
٤١	فرنسا	١
٤٢	لكسمبرج	١
٤٣	المانيا الغربية	٢
٤٤	بلجيكا	١
٤٥	الولايات المتحدة الامريكية	٢
٤٦	الارجنتين	١
٤٧	الدولة المضيفة ــ قطر	٥٣
	المجموع	٢٦٦

م	الاسم	الوظيفة
	(١) المملكة العربية السعودية :	
١	الاستاذ احمد محمدالعامودى	مدير عام الشئون الدينية ــ المملكة العربية السعودية
٢	الدكتور أكرم ضياء العمرى	الجامعة الاسلامية ــ المدينة المنورة
٣	الدكتور جمعة على الخولى	الجامعة الاسلامية ــ المدينة المنورة
٤	حسن محمد باجودة	جامعة الملك عبد العزيز ــ الرياض
٥	الشيخ حسن عبد الرحيم الانصارى	المدينة المنورة
٦	الدكتور عبد العزيز الفدا	جامعة الرياض
٧	الشيخ عبد الفتاح ابو غدة	جامعة الامام محمد بن سعود ــ الرياض
٨	الدكتور سر الختم عثمان على	استاذ مساعد بكلية التربية ــ جامعة الرياض
٩	الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد	الجامعة الاسلامية ــ المدينة المنورة
١٠	الدكتور محمد أديب صالح	جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض
١١	الشيخ محمد حسن الدريعى	هيئة الدعوة ــ الرياض
١٢	الشيخ محمد الغزالى	جامعة الملك عبد العزيز ــ مكة المكرمة
١٣	الشيخ محمد الصواف	رابطة العالم الاسلامى
١٤	الشيخ محمد المجذوب	الجامعة الاسلامية ــ المدينة المنورة
١٥	الدكتور محمد مصطفى الاعظمى	جامعة الرياض
١٦	الدكتور معروف الدواليبى	الديوان الملكى ــ المكتب الخاص
١٧	الاستاذ حيدر كامل حسين	صحفى
١٨	الاستاذ مناع القطان	جامعة الامام محمد بن سعود
١٩	الشيخ احمد بن على المبارك	سفير بوزارة الخارجية ــ جدة

م	الاسم	الوظيفة
٢٠	الاستاذ ابراهيم محمد سرسيق	صحفى
	(٢) رابطة العالم الاسلامى :	
١	سماحة الشيخ محمد على الحركان	الامين العام للرابطة
٢	الدكتور عبد الصبور مرزوق	المدير العام للرابطة
٣	الاستاذ محمد محمود حافظ	مدير ادارة الصحافة والنشر
	(٣) المشاركون فى الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامى العالمى :	
١	سعادة السفير ظفر الاسلام	الامين العام المساعد
٢	السيد حاج سيجاج ساماتير	مدير ادارة الشئون الثقافية والاجتماعية
٣	السيد محمد حسن الحيفى	المدير المساعد
٤	السيد انعام الله خان	امانة المؤتمر الاسلامى العالمى
٥	السيد محمد الحاج سوسيه	مسئول المؤتمرات
	(٤) الكويت :	
١	الدكتور سعد محمد محمد الشيخ المرصفى	وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
٢	الاستاذ عبد الحليم محمد أحمد	مدير دار القلم
٣	الاستاذ عبد الرحمن راشد الولايتى	رئيس تحرير جريدة البلاغ
٤	الاستاذ عبد الرحمن فارس	سكرتير وزير الاوقاف
٥	الدكتور عبد العزيز كامل	خبير بمكتب ولى العهد
٦	الشيخ عبد الله العلى المطوع	جمعية الاصلاح الاجتماعى
٧	الاستاذ فيصل المقهوى	مدير مكتب وزير الاوقاف للشئون الاسلامية

م	الاسم	الوظيفة
٨	الاستاذ عبد الرزاق السيد هاشم	مندوب اذاعة الكويت
٩	الاستاذ سعيد العازمى	مرافق
١٠	الاستاذ فهمى هويدى	مدير تحرير مجلة العربى
١١	الدكتور محمد عبد الهادى ابو ريدة	جامعة الكويت
١٢	الاستاذ محمد ناصرالحمضان	وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
١٣	معالى الشيخ يوسف جاسم الحجى	وزير الاوقاف والشئون الاسلامية
١٤	الشيخ يوسف السيد هاشم الرفاعى	وزير سابق ــ ورئيس مجلس ادارة معهد الايمان للعلوم الشرعية

(٥) الامارات العربية المتحدة :

م	الاسم	الوظيفة
١	الشيخ احمد عبد العزيز المبارك	رئيس القضاء الشرعى
٢	الدكتور تقى الدين الندوى	قاضى القضاء الشرعى
٣	الاستاذ جابر رزق جابر	مندوب المجلات الاسلامية بدول الخليج
٤	الاستاذ سعيد عبد الله حارب	الامين العام المساعد لجامعة الامارات العربية المتحدة
٥	الاستاذ محمد السيد اسماعيل	صحفى وكالة انباء دولة الامارات
٦	الاستاذ محمد سيف النصر المصرى	باحث بديوان سمو رئيس الدولة
٧	الاستاذ صقر المرى	وكيل وزارة العدل والشئون الاسلامية
٨	الدكتور عبد الرحمن على الحجى	الاستاذ بجامعة الامارات قسم التاريخ
٩	الشيخ عبدالله بن على المحمود	مدير الاوقاف والشئون الاسلامية
١٠	الدكتور عز الدين ابراهيم	المستشار الثقافى لرئيس دولة الامارات العربية المتحدة
١١	الاستاذ فؤاد حسن ايوب	جريدة الاتحاد ــ ابو ظبى

م	الاسم	الوظيفة
١٢	الاستاذ على محمد العجلة	مدير تحرير مجلة منار الاسلام
١٣	الاستاذ السيد على الهاشمى	المحكمة العليا وزارة العدل ـ أبو ظبى
١٤	الاستاذ احمد محمد البيلى	مستشار
١٥	معالى الاستاذ محمد الرحمن البكر	وزير العدل والشئون الاسلامية
١٦	الدكتور محمد المهدى البدرى	مدير المعهد الدينى ـ عجمان
١٧	الدكتور نجيب الكيلانى	مدير الثقافة الصحية ـ دبى

(٦) البحرين :

م	الاسم	الوظيفة
١	الاستاذ احمد حجازى	مجلة الهداية
٢	الاستاذ تاج الاسلام	صحفى
٣	الشيخ مبارك الخاطر	ادارة الاوقاف
٤	الاستاذ محمد حسين بطى	مجلة الهداية
٥	الشيخ محمد عبد اللطيف آل سعد	محكمة الاستئناف الشرعية
٦	الشيخ يوسف احمد الصديقى	محكمة الاستئناف الشرعية
٧	الاستاذ أحمد محمد المحمود	صحفى

(٧) سلطنة عمان :

م	الاسم	الوظيفة
١	الشيخ احمد الخليلى	مفتى سلطنة عمان
٢	الشيخ سالم عبد الله الحارثى	وزارة العدل ـ مسقط

(٨) اليمن الشمالية :

م	الاسم	الوظيفة
١	الشيخ اسماعيل بن على الاكوع	رئيس الهيئة العامة للارشاد ودور الكتب
٢	ناصر محمد الشيبانى	مدير مكتب التوجيه والارشاد بلواء تعز

م	الاسم	الوظيفة
	(٩) العراق)	
١	الدكتور حسن امين	رئيس اتحاد المؤرخين العرب
٢	الدكتور عماد الدين خليل	جامعة الموصل
٣	اللواء الركن محمود شيث خطاب	عالم ومفكر اسلامى
	(١٠) سوريا :	
١	الاستاذ عمر عبيد حسنة	نائب رئيس تحرير حضارة الاسلام
٢	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	جامعة دمشق
	(١١) الاردن :	
١	الدكتور ابراهيم زيد الكيلانى	الجامعة الاردنية
٢	الشيخ ابراهيم القطان	قاضى القضاة
٣	الشيخ اسعد بيوض التميمى	مدير المسجد الاقصى
٤	الاستاذ حسن التل	مدير تحرير جريدة اللواء
٥	الاستاذ عز الدين الخطيب التميمى	وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
٦	الاستاذ محمد سليم رشدان	رئيس تحرير مجلة الاسراء
٧	الدكتور محمود نادى عبيدات	كاتب ومفكر اسلامى
٨	الاستاذ مصطفى الزرقا	الجامعة الاردنية
	(١٢) فلسطين :	
١	السيد حيدر الحسينى	الرياض
٢	الدكتور كامل الدقمر	جامعة الامام محمد بن سعود
	(١٣) لبنان :	
١	الاستاذ شريف الانصارى	ناشر اسلامى
٢	الاستاذ محمود علايا	المشرف العام على مدرسى الفتوى

م	الاسم	الوظيفـــة
٣	الاستاذ ابراهيم المصرى	رئيس تحرير مجلة الامان
٤	الشيخ حسن خالد	مفتى الجمهورية
٥	الاستاذ زهير الشاويش	مدير المكتب الاسلامى
٦	الشيخ طه الصابونجى	القاضى الشرعى
٧	الدكتور عمر فروخ	دكتـــور فى الفلسفة وعضـــو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٨	الاستاذ فتحى يكن	مدير مؤسسة البحوث والمشـــاريع الهندسية الاسلامية
٩	الاستاذ عبد المجيد سالم	مدير مجلة الفكر الاسلامى
١٠	الاستاذ محمود حطب	مدير عام الاوقاف الاسلامية

(٤) مصر :

م	الاسم	الوظيفة
١	الشيخ احمد ابو العلا خليل	مرافق وزير الاوقاف
٢	الاستاذ انور الجندى	عضـــو المجـلس الاعـلى للشئون الاسلامية
٣	الدكتور حسين مؤنس	رئيس تحرير مجلة الهلال
٤	السيد شمس الدين محمـــد ابراهيم	مرافق وزير الاوقاف
٥	الشيخ صلاح ابو اسماعيل	عضو مجلس الشعب المصرى
٦	الدكتور عبد الودود شلبى	رئيس تحرير مجلة الازهر
٧	الدكتور عبد المنعم النمر	وزير الاوقاف وشئون الازهر
٨	الدكتور محمد احمد عاشور	رئيس تحرير مجلة الاعتصام
٩	الدكتور محمد البهى	عالم ومفكر اسلامى
١٠	اللواء الركن محمد جمـــال الدين على محفوظ	مفـكر اســـلامى ـ متخصص فى الدراسات العسكرية الاسلامية
١١	الاستاذ عبد الخالق محمـــد عبد الوهاب	وكيل اذاعة القرآن الكريم

م	الاسم	الوظيفة
١٢	السيد محمد محمود حمدان	مرافق وزير الاوقاف
١٣	الشيخ محمد محمود الطبلاوى	قارىء القرآن الكريم
١٤	الشيخ محمد نجيب المطيعى	مؤلف اسلامى
١٥	الاستاذ احمد بهجت	صحفى ـ الاهرام

(١٥) السودان :

م	الاسم	الوظيفة
١	الشيخ عوض الله صالح	مفتى السودان
٢	الدكتور كامل الباقر	مدير جامعة ام درمان
٣	الدكتور مالك بدرى	جامعة الخرطوم
٤	الدكتور محمد احمد ياجى	مدير المركز الاسلامى الافريقى

(١٦) ليبيا :

م	الاسم	الوظيفة
١	الشيخ محمود صبحى	امين عام جمعية الدعوة الاسلامية

(١٧) تونس :

م	الاسم	الوظيفة
١	الدكتور التهامى نقره	جامعة تونس
٢	الاستاذ راشد الغنوشى	رئيس تحرير مجلة المعرفة
٣	الدكتور صلاح الدين كشريد	صيدلى ـ مفكر اسلامى
٤	الدكتور محمد الحبيب بلخوجه	مفتى تونس
٥	الدكتور محمد الشاذلى النيفر	عميد كلية الزيتونة
٦	الشيخ مصطفى كمال التارزى	مدير الشئون الدينية
٧	الاستاذ الحبيب اللمسى	ناشر اسلامى

(١٨) المغرب :

م	الاسم	الوظيفة
١	الاستاذ أبو بكر القادرى	عضو اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال

م	الاسم	الوظيفة
٢	الاستاذ اسماعيل الخطيب	رئيس تحرير جريدة النور ـ تطوان
٣	الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله	مدير مكتب تنسيق التعريب بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
٤	الدكتور عبد الكريم الخطيب	عالم ومفكر اسلامى
٥	الاستاذ عمر بهاء الدين الاميرى	دار الحديث ـ الحسنية ـ الرباط عالم ومفكر اسلامى
٦	الشيخ علال احمد بشر	
٧	الدكتور عبد الهادى التازى	سفير المغرب بايران
٨	الاستاذ محمد الفاسى	رئيس رابطة الجامعات الاسلامية
٩	الدكتور المهدى بن عبود	عالم ومفكر اسلامى
١٠	الاستاذ مصطفى القرشاوى	صحفى

(١٩) غينيا :

م	الاسم	الوظيفة
١	معالى الحاج فودى سوريبا كامارا	وزير الشئون الاسلامية والامين العام للمجلس الوطنى الاسلامى

(٢٠) جمهورية مالى :

م	الاسم	الوظيفة
١	الحاج سعد عمر تورى الفوتى	وفد علماء مالى
٢	الشيخ عثمان خلابو	وفد علماء مالى
٣	الحاج محمد السنوسى	وفد علماء مالى
٤	سعادة سيدى محمد يوسف ديرى	سفير جمهورية مالى بجده

جنوب افريقيا :

م	الاسم	الوظيفة
١	سليمان الندوى	رئيس قسم الدراسات الاسلامية « جامعة دربان »
٢	الدكتور سيد حبيب الحق الندوى	أستاذ بجامعة دربان وستفيل

م	الاسم	الوظيفة
٣	الدكتور غلام كريم	عضو المجلس الاسلامى
٤	الاستاذ محمد امين بلبليا	نائب رئيس المجلس الاسلامى ومدير العلاقات الدولية
٥	عبد الرحمن سيد الندوى	
	(٢٢) موريشيوس :	
١	الدكتور احمد سويلى كسنيالى	استاذ بجامعة موريشيوس ومفكر اسلامى
	(٢٣) تركيا :	
١	الدكتور نجم الدين اربكان	رئيس حزب ملى سلامة
٢	الدكتور احسان ثريا صيرما	استاذ بكلية العلوم الاسلامية ـ جامعة أتاتورك
٣	الاستاذ اغزوخان اصيل ترك	سكرتير حزب ملى سلامة
٤	الاستاذ صالح اورجان	رئيس تحرير مجلة الهلال
٥	الدكتور صالح طوغ	مدير المعهد للدراسات الاسلامية
٦	الدكتور عثمان اوزتورك	استاذ تاريخ الحضارة الاسلامية بالمعهد الاسلامى العالى اسطنبول
٧	الاستاذ عثمان سراج	مشاور وزارة الثقافة
٨	الدكتور مصطفى بيلج	استاذ بكلية الآداب ـ جامعة اسطنبول
٩	الاستاذ برنت رفعى	مرافق
١٠	الاستاذ مصطفى محمد الطحان	مرافق للبروفسور نجم الدين اربكان
	(٢٤) قبرص	
١	الدكتور رفعت مصطفى رفعت	مفتى قبرص
	(٢٥) باكستان :	
١	**الدكتور حكيم محمد سعيد**	المستشار الطبى لرئيس الجمهورية

م	الاسم	الوظيفة
٢	**الاستاذ خليل الحامدى**	رئيس دار العروبة للدعوة الاسلامية
٣	**الاستاذ خورشيد احمد**	استاذ بمعهد الدراسات السياسية
٤	القاضى محمد افضل شيمه	رئيس مجلس الفكر الاسلامى
٥	الشيخ محمد تقى العثمانى	نائب مدير دار العلوم ـ كراتشى
٦	الشيخ ميان طفيل محمد	امير الجماعة الاسلامية
	(٢٦) افغانستان :	
١	الشيخ صبغة الله المجددى	رئيس الجمعية الوطنية لانقاذ افغانستان
٢	الاستاذ عبد الستار سيرت	استاذ بجامعة الملك عبد العزيز
٣	محمد هاشم المجددى	عالم ومفكر اسلامى
	(٢٧) الهند :	
١	الشيخ ابو الحسن على الندوى	الامين العام لندوة العلماء
٢	الاستاذ سعيد احمد أكبر ابادى	رئيس قسم الدراسات الاسلامية بالجامعة الاسلامية عليكرة
٣	الاستاذ عبدالله حسن الندوى	مرافق للشيخ أبو الحسن الندوى
٤	الاستاذ عبد الرحمن عبيد الله الرحمانى	مرافق مع والده
٥	الشيخ عبيد الله عبد السلام الرحمانى	مؤلف ومفكر اسلامى
٦	الشيخ محمد سالم القاسمى	نيابة عن مدير دار العلوم / ديوبند
٧	الشيخ محمد يوسف	امير الجماعة الاسلامية
٨	الشيخ مختار احمد الندوى	مدير الدار السلفية
٩	الشيخ مقتدا حسن محمد يس	وكيل الجامعة السلفية ـ بنارس
١٠	الاستاذ سيدا واساف فاسفى	صحفى

م	الاسم	الوظيفـة
	(٢٨) بنجـــلاديش	
١	المفتى عبد الرحمن بن صان مياه	امين التعاليم للجامعة الاسلامية
٢	الشيخ محمد يونس عبـــد الجبار	رئيس الجامعة الاسلامية
	(٢٩) اندونيسيـا	
١	الدكتور عبد الملك عبد الكريم أمر الله	الرئيس العـــام بمجلس العلمــــاء الاندونيسى
٢	الدكتور محمد رشيدى	نائب الدكتور محمــد ناصر رئيس المجلس الاعلى الاندونيسى
٣	الدكتور محمد طلحه حسن	عضـــو المجلس الاعـلى الاندونيسى
٤	الاستاذ عبدالرحمن باسبورتا	صحفى
	(٣٠) الفلبيـــن :	
١	الشيخ احمد بشير	رئيس جمعية اقامة الاسلام
٢	الدكتور أحمــد دوماكاوالنتو	الرئيس الفخـــرى لجـامعة الفلبين الاســـلامية وعضـــو رابطة العـــالم الاسلامى
٣	الاستاذ عبد الرافع سيدى	استاذ بمعهد الدراسات الاسلامية
	(٣١) تايـــلاند :	
١	الشيخ على عيسى محمد على سالم	مدير دار الرابطة ، ومبعوث رابطـة العالم الاسلامى ، بانكوك
	(٣٢) مـــاليزيا :	
١	الدكتور عبد الجليل حسن	مدير مكتب رابطة العالم الاسلامى
٢	الدكتور عبد المجيد مكين	رئيس قسم الدراسات الاســـلامية جامعة ماليزيا

م	الاسم	الوظيفة
	(٣٣) سرى لانكا :	
١	الحاج سابلدن بصير جلال الدين	مدير الدعوة ـ المجلس الوطنى لجمعية شباب المسلمين
٢	سعادة السيد محمد حنيفة محمد	وزير المواصلات ـ وعضو المجلس الدستورى
	(٣٤) سنغافورة :	
١	الاستاذ محمد زين احمد	مستشار اتحاد الشباب المسلمين
٢	الاستاذ معروف صالح	رئيس اتحاد الشباب المسلم
	(٣٥) هونج كونج :	
١	الاستاذ يوسف يو	نائب عميد الكلية الاسلامية
	(٣٦) كوريا الجنوبية :	
١	الدكتور ابوبكر جونى سون كيم	اتحاد المسلمين الكوريين
٢	الحاج صبرى جوه سوه	اتحاد المسلمين الكوريين
٣	الاستاذ عبد العزيز آل شوه	اتحاد المسلمين الكوريين
	(٣٧) اليابان :	
١	الاستاذ خالد كيبا	المركز الاسلامى ـ طوكيو
٢	الدكتور عبد الباسط السباعى	المركز الاسلامى ـ طوكيو
٣	الدكتور يوسف ايمورى	جمعية المسلمين
٤	الاستاذ عبما نبيل عبدالرحمن	صحفى
	(٣٨) استراليا :	
١	الاستاذ ابراهيم السيد ابراهيم	رئيس المجلس الاسلامى ـ سيدنى
	(٣٩) بريطانيا :	
١	الاستاذ افضال الرحمن	رئيس دار الوقف الاسلامى

م	الاسم	الوظيفـة
٢	الدكتور سيد عزيز باشا	امين الاتحاد والجمعيات الاسلامية فى بريطانيا وايرلندا
٣	الاستاذ عاشور الشامس	سكرتير دار الرعاية الاسلامية
٤	الدكتور محمـد عبد الحليم احمد	استاذ الدراسات الاسلامية /جامعة لندن
٥	الدكتور وليد عرفات	رئيس قسم الدراسات الاسلامية (جامعة لنكستر)
٦	الاستاذ ادريس بيرز	صحفى
	(٤٠) اليونـــان :	
١	الشيخ رشدى ادهم امام	واعظ ومرشد لمسلمى اليونان
	(٤١) فرنســا :	
١	الدكتور عبـد الحليم خلدون الكنانى	مدير مكتب رابطة العالم الاسلامى بباريس
	(٤٢) لوكسمبرج :	
١	الدكتور جمـال الدين عطيـة	رئيس تحرير مجلة المسلم المعاصر
	(٤٣) المانيا الغربية :	
١	حسن حسين هاوت	رئيس الجمعية الاسلامية الالمانيـة
٢	الدكتور فؤاد سيزكين	عالم ومفكر اسلامى
	(٤٤) بلجيـكا :	
١	الشيخ محمد العلوينى	مدير المركز الاسلامى والثقافى
	(٤٥) الولايات المتحـدة الامريكية :	
١	الدكتور انيس احمد	رئيس اتحاد علماء الاجتماع المسلمين بلاين يلد ــ انديانا
٢	الدكتور محمد عبد الرؤوف	مدير المركز الاسلامى ــ واشنطن

م	الاسم	الوظيفة
	(٤٦) الارجنتين :	
١	الشيخ ساطع بن الشيخ احمد رفيق الجميلى	مدير معهد التربية الاسلامية
	(٤٧) قطر ـ الدولة المضيفة :	
١	الاستاذ ابراهيم محمد على	رئيس قسم الترجمة ـ ادارة الشئون الدينية
٢	الدكتور أبو الفرج العش	جامعة قطر
٣	الدكتور أحمد رجب عبد المجيد	مدير البحوث الفنية ـ وزارة التربية والتعليم
٤	الاستاذ أحمد العنانى	الديوان الاميرى
٥	السيد احمد نصار	جامعة قطر
٦	السيد احمد الحمادى	جامعة قطر
٧	السيد احمد عبد الرحيم الانصارى	مدير ادارة المساجد ـ رئاسة المحاكم الشرعية
٨	الشيخ جاسم حسن جاسم السيد	موجه العلوم الشرعية ـ وزارة التربية والتعليم
٩	الدكتور جابر عبد الحميد جابر	جامعة قطر
١٠	الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر	جامعة قطر
١١	الاستاذ خليل حمد	رئاسة المحاكم الشرعية
١٢	الشيخ رافت وافى	وزارة التربية والتعليم ـ موجه العلوم الشرعية
١٣	الاستاذ السيد عبد العال السيد	رئيس التوجيه التربوى ـ وزارة التربية والتعليم
١٤	الشيخ عبد التواب هيكل	مكتب الدعوة والارشاد السعودى
١٥	الاستاذ عبد الجواد عبارة	رئيس قسم المكتبات ـ ادارة الشئون الدينية

م	الاسم	الوظيفـة
١٦	الاستاذ عبدالحميد طه حسن	رئيس مدارس تحفيظ القـــرآن الكريم ــ ادارةالشئون الدينية
١٧	السيد عبد الرحمن عبد الله المولوى	مدير ادارة المحفـــوظات ــ وزارة التربية والتعليم
١٨	الدكتور عبد الشافى غنيم	جامعة قطر
١٩	الدكتور عبد العظيم الديب	جامعة قطر
٢٠	الشيخ عبد القـادر العماوى	المحـكمة الشرعية
٢١	الشيخ عبد اللطيف زايد	وزارة التربية والتعليم
٢٢	فضيلة الشيخ عبد الله ابراهيم الانصارى	مدير الشئون الدينية
٢٣	فضيلة الشيخ عبد المعز عبد الستار	رئيس توجيـه العلوم الشرعية ــ وزارة التربية والتعليم
٢٤	السيد عبـد المعين محمـود عبارة	رئيس قسم الطباعةوالنشر ــ ادارة الشئون الدينية
٢٥	الدكتور على جماز	جامعة قطر
٢٦	السيد على القاضى	جامعة قطر
٢٧	فضيلة الشيخ عليوة مصطفى	توجيـه العلوم الشرعيـة ــ وزارة التربية والتعليم
٢٨	السيد عنتر حشاد	جامعة قطر
٢٩	الاستاذ فتح الله خليف	جامعة قطر
٣٠	الدكتور كمال ناجى	وزارة التربية والتعليم
٣١	الدكتور مازن المبارك	جامعة قطر
٣٢	الدكتور ماهر حسن فهمى	جامعة قطر
٣٣	الدكتـور محمـد ابراهيـم الفيـومى	جامعـة قطر
٣٤	الدكتور محمد ابراهيم كاظم	مدير جامعة قطر
٣٥	السيد محمد احمد سليمان	جامعة قطر

م	الاسم	الوظيفة
٣٦	الاستاذ محمد عبد الله الانصارى	مدير الشئون الفنية – وزارة التربية والتعليم
٣٧	السيد محمد محمد الابشيهى	توجيه اللغة العربية – وزارة التربية والتعليم
٣٨	الدكتور محمد منير مرسى	جامعة قطر
٣٩	السيد محمد محمد مقلد	جامعة قطر
٤٠	الدكتور محمد عبد الغفار حمزة	توجيه اللغة العربية – وزارة التربية والتعليم
٤١	السيد محمود عبد العزيز	جامعة قطر
٤٢	الشيخ معجب الدوسرى	مكتب الدعوة والارشاد السعودى
٤٣	الاستاذ مصطفى الصيرفى	مدير معهد الادارة والتجارة الثانوية وزارة التربية والتعليم
٤٤	السيد محمد الشافعى صادق	م. مدير الشئون الدينية
٤٥	الدكتور يوسف القرضاوى	عميد كلية الشريعة – جامعة قطر
٤٦	الاستاذ يوسف المظفر	وزارة الاعلام – مدير التلفزيون
٤٧	الدكتور يوسف عبد المقصود	جامعة قطر
٤٨	الاستاذ يوسف الملا	مدير محو الامية وتعليم الكبار – وزارة التربية والتعليم
٤٩	الدكتور القصبى زلط	جامعة قطر
٥٠	الدكتور احمد حمد	وزارة التربية والتعليم
٥١	الدكتور محمد الشبينى	اليونسكو – نائبا عن المدير العام
٥٢	الدكتور مصلح سيد بيومى	جامعة قطر
٥٣	الدكتور محمد عبد الله السنباطى	جامعة قطر

التفرقة العنصرية والإسلام

دكتور محمد البهى

مقدمـــــة :

التفــرقة العنصرية تقــوم على ادعاء : أن شــعبا من الشــعوب أو قوما من الأقوام أو جنسا من الأجنــاس البشرية ، أو قبيلة من القبائل ، أو عشيرة من العشــائر أو مجموعة من الناس خاصة •• وتتميز فى صفاتها الجسمية والعقلية عن ما عداها •

وانها لذلك صاحبة الفضل فى بناء الحضارة الانسانية والمدنيــة ومؤهلة من أجــل هــذا السبب للقيادة والامارة على الآخرين •

هل الاسلام بدعوته ومبــادئه يقــوم عــلى التمييز العنصرى ؟ انــه يفــرق حتمــا بين الأفــراد والمجمــوعات ، بينما يسوى بين الناس جميعا • فعــلى أى أساس يفــرق ؟ وعلى أى أســاس آخر يسوى ؟

وبعض المســلمين فى مراحــل ايمانهم بالاسلام على عهد الرسول عليه السلام وبعده ، كان لا يخفى النـــزعة الى « القبيـــلة » أو « العشيرة » •• هــل عدم اخفاء هذه النزعة يعد مساوقا للايمان ، أو يعتبر تغاضيا عن دعوته ؟

ان الاســلام كمــا سنرى فى البحث يدعو الى : « الانسانية » وقيمها العليا وهو من أجــل ذلك يعادى « العنصرية » كما يعــادى الشر والجاهلية •

وظهور النزعة « العنصرية » فى وقت ما ، أو فى مرحلة ما ، عنــد بعض المسلمين ، لا يدل على أن الاسلام يهــادن العنصرية لسبب

من الأسباب وانما يدل على ضعف هذا البعض من المسلمين ، أو على أن المجتمع يأخذ طريقه شيئا فشيئا بعيدا عن الاسلام ومبادئه .

والله الموفق ،،

فى النصوص الاسلامية :

رسالة الرسول عليه السلام ـ وهى ما أوحى بها الله فى القرآن ـ جاءت لتعيد الى القيم الانسانية اعتبارها ـ جاءت لترفع من شأن هذه القيم فى العلاقات بين الناس والأفراد ، ويكون لها وزنها ، بحيث تحل محل الروابط المادية وهى روابط المنفعية والمبادلات المصلحية ، التى تكون نفاق الانسان فى التفكير والسلوك ، والمواقف بالنسبة للآخرين .

ولكى يفسح الاسلام المجال للقيم الانسانية فى ترابط الناس بعضهم ببعض : نحى عن هذا الترابط اختلاف نظرة الناس بعضهم الى بعض ، واختلاف تقديرهم وتقييمهم على أساس من « العنصرية » .. أى على أساس من « الشعوبية » .. و « القبلية » .. و« والذكورة والانوثة » .. على أساس من « الأصل » و « الجنس » ..يقول الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (١) فيأمر المؤمنين بأن ينتقلوا بالترابط فيما بينهم ويرتفعوا به الى دائرة الهداية بكتاب الله . وهى دائرة أسمى من دوائر الترابط التى كانت سائدة قبل الاسلام ، ودائرة أعم فى الشمول من أية دائرة أخرى كان لها اعتبارها بين الجاهليين أو الماديين أو غير الاسلاميين .

وبالانتقال الى هذه الدائرة الأسمى والأدعم فى الترابط يجنب القرآن المؤمنين : الفرقة على أساس الاختلاف فى القبيلة ، أو الشعب ، أو اللون ، أو الجنس من الذكورة والأنوثة . ولكى يقنعهم بأن يكون الترابط فى

(١ ، ٢) آل عمران : ١٠٣

العــلاقات على صلة بهــداية الله وحدها ، يذكرهم بأحداث الماضى فى العــلاقات البشرية التى كانت تنشــأ على أساس مادى ضيق ، كما يذكرهم بآثارها السلبية فتقول الآية مســتمرة فى الحــديث :

« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » (١)

والعداوة التى كانت قائمــة ليست هى فقط العداوة التى كانت بين قبيلتى الأوس والخزرج ، كمــا يذكر كثير من المفسرين . وانمــا هى كل عداوة عنصرية قبليــة ، أو شــعوبية ، تنشــأ على أساس الدم والقرابة فيــه ، وليس على أساس التوجيه الانسانى والهداية الالهية وهى عداوة تتكرر كلمــا تكررت الروابط واشتـــدت على أساس العنصرية .

وتعتبر الآية الكريمة أن الدعوة الى الانتقال بالترابط بين النــاس الى دائرة الهداية الالهيــة ، هى دعوة لانقاذ البشرية من الهــلاك المحقق ، وتمتن بها على المؤمنين ، مؤملة أن يأخذوا بها فى حياتهم ، كى يكونوا على طــريق الســلام والأمان دائمــا .

واذ ينحى الاســلام عن ترابط الناس بعضهم ببعض قيام هــذا الترابط على أساس « العنصرية » فانه يوصــل المبــدأ الذى يؤكد مساواة الناس جميعا فى الاعتبــار البشرى ويرد كل سبب آخـــر للتفرقة العنصرية ، فيقول :

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » (٢) فالناس جميعا خلقوا من ازدواج الذكورة والأنوثة . ولا يتخلف فــرد واحد منهم فى نشأته عن هذا الأصل فالناس اذا متساوون فى الأعتبــار البشرى ، كمــا هم متســاوون فى النشأة والأصل هنا ويوضح ذلك قــوله تعالى فى سورة الانسان .

« هل أتى على الانسان حين من الدهــر لم يكن شيئا مذكورا »

---

(١) سورة آل عمران ١٠٣ .
(٢) سورة الحجرات ١٣ .

أى أنه جاء وقت لم يكن الانسان مخلوقا .

« انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا »(١) وعندما خلقه الله سبحانه وتعالى خلقه من نطفة مشتركة من الذكورة والأنوثة . وخلقه على هذا النحو : لا يتبدل بسبب اختلاف المكان ، والزمان ، واللغة ، والعرق والذكورة والأنوثة ، واللون .

وتأتى سورة النساء فى أول آية منها فتذكر أن الطبيعة الانسانية التى خلق منها الناس جميعا ، وخلق منها الذكر والانثى ، هى طبيعة واحدة ، يقول الله تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم » — فتجنبوا ما تباشرونه ضد الضعفاء فيكم أو ضد المستضعفين لديكم ، وهم النساء ، واليتامى .

«الذى خلقكم من نفس واحدة» وهى الطبيعة البشرية . وما يقوله بعض المفسرين هنا فى النفس الواحدة : أنها نفس آدم ، فذلك قصة التوراة .

« وخلق منها زوجها » أى خلق من الطبيعة البشرية الذكورة والأنوثة .

« وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » تم انتشر خلق الرجال والنساء فى تعمير الكون من نطفة أمشاج ، اختلط فيها ما للذكر وما للأنثى .

ومن هذه الآيات يتضح أن المساواة فى الاعتبار البشرى بين الذكر والأنثى قائمة بالفعل ، وأن مصدرها : وحدة الأصل والنشأة بين النوعين .

فاذا جاءت آية الحجرات السابقة وأضافت الى شقها الأول قول الله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .. فانها تضم الى المساواة فى الاعتبار البشرى بين الأفراد بين الذكر والأنثى ، المساواة فى الاعتبار البشرى بين الشعوب ، والقبائل ، وكل

---

(١) سورة الانسان ١ و ٢ .

المجموعات الأخرى التى تقوم على عصبية الدم أو وحـدة اللغـة ، أو تجانس اللون فهذا الشق الثانى من الآية يريد أن ينفى أن اختلاف الشعـوب يوصـل الى اختـلاف اعتبارهم البشرى ، بل هو مصدر للتقارب والتعارف فيمـا بينهم ، أى هو مصدر لجذب بعضهم الى بعض لحاجة كل منهـم للآخـر ، فالاختلاف بين الذكورة والأنوثة عامل جذب ، وليس عامل تضاد .. والاختلاف بين الغنى والفقير عامل مشاركة وحاجة متبـادلة وليس عامل خصومة ومطاردة .. وهكذا .. فالأفراد البشرية والجمـاعات البشرية لا فـرق بين بعضـها فى الاعتبار البشرى فى نظر الاسلام ، ومن هنـا يمـكن أن يقال : ان الاسلام ضد « التفرقة العنصرية » وأنه ينظر الى الناس جميعـا نظرة المساواة فى الاعتبارى البشرى.فلا يفضل انسانا على آخر ولا شعبا ، ولا قبيلة على قبيلة ولا جماعة من النـاس ترابطت على أسـاس غير انسانى ، على جمـاعة أخـرى ترابطت أيضـا على أساس آخـر هو غير انسانى كذلك .

ولكن الاسلام فى الوقت نفسه يميز بين الافراد والجماعات بعـد اقـراره بالمساواة فى الاعتبـار البشرى ــ بمـا تنتهى به آية الحجرات السابقة ، وهـو قوله تعـالى :

« ان أكرمكم عنـد الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .. فتذكـر الآية أن مقياس التفضيل للافراد والجمـاعات عند الله لا يرجع الى « العنصر » والعرق بل هو التقوى .. هو تجنب المعاصى والآثام هو تجنب المنكر والفواحش .. هـو أداء الواجبات المختلفة .. هـو أداء العبـادات .. هو الوفـاء بالعهود .. هو الصبر فى البأساء والضراء وفى تحديد المتقيـن . بقول الله تعالى :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البـر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب ، والنبيين وآتى المـال على حبه ذوى القربى واليتـامى ،

والمساكين ، وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة . والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء ، وحين البأس وأولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » (١) ..

فالمتقى هو صاحب الايمان بما طلبت الآية هنا الايمان به ، وهو المؤدى للواجبات والتكاليف حسبما يدعو القرآن فيها كذلك ، وهو صاحب الصفات النفسية القائمة على القيم الانسانية العليا والثبات عليها : من الوفاء بالعهد ، والصبر والتحمل فى الشدة اذا استمرت ، ووقت مفاجآتها (وحين البأس) .

والتقوى التى يتميز بها فرد عن فرد أو مجموعة من الناس على مجموعة أخرى هى جماع هذه الأنواع من الصفات التى ذكرت فى آية البرهان .

والاسلام بذلك يفرق بين شيئين لا يستلزم أحدهما الآخر .. يفرق :

أ ــ بين المساواة فى الاعتبار البشرى ، على أساس الوحدة فى أصل النشأة البشرية .

ب ــ وبين التميز فى السلوك الانسانى ، والارتباط بالقيم الانسانية العليا فى الحياة على أساس من الايمان وتأثيره على الفكر ، والوجدان ، والعمل الادارى .

***

وعندما تبدر بادرة اختلاف بين المؤمنين فى جماعتهم تشير الى الرجوع الى الاعتزاز أو التفاخر « بالأصل » فيهم يتجه الاسلام فورا الى النهى عن طريق ذلك ويذكر بالرباط القائم بينهم الآن بديلا عما كان فيقول : «انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين

---

(١) سورة البقرة ١٧٧ .

أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (١) .. فيطالب بالصلح على أساس الأخوة فى الايمان بالله وليس على أساس عنصرى . ثم ينهى عن مباشرة الآثار التى تترتب على اعتبار العنصرية باقية كما كانت فيقول :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم » وفى العمل والسلوك ،

« ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولاتلمزوا أنفسكم » ولا تذكروا عوب بعضكم بعضا فى غيبتهم ،

« ولا تنابزوا بالألقاب » أى لا يلقب بعضكم بما يكره أن يسمعه .

« بئس الاسم الفسوق بعد الايمان » أى بئس الخروج عن الايمان بعد الدخول فيه .

فينهى القرآن هنا عن أن يسخر أحد من آخر ذكر أو أنثى بسبب وضاعة النسب أو بأى سبب من الأسباب التى كانت فى الماضى يستندون اليها عند التنقيص ، أو السخرية من أحد . لأن ذلك لا يتفق اطلاقا مع قيام المساواة فى الاعتبار البشرى بين الناس جميعا التى يطلبها الاسلام ويصر على طلبها .

كما ينهى عن انتهاك الحرمات فى غيبة أصحابها بما يسىء اليهم ، وعن مواجهتهم بما يكرهون من الأسماء والألقاب . ويجعل أى سبيل من سبل الانتقاص المذكورة فسوقا وخروجا من الايمان ، أو هو بمثابة الارتداد عن الايمان . فالسخرية والاساءة الى الانسان بالتنقيص من خلقه ، ودعوته بما يكره من الألقاب : أمور لا تجرح الاحساس الانسانى فقط بين

(١) سورة الحجرات ١٠ .

يسخر منه ، أو يساء اليه من خلفه ، أو فى مواجهته وانما قد يصل جرح الاحساس الى ما يعوقه عن التفكير السليم ، ومباشرة العمل ، ويحول بينه وبين النظرة المتفائلة فى الحياة .. هى أمور قد تؤدى الى أن يكره الانسان نفسه ويتهرب بوسيلة ، أو بأخرى من لقاء الناس ، فضلا عن أن يستمتع بهم عند اللقاء .

ولكى يبعد الاسلام سوء الظن بالآخرين ، اعتمادا على تقليد كان قائما على تفرقة قبلية يطلب الابتعاد عنه من قريب أو بعيد فيقول :

« يا أيها الذين آمنوا ،

« اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم ،

« ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا » (١) ..

والواقع أن القرآن الكريم يطلب فى هذه الآيات الثلاث فى سورة الحجرات : أن يتجنب المؤمن كل أسباب الايذاء النفسى لمؤمن آخر . وهى أسباب كانت سائدة فى الجاهلية ، وتسود فى كل عهد مادى . والقرآن اذ يطلب أن يتجنبها المؤمن يطلبها لكى يفسح مجال العلاقات بين المؤمنين الى الايمان بالله ، والأخوة على أساس منه : فسخرية انسان من انسان ،

وتنقيص انسان من انسان آخر وراء ظهره ،

ودعوة انسان انسانا آخر بما يكره من ألقاب أمام آخرين ،

وتجسس انسان على أسرار انسان آخر ،

وغيبة انسان لانسان ..

كلها عوامل تحول قطعا دون صفاء النفوس ، وتماسك بنيان المجتمع ــ وهى لا تشيع الا اذا كانت « التفرقة العنصرية قائمة » بوجه من الوجوه .

الاسترقاق ليس تفرقة عنصرية :

واسترقاق الأسرى فى الحروب بين المسلمين وأعدائهم اذا باشره

---

(١) سورة الحجرات ١٠ ــ ١٢

الامام وأصبح هناك بين المؤمنين أرقاء من غيرهم يجوز بيعهم وشراؤهم : لا يعد « تفرقة عنصرية » فعدم مساواة الأرقاء بالأحرار فى المجتمع الاسلامى فى الاعتبار الانسانى ، وجعلهم على النصف فى أمور عديدة ، مما يجب على الحر ، أو مما يجوز له ، هو اجراء ضرورى لابعاد خطر الاعتداء والحروب عن المؤمنين من أعدائهم وهو « سياسة » يجب أن تستخدم لتحذير الأعداء والمغامرين بالحروب •

ثم الاسترقاق هو بديل عن قتل الأسير فى ميدان القتال ، أو بعد أسره فقد يجوز أن يقتل فى الميدان ، كما يجوز للامام أن يقتله بعد أن يؤسر — وقد كان عمر رضى الله عنه يرى — والمسلمون ضعفاء — أن الأسير ينبغى قتله ، ولا يجوز أن تقبل منه فدية ، فضلا عن أن يمن عليه الامام باطلاق سراحه • وفى رأيه جاء قوله تعالى :

« ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض » — حتى يتمكن ويكون قويا « تريدون » أى بالفدية • وقد كانت الفدية رأى أبى بكر لحاجة المؤمنين الى المال « عرض الدنيا » •

« والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ،

« لولا كتاب من الله سبق » أى لولا قضاء من الله سبق فى علمه : بالعفو عن الرسول عليه السلام والمؤمنين معه من أجل قبول الفدية بادىء ذى بدء « لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » (١) •

ومع أن الرقيق يفرق بينه وبين الحر فى مجالات عديدة فى الحياة ، وبالأخص فيما يتعلق بالقيمة الانسانية ، ومع أن الاسلام يرى فى التفريق بينهما ضربا من ضروب التأديب للأسير الذى أصبح رقيقا ، لكنه لا يرى فى هذا التفريق أية صلة تعود بها الى ما يسمى

---

(١) سورة الانفال ٦٧ و ٦٨ .

« بالتفرقة العنصرية » .. لأن الاسلام لا ينقصه « لأصله » أو « عرقه » أو « جنسه » أو « شعبه » أو « قبيلته » .. أو غير ذلك مما يعده الماديون أو الجاهلون — سببا فى « التمييز » و « التفرقة » .. أو سببا فى التنقيص والخسة كما واجه قوم نوح رسولهم بأن سبب كفرهم برسالته : أنهم من « الأشراف » وأن من عداهم من الذين آمنوا به من « الوضعاء » .

قالوا : « أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ؟ » (١) فهم يأنفون أن يكونوا فى مستوى واحد مع الأراذل أو الوضعاء ، فى الايمان برسالة نوح .

والتفرقة العنصرية دائما ظاهرة من ظواهر المادية ، مهما قيل فى شأن المساواة « أو ادعائها فى ظل طغيان المادية » . أما « التجريد » من الاعتبار الانسانى الذى يسلكه الاسلام مع الرقيق ، فلا يقوم على شيء سوى استنكار العدوان والاعتداء ، وحمل المعتدى على التفكير طويلا قبل اعتدائه على المؤمنين .

***

والآن تمر بنا فى الاسلام اربعة امور :

الأمر الأول : أن الاسلام يرى المساواة فى الاعتبار البشرى أساسا جوهريا فى النظرة الى الناس جميعا .

الامر الثانى : أن هناك فى الاسلام — بعد ذلك — فروقا فردية تنشأ عن قوة الايمان وضعفه ، وحسن السلوك ، ومدى مطابقته لما يأمر أو ينهى عنه الاسلام ، وهى فروق يتميز بها فرد عن آخر أو مجموعة عن أخرى .

الامر الثالث : أن الاسترقاق ومعاملة الارقاء ، والنظرة اليهم لا تصل بمعنى « التفرقة العنصرية » .

الامر الرابع : أن المسئولية الفردية هى مسئولية للناس عامة .

---

(١) سورة الشعراء ١١١ .

والناس جميعا يتساوون فى حمل هذه المسئولية ، كما يتساوون فى الاعتبار البشرى .

والحديث الشريف يذكر المسئولية الفردية فيما يروى عن الرسول عليه السلام فى قوله :

« كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ،

« والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عن رعيته ،

« والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ،

« وعبد الرجل راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه » .

« ألا : كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .. فالسيد والرقيق .. والذكر والأنثى كل فى دائرة مسئوليته مطالب بأداء المسئولية ورعايتها .

والروح الاسلامية عامة تتجاوز كل مظاهر « التفرقة العنصرية » وأسبابها كذلك تستهدف السلوك الانسانى الكريم وتحقيق مستواه الفاضل .

« واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم » ــ مما يخص القبائل والعشائر ــ .

« ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم » ــ فارتفعتم به فى السلوك والمعاملة عن كل أسباب الخصومة . وهى أسباب تعود غالبا الى « العنصرية » ــ .....

« وكره اليكم الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، أولئك هم الراشدون » (١) . وطالما يبتعد الانسان عن الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، فهو بعيد كذلك عن كل ما يؤذى فى العلاقات بين الأفراد بعضهم ببعض . وهو رشيد كذلك فى مسلكه وتصرفه .

***

*** فى توجيه الرسول :**

والرسول عليه السلام يبغض فى العصبية الجاهلية . وهى التى

---

(١) سورة الحجرات ٧

تقـــوم على أســـاس قبـلى (أو عنصرى) لنصرة عضـو فى القبيلة ، ولو كان ظـالما ، ضـد مظلوم آخر فى قبيلة أخـرى ..
ويروى عنه عليه الصلاة والسلام فى هذا الشأن قوله :

« ليس منـا مـــن دعـا الى عصبيـــة » ـ أى ليس مـــن المؤمنين من جعـل العصبية سبيلا الى نصرة الظالم ـ .. « وليس منا من قاتل على عصبية » ـ .. أى اشتبك فى القتال على أساس العصبية وليس عـلى أســاس نصرة الله ـ .....

وفى رواية جبير بن مطعم :

« خيركم : المدافع عن عشيرته ، مالم يأثم » ـ أى مالم يتجـاوز الحد فى الدفاع ـ فينصر الظـالم لأنه فقط مـن عشـيرته ـ .. فالرسول عليه السـلام لا ينـكر الترابط على أســاس العصبية . لأن ذلك شأن طبيعى فى الانسان . ولكن ينكر فقط أن يوجه هـذا الترابط لارتكاب الآثام والمظالم ، بسبب العشيرة والانتساب اليها .
ولذا يروى فى هـذا الشـأن عن عبد الله رضى الله عنه قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « قال : من نصر قومه على غير الحق فهـو كالبعير الذى ردى ، فهـو ينزع بذنبه » [1] ووجه الشبه هنـا أن انقاذه صعب مما وقع وتردى فيه ، ويندر أن ينقـذ حيا فالذى ينصر قومه على غير الحق يخطىء خطـأ جسيما فى حق نفسه ويؤدى بهـا الى الهلاك ـ . فالعصبية ذاتهـا أمر طبيعى . ولكن يجب أن تسير فى ظل الايمان بالله ودين الله . أى يجب أن تكون تعـاليم الرسـالة الالهيـة هى صـاحبة التوجيـه لطـاقات الانسـان وترابطـه .

بينمـا « العنصرية » القائمـة الآن لا تفترق اطـلاقا عن العصبية الجاهلية التى يمقتهـا الاسلام . فهى نصرة للشريـك فى الجنس والعنصر فى ظلمـه وباطله قبـل حقـه وعـدله .

---

(١) التاج ج ٥ ص ٤٧ .

واذا كان يروى عن الرسـول عليه السلام قوله فى تمجيـد بنى هاشم :

« ان الله اختار العرب من بين سائر الناس ،

« واختار قريشا من العرب ،

« واختار بنى هاشم من قريش

واختـارنى من بنى هاشم .. فأنا أفضـل النـاس » .. فليس يعنى عليه السلام التمييز العنصرى .. والا لمـا كانت رسالته رسالة عالمية.. ولما كانت دعوته الى تحقيق القيم الانسانية العليـا فى حيـاة المؤمن . يعنى فقط التنبيـه الى « صفاء » نسبه وشرف منبتـه ، وهـذا أمر يتصـل « بالوراثة » ومالهـا مـن أثر على السـلوك والتوجيـه واذا كان الرسـول يصطفى من البشر فان اختيار الله جل شأنه لرسول ما يدخل فيـه ماضيه وما ينطوى عليه من عناصر طيبـة وخيرية . وسلسلة النسب التى يشير الحديث هنا اليها تعطى لأى كاتب فى سيرته عليه السلام : أنه عليه السلام حتما كان يتحلى بصفة الأمانة ، تلك الصفة التى لها صلة وثيقة بالعصمة فى تبليغ الوحى ورسالة الله الى الناس جميعا .

وفيما يروى عـن أبى هـريرة رضى الله عنـه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « تجدون الناس معادن : خيارهم فى الجاهلية خيـارهم فى الاسـلام .. اذا فقهوا .. وتجدون خير الناس فى هذا الشأن : أشدهم له كراهيـة قبل أن يقع فيه ، وتجـدون شر النـاس ذا الوجهـين الذى يأتى هـؤلاء بوجـه ، ويأتى هـؤلاء بوجه » (١) .. يشـير كذلك الى « الوراثة » وأثرهـا فى توجيـه الأفراد ، دون أن يقصد الى معنى « التفـرقة العنصرية » فالوراثة أمر جوهرى فى الفـروق الفردية بينما « اللون » مثلا وهو أساس من أسس « التفرقة العنصرية » ــ القائمة اليوم لا يفرق بين فرد وفرد أو مجموعة ومجموعة أخرى على نحو ما يدعيه أصحاب هـذه

(١) كتاب التاج جـ ٣ ص ٤٣٥

التفرقة . فاللون الأسود لا يرتبط بضعف مستوى الذكاء فى صاحبه ، كما أن اللون الأبيض لا يدل دلالة لازمة على رفع مستوى الذكاء فيمن هو أبيض اللون . قد يكون للجو وللطبيعة فى برودتها وحرارتها أثر على نشاط الانسان — . ولذلك يختلف نشاط من يسكن المنطقة الباردة فى مستواه وفى طول أمده عن ذلك الذى يسكن المنطقة الحارة أو الرطبة . ولكن لا ينبغى أن يرتبط اختلاف النشاطين فى المستوى وفى المدى ، باللون الأسود والأبيض ، اذا كان الأسود هو الذى يسكن المنطقة الحارة أو الرطبة ، بينما الأبيض يسكن المنطقة الباردة .

***

*** فى موقف عمر :**

ان عمر رضى الله عنه وهو من هو ، فى الجاهلية والاسلام ، كان يقول عن بلال بن رباح الحبشى ، مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما يروى عن جابر رضى الله عنه : « أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا — ويعنى بلالا — .. وبلال حبشى الأصل ، أسود اللون ، وكان مملوكا لبنى جمح ، فلما سمع بالاسلام بادر اليه فصار أسياده يعذبونه عذابا شديدا على الاسلام فلا يرجع . وكان أمية بن خلف يوالى تعذيبه ويغرى به الولدان يطوفون به فى شعاب مكة يعذبونه ويشهرون به ، فلا يفتر لسانه عن قول أحد .. أحد . وكان هلاك أمية هذا على يديه . فلما اشتد تعذيبه ودفنوه فى الحجارة حيا اشتراه أبو بكر بخمس أواق ، وأعتقه لله تعالى .

فتكريم عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبلال الأسود الحبشى ، بالتعبير عنه بأنه « سيده » .. يدل دلالة واضحة على أن روح « التفرقة العنصرية » لم تكن قائمة فى التطبيق العلمى فى المبادىء الاسلامية على الأقل حتى عهد عمر . قد تكون مترسبة فى أعماق بعض النفوس . ولكن ليس بترسبها هذا مع ذلك تغيير فى مجريات الأمور حسبما يرشد الاسلام بروحه الانسانية العامة :

يروى :

« أن أبا سفيان قبل اسلامه » مر على سلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى فى نفـر فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله مـن عنـق عـدو الله مأخـذها (ويقصـدون أنه كان يجب أن يزول أبو سفيان عدو الله من هذا الوجود ، وقاية للاسلام من شره وعـداوته) • فقـال أبو بكر : أتقـولون هـذا لشـيخ قريش وسيدهم : (يعنى أبا سفيان) ؟ وأتى النبى عليه السلام فأخبره • فقال : يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ؟ ان كنت أغضبتهم فقـد أغضبت ربك • فأتاهم أبو بكر فقـال : يا اخوتاه أ أغضبتكم ؟ فقالوا : ما غضبنا • يغفر الله لك » •

فالثـلاثة : سلمان الفـارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، من « عروق » و « أجنـاس » ثلاثة • وأبو سفيان قرشى • فرد أبى بكر وهو قرشى أيضـا على الثـلاثة ربما يوقظ فى نفوسـهم معنى « العنصرية » •• يوقظ أن قريشا تتميز على غيرها من قبائل العـرب ، والأجنـاس الأخـرى عداها • وهذا مما يثـير الفتنـة أو روح الفرقة من جديد أو على الأقل بما يضعف روح الأخـوة الاسـلامية القـائمة على الروح الانسانية العـامة والتى هى فوق الجنسيات والعنصريات •

ولذا كان رد الرسـول عليـه السلام على أبى بكر : أنه ربمـا أغضبهم بما قال • وطلب اليه أن يرضيهم ويطمئنهم على أن الروح الانسانية العامة ــ وليست روح العنصرية ــ هى السـائدة فى المجتمع الاسـلامى ، وأن المسلم أخ المسلم فى الايمـان والاعتبار وأمام المسئولية •

ووصية عمر رضى الله عنـه لمن يخلفه ــ وهو مصاب باصابته ــ تدل أيضا على عدم وجـود نزعة نحو « التفرقة العنصرية » يستلهم منها المسلمون اتجاهاتهم فى الحياة تدل على أن الاسـلام بمبـادئه الانسـانية لم يـزل صـاحب السيادة •

فـيروى : أن بعض الرجـال استأذنوا فى الدخول عليه رضى الله

عنه فقالوا : أوص يا أمير المؤمنين .. استخلف .. قال :

« ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم .

« فسمى عليا » و « عثمان » و « الزبير » و « طلحة » و « سعدا » و « عبد الرحمن » وقال : « يشهدكم عبدالله بن عمر .. وليس له من الأمر شيء .

« فان أصابت الامرة سعدا فهو ذاك . والا فليستعن به أيكم ما أمر فانى لم أعزله عن عجز ، ولا خيانة .

ثم قال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين : أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم .

وأوصيه بالأنصار ، الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن سيئاتهم .

وأوصيه بأهل الأمصار خيرا . فانهم ردء الاسلام ، وجباة المال ، وغيظ العدو وأن لا يأخذ منهم الا فضلهم ، عن رضاهم .

وأوصيه بالأعراب خيرا فانهم أصل العرب ، ومادة الاسلام : أن يأخذ من حواشى أموالهم ، ويرد على فقرائهم .

وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله : أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم .

فان وصيته رضى الله عنه هنا بجميع طوائف المؤمنين وأهل الذمة فى الأمة لا تدل فقط على حنكة فى التجربة السياسية . وانما أيضا تدل على السمو فوق القبلية والعنصرية .

لأنه رضى الله عنه فيما يعلل به وصيته لكل طائفة يذكرها بفضلها فى الاسلام ، وفضل اسهامها فى قوة الأمة وخيرها .

* بعد وفاة الرسول عليه السلام

والرسول عليه السلام صاحب التبليغ بالوحى الالهى ، وصاحب الرسالة ، والدعوة اليها ، وصاحب التطبيق الجاد والصادق لمبادئها فى

حياته . ولذا كان قوله حجة وتطبيقه حجة كذلك . ومن ثم كانت قدوته قدوة حسنة ، يجب على المؤمنين برسالته أن يتبعوها .

وكما رأينا فى القرآن الكريم : أن روح الاسلام روح انسانية عامة فوق العنصرية والشعوبية .. وأن « لا اله الا الله » .. هو شعارها والله وحده هو معبود الخلق أجمعين .

ولكن الى متى تظل « العنصرية » بعيدة عن مجال الحياة الاسلامية التى سادت فيها القيم الانسانية : هل انتهت الروح « العنصرية » من نفوس المؤمنين وقلوبهم ، وهم عرب لهم قبائلهم ، أو عجم لهم تاريخهم وحضارتهم ؟ أم كبتت هذه الروح وترسبت فى العمق وتظل مترسبة الى حين ؟ حتى اذا ضعف غطاء الايمان بالله ابتدأت تعلوا على السطح الى أن يبدو أثرها فى السلوك والمواقف، ثم فى الفرقة والاختلاف بين الطوائف والجماعات فى الأمة ؟

بعد وفاة النبى عليه السلام أراد الأنصار أن يؤمروا « سعد ابن عبادة » وقالوا للمهاجرين : منكم أمير ومنا أمير — أى من الأنصار .. وهذا رجوع بالروح الاسلامية العامة الى الروح القبلية .

ومنا أمير .. ومن الخزرج أمير .

فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه : سمعت رسول الله عليه السلام يقول :

« الأئمة من قريش » فيبقى على الأعتزاز بقريش . فكان القرشيون أهل زعامة وثنية على عهد الكهان ، وليبقوا كذلك أهل الامامة فى الاسلام .

ويروى ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يزال هذا الأمر (وهو الامارة) فى قريش ما بقى منهم اثنان .. وهذا وذاك من الأحاديث التى يجب أن تكون موضع نظر للمؤمنين .

فأبو بكر وابن عمر – وهما من أجلاء الصحابة – يحدثان المؤمنين بما ينسب للرسول عليه السلام من وقوفه بالامامة أو الخلافة فى قريش وحدها .

هل معنى ذلك أنه عليه السلام كان يميز قريشا على ما عداها من القبائل العربية الأخرى فضلا عن الأعاجم الذين دخلوا الايمان بالله وشاركوا فى مسئولية بقاء الأمة الاسلامية ؟ هل هذا التمييز ينتهى الى أن تكون الامامة أو الخلافة عربية دائما ، دون أن تكون اسلامية يوما ما ؟

ويستمر الرأى بوجوب كون الامام من قريش وحدها فترة أخرى من الزمن بين المسلمين كما يذكر البذدوى فيقول : يجب أن يكون الامام أفضل علما وتقوى وشجاعة ونسبا ، ويجب أن يكون من قريش ، وهو قول أهل القبلة ، واستنادا الى حديث أبى بكر السابق « الأئمة من قريش » .. والى أن الصحابة أجمعوا على خلافة أبى بكر وعمر وعثمان ، ولم يكونوا من بنى هاشم .

ثم تقوم آراء أخرى معارضه لهذا الرأى :

فالروافض يقولون : يجب أن يكون من بنى هاشم ، ولا يجب أن يكون من قريش ، لأنهم أنصار لعلى رضى الله عنه .

والمعتزلة عامة يرون : أنه يجب أن يكون تقيا عالما بكتاب الله ، ولا يجب أن يكون من قريش .

والخوارج يرون أنه يجب أن يكون من غير قريش ، ويوجهون رأيهم بأن الامام قد يظلم وقد لا يمتنع عن المعاصى فتقع الحاجة الى عزله . فان كان قرشيا يكون ذا تبع كثير فلا يمكن عزله ، فيؤدى الى فساد العالم . فيجب أن يكون من غير قريش حتى يمكن عزله .

وبعد الخلفاء الأربعة قال : « أبو بكر الأصم » من المعتزلة ،

وبعض الخوارج : انه لا يجب أن يكون هنـاك امام بل يجب على الناس أن يعملوا بكتاب الله تعالى ففيه الكفاية عن الامام .

والـرأى الآن فى ذلك الوقت بين المسلمين فى شأن الامامة :

يجب أن يكون هنـاك امام . ولـكن هل يجب أن يـكون من قريش ؟ أو من بنى هاشم ؟

أو يجب أن لا يكون هنـاك امام اكتفاء بالعمل بكتاب الله ؟

ان اختيار قريش أو بنى هاشم مؤهلا للامانة الكبرى لا يخلق من نزعة قبلية .. وان القـول بالغاء الامامة والاستعاضة عنها بكتاب الله يدل على كراهية للانتماء الى أية قبيلة فى اختيار الامام وكراهة الانتماء الى القبيلة عند اختيـار الامام تدل عـلى البغض الأعمى للعرب ، وللمسلمين جميعا . فرأيهم تصـاحبه الفـوضى فى التطبيـق وتفـكك المسـلمين فى الاتجـاه والتوجيه معا .

وهـذه النزعة القبليـة التى ظهرت بعـد وفاة الرسول عليـه السلام وأسـند أمرهـا فى بعض الأحاديث اليه فى آخر حيـاته : من غير شك بداية لضعف المجتمع الاسلامى ، فى غده ، وسيره فى مراحل التفرق ، والاختلاف بعـد أن اكتمل فى القوة التماسك عنـد فتح مـكة . اذ قـد مضى عليـه منذ نشأته المدة التى يبلغ فيهـا نهاية تطـوره كمجتمـع انسانى فالمجتمعات الانسانية تمر بمراحل التطـور التى يمر بهـا الفرد من الانسان . فاذا بلغت نهاية المرحلة الاخيرة تبتـدىء من جـديد فى النزول . ثم تصعد مرة أخـرى لتصـل الى قمـة التطـور .. وهكذا .

والمجتمع الاسلامى هو مجتمع انسـانى . على معنى أنه يأخـذ بالقيم ... الانسانيـة العليـا فى السلوك ، والمعاملات والمواقف . وقمة تطوره هو بلوغه فى الأخـذ بهـذه القيم بلوغا يوصـله الى المستوى الرفيـع فى الانسانية . فاذا ابتدأ يضعف أخذ فى التنازل عن بعض هـذه القيم الانسـانية العليا شيئا فشيئا .. حتى يصـل

الى صفة المجتمع المادى وهى صفات الجاهلية . وكلها تدور فى فلك الاقتصاد وتمجيده .

وبعض « الأنصار » كان يرى فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام لأبى سفيان عندما اشتكى من هلاك قريش فى فتح مكة .

« من دخل دار أبى سفيان فهو آمن . ومن ألقى السلاح فهو آمن . ومن أغلق بابه فهو آمن » .. عاطفة خاصة وميلا خاصا من الرسول عليه السلام نحو عشيرته ورغبة فى قريته وهى مكة .

وقد أجاب الرسول عليه السلام على هذا التصور عند الأنصار بقوله :

« هاجرت الى الله واليكم . فالمحيا محياكم والممات مماتكم » . وبهذا الجواب ضعفت النزعة الى « العشيرة » وهى ولا شك نزعة « عنصرية » . ومع ذلك فاللمحات القبلية أخذت تظهر فى التوجيه ، كما تظهر فى الحديث والمحاورة . وان كان شأنها لم يكن ذا خطر على الأمة اذ ذاك .

وحديث حذيفة رضى الله عنه :

« كان الناس يسألون رسول الله عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركنى ، فقلت يارسول الله : « انا كنا فى جاهلية وشر » أى كان مجتمعنا مجتمع عادات جاهلية وهى العادات التى يغلب عليها استضعاف الضعيف ، وحب المال حبا جما والاستغناء به والطغيان عن طريقه .. وهو مجتمع شر . لأنه يقوم على الأنانية وحب الذات وحدها) فجاءنا الله بهذا الخير (وهو الاسلام . والمجتمع الاسلامى مجتمع انسانى يؤثر الروابط الانسانية بين الأفراد على تلك التى تتصل بالمادة وحدها) .

« فهل بعد هذا الخير من شر ؟ (أى فهل يذهب هذا المجتمع الخير وهو المجتمع الاسلامى بعد فتح مكة ، ويضعف حتى لا ترى فيه الا العادات الجاهلية من جديد وهى التى تمثل الشر فى الانسانية ؟) .

« قال : نعم » (وعلى هذا السؤال يجيب الرسول عليه السلام بأن

المجتمع الاسلامى الذى قام منذ الدعـوة بمكة ، وازدهر وقـوى بالمدينـة ، واشتد أزره وقـوى ساعده عند فتح مكة ، سيضعف وسيزول خيره شيئا فشيئا ، ويحل بدل الخير فيـه : شر هـو الذى يصاحب ظواهر المجتمع المـادى أو الجاهلى . فالمجتمع الاسلامى القـائم عنـد فتـح مكة سيتغير وسيتحول الى المجتمع المقابل له . وهو المجتمع المادى أو الجاهلى) .

« قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم (ويعيد حذيفة نفس السؤال ويجيبه الرسول عليه السلام بنفس الجواب ، مما يدل على أن المجتمع البشرى لا يبقى على وضع واحد . وانما هو يتقلب بين وضعين متقابلين . اما أن يكون مجتمعا انسانيا تسود فيـه القيم الانسانية . وعندئذ يكون مجتمعا اسلاميا وخيرا على البشرية كلها . واما أن يكون مجتمعـا جاهليـا ماديا . وعنـدئذ يكون شرا على البشرية كلها) ..

وتأسيسا على هـذا التحول ، وعلى انه مبدأ اجتماعى اذا اختفت ظاهرة « التفرقة العنصرية » فى المجتمع الاسلامى ، أى فى المجتمع الذى يسود فيـه الاسلام والقيم الانسانية العليا فانها حتما ستظهر ، وربما ستكون فى ظهورها قوية فى المجتمع المادى أو الجاهلى ، اذا آل اليه المجتمع الاسلامى أو الانسانى يوما ما و « التفـرقة العنصرية » اذن ظاهرة اجتماعية تسود المجتمع المـادى ، وتختفى أو تكبت فى المجتمع الانسـانى أو الاسلامى . وهى من الظواهر الواضحة التى يعرف بها اتجاه المجتمع البشرى : ان كان نحـو المادية .. أو نحـو الانسانية .

واذا كان المجتمع الاسلامى على عهد الرسول محمد عليه السلام هو مرآة صدق لمبادىء الاسلام ، ولتطبيق هذه المبادىء فانه يشك كثيرا فيما ينقله الرواة عن ملامح « القبلية » أو « العشيرية » .. مما يتصـل بالتفـرقة العنصرية ، منسوبا الى الرسول ذاته أو الى

بعض كبار الصحابة رضوان الله عليهم .

ولكن بعد وفاته عليه السلام لا يستبعد ظهور اشارات تشير الى ما كان عليه العصر الجاهلى من أمارات .. ومن أهم أماراته « التفرقة العنصرية » فالتفرقة العنصرية ظاهرة المجتمعات المادية أو الجاهلية دائما ، والمجتمعات الأوربية المعاصرة ــ مسيحية أو غير مسيحية ــ وهى مجتمعات « البيض » تحاول فقط أن تخفى « العنصرية » كأسلوب فى الحياة العامة . ولكن أساس نظرة البيض أو الشعوب الأوربية الى الملونين أو الشعوب الافريقية والآسيوية ، هو نظرة عدم المساواة فى الخصائص الانسانية وبالأخص العقلية منها . وربما كان استعمار « البيض » للملونين فى أفريقية وآسيا فى القرن التاسع عشر فترات طويلة ، سببا فى تقدير هؤلاء الملونين تقديرا لا يرقى الى مستواهم هم .

فالبيض يعتبرون « الملونين » متخلفين ، ليس فى العلم ولا فى الصناعة فقط وانما مع ذلك فى الطاقات البشرية ، والقدرة على الانجاز ، وحل المشاكل والخبرة فى شئون الحياة .

وكثير من الكتاب الأوربيين ملأوا العالم بصيحاتهم فى القرن التاسع عشر عن « ميزات العقل الآرى » .. ويرون أنه ــ دون غيره صانع الحضارات البشرية والتاريخ الانسانى .

فمن هؤلاء الكتاب Gobineau يؤكد فى كتابه : محاولة توضيح عدم المساواة بين الأجناس البشرية «فى سنة ١٨٥٣ » : أهمية العناصر العقلية فى علم الأجناس ويشير الى استخدام التاريخ العالمى . ويذكر أن سقوط الشعوب الكبيرة كان بسبب الاختلاط بين الأجناس التى منها حملة المدنية كالعنصر الآرى .

وهو كاتب فرنسى عاش ما بين ١٨١٦ ـ ١٨٨٢ وله غير ما سبق من كتاب : « بيان القيم الذاتيـة للانسان الآرى » .. وكتــاب : « عدم التساوى بين الناس » وله تأثيره على « نيتشه » الفيلسوف الألمانى ، و « فاجنر » الموسيقى الألمــانى الــكبير وكــذلك على Chamberlain الكاتب الأنجليزى وصاحب كتاب « القرن التــاسع عشر فى أهميــة العقــل الآرى (١) فى تاريخ المدنية » .. وقــد عاش هــذا الكاتب ما بين ١٨٥٥ ـ ١٩٢٧ .

وفى بداية نشأة علم الأجنــاس كانت تحدد « العنصرية » بأنهــا اعتقــاد بأن الأجنــاس البشرية بفطرتها تحدد حضارتها . وتنطوى هذه الحضارة عادة على فكرة : أن جنسا خاصا يتميز على غيره ، وأن الحق فى أن يحكم الآخرين .

كما كان البعض الآخر يحــدد « العنصرية » فى علم الأجنــاس البشرية بمجموعة كبيرة من الناس يرتبط بعضــها ببعض عن طــريق رباط مشترك عام من خصائص : جسمية وعقلية .. وتنفصــل عن غيرهــا من المجمــوعات ، وتتميز عنها بهذه الخصائص كذلك .

وكانوا يذكرون من عــــلامات الجنس / طول الجسم ـ وصورة الوجه ـ وشكل الرأس ـ ولون العينين ـ ولون البشرة ـ ولون الشعر ـ وفروق الدم .

Blumanback فى القرن التــاسع عشر كــان يحــدد العنصريات :

بالعنصر القوقازى ،
والعنصر المونجولى ،
والعنصر الماليزى ،
والعنصر الهندى ،

بينما Cuvier وهو عالم فرنسى فى وراثة الحيوان ، وعاش مــا بين ١٧٦٩ ـ ١٨٣٢ ـ كان يحــددها :

(١) والآرى هـو الشريف أوالسيد وفق نظر Gobineau والجــــرمانى الشمالى : الالمانى أو صاحب القرابة مع ـه فى الدم من الاوربيين .

بالبيض ،
والصفر ،
والسود ،

وتخصص الأوربيين فى « علم الأجناس » وكتاباتهم الواسعة فى « العنصريات » تعطى اهتمامهم الكبير بما يميزون به أنفسهم كصانعى « الحضارة الانسانية » .. وحملتها بالتالى تعطى ما يريدون أن يقولوه للآخرين غيرهم من البشر وهو : أن على هؤلاء أن يلقوا بزمام القيادة اليهم فى طوع ، حتى لا تنطفىء شعلة الحضارة الانسانية .

والتفرقة العنصرية كاتجاه رسمى اليوم فى جنوب افريقيا ، وفى روديسيا ، هى قائمة فى واقع الأمر فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى الاتحاد السوفيتى الذى يزعم « العالمية » فى سياسته فحكام القوقاز وأوكرانيا مثلا لا بد أن يكونوا من « الروس البيض » .

***

بعد الخلفاء الراشدين :

وليس من الغريب بعد عصور الخلفاء الراشدين : أن يظهر فى الأمة الاسلامية : « اتجاه العنصرية » فى الحكم ، كمؤشر لسيادة الاتجاه المادى فى المجتمع الاسلامى واحلاله محل القيم الانسانية التى كانت سائدة على عهد الرسول عليه السلام ، وفى فترات على عهد الخلفاء الراشدين بعده .

ليس من الغريب أن يظهر اتجاه الفرس فى تمجيد حضارتهم وتاريخهم ، فى مواجهة العرب والأجناس الأخرى .

ولا يفسر ظهور هذا الاتجاه بأن دعوة الاسلام من الأصل بقيت على هامش حياة المسلمين ، دون أن تصل الى العمق فى نفوسهم ، كما يدعى بعض المستشرقين والناقلين عنهم فيما كتبوه فيما يسمى : « الفتنة الكبرى » ..

وانما التفسير السليم : أن الدعوة الاسلامية بعد أن وصلت الى العمق فى نفوس المسلمين على عهد الرسول عليه السلام . أخذ المجتمع الأسلامى يتحول بعد

وفاته من مستوى القمة فى تطبيق القيم الانسـانية .. الى مجتمـع يميل رويدا الى أوضاع المجتمـع المادى ، فظهرت العصبية أو بمـا يسمى بالتفـرقة العنصرية كأمارة من أمارات هذا المجتمع المادى .

وهـذا التحـول سنة طبيعيـة اجتماعيـــة اذا ضعف الـربـاط الانسانى الذى قام عليه وتماسك على الأخذ بقيمـه ، وهـو ذلك الرباط الذى يتمثـل فى مبـادىء الاسلام وتوجيهه .

وكما أن الخير والشر موجودان فى عالم الانسان ، فكذلك الاسلام والتفرقة العنصرية موجـودان فى عالمه أيضا . ولكن السؤال الذى يسأل بعد هذا الوجود الضرورى لكل من الطرفين هو :

ــ هـل السيادة فى المجتمـع للاسلام والقيم الانسانية ، التى تغطى على الأمارات المادية ، ومنها التفرقة العنصرية ؟

ــ أم أن السـيادة للسـادية والجاهليـة التى تبرز التفـــرقة العنصرية كظـاهرة رئيسـية من ظواهرها .

عندما سأل حذيفة الرسول عليه السلام عن الخـير والاسـلام من جانب ، والشر والجاهلية من جانب آخــر ، كان يقصـد السؤال عن امكانية التحول للمجتمع من وضع الى وضع آخر نقيض له .

فعند سيادة الاسـلام تختفى « العنصرية » وعنـد ضعفه تبرز « العنصرية » ويكون لها شأن فى التوجيــه .

فرباط الاسلام أعم وأشمل . ولذا يطوى أى رباط آخر مهمـا كان قويا من قبـل ، ويخفيــه فلا تظهر له سمة من سماته . وان ظهر بعضها فلمدة موقوتة وقصيرة .

بينما رباط « العنصرية » أضيق مهما كان عدد مجمـوعته . ولذا يظهر عندما يزول من فوقه ما كان حاجبا له بعمومه وشموله .

الاســلام يعـادى « التفـرقة العنصـــرية » . « والتفـــرقة العنصرية » صـــنو للمـــادية والجاهليــة .

دكتور محمد البهى

أثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الإنسانية

للدكتور عمر فروخ

« أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية » موضوع جليل مفيد ، ولكنه موضوع واسع جدا . ان الحضارة نمط من أنماط المعيشة الانسانية .

وأنماط المعيشة الانسانية كثيرة جدا . وكل هذه الأنماط تمثل حضارات لا يزال معظمها قائما الى اليوم ، فى أقطار العالم التى نسميها متمدينة متقدمة والتى هى متوحشة (كما يقول ابن خلدون : أى بعيدة عن الحضر) متخلفة . وكل حضارة من هذه الحضارات — على اختلاف أنواعها وتعدد أشكالها — تنطوى على وجوه كثيرة من النشاط الانسانى فى الدين واللغة والعلم والفن والأدب ثم فى السياسة والاقتصاد والتعليم والطعام واللباس والسلوك وما الى ذلك . ولأضرب على ذلك مثلا واحدا :

قال لى أستاذى يوسف هل (١٨٧٥ — ١٩٥٠ م) ، رحمه الله : ان لوثر لما وضع أسس الاصلاح الدينى للنصرانية — ما يعرف بالحركة البروستاتينية — كان ، بلا ريب ، يضع أمامه نسخة من القرآن الكريم . ان القرآن الكريم كان قد نقل الى اللغة اللاتينية فى النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد : نقله روبرت أوف تشستر الانكليزى وهو مانوس دالماتا الفرنجى . ولا ريب فى أن هذه النسخة كانت موجودة ومعروفة فى أيام لوثر ، فانها قد نشرت فى سنة ١٥٤٣ م ، قبل وفاة لوثر بثلاث سنوات واذا نحن درسنا خصائص البروستاتينية

من رفض السلطة البابوية والغاء الرهبنة واقرار الطلاق بالاضافة الى التخلى عن الرموز كالصور والصلبان ، وعن الثياب الخاصة بالأساقفة والقسس مما كان معروفا فى الديانات الوثنية والمجوسية واليهودية والنصرانية ، ومما جاء الاسلام بابطاله ، لم تشك لحظة فى أن هذه الوجوه من الاصلاح قد جاءت من الاسلام ، والا فمن أين يجب أن تكون قد أتت ؟ ثم ان النصرانية التى ما زالت تعادى الاسلام قرونا كثيرة لأسباب مختلفة وتتهم الاسلام بالقسوة من أجل الطلاق ، عادت تلك النصرانية نفسها ، فى جميع أقطارها ، وفى روما حاضرة الفاتيكان نفسها ، الى اجازة الطلاق .

فاذا كان الاصلاح الدينى فى أوروبة المسيحية أثر من آثار الرسالة الاسلامية ، فكم يجب أن يكون اتساع البحث الذى يتناول أثر الاسلام فى القارات الخمس وعند جميع الأمم وفى وجوه الحياة كلها ؟ من أجل ذلك أحببت أن أقصر بحثى على أثر الاسلام فى الحركة العلمية وحدها . وكذلك رأيت من المفيد أن أستعرض آراء نفر من المسلمين حاولوا تبيان أثر الاسلام فى العلم وفى الحياة الانسانية .

***

أما الاسلام وحثه للمسلمين على العلم فى القرآن الكريم وفى الحديث الشريف فلن أتكلم فيه لأنه ليس من الموضوع المطلوب وكذلك لن أتناول بالكلام تفاصيل المعارف فان حديث ذلك يطول . ولكننى سأقف على المعالم التى بدل بها الاسلام حياة البشر تبديلا لا سبيل الى انكاره أو تجاهله لأنه ظاهر للعيان معروف فى التاريخ .

والعرب كانوا حملة الاسلام يوم جاءتهم الرسالة الاسلامية فانتشروا فى العالم ونشروا فى العالم حضارة لا عهد للعالم بها من قبل . كان العرب — من قبل — فى شبه جزيرتهم أهل قوة وعصبية ، وكان لهم أدب زاهر وعلم بالفلك والطب وتتبع الأثر باهر ، ولكن ذلك كله لم يخرج بهم من جزيرتهم ولم

ينشىء لهم فيها حضارة مادية نافعة ، بل حملتهم قوتهم وعصبيتهم على أن يتقاتلوا أو على أن يغزوا بعضهم بعضا . فلما جاء الاسلام جمع شملهم وحزم أمرهم فبدل نفوسهم فخرجوا من شبه جزيرتهم يحملون الاسلام الى الناس والحضارة الى الأمم . ومن أغرب ما نعالج فى تعليل التاريخ — أو فلسفة التاريخ ، اذا شئت — تفسير تلك الظاهرة التاريخية : أمة قليلة العدد والعدد لم تعرف حضارة مادية مستقرة ولا مستبحرة نازلت أمتين ذواتى عدد وعدد وتاريخ طويل فى العلم والفن والحرب فتغلبت عليهما وابدعت حضارة عفت على حضارتيهما . وأعجب من ذلك فى التاريخ : أن الرومان بنوا أمبراطوريتهم فى ألف عام — وكانوا أمة على علم ونظام وقوة فى الحرب وبراعة فى العمران — ثم عصفت بهم ريح البرابرة الجرمان فزال كل أثر للأمبراطورية الرومانية فى أقل من قرن واحد . أما العرب الذين حملوا الاسلام فقد فتحوا من العالم أيضا أوسع من الامبراطورية التى بناها الرومان — فتحوا من كاشغر على حدود الصين الى شواطىء البحر الأخضر أو البحر المحيط المعروف عندنا اليوم بالمحيط الأطلسى أو الأطلانطيكى .

ثم زالت الدولة العربية والخلافة الاسلامية من عالم السياسة ، ولكن بقى الاسلام ولغة الاسلام ونظام الاسلام وحضارة الاسلام وثقافة الاسلام وروح الاسلام فى هذا العالم الفسيح منذ أربعة عشر قرنا . وأعجب من ذلك كله أن أقواما لم يدخلوا فى الاسلام قد تكلموا لغة الاسلام أو تأثروا بلغة الاسلام فى استخدام الحروف العربية واستعمال الألفاظ العربية واتباع النظم الاسلامية . فكيف اتفق هذا الاثر البالغ فى تاريخ الحضارة الانسانية ؟

جاء الاسلام فرأى فى العالم نظما وقوانين غير معقولة ولا محمودة فدعا الى ابطالها فبطل أكثرها بعد زمن قصير أو زمن طويل .

فمن الأمور التى دعا الاسلام الى ابطالها :

ــ الوثنية

ــ الرق

ــ العصبية ، أو ما يسمى فى العصر الحاضر بالعنصرية

ــ ثم الفسق والقمار والخمر والخنزير وغيرها .

واذا أنا تكلمت على هذه بايجاز فلن أتكلم عليها من الناحية الدينية أو الفقهية ، بل من الناحية العلمية الاجتماعية ، من حيث أثرها فى الحضارة الانسانية . وسأؤكد أن الدعوات المنتشرة بهذا الشأن انما كان بأثر الاسلام وأثر الرسالة التى جاء بها الاسلام الى الناس أجمعين .

ومع أن نفرا كثيرين من المسلمين ــ ومن زعماء المسلمين أيضا ــ لا يزالون يعملون بما دعا الاسلام منذ أربعة عشر قرنا الى ابطاله ، فان الاسلام لا يحمل وزر هؤلاء ، فان من القواعد التى جاء بها الاسلام قول الله تعالى (١٧ : ١٥ ، سورة الاسراء) : ــ

« من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزرا أخرى . وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

ثم ورد هذا المعنى فى عدد آخر من الآيات الكريمة (٦:١٦٤ سورة الانعام ، جـ٣ : ١٨ سورة فاطر ، ٧:٣٩ سورة الزمر ، ٥٣ : ٣٨ سورة النجم) .

وكما أن الاسلام قد دعا الى ابطال المساوىء فانه قد دعا أيضا الى المحاسن ، فمما له صلة بموضوعنا فى اطاره من الحضارة الانسانية :

ــ التوحيد
ــ الكرامة الانسانية
ــ العدل
ــ السلم
ــ العلم

رغب الاسلام فى ابطال الوثنية لانها لاتليق بالعقل الانسانى :

ليس من المعقول ولا من الصحيح أن يعبد الانسان الحجر أو الشجر أو التمساح أو الثور

أو البقر . ولكن أقواما فعلوا ذلك ، ولا يزال عدد من هذه الأقوام يفعل ما كان يفعله أسلافهم الأقدمون . ان الاعتقاد « بالله » فى الاسلام والتعبد له بالقلب واللسان والجوارح (أعضاء البدن) يرجع الى الشعور بأن الله القوى الحكيم القدير هو واهب الوجود ومسير الأمور ومثبت النظام الاجتماعى الذى به عمران العالم وصلاحه .

وليس فى التوحيد خرافات من الصور والرموز ونسبة أعمال الى الله لا تليق به نسبة أعمال الى البشر ليست من خصائصهم ، بل هى راجعة الى الله وحده .

ولما جاءت الرسالة الاسلامية كان العالم غريقا فى الأحوال الوثنية . من أجل ذلك قامت أعمال الاصلاح فى الأديان . وقد كنا أشرنا الى الحركة البروستاتينية فى مطلع هذا المقال . غير أن الحركة البروستاتينية لم تكن الحركة الاصلاحية الوحيدة فى النصرانية وفى اليهودية . ولكن يكفى هنا الى أن نشير الى أن الاسلام هو الذى حث المصلحين النصارى واليهود على العمل فى دياناتهم بالرجوع الى العقل ، والا فكيف يقبل العاقل أن يبيع باباوات رومة بقاعا من السماء للأغنياء فينجوا أولئك الاغنياء — ولو كانوا فى الحياة الدنيا أشرارا — من عذاب الآخرة بينما الصالحون من الفقراء لا يمكن أن يجدوا لهم مكانا فى نعيم الآخرة لأنهم لم يستطيعوا أن يدفعوا ثمنه بمال كسبوه فى حياتهم الدنيا بطرق شريفة أو بطرق غير شريفة ؟ وكيف يمكن أن يقبل اليهودى العاقل ماجاء فى التوراة الموجودة بأيدى الناس من أن الرب الاله صنع لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما (تكوين : ٣ : ٢٠) . من أجل هذه الآية ومثيلاتها عمد نفر من المفسرين اليهود الى تفسير توراتهم تفسيرا رمزيا . وكان فى ذلك أيضا شىء من الاصلاح الدينى . وكان هذا أيضا من أثر الرسالة الاسلامية .

ولما جاء الاسلام كان الرق فى جميع الأمم معروفا ومألوفا ، عند غير العرب وعند العرب أيضا .

كان الرق فى العالم القديم عند الوثنيين وعند اليهود وفى النصرانية ثم فى البيئة الجرمانيـــة المتخلفـــة والبيئتين : اليونانية والرومانيـــة المتقدمتين نظاما اجتماعيـــا مقبولا لا يثير تساؤلا : بعض الناس يولد عبدا وبعضهم يستبعد فى الحـــرب أو يشترى من السوق ، وبعضهم يعجز عن وفاء دين عليه فيستعبده الدائن بشرع العـــالم القـــديم ، وربما افتقر أب فباع بعض أولاده عبيدا أرقاء .

وجاء الاسلام فحرم الاسترقاق ودعـــا الى « تحـــرير الرقـــاب » (تحرير العبيد الأرقاء) ومع انه قد ظل فى المسلمين من يجد وجها من الحيلة فى اتخاذ الرقيق ، فان قيمة الرقيق أصبحت كبيرة ومعاملته أضحت حسنة ومكانته أعلى ممـــا ينتظر فى مثل هـــذه الأحـــوال .

ثم اننا اذا علمنا أن العبيد نالوا فى الاســـلام مـــراتب سامية ، اذ أصبح كافور الأخشيدى مثـــلا ، ملكا فى مصر ثم أصبح المماليـــك سلاطين فى الشام ومصر ، أدركنا أن منزلة الأرقاء فى الحياة عنـــد المسلمين قد اختلفت كثيرا مما كان يعرف فى غير العالم الاسلامى . ولن أحدثك عن الجـــارية التى بيعت بمليون دينار لأن مثل هذه الأنثى ليست جـــارية رقيقـــة مستعبدة بالمعنى الذى عرفه العـــالم القديم والعالم الحديث الى القرن التاسع عشر .

ونشأ فى العالم الغربى حركات لتحـــرير العبيـــد . سأشـــير الى أشـــهرها : الحـــرب الأهليـــة فى الولايات المتحدة . أعلن ابراهيم لنكولن الغاء الرق (عام ١٨٥٩م) فثارت الحـــرب الأهليـــة ، عام ١٨٦١م ، ودامت خمسة أعـــوام انتهت بانتصـــار الدعاة الى تحـــرير الرقيق . لم يكن ذلك بحافز من التـــوراة واليهـــودية ولا بدافع من الانجيـــل والنصرانيـــة . ان الاسترقاق كان قاعدة من قواعـــد الحياة المألوفة فى البيئة اليهـــودية وفى البيئة المسيحية . فاذا لم يكن

ابراهام لنكولن وأنصاره فى حركة تحرير العبيد قد تأثروا بالتوراة أو بالانجيل — أى باليهودية أو بالنصرانية — فلا بد من أن يكون تأثرهم قد جاء من الاسلام لأن الاسلام هو الذى جاء بالدعوة الى «فك الرقاب» من أسر الرق .

وربما اعترض ناقد فقال : ان ابراهام لنكولن لا نعلم عنه انه عرف ذلك من الاسلام ، والمفروض انه جاء بذلك من دافع فى انسانيته ومنطق من عقله . فنحن نقول حينئذ : وهذا أيضا من فضل الاسلام . اذا كان الاسلام قد جاء قبل أربعة عشر قرنا بقاعدة بنيت على الدافع الانسانى والمنطق العقلى ثم طبقها رجل عاقل بعد ثلاثة عشر قرنا ، فمعنى ذلك أن الاسلام لم يضع هذه القاعدة لزمانه ومكانه ، ولكنه وضعها لكل زمان ومكان : انه وضعها للانسان . واذا كانت قواعد حركة من الحركات تعمل من غير أن يعرف الذين يعملون بها انها موجودة ، فتلك فضيلة جديدة لتلك القاعدة العاقلة الحكيمة .

وكذلك كانت العصبية قاعدة اجتماعية مألوفة فى البيئات القديمة كلها قبل الاسلام . وفى شبه جزيرة العرب أيضا .

كل أمة كانت تنظر الى نفسها على أنها من طينة غير طينة سائر الأمم ، ان أسلافنا قبل الاسلام قسموا الناس قسمين : عربا (يفصحون فيفهمون اذا تكلموا) وعجما (لا يفهم العرب عنهم ما يقولون) . وكذلك اليهود قسموا الناس ثلاثة أقسام : دعوا أنفسهم اليهود العبرانيين (لأنهم من نسل عبرانى) ، ودعوا الداخلين من غير نسلهم فى اليهودية « الصابئين المتهودين » ودعوا جميع من هم غير ذلك أميين (أى من أمم غير أمتهم) . واليونان قسموا البشر يونانا وبربرا ، والرومان جعلوا الناس أيضا رومانيين وبربرا ، واذا بلغ أهل شعب الى أن يصلوا فى الحضارة والعلم الى مستوى الرومان سموهم مواطنين .

ولقد عاش اليهود على هذه العصبية الجنسية الى اليوم ،

وهم يطبقون ذلك اليوم فيما يسمونه اسرائيل . فاليهودى الغربى من الدرجة الأولى . واليهودى الشرقى من درجة أدنى منها . أما العرب فالله أعلم بحالهم هنالك . وكذلك النصارى عاشوا الى اليوم على العصبية الجنسية أو العنصرية فى جنوب افريقية وفى زيمبباوى روديسيا . ما عهد هتلر منا ببعيد . والسود والبيض فى الولايات المتحدة متساوون فى النصوص المكتوبة فى القوانين ، ولكن الأبيض فى الحياة الاجتماعية العملية فوق الأسود فى كل شىء .

ورأى اليهود والنصارى فى الرق يرجع الى قول فى التوراة الموجودة بأيديهم هو أن الله جعل أولاد حام الكنعايين عبيدا لأولاد سام ، زعموا أن نوحا غضب على ابنه فدعا عليه بأن يجعل الله أولاده عبيدا . وكان من أثر دعوة نوح على ابنه حام أن أصبح أولاد حام أيضا سود البشرة . هذه الخرافة جعلت نفرا من علماء العرب منهم الجاحظ ومنهم ابن خلدون يتهكمون بهذه البدائية القاصرة والدالة على جهل واضعها بالغفلة عن أثر المناخ وعوامل الطبيعة من حر وبرد فى ألوان البشر .

أما الاسلام فلم ينظر الى البشر من حيث لونهم أو من حيث نسبهم أو من حيث قطرهم بل من حيث قيمتهم الذاتية ومن حيث عملهم . ففى القرآن الكريم « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم . ان الله عليم خبير » . (٤٩ : ١٣ سورة الحجرات) :

وأما فى الحديث فالكلام فى ذلك متسع جدا . من ذلك مثلا قوله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من دعا الى عصبية » . والاسلام لم يجعل تلك القواعد نظريات ، بل سلكها فى الحياة فنحن نجد فى كرام صحابة رسول الله طلحة العربى وسلمان الفارسى وصهيبا الرومى وبلالا الحبشى . ونجد فى القادة العظام عمرو بن العاص العربى والافقشنى والتركى وعبد الله بن طاهر الفارسى وصلاح

الدين الكردى والظاهر بيبرس الجركسى • وفى الملوك العظام نجد المأمون وأمه فارسية ثم المعتصم وأمه تركية كما نجد قبلها عبد الرحمن الداخل وكانت أمه بربرية ثم جاء بعده الخليفة الحكم المستنصر وكانت أمه بشكنسية (من أهل الشمال من الأندلس) •

فالاسلام هو الذى ساعد على بناء حضارة واسعة شاملة تستفيد من جميع جهود بنى الانسان أو من جهود جميع بنى الاسلام •

قامت الحضارة التى أرسى الاسلام قواعدها على أربعة مدارك : على الكرامة الانسانية وعلى العدل وعلى السلم وعلى العلم وعلى العمل •

١ ـ فى الكرامة الانسانية :

ان الاسلام لم يعرف الطبقات الاجتماعية ، أو هو عرفها عند الأمم الأجنبية ثم دعا الى هجرها :

ـ ان اليهودية اعتقدت أن شعوبا هى فى العبيد الأرقاء منذ الولادة ومن الجنس أيضا • وأما النصرانية فانها تعتقد أن الانسان يولد نجسا مذنبا لما لحقه من الخطيئة المميتة ـ خطيئة آدم ، فيما زعموا ، لما اتصل بحواء ـ ثم هم يعتقدون أن المسيح جاء ليحمل عن البشر خطيئاتهم • وأما المجوس فى الهند فلا يزالون الى اليوم يعتقدون أن البشر طبقات فى أسفلها المنبوذون ، فاذا مس أحد هؤلاء المنبوذين هنديا ممن يعتقدون فى أنفسهم الشرف لتحدرهم من البراهمة أو من الفرسان والطهارة ، وجب على هذا المعتقد شرف نفسه أن يقتل ذلك المنبوذ ، ثم يتطهر مما كان قد علق به من الدنس لما مسه أخوه فى الدين والوطن •

أما الاسلام فأعلن أن الانسان يولد على الفطرة الزكية الطاهرة • ثم الانسان يولد كريما مستحقا للاحترام • ففى القرآن الكريم فى هذا النطاق قوله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »(سورة الاسراء ١٧ : ٧٠)•

لا يستطيع أحـــد أن ينكر أن العصبية أو مـــا يسمى فى أيامنـــا « التمييز العنصرى » سبب مـــن الأســباب المسئولة عن الحيـــاة الانســانية المضـــطربة فى الشرق والغرب ، كما لا يستطيع أن ينكر أن هذا الاضـــطراب مسؤول عن بقاء جانب كثير من العالم الانسانى فى حال من التخـــلف المعيب • ان النظرة الانسانية الشاملة التى جاء بها الاسلام ساعدت على استقرار الأمن • وفى ظل الأمن وحده ترقى الحضـــارة ، ولا يمكن أن تنشـأ حضارة ـــ كما لا يمكن أن تستمر حضارة اذا كانت قـــد نشأت من قبل ـــ الا اذا كان فى البلاد أمن • وأهـــل لبنـــان اليوم ، والذين يزورون لبنان اليوم ، وكانوا قـــد زاروه من قبل ، يدركون قيمـــة الامن فى نشـــأة الحضـــارات وفى حياتها • ان الحياة اليوم فى لبنان تتقهقـــر نحو البـــداوة باضطراب الأمن فيه • والمسلمون فى لبنـــان وفى كثـــير من البـــلاد العربيـــة ، مسؤولون عما يجرى فى لبنـــان ويخشى أن يحدث فى غير لبنـــان ما يحدث فى لبنان • وسبب ذلك أن جانبا كبيرا من العرب قد نسى أنه جـــزء من الأمة الاســـلامية ، فالنزاع دائر فى البلاد ، فى المشرق والمغرب ، وفى قلب عدد من البلاد نفسها • أن الذى جمعه الاسلام بالتوحيد وبالاعتصام بحبل الله قد فرقه انتساب جماعات من العرب الى آراء سياســية واجتمـــاعية واقتصـــادية ليست من الاســـلام ولا من العقـــل ولا من السياسة ولا مـــن الاجتمـــاع ولا مـــن الاقتصاد •

هـــذا يدخـــل فى باب الكرامة الانسانية التى جاء بها الاسلام • والعرب الذين يعمـــلون بدوافع عصبية قد نسوا هذه القاعدة التى تقوم عليها الـــكرامة الانسانية ، أو تقوم عليها الحياة الانسانية • أن زعماء الأحزاب اليوم ـــ فى كل مكان فى الشرق وفى الغـــرب ـــ يصدرون عن أن قومهم هم الذين ينتسبون الى حزبهم ، ولو كانوا لهم من قبل أعداء • هـــذا موضـــوع طويل أخشى أن ينقل البحث فيه من العـــلم المنطقى الى السياسات

المحلية . من أجل ذلك سأنتقل الى قاعدة تالية من قواعد الاسلام فى بناء الحضارة الانسانية .

٢ ـ العدل :

العدل الاسلامى هو العنصر الثانى الذى نشأت به الحضارة فى بلاد الاسلام وفى البلاد التى حكمها الاسلام . هذا العدل الاسلامى مختلف مما يسمى « عدلا » فى كثير من البلاد الاجنبية وفى البلاد الاسلامية نفسها . أن عددا من الشعوب وعددا من الجماعات يعتقدون أن العدل يجب أن يكون القريب والنسيب والحبيب . ان هذا العدل تجارة . أما العدل الاسلامى فانه مبذول لجميع الناس من صديق أو عدو ومن قريب أو غريب ، ذلك لأن العدل يدل على القيمة الذاتية فى نفس العادل عينه ، تلك القيمة التى تمكنه من أن يسير فى الحياة سيرا صحيحا صالحا نافعا . وان الاعتقاد بأنك أنت وحدك على حق وأن كل انسان آخر مخطىء يدل على نقص فيك أنت ثم يمنعك من أن ترى الأمور كما هى .

لقد علمنا الاسلام هذا العدل فى آيات كثيرة من آى القرآن الكريم قال الله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »(سورة النساء ٤ : ٥٨) . ان الله سبحانه وتعالى لم يقل « واذا حكمتم بين المسلمين » ولا « واذا حكمتم بين الأقربين » ، بل قال عز من قائل : « واذا حكمتم بين الناس » ، أى بين كل فريقين من الناس . وهذا التفسير واضح من الآية الكريمة التالية .

« يأيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين لله شهداء بالقسط . ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا ، هو أقرب للتقوى . واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » .

(٥ : ٨ سورة المائدة)

فى هذا المدرك للعدل الانسانى لا أريد أن أناقش الموضوع من ناحيته النظرية ، بل من جانبه

العملى ، ان قصة اسرائيل مع العالم العربى خاصة ومع العالم الاسلامى عامة معروفة . ولعل خطأنا الأول فيما وصلنا اليه أننا لم نكن عادلين فى النظر الى أنفسنا نحن . نحن كنا نسميها « دولة مزعومة » ثم نخفى الحقائق المتعلقة بنا وبها عن أعيننا وأعين الذين ولانا الله أمرهم وجعلنا مسئولين لديه عنهم . ولم نكتف بكتمان أخبارها ، بل كنا دائما نصغر من شأنها ونهون من أمرها ونغمض بأيدينا عيوننا وعيون قومنا عن شرها . وبين ليلة وضحاها أصبحت هى حيث هى وأصبحنا نحن حيث نحن .

بلغت الحضارة الاسلامية ذروة من ذرواتها فى أيام الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ، وهو معروف فى تاريخنا بأنه « الامام العادل » . وفى أيام عمر بن عبد العزيز كان المسلم يحمل زكاته فى كفه ويطوف بها بلاد الدولة الاسلامية فلا يرى من يستحق أخذها لأن الازدهار الاقتصادى كان عاما . لقد كان ذلك فى أيام عمر بن عبد العزيز لأنه كان عادلا فى قومه وعادلا فى غير قومه . ومما يجب علينا نحن اليوم أن نتعلمه فى الحياة السياسية سلوك عمر بن عبد العزيز .

كان بنو أمية قد أخذوا الخلافة من بنى هاشم فى حديث طويل يعرفه المسلمون وغير المسلمين . وكان الخلفاء الأولون من بنى أمية ضيقى الأفق فى هذا الشأن : كانوا فى خطبة صلاة الجمعة يسبون بنى هاشم (والسبب هنا كلام فى الآراء السياسية ــ مما نعرفه اليوم من الأخذ والرد بين الأحزاب السياسية : بين الرأسمالية والاشتراكية ، بين الديمقراطية والاستبداد وما أشبه ذلك) . فلما جاء عمر بن عبد العزيز نظر الى الخلافة بعين العقل والحق ، ولم يرض أن تكون المنابر أماكن للسب والشتم ، ولا رأى من العقل أن يغمض الناس عيونهم عن حقائق الحياة ، فأمر بابطال اللعن ــ أو السب أو الشتم ، وكلها هنا بمعنى ــ وبأن يقرأ الخطباء بعد

الخطبة الأولى فى صلاة الجمعة قوله تعالى

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » .

(سورة الاسراء : ١٦ : ٩٠) .

وليس مستغربا أن يقال فى الحكم السائرة والقواعد الدائرة على الألسن : « العدل أساس الملك » . ان العدل أساس الحياة . ولولا العدل — وضع الأمور مواضعها وأداء الأمانات الى أهلها — أو كما يقال فى اللغة السياسية الحاضرة : وضع الرجل الكفء فى المكان المناسب لفسدت الحضارة وانقلب البشر كلهم الى همجية مطلقة .

هذه القاعدة الحكيمة التى جاء بها الاسلام أقرت الحضارات فى العالم كله وحينما يذهب أحدنا الى البلاد التى نسميها متقدمة فاننا نجد هذا العدل الذى تعلموه ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، من الاسلام . ودليل ذلك — فى الأعم الأغلب — أنك اذا تقدمت بطلب ما فى تلك البلاد ، فان هذا الطلب ينتقل فى الدوائر من تلقاء نفسه ، بقطع النظر عن صاحب الطلب ومكانته .

نحن نعلم أيضا أنه قد يحدث فى البلاد الغربية الراقية شذوذ عن تلك القاعدة من العدل ، ولكن العدل فى ذلك — أى سير المعاملات الحكومية من تلقاء نفسها — ولكن هذا الشاذ هناك هو ، مع الأسف القاعدة عندنا .

٢ — السلم :

والسلم أيضا من أسس الحضارة . ولا شك فى أن الأمم كلها منذ أقدم الأزمنة قد تقلبت فى الحرب والسلم ، ولكن العالم لم يعرف دينا قبل الاسلام وضع للحرب وللسلم قواعد انسانية . والاسلام وحده هو الذى عرف السلم المسلح : وهو الاستعداد للحرب الذى يرهب الخصوم فلا يثيروا على الناس حروب اعتداء . هذه السياسة التى يقال انها جديدة فى عالمنا قد جاءت مع الاسلام .

ففى مكان واحد من القرآن الكريم ، فى سورة الأنفال (٨ : ٥٦ ـ ٦٢) بسط لفلسفة الحرب والسلم ولسياستهما ثم للعنصر الانسانى الذى جاء به الاسلام • ويحسن هنا أن نورد الآيات الخمس ففيها الحلف ونقض الحلف واعلان الحرب وعقد السلم وخيانة العدو ومطاولته فى خيانته الى جانب التلويح بالسلم قبل الدخول فيه • كل هذا من علم السياسة الدولية ومن أسس السياسة التى تناجز الدول القوية بها أرباب الدول المستضعفة • هذه السياسة الحكيمة أخذها الأغيار من الاسلام ثم أهملنا نحن العمل بها • قال الله تعالى :

« الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون ، فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ، واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ، ان الله لا يحب الخائنين ، ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا ، انهم لا يعجزون ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم • وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون ، وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم • وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » •

ثم تأتى ثلاث عشرة آية ، الى آخر سورة الانفال ، فيها قواعد تتعلق بالمسلمين مما يمكن أن يسمى فى أيامنا بأمن الجبهة الداخلية • ولكنى أكتفيت هنا بايراد الآيات الخمس المذكورة فقط • ان هذه الآيات الخمس تضع لنا القواعد التى تمكننا ـ اذا نحن فهمناها وعملنا بها ـ من أن نساوى بها خصومنا فى الشرق والغرب وفى قلب العالم الاسلامى أيضا • ومن عجب أن خصومنا اليهود والنصارى والمجوس والملحدين يستمعون الى القرآن الذى نزل الينا وينصتون له

ويفهمــونه ويدركون جــواهره ثم يطبقونه ، فيما يتعلق بمصالحهم .. علينا بينمــا نحن ، وأقصــد كبــراءنا من القــراء للقــرآن فى المجالس العامة ومن غيرهم أيضــا قد علموا عوام ناسنا أن يصيحوا عقب كل آية يرفع قارؤهم بهــا صوته بأصوات يصيحون بمثلها اذا هم استمعوا الى مغنية من المغنيات أو الى مشــعبذ من المغنــين . فعلى الذين حــملوا القــرآن أن يدركوا أنهم حملوا القرآن نعمــة من الله عليهم ورسالة الى النــاس لا تجــارة بآيات الله . وما أحسن ذلك القارىء الذى يرتل القــرآن الكريم على مهل فتصغى الى قراءته الآذان وتخشع لها القلوب وتنتفع بها الأفهام .

٤ ــ العلــم :

والعــلم من دعائم الحضــارة ثم هو زينة لها أيضــا . لما ظهــر الاسلام وجاء بالعلم ورفع مكانة العلماء ، كانت أوروبة كلها والعالم المعروف يومذاك فى ظــلام دامس من الجهل والتخلف . وبعد قرنين من الزمن كانت اللغــة العربيــة والأدب العربى والدولة الاسلامية ، كما كان العلم فى الاســلام والفن والصناعة والتجارة والبنــاء وكل ما يمت الى الحضارة بسبب قريب أو بعيد فى الذروة . وقــد كانت أوروبة فى ذلك الحين ومن قبله ومن بعــده فى العصــور التى سماها المؤرخــون الاوروبيــون أنفسهم « العصــور المظلمة » . ومن أول دلائل الحياة الثقافية فى أوروبة أن الامبراطــور شارلمان الذى توفى عام ٨١٤ للميــلاد ــ سنة ٢٠٠ للهجرة ــ كان قد أنشأ فى قصره مدرسة لتعليم أبناء الأمراء مبادىء القراءة والكتابة .

وظلت أوروبة عــلى مثــل ذلك حتى جاءت الحروب الصليبية ولم يكن لهؤلاء الصليبيين الاوروبيين ، من فرنجة وايطاليين وألمان وانكليز ــ ولا تتكلم على الدنمرك وأسوج ونروج وعلى الصقالبة الروس فى شرقى أوروبة ــ الا فضيلة القوة البدنية فى القتال ، كما قال أسامة ابن منقذ .

واتنهت غارات الافــرنج على العــالم الاسلامى ــ أو الحروب الصليبية ، كما يسميها المؤرخــون الغربيون باتتصارين للاســلام : باتتصار عسكرى فى ميادين القتال ثم باتتصار ثقافى فى ميدان الحياة الانسانية . لقــد رجع هــؤلاء الفرنجة من ميادين القتال بثروات ثقافية وحضارية لا تقــدر بثمن . أخــذوا تلك الاشــياء الثقافيــة والحضــارية بأسمائها : فهم كلهم ــ فى جميع لغاتهم ــ يقولون : ســكر ، الجبر ، صــوفا (من العربية : صفة) ، داماسك (من لفظة : دمشق لنوع من النسيج) ، شراب (ويلفظونه : سيروب ، لأن اللغــة اللاتينيــة التى استعارت الألفاظ من المسلمين لم يكن فيها شين » ، ليمون (ليمــون) ، الغول (لنجم معروف) ، كيمياء ، (ويقــولون الشيمى ، الكمى ، شيمى ، كمستــرى) ومثـــات أخرى من الكلمات التى أخــذوها لما أخذوا العلوم والأدوات المسماة بها ، كما أخذنا نحن منهـــم فى عصرنا الحاضر : تلفون ، راديو ، تيلون ، وأخذنا معها الأسماء التى كانوا هم قد سموها بها .

أما حديث العلم عامة فسنقتصر منه على جمل فيهــا مقــارنة بين المــدرك القــديم فيها والمــدرك الاسلامى الجديد ، وسنقتصر على الاشارة ، لأن كل فرع من فروع العلم يحتاج الى كتاب :

ــ كان اليونان ــ وهم أهــل العلم فى زمانهم ــ كما كانت الأمم الأخــرى ــ يعتقــدون كلهم أن النجوم تعرف الغيب فيلجأ أولئك الناس اليها فى استطلاع الغيب ، وكان اليونان خاصة يعتقدون أن للنجــوم نفوســا وأرواحــا وأن النجوم الكبرى ، وهى التى تدل عنــدهم عــلى الغيب ، مســاكن للآلهــة .

وجاء الاسلام فحرم التنجيم ، اذ لا يعلم الغيب الا الله . ثم جاء فى القرآن الكريم ان هذه النجوم أجسام مســيرة تدل على السنين والشــهور وتنتقل فى أفلاكهـــا بحسبان مقــدر ، كل ذلك لنتعلم منهــا عــدد السنين والحساب .

فأنشأ المسلمون المراصد وقاموا بالارصاد ونظموا الجداول .

وأخذ الغربيون ذلك كله من المسلمين وأضافوه الى ثقافتهم وخدموا به الحضارة ، كما كان أسلافنا قد خدموا الحضارة .

ولم يكن للاثنين رموز يدونون بها الارقام ، بل كانوا يكتبون الارقام كتابة أو يرمزون اليها بخطوط أو بأحرف . وكل ذلك لم يكن يساعد على تطور العلوم الرياضية ، فلا يساعد على تدوين الاعداد الكبيرة ولا يمكن من بناء المعادلات .

ولما جاء الاسلام جمع عبقريات الأمم ووضع قاعدة للثقافة والحضارة فى القول المأثور : الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها التقطها . ووجد محمد بن موسى الخوارزمى عند الهنود رموزا للأرقام مختلفة من الرموز للأحرف . ولكن الهنود لم يكونوا يستخدمون هذه الرموز فى تدوين الأعداد ولا فى حل المسائل . ومع أن الهنود كانوا مجوسا فان محمد ابن موسى الخوارزمى لم يتحوب من أن يأخذ عنهم وجها من وجوه العلم ، ما دام الاسلام قد قال بأن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث يجدها . وبفضل الخوارزمى الذى تناول الأرقام من الهنود وطورها واستخدمها فى الوجوه التى نستخدمها نحن فيها الآن أصبح بمقدورنا أن ندون الأعداد الكبيرة وان نبنى المعادلات الطوال ونحل المسائل المعقدة . ولم ينس العالم فضلنا فى ذلك ، كما لم ننس نحن فضل الهنود فيه . نحن نسمى هذه الارقام « الأرقام الهندية » لأننا تناولناها من الهنود . والعالم الغربى يسميها الأرقام العربية لأنها تعلم استخدامها منا .

وللاسلام فضل آخر فى هذا السبيل ، كما كان لذلك القول المأثور « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها التقطها » نفع آخر .

لما فتح المسلمون أعينهم على العالم الخارجى وجدوا عند الأمم القديمة كتبا فى كثير من أبواب العلم فأحبوا أن ينقلوا هذه الكتب الى اللغة العربية ، مع أن هذه

الكتب كان قد وضعهـا وثنيــون ومجوس ونصـارى • ولم يكن المسلمون أيضا يعرفون اللغـات القـديمة من يونانيــة وهنـدية وسريانية فيستطيعوا قــراءة تلك الكتب •

فلجأوا الى نفر كانوا يعرفون هذه اللغات • ولقد اتفق أن يكون أولئك كلهم من المجوس أو الصابئة أو النصارى أو اليهود • فاستعان العــرب المسلمون بأولئــك النفر لينقلوا ذخائر العلم القـديم الى لغة القرآن ، فان العلم نعمة من الله • فاذا أراد انسان ان يسىء الى تلك النعمة فانما يسىء بذلك الى نفسه • ولا يكون لهذه الاساءة أثر فى تلك النعمــة • لقـد تعلم المسلمون ذلك من رسول الله • لقد كان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد أمر نفرا من أصحابه أن يتعلموا العبرية لأن من تعلم لغة قوم أمن مكرهم •

وبعـد أمد طـويل استفاقت أوروبة من سباتها ثم احتـاجت الى العلوم القـديمة ، وقـد كان كثــير من كتب تلك العلوم قـد ضاع بعوامل الزمن المختلفــة • فالتفت الاوروبيون الى الــكتب التى كان العرب قــد نقلوها عن القـدماء فنقلوها هم الى لغـاتهم فاستمر موكب الحضارة الانسانية فى سيره من الامم الموغلة فى القدم الى اليــونان الى المســلمين فالى النصارى من أهل أوروبة •

والاسلام علّم المسلمين الحرية فى التفكير • وليس معنى الحــرية هنا الانعتاق من قيود العقل أو من قيود الخلق • ولكن الحــرية فى التفــكير هنــا استقلال المفكر فى اتجاهه المنطقى وفى القيــاس على الاحــوال المحيطــة به فى مكانه وزمانه والمثــل المشــهور فى ذلك هو مسألة تأبير النخل •

جاء نفر الى رسول الله وسألوه أيؤبرون نخــلهم أو لا يؤبرونه ؟ فقال لهم لا تؤبروه ، اعتمادا على أن الله هــو الذى يرســل الرياح التى تحمل اللقــاح من شــجرة النخيل الذكر الى شــجرة النخيل الأنثى • وترك أولئــك النفر فى ذلك العام تأبير نخلهم ــ أى نقل

اللقاح بأيديهم من الشجرة الذكر الى الشجرة الأنثى ـ فلم يعط نخلهم فى ذلك العام كما كان يعطى فى الأعوام السابقة . كان فى ذلك العام عندهم فى عذق النخل حبات يانعة وحبات غير يانعة . ورجعوا الى الرسول فيما اتفق لهم . فقال لهم : أنتم أعلم بأمور دنياكم .

نحن لا نؤبّر التفاح ولا الليمون ولا التين فالنحل والريح يتوليان ذلك عنا ولكن للنخل حالات خاصة يحسن معها نقل غبار اللقاح من شجرة الى شجرة باليد وكان قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يتناول القاعدة العامة . فلما وجد الرسول أن بعض النخل الذى لم يؤبر لم يؤت أكله تاما قال للناس من أصحاب الاختصاص فى الزراعة : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » .

ان هذا الحادث اليسير يكشف لنا عن اتجاه فى العلم لم يكن معروفا من قبل . ان معرفة اللقاح بين النبات تعلمه البشر من القرآن من قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » (١٥ : ٢٢ ، سورة الحجر) .. ذلك لأن اليونان لم يعرفوا ذلك . واذا كان أحد العلماء القدماء قد خطر له ذلك ، فانه لم يترك أثرا فى الثقافة الانسانية وذلك راجع الى أن أرسطو وهو كبير المفكرين فى الفلسفة القديمة وأعظم المفكرين أثرا فى تاريخ العلم القديم ، قد أنكر أن يكون فى النبات ذكورة وأنوثة . فالذين قالوا بلقاح النبات تعلموا من الاسلام ولم يعرفوه من مصدر آخر .

وفى علم الحياة أمر آخر عرفه العالم من الاسلام ، هو تخلق الجنين فى الرحم . قال الله تعالى

« خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها . وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج ، يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث . ذلكم الله ربكم له الملك ، لا اله الا هو . فانى تصرفون » .

(٣٩ : ٦ ، سورة الزمر) :

هذا أيضا شيء تعلمناه نحن من القرآن الكريم ثم تعلمه منا سائر

النــاس لأنه لم يعـرف حتى ذلك الحين الا من القــرآن الكريم . أن هذا الجنـين الذى يتقلب فى الرحم خلقـا من بعـد خلق انه جنين حى يتطور فيمر فى أطـوار ثلاثة . تلك حقيقة من حقـائق علم الحياة لم يكن من الممكن أن يعرفها البشر ــ فى ذلك الحين ــ الا من الوحى الالهى الذى جاء بالرسالة الاسلامية . ودليلنا على ذلك أن اخوان الصفا وهم جماعة سرية نشأوا فى البصرة فى القـرن الرابع للهجرة (العاشر للميـلاد) أرادوا أن يقيموا للبشر كلهم دينا على الفـكر والاخـلاق ، فألفوا رسائل تطبع اليوم فى أربعة أجزاء كبار جمعوا فيها ما كان معروفا فى أيامهم مـن المعـارف العلميـة والفلسفية ، وأكثر اهتمـامهم ، كمـا كانوا يقولون ، كان بالعلم اليـونانى . ان اخـوان الصـفا يذكرون فى رسائلهم (٢ : ٣٥٧ ــ ٣٥٩) : وفى الشهر الثالث (لحمل الجنين) يصبح التدبير (التأثير على الجنين) للمريخ . فاذا كمل الشهـر الثالث ، انتقـل الجنيـن (فى الشـهر الـرابع) الى تدبير الشمس ــ وهى رئيسة الكواكب وملكة الفلك وقلب العالم فتنفخ (فى الجنين) روح الحياة وتسرى فيه النفس الحيوانية) . ومعنى هذا عندهم أن النطفة حينما تستقر فى الرحم تكون ميتة لاحياة فيها ، ولا تبدأ الحياة فى الجنين الا فى الشهر الرابع . ومن هنا جاءت الخرافة الدائرة بين النساء من أن الجنين « يتحرك » فى الشـهر الرابع . والحقيقة أن الجنين يتحرك منـذ أول الحمل (لأنـه كائن حى) ، ولكن حركته تكون آنذاك خفيفة لا تشعر بها المرأة الحامل . وبما ان رسائل اخوان الصفا قد جمعت المعارف العلمية عند اليونان وعند غير اليونان فمعنى ذلك أن الامم القديمة لم تكن تعـلم أن الجنين يكون حيا منذ اللحظـة الاولى لسقوط النطفـة فى الرحم . ولو عرفت الامم القديمة ذلك لذكره اخوان الصفا فى رسائلهم فهذا اذن شىء آخر تعلمه الاطباء من الاسلام أو انتقل اليهم من أثر الاسلام .

وعلى كل حال ، يحسن ألا يسبق الى الذهن أننى هنا أقيم موازنة بين الاسلام والعلم عند الامم القديمة . لا قدر الله ذلك . هذه من تحصيل البشر العاجزين وذلك وحى من الله العزيز القدير . ولكنى قصدت أن القرآن جاء وكل مافيه بما فيه من مفردات العلوم الطبيعية التى يظن معظم الناس أنها من نتاج العقل ـ الانسانى الحديث ـ صحيح صادق . ثم قصدت أيضا أن أقول ان الناس ، قديما وحديثا من المسلمين ومن غير المسلمين ، قد تعلموا من الوحى الالهى الذى نزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقد يسأل بعض الناس فيقول : اذا كان هذا الوحى كله ـ سواء أنزل على محمد عليه السلام أو نزل على الأنبياء الذين كانوا من قبل ـ من عند الله ، فلماذا لا نجد هذه المعارف العلمية فى كتب الوحى الأخرى ؟

الجواب على ذلك يكون من جانبين :

أولا : ان الكتب السماوية القديمة ، كالتوراة والانجيل ، مرفوعة ، أى ضائعة من يد الذين نزلت على أنبيائهم ، فلا نستطيع الحكم عليها .

ثانيا : لا ينتظر أن تكون هذه الأشياء العلمية موجودة فى كتب الوحى القديمة ، لقوله تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » .

(١٤ : ٤ سورة ابراهيم) :

والبشر من قبل لم يكونوا كلهم قد بلغوا من العلم مبلغا يمكن معه أن يخاطبوا بكثير من حقائق العلم مما لا يمكن أن يبينه الرسول لعامة قومه فى زمانه . ان الحضارة الانسانية العامة لم تكن بعد مهيأة لتقبل المعارف العميقة فى الحياة .

ان هذا الموضوع : « أثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية » موضوع واسع جدا ،

كما قلت فى صدر مقالى هذا . من أجـــل ذلك أشرت الى رؤوس المعارف فيـــه اشارات سريعة ، والا فكل نقطة من نقاطه تحتـــاج الى مقال مستقل .

غير أنى لا أريد أن أفرغ من مقالى هذا قبل أن أشير أيضا الى نقطة أخرى فى هذا الموضوع هى أن أثر الاسلام فى التفكير الانسانى ــ والتفكير جانب من جـــوانب الحضارة ــ قد تبـــدى للمفكرين منذ جاء الاسلام . ففى أيام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يأتى الى الرسول ــ مرة بعد مرة ــ أناس يســألون أسئلة من هذا الباب ، فكان من هذه الأسئلة ما تحسن الاجابة عليـــه فى ذلك الحين كما كان بعضها الآخر ممـــا يحسن السكوت عنه . ففى مثـــل ذلك نزل قوله تعالى : « ياأيهـــا الذين آمنوا ، لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم . وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم . عفا الله عنها ، والله غفور حليم . قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين » (٥ : ١٠١ ــ ١٠٢).

ويجب أن ننسى أيضـــا ان « علم الكلام » ــ وهو علم كانت غايته الموازنة بين ما جاء به الدين وما كان يشغل العقل الانسانى ــ قد تعرض ، منـــذ القـــرن الأول للهجـــرة ، لمثـــل تـــلك البحـــوث ولم يحصـــل النـــاس مـــن ذلك كله على طائل . ان علم الكلام يمثـــل مرحلة من مراحـــل تطور العقـــل الانسانى ، كانت منـــه تتف فى اليهـــودية والنصرانيـــــة ثم فى المجوســية فيمـــا أحسب ولـــكن قواعد هذا العلم رست فى الاسلام ، وكذلك فروعه تبسطت فى الاسلام أيضا ، ومع ذلك فقـــد قال ابن خلدون فى مقدمته ان هـــذا العلم يفيدنا تاريخا للجدال أكثر ممـــا يفيدنا ايقانا بالعقائد ، كما كان المقصود بهذا العلم أولا . وخطر لابن خلدون رأى الناس فى صلة المعارف التى وردت فى القـــرآن الكريم بحقائق العـــلم المقصودة ، فقال لنا فى مقـــدمته قولا أشرت اليـــه من قبل . هـــذا القول هو (مقدمة ابن خلدون) ان القرآن جاء لتعليم الفقه والاخـــلاق ولم

يأت لتعليم الطب والعلوم العادية (القديمة) غير أن كل ما ذكر فى القرآن من المعارف صحيح ، ولكن ليس فى القرآن كل ما جاء به العلم قديما وحديثا . من أجل ذلك لا يجوز لنا أن نحمل آيات القرآن الكريم فوق ما يحتمله معناها الذى قصدت به ، فان فى ذلك خطرا كبيرا جدا يحسن أن ننظر اليه من جانبين .

ربما كان الذى يجيل فكره فى هذا الميدان (ميدان العلم وما جاء منه فى القرآن الكريم) ليس من أهل الاختصاص فى القرآن أو فى العلم أو فيهما كليهما وحينئذ يقع ذلك الشخص فى خبط كثير ثم هنالك أمر أشد من الخطر . ان العلم يتطور ويتبدل . وربما قال العلماء شيئا اليوم ثم قالوا غيره أو ضده غدا . فاذا أتى شخص وربط بين آية من القرآن الكريم ورأى من آراء العلم ثم سوى احدها بالآخر أو بنى أحدهما على الآخر ، وبعدئذ تبين أن ذلك الرأى فى العلم كان فاسدا أو قاصرا ، فما يكون موقفنا من ذلك الربط بين الآية الكريمة والرأى الذى ظهر بعد أمد أنه خطأ ؟

من أجل ذلك أريد أن أمر بعدد من الكتب الحديثة التى عرض أصحابها لمثل هذا الموضوع . وقد اتفق لى أن تناولت هذه الكتب التالية من غير تقص لما ألف فى هذا الباب :

١ ــ جواهر العلوم ، تأليف طنطاوى جوهرى ، مصر ١٣١٩ هـ =١٩٠١ م .

٢ ــ التاج المرصع بجواهر القرآن الكريم ، تأليف طنطاوى جوهرى ، مصر ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م .

٣ ــ الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ، تأليف طنطاوى جوهرى ، مصرى ١٣٤١ هـ = ١٩٢١ م .

٤ ــ القرآن الكريم والعلوم العصرية ، تأليف طنطاوى جوهرى ، مصر ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٢ م .

٥ ــ أثر القرآن فى تحرير الفكر البشرى : محاضرة لعبد العزيز جاويش ألقيت فى مصر . طبعت

فى بيروت بعيد ١٣٤٩ هـ=١٩٢٣! م

٦ ـ تنبيه العقول الانسانية لما فى آيات القــرآن مــن العــلوم الكونية والعمرانية تأليف محمــد بخيت المطيعى (ت ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م) ، طبعــة جديدة حلبى (بلا تاريخ) .

٧ ـ القرآن والعلم الحديث ، تأليف عبد الرزاق نوفل ، مصر ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م .

٨ ـ نهــاية الكون بين العلم والقــرآن ، تأليف محسن عبــد الصاحب المظفر ، النجف ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م .

٩ ـ العلوم الطبيعية فى القرآن ، تأليف يوسف مــروة ، بــيروت ١٣٨٧ هـ=١٩٦٨ م .

١٠ ـ لفتات علمية من القرآن تأليف يعقــوب يوسف ، جــدة ١٣٩٠ هـ=١٩٧٠ م .

١١ ـ نقــد الفهــم العصرى للقــرآن ، تأليف عاطف احمــد ، بيروت (١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م) .

١٢ ـ القرآن وعلم النفس ، تأليف محمــد مصطفى زيدان ، بيروت ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

لعل أول الذين أغرموا بهــذا الوضوع طنطاوى جوهرى ، وهو مؤلف مصرى ولد سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) وكانت وفــاته فى سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٤٠م) . تعلم فى الأزهر وتعلم شيئا من اللغــة الانكليزية وقرأ أشياء من العلوم الرياضــية والطبيعيــة ثم علم فى المدارس الابتدائيــة وحــاضر فى الجــامعة المصرية وكان اهتمــامه الأول منصبا على رؤية مفــردات المعــارف الانســانية فى القــرآن الكريم .

ان « التفسير » الذى وضعه طنطاوى جوهــرى للقرآن الكريم يقع فى ستة وعشرين جزءا تتألف من نحــو ســتة آلاف وخمسمائة صفحة من القطع الكبيرة . وأنت تستطيع أن تجد فى هــذا التفسير كل شىء من مطــالع القصــائد الجاهليــة (١ : ٢١) وأبعــاد الكواكب عن الشمس (١ : ٤١) وفتــوح الدولة الرومانيــة (١ : ٦٥ ـ ٦٦) ، وان مــرات التصــديق (فى المنطق) أربعــة (١ : ٧٧) ولغــز قابس وهــو

فيلسوف يونانى عاش قبل الميلاد بخمسمائة سنة (١ : ١١٤) وعجائب العلم والسياسة فى القرآن (١ : ١٢١) والمادة وتنوعها وعلم الحيوان والنبات (الحيوان مذكور قبل النبات) وجرى السفن بالكهرباء (١ : ١٢٤ — ١٣٥) والحب والعشق والشوق (١٣٥) وسباق الخيل — رمى الحمام — التيرو — يانصيب — اللوترية (١:١٧١—١٧٢) وعناصر مختلفة فى القطن والقمح والبرسيم وغيرها (١ : ٢٠١ — ٢٠٥) وأنواع النبات الموجودة فى البلاد المختلفة (١ : ٢٢٨ — ٢٣٠) الخ .

أما الحكايات والخرافات والاسماء الأجنبية وأمثالها فكثيرة كثرة لا تحصى . وبامكانك ان تقول ان « تفسير طنطاوى جوهرى » يحتوى على كل شىء الا على تفسير القرآن . انه مؤلف من مواد تتداعى على غير نظام وتذكر لمناسبة ولغير مناسبة . والكتاب فى جملته صورة للفوضى الكاملة .

لا شك فى أن طنطاوى جوهري قد أحب أن يحبب الاسلام الى الناس بما كان يقول من أنك تستطيع أن تعرف من القرآن مثلا مقدار البوتاسيوس فى نبات البرسيم أن الرجل محمود لحسن نيته ، ولكن تفسيره الذى مضى عليه الآن نحو ثمانين سنة أصبح لا قيمة عملية له ، لا فى العلم ولا فى التفسير . أما كتبه الباقية . جواهر القرآن (٢٤٠ صفحة) ، التاج المرصع (١٩٠ صفحة) القرآن والعلوم العصرية (٩٠ صفحة) والصفحات من القطع الصغيرة فمنهاجها منهاج تفسيره .

أما عبد العزيز جاويش المتوفى سنة ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م ، فهو أديب وكاتب وخطيب اشتغل فى مصر بالصحافة فكتابه (محاضرات تقع فى نحو ستين صفحة من القطع الصغير) أراد به أن يوازن بين موقف الاسلام من العلم وموقفه النصرانية خاصة ، وهو يلح على أن المسلمين اهتموا بالفلسفة اليونانية أكثر من اهتمام النصارى

الاوروبيين بها ، مع أن الاوربيين أقرب الى اليــونان من المسلمين الى اليونان . ومع ان المــادة فى محاضرات عبــد العــزيز جاويش لا تختلف من تفسـير طنطــاوى جوهرى كثيرا فانها أحسن ايجازا وتنسيقا وأبين مغزى وتنظيما .

وأما كتاب الشيخ محمد بخيت المطيعى المتــوفى سنــة ١٣٥٤ هى (١٩٣٥ م) فقد كان مفتيــا فى مصر فى مدى سبع سنوات أولهــا سـنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) ــ والمطيعى أكثر وعيا لحقائق العلم من طنطاوى جوهرى وأكثر حذرا فى اقــامة الموازنات بين المظــاهر الطبيعيــة والآيات . وفى كتــاب المطيعى معرفة أكثر ممــا فى كتب طنطــاوى جــوهرى وممــا فى محاضرات عبد العزيز جاويش . غــير أن فى الــربط بين الفحم الحجرى والآية الكريمة : « وهو الذى أخرج المرعى فجعله غثــاء أحوى » (٨٧ : ٥ سورة الاعلى) تمحلا بعيدا ليس المقصــود من الآية الكريمة .

واذا نحن نظــرنا الى كتــاب عبــد الرزاق نوفل « القــرآن والعلم الحديث » من الجانب العملى الذى هو حث على التأمل فى آيات القرآن وفى شمولها لأحوال البشر ، فالكتاب يكون جيدا ومفيدا . ويبدو أن عبد الرزاق نوفل قــد تنــاول قصــة الفحم الحجــرى (ص ٧٥) من الشيخ محمد بخيت ثم زاد فى التوسع فيهــا . وكلام عبــد الرزاق نوفل عن البروتين (البروتئين) لا يستقيم فى الدين « فى سورة البقرة » (٢ : ٦١) يخاطب الله اليهود فيقول :

« واذا قلتم ياموسى ، لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنــا ممــا تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفــومها وعدسهــا وبصلهــــا . قال أتستبـــدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » ويعلق عبد الرزاق نوفل على ذلك بقوله : ان طعــام بنى اسرائيــل (مــع موسى فى صــحراء سيناء أيام تيههم) كان المن (وهو مادة حلوة تتكاثف على أغصــان شجر بعينه (فى العــراق وفارس ..)

بعد سقوط الندى على تلك الاشجار ومن السلوى (طير السمانى) . أما أن فى عدد من البقول (التى تنضج فتصبح حبوبا كالعدس والفول) من البروتئين أكثر مما فى المن فهذا صحيح . وأما أن يكون فى القثاء ، وهو نوع من البطيخ ومن الخيار (المعجم الوسيط ٧٢٢) ، من البروتئين أكثر مما فى لحم السمانى .. فلا أظنه صحيحا .

ثم ان اليهود لم يطلبوا من موسى أطعمة أكثر تغذية ، بل قالوا له : « لا نصبر على طعام واحد » . هم كانوا قد ملوا من أكل لحم الطير فأرادوا أن يأكلوا أشياء أخرى . ثم لو أننا قبلنا أن يكون موسى قد قصد أن يقول لقومه (كما يرى عبد الرزاق نوفل) ان العدس والبصل وأنواع البقل أقل قيمة غذائية من المن ومن السلوى أيضا ، لما كان نبى الله موسى عارفا بطبائع تلك الاطعمة . وأما حشر علم الديناميكا (ص ٩٧) والكلام على نيوتن واينشتين فى مجال تفسير الآية الكريمة : « تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (٧٠ : ٤ سورة المعارج) للكلام على نظرية النسبية فشىء خارج عن اختصاصى ..ومع قلة معرفتى بالرياضيات العالية فأنا لا أرى فى هذه الآية اشارة الى أن الزمن المذكور فيها هو الحد الرابع الذى قصده اينشتين . أما النسبية (اللانسبية) الحقيقية التى تدل عليها الآية ــ كما أفهمها أنا ، وأرجو ألا أكون مخطئا ــ فهى ان الله دائم الوجود وأن وجودنا نحن فى العالم محدود . فمهما تطل عيشتنا على الأرض فانها بالاضافة الى دوام الله الأبدى شىء ضئيل . لقد كان بالامكان أن يقول الله تعالى : « تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره » مائة ألف سنة أو خمسمائة ألف سنة من غير أن يتبدل المقصود الاخلاقى من الآية الكريمة .

ويبدو أن محسن عبد الصاحب المظفر قد درس الرياضيات والفلك

دراسة مقصودة ، وهو يخـالف (ص ١٤٢ ــ ١٤٥) عبـد الرزاق نوفل فى تفسير الآيتـين اللتـين تذكران اليوم الالهى مرة بألف سنة ومـرة بخمسـين ألف سـنة ، بأن معنى ذلك ان سرعة الارض فى دورانها كان من قبل أكبر مما أصبح فيما بعد . ومعنى ذلك بعيد أيضـا .

ان القرآن الكريم قـد خاطب العرب بهاتين الآيتين ، وقال لهم (فى القرن السابع للميلاد) فى مرة أن اليوم عنده يساوى خمسيـن ألف سنة من أيامهم ثم قال لهم مرة ثانية أن اليوم عنده يساوى ألف سـنة . ان تفسير محسن عبد الصاحب المظفر كان معقـولا لو أن احدى الآيتين قد نزلت بعد الآية الأخري ببليون سنة فقد كان من الممكن أن يقصر اليوم الارضى حتى يصبح جزءا من خمسين ألفا بعد أن كان مرة جـزءا من ألف فقط .

غير أننـا اذا تابعنـا محسن عبد الصاحب فى كتـابه «نهـاية العالم بين العلم والقرآن » أدركنا التعثر فى أدلتـه . هـو يرى أن القرآن الكريم وأن العلم الحديث يقولان بنهاية هذا العالم (راجع ص ١٧٩ وما بعـد) . ولـكن مامعنى نهاية العالم عنده ؟

ان الجبال اذا نسفت (ص١٦٨) وان نهاية الكون بانشقاق السماء (ص ١٨٤) .. وغير ذلك لا يدل الا على تبدل المادة من صـورة الى أخرى . وهذا التبـدل ليس فناء ولا نهاية ، كما يقول محسن عبد الصاحب نفسه (ص ١٨٦) : (كون تحطم وحل محله كون آخر) .. وقول القرآن الكريم واضـح فى ذلك ، وهو : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ... » (١٤ : ٤٨ سورة ابراهيم) .

ونحن جميعا نؤمن أن هذا العالم سينتهى : ستنتهى حيـاة البشر فيه . ولكن الأدلة التى يقدمهـا صاحب كتاب « نهـاية الكون » ليست مقنعة لا من جانبها الدينى ولا من جانبها العلمى ..

وتتعاظم شكوك القارىء حينما يقرأ فى كتاب « نهـاية الكون »

هذا المقطع (ص ١٤١) : « يقول علماء الفلك : ان الأرض منذ (يقصد : بعد) انفصالها عن الشمس كانت تدور حول نفسها بسرعة أكبر مما هى عليه فى الوقت الحاضر ، وان دورتها حول الشمس كانت تتمها بفترة زمنية مقدارها أربع ساعات (كذا) . وقد بدأ من ذلك الحين النقص التدريجى فى سرعة دوران الأرض حول الشمس . فلم يعد الليل والنهار ليستغرق (ليستغرقا) أربع ساعات فى كل دورة ، بل تغيرت الحال تبعا لذلك . ان طولهما (يعنى : طول الليل والنهار) يقاس ومقدار الفترة الزمنية التى تستغرقها الأرض فى دورانها حول الشمس ، فقد أصبح طولهما (طول الليل والنهار) من بعد ذلك خمس ساعات ثم ست ساعات ، وهكذا حتى بلغت الارض وضعها الحالى . فهى الآن تتم دورتها حول الشمس بفترة أربع وعشرين ساعة وهى مقدار طول الليل والنهار الحاليين » .

ان محسن عبد الصاحب المظفرى يعتقد أن الليل والنهار يتشكلان من دورة الأرض حول الشمس فى أربع وعشرين ساعة . وأظن أن أطفال المدارس يعرفون أن دورة الأرض حول الشمس تتشكل منها الفصول الأربعة وان الليل والنهار يتشكلان من دوران الارض حول نفسها .

فما قيمة هذا الكتاب كله بعد ذلك ؟

ثم يأتى بحسب تاريخ نشر الكتب المذكورة آنفا كتاب « العلوم الطبيعية فى القرآن » ، تأليف يوسف مروة المولود فى السابع والعشرين من جمادى الاولى من سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤/١٠/٧م) .. علم الكيمياء والفيزيا والرياضيات ، يحمل شهادة الهندسة الكيماوية (١٩٦١ م) ، ولكن يبدو أن معظم نشاطه منصب على الفيزياء (راجع ص ٨ ــ ١١) . وفى كتاب يوسف مروة فصول هى :

(١) رسالة المؤلف الى فقهاء المسلمين حول رصد الأهلة يقترح

فيها على دار الافتاء فى بيروت أن تشترى تلسكوبا فلكيا من الحجم المتوسـط ينصب فى دار الافتـاء ليستخدمـه رجـال الديـن فى المناسبات التى يكثر فيها الخلافات حول رؤية الهلال . حتى اذا كانت السماء ملبدة بالغيـوم فى فصـل الشتاء .. ولا يمكن للعين المجردة أن ترصد الهلال « فما المانع اذن من اسـتخدام المرقب كوسـيلة للرصد والرؤيا ؟ »

وليوسف مروة نظـرة صحيحة حينما يذكر أن ولادة الهلال تحدث فى البلاد المختلفة فى أوقات مختلفة ، باختلاف وجود تلك البـلاد على خطوط الطول وخطوط العرض . ولكنه يخطىء حينما يقـول على لسان رجال الدين : اذا ولد الهلال فى بلد فهـو مـولود فى جميـع البلدان . « الذى يقوله الفقهـاء العلماء اذا رأى أهل بلد الهـلال فيحسن بجميع المسلمين أن يصوموا برؤية ذلك البلد » (من الناحيـة العملية) وبين القولين فرق كبير .

٢ ـ مقـدمة للسـيد موسى الصدر : لقاء العلم والدين وتوزيع الصلاحيات (ص ١٣) .

٣ ـ تقـديم للمرحوم الشيخ مصطفى الغلايينى (ت ١٣٦٤ هـ =١٩٤٤ م) .

فى العـلم والـدين (نشرت فى سنـة ١٣٤٩ هـ = ١٩٣١ م) . (ص ٤١) .

٤ ـ مدخل للدكتور صـادق جلال العظم (ص ٦١)

٥ ـ مقدمة المؤلف (ص ٦٧)

٦ ـ الفصـل الأول : القرآن دين وعلم (ص ٧١) وزع المؤلف فيه جانبا من آيات القرآن بحسب الموضوع العلمى الذى تعالجه .

٧ ـ الفصل ٢ : العلوم الحديثة فى القرآن (ص ٨٣) : مجمـوع من الآيات ورد فيها ألفاظ تتعلق بالعلوم المختلفـة أو توهم أنهـا تتعلق بالعلوم .

٨ ـ الفصـل ٣ : الـذرة فى القرآن (ص ١٦١) : يريد يوسف مروة أن يرجع بالنظـرية الذرية الى ألف ومائتى عام قبل الميلاد .

وأنا أعتقد أن فى استعراضه لتطور نظرية « المادة الأولى » أو الجوهر الفرد أو الذرة (أو الجـزء الذى لا يتجزأ » أشـياء من الخطـأ التاريخى واللغوى • ومن أخطائه فهم كلمة ذرة فى القـرآن الكريم بالمعنى الحديث «آتوم» • والذرة هى النمـلة الصـغيرة الحمـراء (راجع قواميس اللغة) ــ وقال الشاعر يصف امرأة برقة جلدها ولينه :

لو يدب الحولى من ولد الذر
عليهـا لأندبتهـا الـكلوم

(الحولى : الذى لم يمر عليـه سنة بعد • أندبه : ترك فيه ندوبا أى جروحا • الكلم بفتح الكاف : الجـرح) •

ومن الخطأ عنـده جعله كلمـة آتومى فينيقية أخذها اليـونان عن الفينيقيين وهذه اللفظة آ ــ توم يونانية (معنـاها : لا يقسم) ، ومن هنا جاء وصف الجوهر الفرد بأنه « الجزء الذى لا يتجزأ » • ثم يستغرب المؤلف اهمال المسلمين للكلام على تجزئة الذرة (بالمعنى العـلمى اليـونانى ، لا بالمعنى القـرآنى) • فيحسن بالمؤلف أن يرجع الى علمـاء الكلام فى ذلك والى رسائل اخوان الصفا •

٩ ــ الفصل ٤ : غزو الفضـاء (لو قال المؤلف : « وصف الفضاء » •• لكان قوله صوابا) •

١٠ ــ الفصـل ٥ : النسبية فى القـرآن (مر قولى فى ذلك : يحسن أن يقال النسبة) • وكذلك لا يحسن أن نقول السنة الالهية والثانية الالهية ، بل السنة عند الله والثانية عند الله • ولو أنا قبلنـا قـوله : يوم الهى ويوم أرضى (بشرى) لكان الموضـوع هـو النسبة (اضافة عـدد الى عـدد آخر) لا النسبية (اختلاف حجم الجسم الواحد باختـلاف أبعـاده المنتوجة من سيره فى زمن) •

** اذا أخطأت أنا فى هـذا التعـريف أو كان تعريفى ناقصـا أو قاصرا فأنا معـذور لأنى لست من أهل الاختصاص فى الرياضيات والفيزياء النظرية • أما خطأ أهـل الاختصاص فى هذين الفـرعين من العلم فليس لهم فيه عذر •

١١ ــ الفصــل الســادس : النظام الرياضى الكونى (وفيــه أشياء من علم العدد أو خــواص الاعداد مما نعرفه فى المتواليــات الحسابية والهندسية وفى المربعات الســحرية . ونجــد هــذا الفن مبسوطا فى كتاب المدخــل الى علم العــدد من وضــع نيقوماخوس الجرشى ، وقد نقله الى العربيــة ثابت بن قرة فى العصر العبــاسى . وكذلك نجد هــذين الموضوعين مبسوطين فى رسائل اخوان الصفا ، ولكنى لا أرى لذلك صــلة بمــا يرد فى القرآن الكريم . وفى هــذا الفصل أيضا قضايا من المحــالات المعروفة فى الجدل الكلامى نحو : هل يستطيع الله أن يخلق عالما آخر أو أن يخلق كائنا أقوى منه أو أن يفنى نفسه .

١٢ ــ الفصل٧ : الله والعــلم الحديث (ص ٢٢١) : متفــرقات شخصية فى الله وقدرته وعظمتــه مأخوذة من الملاحظــاتالشخصية ومضافة الى العلم الحديث وليس عندى رد على هذا الفصل الا ماقاله استاذ المؤلف للمؤلف وهمــا فى المختبر وقد أثار المؤلف مثل هذا الموضــوع (ص ٢٢٦) « أخشى أن يتحول بحثنا من ميدان الفيزياء الى ميدان اللاهوت وتتخــلى عن صــفتنا كفيزيائيـــين لنصبح لاهوتيين » .

١٣ ــ ملحق : آراء حول الدين والعــــلم (ص ٢٤١) مـــن كونفوشيوس (ت ٤٧٩ ق‌ح‌ق.م) الى المؤلف نفسه .

١٤ ــ ملحق ٢ : آراء حــول الاسلام .

ان هذا الكتاب كتبــه رجــل يشــتغل بالعــلم ، ومع ذلك فلم يوف الموضوع حقه اذشغل نفسه بأشياء جانبية لا قيمة لها . اذا كان عنوان الكتاب « العلوم الطبيعيــة فى القرآن الكريم » ، فمــا صلة ذلك بقــول ميخائيـــل نعيمــة (ص ٢٥٨) : « ..... كأن يكون ذلك المعبــود عاديا ضيقا وضيعا محدودا عند الوضعاء المحــدودين من البشر ومسمعنا فى العبقــرية والرحابة والتعالى واللامحــدودية عند الذين نفذوا بقواهم الانسانية

الخلاقة من برودة الشائع الظاهر فى الكون الى دفء أسراره المكنونة » .

يبدو لى أن المؤلف قد تخيل الموضوع أهون مما يجب . فلما بدأ التأليف ووجد وعورة المسلك ملأ كتابه بفصول لا صلة لها بالموضوع . ونسى المؤلف العالم ان العلم يقوم على البراهين وأن أقوال الناس : قال فلان وقال فلان لا يقوم لها فى العلم وزن ، الا اذا كانت هى نفسها قائمة على برهان وكان برهانها مصاحبا لها والا فما قيمة هذا القول للمفكر الفرنسى باسكال (ص ٢٤٢) : « ماهو هذا الانسان فى هذه الطبيعة : انه عدم تجاه اللانهاية » . ما الحقيقة التى يقرها هذا القول وماالمشكلة التى يمكن أن يحلها ؟

وهنالك « لفتات علمية من القرآن من تأليف يعقوب يوسف ، وهو كتاب موجز عام تغنى قراءته عن كتاب يوسف مروة لأن مؤلف اللفتات العلمية أشار الى حقائق العلم فى الآيات الكريمة اشارات قريبة واضحة ولم يدخل فى التفاصيل المتشابهة فيقع فى ورطات يصعب الخروج منها .

ويأتى فى هذا النسق كتاب محمد مصطفى زيدان « القرآن وعلم النفس » وهو كتاب صغير موجز لا تزيد كلماته فى العد على ثلاثة آلاف كلمة . والمؤلف لم يشغل باله ولا شغل قراءه بأقوال الرجال وتفتيت النظريات . ثم ان موضوع علم النفس (وهو موضوع تربوى أخلاقى) أكثر اتصالا بالدين من العلوم الطبيعية. والكتاب جيد ومفيد .

وكنت أود أن أتكلم على كتاب « نقد الفهم العصرى للقرآن » من تأليف عاطف أحمد . ثم وجدت أن هذا الكتاب رد على مصطفى محمود فى كتابه : « القرآن : محاولة لفهم عصرى » . ثم ان كتاب مصطفى محمود ليس بين يدى الآن . وفوق ذلك فالذى يبدو بوضوح أن كثيرا من موضوعات الكتابين موضوعات نظرية قابلة للجدل وكثير منها

متعلق بالألفاظ أخذا وردا • والذى يبدو لى من خلال الكتاب الثانى أن مصطفى محمـود كان يحمـل النص القرآنى فوق مـا يجب أن يحتمل ، وان عاطف أحمد يريد أن يقيد نفسه بظاهرة اللفظ أيضا •

خلاصة هذا الموضوع

فى القرآن الكريم أشياء كثيرة من العلم : من العلم الطبيعى ، ومن العلم الاجتمـاعى ، ومن علم النفس ، ومـن السياسـة ، ومن الاقتصاد ، ومن الاخـلاق وسوى ذلك •

وكل هذا الذى ذكر فى القرآن الكريم من مفردات هـذه العلوم ومن أسسها العامة صحيح ثابت • غير أنه لا يجوز لنـا أن نحـاول البحث عن جميع وجوه العـلم فى القرآن الكريم وان نحمل الآيات الكريمة فوق ما يجوز أن تحتمل •

ولا يجوز أن يجعـل القرآن الكريم موضوعا للمقـارنة بشىء آخر • ثم ان القرآن الكريم كتاب سماوى غايته الأولى تعليم الدين والتربية على الخلق الكريم •

يجـوز أن تتخـذ من الآيات الكريمة سندا للدعوة الى العلم ، ويجب أن نفعل ذلك كما تتخـذ القرآن الكريم حجة فى أمور العقيدة والعبادة وفى المعاملات أيضا •

ان القرآن الكريم لما أتى بوجوه العلم أتى بهـا على سبيل العظـة ولتبيان عظمـة الله وقدرته وللحث على أن يقوم الانسان بما ينفعـه فى حياته الدنيا وفى حياته الأخرى •• ولم تكن وجوه العلم المختلفة مقصودة لذاتهـا ، الا اذا كانت هى موضوع الكلام •

وقد تعرض لهذا الموضوع — العـلم فى القـرآن الكريم نفـر كثـيرون : منهـم من شطت به حماسته فتأول آيات القرآن على خلاف ما فهمـه المفسرون كلهم ، لأنه حملتهم حماستهـم للفن الذى يعرفونه على أن يجدوا فى القرآن الـكريم كل ما تعـلموه فى فنهم المخصوص •

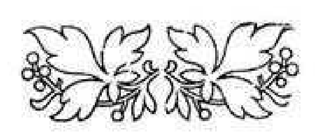
وهنـالك نفر كتبوا فى هـذا الموضوع من مطالعاتهم الشخصية • هم ليسوا من رجال العلم ولكنهم

قرأوا أشياء من العلم المبسط فخيل اليهم أن كل آية وردت فيها كلمة « شمس » أو « قمر » هى من علم الفلك . ومنهم من لا يحفظ شيئا من القرآن الكريم ، كالذى رأى كلمة « ذرة » فى القرآن الكريم — ومعناها « النملة الصغيرة الحمراء » فظن أنها الذرة التى ذكرها ديموقريطوس اليونانى من أحياء القرن الخامس قبل الميلاد أو الذرة التى عالجها روذ رفورد عام ١٩١٩ م .

غير أن هذا كله لا يمنع من القول ان القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى جاء بالعلم على النحو الذى يجب أن يكون عليه العلم ، وانه دعا الى العلم بينما جميع الاديان غير الاسلام كانت تحول بين أتباعها والدين لأنها كانت تدرك أن العلم يبطل الاعتقاد بالاسرار التى كانت تلقيها على أتباعها الغازا أو كالألغاز .. ان العلم فى الديانات التى جاءت قبل الاسلام كانت احتكارا للكهنة لا يصل اليها عوام الناس . أما الاسلام فليس كذلك . فى الحديث الشريف : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . وفى القرآن الكريم .

« أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب » .
(٣٩ : ٩ سورة الزمر)

دكتور عمر فروخ



دراسات قرآنية

أيها المسلمون

ماذا أعددتم لوداع القرن الرابع عشر الهجرى ؟

فضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

قال تعالى : « ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » (١) .

وقال سبحانه : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٢) .

البيان

أيها الاخوة المؤمنون فى أرض الله ، هذا هو العام المتمم للقرن الرابع عشر الهجرى قد أطل علينا بهلاله ، فماذا أعددتم لوداع هذا القرن ؟ ان الله أمركم بالتمسك بكتابه وعدم الفرقة فيما بينكم فقال : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ولكنكم تركتم كتابه وتفرقتم ، وان رسوله صلى الله عليه وسلم يوصيكم بأن يشد بعضكم أزر بعض ، ليقوى كل منكم بأخيه ، ولا يضعف أمام الطامعين فيه ، ولكنكم شددتم أزر الأعداء ، وتخليتم عن اخوانكم الأولياء فاستذلكم الأولون واستغلوكم ، وتمكنوا بوسائلهم الشيطانية ، ووعودهم الكاذبة ، من احتكار ارادتكم ، والاستيلاء على أرضكم ودياركم ، وكم لهم فى الغدر بكم من دروس وعبر ، ولكنكم لم تنتفعوا بها لأنكم لم تعوها ، ولم تتدبروا فى الفرق الهائل بين أقوالهم وأعمالهم ، وصدقتم معاذيرهم فى خلفهم لوعودهم ، ولا زلتم تتعلقون

---

(١) سورة محمد : ٧ (٢) سورة الحجرات : ١٠

بأذيالهم ، وتمشون فى ركابهم ، وهم معجبــون بســلامة نيتكم ، وأنكم من الغفلة الى درجة انكم لا تفرقون بين الصديق والعدو ، و لابين من يقصد بمودته منفعــة نفسه ، أو منفعة من يبذل له الود الزائف ، وترونهــم يقدمون لكم الأسلحة الضـعيفة لكى يغروكم بالتبعية لهــم ، ويجعلوكم دائمى الاحتياج اليهــم ، لكى تستكملوا النــاقص فى أسلحتهــم ، فمتى تفيقون أيها الاخوة المسلمون من سكرة الاعتزاز بأعــداء الأديان ، والاغترار بما يقولون من الهذيان ، وأنتم سلالة الغر الميامين ، وأبناء الليوث المغاوير ، أفلم تقرءوا قول الله تعــالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذو عدوى وعدوكم أوليــاء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » (١) •

انكم قوة لا يستهان بها لــو اجتمعتم ، فأنتم تربون على ثمانمائة مليـــون ، ولكنكم متنافــرون متقاطعون ، فلا الدين يجمعكم ، ولا المصالح المشتركةتربط بينكم، ولا الخطر المنتظر يخيفكم ، أفلا تعلمون أن الذئب يأكل الأغنــام المتباعدة « انما يأكل الذئب من الغنم القاصية » •

وأنتم أيها الاخوة العرب •

خبرونى : أية دولة فيكم لهــا قوةذاتية ،و منعة عددية وحربية ، وقدرة علمية على الصعيد العالمى، كل واحدة منكم دولة صغيرة أو دويلة ، وقد باع بعضكم عزة دينه وكرامة أمته لدولة معـــادية لكل الأديان ، وليس لهــا دين الا المال والمصنع والترسانةالحربية ، وابتزاز الضعفاء والقضاء على كيانهــم الاجتماعى ومثلهم العليــا ، وليس لديها قيم تعتز بها ســـوى زرع الأحقاد بين الاخـــوة المتدينين ، واغراء أصحاب النــزوات وطلاب الزعامات ، بما يحقق رغباتهـــم وآمالهــم ، حتى اذا حققت لهــم طموحاتهم الجوفاء ، كافؤوهـــا بمراكز استراتيجيــة فى بلادهم ، لتتحكم فى أرضهم ، ولتهدد منها

---

(١) سورة الممتحنة

أولئك المؤمنيـــن الذين لا يزالون حذرين من الوقوع فى شباكها .

(درس من ليبيا)

انك لا تجد دولة أو دويلة من تلك التى استجابت لداعيها ، الا مصدر شقاء لنفسها ، ومتـــاعب لاخوتها فهى نقطة تهديد لهـم ، ومركز وثوب عليهم ، فأية فائـدة حققتها ليبيا من لياذها بالشيوعية ، لا شىء الا أن تزعمها مغرور عديم الكفاية العقلية والخلقية ، ففتح خزائن بلاده للابتزاز الشيوعى ، والصرف على اثارة الفتن بين جيرانه الأقارب والأباعد ، والبحث عـن مثيرى الفتن فى المشارق والمغارب ليصرف عليهم ، ويرضى غـــروره بأنه قادر على اثارة الفتــن فى مختلف الامم وشتى البقاع ، وأنه يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ومن عجب أن فشله المتتابع فى كل حرب شنها على جيرانه ، وهزيمته فى كل مكان ، لم تعرفه حجمـــه ، ولم تصرفه عن غروره ، فانه لا يـزال على زعم القدرة على ما يشاء ولو على حرب امريكا ، لأن المـــرتزقة الكبار والصغار يزينون له مزاعمه، وينفخون قربتـه ، الجـوفاء ، ليملؤوها من الهواء ، فهذا الأخرق المتات ان لم تدركه رحمة من الله فسيأتى على أرزاق أمته ، ويجعلها من نصيب شياطين المرتزقة .

وما أحوج شعب ليبيا العـزيز الى أمواله ، ليصرفها فى استنباط المياه من أجواف أرضه ، واستزراع وهاده ونجاده ، ليستغنوا عـــن استيراد كل أقواتهــم من خارج بلادهم ، لهذا نرجو أن يهدى الله هذا الشاب ويرده عن غـــروره ، ويبصره بمصـــالح دينه وأمته ، ويوفقه لكى يحسن الجوار مـع جيرانه ، ويطرح فكرة الزعامـة التى ستورده موارد الهـلاك أو الخبال ، ومن طلب الزعامة وهـو غير أهـل لها فلن يوفقه الله ، فان انتزعها كانت وبالا عليه ، ومـن أوتيها دون طلب لها أو كان يطلبها وهو أهل لها أعانه الله عليها .

(درس من اليمن الجنوبية)

وهذه اليمن الجنوبية ما حاجتها الى الارتماء فى أحضان الشيوعية ؟

وكيف تمكن لدولة تعادى الأديان من بلادها ؟ وهى مركز استراتيجى بين العالم الاسلامى ، وما هى المصلحة التى تعود عليها من جعلها ترسانة لأسلحة الملحدين ، ومركزا لبث الفتنة بين المؤمنين ، ومرقبا لمراقبة الدول العربية والتجسس عليها ، وموقعا لبث الرعب واخافة الدول المجاورة .

أين الاسلام فى بلادكم ياحكام اليمن ؟ لقد قتلتم العلماء ، وحاربتم المؤمنين وائتمرتم بأوامر الملحدين ، وتآمرتم على اليمن الشمالية ، وقتلتم حكامها غيلة ، أمن الاسلام ما تصنعون ؟ أمن العروبة هذه الاشواك التى تزرعون ؟ أمن الأخلاق ما تبيتون للعروبة وللمسلمين ؟ أمن الوفاء أن تكونوا عونا لأعداء الأديان على الاخوان والجيران ؟ ماذا كسبتم من مجاملة الملحدين على حساب المؤمنين ؟ أيرضيكم أن تكونوا أداة الغاصبين ، ولعنة على العرب أجمعين .

الى أى منتهى ستنتهون ؟ والى أية غاية ستصيرون ؟ انكم مهما علوتم فأنتم هالكون ، ومهما وطأتم لأنفسكم من مركز وجاه فأنتم زائلون ، وعلى ربكم تعرضون ، وعلى أعمالكم وجرائمكم محاسبون ، الى جانب ما تتركونه من سوء السيرة ولعنة التاريخ ، وستدول دولتكم ، ويأتى بعدكم من هو خير منكم : « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم . ثم لا يكونوا أمثالكم » .

ومع هذا لا يزال الوقت متسعا لتدارك ما فات ، والعودة من متاهة الفرقة ، الى رحاب التجمع والحب والوحدة ، فدعوا أعداء الله ، وعودوا نادمين الى الله ، واستغفروه يغفر لكم « قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون » (الزمر ٥٣ ــ ٥٥) .

(دول الرفض)

وأنتم يا حـكام دول الرفض ، ماذا فعلتم برفضكم ، وعـدائكم لاخوانكم وأصفيائكم ، هل حللتم برفضـكم قضية فلسطين ، واذا كان رفضكم لم يسفر عن نتيجة ، فلماذا رفضتم التعاون مـع مصر فى طلب السلام وانهاء الحرب مع اسرائيل ، هل لكم خطة غير السلام توصلكم الى القـاء اسرائيـل فى البحار ، أو قذفها بآلات الفنـــاء والدمار ، فان كان لديكم طـريق سواه فلماذا لم تسلكوه ؟

لقد أجمعتم فى مؤتمر بغـداد على مقاطعةمصر لأنها طلبت السلام ، ولكنكم لم تتبعوا تلك المقـاطعة ببيان عما ستصنعون بدون مصر ، ولم يكن لمقاطعتكم اياها أثر فى حل قضية فلسطين ، ولم يبد منكم ما يعكر صفو اسرائيل ، واذا لم يكن لمقاطعتكم مصر أثر فى ازعاج اسرائيل ، ولم تكن لكم خطة غير مسالمتها ففيم كانت مقاطعتـــكم لأختكم الـــكبرى ، التى رفعت بانتصارها فى حرب رمضانشأنكم، وأعلت فى العالمين قدركم ، ونشرت فنون العلم فى ربوعــكم ، وردت الصليبيـــن بالأمس البعيد عـن بلادكم، وهىاليوم، وحدها جاهدة فى اجلاء اليهود عن أراضيـــكم ، فماذا فعلتم بدونها ، وماذا تريدون أن تفعلوا فى المستقبل بغيرها .

ان مصر تبارك خطواتكم ، فان كانت لكم خطـة جـادة تعينها فى مسيرتها فاسلكوها ، فلن ترفض أى جهد من اخوتها يحقـق لهـا ولهم الآمال .

لقد حاربت مصر فتركتمـــوها فى الميدان وحـــدها ، وخسرت مليارات الجنيهات فلم تعوضوها ، وهلك فى سبيلكم الغر الميـامين من أبنائها فلمترحموها ، بل تفرقتم عنها وتركتموها وتنكـــرتم لها ، وقـابلتم تضحيـاتها بالدعـاوى الجوفاء ، والجعجعة الرعناء ، فى أجواز الفضاء .

لماذا تأبون الصلح والسلام أيها الاخوة المسلمـون ، ألم يصـالح النبى صلى الله عليه وسلم قريشـا صلح الحديبية ؟ ـ مـع ما كان يبدو من ظاهره أنه ليس فىمصلحة

المسلمين ـ وقد جعله الله بعد ذلك مغنما لا مغرما ، لو كانت اسرائيل وحدها لانتهينا منها فى حرب رمضان ، ولكنها مؤيدة من أمريكا حربيا وماليا وعاطفيا ، ولهذا دخلت الحرب ضدنا بعد أن شاهدت هزيمتها ، وكما أنها مؤيدة من أمريكا فهى مؤيدة من الدول التى تساير أمريكا فى سياستها أو تخشى معاداتها ، ومن الصنف الثانى روسيا الحمراء ، فانها تصوت لصالحها ، ولكنها تدفع الصغار الى اللعب بالنار ، والفناء فى مهالك الأغبياء ، ولا عليها أن تفعل ذلك مادامت تبيعهم السلاح التافه ، وتأخذ منهم أموالهم ، وتخرج لسانها فى ظهورهم سخرية بهم ، فالصلح مع اسرائيل أجدى على العرب من الاستمرار فى معاداتهم ، وكذلك فعلت مصر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية ، وهو أولى من الموقف الهزيل الذى وقفتموه بالأمس وتقفونه اليوم من اسرائيل ، انكم تعادون مصر لغير جريرة ، امتثالا لأمر السوفييت الذين يفرقون بين الأشقاء شفاء لما فى صدورهم من غل تعرفون أسبابه ، فلماذا يقف المؤمنون بعضهم من بعض موقف العداء بلا جريرة ؟

لقد جعلتم موسكو كعبة لكم ، فلا تبرمون أمرا الا بمشورتها ، ولا تنقضون أمرا الا بارادتها ، فأنتم أبواقها ودعاتها ومنفذوا أوامرها ، تلعنون من تريد أن تلعنهم ، وتمدحون من تريد أن تمدحهم ، يا للعار ، يا خير أمة أخرجت للناس ، أين أنتم من قوله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

خبرونى أيها الاخوة ، هل أنتم فى جبهة الرفض خلصاء أصفياء بعضكم لبعض صديق . هل أنتم متعاونون على الخير ، كلا فلا شىء من ذلك نراه ، فكل دولة منكم تمضغ الضريع والزقوم من شريكتها فى الرفض ، فهل يوجد أشد من ذلك غباء وصغارا ؟

لماذا تدورون فى فلك الأعداء ، ولاتطوفون حول القرآن والسنة ، لقد حرضتم دولا أخرى على معاداة مصر بأمر موسـكو ، ومن عجب أنهم قوم جبلوا على الخير ، وكان يتوقـع منهـم أن يكونوا دعـاة اتحاد ، ولكنهـم استجـابوا لتحريضكم ، حذرا من تهديدكم ، فيا للعار فى خير أمـة أخـرجت للناس •

الى صحوة اسلامية فى ختام هذا القرن

أيها المسلمـون فى أرض الله ، ان الالحاد يزحف عليـكم فى كل مكان ، وهؤلاء اخـوان لكم فى الافغان ، رمـاهم الشيـوعيون بحكام افغانيين ، بدئل السوفييت من ايمانهم كفرا ، وسلطوهم على مواطنيهم المؤمنين هناك ، فقامـوا قومة رجل واحد ، يدافعون عـن دينهم، مع قلة ذات يدهم، وضعف مواردهم ، وانا لنسـأل الله ناصر المؤمنين ان ينصرهم ، ويرد عنهـم كيد الملحدين •

والامثلة كثيرة على نشـاط الشيوعيين فى بلاد الاسلام عدوهم الأكبر ، فان لم تكونوا يدا واحدة ، وعيونا حذرة ، فسيضرب بعضكم بعضا لحساب الشيطان ، وانمـا يأكل الذئب من الغنم القاصية •

فارجعوا عن فرقتكم ، واجمعوا شملكم ، ولموا شعثكم ، ووحدوا كلمتكم ، وأصلحوا بين أخويكم ، ولينشط علماؤكم فى أداء رسـالة الاسلام وتوحيد كلمة المسلمين ، والتحذير من الشيوعيين •

أيها الاخوة العرب : أنتم كثير اذا اجتمعتم ، ولكنكم لا شىء اذا تفرقتم ، انكم حينئذ تكـونون حميلا كحميل السيل ، وغثاء كغثاء الفيضان •

ان الفرقة التى بينـكم ليست على دماء ، ولكنها فتنة من الاعداء ، وكل أمة منكم لا تغنيها مواردهـا وحدها ، ولا تستطيع أن ترد بها خصومها ، فلا بد من التجمـع والترابط ، فهذه الولايات المتحدة مع عظم قوتها ومواردها ، ليسـت واثقة وحدها ، ولا تحب أن تكون كذلك ، لما فى العزلة من المخاطر، فلذلك جمعت حولها الأصـدقاء ، وأنشأت معهـم حلف الاطلانطى ، وكـذلك فعلت روسيا ، حيـث أنشأت فى مقابله حلف وارسو •

واذا كان الأقوياء يهتمون بالتحالف والتجمع ، فما بالكم وأنتم الضعفاء لاتتجمعون ، انكم اذا اجتمعتم على حب وتعاون وايمان وتقوى ، فلن يغلبكم غالب ، وليكن اجتماعكم على سلام لجميع أهل الأرض ، فالسلامة فى الحياد وحسن التعامل مع جميع الدول .

وليكن اجتماعكم على كلمة الله وتقواه خير توديع للقرن الرابع عشر الهجرى فى عامه الأخير ، لكى تستقبلوا القرن الخامس عشر وأنتم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، أيدكم الله بروح من عنده ، وجمع فرقتكم وكبت أعداءكم ، ورفع فى العالمين لواءكم واعلموا أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، انتقل الى الرفيق الأعلى وقد أرسى قواعد التوحيد فى الجزيرة العربية ، حيث جمع الناس فيها على دين واحد ، وأمة واحدة ، يسود العدل بين قويهم وضعيفهم ، ويتجلى المجتمع الفاضل بينهم ، أمرهم جميع ، وكلمتهم واحدة ، لا طمع يفرق بينهم ، ولا حقد يشق صفوفهم ، رهبان بالليل ، فرسان بالنهار ، ان طمع فيهم طامع هبوا سراعا لتأديبه وردعه ، وان سالمهم مسالم كانوا الى السلام أسرع منه ، وبهذه النخوة والشهامة ، وقوة الايمان والحب فى الله ، والاجتماع على كلمة الله عز المسلمون وعلا شأنهم ، وخافهم الأعداء فى ديارهم ، وكانت لا ترد لهم راية ، ولا يستطيع أن يطمع فيهم طامع ، وبهذه الفضائل اتسع نطاق الاسلام ، وانتشر نوره فى العالمين .

أيها الاخوة العرب اذا لم يتيسر اجتماعكم فى حكومة واحدة كما كان ذلك فى صدر الاسلام ، فلا أقل من أن تجتمعوا على التعاون والحب وتبادل المصالح ، وترك التنابذ والحقد والبغض .

انى ادعوكم بدعاية الله : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم » ومن تنكر لكتاب الله وسنة رسوله ، ضربهم الله بالذل وسلط عليهم عدوهم ، وصدق الله اذ يقول : « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم » .

مصطفى محمد الحديدى الطير

المسلمون والقرن الخامس عشر الهجرى

دكتور رءوف شلبى

يستعد المسلمون من الآن للاحتفال ببدء القرن الخامس عشر الهجرى بعد أن مضى عليهم قرن اختلت فيه الموازين والمعايير ، ولعل حياة الامة الاسلامية فى القرن الماضى لم تسعفها للقيام بدور ايجابى نحو حياة أفضل كان القرآن الكريم قد شرعها وطبقها فى الصدر الأول .

وبالقاء نظرة فاحصة على خارطة العالم الاسلامى والمعاصر نجده يمثل طائرا له رأس وجناحان .

غاية الأمر أن واحدا من الثلاثة لا يغنى عن الآخر فى أهميته ، وفى استراتيجيته للعمل الجاد نحو الحياة الأفضل التى ينشدها المسلمون جميعا .

فالقلب : مجموعة الدول العربية فى شبه جزيرة العرب ومايجاورها على الساحل الغربى للبحر الاحمر : السعودية ، ودول الامارات ، وقطر ، والكويت ، وسوريا ، ولبنان ، ومصر ، والسودان ، والاردن ، وفلسطين ، واليمن ،

وهى بلاد قد تحررت من مساوىء الاستعمار العسكرى ، وظهرت فيها معادن وامكانات بترولية وأخرى من المواد الخام الصناعية تستطيع أن تلعب بها دورا رئيسيا فى الحركة الاسلامية .

والجناح الايمن : وهو الجناح الشرقى : وهو مجموعة دول : ايران وافغانستان ، وباكستان وماليزيا وأندونيسيا وفطانى فهو يمتد من حدود العراق الى المحيط الهادى .

ولهذا الجناح أهميته فى ارتباط الاستراتيجية العربية فى المحيط

الهندى والخليج العربى بالمحيط الهادى من ناحية أخرى فى القيمة الاقتصادية الكامنة فى هذا الجناح من حيث النفط والمعادن الكثيرة المتنوعة والهامة . وأيضا الغلات الزراعية والتوابل بشتى انواعها ، وكثافة المسلمين فى هذا الجناح ضعف كثافة المسلمين فى القلب ، وقد تحرر هذا الجناح كذلك من السطو العسكرى بكل آلوانه الشرقية والغربية .

والجناح الأيسر : أو الجناح الغربى ويشمل مجموعة دول شمال أفريقيا : ليبيا ، وتونس ، والجزائر والمغرب ، وموريتانيا وهو الجناح المواجه لدول أوربا ، وهو الجناح الذى عبرت منه الدعوة الاسلامية الى الاندلس وعدة جزر فى البحر الأبيض المتوسط ، وهو غنى كذلك بثرواته ، وكثافة السكان فيه لها أهمية فى اعزاز بناء الامة الاسلامية .

فالامة الاسلامية المعاصرة تمتد من المحيط الهادى شرقا الى المحيط الاطلنطى غربا ومن البحر الأبيض شمالا الى ما وراء المحيط الهندى جنوبا ، وتتمركز فى منطقة متوسطة تعلو خط الاستواء بين مدارى الجدى والسرطان فهو حزام الكرة الأرضية يشمل أفريقيا وآسيا وبعضا من دول أوربا ، وتطل على البحر الأبيض ، والبحر الأحمر ، والمحيط الهادى ، والمحيط الهندى ، والأطلسى وتمتلك مضايق مائية هامة :

- قناة السويس .
- باب المندب .
- مضيق ملاكا
- مضيق جبل طارق .
- البسفور والدردنيل .

فعناصر القوة فى الأمة الاسلامية مكفولة :

أ ـ جغرافيا .
ب ـ بشريا .
جـ ـ اقتصاديا .

وقد تحررت عسكريا ولكنها مازالت مهشمة منذ ألحق بها عدة فواجع :

الفاجعة الاولى : ـ

سقوط الخلافة الاسلامية ، وكان

من ألمع مظاهر سقوطها هو التمزق الذى أصاب الامة وحـولها الى دويلات ، وكان من أول أسـباب سقوطها ظهور فكرة القـوميات : تلك الأوبئة التى أثارها الصهاينـة من أجل بناء دولة اسرائيل كدولة قومية خاصة بهم .

الفاجعة الثانية :

بناء دولة اسرائيل على مسمع من القوى العـربية والاسـلامية بكلكلها الـكثيف (الضعيف) واستراتيجيتها الحساسة (المعطلة) واقتصادها الضخم (المحبوس) .

الفاجعة الثالثة :

سيطرة العلمانية على الحكم فى جميـع أنحـاء العالم الاسـلامى ومحاولة تغريب الشعب المسلم .

الفاجعة الرابعة :

ارتباك الحركة الاسـلامية فى جميع الوطن الاسلامى فيما يتعلق بوضع خطة لمواجهـة العلمانية المسيطـرة حتى أصيبت الحـركة الاسلامية بشلل كامل :

* ففى أندونيسيا : قضى على الحزب الماشومى وهو الصـورة الصادقة للنظـافة فى الحـكم الاسلامى المعاصر .

* وفى مصر والبلاد العربية : قضى على جماعة الاخوان المسلمين كتمهيد لعربدة العلمانية فى تحديد مصير القضـايا المملاة عليهـا ، والاخوان المسلمون أنصع صفحات التاريخ العربى ، وطنية ، وجهادا ، واخلاصا ، ونظاما .

* وفى الهنـد وباكستان ، حطموا الجماعة الاسلامية وهى أفقه حركة اسـلامية فى شبه القـارة الهندية ومايجاورها ، حتى لا تشب حركة فى الجنـاح الشرقى للعالم الاسلامى قد تساعد على وثبة من القلب أو من الجناح الغربى .

وينتهى القـرن الـرابع عشر الهجرى بهذه المآسى :

ـ علمانيـون يتحكمون فى مقاليد الحـكومات والعـالم الاسلامى .

ب ـ حركات اسلامية مخنوقة : أو مـوءودة ، أو متضـاربة أو متشاكسة مختلفـة على لا شىء

تناقش القشور وتتعمد نسيان اللب .

جـ ـ تسلل شيوعى الى مناطق حساسة فى جسم الامة الاسلامية مثل : عدن ، والجزائر ، وافغانستان .

د ـ ظهور نوع من التسلط والاستفزاز لبعض الاقليات الحاقدة بطبعها دون سبب شرعى أو خلقى ، أو سياسى ، بل ودون سبب دينى واضح ، أو شبه واضح .

هـ ـ زعزعة الثقة فى امكان حل صحيح لقضايا الوطن الفلسطينى دولة ، وشعبا ، أرضا ، وتراثا حضارة ، وثقافة .

ولقد استطاع الاستعمار بشتى وسائله ودوله أن يزرع اسرائيل فى وسط قلب الامة الاسلامية ليربك العرب وهم قلب العالم الاسلامى ـ فى التوصل لوضع حل لهذه القضايا .

ولقد ارتبك العرب فعلا عسكريا ، وسياسيا فى وضع استراتيجية موحدة ودائمة وممكنة التنفيذ لحل قضية الدولة الفلسطينية .. وما زالوا مرتبكين ، وسيظل الاستعمار السياسى يربك العرب حتى لا يفيقوا الى جدية العمل للدعوة الاسلامية خوفا من عودة الاسطول الاسلامى يجوب المحيطات من جديد وفوقه راية الاسلام الحنيف ترفرف بالرخاء والأمن والايمان والحرية وحقوق كرامة الانسان للناس أجمعين .

وما من شك أن الأمة العربية ثم بقية الأمة الاسلامية بما لهم من كثافة سكانية هائلة تجعل منهم أمة عسكرية من الدرجة الأولى وبما لهم من قوة اقتصادية كبيرة هى أصل للتقدم الصناعى عالميا تجعلهم فى محل القدرة على تصنيع عسكرى راق متطور فائق ، وبما لهم من قوة استراتيجية حساسة ودقيقة وهامة هى الحزام الجغرافى للقارات كلها .

العرب والامة الاسلامية بهذه الامكانات .. وبفضل الله وحوله وقوته يقدرون على صنع سياسة دولية ومحلية يحولون بها أيام القرن الخامس عشر الهجرى القادم

الى مثل أيام القرن الهجرى الاول وما ذلك على الله بعزيز •

والنظـــرة التى يجب أن يتطلع بها شباب المسلمين والمسلمـــون اليوم الى مشاهد العمل الاسلامى فى ظل القرن الخامس عشرالهجرى هى :

أولا : فىمجال التعليموالتربية : توحيد الفكر الاسلامى ، وانتزاع فتيل الخـلافات المذهبى لا سيما فى تلك الفروعيات التى لا طائل من وراء المناقشة فيها ، والتركيز على بناء الشخصية الاســلامية والتصـــدى للتيارات المعادية للاسلام•

ثانيا : فى مجال الشباب توحيد عمـل الشباب الاسـلامى بحيث يرفض جميـــع الايديولوجيات القديمة والأفــكار التى مضت وتركيز جهوده فى :

ا ــ السيطرة على القيادات فى المجال الجـامعى ، والاعـــلامى والتـربوى والاقتصـــادى ثم الشرطة •

ب ــ الالتزام بلب الاســلام فيما يتعلق :

ــ بحفظ القرآن الكريم •

ــ وحفظ السنة المطهرة •

ــ وعودة الخلافة الاسلامية •

جـ ــ وضع سياسة للتصنيــع الحربى ، وسياســـة للاتفـــاق الاقتصادى •

د ــ وضع سياسة ســـلوكية تضمن عدم المواجهة مع الحـكام العلمانيين وفى نفس الوقت تبنى قيادات شرعية عن طـريق قانونى توطئة لاقامة دويلات اســـلامية نظيفة •

هـ ــ عندما تتـكون هـــذه الدويلات الاسلامية يمكن تكوين مجلس للخـلافة الاســـلامية من رؤساء هـذه الدويلات ، وتكون رياستــه بالانتخـــاب الـدورى لمدة معينة تضمن استقرار نظـام الحكم فى الدويلات الاســلامية واستقرار الحكم فىمجلس الخلافة الاسلامية •

وعندئذ يمكن توحيد التعليم والجيش والقضاء والاقتصاد والشرطة فى دويلات الخلافة الاسلامية •

وعندئذ يمكن وضع سياسة داخلية لهذه الدويلات من حيث :
الخدمات ، والصحة ، والتنمية والرعاية الاجتماعية ، وحقوق الاقليات •

والايمان بالتبعية للخلافة •

وفى نهاية التصور والرؤية للشباب المسلم وجماعات المسلمين فان عليهم واجبا هو الاخلاص النقى ، والتوكل الصادق فى الاعتماد على نصر الله وعونه ، والغاء النظرة الشخصية للمكاسب الفردية للاشخاص والاقطار ، والغاء الحساسية القومية والنزعات العرقية واللغوية •• والله من وراء القصد ، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم • ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز •

هذا وبالله التوفيق •

دكتور / رءوف شلبى

« الصبر »

قال على ـ كرم الله وجهه ـ : لا يعدم الصبور الظفر وان طل به الزمن .

وقل ايضا : الصبر مطية ، لاتكبو وسيف لاينبو .

وقال خالد بن الوليد : ان الصبر عز ، وان الفشل عجز ، ولن النصر مع الصبر .

وقال حكيم : الضعيف الطيور قوى بصيره ، والقوى الجزع ضعيف بجزعه .

أحلامنا في محرم ١٤٠٠ هـ

للأستاذ السيد حسن قرون

ليست الهجرة من المواسم التى تنقضى معطياتها بانقضاء الاحتفال بيوم ذكـراها ، وليست الكلمات التى تلقى فى مناسبتها بالكلمات العابرة ، وليس التعبير عنها مباراة فى اظهار البراعة وسلامة المنطق ، انها فوق ذلك كله وان كان مايقال ويلقى ويمثل أيضا مفيدا ورشيدا يبين عن معالم البـذل والفـداء ، وقوة الايمان التى ترتفع بالانسان الى مواطن السماء ، فتشيـر الى العبرة من ذكراها ، واستلهام العمل من جدواها ، ورفع المسلم الـذى أسلم وجهه لله وهو محسن الى التأمل فى عطائها ، والأخذ بهداها ، فقد أقامت دولة دستورهـا قرآن منزل الى نبى مرسـل فما أن استقر النبى محمد صلى الله عليـه وسلم حتى كانـت الدولة الاســلامية بدعوتها وقضائها وجنودها وآتباعها يوحدون الله بين عـالم نسى الله فأنساه نفسه ، فارتطم بعبـادة الأوثان والطغاة من بنى الانسان .

والمسلمون فى بهجة الذكـرى يتجهون الى حلول النبى فى المدينة بين الأناشـيد والترحيب الحار ، ولا ينظرون الى خلفيتها ، ولا الى الجهاد الكبير الذى كان بمكة قبل الهجرة . لم تقم الدولة الاسلامية الفتية فجأة بين ليلة وضحاهـا ، بل سبقتها تضحيات جسام منـذ نزل قوله تعالى : « اقـرأ باسم ربك الذى خلق » ثلاثة عشر عاما من الجهاد الصادق يلفه نور الهداية من بين يديه ومن خلفه ، رسـول الله يعرض عليه الملك والسيـادة والمال فيأباه أيما اباء ، وأصحابه لا يزيدهم الاضطهاد الا اعتزازا

بالله ، ومضاء فى سبيل الله ، وتحديا للكفر وأهله ، والسادرين فى عماية الجهالة والتعظم بالآباء والأجداد ، والتقاليد الفاسدة المتوارثة ، وهان عليهم فراق الأهل والولد والوطن ، فهجر صفوة منهم مكة طلبا للأمن فى الحبشة ، ليعبدوا الله جهارا نهارا وليلا بعيدا عن الطغاة العصاة الذين لا يرعون رحما ولا اخاء ولا مودة ، وسلط العذاب على من بقى منهم ، وكتبت قريش صحيفتها الظالمة التى تمنع التعامل والتزاوج من بنى هاشم وبنى المطلب والمؤمنين ممن انحازوا الى شعب أبى طالب ، نهاية جليلة فى الاستجابة لداعى الله ، والرسول لا يفتر عن الدعوة ، ولا يركن الى أهواء قريش ، ولا الى رقة عمه أبى طالب وحدابه عليه ، وخوفه من فراق قومه ، فعرض نفسه على القبائل فى المواسم ومواطن التجمع علّه يجد قوما يهيئون له الجو ليقوم بأداء رسالات الله وقريش تتصدى له فى كل مكان يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، وأفواههم لا تبلغ من الدعوة قليلا ولا كثيرا .. تجاوبت الجزيرة العربية بما يحدث بمكة بين صاحب الدين الجديد ، وأصحاب الموروثات والتقاليد ، والناس من حولهم يسمعون أو يخبرون فيفكرون فى موقف هؤلاء وهؤلاء ومهما عارض الانسان الحق وحاربه فللحق قوته ووثبته وظهوره ، وليس أدل على قوة سنوات الجهاد بمكة من الشعر الذى يطير فى آفاق الجزيرة العربية كل مطير ، يشرق ويغرب ويأتى الشمال كما يأتى الجنوب ، انطلق الشعر من مكة ونجد ويثرب ، كان شعر أبى طالب فيه الوعد والوعيد ، والتواضع والكبرياء ، ينوه بفضل ابن أخيه ، ويعلن أنه معه فى الضراء والسراء قائلا :

لقد علموا ان ابننا لا مكذب
لدينا ، ولايعنى بقول الاباطل
فاصبح فينا (احمد) فى ارومة
تقصر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل

وأبو السلت الأوسى من يثرب يبدى رأيه فى الأحداث شعرا ، وكان يحب قريشا وله صهر فيهم ، فزوجته (أرنب بنت أسد) رهط

خديجة رضى الله عنها ، ومن شعره تلمح تعظيمه لحرمة مكة ، ونهيــه قريشا عن الحرب فيها ، ويذكرهم بفضلهم وأحلامهم ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويذكرهم بلاء الله عندهم ، ودفعه الفيل وكيده عنهم قائلا لهم :

أعيــذكم بالله من شـــر صـــنعكم
وشـــر تباغيـــكم ودس العقـــارب
متى تبعثوهـــا تبعثوهـــا ذميمـــة
هى الغول للاقصـــين او للاقـــارب
تقطع أرحـــاما وتهلـــك أمـــة
وتبــرى الســديف من سنام وغـــارب
فايـــاكم والحـــرب لا تعلقنـــكم
وحوضا وخيم الماء مــر المشـــارب

ويقول حكيم بن أمية السلمى حليف بنى أمية وقد أسلم ينهى قومه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليــه وسلم وكان فيهم شريفا مطاعا :

هل قائـل قـولا من الحـق قاعـد
عليه وهل غضـبان للرشـد سـامع ؟
وهل سـيد ترجـو العشـيرة نفعـه
لاقصى المـوالى والاقارب جـامع ؟
تبـرات الاوجـه من يلمـك الصـبا
واهجركم ما دام مـدل(١) ونـازع
واسـلم وجهى للالـه ومنـطقى
ولـو راعنـى من الصـديق روائـع

كل ذلك والرســول فى مكة يتلقى أذى قــومه صباح مساء ، ويرمونه بالشعر والسحر والكهانة والجنـــون ، وهو مظهـــر لأمر الله لا يستخفى به ، يبادلهم مايكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه اياهم على كفرهم • وضاق ذرعا بهم بعد وفاة عمه أبى طالب وزوجه خديجة ، وخذلان الطائف له وتعرض أصــحابه العائدين من الحبشة للقسوة البالغة ، والتفنــن فى الايذاء والمحاربة • فوجهه الله الى يثرب حين اهتدى جل أهلهـــا على أثر لقاءات بينــه وبينهــم على مدى ثلاث سنوات ، هنـــا أذن لأصحابه بالهجـــرة الى المدينـــة فخرجوا أرسالا ، ولم يبق فى مكة الا هو وصاحبه أبو بكر ، وعلى ابن أبى طـــالب ، ومن منـــع من ضعفاء أصحابه •

وتآمرت قـــريش على قتله ، فكشف الله لرسوله أمرهم ، وأمره بالهجرة ، فنفذها رســـول الله على أروع ما ذكره التاريخ وقد ضرب رسول الله لصحبه وأتبـــاعه وأمته

(١) المدلى : المرسل دلوه فى البئر والنازع : الجاذب لها .

مثلا عاليا فى الأخذ بالأسباب فلم يتواكل ، ويخرج مهاجرا دون احتياط وحذر ، ونحن نعلم أنه أمر عليا بأن ينام مكانه فى ليلة تنفيذ المؤامرة ويتسجى ببرده الأخضر ، واتفق مع أبى بكر على الهجرة ، وكان أبو بكر قد أعد راحلتين اختار لهما عبد الله ابن أريقط من الدئل بن بكر ليكون دليلهما فى تلك الرحلة الشاقة ، وهذا الدليل وان كان كافرا فيه صفات الرجولة والمروءة والاحتفاظ بالعهد ، وجعلا من عبد الله بن أبى بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر سبيلهما الى الأمان كان الأول عينا على قريش والثانى للرعى ، ليستفيد منهما بالأخبار وطمس المعالم بالغنم، ونفذت الخطة على أحسن حال ، وفى اليوم الثالث وافاهما ابن أريقط بالراحلتين وراحلة له وودعتهم أسماء بنت أبى بكر ، ونالت لقب ذات النطاقين ، لأنها شقت نطاقها نصفين علقت بأحدهما الطعام ، وانتطقت بالآخر ، ورحل معهم عامر بن فهيرة •• وتمت الهجرة والتقى الرسول بأنصاره والمهاجرين من قومه وغيرهم •

على أثر الهجرة العظيمة قامت تلك الدولة العظيمة ، القرآن والايمان والاخاء والمسجد سداها ولحمتها ، فنشرت النور فى الآفاق ورفعت عن الانسان الآصار والأغلال ، وكشفت عن عينه الغطاء فارتبط بالرحمن ووسائل النعيم فى قلبه وروحه وجسمه راضيا بدنياه متطلعا فى ثقة الى أخراه •

وأعطت الهجرة عطاءها ، فدخل الناس فى دين الله أفواجا حين جاء نصر الله والفتح ، وظهرت الجزيرة العربية فى ثوب قشيب من التقوى والمعرفة وأنكار الذات ، وذهبت العصبية أدراج الرياح ، وعرفت الانسانية نوعا من الحكم لا مثيل له فى العدالة والحق والايثار • وعرف المسلمون فضلها على عهد عمر فأرخوا بها ، واستمرت فى عطائها فدانت لهم البلدان ، وانتصروا على الدولتين العظميين : فارس والروم فى ذلك الزمان ، وقامت خلافة رسول الله على الحب

والاخاء والعمل لصالح الأمـــة ، فانتقلوا بها من قلة الى كثرة ومن ذلة الى عزة ، ومن فقــر الى غنى ومن رعى الغنم الى رعاية الشعوب والأمم ، فكانوا مضرب المثــل فى الحفاظ على ميزان العدل ، وجمعوا الى الهــداية العمــران ، فنشروا الحضارة شرقا وغربا دون منّ على الانسانية شأن الهداة البناة الذين لا يرجون على احسانهم جزاء ولا شكورا ، وكان المنتظر ممن عرفوا الشورى ومميزاتها التى تمــلأ النفوس بالثقة ، والتعامل الكريم بين الحاكم والمحكوم أن يطوروها ويمدوا فى أسبابهــا تبعــا لسنة التطور ، فلا تنتكس فى مسيرتها، ولا تعوق برياسة الفرد أو الأسرة ، فتستقر الديمقراطية الاسلامية على أسس ثابتة ، وأصول راسخة ، ولا جدال فى أن بنى عبد مناف من أمية وهاشم مسئولون عن تعويق المسيرة ووضع الجنادل فى طريقها •

اننا اليوم نبكى السلف الصالح على عهد الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ونحــلم بأيامهما وحكمهما والمجد الذى ارتفع بهما فقد كانا قمة فى رعاية الأمة ، وقدوة صالحة للاقتداء والاهتداء فى كل ما يتعلق بشئون الدين والسياسة، والقصص الذى دار حــول ايمان أبى بكر وعمر وسهــــرهما على مصالح الرعية ملأت كتب التاريخ والأدب ، وزهدهما فى زهرة الحياة الدنيا لا نظير له كما قالت الكتب التاريخية والأدبية ، ولأمر لا يخفى على المتأمل أن كثرة الالحاح فى الحديث عن الشيخين والكتابة فى نهجهما قديما وحديثا يمثل أحلام الشعوب فى الحياة الكريمة ، وفى المدينة الفاضلة ، وقد وجدوها فى عهد النبى وصاحبيه فهم يتوقون الى رؤياها ، وأن تعود اليهم بنضارتها وسذاجتها بعيدة عن التعقيــــد ، والحيل الملتوية أو المعتدلة ، وبعيدة عن رفع المصاحف ، واللعب بالدين فى سبيل الدنيا ، والنظــــرة الى العاجلة على أنها الأهم وما عداها يسمى صاحبها « وقذته العبادة » أو أنه يتبع « المثالية » ، أو أنه « لا بصر له بمطالب السياسة »،

وجذب الجماهير الى كثير مما حدث ويحدث على توالى العصور من الانغماس الى الأذقان فى الرذائل والخبائث ، والعبث بمصائر الشعوب .

وقد كان الشيخان يعلمان علم اليقين متاع الحياة ، وأطايب الطعام ، وجميل الهندام ، ولكنهما نأيا عن أن يذهبا طيباتهما فى هذه الحياة الدنيا ترفعا عنها ، وطلبا لما هو أسمى منها وهو نعيم الآخرة .

وانظر معى الى أبى بكر الصديق ماذا ترك بعد وفاته ؟ وكيف رضى بالفاقة بعد المال الكثير والتجارة الرابحة ؟ وضع بجانبه مملوكا عاش فى مصر على عهد (الناصر محمد ابن قلاوون) اسمه (سلار) ماذا ترك من مال حين هلك ؟ ليعذرنى القارىء اذا وازنت بين الرجلين ، فلا يقل شتان بين صاحب رسول الله وأول من أسلم من الرجال ، وثانى اثنين اذ هما فى الغار وبين مملوك اشتراه مملوك مثله ، ووضعته الظروف فى موضع السلطة ، فصار (نائب السلطنة) فى مصر زمن آل قلاوون من المماليك البحرية ، لأن الايمان لا يفرق بين عصر وعصر ، ولا بين مسلم ومسلم ، فعمل المرء يدنيه من الله ان كان خيرا ، ويبعده عنه ان كان شرا ، والشريعة فى أحكامها لا تنظر الى العصور ، وانما تنظر الى الأعمال الصالحة ، وحديث رسول الله « خير القرون قرنى ثم الذى يليه ... » لا يدفع ما نقول ، لأن قرنه شرف به ، وفى عصرنا من الظالمين من هو أقل ظلما من قتلة الحسين رضى الله عنه ، فقد بلغ من قسوتهم وشهوتهم للتنكيل أنهم مروا على جسده عشر مرات بالخيول وهو ميت ، ولم يراعوا حرمة الموت ولا قرابته القريبة ممن يحكمون بشريعته ، ويصلون عليه وعلى آله ، فالموازنة فى نظرى سليمة ، وبعد هذا العذر أجيب عن السؤالين لنرى الفرق بين الرجلين ، وهما مثالان ، ولك من التاريخ أمثلة كثيرة للزاهدين والطامعين والمثاليين والنفعيين .

قال أبو بكر لابنته عائشة بعد أن أفاق من الاغماء وهو يحتضر : يا أمه (ناداها بأمه ، لأنها زوج

الرسول وأم المؤمنين وهو واحد منهم) هـذا يوم يخلى لى عـن غطائى ، وأشاهد جزائى ، ان فرحا فدائم ، وان ترحـا فمقيم ، انى اضطلعت بأمانة هؤلاء القوم حين كان النكوص اضاعة ، والخذل تفريطا ، فشهيدى الله ما كان يقيلنى اياه ، فتعلقت بصحفتهم ، وتعللت بدرة لقحتهم ، وأقت صلاتى معهم ، لا مختالا أشرا ، ولا مـكاثرا بطرا ، لم أعد سد الجـوعة ، وورى العورة ، وقواتة القـوام ، حاضرى الله من طوى ممغص تهفو منه الأحشاء ، وتجف له الأمعـاء واضطررت الى ذلك اضطـرار المـريض الى المعيف الآجـن • فاذا مت فردى اليهم صحفتهم وعبدهم ولقحتهم (١) ورحـاهم ، ودثارة ما فوقى اتقيت بها أذى البـرد ، ودثارة ما تحتى اتقيت بهـا أذى الأرض كان حشوها قطع السعف•

هذا ما كان عنـده رده الى المسلمين ، وخرج من الدنيـا لم يترك شيئا وهو الغنى السرى الذى كان فى الجاهلية منعما ويقـوم بحمل الديات والمغارم عن قريش فأنفق كل ما له على المسلمين بشراء الأرقاء والانفاق على الغـزوات • قال الرواة : ودخل عليه عمـر فقال : يا خليفة رسول الله ، لقـد كلفت القوم بعدك تعبا ، ووليتهم نصبا ، فهيهات من شق غبـارك ، فكيف اللحاق بك ؟ يقول هـذا القول عمـر الزاهد الذى ارادته الدنيا ولم يردها كما قال عنـه معاوية بن أبى سفيان اعجابا بزهده وتحريا لما أسند اليه من مال •

هذا جوابى عما ترك أبو بكر ، أما جوابى عمـا تركه المملوك (سلار) فهو كما جاء فى بدائع الزهور لابن اياس • (سلار) من التتار واخترته من بين المماليك ، لأنه كما قال ابن اياس خيرٌ يعطف على الفقراء ، ولأنه رفض السلطنة حين عرضت عليه بعد أن خلـع الناصر محمد بن قلاوون نفسه منها للمرة الثانية وحلف بالطـلاق ثلاثا لا يقبلها ، وبقى نائبـا للسلطنـة

---

(١) ناقة كان يشرب من البانها .

احدى عشرة سنة ، ولما عاد الى السلطنة الناصر محمد بن قلاوون للمرة الثالثة خلع على (سلار) وطلب اليه البقاء فى النيابة ،ولكنه أبى وطلب من السلطان أن يعفيه منها ، وأن يقيم (بالشوبك) لأنها واقعة فى أرض اقطاعه ، فأجابه السلطان الى طلبه ، وخلع عليه خلعة السفر ، وكان (سلار) يود أن يعيش فى أملاكه آمنا مطمئنا بعيدا عن مضايق السياسة والحكم وكفاه ما هو فيه من الثروة والجاه ، ولكن الانسان يقدر وتضحك منه الأقدار .. فما هى الا أيام قلائل حتى قام بعض الأمراء بثورة على السلطان للاطاحة بحكمه ، ولكن الثورة أو المؤامرة أخفقت وقبض السلطان على المتآمرين ومن بينهم أخو (سلار) فأرسل السلطان يستدعى (سلار) وجاءه فقبض عليه وزج به فى السجن دون تحقيق أو مساءلة أو مواجهة ، والرجل معروف بالعزوف عن السلطنة وله رصيد فى رفضها حز القبض فى نفسه ، فأضرب عن الطعام ، فبعث اليه السلطان بطعام من عنده فرفضه ، فتركه السلطان للجوع ، والجوع كافر كما نقول ، فلما اشتد عليه الجوع « أكل أخفافه ... ولما بلغ السلطان ذلك رق له ، وأرسل من يقول له : ان السلطان قد رضى عليك ففرح وقام ومشى خطوات ثم وقع ميتا من شدة الجوع » هكذا يؤرخ ابن اياس . لكن ماذا ترك ؟ هكذا يجيء السؤال عن كل من هلك . شكلت لجنة لجرد ممتلكاته ، وحددت أياما للجرد ، لأن يوما واحدا لا يكفى . فماذا وجدت اللجنة ؟

اليوم الأول كان (الأحد) الموافق السادس عشر من جمادى الأولى سنة عشر وسبعمائة من الهجرة (٧١٠ هـ) : من جرد هذا اليوم صناديق افرنجى مصفحة بنحاس ضمنها فصوص ، منها فصوص ياقوت أحمر كهرمان رطلان ؛ وفصوص بلخش رطلان ونصف ، وفصوص زمر بابى عشرون رطلا ، وفصوص ألماس وعين الهر ثلثمائة قطعة ، ولؤلؤ كبير مدور كل حبة وزن مثقال مائة وخمسون حبة ،

وصناديق فيها ذهب عين مائتـــا ألف دينار ، ومن الفضة أربعمائة ألف درهم ، وواحـد وسبعـون ألف درهم .

وفى اليوم الثانى (الاثنين) وجد له من الذهب العين خمســة وخمسون ألف دينار ، ومن الفضة ألف ألف درهم ، ومن الفصوص المختلفة رطلان ، ووجد له مصوغ من ذهب ما بين خلاخيل وأساور وزن أربعة قناطير مصرى ، ووجد عنده طاسات فضة وأطباق وأهوان ذهب ، وطشوت فضة الوزن ستة قناطير .

وفى يوم (الثلاثاء) وجد له من الذهب العيـن خمســة وأربعـون ألف دينار ، ومن الفضة ثلثمائة ألف وثلاثون ألف درهم .

ووجد عنـــده طلعات فضــة للصناجق ، وقطريات فضة ثلاثــة قناطير .

وفى يوم (الاربعاء) وجد عنده من الذهب العين ألف ألف دينار ، ومن الفضة ثلثمائة ألف درهم ، وأقبية حرير عمل الدار ملون بفرو سنجاب .. العدة أربعمائة قباء ، ومن السروج الذهب مائة سرج ، وكلها بمياثر زركش على مخمل أحمر ووجد له عند صهـره (الأميـر موسى) ثمانية صنـاديق لم يعلم ما فيها ، ووجـــد له من الشقق الحرير ألف شقة ، ووصل صحبته من الكرك من الذهب العين مـائة ألف دينار ، ومن الدراهم أربعمائة ألف درهم ، ومن الخـلع الملونة ثلثمائة خلعة ، ووجد عنده مـن الخيام ست عشرة نوبة .. ووجد عنـده من الخيول ثلثمائة رأس ، ومن البغال مائة وعشرون قطارا ، ومن الجمال مائة وعشرون قطارا. قال الراوى : هذا كله خارج عما وجد له من الأمـــلاك والضياع والمعاصر والشون والمراكب والعبيد والخدم والمماليك والجوارى .. ووجد عنده من الأغنـام والأبقار ما لا يحصى ، ومن الغلال ثلثمـائة ألف اردب فى الشون .. وهـــذا الجرد موثق بخط القاضى (جمال الدين بن الغويرة) نقله الشيـخ محمد الكتبى المؤرخ وأخذه عنه

ابن اياس • كان كل هذا عندالامير (سلار) على حين كان الشعب يعانى من الضائقة المالية ، وقد فرضت عليه الضرائب ولم يتم وفاء النيل ، فقال الشاعر نصير الدين الحمامى :

ان عجل النوروز قبل الوفا
عجل للعالم صفع القفا
فقد كفى من دمعهم ما جرى
وما جرى من نيلهم ما كفى

وصنع العوام كلاما فى مثل هدا ولحنوه فلقوا الأمرين من تلحينهم وشكواهم ، ولم تمتد يد (سلار) بما عنده من المال والطعام ليعين الشعب على بلواه ، وقد ضمت هذه الأموال الى بيت المال ، ومات جائعا يقضم خفه بأسنانه ،ويعلق ابن اياس على ما سجله من هذا الجرد العجيب قائلا : « ومن العجائب أن الأمير (سلار) أقام فى نيابة السلطنة احدى عشرة سنة •• فكيف حوى هذه الأموال العظيمة فى هذه المدة اليسيرة ؟ والذى يظهر لى اما أنه كان قد ظفر بكنز من كنوز القدماء ، واما أنه كان قد أخذ هذه الأموال والتحف من خزائن بيت المال عندما توجه الملك الناصر الى الكرك • وقد كانت مفاتيح بيت المال بيد (سلار) لا يمكن منها الناصر بشىء •• » ان الرجل مكث احدى عشرة سنة نائبا عن السلطنة وكان قوى البأس مفروضا على الدولة فأخذ من بيت المال ومن الشعب فى مصر والشام ومن السلطان نفسه فى المناسبات •

فأى الرجلين أحسن حالا ومآلا أبى بكر أم (سلار) ؟ ان أبا بكر صاحب مبادىء وحامى دولة يهمه أمرها ويعنيه علو شأنها بجانب ذلك ايمانه وخوفه من الله • أما (سلار) فهو بعيد عن التربية الخلقية والاسلامية ويرى أنه صاحب الأمر وليس للشعب الا فتات الموائد ، ولو كانت لنا رقابة شعبية (مجلس شورى ؟ مابلغ (سلار) من احتجان المال وتجويع الشعب ، فاذا كان كل من جاء بعده سلك مسلكه فمعجزة ان يبقى الشعب المصرى الى اليوم على حين أن سادة المماليك ورأسهم صلاح الدين الأيوبى لم يكونوا كذلك ، بل

كانت تركة صـــلاح الدين عند وفاته أربعين درهمـــا كما سجلها الجبرتى فى تاريخه •

واليوم ونحن نذكر هذا ، وننظر حولنا فى البلاد الاسلامية مـــاذا نرى ؟ ان النظرة السطحية المتعجلة تدفعك الى اليأس دفعا ، تسيطـــر على العيون مناظر التفرق والتمزق والارتماء فى أحضـــان الاجنبى ، وترى مصـــائرهم واتجاه حياتهم مشدودة الى غيـــر آفاقهـــم ــ يستوردون الأفكار والنظم والتقاليد كما يستوردون السلاح والعطـــور والآلات الكهربية ، واذا فكـــروا أو كتبوا كانت مراجعهم من غيوم الغرب لا من صفاء سماء الشرق، وعلوم وفنون وآثار زائفة حتى اذا كل تراثنا ومخلفـــاتنا من آداب قال فيها باحث أو كاتب أو مستشرق رأيا طيبا شعرنا بالعزة وهزتنا الكلمة ثم تهدأ هدوء البحر بعد انقضاء أثر الحجر الذى ألقى فيه ، فنعود الى الغرب منوهين بما يستحدث ومن الغريب أننا نأخذ القشـــور وتترك اللباب لأن القشـــور براقة تعجب الأطفال ولا تعجب الرجال .

واذا تحدثنا عن الشورى أو كمـــا تسمى الآن الديمقراطية قام نفر منا يلبسون ثياب التقوى يقولون : ان الاسلام يعرف « أهل العقـــــد والحل » ولا يعرف رأى الرعيـــة أو الشعب كما يقال اليوم وظهرت فى الدنيا مقالات جـــديدة علينا ، فتركنا الخلافة الاسلامية أو الدولة الاسلامية أو العالم الاســـــلامى وصرنا شيعا ودولا وكتلات مثـــل الأمة العربيـــة ، أو مسلمى آسيا ومسلمى أفريقية ، وابتعدت بعض الدول عن أسمائها القديمة فصرنا نستخدم كلمة (ايران) بدل كلمة (فارس) و (باكستـــان) بدل الهند والسند ، وتغيرت مفاهيـــم الاسلام عند كل فريق ، فعنـــدنا الشيعة والسنة والوهابية والقاديانية والبهائية الى كثير مما يفـــرق ولا يجمـــع ، ويبغض ولا يحبب • ويقرأون جميعا : « انما المؤمنون اخوة » والدين رحم مقـــدم على كل الأرحام ، ولكن أتباعـــه فى خصام لا يدانيه خصام •

وتداع مذكرات تتحدث عن العروبة او الاسلام فترانا فيها ضالعين مع غيرنا محاربين لأهلنا ، ثائرين على دعاة الايمان والحالمين بعودة شعوبنا الى الاسلام . هل نيأس ؟ هل نبتئس ؟ هل نذوب فى الشعوب وتندثر لغة القرآن ؟ اننى لا أومن بحكاية أهل « العقد والحل » كما لا أومن باغفال تراثنا لأن الغرب تقدم علينا ، فحكاية أهل « الحل والعقد » (١) هى التى ألقت بجموع الرعية الى الظل ، وجعلتهم يتوارون شيئا فشيئا حتى صاروا قطعانا من الغنم ، يحسن الرعاة حينا اليها ، ويسيئون فى أغلب الأحايين اليها . بدأت حكاية أهل « العقد والحل » منذ أواخر خلافة عمر رضى الله عنه ، فقد بلغه مقالة تتصل بالدين وسياسة الدولة وكان بمكة فى موسم الحج ، فأراد الاجتماع بحجاج بيت الله ليقول لهم رأيه فيما بلغه ، ويضع لهم الحقائق أمام أعينهم واستشار عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقال : « يا أمير المؤمنين لا تفعل (١) فان الموسم يجمع رعاع الناس وغوغائهم ، وانهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم فى الناس ، وانى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك كل مطير ولا يعوها ولا يضعوها على موضعها ، فامهل حتى تقدم المدينة ، فانها دار السنة ، وتخلص بأهل الثقة وأشراف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكنا ، فيعى أهل الثقة مقالتك ، ويضعوها على مواضعها » فقال عمر : أما والله — ان شاء الله — لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة . ولما رجع الى المدينة خطب فى مسجد رسول الله فى شأن المقالة التى بلغته ، والمقالة التى بلغته تحتوى أمرين : الأول خاص بمسألة رجم المحصن والمحصنة ، والآخر خاص بخلافة أبى بكر وأنها كانت فلتة (٢) . فأى ضير على جموع المسلمين فى موسم الحج أن تعرف هذين الأمرين ؟ .. .. ولكن عبد الرحمن بن عوف جعل ذلك من شأن « أهل الثقة » وأهل الثقة يجب أن يكونوا فى

(١) حـ ٤ سيرة ابن هشام (٢) لامجال هنا لذكر ماقاله

حاضرة الدولة ، ونشـأ من هـذا الموقف أهل « العقد والحل » ، وأخـذت الفكرة تضيق وتضيق ، فأصبح أمر المسلمين حـكرا على الأسرة الحـاكمة ومن يعمـل فى خدمتهم .. وهكذا بعدنا عن قوله تعالى لنبيـه الذى لا ينطـق عن الهوى : « وشاورهم فى الأمر » « وأمرهم شـورى بينهم » ولم يخصص الله قوما بأعيانهم .. فكل المسلمين مخـاطبون بما أنزل على رسوله .

فى مطلع القرن الخامس عشر نحلم بتغيير جغرافية التفكير الاسلامى، وعودتنا الى المنبع الأول قبل أن يقول ابن عوف مقالته ويحول بين الخليفة والجماهير ليبثهم ما يجول فى رأسه ، ويشاركهـم فى ابداء الرأى ، ويضعهم معه فى الصورة.

وقد كانت الخلافة خلافة قريش كلها والمسلمين جميعا على عهـد الشيخين ، ولكن ابن عوف عفا الله عنه هو صاحب فكرة ارضاء بنى عبد مناف ، فقال لكل واحـد من أهل الشورى بعد مقتل عمر : وهم سعد والزبير وعلى عثمان وطلحة ابن عبيد الله قال لكل واحد : فى هذه المرة ، الخلافة لابنى عبـد مناف : (على أو عثمان) ، ثم خلع ما فى رقبته من شأن الخلافة ووضعه فى عنق عثمان . ومعنى ذلك عند بنى عبد مناف أنه الملك، فقام ملك بنى أمية ثم مـلك بنى هاشم (العباسيين) وضاع مبـدأ الاختيار ومبدأ الشورى ، فالخلافة وراثية ، والشورى لأهل العقـد والحل ، أو أهل الثقة على حـد تعبير ابن عـوف . فاذا تفاءلنا ، وضربنا باليأس عرض الحائط فلنعد الى أحكام القرآن فى عبـاداته ومعاملاته وشئون الحكم فيه .. لقد جربنا التنائى عن أحكام الدين والشريعة الاسلامية دهرا فلم نجد فى قوانيننا رادعا فلنجرب مـن جديد شريعتنا ، وليكن رسول الله أسوتنا فى جميع أحوالنـا سائرين على طريقة أبى بكر وعمـر فى الاتباع والارتفـاع عن مغـريات الدنيا ويومئذ نكون الاخـوة ، ونعتصم بحبل الله ولا نتفـرق فنصبح سـادة الدنيا كما كنا فى العهد الاول .

السيد حسن قرون

في مواجهة الإلحاد المعاصر :

عدم كفاية العلم في مجال المعرفة

للدكتور يحيى هاشم

(٦)

عجز العلم عن تحقيق الموضوعية أو الواقعية ..

يقول أمير بوترو :

(من المهم التمييز بين الواقعة العلمية ، والواقعة الخام) .

فالواقعة الخام من جهة مصدرها ليست الا النسيج الذى يقتطع منه العلم ـ بطريقته الخاصة ـ ما يسميه الوقائع .

أما الواقعة العلمية فانها جواب العلم عن استفسار أساسه سلسلة القوانين والفروض التى سبق أن تخيلها الذهن لشرح ظواهر من جنس واحد . اننا نقرر ونحدد وندرك الوقائع التى نسميها علمية بواسطة نظرياتنا وتعاريفنا العلمية الموجودة من قبل .

وكما صيغت النظريات بحيث تلائم الوقائع ، فان الوقائع صيغت بحيث تلائم النظريات .

فاتفاق النظريات مع الوقائع هو من بعض الوجوه اتفاق هذه النظريات مع نفسها .

وذلك لأن العقل البشرى لا يستطيع أن يعمل الا فكريا وتنطوى طريقة فعله وقد ركب من صور ومقولات معينة ، على التساؤل : أيمكن أن تمثل فى هذه الصور والمقولات الأشياء التى تقدم اليه ؟

فهو لا يعرف ولا يدرك الا بشرط حصوله من قبل على قوالب للمعرفة وللادراك .

فما هو الأصـل الأول لهـذه المعارف السابقة ؟

وما الذى تمثله وما قيمتها ؟

ان المشكلة تتجـاوز نطـاق الوقائع العلمية .

وكل ما نعرفه هـو أن معرفتنا وادراكنـا لا يمـكن أن يـكون الا ترجمة بلغتنـا للحقـائق التى تقـدم الينـا .

والوقائع كالقـوانين فى هـذا الصـدد ، بل يجب بكل تأكيـد القـول بأن الوقائع لا تعطى لنـا الا بسبب قوانين معينة ما دامت تلك الوقائع لا يمـكن ان تدرك الا اذا أرجعها الشعور الى نماذج موجودة من قبل .

ولن يتمكن العلم من التخلص من هذا الشرط العـام للمعرفة . ذلك أن العلم هـو أيضا لغـة ، ولا يمكن أن يكون الا لغـة ، بفضلها يعقل العقـل أكبر عـدد ممكن من الأشـياء ... فكيف تصنع هذه اللغة ، وأى جزء من الحقيقة هو أهل للتعبير عنهـا ؟ وبأى درجة من الأمانة ؟

هذه الأسئلة من الواضح انها محيرة ، ما دام العقل لا يمكن أن يبحث فيها الا بمعونة ، وباسم ، الأفكار السابقة ..

وما يستخلص من هذا هو أن العلم ليس أثرا تحدثه الأشياء فى عقل منفعـل ، بل مجمـوعة من العلاقات التى يتخيلها العقل : (أ) لتأويل الأشياء بواسطة مفـاهيم موجودة من قبـل يصعب عليـه ادراك أصلها (ب) ولكسب القدرة بهذه الطريقـة على استخدامها فى تحقيق أهدافه (١) .

ثم يزيد أميـل بوترو توضيحه للاواقعيـة القـوانين والفـروض العلمية فيقول : (تميل الفـروض العلمية بوجه عام الى أن تضع فى العـالم الوحـدة والبسـاطة والاتصال (٢) .

---

(١) العلم والـدين ص ١٩٥ : ١٩٦

(٢) انظر ماذكرناه عن بيوش مثلا تجريبية الهندسة.

وهذه الخصائص ليست وقائع من ثمرة الملاحظة بل انه ليعسر التوفيق بينها لأن عالمنا ما دامت كثرة أجزائه لا نهاية لها فان ترغب فى أن يكون واحدا كأنك تتطلب من كل أجزائه أن يؤثر بعضها فى بعض ، وان يتأثر بعضها ببعض مما يجر الى تعقيد لاخلاص منه . فهنا يبدو التناقض بين الوحدة والبساطة .

والأمر كذلك فى البحث عن الاتصال لأنه ابتعاد عن البساطة التى من الأفضل أن تضمنها كثرة من المقولات تتميز فيما بينها تماما .

فما هى اذن هذه الغايات التى ينشدها العلم ان لم تكن قوانين يفرضها العقل على الأشياء ؟ لأنه بمقتضى طبيعته لا يستطيع أن يتمثلها كما تعطى له بالتجربة البحتة ..) (١) .

(والعلم فى هذا الصدد كاللغات التى أحسن الأستاذ بريال القول فيها ، فذهب الى أنها ليست كائنات يوجد مبدأ وجودها وتطورها خارج العقل البشرى ؛ فعقل الانسان وذكاؤه وارادته هى وحدها العلة للغة ولا تستطيع اللغة أن تتجرد من هذا كله) (٢)

وهذا هو ما دفع كارل بيرسن الى أن يقول :

(القانون العلمى ليس كشفا لعلاقات موجودة فى طبيعة الأشياء ؛ وانما هو اختراع لهذه العلاقات) (٣) .

ويقول الدكتور هـ . ايزنك (التكوينات التى تفهم الظواهر الطبيعية فى ضوئها هى أبتكار من صنع الانسان ، واكتشاف أحد القوانين العلمية ما هو الا مجرد اكتشاف : ان احدى أفكار الانسان تصلح لتبسيط وتوحيد وفهم نوع معين من الظواهر الطبيعية ، وينبغى ألا يتبادر الى الذهن أن للقانون العلمى وجودا مستقلا بذاته عن

---

(١) العلم والدين ص ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٤

(٣) مجلة تراث الانسانية العدد ١٢ المجلد ٣ ص ٩٢٢ .

عليه أحد العلمــاء ممن أسعدهم الحظ بالصدفة ، فالقانون العلمى ليس جزءا من الطبيعة ، بل هــو سبيل الى فهمها فقط •) (١) •
ويقول برتراندرسل :

(حينما ينظر فردان من أفراد الناس الى شيء معين تحدث فروق بين ما يشهدان وفقــا للمنظــور ، وللطريقة التى يسقط بها الضوء •
وليس هنــاك من سبب يدعونا الى أن نختــار أحــد المشاهدين باعتباره يرى الشيء كما هــو فى « الواقع » •

ونحن بناء على هذا لا نستطيع أن نزعم أن الشيء الفيزيقى هــو ما يراه أى انسان • هذه حقيقــة عادية بالنسبة لعالم الفيزياء ••

على ان عالم وظائف الأعضاء لا يقــل عن عالم الفيزياء تخييبا لآمالنا • فهو يقرر على نحو واضح ان هنــاك سلسلة سببية محكمة تمتد من العين الى المخ فاذا أمكننا أن نحدث نفس الحــالة فى المخ بأسباب أخــرى غــير الأسباب العادية فانك قــد تتلقى أحساسا بصريا غير مرتبط على النحو المعتاد بالشيء الفيزيقى ولا يقتصر هــذا الأمر عــلى الاحســاس البصرى خاصة :

اذ هناك المثال المألوف للرجــل الذى يحس ألما فى ابهــام قــدمه بالــرغم مــن أن قـــدمه قــد بترت) (٢) •

ويقول الأستاذ ليــكونت دى نوى :

(ان مقياس الملاحظة من وجهة نظر الانسان هــو الذى يخــلق الظواهر • فعنــدما نغير مقيــاس الملاحظة نشاهد ظواهر أخرى •

ففى نطاق مقيــاس ملاحظاتنــا تكون حافة الموسى خطأ مستقيما أما تحت المجهر فتبدو منقطعة ، أما فى المقياس الكيميائى فان الذى أمامنا جواهر من الفحم والحديد ، وفى مقياس الجواهر يوجد أمامنا

---

(١) مشكلات على النفس ص ١٨ •

(٢) فلسفتى كيف تطورت ص ١٢٦ •

الالكترونات فى حالة أبدية تسير بسرعة عدة آلاف من الأميال فى كل ثانية ..

وجميع هذه الظواهر هى وجوه للظاهرة الاساسية .. وهى وجوه اختلفت باختلاف مقياس الملاحظة الذى نستعمله) .

ويقـــول :

(انه فى الطبيعة لا توجد عدة مقاييس ..

وانما هناك ظاهرة واحـدة ، متناسقة

ضخمة ، على مستوى لا يدركه الانسان .) (١) .

ويقول الأستاذ جورج جاموف :

(لا نستطيع الجزم بأن نتـائج القياس والمشاهدة تصف بالفعـل ما كان قـد يحـدث لو اننا لم نستخدم وسائل القياس .

فالراصد ومعداته كلاهما يصبح جزءا متكاملا مع الظـاهرة التى تدرس ، وحتى من حيث المبـدأ لا يوجد شىء مثل ظاهرة طبيعية مطلقة . وفى جميع الحالات يوجد تأثير متبادل لا يمكن تجنبه على الاطـــلاق بين الراصـــد والظاهرة .) (٢) .

ويقول لويس دى بروجلى :

(لم تعد فيزياء الكم تقـودنا الى وصـف موضـوعى للعـالم الخارجى متفـق مع المثل الاعلى للفيزياء الكلاسيكية . انها لم تعد تمدنا بشىء سـوى العـلاقة بين حالة العالم الخارجى ومعرفة كل راصـد . وهى عـلاقة أصبحت لا تعتمد على العـالم الخـارجى وحده بل وأيضا على المشاهدات والقياسات التى يجريها الراصدون .. وهكذا يفقد العـلم جزءا من طابعه الموضوعى ، اذ لم يعد العلم تأملا سلبيا لكون مثبت ، انمـا أصبح عراكا بالأيدى ينال الباحث بغيته اذ يختطف من العالم الفيزيائى الذى يود أن يتـأمله معـلومات معينة ، وهى دائما جزئية ، تسمح له بأن يتنبـأ تنبؤات ناقصـة ،

---

(١) مصير البشرية ص ٢٠ .
(٢) قصة الفيزياء ص ٣٤٤ .

ليست ـ عـلى العمـوم ـ الا « محتملة الوقوع » (١) •

(ليس هناك أدنى شك فى أن نظرياتنا العلميـة ينبغى أن ترتبط ـ بالقواعد التى يجرى عليهـا أداء عقولنا وبناء فكرنا ـ وكذلك بالتصورات التى لدينا •

ان ذلك أمـر لم يستطع أى عالم له عقل يفكر حتى ولو كان ضعيف النقد جـدا ان يتخلص منه أبدا •

ان علم الانسان بشرى ولا يمكن أبدا أن يكون غير ذلك) (٢) •

ويقول : أيضا :

(لا شـك أن وصف العـالم الفيزيائى الذى يقدمه كائن ما ، قوامه العقـلى أو أعضـاء حسه تختلف اختلافا عميقا عنا •• سوف يكون شديد الاختلاف عن وضعنا له • لقـد قيـل عـن الفـن انه « الانسان مضافا الى الطبيعة » ، ونفس التعريف ينسحب أيضا على العلم •) (٣) •

ويقول وليم جيمس :

(انه لمن البديهى ان يقـال انه ليس لنا من القـوى ما ندرك به النظام الخارجى كمـا تقـدمه لنا الحواس • فالعالم الخارجى كمـا نحس به الآن موضـوعيا هـــو مجموعة ما فيـه الآن من كائنات وحـادثات • ولسـنا نقـدر أن نفكر فى كل هذه المجموعة فهـل يمكننا أن ندرك مثـلا التقـاء أجزاء الوجود بعضها عند نقطـة معينة من الزمن ؟ فبينما أنا اتكلم الآن يزن ذباب ، ويصـيد طـائر بحرى سـمكة عند مصب نهـر الامـازون ، وتسقط شـجرة فى مجاهل ادروتداك ، ويعطس رجل فى ألمانيا ، ويمـوت حصـان فى تارتارى ، ويولـد توأمـان فى فرنسا ؟

فما معنى كل هذا ؟ هل يؤدى تقارن هذه الأشياء الزمنى بعضها مع بعض ومـع ملايين من أشياء أخرى منفصلة عنها الى ربط منطقى

---

(١) الفيـزياء والمـكروفيزيا ص ١٢٦

(٢) الفيـزياء والمـكروفيزياء ص ١٢٧ •

(٣) الفيـزياء والمـكروفيزياء ص ٨٨ : ٨٩

بينها لتكون وحدة تسمى عالما ؟ ذلك اقتران مصادق فحسب ، وهو النظام الواقعى للعالم • انه نظام لا نقدر أن نفعل نحوه شيئا الا أن نخلص منه سريعا • وكما قلت : نحن نمزقه أربا • فنمزقه الى تواريخ ، ونمزقه الى فنون وعلوم ، وعندئذ نشعر بالهدوء والطمأنينة ونمزقه الى آلاف من النظم ، وتتجاوب مع كل واحد منها متجاهلين الأخرى كأنها لا وجود لها ، ونكتشف بين جزئياتها المتعددة علاقات لم تدركها الحواس ونذهب أبعد من هذا فنعتبر قليلا منها ماهية جوهرية ثم نتجاهل الباقى • نعم هى علاقات جوهرية وأساسية ، ولكنها كذلك لغرضنا نحن ، والعلاقات الأخرى واقعية مثلها ، وغرضنا هو أن نفهم المستقبل ونعرفه • أو ليس مجرد الفهم والادراك ــ وتعرف المستقبل غايات ذاتية صرفة ؟

انه لا ييأس كل من الرجل العملى والعلمى عندما يخفق ، بل يحاول ثانية قائلا : لا بد وأن تخضع المحسات لى وأن تتحول الى ما أبغيه من أشكال ونظم • فهما يفترضان انسجاما بين الارادة وطبائع الأشياء •) [1] •

ويقول أيضا :

(ليست العلوم الطبيعية الا فصلا واحدا من أدوار الشعوذة العظمى التى تلعبها قوانا الادراكية مع نظام الوجود كما تمثله لنا الحواس •• فهى تحول ذلك المستوى الميت والاستمرار الممل فى عالم الحس الى عالم آخر فيه كثير من المفارقات الحادة ، والطبقات التى يخضع بعضها لبعض • والغرض من ذلك التحويل هو ارضاء رغباتنا وميولنا الذاتية•) [2] •

---

(١) العقل والدين ص ٨٧ ــ ٨٨

(٢) العقل والدين ص ٩٧

عجز العلم عن التفسير :

يقول الأستاذ اسماعيل مظهر :

(لم تشرق شمس القرن التاسع عشر حتى برز العلم من ثنايا الفكر الانسانى بمستكشفات راح ذوو العلم يبالغون فى قيمتها مبالغة جرتهم الى القول بأن مغاليق الوجود قد فتحت أمام العقل من طريق العلم وان الانسان لا محالة دالف بقدمه يوما الى حدود المعرفة المطلقة التى استغلقت عليه القرون الطوال وانه سوف يصل الى حل رموز الكون وأسرار الوجود فى أقرب حين .

ساد اذ ذاك الاعتقاد بأن ليس أمام الانسان من طريق يوصله الى ذلك سوى الركون الى الطريقة العلمية ..

ولا تزال هـذه الفـكرة ذات أثر كبير فى عقول بعض البـاحثين فى هذا العصر اذ طالما يسمع طلاب الفلسـفة ودارسـو الـدين بأن طريقتهم التى يعكفون عليهـا فى تفسـير حقـائق الحيـاة طريقـة « غير علمية » وان ليس لشىء فى العالم من حق الوصـول الى ذلك المدى القصى من المعـرفة سـوى المعرفة العلمية .

واذا كان القرن التاسع عشر لم يشرف على الختـام حتى ودعـه العلماء بعدة مستكشفات خطيرة فى الفيزيقـا والـكيمياء والتـاريخ الطبيعى ـ فان أعظم استكشاف وصل اليه العقل البشرى خـلال القرن التاسع عشر ـ تيقن أهـل العـلم بأن للعـلم حـدا يقف عنـده .) [1] .

ويقول الأستاذ بيتى كروزيار :

(اذا قذف الحجـر الى أعلى يعود الى الأرض .

لماذا ؟ يقول العلم :

لأن جاذبية النقل تجذبه ثانيـة الى أسفل .

هذا : كمـا لو قلت : لأن كل الأشياء الأخرى ترى تجرى عائدة الى الأرض تحت تأثير الظـروف المحيطة بذلك الحجر ولكنك اذا تساءلت : لـماذا تسقط الأشـياء أصلا ؟

---

(١) ملقى السبيل ص ١١٠ : ١١١

ولماذا يكون للجاذبية ضلع في نظام العالم ؟)

وما هي الجـاذبية ؟

لم تجد جوابا من العلم (١) •

ويقـول الأسـتاذ ادوار • ج • هيوى :

(اننـا نعـلم ما الذي تفعـله الكهرباء ، ونعـلم كيف تعمـل ذلك ••• ولكننا لا نعلم بالضبط :

لماذا تعمل الكهرباء ما تعمله ••

اننا في الحقيقة لا نعـلم ما هي الكهرباء •

اننا نستعمل الكهرباء ولكننـا لا نستطيع أن نفهمها تماما •) (٢)

ويقول برتراند رسل :

(كل ما تتيحـه لنـا الفيزياء لا يعدوا بعض المعـادلات التى تقـدم لنـا بعض مـا تتصف به تغيرات الحوادث من خواص • أما ما هي هذه التغيرات ، ومن والى أي شيء تتغـير فان الفيزياء لا تحير جوابا •) (٣) •

ويقول كارل بيرسن :

(تقتصر مهمة القانون في معناه العـلمي عـلى وصف الادراكات الحسية عن طريق اختزال ذهني • ولما كان العلم يقتصر على الوصف ولا يفسر شـيئا ، فمـن الطبيعي ألا ننتظر منه تعليلا للترتيب الذي تحـدث به هـذه الادراكات ، أو ايضـاحا لعـلة تكرار هـذا الترتيب ••) (٤) •

ومع هذا فان الالحـاد المتشح بالعـلم ينكر الدين لأنه لا يفسر كيف تقع بعض الحقائق التي يؤمن بهـا ؟ ويفضـح كروزيار هـذا الموقف المتناقض مدافعا عن الدين فيقول : فيما يلخصه عنه الأستاذ اسماعيل مظهر :

---

(١) ملقى السبيل ص ٨٤ : ٨٥

(٢) كيف تدور عجلة الحياة ص ٦٠ : ٧٢

(٣) فلسفتي ص ١١

(٤) تراث الانسانية .

(لست أجد من ضرورة تقضى على بأن أظهـــر كيف أن عقـــلا أو ارادة تكون علة للعالم .

كمـــا انى لست أعلم كيف أن دقيقة من المادة تجذب أخـــرى فى حين انها تدفعهـــا ومع ذلك فانى مقســـور عـــلى الاعتقـــاد بسنتى الجذب والدفع .

كمـــا انه ليس فى مستطاعى ان أعرف كيف يتحد العقـــل مع مادة المخ ومع نشاط دقائقه وحركتها .

ولا يمكن أن نضع موازنة بين ذلك الشيء الغـــامض المبهم الذى نسميه العقل وبين القـــوة ومادة المخ مثـــلا .

ويكفى لدى انى يجب أن أعتقد بحقيقة العلاقة الكائنة بينهمـــا . فلست أعرف مثلا كيف أن ارادتى تكون سببا دافعا لى لاحـــداث حركاتى البدنية ولكن يكفى عندى أن أعتقـــد فى حقيقـــة ان ارادتى تدفعنى عـــلى القيـــام بحـــركاتى الجسمانية .

وعلى هـــذه السنن وعلى تلك القـــاعدة ذاتها يكفى عنـــدى ان الزم الاعتقاد فى وجود الخـــالق ، من غير ان أجد نفسى مضطرا لأن أظهر كيف انه السبب فى وجـــود الأشياء وكيف انه علتها) (١)

وفى هـــذا رد ــ ليس فحسب على الالحاد الذى يشترط معرفة « كيف أو لماذا .. » لكى يؤمن ولـــكن أيضـــا ــ على الفلسفة الالهية التى أقحمت نفسها فى مجال لم تكن مضطرة اليه وهو معرفة كيف أوجد الله العالم ..؟ فوضعت نظريات ، ووقعت فى خـــلافات ، أفادت خصـــومها ، بأكثر ممـــا أفادت به قضيتها ..

ان العلم ــ والفلسفة أيضا ــ اذ يعجزان عن التفسير ، أو عن التفسير الصحيح فانه لا بد من اللجوء الى القول بالارادة الالهية .. ثم نقف .

يقول الدكتور ف.هـ. منرام :

(انك لا تجد علمـــاء الأحياء كلهم يقفون جنبا الى جنب مـــع

---

(١) ملقى السبيل ص ٨٣

نظرية التطور . فها هو ذا ا.س. رسل يرى ان علم الحياة لا غنى له عن ان يفترض وجود قوة حكيمة موجهة مقابل القول بقانون الانتخاب الطبيعى لتفسر لنا الحقائق عن ميكانيكية نمو الأنسجة والاعضاء والكائنات لا سيما حين يصيبها ضرر أو يعوق نموها عائق .

خذ مثلا قطعة من نسيج غضروفى أخذت من فقس بيضة ، ووزعت فى حوض ملاحظة زجاجى ، كيف يتسنى لها أن تعرف كيف تنمى وتشكل العقد والنتوءات الضرورية لعظمة فخذكامل الخلقة والنمو ؟

نعم كيف يتسنى للداروينية الحديثة تفسير هذه المعميات ؟

لا شك انها تقف مبهوتة ترتبح .) (١) .

(٨)

عجز العلم عن التعميم :

لا يقتصر عجز العلم على عدم قدرته على التفسير ، بل انه فى مجال الوصف الخاص به لا يمكنه أن ينتقل ـ بحسب حدود منهجه ـ من مجال الملاحظة الى مجال وضع « القواعد العامة » .

يقول الدكتور ليونيل روبى :

(ان التعميم بيان أو عبارة أو قول يتجاوز الملاحظة الفعلية الى قاعدة أو قانون يغطى الحالات الملاحظة والحالات التى لم تلاحظ بعد .

وهذا التجاوز يسمى « القفزة الاستقرائية » .

والقفزة الاستقرائية هى « قفزة فى الظلام » لأن التعميم قد لا يكون صحيحا على الرغم من أن الملاحظات التى بنى عليها التعميم صحيحة .) (٢) .

ولكى لا يتسرع البعض فيقول : وهذا تعميم أيضا فهل تثقون بصحته ؟

نقول انه لابد من التعميم ، لكن السؤال هو : هل يتم ذلك فى نطاق العلم ؟

---

(١) الاساس الجسمانى للشخصية ص ٢١٤

(٢) فن الاقناع ص ٣٧٤ .

يقول اوجست كونت :

(ان التفكير التجريبى المطلق تفكير عقيم ، بل لا يمكن تصوره على وجه الدقة ..) (١) .

ويقول فى موضع آخـر (ان المعـرفة التجريبيـة التى تقتصر اقتصارا تاما على مجرد ملاحظـة الظواهر لا أكثر ولا أقل : هـذه المعرفة ليست أقل مضـادة لروح العلم من التصوف) (٢) .

واذا كان كـونت يـرى أن الفلسفة الوضعية ستكتسب بسبب انشاء علم الاجتماع طابع العموم الذى مازال ينقصها والذى مايزال أيضا احتكارا للفلسفة اللاهوتيـة والميتافيزيقية .

فهـل يمكننـا أن نرى فى هذه الدعوة الى « التعميم » انسجاما مع مقتضيات المنهج الوضعى مهما كانت مبررات تلك الدعوة ؟

الواقع أن التعميمـات الوضعية لا يمـكن أن تخضـع للفحص التجريبى فهى خارجة عن نطـاق التجربة بهـذا الاعتبار . فليست علما بل هى لاهوت أو فلسفة ، أو اعتقاد .

والاعتذار بأن المعرفة الانسانية لا يمكن أن تقتصر على المعـرفة التجريبية البحتة : هذا الاعتذار لا يؤدى بنا الى أن نعطى العـلم وظيفة خاصـة بغـيره من الدين أو الفلسفة ، بل انه يؤدى الى أن المعرفة الانسانية لا يمكن أن تقتصر على المعرفة العلمية . وهناك فارق هام أصيل بين أن نعمم فى نطـاق العـلم وبين أن نعمم فى نطـاق العقيدة أو الفلسفة ، فان العـلم فى الحالة الاولى لا يعطينا المبررات الكافية لهذا التعميم نظرا لقصور منهجه عن القيـام بهـذه المهمة ، أما العقيدة أو الفلسفة فان لهمـا طبيعتهما الخاصة التى تبيح لهمـا تبرير ذلك « التعميم » بمالها من منهـج ايمـانى أو « ماورائى » لا يحتاج الى التجربة أو لا يقتصر عليهـا .

---

(١) السابق ص ٣٨١ .

(٢) فلسفة اوجست كونت لليفى بريل ص ٤٩

يقول الدكتور جون كيمنى :

« اننا لما كنا لا نستطيع سوى مشاهدة حقائق منفردة فاننا عندما تتحقق نفعل ذلك بالنسبة للمترتبات المنفردة لنظرية ما وليس للنظرية بالذات . » (١) .

ومن هنا كان العلم لا يستغنى عن الايمان وقد ذكرنا ذلك فى موضعه .

(٩)

عجز العلم فى مجالات علمية اخرى :
أولا — فى الفيزيقا :

ان لنا ان نشك فى صلاحية المنهج التجريبى للبحث فى عالم الطبيعة أصلا ..

وقد يبدو هذا التشكك شاذا أو غريبا ، لما هو شبيه بالمسلمات من أن عالم الطبيعة هو الميدان الأصيل للمنهج العلمى التجريبى ، الذى ترفع اليه التوسلات كى يقتصر عليه ولا يتعداه الى غيره .

لكن هذه الغرابة تزول اذا اتبهنا الىالقضية التى يقررها علم الفيزيقا الحديث القائلة بأن العلم التجريبى يعجز عجزا مطلقا عن ملاحظة الجزئى الا فى حالة شاذة من أحواله وهى حالة التصادم ، وفيما عدا ذلك فان ملاحظته مستحيلة استحالة مطلقة .

وذلك لأنه كما يقول رايشينباخ :

(من الضرورى لكى نرى جزيئا أن نضيئه ، واضاءة جزىء شىء يختلف كل الاختلاف عن اضاءة بيت ذلك لأن الشعاع الضوئى عندما يقع على جزىء يخرج به عن طريقه ، واذن فما نلاحظه صدمة ، وليس جزيئا يسير فى طريقه دون أن يعترضه شىء .

واذن لا يكون بوسعك أن تعرف ماذا كانت تفعله قبل الملاحظة .) (٢) ان هذا يعنى نتيجة فى منتهى الأهمية والخطورة :

---

(١) ص ١٤٩ الفيلسوف والعلم .

(٢) نشأة الفلسفة العلمية ص ١٦٤

هى ان المنهـج التجـريبى غير صـالح بطبيعتـه للبحث فى عالم الجزيئات • فماذا تقول اذا كان عالم الجزيئـات هـو ما يكون عـالم الفيزيقا ؟

ومـن هنـا حق لبرتراندرسـل أن يقول :

(ليس العلم وحده هو الذى يكون مستحيلا اذا نحن اكتفينـا بمعرفة ما يمكن أن يقع فى خبرتنا ، وما يمكن أن تتحقق من صـدقة فقط ، ولكن قدرا كبيرا مما لايشك أحد مخلصا فى كونه معرفة يصبح مستحيلا •) (١) •

لكن اذا كان الأمر كذلك فما الذى يدعو رسـل الى انكار الله أستنادا الي « العـلم الجـاهل » هـذا ؟

عجز العلم فى مجـال علم الحيـاة والنفس والاجتماع :

(١٠)

يقول جون كيمنى :

ان أعظم منجزات العلم يتـأتى فى الغالب ، من الطبيعة الصماء ، وحين كان الأمر يتطلب ، خـلال هذا الكتاب (٢) تقديم أمثلة عن النظريات العلمية كنت فى غالبيـة الاحيان أتجه الى الفيزياء ، منحية العلوم الأخرى • أما الآن فلابد من أن أسأل عما يستطيع العـلم قوله بالنسبة للحيـاة ، مع علمى بأننى سأجـد نفسى حالا اتخبط وسط عدد من الخلافات • غير أنه يمكننا كخطوة مبدئية أولى أن نصنف المهتمين بهذه القضية الى فئتين هما الحيـويون والآليون ، واذا نحن رجعنـا الى « قاموس الفلسفة » وجدنا تعريف الفلسفة الحيوية بأنها « المذهب القائل بأن لظاهرات الحياة طبيعـة منفـردة تجعلها مختلفة جذريا عن الظاهرات الفيزيائية الكيميائية » •

---

(١) فلسفتى ... ص ٢٣٣ .

(٢) الفيلسوف والعلم ص ٢٨١ ، ص ٢٨٢ .

ويقابل الفلسفة الحيوية مذهب الآلية البيولوجية الذى يؤكد انه يمكن تفسير جميع الظاهرات الحية بواسطة المفاهيم الفيزيائية الكيميائية دون غيرها ..

نحن ندرك ، بلا شك ، أن العلم قد حقق بعض التقدم فى دراسة الحياة لكننا نميل الى اعتبار ذلك متعلقا فى معظمه ، بأشكال الحياة الدنيا وان هذا التقدم يغدو أقل شأنا كلما تدرجنا صعودا فى سلم النشوء والارتقاء على أن هذا التقدم لا يقارن بحال من الأحوال بالانتصارات التى حققها علم الفيزياء .. وان التقييم الصحيح الموضح الحالى فى العلم أن تقول بأن الفيزياء والكيمياء عملاقان أمام البيولوجيا والعلوم الاجتماعية .

ويقول الدكتور ميخائيل كيرونسيك الأستاذ بكلية الطب بجامعة كاتشارلز .

(ان أى نموذج « باراسيكولوجى » يفسر بالأساليب التقليدية على نحو مماثل للادراك البصرى يكون قاصرا عن تفسير ظاهرة الاتصال بالتخاطر فالنموذج الوضعى يشوه الواقع فى حقيقة الأمر ولا يشمل الواقع الذى توضع فيه تلك الظواهر) .

ويقول الأستاذ الكسندر دوبروف بأكاديمية العلوم السوفيتية ..

(ان الطابع الفريد فى علم السيكوترونات الحديث يكمن فى أنه يحمل فى طياته انكار الأسس العلمية التى انبثق عنها والتى يمكن اعتباره تطورا منطقيا لها .

والحقائق العلمية المثبتة لعلم السيكوترونيات والظواهر التى يعنى بها لا يمكن تفسيرها فى نطاق الأسس التقليدية لعلوم الفيزيقا والكيمياء والبيولوجيا) (١) .

---

(١) ص ٤٠ : ٦٠ من العلم والظواهر الخارقة .

ويقول الدكتور محمـد مهران عن رسـل : انه لم يتخـل على الاطلاق عن ثنائية القوانين العلمية ولم يدع ان كل ما يمكن أن يقال فى علم النفس وقوانينه الذهنيـة يمكن ان يقال فى حدود الفيزيقا وقوانينها الفيزيقية . فهو يؤكد أن هنـاك معـرفة فى علم النفس لا يمكن مطلقا أن تكون جزءا من الفيزيقـا .

فعلم النفس متميز عن الفيزيقا والفسيولوجيا ومستقل عنهما جزئيا فكل معطيات الفيزيقـا هى أيضـا معطيات لعلم النفس الا ان العكس غير صحيح ، وهذا يعنى ان هناك معطيات لا يمـكن أن تخضـع للقـوانين الفيزيقيـة ، بل تخضع فقط للقوانين الذهنية التى يعالجها علم النفس :

ان الفيزيقا ــ فى رأى رسل ــ لا تغطى كل مناطق المعرفة الانسانية بل هناك مناطق معينة تظل بمنأى عن نفوذ الفيزيقا . (١) .

ولا يغيب عنـا محاولة أوجست كونت اقـامة العـلوم الانسانية والاجتمـاعية على نفس النسـق التجريبى المادى الذى يقوم عليـه علم الفيزيقا ، واعتباره ان هـذه المحاولة تبـدأ بوضـع « قانون الاحوال الثلاث » وقد بينا انهيار هذه المحاولة بانهيار هذا القانون .

كما بينا الاتجـاهات الحديثـة فى العلوم الاجتماعية التى استقرت عـلى التفـرقة بين النمـوذج الانسـانى ، والنمـوذج الفيزيقى أو البيولوجى أو التعليمى (٢) .

بل انه فى مجال العلم الواحـد ــ بله حملة العلوم ــ لا يستطيع العلم أن ينتظر الى أن يعرف كل شىء عن موضع بحثـه ، وذلك لأنه كما يقول برتراندرسل (انه اذا لم يكن فى وسعنا ان نعـرف شيئا ما الا اذا عرفنا كل شىء فاننا لن نستطيع أن نعـرف أى شىء على الاطلاق ولا يصـدق هـذا على الحوادث الجزئية فحسب ،

---

(١) برتراند رسـل للدكتـور محمد مهران ص ٩١ .
(٢) انظر ختام مبحثنـا عن مذهب التطور الاجتماعى .

ولكنه يصدق أيضا على القوانين التى تصل الحوادث (١)

ومن هنا يمكننا أن نقرر بصفة عامة عجز العلم عن الاثبات ، من ناحية وعجزه عن وضع نظرية دقيقة من ناحية أخرى .

ففى عجز العلم عن الاثبات : يقول الدكتور جون كيمنى :

(ان العلم يمكن له أن يؤكد بطلان بعض النظريات العامة ولو انه لا يستطيع البرهان القاطع على صحتها والواقع ان هذه القواعد تفترض تحليلا مفرطا فى البساطة الطبيعية للنظريات العلمية ، واذا تصفح القارىء (أى كتاب فى العلم فانه سوف يلاقى صعوبة فى العثور على نظريات معبر عنها بلغة الأسباب والنتائج ذلك لأن نظريات كهذه لا تكون مشوقة الا فى مراحل العلم المبكرة) (٢) .

عجز العلم عن وضع نظرية دقيقة

يقرر جون كيمنى انه بالاستناد الى مبدأ هاينزنبرج المشهور فان **هنالك حدا للدقة التى يمكن لنا أن نجمع بها معلوماتنا .**

(اننا اذا عمدنا ، مثلا الى قياس سرعة كهيرب ما بأقصى دقة ممكنة ، أى فى حدود خطأ قدره ١٠ بالمئة ، فإن تقديرنا لمكانه فى أيةلحظة سيكون على خطأ كبير ، ذلك أن الخطأ فى تقدير الموقع بالرغم من كونه ضئيلا يبلغ قدرا كبيرا من الضخامة بالنسبة لحجم للكهيرب حتى ليمكن مقارنته بخطأ فى قياسات الانسان يبلغ حوالى الميل الواحد ، وليس ثمة وسيلة بحسب مبدأ هايزنبرج لرأب هذا الصدع (٣) .

ويقول الدكتور جون كيمنى :

(وقد توصل علماء الفيزياء استنادا الى ذلك ـ الى القول باستحالة وضع النظرية الدقيقة .) (٤) .

د يحيى هاشم حسن فرغل

---

(١) فلسفتى ص ٢٤٢ .
(٢) الفيلسوف والعلم ص ١٧٤ .
(٣) الفيلسوف والعلم ص ١٢٦
(٤) الفيلسوف والعلم ص ١٢٩ : ١٣٠ .

الإسلام فى الفكر الأوربى

عرض وتحليل لمؤلفات أوربية
بقلم الدكتور محمد شامه

ـ ٥ ـ

١٠ ـ انهيار السلطة العثمانية

بدأ انهيار السلطة العثمانية من الجانب الاقتصادى ، عندما أخذت البرتغال المبادرة فى هذا المجال ، ونجحت فى تحويل مسار السفن التجارية عن طريق رأس الرجاء الصالح ، ومن هذا التاريخ بدأ كسر احتكار تجارة الحرير والتوابل فأصبحت لشبونة المركز التجارى الرئيسى لهذه البضاعة المهمة : فقضت على استراتيجية البحر الأبيض المتوسط التجارية ، التى ظلت ملازمة له فى العصر القديم والعصور الوسطى ، نعم ! ظل طريق القوافل عبر سوريا الى أوربا كما كان من قبل ، لأن البرتغاليين ـ على الرغم من حاميتهم العسكرية فى الخليج ـ لم ينجحوا فى فرض سيطرتهم على البحر الاحمر .

❋ لم تنتظر انجلترا طويلا ، فقد بحثت عن أسواق جديدة للتنك والصوف فرسمت خططها على أساس تبادل سلعها بضائع شرقية فبينما كان الوضع بالنسبة لفرنسا فى بلاط السلطان لايعود عليها بفائدة كبيرة ، نجحت انجلترا فى استمالة السلطان الفارسى الى جانبها ، فأبحرت سفنها فى الخليج ، ودخلت فى صراع مع القواعد البرتغالية فى البحرين وهرمز . وبينما بدأت سلطة البرتغال تتهاوى ، فشجعت انجلترا ، فسيطرت على طريق رأس الرجاء الصالح ، كما أخرجت البرتغال من الخليج فى منتصف القرن السابع عشر الميلادى .

❋ بدأت بواعث فرنسا تتحرك الى تكوين مستعمرات لها فى عهد « لودفيج » الرابع عشر .. ثم

يمضى المؤلف فى تناول أحداث الصراع بين انجلترا وفرنسا على المستعمرات بالتحليل ، وبيان نجاح انجلترا فى السيطرة على المناطق المجاورة لفارس ونجاح فرنسا فى غلق أبواب سوريا أمام التجارة الانجليزية .

* بينما قام مجد الدولة العثمانية بجهود سليمان الشخصى ، لم يستطع سليم الثانى أن يضيف شيئا سوى استيلاؤه على بغداد . ومن الأحداث التى اشتهر بها عهده هزيمة أسطوله عند « ليبانتو » (١) هزيمة ساحقة أمام القوات النمساوية بقيادة دون جوان ، وللأسف لم يستغل المسيحيون ـ هكذا يقول المؤلف ـ هذه الفرصة واكتفوا بفرض سيطرتهم على الجزء الغربى من البحر الأبيض المتوسط .

* لعب سوء الحالة الداخلية دورا فى اخفاق الدولة العثمانية فى المجال الخارجى فمنذ عام ١٤٠٠ م تقريبا واغتيال الأشقاء فى مجال الصراع على السلطة يكاد يكون من الأمور العادية ، فقد كان البقاء للأقوى ، ولكنهم اتفقوا فى عام ١٦١٧م على أن يلى العرش أكبر أبناء الخليفة الراحل ، فترك الخلفاء تسيير امور الدولة لوزرائهم وانشغلوا بملذاتهم من نساء وغناء ولهو . ومنذ القرن السابع عشر لم يخرج خليفة بنفسه على رأس جيشه فى أى معركة ، فوقعت الدولة تحت سيطرة الفرق الانكشارية ، التى كانت تعد أنفاس الخليفة وتتحكم فيها بواسطة براعتهم وتكاتفهم فى المجال السياسى كذلك أصبح حكام الولايات ملوكا فى ولاياتهم فكثرت الثورات ، وانتشرت الرشوة لدرجة أن سلطة الموظفين المدنيين فاقت سلطة العسكريين ، فأصبحت مصالح الشعب تحت رحمة المنافع الشخصية . ووصل الفساد الى ذروته فى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى .

١) « ليبانتو » : مدينة فى اليونا على خليج « ليبانت » .

* نشـــط الوزراء مــن آل « كوبرولو » (١) فبسطوا سلطانهم على المجال السياسى بعد مـــوت ســـليمان حتى ابرام معاهـــدة « كارلوفيتس » فى عام ١٦٩٩م ، ويرجع الفضل اليهم فى مــكاسب الدولة فى جزيرة كريت ، وغــرز « پودوليا » (٢) فى عام ١٦٧٢م ، كذلك بذلوا جهــودا محمودة فى المجال العسكرى ، ولكن لم يمكنهم هذا من وقف تدهور الدولة ..

وبعد أن يسرد المؤلف أحداث حصار فيينا ، ونجاح الاوربيين فى فكه يقول : « ومنذ ذلك التاريخ تتحكم البلاد القريبة فى سيــر الاحــداث فى المجالين : السياسى والعسكرى فقبل سبعة عشر عامــا من حصار فيينا ، وصلت الدولة الى ذروتها فى التوســع الاقليمى وذلك عندما أجبرت بولنــدا على التنازل عن « پودوليــا » ولكنها أدركت أنهــا بدأت فى التقلص .

وبعد فك حصار فيينا أصبح المدافع مهاجما ، اذ كونت النمسا وبولندا وفينيسيا حلفا ضــد العثمانيين ، فاستطاعوا بعد موقعة «موهاكس» فى عام ١٦٨٧ م تحرير المجــر ، ثم استولوا على بلجـــراد فى ٦ سبتمبر ١٦٨٨ م ، وهاجمـــوا « نيس » فأخذوها فى عام ١٦٨٩م وكانت هزيمــة الأتراك ساحقة فى عام ١٦٩٧م لدرجــة أنهم وسطوا

---

١) « كوبرولو » : اسرة تركية ، تولى عدد منهــا منصب الوزارة فى الدولة العثمانية : محمد : (١٥٨٣ ــ ١٦٦١ م) مؤسس العائلة ، ارتفع من خدمة المطبخ الشـــاهمانى الى الصدارة العظمى بعد تعاقب الوزراء وانتشار الفســاد . خدم الدولة بنزاهة ونشاط ، وقمع التعصب ، ورد الى الحكم هيبته .

فاضل احمد : (١٦٣٥ ــ ١٦٧٦ م) ابن محمــد وخلفــه ، جمع فى استامبول : مكتبة ، اشتهرت باسم « كوبرولو » فتح مدنا فى المجر واقريطش ، وجدد الامتيازات الفرنسية .

مصطفى : (١٦٣٧ ــ ١٦٩١ م) ابن محمد ، تسلم الصدارة (١٦٨٨م) ، فأصلح المالية ، وفتح بلجراد . قتل فى الحرب .

حسين : ابن أخى محمد ، تولى الوزارة من ١٦٩١ ــ ١٧٠٢ م عقــد معاهدة كارلوفتس فى عام ١٦٩٩م

٢) پودوليا » : ولاية فى غرب اوكرانيا ، خضعت للحكم التركى من عام ١٦٧١ م حتى ابرام معاهدة (كارلوفيتس فى عام ١٦٩٩ م) .

انجلترا وهولندا فى عقد معاهدة صلح ، فأبرمت معاهدة « كارلوفيتس » فى عام ١٦٩٩م ، فأكدت للنمساويين والبولنديين والسلافيين والروس أيضا ضعف تركيا فتحفزوا جميعا لاستغلال هذا الضعف .

١١ ـ الضغط الروسى :

* اندلع النزاع بعد توقيع معاهدة « كارلوفيتس » بين حاكم المجر « فرانس فون راكوكس» والنمسا ولم يستطع أحمد الثالث تقديم اية مساعدة له . ولم يتخذ نفس الموقف مع كارل الثانى عشر ملك السويد ـ الذى وجد ملجأ حصينا عند العثمانيين بعد هزيمته أمام الروس فى موقعة « پولتاو » ـ فقدم له مساعدة مكنته من هزيمة القيصر عند « بروث » لكن رشوة الصدر الأعظم انقذت روسيا من توقيع معاهدة سلام مهينة .

* حالف الحظ العثمانيين فاستطاعوا استرداد بعض مناطق من الفينيسيين لكن حلفاءهم النمسويين ساعدوهم على انزال الهزيمة بالجيش العثمانى .. ويمضى المؤلف فى سرد أحداث الحروب والمعاهدات التى أبرمت فى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى ، ومحاولة العثمانيين اصلاح الجيش بواسطة الاستعانة بالخبرة الفرنسية وظهور النزعة القومية ، ورد الفعل المضاد من العثمانيين باحياء العاطفة الدينية على أساس حماية مركز الخليفة الدينى ، وتقوية الروح الاسلامية فى المجتمع فأدى ذلك الى نوع من الترابط فى مواجهة الرعايا غير المسلمين ، وخاصة اليونانيين وبهذا اكتسبت المجالات السياسية والعسكرية طابعا دينيا .

* أعجب مصطفى الثالث الذى تولى الحكم فى عام ١٧٥٧ م بـ « فردريك الأكبر » فاتخذ واقعيته نموذجا له ، غير أن الروس فى عهد « كاترينا الثانية » أفسدوا خططه ، اذ تسبب ادعاؤهم بأن لهم الحق بالتدخل لحماية المسيحيين الأرثوذكس ـ ليس

فقط فى البلقان ، بل فى داخــل تركيا أيضا ــ فى اندلاع حــرب مع الدولة العثمانية ، استمرت من عـــام ١٧٦٨ ــ الى ١٧٧٤ م ، ففقدت فيها تركيا أسطولها كمـا خرجت شبه جزيرة القرم (١) من تحت سيطرتها ، وهكذا انفصلت منطقة اسلامية ــ طبقا لمعاهـــدة « كوتشك » ــ عــن السلطـــة العثمانية ، مع بقاء زعامة الخليفة الروحية لســكانها ، الا أن روسيا أعلنت فى عام ١٧٨٣ م أن القــرم جزء لا يتجزأ من المملكة الروسية، ولا يجوز لأحد التدخل فى شئونها اطلاقا . وبذلك فقد الخليفة حقــه فى ممارسة زعـــامته الروحيــة لسكانها . ثم انتــزعت روســيا لنفسها الحق فى أن تبحر سفنهــا فى البحر الأسود ، وان كانت تركيا قد استطاعت فيما بعد أن تستــرد حقها فى الرقابة على حركة الملاحة، كذلك تسبب هجوم النمسا وروسيا على تركيا أثر نزاع على الحــدود فى القـــوقاز فى القضـــاء على الأسطول التركى فى عام ١٧٨٨م وأجبــر المسلمون فى عام ١٧٩٢م على الاعتراف فى معاهدة « ياسا » بـ « ستر » كخط للحدود .

❋ أضعفت الهزائم المتتالية مركز تركيا فى مجال السياسة الخارجية والداخلية فلم تستطع وقف تقهقرها من مناطق البحر الأبيض المتوسط، التى انتهى بخروج مصر من دائرة سلطانها . ويرجع صمودها طويلا فى هذا الوضع الى النــزاع الذى كان قائمــا بين القــوى العظمى (انجــلترا وروسيا وفرنسا ، اذ كانت مشاكل الدردنيــل وقنــاة السويس سببا فى ظهور ما يسمى بـ « المسألة الشرقية » على مسرح السياسة الدولية وهى من المشاكل التى كانت تهم أوربا بالدرجــة الأولى ، ومن هنــا كانت السياسة الأوربية مهتمــة بخلق توازن بين القوى ، لمنع روسيا من ارث تركيا فى حالة انهيارها انهيارا كليا ، وعليه فقد التزمت بالمحافظة على بقاء تركيا أكبر وقت ممكن ، وتضمنت خطتها

١) القرم : شـــبه جزيرة تقع بالقرب من شاطىء البحر الاسود .

ألا تسمح بتفككها الا فى حالة ضمان توزيعها بالتساوى ، لكن هجوم نابليون على مصر حول اهتمام انجلترا نحو مصر ، فشغلها عن مراقبة الضغط الروسى لعدة أعوام تالية .

* * *

١٢ ــ طريق مصر الى الاستقلال :

* كان المقصود من الحملة الفرنسية التى نجحت الى حد ما قطع طريق انجلترا الى الهند ، فبضائع الهند كانت تنقل عبر البحر حتى السويس ، ثم تنقل برا الى البحر الأبيض المتوسط ، ثم تنقلها السفن الى أوربا ، فأرادت فرنسا ــ وهى المنافس الرئيسى لانجلترا فى مجال التجارة الدولية ــ مضايقتها ، فأرسلت حملة الى مصر بقيادة نابليون لأنه لم يكن من الممكن ــ فى مجال الصراع الدولى ــ أن تشن حربا على الجزيرة البريطانية . لم تحرز هذه الحملة نصرا عسكريا ــ باستثناء معركة غرب القاهرة عند سفوح الأهرامات ــ ولكنها وضعت أساسا لتوطيد العلاقة الفرنسية مع مصر . لم تمكث القوات الفرنسية فى مصر طويلا ، فقد أجبرتها قوات تركية بقيادة ابن السلطان سليم الثالث على الجلاء عنها فى عام ١٨٠١م ، ويرجع الفضل فى نجاح القوات التركية فى مصر الى ضابط ألبانى اسمه محمد على ، رقى فيما بعد الى رتبة جنرال تقديرا لجهوده العسكرية .

* استطاع محمد على أن يطغى على نفوذ الباشا ، الذى عينه السلطان واليا على مصر ، فنصب نفسه حاكما على جنوب مصر ، ووافق أصحاب الرأى فى القاهرة على توليته هذا المنصب . وفى عام ١٨٠٦ م بسط نفوذه على القطر المصرى كله ، فعينه السلطان واليا عليه .

* أحرزت الدبلوماسية الفرنسية أول نصر لها فى هذه الفترة اذ نجح رسول نابليون فى اقناع تركيا بالخروج من التحالف مع انجلترا وروسيا ، فنتج عن ذلك قيام حرب بينها وبين روسيا ،

ساعدت فيها انجلترا روسيا ، وذلك بانزال كتيبة على شاطىء مصر فى عام ١٨٠٧م ولـكن محمـد على انتصر عليهم وردهم على أعقابهم، كان لهذه الحملة آثار بعيدة المدى فى رسم طريق المستقبل لمصر ، اذ لم يستحسن المماليك ازدياد نفوذ محمد على بعـد انتصـاره على انجلترا ، كذلك لم يغفر هـو لهم محـاولة استغـلال الموقف لصالحهم أثنـاء المحـاورات مع انجلترا ، فدبر لهم مذبحة وتخلص منهم نهائيا ثم اتجه الى بناء الدولة متخذا الطراز الفـرنسى نموذجـا له ، وكان اهتمامه فى هذا المجال مركزا على بنـاء جيش وأسطول والنهوض بمصر لتلحـق بالحضارة الأوربية . ولكن المبادرة تركزت فيما بعد على تحقيـق مصـالح شخصية ، فتحولت الى دكتاتورية قاسية عانى منها الشعب ـ وخاصة الفلاحون ـ معاناة لا حدود لها ، فقد كانت كل المشروعات الاصلاحية ـ بما فيها المدارس والمصانع ـ موجهة لبناء القوات المسلحة فقط ، لأن هدف محمد على كان الاستقلال عن تركيـا ، وان تظـاهر بالولاء والطاعة للسلطان .

* تركز اهتمام محمد على باشا على النجاح فى العمليات العسكرية، لأنه رأى أنها طريقه الى المجد ، والى امكانية استقلاله بمصر عـن تركيا ، ولذا لم يتأخر فى تلبيـة طلب السلطـان منه اخضـاع الوهابيين .. ويمضى المؤلف فى بيان :

رأى الوهـابيين فى الاصلاح ونجاحهم العسكرى ثم هزيمتهـم أمـام قوات محمد على . وقيام الثـورات فى البلقان ، وارسـال محمد على ابنه ابراهيم ـ بنـاء على طلب السـلطان ـ على رأس جيش مصرى الى اليونان ، فاستولى على « ميسولونجى » على خليـج « كورنث » فى عام ١٨٢٦م ثم سقطت « اكروبوليس » فى عـام ١٨٢٧م فقـررت انجلترا وفرنسا وروسيا فى معاهدة لندن مساعدة اليـونان ، فأرسـلوا انذارا الى محمـد على بسحب قـواته فلم

يستجب ، فضربوا أسطوله فى موقعة « نوارين » ثم وافق فى ٨ أغسطس سنة ١٨٢٨م على الانسحاب من اليونان • وفى بروتوكول لندن عام ١٨٢٩م ، أعلنت القوى الاوربية العظمى استقلال اليونان عن تركيا ، ولكن لم تعترف تركيا بهذا الاستقلال الا فى معاهدة « ادريانوبل » •

* لم يف السلطان بوعده لمحمد على باعطائه سوريا مكافأة له على اشتراكه فى الحرب ، فجرد حملة استولى بها على عكا ودمشق وحلب ، ثم ضرب الجيش التركى ضربة قاصمة عند قونيا فى عام ١٨٣٢ م فتحركت الدبلوماسية الانجليزية والفرنسية ـ بدافع من خوفها من وصول روسيا الى المضايق بعد أن رسى الاسطول الروسى فى القسطنطينية ـ لحماية السلطان ـ فتوصلت الى اجلاء محمد على عن سوريا وانسحاب الروس من القسطنطينية •

* وثق محمد على بالسياسة الفرنسية ، فاقتربت انجلترا من السلطان ، وعندما وصل محمد على عام ١٨٣٨/٣٧م الى الخليج ، سارعت انجلترا باحتلال عدن لمنعه من مواصلة التوسع •• ثم بعد فشله فى محاولة استرداد سوريا قرر مؤتمر لندن الذى اشتركت فيه انجلترا وروسيا وبروسيا أن يكون الحكم فى مصر لأبناء محمد على يرثونه من بعده ، وفى مقابل هذا ينسحب محمد على من جزيرة كريت ومن سوريا ومكة والمدينة وبهذا انفصلت مصر عن تركيا عمليا وان ظلت تبعيتها للسلطان اسمية لا أثر لها •

* * *

١٣ ـ الرجل المريض عند البوسفور :

* استطاع الوزير رشيد باشا أن يقنع السلطان عبد المجيد بمواصلة تنفيذ البرامج الاصلاحية ، التى بدأها أبوه محمود الثانى • فقد استعان محمود بخبراء عسكريين من بروسيا لاصلاح الجيش • كما اتخذ النظام الأوربى نموذجا له فى الاصلاح الادارى •

واصل عبد المجيد دفع عجلة الاصلاح ، وتبنى الأفكار الليبرالية فأصدر مرسوما نال بمقتضاه الشعب حقه فى الحرية والملكية ، كما وضع خططا اصلاحية ضخمة فى مجال القضاء والتعليم والرعاية الصحية ، ولكن لم يكن لهذه السياسة صدى فى أوربا فقد تأخر الاعتراف بمماثلة تركيا للقوى الأوربية ، اذ كان يُنظر اليها فى هذه الحقبة على أنها الرجل المريض عند البوسفور . فعندما زار القيصر « نيكولاوس الأول » انجلترا فى عام ١٨٤٤ م تناولت المباحثات الاجراءات المشتركة التى يجب اتخاذها فى حالة الانهيار السياسى لتركيا فى المستقبل القريب .

* واتت الرجل المريض — الذى حفرت قطع أوصال مملكته جروحا عميقة فى جسمه فتسببت فى نزيف داخلى حاد — فرصة لتضميد بعض جراحه ، وكان ذلك بعد الانتهاء من حرب القرم . بدت ملامح هذه الفرصة ، عندما طلبت روسيا منحها حق ممارسة زعامتها للمسيحيين الأرثوذكس ، المقيمين داخل الدولة العثمانية . فرفضت تركيا وأيدتها انجلترا فى هذا الرفض . فتحركت روسيا وفرضت حمايتها على ادارة الدانوب فأعلنت تركيا الحرب ضد روسيا ، وساعدتها فى هذه المرة انجلترا وفرنسا اذ حرس اسطولهما الشواطىء التركية فأمن حركة التجارة فى البحر الأسود . ثم عقدت معاهدة باريس فى عام ١٨٥٦ م ، ونص فيها على التزام القوى العظمى بعدم الاعتداء على تركيا ، وتحييد البحر الأسود وانهاء الحماية الروسية على امارة الدانوب ، كما اعترفوا فى المعاهدة بسيادة تركيا على « فولدافيا » و « فالاخيا » و « الصرب » فنجت تركيا مرة أخرى من التقسيم بسبب الاختلاف بين القوى العظمى على تقسيم تركة الرجل المريض .

* شعرت الدولة العثمانية ، بفضل أوربا عليها ، فازداد اقترابها فى سياستها الداخلية من النموذج الاوربى الليبرالى ، فصدر دستور

١٨٥٦ م الذى سوى فيه بين المواطنين ـ بما فيهم المسيحيين ـ فى الحقوق المدنية ، وكفل حرية الأديان .. وقضى على التفرقة فى كل المجالات المهنية والوظيفية سواء كانت عنصرية ، أو طائفية ، فليس هناك سوى عثمانى فقط ، وبهذا انتهى ـ رسميا ـ عهد اضطهاد الطوائف الأخرى كما سمح للأجانب بالحيازة الملكية .

* أدت الحروب وبرامج الاصلاح ـ بالاضافة الى تفشى الرشوة بشكل مخيف ، لا يتوقف عن الانتشار فى المجتمع والى بذخ السلطان ـ الى وقوع تركيا فى عام ١٨٧٤م فى أزمة مالية عصيبة .

* وتسببت الثورات فى البلقان فى اقلاق مضاجع الأتراك ، فاستعملوا أسلوبا قاسيا معهم ، أثار حفيظة زعيم المعارضة فى انجلترا ، فطالب بطرد الأتراك من المناطق الأوربية .

* تطورت الأحداث الى أن عقد مؤتمر برلين فى عام ١٨٧٨ م فحصلت فيه انجلترا رسميا على قبرص ، واستقل شمال بلغاريا فأصبح امارة ذات سيادة واعترف باستقلال منطقة الجبل الأسود (موتتنجرو Montenegro) وضمت اليونان مناطق جديدة الى ادارتها ، كما أخذت روسيا ولاية «بسارابيا» من رومانيا فى مقابل أن تحصل رومانيا على « دوبروجيا » الخ .. لقد خطت أوربا فى تقسيم تركة الرجل المريض خطوات نحو الأمام ولكن لم تخرج تركيا من كل مناطق البلقان ، ومن هنا استمرت القلاقل التى تدفع القوى العظمى المتنازعة الى وضع خطة .

* * *

١٤ ـ مصر على الطريق البحرى الانجليزى :

* وقعت مصر فى أزمة مالية بسبب المشروعات الاصلاحية المتعددة ، والتدخل فى منطقة البحر الأحمر والسودان ، ولم يجد الخديوى مخرجا منها سوى بيع أسهم الدولة فى شركة قناة السويس لانجلترا ، وبهذا ازداد نفوذها فى البلاط الخديوى ،

فأرسلت هى وفرنسا هيئــة رقابة مالية الى مصر لمــراقبة الميزانية ، ثم عين وزيران : أحدهما انجليزى والآخر فــرنسى فى وزارة نوبار باشا ، ولكن حين اشتد ضغـــط التيار القـــومى عزل السلطان الخديوى لعدم استطاعته التصدى للتدخل الانجليـــزى والفــرنسى تطورت الأحداث بعد ذلك ، فثار الجيش ضد الخـديوى وأجبره على تعيين وزارة محمود ســامى التى كان أعضاؤها واقعـين تحت تأثير الأفغانى الذى يعتبر الآن الأب الروحى للحركات الوطنية ، فتدخلت انجلترا بحجة حماية الخـديوى ، وأدى هذا التدخل الى احتـلال انجلترا لمصر فى عام ١٨٨٢م وبهذا خرجت مصر من محيط التأثيـــر الفــرنسى ودخلت فى دائرة النفوذ الانجليزى .

وهكذا ازداد التفتت فى أجـزاء الدولة العثمانية ، فقبل هذا بعام واحـــد ــ أى فى عام ١٨٨١م ــ دخلت تونس فى دائرة النفـــوذ الفرنسى .

١٥ ــ المهدى لعبـــة صغيرة بين الاحداث الكبرى :

نستقر الأحوال أيضـــا فى السودان منذ حركتها طائفة دينية بقيادة الدرويش محمد بن عبد الله فى عام ١٨٧٠ م . فقد منع المهدى أتباعه من ممارسة كل ما يخـالف تعاليمه فى مجال العقيدة ، وحرم عليهم ، التدخين ، وشرب الخمر ، كما تصدى لمحاربة التدخل الأجنبى بجميع صـــوره ، وفى عام ١٨٨١م أعلن الجهاد وزحف بجيشه حتى وصل الخرطوم حيث وقع الحـاكم البريطانى « جوردون » قتيــــلا بسيوف أتباعه . وفى عهـــد خليفة المهـــدى هاجم أتباعه الحبشة ، ولكن « اللورد كيتشنر » استطاع فى عام ١٨٩٨م التغلب على هؤلاء . « الأعداء المتعصبين » ــ هكذا يقول المؤلف ــ ويقضى على المملكة المهدية قضاء نهائيا .

١٦ ــ المبادرة الالمانية لانشاء الخط الحديدى :

* وجد السلطان نفسه فى موقف حرج ، فكلما انتشرت القلاقل فى المملكة ازداد خوفه :

من تدبير المؤامرات ضد الدولة .

ومن تضييق الدائرة عليه داخل مقر حكمه .

ومن ارتفاع معدل الاتفاق على أجهزة النظام البوليسية .

ولكى يضمن الاستمـــرار فى السيطرة ، فقد رغب فى توسيـــع شبكة المواصـــلات حتى يتمـــكن من احكام الرقابة على كل أجـــزاء الدولة ، فاختـــار مهندسين ألمانيين للقيام بهذا العمل ، ولم يكن هذا الاختيار عشوائيا ، فهو لم يثق فى الانجليز بعد استيلائهم على قبرص وموقفهم العدائى فى مصر . ولذا فضل الاستعانة بالألمان .

* ازداد التـــأثير الألمانى فى المملكة دون أن يحرك ذلك شكا عند البريطانيين ، اذ قدم الألمان مساعدة لتركيا فى بناء الخط الحديدى فى البلقان ، وأرسلوا فى عام ١٨٨٣م بعثة عسكرية الى تركيا ، وعقدوا معاهدة تجـــارية فى عام ١٨٨٩م ، كمـــا حصلوا فى عام ١٨٨٨م على اذن بتوصيل الخط الحديدى حتى أنقرة . دفعت انتصارات الألمان على فرنسا فى عام ٧٠/١٨٧١م السلطان منح الشركة الألمانية عقدا لبناء خط بغداد وقبل نهاية القرن بقليل وقع عقد لتوصيل الخط الحديدى الى حلب عن طريق « قونيا » .

* لم تتحرك انجلترا الا عندما حاولت الحكومة الألمانية الحصول على اذن من شيخ الكويت بتوصيل الخط حتى الخليج . وبناء ميـــناء عليه ، فقام أسطولها بمظاهرة حربية فى الخليج ، لكن المفاوضات طالت وتعسرت الى أن وافقت انجلتـــرا على مد الخط حتى البصرة ، كذلك اصطدم مشروع بناء خط الحجاز بمعارضة انجلترا .

* أفسد الاهتمـــام الألمـــانى ـ الذى لم يعرف أحد ما يخفى وراءه ـ سياسة التوازن فى الشرق لأن خطوط المواصـــلات ساعدت تركيا على ارسال قواتها للدفاع عن سيادتها فى المناطق الثائرة . كان هدف السياسة الالمانية وضـــع اسفين بين القـــوى العظمى ..

للحصول على ما يمكن الوصـول اليه ، ومن مكاسب هذه السياسة قيام صداقة متينة بين تركيا وألمانيا، تلك الصداقة هى التى دفعت تركيا الى دخول الحـرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا بمجرد اندلاعها .

* * *

١٧ ــ استيلاء الشباب التركى على الحكم :

* ارتفعت الاصوات فى المملكة مطالبة بعودة الدستور الذى وضع مسودته مدحت باشا فى عام ١٨٧٦م وتحت ضغط الاضطهاد تكونـت لجان سرية فى كل مـكان داخـل الأراضى التركيـة ، وبين المنفيين خارجها ، وانضم اليها تدريجيـا بعض أفراد مـن الجيش ، وكان هدف هذه اللجان :

ــ الاصـــلاح طبقا للنموذج الأوربى .

ــ الحفـاظ على وحدة الدولة العثمانية

* اشتــد غضب أعضــاء هـــذه اللجــان من تدخـــل الأوربيين فى مقدونيـا ، فقـاموا بأول ثـورة لهـــم ، وكان ذلك فى ٥ يوليـو سنة ١٩٠٨ ، وفى نهاية الشهر أعلنوا فى سالونيكى عودة الدستـــور ، واحتـــلوا القسطنطينية ، فاضطـر السلطان الى الاذعان لمطالبهم .

* كانت أغلبيــة البرلمان الذى افتتح فى ديسمبر من نفس العام من الشباب التركى ، غير أن الدعوة الى الوحدة الاســلامية التى نادى بها السلطان وجدت أيضا لها بين المحـافظين انصـارا . فاستطاع السلطان أن يوجه ضربة الى الشباب التركى ، ولكن الجيش زحف من مقدونيا على القسطنطينيـة فخلع السلطان ، وعين أخـاه محمـــد الخامس مكانه .

* وافقت الأحزاب الليبرالية على أن يكون للسلطان الحق فى تعيين كبير الوزراء واختيار الوزراء الذين يتحملون المسئولية أمام البرلمان ، ولكن ليس للسلطان الحق فى حل هذا البرلمان .

❊ ولكن لم تستطع الحكومة الجديدة أن تمنع انهيار المملكة العثمانية .

١٨ ـ الحرب العالمية الاولى :

❊ لم تتردد تركيا فى الدخول فى الحرب بجانب المانيا ، وفشلت جهود الحلفاء فى حملها على اتخاذ موقف حيادى ، كما ضاعت أيضا جهود السلطان فى حمل العالم الاسلامى على الوقوف بجانبه عن طريق محاولة اقناع المسلمين بأنها جهاد فى سبيل الله لحماية الدولة الاسلامية ، اذ انتهز العرب هذه الفرصة للتخلص من سيطرة الحكم التركى عليها وكان هدفهم قيام دولة عربية ، فنسوا فى سبيل الحصول على هذا الهدف كل الروابط الدينية التى تربطهم بتركيا ، فاشتركت قواتهم ـ بجانب القوات الانجليزية ـ فى محاربة اخوانهم فى العقيدة .. ويمضى المؤلف فى سرد أحداث القتال فى جبهات عدة مبينا نشاط الشريف حسين و « لورانس » والوهابيين واستيلاء « أللنبى » على فلسطين ووعد «بلفور» بانشاء وطن قومى لليهود ، كما وضح أن القوات التركية اثبتت جدارتها فى القتال ، فقد ألحقت بطارية الجيش التركى الهزيمة بالأسطول الفرنسى الانجليزى عند هجومهما على الدردنيل فى عام ١٩١٥ ، وأرغمتهما على التقهقر ، كما فشلت محاولة البريطانيين لانزال قواتهم فى « جاليولى » ، ويرجع الفضل فى ذلك الى براعة مصطفى كمال العسكرية .

❊ عقدت محادثات فى أبريل سنة ١٩١٦م بين انجلترا وفرنسا وروسيا ، فكان من بين بنود الاتفاق السماح لروسيا ـ بعد انتهاء الحرب ـ بضم ارمينية وجزء من شمال الأناضول وكردستان اليها .

❊ تكبدت تركيا فى العام الرابع للحرب خسائر فادحة ، فبدا عليها الانهاك ولاح فى الأفق أن النهاية قد قربت ، فلم تستطع المملكة أن تتحمل العبء أكثر من هذا ..

فانتهت الحرب وفتحت المضـايق المائية أمام الحلفاء فى ٣٠ اكتوبر ١٩١٨م كمـا وزعت التـركة ، فأصرت انجلترا على استمـــرار حمايتها لمصر ، وأسندت اليها عصبة الأمم الوصاية على فلسطين ، والى فرنسا الوصاية على سوريا ، وصارت كل الدول العربية تابعة للقـوات الأوربيـة ، وان اختلفت صـورة التبعية من قطر لآخر •

* نزل الايطاليون واليونانيون الى آسيا الصغرى فى أوائل عام ١٩١٩ م أملا فى الحصول على نصيبهم من الغنائم فقد كانوا كلهم يفكـرون فى تقسيم باقى التركة العثمانيـة على أنفسهم ، ولكن لم تتحقـق أطماعهم فى آسيا الصغرى •

* * *

١٠ ـ مصطفى كمال اتاتورك :

* ظهر مصطفى كمال فى وقت حرج بالنسبة لتركيا ، اذ كانت تواجه عالما منتصرا يريد أن يمزقها اربا ، وكان ظهوره رد فعل للنزعة الوطنيـــة التركيـة ازاء مـوقف الحـكومة التركية المتخاذل أمـام القـــوى المنتصرة ، فأيقظت شجـــاعته فى جبهات القتال الوعى القومى عنـد الأتراك لمقاومة محـاولات القوى العظمى بخس الدولة واهاتتهـا ، فدعا الى اجتماع وطنى طالب فيه بالمحـافظة على وحـدة الأراضى التركية •

* كان احتلال الحلفاء للقسطنطينية فى عـام ١٩٢٠م هـو السبب فى اندلاع لهيب هذه النزعة القوميـة الخطيرة ، اذ كان رد فعل مصطفى كمال على هـذا العمـــل تأليف حكومة فى أنقرة ، وعقد معاهدة عسكرية مع روسيا ، ورغم هـذا انهـزم الوطنيون الأتراك المنهكة قواهم أمام اليونانيين الذين دفعهم الحلفاء بعد انتصارهم فى معركة Aleasehir الى احتـــلال « بروسة » و « ادريانوبل » •

* وقعت الحكومة المتهالكة فى القســطنطينية فى ١٠ أغســطس ١٩٢٠م معاهدة « سرفاى » التى نص فيها على تنازل تركيا عن كل المناطق غير التركية ووضع «أزمير»

والمنطقة الواقعة وراءها تحت الادارة اليونانية لمدة خمس سنوات ومنح ايطاليا «رودس» ومايجاورها من الجزر الاثنتى عشرة ، كما اعترف فيها باستقلال « أرمينية » كما أعلن أن المضايق المائية مناطق منزوعة السلاح ، وخاضعة لرقابة دولية . ولم يبق لتركيا من أوربا سوى منطقة صغيرة حول القسطنطينية .

* لم يكتف مصطفى كمال بالمعارضة السلبية لهذه المعاهدة ، بل استعد لحرب فى « أرمينية » لكنه لم يحصل منها الا على منطقة « ايريوان » الصغيرة ، لأن « أرمينية » صارت فى ذلك الوقت احدى جمهوريات الاتحاد السوفييتى .

* أمن الأتراك ظهورهم بصداقتهم للاتحاد السوفييتى ، واتجهوا الى مقاومة العالم الغربى ، ومما ساعد مصطفى كمال على انتزاع حقوق تركيا من المنتصرين الاعتراف الذى حظيت به حكومته من كثيرين ، وخروج ايطاليا من الأناضول مقابل حصولها على امتيازات اقتصادية ، وانتصار تركيا على اليونان فى خريف عام ١٩٢٢م وفشل محاولة انجلترا حمل ايطاليا وفرنسا على التدخل ضد تركيا ، فاستردت تركيا منطقة شرق تراقيا فى البلقان مقابل موافقتها على تدويل المضايق المائية .. ويمضى المؤلف فى بيان سياسة الحكومة التركية ، وانتهازها فرصة الخلاف بين انجلترا وفرنسا للحصول على قدر أكبر من المكاسب السياسية والاقليمية الى أن وصل الى اعلان مصطفى كمال الغاء الخلافة فى ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣م فلم يعد الاسلام دين الدولة . ومن الطبيعى حدوث صدى فى العالم الاسلامى لهذا الاجراء خاصة فى الهند ، فقد كان المسلمون هناك يرغبون فى المحافظة على الخلافة لتكون لهم سندا يمكنهم من الوقوف فى وجه السياسة الانجليزية فى الهند ، كذلك تسبب الغاء الخلافة فى احياء النزعة القومية عند الأكراد فقاموا بثورة ضد الحكم التركى للمطالبة باستقلالهم

داخل دولة كردية تفرض سلطانها على جميع المناطق الكـــردية فى المنطقة لكن الحكومة التركيـــة أخمدتها بعنف فسالت الدمـــاء أنهارا فى مسرح العمليات وأعدم الشيخ المسئول عن اندلاع الثورة فى أنقرة ولكى تقضى الحـكومة على مقاومة المتحمسين للاسلام فقد حلت التنظيمات الصـوفية ، واقفلت زوايـــاهم • وفى بداية الثلاثينات من هذا القرن صـدر قرار من الحكومة بألا تقل المسافة بين مسجـــدين عن ٥٠٠ متر ، وتحول مسجد الحاجة صوفيا الى متحف،كما حل القانون السويسرى محـل قانون الأحـوال الشخصية فحرم تعدد الزوجات تحريما قاطعا ـ وهو أمر لم يعـــرفه الشرق الاســلامى حتى الآن ـ وأعطى للمرأة حق الترشيح والتصويتفى الانتخابات •

❋ أراد مصطفى كمـال بنـاء الدولة على الطراز الأوربى وساعده الشعب ـ على الأقـل سـكان المدن ـ ظاهريا على ذلك فارتدى الملابس الاروبية ، واستبدل غطاء الرأس الوطنى بالقبعـة • وطبقا لقـانون ١٩٢٩م حلت الحـروف اللاتينيةمحل العربية ، فمنع استعمال العربى والفـارسى فى المدارس ، كما حرم على المطابع استعمـــال الحروف العربية فى طبـع الأدب التركى ، وبهذا عزل الأدب التركى عن الآداب الأجنبية التى تشترك معه فى عقيدة واحدة •

❋ كذلك اتخذ اجراء لم يكن من الممكن أن يتخذه رجال الحكم السابقون ، ولو علقوا على المشانق ذلك هو ترجمة القرآن الى اللغة التركية ، واستعمال الترجمـة فى المساجـد ، والسماح للمـواطنين بالردة واعتناق المسيحية ، ولكن لم يحدث شىء من هذا فى الواقـع العملى ، اذ لم يسمع أحد أن خرج مسلم عن دينه واعتنق المسيحية •

❋ أصبحتتركيا عضوا فىعصبة الأمم فى عام ١٩٣٢م ، وفى عام ١٩٣٤م كرم البرلمان التركى مصطفى كمال فأطلق عليه لقب « أتاتورك » ومعنـاه : أبو الأتراك ، تقـديرا

لخدماته لدولة تركيا الحديثة ..
وبعد أن يستعرض المؤلف علاقات تركيا مع الاتحاد السوفييتى والعالم الغربى فى المجالات السياسية والاقتصادية يقول : مات مصطفى كمال فى ١٠ من نوفمبر ١٩٣٨م تاركا وراءه دولة قوية ، تخلصت قيادتها من أحلام اللاواقعية .

* * *

٢٠ ـ نهضة فارس فى عهد الشاه رضا خان :

* استطاعت فارس أيضا أن تنجو من ضغط القوى العظمى بعد الحرب العالمية الأولى فقد رغبت انجلترا فى بادىء الأمر فرض سيطرتها عليها بعد ما أعلن الاتحاد السوفيتى تنازله عن كل حقوقه فى فرض الحماية على أى منطقة خارج حدوده ، لكن البرلمان الفارسى رفض التوقيع على معاهدةالحماية، فاضطر البريطانيون الى التراجع لأنهم لم يكن لديهم الاستعداد لاراقة المزيد من الدماء بعدالحرب. فسحبوا قواتهم .

* ثم ظهر فى فارس رجل ذو نزعة تقدمية هو : رضا خان .كان ضابطا فى الجيش ، أبدى شجاعة واقداماً فى حرب الحدود ضد البلشفيين ، وبعد توقيع المعاهدة مع روسيا ، زحف على طهران فأصبح قائدا عاما للجيش ووزيرا للدفاع فاستغل مركزه فى بناء جيش قوى ، وتسليحه بأحدث الأسلحة . وفى عام ١٩٢٣م أصبح رئيسا للوزراء . ويمضى المؤلف فى سرد تاريخه : حتى أصبح الرجل الأول فى الدولة ، فأراد أن يعلنها جمهورية ، ولكن التقاليد الدينية الشيعية لم تمكنه من تنفيذ رغبته، فنصبه البرلمان فى عام ١٩٢٥م ملكا، له كل حقوق الشاه فى فارس ، وغيَّر اسمه فأصبح يعرف باسم رضا بهلوى ، كما غيَّر اسم فارس فيما بعد فصارت تعرف باسم : ايران .

* قام رضا بهلوى بنهضة شاملة فى البلاد فعوضها مافقدته عبر مئات

السنين ولم يكن للبرلمان ســوى الموافقة الروتينية على كل مايعرضه من مشروعـــات وخطط ، ومن المشروعات الرئيسية لنهضة البلاد ربط المناطــق بطــرق مواصلات حديثة ، وانشاء الخط الحديدى بين بحر قزوين والخليج . وحظيت الآداب والتاريخ والتعليم باهتمام الحكومة اهتمامـــا لا يقــل عن اهتمامها بالنواحى الاقتصادية ،كما انتهجت سياسة مع شركات البترول، ضمنت لها ربحا أكبــر ، واعتنت بالزراعة ، فأنشأت المعاهد الزراعية ووضعت خطة لتوطيــن البـــدو الرحل.

❋ سقط حجاب المرأة رسميا فى عام ١٩٣٦م ، وان كانت التقاليد حالت دون سقــوطه عمليا لعدة أعوام لاحقة ، ولكن الحـــركات النسائية أيقظت المرأة من ثباتها .

بقى الاسلام فى صيغته الشيعية دين الدولة فى فارس ، فاحتفظت بصداقة البلاد الاسلامية ، وحاولت اقامة علاقات ودية معهـا ، كى لا تنقطع مشاركتها فى المجـــالات الدينية والأدبية فى منطقة الشرق ، كما احتاجت ايران فى تنفيـــذ البرامج الاصلاحية الى اقامـــة علاقات طيبة مع القوى العظمى فى العالم ، ومع الدول المجــاورة لها فعقدت معاهدة صداقة مع القـــوى العظمى ، كما نص فى معاهدة سعد أباد التى عقــدت فى عام ١٩٣٧م مع تركيا والعراق وأفغانستان على الاعتراف بالحدود القائمة وعــدم التدخل فى الشئــون الداخلية . وعدم الدخول فى أحلاف عسكرية مع القوى الأُخرى وحل المشكلات التى تظهــر على مسرح الأحداث مستقبلا سلميا .

❋ قامت النهضة الفارسية على أُسس مشابهة لما انتهجته تركيا فى مسار نهضتها ولكن لم تستطــع التقدم بخطوات سريعة مثل تركيا بسبب اختلاف تكـــوين الدولة الظاهرى وبسبب ارتبــاط الشعب الفارسى بالدين والتقاليد ارتباطــا وثيقا وعميقا.ورغم هذا فقد وصل الشاه بشعبه الى مرحلة من التقدم لم يصل اليها من قبل قط ، وخاصة

فيما يتعلق بمسألة التخلص من النفوذ الأجنبى ، اذ ظلت انجلترا وفرنسا تمليان على فارس — على مدى عدة قرون — انتهاج السياسة التى كانت تحدد مصيرها .

٢١ — مصر امة حرة :

* كان كفاح مصر ضد الحماية البريطانية طويلا ومعقدا ، فقد عارض الشعب المصرى الحماية البريطانية فور اعلانها مباشرة ، فلم يلب نداء التطوع فى الحرب ضد الجيش العثمانى ، فاتخذ الانجليز اجراءات صارمة ، اذ انتزعوا الفلاحين من قراهم تاركين وراءهم أُسرا تحتاج الى من يعولها .. ويمضى المؤلف فى سرد أحداث الحرب وموت السلطان ، وعدم استطاعة انجلترا تنفيذ الفكرة التى كانت تراودها ، وهى ضم مصر الى الامبراطورية البريطانية ، ولذا فقد وافقت على تعيين أحمد فؤاد سلطانا على مصر ، وقيام ثورة ١٩١٩م واعلان الدستور والملكية ، وتعاقب تشكيل الوزارات المختلفة ، واعلان استقلال مصر فى معاهدة ١٩٣٦م مع احتفاظ الانجليز بحق مرابطة قواتها فى منطقة قناة السويس . وبين فى معرض حديثه عن المجتمع والأحزاب : ان الاختلاف الطبقى فى الحزب الذى قاد البلاد سياسيا كان كبيرا ، فقد ضم الحزب مجموعة من الاقطاعيين والأثريا بجانب الفقراء المعدمين ، ولم يفكر أعضاء الحزب فى برنامج يقضى على هذه الفوارق الكبيرة ولكن جماعة الاخوان المسلمين هى التى نادت بالاصلاح الاجتماعى القائم على الأُسس الاسلامية .

* تبوأ بعض علماء الأزهر مكانة الزعامة الدينية ، فكان ينظر اليهم على أنهم نواب الشعب ، يعبرون عن آماله ، ويرفعون شكواه الى المسئولين ويطالبون بحقوقه وليس هناك شك فى أن مصر تزعمت العالم الاسلامى بعد انهيار الدولة العثمانية ، وان برامج الاصلاح التى أعلنت — بعد أن عزل الجيش بقيادة اللواء محمد نجيب الملك فاروق — تقوم فى أغلب بنودها على أفكار الاخوان المسلمين فى

مجال تحقيق العدالة الاجتماعية • بين أفراد المجتمع • وهذه عوامل كان لهـا أثر بالغ فى تقوية مركز مصر الاسلامى •

٢٢ ـ النضال ضد وصـاية القوى العظمى :

* انشغلت كل البلادالعربيةفيما بين الحربين العالميتين بمقاومـــة اقليمية ضد وصاية القوى العظمى، فقد فشلت الفـــكرة الخيالية التى كانت تستهدف قيام دولة عـــربية كبرى تضم كل المناطق العربية ، على صخرة الواقع السياسى الذى أرغم كل قطر عربى على اتخاذ طريق طويل مختلف عن الآخر ، أدى الى قيام دويلات عربية ، مستقل بعضها عن بعض •

* أخذتسوريا طريقها فىوقت مبكر للتخلص من القيود الأجنبية بعد الحــرب مبـــاشرة ، وذلك بتنصيبفيصل ـ أحد أبناء الشريف حسين ، امير مكة ـ ملكا عليها ولكن قضى على هذه الرغبةبطريقة مهينة ، اذ عندما باشرت فرنســا حمايتها بعد الحرب مباشرة عـــلى سوريا ولبنان ، طردت « الملك » من البـــلاد • ثم تولت السلطات الفرنسية تسيير شئون الدولة فى ظل الأحكام العـــربية التى أعلنت عند اندلاع الحرب ، وبقيتسارية المفعول بعد انتهائها • ســـــارت الأمور سيرا حسنا حتى عام ١٩٢٥م حينمـــا انفجـــر غضب الشـــعب فاندلعت الثورة مبتـــدئة بالقبائل الدرزية ، ثم عمت جميع أنحـــــاء سوريا ولبنـــان ولم تستطع فرنسا اخمادها الا بعد أن تلقت مساعدة من الحلفاء واستخدمت الطائرات فى قمعها •• ثم يمضى المؤلف فى سرد أحداث ما بعد الثـــورة حتى انتهاء الحرب العالمية الثانيةوحصول سوريا على الاستقلال الكامل فى عـــام ١٩٤٦م كـــذلك تنـــــاول ـ بالتفصيل ـ المقاومـــة الوطنية فى العراق ضد الحمايةالانجليزية ، وحصول العراق على استقلاله فى أوائل الثلاثينات ، وقبوله عضـــوا فى عصبة الأمم المتحدة والامتيازات التى حصلت عليهـــا انجلتـــرا فى

العراق أثناء الحرب العالمية الثانية بفضل صداقتهم لنورى السعيد .

***

٢٣ ـ فلسطين والجامعة العربية :

* اصطدمت مسألة فلسطين داخل العالم العربى بصخرة عاتية ، فقد تعارض فرض وصاية بريطانيا على هذا البلد ـ وهو عربى بحكم القانون الدولى ـ مع الوعد بانشاء وطن قومى لليهود ، فعلى الرغم من أن وثيقة هذه الوصاية لم تتضمن وعدا باعطاء اليهود حقوقا خاصة ، الا ان الحركة الصهيونية بذلت جهدا كبيرا فى سبيل الوصول الى هدفها فحاولت ـ ما أمكنها ـ دفع اليهود المبعثرين فى العالم الى الهجرة الى فلسطين ليكونوا محور وأداة قيام الوطن القومى اليهودى . ازداد عدد المهاجرين الى فلسطين عاما بعد عام ـ خاصة بعد ظهور الاتجاه النازى المعادى للسامية ـ فغضب السكان العرب وثارت ثائرتهم . وعندما رفضت سلطات الانتداب فى عام ١٩٣٥م طلبهم وقف هجرة اليهود الى فلسطين أعلنوا الاضراب العام ، وظلت الثورة العارمة متأججة بين صفوف العرب على امتداد ثلاثة أعوام ، فلم يستطع البريطانيون السيطرة على الموقف الا بشق الأنفس . فقد كان الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين هو الزعيم الروحى لهذه الثورة ، استمدوا منه قوتهم واستمرارهم فى مقاومة المخطط الصهيونى وعلى الرغم من نفى الانجليز له خارج البلاد فقد استمرت القلاقل وفشلت جهود بريطانيا فى اقناع الطرفين بقبول مبدأ المصالحة حتى اندلعت الحرب العالمية الثانية .

* وكانت خيبة الأمل فى السياسة البريطانية فى فلسطين دافعا قويا لانحياز مفتى فلسطين الى جانب هتلر ، ومحاولة تقديم مساعدة لقواته فى شمال افريقيا ، ولكن انتصار « مونتجمرى » ضيع على المفتى كل أمل كان ينتظره من انتهاج هذه السياسة .

* شغلت الحرب العالمية الثانية القوى العظمى ، فلم تتدخل فى

شئون دول الشرق الا بطريق غير مباشر ، فتركيا تعلمت مــن درس الحرب العالمية الأولى ، فلم تورط نفسها ، وبريطانيا انشغلت فى البلاد الواقعة تحت سيطـــرتها بتدريب القوات وارســالها الى جبهــات الحرب ، وايران ــ بحكم علاقتها مع روسيا ــ اضطرت الى السماح بانزال قوات الحلفاء فى أرضها ، ولم يكن لدى العالم وقت يسمح له بالاهتمام بمشـــاكل العــرب الداخلية .

❋ أعقب الهدوء المفروض بقوة السلاح نشاط كبير نتج عنه قيام « الجامعة العــربية » فاختيــرت القاهرة مقرا لها ، وكان أعضاؤها فى بدء تــكوينها هم : مصر ، وسوريا ، والأردن ، والعــراق ، والمملكة العربية السعودية ، وانضم اليها فيما بعد ليبيا والســودان . وكان الهدف من هذه المنظمة تبادل المساعدات دون المساس بحـــق استقلال كل قطر عن الآخر ، والعمل المشترك فى مجال الاقتصـــاد . وهـــكذا ظهر على المسرح الدولى كتلة دوليـــة ، فهى وان كانت لا تقاس من ناحية القوة بالكتــل العالمية الأخرى . الا أن قيامها كان شعلة نشرت ضــوءها على العالم العربى والاسلامى : سياسيا وفكريا ولعبـــت دور السند والمعيـــن للمستعمرات الافريقية فى كفاحهـا على طريق الاستقلال .

❋ هذا هــو الوجه الخارجى للجـــامعة العـــربية ، أمـــا الداخــــلى ، فقـــــد دارت فيها بعض مناورات ومصادمــات صغيرة فى مجال محاولة فــرض الوصاية عليها ، وعند النزاع على منــاطق اقليمية ، وأزواء المشاكل الاقتصادية ، اذ لم تظهر التناقضات فى مجال النزاع على الحدود أثناء الحــكم العثمانى واضحــة ولكن بعد سقوط الخــلافة ، لم تظهــر النزعات القومية الاقليمية فقط ، بل أصبح التفكير فى قيام دويلات مستقل بعضها عن بعض واضحا ، كما ظهرت انقسامات حادة داخــل الاقطــار بين الشعوب والملوك ، وبين الشعوب والحكومات ، وبين

الطوائف المختلفة الآراء والاتجاهات داخل المجتمع الاسلامى •

نسى العرب خلافاتهم أمام مواجهةالعدو المشترك : اسرائيل، ولكن الجامعة العربية فشلت فى أول امتحان لها فى مجال الصراع العربى الاسرائيلى ، ويرجع فشلها الى عدم الجدية الى مساندة أعضائها بعضهم البعض ،كما يرجع الى الضعف العسكرى ، اذ بينما كانت تحصل اسرائيل على الأسلحة من كل بلاد العالم — على الرغم من حظر الأمم المتحدة لتوريد الأسلحة الى المنطقة — اعتمد العرب على أنفسهم فقط فلم يتلقوا مساعدة من أحد ، حتى بريطانيا نفسها ، لم تمد لهم يد المساعدة •

❋ تسبب الضعف الداخلى والخارجى فى شل حركة الجامعة العربية فلم تستطع القيام بالدور الذى كان يأمل بعض السياسيين أن تقوم به ، غير أن وقوع معظم أعضائها فى القارة الآسيوية ، صنع منها — ككل — أداة ربط فى منظمة الدول « الأفرو آسيوية » ولهذا بدت — رغمالتناقضاتالداخلية — فى مجال السياسة العالمية ، كما لو كانت قوة ثالثة ، تغمز بإحدى عينيها للشرق ، وبالأخرى للغرب للحصول على مكاسب من كلتا الناحيتين •

❋ ❋ ❋

٢٤ — آمال العالم الاسلامى فى عودة مجده العالمى القديم :

❋ ليس غريبا أن يقابل كل تدخل بشيء من الشك والارتياب ، بعد ما قاست الدول كثيراً من المتاعب فى سبيل الحصول على استقلالها، فقد أرادت الدول أنتستقل بتدبير شئونها ، والسيطرة على ما يقوم داخل حدودها من مؤسسات ، ولهذا جاهدت فى سبيل السيطرة على شئون البترول الذى يمثل الانتاج العربى منه ربع انتاج العالم كذلكبدأ الخطر واضحا منالشرق، عندما طالب الشعب فى ايران بتأميم البترول اذ كادت الجماهير المنادية باتخاذ هذا الاجراء أن تدفع

البلد الى أحضـــان الوصـــاية السوفييتية ، لولا أن حالت بريطانيا والولايات المتحدة دون وصـــول السوفييت الى الغاية التى لم تغمض أعينهم عنها لحظة ، ألا وهى تحقيق أطماع روسيا القديمة فى ايران . كذلك دخلت الولايات المتحدة بعد الحرب بثقلها فى المنطقة ، فقامت بالدور الذى عجزت بريطانيا عـــن القيام به ، بعـــد خروجها منهـــكة من الحرب العالمية الثانية .

* تشير ظواهر الأحداث الى أن لدى مصر أسبابا تدعـــوها الى الوقوف ضد سياســـة الولايات المتحدة ، فهى وان ساعـــدتها على استعادة قناة السويس الا أنها وقفت أيضا بجانب اسرائيل . ودافعـــت عنهـــا ، فكانت بمثـــابة شوكة فى جنب العلاقات مع العالم الغربى . ولهذا فليس غريبا أن ينظر العرب الى كلتا القوتين العالميتين بحذر .. وأن يراقبوا أخطارهما بعين مفتوحة ويساوموا للحصول على ما ينفعهم من كلتا القوتين .

* تطمع كل الدول الاسلامية فى الوصـــول الى الاستقـــلال الاقتصادى ، وتكوين قوة سياسية تمتد من الشاطىء الشرقى الافريقى حتى الشرق الأقصى ، ولذا فهى تحتاج الى الخبرة الأجنبية للكشف عن مواردها الاقتصادية واستغلالها ، وتأمل فى تكوين « كومنـــولث » اسلامى ، وقد أعلنت عن ذلـــك مرارا فى مؤتمرات اقتصادية ، عقدت فى كراتشى وطهران واشتركت فيها كل البلاد الاسلامية ، معلنة عزمها وتصميمها على العمل المشترك فى المجال الاقتصادى داخل اطـــار التعاليم الاسلامية .

* يتجـــه الترابط الدينى بين الشعوب الاسلامية ـــ داخل اطار التحول الحضارى ـــ الى اعـــادة المجد العالمى القديم ، فقد ارتفعت أصوات فى آسيا تنادى بتطبيـــق أحكام القرآن ، ففى باكستان ، تلك الدولة التى أعلنت الاســـلام دينا رسميا للدولة يحاول المسلمون تطبيـــق أحكام القرآن للنهـــوض بالمجتمع ، فهم يتخذون القـــرآن

أساسا لنهضتهم الحضارية ، كذلك طبعت جماهيـــر الشعـــب فى اندونيسيا الدولة بطابع اسلامى ، على الرغم من الجهود الجبارة التى تبذلها بعثات التبشير المسيحية فى ظل ضمان حرية العقيدة التى كفلتها الدولة للجميع كما يعيش الناس فى أفغانستان طبقا لتعاليم القرآن فى ظل دولة اسلامية ، حتى فى الفلبين والصين واليابان ، يعيش ملايين المسـلمين ، وعلى الرغم من أنهم أقلية ،فهم لا يكفون عن التفكير فى محـاولة تطبيق أحكام القرآن — ما أمكن — فى شئون حياتهم .

* انضم شمال افريقيـا الى الجامعة العربية ، وأسهمت دوله فى الحركة الاسلامية الجديدة ، كما يعيش ملايين المسلمين فى افريقيا السوداء ولهم نشاط ملحـوظ فى تأييدهم ودعم الاتجاه الاسلامى . فاذا خرجنـا من هـذا الحـزام الاسلامى فى افريقيا وآسيا قابلنا قوى اسلامية أخرى ، تركها الحكم العثمـانى فى دول البلقـان : يوغوسلافيا ، وألبانيا ، وبلغاريا ، واليونان ، اذ يرى المرء معالم الطابع الاسلامى بين شعوب هذه الدول ، وخاصة يوغوسلافيا ، ويلمس تعلقها عاطفيا بما يجرى فى البلاد الاسلامية كذلك يعيش داخل حدود الاتحاد السوفييتى أكثر من عشرين مليون مسلم ، يمارسون الآن عبـاداتهم — طبقا لأحدث التقارير — فى هدوء بعد أن اجتازوا مرحلة اضطهـاد النظام الشيوعى لهم .

لا زال الشرق الاسلامى يكوّن وحدة سياسية وثقافية ودينيـة ، على الرغم من ظهور الاتجـاهات القومية المتعددة فى أقطاره منذ نهاية القرن التاسع عشر ، اذ يشعـــر المسلمون أن ترابطهم يتجاوز حدود الدول السياسية ، فالدين — بالنسبة لهم — ليس أمرا شخصيا ذاتيا ، ينفصل عما عــداه من النظـــم الاجتماعية التى ترتضيها الاغلبيـة أساسا لحياتها داخل اطار الدولـة السياسى ، بل هو القانون الأساسى الذى يشكل كل جوانب حيـــاة المسلمين ، وعليه فمن يتحدث عن روح الاســـلام ، فيجب عليه أن

يراعى الرحدة الكلية : الروح أو (العقل) والطبيعة أو (الجسم) والثقافة . فحياة المسلمين التى تحكمها التعاليم الدينية تختلف عن حياة الناس خارج المجتمعات الاسلامية ، سواء فى الشرق أم الغرب ، فطبيعة المسلم ترفض المادية المجردة رفضها لانكار وجود الله .

* يتطلب التقدم الحضارى فى هذه البلاد التغلب على عقبات كأداء ، اذ يجب على سكانها أن يسلكوا طريقا آخر فى التنمية غير الطريق الأوربى ، لأنهم لا يملكون من الصناعات ما يمكنهم من سلوك طريق أوربا ، وفضلا عن ذلك فهم مشغولون بتغيير نظام الأسرة القديم المتخلف ، وتغيير أسلوب الحياة القبلية ، الذى ارتضى الأفراد تقسيمه الاجتماعى على أنه ارادة الله . فليس من السهل ادخال الآلة الحديثة للمساعدة فى اعادة تكوين مجتمع حر ، فقد قامت ثورة فى أفغانستان فى عام ١٩٤٨م لأن بعض النساء خلعن الحجاب ومشين فى الشارع سافرات الوجه .

* لن تدرك الجماهير فى القريب العاجل الملاءمة بين القرآن وبين النظم الحديثة فى مجال العدالة الاجتماعية ، وكذلك بينه وبين بناء الدولة العصرية ، اذ لا يزال الشرق يمر بمرحلة التفاعل والتصدع ، ويجب عليه معالجة التصدع أولا ، فهل سيكون الغرب هو الطبيب المناسب ؟

* سوف يجيب المستقبل على هذا السؤال !!!

* لم يستطع المؤلف التخلص من رواسب الماضى كله ، فهو وان أشار فى مقدمة الكتاب الى روح التعصب التى سيطرت على البحوث التى كتبت عن الاسلام ، وأنه لن يسير على منهجها ، الا أنه كان يميل فى سرده لتاريخ الاسلام السياسى الى اتخاذ الموقف الأوروبى فى مواجهة الاسلام والمسلمن ، ذلك أن ملامح التوجس والخوف بدت واضحة كلما ظهرت قوة الاسلام كعقيدة على مسرح السياسة الدولية ، فأثبتت الدولة الاسلامية وجودها

فى المناطـق التابعـة لها اداريا ، وتحكمت حركة التجارة العالمية .

* فاذا ضعف التيار الاسلامى أو اهتز سلطان الدولة ، فلم تستطـع السيطرة على مجـرى الأحـداث دوليـا ومحليـا ، أرجع ذلك الى التخلف الحضـــارى الذى كان السبب فيه التمســك بتعاليـم الاسلام . غير أن أحداث ما بعـد الحرب العالمية الثانية أثبتـت أن تخلف دول الشرق لا يرجـع الى الاسـلام كمـا تصـور ذلـك الأوربيون ، فقد تخلصت تركيـا ــ بايعاز وتخطيط من الغرب ــ منـه ، لتلحق ــ كما أوهموها ــ بركب الحضارة الغربيـة لتكون دولة قـوية . ولـكنها لا زالت ضعيفة حتى الآن ، فهى تعانى من أزمات اقتصادية مـــزمنة . ولم ينقذها التعلق بأذيال الغرب ، بل ان الغرب هو الذى امتصها فقـد صرح الغـربيون أنفسهم بـ « أن تركيا تمر بأزمة اقتصادية لا يعرف أحد كيف تنتهى ..» واذا كانت تركيا قد أكتسبت فى النصف الأول من القرن العشرين اسم « رجـل أوربا المريض » .. فانها يمكن أن تسمى الآن بـ «رجل أوربا المحتضر» ويظلم الغـرب تركيـا حين يرجع حالتها السيئـة الى « التخلف » الشرقى .. فالواقع أن ما تعانى منه تركيا فى الواقع هو مرض غربى .. فقد تبعت تركيا باخـلاص أعمى « الوصفات » الغربية للتنميـــة الاقتصادية فى الثلاثين عاما الماضية والنتيجة : تضخم لا يتوقف (٦٠٪ سنويا) ، بطالة (٢٥٪) ، اعتماد على استيراد الطـــاقة (٨٠ ٪) والديون الأجنبيـة (١٧٫٧ مليار دولار) .

* وتحاول تركيا التخلص مثل سمكة وقعت فى شباك الصيادين من رجال البنوك الغربيين ، وخبراء صندوق النقـــد الدولى ، الذين لا يقبلون سوى الاستسلام بدون قيد أو شرط مهما كانت الخسائر السياسية أو الاجتماعية (١) .

---

(١) جريدة الأخبار القاهرية بتـــاريخ ٧ /٨/ ١٩٧٩ م عن : نيويـورك تايمـز وفينانشيال تايمز .

* ولم يتحرر من الفكرة المسيطرة على عقــول الأوربيين ، وهى أن حجاب المرأة عقبة فى طريق التقدم الحضارى ، ولــذا يجب التخلص منه .

* ونسى أن هذا ليس أمرا جوهريا فى مجال البحث عن أسباب التخلف فى المجتمعات ، اذ يرجع التخلف فى المقام الأول الى :

الاستعباد الفردى والجماعى .

* وقد حرمه الاسلام ..

تراخى المجتمعات وكسل أفرادها فى مجال الانتاج .

* وقد حث الاســـلام على العمل ..

اتنشار الاختلاسات فى أموال الدولة .

* والاسلام يحــرم ذلك .. و .. و .. الخ .

* فلو طبق الاسلام كما ينبغى ـ بعيدا عن التعصب الكهنوتى ، ومحررا من سيطرة أنصاف العلماء والمنافقين على تحديد مفهوم مبادئه التشريعية والتوجيهية ـ لدفعت عجلة التقدم فى العــالم الاسلامى دفعا ، ولرفرف علم الرخاء والعدل الاجتماعى على المسلمين .

للحديث بقية ..

دكتور محمد شامة

« من الهداية المحمدية

- ما كرهت أن تواجه به اخاك فهو غيبة .
- ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفســك اذا خلوت .

هجوم لا مبرر له

الأزهر وأيام طه حسين

للدكتور محمد رجب البيومى

أسف المنصفون أسفا شديدا حين شاهدوا حلقات الأيام تعرض عرضا مغرضا مريبا على شاشة التليفزيون حيث تتجافى الحقيقة الى مبالغات زائفة تهدف الى تشويه ما يتصل بالدين من مكاتب تحفيظ القرآن الكريم أولا ، ومن موقف الازهر من صاحب الأيام ثانيا ، وهو تشويه يهز المعانى النبيلة فى نفوس من يعرفون لرجال الدين مكانتهم اللائقة بهم، لا سيما وهم فى حقيقة أمرهم برءاء مما يقذفهم به المفترون ، اذ حملوا أمانة العلم فى الحلقات الدراسية ، وثاروا على المستعمرين ثورة عاتية كان مصدرها الدائم أزهرهم الشريف ، وسنناقش فى هدوء موقف هؤلاء الذين شاءوا أن يمسخوا الحقائق ، لا لشىء سوى أنهم لا يتقيدون بمنطق العدل ، وأن القائمين على الاخراج المسرحى لا يلتزمون بالحق الواقع، بل لا يكادون يحسون له أدنى التزام .

ان فقيه الكتاب كما صوره الدكتور طه حسين ، ليس الصورة العامة للفقيه ، ولا يخلو الأمر من أحد شيئين ، اما أن يكون شاذا فى أنانيته فهو لا يمثل طائفته ، وأما أن يكون الدكتور طه قد بالغ فى تشويه سمعته ليبرىء نفسه من اهمال الحفظ ، وترك التلاوة ، حتى نسى كتاب الله ! ونحن اليوم نعرف تمام المعرفة أن اختفاء فقيه الكتاب قد ساعد على الامية العلمية ، وجعل طالب المدرسة وطالب الازهر الذى لا يحفظ كتاب الله أقل منزلة فى لغته وثقافته ودينه وعربيته من

زميله الحـافظ لكتاب ربه ، ماذا أريد أن أقـول ؟ انى أعـرف أن ضياع اللغة العربية على ألسنة من يلتزمون العامية فى أحاديث الاذاعة وبعض مقـــالات الصحف ، فاذا حاولوا التزامها تقاذفتهم الأخطاء ، وتعاورتهم العجمة ، وان ضيـــاع اللغة على هذه الصورة كان مـن بعض أسبابه ابتعاد المتحدثين عن حفظ كتـــاب الله ، ولو انتشرت كتاتيب تحفيظ القرآن كعهدهـــا السابق لما انحدر مستوى التعليـم فى عصرنا الراهن عما نعهد مـن قبل ، ولو كان لدى المشرفين على حلقات الأيام التزام أدبى بمشكلات الدولة الثقافية ما تجاوزوا الواقع الى مبالغات تدعـو الى التنفير من حفظة كتاب الله ، وهم بين شيئين اما أنهم لا يعرفون اتجاه الأمـة نحو ضرورة اعادة هذه الكتاتيب، فهم منقطعون عن رصد التيـــار التعليمى فى مصر ، واما أنهـــم يقرأون ما تكتبـه الصـحف من ضرورة قيام هذه الكتاتيببدورها الثقافى ، ويريدون محاربة هـذا الاتجاه ، اذ يساعد على انشـــاء جيـل مثقف يقيم لسانه ، ويحفظ لغته ودينه ، وأكثرهم عن ذلك كله بمنأى بعيد .

أما موقف الدكتـــور طه حسين من الأزهر ، فاننا سنجعل ما كتبه بنفسه فى الأيام قاضيا بيننا وبينه ، سـنأخذ من أقـواله التى سجلها هو بمحض اختياره ما يدلعلى أنه جابه الأزهر بالانتقاص والتشهير، وملأ الصحفهجاء منكرا لأساتذته وقـد عفوا عنـه فلم يهموا ببعض ما يستحق ، ثم شاء صاحب الأيام أن يواصل هجومهعليهم دون مبرر معقول ، وقد بدأ وهـــو الطالب الناشىء بالتشهير بهم مااستطاع ، وسجل ذلك على نفسه ليكـــون شاهدا ناطقا بمقطع الرأى فى غرابة موقفه ، فكيف يكون الأزهـر قد ظلمه وضاق به ؟ وهو المتحـــرش المهاجم الجرىء ؟ !

فى الجزء الثانى من كتابالأيام فصل يكشف نفسية الدكتور طـه حسين ، ويفسر سلوكه الهجومى فى مجتمعه تفسيرا سافرا لا يقبل

أدنى شك ، فقد سطر الفصل السادس عشر من الأيام ليقول ما ملخصه انه رجع الى قريته للمرة الأولى بعد انتسابه للأزهر فلم يجد من حفاوة الاستقبال وبشاشة الترحيب ما يجده أخوه الكبير ، بعد رجوعه المتكرر من اغترابه فى القاهرة طالبا للعلم ، مبرزا بين قرنائه ، وقد غاظه هذا الاهمال ، فجعل يهاجم الناس فى أفكارهم ، فاذا تحدث فقيه الكتاب مثلا فى شيء من العلم وثب عليه واتهمه بالجهل ، واذا قرأ والده بعض المأثورات هز رأسه وقال عن قراءته انها عبث لا غناء فيه ، واذا تحدث الناس عن علم القاضى بالمحكمة الشرعية قال طه : انه أعلم من القاضى بالشرع ، وأفقه منه بالدين ، وأحق منه بالقضاء ! كل ذلك ولم يقض فى الدراسة غير سبعة أشهر !! واذا تحدثت العامة عن ولى شهير فى اقليمه رفع الطالب الناشيء صوته بما يدل على المعارضة الشديدة ! ثم انهى الدكتور طه تفصيل ذلك كله بقوله ص ١٢٨ من الفصل السادس عشر :

« وعلى كل حال فقد انتقم الصبى لنفسه ، وخرج من عزلته ، وشغل الناس فى القرية والمدينة بالحديث عنه ، والتفكير فيه وتغير مكانه فى الأسرة ، مكانه المعنوى ان صح هذا التعبير ، فلم يهمله أبوه . ولم تعرض عنه امه وأخوته ، ولم تقم الصلة بينهم وبينه على الرحمة والاشفاق ، بل على شيء أكثر وآثر عند الصبى من الرحمة والاشفاق » .

هذا الذى كتبه الدكتور عن نفسه يفسر سلوكه المهاجم للأزهر فى جميع مراحل حياته ، فقد اتسع له صدر الأزهر ، وتقبله مدرسوه بشاشة وعطف ، ولكنه كان يريد أن يلفت الناس له ، فاصطنع الخلاف ، وآثر الشقاق ، وفزع الى الصحف ليهاجم من يعلمونه ، وماذا يبتغى بعد ذلك كله منهم ؟ وقد آذاهم بالباطل دون انصاف وسنعرض شذورا مما قاله هو وسجله على نفسه ، ليرى اتساع

الصدر الرحب لدى كثير ممن قسا عليهم دون مبرر .

لقد استمع الطالب الى مدرس النحو يشرح قول المؤلف « وعلامة الفعل قد » قال طه : « وقد أتقن صاحبنا - أى طه نفسه - ما أثير حول هذه الجملة البريئة من الاعتراضات والأجوبة ، وأتعب شيخه حوارا وجدالا ، حتى سكت الشيخ فجأة أثناء هذا الحوار ، ثم قال فى صوت حلو لم ينسه صاحبنا قط ، ولم يذكره قط الا ضحك منه ورق له : « الله يحكم بينى وبينك يوم القيامة » قال ذلك فى صوت يملؤه السأم والضجر ، ويملؤه العطف والحنان ، وآية ذلك أنه بعد أن أتم الدرس، وأقبل الصبى ليلثم يده كما كان الطلاب يفعلون ، وضع يده على كتف الصبى ، وقال له فى هدوء وحب : شد حيلك ، الله يفتح عليك !

فالصبى يحاول بعد سبعة أشهر فقط من انتسابه للأزهر وهى مدة لا تتيح له مهما كان عبقريا أن ينازل شيخا قضى فى العلم والتدريس أكثر من أربعين عاما !! ومن المعلوم أن سبعة أشهر لا تجعل الطالب يحصل مضمون متن الأجرومية فى اتقان ، ولكن طه يعترض ويسرف حتى يصيح شيخه « الله يحكم بينى وبينك » ومعنى ذلك أن الاستاذ يتوجه الى من يعلم حقيقة اللجاج ليثنى هذا المكابر عن اسرافه لم ينتقصه الشيخ ، ولم يغضب عليه وقد اتسع المجال للتبرم ، ولكن طه لا يرعوى بل يحاول اثارة أساتذته ، وهم راحمون ، فاذا تحدث عنهم فى هذا الفصل أخذ يصفهم بالغيبة والنميمة والدس ، وينقل أقوال الطلاب عنهم ، وقد نسى أن الأزهر مجتمع انسانى يجمع أمثال طه ، وأمثال من هم على نقيضه ! فاذا وجد الصالح فقد وجد معه الطالح ، ففيم اللجاج فى أمور مشتهرة ، لا يخلو منها مجتمع من مجتمعات الحياة ؟ ومن قال ان العلماء ملائكة لا يخطئون !

كان طه مع هذا التهجم ومقابلة الأساتذة بما يغيظهم ،موضع عطفهم،

يتحدث أنه أرسل للامتحان الأول ذات مرة ، ليعلو قدره ان نجح ، ويزيد عطاؤه من الجراية ، قال طه ما نصه : « وأرسل الى الامتحان ذات مساء ، ومعه كتاب الى الممتحن فلما أدخل الفتى على الممتحن حياه ، وأخذ منه الكتاب فنظر فيه ، ثم ألقى عليه سؤالا ورد الفتى جواب السؤال خطأ أو صوابا ، لم يدر ، ولكن الممتحن قال له انصرف يا علامة !! فانصرف راضيا — ص ١٤٨ » فماذا تقول فى شعور الاستاذ نحو الطالب الضرير ، لم يرهقه فى شىء وقال له انصرف يا علامة !! « لأنه يرى مثله موضع العطف ، وهو أولى من سواه بالعطاء ، فنال الفتى ضعف ما يأخذ من الجراية ، ونال خزانة فى الرواق لملابسه وكتبه بعد هذا الامتحان الهين ؟ .. والطالب بعد لجوج عنيد يعارض الأساتذة ويسرف فى التهكم والاستنكار !

والشيخ بخيت المطيعى من كبار فقهاء عصره ، وقد رشح لمشيخة الأزهر أيام كان طه فى عامه الثانى من الطلب ، هذا الفقيه الكبير لا يثبت لمناظرته فى الفقه طويلب صغير ، لم يكد يكمل عامه الدراسى لأن دروسه فى الاصول والمنطق والفقه والتوحيد ، وتصدره لدرس التفسير بعد الاستاذ الامام مما يجعل كل مناقش يقدر الخطو لقدمه قبل أن تزل ، ولكن طه يقول عنه «وكان الفتى — يريد نفسه — ربما جادل الشيخ فأطال الجدال ، وتصايح الطلاب من جوانب المسجد الحسينى أن حسبك فقد نفد القول ، فأجابه الشيخ فى غنائه الظريف : لا والله لا نقوم حتى يقتنع هذا المجنون ، ولم يكن بد للمجنون من أن يقتنع ، فقدكان هو أيضا حريصا على أن يدرك القول قبل أن ينفد » ص ١٥٠ .

وقد تكرر الهجوم على الشيخ بخيت مرات فى الأيام ! وطبيعى أن نقاش طه بعد عام واحد من انتسابه للأزهر لأمثال الشيخ بخيت لا يتطلب ايضاح الحق ، فمهما كان معتزا بعقله ، فهو لم يبعد عن الشاطىء فى مسائل الفقه ، ولكن

الفقيه الأصـــولى يفسح صدره ويصد المتضـــايقين من الطلاب ويقول فى ابتسام : لا والله حتى يقتنع هـذا المجنـون ! وأنا أسأل محبى الدكتور طه من طلابه : أكان الدكتور الكبير وهو عميـد كليـة الآداب يأذن لطالب فى القســم الابتدائى أن يقاطعه فى المحاضرة حتى يضيـــق طلابه ويتصايحوا منكرين ! ! ولو حصل ذلك حقيقة هل يصبر الدكتور على الفتى الناشىء ويدعه يسترسل فيما يجهـل دون انكار ؟

لقد تعرض الدكتور مرات الى الشيخ بخيت كما قلنا ، وذكر فى ص ١٦٢ أنه مع نفر من أصـدقائه « لم يكونوا يسمعون للشيخ كما كان يسمع له غيرهم من الطلاب ، وانما كانوا يسمعون ليضحـكوا منه ، وليقيدوا عليه أغـــلاطه ، وكانت كثيرة اذا اتجهت الى اللغة، والأدب ، وليشنعوا عليه بهــذه الأغلاط بعد الدرس ، وليعرضوا هذه الأغلاط على شيخهم المرصفى فيقدموا اليه مادة جديدة للتشنيع على أساتذته وزملائه من الشيوخ»

ثم زاد طه فى اغتيـاب الاساتذة وفى التهجم على كبـار العلماء ، وعلى أعضاء مجلس الأزهر ، بالذات تهجما سافرا أمام الطلاب فى ساحة الأزهر ، حتى تطايرت الأنباء اليهم اذ ذهب أحد الطلبة الى الشيـخ الأكبر فأخبره بما قال طه ورفقاؤه عن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى ، ومنهـــم الشيخ بخيت ، والشيخ محمد حسنين العـدوى ، والشيخ راضى ، وكانوا جميعـا فى ادارة الأزهر حين بعث الشيخ الأكبـر يستقدم هؤلاء الشاتمين الهازئين، فيحضرون الى مجلسه ليستعمـوا ما قال عنهم الطالب ، قال طه ص ١٦٩ :

« وكان هذا الطالب ماهرا حقا ، فقد أحصى على هؤلاء الفتية كثيرا جدا مما كانوا يعيبون به الشيوخ ، ومما كانوا يعيبـــون به الشيخ بخيت ، والشيخ محمد حسنين ، والشيخ راضى ، والشيخ الرفاعى، وكانوا جميعا حاضرين ، فسمعـوا بآذانهم آراء هؤلاء الفتية فيهم ، وشهد طلاب آخرون بصدق هذا الطالب فى كل ما قال ، وسئـــل

الفتية فلم ينكروا مما سمعوا شيئا ، ولكن الشيخ لم يحاورهم ، ولم يداورهم ، وانما دعا رضوان — كاتبه — فأمره أن يمحو أسماء هؤلاء الطلاب الثلاثة من الأزهر، لأنه لا يريد مثل هذا الكلام الفارغ » .

ثم قال طه بعد كلام متصل : « ثم لم يلبث أن يتبين الفتى وتبين معه صاحباه أن شيخ الجامع الأزهر لم يعاقبهم ، ولم يمح أسماءهم من سجلات الأزهر ، وانما أراد تخويفهم ليس غير » ص ١٧٣ .

فماذا يرى القارىء فى سلوك الشيخ الأكبر وزملائه الكبار ، أمام طلاب جاهروا بانتقاصهم ورموهم بالجهل وحب المنصب والرياء والجمود (وأقر الطلاب بما قالوا دون انكار) ثم مال هؤلاء الكبار حقا الى العفو والاغضاء ، لم يمحوا أسماءهم ولم ينكروا مقامهم فى الأزهر ، ورأوا فيهم ما يرى الآباء أمام نزق الأبناء ؛ غضب وغفران ؟ أما والله لو جرؤ طالب على انتقاص الدكتور العميد ما احتمل بقاءه معه فى الجامعة ؟ وما حديث الدكتور زكى مبارك معه بمنسى مجهول ؟ وهو أستاذ مثله ؟ فأين هو من هؤلاء الأعلام ! اننا تنقل هنا ما خطه الدكتور بقلمه فلا سبيل الى الانكار !

ونأتى الى سقوط الدكتور طه حسين فى امتحان العالمية بالأزهر ! هذا الرسوب الذىعده السطحيون ظلما صريحا للطالب الشهير ، وباطلا متعمدا دبره الشيوخ بليل، فاذا حللنا أحداثه تحليلا صريحا وجدناه نتيجة طبيعية لا محيد عنها ولا منصرف ، اذ أن الطالب طه حسين قد انصرف — كما قال عن نفسه — عن دروس الأزهر انصرافا تاما حين فتحت أبواب الجامعة المصرية لمثله ، ولنظرائه من عاشقى الطريقة الحديثة فى التعليم ، فهو اذن بعد انقضاء أربع سنوات من عمره بالأزهر لم يشأ أن يستفيد من دروسه شيئا وخص دروس الجامعة بكل اهتمامه وكان حينما يفرغ من دروس الجامعة لا يلم الا بدروس المرصفى فى الأدب

واللغــة ، نائبا عن دروس المنطق والفقــه والأصــول والتوحيــد والوضع والتفسير والحديث نأيــا تاما لا اتصال من بعــده ، بل ان الصحف اليومية قد اتسعت لقلمــه كى ينقد دروس الأزهــر الشريف وأساتذته نقدا متكررا تدفعه الى ذلك نفســه الناقمــة – لا لشىء سوى الدوى والاشتهار – مــن ناحية ، ويدفعه الشيخ عبد العزيز جاويش الى قسوة الهجوم المتكرر على الشيوخ من ناحيةثانية ، حتى عــرف القــاصى والدانى كراهــة الطالب للأزهر والأزهريين ! وبعد انقضاء عشر سنوات عليه منـــذ التحــاقه بالأزهر شاء أن يتقــدم لنيل العالمية ! وطبيعى أن يستعــد طالب هذه الاجــــازة لها فيتسلح بمعرفة كتبها المعقدة وفهم موادها العلمية ، لأن نيل العالمية بالنسبة لكل طالب – لا بالنسبة لطهحسين وحده – كان فى ذلك الحين أمرا شاقا عسيرا ، بحيث لم يكن يحصل على النجاح غير أربعة طلاب فى العام الواحد ، على حين يتقــدم من هؤلاء عشرون طالبا فأكثر ، فالاختبار دقيق ، والمواد متعــددة ذات صعوبة ، والأساتذةالمستحنون من كبــار العلمــاء فى الأزهــر ، وممن لا يعــلو على آرائهــم رأى بوجه أو بشير ، وقد تهيأ الدكتور طه للامتحان وهو لا يجيد غير علوم العربية وحدها ، انه يجيــد النحو والصرف والبلاغة واللغة والأدب ، ولكن هناك علوما صعبة عويصة لم يجلس الى الاساتذة كى يستظهرها أو يلم بمضمونها ويصل الى ما يبلغه طريق الفوز فى امتحانها ، هنــاك التوحيد والفقه والأصــول والمنطق والحــديث والتفســير والوضــع والمقولات ، ولكل عــلم أبوابه الصعبة ولا بد أن ينجح الطالب فى العلوم جميعها بحيث لو رسب فى مادة واحدة لاستحال عليه أن يظفر بالشهادة ! جاء الطالب الى لجنة الامتحان يسبقه تاريخه الأليم فى سب الأزهر والأزهريين ، واحتقاره الصريح لكل مايدرسونويتناولون من أساليب الشرح والتقــرير ، وهو بعد لا يعلم فى غيــر دروس العربية شيئا غير ذى بال ! لقد كان عليه حين أراد أن يظفر باجــــازة

الازهر ان يستوعب علوم الازهـــر أما أن يتعــالى على هـــذه العلوم ثم يشنع على اصحابها فى الصحف والمجتمعات ، ويرى من حقــه ان يظفر بالنجاح فيها دون تعمـــــق فهذا ما لا يرتضيه منصف ! ! قد يكون الدكتور صادقا فيما بينه وبين نفسه حين يميل الى التهوين من شأن هذه العلوم ، ولكن كان عليه ألا يتقدم الى الامتحـــان فى علوم لا يعتقد فى جدواها، ولايؤمن بالقائمين على تدريسها ! امــــا أن يسبب وينقـــد ثم يطلب النجـــاح دون استعداد ، فاذا تعذر عليه واصـــل الهجوم والتهكم ، وكتب مقـــاله الشهير « ســـاعة بيـــن العمائم واللحى » فهذا ما لا يرضاه منصف محايد ، يضع الامور موضعهـــا الصحيح .

لقد كان الدكتور زكى مبارك أقرب الى الحق ، وآثر للانصاف من الدكتور طه حسين ، اذ تقدم الدكتور زكى مبارك لنيل اجـــازة العالمية مباهيا بمكانته المشتهرة فى الأدب والصحافة واللغة ، وانعقدت هيئة امتحان برياسة الاستاذ ابراهيم الجبالى رحمه الله ، وكان الجبـــالى على علم بمنزلة الطالب الممتحن ، فقابلته اللجنة بالابتسام المشجع ، وعرض عليه الشيخ الجبالى أن يختار هو ما يريد أن تناقشه اللجنة فيـــه من أبواب الفقه والأصول والمنطق والتوحيد فتحير الطالب ثم اختار فى قلق ما رغب فيه ، فأخذت اللجنة تسأله فيما اختار ، مترفقة تسأله فى الأصول فلا يجيب ، وفى المنطق فلا يرد ، وكذلك فى الفقه والتفسير حتى اعترف بنفسه أنه لم يلم بعلوم الأزهر ، وخرج ليكتب مقـــاله ، ذاكرا أن علوم الأزهر هـــذه لن تفيده ، وأن الرسوب من حقه اذ لم يجد ميلا الى استيعابها ،فأين موقفه من موقف طه حسين !!

ثم ماذا ؟

لقد تعرضت الحلقات التليفزيونية الى قضية الشعر الجاهلى لتحمـــل على الازهـــر وزرا لم يكتسبـــه ، حين صورت علماءه فى وضـــــع منكر يدين بالوصولية ، ويهـــادن فى أمور الدين ابتغاء عـــــرض الدنيـــا ، ومـــع أن كتـــاب الأيام لم يلم بقضية الشعر الجاهـــلى ،

وكان المعقــول أن تقتصر الحلقات على ما جاء بالكتاب ، فان المشرفين على الاخراج شاءوا أن يتحدثوا من لدن أنفسهم عن قضية الشعــر الجاهلى حديثا يوهم المشاهد أنهم ينقلون عن طه حسين ، فعرضــوا شيخا أزهــريا يتشـــدد فى ضرورة مؤاخذة الدكتور طه ، ثم يتراجع حــين يلوح له المسئولون بعــرض زائل من أعراض الحيــاة ، وذلك محض افتراء صارخ لم يقل بــه أحد ، واذا أراد القارىء أن يعرف موقف الأزهر من قضية الشعــــر الجاهلى فليعلم أنه مــــوقف كل مسلم يغار على كتاب الله ، فقــد تورط المؤلف تورطا منكرا حيــن قال فى كتاب « الشعر الجاهلى » ان التوراة قد تحدثت عن ابراهيم ، وان القرآن قد تحدث عن ابراهيم ولكن حديث التوراة والقـــرآن لا يكفى لاثبات وجوده ! ! ماذا كان ينتظر المسلمون فى بقاع الأرض من الأزهر الشريف حيـــن يرى استاذا جامعيا لا يطمئن الى حقائق القـــرآن ، بل يعلن شكه فى هـــذه الحقائق على مئـــات من الطلاب المسلمين فى الجامعة ثم ينتقل بقوله الى آلاف القراء حين يصدر باطله الصريح فى كتاب يتداوله الناس ! ماذا كان ينتظر المسلمون من رجال الأزهر غير أن يقفوا فى وجه من يشك فى حقائق كتاب الله ، ويحاول أن يزلزل عقائد الشبيبة الاسلامية فى الجامعة ؟ أكانوا ينتظرون أن يسكتوا عن هـــذا الافك الجرىء ليرضوا أعداء الاسلام ، أم أنهــم ينتظرون أن يهب العلماء فى طليعة المستنكرين لما أريد من الطعن فى حقائق القرآن ؟ أليس من العجب أن يثور البرلمان وأن يثور أساتذة المدارس الثـــانوية والابتدائية ، وأن يثـــور أرباب الاقـــلام فى الصحف اليومية على من ينـــكر صدق الحقائق القـــرآنية ثم يراد بعلماء الأزهر أن يلجموا أفواههم فلا تتكلم ، وأن يمنعـــوا أقـــلامهم فلا تنطق ، ليرضوا طائفة مــــن الملحدين يسرهم أن يتزعــــزع الاسلام فى نفوس معتنقيه ! لقــد قام علماء الأزهــر بواجب الدفاع عن القرآن تأدية لفريضة محتومــة

أناطها الاسلام بأعناقهم اذ كانوا حملة شريعته ومفسرى قرآنه ، ورسل هدايته الى الناس ! ولم يكن من بينهم من تراجع عن موقفه لينال منصبا دنيويا حقيرا كما شاء المخرج أن يفترى على الشرفاء بغيا دون حق ، ولو علم هذا المتجرىء على الأطهار أن علماء الأزهر هم الذين أوقدوا ثورة سنة ١٩١٩ وفتحوا صدورهم لنيران المدافع حين تزعموا الثورة المصرية أثناء اعتقال سعد وصحابته حتى كان منبر الأزهر أداة الاعلام خلال هذه الثورة العظيمة وحتى اشتهر أسماء خطبائه الكبار من أمثال على سرور الزنكلونى ومحمود أبى العيون ومحمد عبد اللطيف دراز ، ومصطفى القاياتى وابراهيم سليمان ومن لا نحصى من هؤلاء الأطهار ممن جاوزوا القول الى العمل فألفوا اللجان وجمعوا الأموال وطبعوا المنشورات وقادوا المظاهرات ثم تلقفتهم ظلمات السجون فوجدوا من تلاميذهم من حملوا الراية ، وواصلوا الجهاد : لو علم هذا المتجرىء على الأطهار كم بذل هؤلاء الاخيار من نفوسهم وأموالهم ودماء أبنائهم فى نصرة الحرية ، ما أخرج هذا المشهد الآفك الذى ابتكره خياله الضال ، ليؤذى حملة الدين وحماة القرآن ! فكان من الآفكين المفترين ، وانى أحذر هؤلاء البغاة أن يعودوا لمثل هذا التخرص الكاذب على العلماء مرة ثانية لأن الايغال فى الباطل لن يترك دون ثأر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه •

« ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » • صدق الله العظيم •

د. محمد رجب البيومى

اللغة الأردية :

نشأتها وتطورها

للدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

— ٢ —

الاصول اللغوية

عرضنا فى المقال السابق نبذة مختصرة عن تاريخ شبه القارة الهندية الباكستانية وركزنا على المناطق التى نشأت فيها اللغة الأردية ، كما أوضحنا أثر الاسلام والعوامل المؤثرة فى نشأة اللغة وتطورها .

ونناقش الآن فى مقالنا الحالى الأصول اللغوية للغة الأردية. فرغم أنها لغة نشأت حديثا ولا يتجاوز عمرها خمسمائة عام الا أن جذورها تمتد عبر التاريخ الطويل للمنطقة فلا يعقل أن تنشأ لغة فى سنوات قليلة بل يحتاج هذا الى فترة تطول لا يمكن تحديدها بنسبة معينة أو وقت معين .

فى سنة ١٩٢٤ م اهتزت دنيا العلم الجديدة بأنباء جاءتها من الهند ، تعلن اكتشاف آثار حضارة يبدو أنها أقدم عهدا من أية حضارة أخرى يعرفها المؤرخون .

وقد اكتشفت هذه الآثار فى وادى « موهن جودارو » على الضفة الغربية لنهر السند (بباكستان) وتنهض الدلائل على أن « موهن جودارو » كانت فى ذروتها حين شيد خوفو الهرم الأكبر وعلى أنها كانت تتصل مع سومر وبابل بصلات تجارية ودينية وكان العالم « جونز » قد أدهش ــ قبل ذلك ــ دنيا العلم حين أعلن أن اللغة « السنسكريتية » متحدة فى أصولها مع لغات أوربا ، وتكاد هذه النتائج تكون البداية الأولى لعلم اللغات ، وفى سنة ١٨٠٥ م

كتب « كـوليرول » عـن الأدب الهندى كما نشر « برنوف » مقالته فى اللغة البالية عام ١٨٢٦ م وهى اللغة التى كتبت بها وثائق البوذية ، ثم خصص « رايس ديفندر » كل حياته لعـرض الادب البـوذى وهـكذا بدأت الدراسـات عن الاصول اللغوية فى شبه القارة .

من العجيب أن تظـل الكتابة ضئيلة القدر جـدا فى التعـليم الهندى حتى القـرن التاسع عشر ويمكن أن يكون مرجع ذلك الى أن الكهنة لم يكن فى صالحهم أن يجعلوا من النصـوص المقدسـة سرا مكشوفا للجميع وقـد كان التعـليم الشـفوى هـو وسيلة الاحتفاظ بتاريخ البـلاد وشعرها ووسيلة نشرهـا بين النـاس (١) ومن هنا وجد الازدواج اللغـوى فى الهند قديما ، لغة مكتوبة يعرفها الخاصة ، ولغة منطوقة غير مكتوبة يتحدثها الناس ويتعاملون بهـا ، كانت اللغـة المكتوبة هى اللغـة السنسكريتية التى اتخـذت صبغة دينية خالصة بينمـا أطلق على لغة الحديث اسم « براكرت » أو اللغة البراكرتيـة .

وقبـل أن تتحـدث عن هـذا الازدواج اللغوى ـ ان صح هذا التعبير ـ نقف قليلا على منعطف التاريخ اللغوى فى شبه القارة . فنقـول ان اكتشـاف اللغـة السنسكريتية أحـدث انطلاقة فى البحث فى مختلف اللغات ، فقـد وجد الأوربيون فى التراث الهندى أول دراسـة وصـفية للغـة من اللغات ، وبدأت الدراسات اللغوية الحـديثة بمقـارنة اللغـة السنسكريتية باللغـة اليونانيـة واللغة اللاتينية .

ترجع هذه اللغة فى أصولها الى مجموعة اللغات الهندو أوربيـة ، وقد ازداد الاهتمام بدراسة هـذه المجموعة اللغوية فى القرن التاسع عشر (٢) ويرى معظم علماء اللغـة أن موطن أسرة اللغـات الهنـدو

---

(١) ولى ديورانت ، قصـة الحضـارة جـ ٣ . ط الثانية ١٩٥٧! ترجمة د. زكى نجيب محمود

(٢) د. محمود حجازى ، اللغة العربية عبر القرون ط القاهرة

أوربية ليس آسيا الوسطى بل هو وسط أوربا ، وقـد انفرط عقـد هذه الاسرة ، ويرى « براندنستين » أن الاختلاف بين اللهجات الهندو أوربية لم يكن كبيرا كما أنها لم تكن تمثـل مجمـوعة بذاتهـا ، ثم انتقل الناس وتفرقوا واتخـذوا لأنفســهم مواطن متبـاعدة ومن هنـا اتسعتاللهجـات وتطـورت الى درجـة أن أصـبحت لغات منفصلة ، وما يهمنـا هنـا هو أن سكان وسط آسيا وسكان وسط أوربا كانوا يتحدثون لغـة تنجت عنها جميع اللغات الهندوأوربية .

وجميع العلمـاء يتفقـون على أن اللغة الدراورية والآسترك - وهى أهم لغات أوربا وآسيا - فروع من أسرة المجموعة الهندوأوربية ، وقد خرجت منها اللغة الانجليزية والفرنسية والالمانيـة والايطاليـة وغيرها ، وترتبط اللغة الايرانيـة والطورانيـة والارمينيـة وغيرها بعـلاقة وطيدة معها . ومن أهم فروع مجموعة الهندواوربية نذكر مجموعة اللغات الهندوايرانية لأنها ترتبط ارتباطا وطيدا ببحثنا هذا .

وهى تعد مرحـلة من مراحـل تطور مجموعة اللغات الهندوأوربية ثم تطورت الى مرحلة ثالثة ليطلق عليهـا اسم مجمـوعة اللغـــات الهندوأوربية .

ظهـرت مجمـوعة اللغـــات الهندوايرانية قبـل مولد المسيح بألفى عام . وتبعثر الناطقون بهـا فوصل بعضهم الى ايران وتطورت لغتهم ، واتجه البعض الآخر الى الهنـــد ، وتطـورت لغتهم هى الأخرى ، فاللغتان فى أصلهما كانتا لغة واحـدة ولهذا يوجـد بينهما تشابه واضح . وتمثل « الاوستا » Avesta أو كما كان يطلق عليها العرب « الابستاق » الكتاب الدينى للباريسـيين أهم أشـكال اللغات الهنـدوايرانية ، كمـا أن اللغة الفارسية الحاليـة متمخضة عنها بعـد أن مرت بالعـديد من مراحل التطور .

تطورت المجموعة الهندوايرانية وانتشرت فى ثلاث صـور تمثلت الاولى فى اللغة الايرانية ويتحدثها

أهل ايران ، ولغة بشاجة أو بشياجة ويتحدث بها أهل كشمير ومن حولها ، والصورة الثالثة تمثلت فى الهندوآرية ، وكانت تروج بين أولئك الآريين الذين وصلوا الى الهند حاملين ميراثا لغويا يضمهم جميعا ، ومن هنا بدأت اللهجات الهندوآرية التى تمخضت عنها اللهجات المحلية التى يطلق عليها اسم « براكرات » تلك اللهجات التى تطورت ونتج عنها لغة « برج بهاشا » التى أنتجت لنا فيما بعد اللغة الهندوستانية أو الهندية أو اللغة الاردية التى هى موضوع دراستنا هذه .

ويقسم علماء اللغة مراحل تطور اللغة الهندية الآرية الى ثلاثة أطوار عبر عنها العالم الهندى الدكتور « سنيتى كمارجترجى » بالهندية الآرية القديمة (ما قبل عام ٦٠٠ ق.م) ، والهندية الآرية الوسيطة (من ٦٠٠ ق.م. حتى ١٠٠٠ م) وأخيرا الهندية الآرية الجديدة (سنة ١٠٠٠ م حتى العصر الحاضر) ، ويقصد بالمرحلة الأولى السنسكريتية ، والثانية البراكرت والثالثة البهاشا ، التى تطورت الى الهندوستانية أو الأردية كما ذكرنا . وهكذا قسم الدكتور محيى الدين قادرى — وهو عالم لغوى له عديد من الأبحاث المنشورة بباكستانوالهند — أيضا هذا التطور اللغوى فأطلق على المرحلة الأولى « ويدى أو سنسكرت » وعلى المرحلة الثانية « براكرت » وعلى المرحلة الثالثة « بهاشا » .

كان من أسباب انتشار البراكرتية أنها تمثل لغة الشعب فى حين اقتصرت السنسكريتيةعلى رجال الدين والعلماء وكان التقسيم الطبيعى داخل الهند لا يسمح لغير علماء الدين والعلماء بتعلم السنسكريتية ومن هنا ظلت هذه اللغة مخنوقة داخل المعابد بينما تأثرت البراكرتية بالثقافات المختلفة داخل الهند وانتجت مجموعة من اللهجات أطلق عليها اسم « بهاشا » .

ويتفق الباحثون جميعا على أن هذا التطور اللغوى قـد نتج عن دخول المسلمين الهند ، من الشمال والشرق فى أواخر القـرن العاشر الميلادى ، حتى الباحثون الهنادكة لم يتمكنوا من اخفاء هذه الحقيقة فيقول سنيتى كمـارجترجى (١) : « لو لم يفتـح المسلمون الهنـد لتطورت رغم هذا اللغات الهندية الآرية ولا يريدالرجل أن يبتعد عن الحقيقة حتى لا يفقد مكانته كباحث فيتراجـع قليـلا عن رأيه قائلا : « .. ولكن لم يكن لهذه اللغات أن تحصل على مكانتهـا الأدبيـة العالمية ... فقد كانت تحتاج الى فترة طويلة من الزمان لتصل الى ما وصلت اليه » .

ويقول الدكتور مسعود حسين خان وهو من علماء اللغة بالهنـد : « بعد دخول المسلمين الهند ظهرت الى الوجود حضارة جديدة وثقافة جديدة ونشأت لغة جديدة ، فقد قام المسـلمون بجمـع متفرقات السنسكريتية ليجعلوا منهـا لغـة جديدة للهند ، وأخذوا يعلمونهـا للأجيال التالية وبدأ مسلمو شمال الهند فى احتضان اللهجات الهندية الآرية فى القـرنين السـادس عشر والسـابع عشر بشـغف ونهم ، وتولدت نتيجة عنهذا فى ق ١٧ ، ١٨ اللغة الهندية أو الهندوستانية (الهنـدوستهانية) وهى الأردية (بشكلها الاسلامى) ، وكان مولد هذه اللغة بمثابة معاهدة أملتهـا الظروف فقد بدأ رجال التصـوف فى نشر أفكارهم بواسطة هـذه اللغة وسط المناطق التى لا يعرف أهلهـا اللغـة الفارسـية وذلك حوالى ١٥٠٠ م حين قام كل من « ملك محمـد جائسى » (متـوفى ١٥٤٥ م) « وشاه برهـان الدين جانم » (متوفى ١٥٨٢ م) وغيرهما فى استخدام اللغـات الاقليميـة للتعبير عن أفكارهم فى سبيل نشر الاسلام بين سـكان الهند وهـذا هـو السبب فى بقاء حوالى ٥٠٪ من الألفـاظ السنسكريتية داخـل بعض اللغات الهندية الآرية الرائجة بشبه القارة الهنـدية الباكستانية حتى اليـوم .

(١) فى كتابه « الهندية الآرية واللغة الهندية » (بالاردية) .

احتلت اللغــة الفارسية فى ذلك الوقت مكانة عالية فى الهند نتيجة لكونها اللغــة الرسمية للحكومة وحاول الهنادكة بدورهم اجادتهــا حتى ينالوا الوظائف الراقية داخل بلاط السلاطين وسـاعد ذلك على رقى اللغة المختلطة (من الفارسية والأردية) واتخــذ رقيها طـريقا سريعا ، وبدأت الألفــاظ الفارسية تحتل مــكانتها داخل اللغة الأدبية الهندية ، وحتى القرن الثامن عشر والتاسع عشر لم تحــدث بالهنــد أية محاولة منظمة لتعريس وتقريب ذخيرة ألفاظ اللغات الهندية الآرية ، رغم أن ملك محمــد جائسى كتب (منتصف ق ١٦) قصــة صوفية بلغة تختلف عن اللغة التى استخدمها « تلس داسى » فى كتاباته والسبب هو أن « جائسى » استخدم عناصر اللغــة البراكرتيــة أكثــر مــن « داسى » لأن « داسى » كان بنفسه علما من علماء السنسـكريتية ولم يكن هذا متوفرا « لجائسى »

فى الدكن (نهاية ق ١٦) ازداد تأثير الفارســية عــلى اللغــة الهندوستانية (الاردية) الدكنيــة حين بدأ استخدام الخط الفارسى (العربى) فى كتــابة تلك اللغــة الهندوستانية ومع هــذا فلم تبتعد هذه اللغة الهندوستانيةالدكينية عن لغة الهنادكة العامة ويتضح هــذا فى أشعار السلطان الشاعر محمــد قلى قطب شاه سلطان كولكنده (متوفى ١٦١١ م) ومعاصريه من الشعراء المتصوفة ، تلك الاشعار التى تحمل نسبة كبيرة من الألفاظ الهندية والسنسكريتية الخالصة .

وفى القرن الثامن عشر والتــاسع عشر بدأ الأدباء والشعراء أصحاب الاتجاه التفريسى احداث ثورة فى بيان اللغة الاردية ومزاجها حتى أن بعض علماء اللغــة الهنــادكة أطلقــوا على الاردية اصــطلاح « لغة المسلمين الهندية » .

النظريات المختلفة لنشاة اللغة الاردية

يستلزم الحديث عن نشأة اللغة الاردية وتطورها عرضــا سريعــا لأحداث النظريات المتعلقة بنشــأة اللغة الأردية وحين نقول الأردية فاننا نقصد أيضا الهنــدوستانية أو كما قال أحد العلماء الهنــادكة

« لغة المسلمين الهندية » ويعد العالم الفرنسى جارسان دى تاسى من أوائل من كتبوا عن تاريخ الأدب الهندوستانى فى شبه القارة كما نشر كل من جون جلكرائيست وشكسبير وفاربس واستيوارت وغيرهم أبحاثا عن هذه اللغة ومن علماء شبه القارة يصادفنا ميرأمن فى مقدمتهلكتابه « باغ وبهار » أى الحديقة والربيع وكذلك ما كتبه العالم الاديب محمد حسين آزاد فى مقدمة كتابه بالأردية (آب حيات) أى ماء الحياة وهو فى تاريخ اللغة والأدب الأردى وكذلك أضاف سيد أحمد خان بعض الأفكار الجادة فيما يتعلق بنشأة هذه اللغة .

وقد أشار آزاد فى كتابه أن لهجة « برج بهاشا » هى المنبع الذى خرجت منه الأردية ، ففى الوقت الذى كانت فيه الأردية لا تزال فى مهدها كانت لهجة « برج بهاشا » قد وصلت الى مرحلة الاكتمال « وبرج بهاشا » لهجة ظهرت من حيث تركيبها وبنائها من داخل اللهجات المتعددة للهندية الآرية المتمخضة بدورها عن لهجة « شورسينى و آب بهرنش » الرائجة حول دهلى . الا أن الفرق الواضح فى الأسماء والأفعال والصفات ، وكذلك فى الأصوات بين الأردية ولهجة « برج بهاشا » يجعلنا نتردد فى قبول هذه النظرية ونرفض القول بأن لهجة « برج بهاشا » هى بمثابة الأم التى ولدت الاردية ، وقد أشار الدكتور شوكت سبزاورى (١) الى التقارب بين الأردية « وبرج بهاشا » ومثل هذا التقارب بأن اللغتين شقيقتان وليست لهجة « برج بهاشا » بأم للأردية ،

ومن هنا يمكن القول بأن الأردية الأخت الصغرى قد استفادت كثيرا من لهجة « برج بهاشا » الأخت الكبرى وخاصة ابتداء من زمان « اللودهيين » وحتى زمان شاه جهان (١٦٤٧ م) فبعد هذا الزمان بدأت ملامح اللغة الأردية فى الوضوح وابتعدت كثيرا عن « برج بهاشا »من الناحية الصوتية واللغوية .

---

(١) شوكت سبزاورى : اردوزبان كا ارتقا ط الهند (باللغة الاردية) .

وقد عرض العديد من العلماء مثل جريرسن وسينتى كما رجترجى، ود. احتشام الحق ود. شوكت سبزاورى ود. محيى الدين قادرى زور وبروفر محمد شيرانى ود. مسعود حسن خان وغيرهم .

نظريات وأفكار مختلفة تجمع كلها على أن ظهور اللغة الاردية كان نتيجة لاختلاط الهنادكة بالمسلمين الا أنها اختلفت فى مكان هذا الاختلاط وكيفيته وبالتالى فى النتيجة التى وصلت اليها هذه النظريات فالبعض يرى أن بداية اللغة الهندوستانية كانت فى الدكن ، فحين قدم التجار المسلمون الى الهند عبروا سواحل مالابار واستقروا حولها وهنا وضع حجر أساس لغة جديدة نتيجة لاختلاط الهنادكة والمسلمين ، وكانت هذه اللغة هى الصورة الابتدائية للغة الأردية الا أن هذه النظرية ضعيفة فاللغة الأردية آرية ، كما أن مالابار وما حولها خضعت لتأثير اللغات الدراورية ، فلو أن الأردية بدأت من هناك لكانت آثار اللغات الدراورية واضحة عليها وكذلك كان لا بد من وجود العناصر العربية ويرى البعض الآخر أن المسلمين أقاموا بالسند عدة قرون وعلى أرضه ظهرت هذه اللغة الجديدة التى أطلق عليها فيما بعد « اللغة الأردية » وهذه النظرية لا يمكن قبولها لأن النماذج الأولى للغة السندية مملوءة بالتأثيرات العربية وهذا من الناحية اللغوية يتعارض مع نشأة اللغة الأردية .

ومن ناحية أخرى كتب البروفسير محمود شيروانى أن اللغة الأردية أقرب الى اللغة البنجابية منها الى لغة « برج بهاشا » وهو يرى أن التطور النحوى والصرفى لكل من البنجابية والأردية متماثل الى حد كبير وأن اللغتين تشتركان معا من حيث التغير اللفظى والصوتى ، فحين غزا محمود الغزنوى فى أواخر القرن العاشر الميلادى البنجاب ترك هذا الغزو أثره على المنطقة لفترة زادت على مائتى سنة .

وخلالها ظهرت الى الوجود لغة جديدة عرفت فيما بعد باسم اللغة

الاردية ، وما بذله الاستاذ محمود شيروانى لاثبـات نظريتـه كشف النقاب عن الكثير من مراحل تطور اللغـة الأردية فى مراحلهـا الأولية الا أن قضية اعتبار البنجابية هى المنبع الذى خرجت منـه الأردية لا يمـكن التسليم بهـا لعـدة اعتبارات منها الفرق الواضح بين الأردية والبنجـابية من حيث لهجة كل منها كما أن التحليـل اللغوى لكل من اللغتين يوضح أن الأردية قد أعطت البنجابية الكثير وسبقتها من حيث التطـور الصرفى أيضـا وليس من الضرورى قبول هـذه النظرية لأن العـلامة المصـدرية « نا » موجودة فى كل من اللغتين ولأن الاسم والفعل والصفة تنتهى بألف ، لأن هذا ليس من خصائص البنجـابية والأردية فقط فتشترك معهما اللغة الهريانيـة ، بينما نرى اشتراك لهجة كهـرى بولى وهى من لغات الهند الغربية مع الهريانية فى كـون الاسـماء والأفعـال والصفات تنتهى بألف .

وهناك نظـرية تقـول بأن أثر الفارسية قـد ازداد بعـد فتـح السلطان محمـد الغورى لدلهى ، وكانت اللغة الهندية تروج فى دهلى ومن هنـا حـدث التـزاوج بين الفارسية والهندية لتولد بالتـالى اللغة الأردية وظل أثرهـا ينتشر مـع بداية القـرن الثـانى عشر الهجـرى ، وحتى زمان حـكومة محمد تغلق أى القرن الرابع عشر الهجرى ، وحـين انتقلت العاصمة من دهلى الى الدكن انتقلت اللغة بالتالى الى الدكن . ولكن هذه النظرية غير مقبولة لأن المخطوطات الأردية القديمة يرجع تاريخها الى ما قبـل دخـول المسلمين لهـذه المنطقـة .

وعلى كل حـال فان ظهـور لغة كاللغة الأردية لا يمكن أن يكون تم فجأة أو بالطريقـة السريعـة التى يعرضها أصـحاب النظريات المختلفة ، ولكن ظهور مثل هذه اللغة لابد وأن يكون نتيجة حتمية لحركات حضـارية وسياسية على مدار المئات من السنوات ولا يمكن القطع برأى فيما يتعـلق بالنسبة التى ظهرت فيها حتى اللغات التى كونت نواة اللغـة الاردية الا أن

نماذج هذه اللغات الممثلة فى اللغة البراكرتية ولغة آب بهرانشى ترجع الى القرن الرابع عشر بل الخامس عشر الميلادى ، الفترة التى بدأت فيها اللهجات الجديدة تبرز الى حيز الوجود ، وسيطر المسلمون على السند والبنجاب ، ومن هنا جاء تأثير الفارسية على هذه المناطق أما أين ازدهرت هذه اللغة ؟ أو أين ظهرت نتائج التفاعل الذى انتج هذه اللغة التى عرفت فيما بعد بالأردية ؟ فيمكن ترجيح منطقة دلهى وما حولها ، نظرا لما تتميز به من موقع جغرافى ، فقد كانت هذه المنطقة بوتقة للغات واللهجات المختلفة مثل : برج بهاشا ، هريانى ، كهربى بول وميواتى (وهى لهجة منطقة راجستهانى) ولأن اللغة البنجابية قريبة من هذه اللهجات الهندية الغربية فهى تماثل اللغة الأردية والدكنية القديمة وفى العهد المغولى ازداد تأثير برج بهاشا وكهرى بول وتراجع تأثير البنجابية الى حد ما .

ومن هنا نشأت اللغة الهندوستانية التى تضم كلا من الأردية والهندية بالمفهوم الحاضر وخضعت اللغة الأردية فى تطورها خضوعا تاما للتطور التاريخى لشبه القارة الهندية وتركت التغيرات الاجتماعية والسياسية للهند أثرها العميق على اللغة الأردية وهكذا يمكن القول أن اللغة الأردية ليست لغة دخيلة على الهند ولم تظهر فى السند ولا فى الدكن ولم تنشأ من البنجابية أو البرج بهاشا ، ولكن التقاء الألفاظ الفارسية العربية واللهجة الغربية الهندية المسماة كهرى بول مع اللهجات الرائجة حول دلهى أنتج لغة جديدة أثرت عليها البنجابية تأثيرا كبيرا فى البداية وبالتدريج تسللت لهجة كهرى بولى داخل أثواب الأردية . وكان لها مكانة خاصة فى بلاط الملوك المسلمين ومن هنا نالت أهمية كبيرة أما صورة كتابة اللغة الأردية ومتى بدأت وكيف نشأت وتطورت ؟ فهذا ما سأناقشه فى المقال التالى ان شاء الله .

د. سمير عبد الحميد ابراهيم

النظرية الإسلامية في المخابرات الحربية

للواء محمد جمال الدين محفوظ

ان أخطر ما تتعرض له الأمم ، أن تؤخذ على غرة • تلك حقيقة لا تنازع ، ويشهد بها التاريخ الحربى على مر العصور •

ولعل أقرب الأمثلة التاريخية الى الاذهان ذلك الهجوم اليابانى المفاجىء على « بيرل هاربر » خلال الحرب العالمية الثانية ، والذى كان له وقع الكارثة على الولايات المتحدة الامريكية اذ فقدت بسببه جانبا لا يستهان به من أسطولها البحرى وقت الحرب •

من أجل ذلك كان من الضرورات الحيوية لأمن الأمة وسلامتها فى حاضرها ومستقبلها أن تحصل على أكبر قدر من المعلومات عن الدول الأخرى وخاصة الدول المعادية لها أو تلك التى تدخل فى عداد « العدو المحتمل » •

وتناط هذه المهمة الخطيرة (الحصول على المعلومات عن الدول الأخرى بأجهزة المخابرات (أو الاستخبارات) •

مفهوم المخابرات :

هناك تعاريف متعددة للفظ المخابرات كما يلى على سبيل المثال :

❋ المخابرات : هى المعرفة والعلم بالمعلومات التى يجب أن تتوفر لدى كبار المسئولين من المدنيين والعسكريين ، حتى يمكنهم العمل لتأمين سلامة الأمن القومى •

❋ المخابرات : هى نتيجة جمع وتقييم وتحليل وتفسير كل مايمكن الحصول عليه من معلومات عن أى ناحية من النواحى لدولة أجنبية أو مناطق العمليات والتى تكون لازمة لزوما مباشرا للتخطيط •

* المخابرات : هى الخطة المتناسقة المدروسة والموجهة لاستخدام كل الوسائل المتيسرة للحصول على كافة أنواع المعلومات وتصنيفها وتقديرها ، لامداد المسئولين بالحقائق والتقديرات الواقعية فى الوقت المناسب لوضع استراتيجيةالدولة ، ورسم سياسات معينة ، ولاتخاذ القرارات السليمة التى تكفل سلامة الأمن القومى للدولة ، وللعمل ضد عمليات المخابرات المعادية لمنعها من الحاق الضرر بالدولة فى أية صورة من الصور •

ومن هذه التعاريف يمكن استخلاص العناصر التى تنطوى عليها المخابرات وهى :

(١) الحصول على المعلومات عن العدو •

(٢) فرز وفحص وتقييم هذه المعلومات وتقدير مدى صحتها •

(٣) تفسير هذه المعلومات واستخلاص النتائج المفيدة منها •

(٤) امداد المسئولين بهذه المعلومات والنتائج المستخلصة منها •

(٥) الافادة من هذه المعلومات وما يستخلص منها فى التخطيط واتخاذ القرارات •

(٦) مقاومة أعمال مخابرات العدو •

ارتباط المخابرات بالأمن :

لا مراء أن السعى للحصول على المعلومات عن العدو (وهو عمل المخابرات) يرتبط ارتباطا وثيقا باجراءات الوقاية من نشاط المخابرات المعادية ، ويعتمد نجاح كل من المهمتين بدرجة كبيرة على الأخرى •• اذ كيف نتصور أننا نسعى للحصول على معلومات عن العدو لكى نتمكن من مفاجأته مثلا ، بينما نترك الفرصة لمخابرات العدو تحصل على ما تريد من معلومات عنا وعن نوايانا ؟ انه لأمر بدهى أننا بذلك لن نحصل على المفاجأة على الاطلاق •

وبسبب هذا الرباط الوثيق بين المخابرات والأمن فان العلم

العسكرى يقسم نشاط المخابرات الى نوعين هما :

الأول : وهـــو النشـــاط « **الايجابى** » : للمخابرات الــذى يستهدف الحصول على المعلومات عن العدو .

والثانى : وهـــو النشـــاط « **الوقائى** » للمخابرات أو مايعرف «بالمخابرات الوقائية» أو «المخابرات المضادة » وهو يعبر عن كل مايتعلق بمواجهة نشاط مخابرات العـــدو مثل حرمانه من الحصـــول على المعلومات والأسرار ومنع التجسس وكشف أعمال الخيانة الى غير ذلك مما يؤدى الى الاضرار بالدولة .

وبذلك تتضـــح لنا أهميـــة المخابرات وعلاقتها المبـــاشرة بأمن الدولة وسلامتها ويعبر عن هـــذا المعنى بكل وضوح قـــول الجنرال آيزنهاور عام ١٩٥٩م :

« ليس هنـــاك فى سياســـة الولايات المتحدة ما هو أهم مـــن جمـــع المعلومـــات بواسطـــة المخابرات » .

ويحتوى تقـــرير اللجنة التى شكلتها الحكومة الامريكية عـــام ١٩٥٥ لدراســـة وتقييم نشـــاط المخابرات الامريكية والتى عـــرفت بلجنة هوفر ، كثيـــرا من الدروس فى هذا المجال نذكر منها ما يلى :

« لقد كان الهجوم المفاجىء على بيرل هاربر **هو الذى خلق ادارة المخابرات** كمـــا أن التحقيق الذى أجرى بعد الحرب ، أثبت أن عدم وجود مخابرات قوية كان هو سبب الفشـــل الذى منيت به القـــوات العسكرية من حيث عدم حصولها على انذار حاسم وسريع تستطيع به عرقلة « الهجوم اليابانى » .

أنواع المخابرات :

وتنقسم المخابرات بالنظـــر الى المستوى والمجال والتأثير الى نوعين : مخابرات استراتيجيـــة ومخابرات تكتيكية .

*** فالمخابرات الاستراتيجية :**

تتعلق بالمعلومات المتعلقة بالمسائل الكبرى مثل المعلومـــات عن نوايا الدولة الاجنبية (أو العدو) وقدراتها

العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمعنوية ، وعن مواطن الضعف والقوة لديها .

*** والمخابرات التكتيكية :**

تتعلق بالمعلومات ذات الطابع المحلى المحدود أو ذات طابع التخصص فى ناحية محددة .

المخابرات العسكرية الاسلامية :

وترشد المدرسة العسكرية الاسلامية الى عدة مبادىء وقواعد تشكل فى مجموعها نظرية كاملة ومحكمة للمخابرات الحربية :

١ ـ المخابرات ضرورة حيوية للتخطيط والقتال :

وذلك بعض ما يفهم ويستوحى من قوله تعالى : « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم » (الملك ٢٢) .

*** فالقائد :** يجب عليه أن يحصل على أكبر قدر من المعلومات عن عدوه من حيث قوته وأسلحته وقدراته وأوضاعه وحركاته ونواياه ، حتى يكون تخطيطه للمعركة سليما وعلى أساس متين .

*** والجيش :** يجب أن يعرف قدرا معينا من هذه المعلومات بحسب ما يراه القائد لازما ، حتى يدخل رجاله المعركة بخطى واثقة وقلوب ثابتة ، أما اذا حارب الرجال فى موقف يلفه الغموض والجهل « بما وراء التل » فسوف تضعف قدراتهم وكفاءتهم القتالية الى حد كبير فضلا عن تعرضهم للمفاجأة أو الخسائر الشديدة فى الارواح والمعدات وللهزيمة فى النهاية .

٢ ـ المخابرات من أسباب القوة :

وعلى أساس أن معرفة المعلومات عن العدو مطلب حيوى للتخطيط السليم وللقتال أيضا ، تصبح المخابرات من أسباب القوة ومظهرا من مظاهرها . يقول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » (الأنفال ٦٠) .

٣ ـ المخابرات مطلب أساسى للرباط :

وهى أيضا أساس الرباط الذى أمر به الاسلام فى الآية السابقة ، وفى قوله تعالى : « يأيها الذين

آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (آل عمران ٢٠٠) .

والرباط والمرابطة حراسة ويقظة وتأهب لرد عدوان العدو ، ولا يتم ذلك بنجاح وفاعلية الا بمعرفة ما يدور على الجانب الآخر (جانب العدو) ولذلك كان الرباط نوعا من الجهاد له وزن كبير وشأن خطير فى تقدير الاسلام كما يظهر من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم :

* عن سهل بن سعد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » (أخرجه الشيخان) .

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : :

« عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » (رواه الترمذى) .

* وروى الطبرانى عن أنس ابن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من رابط ليلة حارسا من وراء المسلمين كان له مثل أجر من خلفه ممن صام وصلى »

٤ ـ المخابرات من مظاهر الحذر واليقظة :

ويقرر الاسلام أن المخابرات من مظاهر الحذر ودليل عليه لمنع العدو من المفاجأة وهو ما أمر به الاسلام فى قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم » (النساء ٧١) .

وقوله جل شأنه : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا » (المائدة ٩٢) .

٥ ـ المخابرات توفر الانذار :

والمخابرات ـ بما توفره من معلومات عن نوايا العدو وحركاته ـ توفر الانذار المبكر للقيادة لكى تستعد وتتخذ اجراءات المواجهة اللازمة وتفوت على العدو هدفه . يقول الله تعالى : « ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » (التوبة ١٢٢).

٦ ــ المخابرات وقاية من الخطر والهلاك :

والمخابرات ــ بما تؤديه من دور مزدوج بتوفير المعرفة عن العدو ، ومقاومةأعمالمخابراته ــ تحقق الوقاية للأمة والجيش من الهزيمة أو الهلاك ولذلك فان اهمالها أو التراخى فى ممارستها انما هو تعريض للأمة للتهلكة وهو ما نهانا الاسلام عنه فى قوله تعالى :

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (البقرة ١٩٥) •

وقد جسد القرآن الكريم عواقب الغفلة والاضرار البالغة التىيتعرض لها المسلمون من جرائها ، فى قوله تعالى :

« ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » (النساء ١٠٢) •

المخابرات الاستراتيجية فى عهد النبوة :

اولا ــ العيون والأرصاد :

كان للنبى صلى الله عليه وسلم عيون وأرصاد خارج المدينةيبلغونه بالمعلومات عن كل ما يتعلق بغير المسلمين وله علاقة بأمن المسلمين وسلامتهم :

(١) ففى مكة (مركز قريش الرئيسى) وهى تبعد عن المدينة بحوالى ٤٠٠ كيلومتر ، كان عمه العباس ، وبشير بن سفيان العتكى •

(٢) وكانت له عيون وأرصاد فى القبائل العربية الأخرى فىأنحاء شبه الجزيرة العربية فكانمنهممثلا عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى فى قبيلة هوازن •

(٣) وكانت له عيون وأرصاد أيضا فى بلاد فارس وبلاد الروم (بيزنطة) •

ثانيا ــ أمثلة للمخابرات الاستراتيجية :

ومن أمثلة نشاط المخابرات الاستراتيجية فى عهد النبوة ما يلى :

(١) قبل غزوة أحد أرسل العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم (وكان من رجال مخابراته

فى مكة كما تقدم) رسالة يخبره فيها عن وقت خروج قريش لقتاله وعن عدد قوات قـريش ، فأسرع حامل الرسالة بايصال تلك الرسالة الى النبى صلى الله عليـه وسلم ، حتى انه قطع المسافة بين مـــكة والمدينة فى ثلاثة أيام ،فلما قـرأ أبى بن كعب الرسالة على النبـى طلب ألا يبوح بمضمونها لأحد .

(٢) وقبل غـزوة الخندق التى عبـأ فيهـا المشركون عشرة آلاف مقاتل عدا اليهود لمهاجمة المدينـة كان النبى صلى الله عليه وسلم على علم بنوايا أعدائه من خلال رجـال مخابراته فى مكة والقبائل العربية ، وقد حفر المسلمون خندقا حـول المدينة كان مفاجأة للمشركين لما رأوه حتى قالوا : « والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ».

وهذه الواقعة لا تدل على يقظة وكفاءة مخابرات النبى الاستراتيجية التى عرفته بنوايا أعدائه مبـكرا فحسب ، بل تدل كذلك على عجز مخابرات الأعـداء على المستويين الاستراتيجى والتكتيكى معـــا ، وذلك على الرغم من أن حفـــر الخندق استغرق عشرين يومـا فى المتوسط كانت كافية جدا لرجـال المخابرات لكشفه والاعلام عنه .

وتدل تلك الواقعة كذلك على كفاءة « المخـابرات الوقـائية » للمسلمين وعلى مدى كتمانهـــم لسر خطتهم الحربية وحرمان العدو من الحصول على معلومات عنها . وهذا ما عبر عنه خبير المخابرات والجاسوسية العالمى لاديســلاس فاراجو فى قوله (١) : «عندما قرر المكيون (قريش) أن يتخلصوا من محمد عليه الصلاة والســلام نهائيا ، عبأوا ضده قوة تتكـــون من عشرة آلاف مقاتل ، ولم ينزعج النبى ، لأنه كان قد ترك فى مكة عملاء أكفاء أبلغوه بخطط أعدائه ، أما خصومه فلم يكن لهم عمــلاء عنـده ، ولذلك فعنـدما وصـل المكيون الى المدينة ، أذهلهم أن

---

(١) الجاسوسية بين الوقاية والعـلاج ــ أحمد هانى .

يجدوا خندقا وجدارا يحيطان بالمدينة احاطة السوار بالمعصم ، وقد حميا محمدا عليه الصلاة والسلام وأتباعه من العدوان » .

(٣) وبعد فتح مكة قررت بعض القبائل العربية أن تغزو المسلمين قبل أن يغزوهم وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم نبأ تجمع هوازن وثقيف لمهاجمته ، فأرسل عبد الله ابن أبى حدرد الأسلمى ، ليأتيه بالمعلومات اللازمة .. قال ابن اسحاق : « ولما سمع بهم نبى الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق ابن أبى حدرد ، فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك (مالك بن عوف النصرى قائد هوازن) وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر » .

وقد عرف النبى من هذه المعلومات نوايا الأعداء ، ومكان تجمعهم ، فقرر مهاجمة هذه القبائل ليحتفظ بالمبادأة بيد المسلمين .

المخابرات التكتيكية فى عهد النبوة :

* وعلى المستوى التكتيكى كان للنبى صلى الله عليه وسلم عيون وأرصاد فى داخل المدينة يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمصلحة العامة للمسلمين فى السلم والحرب على حد سواء فاختار مثلا حذيفة بن اليمان العبسى ليأتيه بأخبار المنافقين ونواياهم .

* وفى غزوة بدر بعث النبى صلى الله عليه وسلم اثنين من الصحابة للحصول على معلومات عن قافلة قريش . وعند بئر بدر سمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها والثانية تجيبها : « عندما تأتى العير (أى القافلة) غدا أو بعد غد سأقوم بخدمتها ثم أقضيك الذى لك » فأسرع الرجلان فأخبرا الرسول صلى الله عليه وسلم بما سمعا .

* كما بعث عليــه الصـــلاة والسلام مفرزة استطلاعية للحصول على معلومات عن قريش وقافلتهــا (فى غزوة بدر أيضـــا) كانت تتـــألف من على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه ، وعند ماء بدر وجـــدت غلامين لقـــريش يستقيان ، فأتت بهمـــا الى النبى فتولى عليه الصـــلاة والســـلام استنطاق (١) الغلامين ، فعلم منهما أن قريشا وراء الكثيب (بالعدوة القصوى) ، ولما أجابا بأنهمـــا لا يعرفان عـــــدد رجال قـــريش سألهما : « كم ينحرون من الجزر (أى الابل) كل يوم ؟ » . فقالا : يوما تسعة ويوما عشرة ، فاستنبط الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك أنهم بين التسعمائة والألف (لأن العرب على عادتهم يخصصون بعيرا لكل مائة) كذلك عـــرف الرسول من الغلامين أن أشراف قريش جميعا خرجوا للقتال .

تعلم لغـــة العـــدو :

ومـــن الضرورات الحيـــوية فى مجال المخابرات والحرب النفسيـــة معرفة لغة العدو واجادتها ســـواء من حيث التحدث بها أو الكتابة .

ولقد عنى الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود . وفى هذا يقـــول زيد : « أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمت له كتاب اليهود بالسريانية وقال : انى والله ما آمن يهود على كتابى ، ثم يقول زيد : فوالله ما مر بى نصف شهـــر حتى تعلمته وجدت فيه ، فكنت اكتب له اليهم ، وأقرأ له كتبهم اليه » .

---

١) اســـــتنطاق « او استجواب » الاسير هو عمل من اعمـــال المخابرات للحصول منه على المعلومات من خلال اجاباته على الاسئلة التى توجه اليـــه عقب اسره ، وهو عمل يتطلب ممن يقوم به ذكاء وصبرا وقـــدرة عاليـــة على الاستنباط وقوة الملاحظة .

وصدق من قال : « من عـرف لغة قوم أمن شرهم » .

استخدام الرمز « الشفرة » (١) :

فى مجال المخابرات عادة ماتحول لغة الرسائل سواء الشفـوية أو المكتوبة الى لغة أخرى تستخـدم فيها الرموز بحيث لا يستطيع فهم مضمونها سوى مرسلها والمرسـلة اليه وهـو ما يعـرف باسم الرمز أو الشفرة .

واستخدام الشفرة أمـر حيوى لاخفـاء محتـويات الرسائل عن الأعداء ، ومن المعروف أن كل طرف من الأطراف المتحاربة ، يضع لنفسه شفرة خاصة ، ويسعى جاهـدا – فى الوقت نفسه – بكل الوسائل لكشف سر الشفرة التى يستخدمها الطرف الآخر (أى حل رموزها) ومن أجل ذلك فان الجيوش الحديثة لا تستخدم شكلا واحدا من أشكال الشفرة لمدة طويلة خشية أن يتمكن العدو خلالها من حل الرمز الذى تستخدمه فتفقد الرسائل سريتها ، ولذلك تقـوم الجيـوش بتغيـير الشفرة من حين لآخر وقد يصل الأمر الى اجراء هذا التغيير عـدة مرات فى اليوم الواحد .

ولقـد عنى النبى صـلى الله عليه وسلم باستخدام هذا الاسلوب (أسلوب الرمز) الذى تبـدو فكرته واضحة تماما فى الواقعـة التالية :

فى غزوة الخنـدق ، علم النبى صلى الله عليه وسلم أن يهـود بنى قريظة قد نكثوا عهدهم الذى كان بينهم وبين المسلمين ، وذلك فى الوقت الذى أحاط بالمـدينة عشرة آلاف مقاتل من قـريش والقبائل العربية الأخرى .

---

(١) الشفرة : تعبير عن أسلوب تحويل لغة الرسالة من لغة مفهومة الى لغـة غير مفهومة يكون قد تم الاتفاق عليها وعلى رموزها بين المرسل والمرسل اليه مسبقا ، ولذلك يطلق عليها رسالة شفرية ، فاذا التقطها العدو على موجات الاثير أو وقعت فى يديه بصـورة ما ، لا يستطيع فهمها الا اذا كان على علم برموز حل الشفرة « أو مفتاح الشفرة » التى تحولهـا الى رسالة مفهومة ، أو بعد محاولات مضنية من المتخصصين فى حل رموز الشفرة ، وقد استحدثت فى العصر الحديث أجهزة ووسـائل الكترونية لهذا الغرض .

وقد تحرج موقف المسلميـــن كثيرا ــ وكان عدد مقاتليهم ثلاثة آلاف مقاتل ــ بعد أن نكث بنو قريظة عهدهم (وهم داخل المدينة) فأصبح الخطر يهدد المسلمين من داخل المدينة ومن خارجها ..فبعث النبى صلى الله عليه وسلم سعـد ابن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وعبد الله بن رواحة ، وخوات بن جبير الى بنى قريظة ليقفوا على جليـة الأمر ، وأمرهم بأن « يلحنوا »[1] بالقول حين يعودون ولا يفصحون فى حالة تأكدهم من خبر نكث بنى قريظة للعهد .

ولقد كان سبب حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على استخدام هـذا الاسلوب من أساليب الرمز (الشفرة) هو خوفه على معنويات المسلمين من الانهيار ، وحرصه على كتمان الخبر حتى يستكملوا اعداد الخندق وسـائر استعداداتهـم العسكرية قبل أن يعلمهم به . ولو أنه عليه الصلاة والســلام سمح باذاعة هذا النبأ الخطير قبـل أن يعد المسلمون كل متطلبات القتال لانهارت معنويات الجيش .

لواء / محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) لحن « بفتح اللام والحاء » له لحنا : قال له قولا يفهمه عنه ، ويخفى على غيـره فهـــو لاحن « وبابه قطع » . وفى الحـديث : « اذا انصرفتما فالحنا لى لحنـــا » :أى عرضا لى بما رأيتما ولا تفصحا .

ولحن القول عنه : فهمه ــ والملاحن : مسائل كالألغـاز يحتاج فى حلها الى فطنة . « المعجم الوسيط » .

باب الفتاوى

الأستاذ عبدالحميد شاهين

متى تجب الهجرة ؟ وما هو واجب مسلمي هذا العصر حيالها ؟ وفيمن نزل قول الله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا »(١).

ج : يجيب عن هذا ويبسط القول فيه فضيلة الامام الشيخ محمود شلتوت رحمه الله في كتابه الفتاوى فيقول : ينبغى أن يعلم أولا أنه لما اشتد ايذاء الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم وصحبه في مكة ، وتهيأت له عوامل النصر والتأييد في المدينة ، عزم على الهجرة اليها ، وأمر بها أصحابه ، فرارا بدينهم ، وحفظا لأرواحهم وحريتهم ، وتكتلا مع القوة الجديدة التي هيئت لهم في المدينة .

وأمام فكرة الهجرة هذه كان الذين ظهروا في مكة بالاسلام على طوائف :

١ ـ الأقوياء :

وهم طائفة كثيرة العدد قوية الايمان ، شديدة الحرص على دينها وحريتها ولديها من وسائل القوة على الهجرة ما لديها . لبت الدعوة وهاجرت الى المدينة ، مضحية بعشيرتها ومساكنها وأموالها في

(١) الآيات من ٩٧ ـ ٩٩ من سورة النساء .

سبيل ايمانها وعزتها ، وفى سبيل التكتل مع اخـوانهم المؤمنين . وهؤلاء هم الذين وعدهم الله فى كثير من الآيات بالرحمة الواسعة ، والعزة الخالدة ، والحياة الطيبة ، والنصر المؤزر : « ثم ان ربـــك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ، ثم جاهدوا وصبروا ان ربك مـــن بعدها لغفور رحيم » (١) .

٢ ـ المستضعفون :

وهم طائفة ثانية قوية الايمـان كالأولى ، لا تأبه بعشيـرة ، ولا تكترث بأهل ولا مال . ولكنهـــا عاجزة عن الهجـــرة ، لضعف أو شيخوخة أو فقر ، فقعدت بمكةعلى مضض تستعذب العذاب فى سبيل تمسكها بدينها وحريتها ، وهؤلاء هم الذين عنـاهم الله بقـوله : « الا المستضعفين من الرجـــال والنساء والولدان لا يستطيعـون حيلة ولا يهتدون سبيلا » . وقد شـد أزرهم وأطمعهم فى رحمتـه وعفوه بقوله تعالى « ومـــا لكم لا تقـــاتلون فى سبيـــل الله والمستضعفين من الرجال والنســاء والولدان الذين يقـولون ربنـــا أخرجنـا من هذه القرية الظـالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا » (٢) .

٣ ـ الراضون بالاقامة فى دار الكفر والاضطهاد :

وكان وراء هـاتين الطـائفتين طائفة ثالثة لم يكن ايمانهـا قويا كايمان الأولى ولم يكن لديها من مواقع الهجرة ما عنـد الثـانية ، وانمـا آثرت الاقامة بين العشيرة والأهـــل ، وأهمتهم أنفســهم وأموالهـم ، فقعدوا فى مـكة ، وأخلدوا الى السكون ، ورضـوا بالحرمان من الحرية واقامة الدين، ولم يعملوا بالهجـرة على تخليص أنفسهم من قوى الذل والاضطهاد مع المقدرة عليها ، وهـــؤلاء هم الذين نزلت فيهـم هـذه الآية : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » .

---

(١) الآية ١١٠ من سورة النحل . (٢) الآية ٧٥ من سورة النساء .

وقد صور الله فيها جنايتهم على أنفسهم ، وكذبهم فى اعتذارهم ، وسجل عليهم سوء العاقبة بقوله : « فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

وقد أرشدت الآية الى أنهم بموقفهم هذا ليسوا فى شىء من درجات الدين ، والى أن أقل درجات الدين تأبى على صاحبها المقام على الذل والاضطهاد ، والى أن الرضا بالذل والاقامة فى جوه مع القدرة على التخلص منه بالهجرة الى مواطن العزة والكرامة مما يخرج الانسان عن الايمان . ويجعل جهنم فى حكم الله مأواه .

تطبيق الآية فى عصرنا الحالى :

وهذا أصل قرره القرآن الكريم فى صحة الايمان والاعتداد به ، وجاءت فيه آيات كثيرة صريحة . وأبرزها آية السؤال : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » الآية .

وهو مبدأ قائم الى يوم الدين. ويمكن أن يطبق فى عصرنا الحاضر على الحالات الآتية :

أولا : أفراد مسلمون « يقيمون فى بلاد يضطهد سلطانها المسلمين» يشدد عليهم الخناق فى اقامة دينهم ، ويمنعهم حديثهم ، وهم قادرون على الهجرة الى حيث يقيمون الدين ويتمتعون بالحرية ، فهؤلاء يجب أن يهاجروا ، وان رضوا بالمقام على الذل والاضطهاد فى تلك المواقع مع قدرتهم على الهجرة حق عليهم وعيد الآية ، وكانوا لأنفسهم ظالمين .

ثانيا : بلاد اسلامية استعمرها الأعداء ، فسلبوا أهلها الحكم والسلطان ، وحبسوهم بجنسيتهم ، وضيقوا عليهم حياتهم ، ومنعوهم شعائر دينهم ، والحرية فى أموالهم، ومن أهل هذه البلاد جماعة أهمتهم أنفسهم ومراكزهم فى حكومة المستعمرين ، ورأوا أن فى ممالأة المستعمرين على بلادهم عزة لأنفسهم وسلطانا به يتحكمون !!! فهؤلاء الجماعة يجب عليهم — ان كانوا مؤمنين — أن يبادروا فيخلعوا أنفسهم من تأييد المستعمرين ، ويهاجروا بقلوبهم وجهودهم الى

اخوانهم الوطنيين أهل البلاد ، ويكونوا يدا واحدة ، وعلى قلب رجل واحد لاخراج المستعمر ، وتطهير البلاد من الذل والاستعمار ، فان أبت هذه الجماعة ورضيت بالمقام فى تأييد المستعمر حق عليها وعيد الآية : « مأواهم جهنم وساءت مصيرا » وحق عليهم فوق ذلك قوله : « ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين » (١) .

ثالثا : بلاد اسلامية متفرقة ، تسلط على كل بلد منها جماعة من الأعداء ، وليس فى وسع واحدة من تلك البلاد أن ترد عن نفسها فضلا عن غيرها من أخواتها . فاذا خضعت كل بلد منها لمستعمرها — ولم يهاجروا بقلوبهم وتفكيرهم ، وتوحيد كلمتهم ، وتكوين جامعتهم التى بها يصدون العدوان عن أنفسهم وعن بلادهم ، كانوا جميعا ببقائهم فى التفرق عونا للاعداء على امتلاك بلادهم ، وضياع دينهم ، وحرمانهم من حريتهم ، وكانوا بذلك لأنفسهم من الظالمين .

هذا ما توحى به الآية الكريمة الى مسلمى هذا العصر ، وقد تبين منه ما يجب على كل من ناله الاضطهاد فى دينه وحريته ، فردا كان أو جماعة ، فى بلاد اسلامية أو غير اسلامية ، وتبين حكم من يقصر فردا كان أو جماعة فيما يفرض عليه من العمل على التخلص من الذل والاضطهاد له ولجماعته ، احتفاظا بالحرية ، واقامة للدين وصيانة للعزة والكرامة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (٢) .

الهجرة من بلاد المنكرات :

وقد كان كثير من رجال الاسلام الأولين — المكلفين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر — يرون أن الآية توجب عليهم الهجرة من بلادهم ، وان كانت اسلامية ، متى فشت فيها المنكرات ، وكثرت البدع ، ولم يتمكن لهم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

---

(١) من الآية ٥١ من سورة المائدة .
(٢) من الآية ٨ من سورة المنافقون.

وفى هذا يقـــول الامـــام الزمخشرى المتـــوفى ســنة ٥٣٨ هجرية وهو بصـــدد الكلام على هذه الآية الكريمة : « وهذا دليل على أن الرجـل اذا كان فى بلد لا يتمكن فيه من اقامة أمر دينـه كما يجب ، أو علم أنه فى غيـــر بلده أقومُ بحق الله ، وأدومُ على العبادة ، حقت عليه المهاجرة » .

وبالنسبة للهجرة التى نزع اليها يتجه الى ربه ويقول : « اللهمان كنت تعلم أن هجرتى اليك لم تكن الا للفرار بدينى فاجعلها سببا فى خاتمة الخير ، ودرك المرجـو من فضلك ، والمبتغى من رحمتـك ، وصل جوارى لك بعكوفى عنـد بيتك بجوارك فى دار كرامتـك يا واسع المغفرة » .

أين نحن اليوم ؟

أما بعد : فأين نحـــن معشر المسلمين ، أفـــرادا وجماعات ، وقد رضينا بالتفرق ، وأيَّد فريق منـا سـلطان المستعمر ، ومزقت ديننا الأهواء ، وطمست معالمـــه الشـهوات ، وسُلِبْنا العـزة والكرامة ؟

فيم نحن من الايمان ، وفيـم نحن من هؤلاء الذين آمنوا وعرفوا قدر الايمان واتخذوا الى ربهـــم سبيلا ؟

اللهم ارحمنا واهـدنا صراطك المستقيم .. آمين .

عبد الحميد شاهين

حكم ... وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« ان ربك بالمرصاد »

دخل عمرو بن عبيد على المنصور يوما ، فقال له المنصور عظني فقرأ عمرو : « بسم الله الرحمن الرحيم . والفجر ، وليـال عشر ، والشفع والوتر ، والليل اذا يسر ، هل فى ذلك قسم لذى حجر ، الم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البـلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذى الاوتاد ، الذين طغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفسـاد ، فصب عليهم ربك سـوط عذاب ، ان ربك لبالمرصاد » .

فقال المنصـور : لمن ؟ قال : لمن عصـاه ، فاتق الله يا أمير المؤمنين ، فان امامك نيرانا تتأجج لمن لا يعمـل بكتاب الله ولا بسنة رسول الله .

فقـال له سليمان بن مخلد : اسكت ، فقد غممت أمير المؤمنين . فقال له عمرو : ويلك ، أما كفاك أنك خزنت نصيحتك عن امير المؤمنين ، حتى اردت أن تحول بينه وبين من ينصـحه ، ثم قـال : اتـق الله يا امير المؤمنين ، فان هـؤلاء لن ينفعوك ابدا ، وانت مسئول عمـا اجترحوا ، وليسوا مسئولين عمـا اجترحت ، فلا تصلح دنيـاهم بفساد آخرتك ، أما والله لو علم عمـالك انه لا يرضيك منهم الا العدل ، مابقى منهم على بابك أحد ، ولتقرب اليك بالعدل من لا تريده .

« ذهبوا »

الح سائل على اعرابى ان يعطيه حاجة لوجه الله ، فقال الأعرابى : والله ليس عندى ما أعطيه للغير فالذى عنـدى انا أولى الناس به واحق !!

فقال السـائل : اين الذين كانوا يؤثرون الفقيـر على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

فقال الاعرابى : ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس الحافا .

« قنـاعة »

قال أبو دلف العجلى :

حججت فرايت أبا العتـاهية واقفا على أعرابى فى ظل ميل (١) ، وعليه شملة اذا غطى بها راسه بدت

---

(١) الميل : منار يبنى للمسافر

رجلاه ، واذا غطى رجليه بدا رأسه فقال أبو العتاهية : يا هذا ، لولا ان الله اقنع بعض العباد بشر البلاد ، ما وسع خير البلاد جميع العباد ثم قال له : فمن اين معاشكم ؟ قال : منكم معشر الحاج ، تمرون بنا فننال من فضولكم (١) ، وتنصرفون فيكون ذلك ، فقال له : انما نمر وننصرف فى وقت من السنة ، فمن اين معاشكم ؟ فاطرق الاعرابى ، ثم قال : لا والله لا ادرى ما أقول ، الا انا نرزق من حيث لا نحتسب (٢) اكثر مما نرزق من حيث نحتسب ، فولى ابو العتاهية وهو يقول :

الا يا طالب الدنيا
دع الدنيا لشانيكا !
وما تصنع بالدنيا
وظل الميل يكفيكا

« لو لم يكن »

انتقد الشريف المرتضى يوما شعر المتنبى ، وكان ابو العلاء المعرى حاضرا ، فقال أبو العلاء : لو لم يكن للمتنبى من شعر الا قصيدته :

(لك يا منازل فى القلب منازل)
لكفى فضلا :

فغضب الشريف وامر بسحب أبى العلاء من مجلسه ، وقال لمن بحضرته : ان ابا العلاء اراد بذلك قول المتنبى فى تلك القصيدة :
واذا أتتك مذمتى من ناقص .
فهى الشهادة لى بأنى كامل

« فى وفاة عمر بن عبد العزيز »

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة ، دخل عليه مسلمة بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، انك قد فغرت أفواه ولدك من هذا المال فلو أوصيت بهم الى والى نظرائى من قومك فكفوك مئونتهم !.

فلما سمع مقالته قال : اجلسونى ، فأجلسوه ، فقال : قد سمعت مقالتك يا مسلمة ، أما قولك : انى قد فغرت أفواه ولدى من هذا المال ، فو الله ما ظلمتهم حقا هو لهم ، ولم أكن لأعطيهم شيئا لغيرهم ، واما ما قلت فى الوصية ، فان وصيتى فيهم : « الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » ، وانما ولد عمر بين احد رجلين : اما رجل صالح فسيغنيه الله ، واما غير ذلك فلن اكون أول من اعانه بالمال على معصية الله .

ادع لى بنى : فأتوه ، فلما رآهم ترقرقت عيناه ، وقال : بنفسى فتية تركتهم عالة لا شىء لهم وبكى .

يا بنى انى تركت لكم خيرا كثيرا لا تمرون بأحد المسلمين واهل ذمتهم الا راوا لكم حقا ، يا بنى انى قد ميلت (٣) بين الامرين : اما ان تستغنوا وادخل النار ، او تفتقروا الى اخر الأبد وادخل الجنة . فأرى ان تفتقروا فذلك أحب الى ، قوموا عصمكم الله ، قوموا رزقكم الله !

(١) فضول الغنائم : ما فضل منها .
(٢) اى من حيث لا نقدر .
(٣) ميل بين الأمرين : تردد فى ايهما يفعل .

« فصـــل الأدب »

تكلم رجـــل بين يدى المأمون فأحسن ، فقـال له ابن من انت ؟ قال : ابن الأدب يا أمير المؤمنين . قال : نعـم النسب انتسبت اليه ، ولهذا قيل : المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا
يغنيـك محمـوده عـن النسب

وقال بعض الحكماء : من كثر ادبه كثر شرفه وان كان وضيعا ، وبعـــد صيته وان كان خاملا ، وساد وان كان غريبـــا ، وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا وقيل اربعة تسود العبـد : الادب والعلم ، والصدق ، والأمانة .

وقيل أيضا ثلاثة لاتتم الا بثلاثة : لا يتم الحسب الا بالادب ، ولا يتم الجمال الا بالحلاوة ، ولا يتم الغنى الا بالجـــود ، وقال بعض الاعاجم مفتخرا :

مالى عقـــلى وهمتى حسبى
ما أنا مـــولى وما أنا عـــربى
اذا انتمي منتم الى احـــــد
فانني منتـــــم الى ادبى

« ثمانيــة أمور »

سئل الامام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ ، عن ثمانية امور : واجب واوجب وعجيب واعجب ، وصعب واصعب ، وقريب واقرب ، فأجاب بقوله :

من واجب الناس ان يتوبوا
لكن ترك الذنوب اوجب
والدهر فى صرفه عجيب
وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر فى النائبات صعب
لكن فوات الثواب اصعب
وكل ما ترتجى قريب
والوقت من دون ذاك أقرب

« قوة اليقين »

حج الرشيد ، فعلم ان رجـــلا انفرد لعبادة الله ، بجبل ابى قبيس وظهرت على يديه بعض الكرامات ، فطلب الى اميـــــر مكة أن يصحبه لزيارته ، فذهبا اليه فى صومعته واستأذنا فى الدخول عليه ، فأذن لهما ، ولما دخلا وسلما عليه ، أوما اليهما بالتحية ، ثم اشـــار اليهما بالجلوس فجلســـا ، فقال له أمير مكة : ان الجالس بين يديك أمير امير المؤمنين هارون الرشيد ، فأومأ براسه محييا وظل على صمته فلم يتكلم ، فقال له الرشيد : عظنى ، فالتفت اليه ولم يتكلم ، ثم امسك بعصـــاه ، وخط بهـــا على الأرض : « انى استحي ان القى الله وقـــد امرتك فاطعتنى بعد أن امرك هـــو فعصيته » .

فتأثر الرشيد ، وبكى بكاء شديدا وقال : والله لقد رأينا منك ، اكثر مما سمعنا عنـــك ، واستأذن فى الانصراف مع صاحبه فأذن لهما .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

كتـــاب الشهـــر

رســـالة

الجواب المقنع المحرر في الرد على من طغى وتجبر بدعوى أنه عيسى أو المهدي المنتظر

تـأليف

علامة زمانه ووحيـد دهـره وأوانـه

الشيخ محمد حبيب الله الجكني الشنقيطي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق للخير من وفقه بفضله ، وخذل من شاء خذلانه بعدله ، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ، والصلاة والسلام على نبيه المخبر بما كان وما يكون ، وعلى آله وأصحابه الناقلين لأقواله الصادقة ، والذابين عن سنته جميع المبتدعين الزنادقة ..

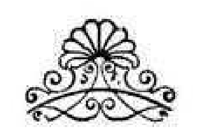
أما بعد ـ فيقول الفقير لرحمة ربه محمد حبيب الله بن الشيخ سيدى عبد الله بن ما يأبى الجكنى وفقه الله ، قد طلب منى بعض العلماء الأجلاء الأخيار ، لما كثرت دعاوى الضالين المضلين الأشرار ، أن أكتب له فى شأن المهدى وعيسى بن مريم عليهما السلام ما هو الحق الذى لا غبار عليه ، وما اعتمده أهل العلم فى ذلك وركنت نفوسهم اليه ، فأجبته فيما به أشار على مستعينا بالله ومفوضا أمورى كلها اليه ، وراجيا منه أن يكون جوابى ردا عن السنة المطهرة البيضاء ، ومنيلا سعادة الدارين ورضى الله الأكبر يوم اللقاء وممتثلا قوله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا) الخ الآية وقول النبى صلى الله عليه وسلم : (من كتم علما يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) رواه أبو داوود والترمذى وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححاه من حديث أبى هريرة ، وقال الترمذى : انه حسن صحيح ففى ذلك قلت وبالله تعالى استعنت ، ينحصر المقصود من هذا الجواب فى مقدمة وفصلين وخاتمة .

المقدمة ــ فى بيان تواتر أحاديث المهدى وذكر بعض من ألف فيه :

(الفصل الأول) فى تخريج بعض الأحاديث التى صرحت به وبيان صفته وعلاماته ..

(الفصل الثانى) فى تخريج بعض أحاديث عيسى بن مريم وبيان اجتماعه مع المهدى وقتله الدجال .

(الخاتمة) فى بيان أن خروج المهدى قبل الدجال بسبع سنين وأن الدجال يخرج على رأس مائة وعيسى بعده بقليل، وذكر الأحاديث الواردة فى كثرة من يدعى الرسالة فى آخر الزمن ورفع القرآن من الصدور والمصاحف وصفة عيسى عليه السلام ومدة مكثه بعد الدجال وما يتعلق بذلك .



المقــــدمة :

اعلم أنه من المتـــواتر عنـد المحدثين وكافة العلماء المجتهــدين ان المهــدى غير عيسى وأن الرواية التى فى سنن ابن ماجه انه لا مهدى الا عيسى اسنادها ضعيف ، وقد تواترت الاخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المختار صلى الله عليه وسلم بمجىء المهــدى وأنه مــن أهــل بيته وانه سيملك سبع سنين على أكثر الروايات وقيل أربعــين سنة نظير مدة عيسى عليــه وعلى نبينا الصــلاة والسلام وأنه يمــلأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وانه يخرج قبــل عيسى وينزل عليــه عيسى وهو امام المسلمين فيساعده على قتل الدجال ببــاب لد بأرض فلسطين قريب من بيت المقــدس وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلى خلفه أول مرة ثم يكون هو الامام بعد ذلك وانه أى المهــدى يذبح السفيانى ويخسف بجيش السفيانى الذى يرسل الى المهدى بالبيــداء بين مكة والمدينة فلا ينجــو منهم الا من يعطى الخبر ، وقد ألف فى شأنه وجمع الأحاديث الواردة فيه جماعة من الحفــاظ منهم جــلال الدين السيوطى له فيه رسالة عجيبة سماها (العرف الوردى فى أخبار المهدى) ومنهم العــلامة الدراكة الشيخ أحمد بن حجر الهيثمى له فيه رسالة سماها (القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر) أجاد فيها ورجح أن مــدته فى الأمــر ســبع سنين على أكثر الروايات ومنهم العــلامة ابن حسام الدين تلميذ ابن حجر له فيه رسالة سماها (البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان) ومنهم صاحب عقد الدرر فى أخبــار المهــدى المنتظر ومنهم شيخنا العلامة الشيخ عبد القــادر ابن محمد سالم الشنقيطى فقــد أفرده بباب من نظمــه الواضــح المبين الذى ذكر فيه أشراط الساعة وحرر المقام فيه وفى شرحه وقــد عقد أبو داود فى سننه بابا لأخباره وكذلك فعــله الترمذى فى سننه ورواية ابن ماجه لا مهدى الا عيسى ابن مريم ، قال القرطبى وغيره : ان اسنادهــا ضعيف والأحــاديث فى خروجــه وانه من عترته من ولد فاطمة ثابتة صحيحة متواترة فقد

عد الحفاظ أحاديثه من الأحاديث المتواترة قال فى الواضح المبين تواترت به الأحاديث الصحاح فيما روى أهل الفلاح والنجاح ومنهم القاضى العلامة المحدث الشوكانى له فيه رسالة سماها التوضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر والدجال والمسيح قال فيها والاحاديث الواردة فى المهدى التى أمكن الوقوف عليها منها خمسون فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر وهى متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة فى الأصول وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدى فهى كثيرة أيضا لها حكم الرفع اذا لا مجال للاجتهاد فى مثل ذلك ا هـ . قال أبو الحسن السنجرى تواترت الاخبار عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجىء المهدى وانه من أهل بيته

وذكر جملة من أحواله وصفته وقال القرطبى والأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى التنصيص على خروج المهدى من ولد فاطمة ثابتة فالحكم بها دون رواية ابن ماجه لا مهدى الا عيسى ، ثم قال القرطبى وغيره ويحتمل أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام لا مهدى الا عيسى ان فرضنا عدم ضعفه أى لا مهدى معصوما كاملا الا عيسى ، قال وبهذا تجتمع الأحاديث ويرفع التعارض أى فلا ينافى أن يكون غيره مهديا أيضا ، قال ابن كثير بل يكون المراد من ذلك ان المهدى حق المهدى مهدى هو عيسى ابن مريم فاذا تمهد عندك ما قدمناه من أن المهدى غير عيسى عليه السلام فلا بد من ايراد بعض الأحاديث الواردة فيها وعزوها الى مخرجيها فى الفصلين الآتيين :

(الفصل الاول)

قد أخرج السيوطى فى الجامع الكبير عنه عليه الصلاة والسلام (لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول لا ان بعضكم على بعض أمير تكرمة الله لهذه الأمة) وأخرجه أحمد ومسلم وابن جرير وابن حبان عن جابر ابن عبد الله عنه عليه الصلاة والسلام وأخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة عنه عليه الصلاة والسلام (كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم) والذى عليه المحدثون ان هذا الأمام المشار اليه فى الصحيحين هو المهدى المنتظر لحمل الاحاديث المصرحة به على غيرها كما هو الأصل المعروف وصرح نعيم فيما أخرجه بأنه المهدى ولفظه عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدى تعال صل بنا فيقول لا) ..الخ .. وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لم تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها والمهدى فى وسطها) اهـ ، قال ابن حجر الهيثمى وأريد بالوسط قريب آخرها حتى لا ينافى الروايات المصرحة بأنه فى آخرها ولتقدمه بيسير على عيسى وصفه بأنه وسط ووصف عيسى بأنه آخر و أخرج نعيم بن حماد قال المهدى : الذى ينزل عليه عيسى بن مريم ويصلى خلفه عيسى وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن ابن سيرين قال المهدى من هذه الأمة وهو الذى يؤم عيسى بن مريم عليه السلام وأخرج بن ماجه والروياني وابن خزيمة وأبو عوانة والحاكم وأبو نعيم واللفظ له عن أبى أمامة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الدجال وقال فتنفى المدينة الخبث كما ينفى الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص ، قالت أم شريك فأين العرب يا رسول الله يومئذ قال هم يومئذ قليل وجلهم ببيت

المقدس وامامهم المهدى رجل صالح فبينما امامهم المهدى قد تقدم يصلى بهم الصبح اذ نزل عيسى ابن مريم وقت الصبح فيرجع ذلك الامام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فانها لك أقيمت فيصلى بهم امامهم .. اهـ .. وفى حديث طويل أخرجه نعيم عن كعب فاذا بعيسى بن مريم فتقام الصلاة فيرجع امام المسلمين المهدى فيقول عيسى تقدم ذلك أقيمت الصلاة فيصلى بهم تلك الصلاة ثم يكون عيسى اماما بعده .. اهـ .. وقد أخرج أبو داود وابن ماجه والطبرانى والحاكم عن أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (المهدى من عترتى من ولد فاطمة) .. وأخرج الحاكم وابن ماجه وأبو نعيم عن أنس ابن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (نحن سبعة ولد عبد المطلب سادة سادة أهل الجنة أنا وحمزة وعلى وجعفر و الحسن و الحسين والمهدى) ، وأخرج الترمذى وصححه عنابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى » وأخرجه أبو داود أيضا وأخرج الترمذى وصححه عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلى) ..

وأخرج أبو داود عن أبى اسحق رضى الله عنه قال قال على كرم الله وجهه ونظر الى ابنه الحسن رضى الله عنه قال ان ابنى هذا سيد كما سماه النبى صلى الله عليه وسلم ويخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم صلى الله عليه وسلم يشبهه فى الخلق ولا يشبهه فى الخلق ثم ذكر (يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا) وأخرجه فى المشكوة وأخرج الترمذى وحسنه عنه عليه الصلاة والسلام « ان فى أمتى المهدى يخرج يعيش خمسا أو سبعا والشك من الراوى

قال قلنا وما ذاك قال سنين قال فيجىء اليه الرجل فيقول يا مهدى أعطنى أعطنى قال فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمـله » اهـ ..

وأخرج أبو داود عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى أو من أهـل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يمـلأ الأرض عدلا كما ملئت جورا) ، وأخرج الطبرانى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المهدى منا يختم الدين به كمـا فتح بنا) رواه الطبـرانى وأخـــرج نعيم ابن حماد عن أبى سعيد عنه عليه الصلاة والسلام (المهـدى منـا أجلى الجبهة أقنى الانف) وأخرج أيضـا عن ابن جبير قال المهـدى (أزج أبلج) الحـديث وأخـرج الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم عن ابن مسعود قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم (يخرج رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى وخلقه خلقى يملؤها قسطا وعـدلا كما ملئت ظلما وجورا) وأخـرج الطبرانى فى الأوسط من طـريق عمرو بن على عن على بن أبى طالب رضى الله عنـه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم أمنا المهدى أم من غيرنا يارسول الله ؟ (قال بل منا ، بنا يختم الله كمـا بنـا فتـح وبنـا يستنقذون من الشرك وبنـا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الشرك)

وقد ورد انه يأتى مدينة فيها ألف سوق فى كل سوق مائة الف دكان ثم يأتى مدينة يقال لها (القاطع) وهى على البحـر الاخضر المحيط بالدنيا وطول المدينـة ألف ميـل وعرضها خمسمائة ميـل فيكبرون الله عز وجل ثلاث تكبيرات فتسقط حيطانهـا فيقتلون بهـا الف ألف مقـاتل ثم يتـوجه الى القـدس الشريف فى ألف مركب) اهـ ..

وورد أنه يأتى روميـة فيكبرون أربع تكبـيرات فيسقط حـائطها فيقتلون ستمائة ألف ويستخرجون منها التابوت الذى فيـه السكينة ومائدة بنى اسرائيـل ورضاضـة الألواح وعصـا مـوسى ومنبـر سليمان وأخـرج نعيم بن حمـاد

عن كعب قال المهدى يبعث بقتال الروم يعطى فقه عشرة ثم يستخرج التابوت وهو تابوت السكينة من غار انطاكية وأخرج أيضا عن كعب الأحبار قال : انما سمى المهدى لأنه يهدى لأمر قد خفى يستخرج التابوت من أرض يقال لها انطاكية قال صاحب البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان رومة أم بلاد الروم ، وكل من يملكها يقال له الباب وهو الحاكم على دين النصرانية بمنزلة الخليفة فى المسلمين وليس فى بلاد الروم مثلها كثيرة العجائب ا هـ ..

وأخرج نعيم عن على قال اذا بعث السفيانى الى المهدى جيشا فخسف بهم البيداء وبلغ ذلك الشام قال لخليفتهم قد خرج المهدى فبايعه وأدخل فى طاعته والا قتلناك فيرسل اليه بالبيعة وحين يرسل الى المهدى يسير المهدى حتى ينزل ببيت المقدس وينقل اليه الخزائن ويدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم فى طاعته من غير قتال حتى يبنى المساجد بالقسطنطينية وما دونها ا هـ ..

المراد منه وأخرج نعيم بن حماد لا يبايع المهدى حتى يكفر بالله جهرا وأخرج نعيم أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال يبعث المهدى بعد ابساس وحتى يقول الناس لا مهدى ونصرته من أهل الشام عددهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا عدد أصحاب بدر يسيرون اليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا فيبايعونه كرها فيصلى بهم ركعتين عند المقام ثم يصعد المنبر وأخرج أيضا لأبى هريرة قال يبايع المهدى بين الركن والمقام لا يوقظ نائما ولا يهرق دما وأخرج عن قتادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يخرج المهدى من المدينة الى مكة فيستخرجه الناس من بينهم فيبايعونه بين الركن والمقام وهو كاره) وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو لم يبق من الدنيا الا ليلة لطول الله تلك الليلة حتى يملك رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملؤها قسطا وعدلا

كمــا ملئت جــورا ظلمــا ويقسم المــال بالسوية ويجعــل الغنى فى قلوب الأمة فيمكث سبعا أو تسعا ثم لا خير فى عيش الحياة بعــد المهدى) وأخـــرج ابن أبى شيبة والطبرانى فى الأفــراد وأبو نعيم والحاكم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم (بشراكم بالمهدى رجل من قريش من أمتى على اختــلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ويرضى عنه ســاكن السماء وســاكن الارض ويقسم المال صحاحا بالسوية بين الناس ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله حتى انه يأمر مناديا فينادى من له حاجة الى فما يأتيه أحد الارجل واحد يأتيه فيسأله فيقول ائت السادن يعطيك فيأتيه فيقول أنا رسول المهــدى اليــك لتعطينى مالا فيقول احث فيحثى فلا يستطيع أن حمله فيلقى حتى يكون قــد ما يستطيع أن يحمله فيخرج به فيندم فيقول أنا كنت أجشع أمة محمــد صلى الله عليه وسلم نفسا كلهم دعى الى هــذا المال فتركه غيرى فيرده فيقول انا لا نقبل شــيئا أعطيناه فيلبث فى ذاك ستا أو سبع أو تســع سنين ولا خير فى الحيــاة بعــده) ..

وأخرج البزار عن جابر رضى الله عنــه قال قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : (يكون فى أمتى خليفة يحثو المــال حثوا لا يعــده عدا) وأخرج الدارقطنى فى الافراد والطبرانى فى الأوســط عــن أبى هــريرة رضى الله عنــه عن النبى صلى الله عليه وسلم : (يكون فى أمتى المهدى ان قصر عمره فسبع والا فتسع سنين ينعم أمتى فيهــا نعمة لم ينعموا بمثلها منهم البــار والفاجر يرســل الله عليهم السماء مدرارا ولا تدخر الأرض شيئا من النبات ويكون المال كدسا يقــوم الرجل يقــول يا مهــدى اعطنى فيقول خذ ا هـ .) قــوله كدسا هو بوزن قفل جمعه أكداس كقفل وأقفال ما يجمع من الطعــام فى البيدر ، وكذلك مايجمع من دراهم وغيرها كما فى المصباح وقد تقدم حديث الصحيحين عنه عليه الصلاة والســلام (كيف بكم اذا نزل

ابن مريم فيكم وامامكم منكم) وقد تقدم عن علماء الحديث ان ذلك الامام هو المهدى وانما قالوا ذلك لورود الاحاديث بأنه يسبق الدجال ونزول عيسى من السماء بسبع سنين فيساعد عيسى على قتل الدجال وأخرج ابن الجوزى فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ملك الدنيا أربعة مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان ، والكافران نمروذ وبختنصر وسيملكها خامس من أهل بيتى) وأخرج نعيم عن طاووس قال اذا كان المهدى يبذل المال ويشتد على العمال ويرحم المساكين) وأخرج الطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ بيد على رضى الله عنه فقال يخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطا وعدلا فاذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمى فانه يقبل من المشرق وهو صاحب راية المهدى .

وأخرج ابن ماجه والطبرانى مرفوعا يخرج ناس من المشرق فيوطؤن للمهدى سلطانه . وأخرج الدانى عن حذيفة مرفوعا فى حديث طويل فيفرح به أهل السماء وأهل الأرض والطير والوحوش والحيتان فى البحر وتزيد المياه فى دولته وتضاعف الأرض أكلها ويستخرج الكنوز وأخرج أبو داود (المهدى أزج أبلج يجىء من الحجاز حتى يستوى على منبر دمشق) وعن على رضى الله عنه انه فى وجهه خال (وأخرج أبو عمر والدانى فى سننه عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يلتفت المهدى وقد نزل عيسى بن مريم كأنما يقطر من شعره فيقول المهدى (١) تقدم صل بالناس فيقول عيسى انما أقيمت الصلاة لك فيصلى خلف رجل من ولدى وأخرج أبو عمر والدانى رحمه الله تعالى فى سننه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال

---

(١) قوله كأنما يقطر ـ من شعره اى من منابت شعره والذى يقطر منه ماء كالجمان كما تفسره الاحاديث الآتية أن شاء الله تعالى قاله مؤلفه ا.هـ ..

رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا تزال طائفة من أمتى تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقـدس ينزل على المهدى فيقول المهـدى تقدم يا نبى الله فصل بنـا فيقول هـذه الأمة امـراء بعضهم على بعض) وقد ذكر بعضهم ان وجه امتناع عيسى أولا من الامامة فى أول صـلاة بعد نزوله وصـلاته بالمهدى مع كونه رسولا اظهار أنه حالك لشرع نبينـا عليـه الصـلاة والسلام كأحد أصحابه اذ يصدق عليه حد الصحابى كما قرروه لأنه أجتمع به حيـا بخـلاف غيره من الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسلام فاجتماعه بهم بعد الموت وقد ألغـز ابن السبكى فى ذلك بقوله :

من باتفاق جميع الناس افضـل من
خير الصحاب ابى بكر ومن عمـر

ومن على ومن عثمـان وهـو فتى
من امـة المصطفى المختار من مضـر

فاجبت لغزه بقولى

عيسى بن مريم فى الصحب الكرام ومن
أجل رسول الاله صـفوة البشر

(وقـد نظم شـيخنا وشـيخ مشايخنا العـلامة المحقق الشيخ عبد القادر بن محمد سـالم) فى نظمـه الواضـح المبين ما يكفى ويشفى من صفة المهدى وعلاماته وسائر أحواله فقال أصلح الله منا ومنه الحال والمآل ..

وأخبـر النبى بالمهـدى
السـيد القطب الزكى المرضى

تواترت به الاحاديث الصـحاح
فيما روى اهل الفلاح والنجـاح

وسبقه الـدجال قـد جزم به
مؤلف الارشـاد قدما فانتبـه

له عـلامات بهـا المختـار
اخبرنـا جاءت بهـا الاخبار

فى وجهـه خـال أزج ابلج
اقنى وهـو للانـام فـرج

ويفـرح الامـلاك والانسـان
والطير والـوحوش والحيتـان

وهـو براق الثنايـا يولـد
بحرم الرسـول نعم المولـد

تظلـه غمامـة فيهـا ملك
يأمر باتباعـه فيمـا سـلك

تظهـر منهـا راحـة تشـير
اليه بالبيعـة ذا المأثـور

وتهبط الطيـر عليـه واقعـة
من الهـواة أمره مطاوعـة

منهـا اخضرار يـابس الاغصـان
غرسـه فى موضـع عطشـان

تقع بين الـركن والمقـام
بيعته الهجرة نحـو الشـام

على مقدمتـه جبـريل
فى سـاقة يكون ميكائيـل

بيـده رايـة سـيد مضر
كمـا روى ذاك نعيم فى خبـر

تنصره عـدة أهـل بـدر
رهبـان ليلهم أسـود أجـر

ويسمع النـاس المنادى فى السـما
بامـره كمـا اتى عمن سـما

يـدخل ما دخل ذو القـرنين
ينمى الى الحسـن والحسـين

وجـده العبـاس حائـز النـدا
وخاتم الهجـرة محمـود احمـدا

وهـو لدولـة الشريعة ختـام
اذ هو من بيت به كان الختـام

يـــؤم عيسى خصـــه تكرمـــا
بذاك من أولى العبــاد النعمــا
وملكه اختلف فيـــه الاثـــر
وكونــه سـبع سنين الاكثـــر
علمــه محمـــد واحمـــــد
أبـــوه عبـــد الله نعم السـيد
قائـــد جيشـــه الرئيس من تميم
شعيب (١) بن صالح الندب الزعيم
تسبقـــه حـــوادث عظـــام
وفتن خطوبهـــا جســـام
من هولهـــا تنفطـــر الأكبـــاد
من حرهـــا تنقطع الاجســـاد
كحمـــرة تنشر فى الســــماء
تظهـــر فى افقهـــا للـــرائى
ليســـت كمثـل الشــفق المعتاد
بمشق فوق سورها ينـــادى
كمـــا اتى المنادى ويل للعـــرب
من شر ذكـــر قـــوله قـــد اقترب
ويظهـــر النجم يضيء كالقمـــر
بمشرق وقـــال فى عقـــد الـدرر
يعطف حتى يلتقى أو يقتـــرب
ومعظم البلاد اذ ذاك خـــرب
ويــوقظ النـــائم صـــوت يسمع
فى رمضـــان ان ذا لمقـــزم
فى ليلـــة النصـف وشمس تكسف
فى نصـــفه والبدر قالوا يخسف
أولـــه وتـــان الاثنـــان
لم تقعـــا فى غابـــر الازمـــان

الخ ما ذكره فيه وقوله سابقا وجده العباس الخ أشار فيه الى ماورد فيه من أن العباس رضى الله عنه جدله من جهة قال ابن حجـر الهيتمى مـا ورد من كـونه ولد من كونه من ولد العباس لا ينافى انه من ذرية نبينا صلى الله عليـه وسلم لأنه يمكن أن يكون للعباس فيه ولادة من جهة ان فى امهـاته عباسية والحاصل ان للحسن فيه الولادة العظمى لأن أحاديث كونه من ذريته أكثر وللحسين فيه ولادة أيضا وللعباس فيه ولادة أيضـا (تنبيـه لطيف) ممـا فضلت به فاطمة الزهـراء على أخـواتها ان المهدى المبشر به فى آخـر الزمان من ذريتها كما جزم به السهيلى فى الروض الأنف فهى مختصـة بذلك عنهن والاحاديث فى أمر المهـدى كثيرة وقد جمعها أبو بكر بن أبى خيثمة فأكثر ومن أغربها اسنادا ما ذكره أبو بكر الاسـكافى فى فوائد الاخبـار مسندا الى مالك ابن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : (من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدى فقد كفر) وقال فى طلوع الشمس من

(١) قوله شعيب بن صالح بتنوين شعيب وكسره دون حذف للـوزن وهو جائز كمـا فى قراءة عاصم والكسائى عزيز بن الله حكاية عن اليهـــود لعنهم الله بابقاء التنوين وكسره فى الشاطبية وغيرها أ.هـ مؤلفه .

مغربهـا مثـل ذلك فيما أحسب أ هـ • ملخصـا من الروض الأنف للسهيلى واعلن ان المهـدى يبايـع وهو كاره فلا يطلب البيعة بل يهرب منها قال العلامة ابن حسام الدين فى تأليفه (البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان) وعن أبى جعفر قال يظهر المهدى يوم عاشوراء وكأنى به يوم السبت العـاشر من المحـرم قائم بين الـركن والمقـام وورد انهم يأتونه بمكة فيقولون له أنت فلان ابن فلان فيقول بل أنا رجـل من الانصـار فيفلت منهم فيصـفونه لأهل الخبرة فيقولون هو صاحبكم الذى تطلبونه قـد لحق بالمدينـة

فيطلبونه بها فيخـالفهم الى مكة فيصيبونه بها فيقولون له أنت فلان ابن فلان وأمك فلانة بنت فلانة وفيك آية كذا وكذا وقـد انفلت منا مرة فمد يدك نبايعـك فيقول لست بصـاحبكم وينفـلت منهم فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم الى مكة فيصيبونه عنـد الركن ويقولون اثمنا عليك ودماؤنا فى عنقك ان لم تمد يدك نبايعـك هـذا عسكر السفيانى قد توجه فى طلبنا عليهم رجل من حزم فيجلس بين الركن والمقام فيبايع فيلقى الله محبته فى صدور الناس فيصير مع قوم أسد بالنهـار ورهبـان بالليـل (وفى القسطلانى) أن ظهور المهدى قبل الدجال بسبع سنين وأن الدجـال يخرج على رأس مائة وان قبـله مقدمات تكون فى سنين كثيرة وانه قبـل طلوع الشمس من مغربهـا وجزم السيوطى ان الدجال يسبق نزول عيسى والله أعلم • (وقـد حاول ابن خـلدون) فى مقـدمة تاريخه تضعيف أحاديث المهـدى الواردة فيه بكل حيلة أمكنته ومع ذلك لم يمكنه الطعن الا فى بعضها لا فى جلها وكثـير من اعتراضـه وطعنـه لا يسلم له ، وعلى تسليمه فأحاديث المهدى الواردة فيه أكثر من ذلك فقـد بلغت حـد التواتر وكثرتها قاضية بصحتها والقطـع بها قال فى مراقى السعود :

واقطع بصـدق خبـر التواتر
وسـو بين مسـلم وكافـر

فهى لكثرتها بعضها يعضد بعضا وقوله عليه الصلاة والسلام الثابت فى الصحيحين (كيف أنتم اذا نزل

ابن مريم فيكم وامامكم منكم) محمول على المهدى كما عليه المحققون لورود الاحاديث المصرحة بأن نزول عيسى عليه الصلاة والسلام يقع والمهدى موجود فى الأرض وانه يؤم عيسى عليه الصلاة والسلام فى أول صلاة اجتمعنا عندها وبعد ذلك يصير عيسى هو الامام وهذا أعظم دليل على أنه الخليفة الذى يكون فى آخر الأمة كما فى صحيح مسلم من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يكون فى آخر أمتى خليفة يحثى المال حثيا لا يعده عدا) خلافا لما زعمه ابن خلدون من أنه لا دليل يقوم على انه أى المهدى المراد بهذا والله أعلم .



(الفصــل الثــانى)

قد أخرج البخارى فى صحيحه فى شأن عيسى عليه الصلاة والسلام ما لفظه (باب نزول عيسى بن مريم عليهمــا لســلام) حدثنا اسحــق أخبرنا يعقوب ابن ابراهيم حدثنا أبى عن صالح عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : (والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمــا عــدلا فيكسر الصليب ويقتــل الخنزير ويضــع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها) ثم يقول أبو هريرة واقرءوا ان شئتم (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيــامة يكون عليهم شــهيدا) ا هـ بلفظــه وقــوله اقرءوا .. الخ.. يشير به البخارى الى أن أبا هــريرة يفسر الآية بأن ايمان أهــل الكتاب به قبل موته واقع بعد نزوله وتفسير أبى هريرة بذلك فى غاية الحسن وفى البخارى بعد الحديث الاول باسناد متصل عن أبى هريرة (كيف أنتم اذ نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم) وفى صحيح مسلم (والله لينزلن ابن مريم حكمــا مقسطا فيكسر الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض وليدعون الى المال فلا يقبله أحد) ا هـ .. وفى هذا الحديث اشارة الى كثرة سكة الحديث فى آخــر الزمان والاستغناء بها عن القلاص حيث تتــرك ولا يســعى عليهــا للاستغناء عنهــا بالســكة فهــذا الحــديث من أعــلام نبوته صلى الله عليه وسلم والى هــذا المعنى يشير أيضا قوله تعالى : « وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » أى مثل فلك البحر فمثــله فلك البر وفى صحيح مسلم انه أى عيسى ينزل عنــد المنــارة البيضــاء شرقى دمشق ا هـ .. وفى سنن الترمذى فى باب ما جــاء فى نــزول عيسى ابن مريم عليهما السلام ان رسول الله صــلى الله عليــه وسلم قال : (والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا

فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) اهـ .. وفيه فى حديث الدجال الطويل فبينما هو كذلك اذ هبط عيسى بن مريم عليه السلام بشرقى دمشق بين مهرودتين واضعا يده على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ قال ولا يجد ريح نفسه يعنى أحد الا مات وريح نفسه منتهى بصره قال فيطلبه أى فيطلب عيسى الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله قال فيلبث كذلك ما شاء الله الخ الحديث وهو طويل وفى آخره انه فى زمنه يقال للارض أخرجى ثمرتك وردى بركتك وان البركة يحصل منها ما فيه عبرة لأولى الالباب وقوله بين مهرودتين روى بالذال المعجمة والمهملة أى ثوبين مصبوغين بالورس اهـ .. وقد ورد فى نزوله ومدة مكثه فى الارض بعد الدجال كثير من الاحاديث تركنا بعضه اختصارا للقطع بأمره لأنه نص القرآن العظيم وسيأتى فى الخاتمة ان شاء الله قريبا ذكر زيادة من الاحاديث الواردة فيه وفى مدته ، وقد نظم مجدد العلم ببلادنا سيدى عبد الله ابن الحاج ابراهيم فى روضة النسرين حاصل خبره ونزوله من السماء بقوله رحمه الله تعالى :

نزوله للارض مثل الشمس
لانه سما مقام الحدس
ينكح للتى سماها راضيه
وفى بنى كلف تراها راسيه
خمسا واربعين فى المنتظم
وغيره يمكث نجل مريم
او مكثه سبع كما فى مسلم
او اربعين والصحيح قدم
وللوفاق جنح السيوطى
وكونه يلد فى المضبوط
ودفنه مع النبى المطهر
تضعيفه ثبت لابن حجر
آخر من جدد ذا النبى
وقيل انه هو المهدى

قوله لأنه سما مقام الحدس أى علا على الظن فالحدس هو الظن وقوله وقيل انه هو المهدى اشارة الى رواية ابن ماجه وقد تقدم الكلام عليها فراجعه ان شئت فى المقدمة (الخاتمة رزقنا الله حسنها) قد تقدم ان ظهور المهدى قبل الدجال سبع سنين وان الدجال يخرج على رأس مائة وان قبله مقدمات تكون فى سنين كثيرة وانه قبل طلوع الشمس من مغربها وجزم السيوطى بأن الدجال يسبق نزول عيسى والله أعلم .

وقد جاء فى الحديث أن الدجال يخرج على رأس مائة ويقتله عيسى ابن مريم وفيه كما تقدم أن عيسى يجتمع مع المهدى ويتعاونان على الجهاد ، فقد أخرج ابن أبى حاتم فى التفسير كما قاله السيوطى فى كتاب (الكشف عن مجاوزة الأمـة الألف) عن عبد الله بن عمـرو قال ما كان مذ كانت الدنيا رأس مائة سنة الا كان على رأس المائة أمر فاذا كان رأس مائة يخرج الدجال وينزل عيسى بن مـريم فيقتـله وأخـرج الطبرانى عن عبـد الله ابن سلام قال تمكث الناس بعـد الدجال أربعين سنة تعمـر الأسواق ويغرس النخـل وأخـرج الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنـه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم فيمكث فى الناس أربعين عاما » وأخرج أحمد فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » : (يخرج الدجال فينزل عيسى بن مريم فيقتـله ثم يمكث عيسى فى الأرض أربعين سنة اماما عادلا وحكما مقسطا) وأخـرج أحمد فى الزهد عن أبى هريرة قال يمـكث عيسى بن مـريم فى الأرض أربعـين سـنة لو يقـول للبطحاء سيلى عسلا لسالت وأخرج الحـاكم فى المسـتدرك عن ابن مسعود رضى الله عنـه عن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : (بين أذنى حمار الدجال أربعون ذراعا فذكر الحديث الى أن قال وينزل عيسى ابن مريم فيقتله فيتمتعون أربعين سنة لا يموت أحد ولا يمرض أحد ويقول الرجل لغنمه وللذئاب اذهبـوا فارعوا وتمر الماشية بين الزرعين لا تأكل منـه (١) سنبلة والحيات والعقارب لا تؤذى أحدا والسبع على أبواب الدور لا يؤذى أحدا ويأخذ الرجل المدمن القمح فيبـذره بلا حـرث فيجىء منـه سبعمائة فيمـكثون فى ذلك حتى يكسر سـد يأجـوج ومأجـوج فيمرحـون ويفسدون فى الأرض فيبعث الله دابة من الأرض فتدخل

(١) قوله منه اى الزرع المفهوم من ذكر الزرعين لان الكل هو مرجع الضمير ا.هـ مؤلفه .

آذانهم فيصبحون موتى أجمعين وتنتن الارض منهم فيؤذون الناس بنتنهم فيستغيثون بالله فيبعث الله ريحا يمانية غبراء ويكشف ما بهم بعد ثلاثة وقد قذفت جميعهم فى البحر ولا يلبثون الا قليلا حتى تطلع الشمس من مغربها • وأخرج أبو الشيخ فى كتاب الفتن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال فيمكث فى الارض أربعين عاما فيعمل فيهم بكتاب الله وسنتى ويموت ويستخلفون بأمر عيسى رجلا من تميم يقال له المقعد فاذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال ومصاحفهم) وأخرج مسلم والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يخرج الدجال فيمكث فى أمتى أربعين يوما ثم يبعث الله عيسى عليه السلام فيطلبه حتى يهلكه ثم يبقى الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يبعث الله تعالى ريحا باردة تجىء من قبل الشام فلا تدع أحدا فى قلبه مثقال ذرة من الايمان الا قبضت روحه حتى لو أن أحدكم دخل فى كبدجبل لدخلت عليه حتى تقبضه ثم يبقى اشرار الناس فيجيئهم الشيطان فيأمرهم بعبادة الاوثان فيعبدونها) ، وأخرج أبو يعلى والرويانى فى مسنديهما وابن قانع فى معجمه والحاكم فى المستدرك والضياء فى المختارة عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان لله ريحا يبعثها على رأس مائة سنة تقبض روح كل مؤمن) اهـ .. (وفى تحفة المجددين لجلال السيوطى ما نصه) :

وآخر المئين فيها يأتى — عيسى نبى الله ذو الآيات
تجدد الدين لهدى الامة — وفى الصلاة بعضنا قد أمه
وبعده لم يبق من مجدد — ويرفع القرآن مثل ما بدى
وتكثر الاشرار والاضاعه — من رفعه الى قيام الساعة

ومراده بقوله بعضنا قد أمه المهدى المنتظر كما أقره فى غير هذا من مصنفاته رحمه الله وفى آخر

حديث الدجال الطويل وقتل عيسى له مانصـه ويبقى شرار النـاس يتهارجون تهارج الحمـر فعليهم تقـوم السـاعة رواه مسلم فاذا تأملت ما سـطرناه من أحـاديث عيسى والمهـدى المنتظـر مع أنه قليل بالنسبة لما تركناه مـع صفة عيسى بن مريم الآتية ان شـاء الله فى حـديث الموطأ والبخـارى — ووقفت على أحاديث صفة المهدى المنتظر وسعة علمه وخوارق العادة التى تحصل له وقبـله علمت أن كل دعوى مثل هـذه الترهـات الباطلة لا يلتفت اليها ولا يصغى عاقل ذو بصيـرة أحوى مسلم ذو عقيدة صحيحة اليها وحديث الموطأ هو مالك عن نافع عن عبد الله بن عمـر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رأيتنى الليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجـال له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها فهى تقطر ماء متكئا على رجلين أو على عواتق رجلين يطوف بالكعبة فسألت من هذا فقيل هذا المسيح بن مريم ثم اذا أنا برجل جعـد قطط أعور العـين اليمنى كأنها عنبة طافية فسألت من هذا فقيل لى هذا المسيخ الدجال) ا هـ .. ونحوه فى صحيح البخـارى وزاد فى صفة الدجال قوله أقرب الناس به شبها ابن قطن رجل من خزاعة ، وفى الحـديث ان عيسى عليه السلام أحمر ربعة أى متوسط بين الطول والقصر فاذا تحصـل ما قررناه عندك وتأملتـه من أوله الى آخره وتدبرت فى أن المهـدى يسبق الدجال كمـا تقـدم بسبع سنين والدجال يخـرج على رأس مائة كمـا فى الأحـاديث السابقة وعيسى عليه السلام يدرك المهدى ويجتمع معه ويقتل الدجال معـه علمت أن هذا كله متأخر الى رأس مائة آتية والله أعلم بهـا هل هى هذه الآتية أى الخامسة وهو ظاهر كلام السيوطى فى رسالة الكشف عن مجـاوزة الأمة الألف أو هى مائة أخرى آتية فعلم ذلك الى الله وأما دعاوى الدجاجلة لذلك فكثير ما تقع بدون دليل ويكفيك ان الله تعالى يفضح كل من أدعى ذلك ، اما بمـوت قبـل اظهار ما ادعى

أو عجز واضح أو اختبال أو غير ذلك وهذه الدعاوى الباطلة أخبر بها النبى الصادق صلى الله عليه وسلم ، ففى البخارى فى باب علامات النبوة عنه صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله) اهـ ..

بلفظه وقد أخرجه الترمذى أيضا بهذا اللفظ وأخرج الترمذى وصححه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى يعبدوا الاوثان وأنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم انه نبى وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى) ، والى هذا المعنى أشار الاخضرى فى الجوهرة القدسية بقوله :

قد جاء الحديث عن خير الورى
لن يأتى الدجال اعنى الاكبرا
حتى تجىء قبله دجاجلة
كل يلوذ بطريق باطلة

وقد وقع ذلك فى أقطار البلاد قديما وحديثا نسأل الله بمنه العصمة من الضلال والنجاة من شرور الأهوال واذا كان مما علم من الدين ضرورة انه لا نبى بعد نبينا صلى الله عليه وسلم الا ما أخبر به من نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان حاكما بشرعنا لا بشرعه الأول ولا بشرع جديد فى آخر الزمان كان نزول عيسى غير مناقض للآية الشريفة وهى قوله تعالى : (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ، وقوله عليه الصلاة والسلام كما فى صحيح البخارى « وأنا خاتم النبيين » وقوله « لا نبى بعدى » كما فى الترمذى وغيره وذلك لأن القرآن أثبت البعدية للنبى صلى الله عليه وسلم على عيسى قال تعالى حكاية عنه : (ومبشرا برسول يأتى من بعد اسمه أحمد) ،

فنزوله آخرا غيرمناف لذلك لأن المعتبر زمن تشريعه ونزول الأنجيل عليه قبل رفعه كما هو ضرورى وأما زمنه الأخير فهو أمر آخر أراده الله تعالى تشريفا لهذه الأمة ونفعا لها برفع كثير من الشر عمن أدركه عيسى منها واظهارا للموجود من أهل الكتاب اذ ذاك أن قوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه

ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتـلوه يقينـا بل رفعه الله اليه) ، وقوله : « وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيـامة يكون عليهم شهيدا » حق لا مرية فيه الى غير ذلك من الاسرار التى الله أعلم بهـا .

وقد سئل :

ابن حجـر الهيثمى كمـا فى الفتاوى الحديثية له عن وجه حكم عيسى عليه السلام بشرع نبينا عليه الصلاة والسلام هل هو باجتهـاد أو بمذهب أحد المجتهدين ؟

فأجـاب :

بقوله عيسى صـلى الله عليـه وسلم منزه عن أن يقلد غيره من بقيـة المجتهـدين بل هـو أولى بالاجتهاد ثم علمه بأحكام شرعنا أم بعلمها من القرآن فقط اذ لم يفرط فيه من شيء وانما احتجنا لغيره لقصورنا وقد كانت أحكام نبينا صلى الله عليه وسلم كلهـا مأخوذة من القرآن ، ومن ثم قال الشافعى رضى الله عنه كل ما حكم به النبى صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن فلا يبعد ان عيسى صلى الله عليه وسلم يكون كذلك أو برواية السنة عن نبينـا صلى الله عليه وسلم فانه اجتمع به فى حياته مرات ومن ثم عـد من الصحابة ثم ذكر عـدة أحـاديث مصرحة باجتماعه مرات نبينا صلى الله عليه وسلم ولا نقص على عيسى فى نسخ شرعه بشرعنا كما لا نقص فى نسخ بعض شرعنا لبعض فالكل من عند الله تعالى لحـكم اقتضت ذلك ونظر مصـالح عباده وتفرده تعالى بالربوبية والفعـل بالاختيار لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

وأما المهـدى فشريف النسب يكون مجتهدا مطلقا وقطبا فى الباطن تأتى معه علامات وخوارق كما هو منصوص فمن لم يكن فى وصفه اذا ادعى انه هو فضحته شواهد الامتحان قال الشاعر :

كل من يـدعى بمـا ليس فيـه
كذبته شـواهد الامتحـان

وقـال الابوصـيرى

والدعـاوى مالم تقيموا عليهـا
بينـات ابنـاؤها ادعيـاء

فاذا كان الأمر كما علمت تبين لك ولكل واقف على هذه النصوص القاطعة ان مثل هذه الترهات المعزوة الآن لمن يدعى انه عيسى أو المهدى مع ما هو منسوب له ومسطور عنه من الكذب وتناقض الأقوال وتحريف الكلم عن مواضعه واللحن الفاحش الذى يأمن منه من قرأ المقدمة الاجرومية بل من خالط أدنى مخالط للسان العرب لا ينبغى أن يلتفت الى تضييع ساعة من نهار فى مطالعته بل لا يلتفت اليها الا سخفاء العقول ، ويقال فى حق من أصغى اليها « ان هم الا كالأنعام بل هم أضل » ، (فان قيل) لابد من رد مثلها لئلا يضل أغبياء الأمة وينتشر الباطل لأن له صولة فى أوائل أمره قبل الاضمحلال (قلنا) قد كتبنا من النصوص القواطع ما عسى الله أن يقذف به على ما هنالك من الكفر والضلال قال تعالى : (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) ، قال كاتبه وجامعه محمد حبيب الله ابن الشيخ سيدى عبد الله ابن ما يأبى الجكنى أصلا الشنقيطى اقليما المدنى مهاجرا نزيل مكة كالا هذا آخر ما قصدنا تحريره فى هذه النازلة ان كان وضع أدلته فى محالها صوابا فمن الله وجود صوابه والا فمن محل الخطأ وجرابه (وسميت ما فى هذه الاوراق بالجواب المقنع المحرر فى الرد على من طغى وتجبر بدعوى انه عيسى أو المهدى المنتظر) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وأصحابه أجمعين ❊ وكان الفراغ منه وقت آذان صلاة العشاء مستهل صفر الخير سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة بعد الالف قبالة بيت الله الحرام رزقنا الله بسبب ختمه حسن الختام ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ، انتهى بحمد الله وحسن توفيقه وتأييده جعله الله مقبولا ونافعا للأمة آمين .

فهـــرس العـــدد



الجزء الثانى ـ السنة الثانية والخمسون ـ ربيع الاول سنة ١٤٠٠ هـ ـ فبراير ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات قرآنية :

النبى الأمى الذى ملأ الأرض رحمةً وعدلاً وإشراقًا ونورًا

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى فى سورة الأعراف (١٥٨)

« قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

البيان

فى صبيحة اليوم الأغر ــ الثانى عشر من ربيع الأول ــ ومن مشرق الهدى والسنا والجلال أشرق جبين المصطفى الهادى على الربى والبطاح ، ليطوى بنور هداه ظلمات الوثنية والجهالة ، ويكشف للناس آفاق العلم والعرفان ، ويرشدهم الى مناهج الخير ، ومسالك السعادة فى الدنيا والآخرة ، ورحم الله العباس بن عبد المطلب اذ يقول فى ذلك :

وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد تخترق

وكان ميلاده الشريف بعد حادثة الفيل بخمسين يوما ، تلك الحادثة التى جعلها الله ارهاصا لنبوته ، وتكريما لقبلته ، حيث أرسل على غزاتها « طيرا أبابيل

ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول » .

طيب منبته

كان صاحب الذكرى العطرة ، رفيع الحسب ، عظيم النسب ، جليل المنبت ، طاهر الأصول ، اذ تبرأ أصله ونسبه الشريف من سفاح الجاهلية ، ولم يعرف لوليد مثل آبائه الغر الميامين ، فيعوالى الهمم ، ومحاسن الشيم ، ونظافة الأعراض .

عن على كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وأمى ، ولم يصبنى من سفاح أهل الجاهلية شيء » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يلتق أبواى قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة ، الى الأرحام الطاهرة مهذبا ، لا تنشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما » .

وفى صحيح مسلم عن واثلة ابن الأسقع رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

اليهود كانوا يتوقعون ميلاده

كانت الكتب السماوية تبشر بقرب مولد رسول من ولد اسماعيل ، موطنه وادى فاران بمكة .

وقد ذكرت علاماته التى يتميز بها ، وفى جملتها أن بين كتفيه خاتم النبوة .

وكان اليهود يتوقعون ظهوره فى الفترة التى ولد فيها ، فقد كانوا يزاولون حساب النجوم ، وقد ظهر لهم من حسابهم أنه يولد فى ليلة معينة .

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : « كان بمر الظهران راهب يسمى عيصا من أهل الشام ، وكان يقول : يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب ، ويملك العجم

ـ هـذا زمانه ـ فكان لا يولد مولود الا ويسأل عنه ، فلما كانت صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خـرج عبـد المطلب حتى أتى عيصا ، فناداه فأشرف عليه ، فقال عيصا : كن أباه ، فقـد ولد ذلك المولود الذى كنت أحـدثكم عنـه يوم الاثنـين ، ويبعث يوم الاثنـين ، ويموت يوم الاثنـين ، ثم قال : فما سميته ؟ قال محمـدا ، قال : والله لقـد كنت أشتهى أن يكون ذلك المولود فيكم يا أهل هـذا البيت بثلاث خصال : أنه طلع نجمه البارحة ، وأنه ولد اليـوم ، وأن اسمه محمد » .

وعن عائشة أنها قالت : (كان بمكة يهودى يتجـر فيها ، فلمـا كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : يا معشر قريش . هـل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا لا نعلمـه ! قال : ولد الليلة نبى هـذه الأمة الأخيرة ، بين كتفيـه علامة فيهـا شـعرات متـواترات كأنهن عرف فرس ، فخـرجوا باليهودى حتى ادخلوه على أمه ، فقالوا : اخرجى لنا ابنك ، فأخرجتـه وكشفوا عن ظهره ، فرأى تلك الشامة ، فوقع اليهودى مغشيا عليه ، فلمـا أفاق قالوا : ما لك ويلك ؟ قال : ذهبت النبوة من بنى اسرائيـل) رواه الحـاكم .

وهذه العلامة التى تحدث عنها اليهودى هى خاتم النبوة الذى بين كتفى النبى صلى الله عليه وسلم ، روى البخارى فى صحيحه أن هذا الخـاتم كان كَـزِرِّ الْحَجَلَةِ ، وانه كان ينم مسكا ، أى تخرج منه رائحة المسك بقدرة الله تعـالى ، لكى يكون ذلك عـلامة مميـزة لنبوته صلى الله عليه وسلم ، كما وردت فى الكتب السماوية ، قبل أن يعبث بها العابثون .

العـالم قبـل مولده الشريف

كان الناس قبل مولده صلى الله عليه وسلم يتخبطـون فى الظلام ، ويعيشون فى الأوهام ، ويقضمون الضريع والزقـوم من المظـالم ، ويحيون حياة الدواب والسوائم .

وكانت الأوثان تقـــدس فى المعـابد والبيــوت ، وتقدم لهـا القـرابين ، وتراق فى مذابحهـا النسائك ، وانك لتعجب أن يصنع الناس آلهتهم بأيديهم ، ثم يخرون لها ساجدين ، فكيف استساغوا أن يعبدوا ما صنعته أيديـهم ، والاله يخلق غيره ولا يخلقه سـواه انك لتعجب أن يضرعـوا اليها عنـد شح الأمطار ، لتجعل المزن تروى وديانهـم حتى ينبت الكلأ وترعى المـاشية ويشربـون من عـذب مياهها ، ومـالها الى اجابتهم من سبيل ، وانـك لتـدهش حـين يستنصرونهـا فى الحـــروب ، ويستشفوا بها اذا مسهم السقام ، مع أنها لا تستطيع أن تدفع عنها من يحطمها ويزلزل قدسيتها ، ومع أنها عودتهم أن لا تجيب لهم مطلبا ولا تحقــق لهم أملا ، وأصــدق ما وصفت به قول الحـق سبحانه « ان الذين تدعـون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعـوا له وان يسـلبهم الـذباب شـيئا لا يستنقـذوه منـه ضعف الطالب والمطلوب» وقوله جل وعلا : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملـكون كشـف الضر عنـكم ولا تحويلا » .

لقـد كان عابدوهـا يقيمـون بأنفسهم الحجة على ضعفها ، فانهم كانوا يتركونهـا ويدعون القدير العليم اذا اشـتدت عليهم المحن ، لشعورهم بعجزها عن تلبية دعائهم ، لـكنهم كـانوا يتناقضـون ، اذ يعـودون الى تقديسها بعـد أن كشف الله الضر عنهم ، وظهر لهم عجزها ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة النحل : « ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون » ويقول فى سورة الاسراء « واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعـون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسـان كفورا » .

وكانت الخمر أم الكبائر شرابهم المفضل ، يدفنون فى سكرهم منها همـومهم ، ويبررون بهـا عبثهم ونزقهم ، وينشـرون فى نشـوتها

هذرهم ومجونهم ، وما فطنوا الى أنهم حين يعاقرونها يفتكون بعقولهم ، ويحطمون ارادتهم ، ويقضون على كبودهم وأعصابهم ، وينفقون أموالهم فيما يضرهم .

وكانت الدعارة فاشية بينهم ، وبخاصة بين امائهم ، وكانوا يقيمون لهن خياما خارج دورهم ، يغشاهن فيها آثموهم ، وما كانوا يرون عيبا أن يجعلوا من أعراضهن مرتزقا لهم .

ولما أرادت قريش جمع المال لبناء الكعبة ، طلب أشرافهم أن لا يساهم أحد فى بنائها بمال حصل عليه من اثم بغى .

وكانت المظالم منتشرة ، فالقوى يستعبد الضعيف ويسخره ، ويتخذه دابة ذلولا ، فلا يرعى فيه انسانية ، ولا تسترحمه به شفقة .

وكانت الحرب سجالا بين القبائل ، فكم من قبيلة أفنتها قبيلة ، وكم من فصيلة طحنتها فصيلة ، وكان يسيطر على العالم أمتان كبيرتان — الفرس والرومان — يتنازعان فيه على السيطرة والسلطان ، ويتنافسان فى الظلم والطغيان .

وكانت الحرب دائمة الاشتعال بينهما من أجل السيطرة على الأمم الضعيفة ، وكانت هذه الأمم المغلوبة على أمرها وقود الحرب فيما بينهما .

وكانت السجايا الكريمة كاسدة البضاعة ، والأخلاق الذميمة رائجة بين الناس ، الى غير ذلك من المفاسد والمعايب ، فكان من الحكم البالغة أن يبعث الله خاتم النبيين ليقضى على تلك المفاسد ، وينشر الهدى بين الناس ، حتى يذروا ماهم عليه من الانحراف فى العقيدة والسلوك .

نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم يتيما ، فقد مات أبوه عبد الله وهو فى بطن أمه ، ثم فقد أمه وسنه خمس سنين ، وذلك حينما عادت به من زيارة أخواله بنى عدى بن النجار بالمدينة ، فلحقتها منيتها بالأبواء وهى فى طريقها الى مكة .

روى الزهرى عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة أم النبى صلى الله عليـه وسلم فى علتها التى ماتت بها ــ ومحمـد صلى الله عليه وسلم غلام يفع له خمس سنين عند رأسها ــ فنظرت الى وجهه وقالت أبيات شعر ، ثم قالت : (كل حى ميت : وكل جديد بال ، وكل كثير يفنى ، وأنا ميتة وذكرى باق ، وقـد تركت خيرا وولدت طهرا) •• الخ ••

وقد نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم منـذ ولد فى كفـالة جده عبد المطلب ، زعيم قريش ، ثم لم يلبث جده أن توفى والرسول فى سن الثامنـة ، فكفـله عمـه أبو طالب الذى آلت اليه زعامة قريش •

ومع هذا اليتم فقد نشأ صلى الله عليه وسلم بعيد الهمة ، عزوفا عن صغائر الأمور ، سامى النفس ، رصين التصرف ، رفيـع الخلق ، بعيدا عن صغار الأطفال ، وسذاجة تصرفهم ، ولا عجب فى ذلك فقد نشأ فى مدرسة الرحمن الرحيم ، تصنعه العناية الالهية ليكون خاتم المرسلين •

وقد كانت آثار هـذه العنـاية بادية عليه فى أمره كله ، ومن ذلك ما اخـرجه ابن عساكر عن جلهمة ابن عرفطة قال : قدمت مكة وهم فى قحط ، فقـالت قـريش : يـا أبا طـالب • أقحط الوادى وأجدب العيال ، فَهَلُمّ فاستق ، فخرج أبو طالب ومعـه غلام كأنه شمس تجلت عنها سحابة ، وحوله أغيلمة ، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ، ولاذ الغلام بأصبعه وما فى السماء قـزعة (١) فأقبـل السحاب من ها هنـا وها هنـا ، وأغدق واغدودق ، وانفجـر له الـوادى ، وأخصب النـادى والبـادى ، وفى ذلـك قـال أبو طالب •

وابيض يسـتسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتـامى عصـمة للارامل (٢)

---

(١) أى قطعة من السحاب ، وهى واحدة القزع

(٢) الثمال الملجأ ، والمراد بالأرامل المساكين من رجال ونساء ، وأكثر ما يطلق على النساء ، وعصمته للأرامل منعه لهم من الضياع .

ثم سافر الى الشام مع أبى طالب مرتين ، احداهما فى الثانية عشرة من عمره ، والثانية فى الثامنة عشرة ، وقد حدثت له ارهاصات وكرامات عجيبة فى الرحلتين ، كتظليله وحده بالغمام ، دون غيره من الركب ، وتسليم الجمادات عليه وغير ذلك ، ولما رآه بحيرا الراهب احتضنه وقال : هذا هو النبى الذى بشرت به التوراة . وأوصى عمه أن يحافظ عليه من اليهود .

وقد تجلى من صفاته الصدق والأمانة ورجاحة العقل ، حتى عرف بذلك بين الناس ، فأصبحوا يلقبونه بالأمين ، فعهدت اليه خديجة بتجارة لها فى رحلة الى الشام ، فسافر ومعه غلامها ميسرة ، فرأى منه فى تلك الرحلة من كريم الشمائل ، وعظيم الخوارق ما لم يشاهد مثله ، فلما عادا بالتجارة الرابحة ، أخبر ميسرة مولاته خديجة بما رأى من عجائبه ، فخطبته الى نفسها وتزوجته ، وأنجب منها أولاده عدا ابراهيم فمن مارية القبطية .

موقف قريش من بعثته

لما بلغ الرسول الأربعين ، بعثه الله للناس بشيرا ونذيرا ، ومع تاريخه المجيد فان قريشا أعرضت عما دعاها اليه من شرع الله ، وكافحت دعوته وأغرت به سفهاءها ، حسدا له واستمساكا بما ألفوه من عبادة الأوثان ، تقليدا للآباء دون حجة ولا برهان ، وكانوا يقولون « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

وقد مكث الرسول يدعوهم الى الرشد والهدى ثلاثة عشر عاما ، فلم يؤمن به فيها سوى عدد قليل من الرجال والنساء .

ولعل موقفهم هذا من حكم الله تعالى ، فانهم لو سارعوا الى الايمان به ، لقال العرب من غير قومه : هؤلاء الناس من قريش ، أرادوا أن يملكوا العرب ، فدفعوا رجلا منهم ، فادعى النبوة ليكون ذلك وسيلة الى سيطرتهم على الناس ، وحينئذ ينفرون من دعوته ولا يقبلون عليها ، فلذلك جعل الله موقف قومه منه سلبيا ، وادخر له قوما يفتدونه بالمهج

والأرواح ، وهم أهل المدينة ، فهيأ لقاءهم به فى مواسم الحج قبيل الهجرة ، فشرح الله صدورهم فآمنوا فى شغف ولهفة ، وبايعوا الرسول على أن يمنعوه مما يمنعون منه أولادهم ونساءهم ، ثم هاجر اليهم ، وتبعه مسلمو مكة ، وهناك وجدوا أنصار المدينة قد نشروا الاسلام فى ربوع المدينة ، بارشاد وتوجيه مصعب بن عمير ، وعبد الله ابن أم مكتوم مبعوثى الرسول اليهم ، وهناك آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وبينهم ، فصنعت هذه المؤاخاة العجب العجاب من نشر دين الله فى الجزيرة العربية ، وسقوط دولة الوثنية فى مكة ودخول أهلها وغيرهم فى دين الله أفواجا .

والحمد لله رب العالمين .

يمن اليتيم ونوره فى العالمين

من حكم الله أنه اختار خاتم النبيين يتيما ، ليشعر بآلام اليتامى النفسية ، ويعظم احساسه بحاجتهم الى العطف والرعاية ، ويسمو اكباره لفضل الوالدين ، فلهذا كان صلى الله عليه وسلم معنيا بأمر هؤلاء وأولئك ، بعد أن شرفه الله بالرسالة ، وقد أيده الله بوحيه فى هذه العواطف الكريمة ، فأمعن فى الحث على العناية بهم ، ومن ذلك قوله تعالى « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » وقوله « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » وقوله : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » .

ومن ذلك قوله فى شأن الوالدين : « وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » .

وقد امتد حنانه الى كل فقير وضعيف وحيوان ، وبلغ من رحمته بالفقراء أن جعل أهل الحى الذى يبيت فيه جياع آثمين ، وبلغ من

عطفه على العامل الضعيف أنه أوصى بأن يعطى أجره قبل أن يجف عرقه ، وبلغ من عنايته بالحيوان أنه قال « فى كل ذى كبد حراء صدقة » وقال : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » (١) .

وقد أيده الله أيضا بما أنزل فى كتابه من ايجاب الزكاة للفقراء والمساكين ، والحث على الرحمة وتحريم الظلم .

ومن حكم الله أنه اختاره أميا ، ليكون العلم الذى حواه القرآن الذى بعثه الله به معجزته الكبرى ، وصدق الشاعر اذ يقول :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

وما أعظم ما أحاط به ذلك الكتاب من فنون العلم ، فهو فى القمة من الفصاحة والبلاغة والعلم ، وفى الذروة من الصدق فى أخبار الماضين ، الى جانب ما حواه بين دفتيه من أعدل قواعد التشريع وأعلى مناهج الأخلاق ، وأسمى أساليب التربية والتأديب ، وكل ذلك أو بعضه لا يقدر على الاتيان به الجم الغفير ممن وصلوا الى أعلى الثقافات ، فكيف يستطيع أن يأتى به نبى أمى نشأ فى أمة جاهلة ، ان ذلك يدل بلا أدنى ريب ، على أنه وحى من الله ، وليس من تأليف البشر ولا غيرهم من الجن ، وصدق الله تعالى اذ يقول : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

لقد حوى هذا الكتاب الكريم بين دفتيه وجوب توحيد الاله وأرشد العقول الى أنه « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » وأبطل عبادة الأوثان ، وبين فسادها ، فأفاقت العقول من سكرتها ، وصحت من ثباتها ، واتجهت نحو العقيدة المستقيمة الحقة ، وتلاشى الشرك أو كاد .

---

(١) خشاش الأرض حشراتها

ولقد أجبر منطقه السديد فى التوحيد ، أجبر أصحاب عقيدة التثليث على محاولة توحيد ثالوثهم ، فزعموا أن الثلاثة واحد ، وما يغنيهم هذا فتيلا .

وحوى هذا الكتاب أيضا من قواعد التشريع ما يصلح لكل اقليم ولكل زمان ومكان الى أن تقوم الساعة .

ولقد استطاع الفقهاء أن يستنبطوا من نصوصه بمعونة السنة النبوية موسوعات فى الفقه الاسلامى ، اشتملت على الكثير من فروع العبادات والمعاملات ، والزواج والطلاق والعفو والعقاب ، وغير ذلك مما يحتاج اليه البشر فى مختلف شئونهم .

ولو أن فقهاء جيلنا درسوا فقههم وفتاواهم وأقضيتهم ، لأخرجوا للناس قوانين تريح قلوبهم وتسعدهم وتحل مشكلاتهم ، وتخرس ألسنة الدعاة الى التجديد والانحراف عن الفقه الاسلامى .

فقد بلغت فتاوى بعض الأئمة مئات الألوف بل أكثر ، ولم يتركوا بابا من الأبواب الا طرقوه . ولا مشكلة يمكن أن تطرأ على المجتمع الاسلامى الا حلوها .

ومن أمثلة هذه الموسوعات كتاب الحاوى للامام الماوردى الشافعى المذهب ، وهو كتاب مخطوط يقع فى نحو عشرين مجلدا ، وكذلك فعل السيوطى فى موسوعة له تبلغ عشرين مجلدا ، كما فعل غيرهما من أصحاب المذاهب على هذا النمط وأدنى منه وأكثر .

ولقد فتح القرآن العظيم ، وسنة النبى الأمى الكريم ، أبواب العلم على اختلاف فروعه ، فانتشر فى البلاد التى شع فيها نور الاسلام ، انتشر فيها العلم والعرفان ، والمدنية والحضارة ، فعز أهلها بعد ذل ، وعلموا بعد جهل ، وأمنوا بعد خوف ، وكل ذلك بفضل الله ، ورسالته الى نبيه الأمى اليتيم ، فصلوات الله وسلامه عليه فى كل وقت وحين .

مصطفى محمد الحديدى الطير

تصحيح واجب :

القرآن والعلوم الإنسانية

للدكتور محمد رجب البيومى

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم . » قرآن كريم

نحرص على تقدم الدراسات الاجتماعية ، ونرى فى كثرة المؤلفات الدائرة حولها ما يفيد وينفع لأن كل دراسة جادة تعود بالخير على الانسان ، وقد ظهرت من المؤلفات الجامعية أمثلة مشرقة تتوخى البحث الهادف ، ومن حقنا أن ندلى ببعض انطباعاتنا الخاصة ، حول هذه المؤلفات ، ولن تتعرض لأسماء الكتب والمؤلفين تصريحا لأننا لا نريد التجريح الهادم بل نقصد النقد البناء ، اذ نلفت الأنظار الى ناحية مهمة يتجاهلها أكثر الكاتبين فى هذه الدراسات وهى من الأهمية بالمكان الأول .

يتلقى الطالب الجامعى فى الدراسات الانسانية مذكرات أساتذته ، فيفهمها فهما جيدا يساعده على اجتياز الامتحان آخر العام بنجاح ، ويراها من وجهة نظره المبتدئة صوابا لا مرية فيه ، اذ لا يمكن أن يتصور أن أستاذه الجامعى المتخصص يقدم اليه غير الصائب الصحيح فى كتابه ، وقد يكون هذا الكتاب محدود النظرة يعرض الوجهة الواحدة من وجهات كثيرة دون أن يعرج على ما يخالفها ، وقد تكون هذه الوجهة المختارة لدى المؤلف ذات خطأ يتطلب التصويب ، فالاقتصار عليها دون غيرها تحكم لا مبرر له ، وكان

الأوفق أن يعرض الرأى المقابل مشفوعا بأدلة أصحابه ، لتكتمل الرؤية الصحيحة فى شتى جوانبها ، ولكننا نجد فى أكثر المؤلفات الجامعية ما يقتصر على وجهة معينة وكأنها وحدها موضع الاتفاق بين الدارسين ، وتزداد خطورة هذا الأمر اذا كانت القضية المعروضة تمس جانبا أكيدا من جوانب العقيدة الدينية ، وقد اختار المؤلف ما يعارض الاتجاه الدينى فزكاه وأيده دون التفات الرأى الصحيح .

وقبل كل شيء نحب أن نصرح بالحق دون مواربة ، فنقرر أن نفرا من الذين يكتبون للطلاب فى الجامعة فى علوم النفس والاجتماع والفلسفة والتربية والحضارة والأخلاق قد اقتصرت معارفهم الاسلامية ، على ما أخذوه فى المدارس الثانوية والابتدائية ، فهم لا يعرفون من حقائق الاسلام غير ما ألم به الطالب الناشىء فى مرحلة أو مرحلتين « وهو مقدار » لا يسمح باعطاء تصور كلى عن حقائق الاسلام ، فاذا أضيف الى ذلك أن أكثر هؤلاء الطلبة لم يمتحنوا فى الدين الاسلامى فى نهاية كل مرحلة ، اذ تقضى بعض اللوائح التعليمية فى كثير من الدول الاسلامية أن يقتصر الامتحان فى الدين الاسلامى على ما قبل الشهادة العامة ، اذا أضيف ذلك فلك أن تحكم بأن الطالب فى المرحلتين السابقتين على الدراسة الجامعية ، ينتقل الى الكلية العالية دون المام متوسط بحقائق الدين ، فيكاد يتساوى مع من لم يدرس الدين أصلا ممن لم يلتحقوا بالمدارس التعليمية ، فاذا صلى وصام وتمسك ببعض الأخلاق القرآنية فقد فعل ذلك ناقلا عن أسرته وبيئته دون تثقيف .

هذا الطالب الذى ألم بقشور سطحية فى المرحلتين السابقتين فى مسائل التشريع والعقيدة يتوجه الى الجامعة ليدرس العلوم الانسانية كما حذقها أساتذته الذين يعتمدون على كتب أوربا كل الاعتماد فى هذه العلوم ! وقد يتفوق فى درجته فيلتحق بالدراسات العليا ، وينال الدكتوراه

فى مادة تخصصه ، وهـو فى كل دراساته العالية يخوض فى تيار أجنبى عن الاسلام ، ثم يعين بعد ذلك مدرسا فأستاذا مساعدا فأستاذا موجها ، ليشرح مادته كما تلقاها عن الماديين من أساتذة الغرب ! وهنا تكون الكارثة طامة حين يتعرض الى مسألة أبدى القرآن فيها حكمه الصريح فيتركه الى ما يعرف من أحكام زيفها القرآن ، وأقر بمثل لذلك ما نجده فى مذكرات هؤلاء من حديث عن نشأة الأديان ! اذ يرى القارىء عجبا عاجبا من أوهام ملفقة زيفها القرآن ، واجتباها هؤلاء المتخصصون !

لا يظن قارئى العزيز أنى أبالغ أو أتهكم ، فأنا أتحدث عن واقع مؤلم ، تجسم لدى بهوله المنكر ، حين تصفحت بعض المذكرات الجامعية فى مادة الاجتماع فوجدتها تتحدث عن شىء أولى فى تاريخ الانسان ، تسميه المرحلة الدينية ، وتقول فى توضيح هذه المرحلة ، ما ملخصه أن الانسان القديم بعد الطوفان أخذ يستعمر الأرض حين رأى النبات ينمو بتأثير الماء ، ولكنه شاهد من مظاهر الطبيعة ما أفزعه ، فهو يسمع الرعد ، ويرى البرق ، ويشهد فعل النار ، وتدمير السيول فيعتقد بوجود قوة جبارة قاهرة تفزعه وتخيفه ، واذ ذاك يستكين لهذه القوة خائفا هائبا ، ويرتفع بها الى درجة الألوهية فيكون الرعد والبرق والشمس والقمر والليل آلهة ذات سلطان ، ثم تأتى شخصيات « آدمية » فتدعى النسبة المتصلة بهذه الآلهة ، وتستمد منها قوة تفرض لها واجب السلطان والجبروت فتكون هى الهيئة الحاكمة ، يقول أحد هؤلاء الكاتبين : « وقد انبثقت هذه العقيدة منذ فطامها من تلك العوامل النفسية والقدرية التى عاشت فى ذات الانسان من الدهشة والخوف والتطلع صوب آفاق الأمل القريب أو البعيد ، اذ من ذات الانسان تسلسلت أشعته الفكرية ، ناظرة نظرتها الأولى فى جنبات الكون المحيطة به ، فسبر بفكره الثاقب أغوارها ، وصنع

من هذا الفكر طريقه الى الطمأنينة ، وتبدد خوفه حينما ارتكز بعقيدته الوليدة على وجود ما صنعه الهام فكره من الآلهة » •

فاذا انتهت هذه المرحلة الدينية ذات الفكر الخرافى ، وواصل العقل البشرى نظره الفاحص ، فان مرحلة أخرى تعقبها ، وتقف منها على النقيض ، تلك هى المرحلة العلمية القائمة على التجربة والمشاهدة والاستقراء والاستنباط ، وهى المرحلة التى اكتملت فى عصر النهضة وما تلاه !

هذا الكلام يتردد فى صفحات علم الاجتماع فى فصول تزدحم بالمراجع المحتشدة لأساطين الباحثين فى أوربا وأمريكا ، دون أن يجد جواره ما يوضح الفكرة الاسلامية فى نشأة الدين ! وكأن الكاتب الجامعى غريب عن الاسلام !! واليه ينتسب !!

وأول ما يدهشنا أن صاحب هذا الكلام ! يتحدث عن مرحلة ما بعد الطوفان ! أى عن مرحلة ما بعد نبى الله نوح عليه السلام ، اذ أن الطوفان اذا أطلق بمفهومه العام لا ينصرف الى غير طوفان نوح ، واذا وجد اليوم فيما اكتشف من الآثار ما يدل على تعدد الطوفان فى أزمنة مختلفة ، فذلك كله وليد اكتشافات حديثة لا تختلط بهذا الحدث التاريخى الذى سجلته التوراة ، وذكره القرآن ، ونحن نعلم أن أتباع نوح ممن نجوا من الطوفان كانوا ذوى عقيدة دينية هى عقيدة الاسلام مصداقا لقوله تعالى فى سورة الشورى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ، ويهدى اليه من ينيب ، وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم ، وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب » ١٣ ، ١٤ من سورة الشورى •

فالذين عاشوا بعد الطوفان كانوا يعرفون التوحيد ، ويؤمنون بالله وحده ، ولم يكونوا جميعا ممن يتخذون من البرق والرعد والنار والشمس آلهة ، اذ أن الانسان الأول قد ولد مزودا بغريزته الدينية التي تهديه الى عبادة رب واحد ، وقد انحدر من صلب آدم عليه السلام وهو نبي موحد فتلقى كلمات منه تهدى الى الله ! وما حصل بعد آدم ونوح من انتكاس في العبادة لدى فريق دون فريق كان خطأ يتطلب التصحيح لذلك توالت الأنبياء وتتابعت الرسل ليصححوا هذه الأخطاء الطارئة على الفطرة الانسانية ، وقد جاء نوح ليعيد الفطر المنتكسة الى اعتدالها الصحيح فدعا الى نبذ الأوثان وعبادة رب واحد لا شريك له ، يقول الله عز وجل على لسان نوح في الحديث عن قومه « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ، ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا ، ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا ، وجعل الشمس سراجا ، والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ، والله جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا منها سبلا فجاجا ، قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ، ومكروا مكرا كبارا ، وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيرا ، ولا تزد الظالمين الا ضلالا ، مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا » سورة نوح الآيات من ١٠ الى ٢٥ .

فمن هذا النص الكريم وأمثاله في كتاب الله عز وجل نعلم أن التوحيد الخالص كان ذا أنصار وأشياع قبل الطوفان وبعده ، وأن القول بأن تأليه البرق والرعد والشمس كان مظهرا عاما للحياة في سيرها بعد الطوفان ، وخطوة في طريق القول باله واحد ، هذا القول مخالف للفكرة الاسلامية

التى تؤكد أن الانسان قد فطر على التوحيد منذ آدم عليه السلام ، وأن ما ارتكست فيه الانسانية من شرك وثنى قد كان خطأ فادحا أستوجب بعثة الرسل فى آماد مختلفة لتؤدى رسالة السماء نقية خالصة ! حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فاكتملت على يده الرسالة الصحيحة ، وأعاد الحنيفية السمحة كما نطق بها نوح وابراهيم وعيسى وموسى وجميع من سبقهم من الأنبياء والمرسلين ، وبرسالة خاتم الأنبياء كملت الشرائع الاصلاحية ، وأقيمت المعاملات الانسانية على نهج خلقى قويم .

نقول ذلك ونؤكده لأن نفرا من أصحاب المذكرات الجامعية يتحدثون عن الأخلاق الفاضلة ، وعن قوانين المعاملات ، ووسائل الارتباطات الانسانية كأشياء منفصلة عن الدين ، ولئن صح ذلك لدى بعض الأديان المعاصرة فان الاسلام بكتابه الخالد هو منبع الأخلاق وموردها الصافى لدى أبنائه ، وليس الخلق الاسلامى اصطلاحا اجتماعيا يتغير فى زمن ، ويرجع الى صورته الأولى فى زمن آخر ، كما يتوهم الذين يظنون أن أساليب الحضارة ترتفع ببعض الأخلاق المناسبة وتهوى ببعضها الآخر ، وفق الظروف والملابسات ، لأن الأخلاق فى الاسلام دوائر عامة تشمل الجزئيات ، وهذه الدوائر تتسع للفضائل ، وتضيق عن الرذائل ، معتمدة على التكوين النقى للانسان ، ومقدرة تغير الأحوال وتبدل الملابسات ، فهى تتسع وتمتد حتى تحتضن كل خير ، كما تقف موقفها الصارم من دعوات التحلل والانحدار ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

لقد كان على الأساتذة الذين يؤلفون ويفسرون ، أن يعرفوا أن أكثرية تلاميذهم مسلمون ، وأن أمانة دينهم تلزمهم أن يعرضوا رأى الاسلام فى كل ما يدرسون ، ونحن نعرف أن الدراسات الانسانية بعيدة الجذور فى حقل التأليف العلمى فلدينا من علماء الشرق فى القديم من أسهموا بنصيبهم الكبير فى هذه الدراسات ، فلماذا نغفل كتبهم الذائعة ، ونرتكز

كل الارتكاز على ما قيل فى أوساط بعضها يناوىء الاسلام علانيــة ، وبعضها الآخر يناوئه فى استتار ؟!! وقل أن تجد من يحايده ، وأقل من القليــل من يسلك معــه مسلك الانصــاف ، ولا ننكر أن نقرا من فضلاء المعــاصرين قد تحــدثوا باشباع عن وجهة الاسلام فى كل ما يندرج تحت هذه الدراسات ، فصدرت فى مصر وأخواتهــا كتب تتحدث عن علم الاجتماع الدينى ، وعن علم النفس فى منطق الاسلام ، وعن الأخلاق الاسلامية ونبعهــا الأول فى القرآن والحديث ، وعن فلسفة القرآن كما جاءت فى سوره الكريمة بعيدا عمن حاول المتكلفون الصاقه بها من تراث اليونان ومنطق ارستطاليس كمــا كان على الذين يتعبدون بمؤلفات الماديين فى الغرب أن يطالعوا ما كتبه أنصار الفكرة الاســلامية ليعــدلوا من آرائهم المشتطة ، ولكن غاشية مدلهمــة تنسدل على بعض البصائر ، فتقف فى حــيرة متخبطــة لا تدرى أين المسير ؟ ولو أن هــؤلاء الكاتبين قــد قرأوا كتــاب الله فى صباهم الغض ، واستمعوا الى تفسيره فى كلياتهم الجامعية لاكتمــل لديهم وعى اسلامى يسيطر على ما يطالعون من آراء المــاديين ، ولكن نظــام الدراسة فى شتى مراحلها قد ساعد على الابتعاد عن حقائق القرآن ، كما غمر آراء الأوربيين ببهــارج خادعة تأخذ العين ، فيستسلم لهــا من جهل حقــائق الكتاب المبــين ، بل ان الغفلة الساهية تدفع بعض هؤلاء الى الاعتقــاد الجــازم بكل ما يقوله فيلســوف غــربى دون نقــاش ! ولست انتقص من قدر العقول المفكرة هناك ولكنى أدعو الى نقاش كل فكرة ثم الى مقارنتها بما نعتقد من آراء نزل بها أصدق كتــاب .

كتب أحد هــؤلاء فى مذكرته الجامعية فصلا عن الدين ، صدره بقول برجسون (انّ الدين كمــا يبدو ليس أساسا للأخلاق ولكنه عون لها ، اذ من الممكن تصــور أخلاق بلا دين) وأخذ يبنى فصله الطويل على هذا النص المختــار ، دون أن يخالفــه فى شىء ، ولسنا ننكر مكانة الفيلسوف الفــرنسى

الكبير (هنرى برجسون) ولكننا لا نستطيع أن تتصور أخلاقا تعيش بغير دين ، لأن الدين هـو الذى يجعل المعيار الخلقى ثابتا لا تميل به العواطف والأهواء ، فلا تجترىء الأقلام المغرضة على تفسيره تفسيرا زائفا ينحـرف به من النقيض الى النقيض ، ولئن تورط متسرع فى هذا الزيف البغيض فانه يجد من عشرات الدارسين لدينهم الصريح من يوقفـه على الوجه الصحيح ! فاستناد الخلق الى نص سماوى يجعله حقيقة لا تقبل الشك ! واذا كان الفيلسـوف الـكبير يرى فى بعض الملاحدة من يصنع الخير دون تدين ، فقد رأى الظاهر الواضح ، وغفل عن أن الدين هـو الدعامة الدائمة ، وأن من يفعل الخير دون اعتماد عليه ، لن يثابر على فعله ، وهو نهب غرائز متعارضة لاينجيه من صراعها المشتجر غير عون الهى يدفعـه الى الثبات ، حتى يصبح خلقه الشريف سمة أصيلة فى نفسه ذات رسوخ واطمئنان .

ولعلنا بعد ذلك نلفت كل دارس الى الاستماع الى الرأى المقـابل وتفهمه ، وتكون قيمة هذا الرأى غاليـة ثمينة حين ينبع من كتـاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! فهل من مستجيب .

د. محمد رجب البيومى



فى مواجهة الإلحاد المعاصر :

عدم كفاية العلم فى مجال المعرفة

للدكتور يحيى هاشم

(١١)

عجز العلم عن تجنب الأخطاء الحتمية :

يقول لويس دى بروجلى :

(لا شك أننا لا نستطيع أن نسى أنه يوجد دائما فى المشاهدة والتجربة أسباب للخطأ يستحيل استبعادها كلية ، والتى ينبغى على كل فيزيائى مدقق تقدير أهميتها .

واذا كانت مثل هذه الأخطاء مما لا يمكن تلافيه فان المجرب الحاذق سوف يعرف كيف يقللها ..) (١)

فى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر كانت النتائج التى توصل اليها العلم مدهشة بحيث أنه لم يكن بالامكان تجاهلها أو الشك فيها ، فالعقائد الأساسية فى الايمان العلمى أخذت شكل تعميمات جارية : (معلومة من العلم بالضرورة ..)

هى :

حفظ الطاقة

قوانين التحريك الحرارية

الانتقاء الطبيعى

النظرية ، الميكانيكية فى الحياة ..

وفوق ذلك كله القول بوجود جبرية ميكانيكية قاطعة ..

والحقائق التى اكتشفتها المختبرات لم تكن بعد قد بلغت الكثرة التى يعجز الى جانبها أى تعميم عن أن يحيط بها كلها .

---

(١) الفيزياء والمكروفيزياء ص ١٢٨ ، وانظر ايضا ص ١٣١ ، ١٣٢

ولم يكن الانهيار الذى منيت به النظرية الفيزيائية التقليدية قد وقع بعد ..

وأما الفكرة القائلة بأن مثل هذه التعميمات ان هى الا مبادىء أساسية فى البحث العلمى ، أو وسائل للتوجيه أكثر منها قوانين للكون ، فلم يكن لها الا تأييد قليل والاطار النيوتونى لم يكن قد حطم بعد .. (١)

يقول هرمان راندال :

(من الواضح تمام الوضوح أن النظريات والمفاهيم العلمية تتغير مع الزمن وأن من يذهب اليوم الى أن أيا من الأفكار الحديثة يعبر عن الاشياء كما هى فى الحقيقة ، هو انسان جرىء) (٢)

ويقول :

(والعلماء هم أول من يسلم بأن مجموع معرفتهم طفيف اذا قورن بما يجب عليهم تحريه بعد ، وأن من الواضح أن فرضياتهم على حد كبير من الفجاجة وعدم الملاءمة فى كثير من المواضيع الخطيرة .

وأن المفاهيم النظرية الأساسية هى الآن فى حالة بالغة من التحول السريع وبالرغم من جميع ما نعرفه فان مجموعات أساسية جديدة كاملة من القوى كالفعالية الاشعاعية قد تكشف فيؤدى اكتشافها الى تعديل جوهرى فى أفكارنا العلمية الحاضرة) . (٣)

ومع هذا فلا يزال يسود اعتقاد عند بعض المثقفين ــ يعمل الالحاد المادى العلمى على ترويجه ــ بأن كلمة العلم لا ترد ..

وهى اشاعة لا تفترق فى قطعيتها وعموميتها عما يستقر فى خلد المؤمنين عن عصمة الامام ، أو عصمة البابا ..

وربما هى ترجع الى فكرة سادت عن منطق أرسطو منذ ظهوره بأنه « تعصم مراعاته الذهن عن الخطأ .. »

---

(١) تكوين العقل الحديث ج ٢ ص ٢٨٢
(٢) تكوين العقل الحديث ج ٢ ص ١٣٣
(٣) تكوين العقل الحديث ج ٢ ص ١٢٣ ــ ١٢٤

وربما لأن المنهج العلمى كان هو الوارث للمنطق القديم وهو الوارث للدين فى منطق الالحاد ..

ربما لهذا أو لغيره ورث هذا المنهج دعوى العصمة أيضا ..

يقول هانز ريشنباخ :

(من غرائب الأمور المشاهدة بالفعل ان أولئك الذين يرقبون البحث العلمى من الخارج ، ويعجبون به يكون لديهم فى كثير من الاحيان ثقة فى نتائج هذا البحث العلمى تفوق ثقة أولئك الذين يسهمون فى تقدمه .)

ثم يقول :

(فهو ــ أى العالم لا يزعم أبدا انه اهتدى الى الحقيقة النهائية) .

أما فيلسوف العلم الذى هو أشبه بالحواريين حين يكونون أشد تعصبا من النبى ذاته فهو معرض لخطر الثقة بنتائج العلم ، على أن الافراط فى الثقة بنتائج العلم لا يقتصر على الفيلسوف ، وانما أصبح سمة عامة للعصر الحديث ، أى للفترة التى تبدأ منذ عهد جاليليو الى وقتنا الحالى) ..

ثم يقول :

(فى حالات كثيرة حل الايمان بالعلم محل الايمان بالله) . (١)

ثم يقول ريشنباخ :

(لا عجب ان بدأ العالم الرياضى أشبه بالة صغير ينبغى أن تقبل تعاليمه على أساس أنها بمنأى عن الشك .

وهكذا فان كل مخاطر اللاهوت (كذا) من قطعية جازمة وتحكم فى الفكر من أجل ضمان اليقين تعود الى الظهور فى أية فلسفة تعد العلم معصوما من الخطأ) (٢) .

ويهمنا هنا أن نبين أن هذه العصمة لا وجود لها فى العلم ، كما أنها لا وجود لها فى عقيدة العلماء .

يقول كونانت :

(انى أستطيع أن أكتب مجلدا كبيرا عن الأخطاء التى وقعت فى

---

(١) نشأة الفلسفة العلمية ص ٤٩ ، ٥٠ : وليعلم القارىء ان ريشنباخ لا يغار على محل الايمان بالله ، ولكنه يريد أن يتركه فارغا .

(٢) نشأة الفلسفة العلمية ص ٥٠

تجارب علم الطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان ، من تلك التى وجدت سبيلها الى النشر فى المائة عام الماضية من آراء لم تثمر أبدا ، ومن أحكام مطلقة ، ونظريات ناقض بعضها بعضا) (١) .

وأرى أن الأخطاء الحتمية التى يقع فيها العلم يمكن تصنيفها الى ما يأتى :

النوع الأول : أخطاء التعميم

وهى الناشئة عن كون العلم انما يتحقق من المفردات والجزئيات ، ولا سبيل له الى التحقق من العموميات والنظريات التى يقررها ويعلنها وبعبارة أخرى ، هى الأخطاء الناشئة عن عجز العلم عن التعميم الصحيح (٢)

يقول هانزريشنباخ (التعميم هو أصل العلم) .

ويقول الدكتور ليونيل روبى :

(ان العالم يعمم ولكنه يدرك أن أى تعميم لا يمكن أن يكون أكثر من محتمل لأننا لا يمكننا أبدا أن نكون على يقين من أن عندنا كل البينة ، والمستقبل لا يمكن ضمانه على وجه مطلق ـ حتى كسوف وخسوف الشمس والقمر فى المستقبل ..)

ثم يقول مرة أخرى :

(ان التعميم يتضمن دائما قفزة فى الظلام ما فى ذلك ريب لها ما يسوغها أحيانا وليس لها ما يسوغها أحيانا أخرى) (٣) .

ويقول الدكتور جون كيمنى :

(اننا لا نستطيع سوى مشاهدة حقائق متفردة ، ولذلك فاننا عند ما نجرى عملية التحقق ، تفعل ذلك بالنسبة للمترتبات المنفردة لنظرية ما وليس للنظريات بالذات) . (٤)

هذا وهناك نوعان من التعميم :

التعميم المطرد ، والتعميم الاحصائى ، والفرق بينهما ، اننا فى النمط المطرد للتعميم تؤكد صفة

---

(١) مواقف حاسمة ص ٣٣
(٢) انظر أيضا ما ذكرناه فى عجز العلم عن التعميم
(٣) فن الاقناع ص ٣٨١
(٤) الفيلسوف والعلم ص ١٤٩

مطـردة فى الجنس كله أو الفئـة كلهـا .

أما فى النمط الاحصائى فتؤكد أن خصيصة معينـة تميـز نسـبة معينـة فى الجنس كله أو الفئـة كلهـا .

ومثال الأول تأكيد صفة البياض فى « كل » الأوز العراقى .

ومثال الثانى أن نقـول : ان ٥٣٪ من ذوى الرءوس الحمراء حادو المزاج .

وكمثال لما يقع من الأخطاء فى التعميم المطـرد نذكر أنه طـوال القـرون الماضـية وحتى القـرن التاسع عشر لوحظت أعداد لا حصر لها من الأوز العراقى كلها بيضـاء بدون استثناءات ، فحصل التعميم بأن الأوز العراقى أبيض ...

ثم حدث فى القرن التاسع عشر أن لوحظ منها ما هو أسود اللون فى استراليا (١) .

ويقول الدكتور ليونيل روبى :

(ان الأخطـاء أكثر شيوعا فى التعميمات الاحصـائية منهـا فى التعميمات المطردة اذ يسهل علينـا التثبت من درجـة استيثاق تعميم مطرد :

لأن الاستثناء من النسق المطرد كفيل بهدم القاعدة العامة أو القانون العـام .

أما الاحصـائيات فحيث انهـا لا تقـول شيئا عن أى فرد معـين بذاته فـان الاستثناء هنـا لفظ لا معنى له .

ان الفرد الاستثنائى لا يدحض المتوسط ...

ان أخطـاء الاسـتنتاج فى الاحصاءات كثيرا ما يغفل أمـرها بسبب اللغة الحسابية التى تعرض بها الاحصاءات . ان السحر الذى تنسـجه الارقـام وتصـفيه على البيانات غالبا ما يحول بيننا وبين رؤية الاخطاء التى تنطوى عليهـا المجادلات ، أخطاء كان من شأنها أن تبدو فى غاية الوضوح ويفتضح أمرهـا لو لم تتسربل بالرداء الحسابى .

(١) فن الاقنـاع ص ٣٨٠ وما بعـدها

وكثير من المدعين والمجادلين المضللين يستغلون هذه الحقيقة .. ويعرضون بيانات مدعمة بالاحصاء لكى يروجوا دعايات مغرضة بدلا من تقديم معلومات واضحة كبيان للناس .

ولقد نتج عن سوء استعمال علم الاحصاءات أن اتخذ الناس من الاحصاءات هزواً واستخفوا بها ، ومن أكثر التعليقات الساخرة فى هذا الصدد :

« أن الأرقام لا تكذب ولكن الكاذبين يرقمون » .

أو : هناك ثلاثة أنواع من الكذب :

الكذب العادى
والكذب الفاحش
والاحصاءات) . (١)

ويقول ليونيل روبى عن الاحصائيات التى يقوم بها معهد جالوب الشهير :

(يتمتع معهد جالوب بسمعة طيبة وطريقته فى اجراء احصائياته الاستفتائية عملية علمية ، ولا يسع المرء الا أن يحترم ما يصدر عنه من نتائج .

ولكن لا يمكن لأى معهد من معاهد اجراء الاستفتاءات ـ مهما تبلغ اجراءاته من الدقة العلمية والعملية ـ ان يتلافى امكان الخطأ ـ أو يضمن الصحة والدقة الا مقترنة بنسبة معينة من الخطأ .) (٢) .

النوع الثانى : اخطاء التنظير :

يقول لويس دى بروجلى :

(اذا كانت النظرية قد أرشدت كثيرا رجال البحث العلمى ، وأثمرت اكتشافات رائعة ...

واذا كانت لازمة لتقدم العلم ...

فانها استطاعت فى بعض الأوقات أن تؤخر خطوات التقدم عندما كنا نعتمد معصوبى الأعين على بعض نتائجها التى هى دائما عرضة للمراجعة .) (٣)

(١) فن الاقناع ص ٣٩١ ، ٣٩٢
(٢) فن الاقناع ص ٣٨٨
(٣) الفيزياء والمكروفيزيا ص ٢٨٤

وهى أخطاء ناشئة من طبيعة العلم من حيث اضطراره للعمل فى ظل « نظرية » ما يتمسك بها العلماء لما فيها من فوائد عملية فى بعض الجوانب ، وان كانوا يستريبون فى صحتها ، وذلك الى أن تبدو لهم نظرية أوفق [1] •

ومثال ذلك :

أن القرون الوسطى ورثت عن الكيماويين القدماء — وعن أرسطو — أن العناصر أربعة ، تراب وهواء ونار وماء ، وأفكارا عن العناصر غريبة غير مفهومة •••

وكان على نيوتن وأهل زمنه أن يفسروها وأن ينسقوها فى نسق واحد ••

فبأى وسيلة يمكن ذلك ؟

ظنوا أنهم فعلوا بابتداع أصل جديد سموه « الفلوجستون » •

والفلوجستون عند مبتدعيه آنذاك هو النار نفسها ، وهو وحدة كيماوية لها ذاتية مستقلة تقبل الدخول فى تأليف الأجسام الصلبة •

يقول Becher بشر (١٦٢٥ — ١٦٨٣) صاحب هذه النظرية :

ان المادة اذا احترقت خرج منها فلوجستونها بقوة وتشكل فى الشعلة [2] •

وادعى بشر أن لهذا الفلوجستون وزنا ، وقال : زن المادة بعد احتراقها تجدها قد نقصت ؟ فلما فعلوا ودققوا الوزن وجدوا العكس ، وجدوا أن فلز المادة يزيد وزنا بعد تكلسه وصيرورته رمادا ، ولكن بشر قدم تفسيره لذلك ، قائلا :

(ان للفلوجستون وزنا سالبا ، واذن فهو عندما يخرج من المعدن يزيد المتخلف منه وزنا • ان الشىء اذا طرح منه شىء آخر له وزن سالب « دون الصفر » فان ما يتبقى منه يفوق وزنه وزن الشىء فى حالته الأولى) • [3]

---

(١) انظر ايضا ما ذكرناه عن عجز العلم عن التعميم وبالأخطاء الناجمة عن ذلك فى صفحة ٢٦٢ الماضية .

(٢) بواتق وانابيب لبرنارد جافى ترجمة الدكتور احمد زكى ص ٤٨

(٣) بواتق وانابيب ص ٤٩ •

يقول الدكتور جيمس كونانت :

(فاعجب لشىء اذا أضيف الى آخر نقص وزنه ، واذا خرج منه زاد) . (١) يقول لافوازيه بعد مائة عام من ابتداع الفلوجستون :

(لقد حولوا الفلوجستون الى شىء مبهم غاية فى الابهام تتطور طبائعه حسب الظروف القائمة . فهو حينا له وزن ، وهو حينا لا وزن له ، وهو حينا شىء حر طليق قائم بذاته ، وهو حينا شىء متحد بأصل ارضى ، وهو حينا ينفذ من مسام الأوعية ، وحينا لا ينفذ منها ، فهو قلّب لا ثبوت له يتغير بتغير الأحوال » (٢) .

وكتب بريستلى (الكيميائى العظيم الذى حضر غاز الاكسجين معمليا (١٧٣٣ — ١٨٠٤) . كتب يعرب عن اقتناع عصره بهذا الفلوجستون : (أن النظرية الفلوجستونية لا تخلو من مصاعب ، ومن أكبر مصاعبها أنا لا نستطيع أن نزن الفلوجستون ولكن ليس منا من يستطيع أن يدعى أنه وجد للضوء أو للحرارة وزنا) .

وكانت النظرية عند المقتنعين بها نظريا تحتاج الى دعمها باستخراج الفلوجستون وتحضيره معمليا ، وظن الكيميائى الشهير كافندش (١٧٣١ — ١٨١٠) .

أنه تمكن من ذلك ، دون أن يتنبه عند ذاك الى أنه لم يكشف عن الفلوجستون عنصر النار ، ولكن عن غاز الأيدروجين (٣) .

وكان العلماء كلما اكتشفوا حقائق جديدة امتحنوها بتطبيق الفلوجستون عليها ، فاذا لم يتفق الفلوجستون مع حقيقة من هذه الحقائق (قام هؤلاء العباقرة ، عباقرة البواتق ، فحوروا الفلوجستون وشكلوه بالذى يتفق مع الحقائق الجديدة) . (٤) .

ولكن لافوازيه رفض هذه النظرية قبل أن يجد لها بديلا ،

---

(١) مواقف حاسمة ص ٢٥٩
(٢) بواتق وأنابيب ص ٥٠
(٣) بواتق وأنابيب ص ٩٥
(٤) السابق ص ١١٩

ووضـع مكانه الكالوريك ـ أى الحرارة باعتبـارها سائلا خافيـا يعرف بآثاره فحسب .

يقـول بـرنارد جـافى (أراد لافوازيه أن يتجنب الوقـوع فى سخافة الفلوجستون فلـم يلبث أن وقـع فى سـخافة أخـرى ... الـــكالوريك الابـن الأبـلة للفلوجستون ..) (١) .

وعلق أحد الكيماويين الكبار .. على هاتين السخافتين قائلا :

(انى أحس انى سوف يطـول بى العمر لاستمتع بالسير فى جنازة يدفـن فيهـا الـــكالوريك والفلوجستون فى قبر واحد) (٢)

ثم أجرى لافوازيه تجاربه التى أثبت فيها ان الناتج المتكـون من الاحتـراق يزيد وزنه على الجسم المحترق بمقـدار وزن الاكسجين الذى اتحد بهـذا الجسم وهـو يحتـرق .. فـلا مـادة خفيـة كالفلوجسـتون ولا غيرهـا ، ولا حتى الكالوريك (٣) .

(١) السابق ص ١٢٧
(٢) السابق ص ١٢٨
(٣) السابق ص ١٣٢

ثم نشر كتابه « رسالة أولية فى علم الكيميـاء » هـدم به حصن النظرية الفلوجستونية (٤) ، ولمـا سقطت النظرية علميـا فى حيـاة بريستلى كتب يقول متأسفا (ان أبطال نظرية خاطئة كهذه لا يمكن أن يكون له أثر عظيم فى مستقبل العلم وفى تقـدمه .. انى أشبهه بمنارة ترسل الى السفن بضيائها ليهديها فاذا به يضلها ... فابطال نظرية كهـذه أن يكن حقا فهـو بمثابة هدم منارة كهذه ..) (٥)

يقول برنارد جافى :

(ان بِشَر اعطى الفلوجستون للعالم ، ولفه فى ثوب صفيق أنفق الناس قرنين فى تمزيقه ، ليكشفوا الحقيقة التى خبأها فى طياته .

ولم يمض على موت بِشَر مائة عام حتى قامت مدام لافوازيه وقد ارتدت ثوب قسيسة ، يحيط بهـا نوابه العلمـاء فى باريس فأحرقت ما كتب بشر ، وكتب مقتفى أثره أحرقته على مذبح بكنيسة . وبينا كانت الأصـوات تعـلو بالأغانى

(٤) السابق ص ١٣٥
(٥) بواتق وانابيب ص ٨٨

الـكنسية ، استحالت نظـرية الفلوجستون فصارت رمادا .

ومن هـذا الرماد نبتت كيمياء جـديدة ، هى التى نعرفهـا اليـوم) . (١)

هذه النظـرية ظلت هى السائدة ـ (بالرغم من اكتشاف جان راى ـ لبطلانها عام ١٦٣٠ ـ) (٢) . فى الكيمياء لمدة قرنين تقريبـا ولم يكد يوجد من لم يؤمن بها .

والسبب فى ذلك كما يقول الدكتور جيمس كونانت :

(ان العلمـاء فى شئون العـلم يصرفون أكبر همهم الى الحقـائق المختلفـة يحـاولون تفسيرها ثم تنسيقها فى نسق واحد عظيم ذلك الذى نسميه بالمشروع التصـورى أو النظرية العلميـة . والمشروع التصورى ان عجز عن أداء واجبه فهو اما أن يعدل أو يؤتى بمشروع آخر يحل محله بنظرية أخـرى . ولكنه لا يطرح اطـراحا ويترك مكانه فارغا لا يملؤه شىء .. ولو ظهر بطلانه) . (٣)

ولنا نحن أن نتساءل هنا :

الى أى حـد يكون علينـا أن تتقبل النظريات العلمية الحديثـة جملة وتفصيلا مهما بدت مخالفـة جزئيا لبعض الحقـائق التى تؤمن بهـا ؟

ألا يجوز أن تكون بعض هذه النظريات الحديثة قائمة لفائدتهـا المؤقتة وأنهـا تنتظر الوقت الذى تنهار فيه لتحل محلها نظرية أحدث تؤدى فائدة أشمل ، وتخـلو من المناقضة لبعض ما تؤمن به ؟

ومن جهة أخرى نقول : الى أى مدى يحق للعلمـاء أن يرفضـوا نظـريات من غـير وادى العـلم الحديث ـ لمجرد أن بهـا جزئيات لا تتفق مع نظريات العلم الحديث ـ وبالرغم مما تؤديه من نفع شامل وما تصنعه من تنسيق لحقائق أعم ،

---

(١) بواتق وانابيب ص ٦٣

(٢) اثبت جان راى ذلك من قبل ان توجد النظريةالفلوجستونية ، حيث اثبت ان الكلس يزن اكثر من الفلز الذى عنه نشأ ، انظـر مواقف حاسمة ص ٢٤٤

(٣) مواقف حاسمة ص ٢٥٦ وما بعدها

بينما هم فى مجال العلم يقبلون نظريات علمية ويصرون عليها ويواصلون السير فى أثرها مهما يكن فيها من نقص ، كنظرية الفلوجستون هذه ؟

النوع الثالث : اخطاء التطبيق : يقول جون كيمنى :

(انه حتى لو استطاع عالمان الاتفاق على ما يمكن أن تتوقعه من نظرياتنا فانهما سيختلفان حول الامكانية العملية للتكهن بالمستقبل وذلك نظرا للآراء المتباينة حول الحقائق والشروط اللازمة لتطبيق النظرية ، فقوانين نيوتن كانت تنبئنا تماما بمستقبل النظام الشمسى بشرط أن نعرف بالضبط مواقع الكواكب بالنسبة للشمس فى لحظة معينة .

أما الأخطاء فى التكهنات فقد يكون مردها ــ من جهة ــ الى عدم الدقة فى القانون (وهذا ما تبين فى انحراف مدار عطارد) كما قد يرد ــ من جهة أخرى ــ الى خطأ بسيط فى تحديد مواقع الكواكب ، الأمر الذى يمكن تخفيفه دون ازالته كلية .

ويتسع نطاق هذه الأخطاء بمرور الزمن ، ومن هنا كانت التكهنات حول المستقبل القريب موثوقا بها أكثر من التكهنات البعيدة المدى . فمن المعروف لدى الذين يقومون بعمليات حسابية كثيرة : أن التصحيح الاعتبارى للأخطاء قد يؤدى الى الخطأ الضئيل فى عملية واحدة وأنه ينضخم باستعمال نتيجتها مرة بعد مرة . وكلما استعملنا النتيجة زاد احتمال الخطأ .

وقد يكون فى تعاطى العقاقير تشبيها حسنا لهذه الحال ، فاذا عمد الصيدلى الى تقوية الجرعة ــ ولو بمقدار ضئيل ــ فقد لا يكون لذلك أى أثر يذكر فى بداية الامر ، غير أنه قد يؤدى فى النهاية الى وفاة المريض بدلا من شفائه) [1] .

ومن هنا فان العلماء يرون فى تخلص العلم من مقرراته القديمة

---

(١) ص ٢٧٤ الفيلسوف والعلم ، ولعل فى هذا ما يلقى ضوءا على مسألة تحديد أوائل الشهور القمرية .

السبيل الى انجازات جديدة .. وهكذا دواليك ..

يقول الأستاذ الكسندر دوبروف بأكاديمية العلوم السوفيتية :

(ان احدى وسائل **التقدم** العلمى والفنى يكمن فى التخلص من المفاهيم والقوانين العلمية القديمة) . (١)

النوع الرابع : أخطاء « الاعتقاد » العلمى

وهى الأخطاء التى يتشبث بها العالم بالرغم من يقينه من أن الوضع الراهن للنظرية التى يقترحها يصطدم « بالحقائق » وذلك (لاعتقاده) بصحة نظريته وأنه فى طريقه الى حل معضلاتها .

وبالرغم من أنه فى بعض الاحيان يؤول الأمر الى اثبات صحة النظرية الا أن هذا ــ قبل كشف الصحة ــ لا يخرجها عن كونها أخطاء من وجهة النظر العلمية ويدل على أن العلم يظل قابعا على خطئه القديم ولو تجنب الاعتقاد بصحة « الخطأ » الجديد .

ومن أشهر الأمثلة على هذا التشبث ــ كما يقول الدكتور ليونيل روبى (ماحدث فى عمل منديليف) (٢) . العالم الكيموى الروسى الكبير الذى استكشف قانون « الدورية والتوالى » للعناصر الكيموية . حيث « اعتقد » أن العناصر يمكن ترتيبها فى قائمة دورية ــ شبيهة بجدول التقويم السنوى فوضعها فى مجموعات كل مجموعة من سبعة بادئاً فى المجموعة الأولى (مرتبة أفقيا) بالليثوم وزنه الذرى ٧ ، ثم البيرليوم ٩ ، ثم البورون ١١ والكربون ١٢ ، والنتروجين ١٤ ، والفلور ١٩ .

ثم بدأ مجموعة أخرى فى خط أفقى آخر أسفل الخط السابق ، وبدأ بالصوديوم ٢٣ واضعا اياه تحت الليثوم ، منتهيا فى هذا الخط بالكلور موضوعا تحت الفلور ، ولشد ما كانت دهشته عندما وجد أن الصوديوم يشابه فى خواصه الطبيعية والكيماوية العنصر الذى

---

(١) العلم والظواهر الخارقة ص ٦٠.
(٢) فن الاقناع ص ٣٢ .

هو أعلاه ، وهو الليثوم ، والكلور يشابه الذى فى أعلاه ، وهو الفلور •

وهكذا استمر فى صنع جدوله ، وهكذا استمرت العناصر المتشابهة تترتب بحيث تقع بعضها تحت بعض • ففى العمود الأول وقعت العناصر الفلورية الفعالة جدا وفى العمود السابع وقعت العناصر الأشد تفاعلا من غير الفلزات — الفلور ، والكلور ، والبوردوم ، واليود •

بذلك اكتشف مندليف ان خواص العناصر دورية الورود ، ترد وتعود بارتفاع أوزانها الذرية ، وهى تعود بعد فوات كل سبعة منها •

ودقق مندليف فى جدوله فاكتشف غلطته ، فهذا هو اليود يقولون ان وزنه الذرى ١٢٧ ، وهذا هو التلريوم يقولون ان وزنه الذرى ١٢٨ ولو استجاب لهذا القول لكان موضعهما فى الجدول يهدم نظريته التى اعتقد اعتقادا جازما بصحتها • وبناء على ذلك — وعلى ذلك فقط — أعلن فى الناس ان الوزن الذرى المعروف لعنصر التلريوم وزن خاطىء ، وأن وزنه الذرى لا يمكن أن يكون ١٢٨ ، وانه لا بد ان يكون بين ١٢٣ ، ١٢٦ •

وانتظارا لما سيحدث فى الغد — طبقا لاعتقاده — وضع التلريوم حيث رأى هو أن ذاك موضعه ، وكتب له وزنه « الخاطىء » •

وجاء المستقبل ، وجرت البحوث فدلت على أن مندليف كان « مصيبا » فى « خطئه » •

ثم دقق مندليف النظر فى جدوله فوجد مشكلة أخرى بالنسبة للذهب مماثلة لمشكلة التلريوم ، وأصر أيضا على عقيدته قائلا : (اذا كان فرضى لا ينسجم مع ارقامهم فجدولى صحيح وارقامهم خاطئة •) ومرة أخرى صححت الموازين وأصبحت موافقة للنظرية •

ثم وجد هناك مشكلة ثالثة ، هى أن بعض الخانات فى جدوله فارغة ، ولو ظلت كذلك لا نهدم

الجدول وتبددت النظرية فأعلن عن اعتقاده وجود عدة عناصر — لم تكن قد كشفت بعد — وما ذلك الا لتملأ بعض الخانات الفارغة .

وأصر على ذلك ، وبالفعل تم اكتشاف بعض العناصر : شبيه البورون ، شبيه الالمنيوم ، شبيه للسليكون .

(يقول العالم الكيموى الامريكى هنرى بلطن ١٨٤٣ — ١٩٠٣ — :

ان القانون الدورى لمنديليف أعطى الكيمياء تلك القوة المهيبة ، قوة التنبؤ بالغيب ، التى اختص بها من قبل أخوها علم الفلك .)

ومع ذلك فقد جاء من بعده العالم الكيمائى الانجليزى الكبير مصلى (١٨٨٧ — ١٩١٥) وأحدث تعديلات مهمة فى جدول منديليف ، وأوجد جدولا جديدا مبنيا على العدد الذرى لا الوزن الذرى وبالرغم من ذلك أيضا ظل فى جدول مصلى خانات فارغة واكتشفت بعده [1] .

النوع الخامس :

أخطاء التزييف « الحسى »

يعتمد العلم الحديث ، على منهجه التجريبى الذى يقوم على استخدام الحواس .

وصحيح ان العلم يمتحن ادراكات الحواس امتحانا قاسيا ، ويطمح فى النهاية الى وضع مقوراته فى أقصى ما يمكن لها من صور التجريد ، أو المعادلات الرياضية ... الخ . الا انه مع ذلك — وبالرغم من ذلك — لا يمكنه الا ان يكون ابنا بارا لهذه الحواس ، يرتبط بها أوثق رباط فى بدايته ، ومساره ، وغايته على السواء — وقد يبدو لنا — وهو فى الحق كذلك — متمردا على حكم هذه الحواس فى بعض قضاياه المبدئية ، الا أن هذا التمرد ناشىء من جذب الحقيقة له خارج نطاق الحس ، وليس ناشئا ، مما يظن انه تحرر من رباطه الوثيق ومن هنا فان العلم لا ينجو — ولا يمكن ان ينجو —

(١) انظر بواتق وانابيب ص ٢٥٦ الى ٢٦١ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٢

من الوقــوع فى شرك « التزييف الحسى » .

ولن أذهب هنا وراء ذكر أمثلة ساذجة أو معبرة تعبيرا وقتيـا عن الاخطاء التى يقع فيها الحس ممـا نعـرفه جميعا فى نقـد « المعـرفة الحسية » ولكننا نذكر ذلك النوع من « التـزييف » الجبرى الذى يقوم به الحس فى عمليـة ادراكه للوقائع ، والذى كشف عنه العلم التجريبى الحديث .

ولن أقدم مفهوم هذا التزييف بأفضل مما يقدمه لنـا الفيلسوف الملحد برتراندرسل :

يقول برتراندرسل :

(العلم يقر بأننا حـين « نرى الشمس » تكون هناك عملية تبدأ من الشمس وتجتاز المكان الواقع بين الشـمس والعـين ، وتتغـير خاصيتها حين تصـل الى العـين ، وتتغير هذه الخاصية مرة أخـرى فى العصب البصرى والمخ . وفى النهاية تنتج الحـادثة التى نسميها « رؤية الشمس » وعلى ذلك فمـا أراه ليس هو الشمس التى تبعـد عنى ملايين الاميال بل هو حـادثة (جاءت كحلقة أخـيرة فى سلسلة عليـة بدأت مـن تلك الشمس الفيزيقية) . (١)

ويقــول :

(فنحن نعتقد ــ مثـلا ــ بأن الضوء يشتمل على موجـات من نوع معين الا انه حين يتصل بالعين يتحول الى عملية فيزيقية مختلفـة ــ فما يقع ــ اذن ــ قبل أن يصل الضوء الى العين شىء من المفترض انه مختلف عن ما يحدث بعد ذلك واذن فهـو مختـلف عن المدرك الحسى البصرى .

وهـذا يعنى ان المدرك الحسى الذى يقع فى الخبرة لا يكون نفس الشىء حين يتصل بجسم حى ويصبح مدركا حسيا بالفعل) .

وهــو يقــول ايضا :

(ان المدرك الحسى يتحول حين يتصل بالجسم الحى ــ الى « عملية فيزيقية مختلفة » أى يصبح شيئا آخر مختلفا اختلافا تاما) (٢) .

(١) برتراندرسل للدكتور محمد مهران ص ٨١
(٢) برتراندرسل للدكتور محمد مهران ص ٩٤ ، ٩٥

ويقول (ثمة طائفة من الحوادث تقع فيما بين العين والمخ .. يدرسها عالم وظائف الأعضاء ، والشبه بينها وبين الفوتونات فى العالم الخارجى ضئيل ضآلة الشبه بين موجات الراديو ، وبين خطبة الخطيب .

وأخيرا يصل اهتزاز الاعصاب ـ هذا الاهتزاز الذى يتعقبه عالم وظائف الاعضاء ـ الى المنطقة المناسبة من المخ فيبصر صاحب المخ النجم .

ويتحير الناس لأن ابصار المخ يبدو لهم مختلفا كل الاختلاف عما اكتشفه عالم وظائف الاعضاء من عمليات فى عصب الابصار ، وبالرغم من انه يبدو من البين ان الانسان لن يبصر النجم بدون هذه العمليات) . (١)

واذا كان رسل يعقب على ذلك بانكار افتراض هوة بين العقل والمادة ، كما يذهب الى ذلك بعض الناس استنتاجا مما تقدم (٢) ، فان هذا راجع الى فلسفته عن النسيج المحايد الذى يسميه الاحداث ، ولا يرجع الى اقراره بأن المدرك الحسى ـ مطابق للواقع الخارجى .. ومما يوضح ذلك قوله :

(ان الاحساسات ـ حتى ماكان منها بصريا أو سمعيا ـ هى احداث غير ذات طبيعية علاقية .

ولست أعنى ـ بطبيعة الحال ـ اننى حينما أرى شيئا ما لا تقوم بينه وبينى علاقة .

ولكن ما أعنيه بالفعل هو ان هذه العلاقة ليست مباشرة بالقدر الذى كنت أتصوره . وأن كل ما يحدث فى داخلى عندما أرى شيئا ما يمكن ـ من حيث بنائه المنطقى ـ ان يحدث بالضبط دون أن يكون فى الخارج ما أراه ..) (٣)

---

(١) فلسفتى .. ص ١٥
(٢) المصدر السابق ص ١٦
(٣) فلسفتى كيف تطورت ص ٦

النوع السادس من الأخطاء العفوية

وهى الأخطاء الناشئة عن كون العلم تناجا انسانيا يخضع بالضرورة لما يخضع له الانسان العالم من ضعف أو قصور فى بعض قدراته . مثال ذلك :

فضيحة (أشعة ان) كمثال صارخ على أخطاء علمية خطيرة : يقول ايزتك :

(يتضمن تاريخ العلم دلائل كثيرة على الأخطاء والغلطات الناجمة عن ثقتنا المبالغ فيها فى قدرة الانسان .

وهناك مثال مثير على ذلك وهو الخاص بأشعة (ن) التى زعم البروفيسور م. بلوندلوت انه قد أكتشفها عام ١٩٠٢ وهو فيزيائى بارز فى جامعة تانس وعضو فى أكاديمية العلوم الفرنسية . وقد جاء كشف بلوندلوت بعد اكتشاف رونتجن لأشعة × بست سنوات وسرعان ما تأكد هذا الاكتشاف فى معامل أخرى على يد فيزيائيين بارزين جدا . وقد تحدد وجود هذه الأشعة بوسائل استعين فيها بالعين اذ لم يكن فى الامكان تسجيل أشعة (ن) على أجهزة فوتوغرافية . وقد تحدث ا. زفوجت ، و.. هايمان ، اللذان سجلا هذه القصة فى كتابهما (سحر الماء فى الولايات المتحدة الامريكية) عن كثير من تطبيقات أشعة (ن) هذه . فقد استخدمها كورسون فى الكيمياء ودرس (لامبرت) وصاير ، أثرها على الظواهر البيولوجية وعلى النباتات أيضا . ووجد شارينتر أن الضغط على أحد الاعضاء يصحبه اطلاق أشعة (ن) ، وفحص بروكا وهو أخصائى المخ الشهير العلاقة بين أشعة (ن) والمخ .

ومع ذلك فقد حاول فيزيائيون آخرون أن يحصلوا مرة أخرى على أثر ، الأشعة (ن) فحصلوا على تنائج سلبية وقد أثار النقاش اهتماما عالميا عندما وجد أن أشعة (ن) لا يمكن العثور عليها الا على أيدى العلماء الفرنسيين .

وأخيرا زار د. هـ وود وهو الفيزيائى الشهير من جامعة جونز هويكنز معامل بلوندلوت شخصيا

ليرى لماذا فشل الفيزيائيون الآخرون فى الحصول على نتائجهم •

وفيما يلى بعض ما كتبه هو عن زيارته : يقول :

(وهكذا زرت نانس قبل أن ألحق بعائلتى بباريس ، وقابلت « بلوندلوت » حسب موعد سابق فى معمله فى وقت مبكر من المساء ونظرا لأنه لم يكن يتكلم الانجليزية فقد اخترت الالمانية وسيلة لتفاهمنا اذ اردت أن يشعر بالحرية عندما يريد أن يتكلم مع مساعده الذى كان من الواضح انه مساعد معمل من نوع راق « كان وود بالطبع يفهم ويتكلم الفرنسية جيدا ، وقد أرانى فى البداية بطاقة رسمت عليها بعض الدوائر بلون متألق ثم أطفأ المصباح الغازى وجذب انتباهى الى الاضاءة المتزايدة عندما انطلقت أشعة (ن) فقلت اننى لم أر تغيير فقال ان ذلك يرجع لأن عينيك ليستا حساسيتين بدرجة كافية ، وهكذا لم يثبت أى شىء وسألته ما اذا كان فى امكانى أن أحرك شاشة غير شفافة من الرصاص فى طريق الاشعة بينما هو يحدد التغييرات عبر الشاشة ولقد كان مخطئا ١٠٠٪ فقد حدد حدوث تغييرات بينما لم آت أنا بأى حركة ، ولقد أثبت لى هذا الكثير ولكننى أمسكت لسانى) •

ولقد قام (وود) بعدد آخر من الاختبارات محاولا بوضوح اثبات ان أشعة بلوندلوت غير موجودة الا فى خيالاته فقد زعم بلوندلوت انه يستطيع أن يرى وجه ساعة معتمة من خلال حائل معدنى بالاستعانة بأشعة (ن) ولقد وافق على أن يمسك (وود) بالحائل المعدنى أمام عينيه ، ولكن (وود) كان قد استبدل سرا دون أن يعرف بلوندلوت — الحائل المعدنى بمسطرة خشبية حيث لم يلحظ بلوندلوت هذا التغيير فى المعمل المعتم ومع ذلك فقد استمر (يرى) الساعة من خلال المسطرة مع أن الخشب كان أحد المواد القليلة التى زعموا أن أشعة (ن) لا تنفذ منها •

ولقد استبعدت على الفور فكرة أشعة (ن) كلها من الفيزياء بعد أن نشر (وود) ما اكتشفه من انها مجرد نتيجة لأخطاء . (١)

النوع السابع : الأخطاء العمدية :

وهى الأخطاء الناشئة عن كون العلم نتاجا لانسان يخضع لما يسيطر على الانسان العالم — فى بعض الأحيان — من ضعف خلقى كحب للظهور ، أو خراب فى الذمة ... الخ.

وان المرء ليستبعد أن يحدث فى وسط ما من أوساط الفكر الانسانى فضيحة عارمة كالتى حدثت فى معقل العلم الحديث حول اسم عالم النفس البريطانى الشهير سيريل بيرت ؟

عندما توفى سيريل بيرت عام ١٩٧١م وهو فى الثامنة والثمانين من العمر كان يتمتع — كما يقول الدكتور أحمد أبو زيد — بقدر هائل من الاحترام والشهرة والقوة والنفوذ فى الاوساط العلمية والرسمية لم يبلغها عالم آخر منذ أيام وليم جيمس .

وكانت آراؤه بمثابة حجر الزاوية فى بناء نظرية متماسكة عن دور الوراثة فى الذكاء ، ولقد قام بيرت نفسه وكثير من أتباعه وتلاميذه بعدد كبير من التجارب تؤكد ذلك الاتجاه ..

والآن يتعرض كل ما تركه للرياح بعد أن ظهر من العلماء من يتهم بيرت بأنه كان يزيف النتائج ويزورها بل انه كان يتحدث عن تجارب واختبارات لم تحدث أصلا وينشر دراسات ومقالات تحت اسماء وهمية للمؤلفين وباحثين لا وجود لهم .. ويملأ تلك المقالات بالمديح والثناء على شخصه واسمه .

وكما ذكرت احدى المجلات التى أشارت الى هذا الاتهام الخطير فان الأثر الذى نجم عن هذا الموقف الجديد لا يقل عن

(١) الحقيقة والوهم فى علم النفس ص ١٢٥ — ١٢٧

الاثر الذى يمكن أن ينجم عن افتراض أن تشرلس داروين لم يقم مثلا برحلته الشهيرة على ظهر الباخرة بيجل التى ترتب عليها ظهور نظريته عن التطور وأصل الأنواع ، وأنه قام بتلفيق الحقائق والوقائع وبالتالى تزوير النتائج التى ظهرت فى كتابه الشهير ، وان هذا الكتاب ليس شيئا سوى تخيلات وأوهام نبعت فى ذهن داروين وهو يدخن الافيون .

وليست هذه هى الحالة الأولى أو الوحيدة فى تاريخ تزييف العلم وتزوير النتائج لتحقيق أهداف خاصة قد تكون متعلقة بالرغبة فى الظهور وحب الشهرة ، أو التمسك بالخطأ الذى أوصل الى المجد .. ، ولعل فضيحة سيريل بيرت تذكر بفضائح أخرى قريبة ، منها فضيحة مشابهة كان لها دوى هائل منذ ما يقرب من ربع قرن ، وبالذات فى عام ١٩٥٣ حين نشر فاينزوكلارك كتابهما الذى فضحا فيه « أكذوبة بلنداون » ، وبلنداون اشارة الى اكتشاف انسان بلنداون الذى ادعاه تشارلس دوسن .

ففى عام ١٩١٢ أذاع شارل دوسون نبأ أكتشاف أجزاء من جمجمة وفك فى حفرة ببلدة بلندون فى جنوب انجلترا ، ولما أعيد تركيب هذه الاجزاء تبين انها — جمجمة انسان حديث ذات فك أسفل يشبه فك القرد . وقد أثار انسان بلنداون هذا جدلا طويلا مثيرا بين المشتغلين بدراسة عصر ما قبل التاريخ . لأنه كان يشبه أن يكون هو الحلقة المفقودة بين الانسان والقرد .

وقد سلم بصحة هذه البقايا عدد من ثقات العلماء ..

وأخيرا : أسفرت الدراسات والاختبارات فى عام ١٩٥٣ عن أن جمجمة بلنداون مزورة وانها جمجمة رجل حديث ، وان الفك والاسنان لقرد حديث وان هذه الاجزاء عولجت كيمائيا ، بحيث تبدو حديثة وصحيحة .

ثم وضعت فى حفرة من الحصباء بواسطة رجل مجهول ..

وقد تم اكتشاف زيف هذه الحفرية بفضل تقدم الطرق العلمية الحديثة (١) ولم يكن من الممكن كشفه فى حينه .

وفى عام ١٩٧٥ اكتشف فى أمريكا بعض محاولات التزييف فى المجال الذى يعرف الآن باسم البارasيكولوجى ، للارتفاع بمستوى ذلك الاتجاه واضفاء الطابع العلمى عليه . وقد تم ضبط أحد الباحثين الرئيسيين ، وهو يحاول التدخل فى احدى التجارب واضطر الى الاستقالة .

ومن هنا فكما يقول الدكتور أحمد أبو زيد (يجب أن تحتل قصص التزييف العلمى مكانا فى تاريخ العلم الى جانب الجهود الفاشلة من جانب والانجازات الناجحة من جانب آخر ، سواء بسواء) . (٢)

***

والخلاصة ان دعوى عصمة العلم اشعاعة يتبادلها انصاف المثقفين وتروج لها أبواق الالحاد ، وهى بالتأكيد ليست نابعة من المنهج العلمى أو من العلماء .

د. يحيى هاشم حسن فرغل

---

(١) انظر (رسالة اليونسكو الصادرة باللغة العربية العدد ١٣٦ عدد أكتوبر ١٩٧٢ ص ٦٤)

(٢) مجلة عالم الفكر عدد ابريل ـ يونية ١٩٧٧ ، مقال ماذا يحدث فى علوم الانسان والمجتمع للدكتور احمد ابو زيد ص ٢٣٣ وما بعدها .

الإسلام فى الفكر الأوربى

عرض وتحليل لمؤلفات أوربية
بقلم الدكتور محمد شامه

(٦)

البـــاب السادس
اسهام الاسلام فى الحضـــارة العالميـــة

ويشتمل على :

١ ـ الشرق والغرب :

✻ أسهم الشرق الاسلامى ـ فى نفس الوقت الـــذى أنتج العقـــل الأوربى فيه الكاتدرائيـــات ذات الفن القوطى المعمارى ، وظهر فيه الصراع على الانفـــراد بالســـيادة والســـلطة بين القيصر والبـــابا ، وازدهرت فيـــه مثاليـــة الفروسية ـ فى الحضارة العـــالمية ـ تحت ظل حماية القوة النامية منذ القرن الثـــامن الميـــلادى ـ بانجـــازاته الضخمة فى مجالى : الفكر والفن ، ولم يتوقف تيار التجديد والمعرفة حتى طمر التيار المغـــولى منبعـــه النقى الفياض ، لكن ما أفاضه ظل يتقلب فى صور مختلفة عبر قرون مليئة بالاحداث والتقلبات العنيفة حتى عصرنا الحالى .

✻ لم تزدهر التجارة والزراعة والصناعة فقط فى القرنين الثـــامن والتاسع الميلادى ازدهارا لم يتوقعه أحـــد ، بل تدفق تيار فـــكرى ، احتوى ما فى آسيا وأوربا ، وصبه فى قلب المملـــكة الاسلامية ، التى هضمته ، وصاغته صياغة جديدة ، فكان هذا هو البذرة التى انبتت الحضارة الاســـلامية العربيـــة ، فأصبحت بغداد لؤلؤة المدن فى كل بقاع العالم الاسلامى ، من الهنـــد حتى أسبانيا ، ومن البحر الاسود

حتى الجنوب العربى . حدث هذا فى عصر القرون الوسطى الأوربى ، ولكنه لم يكن قرونا وسطى بالنسبة للعالم الاسلامى ، بل كان أسمى العصور وأبهاها ، عصر **النموذج الحضارى الذى أستمر** ألف عام ، فأنقذ الشرق من ظلام العصور الغابرة .

* تكمن اصالة هذه الخصائص الحضارية فى العالم الاسلامى ، فلم يكن ظهور التيار الحضارى فجائيا ، يظهر ويختفى مثل الظواهر الطبيعية ، بل كان معالم حقبة عظيمة ، امتد تأثيرها الفكرى — حتى التدهور السياسى — فى جميع أنحاء العالم ، فأتنج فى مجالات عديدة ، لم تبحث كل جوانبها حتى الآن .

٢ — اللغة العربية :

* انتشرت اللغة العربية مع الفتح الاسلامى فى خطين متوازيين ، اذ تسبب عدم جواز قراءة القرآن الكريم الا باللغة العربية (١) فى دفع كل مسلم الى محاولة تعلمها ، كذلك كان استعمال اللغة العربية فى ادارات الدولة من عوامل انتشارها فى مناطق الدولة المتعددة ، فدخلت كلمات كثيرة منها فى لغات ولهجات الشعوب الأخرى ، وبالاضافة الى هذا فقد استعملت اللغة العربية فى مجال الدين والعلم عند الاتراك ، والفارسيين ، والهنود ، والملاويين .

---

(١) اختلف العلماء فى جواز ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الاخرى فحرمها بعضهم تحريما قاطعا استنادا الى أن الوحى هو كلام الله المنزل على نبيه باللغة العربية ، فاذا ترجم ذهبت عنه هذه الصفة ، لأنه — بعد ترجمته — تعبير المترجم لمعنى القرآن ، وليس هو القران ، لأن الصياغة اللغوية تختلف من شخص لآخر ، ولذا فهى تحمل ملامح المترجم الفكرية ، فتخرج بذلك عن دائرة الوحى ، غير أن بعضهم أجاز ترجمة معانى القرآن الكريم ويعتبرون ما ترجم الى اللغات — عن طريق المستشرقين — انما هو ترجمة لمعانى القرآن وليس لنصه ، وعليه فلا يجوز قراءة القرآن بغير اللغة العربية الا على اعتبار انها ترجمة لمعناه ، وبقصد التعليم — لا للتعبد — لمن عجز عن تعلم اللغة العربية ، فهو يقرؤها لمعرفة ما فيه من احكام وتشريع هذا فى غير الصلاة ، أما فى الصلاة فالراجح عدم جواز قراءة الفاتحة الا باللغة العربية .

وكما اقتبست اللغات الأوربية مصطلحات عديدة من اللغة اللاتينية واستعملت حروفها فى الكتابة ، دخلت أيضا كلمات عربية فى اللغات : التركية ، والاوردية ، والفارسية ،: واستخدم الخط العربى فى كتابتها •

❋ وصلت الحضارة العربية الى أوربا عن طريق أسبانيا ، فحملت معها تعبيرات لغوية ، يستعملها السكان الآن دون أن يعرفوا مصدرها ، فالاسبانيون يستعملون كلمات عربية عديدة فى لغة تخاطبهم ، كذلك تذكرنا الكلمات العربية التى تستعمل فى اللغة الالمانية • بعصر ازدهار الاسلام ، فهناك العديد من الكلمات العربية المستعملة فى كل مجالات الحياة اليومية ، وفى مجال علم الطبيعة ، فمثلا :

كلمة « Alkohal »
هى الكلمة العربية : « الكحول »
وكلمة « Sirup »
محرفة من كلمة : « شراب » •
وكلمة « Damast »
مأخوذة من كلمة « الدمقس » •
وكلمة « Magazin »
من كلمة : « مخزن » •
وكلمة « Gitarre »
من كلمة « قيثارة » •
وكلمة « Algibra »
هى كلمة « الجبر » •
وكثير غيرها •

❋ قدمت اللغة العربية للعالم خدمة جليلة • فى مجال المعرفة ، فهو مدين بالشكر للدور الذى قام به العرب فى حفظ الثقافة الاغريقية • فقد بدأ اهتمام العرب بما انتجته الشعوب ــ سواء كانت خاضعة للدولة الاسلامية أو مجاورة لها ــ فى العصر العباسى ، حيث ترجمت العلوم والمعارف من اليونانية والفارسية ــ ومن الهند أيضا ــ الى اللغة العربية ، وكان الاهتمام الاكبر فى الترجمة منصبا على ما دون فى اللغة اليونانية فى مجالات الرياضة والفلك والجغرافيا والطب ، فأوصل ذلك الى الاهتمام أيضا بالفلسفة وعلوم الطبيعة •

❋ لو لم يقم العرب بهذا المجهود الضخم فى مجال المعرفة

لفقدنا كثيرا مما تتمتع به الآن فى عالم الثقافة من العلوم والمعارف اليونانية — أو لتأخر على الأقل انتفاعنا به دهورا طويلة — فما لم يصلنا مباشرة من اللغة اليونانية أخذناه مما ترجمه العرب الى اللغة العربية • غير أن الاهتمام بالحضارة اليونانية كان من الدوافع القوية لظهور حضارة عربية اسلامية أصيلة ، أتخذت بغداد مركزا لها ، تلك المدينة الزاهرة — فى وقت كان ظلام العصور الوسطى مخيما على أوربا — التى أجتمع فيها التجارة والسياحة مع تبادل الأفكار والفنون والعلوم ، فبدت فى منتدياتها معالم الثراء ، وفى قصورها أبهة العظمة والسلطان

٣ — التعليم والكتب :

* تطور نوع خاص من طبقة الاقطاع فى المملكة الاسلامية تطورا كبيرا جدا ولكن الشعب على اختلاف طبقاته لعب دورا مهما فى الحياة الثقافية ، ولا يمكن أن يحدث هذا الا فى حالة انتشار التعليم انتشارا واسعا ، فقد تسابق كل من المذهب السنى والشيعى فى كسب المزيد من الاتباع فى المجتمع الاسلامى ، فأدى ذلك الى بذل الجهد فى كلا المذهبين لانشاء مدارس لتعليم الناس مبادىء المذهب واتجاهاته وعليه فقد أنتشرت المدارس منذ القرن العاشر الميلادى فى جميع مناطق العالم الاسلامى من أسبانيا عبر شمال افريقيا حتى بلاد فارس ، والتحق بها الاطفال من سن السابعة ، وكانت مواد التعليم فيها : القراءة والكتابة وحفظ القرآن ، ثم يختار الطالب بعد ذلك مواد أخرى مثل : تحسين الخطوط ، والعلوم الدينية والحساب والشعر ، ثم أنشئت فيما بعد مدارس لاعداد الدارسين لتولى مناصب مختلفة فى أنحاء الدولة فكان مستواها عاليا •

* واختير للتدريس بها علماء مشهورون ، وكانت المدرسة النظامية التى أنشأها الوزير السلجوقى نظام الملك فى بغداد عام ١٠٦٥م نموذجا يحتذى فى كل ما أنشىء بعدها من مدارس ، سواء فى اعداد سكن خاص

للدارسين ، أو فى المواد التى كانوا يدرسونها وهى : العلوم الدينية ، وعلوم اللغة العربية ، والفقه والتاريخ والطبيعة من زاوية اتصالها بالدين . انتشرت المدارس المماثلة لهذه المدرسة فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، وكان عدد المقبولين فيها محدودا ، حصل المتفوقون منهم على منح دراسية .

* أمدت المدارس العليا التى أنشئت فى قرطبة و « سيفيلا » و « توليدو » .. بأسبانيا الحياة الثقافية الاوروبية بروافد حملت معها عناصر الخصوبة ، وبدأ هذا بترجمة الكتب العربية الى اللغة اللاتينية فقد أنشىء لهذا الغرض مدرسة للترجمة فى « توليدو » فى النصف الاول من القرن الثانى عشر الميلادى ، فضمت مكتبتها العديد من المراجع العربية التى أعدت للترجمة الى اللاتينية . وجدير بالذكر هنا ان اللغة العربية كانت فى ذلك الوقت لغة المثقفين .

* تعلم العرب صناعة الورق من الصينيين بعد فتح سمرقند فى منتصف القرن الثامن الميلادى ، فأنشىء فى بغداد مصنع للورق ، ثم انتشرت هذه الصناعة فى غضون ستة قرون عبر شمال افريقيا واسبانيا وفرنسا حتى وصلت الى أنجلترا ، الا أن تجارة الكتب ازدهرت فى بغداد منذ نهاية القرن التاسع الميلادى ، فربح العلماء والطلاب كثيرا من نسخ الكتب ، لكن المؤلفين لم يتقاضوا أجرا على ما ألفوه .

* أنشئت المكتبات فى المساجد، كما ضمت المدن الكبرى دورا للكتب العامة كان يقصدها الجميع للاطلاع على ما يريدون ، كما حرص الاغنياء على اقتناء الكتب للفخر والمباهاة ، وانفق العلماء أيامهم فى دراستها مع تلاميذهم .

* يرجع الفضل فى استمرار اللغة العربية وتبوئها مكانا مرموقا بين لغات العالم الى الجهود الجبارة التى بذلها العلماء فيما أرسوه من بناء فى مجال النحو والمعاجم اللغوية ، والعلوم الانسانية ، ودوائر المعارف ، وكان العصر عصرا ذهبيا أيضا للمؤرخين ، الذين ندين لهم بالشكر على

ما سطروه من أحـداث المملـكة الاسلامية وما سجلوه لنا عن حياة الفلاسفة والعلماء ، واخبار الملوك وكبار رجال الدولة ... وقد قام ابن النديم بأصعب عمـل ، حيث سـجل الكتب والمصـنفات التى كتبت باللغة العربية .. اذ انتجت الحركة العلمية الواسعة كثيرا من الكتب لم يصل الينا منها الا النذر اليسير ، فما أكثر ما اختفى منهـا فطواه النسيان .

٤ ـ النهضة العلمية :

* انتقلت المعارف اليونانية الى المسلمين عن طريق الترجمة ، فقد اهتم الخلفاء بالحصول على الكتب الطبية والرياضية من قصر القيصر البيزنطى عن طريق ارسال رسلهم الخاصة لهذا الغرض . وقام الطبيب النسـطورى حنـين بن اسـحاق ومساعدوه بترجمة معظم مؤلفات « جالينـــوس » وتلامـذته من السريانية الى العربية وكذلك أهم مؤلفات « أفلاطون » و « بقراط » و « ارسـطو » فلم يأت منتصف القرن التاسع الميـلادى الا وقـد ترجمت مجموعة كبيرة من المراجع اليونانية فى الفلك والطب والرياضة الى اللغـة العربيـة .

أهتم المسلمون اهتمـاما كبيرا بالمعارف اليونانية فى مجال الطبيعة .. ومالوا فى مجـال الشـعر الى الفـارسيين ، ولـكنهم اكتشفوا معارف هندية أيضا بجانب العلوم اليونانية فى مجال الهندسة فقـد أخذوا العشر والصفر من المؤلفات الهندية الهنـدسية . وفى مجـال الجبر ـ الذى يعرف فى اللغـات الاوربية باسمه العربى ـ توصـل بعض علمـاء المسلمين فيـه الى أشياء تنم عن عبقـرية المسلمين فى هذه الابحاث ، اذ توصل محمـد ابن موسى الخوارزمى (٧٨٠ ـ ٨٥٠م) من الاعداد الهنـدية الى رسم لكتابتها ، كان أساسا للرسم الأوربى الحالى للارقام الحسابية ، وظل الجدول الفلكى الذى وضعه ـ وكذلك جـدوله فى حسـاب المثلثات والمربعـات المتساوية ـ المرجع الوحيد لعدة قرون . كمـا عرفت أوربا حيـاته عن طـريق

ما ترجمه « »
Gerhard Von Crimona
فى القرن الثانى عشر الميلادى ، فدخلت مصطلحات علم الجبر الى أوربا عن طريق هذه الترجمة ، وهو ما ينم عن عبقرية فى مجال علم الحساب الفلكى .

* ترجم « جيرهارد فون كريمونا » — وقد أقام فى « توليدو » بأسبانيا وتعلم اللغة العربية — ما يقرب من مائة مرجع علمى من العربية الى اللاتينية ، ومن بينها « مبادىء الهندسة » و « اقليدس » و « المجسطى » لـ « بطليموس » ومؤلفات البطانى، وارشميدس ، والفارابى والخازن .
ويرجع الفضل فى دقة حساب دورات كواكب الفضاء : الشمس والقمر والكواكب السيارة الأخرى لأبحاث البطانى .

* اختبر كثير من الفلكيين الذين كانوا فى خدمة الخليفة المأمون النظرية البطليموسية فى هيئة الافلاك ، فأثبتوا خطأها ، ووصلوا الى ما يؤكد ان مواقع الشمس وقطرها يتغيران ، وأن كسوف الشمس وخسوف القمر يقعان فى أزمان محددة .. ويمضى المؤلف فى بيان ان المسلمين قطعوا شوطا كبيرا فى أبحاث الفضاء ، فكان عندهم الأدوات الهندسية مثل الزوايا والدوائر وتربيعها .. و .. و .. الخ ..
وظل الشكل الاسلامى لحساب الدوائر مستعملا فى أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادى .

* ولما كان اتساع المملكة سببا فى تنشيط حركة التجارة شرقا وغربا ، تطلب ذلك معرفة الطرق والالمام بمسطحات الأرض ، فأدى ذلك الى البدء فى رسم الخرائط الجغرافية ، ووصف طبيعة البلاد .
فقد وصف العرب فى عام ٨٥٠م — أى قبل أن يكتب «ماركوبولو» مؤلفه عن الصين بعدة قرون — عادات الصينيين وتقاليدهم الاجتماعية ، اعتمادا على ما رواه أحد التجار العرب بعد رحلة قام بها الى الصين ... كذلك عرف العرب الكثير عن الهند وسيلان والصين مما كتبه الرحالة العرب ، كما ضم فتوح البلدان الذى كتب

فى القرن التاسع الميلادى وصفا للمملكة الاسلامية بجانب ما سطر فيه عن كثير من البلاد والمناطق الأجنبية • وبعد مرور قرن آخر كتب محمد المقدسى أهم وأشهر مرجع فى الجغرافيا العربية • أما التاريخ فقد دونوا فيه المراجع الضخمة وعلى رأسها كتاب الطبرى « تاريخ الرسل والملوك » الذى دون فيه أخبار العالم من البدء حتى عام ٩١٣م ••

* لم يكن عند المؤرخين وكتاب السيرة نظرة فاحصة لما يسجلونه من أخبار ، فقد كانوا دوائر معارف ، ولكن لم تؤد بهم غزارة مادتهم الى نظرة شاملة ، تجمع شتات ما تناثر فى صورة كلية ، اذ دفعهم ولوعهم الخيالى الى خلط الاساطير بالحقائق التاريخية •

* كان البيرونى (٩٧٣ — ١٠٤٨) نموذجا للعالم ذى المكانة العالمية فى تلك الحقبة التاريخية ، فقد عاش فى كنف الامير محمود الغزونى — فى المنطقة التى تعرف الآن باسم افغانستان — فاستطاع بمكانته العلمية ان يحمل الامير على الاقتناع بما يبديه من آراء وتقديم المساعدة له لمواصلة البحث والاختراعات ، لأن محمود الغزونى أشتهر بانجازاته الضخمة فى الجانب الحربى ، الا أن أعماله فى الجانب السلمى ملأت العديد من كتب العلماء ، ثم يمضى المؤلف فى بيان جهود البيرونى أثناء مصاحبته لجيش محمود العزونى الى الهند فى تسجيل ما رآه فى الهند من حضارة ولغات واجناس وطقوس وعبادات ، ونشر هذا فى عام ١٠٣٠م ، ومن الموضوعات التى اهتم بها أكثر من اهتمامه بالمسائل السياسية الدين والأدب والفلسفة ولا يقل ما سطره فى هذا الكتاب فى مجال الفلسفة عن نظيره فى الفلسفة اليونانية • كما أبدع فى مجال الفلك والرياضيات ، فكان من أشهر علماء ذلك العصر ، الذى لم يقتصر العلماء فيه على مجال علمى واحد ، بل انشغل معظمهم بعدة مجالات ، فكانوا دوائر معارف ، فالكندى الطبيب كتب عن انكسار الضوء ، كما كان يعتبر

أول فيلسوف عربى . كذلك الرازى الذى أتجه كطبيب الى البحث عن أسباب بثرة الجدرى والحصبة أثبت جدارة فى مجالات : الكيمياء وعلوم الدين والعلوم الفلكية والفلسفية .

* اعتمدت كل نظريات علم النجوم فى القرون الوسطى على أبحاث الكندى فى مجال الفضاء ، اذ بعد ما ضعف مستوى الابحاث فى هذا المجال بعد تحول الدولة الرومانية الى المسيحية أنتقلت هذه المعارف الى العرب عن طريق بيزنطة ، وفى نفس الوقت تخلت أثينا عن موقعها كمزكز للافلاطونية الحديثة . فانتقلت المراكز العلمية للرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة الى فارس ثم انتشرت فى جميع أرجاء العالم الاسلامى . وعبر سوريا انتقلت انجازات عصر قياصرة الرومان والعصر الاغريقى فى مجال علم النجوم الى العرب ، فأصبحت بعد ترجمتها علوما عربية ، تناولها العلماء بالبحث والتمحيص . فزادوا فيها ، وصححوا ما اثبتت الابحاث انه خطأ فقد كتب الكندى عن اشعاعات النجوم التى لها تأثير قوى على كل الكائنات الحية .. ويمضى المؤلف فى بيان ما توصل اليه الكندى فى عالم النجوم مؤكدا على عروبته ــ أى انه ينحدر من أصل عربى ــ ومبينا سير كثير من العلماء والمسلمين الذين ينحدرون من أصول غير عربية . وبعد أن يسرد أسماء العلماء الذين اهتموا بأبحاث الفضاء ويشرح نظرياتهم يقول : ان بغداد كانت مركزا للابحاث الفضائية فى هذا العصر ، وان جهود العرب فى هذا المجال دفعت علماء أوربا فى ذلك العصر الى الاهتمام بهذا النوع من الابحاث ، ثم يذكر أسماء العلماء الاوربيين الذين تعلموا فى معاهد عربية منهم :

« جربرت فون اوريلاك » .. (تقلد منصب البابوية فيما بعد تحت اسم « سلفستر » الثانى ، ومات فى عام ١٠٠٣ م) اهتم بما كان يدور فى « توليدو » ــ ملتقى

الرسل والوفود الى المعاهد العلمية العربية ـ من أبحاث ومناقشات ، وعلى الأخص : الرياضيات ، وعلم النجوم ، فبرع فيها لدرجة أن الشعب اعتقد أن بينه وبين الجن صلة .

* « دانيال مورلى » : درس فى « توليدو » علم النجوم العربى ، ودون معارفه التى أكتسبها من هذه الدراسة فى كتاب .

* ويمضى المؤلف فى بيان من تحدثوا فى كتبهم عن العلماء العرب وتأثيرهم على العلماء الاوربيين ، ثم يختم الباب بقوله :

ومن الطبيعى أن الأفكار العربية وصلت الى الشعوب الاوربية عن طريق علمائها .

٥ ـ الطب فى مجالى البحث والممارسة :

* ارتفع مستوى المعيشة فى المملكة الاسلامية ، فأدى ذلك الى الاهتمام بالفرد ذلك ان الانسان لا يريد الثروة فقط بل يتمنى أن يعيش سليما معافى ، فكانت هذه الامنية سببا فى رفع مكانة العلوم الطبية ، وفنون التمريض ، والابحاث الكيمائية فأزدهرت الصيدليات ومحلات العقاقير الطبية ، وربح تجار الادوية ، أموالا طائلة .

* وصل الأطباء المسلمون بفن العلاج الى مستوى الكمال ، أما فى الجراحة فقد تعلموها فى الغالب نظريا ، لأن رجال الدين حرموا عليهم التشريح ، الا ان المعارك الحربية هيأت لهم ظروف تطبيق ما تعلموه نظريا عندما كانوا يعالجون الجرحى ، كما أخذوا بعض التمرينات للعمليات فى تشريح الحيوانات .

* أنشئت أول مستشفى فى بغداد فى عهد الخليفة هارون الرشيد ، ثم ما لبث أن أفتتحت مستشفيات مماثلة لها فى جميع أنحاء المملكة . وكان أشهرها « بيمارستان » دمشق ، فقد توجه اليه الاطباء للحصول على الدرجات العلمية التخصصية ، وأمه الطلبة للتدريب على ما يحتاجون اليه فى امتحاناتهم ، كما كان فيه قسم خاص للاسعافات العاجلة .

* امتدت الرعاية الطبية الى جميع أنحاء الدولة ، اذ كان الاطباء يزورون السجون من آن لآخر لعلاج المسجونين ، كما قاموا بزيارات مماثلة للقرى النائية وأهتم الاطباء أيضا بعلاج الامراض النفسية ، فلم يتجنب المسلمون المرضى ، وينظرون اليهم نظرة احتقار ، كما كان يفعل الاوربيون معهم آنذاك ، وأستمرت هذه المعاملة قرونا ، فقد ظل المريض نفسيا محتقرا فى أوربا وكان الاوربيون يفرون منهم كما يفرون من مرضى الجذام ، ويتجنبونهم ، كما يتجنبون المجرمين .

* كانت رعاية المرضى سببا فى اكتشافات جديدة فى مجال الادوية ، ذلك المجال الذى أصبح علم العرب الذى لا ينازعهم أحد فيه اذ اكتشفوا العديد من المستحضرات الطبية ، واستعملوا كثيرا من الاعشاب فى علاج المرضى ، وأثروا هذا المجال باختراعاتهم العديدة .

* ظهر العديد من المراجع الطبية فى هذه الحقبة الزاهرة فى تاريخ الطب العربى ثم أنتقلت عبر أسبانيا الى أوربا ، فكانت أسس علم الطب فى مدارسها العليا لعدة قرون .

* ومن بين من كتبوا هذه المراجع : الرازى ، فقد أشتهر فى أوربا بأبحاثه الطبية ، وخاصة ما تناول فيها مرض الجدرى والحصبة ، فقد ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية وطبعت طبعات عدة على أمتداد عدة قرون ، وكان آخرها طبعة نشرت فى أنجلترا فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وحرصت جميع المكتبات الاوربية على اقتناء نسخ من مؤلفات الرازى ، كذلك أطلق الاوربيون على ابن سينا لقب « أمير الاطباء » فقد أثرى المكتبة الطبية بأبحاث طبقت شهرتها الآفاق ، فلا يجهل من له صلة بعلوم الطب كتابه : « القانون » الذى بلغ شهرة لا مثيل لها بعد ترجمته الى اللاتينية ، بما يضمه من أبحاث عن علم الصحة ،

والفسيولوجيا ، وطرق العلاج ، والادوية ، وأمراض العيون وغير ذلك من المجالات التى لم يسبقه أحد فى بحثها .

* كان ابن الهيثم من أشهر أخصائى أمراض العيون ، فقد كتب عن البصريات وانكسار الضوء ، والرؤية بالعدسات ، وأهمية الحجرة المظلمة فى عيادة طبيب العيون للتشخيص والعلاج ، وقد أنتفع « روجر بيكون » و « كيبلر » بهذه الابحاث .

* وكان أبو القاسم ــ الاسبانى المولد ــ أشهر جراح فى ذلك العصر ، فقد باشر فى عالم الجراحة أعمالا لم يجرؤ أحد من قبله على القيام بها ، كما استعمل أيضا فى الخياطة الداخلية لأول مرة نوعا لا يحتاج الى نزعه ، بل يتآكل كيماويا داخل الجسم .

* كما أحيطت شخصية الكيمائى الطبيب جابر بن حيان فى القرون الوسطى بهالة من القصص العجيبة ، التى تتعلق بتجاربه الكيمائية فى خامات الاحجار الكريمة وصبغ الجلود ، والنسيج ، وطلاء المعادن .. و .. و .. الخ .

والحق أن العرب توصلوا الى أن التجربة هى أساس البحث ، وذلك هو ركيزة العلم الحديث .

* وعندما أصيب المجال العلمى فى الشرق بضربة قاضية على يد المغوليين فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، أهتم المرينيون فى أسبانيا ــ بعد سقوط قرطبة فى يد المسيحيين ــ ببعض المجالات العلمية التى لعبت دورا جوهريا فى اتساع المجالات الفكرية الاوربية وكان التقارب الوثيق بين العقل الاسلامى والمسيحى سببا فى دفع تيار خصب عبر الطريق المفتوح بينهما الى العالم الغربى المتخلف .. الذى أسهم رجال الكهنوت والأمراء بنصيب وافر فى تجميد فكره ، وبقائه فى بحر الظلمات . بينما كان العالم الاسلامى يسطع بنور العلم والمعرفة .

* كما نقل الانجليزى « روبرت أف شيستر » علوم العرب الكيمائية ــ كما نقل كثيرون غيره مختلف العلوم والمعارف العربية

الى أوربا — من أسبانيا الى انجلترا فى القرن الثانى عشر الميلادى ، ومن هناك أنتقلت الى البلاد المجاورة .

* وصل وطن العلوم العربية الى ذروة المجد العلمى فى القرن العاشر الميلادى ثم بدأ رجال الدين فى تقييد حرية البحث الحر ، بحجة أن العلم أضعف العقيدة فى المجتمع ، وحجب بهاءها ، وورونقها فعجزت عن التأثير فى الحياة الاجتماعية ، كما فقد العلم مكانته عند الناس عندما أخذت سلطة حماته والمؤيدين له طريقها الى الانحدار . وهكذا مات الجذر ، ولكن فروع تلك الشجرة العملاقة أورقت وأثمرت فى ذلك العصر ثمرا طيبا فى أسبانيا — البعيدة عن الوطن الأم للعلم العربى ، موطن البذرة ، ومكان الجذر الذى أنبت تلك الشجرة — ، اذ أصيب البلد بحمى الترجمة كما لو كان الوقت المتاح لنقل هذه العلوم النفيسة محددا بمدة قصيرة . وهكذا نقلت المادة الجوهرية من الشرق الى العلم الاوربى ، فدفعه هذا الدعم الى التطور الذاتى .

٦ — الأدب :

* لم يعثر الباحثون فى أدب المجتمعات الاسلامية على الرواية الطويلة ، لأن شعوبها كانت مغرمة بالقصص القصيرة التى تتلى بصوت عال وتروى بين الناس شفاها فقد نالت اعجابهم روايات « بيدبا » التى ترجمت من الهندية الى الفارسية فى القرن السادس الميلادى ، ثم ترجمت فى القرن الثامن الى العربية وكانوا مغرمين أيضا بقصص ألف ليلة وليلة ، التى ترجمت أيضا من الفارسية الى العربية فى القرن العاشر الميلادى ويدل بناؤها الفنى على انها تعتمد على أصل هندى .

* اتسعت دائرة هذه المجموعة الهندية الفارسية فى النص العربى بما أضيف اليها من قصص هارون الرشيد ، وبما دخلها من روايات مصرية ويهودية ، ثم تكون من هذه المجموعات المختلفة وحدة عرفت باسم « ألف ليلة وليلة » . اشتهرت بعض أجزاء هذه المجموعة فى ايطاليا فىأواخر القرن الرابع عشر الميلادى ، ثم ترجمت كلها

الى الفرنسية ونشرت فى عام ١٧٠٤م وبعدها أنتشرت فى أوربا كلها ، فاكتسبت شهرة فى المنتديات الادبية وبين عامة الشعب ، وظل كتاب « ألف ليلة وليلة » من أوسع الكتب انتشارا حتى عصرنا الحالى . ومن القصص التى لاقت رواجا كبيرا أيضا ما كتبها بديع الزمان الهمذانى ، لأنها صيغت بأسلوب شيق جذاب .

* أعتمد أنتشار الأدب قبل اختراع الطباعة على فن الالقاء وحسن استماع الناس وتلك طبيعة تعمقت جذورها فى المجتمعات عن طريق التمرين الطويل .

* كان قرض الشعر دليلا على الثقافة والاطلاع الواسع فأدى ذلك الى المنافسة فى هذا المجال . منافسة دفعت الى خلق قصص البطولات المبالغ فيها . كما تسببت فى ابتكار الصيغ الفنية الرائعة فى الأدب . تلك الصيغ التى كان لها الفضل فى وجود الجوانب الفنية فى الشعر الأوربى .

* جمع أبو الفرج الاصفهانى فى العصر العباسى كتابة « الاغانى » وكان ذلك فى القرن العاشر الميلادى ، وتدل مادة الكتاب — الذى بلغ عشرين مجلدا — على أن الفن الأدبى والثقافة بلغا شأوا بعيدا فى هذا العصر ، وان الشعراء تبوءوا مكانا ساميا فى بلاد الخلفاء وقصور الاغنياء ، الا ان اهتمام الحكام وأصحاب الثروة بالشعر والشعراء ، وتلبية الشعراء رغبة من يدفعون المال ، هوى بالشعر من عليائه ، فأصبح موجها من خزائن الأغنياء ، لا تعبيرا عن وجدان الشعراء ، ولهذا يرى بعض النقاد أن الشعر فقد مكانته التى تبوأها فى العصر الجاهلى .

* الحرب والحب : هما الموضوعان الرئيسيان اللذان دار حولهما الشعراء وعندما هدأت موجة الفتح ركز الشعراء على الحب وقصصه وأساطيره ، فرسموا له صورا وردية وأحاطوها بهالة من الخيال اللانهائى ، وسرعان ما أنتشرت هذه المفاهيم فى أنحاء العالم الاسلامى وأنتقلت بعض جوانبها عبر مصر وشمال أفريقيا

وأسبانيا الى ألمانيا .. ثم تنـاول المؤلف سـيرة أشـهر الشـعراء ومنهجهم فى الشعر مثل أبى نواس والمتنبى وأبى العـلاء المعرى وبين اسهام الفارسيين مع العـرب فى هذا المجال وفصـل الحـديث عن الفردوسى ، الذى قضى ٣٦ عاما فى تأليف : « الشاهنامة » ، كما ألف « يوسف وزليخة » وهى تعـادل فى طولها ملحمة « الالياذة » ..

* لم يرفع الفردوسى بتأليفـه « الشـاهنامة » الأدب الفـارسى فقط الى مرتبة سامية بل أضاف الى الأدب العـالمى احـدى المـلاحم الشـعرية الـكبرى التى لا زال الشعب الفارسى يفخر بهـا حتى الآن . وكانت سببا فى دفعه الى الانتاج الغزير فى مجال الشعر . فقد ظهر بعد الفردوسى : الخيام ، صاحب الرباعيات التى أشتهرت فى أوربا بعد أن ترجمهـا « ادوارد فريتس جيرالد » .. فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، وكذلك نظـامى ، الذى كانت أفـكاره متعارضة مع أفكار الخيام ، اذ بينما كان الخيام يميل الى الفجور وشرب الخمر ، كان نظامى تقيا ورعا يكره الخمر ويتجنب مواطن الريبة .

* لبس موضـوع الحب فى الشعر الفارسى رداء دينيا ، فتحول الى حب صوفى وممن حملوا لواء هذا النوع من الشعر فريد الدين العطـار ، وجـلال الدين الرومى وابن الفارض .. ويمضى المؤلف فى بيان صلة الشعراء بالقصـور والأغنياء ، وموضحا اتجـاهاتهم ، سواء كانت فلسفية تشـاؤمية ، أو دينية تأمليـة ، ومشيرا الى ما ترجم منهـا الى اللغة الالمانيـة وتأثيرهـا على الشـاعر الالمـانى « جوته » .

* كان انتاج الأدب الاسلامى بعد هذا العصر الكلاسيكى قليلا فى مجال الابتكار ، فقد ظل يدور لعدة قرون فى حلقـة التقـليد ، أما الابتكار فكان نادرا ، اذ دار الشعر حـول وصف الرحـلات وأسـفار الأمـراء ، ثم أهتم الاستعمار فى العـالم الاسـلامى بادخال الأدب الأوربى الى المنطقة ولم يبدأ الاهتمام بالأدب القديم فى العالم الاسلامى واضافة مبتكرات

جديدة اليه ، الا بعد ظهور النزعات القومية فى العصر الحديث •

٧ ـ الاقتصاد والتجارة وشئون المواصلات :

❋ بينما كانت الطبقات الحاكمة فى أوربا ـ سواء كانت قسسا أم أمراء ـ تنظر الى التجارة وما يتعلق بها نظرة ازدراء واحتقار ـ وظل هذا المفهوم مسيطرا عليها حتى القرن الحادى عشر الميلادى ـ سيطر العالم الاسلامى على شئون التجارة فأصبح التبادل التجارى محتكرا فى أيدى المملكة الاسلامية •• اذ لم يكن هناك بين أقطارها الشاسعة حواجز جمركية ، ولا حدود تقف مانعة أمام تبادل البضائع اللازمة لضرورات الحياة ، فازدهر الاقتصاد فى ظل قواعد التجارة وشئون المواصلات التى بلغت حد المثالية ، لدرجة أن النشاط التجارى سار فى البر والبحر بأقصى سرعة دون هدوء أو توقف واستطاعت العقلية التجارية عند التجار المسلمين فى ذلك الوقت الحصول على أرباح طائلة •

❋ بعثت كثرة الامكانات المتاحة فى مجال التجارة النشاط المحموم فى صغار التجار ، وحركت البدو لتوسيع نشاطهم فى مجال تربية الماشية ، ودفعت الفلاحين الى الاكثار من زراعة الحبوب والفاكهة والنباتات الأخرى • كذلك شق الخلفاء القنوات ، فزرع قصب السكر والقطن والبرتقال ، فأورقت مناطق فى العالم الاسلامى وأخضرت بشكل حمل الناس على ان يطلقوا عليها جنات الأرض ، ومن تلك المناطق : المنطقة الواقعة بين بخارى وسمرقند ، وجنوب فارس وجنوب العراق ومنطقة دمشق •

❋ درت تجارة المعادن والاحجار الكريمة ربحا كبيرا على العالم الاسلامى ، على الرغم من تعثر عمليات استخراجها من باطن الأرض • أما الورق فقد أقيمت مصانعه منذ القرن العاشر الميلادى كما نشأت حرف مهنية عديدة أزدهرت تحت رعاية النقابات المهنية ، التى تعدتها بالرعاية والتسويق •

* انتجت الموصل القطن الموصلى ، كما اشتهرت مصر وسوريا وفارس بالبضائع المصنعة ، وعرفت دمشق بالدمقس ، وعدن بالصوف • تعلمت أوربا من المسلمين صناعة الحفر وزخرفة المعادن ، ورسم الاشكال الفنية بمادتى الذهب والفضة على البرونز فقد نشأت هذه الصناعة فى مصر أبان العصر المملوكى ، ثم انتقلت الى سوريا ومنها الى فينيسيا • كما وجد فى المملكة الاسلامية من يهتم بصناعة الزجاج والبللور والاوانى ، والسيراميك ، وأدوات العطور والزينة ، والزيت والصابون والسجاد •• الخ •• لأن مساحة الدولة كانت شاسعة فضمت أناسا مختلفى الاهتمامات ، ومتنوعى الامزجة مما جعل لكل صناعة منتجا ومستهلكا • لقد تركت صناعة الزجاج أثرها فى أوربا حيث يجد المرء فى الكنائس والمتاحف أعمالا فنية رائعة تحمل بصمات المسلمين •

* جابت قوافل التجارة ـ التى كانت تبلغ أحيانا آلافا من الجمال المحملة بالبضائع ـ العالم الاسلامى ، اذ كانت تخرج من بغداد الى كل اتجاه ، الى الشرق حتى حدود الصين ، والى الغرب حتى الشواطىء السورية ، فنشأت على طريق القوافل محطات لتزويد المسافرين بما يحتاجون اليه من طعام وماء ثم تطورت هذه المحطات الى مستوطنات ، فمدن كبيرة •

* استقبلت السفن فى موانىء الخليج وشواطىء البحر الأبيض المتوسط البضائع المنقولة اليها من داخل البلاد ونقلتها الى ما وراء البحار ، اذ عبرت نهر الفولجا الى البلاد الاسكندنافية ، والبحر المتوسط الى أسبانيا وما وراءها • ويدل ما وجد فى الحفريات من العملات الاسلامية على مدى الانتشار الواسع للتجارة الاسلامية فى ذلك العصر •

* أثرت الطبقة الحاكمة من التجارة ثراء فاحشا ، وأصبحت حياة الترف التى كان يحياها نسبة قليلة من السكان قائمة على ازدهار الاعمال التجارية ، فقد

كان المال المستثمر فى التجارة وفى أعمال القوافل يدر فوائد ربوية على أصحابه ، على الرغم من تحريمها رسميا . كذلك تسبب النشاط المالى فى خلق فرص عمل لأعداد لا حصر لها من العبيد ، ولم يكن الاسترقاق قاصرا على جنس دون آخر ، فكما ضم زنوجا من افريقيا ، كان من بينهم أيضا أتراك ، وصينيون ، وبيض من روسيا وأسبانيا وايطاليا . وعلى الرغم من أن القرآن الكريم قصر الاسترقاق على أسرى الحرب وأبناء العبيد ، فقد تعدى الناس هذه الوصية ، فشمل الاسترقاق أناسا لم يكونوا أسرى حرب ، ولم يكن آباؤهم عبيدا ، اذ جلب العبيد بطرق شتى من جميع أنحاء الأرض ، حتى كثر عددهم فى المملكة الاسلامية وسببوا لها بعض المتاعب فقد كانت ثورتهم فى عام ٨٧٠م خطرا على جميع الانشطة الاقتصادية فى كل أنحاء المملكة .

* قامت التجارة والصناعة فى العالم الاسلامى على أساس النظام الاقتصادى الحر فأصبح المكسب المادى هدفا لكل طموح ، لأن الفكرة التى كانت سائدة فى المجتمع آنذاك : ان من كثر ماله ارتفع قدره بين الناس ، وعلى قدر ما يملك ينال من الاحترام .. ان من يقارن مفهوم ذلك العصر بما هو سائد اليوم فى مجتمعاتنا يدرك أن الوضع لم يتغير .

دكتور محمد شامة

* * *

زاهـــد البصـــرة

للأستاذ السيد حسن قرون

الحـديث عن الزهـد مطلب النفـوس الخيـرة ، والقلوب الصافية ، والعقول النـيرة ، لأنه يرتفع بالانسان عن أوضار الدنيا ، ودوافع الصراع حـول مطـالب المعدة ، ولنـا من سلفنا الصـالح نمـاذج بشرية رائـدة قـل أن يجود الزمان بمثلهـا ، فحين تركن اليهم ، وتعيش مع ذكراهم ، وتقرأ سيرهم يطمئن قلبك ويهدأ بالك ، فتجـد نفسـك متعاطفا مع أهلك وذويك ومواطنيك تفرح لفرحهم ، وتحزن لترحهم ، وتنفر من المال نفورك من الوحش الكاسر ، والطير الجارح ، والنار المـدمرة ، وترى الدنيا لهـوا ولعبـا .. ومع أن أسلافنا الذين ظهـروا مع الاسلام حين ظهوره ، أو نبتوا فى أرضـه بعـد انتشاره كل منهم قدوة فى سلوكه ، وحجة فى أقـواله الا أن ثلاثة منهم تميـزوا فى نظـرى ، وبهـرونى بطـرقهم فى الحيـاة ، ووضعـوا نصب عينى التقوى فى أجلى مظاهرها ، وأبهج صورها ، وهم الصحابى الجليـل (عثمـان ابن مظعون) المتوفى قبيـل غزوة أحد ، و (الفضيل بن عياض) المتـوفى سنة ١٨٧هـ ويعـد رأس التصوف ، فقد قامت معالمه وألفت الكتب فيه بعد وفاته ، والثـالث (عامر بن عبد الله بن عبد القيس) العنبـرى البصرى . أما عثمـان ابن مظعون فقد نشرت عنه مقالا مطولا بمجلة الأزهر ، وأما الفضيل فانى لأرجـو أن أوفق فى تجليـة سيرته وما أجلها سيرة .. أما عامر ابن عبد الله « زاهد البصرة » فهو الذى أحدثك عنه فى ذلك المقال ،

واذا كان لكل شخصية مفتاحها ــ كما يقول العقاد ــ فان مفتاح شخصية عامر هو « التقوى » وقد تقول : ان التقوى قبلة كل مسلم ووسيلته الى بلوغ سعادة الدنيا والآخرة لا ينكرها عاقل ، ولكن عامرا انفرد بنظرة خاصة نحو التقوى ، فحبس نفسه فى دارتها ، فشغف بها ، وحرص أن يحرز بها أعظم الأجر وأجزل العطاء ويجلو لك الأمر بقوله : « لحرف فى كتاب الله أعطاه أحب الى من الدنيا جميعا » فقيل له : وما ذاك يا أبا عمرو ؟ قال : « أن يجعلنى الله من المتقين ، فانه قال : « انما يتقبل الله من المتقين » فهو فى ضوء التقوى يريد أن تكون صلاته ونسكه وصلاته وزكاته وصومه وحجه ، وجهاده واحسانه فى كل أمر يؤديه له القبول عند الله ، والله لا يقبل الا من المتقين ، وفى هذا الحرف تجتمع كل شمائله ووسائله ، ومقاماته ومقالاته ينظر فى جميع أموره فما وافق يقينه واعتقاده فى الوصول الى التقوى أداه حريصا عليه كلفا به ، ووصف « المتقى » هو كل مبتغاه ، به تنفرج أساريره ، ويبتهج فؤاده .

ان المتقى يحذر الآخرة ويخشى غضب الله ويحصن نفسه بفعل الخيرات . .التقوى وقاية وجنة حافظة ، انها الحرف الذى قيد نفسه فى أقوى عراه ، فكيف قيد نفسه ؟ أجاب عن هذا السؤال عمليا ، فسلك مسلكا وعرا ، وفرض على نفسه فروضا لم يوجبها كتاب ولا سنة ، ولو عاش فى زمن غير زمنه لكان له شأن أى شأن ، ولاتخذ الناس من قبره مزارا ، ولكنه كان فى عصر الخلفاء الراشدين ، والخلفاء الراشدين ومن نحا منحاهم لا يقبلون الغلو فى الدين أو الدنيا ، لا يقبلون من مسلم أن يجعل الزهد وكده يعرف به ، وينفرد بعلاماته ، ويشار اليه بالبنان لمقارفته ، وكان عامر قد صار علما على الزهد ، واشتهر عنه أنه لا يأكل اللحم ولا السمن ولا يتزوج النساء ، ولا يصلى فى المساجد ، ولا تمس بشرته بشرة أحد ، ويقول ــ حسب الرواية ــ انى مثل ابراهيم ، يقصد ابراهيم

عليه السلام ، وكان عنيفا فى قول الحـق ، ينصـح بلسانه فاذا لم يستجب من ينصحه استعمل يده ، مر على رجل من أهل الذمة قـد أخذ فكلمهم فيه فأبوا وكرر القول فلم يستمعوا له فتحداهم قائلا : كذبتم والله لا تظلمـون ذمة الله اليوم وأنا شاهد ، وكان راكبـا فنزل فخلصه منهم .. والأغرب من هـذا أنه سـمع من يقـول له — لا أدرى أفى يقظة أم منام — فلانة امرأتك فى الجنة ، فذهب فى طلبها فاذا هى وليدة لأعراب سوء ترعى غنما لهم ، ولا تنال منهـم الا السب والأذى ، وكانـوا فى اطعامها مقترين عليها ، ومـا تناله تـذهب بمعظمه الى أهـل بيت مسهم الضر ، وتتبع عامر خطاها ومرعاها فوجدها فى مكان صـالح تصلى ، فتقترب اليهـا وحادثهـا وسألها عن حاجتها فنفت الحـاجة الى أحد ، فلما أكثر عليها قالت : وددت أن عندى ثوبين أبيضـين يكونان كفنى . قال : لم يسبونك ؟ قالت : انى لأرجو فى هذا الأجر ، فتركهـا ورجع اليهم ، فقال : لم تسبونجاريتكم هذه ؟ قالوا نخاف الله أن تفسد علينـا ، فطلب اليهم بيعها وغالى فى الثمن فلم يقبلوا ، فذهب وأتى بثوبين أبيضين فوجدها « ماتت » فقال : ولونيها . قالوا : نعم ، فصـلى عليها ودفنها . وقد تكون تلك الجارية هى التى زهدته فىالنساء ، ويروونانسائلا سأله : ألا تتزوج ؟ قال : ما عنـدى من نشاط ، وما عندى من مال ، فمـا أغر امرأة مسلمة ؛ وسأله آخـر : ما هذا الذى صنعت ؟ ألم يقـل الله : « ولقد أرسلنا رسـلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » ؟ قال : أفلم يقل الله : « وما خلقت الجـن والانس الا ليعبـدون » ؟ ويتحيرون من مذهبه ، وكيف لمثله يمتنع عن الزواج ؟ وما دروا أنه دعـا الله أن يغنيـه عن النسـاء فاستجاب له . فقد حكوا أنه كان فى غزاة ، وأنه انتبذ مكانا قصيا عن زملائه المقاتلين ، فبقى ليله راكعا ساجدا داعيا ورآه أحد أصحابه فى مقامه هذا بعد أن بحث عنه ووافاه فى وجه الصبح وهو يدعو ، فكان فيما يدعو : اللهم سألتـك ثلاثا

فأعطيتنى أثنتين ، ومنعتنى واحدة ، اللهـم فاعينها حتى أعبـدك كما أحب وكما أريد ، فلما قضى صلاته ودعاءه التفت الى صاحبه وأنذره بالويل والثبـور ان تحـدث عما رأى . قال له صاحبه وهو يحاوره : دعك من تهديدى والله لتحـدثنى بهذه الثـلاث التى سـألتها ربك أو لأخبـرن بما تكره ممـا كنت فيه الليلة . قال : ويلك لا تفعل . فلما رآه غير منته قال له : لاتحدث به ما دمت حيا . فوافقه صاحبه ، وهنـا أفضى اليه بخبىء أمره . قال : سـألت ربى أن يذهب عنى حب النساء ولم يكن شىء أخوف على دينى منهن ، فوالله ما أبالى امرأة رأيت أم جـدارا ، وسألت ربى ألا أخاف أحـدا غيره فوالله ما أخاف أحدا غيره ، وسألت ربى أن يذهب عنى النوم حتى أعبـده بالليل والنهار كما أريد فمنعنى .

استقام له أمره أيام عمر رضى الله عنـه ، فاتقى الله حق تقاته ، وابتهج أن يكون ممن ينطبق عليهم قول القرآن الكريم : « انما يتقبل الله من المتقـين » لكن الأمـور تغيرت ، وولى الخـلافة عثمـان ابن عفان رضى الله عنه ، ولم يكن صورة من عمر ، بل كان له رأى واتجاه ، وظهـر الحسد فى بعض النفوس : حسد قريش على ما آتاها الله من النبوة والخلافة ، وحسـد بنى أمية أن يكونوا موضع الرعاية من الخليفـة ، ففشت فى النـاس اذاعات وشائعات تنال من الخليفة وتصرفاته ، ولم يكن عامر ممـن يعنى بالسياسة ، ولا ممن يطلقون ألسنتهم فى الولاة والجباة ورجال الحرب ، انما كان منصرفا الى زهده وصلاته كان عطاؤه على عهد عمر ألفين ، فكان يوزع منها ما يراه واجبا عليه ، ويقولون فى كراماته انه اذا ذهب الى داره ، وأخـذوا يعدون العطاء وجدوه كما هو لم ينقص شيئا ، ولما رأى المشرف على العطاء يريد أن يزيده . قال له : حسبك أنا لا أريد شيئا . قال له : انك تنفق على غيرك ممن يحتـاج اليك .. ويأبى الزيادة ، رجـل زاهد ، لا زوج ولا ولد ونفقـاته على نفسه قليلة ، فهـو يرفض لين الطعام ، وينفر من الفاكهة رغبـة

فى نعيم الآخرة ، ولكن السياسة تجرفه والواقع أن الشكوى منه لم تمس عثمان من قريب أو بعيد ، ولكن الاضطرابات حين تحدث ، والنفوس حين تحذر الفتنة تسىء الظن بمن يحتطب ومن يبتعد ، تأخذ المطيع بالعاصى ، والمحسن بالمسىء — كما يقول زياد .

كان عبد الله بن عامر (من بنى عبد شمس اخوة أمية) عاملا لعثمان على البصره فوشى اليه بعامر بن عبد الله البصرى بأنه يقبل أن يقال له : ما ابراهيم خير منك فيسكت وقد ترك النساء ، فكتب فيه الى عثمان ، فجاءه الرد : أن انفه الى الشام وكانت سياسة عثمان أن كل مشاغب فى البصرة أو الكوفة يلقى القبض عليه ثم يرسل الى الشام ليكون تحت رقابة معاوية ابن أبى سفيان ، ولكن ابن عامر لم ينفعه بمجرد أخذ الموافقة ، وانما أراد أن يسأله ويخبره فأحضره وسأله على رءوس الأشهاد :

أنت الذى قيل لك يا ابراهيم خير منك فسكت ؟ قال : أما والله ما سكوتى الا تعجبا ، لوددت أنى كنت غبارا على قدميه يدخل فى الجنة ، قال : ولم تركت النساء ؟ قال : أما والله ما تركتهن الا أنى قد علمت أنه متى تكن لى امرأة فعسى أن يكون ولد ، ومتى ما يكون ولد يشعب الدنيا قلبى فأحببت التخلى من ذلك . ولم تعجب الاجابة الأمير ابن عامر فأجلاه على قتب الى الشام ، فكان فى نظر شيعة بنى أمية أنه مثل صعصعة بن صوحان ، ومذعور وغيرهما ممن يناهضون الحكم ولم يكن معاوية متساهلا مع هؤلاء الثوار ، ولا راضيا عن موقفهم من الخلافة وحديثهم عن قريش ، وكم ناظرهم فأفحمهم ، وكم تخفف منهم فرد بعضهم الى مواطنهم ، وكانت له أساليب مختلفة يعرف بها دخيلة من ينفى اليه ، ومنذ وصل اليه عامر ابن عبد الله وضعه تحت رقابته . وافتن فى التعامل معه ، بعض هذه السياسة رسمها له الخليفة نفسه ، وبعضها كان من تفكيره .. المهم أن عامرا المفترى عليه نجح فى الاختبار غير قاصد ولا متعمد ، لأنه — وقد

بعد عن مستقرة ـ جعل العبـادة مأواه ومأتاه ، قدم عامر على قتب فى سفر هو قطعة من العـذاب ، فقابله معاوية بروضـة من الجنة أنزله معه الخضراء ، وبعث اليـه بطعام شهى مع جارية حسناء أمرها أن تعلمه ما حاله ، فراقبته فوجدته لا يأكل الطعام الشهى ويقبـل على كسرة يابسة يجعلها فى ماء ثم يأكل منها ويشرب من ذلك الماء . منتهى الزهد ثم يقوم مقامه حتى يسمع النداء ، فيخرج الى المسجد فـلا تراه الى مثل ليلتهـا ؛ وأنهت الى معاوية حاله كما شاهدت ، فكتب معاوية الى عثمان يذكر ما عليـه الرجـل ، ولكن عثمان لم يقتنع : وكيف يقتنـع والزلزال حـوله ؟ فكتب الى معاوية « أن اجعله أول داخل وآخر خارج ؛ ومر له بعشرة من الرقيق وعشرة من الظهر . فلما أتى معاوية الكتاب أرسـل اليـه فقال له : ان أمير المؤمنين كتب الى أن آمر لك بعشرة من الرقيـق . فقـال : ان على شيطانا غلبنى : فكيف أجمـع على عشرة ؟ قـال معـاوية : وآمر لك بعشرة مـن الظهر . فقال : ان لى بغلة واحدة وانى لمشـفق أن يسألنى الله عن فضل ظهرها يوم القيامة . ـ يشير الى حديث النبى صلى الله عليـه وسلم . « من كان له فضل ظهـر فليعد به على من لا ظهر له ... » قـال : وأمرنى أن أجعـلك أول داخل وآخر خارج . قال : لا ارب منها لى فى ذلك . وسئل معاوية بعد حين عمن نفوا اليه فقـال عنهم : يدخلون بالكذب ويخرجون بالغش غير رجل واحد هو رجل نفسه : (عامر بن عبد القيس) وظهـرت براءة هؤلاء فرجعوا الى موطنهم وتخلف عامر الزاهد ، وكل أرض عنـده طيبة مـا استطاع أن يقوم الليل ويصوم النهار ، وقد حصر الدنيا فى أربع خصال : المال والنساء والنوم والطعام ، وقد نجا من المال والنساء ، ولكن لم يجد مفرا من النوم والطعام . ومع ذلك فقـد اندمج فى جند الشام وصـار غازيا فى سبيل الله ، وقد استرعى نظر رفاقه بتصرفاته فهو لا يركب حصانا بل يركب بغلته التى يقـدم فضلها لمن يحتاج الى الحمل رجاء الثواب ،

ثم يختار الرفاق ، ويشترط عليهم شروطا تنعتها الآن بالنبل يقول لهؤلاء الرفاق وهم بأرض الروم : انى أريد أن أصحبكم على أن تعطونى من أنفسكم ثلاث خلال : فيقولون : ماهن ؟ يقول : أكون لكم خادما لا ينازعنى أحد منكم الخدمة ، وأكون مؤذنا لا ينازعنى أحد منكم الأذان ، وأنفق عليكم بقدر طاقتى . فاذا قالوا ، نعم انضم اليهم ، فان نازعه أحد منهم شيئا مما اشترطه رحل عنهم الى غيرهم . ويحكون عنه أنه كان فى جيش فأصابوا جارية من عظماء العدو ، فوصفت له فقال لأصحابه : هبوها لى ، فانى رجل من الرجال ، ففرحوا أن تكون له امرأة فجاءوه بها . فقال : اذهبى فأنت حرة لوجه الله . قالوا : يا عامر ، والله لو شئت أن يعتق بها كذا وكذا لأعتقت . قال : أنا أحاسب ربى .

ورجع من غزواته وجهاده الى الشام وقد استقر به المقام ، وطابت له العبادة ، وسعى اليه الناس من العراق ولا سيما البصرة ليقفوا على حاله ، فكان يلقاهم كأنه لم يفارقهم لا يسأل عن الأحياء ولا عن الأموات ، فاذا عوتب فى ذلك قال : ما أسأل عن قوم ، من مات منهم فقد مات ، ومن لم يمت فسيموت ، واذا قال له أحدهم : لم لا تدعونا الى طعامك ؟ كان جوابه : لقد علمت أنك تأكل طعام الأمراء وفى طعامى خشونة أو جشوبة .. وقصده (كعب الأحبار) واتخذه جليسا ، فكان يعرض عليه أسفار التوراة ، فاذا أعجبه منها شيء فسره له ، وكان مما فسره له عبارة . قال عنها كعب : انها الرشوة أجدها فى كتاب الله « تطمس البصر ، وتطبع على القلب » فلما سئل كعب عنه : قال : « هذا راهب هذه الأمة » وأنا لا أميل الى ما يقوله كعب سواء حديثه عن الرشوة أو عن رهبانية عامر البصرى ، فالرجل له من القرآن الكريم ما فيه هديه

وسراجه ومنهاجـه ، فالقرآن ذم الرشوة كما أن الرسول لعنها ، والرهبانية وصف يأباه عامر ، وان بعد عن النساء ، فهو رجـل نقى تقى من قمـة رأسـه الى أخمص قدمه ، فقد عرضت عليـه الدنيـا فأباهـا أيمـا اباء ، ووهبت له الحسناء فأعطاها الحـرية اسـلاما وانسانية .

اتخـذ الشـام داره فهل نسى عراقه ؟ ان الجاحظ يروى عنه أنه قال : ما آسى من العراق الا على ثلاث : ظماء الهواجـر ، وتجاوب المؤذنين ، واخوان لى منهم الأسود ابن كلثوم . وأغلب الظن أن جفاءه للعـراق يرجـع الى الوشاية التى جعلت منه عدوا للخليفة ، ومنفيا عن وطنه واخـوانه . قال محمـد ابن سعد فى الطبقـات . لما سير عامر بن عبد الله تبعه اخوانه فكان يظهر المربد : ــ مربد البصرة ــ قال : انى داع فأمنوا . قالوا : هات ، فقد كنا ننتظر هذا منك . قال : اللهـم من وشى بى وكذب على ، وأخرجنى من مصرى ، وفرق بينى وبين اخـوانى ، اللهم أكثر ماله ، وولده ، وأصـح جسمه ، وأطل عمره . وظاهـر الكلام أنه يدعو له والحقيقة أنه يدعو عليه لينال متاعب المال والولد والصحة وطول العمر ، فهو مسئول عمـا يقترف وما يجب عليـه نحو ذلك الخير ، وهكذا يكون دعاء الزهاد .

لقد كان عزيزا عليـه أن يفارق البصرة ، وينأى عن أصحابه ممن تزدان بهم المساجد ، ويحـلو بهم ذكر الله ، انظـر اليه حـين أحس بالرحيل ، لقد مضى الى أخيـه فى العلم والزهد والتقـوى (مطرف ابن عبدالله بن الشخير) ليسلم عليه فدق الباب ليلا ، فقـال مطـرف للخادم : انظرى من هذا ؟ فقالت عامر ، فخرج اليه فسلم عليه ثم انصرف . فلمـا مضى من الليـل ما مضى رجع فدق الباب . فقـال مطرف لخادمه : انظرى من هذا ؟.

قالت : عامر ، فخرج اليه فقال : ماردك بأبى أنت وأمى ؟ قال : والله ماردنى الا حبك ، فسلم عليه وودعه ثم ذهب . فلما مضى من الليل ما مضى رجع فدق الباب . فقال مطرف لخادمه : انظرى من هذا . قالت : من هذا ؟ قال : عامر . فخرج اليه مطرف . فقال له مثل قوله .. ثم انصرف ونفسه تتقطع حسرات .

لم يرجع الى مصره ، ومات فى غربته ، ويقولون : انه لما حضرته الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : ما أبكى جزعا من الموت ، ولا حرصا على الدنيا ، ولكن أبكى على ظمأ الهواجر ، وعلى قيام ليل الشتاء . وهذه الشخصية الجليلة لم أستطع أن أعرف سنة ميلاده ولا سنة وفاته ، وحسبنا أن نرى فيه قدوة حسنة ونموذجا صالحا للاقتداء والاهتداء .

السيد حسن قرون



الطفل والطفولة

ومدى الاهتمام بهما من جانب الإسلام

بقلم المستشار محمد عزت الطهطاوى

الاطفال هم فلذات أكباد الآباء ، وهم المهج وفؤاد الامهات وهم الزهور والورود واشعة الضوء فى حياتهم - بل هم الأمل الذى يرجـــونه فى مستقبل الأيام .

اهمال الحضارات القديمة لشئون الطفولة

ولقد كانت الحضارات القديمة السابقة على ظهور الاسلام لاتولى عنـاية بشئون الطفـل ولا تراعى أو تهتم بالطفولة العناية الواجبة .

١ ــ فالفينيقيون فى حدود عام ٥٠٠ قبـل الميلاد كانوا يضـحون بأطفالهم قربانا لآلهتهم عندما يحزبهم أى أمر فيقيمون الحفـلات التى تختلط فيها صرخات الاطفال بدقات الطبول .

٢ ــ كما أن الحضارة اليونانية التى يعتبرها علماء الغرب وفلاسفته قمة الحضارات القديمة كان القانون والرأى العام فيها يبيحـان قتـل الأطفال ويريان فيه وسيلة مشروعة للحد من زيادة النسل ومنع تقسيم الأرض الزراعية تقسيما يؤدى الى الفـاقة ــ يحـكى كل ذلك بول ديـورانت فى موسـوعته قصـة الحضارة فى الجـزء الثـانى وفى الجزء السابع .

وفى شعب بنى اسرائيـل وهم أهل الكتاب الأول كان من عاداتهم أنهم يجيزون أطفالهم فى النـيران الموقدة اذ يضعونهم فـوق ذراعى مولك الممدودتين فتهبطان بهم فيها بعد ايقاد النيران تحته وبذلك قتلوا كثيرا من أطفـالهم بتلك العـادة

الذميمة التى تشبهوا فيها بالمجوسية فى تقديسهم للنار والى هذا أشار سفر أرميا فيقول : (بل وضعوا مكرهـاتهم فى البيت الذى وعى باسمى لينجسوه وبنوا المرتفعـات للبعـل التى فى وادى ابن هنـوم ليجيزوا بنـيهم وبناتهم فى النـار لمولك الأمـر الذى لم أوصهم به ولا صعد على قلبى ليعملوا هـذا الرجس ليجعلوا يهـوذا يخطىء) انظر سفر أرميا فى الاصحاح ٣٢ عدد ٣٤ ، ٣٥ من أسفار الكتاب المقدس فى العهد القديم .

كيف عنى الاسلام بامر الطفولة

لما أشرقت على الدنيـا شمس الاسلام وبعث الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة والهـدى أولى الطفـولة عناية كبـيرة تمثلت فيمـا شرعه القرآن الكريم والسـنة النبـوية المطهرة من أحكام تتمثل فيمايلى :

أولا :

حرم القرآن الـكريم عادة وأد البنات ، فلقد كانت بعض القبائل العربية تقترف هذا الاثم الكبير فى حق الطفولة البريئة لبنات حـواء حتى جاء الاسلام فقضى على تلك العادة السيئة قال تعالى :

«واذا الموءودةسئلت باىذنب قتلت» سورة التكوير ٨ ، ٩ .

ثانيا :

أن من حق الولد على والده فى نظـر الاسـلام أن يحسن أسمه وموضعه وأدبه لذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضـعه ويحسن أدبه) رواه أبو داود .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر (انكم تدعون يوم القيـامة بأسمائكم وأسـماء أبنائكم فأحسنوا أسماءهم) أخرجه أبو داود .

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثـل للحسن والقبيح فقـال (تسموا بأسماء الانبيـاء وأحب الاسـماء الى الله تعـالى عبد الله وعبد الرحمن وأصـدقها حارث وهمـام وأقبحهـا حـرب ومرة) .

اما الأول :

فلما فيه من اقـرار بالعبـودية لمن لا تجب فى الحقيقـة الا له وفيـه تمييز للمولود بالايمان وتذكير بالله والرحمـن كلمـا نودى فسـمع اسمه •

وأما الثانى :

فلما فيه من تفاؤل بالخـير وأنه يعيش وينتج لأمته •

وأما الثالث :

القبيح فلا مندوحة من اقـرار النفس ببشاعته والنفور منه •

ثالثا :

دعا الاسلام الى البر بالأطفال والشفقة عليهم ــ كما أمر بتـوفير الرضاعة لهم ورعاية الأيتام منهم وحفظ حقوقهم •

قال تعـالى « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » سورة البقرة ٢٣٣

ويجوز الاقتصار على ٢١ شهرا لا أقل والزيادة بشهر أو شـهرين لا أكثـر وقـال سبحانه « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكـلوا أمـوالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » • سورة النساء ٢ •

وقال جلت كلماته :

« ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » سورة النساء ١٠

كما قال سبحانه « ويستفتونك فى النسـاء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبـون ان تنكحـوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما » سورة النساء ١٢٧ •

وقال تعالى : « فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة » سورة البلد ١١ الى ١٦ •

كما قال جلت كلماته « فاما اليتيم فلا تقهر » سورة الضحى ٩ •

ويقول رسول الله صـلى الله عليه وسلم « انا وكافل اليتيم فى الجنـة هكذا وأشـار بالسبابة الوسـطى وفرج بينما » رواه البخارى •

رابعا :

أهتم الاسلام ببيئة الأسرة التى يولد فيها الطفل المسلم لأنه يجد فيها عالمه ومقومات سلوكه فلا يقع سمعه ولا نظره ولا فكره الا على المعانى الاسلامية البناءة التى تتجاوب مع فطرته السليمة والاسلام دين الفطرة ينميها ويغذيها ويسمو بطاقتها الى التكامل الشامل للشخصية الاسلامية قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سورة الروم ٣٠

خامسا :

سن الاسلام نظما محكمة تتعلق بمصلحة الأطفال لا سيما فى مسائل الحضانة والنفقة والارث .

أ ــ فالحضانة هى تربية الطفل والقيام بشئونه فى أول أطوار حياته حتى سن معينة وذلك بتدبير طعامه وملبسه ونومه ونظافته وجعل الاسلام هذا الحق لمحارم الطفل من النساء ــ فان لم توجد له محرم من النساء أو وجدت وليست أهلا لحضانته انتقل الحق فى حضانته الى محارمه من الرجال العصبة ــ فان لم يوجد عاصب محرم له أو وجد وليس أهلا لحضانته انتقل الحق فى حضانته الى محارمه من الرجال غير العصبة .

ولما كانت أم الطفل أوفر محارمه شفقة به كانت أحق بحضانته ما دامت أهلا لها سواء كانت زوجة لأبيه أم مطلقة منه ــ وكانت محارمه اللاتى ينتسبن اليه بأمه أحق بحضانته من محارمه اللاتى ينتسبن اليه بأبيه عند استواء المرتبة قربا ــ وأجرة الحضانة هى من نفقة الصغير شأنها شأن أجرة رضاعه .

وتنتهى مدة الحضانة حتى السن التى يستغنى فيه الصغير والصغيرة عن خدمة النساء لقدرة الواحد منهما على أن يقوم وحده بحاجاته الأولية من أكل ولبس ونظافة ونوم .

وكل ذلك على التفصيل الذى وضحه علماء الاسلام فى كتب الفقه المختلفة .

ب ـ أما النفقة على الصغير فهى واجبة على والده لقوله تعالى (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) سورة البقرة ٢٣٣ فقد أوجب سبحانه على المولود له رزق الوالدات وكسوتهن وهذا الرزق وهذه الكسوة من نفقة الاولاد وسبب وجوبها الجزئية أى كون الولد جزءا من أبيه فكما تجب على الانسان نفقة نفسه يجب عليه نفقة جزئه وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت) رواه أبو داود وفى صحيح مسلم رواه بمعناه قال (كفى بالمرء اثما أن يحبس عمن يملك قوته) .

أما الارث ـ فقد قرر القرآن الكريم عن الصغير فيه المساواة بينه وبين الكبير وجعل للكل حقا فى الميراث وبهذا أبطل ما كان عليه العرب من جعل الارث بالنسب مقصورا على الرجال دون النساء والاطفال وقد كانوا يقولون فى ذلك (لا يرث الامن طاعن بالرماح وزاد عن الحوزة وحاز الغنيمة) فأبطل الله ذلك وجعل الميراث بالنسب عاما للرجال والنساء والصغار والكبار قال تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) سورة النساء ١١ .

سادسا :

مما قرره الاسلام ضرورة الاهتمام بالوصول الى سن الرشد الدينى مبكرا حتى يكون السلوك فى الحياة بعد ذلك مستقرا فتتزن انفعالات الطفل وتتوافق دوافعه ونزعاته المراهقة وذلك بفضل توجيه الوجهة الدينية السليمة قال تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) سورة طه ١٣٢ .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (مروا أولادكم بالصلاة وهم

أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) رواه أبو داود والحاكم عن عمر بن شبيب عن أبيه عن جده وأخرجه الزارعى أبى رافع ٠

وهذا التطبيق العملى من الرسول صلى الله عليه وسلم أثر فى أنفس الصحابة حتى رأينا من صبيان المسلمين من يؤم قومه فى الصلاة كعمرو بن سلمة الذى يقول أممت قومى وأنا ابن ست أو سبع سنين وكنت أكثرهم قرآنا ٠

ونراه صلى الله عليه وسلم فى معاملة الحسن بن على وقد كان طفلا فتناول احدى ثمرات الصدقة فالتفت اليه منكرا عليه كخ ــ كخ ــ ارم بها أما شعرت أنا آل محمد لا نأكل الصدقة) رواه الشيخان عن أبى هريرة ٠

أما تفريق الولدان فى المضاجع فله حكمة بالغة من الوجهة الصحية والوجهة السلوكية ــ ولعل الكثير من أمراض المجتمع تبدأ بذوره من عدم المبالاة بهذه الوصايا ٠

سابعا :

من تعليمات الاسلام العدل بين الأطفال ــ والعدل فيهم يتيح لهم نموا نفسيا وعقليا سويا ويحقق السلامة للمجتمع ــ أما التفريق فى المعاملة بينهم فانه يورث البغض والكراهية والجفاء بينهم وقد تنقلب الى عداوة تضر بسلامة الأسرة وأمن المجتمع ٠

وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : (اتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم) رواه الطبرانى عن النعمان ابن بشير وفى مسند أحمد وصحيح ابن حبان قوله (اعدلوا بين أبنائكم ــ اعدلوا بين أبنائكم ــ اعدلوا بين أبنائكم) ٠

وقد ذكر البيهقى من حديث أبى أحمد بن عدى مرفوعا الى أنس أن رجلا كان جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم فجاء بنى له فقبله وأجلسه فى حجره ثم جاءت بنته فأخذها فأجلسها الى جنبه فقال النبى عليه السلام فما عدلت بينهما ٠

ثامنـا :

والقـرآن الكريم يحتوى على كثير من الارشادات والتوجيهـات القرآنية فى مجال تربية الأطفـال فمع مرحلة النضوج نجـد قـوله تعالى « واذا بلغ الأطفال منـكم الحـلم فليستأذنوا كمـا استأذن الذين من قبلهم كذلك يبـين الله لكم آياته والله عليم حكيم» سورة النور ٥٩ ـ فعندما يصل الاطفال الى مبلغ الرجال عليهم أن يستأذنوا فى كل الاوقات على والديهم كمـا أستأذن الذين بلغـوا الحلم من قبلهم ، وحتى فى مجـال تنـاول الطعام نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشد فيـه الى التوجيـه السليم كما يحكى ذلك أبو حفص عمر بن أبى سلمة فيقول : (كنت غلاما فى حجر رسـول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصـحفة فقـال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام سم الله تعالى وكل بيمينك وكل ممـا يليك فما زالت تلك طعمتى بعد) متفق عليه •

تاسعا :

يوصى القرآن الكريم ـ فى مجال تربية الابنـاء ورعايتهم ـ الآباء برعاية أولادهم وتربيتهم بأسلوب نموذجى سليم مقرون بتقوى الله عـز وجل قال تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقـوا الله وليقـولوا قـولا سديدا » سورة النساء ٩ •

عاشرا :

يوضح القـرآن الـكريم دور الآباء المهم بوصفهم القدوة الحسنة فى تربيـة أبنـائهم قال تعـالى : « والذين آمنـوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين » سورة الطور ٢١•وفى قوله تعالى : « وأما الجدار فكان لغلامين يتيمـين فى المدينـة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فـأراد ربك أن يبلغـا أشـدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك » سورة الكهف ٨٢ • مثـال للأبوة الصالحة وأثرها فى امداد الخير الى

الولدان حتى بعـد وفاة والدهم وانتهاء حيـاته من الدنيا فيحرص كل أب على صلاح نفسه عسى أن يكون فى ذلك صلاح ولده وصلاح رزقه من بعده •

حادى عشر :

أما القدوة السيئة فيشير اليهـا القرآن الكريم فى قوله تعالى عن أبناء الكافرين (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) سورة الصافات ٦٩ ــ ٧٠ فنتيجة تلك القدوة السيئة من الآباء يسرع أبناؤهم على تتبع خطاهم من غير تدبر أو أدنى تأمل منهم رغم ظهور كونهم على الباطل •

ثانى عشر :

اهتم الاسلام بتهذيب الاطفـال وتربيتهم وتعليمهم وحسن رعايتهم وصيانة أخلاقهم وجعل ذلك حقا على آبائهم وأولياء أمورهم وعلى مجتمعهم لقـوله تعـالى : (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعـلون ما يؤمرون) سورة التحريم ٦ •

ويروى عن على بن أبى طـالب كرم الله وجهه فى شرح تلك الآية قوله : (علموا أنفسكم وأهليكم الخـير) وفى معجم الطبرانى من حـديث سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : (لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصـدق كل يوم بنصف صاع على المساكين) •

لذلك فان اهمال تعـليم الولد ما ينفعه وتركه سدى فيـه اساءة اليه غاية الاساءة ــ وأكثر الاولاد انما جاء فسادهم من قبـل الآباء واهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعـوا بأنفسـهم ولم ينفعـوا آباءهم •

ولا أوقى للنفس والأهل والولد الا بالسـير على تعـاليم الاسلام والتزام خلقه والتقويم منذ الصغر بكـريم آدابه حيث يجعـل الأب من عمله ومن قوله لولده القـدوة فينشأ على نهجه ويتطبع بسننه ومن

قبل نادى ابراهيم عليه السلام ربه قال تعالى : حاكيا عنه فى القرآن الكريم (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) سورة ابراهيم ٤٠ .

ثالث عشر :

ضرورة الرفق بالاطفال وبذل الحنان لهم والحنو عليهم .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انى لاقوم الى الصلاة وأريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه) رواه البخارى .

ولقد بلغ من رفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ورعايته للصغار ما جعلهم يجترئون عليه كلما قدم من سفر اذ يتلقونه فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون بين يديه ومن خلفه وكان يأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم وكان الصبيان يتفاخرون بذلك رواه البخارى ومسلم .

وثبت فى الصحيحين عن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام وهى لأبى العاص ابن الربيع — فاذا قام حملها واذا سجد وضعها وعن البراء رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه يقول : (اللهم انى أحبه فأحبه) رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى بكر رضى الله عنه : قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فيجىء الحسن رضى الله عنه وهو ساجد وهو اذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ومرة على رقبته فيرفعه النبى صلى الله عليه وسلم رفعا رفيقا — رواه الحافظ أبو نعيم .

وأوصى المؤمنين فقال : (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ومن لم يعرف لعالمنا حقه) رواه الترمذى ورآه الاقرع ابن حابس يقبل الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فأجابه صلى الله عليه وسلم ناظرا اليه نظرة ذات معنى (من

لا يرحم لا يُرحم ـ وما أملك ان كان الله نزع من قلوبكم الرحمة) متفق عليه .

رابع عشر :

بلغت رعاية الاسلام بالاطفال حد منع الآباء أن يبددوا أموالهم فى حياتهم سواء فى المباح أو غير المباح بحيث يتركون أولادهم من بعدهم فقراء فقد أراد سعد بن أبى وقاص أن يوصى بكل ماله للفقراء ويحرم وريثه الوحيد وكانت طفلة صغيرة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم يتكففون الناس) رواه الامام مسلم فى كتاب الوصايا .

خامس عشر :

ان فى وصية لقمان لأبنه فى القرآن الكريم مثالا طيبا عن عطف الأب وحرصه على تربية ابنه واصلاح حاله وماله تتفق مع أصول التربية ونوعيتها يقول سبحانه وتعالى عنه : « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكرلى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السماوات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير . يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » سورة لقمان ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

سادس عشر :

ان من آداب الاسلام أنه اذا بلغ الولد يسعى والده على تزويجه

صيانة لعرضـه وحمـاية لابنه من ارتكاب الاثم لذلك فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قوله : (من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه فاذا بلغ ولم يزوجـه فأصاب اثما فانما اثمه على أبيه) ذكره البيهقى مرفوعا الى ابن عباس رضى الله عنهما .

القرآن الكريم وقصص الانبياء فى طفولتهم .

ان ما قصـه القرآن الكريم عن طفولة بعض أنبياء الله هو نماذج فاضـلة حية عن طهـارة تربيتهم واستقامتهم فى طفولتهم يحكيهـا لنا القـرآن عن هـؤلاء الاصفياء كابراهيم واسحق ويوسف وموسى ويحيى والمسيح عيسى بن مريم — ومحمـد عليهم جميعـا الصـلاة والسلام .

فعن ابراهيم عليه السلام وحرصه على هداية والده الى عبـادة الله وانقاذه من الكفر وغواية الشيطان حتى لا يقع فى عذاب النار يقول الله سبحـانه وتعالى عنه « واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا . اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسـمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا . يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا . يا أبت لا تعبـد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا » سورة مريم ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .

ويقول سبحانه عنه وعن ولديه اسماعيل واسحق عليهم السلام فى سورة الصافات مشيرا الى نموذج عال فى طاعة الابن اسماعيل لوالده «وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين . رب هب لى من الصـالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظـر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هـذا لهـو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على ابراهيم

كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين» سورة الصافات ٩٩ الى ١١٣ .

وعن يوسف عليه السلام يقص الله عنه أحسن القصص فلقد تضمنت السورة التى سميت باسمه فى القرآن الكريم عدة حوادث ورغم قسوتها وعنفها كانت عاقبتها حميدة فقد رماه اخوته فى الجب لكن الله سبحانه نجاه منه وأخذته السيارة التى مرت بالجب فباعوه لعزيز مصر عبدا وبثمن بخس ، لكن الله جعله سيدا ــ وراودته سيدة القصر التى هو فى بيتها عن نفسه لكن الله عصمه منها ــ ثم أدخل السجن ذليلا لكنه خرج منه عزيزا مكرما حيث استخلصه الملك لنفسه وولاه أمور البلاد ــ قال تعالى : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين . اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم . لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين) سورة يوسف ٣ الى ٧

ثم تمضى السورة حتى قوله تعالى مشيرا الى مقولة عزيز مصر الى امرأته عن يوسف بعد شرائه له ثم عناية الله به وحفظه له (وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا . وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين. وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه

لا يفلح الظالمون. ولقد همت به ، وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) سورة يوسف الآيات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

وهكذا تمضى تلك السورة فى حوادثها حتى تصل الى نهايتها باعتراف يوسف بفضل المولى سبحانه وتعالى عليه ويشير الى ذلك قوله تعالى عنه (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) سورة يوسف ١٠١ .

وعن موسى عليه السلام يشير القرآن الكريم الى عناية الله به وحفظه من أعدائه حتى بلغ أشده فآتاه الله حكما وعلما قال تعالى (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون . وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين.وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لايعلمون. ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين) سورة القصص ٧ الى ١٤ .

وعن المسيح عيسى عليه السلام يذكر القرآن الكريم موقفه وهو طفل من بنى اسرائيل عندما طعنوا فيه وفى والدته بغير الحق فيقول الله عنه فى محكم آياته « فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال انى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى

مباركا أين ماكنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ٠ وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ٠ والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » سورة مريم ٢٩ الى ٣٣ ٠

وعن يحيى عليه السلام يقول الله عنه وعن البشارة لوالده زكريا عليه السلام بمولده اثر دعائه : « يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا » سورة مريم ٧

« يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا ٠ وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا ٠ وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ٠ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » سورة مريم ١٢ الى ١٥ ٠

وعن محمد صلى الله عليه وسلم :

يشير القرآن الكريم الى فضل الله عليه حين مات أبوه وتركه يتيما ولم يخلف له مالا ولا مأوى فآواه وضمه الى من يقوم بأمره حيث كفله جده عبد المطلب بن هاشم ثم من بعده عمه أبو طالب شقيق والده ٠

وكان قبل تكليفه بالرسالة غافلا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة التى لا تهتدى اليها العقول وحدها فهداه سبحانه وتعالى الى مناهج النبوة فى تضاعيف ما أوحى اليه سبحانه من الكتاب المبين وعلمه مالم يكن يعلم كما قال سبحانه « ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان » سورة الشورى ٥٢ ٠

وكان فقيرا فأغناه الله من فضله ورضاه بما أعطاه من الرزق ٠ قال تعالى :

« ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى » سورة الضحى ٦ ، ٧ ، ٨

ومع شيوع الشرك بين قومه فان قلبه الشريف كان مشغولا بالله خالق الاكوان فكان لا يعرف له ربا غيره ـ وقبيل مبعثه الشريف حببت الخلوة الى نفسه عن الخلق ومجتمع الشرك ويخلو بغار

حـراء يتعبد فيـه لربه الليـالى ذوات العـدد ويشـغل فـكره فيها بالتأمل فى كون الله ويتجـه نحو ربه جـل وعلا بالتقـديس والاجلال وما شاء الله من العبـادة على دين جده ابراهيم الخليل عليه السلام ــ واستمر على ذلك حتى جـاءه ملك الوحى جبريل عليـه السلام وبشره بأنه رسول الله الى العالمين وأقرأه أول الآيات نزولا من القرآن الكريم على سمعه وقلبه الشريف صلوات الله وسلامه عليه وهى :« اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكـرم الذى علم بالقـلم علم الانسان ما لم يعلم » سورة العلق ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ٠

وبعـــد

فهـذا هو منهج الاسـلام فى نظرته الى الطفل والطفولة : عطف وحنان وذوق مرهف وأدب مهذب منذ الولادة الى أن يبلغ الصـغير أشده وحتى يصل الى مصـاف الرجال ٠

فهـلا قامت الدول الاسلامية بتوجيه أجهزتها التربوية المتخصصة فى شئون التعليم والتربية والاعلام والثقافة الى مراعـاة تلك الآداب السامية التى لم يعـرف الـذوق ألطف منها كمالا ولا أكمل منهـا لطفا وجمالا حتى تشب تلك البراعم الغضة الطيبة شبابا نافعا لشعوبها صالحا لأمتها ومبعث فخر للاسلام وجماعة المسلمين ٠

المستشار محمد عزت الطهطاوى

الشـــورى فى الإســـلام

للدكتور عبد الحليم حفنى

أهمية الشورى ليست مقصورة على محيط الحـكم والسلطان ، فليس صاحب الحـكم أو السلطة هو وحده الذى يوجه اليه حديث الشـورى ، بل كل من له صـفة الولاية أو القيـادة سـواء أكانت سياسية أم عسكرية أم اجتماعية ، أم حتى فى محيـط الأسرة كالأب والزوج والأخ الأكبر ، وكل من يقتضى وضعه أن يكون فى موضع الحكم أو التوجيه ، فهو معنى فى نظر الاسلام بالشورى ، وحينمـا يتحدث التشريع الاسـلامى عـن الشورى ، فانه لا يقصر توجيههـا على مجال معين ، وانما يوجهها عامة لـكل من يمـلك شيئا من أحـد المجـالين : مجال السلطة ، ومجال التوجيه والاشراف ، وحينما يولى السياسة أو السلطة العامة اهتماما خاصا فى الحـديث عن الشورى ، فليس ذلك لذات السلطة ، وانما لخطورة ما يصدر عنها ، من حيث مساسه بحياة كل من ترعاهم هذه السلطة ، فكما طالب الاسلام ولى أمر المسلمين ، وهو صاحب السلطة العـامة فيهم بالشورى ، ووجـه الخطـاب فى ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعـالى : (وشاورهم فى الأمـر) بوصف النبى هو الذى يشغل هذه المنزلة فى حياته ، نقول ، كما طالب القرآن ولى أمـر المسلمين بالشـورى ، فكذلك جعل الشورى صفة من صفات المؤمنـين فى قـوله عن المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) بل زيادة فى ابراز أهمية الشورى فى حيـاة المسلمين ، تصبح اسما

لاحدى سور القــرآن الكريم ، وهى سورة الشورى •

ويترتب على كون الشورى من صفات المؤمنين ، ألا يستبد صاحب أمر منهم برأيه ، طالمــا كان هــذا الأمر مرتبطا بغــيره ، أو مشتركا مع غيره ، فالأب صــاحب الولاية والتوجيه فى الأسرة ، ولكن لمــا كانت شئون الأسرة لا تعنيه وحده ، ولا تعود آثار توجيههعليه وحده ، وانما على أفراد الأسرة جميعا ، لذلك كان عليه ألا يستبد برأيه فى توجيــه شئونها ، بل يجعــل ذلك شــورى بينــه وبين من يصلح للشورى ، من كل ذى رشــد فى الأسرة ، وكذلك رئيس العمل ، مهما صغرت رياسته ، وسواء أكان هذا العمل حكوميا أم عملا خاصا ، فانه وان كان هو صاحب السلطة فى ادارة هذا العمل ، الا أنه لما كانت شئون هذا العمل لا تعود عليــه وحده ، فانه ينبغى أن يجعل أمره شــورى بينه وبين كل من يصلح للتشاور ، فى أى صورة تنظم طريقة التشاور • وكذلك كل من يكون فى وضع الولاية على غيره ، سواء أكانت هذه الولاية نابعة من سلطة ورياسة ، أم من مجــرد التوجيــه والاشراف •

ومن هــذه الأهميــة الكبيرة للشورى فى اتصالها وتأثيرها فى كل تجمعات الناس فى الأسرة والعمل والسياسة ، من هذا كله نرى اهتمام القــرآن الكريم بابراز الشــورى وتوجيه الناس الى التزامها فى كل أمورهم •

وقــد سلك القــرآن الــكريم أساليب مختلفة كشأنه دائمــا فى توصيل المعنى الى الناس فى صور متنوعة ، وبأساليب متعددة ، لتجد كل نفس منها ما يلائمها ، ومن هذه الأساليب هذا المثــل الذى ضربه القــرآن فى الشــورى ، متضمنا أسلوب احدى الملكات مع قومهــا فى غابر الزمان ، وهى ملكة سبأ فى قصتها مع سليمان عليه السلام ، حين أرسل اليها كتابه مع الهدهد ، طالبا أن تأتى اليه مذعنــة خاضعة هى وسادة قومهــا ، وكان يمكنها

بوصفها ملكة غير منازعة فى سلطانها أن تصدر ما تشاء من قرارات ، ولكنها التزمت أسلوب الشورى فى أدق وأحكم أساليبها ، مما يبدو بوضوح أن القرآن ارتضاه مثالا لأسلوب التشاور فى الحكم ، ومن هذه القصة فى سورة النمل « قالت يأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم ، انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلو على وأتونى مسلمين ، قالت يأيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ، قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين ، قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون» ومضمون هذه المحاورة بين الملكة والملأ وهم أصحاب الرأى والقيادة ، أنها عرضت عليهم موضوع الكتاب ، وقد بدا من عرضها ومن وصفها للكتاب بأنه (كتاب كريم) أنها تقدره وتقدر عواقبه وآثاره ، ولكنها لم تتخذ حياله بعد قرارا ، وأنها تطلب رأيهم ومشورتهم ، وكان الموقف حينئذ يكاد ينحصر فى اتجاهين ، اما الاستجابة للكتاب بالاذعان والاستسلام ، واما رفضه بالتحدى والاستعداد للحرب ، وقد أعلن المستشارون رأيهم ضمنا ، وهو أنهم ما داموا يملكون القوة والبأس الشديد فلا مبرر للخضوع والاذعان وقبول الهوان ، ويترتب على ذلك اعلان الاستعداد للحرب ، ولكنهم صاغوا هذا الرأى فى أسلوب بالغ التهذيب ، معلنين أن الأمر كله بيد الملكة ، وهنا تتجلى حكمة الملكة وسداد رأيها ، فلا تسلك أيا من الخيارين المعروضين ، الاذعان الذليل ، أو المجازفة بحرب محفوفة بالمخاطر ، وانما تلجأ الى حل وسط ، هو كسب الوقت بأن تراسل سليمان ، وفى هذه المراسلة تتحقق لها عدة فرص ، منها أن تعرف حقيقة سليمان ، هل هو نبى حقا يتصرف باسم الله وأمره كما يقول فى كتابه ، أم هو مجرد ملك يريد الغزو والتوسع ؟ ومنها أن رسلها

الى سليمان لا بد أن يفيدوها بمعلومات وأخبار واستطلاع عن سليمان وجنوده ومملكته وأحوالها ، ومنها أنها تستطيع فى هذا المتسع من وقت المراسلة أن تزيد من تدعيم قوتها واستعدادها للحرب .

ومن البدهى أن القرآن لا يسوق القصص والأخبار لمجرد التسلية والترفيه ، وانما يهدف قبل كل شىء الى أن يكون فى كل ما يسوقه تعليم وعبرة للناس يستقونها من خلال هذه القصص والأخبار ، ومع أن مواضع التعليم والعبرة متعددة متنوعة خلال محاورة الملكة ومستشاريها ، الا أننا نستطيع أن نقتطف مما تحفل به هذه المحاورة ، ومما يوحى أن القرآن جعلها من نماذج الشورى المرتضاة مايأتى :

١ ـ الشورى :

فمن الجوانب التى تبعث على الرضا فى سياسة الملكة ، التزامها الشورى ، وجعلها ذلك سياسة ثابتة لها ، وليس لمجرد الانفعال بأمر خطير ، أو موقف معين . وشعار ذلك « ما كنت قاطعة أمرا حتى يشهدون » والقرآن لا يرى الشورى منّة من الحاكم أو تفضلا ، وانما هو واجب أساسى فى الحكم ، وجزء أصيل فى السياسة ، ولذلك يجعلها طلبا واضحا ، لا لبس فيه ولا تأويل « وشاورهم فى الأمر » ، كما يجعلها صفة من صفات المؤمنين ، ومعنى ذلك أن يختل جانب من ايمانهم بفقدانها « وأمرهم شورى بينهم » .

٢ ـ الأمانة فى عرض الأمور :

حيث يبدو واضحا أن موقف سليمان وكتابه كانا ضد المصلحة الشخصية الدنيوية للملكة ، فهو تهديد صريح وخطير لملكها وحياتها ان أبت ، ولملكها وعزتها ان خضعت ، وتحت هذا الانفعال الذى يهز كيانها ، ويتهدد حياتها كان يمكن أن تزيف كتاب سليمان أو شيئا منه ، أو تخفيه عن قومها ، أو أن تصوغه لهم بما يوافق رأيها الذى رأته ، مهما يكن هذا الرأى .

ولكنها أبت الا عرضه عليهم كاملا كما هو ، وهذا يمثل الأمانة التى يجب أن يلتزمها المسئول فى كل أمره ، بأن يجعل محكوميه على بينة كاملة من كل أمورهم ، فهذا أدعى الى أن يحيطوه بالثقة والعون مهما قست عليهم الأمور ، أما عدم الأمانة فى عرض الأمور ، فانه بالاضافة الى مجافاته للدين والخلق ، فانه فساد فى الحكم ، ولكنه فساد من طراز خطير ، فان زلة واحدة من زلاته ، قد تدمر مصلحة جماعة أو أمة ، حسبما يكون حجم المسئولية التى يتولاها هذا المسئول .

وكون الأمانة من صلب الدين أمر لا يحتاج الى توضيح ، ومن هنا تتبين سببا من أسباب رضا القرآن الكريم عن هذا الجانب من هذه القصة .

٣ ــ الحزم :

فقد كانت الملكة حازمة عازمة ، بأن صممت على التنفيذ بعد أن استبان طريق الحق لها ولقومها ، ولا نعنى بطريق الحق هنا طريق الدين ، وانما نعنى طريق الصواب فيما انتهى اليه حوار الملكة مع قومها ، من تأجيل التفكير فى الحرب ، ثم سلوك طريق آخر اتفقوا على أنه أفضل الطرق فى هذا الظرف ، فان الحوار لم يكن فى الدين ، وانما كان فى التماس وسيلة لمواجهة هذا الموقف .

والملكة سلكت فى حزمها ثلاث مراحل : أولاها دراسة الموضوع حتى يتكون لديها فهم وحكم تقتنع به ، ولذلك كان حديثها عن كتاب سليمان ، ووصفها اياه بالكرم ، ينبىء عن أنها فهمته ، وكونت فى نفسها فكرة واضحة عنه ، وثانية المراحل عرض القضية على قومها ، ومراجعتهم ومحاورتهم لعلها أن تعثر فيهم على رأى أصوب من رأيها ، أو أن تقنعهم برأيها الذى تكون لديها ان لم تجد عندهم خيرا من رأيها ، ولكنها لم تجد خيرا من رأيها ، وثالثة المراحل أنها حين انتهى التشاور الى الرأى الذى اتفقوا عليه كانت حازمة فى التنفيذ دون تردد أو تراخ (وانى مرسلة اليهم ..)

والحزم أيضا مما رسمه القرآن بوصفه ــ أعنى الحــزم ــ تشريعا سياسيا ملزما وواجبا ، حيث يقول تبارك وتعالى (وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ...) فالمشورة واجبة حتى يتضح وجه الصواب للقائد والمقودين معــا ، فاذا اتضح فالمسئولية حينئذ ينفرد بها القائد ، حيث يجب أن يمضى وهم معه ، وقد حققت الملكة هذا فى سياستها ، حيث تقول (ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) فهى التى تقطــع الأمر ، ولكن بعــد المشورة .

٤ ــ قيــادة الاقناع :

ومن مكملات الشورى الاقناع، ومن الواضح أن مستشارى الملكة بعد أن قدموا اليها تقــريرهم عن قوتهم واســتعدادهم للحــرب ، فوضوا اليها الرأى فيما تتخذ من قرار ، وكان يمكن للملكة حينئذ أن تستند الى أنها حققت الشورى، وأنهــا تتخــذ أى قرار بنــاء على ما انتهت اليه المشاورة من تفويضها فيما تراه ، ولكنها أصرت على أن تبسط لهم أولا حيثيات القرار ، بأسلوب المنطق والحجة ، واستلهام الحكمة وتجــارب التــاريخ (ان الملوك اذا دخلوا قــرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلهــا أذلة وكذلك يفعلون) فمن عادة الغزاة الفاتحين بصــفة ملتزمــة أن يلجــأوا الى التخريب والاذلال بكل ما يتاح لهم من وسائل ، وبعد أن تتهيأ نفوسهم للقرار عن طريق الاقتنــاع ، يأتى دور التنفيذ الحازم (وانى مرسلة اليهم ...)

وليس فى حاجــة الى بيــان أن القرآن دائمــا يدعو الى العقــل والتفكير والفقه ، كل ذلك ليكون انقياد المؤمن فى كل جوانب حياته الدينية والدنيوية عن اقتناع ويقين ، لا عن مجرد تبعية عشواء ، حتى ان كثيرا من العلماء يجزمون بأن ايمان المقلد باطل ، وأن الايمان لا يكون صحيحا ولا مقبولا الا اذا كان نابعا من فهم واقتناع .

ومن هنا أيضــا نعلم أن هــذا الجانب من القصــة ليس جــديدا ولا مبتورا ، وانما هو مثال متفق مع أسس الاسلام ومبادئه .

٥ ـ طاعة المحكومين :

حيث كان أتباع هذه الملكة يمثلون خير ما ينبغي أن يكون عليه الأتباع ، وذلك أنهم جمعوا فى موقفهم هذا بين ثلاث خصال : أولاها الاخلاص ، ممثلا فى استعدادهم للتضحية ، وشعاره (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد) وثانيتها الطاعة ، وشعارها (والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين) فهم لا ينازعونها سلطانها ، وهم مستعدون لتنفيذ أمرها ، وثالثتها نصح الحاكم وتوجيهه نحو السداد ، وشعار ذلك (فانظرى) بمعنى فكرى وتدبرى ، فهم مع الاخلاص والطاعة لا يغمضون أعينهم ، ولا ينقادون عن جهل وعمى ، وانما يطلبون منها أن تكون قيادتها اياهم عن بصيرة وتعقل وتدبر .

وكل ذلك مما يجعله الاسلام تشريعا وتوجيها عاما ، فأما الطاعة لولى الأمر فهى صريحة فى أوامر القرآن الكريم دون شرط ، الا شرطا واحدا ، هو أن يلتزم ولى الأمر شريعة الله ورسوله فى حكمه وسياسته (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ...) ، فاذا اختلف أى مسئول مع الشريعة ، فالطاعة والمرد الى الشريعة . وكذلك الاخلاص لولى الأمر ولغيره ، هو من صلب الدين ، ويعبر عنه بالنصيحة التى يعفى عن كثير ، ولا يعفى عن شيء منها ، كقوله تعالى (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ..) وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : (الدين النصيحة ، قيل : لمن ؟ قال : لله ولرسوله وللمسلمين) وكذلك النصح لولى الأمر وتوجيهه نحو الصواب والسداد فى طريق الله وشريعته ، كلّ ذلك فى القرآن شديد الوضوح ، وليس فى حاجة الى كبير تبيان .

٦ ـ أهمية الغاية :

ومما يوحى برضا القرآن الكريم عن هذا الموقف بما تضمنه من سياسة هذه الملكة وأسلوبها فى الشورى والحكم ، أن هذا الموقف كان وسيلة أو بداية للطريق الى الايمان بالله ، ثم كانت الخطوات التالية كلها اتجاها الى الله ، حتى انتهت بقرار الملكة (قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) . فالخطوات كانت وسيلة الى غاية محددة ، هى الايمان ، والوسيلة والغاية لا ينفصلان ، من حيث انهما يكونان موقفا واحدا .

ومن أسس الاسلام التكامل فى تشريعه ، بمعنى أن كل جوانب التشريع وفروعه يرتبط بعضها ببعض ، وتنبع جميعا من أسس محددة ، فليس فى الاسلام تشريع مبتور يشذ عن قواعد الاسلام وأسسه العامة ، والأساس الأول فى كل تشريع يتعلق بالسلوك فى أى وجه من وجوهه ، أن يكون هادفا الى الخير ، ومقصودا به وجه الله ، ووجه الله هو الخير فى أى صورة من صور الخير .

ومن هذا نستطيع أن تتصور جوانب من أهمية الشورى ، ومدى حرص القرآن الكريم على أن يجعلها أساسا واضحا لكل ما يتعلق بسياسة المجتمعات وقيادتها وتوجيهها ، ولا يعنى بذلك مجتمعا معينا ، وانما يستهدف كل أنواع المجتمعات ، من أصغر مجتمع وهو مجتمع الأسرة ، الى أكبر مجتمع وهو مجتمع الأمة .

وقد يتساءل متسائل : فاذا كان صاحب الرأى مطمئنا الى سداد رأيه ، وصواب فكره ، فهل عليه أيضا أن يلجأ الى المشورة ؟

والجواب أن الأساس الذى تبنى عليه أهمية الشورى ليس عجز صاحب الرأى ، أو قصور تفكيره ، أو احساسه بعدم المقدرة على تكوين الرأى السديد ، بل على العكس ، يفترض فى الشخص الذى يلجأ الى مشورة غيره أنه سليم الفكر ، وصاحب رأى ، بل يفترض فيه فوق ذلك أنه انسان يتصف

بشيء من الحكمة ، التى تمثل قمة النضج والاكتمال فى الشخصية ، ومصدر وصفه بشيء من الحكمة ، أنه لو لم يكن لديه هذا القدر من الحكمة ما لجأ الى مشورة غيره ، فان العقلاء والحكماء هم الذين لا ينطوون على تفكيرهم وآرائهم ، بل يجعلون شعارهم دائما التماس المزيد من المعرفة ، والمزيد من الصواب ، والمزيد من كل ما فيه تدعيم واثراء لما يحملونه من علم أو معرفة أو آراء ، أما الجاهلون والحمقى ، فهم أشد الناس اعتزازا بما لديهم مهما كان صغيرا أو غير ذى شأن ، ومن المعروف أن المرء كلما توغل فى العلم ازداد استصغارا لما لديه من العلم ، وكلما قل نصيبه من العلم أو العقل ازداد اعتزازا بهذا النصيب واكبارا له ، ولذلك جعل الله تبارك وتعالى شعار العلماء والباحثين عن العلم ، فى صورة خطاب يوجهه الى نبيه صلى الله عليه وسلم « وقل رب زدنى علما » .

واذن فليس أساس المشورة الاحساس بالعجز أو القصور فى سداد الرأى ، وانما أساسها أنها مظهر لنضج شخصية المستشير ، واحساسه بأن له كيانا يريد أن يدعمه ، ويخشى أن يزل ، أو يقصر عما يليق به وبمثله ، فهو يبحث عن أفضل الوسائل التى تمكنه من المحافظة على كيانه ، بالاضافة الى رغبته فى تحقيق أقصى الخير . واذا أردنا شيئا من تفصيل لحقيقة الشورى أو ما تتمخض عنه من ثمرات فيمكن ايجاز ذلك فيما يأتى :

١ ــ الأصل فى اللجوء الى المشورة أن العاقل لا ينبغى أن يجعل للغرور مكانا فى نفسه ، فحينما يريد الاقدام على أمر ، لا ينبغى أن يفترض فى نفسه أنه صاحب الرأى المصيب ، أو الأصوب بل ان الحكمة تفرض عليه أن يضع نصب عينيه أحد احتمالين ، أحدهما جواز أن يخطىء فيما سيقدم عليه من أمر ، وحينئذ يجب أن يبحث عن الصواب ، لأن

النتيجة سواء أكانت خطأ أم صوابا ستعود عليه هو ، والاحتمال الآخر ، أنه حتى لو كان مصيبا فيما سيقدم عليه ، فيجوز أن يكون هناك من هو أصوب منه رأيا ، وأقرب منه الى السداد ، وحينئذ أيضا يجب أن يلتمس هذا الأصوب ، لأنه هو المستفيد بالنتيجة ، حيث ان الموقف كله انما يعنيه هو وهو صاحب المصلحة ، أما المستشار فهو مجرد انسان متفضل على المستشير بابداء الرأى واسداء النصيحة فى أمر يفترض أنه لا مصلحة له فيه .

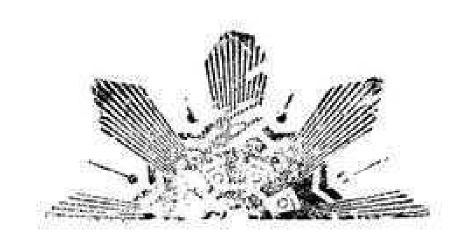
٢ ــ من المزايا التى تحققها المشورة للمستشير أن تبعث فى نفسه الثقة بسلامة موقفه ، فالمفروض أنه اقتنع بهذا الرأى الذى انتهت اليه المشورة ، واطمأن الى أنه ليس وحده الذى رأى أو اقتنع بهذا الاتجاه ، وانما يؤيده الذين يثق فيهم ، ويطمئن الى حسن رأيهم ، وسداد مشورتهم وهذا من شأنه بالاضافة الى ما يحققه من الراحة النفسية ، أن يجعل صاحب الموقف يتصرف باطمئنان وثقة وقوة ، وهذا مما يساعد على نجاحه فيما سيؤديه من موضوع الشورى ، فالفرق كبير بين من يتصرف بثقة واطمئنان، وبين المزعزع أو المتردد المضطرب ، من حيث ان الثقة تساعد على النجاح ، وعلى الجودة والاتقان فى أداء العمل ، بينما التردد يدفع غالبا اما الى الفشل ، واما الى عدم اجادة العمل .

٣ ــ ومن المزايا التى تحققها الشورى اشاعة روح الألفة والتعاون بين المستشير والمستشار ، فأما الألفة فلأن المستشير يشعر بأن المستشار حريص على أن يحقق له أقصى الخير ، وأكبر النفع ، والمستشار يشعر حينئذ بأن الذى جاء يطلب منه الرأى والمشورة انما يكرمه ويثق فيه ، ولولا هذا ما جاء يطلب مشورته ، فكلاهما اذن سيحمل للآخر روح الود والألفة ، وأما أن المشورة تحقق التعاون عادة بين طرفى المشورة ، فلأن المستشير مهتم بتحقيق

موضوع الاستشارة بطبعه لأنه موضوعه هو وكذلك المستشار سيهتم بتحقيق هذا الموضوع ، لأنه بعد أن استشير ورأى هذا الرأى ، يهمه أن يتحقق رأيه ، ويهمه أن تطمئن نفسه الى نجاح هذا الأمر ، ولو ليزداد اطمئنانا الى سداد رأيه ، ولو وجد فرصة لمعاونة المستشير فانه فى أغلب الأحيان لن يدخرها ، واذن فستلتقى رغبة طرفى المشورة فى تحقيق هذا الأمر الذى كان موضوع الاستشارة ، ولو تصورنا مجتمعا سادت فيه روح المشورة كما يهدف القرآن الكريم ، فبالتالى ستشيع فى هذا المجتمع روح التعاون .

وأى شىء فى أى مجتمع أجمل وأسمى من اشاعة روح الألفة ، وروح التعاون ، ويكفى الشورى فضلا أن تحقق هذا فى المجتمع .

دكتور عبد الحليم حفنى



أمل فى التصوف مع مطلع القرن الخامس عشر الهجرى

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

فى هـذه الذكرى العطرة التى ينبعث أريجها فى كل مكان فيبعث فى نفس كل مسلم نشوة ، ويرسل الى قلب كل مؤمن عبرة ، ويهدى الى الانسانية بأسرها قصة البطولة والتضحية والكفاح من أجل المبدأ الكريم والمثـل الأعلى والقيمـة الشماء .

فى هذه الذكرى العطرة تتوارد الخواطر على القلوب . فهل مضى على المسلمين حقا أربعة عشر قرنا مـن الزمـان ؟ وهـل هم الآن يستقبلون قرنا جديدا من حياتهم ؟ وهل يستشعرون فى هذا الاستقبال عظمة ماضيهم وقصور حاضرهم ؟ وهل يتطلعون الى مستقبل مشرق يعيد اليهم روحهم التى فقـدوها بتفرق كلمتهم وطغيان المادة عليهم وظهور نزعة الاتكالية والأنانيـة والركون الى الترف والميـل الى التخاذل والاستسلام ؟ هل يتمثلون هذه الذكرى حقا فيرون صاحبها ــ صلى الله عليـه وسلم ــ كيف أنشأ بروحـه العظيمة أمة تبوأت مكانها المرموق وسارت شرقا وغربا ورفعت لواء الاسلام خفاقا عاليا فى كل مكان ؟

وهل تمثلوا صحابته الغر الميامين الذين رباهم الرسول صلى الله عليه وسلم على عينه وسكب فيهم من روحه فأصبح كل فرد منهم أمـة وحده يستطيع أن ينشىء أجيـالا ويصنع رجالا ويؤسس أمصـارا ويعمر أقطارا ؟

وهل يتذكرون ماذا يجب عليهم الآن نحو هذا الدين الذى هجروه والصرح الذى هـدموه والتراث

الذى ضيعوه ؟ هل يستروحون نسيم يثرب التى استقبلت النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا تردد نشيدها فى حب وأمل وفداء :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

هل يتذكرون الأنصار الذين كان يود كل منهم لو يفتدى النبى صلى الله عليه وسلم بروحه ، ويتطلع الى نظرة رضا من صاحب هذه الرسالة السمحة التى وصلت الأرض بالسماء ، وجاءت لترتفع بالانسان من وهدة الشرك والضياع الى فضاء الانسان الواسع وأفق الملأ الأعلى حيث يسبح المخلصون فى عالم نورى فسيح تصافحهم الملائكة وتبارك خطواتهم وتدعو لهم بدعاء القرآن « ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم • ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم • وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم » •

هل تذكروا هؤلاء الذين آثروا النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه على أنفسهم حتى نزل فيهم قول الحق جل وعلا « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ؟

هل تذكروا المهاجرين الذين باعوا نفوسهم لله واستهانوا بكل رخيص وغال فى سبيل نصرة هذا الدين الذى آمنوا به طواعية وحبا ، فأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيل الله وقاتلوا وقتلوا ، وتعرضوا لما لا يمكن أن يتحمله بشر من الشر والبغى والطغيان حتى مجدهم القرآن بقوله : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا

من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » ؟

هل تذكروا عليا وفدائيته والصديق وأريحيته والفاروق وعظمته وذا النورين وحياءه وتضحيته ؟

وهل تذكروا الأبطال الفاتحين من أمثال خالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام وشرحبيل بن حسنة وعكرمة بن أبى جهل وأبى عبيدة بن الجراح والمثنى ابن حارثة الشيبانى وآلاف غيرهم دانوا بعظمة هذا الدين وامتلأت قلوبهم حبا له وايمانا به واستمساكا بحبله واعترافا بفضله ، فكانوا جنودا أوفياء له وأبطالا يجاهدون رفعا لشأنه وتمجيدا لذكره .

هل تذكروا من ساروا على نهجهم من التابعين وتابعى التابعين الذين لم يفقدوا المثل ولم يهدموا القيم ، بل كانوا صورة صادقة لسابقيهم ونسخة أخرى من هذا المنهج السليم الذى لم يدخله زيف ولم يتناوله تحريف ، ولقد ذكرهم القرآن وأشاد بهم مثنيا عليهم بقوله « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم » ؟

هل عرفوا من هؤلاء موسى ابن نصير وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبى وغيرهم من الأبطال الفاتحين ؟

وهل عرفوا من هؤلاء أئمة المسلمين من أمثال سفيان الثورى وسعيد بن المسيب وأبى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل والليث بن سعد وسعيد بن جبير ، وكثير غيرهم حفظوا لهذا الدين هيبته وعرفوا له مكانته وقيمته فصانوه بقلوبهم وأذاعوه بعلومهم وأدوا أمانته بهمتهم وعزمهم ؟

هل نظر المسلمون الآن الى واقعهم الأليم واستلهموا الشعر ليرسم لهم صورتهم الكليلة ويجسمها أمامهم بقوله :

انى تذكرت والذكرى مؤرقة
مجدا تليدا بايدينا اضعناه
انى اتجهت الى الاسلام فى بلد
تجده كالطير مقصوصا جناحاه
ويح العروبة كان الكون مسرحها
فاصبحت تتوارى فى زواياه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها
وبات يملكنا شعب ملكناه
سل المعالى عنا اننا عرب
شعارنا المجد يهوانا ونهواه
هى العروبة لفظ ان نطقت به
فالشرق والضاد والاسلام معناه
استرشد الغرب بالماضى فارشده
ونحن كان لنا ماض نسيناه

أجل كان لنا ماض نسيناه ، وبأيدينا أضعناه ..

« فما أصاب المسلمين لم يكن بأيدى أعدائهم بقدر ما كان بأيديهم أنفسهم ، لقد تخلينا عن بنياننا طائعين لأعدائنا فثلموا جدرانه وحطموا أبوابه ونهبوا أثاثه ، ثم عدنا نرمى أعداءنا بالويل والثبور وعظائم الأمور ، ولقد جاءت الحكمة على ألسنة أجدادنا تقول : ان بيت المهمل يتعرض للخراب قبل الظالم . وهى حكمة مردها الى التجربة العملية والاحساس الصادق » .

فهل يتذكر المسلمون الآن أنهم فرطوا فى المحافظة على هذا الدين الذى استودعهم الله اياه فكانت النتيجة ما قاله شوقى :

من عادة الاسلام يرفع عاملا
ويسود المقدام والفعالا
ظلمته السنة تؤاخذه بكم
وظلمتموه مفرطين كسالى

وهذا ما نراه . تشتت بعد اجتماع وخذلان بعد قوة وذل بعد عز ومنعة ، وأصبح الاسلام يشكو الغربة فى دياره بعد ضياع أنصاره .

هل يتذكر المسلمون ذلك كله وهم فى مطلع عام جديد فى قرن جديد يهيب بهم أن يعيدوا النظر فى سجلاتهم ويحاسبوا أنفسهم على هذا المسخ الذى وصلوا اليه والتشويه الذى أصابهم فحولهم من القمة الى الحضيض وأخرجهم من النقيض الى النقيض ووصل بهم الى حالة يرثى لها الصديق ويشمت بها العدو ويباركها الشيطان .

نظرة الى التصوف :

ولم يبق الا التصوف الذى يلوذ به المؤمن على أنه دماء الروح وبقية الحياة فى جسم المريض ، لعله يحث الناس على الاستمساك بالجوهر والبعد عن المظهرية

الجوفاء والمادية البغيضة ، ولكنه لم يسلم كذلك من عدوى الضعف وأصابه ما أصاب غيره من العلل والأدواء .

لقد غلبت عليه فى كثير من الأحيان المظهرية وبعد كثير من أربابه عن التخلق بجوهره الحقيقى الذى ورثوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الزهد والورع ورسول البر والرحمة والعطف وقائد التواضع والتقوى والخضوع والخشوع وحامل لواء المراقبة والمحاسبة ، وأعرف الخلق بالله وأقربهم الى الله وأحبهم لله وأخوفهم من الله .

فلعل أهل التصرف يتذكرون هذه المعانى فى مطلع هذا القرن ليكونوا قدوة لغيرهم ، فيبتعدوا عن هذه المظهرية التى تؤخر ولا تقدم وتضر ولا تنفع ، ويتخذون منهج رسولهم الكريم الذى تخلق به أئمة التصوف القدامى تمام التخلق منهجا لهم ، هؤلاء الأئمة من أمثال الفضيل ابن عياض الذى يقول : « من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة » ويقول : « فى آخر الزمان أقوام يكونون اخوان العلانية أعداء السريرة » ويقول : « لا ينبغى لحامل القرآن أن يكون له الى مخلوق حاجة لا الى الخلفاء فمن دونهم ، ينبغى أن تكون حوائج الخلق كلهم اليه » ومن أقواله « من أظهر لأخيه الود والصفاء بلسانه وأضمر له العداوة والبغضاء لعنه الله فأصمه وأعمى بصيرته » .

ومن أمثال ذى النون المصرى الذى يقول : « اياك أن تكون بالمعرفة مدعيا أو تكون بالزهد محترفا أو تكون بالعبارة متعلقا » ويقول جوابا لسائل سأله عن المحبة « أن تحب ما أحبه الله وتبغض ما أبغضه الله وتفعل الخير كله وترفض كل ما يشغل عن الله وألا تخاف فى الله لومة لائم ، مع العطف للمؤمنين والغلظة للكافرين واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدين » .

وابراهيم بن أدهم الذى قال لرجل طلب وصيته « اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا » .

وبشر الحافى الذى يقول : « لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك ، وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك ؟ » .

« لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد » .

وسرى السقطى الذى يقول : « أربع خصال ترفع العبد : العلم والأدب والأمانة والعفة .. قليل فى سنة خير من كثير مع بدعه . كيف يقل عمل مع التقوى ؟ »

والحارث المحاسبى الذى يقول : « اذا أنت لم تسمع نداء الله فكيف تجيب داعى الله ؟ من استغنى بشىء دون الله جهل قدر الله » .

وأبى يزيد البسطامى الذى يقول : « علامة العارف ألا يفتر عن ذكر الله ولا يمل من حقه ولا يستأنس بغيره »

وأبى سليمان الدارانى الذى يقول : « لكل شىء مهر ومهر الجنة ترك الدنيا بما فيها ، لكل شىء حلية وحلية الصدق الخشوع .. من أراد واعظا بينا فلينظر الى اختلاف الليل والنهار »

وكثير غيرهم كانوا أرباب حقائق التوحيد وأصحاب الفراسات الصادقة والآداب الجميلة ، وهم ومن سار على نهجهم متبعون لسنن الرسل ، وستظل طائفة منهم على ذلك الى أن تقوم الساعة ، مصداقا لما رواه السلمى « لا يزال فى أمتى أربعون على خلق ابراهيم الخليل عليه السلام اذا جاء الأمر قبضوا » ولما رواه أيضا فى طبقاته التى رويت منها الأخبار المتقدمة « مثل أمتى كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره » .

وهذا خبر مطمئن يبعث التفاؤل فى النفوس ويبشر بأمل فى أن يستيقظ المسلمون بعامة والصوفية بخاصة فينهجوا نهج الرسول الكريم متخذين من حدث الهجرة زادا يحفزهم الى النضال فى سبيل

رفعة هـذا الدين القـويم الذى اختاره الله دينا لعباده ولن يقبـل من أحدهم سواه « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

ان الهجرة كلها دروس نافعـة وفيها للصوفية لفتة كريمة تحمل على هجر ما سوى الله مما يعوق الفرد فى سيره الى الله والتعـرف عليه عن طريق مجـاهدته نفسه وشـهواته والتفـكر فى خـلق السـموات والأرض والتخـلق بالأخلاق الكريمة التى بعث النبى صلى الله عليه وسلم ليتممها ومدحه الله جل وعز بها قائلا له : « وانك لعلى خلق عظيم » .

فهل يتذكر المسلمون ــ وهم على أبواب فصل جديد فى سفر حياتهم الحافل بالعبر والعظـات ــ انهم مطالبون اليوم بأن يعيدوا للاسلام مجـده ، ويرجعـوا له منعته وهيبته ؟

وهل يتذكر الصوفية أن عليهم عبئا مضـاعفا بما يملـكون من طاقات روحية وبما فى أيديهم من قدرة على التحكم فى توجيهـات الأفراد والشعوب ؟ ليتنا جميعـا تتدبر قـول الشاعر اليمنى العزى المصرعى فى ديـوانه « ألحـان الشاطىء » .

مالم تثب كضـياغم الآجام
لابادة الالحـاد والاجـرام

فالويل للاسلام من متربص
بمبادىء الاغـواء والآثام

هذى مبادئهم فهل من ثورة
لله والقـرآن والاسـلام ؟

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

أبو عمرو بن العلاء

ومنهجه في القراءات واللغة

للدكتور صلاح الدين صالح

اسمه وكنيته :

اختلف فى اسمه وكنيته ، فهناك من يرى أن اسمه وكنيته واحد ، وهما : أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان (١) بن عبد الله ابن الحصين والتميمى المازنى (٢) واستدل أصحاب هذا الرأى على ذلك بما نسب الى الأصمعى بأنه قال : قلت لأبى عمرو : ماسمك ؟ فقال لى : أبو عمرو .

وهناك من يرى أن اسمه : زبان (٣) ، ويستدل أصحاب هذا الرأى على ذلك بالبيت الذى أنشده عندما جاء الفرزدق يعتذر اليه من أجل هجو بلغه عنه ، وهو :

هجوت زبان ثم جئت معتذرا
من هجو زبان لم تهجو ولم تدع(٤)

وقيل ان اسمه : العريان ، وقيل : يحى ، وقيل : محبوب ، وقيل : عيينه ، وقيل : عثمان ، وقيل : عياد .

ولادته ، وفاته :

ولد أبو عمرو سنة ثمان وستين وقيل سنة سبعين (٥) فى مكة وعاش فى البصرة ، حيث كان فيها مشاهير العلماء على عهد الفرزدق وكان وثيق الصلة بالحسن البصرى .

ورحل أبو عمرو الى دمشق وافدا على واليها عبد الوهاب

---

(١) أبو الطيب / مراتب النحويين ٣٣ .
(٢) الزبيدى ، طبقات النحويين واللغويين ٣٥ .
(٣) مراتب النحويين ٣٣ .
(٤) ابن الأنبارى ، نزهة الألباء ٢٤ .
(٥) معرفة القراء الكبار ٨٣ .

ابن ابراهيم الامام ، فتوفى فى طريق عودته من هذه الرحلة سنة أربع وخمسين وقيل سنة تسع وخمسين وقيل انه مات فى الكوفة (١) .

شخصيته :

كان أبو عمرو زاهدا متنسكا ، يروى عنه الأصمعى أنه قال :

وان امرأ دنياه أكبر همه
لمستمسك منها بحبل غرور (٢).

وكان كريما يتصدق على المحتاجين ، وفى هذا يقول الأصمعى : كان لأبى عمرو بن العلاء من غلته كل يوم : فلسان ، فلس يشترى به كوزا ، وفلس يشترى به ريحانا ، فيشم الريحان يومه ، ويشرب فى الكوز يومه ، فاذا أمسى تصدق بالكوز ، وأمر الجارية أن تجفف الريحان وتدقه فى الأشنان (٣) وكان متواضعا بسيطا ، يقول الأصمعى : كنت اذا سمعت أبا عمرو بن العلاء يتكلم ظننت أنه لا يحسن شيئا ولا يلحن ، ويتكلم كلاما سهلا .

وفى أخريات أيامه تفرغ للعبادة ، وأحرق كل ما كتب ، وكانت دفاتره ملء بيته الى السقف . (٤)

عقيدته :

كان من أهل السنة ، وكان بينه وبين المعتزلة جولات وجولات ، من ذلك ، ما كان بينه وبين عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة آنذاك . (٥)

مكانته العلمية :

اهتم أبو عمرو بن العلاء بقراءة القرآن الكريم ، وبجمع اللغة وأشعار العرب القدماء وبدأ فى تحصيل العلم وهو صغير ، قبل أن يختن ، وقد تفوق فى العلم تفوقا ملحوظا لدرجة أنه فاق

---

(١) نزهة الألباء : ٢٩ ، معرفةالقراء الكبار ٢٨٤ ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ٢ : ١٢٩ .
(٢) الزبيدى ، طبقات النحويين / ٣٣ .
(٣) طبقات الزبيدى / ٣٦ — ٣٧ .
(٤) د. أحمد مكى الانصارى ، يونس البصرى : ٦٥ .
(٥) طبقات الزبيدى ٣٤ .

معاصريه ، يقول الأصمعي : وسمعت أبا عمرو يقول ، ولم يقله ان شاء الله بغيا ولا تطاولا ، ما رأيت أحدا قط أعلم منى ، وقال أبو عمرو أيضا : ما سمع حماد الراوية حرفا قط الا سمعته (١) . وقال يونس عنه : لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد لكان ينبغي لقول أبي عمرو أن يؤخذ كله ، ولكن ليس من أحد الا وأنت آخذ من قوله وتارك . (٢) ولهذا يعتبره معاصروه ثقة ، قال يحيى : أبو عمرو بن العلاء ثقة (٣) وقال الأصمعي : لم أر بعد أبي عمرو بن العلاء أعلم منه (٤) وروى عنه أنه قال : كنت رأسا والحسن حيٌّ ، يريد الحسن البصري شيخ البصرة وأمام العصر آنذاك ، وقد أعجب الحسن البصري بأبي عمرو أيما اعجاب حينما مر على حلقته بالمسجد ورأى الناس عكوفا من حوله يستمعون اليه في شغف ولهف ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو عمرو بن العلاء ... فقال : لا اله الا الله ،

كادت العلماء أن تكون أربابا ، كل عز لم يؤيد بعلم فالى ذل يؤول ، وفيه يقول أبو عبيدة معمر ابن المثنى : أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر (٥) ، ويقول أبو الطيب اللغوى انه كان سيد الناس وأعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب (٦) غير أنه يبدو أنه كان متفوقا على معاصريه في اللغة فقط ، قال الخليل : فكان عبد الله يقدم على أبي عمرو في النحو وأبو عمرو يقدم عليه في اللغة . (٧)

---

(١) طبقات الزبيدى ٣٧ .
(٢) طبقات الزبيدى ٣٥ ، ونزهة الالباء ٢٥ .
(٣) طبقات الزبيدى ٣٧ .
(٤) د. احمد مكى الانصارى ، يونس البصرى ٦٥ .
(٥) السابق ٦٥ ، وعبد العال سيد مكرم ، اثر القرآن الكريم فى الدراسات النحوية ٦٣ .
(٦) مراتب النحويين ٣٤ .
(٧) مراتب النحويين ٣٣ .

دراســــته :

بدأ يدرس وهــو صبى ، وفى هــذا يقــول الأصمعى : قال أبو عمرو : أخذت فى طلب العلم قبل ان أختن (١) وقــد درس القرآن الكريم وقراءاته وتفسيره ، واهتم بجمع ألفــاظ العربية ونوادرهــا وبشعر الشعــراء الجاهلين واهتم بدراسة النحو .

منهجه فى القراءات القرآنية :

كان أبو عمرو يقــرأ القرآن بمــا روى ، ولم يكتف بذلك بل كان يصحح القراءة بما سمع وبما قال العــرب ، قال أبو عبيــدة : سمعت أبا عمرو بن العــلاء يقــرأ قوله تعالى : « لتخذت عليه أجرا » (الكهف : ٧٧) فسألته عنه : فقال هى لغة فصيحه ، وأنشد قول الممزق العبدى :

وقد تخـذت رجلى الى جنب غرزها
نسيفا كافحوص القطــا المطــرق

يقال : اتخذ مسجدا اتخاذا وتخذ يتخذ تخاذا بمعنى(١)

وقد أخذ أبو عمرو القراءة عن أهل الحجاز ، وأهل البصرة ، وتعلم فى مكة على مجــاهد وسعيد بن جبير ، وعطاء وعكرمة بن خالد ، وابن كثير . (٣)

وكان أبو عمرو يحاول أن يقرأ القرآن باللغة التى قــرأه بهــا النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال اليزيدى : كان أبو عمرو قد عرف القــراءات فقــرأ من كل قــراءة بأحسنها ، وبما يختــار العــرب ، ومما بلغه من لغة النبى صــلى الله عليه وسلم وكان ثقة فى القراءة ، قال شجاع بن أبى نصر ، رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام، فعرضت عليه أشياء من قراءة أبى عمرو فمــا رد على الا حــرفين أحدهما ، وأرنا مناسكنا ، والآخر قــوله : « مــا ننســخ مــن آية أو ننساها » (٤)

وقال سفيان بن عيينه : رأيت رسول الله صلى الله عليــه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قد اختلفت على القراءات ، فبقراءة من تأمرنى

---

(١) طبقت الزبيدى ٣٧ .
(٢) الاشباه والنظائر : ٤١/٣ .
(٣) طبقات القراء الكبار ٨٣ .
(٤) معرفة القراء الكبار ٨٤ .

أقرأ ، فقال : اقرأ بقراءة أبى عمرو ابن العلاء . وقال وهب بن جرير ، قال لى شعبة : تمسك بقراءة أبى عمرو ، فانها ستصير للناس اسنادا . (١)

وأبو عمرو أحد القراء السبعة المشهورين ، وكان يقرىء الناس القرآن فى مسجد البصرة ، والحسن على أبى الحسن حاضر (٢) ، وقد ألف كتاب القراءات فى القرآن الكريم (٣) وكتاب مرسوم المصحف واختصره أبو عمرو الدانى ، وكتاب شرح ديوان خرنق أخت طرفه (٤) وكتاب : مفرده قراءة أبى عمر (٥)

واهتم أبو عمرو بتفسير القرآن الكريم ، فقد روى أنه سئل عن قوله تعالى : « فعززنا بثالث » « يس : ١٤ » فقال : المعنى : شددنا وأنشد للمتلمس :

أجد اذا ضمرت تعزز لحمها
واذا تشد بنسعها لا تنبس

وقال أبو عمرو فى قوله تعالى : فرهن مضبوطة ، الرهن بتشديد الراء وضمها والرهان بتشديد الراء وكسرها عربيتان ، والرهن فى الرهن أكثر والرهان فى الخيل أكثر . (٦)

خصائص القراءة عنده :

الخصائص الصوتية : يمتاز أبو عمرو بالخصائص الصوتية الآتية :

١ ـ التوافق الحركى :
Vowel Harmony

يميل أبو عمرو بن العلاء الى توافق الحركات المتتابعة ، وهذا من خصائص لهجة تميم وقيس وأسد وأهل نجران ، وعلى العكس من ذلك لغة أهل الحجاز (٧) ، من

---

(١) معرفة القراء الكبار ٨٤ ، ومراتب النحويين ٣٥ .
(٢) المحتسب ١ : ٣ ، تاريخ الادب العربى لبروكلمان ٢ : ١٢٩ .
(٣) طبقات الزبيدى ٣٧ ، ورواية اللغة ١٨ .
(٤) الفهرست ٥٣ .
(٥) علم الدين الجندى ، اللهجات فى التراث ١٨٩ .
(٦) الرواية ٦٥ .
(٧) اوضحنا من قبل ان أبا عمرو بن العلاء تميمى . وهذه الخاصية تتناسب مع كونه من تميم .

ذلك ما أخلفنا موعدك بملكنا براءة من الله . (١)

٢ - **الامالة :**

تميز أبو عمرو بامالة كل فتحة طويلة « ألف » رسمت « فى المصحف ياء » وكان قبلها راء نحو : اشترى ، ويشرى ، وأسرى، والنصارى أما ياء بشراى فى سورة يوسف فقد روى عنه أنه قرأها بالفتحة وبالامالة ، وكذلك تترى ورجح ابن الجزرى انه قرأهما بالفتح . والامالة من خصائص تميم أما الفتح فمن خصائص الحجاز ، ويبدو أن الآيات التى قرأها بالفتح قد تأثر فيها بأساتذته . (٢)

٣ - **الهمزة :**

والهمزة من الأمور التى تذبذب أبو عمرو حولها ، فتارة يهمز متأثرا ببيئته تميم وتارة يحول الهمزة الى ياء متأثرا بأساتذته الحجازيين ، ومما قرأه مهموزا .. مرجئون « التوبة : ١٠٦ » ، ترجىء « الاحزاب : ٥١ » ومما قرأه مسهلا ، قوله تعالى : من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل ، وميكال ، ومنساته ، وكذلك واللاى بدلا من اللائى .

وكان أبو عمرو يميل - اذا التقت همزتان فى بداية الكلمة ، وكانت الأولى همزة استفهام والثانية فاء الكلمة - الى تسهيل الثانية نحو قوله تعالى : أ أنذرتهم (٣) .

٤ - **حذف الحركة « التسكين » :**

مال أبو عمرو الى حذف الحركة سواء من فاء الصيغة أو من عينها أو من لامها « والمقصود بذلك الحركة الاعرابية » .

أ - حذف الحركة التى تلى الفاء :

كان أبو عمرو يميل الى حذف الحركة التى تلى هاء الضمير هو أو هى اذا سبقتها واو أو فاء أو لام ، من ذلك قوله تعالى : « وهو بكل شىء عليم » ، « البقرة : ٢٩ » وقوله تعالى : « وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم »

(١) اللهجات فى التراث ١٩٥ - ٢٠١ .
(٢) اللهجات فى التراث ٢١٤ - ٢١٥ .
(٣) اللهجات فى التراث ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ .

« البقرة : ٢٧١ » ، « وان الدار الأخـــرة لهى الحيـــوان » ، (العنكبوت : ٦٤) .

وأبو عمرو بهذا يكون متـــأثرا بلهجة نجد ونسب التحريك فيـــه الى الحجاز . (١)

٢ ـ حذف الحركة التى تلى العين :

روى عـــن أبى عمـــرو انه كان يحذف الحركة التى تلى العـــين فى كلمة نعما ، فقد قرأ قوله تعالى : ان الله نعما يعظـــكم به (النساء : ٢٥٨) وقوله تعالى : ان تبـــدو الصدقات فنعما هى (البقرة : ٢٧١) وقد قرأ هاتين الآيتـــين بحـــذف الحركة التى تتلو العين مع تكرار الميم « تشديد الميم » ؛ معنى هذا أنه أجاز الجمـــع بين الساكنين فى وسط الكلمة ، وقد وصفت هـــذه القراءة بأنها قـــراءة النبى صلى الله عليه وسلم . (٢)

وروى عن أبى عمرو أيضـــا انه قرأ قوله تعالى : فى قلوبهم مرض (البقرة : ١٠) .

ويرى ابن جنى أنه لا يجوز أن يكون مرض مخففا من مـــرض ، لأن المفتـــوح لا يخفف ، وانمـــا ذلك فى المـــكسور والمضموم كابل وفخذ وطنب وعضد ، وما جاء عنهم من ذلك فى المفتوح فشاذ لا يقاس عليه ، نحو قول الأخطل :

---

(١) اللهجات فى التراث /١٧٣ .

(٢) ايد الكوفيون احتمال التقـــاء الساكنين فى وسط الكلمـــة ، كالامام أبو عبيد القاسم بن سلام والفراء والدانى وينسب اليـــه قـــوله ان الاخفاء أقيس والاسكان اثر ، اما البصريون فقد وجهوا اتهامات شنيعة لتلك القراءات ، فللزجاج مثلا وصفها بأنهـــا ليست مضبوطة تارة وبأنها شاذة تارة أخرى وتارة أخـــرى بأنها رديئة ، ووصف أبو على الفارسى من قرأ هـــذه القراءة بانه لـــم يكن مستقيما عند اللغويين ، لانه جمع بين ساكنين ، الاول منهـــا ليس بمدلولين « اللهجـــات فى التراث ١٣٦ » ويرى محمـــد بن يزيد أن التقاء الساكنين فى وسط الكلمـــة محال وعلل ذلك قائلا : أما اسكان العين والميم مشدودة فلا يقـــدر احد ان ينطق به « أثر القرآن الكريم فى الدراسات النحوية / ٧٥ » . ولنا فى هـــذه المسالة راى فى ضـــوء الدارسات المقـــارنة ، فنحن نرى أن العـــربية تشبه فى هذه الظاهرة العبرية والآرامية فهما تجيزان التقاء الســـاكنين فى وسط الكلمة غيـــــر أن السكون الاول ينطق مشربا بحـــركة الكسر . ونحن نعتقد ان ابا عمرو ايضـــا كان ينطق الســـكون الاول مشربابحركة الكسر .

وما كان كل مبتاع ولو سلف صفقه
يراجع ما قد فاته برداد
يريد : سلف فاسكن مغطرا

وينبغى أن يكون مرض هذا الساكن لغة فى مرض المتحرك كالحلب والحلب والطرد والطرد والشل والشلل . (١)

حذف الحركة التى تلى لام الكلمة « أى الحركة الاعرابية » .

قرأ أبو عمرو « فتوبوا الى بارئكم (البقرة : ٥٤) وبعولتهن أحق بردهن (البقرة : ٢٢٨) ، وكذلك ينصركم فى قوله تعالى : « فمن ذا الذى ينصركم من بعده آل عمران) ، ويعلمهم الكتاب والحكمة (آل عمران : ١٦٤) والهدى والقلائد ذلك لتعلموا . خزائن رحمة ربى (٢) .

وذكر أبو عمرو أن ذلك لغة تميم ، أما أهل الحجاز فيميلون الى اظهار الحركة (٣) .

---

(١) المحتسب ١/٥٣ - ٥٤ .

(٢) د. ابراهيم انيس ، من أسرار اللغة ٢٣٩ .

(٣) سيبويه ، الكتاب ٤/٢٠٢ طبعة هارون ، ويرى سيبويه أن أبا عمرو يختلس الحركة ولا يحذفها ، واستدل على ذلك بقولهم : من مأمنه فيثبتون النون ، فلو كانت ساكنة لم تحقق النون « الكتاب ٤/٢٠٢ » ، أما المبرد وابن جنى فقد وصفا قراءة ابى عمرو بأنها لحن ، ورد أبو حيان عليهما وقال : أن ما ذهب اليه المبرد وأعوانه من النحاة ليس بشىء ، لأن أبا عمرو لم يقرأ الا بأثر عن الرسول (ص) وقد ثبت نقل أبى عمرو وان الاسكان منقول محكى عن تميم (اللهجات فى التراث : ١٧٧) .

ونرى ان حذف العلامة الاعرابية من علامات التطور اللغوى عند تميم ذلك ان اللغات السامية فى تطورها تميل الى حذف الحركة الاعرابية ونستدل على ذلك بما هو الحال فى اللغة الاكدية فاللغة الاكدية القديمة كانت تهتم بالاعراب والمتوسطة كانت تتأرجح بين الاهتمام بالاعراب وعدم الاهتمام به أما اللغة الاكدية الحديثة فانها اهملت الاعراب تماما وفى اللغة الحبشية نجد انها أهملت حركتى الضم والكسر وابقت على الفتح ، والامثلة التى وردت عن ابى عمرو تشير الى اهمال الرفع والجر فى حين لم يشر الى اهمال النصب . وهذا يدل على أن لغة تميم قطعت شوطا فى التطور اللغوى لم تقطعه لغة أهل الحجاز التى حافظت على الحركات الاعرابية الثلاث . أما ما يستدل بذلك على ضآلة دور الاعراب فى ايضاح المعنى فهو راى مردود فيه فى رأينا .

حذف حركة ضمير الغائب المتصل فى حالة الوصل :

قرأ أبو عمرو .. نؤته منها (آل عمران : ٤٥) ، ونحشره يوم القيامة (طه : ١١٤) ، ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك (آل عمران : ٧٥) (١) ، ونسب الكسائى ذلك الى لغة عقيل وكلاب ونسبه الفراء الى أزد السراء (٢)

الادغام :

كان أبو عمرو يميل الى الادغام، وكان يقول : الادغام كلام العرب الذى يجرى على ألسنتها ولا يحسنون غيره (٣) ، وكان يميل الى :

أ ـ ادغام المثلين ، من ذلك تكرار الراء ، كما فى قوله تعالى : خذ العفو وأمر ، وشهر رمضان (٤) ونحو قوله تعالى « لا تضار والدة بولدها » (البقرة : ٢٣٣) .

وظاهرة ادغام المثلين من خصائص لهجة تميم أما أهل الحجاز فكانوا ينكرون الادغام (٥) ، ومن ذلك أيضا ادغام الراء فى اللام : فى قوله عز وجل : « يغفر لكم خطاياكم » (البقرة : ٥٨) (٦) .

---

(١) اللهجات فى التراث ٤٠٧ .

(٢) لم يعترف البصريون بهذه القراءات ، فزعم الزجاج وابن السراج ان القراءة غلط بين ، ورأى سيبوية انها ضرورة ، ورد عليهم ابو حيان ، وقال ان هذه قراءة فى السبعة ، وهى متواترة ، وكفى انها منقولة عن امام البصريين ابى عمرو بن العلاء ، فانه عربى صريح وسامع لغة وامام فى النحو .

(٣) اللهجات فى التراث / ٢٤١ .

(٤) ويرى النحاة أن هذا ليس ادغاما حقيقيا بل هو اخفاء المثلين « شرح الشافية » ٢٤٧/٣٠ .

(٥) اللهجات فى التراث ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

(٦) وصف النحاة هذا الادغام بالخطأ ونسب الى الراوى ، وقالوا ان ابا عمر اخفى الراء فخفى على الراوى فتوهمه ادغاما (أثر القرآن = الكريم فى الدراسات النحوية ١٧٥ فى حين ان الادغام كما قلنا من خصائص لهجة تميم وابو عمر تميمى لهذا نرجح اننا هنا امام ظاهرة الادغام وليس أمام ظاهرة الاخفاء .

ومن ذلك أيضا ادغام اللام فى الثـاء : فقرأ أبو عمرو : هثـوب الـكفار (المطففين : ٣٦) ، يريد هـل ثوب الكفار (١) فمـن ذلك أيضا ادغام الحاء فى العين فى قوله عز وجل : « فمـن زحـزح عن النـار ، وهنـا قلب الحاء عينـا ثم ادغمها فى عين عن

التضعيف :

كان أبو عمرو بن العلاء (٢) يميل الى التضعيف وهو من خصـائص تميم وسـفلى قيس فقـد قـرأ بالتضعيف للدال فى الهـدى فى الآيات الآتية : حتى يبلغ الهـدى محله (البقرة : ١٩٦) والهـدى معكوفا أن يبلغ محـله (الفتح : ٣٠) ، فان احصرتم فما استيسر من الهدى (البقرة : ١٩٦) (٣) •

وكان يميل أيضا الى التضعيف فى الأفعال المضـاعفة دسـاها فى قوله تعالى وقـد خاب من دساها (الشمس : ١٠) وكان يميـل كذلك الى الوقوف بالتضعيف مع نقل الحركة للحـرف الأخـير الى ما قبله ، نحو قوله تعالى وتواصوا بالصبر (٤) والوقف بالنقل يعزى الى تميم • (٥) •

الخصائص الصرفية :

تأرجح أبو عمرو بن العلاء فى نطق الأبنية ، سواء أبنية الأسماء أو الأفعـال بين لهجتى الحجـاز وتميم •

أ ـ ابنية الأسماء :

١ ـ قرأ بلهجـة أهل الحجـاز قوله تعـالى : ينشر لكم ربكم من

(١) سـيبويه ، الكتاب ٤٥٩/٤ تحقيق هارون .
(٢) شرح الشافية ٢٧٤/٣ ـ ٢٧٧ ويسمى الرضى ذلك اخفاء وغيره ادغاما مجازا .
(٣) اللهجات فى التراث ٥٢٩ .
(٤) اللهجات فى التراث ٢٧٣ .
(٥) نفسه ٣٨١ ـ ٣٨٤ .

رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا (الكهف : ١٦) ف « مرفق » بالكسر لهجة أهل الحجاز وبالفتح لهجة تميم (١) وقوله تعالى : اذ أنتم بالعدوة الدنيا (الانفال : ٤٢) . (٢) وقوله تعالى : الا من اغترف غرفة بيده (٣) (البقرة : ٢٤٩) :

ب - ابنية الافعال :

تأرجح أيضا فى نطق الأفعال بين لهجتى الحجاز وتميم ، فمما نطقه بلهجة الحجاز ومن يقنط (الحجر : ٥٦) ويقنطون (الروم : ٣٦) لا تقنطوا (الزمر : ٥٣) بكسر النون أى من باب ضرب يضرب أما الباقون بفتحها أى من باب علم يعلم وهذه لغة تميم (٤) .

ومما نطقه بلهجة تميم كسر حرف المضارعة من الأفعال من باب فعل يفعل : نحو ولا تركنوا الى الذين ظلموا (هود : ٢١٣) وتعرف هذه الظاهرة بالقلقة (٥) ، ونحو من أن تأمنه (٦) .

نون الوقاية :

تمتاز لهجة أهل الحجاز بأنها لاتقحم نون الوقاية اذا أضيف ضمير المتكلم فى حالة المفعولية الى الفعل المضارع المرفوع بالواو والنون ، أما تميم فانها تقحم النون ، وقد قرأ أبو عمرو متأثرا بلهجة تميم قوله تعالى « فبم تبشرونني » (الحجر : ٥٤) . أما أهل المدينة فقرأوا « فبم تبشرونى » .

الاعراب :

تأثر أبو عمرو بن العلاء فى الاعراب بآرائه النحوية ، فمن المعروف عنه أنه يميل الى التقدير وهكذا قرأ يا جبال أوبى معه والطير ، وقال بالنصب على اضمار وسخرنا الطير لقوله على أثر هذا ولسليمان الريح أى وسخرنا الريح .

وبالاضافة الى ذلك كان يؤيد القراءة التى تتلائم مع المروى عن العرب ، لهذا نجده ايد قراءة

(١) نفسه ٤٨٧ .
(٢) نفسه ١٨٣ .
(٣) نفسه ٨٨ - ١٩٩ .
(٤) نفسه ٤١ .
(٥) اللهجات فى التراث ٣٠٣ .
(٦) نفسه ٣٠٤ وعزيت هذه الظاهرة الى تميم وبهراء .

النصب فى (ايهم) فى قوله تعالى : « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد » (مريم : ٦٩) قال أبو عمرو : خرجت من الخندق ، يعنى خندق (البقرة) .

وكان أبو عمرو يميل الى العطف على الجوار لهذا قرأ بالنصب بدلا من الجزم أى أكون بدلا من أكن فى الآية الكريمة :

« لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » (المنافقون : ١٠) ، فقرأ وأكون عطف على فأصدق المنصوب على جواب التمنى فى قوله لولا أخرتنى لهذا قرأ تكذب بالرفع عطف على نرد فى الآية الكريمة : فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (الأنعام : ٢٧) (١) .

وقرأ نحاس عطفا على نار فى الآية الكريمة : يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس (الرحمن : ٣٥) .

وكذلك وأرجلكم فى قوله تعالى : وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين (المائدة : ٣) . (٢)

منهجه فى الدراسات الصرفية :

اذا التقت الهمزتان وكل واحدة منهما فى كلمة ..

يرى أبو عمرو تخفيف الأولى وتحقيق الأخرى : فقد قرأ الآية الكريمة فقد جاء اشراطها (محمد : ١٨) فقد جاء اشراطها ، يازكرياء انا نبشرك (مريم : ٧) يا زكريا انا نبشرك . (٣)

واذا كانت الهمزة همزة استفهام والثانية أصل من أصول الكلمة فانه يخفف الهمزة الأولى أيضا كما يخفف بنو تميم فى اجتماع الهمزة نحو انك وأأنت (٤) .

بالنسبة الى الاسم المقصور :

الوقف ..

كان أبو عمرو يقف على الأسماء المقصورة بالألف ويرى أنها عوض عن حذف التنوين ، ذلك أنه اذا حذف التنوين ردت اللام الى

(١) القرآن الكريم / دائرة فى الدرات النحوية / ٧٦ .
(٢) نفسه ٣١٦ .
(٣) سيبويه ٥٤٩/٣ .
(٤) سيبوية ٣٤٢/٣ .

أصلها وهو الياء ثم تقلب الفا لوقوعها بعد فتحة (١) وانطلاقا من هذا الاتجاه قرأ أبو عمرو تترى بالتنوين فى الآية الكريمة (٢) : ثم أرسلنا رسلنا تترى (المؤمنون : ٤٤) على أنه مقصور كقولك حمدا وشكرا والوقف على هذا ــ كما هو مذهبه على الالف المعوضة من التنوين (٣) ومما يدل على أن أبا عمرو يعامل تترى معاملة الأسماء المقصورة أنه نونها فأما من لم ينونها فانه يعامل الألف المقصورة على أنها للتأنيث كألف سكرى .

بالنسبة الى الاسم المنقوص :

يرى أبو عمرو أنه يوقف عليه بحذف الياء فيقول هذا قاض وهذا غاز .

٣ ــ بالنسبة الى الفعل المسند الى ضمير النصب للمتكلم : أكرمن ويعامله أبو عمرو معاملة الاسم المنقوص ربى (الفجر : ١٥) ربى أهانن (الفجر : ١٦) .

المنوع من الصرف

١ ــ يرى أبو عمرو أن العلم المؤنث الذى يتكون من ثلاثة أحرف وكان الأوسط منه ساكنا فأنت بالخيار ان شئت صرفته وان شئت لم تصرفه .

وان سميت المؤنث بعمرو أو زيد لم يجز الصرف . (٤)

٢ ــ من الممنوع من الصرف أيضا اسماء القبائل مثل سبأ . (٥)

٣ ــ القاب تمنع من الصرف مثل هذا سعيد كسرز وهذا قيس قفة وهذا زيد بطة واذا نونت فقدت التعريف . (٦)

٤ ــ غدوة أو بكرة اذا دلت على معرفة لم تنون وكذلك العام الأول (٧) .

---

(١) شرح الشافية ٢/٢٨٢ ــ ٢٨٤ .

(٢) شرح الشافية ٣/٨١ هـ ١ .

(٣) القرطبى ١٢/١٢٥ .

(٤) سيبوية ٣ / ٣٤٢ .

(٥) سيبويه ٣/٢٥٣ .

(٦) سيبويه ٣/٢٩٤ .

(٧) سيبويه ٣/٢٩٣ ــ ٢٩٤ .

٥ ــ كان أبو عمرو بن العلاء يجعل مثل يوم يوم وصباح مساء وبيت بيت وبيتين بيتين بمنزلة الاسم الواحد فى حال الظرف أو الحال (١) والآخر من هذه الأسماء فى موضع جر ، وجعل لفظه كلفظ الواحد وهما اسمان أحدهما مضاف الى الآخر •

٦ ــ ويرى انه ان سميت رجلا بضارب من قولك : ضارب وأنت تامر فهو مصروف وكذلك ان سميته ضارب أو ضرب • (٢)

٧ ــ صيغة التصغير من الاسم المتصرف تكون منصرفة من ذلك سرحان (٣) وسريحين أما غضبان فتصغيره غضيبان (٤) •

قال أبو عمرو فى قوله تعالى : أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع (فاطر : ١) صفة كأنك قلت : أولى أجنحة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة • (٥)

الميزان الصرفى :

يرى أبو عمرو أن موسى ، على وزن مفعل ، وشرح ذلك فقال : هو أيضا مفعل بدليل انصرافه بعد التنكير وقال أيضا ان مفعلا أكثر من فعلى ، فحمل الاعجمى على الاكثر أولى وهو ممنوع ، لأن فعلى يجىء مؤنثا لكل أفعل تفضيل ومفعل لا يجىء الا من باب أفعل يفعل وهو عنده لا ينصرف للعجمة والعلمية وينصرف بعد التنكير كعيس (٦)•

هذا ويوضح لنا مذهب أبى عمرو فى القياس فهو يرى ان اللفظ علم لهذا فهو اسم مفعول من أفعل ومن ثم فوزنه مفعل وانه لا يمكن ان يكون فعلى لأنها مؤنث أفعل •

الحقيقة ان هذا اللفظ عبرى وهو اسم فاعل من الفعل الناقص : ماشا Maašaa

(١) سيبويه ٣٠٣/٣ .
(٢) سيبويه ٢٠٦/٣ .
(٣) سرحان مصروف بالرغم من انه يحتوى على الالف والنون وذلك لانه علم وانما يمنع من الصرف الصفات .
(٤) سيبويه ٢١٦/٣ .
(٥) سيبويه ٢٢٥/٣ .
(٦) شرح الشافية ٣٤٨/١ .

ويقابل مسىّ فى العربية ، وجاء فى اللسان ومسيت الناقة اذا سطوت عليها وأخرجت ولدها (اللسان ٢٠/١٤٨) والمعنى العبرى كالمعنى العربى تماما أى اخراج الجنين من رحم أمه واسم الفاعل منه

« ويقاس ماسى وماس • وكان أبو عمرو يقول ان حلقة وحلق جمع ويرى السيرافى أن ذلك هو القياس فهو بمنزلة شجرة وشجر أما غيره فقال حَلْقَه وَحَلَق وفلكه وفلك وهذا هو الشاذ » • (١)

النسب

١ ــ وزن فعله اذا كان معتل اللام بالياء حية ولية ــ تصبح فى النسب حيى وليى أما غيره فيقول حيوى وليوى • (٢)

٢ ــ وكذلك ظبية وظبيى أما يونس فيقول ظبوى • (٣)

٣ ــ ابن واسم واست واثنان واثنتان وابنة أى الألفاظ الثنائية المزيدة بألف وصل ــ اسمى ــ استى ــ ابنى واثنى فى اثنين واثنتين • (٤)

التصغير

١ ــ كان أبو عمرو يرى أن التصغير من مر هو مرىء ، ويرى هو يرىء أى أنه يهمز ويجر • (٥)

٢ ــ كان يرى أن تصغير أحوى هو أحى (٦) وذلك على قياس أسود أسيود وأصل صيغة التصغير هو أحيوى وكان أبو عمرو يحذف الواو الثالثة مع التنوين قياسا على حذف ياء قاضى ــ قاض ــ أحى ويعيدها مع التعريف بأل أو بالاضافة فيقال الاحى • (٧)

والتنوين فى أحى عوض عن حذف الواو ولا يدل على الصرف فهى ممنوعة من الصرف وتصرف مع التعريف • (٨)

(١) سيبويه ٣/٥٨٤ •
(٢) ٣/٣٤٥ •
(٣) سيبويه ٣/٣٤٧ •
(٤) سيبويه ٣/٣٦١ •
(٥) سيبويه ٣/٤٥٧ •
(٦) سيبويه ٣/٤٧٢ •
(٧) شرح الشافية ١/٣٢٤ ــ ٢٢٦ ــ ٢٢٣
(٨) شرح الشافية ١/٢٣٤ •

٣ ـ وكان يرى أن تصغير خبازى هو خبيزة ، وكان يرى انه اذا حذفت ألف التأنيث المقصورة أبدل منها تاء (١) . ولم ير ألف غيره من النحاه . (٣)

التذكير والتانيث

كانت العرب تميل الى الحمل على المعنى ، حكى عن أبى عمرو أنه سمع رجلا من اليمن يقول : فلان لغوب جاءته كتابى فاحتقرها ، فقلت له : أتقول كتابى فقال : نعم أليس بصحيفة . (٣)

المصدر

كان أبو عمرو يرى أن القبول بالفتح مصدر وأنه لم يسمع غيره واعترض أن يكون الوضوء مصدرا وقال الأصمعى : قلت لأبى عمرو : ما الوضوء فقال الماء الذى يتوضأ به . قلت فما الوضوء بالضم قال : لا أعرفه (٤) .

الفعل المضارع من الفعل الناقص :

يرى أبو عمرو أن المضارع من الفعل الناقص مثل عوى هو بكسر العين نحو يقوى ، يستفاد ذلك من القصة الآتية :

أخطأ رجل فى نطق الفعل الناقص بحضرة ابى عمرو بن ا لعلاء حيث أنشد قول المرقش الأصغر :

أفمن يلق خيرا يحمد الناس أمره
ومن يغوه لايعدم على الغى لائما

فقال له أبو عمرو أقومك أم أتركك تتسكع فى طمتك فقال : بل قومنى ، فقال : قل : ومن يغو بكسر الواو ، ألا ترى الى قوله تعالى : وعصى آدم ربه فغوى (٥)

ويرى أبو عمرو أن يهلك الحرث بفتح اللام وركن بركن من التداخل لأن ركن مضارعه يركن . (٦)

منهجه فى النحو :

وتبعد هنا الجملة : أنواعها وتراكيبها :

الجملة المثبتة :

الجملة المثبة الاسمية :

تحدث أبو عمرو عن العناصر

---

(١) سيبويه ٤/٤٣٦ .
(٢) شرح الشافية ١/٢٤٤ .
(٣) اللهجات فى التراث / ٥٠٣ .
(٤) شرح الشافية ١/١٥٨ هـ ٢ .
(٥) اللهجات فى التراث / ٤٥٦
(٦) شرح الشافية ١/١٢٥ .

الصرفيـة التى تـكون الأجـزاء الأساسية فى الجملة المثبتة الاسمية من ذلك مثلا أنه أوضح :

١ ـ بالنسبة الى المبتدأ :

١ ـ الضمائر الشخصية : يمكن أن تكون مبتدأ نحو ما أظن أحدا هو خير منك ، وما أجعل رجـلا هو أكرم منك وما أخال رجلا هو أكرم منـك .. فالضمير هـو فى الأمثلة السابقة مبتدأ وليس ضمير فصل لأن ما قبله نكرة ، ذلك أن الضـمير يكون فصـلا اذا سبق بمعـرفة وبنـاء على ذلك وصف القراءة الآتية باللحن : هؤلاء بناتى هـن أطهـر لـكم بنصب أطهـر (هود / ٧٨) . (١)

تستخدم كم مبتدأ اذا أضيفت الى ما بعدها وكان الاسم التـالى مرفوعا على أنه خبر ، نحوكم رجل أفضل منك . (٢)

الخبــر :

ظرف المـكان يمكن أن يكون خبـرا عندمـا يكون االمبتدأ اسم ذات (٣) نحــو دارى من خلف دارك فرسخان . (٤)

المفعــول به :

هناك تراكيب وردت فيها أسماء منصــوبة ويرى أبو عمــرو أن الناصب لها فعل محـذوف مثـل منطلق فى التعبير الآتى . أما أنت منطلقا أنطلق معك وفى رأيه أن ذلك بمثـابة لأن صرت منطلقـا أنطلق معك . (٥) ومن ذلك أيضا الارجل اما زيدا واما عمـروا ، ويرى أن الا رجل بمثابة اللهم اجعله زيدا أم عمروا أو وفق لى زيدا أو عمرا ومـن هنـا يـرى أن الفعـل محذوف . (٦)

ظرف الزمان أو المـكان يكون منصوبا دائما : وابنيته ظرف المكان

---

(١) سيبويه الكتاب ٣٩٣/٢ ، ٣٩٧ (٢) الكتاب ١٦١/٢ .
(٣) الكتاب ٤١٧/١ .
(٤) الكتاب مصدر اما ظــرف الزمان فيكون خبرا للمصادر فقط .
(٥) سيبويه ٢٨٦/١ .
(٦) سيبويه ١٠١/٣ .

هى خلفك قدامك ـ أمامك ـ نحو قولهم • منازلهم يمينا ويسارا وشمالا ونحو قول عمرو بن كلثوم :

صددت الكأس عنا أم عمرو
وكان الكأس مجراها اليمينا (١)

المستثنى :

يكون المستثنى بدلا من المستثنى منه نحو ما أتانى القوم الا عبد الله • (٢)

الجملة

١ ـ الجملة المنفية :

من المعروف أنها تكون من مبتدأ وهو اسم لا ، والخبر ومن الممكن أن يكون الخبر اللام الجاره مع مجرورها مثل ذلك لا غلامين ولا جاريتين لك • أو لا غلامين لك • (٣)

جملة الشرط :

يرى أن أما « أن+ما » تستخدم أداة للشرط والتفضيل فتكون أداة للشرط اذا رفع الاسم بعدها وفى هذه الحالة يشترط أن يكون الاسم الواقع بعد الفاء تكرارا لما قبلها وألا يكون الاسم بعدها مصدرا أو وصفا ويرى أبو عمرو أن الاسم هنا يعرب مبتدأ وخبره مابعد الفاء : نحو : أما العبيد فذو عبيد ، وأما العبد فذو عبد ، وأما عبدين فذو عبدين

وقد لا تستخدم أداة للشرط اذا لم تتحقق الشروط (٤) السابقة وفى هذه الحالة يكون الفعل فى جملة الجواب مرفوعا وليس مجزوما نحو أما وأنت منطلقا أنطلق معك (٥) ، ويرى أن معنى هذا التركيب هو بمثابة قولك لأن صرت منطلقا انطلق معك •

---

(١) سيبويه / الكتاب ٤٠٥/١ •
(٢) سيبويه / الكتاب ٣١١/٢ •
(٣) الكتاب ٢٨٢/٢ طبعة هارون •
(٤) الكتاب / سيبوية ٣٨٧/١ ـ ٣٨٨ طبعة هارون ، شرح الكافية ٣٩٧/٢
(٥) الكتاب / سيبويه ١٠١/٣ •

جملة النــداء

يرى أنه اذا تكرر المنادى العلم فانه يكون بمثابة البدل ويرفع نحو يازيد زيد الطويل ويخالف بذلك رؤبة فــكان يقــول : يا زيد زيد الطويل . (١)

ويرى أيضا أن اليــاء تبقى فى المنادى سواء فى الوصل والوقف وكــذلك كان يقــرأ يا عبــادى فاتقون . (٢)

يــرى أن أداة النــداء « يا » تدخل على ويلا لك ، ويحا لك ، ويصــبح التــركيب يا ويل لك ، يا ويح لك .

دكتور صلاح الدين صالح

(حقائق)

* حفظ الصحة ايسر من علاج العلة .
* اوجع الضرب مالم يكن معه بكاء .
* الدنيا كالحية : لين لمسها ، قاتل سمها .
* حياتنا احلام تنتهى برقاد الموت .
* طوبى لمن كان لبصره فى قلبه ، والويل لمن كان قلبــه فى بصره .
* ثمرة الادب العقل الراجح ، وثمرة العلم العمل الصالح.

---

(١) سيبويه ١/١٨٥ .

(٢) اتحاف فضلاء البشر / ٣٧٥ .

إياك نعبد وإياك نستعين

فضيلة الشيخ موسى محمد على

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين .

وبعد :

فيقول الله تعالى :

« اياك نعبد واياك نستعين » .

العبادة : هى الفعل الذى يؤدى به الفرض لتعظيم الله سبحانه وتعالى ، وهو مأخوذ من قولهم : « طريق معبد » أى مذلل .

والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ، من العبد ، ونهاية التعظيم لله سبحانه ، لأنه العظيم المستحق للعبادة ، ولا تستعمل العبادة الا فى الخضوع له تعالى ، لأنه مولى أعظم النعم ، وهى ايجاد العبد من العدم الى الوجود ، ثم هداه الى دينه ، فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له سبحانه ، وما سمى العبد عبدا الا لذلته وانقياده .

وقول العبد : « اياك نعبد » معناه : اياك نخص بالعبادة ، ونوحدك ونطيعك خاضعين لك لا نعبد أحدا سواك .

والذى يدل على حصر العبادة لله وحده سبحانه ، أن العبادة عبارة عن نهاية التعظيم ، والاجلال مع وجود الذلة والافتقار والانكسار ، والخضوع والخشوع ، والتواضع ، وصرف الهمة وعدم الانشغال والاشتغال .

والعبادة على هذا النحو لا تليق الا بمن صــدر عنــه غاية الانعام والافضال والاحسان .

وأعظم وجوه الانعام : الحيــاة التى تفيد التمكن من الانتفــاع ، وخلق المنتفع به .

ولما كانت المصالح الحاصلة فى هــذا العالم انما تنتظم بالحــركات الفلكية على سبيل اجراء العادة ، ثبت أن كل النعم حاصلة بايجــاد الله سبحانه ، فوجب أن لا تحسن العبادة الا لله تعالى ، ولهذا قال : « اياك نعبد » .

وبافادة الحصر فى قوله : « اياك نعبد » تعين أن الله تبارك وتعــالى سمى نفســه بأسماء هى : الله ، والرب ، والرحمــن ، والرحيم ، ومالك يوم الدين .

وللعبد أحوال ثلاثة : الماضى ، والحاضر ، والمستقبل .

أما الماضى فقــد كان معــدوما محضا كما قال تعــالى : (وقــد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) .

وكان ميتا فأحياه الله تعالى كما قال : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم » .

وكان جاهلا فعلمه الله كما قال : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » .

والعبد انما انتقــل من العــدم الى الوجــود ، ومــن الموت الى الحياة ، ومن العجز الى القدرة ، ومن الجهل الى العلم ، لأجل أن الله تعالى كان قديما أزليا ، فقدرته الأزلية وعلمه الأزلى ، أحدثه ونقله من العدم الى الوجود ، فهــو اله لهذا المعنى .

وأما الحال الحــاضرة للعبــد فحاجته شديدة ، لأنه كلمــا كان معــدوما كان محتــاجا الى الرب الرحمن الرحيم ، فلمــا دخــل فى الوجــود انفتحت عليــه أبــواب الحاجات ، وحصلت عنده أسباب الضرورات ، فقــال الله تعــالى : (أنا اله لأجل أنى أخــرجتك من العدم الى الوجود ، أمــا بعد أن

صرت موجودا فقد كثرت حاجاتك الى فأنا رب رحمن رحيم) .

وأما الحال المستقبلة للعبـد : فهى حال ما بعـد الموت والصفة المتعلقة بتلك الحـالة هى قوله : « مـالك يوم الدين » فصـارت هـذه الصفات الخمس من صفات الله تعالى متعلقـة بهـذه الأحوال الثلاثة للعبد ، فجميع مصالح العبد فى الماضى ، والحاضر ، والمستقبل ، لا تتم ولا تكمل الا بالله وفضـله واحسانه ، فلما كان الامر كذلك وجب أن لا يشتغل العبد بعبـادة شىء الا بعبادة الله تعالى وحده ، فلا معبود الا هـو ، ولهـذا قال سبحانه :

« اياك نعبد واياك نستعين » ..

ولما كان الله تبـارك وتعـالى ، أشرف الموجودات وأعلاها قدرا ، وقـدرته سبحانه أعلى من قـدرة غيره ، وعلمه أكمل من علم غيره ، وجوده أفضل من وجـود غيره ، وجب القطع أن عبوديته تعالى أحق وأولى من عبودية غيره .

فاستحقاق العبادة يستدعى قدرة الله تعالى ، بأن يمسـك سماء بلا علاقة ، وأرضا بلا دعامة ، ويسير الشمس والقمر ، ويخرج النار من السحاب تارة ، والهـواء أخرى ، والماء ثالثة .

وأما فى الأرض : فتارة يخرج الماء من الحجر ، وهو ظاهـر ، وتارة يخرج الحجر من المـاء ، وهـو الجمـد ، ثم يجعـل فى الأرض أجسـاما مقيمة لا تسـافر وهى الجبال ، وأجساما مسافرة لا تقيم وهى الانهار .

وخسف بقارون فجعـل الأرض فوقه ، ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم ، فجعل قاب قوسين تحته ، وجعل الماء نارا على قوم فرعون : أغرقوا فأدخلوا نارا ، وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم ، ورفع موسى فوق الطور ، وأغرق الدنيا من التنور ، وجعـل البحـر يبسا لموسى عليه السلام .

فما كانت قدرته كذلك ، كيف يسوى فى العبادة بينـه وبين غيره مـن الجمـادات ، أو النبـات

أو الحيوان أو الانسان ؟ ان التسوية بين الناقص والكامل ، وبين القادر وبين المعدم سفه وجهل ، فلا ينبغى أن تتأتى بحال .

ومتى كان الأمر كذلك ، ثبت أنه لامعبود الا الله ، ولا اله الا هو ، وأن قوله : « اياك نعبد واياك نستعين » يدل على التوحيد المحض لله رب العالمين .

فمن اتخذ لله شريكا فانه لا بد وأن يكون مقدما على عبادة ذلك الشريك من بعض الوجوه ، اما طلبا لنفعه أو خوفا من ضرره .

أما الذين أصروا على التوحيد ، وأبطلوا القول بالشركاء والاضداد، ولم يعبدوا الا الله تعالى ، ولم يلتفتوا الى غير الله سبحانه ، فكان : رجاؤهم من الله ، وخوفهم من الله ، ورغبتهم فى الله ، ورهبتهم من الله ، لم يعبدوا الا الله ، ولم يستعينوا الا بالله ، فلهذا قالوا : « اياك نعبد واياك نستعين » .

فكان قولهم : « اياك نعبد واياك نستعين » قائما مقام قولهم « لا اله الا الله » .

والعبادة لله بالذكر المشهور هو أن تقول :

سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وقولنا : الحمد لله يدخل فيه معنى قولنا سبحان الله ، لأن قول سبحان الله يدل على كونه كاملا تاما فى ذاته ، وقول الحمد لله ، يدل على كونه مكملا متمما لغيره ، والشىء لا يكون مكملا متمما لغيره الا اذا كان قبل ذلك تاما كاملا فى ذاته ، فوضح أن قولنا الحمد لله دخل فيه معنى قولنا سبحان الله .

ولما قال العبد الحمد لله وأثبت جميع أنواع الحمد : ذكر ما يجرى مجرى العلة لاثبات جميع أنواع الحمد لله ، فوصفه بالصفات الخمس وهى التى لأجلها تتم مصالح العبد فى الأوقات الثلاثة ، ثم ذكر بعده قوله « اياك نعبد » ، وقد ذكرنا أنه قائم مقام لا اله الا الله ، ثم ذكر قوله « واياك نستعين » ومعناه أن الله تعالى أعلى وأجل وأكبر من أن

يتم مقصود من المقاصد ، وغرض من الأغراض ، الا باعاتته وتوفيقه ، واحسانه ، وهذا هو المراد من قولنا : « ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » .

فمن عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال لغيرها ، فان الكمال محبوب بالذات ، وأكمل أحوال الانسان وأقواها ـ فى كونها سعادة ـ اشتغاله بعبادة الله سبحانه ، فانه يستنير قلبه بنور الالهية ، ويتشرف لسانه بشرف الذكر والقراءة ، وتتجمل أعضاؤه بجمال خدمة الله تعالى ، وهذه الأحوال أشرف المراتب الانسانية والدرجات البشرية ، فاذا كان حصول هذه الأحوال أعظم السعادات الانسانية فى الحال ، وهى موجبة أيضا لأكمل السعادات فى الزمان المستقبل ، فمن وقف على هذه الأحوال زال عنه ثقل الطاعات وعظمت حلاوتها فى قلبه .

فان العبادة أمانة « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » .

وأداء الامانة واجب عقلا وشرعا ، يقول سبحانه :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها »

وأداء الأمانة صفة من صفات الكمال محبوبة بالذات ، وأداء الأمانة من أحد الجانبين سبب لأداء الأمانة من الجانب الثانى ، قال بعض الصحابة :

رأيت أعرابيا أتى باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ، ودعا بما شاء ، فتعجبنا ، فلما خرج لم يجد ناقته ، فقال :

الهى أديت أمانتك فأين أمانتى ؟ قال الراوى : فزدنا تعجبا ، فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع يده وسلم الناقة اليه .

والنكتة أنه لما حفظ أمانة الله حفظ الله أمانته ، وهو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس : يا غلام احفظ الله « فى

الخلوات » يحفظك « فى الفلوات » •

والاشتغال بالعبادة انتقال من عالم الغرور الى عالم السرور ، ومن الاشتغال بالخلق الى حضرة الحق ، وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة : فعن أبى حنيفة أن حية سقطت من السقف وتفرق الناس ، وكان أبو حنيفة فى الصلاة ولم يشعر بها •

ووقعت الآكلة فى بعض أعضاء عروة بن الزبير ، واحتاجوا الى قطع ذلك العضو ، فلما شرع فى الصلاة قطعوا منه ذلك العضو فلم يشعر عروة بذلك القطع •

وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما كان يشرع فى الصلاة كانوا يسمعون من صدره أزيزا كأزيز المرجل ، ومن استبعد هذا فليقرأ قوله تعالى : (فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن) فان النسوة لما غلب على قلوبهن جمال يوسف عليه السلام وصلت تلك الغلبة الى حيث قطعن أيديهن وما شعرن بذلك •

فاذا جاز هذا فى حق البشر فلأن يجوز عند استيلاء عظمة الله على القلب أولى •

وأهل التحقيق يقولون : العبادة درجات ثلاث : الأولى : أن يعبد الله طمعا فى الثواب أو خوفا من العقاب ، وهذا هو المسمى بالعبادة ، وهذه الدرجة نازلة ساقطة ، لأن معبوده فى الحقيقة هو ذلك الثواب ، وقد جعل الحق وسيلة الى نيل المطلوب •

الثانية : أن يعبد الله لأجل أن يتشرف بعبادته ، أو يتشرف بقبول تكاليفه أو يتشرف بالانتساب اليه ، وهذه الدرجة أعلى من الأولى ، الا أنها أيضا ليست كاملة ، لأن المقصود بالذات غير الله تعالى •

والثالثة : أن يعبد الله لكونه الها وخالقا ، ولكونه عبدا له ، والالهية توجب الهيبة والعزة ، والعبودية توجب الخضوع والذلة ، وهذا أعلى المقامات وأشرف الدرجات وهو المسمى بالعبودية ، واليه الاشارة بقول المصلى فى أول الصلاة أصلى لله •

والعبادة والعبودية مقام عال شريف ، يدل عليه : قوله تعالى :

« ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » .

فالله سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالمواظبة على العبادة الى أن يأتيه الأجل ، ومعناه أنه لا يجوز الاخلال بالعبادة فى شيء من الأوقات ، وذلك يدل على غاية جلالة أمر العبادة .

وأنه قال : (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) .

ثم انه تعالى أمره بأربعة أشياء :

التسبيح وهو قوله : « فسبح »

والتحميد : وهو قوله « بحمد ربك » .

والسجود : وهو قوله : « وكن من الساجدين » .

والعبادة : وهى قوله : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »

وهذا يدل على أن العبادة تزيل ضيق القلب ، وتفيد انشراح الصدر ، وما ذاك الا لأن العبادة توجب الرجوع من الخلق الى الحق ، وذلك يوجب زوال ضيق القلب .

ذلك لأن العبد محدث ممكن الوجود لذاته ، فلولا تأثير قدرة الحق فيه لبقى فى ظلمة العدم وفى فناء الفناء ، ولم يحصل له الوجود ، فضلا عن كمالات الوجود ، فلما تعلقت قدرة الحق به وفاضت عليه آثار جوده وايجاده ، حصل له الوجود ، وكمالات الوجود .

ولا معنى لكونه مقدور قدرة الحق ، ولكونه متعلق ايجاد الحق ، الا بالعبودية .

فكل شرف وكمال وبهجة وفضيلة ومسرة ومنقبة حصلت للعبد ، فانما حصلت للعبد ، بسبب العبودية .

فثبت بذلك أن العبودية مفتاح الخيرات ، وعنوان السعادات ، ومطلع الدرجات ، وينبوع الكرامات ، ولهذا السبب قال العبد : « اياك نعبد واياك نستعين » .

وكان الامام على كرم الله وجهه يقول :

« كفى بى فخرا أن أكون لك عبدا ، وكفى بى شرفا أن تكون لى ربا ، اللهم انى وجدتك الها كما أردت فاجعلنى عبدا كما أردت .

والمقامات محصورة فى مقامين : معرفة الربوبية ، ومعرفة العبودية وعند اجتماعها يحصل العهد المذكور فى قوله (وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم) .

أما معرفة الربوبية فكمالها مذكور فى قوله : (الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين) .

فكون العبد منتقلا من العدم السابق الى الوجود يدل على كونه الها .

وحصول الخيرات والسعادات للعبد حال وجوده يدل على كونه ربا رحمانا رحيما .

وأحوال معاد العبد تدل على كونه مالك يوم الدين .

وعند الاحاطة بهذه الصفات حصلت معرفة الربوبية على أقصى الغايات ، وبعدها جاءت معرفة العبودية ، ولها مبدأ وكمال ، وأول وآخر .

أما مبدؤها وأولها فهو الاشتغال بالعبودية وهو المراد بقوله (اياك نعبد) .

وأما كمالها فهو أن يعرف العبد أنه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله سبحانه ، ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ، فعند ذلك يستعين بالله فى تحصيل كل المطالب ، وذلك هو المراد بقوله (واياك نستعين) .

وبعد : فان الابتداء بذكر المعبود أتم من الابتداء بذكر صفته التى هى عبادته واستعانته ، وهذه الصيغة أجزل فى اللفظ ، وأعذب فى السمع .

والعبادة الاتيان بغاية ما فى بابها من الخضوع ، ويكون ذلك بموافقة الأمر ، والوقوف حيثما وقف الشرع .

والاستعانة طلب الاعانة من الحق سبحانه وتعالى .

فالعبادة تشير الى بذل الجهد والمنة ، والاستعانة تخبر عن استجلاب الطول والمنة .

فبالعبادة يظهر شرف العبد ، وبالاستعانة يحصل اللطف للعبد .

في العبادة وجود شرفه ، وبالاستعانة أمان تلفه .

فالعبادة ظاهرها تذلل ، وحقيقتها تعزز وتجمل ، والاستعانة اجلال لنعوت كرمه ، وتسليم بحكمه وأمره .

وبالله التوفيق

موسى محمد على

« وحدانية الخالق »

مما روى عن الامام جعفر الصادق :

انه رأى جده رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى منامه ، فسأله عن حقيقة التوحيد ؟.

فقال له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « كل ما خطر ببالك فهو هالك ، والله بخلاف ذلك » .

مشروعية الجهاد فى الإسلام

دكتور سعد ظلام

الاذن بالقتال سبق فرضيته ، ولكن هل الاذن بالقتال نزل فى مكة ؟ أم نزل الاذن به بعد استقرار الرسول بالمدينة وتأييد الله بنصره لعباده المؤمنين ؟

يرى ابن هشام (١) ان آية الاذن بالقتال مكية وان الاذن بالقتال جاء بعد بيعة العقبة الثانية ، وكان الرسول قبل هذه البيعة يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل ، فلما عتت قريش عن أمر ربها اذن الله عز وجل لرسوله فى القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم فكانت أول آية نزلت فى اذنه له تعالى بالحرب واحلاله الدماء والقتال فنزل قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ... » (٢)

ويرى هذا الرأى كثير من العلماء والمؤرخين والدارسين منهم المرحوم الشيخ محمد الخضرى الذى يرى أن أكثر القرآن نزل فى مكة ، وأهم ما تناوله فى العهد المكى مايلى :

١ ـ التوحيد ورفض الاوثان والاصنام .

٢ ـ الايمان بالبعث واليوم الآخر والحساب

٣ ـ بين القرآن لهم الخصال التى تقرب الانسان من الله .

٤ ـ بيان العبادات العملية التى تربطهم بالله وتوجههم الى الخير .

---

(١) السيرة جـ ٢ ص ٧٩ .
(٢) الآيات ٣٩ ـ ٤١ من سورة الحج .

٥ ـ مما شرع فى آخر أيام الرسول بمكة الاذن له بالقتال (١)

ويرى ابن القيم انه لما استقر رسول الله بالمدينة وأيده الله بنصره وبعباده المؤمنين وألف بين قلوبهم بعد العداوة والاحن التى كانت بينهم فمنعته الانصار وبذلوا نفوسهم دونه .. وكان أولى بهم من أنفسهم ورمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة وشمروا لهم عن ساق العداوة وصاحوا بهم من كل جانب والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة واشتد الجناح فاذن لهم حينئذ بالقتال ولم يفرضه عليهم فنزلت الآية التى فيها اذن بالقتال .

ورد على من قال ان هذا الاذن كان بمكة وان السورة مكية بوجوه ، منها ان الله لم يأذن بمكة لهم فى القتال ولا كان لهم شوكة ، وان سياق الآية يدل على الاذن بعد الهجرة واخراجهم من ديارهم وان قوله تعالى : « هذان خصمان اختصموا فى ربهم » نزلت فى الذين تبارزوا فى يوم بدر أى وهى فى السورة المكية ومنها ان الله خاطبهم فى آخرها بقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون .. » والخطاب على هذا الاسلوب مدنى فاما الخطاب « يأيها الناس » فمشترك ، ومنها انه قد يكون أمرهم فى هذه الآية بالجهاد الذى يعم الجهاد باليد وغيره ، ومنها ما روى عن ابن عباس قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم انا لله وانا اليه راجعون ليهلكن فانزل الله عز وجل : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » ، وان سياق السورة يدل على ان منها المكى والمدنى .

ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ، « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا » (٢) .

---

(١) محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية ج ١ ص ٨٦ ـ ٩٣ ط ٨ ـ التجارية ـ مصر

(٢) الآية ١٩٠ من سورة البقرة .

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرما ، ثم مأذونا به ، ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال . ثم مأمورا به لجميع المشركين (١) . « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » (٢) .

والترتيب الزمنى أن ينزل الأذن بالقتال أو فرضيته بعد ان يشتد أزر المسلمين ويقوى ساعدهم وان يجىء الأمر بالقتال دفاعا عن كيان يعرف قوته وحسن استعداده ، كيان يدافع عن وجوده ، ولم يكن للمسلمين قوة ولا وجود مستقل يصح الدفاع عنه ، ولقد أمر الرسول أصحابه بعد بيعة العقبة الثانية بالهجرة ، فأين يقع الاذن بالقتال ؟ ولهذا نرى أننا مع ابن القيم فى رأيه ، ويمكن توحيد الاذن بالجهاد قبل المدينة الى أن يكون اذنا بأى نوع من أنواع الجهاد .

كان لابد من الاذن بالقتال وفرضية الجهاد لصيانة الدولة والذود عن حياضها والدفاع عن الوجود المسلم ، لأن الدولة دون الاعداد لحمايتها لا تعيش ، ولا تصمد ولا يكتب لها البقاء .

ولقد كان الرسول يدرك جيدا أن لحظة الصدام مع قريش وشيكة الوقوع وكان أبعد الناس نظرا وأرجحهم عقلا ، فمنذ أن وصل أخذ فى اعداد العدة لحماية الدعوة من قوم لا يحترمون غير القوة ، ولم يفلح فيهم النصح ثلاثة عشر عاما (٣) أو زهاءها .

فبدأ الرسول فى اعداد أصحابه وتدريبهم على وسائل الدفاع عن النفس والصحب والمهارات الفردية كالمصارعة والرماية والمسابقات وركوب الخيل ، فأحسن ابتكارها ، وهيأهم وأعدلهم لحمل السلاح ، وبدأ يتهيأ ويعدهم للعمل الحاسم الذى يرد به قريشا الى صوابها باصابتها فى أعز ما تعتمد عليه حياتها وهو تجارتها ، ويكسر نطاق الحصار الذى ضربه الشرك حول

---

(١) زاد المعاد جـ ٢ ص ٥٨ .
(٢) الآية ٣٦ من سورة التوبة .
(٣) بطل الأبطال ص ٧٥ .

المدينة ليؤمن المدينة ذاتها من الفتن والقلاقل والاضطرابات .

تلك اغراض ثلاثة لابد لادراكها من القوة ، وخلق هذه القوة وتنظيمها وتدريبها والاستعانة بها على أسمى المقاصد عمل امتاز به محمد صلى الله عليه وسلم على من سبقه من الرسل ، وذلك الدور فى تدريب المهاجرين والانصار والخروج بهم على الناس جميعا قوة ضاربة هو من أدق ما امتحن به محمد مصلحا ورجل دولة ، وفيه تجلى له من حسن الذوق السياسى والعسكرى مالا يضاهيه الا أخلاقه الفاضلة .

لم يضيع الرسول فرصة واحدة ولا لحظة واحدة منذ قدم المدينة ، ولم تغفل عينه طرفة عين ، كان يعمل بكل ما أوتى من قوة ، وكأنه فى صراع مع الزمن ، فلم يستقر به المقام فى المدينة حتى بدأ تدريبه للمهاجرين والأنصار ، ليصوغهم صياغة خلقية ودينية وعسكرية جديدة ، أساسها النظام واحتقار الموت ، فكانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار .

وبدأ يعتمد على المهاجرين أولا فى توجيه بعض الغزوات والسرايا (١) ، فبعد وصوله بسبعة أشهر فقط عقد أول راية فى الاسلام لحمزة أو لعبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب ، وفى أقل من عام ونصف بلغت سراياه وغزواته ثمانيا كان هدفها أولا احياء مآل المهاجرين فى الظفر بممتلكاتهم ورفع روحهم المعنوية وابعاد شبح القنوط الذى كان قد بدأ يساورهم ويخيم عليهم ، والتدريب العملى الدائم والاعداد المشترك لخطط الحرب ، واعلام أهل المدينة ومن حولها من الاعراب الطامعين فيها ان الرسول جاد فى مقاومة القوة بالقوة ، وان الرجل الذى يتعرض لقريش ليس بالرجل الذى ينال منه أو يظفر به أو يستباح حماه .

وعلمت قريش ان محمدا والمستضعفين معه من الذين أخرجتهم قريش بالامس أصبحوا

---

(١) يقصد بالغزوة ماخرج الرسول فيها بنفسه سواء قاتل أم لا وبالسرية ماوجه فيها جيشا بقيادة بعض الصحابة .

خطرا داهما على ثرواتها وكيانها الاقتصادى وهو أعز ما تملك ، بقدر ما أصبحوا خطرا على كيانها الدينى وسيطرتها وزعامتها للعرب .

كانت الغزوات والسرايا بيانا عمليا وتدريبات بالذخيرة الحية التى أحسن المسلمون استخدامها والعمل عليها فى عام ونصف ، وهو زمن قياسى فى قوة وليدة .

ولما أنس الرسول فيهم القوة والمهارة وحسن الاستعداد ، ووثق فى قدرتهم وايمانهم وصبرهم وبلائهم وكفاءتهم القتالية ، لم يتردد فى معركة حاسمة .

وقد علم الرسول بعير قريش التى ضمت أموالا كثيرة ، لم يخل من الاشتراك فيها بيت فى مكة ، فأراد أن يضرب اقتصاد مكة ويهدم كيانها ، فتعرض للقافلة ، ولكن أبا سفيان نجح فى الهرب بها .

ورغم تحذيرات أبى سفيان وحكيم بن حزام والاخنس بن شريك لقريش بعدم التعرض لمحمد وصحبه الا أن الزعماء القرشيين نادتهم مصارعهم فأبوا الا ورود ماء بدر والتحرش بالمسلمين واغاظتهم وعزف القيان وشرب الخمور .

وانتصرت القلة المسلمة فى بدر ثم كانت « أحد » وانتصر القرشيون فى جولتها ، ثم كانت غزوة الاحزاب التى ابتلى فيها المسلمون وزلزلوا زلزالا شديدا ، لأن اليهود نقضوا عهد الرسول وجاء العدو من فوقها ومن أسفلها ، ولكن الرسول أتم بالرأى والحيلة ما بدأه بالشجاعة والصبر فانصرف الاحزاب .

كانت غزوة الاحزاب قمة الصراع بين المسلمين والمشركين ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن انهزم المشركون يوم الاحزاب ، قال :

« ان المشركين لن يغزوكم بعد اليوم .

ولكنكم تغزونهم وتسمعون منهم أذى ويهجونكم » (١) ثم صالح

---

(١) الاغانى جـ ١٦ ص ٢٣٣ طبعة دار الكتب .

قريشا فى الحديبية على أن تضع الحرب أوزارها بينه وبينهم عشر سنوات ، ولكنهم نقضوا العهد بقتل بكر لخزاعة فكان فتح مكة وازالة معاقل الشرك ، ثم انتصر فى حنين وطهر ما حول مكة أيضا وأما اليهود فقد حاربت بنو قينقاع بعد غزوة « بدر » فقد ساءهم نصر المسلمين وملأ الحقد نفوسهم فسار اليهم بعد « بدر » بأقل من شهر فمن عليهم وأخرجهم من المدينة الى اذرعات بالشام وطهر المدينة منهم .

وأما بنو النضير فقد نقضوا العهد بعد « بدر » بستة أشهر فأجلاهم أيضا .

وأما بنو قريظة فكانوا أشد عداوة ، وقد انتهزوا فرصة غزوة الاحزاب فنقضوا عهدهم مع الرسول وسبوه ، فظفر بهم فقتل بنى قريظة وسبى ذراريهم ، ونزلت سورة الحشر فى بنى النضير ، وسورة الاحزاب فى بنى قريظة ، وصالح أهل خيبر على اجلائهم منها ولهم ما حملت ركابهم ، ثم طرد اليهود بعد ذلك من الجزيرة كلها .

وامتد نور الله بعد ذلك ليمحو ضلال الشرك والوثنية فى فارس وفساد المسيحية المتهالكة فى الروم .

كانت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة سلسلة متصلة الحلقات من الاعمال والجهاد والاعداد ووضع الخطط والتشريعات والنظم ، ورسم سياسة الأمة الناشئة ، لم يهدأ ولم يغفل ، ولم يكل ، ولم يدع الظروف تغلبه ، حتى ثبت أركان الدولة وأخضع لنورها القاهر رقاب الشرك وجحافل الوثنية واعترف بها عتاة قريش وسادة الجزيرة ، وبدأت فتوحات الاسلام تتجه الى خارجها .

كانت الهجرة بداية ارساء الدولة والعامل الحاسم الأهم فى نشـأتها وقوتها وازدهارها وانتصارها .. ولقد وضع الرسول فى اعتبـاره قبل الهجرة هذا كله ، فعمل له ولم يضيع لحظة واحـدة ولا فرصـة واحـدة .

عمل ما وسعه العمل ، وجاهـد ما وسعه الجهاد حتى أقام دولتـه وأمته التى التهمت فى أحشائها فى زمن قياسى أكبر دولتين فى العالم آنذاك ، وصارت الامبراطـورية الاسلامية .

دكتو سعد عبد المقصود ظلام



المبادئ العامة فى التشريع الجنائى الإسلامى

المستشار حسن حسب الله

انتهينا من الكلام عن جرائم الحدود وجرائم القصاص وجرائم التعزير وتتكلم فى هذا العدد عن المبادىء العامة فى التشريع الجنائى الاسلامى والتى يجب مراعاتها فى جميع الجرائم الى جانب الشروط الخاصة بكل جريمة على حدة .

المبدأ الأول يتعلق بمسئولية الجانى ، فالجانى لا يعد مسئولا عن الجريمة التى يرتكبها الا اذا توافر فيه القصد الجنائى بأن يقصد الفعل والنتيجة المترتبة عليه سواء كانت هذه النتيجة أثرا مباشرا للفعل أو أثرا غير مباشر له فيستوى القتل بالضرب مباشرة بآلة تستخدم فى هذا الغرض والقتل بالحبس فى مكان ما ومنع الطعام والشراب عن المجنى عليه حتى يموت جوعا أو عطشا فهنا لم يكن القتل نتيجة مباشرة للحبس .

وبهذا أخذ المالكية والحنابلة لأن السببية متحققة والقصد الى القتل ثابت بالقصد الى الفعل الذى ترتب عليه الموت . وخالفهم فى ذلك الامام أبو حنيفة لأن المباشرة لم تتحقق عنده فى الحالة الأخيرة ونرى الأخذ برأى المالكية والحنابلة لأن العبرة هى السببية والعدوان والقصد فمتى تحققت كل هذه الأمور وجب العقاب على الجريمة المرتكبة .

كذلك يشترط فى الجانى ليكون مسئولا عن جريمته أن يكون من أهل التكليف بأن يكون بالغا عاقلا فلا عقاب على الصغير والمجنون .

وأختلف الفقهاء فيمن يرتكب جريمته تحت ضغط الاكراه فذهب أبو حنيفة الى أن العقوبة على من أكره لا على من باشر فاذا أكره شخص شخصا آخر على قتل ثالث فلا يقتص الا ممن أكره وليس من القاتل الذى باشر القتل تحت ضغط الاكراه لينجو بنفسه والذى فقد اختياره وأصبح كالآلة فى يد من أكرهه وذهب المالكية والحنابلة الى أنه يجب قتلهما جميعا لأنهما شريكان هذا بالأمر وذلك بالفعل وأن كليهما قصد القتل وكليهما معتد بفعله يستحق العقاب، وقد أخذ بذلك أيضا الشافعى ونرى الأخذ بهذا الرأى لأنه أردع وأحفظ لحق الحياة وصيانة المجتمع . هذا اذا كان موضوع الاكراه أمورا لا تباح اطلاقا لأى سبب من الأسباب أما اذا كان موضوع الاكراه أمورا تباح عند الضرورة بنص الشارع أو بالمقررات الثابتة من مجموع الأحكام الشرعية، ومن ذلك أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وشرب الخمر فلا جريمة ولا عقوبة فى حالة الاكراه على تناول شىء منها .

كذلك لا عقاب على من ارتكب جريمته وهو فى حالة دفاع عن نفسه أو ماله أو عرضه متى كان لا يستطيع وقف العدوان عليه الا بارتكابه ما ارتكب . والدفاع عن النفس لا يسقط العقوبة فقط بل يسقط الجريمة أيضا ويصبح الفعل واجبا بعد أن كان منهيا عنه لقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون نفسه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد » .

والمبدأ الثانى هو درء الحدود بالشبهات .

وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : « ادرءوا الحدود بالشبهات فان كان له مخرج فخلوا سبيله فان الامام ان يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » . والشبهة هى الحال التى يكون عليها مرتكب احدى جرائم الحدود ويكون معها المرتكب معذورا فى ارتكابها عذرا يسقط الحد عنه وتستبدل عقوبة

الحد بعقاب أخف يحدده الحاكم حسب ما ورد فى جرائم التعزير ٠

والشبهة قد تكون فى تحريم الفعل كالزواج بدون شهود فقد ذهب الامام مالك الى أن الشهود ليسوا بشرط لانشاء العقد وأن الاعلان وحده كاف لانشاء الزواج وأدلته فى ذلك تنتهى الى الشك فى تحريم الوطء فى مثل هذا الزواج وبالتالى لا يمكن القطع بأن مثل هذا الوطء يعتبر زنا يقام فيه حد الجلد أو الرجم ٠

قد قرر الفقهاء ان كل فعل يختلف فيه الفقهاء حلا وتحريما فان الاختلاف يكون شبهة تمنع اقامة الحد ٠

وقد تكون الشبهة فى الاثبات فقد أجمع الأئمة الأربعة وغيرهم على أنه يجب أن تكون عبارات الشاهد الذى يتقدم لاثبات جريمة من جرائم الحدود صريحة فى الدلالة على الجريمة وأن يذكر الشهود مكان الجريمة ووقتها فان أختلفوا فى ذلك سقطت الشهادة وسقط الحد لأنه يجب أن تكون الأدلة قاطعة فى الاثبات ٠

والمبدأ الثالث يتعلق بتكرار الجرائم وتعدد العقوبات وقد أجمع الفقهاء على أنه اذا تكرر ارتكاب الجانى لحد من الحدود قبل رفع الأمر الى القضاء فانه لا يقام عليه الا حد واحد فمن تكرر منه الزنى لا يعاقب الا باقامة حد واحد عليه من حدود الزنى ومن تكرر منه شرب الخمر لا يقام عليه الا حد واحد من حدود شرب الخمر ، وهكذا بالنسبة للحدود التى لا يتعلق بها حق للعباد وكانت من جنس واحد ، أما الحدود التى يتعلق بها حق للعباد كالسرقة والقذف فقد أنقسم بشأنها الفقهاء الى فريقين فريق يرى تكرار اقامة الحد بتكرار الجريمة فمن سرق من عدة أشخاص أو قذف عدة أشخاص فانه يقطع أو يجلد لكل حد ارتكبه الجانى وذلك لتعدد المجنى عليهم ولأن كل واحد منهم له دعوى خاصة به لا تدخل فى دعوى غيره ولأن الوقائع مختلفة ومادام الأمر كذلك وقد تعددت

الدعاوى وتعدد من تعلقت بالسرقة أو القذف حقوقهم فان الحد يتعدد وان كان من جنس واحد فمن تكررت منه السرقة يتكرر اقامة حد السرقة عليه ومن تكرر منه القذف يتكرر اقامة حد القذف عليه بعدد من قذفهم وعلى هذا الرأى بعض المالكية وبعض الشافعية وبعض الحنابلة .

أما الفريق الثانى من الفقهاء فيرى اقامة حد واحد فقط رغم تعدد الدعاوى لأن الحد يقصد به الردع والزجر ، وذلك يتحقق باقامة حد واحد وعلى هذا الرأى أكثر الشافعية والحنفية والمالكية . ونرى الأخذ بالرأى القائل بتعدد الحدود بقدر تعدد ارتكابها لأن كل حد جريمة مستقلة بذاتها لا يسقط العقاب عليها متى رفعت الدعوى بشأنها حتى يتحقق الردع والزجر وعدم العودة الى ارتكاب الحد متى عرف الجانى أن عقابه سيتكرر بعدد ما ارتكب من جرائم وأنه لن يفلت من العقاب عن أية جريمة يرتكبها .

كذلك أختلف الفقهاء فى حالة ارتكاب عدة جرائم عقوباتها مختلفة كمن شرب الخمر وزنا وسرق هل تقام عليه كل هذه الحدود أم يكتفى باقامة أشد حد منها فذهب البعض الى أنه متى كان القتل أحد هذه العقوبات كحد الزنا للمحصن فانه يكتفى به ويسقط ما دونه من الحديد أما اذا لم يكن فيها قتل فان كل حد يقام فيجلد للزنا مائة ولشرب الخمر ثمانين وتقطع يده للسرقة وعلى هذا الرأى الحنفية والمالكية والحنابلة أما الشافعى فقد ذهب الى ضرورة استيفاء جميع الحدود سواء كان القتل من بينها أم لم يكن وبالنسبة لجرائم القصاص فتستوفى كلها مهما تعددت ، ويبدأ بأخفها حتى تستوفى كلها وهذا قول الأوزاعى والشافعى ومالك أما أبو حنيفة فقد ذهب الى أن القتل يجب ما دونه فيدخل فيه قياسا على الحدود الخالصة لله . ونرى الأخذ برأى مالك والشافعى القاضى بأن عقوبات القصاص لا تتداخل فلا تجب

العقوبة الكبرى ، العقوبة الصغرى، وذلك لتحقيق مبدأ المساواة بين الجريمة والعقوبة وهو سأساس القصاص •

وتذهب القوانين الوضعية الى تشديد العقاب فى حالة عودة الجانى الى ارتكاب جناية مماثلة لما سبق أن أرتكبه وعوقب عليه ولكن طبقا لأحكام التشريع الجنائى الاسلامى فانه يفرق بين جرائم الحدود وجرائم القصاص وجرائم التعزير فبالنسبة لجرائم الحدود وجرائم القصاص فان عقوباتها مقدرة بالكتاب والسنة ولا يجوز الزيادة عليها أو النقصان منها لأى سبب من الأسباب فهى لا تزيد بالتكرار والعود ولا تنقص لأى ظرف خاص بالجانى • أما جرائم التعزير فيجوز التعديل فى العقاب المقدر لها سواء بالزيادة بسبب العود أو بالنقص لأى ظرف خاص يقتضى الرأفة بالجانى لأن جرائم التعزير يقدر عقوباتها الحاكم أو القاضى بما يتناسب مع الجرم المرتكب والصالح العام والتعديل فيها لا يعتبر تعديا على الكتاب والسنة •

والمبدأ الرابع يتعلق بالاشتراك فى الجريمة •

الجريمة كما تقع من فرد واحد على فرد آخر أو جماعة فانها قد تقع أيضا من جماعة على فرد واحد فقد يشترك عدة أفراد فى قتل فرد واحد ولا يشترط أن يشتركوا فى نفس الفعل المؤدى للقتل بل يعد مشتركا من يقتصر دوره على مراقبة الطريق فالاشتراك فى الجريمة تتعدد صوره وأشكاله وكيفما كان شكل الاشتراك فان الجريمة التى تقع من مجموعة مثل الجريمة التى تقع من واحد فقط من ناحية العقوبة فيعاقب كل مشترك مهما كان دوره كما لو كان هو وحده الذى ارتكب نفس الفعل المؤدى للقتل وبهذا أفتى الصحابة وجمهور الفقهاء فقتل عمر بن الخطاب جماعة من سبعة أشخاص اشتركت فى قتل واحد فقط باليمن وشدد فى ذلك وقال رضى الله عنه « لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به » •

كمـا قتـل على بن أبى طالب الجماعة بالواحـد أيضا . وذهب أبو حنيفة الى قصر القصاص على من يشترك فى الفعل المباشر للقتل أما من كان دوره دون ذلك فـلا يقتص منـه ، وانما يعاقب تعزيراً وذلك تطبيقا لنظره فى أن القتـل الموجب للقصاص هو القتل العمد المباشر فقط ـ كما ذهب الشافعى واحمد الى أن القصـاص على من قتل فقط دون من أمر ومن ساعد فـلا يعتبران شريكين الا اذا كان المأمور بالقتـل صبيا أو مجنـونا فيكون القصاص على الآمر فى هذه الحالة بينما يرى أبو حنيفة أنه حتى فى هذه الحالة لا قصاص على الآمر

ونرى أن الأولى بالاتباع هـو ما أخذ به عمر بن الخطاب رضى الله عنـه فيكفى الاشتراك بأية صورة وأى شكل حتى ولو كان الأمـر بارتكاب الجريمة وقـد كان دور بعض من اشترك فى قتل قتيل اليمن هو مجرد منع اغاثة المغيثين وهـو ما يعبر عنه فى الاصطلاح الشرعى بالربيئة وقتلهم عمر جميعا وبهـذا الرأى أخذ الأمام مالك .

كذلك ذهب الأمام أبو حنيفـة رغم تضييقه لمعنى الاشتراك الى أنه متى كان بين الجناة من لا يمكن أن يقتص منـــه بأن كان صـبيا أو مجنونا مثلا فان باقى الشركاء يستفيدون مـن هـــذا الظـرف ولا يقتص من أحدهم لأن الجريمة مشتركة وقعت من الجميع وبفعلهم مجتمعـين وخالفــه فى ذلك الامام مالك لأن كلا من الجنـاة يشترك بمقتضى ما تتحقق به مسئوليته فاذا كان احدهما قاصرا والآخر بالغـا فان القصـاص يكون من البـالغ ولا يكون من القاصر ولا نظر الى كون فعل الشريك موضع مؤاخذة أو ليس موضع مؤاخذة وعلى هذا الرأى أحـد قولى الشافعى وهـو أيضـا رواية عن أحمـد رضى الله عنهما ونرى أن مذهب مالك هو الأولى بالاتباع فهـو أحزم الآراء وأحفظها للحياة لأنه اذا قيل بعدم وجوب القصاص عنـد الاشتراك أو عند عدم وجـوبه على أحـد الشـركاء لا نسد باب القصـاص وفتح باب الفساد باستعانة القاتل

بغيره وهذا ما دفع الصحابة للفتيا بقتل الجماعة بالواحد .

هذا كله اذا كان الاشتراك فى الاعتداء على النفس بالقتل أما اذا كان الاعتداء دون ذلك ، وكانت العقوبة فيه القصاص فقد أنقسم الفقهاء الى فريقين فالاحناف يرون أن الاشتراك فى جرائم القصاص فيما دون القتل لا يوجب القصاص من كل واحد من الشركاء ويستندون فى ذلك الى أن القصاص فى الأطراف يوجب التساوى فلا يقطع باليد الواحدة يدان ولا يقطع بالرجل الواحدة رجلان وان قتل الجماعة بالواحد ثبت بالاجماع وليس بالقياس لأن موجب القياس كان يوجب ألا يقتل بالواحد الا واحد وما جاء على خلاف القياس يقتصر فيه على مورد النص ولا يتجاوزه الى غيره وبذلك فلا يقاس قطع الاطراف على ما أنعقد عليه الاجماع بقتل الجماعة بالواحد فى حال القتل وبذلك فلا قصاص فى حالة الاشتراك فى الاعتداء على ما دون النفس لعدم امكان التساوى حيث ستقطع أكثر من يد وأكثر من رجل فى سبيل يد واحدة أو رجل واحدة .

أما الفريق الثانى فيرى أنه لا فرق بين الاشتراك فى جرائم القصاص فيمادون النفس والاشتراك فى جرائم القصاص فى النفس القصاص فيما دون النفس أى القتل ويستند هذا الفريق الى أنه روى عن على بن أبى طالب ما يدل على جواز قطع يدين فى يد واحدة وأنه اذا كان قد ثبت بالاجماع أن القصاص يتعدى الى كل الشركاء فى حال قتل الجماعة بالواحد فالأولى أن يكون متعديا أيضا بالنسبة الى قطع عضو من الأعضاء لأنه اذا كان قتل الجماعة بالواحد جائزا فالأولى قطع الجماعة بالواحد لأن النفس يجب الاحتياط لها أكثر من الاحتياط للأطراف وعلى هذا الرأى الأئمة الثلاثة مالك والشافعى وأحمد ونرى أن هذا الرأى هو الأولى بالاتباع فيقتص من الشركاء جميعا فى كل الجراح .

أما فى جرائم التعزير فان عقوباتها متروك تقديرها اما للحاكم

أو للقاضي ولكل منهما الحق في التفرقة بين عقوبة الفاعل الأصلى والشريك حسب دوره وحسب خطورته وحسب درجة الزجر والردع المطلوب تحققها وبذلك يمكن التفرقة بين عقوبة من يفرض بالربا وبين من يتوسط في عملية الاقراض كما يمكن التفرقة بين عقوبة من يصنع الخمور ومن يتجر فيها وذلك حسب ما يمليه صالح الجماعة .

والمبدأ الخامس يتعلق بعمومية العقاب .

وعمومية العقاب تتناول ناحيتين الأولى العمومية بالنسبة للأشخاص والثانية العمومية بالنسبة للمكان .

فمن ناحية الأشخاص فان كل الناس أمام التشريع العقابى الاسلامى سواء لا فرق بين كبير وصغير ولا حاكم ولا محكوم فالعقوبات الاسلامية تنفذ على الحكام أيضا ولو كان الحاكم هو الامام الأعظم المسئول عن حكم جميع المسلمين وعلى هذا الرأى جمهور الفقهاء وخالفهم فى ذلك الامام أبو حنيفة استنادا الى أن القاضى الذى يحكم بالعقوبة انما يستمد سلطانه من الامام الأعظم وهذا السلطان مقصور على اقامته بين الناس والامام الأعظم ليس داخلا فى عموم الناس هذا الى جانب أنه على فرض امكان القضاء بالعقاب على الامام الأعظم فان التنفيذ متعذر وقد رد جمهور الفقهاء على ذلك بأن القاضى فى حكمه انما ينفذ حكم الله تعالى لا حكم الامام الاعظم وهذا الحكم يخضع له الامام الأعظم وغيره وأن القاضى ليس نائبا عن ولى الأمر بل منفذا لأحكام الله تعالى قاض بها وهو لا ينعزل بموت الامام الأعظم أو تغييره وأن سلطان القاضى مستقل عن سلطان ولى الأمر وان ما تصوره الاحناف من مانع من التنفيذ لا يجعل التنفيذ مستحيلا بل هو ممكن دائما ما دامت الأمة تحترم دينها وتنفذ الأحكام الشرعية وتخضع لأوامر الله تعالى ونواهيه ففى هذه الأحوال لن يفكر الامام فى الخروج عن الأحكام الشرعية أو اقتراف المعاصى لخشية من ثورة

الأمة عليه وتمكنها منه وعدم افلاته من العقاب ، فجرائم الحكام لم يخلع عليها الاسلام صفة الاعفاء ولم يخلع عليهم صفة التنزيه عن الاجرام كما تذهب الى ذلك القوانين الوضعية فتنص على أن ذات الحاكم مصونة لا تمس أو أنها مقدسة كذلك لا يملك الحاكم فى الاسلام حق العفو سواء كان العفو عن الجريمة وهو ما يسمى بالعفو الشامل أو العفو عن العقوبة بعد الحكم بها وذلك على عكس ما تفرض جميع الدساتير فى القوانين الوضعية والتى تجعل دائما لرئيس الدولة حق العفو وهذا اخلال خطير بمبدأ المساواة التى تدعيها كل هذه الدساتير .

ويخضع لجميع العقوبات جميع الأشخاص المقيمين بالديار الاسلامية سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين وبهذا أخذ جمهور الفقهاء وخالفهم فى ذلك الامام أبو حنيفة وأصحابه اذ يرون اعفاء غير المسلمين من العقوبات المتعلقة بشرب الخمر وأكل الخنزير والزواج من المحرمات متى كان دينهم يبيح لهم ذلك حتى لا يكون هناك تدخل فى حريتهم الدينية ونرى أن رأى الجمهور هو الأولى بالاتباع لأن المقصود من تحديد الجرائم والعقوبات هو تحقيق الصالح العام ومنع الفساد فى كل ربوع الدولة ولا يمكن أن يتحقق ذلك بالسماح لطائفة من المقيمين بها بشرب الخمر وغيره من المحرمات لأن أثر ذلك لن يتوقف عند غير المسلم بل قد يتعداه الى المسلم سواء بطريق مباشر أو غير مباشر وأن ترك غير المسلم يشرب الخمر ويفتح الحانات لشربها فيه اغراء لضعاف النفوس من المسلمين بشربها ولذلك يجب تعميم العقاب على المسلم وغير المسلم لدفع الفساد عن الجماعة الاسلامية ولأن النصوص الموجبة للعقاب نصوص عامة لا تخصيص فيها تبعا لجنس أو دين أو وظيفة ولذلك فانه لا اعفاء من العقاب فى التشريع الاسلامى للممثلين السياسيين أو رؤساء الدول الزائرين أو القوات الأجنبية التى تستضيفها الدولة الاسلامية أو تسمح لها

بالمرور عبر أراضيها للوصول الى مكان آخر فمتى ارتكب أحد هؤلاء أية جريمة فانه يحاكم عليها وينفذ فيه العقاب ولا يترك لدولته ان شاءت حاكمته وان شاءت تغاضت عن فعله أو برأته استنادا الى أن ما ارتكبه لا يشكل جريمة معاقبا عليها فى قوانينها .

واذا ارتكب أحد المسلمين جريمة من الجرائم المعاقب عليها فى التشريع الاسلامى خارج البلاد الاسلامية ثم عاد بعد ذلك الى الديار الاسلامية فانه يحاكم عنها وينفذ فيه عقابها ويسرى نفس الحكم أيضا على غير المسلمين المنتمين الى الدولة الاسلامية وعلى هذا الرأى جمهور الفقهاء وخالفهم فى ذلك الامام أبو حنيفة وأصحابه بقوله أنه لا عقوبة على مسلم أو ذمى يرتكب جريمة فى دار الحرب .

واستند أبو حنيفة فى ذلك الى أن العقاب جزاء فعلى يقع على مرتكب الجريمة وقت ارتكابها ، وفى هذه الحال فلا توجد ولاية اسلامية فعلية لتقوم باجراء المحاكمة وتنفيذ العقوبة ساعة ارتكاب الجريمة فاذا وقع الفعل فى دار الحرب فقد وقع غير معاقب عليه لعدم وجود من يملك العقاب ساعة الارتكاب .

ونرى أن رأى الجمهور هو الأولى بالاتباع دفعا للفساد لأن الاسلام يخاطب بتحريم هذه الأفعال فى كل مكان وليس فى الديار الاسلامية فقط ولا يصح أن يكون المسلم أو من ينتمى الى الديار الاسلامية مفسدا فى أى أرض .

ومن ذلك تبين أن عمومية العقاب تشمل المكان والأشخاص فيخضع للتشريع العقابى الاسلامى كل من يقيم فى الديار الاسلامية من مسلمين وغير مسلمين وكل من ينتمى الى الديار الاسلامية من مسلمين وغير المسلمين متى ارتكبوا جريمة معاقبا عليها فى التشريع الاسلامى فى غير الديار الاسلامية .

والمبدأ السادس يتعلق بتنفيذ العقوبة .

ان وظيفة العقوبة فى التشريع الاسلامى ليست مجرد وظيفة جزائية أو انتقامية من الجانى فحسب بل ان لها وظيفة وقائية أيضا تتحقق بما يحدثه تنفيذها من الزجر العام ولذلك حرص التشريع الاسلامى على أن تكون المحاكمة سريعة فور ارتكاب الجريمة وأن تكون متصلة حتى صدور الحكم وأن لا يتراخى تنفيذ الحكم بعد صدوره وأن يتم تنفيذه بصورة علنية فيشهد التنفيذ جمع من المسلمين ولذلك ينفذ العقاب عقب صلاة الجمعة وأمام المسجد الجامع فى المدينة التى ارتكبت فيها الجريمة حتى يتحقق الردع والزجر لكل من تحدثه نفسه بارتكاب احدى الجرائم فيعدل عنها .
والأصل فى العقوبات الاسلامية أنها عقوبات غير مستمرة فالعقوبة فى التشريع الاسلامى هى أذى يلحق بالجانى ولا يستمر معه أمدا طويلا وهى تتراوح بين الجلد والقتل والرجم فعقوبة الحبس ليست من العقوبات المقدرة فى الكتاب والسنة وان كان يجوز فرضها فى عقوبات التعزير الا أنه يجب التضييق منها الى أقصى درجة ممكنة ذلك أن العقوبات البدنية هى أقوى فى الردع وأكثر صيانة للمجتمع ولا يتحقق ذلك فى عقوبة الحبس فقد يكون المكان الذى يحبس فيه الجانى أكثر راحة له من الأماكن التى يعيش فيها وهو طليق الى جانب ما قد يتعلمه فى السجن من فنون الجريمة على يد زملائه من نزلاء السجون ثم ما هو مصير من يعولهم خلال فترة سجنه ان طالت ومن يتكفل بالانفاق عليهم لو لم يكن لهم مورد رزق يعيشون عليه وكأننا بسجن فرد واحد حولنا عائلة بأكملها الى مجموعة من المنحرفين والمجرمين الجدد .

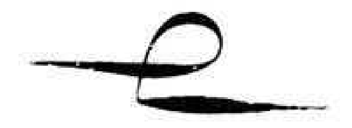
بينما أنه لو عوقب بالجلد ثم انصرف الى منزله بعد عقابه واستراح به الى الوقت الذى يسترد فيه صحته لكان فى ذلك رادعا له فلا يعود الى ارتكاب الجريمة وحفظا لأسرته من الضياع والتشريد وحفظا للقوة الانتاجية فى الدولة بعدم تعطيل أحد أدواتها نتيجة حبسه . كذلك فان الحياة فى

السجن يشوبها التمييز بين فقراء المجرمين وأغنيائهم الى جانب ما تتكلفه الدولة من نفقات لحراسة هؤلاء المجرمين واقامتهم واطعامهم وعلاجهم وكأن المجتمع لا يكفيه ما قاساه منهم وانما هو مطالب بالاتفاق عليهم أيضا .

وقد ثبت بالتجارب العملية فى جميع الأمم أن العقاب بالحبس مهما طال لم ينجح فى الاقلال من عدد الجرائم والمثل الواقع على ذلك جريمة الاتجار فى المواد المخدرة فقد شددت جميع دول العالم عقوبة السجن فيها فأوصلتها الى عشرات السنين ومع ذلك زادت نسبة الاتجار فى المخدرات وامتدت الى كافة الدول .

ولهذا كان حرص التشريع الاسلامى فى عدم الأخذ بعقوبة السجن كعقاب فى جرائم الحدود والقصاص وهو ما يجب أن يراعى أيضا فى العقوبات التى تتقرر لجرائم التعزير . وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن التشريع الجنائى الاسلامى ونبدأ بعد ذلك انشاء الله بالكلام عن التشريع الجنائى فى القانون الانجليزى .

المستشار ـ حسن حسب الله



الأزهر جامعًا وجامعة
أو مصر في ألف عام

للأستاذ محمد كمال السيد

— ١١ —

ذكرت فى المقال السابق أن محمد على — بعد أن أستقرت له الأمور فى الداخل — بنفى السيد عمر مكرم الى دمياط سنة ١٨٠٩ ، وايجاد الفرقة بين العلماء ، ومذبحة المماليك فى القلعة سنة ١٨١١م — لم يعد فى حاجة الى تعضيد العلماء .. فانطلق فى تنفيذ مشروعاته واصلاحاته . وأن من ضمن هذه الأصلاحات نشر التعليم فى مصر على الطريقة الحديثة .

فبدأ بارسال البعثات الى أوربا فأرسل ٢٨ طالبا فى المدة من سنة ١٨١٣ — سنة ١٨٢٥ . وأرسل ٢٩١ طالبا فى المدة من ١٨٢٦ — ١٨٤٨م . وكان الكثيرون فى هذه البعثات من طلبة الأزهر .

ويضيق المقام عن الترجمة لجميعهم . ولكن نترجم لأربعة منهم على سبيل المثال لريادة الأزهر فى هذه النهضة العلمية فى شتى المجالات . وهم :

١ — رفاعة رافع الطهطاوى .

٢ — الدكتور أحمد حسن الرشيدى

٣ — الدكتور حسين غانم الرشيدى .

٤ — الدكتور محمد الشافعى

رفاعة بك رافع الطهطاوى

كان مولده سنة ١٨٠١م (١٢١٦هـ) بطهطا من مديرية جرجا (محافظة سوهاج) بالصعيد — وينطق العامة وبعض العلماء اسم

طهطا بالحاء بدلا من الهاء — من بيت شريف يتصل نسبه بالأمام الحسين بن على رضى الله عنهما . كما أن أخواله يصلون بنسبهم الى قبيلة الخزرج أنصار الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة .

وتلقى دروسه فى صباه على شيوخ مساجد طهطا وفيهم علماء جليلون ذكرهم على مبارك فى خططه (ج ١٣ ، ص ٥٣) . ثم قدم القاهرة والتحق بالأزهر . فتتلمذ على شيوخه المعروفين وقتذاك مثل الشيخ حسن العطار والشيخ حسن القويسنى والشيخ ابراهيم البيجورى . وكلهم تولوا مشيخة الأزهر . وعلى غيرهم من كبار العلماء . ثم درس بالأزهر ما يقرب من السنتين .

وعين واعظا فى الجيش المصرى سنة ١٨٢٤ . ورشحه أستاذه الشيخ حسن العطار واعظا لطلبة البعثة التى أرسلت الى فرنسا سنة ١٨٢٦ . وهناك تعلم الفرنسية وترجم عدة كتب منها كتاب أسماه (قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر —
Depping, Moeuro
(et Usages des Nations) .

وعاصر ثورة سنة ١٨٣٠ فى فرنسا . واطلع على دستورها وترجمه الى العربية فى أشهر كتبه (تخليص الأبريز فى تلخيص باريز (باريس) الذى ترجم فيما بعد الى التركية ، واجتهد فى ترجمة المصطلحات الدستورية . وتناول فصل السلطات العامة فى الدولة . والسلطة التشريعية ومداها . والحقوق المدنية للأفراد . والمساواة بين المواطنين فى الحقوق والواجبات . والحريات العامة من حرية الدين والتملك والحرية السياسية . وكان فيما يكتب يلخص ما قرأه وما فهمه من الدستور الفرنسى والمراجع الفرنسية عن نظم الحكم عند الغربيين . فلم يكن يستطيع أن يطالب بهذا فى مصر وهو الموظف فى الدولة . ولكنه كان المعلم والرائد . فقد وضع البذرة . وسقاها تلاميذه حتى أينعت . وكان تقدميا فى تفكيره . فتكلم عن الموسيقى والغناء وأثرهما

فى تهذيب النفوس . وتكلم عن حرية المرأة وتعليم البنات . وغير ذلك من الأفكار الجديدة بالنسبة لعصره .

وعاد من فرنسا سنة ١٨٣١ ، فعين مترجما بمدرسة الطب بأبى زعبل . ثم بمدرسة المدفعية بطرا . وترجم كتاب (مبادىء الهندسة) وكتاب (المعادن النافعة للمعلم فيرارد) وكتاب (التعريبات الشافية لمريد الجغرافية لملط يرون) وغيرها .

وتزوج بعد عودته من فرنسا بأبنة الشيخ حسن العطار . ومنها أولاده . والشيخ حسن تولى مشيخة الأزهر من ١٨٣٠—١٨٣٤م

وفى سنة ١٨٣٥ نقل رفاعة رافع ناظرا لمكتبة المدرسة التجهيزية بقصر العينى . ثم ناظرا لمدرسة الألسن التى أنشأها فى نفس السنة فأشرف عليها وعلى المدارس المجاورة لها وهى : مدرسة فقه الشريعة الأسلامية . ومدرسة المحاسبة . ومدرسة الادارة الأفرنجية . والمدرسة التجهيزية .

وكان مقر مدرسة الألسن فى بيت الدفتردار محل فندق شبرد بشارع ابراهيم باشا (الجمهورية) شمال شارع الألفى . واحترق هذا الفندق فى حريق القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٢ . ونقل الفندق بعد ذلك الى مقره الحالى على النيل بجاردن سيتى .

وفى سنة ١٨٤١ أشرف على تحرير القسم العربى بالوقائع الرسمية . وجريدة الوقائع الرسمية أنشئت سنة ١٨٢٨م (١٢٤٤هـ) . وكانت الصحيفة نصفين ، النصف الأيمن تركى . والأيسر عربى . وفى سنة ١٨٤٦م (١٢٦٢هـ) ، بدأ اصدار الوقائع من نسختين . احداهما عربية والثانية تركية . وكل نسخة منهما قائمة بذاتها . وقال أمين باشا سامى فى تقويم النيل (ج ٢ ص ٥٤٤) أن أقدم الأعداد العربية الموجودة — بوضعها الأخير — هو العدد ٦٨ الصادر فى ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٦٣هـ

وفى نوفمبر سنة ١٨٤٨ تولى الحكم عباس حلمى الأول ابن طوسون بن محمد على بعد وفاة

عمه ابراهيم باشا . بحكم أنه أكبر أفراد أسرة محمد على سنا . كما كان متبعا وقتذاك .

وكان حكم عباس الأول نكبة على البلاد وتضييعا لما بذله جده محمد على من القيام بمرافقها . وكانت النكبة الكبرى على شئون التعليم . فقد ألغى جميع المدارس وحصرها فى مدرسة واحدة لها ناظر واحد وتجمع جميع المدارس .. وبلغت نفقات التعليم فى آخر عهده (٥٠٠٠) خمسة آلاف جنيه، بعد أن كانت فى آخر عهد محمد على ٨٨٠٠٠ ثمانية وثمانين ألفا من الجنيهات . وكانت حجته فى ذلك أن تعليم الشعب مضر بالحاكم ، وأن من يتوسم فيهم الصلاح والنبوغ سحرة ويجب التخلص منهم .

فألغى فى سنة ١٨٥٠ مدرسة الألسن ونقل ناظرها رفاعة رافع ليكون ناظرا على مدرسة الخرطوم الابتدائية . وهو فى الواقع نفى . ونقل معه الكثيرين من كبار مدرسى مدرسة المهندسخانة ليكونوا مدرسين بتلك المدرسة الابتدائية .

وظل رفاعة رافع فى منفاه حتى قتل عباس الأول سنة ١٨٥٤ وتولى مكانه عمه سعيد باشا . فأعاده ومن معه من مدرسى المهندسخانة الى القاهرة . ثم عينه وكيلا ثم ناظرا للمدرسة الحربية سنة ١٨٥٦ فأدخل الى تلك المدرسة الى جانب العلوم العسكرية علوم اللغة والآداب والرياضيات وأنشأ بها قسما للترجمة .

وفى يناير سنة ١٨٦٣ تولى الخديو اسماعيل بن ابراهيم باشا بعد وفاة عمه سعيد باشا . فعين رفاعة رافع ناظرا لقلم الترجمة .

فترجم القانون المدنى الفرنسى والقانون التجارى الفرنسى . وألف وترجم عدة كتب دراسية منها (أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل) وهو أول كتاب علمى فى تاريخ مصر القديم اعتمد فيه على نتائج الأبحاث التاريخية والأثرية حتى عصره . (التحفة المكتبية لتقريب

اللغة العربية) فى النحو على طريقة جديدة غير طريقة المتون والشروح القديمة . (القول السديد فى الاجتهاد والتقييد) . (مباهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية) فى التثقيف السياسى والاجتماعى والاقتصادى . (المرشد الأمين للبنات والبنين) فى التربية الحديثة . (نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز) فى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام . وغيرها .

وأنشأ اسماعيل فى سنة ١٨٧٠ مجلة أدبية اسمها (روضة المدارس) . وعهد على باشا مبارك — وكان ناظرا للمعارف — بنظارتها الى رفاعة رافع . وتولى ابنه على فهمى رافع رئاسة تحريرها . وساهم فى تحريرها الكثيرون من أعلام مصر وقتذاك مثل عبد الله باشا فكرى واسماعيل باشا الفلكى ومحمد باشا قدرى . وغيرهم .

وكان محل رضى من جميع الحاكمين الذين عاصرهم . وتوالت انعاماتهم عليه : ٢٥٠ فدانا من محمد على ٢٠٠ فدان من سعيد ، ٢٠٠ فدان من اسماعيل . فضلا عن ٣٦ فدانا حديقة نادرة المثال بجهة الخانكة من ابراهيم باشا .

واشترى هو ٩٠٠ فدان فكأنه ترك أكثر من ١٦٠٠ فدان . وقد زاد أولاده من بعده هذه الثروة حتى بلغت ٢٥٠٠ فدان (على مبارك ج ١٣ ص ٥٥) . رفاعة الطهطاوى للدكتور حسين فوزى النجار ، أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى للاستاذ محمد فهمى حجازى . بحث فى العدد الاول من المجلد الرابع من مجلة عالم الفكر الكويتية فى ابريل — يونية سنة ١٩٧٣) .

ويعد رفاعة رافع الطهطاوى بحق رائد النهضة الفكرية الحديثة فى مصر ، تخرج على يديه الكثيرون من قادتها وروادها .

وتوفى الى رحمة الله سنة ١٨٧٣ .. وخلدت بلدية القاهرة اسمه بأطلاقه على أحد شوارع مصر الجديدة .

ومن أشهر تلاميذه الدكتــور سالم باشا سالم عاد من بعثته الى ألمانيا سنة ١٨٥٤ (١٢٧١هـ) . وتولى عدة وظـائف منهـا مدير الصحة العمومية ، وكان فى آخـر عهـده الطبيب الخـاص للخـديو توفيق . وباسمه شـارع بجهـة العجوزة بالجيزة .

ونذكر أيضا من تلاميــذ رفاعة بك محمــد باشــا قدرى المشرع القــانونى مؤلف الكتب الثــلاثة المشهورة (مرشــد الحـيران الى معرفة أحوال الانسان على مذهب الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان) (العدل والانصاف للقضــاء على مشكلات الأوقاف) ، (الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية) . وجميعها طبعت بعد وفاته ، وكانت من المراجع الهـامة لـكافة رجال القانون . وتوفى سنة ١٨٨٦ بعد أن كف بصره . وباسمه شـارع يصـل بين شـارعى بورســعيد والصليبة بالقرب من ميدان السيدة زينب (أسـماء ومسـميات مـن تـاريخ وخطط القـاهرة لـكاتب المقــال) .

الدكتور محمد بك الشافعى

أصله من طلبة الأزهر . ثم درس بمدرسة الطب بأبى زعبــل . ثم أرسل فى بعثة الى فرنسا سنة ١٨٢٦ وعاد سنة ١٨٣٨ . فعين مدرسـا للأمراض الباطنية فى أبى زعبل . ثم مدرسـا للطب بقصر العينى . ثم ناظرا لها سنة ١٨٥٨ . وهو أول ناظر مصرى بها .

ومدرســة الطب فى أبى زعبــل أنشأها محمــد على سنة ١٨٢٧ ، ثم أغلقت فى عهــد عبــاس حلمى الأول ضمن ما أغلقه من المدارس . وفى عهد سعيد تقــرر فتح مدرسة للطب فى قصــــر العينى . الذى كان وقتذاك مستشفى تحت ادارة كلوت بك . وفتحت مدرسة الطب فى قصــــر العينى فى ســـبتمبر ســنة ١٨٥٦ وتولى نظارتهـــا كلوت بك مــع ادارة المستشفى . وفى سنة ١٨٥٨ تولى نظارتها محمد بك الشــافعى صـاحب الترجمــة (كلوت بك توفى سنة ١٨٦٨) .

وتوفى الدكتــور محمــد بك الشافعى ســنة ١٨٦٠ . وله مـــن

المؤلفات العلمية : (أحسن الأغراض فى تشخيص ومعالجة الأمراض) ، (السراج الوهاج فى التشخيص والعلاج) • وترجم عن الفرنسية (الدرر الفوال فى معالجة الأطفال لمؤلفه كلوت بك) •

وتوجد حارة صغيرة متفرعة من شارع عبد العزيز بالقرب من محلات عمر أفندى ، تصل بين شارع عبد العزيز وشارع الجمهورية وتمتد شمال مسرح الجمهورية ، اسمها حارة شافعى • حيث كان منزله هناك • وكان رحمه الله جديرا بمكان أكبر لتخليد ذكراه • أو على الأقل تذكره اللافتة باسم حارة الدكتور شافعى للتعريف والذكرى (المرجع السابق لكاتب المقال) •

الدكتور السيد احمد حسن الرشدى

أصله من طلبة الأزهر • ثم اشتغل مصححا للكتب الطبية بمدرسة أبى زعبل • وسافر الى أوربا فى بعثة سنة ١٨٣٢ • وعاد من فرنسا سنة ١٨٣٨ • فعين مدرسا للعلوم الطبيعية بمدرسة الطب بأبى زعبل الى أن عطلت • وتوفى سنة ١٨٦٥ • وله من المؤلفات العلمية (الروضة البهية فى الأمراض الجلدية) ، (بهجة الرؤساء فى أمراض النساء) ، (ضياء النيرين فى أمراض العين) •

ومن هذه الأسماء يبدو أن التخصص فى فروع الطب لم يكن معروفا •

الدكتور حسنى غانم الرشيدى

وهو أيضا من طلبة الأزهر • واشتغل مصححا بمدرسة طب أبى زعبل • وسافر الى فرنسا فى بعثة سنة ١٨٣٢ • وعاد لمصر سنة ١٨٤٥ • ومن مؤلفاته (الدر الثمين فى الأقربازين) •

وقد أسمت البلدية شارعا باسم شارع الرشيدى متفرعا من شارع قصر العينى أمام قصر العينى • ولا أدرى هل هو تخليد لذكرى الأول أو الثانى • وان كنت أرجح أنه للأول الدكتور أحمد حسن الرشيدى •

عودة الى الازهر

ذكرنا أن محمد على بعد نفى عمر مكرم سنة ١٨٠٩ ومذبحة المماليك سنة ١٨١١ استهان بشأن علماء الأزهر . فقد أمكنه تفريق وحدتهم . واغراء بعضهم على بعض بالمناصب . اذ شعر بالاستغناء عن تعضيدهم . فحرم عليهم الاشتغال بالسياسة الا ما يصرح هو به عندما يجمعهم للموافقة على أمر معين .

مثل ما جمعهم فى مارس سنة ١٨١٦ (جمادى الأولى سنة ١٢٣١هـ) عندما أراد الحد من تصرفات القاضى التركى الذى بالغ فى فرض الرسوم على التقاضى .. كما تدخل بالأهواء والأغراض فى محاسبة نظار الأوقاف . وقدر على نصارى الأقباط والأروام مبلغا كبيرا سنويا بحجة المحاسبة على أوقاف الديور والكنائس . وغير ذلك .

فاجتمع العلماء فى بيت الشيخ البكرى . وكما يقول الجبرتى (بأمر باطنى من صاحب الدولة) ، وكتبوا محضرا يطلبون فيه تدخل ولى الأمر ليوقف القاضى عند حده . والمقصود من ذكر هذه الواقعة أنهم لم يجتمعوا من أنفسهم ولكن بايعاز من محمد على .

وخفض محمد على مخصصات المساجد ومنها الأزهر . واختصر مزايا علمائه . فقد ذكر الجبرتى أنهم أحصوا الرزق الأحباسية المرصودة على المساجد والبر والصدقة بالصعيد ومصر فبلغت ستمائة ألف فدان . وأشاعوا أنهم يطلقون على المساجد خاصة نصف المفروض (وهذا النصف ثلاثة أريلة ونصف . وهو نصف قيمتها الايجارية) . فضج أصحاب الرزق . وحضر الكثيرون منهم يستغيثون بالعلماء . فركبوا الى الباشا وتكلموا معه وقالوا له ان هذا يترتب عليه خراب المساجد . فقال لهم : وأين المساجد العامرة ؟ الذى لا يرضى بذلك يرفع يده وأنا أعمر المساجد المتخربة . وأرتب لها ما يكفيها . ولم يفد كلامهم شيئا .

وفى يونية سنة ١٨٢١ (رمضان سنة ١٢٣٦هـ) صدر أمر محمد على الى دفتردار مصر أن جارى صرف مرتبات علماء الأزهر مقدارها (!!) ١١٥٨٥ أردبا من الحنطة قدر لها ثمن ٣٦٠٠٠ قرش . ولتضرر العلماء من الثمن استحسن أعتباره ٦٩٥١٠ قروش . أى متوسط ثمن الأردب على التقدير الأول أقل من ثلاثة قروش . وعلى التقدير الثانى ستة قروش للأردب.

ونفهم معنى هذا اذا علمنا أنه كان يستولى على القمح من الفلاحين بأقل من عشرة قروش ويبيعه للأنجليز تسليم الاسكندرية بمائة قرش . وأن سعره الجارى فى الداخل كان أكثر من ثلاثة أضعاف الثمن الذى قدره للعلماء .

وبرغم الاستبداد الذى كان فى طبيعة محمد على . فلا جدال أنه كان رجلا فذا . فقد أمكنه أن ينشىء حكومة مستقرة على أنقاض فوضى الولاة العثمانيين والمماليك . وأن يستقل بحكومته عن الدولة العثمانية استقلالا شبه تام . وأن ينشىء جيشا قويا من صميم الشعب المصرى حارب به وغزا وانتصر فى كل المعارك . وأن ينشىء الأسطول المصرى . وأرسل البعثات العلمية الى الخارج ليستغنى بأبناء مصر عن المستشارين الأجانب . وأنشأ الصناعات الحربية وكثيرا من الصناعات المدنية . ونمى الزراعة باستصلاح الأراضى وشق الترع واستجلاب البذور والأشجار لتحسين الأصناف الموجودة . أو لاستنبات أصناف جديدة . وغيرها من الاصلاحات معتمدا فى هذا كله على موارد وامكانات مصر . فلم تمتد يده الى القروض الأجنبية التى كانت سببا فى ضياع البلاد .

صحيح أن كل هذا كان لمصلحته الخاصة . فالتعليم والبعثات العلمية لتزويد الحكومة بالموظفين . وتحسين المرافق والخدمات لمصلحة الأنتاج . اذ قد أمم الصناعة والزراعة . واحتكر التجارة الداخلية والخارجية لحسابه .

وأكثر من فرض الضرائب المختلفة على كل نوع من مرافق العيش من مأكل وملبس ومسكن واتتقال .

ولكن دائما يختلط الأمر عند الحاكم المستبد بين المصلحتين العامة والخاصة . فهو الدولة . عظمتـه وثراؤه عظمة وثراء لها . والعكس .. ومـا دامت ميزانيـة الدولة سليمة وفى تقدم فلا تهمه الميزانية الشخصية للأفراد .

ومن السهل على حاكم قوى أن ينشىء حكومة قوية تفرض النظام وتحفظ الأمن . ولـكن الأصعب تربية شعب قوى واع بجانب هذه الحـكومة يراقبهـا ويمنعهـا من الانحراف .

ولو اتجه محمد على الى هـذا الاتجاه لبـكر بنضـوج الشعب المصرى عشرات السـنين . ولمـا تورط هو فى مطـامعه الشـخصية وحروبه الخارجيـة التى لم يستفد منها شيئا . والتى أدت الى نكسة البلاد فى أواخر حيـاته وتعطـل أغلب المصـانع التى أنشـأها . ولوقف الشعب حائلا ضد التدهور الذى حدث فى عهد حفيده عبـاس حلمى الأول من اغـلاق المدارس وقفل بقية المصانع . ولقاوم الشعب الأسراف الذى اتجه اليه اسماعيل مما أغرقها فى الديون وعرضـها للأفلاس الذى أدى لتدخل الدول الأجنبية . وبالتالى الى الاحتـلال الانجليزى .

وللاستطراد نوضح أن صـحة محمد على تدهورت فاعتزل الحكم سنة ١٨٤٨ . وتولى بعده ابنـه ابراهيم باشا ولكنـه توفى بعـد شـهور فى نفس السنة . فتـولى عباس حلمى الأول ابن طوسون بن محمد على حتى قتل سنة ١٨٥٤ . فتولى سعيد باشا بن محمـد على حتى توفى. وتولى بعده اسماعيل ابن ابراهيم باشا فى يناير سنة ١٨٦٣ حتى خلع سنة ١٨٧٩ . أما محمد على فقد توفى فى أغسطس سـنة ١٨٤٩ (١٢٦٥هـ) .

حقيقة أن محمد على فى أمر من أوامره لأحـد موظفيـه بالأقاليم بلغه عنه أنه يسىء معاملة الفلاحين . فأرسل اليه ينهاه ويقول اننى مدين

بالفضل لاثنين هما السلطان محمود والفلاح المصرى • وصحيح أيضا أنه أصدر أمرا فى سنة ١٨٤١ الى عموم المصانع (الفابريقات كما كانت تسمى) بصرف ٥٠٪ خمسين فى المائة من أرباح المنسوجات المختلفة للأسطوات حتى يترتب على ذلك التنافس فى الأبداع والاتقان (تقويم النيل لأمين باشا سامى ج ٢ ص ٥١٥ ولكنه ذكر فى الفهرست أن النسبة ٢٠٪ عشرون فى المائة) •

ولكن هذا وذاك لمصلحة الأنتاج • وليس بدافع انسانى • فأنا نجده فى أوامر أخرى يطلب التشديد على الفلاحين ولو بضرب النبوت • ولا يمكن أن ننسى الاعداد الوفيرة من العمال الذين كان يسخرهم للعمل فى شق الترع والمشروعات المختلفة بأبخس الأجور وفى أسوأ حالات الطقس • مما أدى الى وفاة الآلاف •

والدولة ليست فردا يملى ارادته •• ولكنها الشعب بمجموعه • والحكم السليم هو الشورى كما قضى الله • أو كما نعبر الآن بالديمقراطية الصحيحة التى تكفل حرية الفكر والكلمة •

وكان الاستبداد دأب من تلا محمد على من أفراد أسرته • فلم ينسوا أبدا أصولهم التركية • واستعلاءهم على العرب • وكان الحاكم منهم يلقب بولى النعم • ولا يطيقون معارضة وجزاء المعارض النفى والتشريد • ان لم يكن الاغتيال •

صحيح أن بعضهم كان يصرح بعواطف طيبة • مثل ما ذكره المؤرخ المرحوم عبد الرحمن الرافعى أن سعيدا ألقى خطبة فى قصر النيل مخاطبا فيها الحاضرين من العلماء والرؤساء الروحانيين وأفراد الأسرة الحاكمة وكبار رجال الحكومة من الملكيين والعسكريين •• فقال : (أيها الأخوان انى نظرت فى أحوال الشعب المصرى من حيث التاريخ فوجدته مظلوما مستعبدا لغيره من أمم الأرض • فقد توالت عليه دول ظالمة كثيرا • وحيث أنى أعتبر نفسى مصريا •

فوجب على أن أربى أبناء هذا الشعب . وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة . ويستغنى بنفسه عن الأجانب . وقد وطدت نفسى على ابراز هذا الرأى من الفكر الى العمل) .

ويقول الرافعى فى (الزعيم الثائر أحمد عرابى ص ١٣) نقلا عن أحمد عرابى فى مذكراته تعليقا على هذه الخطبة أنه لما انتهى سعيد من القائها خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين حانقين مدهوشين مما سمعوا . وأما المصريون فقد خرجوا ووجوههم تتهلل فرحا واستبشارا . ويقول انه اعتبر هذه الخطبة أول حجر فى أساس مبدأ مصر للمصريين .

ولكنه كان قولا فى الهواء . أو على الأقل لم يضع موضع التنفيذ . وتوفى سعيد وخلفه ابن أخيه اسماعيل وأراد اسماعيل أن يعيد عهد جده فى الاصلاحات . ولكن محمد على اعتمد فى اصلاحاته على موارد البلاد . أما اسماعيل فلم يكتف بهذه الموارد بل استدان واقترض حتى أدى بالبلاد الى الخراب والضياع .

واذا كان محمد على لم يحاول فى حركته الأصلاحية النهوض بالشعب المصرى . فلم يتعمق الى جذور الأصلاح الحقيقى . فان اسماعيل كان فى حركته الاصلاحية أكثر سطحية من جده . فاكتفى بالمظاهر . فجيش الجيوش للتوسع الخارجى . وبنى القصور . وعمر منطقتى الأزبكية والاسماعيلية اللتين لا تزالان للآن صرة المدينة . وبهما أهم مرافقها من وزارات ومصالح ومتاجر وخلافه ، وكان ميدان التحرير اسمه لغاية ثورة سنة ١٩٥٢ ميدان الاسماعيلية . فخطط شوارعها التخطيط الباقى للآن وجمل الميادين بالمتنزهات والتماثيل ، ولكنه بالغ فى الأسراف فى انشاء القصور والترف واغداق آلاف الأفدنة على أسرته والمقربين اليه .

وكلنا يعلم البذخ المبالغ فيه فى احتفالات افتتاح قناة السويس

سنة ١٨٦٩ . فقد قال على مبارك (الخطط التوفيقية ج١٨ ص١٣٨): (أنها تكلفت من أجر أشخاص ومنقولات ومأكولات وغير ذلك ١٠١١,٨٩٣ جنيها انجليزيا . وأنه لو أضيف الى ذلك أجر السكك الحديدية وما صرف على وابورات البحر فى النيل والخليج المالح . وما صرفته الحكومة على المبانى فى مدن القنال والقاهرة وثغر الأسكندرية وغيرها . وما صرف فى الزينة ومهماتها . وشراء عربات ومهمات للسكك الحديد لأجل المهرجان المذكور لبلغ مصرف هذا المهرجان ما يزيد على مليون ونصف من الجنيهات . وذلك قدر السدس من ايراد مصر سنة كاملة) .

واحتفل اسماعيل بزواج أربعة من أولاده هم : محمد توفيق (الخديوى بعده) . حسين كامل (السلطان حسين) ، حسن ، فاطمة على أربعة من أمراء الأسرة المالكة . فى يناير سنة ١٨٧٣ . وبولغ فى الانفاق على الولائم فى قصور اسماعيل . سواء فى القصر العالى (بجاردن سيتى) سكن والدته . أو قصر القبة . أو سراى الجزيرة .. التى كانت مساحتها ٦٠ فدانا وتكلفت ٨٩٨,٦٩١ جنيها وأصبح جزء منها الآن فندق عمر الخيام . وأقيمت الاحتفالات الشعبية بحى المنيرة . فنصبت السرادقات للمطربين . ومدت الحبال فى الساحات ليلعب عليها البهلوانات . واستمرت الاحتفالات أربعين يوما باعتبار عشرة أيام لكل زيجة .

ولا يزال بحى المنيرة شارع اسمه أفراح الأنجال بين شارعى محمد عز العرب (المبتديان سابقا) وأمين باشا سامى . تخليدا لذكرى هذه الأفراح . وربما كانت تسمية المنيرة ترجع الى هذه الأفراح .

وكان حى المنيرة اسمه تل كوم العقارب وفيه نفذ حكم الأعدام على سليمان الحلبى وزملائه لقتل كليبر خليفة نابليون فى مصر . وأزيل تل العقارب فى عهد محمد على . وخطط حى المنيرة فى عهد اسماعيل (أسماء ومسميات فى تاريخ وخطط القاهرة لكاتب المقال) .

واسراف اسماعيل وماجره من خراب البلاد معروف . وليس هنا مكانه . ولكن نذكر لاسماعيل أنه توسع فى شئون التعليم . فقد زاد عدد المدارس حتى وصل الى ١٣٠١ مدرسة ومعهدا . عدا الأزهر والمعاهد الأجنبية والمعاهد التابعة للأوقاف والمدارس الحربية لتعليم الجيش (تاريخ مصر لعمر الأسكندرى ص ٢٢٥) .

وكان على رأس حركة التعليم ثلاثة رجال : اثنان منهما أزهريا النشأة وهما رفاعة رافع بك الطهطاوى ـ وقد مر ذكره ـ وعبد الله باشا فكرى . والثالث أزهرى النزعة وهو على باشا مبارك .. وسنتكلم عنهما فى المقال التالى باذن الله .

محمد كمال السيد



أخطـــاء شـــائعـــة

للأستاذ عباس أبو السعود

٥٤١ كتبت صحيفة الأهرام فى صدر صفحتها الأولى بخط عريض عنوانا قالت فيه :

السادات : اذا كانت مقترحات بيجين غير مقبولة سأعلن ذلك لمصر والعالم .

وفى هذا العنوان غلطة نحوية كان من الواجب على الصحيفة ألا تقع فيها ، هى قولها : سأعلن ذلك بدون فاء الجواب .

والفصيح أن يقال : فسأعلن ذلك بدخول الفاء وجوبا على جواب اذا

واذا فى هذا العنوان ظرف للزمان المستقبل شرطية ، والقاعدة تقول : اذا لم يصلح الجواب لأن يكون شرطا وجب اقترانه بالفاء ، وذلك بأن يكون جملة اسمية نحو قولك من سعى فى الخير فسعيه مشكور ، أو جملة فعلية فعلها طلبى نحو اذا مرضت فاستشر الطبيب واعمل بنصحه ، أو جامد نحو من أفشى سر الصديق فليس بأمين ، أو مسبوق بلن نحو ان عصيت أمرى فلن تنال محبتى ، أو قد نحو ان نهضت مصر اليوم فقد نهضت من قبل أو ما النافية نحو ان تجتهد فما أقصر فى مكافأتك .. أو السين نحو من يتعب فى صغره فسيستريح فى كبره .. أو سوف نحو من ظلم الناس فسوف يندم .

ومن أمثلة اذا التى نحن بصدد الحديث عنها قولك :

اذا أكثرت من عتاب صديقك فسترى منه الانصراف عنك ، واذا لم تستعد للسفر مبكرا فسيفوتك القطار ، واذا احتقرت الناس فستحس منهم كراهية لك واشمئزازا منك .

ومما يقوم مقام أداة الشرط وفعله أما ، وهى حرف تفصيل ، ومنها قوله تعالى « فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا » .

٥٤٢ وذكرت صحيفة الأهرام فى صفحتها الأخيرة مما له وثيق الصلة بهذا الباب عدة جمل يدعو ربه بها الدكتور يوسف وهبى ، فقد قال :

يا رب اذا جردتنى من المال اترك لى الأمل ، واذا جردتنى من النجاح اترك لى قوة العناد حتى أتغلب على الفشل ، واذا جردتنى من نعمة الصحة اترك لى نعمة الايمان يارب : اذا أسأت الى الناس أعطنى شجاعة الاعتذار اليهم ، واذا أساء الناس الى أعطنى شجاعة العفو عنهم .

وكل جملة من هذه الجمل يشوبها الفساد ، لأن اذا فيها شرطية ، وجوابها جملة فعلية فعلها طلبى ، فلابد أن يقرن بالفاء فيقال فى الجملة الأولى : فاترك لى الأمل ، وفى الثانية فاترك لى قوة العناد ، وفى الثالثة فاترك لى نعمة الايمان ، وفى الرابعة فأعطنى شجاعة الاعتذار اليهم ، وفى الخامسة فأعطنى شجاعة العفو عنهم

ويؤيد كل هذا قوله تعالى : « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها »

٥٤٣ ويقولون : وضعنا طعامنا على السفرة ، وهذا خطأ ، لأن السفرة هى الطعام الذى يتخذ للمسافر ، تقول : أكل المسافرون سفرتهم أى طعامهم

والفصيح أن يقال : وضعنا طعامنا على الخوان ، وفيه ثلاث لغات ، كسر الخاء ، وهذا هو الأكثر ، وضمها حكاه ابن السكيت ، واخوان بهمزة مكسورة ، حكاه ابن فارس ، وفى الحديث « حتى أن أهل الاخوان ليجتمعون » وجمع المكسور فى القلة أخْوِنة" ، وفى الكثرة خُون بالضم ، والأصل خُوُن بضمتين ككتب لكن سكن تخفيفا ، ويجوز أن يجمع المضموم فى القلة على أخونة كغراب وأغربة

أما الاخوان فيجمع على أخاوين كأزهار وأزاهير •

ولك أن تقول بدلا من تعبيرهم : وضعنا المائدة ، لأن من معانى المائدة الطعام ومن معانيها أيضا الخوان وعليه الطعام ، فان لم يكن عليه طعام فهو خوان لا مائدة تقول : ماد الرجل أهله اذا نعشهم ، وامتادوه فمادهم ، قال :

ياخيرنا نفسا وخيرا والدا
وكنت للمسودين سائدا
وكنت للمنتجين مائدا

أى ناعشا من سيدهم ، والمائدة فاعلة بمعنى مفعولة لأن المالك مادها للناس أى أعطاهم اياها وميد بفتح فسكون لغة فى بيد بمعنى غير ، وفى الحديث « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، ونشأت فى بنى سعد ابن بكر » وقيل معناه ، من أجل أنى •

٥٤٤ وهم يخطئون فى بعض أسماء النباتات والبقول وبعض ما يؤكل ، اما فى المعانى واما فى الضبط •

١ — من ذلك قولهم لنبت معروف خبيزة بالضم وتشديد الباء مكسورة ، والصواب خُبَّازى بضم الخاء مع تشديد الباء ، وخبازى بالتخفيف ، وخباز وزان قفاز ، وخبازة وزان تفاحة ، وخبيز بالضم وتشديد الباء مفتوحة •

٢ ـ وقولهم لحب نافع ملين مدر مقو للبدن : حمص بضمتين •

ثانيتهما مشددة ، والصواب حمص بكسر الحاء وتشديد الميم مفتوحة على رأى المبرد بتشديدها مكسورة وزان عليز وهو القصير على رأى ثعلب •

٣ ـ وقولهم لنبات فيه قوة جالية غسالة ينفع الصدر والظهر ملين : سبانخ ، والصواب اسفاناخ بكسر الهمزة •

٤ ـ وقولهم لبقلة معروفة جرجير بفتح فسكون ، والصواب جرجير ، وجريجر بكسر فسكون فيهما •

٥ ـ وقولهم لبقل معروف خص بفتح الخاء وتشديد الصاد ، والصواب خس بالسين بدلا من الصاد •

٦ ـ وقولهم شبت وزان سبب والصواب شبِتّ وزان فلز وهو اسم جامع للجواهر من الذهب والفضة والنحاس وغيرها •

٧ ـ وقولهم لبقلة جيدة لوجع المفاصل واليرقان ولوجع الكبد وللاستسقاء ، ونهش الأفاعى والعقارب ، وبعد الطعام تهضم وتلين فجل بكسر فسكون وزان قرد ، والصواب فجل بالضم وزان برج الواحدة بهاء •

٨ ـ وقولهم لبقل مسخن مدر جدا ، جيد للنسيان والربوم والسعال المزمن يجلو ويحلل ويسر النفس ثوم بفتح فسكون ، والصواب ثوم بالضم •

٩ ـ وقولهم لحلواء معروفة فالوذج والصواب فالوذ بدون جيم أو فالوذق بالقاف بدلا من الجيم ، قال يعقوب : ولا يقال فالوذج •

٥٤٥ وينكرون أن يقال : وهبتك مالا ، أى بتعدية الفعل الى مفعولين بنفسه ، والحق أن

ذلك جائز كما يستبان مما يأتى :

والأصل فى هذا الفعل أن يتعدى الى مفعولين ، بيد أن كثرة تعديه لأولهما باللام ولثانيهما بنفسه كما فى قوله تعالى : « الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق » وقوله : « ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا » وقوله « ووهبنا لداود سليمان » وقوله « يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور » وقوله « فهب لى من لدنك وليا يرثنى » وقوله « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين »

وقد يكون ذلك بالعكس أى أنه يتعدى الى الأول بنفسه ، والى الثانى باللام كما فى قوله سبحانه : « وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى »

وقد يكتفى بالمعدى اليه باللام ، ويحذف المعدى اليه بالنفس كما فى قوله عز وجل « ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا » أى وهبنا لهم من رحمتنا النبوة والكتاب والأموال والأولاد . وقوله : «رب هب لى من الصالحين» أى رهب لى ولدا يعيننى على الطاعة ويؤنسنى فى الغربة ، ولذا قال تعالى بعد ذلك : « فبشرناه بغلام حليم » . وقال ابن القوطية والسرقسطى وجماعة : ولا يتعدى الى الأول بنفسه الا اذا ضمن معنى جعل كما فى قولهم : وهبنى الله فداك أى جعلنى فداك

ولكن جاء فى المخصص جزء ١٢ ص ٢٢٧ مانصه : « ذكر أبو على أنه سمع أعرابيا يقول لآخر : انطلق معى أهبك نبلا » حكاه أبو سعيد السيرافى

وقد نبه هبة الله بن الشجرى فى أماليه النحوية على جواز

تعديته بنفسه الى مفعولين ، وقـال ابن هشـام فى المغنى جزء ١ ص ١٦٩ : ان العرب حذفت اللام مـن الأفعـال المفتقرة اليهـا ، كما فى قوله تعـالى : « والقمـر قدرناه منازل » أى قدرنا له ، وقوله: « واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » أى كالوا لهم أو وزنوا لهم ، وكمـا قـالت العرب : وهبتك دينـارا أى أى وهبت لك ، وجنيتك تمرة أى جنيت لك تمـرة ، قال الشاعر :

ولقد جنيتك اكمؤا(١) وعساقلا(٢)
ولقد نهيتك عـن بنات الاوبر(٣)

مما عرضنا آنفـا اتضح أنه يجوز أن يقال : وهبتك مالا، بيـد أن الأفصح أن يقـال وهبت لك مالا كلغة القرآن الكريم .

ويقال : هبنى فعلت كذا أى احسبنى واعـددنى ، وهذا الفعل للأمر فقط ولا يستعمل منـه مـاض ولا مستقبل ، قال :

فهبها أمة هلكت وأودت(٤)
يزيد امامُها وأبو يزيدا

٥٤٦ فى صـدر صحيفة الأهـرام عنوان كتب بخط عريض هو حقيقـة الصراع السياسى فى تونس ، هـل يتولى الجيش السلطة ليوقف حدة الصراع؟ وفى هذا العنوان غلطة تدل على جهل قائلها بلغة العـرب هى قـوله : ليوقف حـدة الصراع بالفعـل الـرباعى ، والصـواب أن يؤدى ذلك بالفعل الثلاثى فيقال : ليقف حـدة الصراع

وبيان ذلك أن الفعل الرباعى أوقف يـوقف لا يسـتعمل الا فى قولك :

كلمنى فـلان فـأوقفت أى أمسكت عن الحجـة عيـا ، وأوقف فلان عن الأمـر اذا أمسك وأقلع .

---

(١) الاكمؤ : نبات
(٢) العساقل الكماة للواحد عسقل وعسقول .
(٣) بنات أوبر : ضرب من الكماة صـغار مزغبة بلون التراب .
(٤) أودت : هلكت ، تقول اودى الرجل اذا هلك فهو مود .

قال صاحب القاموس : ليس فى فصيح الكلام أوقف الا لهذا المعنى .

وقال صاحب المختار : قولهم أوقف فلان الدار بالألف لغة رديئة ، وليس فى الكلام أوقف الا حرف واحد . هو أوقفت عن الأمر الذى كنت فيه أى أقلعت

وقال صاحب المصباح : الواجب أن يقال : وقفت بغير ألف فى جميع الباب الا فى قولك لآخر : ما أوقفك ههنا ؟ وأنت تريد أى شىء حملك على الوقوف هنا ؟

فان سألت عن شخص قلت : من وقفك بغير ألف

ويقال : وقف الرجل ابنه على ذنبه اذا أطلعه عليه ، ووقفت الدابة تقف وقوفا ، ووقفها راعيها من باب وعد وقفا ، ووقفت الدار للمساكين وقفا أى حبستها فى سبيل الله ، ووقفت الرجل عن الشىء منعته عنه ووقفت بعرفات وقوفا شهدت وقتها ؛ وقفت الأمر على حضور فلان أى علقت الحكم فيه بحضوره ، ووقفت قسمة الميراث الى أن تضع زوجة المتوفى أى أخرت القسمة حتى تضع .

٥٤٧ وفى الصحيفة نفسها عنوان آخر قالت فيه (المهمة الخاصة التى كلف بها الرئيس وزير الاسكان لحل كل مشكلات الصيادين فى بحيرة ناصر) .

وفى هذا العنوان خطأ بين ، وذلك لأن كلف المضعف لابد أن يتعدى بنفسه الى مفعولين كما فى قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ، أما الثلاثى فقد يكون لازما كما فى قولك كلف الرجل بالمرأة من باب تعب كلفا اذا أحبها وأولع بها فهو بها كلف ، وقد يتعدى الى واحد كما فى قولك : كلفت الأمر من باب

تعب أيضا اذا حملته على مشقة .

والتكاليف المشاق واحدتها تكلفة بكسر اللام ومن هذا قول زهير

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبالك يسأم

والكلفة بضم الكاف المشقة ، يقول : ليس عليه كلفة أى مشقة ، وفى المثل

« من لم يصبر على الكلف لم يصل الى الزلف » والزلف جمع زلفة وهى القربة والمنزلة والدرجة .

٥٤٨ ويقولون : قلّس علينا فلان تقليسا ، يعنون أنه سخر منهم واستهزأ بهم وهذا التعبير فاسد ، لأن للتقليس معانى عدة لا صلة لكل منها بالسخرية .

أحدها : الغناء والضرب بالدف حين استقبال الولاة عند قدومهم والاحتفاء بهم والمقلسون هم الذين يلعبون فى الأعياد بين أيدى الأمراء بالسيوف والحراب ، ويضربون الطبول ، وفى الحديث « لما قدم عمر الشام لقيه المقلسون بالسيوف والريحان وأصناف اللهو » .

قال الكميت : ثم استمر يغنيه الذباب كما غنى المقلس بطريقا بمزمار

والثانى : وضع اليدين على الصدر ، تقول : قلس الذمى اذا وضع يديه على صدره .

والثالث : الخضوع واظهار الهيبة لأحد الأمراء ، قال الفرزدق :

اذا ما رأونا قلسوا من مهابة
ويسعى علينا بالطعام جرير

٥٤٩ ويقولون : نستدفىء (بالدفاية) بتشديد الفاء ، وكلمة الدفاية لا تعرفها العرب ، لأنها عامية ، والفصيح أن يقال : نستدفىء بالمصطلى ، أو بالمدفأة بكسر الميم .

أما المصطلى فهو اسم مكان من الاصطلاء بمعنى الاستدفاء •• ومنه قوله تعالى : « لعلكم تصطلون » ويطلق المصطلى على الموضع الثابت فى الحائط ، وأما المدفأة فهى اسم آلة من الدفء وتطلق على الأداة المنقولة للاستدفاء ، وتضاف الى مصدر الحرارة فيقال مدفأة الكهرباء ومدفأة البخار ، ومدفأة النفط •

٥٥٠ ويقولون : تقضى الحاجة فى « الأدبخانة » أو فى (الكابنيه) وكلا هذين اللفظين أعجمى ، والصواب أن يستبدل بهما أحد الألفاظ الآتية التى وضعتها العرب لهذا المعنى •

١ ـ الكنيف وزان أمير ، وسمى بهذا لأنه يكنف قاضى الحاجة ويستره عن الأنظار ، جمعه كنف بضمتين •

٢ ـ المرحاض بالكسر وأصله المغتسل ، تقول رحضت الثوب رحضا من باب نفع اذا غسلته ثم كنى به عن الكنيف لأنه موضع غسل النجو ، جمعه مراحيض ، وفى الحديث « وجدنا مراحيضهم قد استقبل بها القبلة » •

٣ ـ المستراح بضم الميم اسم مكان من الاستراحة وهى زوال المشقة والتعب ولذا يسمى بيت الراحة •

٤ ـ الخلاء بالفتح وهو فى الأصل مصدر ثم استعمل فى المكان الخالى ، ثم فى الموضع المتخذ لقضاء الحاجة لا للوضوء كما قال بعضهم ، وقال الترمذى : سمى باسم شيطان فيه يقال له خلاء ، وأورد فيه حديثا ، أو لأنه يتخلى فيه أى يتبرز فيه ، جمعه أخليه •

٥ ـ الغائط ، قال المختار : قولهم أتى فلان الغائط ، أصله المطمئن الواسع من الأرض ، وكان الرجل منهم اذا أراد أن يقضى الحاجة أتى الغائط وقضى حاجته ،

فقيل لكل من قضى حاجته قد أتى الغائط يكنى به عن العذرة ، وقد تغوط .

٦ ـ البراز بالفتح هو الفضاء الواسع ، تقول : تبرز الرجل اذا خرج الى البراز لقضاء الحاجة ومن الكناية قولك : خرج الرجل الى البراز وتبرز ، والبراز بالكسر كناية عن الغائط .

٧ ـ المنصع بزنة مقعد ، ففى الأساس خرجوا الى المناصع وهى المبارز ، ونصعوا اليها أى برزوا ، وفى القاموس والمناصع المجالس أو مواضع يتخلى فيها لبول أو حاجة ، الواحد كمقعد .

٥٥١ ويقولون لمن يخرج من فمه ريح مع صوت عقب الشبع من الطعام ، أو الرى من الماء : هو يتكرع تكرعا ، وهذا من أوهام العوام ، والصواب أن يقال : هو يتجشأ تجشؤا وزان يتجمل تجملا والاسم الجشاء بالضم وزان غراب ، وفى المثل « تجشأ لقمان من غير شبع » يضرب فيمن يتحلى بغير ما هو فيه ، تقول لمن تجشأ أمامك : ما بك الا الغداء والعشاء والكظة والجشاء ، ويقال : جشأت نفسه جشوءا من باب قعد اذا نهضت : وجاشت من حزن أو فزع وثارت للقىء وجاشت الغنم اذا أخرجت صوتا من حلوقها : وجاشت الأرض اذا أخرجت جميع نباتها : كما يقال قاءت الأرض أكلها ، قال عمر بن الاطنابة : أقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى أما التكرع فهو التوضؤ ، تقول : تكرع الرجل اذا توضأ ، لأنه يغسل أكارعه ، وكرع فى الماء أو فى الاناء من بابى سمع ومنع كرعا ، وكروعا أيضا اذا تناوله بفيه من موضعه .

٥٥٢ ويقولون لما يحصل عليه الرجل من رشوة ونحوها حلوان بثلاث فتحات ، وهذا غير سليم والفصيح أن يقال له حلوان بضم فسكون ، تقول لمن أدى اليك خدمة لأحلونك حلوانك أى لأجزينك جزاءك .

والحلوان أيضا أجرة الدلال ، وأجرة الكاهن ، وفى الحديث « نهى عن حلوان الكاهن » وهو ما يعطاه على الكهانة ، وكذلك هو مهر الفتاة ، تقول أخذ الرجل حلوان ابنته أى مهرها والبُسلة أجرة الراقى ، والبُركة أجرة الطحان ، كلتاهما وزان غرفة ، والنول وزان القول هو جعل السفينة .

٥٥٣ ويقولون : لابد من ملافاة هذه المسألة ، يعنون تداركها وتركها ، والصواب أن يقال لابد من تلافى هذه المسألة . تقول : تلافيت التقصير اذا تداركته وعملت على تركه ، وهذا أمر لا يتلافى أى لا يدرك ويترك ، وتقول : جاء فلان بالعمل المتنافى ولم يعقبه بالتلافى ، أى جاء بالخطأ ولم يعمل على تركه .

أما الملافاة فليست عربية ، اذ لم يرد عن العرب لافى يلافى ملافاة ولفاء بكسر اللام وانما ورد اللفاء بفتح اللام ، ومعناه الخسيس الحقير من كل شىء ، تقول : رضى فلان من الوفاء باللفاء ، أى من حقه الوافر بالقليل الحقير .

٥٥٤ ويقولون : يعمل المجد على نوال المكافأة ، والصواب أن يقال : يعمل على نيل المكافأة تقول : نال المجد المكافأة ينالها نيلا ومنالا اذا أصابها ، وتقول : ما أصبت منه نولة أو ما أصبت منه نيلا أى لم أحصل منه على معروف .

أما النوال والنائل والنال فمعناها العطاء ومثلها النيل ، تقول : نلت فلانا ونلت له ونلت به وأنلته المال ونولته ،

ونولت عليـه ونولت له اذا أعطيته ، ورجل نال أى جواد أو كثير النائل ، قال :

اذا كان مالا كان نالا مرزأً (١)
ونال نداه كل دان وجانب (٢)

٥٥٥ ويقولون : نده الرجل ابنـه أو خادمه ، يعنون أنه صاح به يطلب اقباله ، وهذا خطأ والصواب أن يقـال : ناداه مناداة ، ونداء من باب قاتل ، كما فى قوله تعالى : « ونادى نوح ابنه »

أو يقال : نادى الرجل بابنه كما فى قوله سبحانه « ونودوا ان تلكم الجنة أورثتموها » أى بأن تلكم الجنة ، وتقول نادى فلان بسره اذا أظهره ، ويقال أيضا نادى لكذا ومنه قـوله تعـالى « اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكـر الله » ونادى الى كذا ، ومنه قوله جـل شأنه « واذا ناديتم الى الصـلاة اتخذوها هزوا ولعبا » .

ويقال : تنـادوا اذا نادى بعضهم بعضا ومن هذا قوله تعالى « فتنادوا مصبحين » وتنادوا أيضا اذا تجالسوا فى النادى .

أما النَّده فهو الزجر والطرد والسوق ، تقول : نده الراعى البعـير اذا زجـره وطـرده بالصـياح ، ونده الابل اذا ساقها مجتمعة ، وكان طلاق الجاهليـة اذهبى فـلا أنده سربك أى لا أرد ابلك لتذهب حيث شاءت ، والندهة بالفتح والضم الكثرة من المال .

٥٥٦ ويقـولون لثمـر معـروف (بدنجان) وهـذه كلمـة عامية ، والفصيح أن يقال له باذنجان معرب ، وهو عنـد العرب الأنب بفتح كل من الهمزة والنون ، والمغد بفتح فسكون ، وقد تفتح الغين ، والرغـد بفتـح فسكون ، والكهكب وزان جعفر .

(١) المرزأ : الكريم يصيب الناس من عطائه .
(٢) الدانى والجانب : القـريب والبعيد .

٥٥٧ ويقولون : سقينا ضيوفنا (الكازوزة) وهذه كلمة عامية ، ولو استبدلوا بها كلمة القازوزة لكان ذلك صوابا على سبيل المجاز المرسل باطلاق المحل من ارادة الحال ، وذلك لأن القازوزة هى القارورة الزجاجية الصغيرة ، أما القارورة العظيمة •

أسفلها فتسمى الحوجلة • والحرقلة هى القارورة الطويلة العنق ، وجمع القارورة قوارير ، ومن قوله تعالى : « ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا » •

ولسداد القارورة أسماء هى الصمام ، والصماد ، والعلهاص بكسرهن ، تقول :

علهصت القارورة اذا عالجتها لتستخرج منها علها صها وهو صمامها •

٥٥٨ ويقولون : فلان حائز على كثير من الشهادات ، فيعدون اسم الفاعل بعلى والصواب أن يعدى الى المفعول بنفسه كما يعدى فعله ، تقول : حاز فلان كثيرا من الشهادات يحوزها حوزا ، وحيازة من بابى قال وكتب ، وكل من ضم شيئا الى نفسه فقد حازه واحتازه ، ويقال لمن نكح المرأة قد حازها واحتازها •

وفى معنى آخر يقال : حاز الراعى الابل اذا ساقها الى الماء مجتمعة ، وانحاز فلان عن القوم اذا اعتزلهم ، وانحاز اليهم وتحيز اذا انضم اليهم ومن الأخير قوله تعالى : « أو متحيزا الى فئة » ولاصلاح عبارتهم ينبغى أن يقال : هو حائز الشهادات الكثيرة بتنوين اسم الفاعل ، أو حائز للشهادات بلام التقوية ، كما فى قولك ان يحدثك انى فاهم لكل ماتقول وكما فى قوله تعالى :

« ان ربك فعال لما يريد »
وقوله « نزل عليك الكتاب
بالحق مصدقا لما بين يديه »

٥٥٩ فى صحيفة الأهرام عنوان
كتب بخط عريض هو :
(السادات أكد على ضرورة
الحل الشامل) .

وهذا العنوان مشوب بالغلط ،
لأن الفعل أكد يتعدى بنفسه
دائما الى المفعول به ،
ولا تستعمل معه كلمة على
ألبتة ، وانما يقال : أكد الرجل
الخبر ، وأكد المفتى ثبوت
رؤية هلال رمضان ، أى أنه
قواه ووثقه فتأكد ، ومثله فى
المعنى قولك وكدت الخبر
توكيدا فتوكد وهو بالواو
أفصح ، ومنه قوله تعالى :
« ولا تنقضوا الأيمان بعد
توكيدها » .

والفصيح أن يقال : السادات
أكد أو وكد ضرورة الحل
الشامل .

ومما يدل على أن الفعل
المضعف المذكور يتعدى بنفسه
أن الثلاثى يتعدى بنفسه أيضا
فيقال : وكد المتعاقدان العقد
وكودا اذا أوثقاه ، وكذا أكد
الفلاح الحنطة اذا داسها .

والتأكيد والتوكيد عند النحاة
نوعان : لفظى وهو اعادة
الأول بلفظه نحو قولك
طلعت الشمس طلعت الشمس
ومنه قول المؤذن الله أكبر
الله أكبر ، ومعنوى كما فى
قولك حضر الملك نفسه ،
وفائدة التوكيد رفع توهم
المجاز لاحتمال أن يكون
المعنى حضر وزيره أو نائبه
أو أخوه أو نحو ذلك .

والمتوكد القائم المستعد
للأمر ، ومثل أكد الشىء
تأكيدا ووكده توكيدا قولك:
آكده وأوكده ايكادا وأصل
الايكاد من قولك أوكده :
أوكاد بالكسر ، قلبت الواو ياء
لمناسبة كسر الهمزة قبلها .

٥٦٠ وشاع فى الصحف وعلى
ألسنة كثير من المتأدبين
قولهم : لابد وأن تفعل

كذا ، وهذا خطأ لأن الواو لا تؤدى أى معنى كما أنها ليست زائدة ، والصــواب أن يقال لابد أن تفعل كذا ، وتكون لا نافيــة للجنس ، وبد اسمها ، وخبرها الجار والمجــرور بعــدها ، اذ أن الأصل لابد من أن تفعــل ، ثم حذفت من حــذفا مطردا مع أن ، ومثــل ذلك قولك لا محالة أن تفوز أى فى أن تفوز ، ثم حــذفت فى حذفا قياسيا ، وبيان ذلك أن الجار يطرد حــذفه مع أن المشددة وأن المخففة كمــا فى قــوله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصــالحات أن لهم جنات » أى بأن لهم جنات ، ومن هذا الباب لا جرم عند الفراء فقد قال : انها بمنزلة لا رجل ومعنــاها لابد ومن بعدها مقدرة ، تقول : لا جرم أنك تؤدى الواجب ، ومثل هذا قوله تعالى : « لا جرم ان الله يعــلم ما يسرون » أما سيبوية فقد قال ان لا رد على الكفرة فيمــا زعموا ثم ابتدىء بعدها بجملة ، وكلمة جرم فعــل لا اسم ومعنــاها وجب وثبت ، والمصــــدر المؤول فاعل .

وحكى الفراء أن بعض العرب ينزلها منزلة اليمين فيقول : لا جرم لآتينك ، ولذا أجيبت باللام كما يجاب بها القسم ، وعلى هذا يكون الجــواب مغنيا عن الخبر عند الفراء ، ومغنيــا عن الفــاعل عنــد سيبويه ، وقــد يحــذف خبر لا اذا علم فى قوله تعالى : « لا ضــير انــا الى ربنــا منقلبون » أى لا ضير علينا

عباس ابو السعود

حكم ... وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

((أوصيك بأربع))

جاء رجل من اقصى البادية ، الى رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - وحدثه قائلا : **يا رسول الله** انك تعلم أن السفر بيننا وبينك طويل ، وأن اهل البادية غلاظ القلوب ، وجئتك لأستفيد بشيء من علمك ، أنفع به نفسي واهلي ، فقال **رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه** : اوصيك بأربع : استمسك منها باثنتين ، وابتعد عن أثنتين أما ما أنصحك بالاستمساك به : فهو أن تتحلى بالاخلاق الكريمة الفاضلة يحبك الله والناس ، وآمرك بالمعروف بين أهلك وعشيرتك ، ولو بملء جرة ، فان الحسنة مهما صغرت فلها جزاء الحسنى عند الله

اما ما انهاك عنه: فاياك والكبر، فانه مغضب لله ، **لأن الله سبحانه وتعالى** لا يرضى لانسان أن يشاركه العزة والكبرياء ، وهما لله وحده ، وان استباح انسان لنفسه ذلك ، غضب الله عليه وحرمه عز الدنيا ونعيم الآخرة .

أما الثانية : فان سبك احد بما هو فيك ، وآلمك أشد الألم بعيب يعرفه عنك ، فلا تسبه انت بعيب تعرفه عنه ، فان لك الأجر وعليه الوزر ، وخرج الرجل من عند الرسول - **صلوات الله وسلامه عليه** - مسرورا محبورا .

((المواساة))

المواساة للمؤمنين انواع : مواساة بالمال ومواساة بالجاه ، ومواساة بالبدن والخدمة ، ومواساة بالنصيحة والارشاد ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم ، ومواساة بالتوجع لهم وعلى قدر الايمان تكون هذه المواساة ، فكلما ضعف الايمان ضعفت المواساة وكلما قوى قويت وكان **رسول الله - صلى الله عليه وسلم** - أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله ، وفي يوم شديد البرد شوهد « بشر الحافي » وقد تجرد وهو ينتفض فقيل له : ما هذا يا أبا نصر ؟ قال : ذكرت الفقراء وبردهم وليس لى ما أواسيهم به ، فأحببت ان اواسيهم في بردهم .

((لست بشاعر))

نظـــر طفيلى الى قوم ذاهبين ، فلم يشك انهم فى دعوة ذاهبـون الى وليمة ، فقام وتبعهم فاذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم ، فلما انشد كل واحد شعره واخذ جائزته لم يبق الا الطفيلى ، وهو جالس ســـاكت ، فقال له : انشد شعرك فقال : لست بشاعر ، قيـــل له : فمن انت ؟ قال : من الغـــاوين الذين قال الله فيهم ! ((والشعراء يتبعهـــم الغاوون)) فضحك السلطان وامر له بجائزة الشعراء .

((نصيحـة سـيدنا عمـر عنـــد مــــوته))

لما طعن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ دعا بلبن فشربه فخرج من طعنته فقال : الله اكبر ، فجعل جلساؤه يثنون عليه فقال : وددت أن أخرج منهـا كفافا كمـا دخلت فيها ، لو أن لى اليوم ما طلعت عليـه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع .

قال ابن عمر : ولما حضرت الوفاة عمر غشى عليه ، فأخذت رأســه فوضعتها فى حجرى فقال : ضع رأسى بالارض لعل الله يرحمنى ، فمسح خديه بالتـراب وقال : ويل لعمر ، ويل لأمه ان لم يغفـر له ، فقلت : وهل فخــذى والارض الا سواء يا ابتاه ! فقال : ضع رأسى بالأرض لا أم لك كمـا آمرك ، فاذا قضيت فأسرعوا بى فى حفـرتى ، فانما هو خير تقدمونى اليـــه ، أو شر تضعونه عن رقابكم . ثـم بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال خبـــر السماء لا ادرى الى جنة ينطلق بى أو الى نار !!.

((حسن التخلص))

صعد خالد بن عبد الله القسرى المنبر فى يوم جمعة ، وهو اذ ذاك على مكة ، فذكر الحجاج ، فحمـد طاعته وأثنى عليه .

فلما كان فى الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك ، يأمره فيه بشتم الحجـــاج ونشر عيوبه ، واظهار البراءةمنه ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ان ابليس كان ملكا من الملائكة وكان يظهـر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلا ، وكان الله قد علم من غشه وخبثه ما خفى على الملائكة ، فلمـا اراد فضيحته أمره بالسجود لآدم فظهر لهـم ما كان يخفيه عنهم ، فلعنوه .

وان الحجاج كان يظهر من طاعة امير المؤمنين ما كنـا نرى له به فضـــلا ، وكان الله أطلع أميـر المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفى عنا فلما أراد الله فضيحته أجـرى ذلك على يدى أمير المؤمنين فلعنه ، فالعنوه لعنه الله ، ثم نزل .

((عبـد الملك والغســال))

لما ثقل عبد الملك بن مروان : رأى غسالا يلوى بيـده ثوبا ، فقال : وددت لو انى كنت غسالا لا أعيش الا بمـا اكسبه يوما فيوما ، فبلغ ذلك أبا حازم فقال : « الحمـد لله

الذى جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ، ولا نتمنى عنده ما هم فيه » .

«الحجاج والغضبان ابن القبعثرى»

سال الحجاج يوما الغضبان (١)بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها ، قال له : من أكرم الناس ؟.

قال : افقههم فى الدين ، واصدقهم لليمين ، وابذلهم للمسلمين ، واكرمهم للمهانين ، واطعمهم للمساكين .

قال : فمن الأم الناس ؟

قال : المعطى على الهوان ، المقتر على الاخوان ، الكثير الألوان .

قال : فمن شر الناس ؟

قال : اطولهم جفوة ، وادومهم صبوة ، واكثرهم خلوة ، واشدهم قسوة .

قال : فمن اشجع الناس ؟

قال : اضربهم بالسيف ، واقراهم للضيف ، واتركهم للحيف (٢) .

قال : فمن اجبن الناس ؟

قال : المتاخر عن الصفوف ، المنقبض عن الزحوف ، المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف .

قال : فمن خير الناس ؟

قال : اكثرهم احسانا ، واقومهم ميزانا ، وأدومهم غفرانا ، وأوسعهم ميدانا .

فقال الحجاج لله ابوك : فمن العاقل ؟ ومن الجاهل ؟.

قال : أصلح الله الامير ! العاقل الذى لا يتكلم هذرا ، ولاينظر شذرا ، ولا يضمر غدرا ، ولا يطلب عذرا ، والجاهل هو المهذار فى كلامه ، المنان بطعامه ، الضنين بسلامه ، المتطاول على امامه ، الفاحش على غلامه .

قال : لله ابوك ! فمن الحازم الكيس ؟

قال : المقبل على شأنه ، التارك لما لا يعنيه .

قال : فمن العاجز ؟

قال : المعجب بآرائه ، الملتفت الى ورائه .

قال : هل عندك من النساء خبر ؟

قال : أصلح الله الامير ! انى بشأنهن خبير ، ان النساء من أمهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ، ان عدلتها انكسرت ، ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة ، فمن دارهن انتفع بهن ، وقرت عينه ، ومن شاورهن كدرن عيشه ، وتكدرت عليه حياته ، وتنغصت لذاته ، فأكرمهن اعفهن ، وأفخر أحسابهن العفة . فاذا زلن عنها فهن انتن من الجيفة .

---

(١) الغضبان بن القبعثرى : من اشراف العراق ، وكان من دعاة المروانية أيام حرب عبد الملك بن مروان مع مصعب بن الزبير . (٢) الحيف : الجور والظلم .

«أتعبت الخلفاء من بعدك»

رأى علي بن أبي طالب عمر وهو يعدو الى ظاهر المدينة ، فقال له : الى أين يا أمير المؤمنين ؟ قال : قد شرد بعير من ابل الصدقة فأنا وراءه أطلبه !!.. فقال علي بن أبي طالب : « أتعبت الخلفاء من بعدك !.. يا عمر » وهكذا كان حرصهم على مال الله وحق الفقراء والمساكين .

«عجبت ... !»

قال الامام جعفر الصادق – رضي الله عنه – عجبت لمن ابتلى بخمس كيف يغفل عن خمس ! عجبت لمن ابتلى بالضر ،كيف يذهب عنه ان يقول : **« انى مسنى الضر وانت أرحم الراحمين »** والله تعالى يقول : **« فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر »** وعجبت لمن ابتلى بالغم ، كيف يذهب عنه أن يقول : **« لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين »** والله تعالى يقول : **« فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين »** وعجبت لمن خاف شيئا كيف يذهب عنه أن يقول: **« حسبنا الله ونعم الوكيل »** والله تعالى يقول : **« فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء »** .

وعجبت لمن مكر به ، كيف يذهب عنه ان يقول : **« وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد »** والله تعالى يقول : **« فوقاه الله سيئات ما مكروا »** .

وعجبت لمن انعم الله عليه بنعمة خاف زوالها ، كيف يذهب عنه أن يقول : **« ما شاء الله لا قوة الا بالله »** والله تعالى يقول : **« ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله »** .

«العلم والعمل»

الدنيا كلها ظلمات ، الا موضع العلم ، والعلم كله هباء ، الا موضع العمل والعمل كله هباء ، الا ما كان خالصا لوجه الله الكريم . قال جل وعلا : **« الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى »** .

«لاتحرمنا»

قيل لاعرابي : أتحسن أن تدعو ربك ؟ قال : نعم .. ثم قال : **«اللهم انك اعطيتنا الاسلام من غير ان نسألك ، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك »** .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفتاوى

الأستاذ عبدالحميد شاهين

س :

ـ فى الوقت الذى نرى فيه بشائر صحوة اسلامية تسرى فى كيان الأمة الاسلامية كلها ، نرى عدوانا شرسا على المسلمين فى كل مكان ، وتواطؤا بين قوى البغى والعدوان العالمية لاجهاض هذه الصحوة ، والاستمرار فى اخضاع المسلمين واذلالهم ، وقد بلغ ذلك العدوان مداه عندما اجتاح العدوان الشيوعى الآثم تحت سمع العالم وبصره شعب أفغانستان المسلم !!! فما هو واجب المسلمين شعوبا وحكومات ؟ وما هو حكم من يؤيد هذا العدوان وأمثاله ؟

ج :

ـ المعركة بين الاسلام وأعدائه معركة قائمة منذ دعا النبى محمد عليه الصلاة والسلام اليه حتى اليوم وهى دائمة بين المسلمين وأعداء الاسلام حتى يعز الله دينه « بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » (١) .

نعم انه الجهاد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، الجهاد بالنفس ، والجهاد بالمال ، والجهاد بالعلم ، وهو الجهاد الفردى والجهاد الجماعى ، انه الجهاد العام الشامل الذى يبذل فيه كل مرتخص وغال ، انه جهاد الشعوب وجهاد

(١) الآية ٥٤ من سورة المائدة

الحكومات الاسلامية ، لا يتخلف عنــه متخلف ولا يتخــاذل عنــه متخــاذل ، ويوم يعــرف أعــداء الاسلام أن المسلمين قــد شهروا فى وجوههم سلاح الايمان ورفعوا راية الجهــاد سوف يعودون الى جحورهم مهزومين حتى قبــل أن يلتقوا بالجنود المؤمنــة « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » (١) .

وقد أعلنها فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمــود يوم أن خاض المسلمون معركة العاشر من رمضان (والمعركة واحــدة) قال رحمه الله :

أيها الأخــوة المؤمنــون (٢) : باسم علمــاء الاسلام بعــامة نعلن أن الحرب التى نخوضها فريضــة عينية على جميع المسلمين فى جميع أقطــار الأرض ، على كل مسلم وعلى كل مسلمة ، وعلى كل دولة ، وعلى كل جمــاعة وعلى كل قطر ، وأنه اذا قصرت دولة من الدول فى هذه الحرب فقد خرجت على الله ورسوله ، خرجت على تعاليم الله وتعاليم رسوله صــلى الله عليــه وسلم .

اننا ندعو باسم الأزهر وباسم علمــاء الاســلام جميــع الدول الاسلاميــة فى أى موقع من أرض الله أن تبذل أقصى ما تستطيع من المال ، تبذل أقصى ما تستطيع من السلاح ، تبذل أقصى ما تستطيع من الرجال ، وهذا البــذل فرض محتم وواجب مقدس .

وقد آن الأوان أن تنفق أموال المســلمين المكدســة فى البنــوك الأجنبية فى سبيل الله . انه ما دامت هــذه الحــرب الاســلامية بكل ما تحتمله من أبعاد ، فان منطــق الايمان لا يرضى بالاكتفاء من بعض الدول الاسلامية بكلمات التشجيع أو بكلمات الثناء ، وانمــا يرضى هذا المنطق بالعمل الجاد .

ان الله سبحانه وتعالى يقول : « انفروا خفافا وثقالا وجاهــدوا

---

(١) الآية ٤ من سورة الصف

(٢) من كتابه « جهادنا المقدس » مطبعة الأزهر

بأمـوالكم وأنفسـكم فى سبيل الله (٢) . وهـذه الآية الكريمة لم تدع عذرا لمعتـذر ، لأن الانسان اما خفيف واما ثقيل ، ولا تخرج حـالاته عن ذلك ، وقـد أمر الله هذا وذاك بالجهاد فى سبيله .

وهذا الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة اذا كان العـدو فى أية أرض اسلامية ....

وقـد بين الله سبحانه وتعـالى الحكم فى المجاهدين وفى المتخلفين فقال سبحانه : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليـوم الآخـر أن يجـاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقـين ، انمـا يسـتأذنك الذين لا يؤمنـون بالله واليـوم الآخـر وارتابت قـلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » (١) .

وبهذا أصبح واضحا أن الايمان انتفى عن المتخلف ، وأن المتخلف خرج بتخلفه عن الاسلام ، وهذا الحكم الصريح ينطبق على الدول كما ينطبق على الأفراد ، بل انه فى هذا العصر موجه الى الدول أولا وبالذات . واذا كان موجهـا الى الأفراد بنفس القوة الموجه بها الى الدول فـان الدول الآن هى التى تمـلك الطـائرات والصـواريخ والمدافـع والدبابات . أى تملك ما أمر الله باعـداده فى مواجهـة العدو . وعبر عنه بقوله تعـالى : « وأعـدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

فمسئوليتها الآن مسئولية كبرى، وهذه المسئولية تقـع على الدول الاسلامية .. انها تقـع على كل الدول الاسلامية البعيدة عن ميدان القتال والقريبة منه .

فالجهاد الحالى هو جهاد يعنى كل الدول الاسلامية مهما نأت بها الدار ، فان الطـائرات لا تقف فى سبيلها مسافات ..

ويجب أن يتأمل الأفراد وتتأمل الدول الاسلامية النصوص القرآنية الـكريمة ، والأحاديث النبـوية الشريفة الخاصة بالجهاد .

انه سبحانه يقول : « يأيها الذين آمنوا هـل أدلكم على تجـارة

---

(١) من الآية ٤١ من سورة التوبة .
(٢) الأيتان ٤٤ ، ٤٥ من سـورة التوبة .

تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » (١) .

وقد ختم سبحانه هذه الآيات بقوله : « وبشر المؤمنين » وعمم البشرى للمؤمنين ، وهى تعنى : بشرهم بالفوز ، بشرهم بالنصر ، بشرهم بمرضاةالله ، بشرهم بالأمن بشرهم بالتوفيق ، بشرهم بسعة الرزق ، بشرهم بكل خير .

وحينما أعلن الله عن هذه التجارة تقدم المؤمنون الصادقون يتاجرون مع الله سبحانه وتعالى ، ويقول الله عن ذلك : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (٢) .

ان المؤمن فى عقد الايمان باع نفسه وماله لله وهذا العقد بينه وبين الله ... وليس من شروط هذا العقد أن يستشهد المقاتل ، كلا فمن قاتل وانتصر وعاد سالما فله الجنة .. ان الجنة للمقاتل ، سواء استشهد أو انتصر وعاد الى بيته ...

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « الجنة تحت ظلال السيوف » .

ثم يوجه ــ رحمه الله تعالى ــ خطابه الى أولئك الذين يخافون على أنفسهم أو أموالهم فلا يجاهدون فى سبيل الله ولا يستجيبون لله ولرسوله فيقول :

أيها الاخوة المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها :

---

(١) الآيات ١٠ ــ ١٣ من سورة الصف
(٢) الآية ١١١ من سورة التوبة .

ماذا يخشى المؤمنون دولا كانوا أو أفـرادا مـن الاسـتجابة لله ولرسوله ؟

أهو الموت ؟

حقا ان الانسانية منذ أن وجدت تخاف المـوت وتخشـاه خشيـة لا تعدلها خشية .

وكان لـذلك نتـائج سلوكيـة كثيرة ، من هذه النتائج : الجبن ، وقـد أحب الله سبحانه وتعـالى ألا تقع الأمة الاسلامية فيمـا يقع فيه غيرها من الجبن خشية الموت فبين سبحانه الأمر فى القـرآن ، وبينه الرسول ــ صلى الله عليـه وسلم ــ فى السنة بيانا لا لبس فيه .

ان مالك الملك انما هو وحـده الذى يملك الموت والحياة ، وهو الذى قرر الآجال وحددها « فاذا جـاء أجلهم لا يستأخرون سـاعة ولا يستقدمون » (١) .

والحرص على الحياة أو الجبن ليس من أسباب اطالة الأجـل ، والشجاعة والاقـدام ليسا مـن أسباب تقصير الأجل ، وقد بين الله ذلك فى كتابه الكريم ابانة تامة ..

وكما أنه « لكل أجل كتاب » (٢) فانه « لكل أمة أجل » .

أما هؤلاء الذين قالوا : « لو كان لنا من الأمـر شىء ما قتلنـا ها هنا » فان الله سبحانه وتعـالى يرد عليهم : « قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » (٣) .

وهؤلاء الذين قالوا لاخـوانهم وقعدوا : « لو أطاعونا ما قتلوا » فان الله سبحانه يرد عليهم قائلا : « فأدرأوا عن أنفسكم الموت ان « كنتم صادقين » (٤) .

أما الذين يفرون أمام الأعـداء فهم : « انما استزلهم الشـيطان ببعض ما كسبوا » (٥) .

---

(١) الآية ٣٤ من سورة الأعراف

(٢) من الآية ٣٨ من سورة الرعد .

(٣) من الآية ١٥٤ من سورة آل عمـــران

(٤) الآية ١٦٨ من سورة آل عمران

(٥) من الآية ١٥٥ من سورة آل عمران

اذن المؤمن الصـادق الايمـان لا يعـرف الجبن ، ولا يسـتزله الشيطان موسوسا له بالخوف من غير الله .. والله سبحانه وتعـالى يؤكد : « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله » ..

ونعود فنقـول : ماذا يخشى المؤمنون دولا كانوا أو أفرادا ؟

أهو هم الرزق ؟

ان الاسلام كمـا حرر المجتمع الاسلامى من خوف الموت فقـد حرره أيضا من هم الرزق ، يستوى فى ذلك حالة السلم وحالة الحرب ، ذلك أن الرزق بيد الله . « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها »

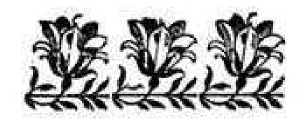
.. وقد أخبـر الله أن الرزق فى السماء محدود ومقسوم ، وأقسم على ذلك سبحانه ، لما يعـلم من ضعف الطبيعة البشرية ، واشفاقها وقلقها بالنسبة لأمر الرزق ، يقول : « وفى السماء رزقكم وما توعدون فـورب السـماء والأرض انه لحق » (١) .

وبعد .. فلقد فرض الله سبحانه على المسلمين الجهـاد فى أسلوب حاسم فقال تعـالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خـير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (٢) .

---

(١) الآية ٢٢ ، ٢٣ من سـورة الذاريات .
(٢) الآية ٢١٦ من سورة البقرة .

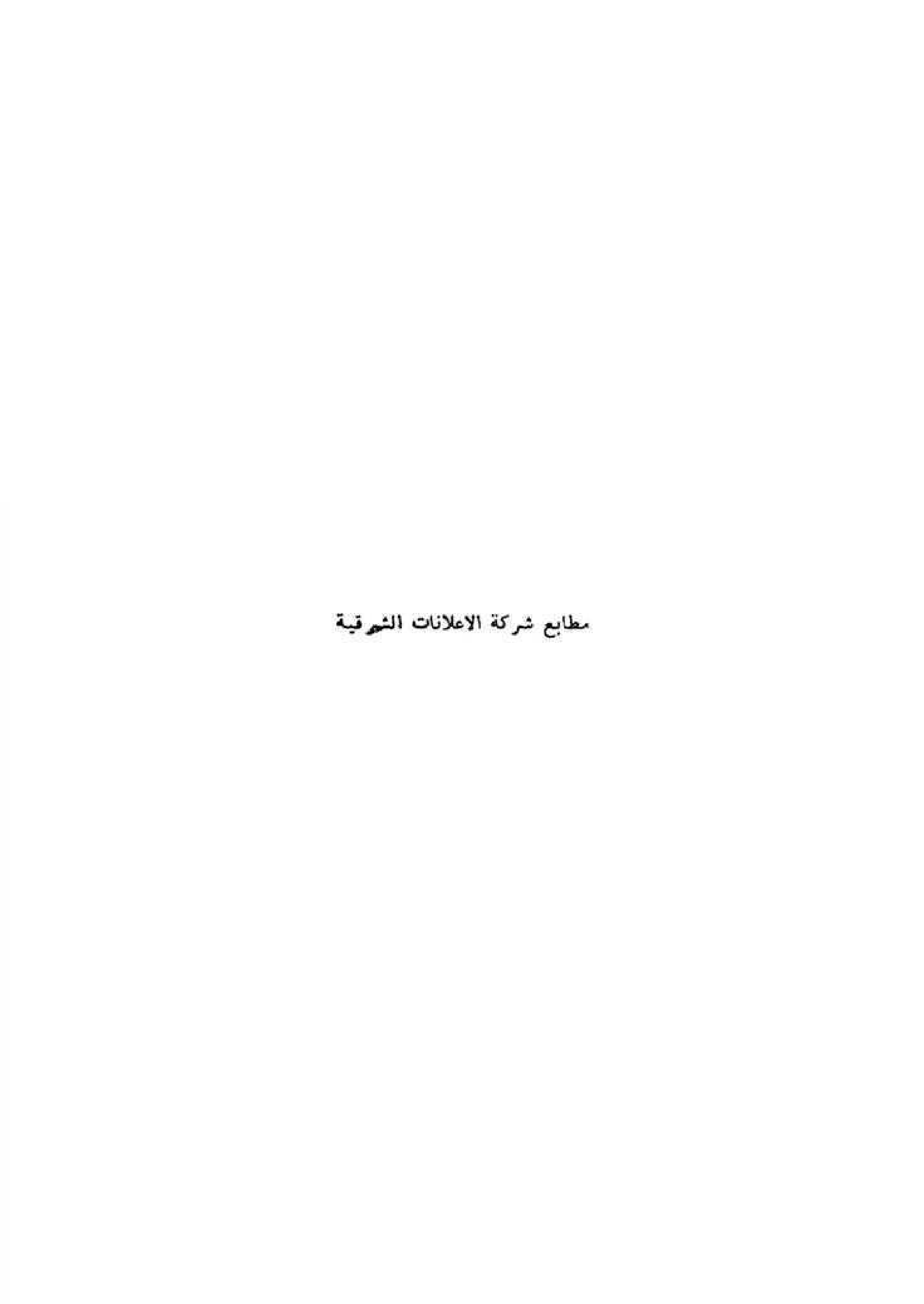
عبد الحميد شاهين



فهـــرس العـــــدد

الموضـــــوع

صفحة



مطابع شركة الاعلانات الشرقية


مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى
مدير المجلة ورئيس التحرير
الدكتور عبد الودود شلبى
العنوان الأزهر القاهرة
ت ٩٠٩٩٩٢ ٩٠٥٥٠٦

الجزء الثالث ـ السنة الثانية والخمسون ـ ربيع الآخر ١٤٠٠ هـ ـ مارس ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات قرآنية :

حسن الجوار من آداب الإسلام

فضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

قال تعالى فى وصيته بالاحسان الى طوائف من الناس : « والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب » . من الآية ٣٦ من سورة النساء .

البيـــان

لست أدرى ما الذى يدفع بعض الناس الى عداوة جيرانهم وتنغيص عيشهم ، وجعل الحياة عليهم جحيما وعذابا أليما ؟ أهى غريزة التلذذ بعذاب الناس ؟ أم هى الغيرة المجنونة من نعمة كريمة يعيش فيها أولئك الجيران ، فتدفعهم هذه الغيرة الى التنفيس عن أنفسهم ، بابدال نعمى الحياة على جيرانهم شقاء وعلقما ، وحلوها ، مرا وصابا ، فتستريح بذلك نفوسهم حين تتعبها الغيرة العارمة ؟ أم هى النظرة الحمقاء الى الحياة ، فلا يرونها الا شجارا وخلافا ، وصخبا وعنفا ، فاذا خلت الحياة من ذلك زعموها ميتة أهل القبور .

ليست الحياة كما تفهمون أيها الحاقدون ، انها لين الجانب ، وتبادل المودة ، وابتسامة البشر

والرضا ، والحب المشترك وهناء القلب ، وسكون النفس ، وهدوء البال ، والبعد عن المكاره والرغبة فى الخير .

وليس أولى بحسن المعاملة وتبادل المودة من الجيران ، فانهم عوض عن الأقارب والأرحام والأصهار ، أليس الرجل منا يترك أهله وذوى قرباه وأصهاره ، ليعيش بين أولئك الجيران ، فعليه أن يحسن معاملتهم ، حتى اذا مسته ضراء سارعوا الى نجدته ومعونته ، واذا غمرته سراء فرحوا لمسرته ، وكانوا له أهلا بدل أهله ، وصهرا بدل صهره ، فهم أقرب اليه ، وأسرع الى تلبية ندائه منهم .

ان الاسلام رتب للجيران حقوقا لم يعن بمثلها دين من الأديان ، ولم يجعل هذه الحقوق خاصة بالمسلمين ، بل أوجبها لكل جار مهما كان دينه ، قال صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (١) . فقد جعل الرسول : اكرام الجار من آثار الايمان بالله واليوم الآخر ، ولم يقيد اكرامه بأن يكون مؤمنا .

ولقد ارتفع الاسلام بحق الجار حتى جعل من يؤذيه ضعيف الايمان الى درجة تشبه العدم ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » والحديث متفق عليه ، ولقد عنى جبريل بتوصية النبى صلى الله عليه وسلم باستمرار ، وفى ذلك يقول الرسول « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » والحديث متفق عليه أيضا .

ومن كان يؤذى جيرانه فلا تشفع له صلاته ولا صيامه ، فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها » فقال صلى الله عليه وسلم : « هى فى النار » (٢) .

---

(١) الحديث متفق عليه بين كتب السنة .
(٢) اخرجه احمد والحاكم من حديث ابى هريرة وقالا صحيح الاسناد .

احسان السلف الى جيرانهم من اهل الكتاب

وكان السلف الصالح لا يبخلون بالاحسان على جيرانهم من أهـل الكتاب ، ويرونهـم داخليـن فى الوصية بالجـار ، قال مجـاهد : كنت عند عبد الله بن عمر ، وغلام له يسلخ شاة ، فقال يا غلام : اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى، حتى قال ذلك مـرارا ، فقـال له : كم تقول هذا ؟ فقال : « ان رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم لم يزل يوصينا بالجـار حتى خشينـا انه يورثه » .

فأنت ترى أن عبد الله بن عمـر وهو من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، كان يكرر على غلامه الأمر بأن يبدأ بجـاره اليهودى فيعطيه قبل غيره من شاته التى يسلخها ، ويحتج لذلك بأنـه صلى الله عليه وسلم أطلق الوصية بالجار ، ولم يخص المسلميـن ، وكان الحســن لا يرى بأسـا أن تطعم الجار اليهودى والنصرانى من أضحيتك .

دستور الاسلام فى معاملة الجار

اذا تتبعنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاملة المسلمين بعضهم بعضـــا ، وفى معامـلة الجيران ، استطعنا أن نأخذ منهـا المبادىء الآتيـة : لنجعـل منهـا دستورا ومنهاجا فى معاملة الجيران يضمن السلام والمودة ، ويستتبـع هدوء النفس وراحة القلب ، وتبادل النفع ودفع الضر ، واليـك هذه المبادىء : ينبغى أن تبـدأ جـارك بالسلام ، وتفـرح لفرحه وتتـألم لألمه ، ولا تبحث عـن عـوراته ، واذا ظهر لك شىء من زلاته حـاد به عن جادة الهدى ، فانصحه برفق، وكن لأولاده أبا أو أخـا ، واذا مرض عـدته ، واذا استعـان بك أعنته ، واذا استشارك أخلصت له الرأى ، واذا ناله خير هنأته ، واذا نزلت به ملمة سليته وعزيته .

وعليك أن تغض البصر عــن محارمه ، وتحافظ على كرامة ذويه، وألا تقتحم بيته بغير استئـذان ، وأن تلزم أهلك الاحتشام والبعـد عن مجالسة جارك ، وأن تحذر رفع

الكلفة بين أهلك وبين جيرانك ، فكم من مصائب نزلت بالأسر المجتمعة ففرقتها ، وكم من عفة وحصانة أصابتها الفتنة فحطمتها ، وكل ذلك ناشيء من رفع الكلفة بين الرجال والنساء ، جيرانا كانوا أو غرباء ، وفتنة الجار أقوى من فتنة سواه ، فالتزام الحشمة والتصون واجب بصفة عامة ، وعلى الجيران بصفة خاصة ، ومن التزم شرع الله حفظه الله من فتنة سواه .

ومن أدب الجار أن يحرص على بقاء المودةبين أولاده وأولاد جاره، فلا يسلطهم عليهم ، ولا يوغر صدورهم نحوهم ، واذا غاب جارك عن بيته فلا تغفل عن ملاحظته حتى يعود .

نماذج من أدب البر بالجار

قال أبو ذر الغفاری : « أوصانی خليلی صلى الله عليه وسلم وقال : اذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ، ثم انظر بعض أهل بيت فی جيرانك فاغرف لهم منها » أخرجه الامام مسلم .

واذا لم يتسع خيرك لجيرانك المستحقين للبر ، فاعط أقربهم اليك، قالت عائشة : يا رسول الله : ان لی جارين ، أحدهما مقبل على ببابه ، والآخر ناء ببابه عنی ، وربما كان الذي عندى لا يسعهما ، فأيهما أعظم حقا ، قال : « المقبل عليك ببابه » . أخرجه البخاری .

والاسلام يرى وجوب تكافل أهل الحی ، فان عجز أحدهم عن الكسب ومات جائعا كانوا آثمين ، وكانت قسوتهم هذه أمارة على ضعف الايمان ، قال صلى الله عليه وسلم : « ماآمن بی من بات شبعان وجاره الى جانبه طاو » أی (جائع) . وقال : « أی رجل مات ضياعا بين أغنياء ، فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » .

وعن الحسن البصری ، قال : « لقد عهدت المسلمين وان الرجل منهم يصيح فيقول : « يا أهليه يا أهليه : يتيمكم يتيمكم ، يا أهليه يا أهليه : مسكينكم مسكينكم ، يا أهليه يا أهليه ، جاركم جاركم » رواه البخاری فی الأدب المفرد .

واذا أهداك جارك هدية صغيرة فلا تحتقرها ، فان الهدية مهما كانت قيمتها أو حجمها ، فهى سبيل المودة ، وبرهان على أنك فى ذهن جارك وقلبه ، قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر المسلمات . لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرش شاة » . أخرجه البخارى ، وفرش الشاة حافرها .

وانما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن احتقار الهدية ، لما فيه من كسر قلب مهديها ، الذى لم تتسع حاله لأكثر منها .

وبلغ من اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بالجيران الفقراء ، أنه أوصى المياسير ، أن يكونوا بارين بهم كلما طبخوا طعاما ، قال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : « أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم وقال : « اذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ، ثم انظر بعض أهل بيت فى جيرانك فاغرف لهم منها» يعنى ان البر بالجار الفقير لا يكون شيئا عابرا أو من باب الصدفة ، بل يكون أمرا رتيبا كلما وجد داعيه .

حرص السلف على رضا الجيران

رأى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ولده عبد الرحمن يناجى جارا له ــ أى يزعجه ــ فقال له : لا تناج جارك ، فان هذا يبقى والناس يذهبون .

وقال الحسن بن عيسى النيسابورى : سألت عبد الله بن المبارك فقلت : الرجل المجاور يأتينى، فيشكو غلامى أنه أتى اليه أمرا ، والغلام ينكره ، فأكره أن أضربه ولعله برىء ، وأكره أن أدعه ــ أى أترك عقابه ــ فيجد على جارى ــ أى يغضب ــ فكيف أصنع ، قال ابن المبارك : ان غلامك لعله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه ــ أى لا تعجل بضربه من أجل هذا الحدث ــ فاذا شكا جارك فأدبه على ذلك الحدث ، فتكون قد أرضيت جارك وأدبته على ذلك الحدث ــ وهذا تلطف فى الجمع بين الحقين ولو أن ذلك الجار أحسن الى غلام جاره بالعفو

عنه وحسن معاملته ، لما احتاج الى أن يشكوه الى سيده ، فانه يراه بعد ذلك شديد المودة له ، فالانسان عبد الاحسان ، وقد ندب الله عباده للعفو وجعله نوعا من الاحسان يستتبع حب الله تعالى ، وذلك فى قوله سبحانه : « والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

خلال المكارم كما تراها عائشة

قالت عائشة رضى الله عنها : خلال المكارم عشر ، تكون فى الرجل ولا تكون فى أبيه ، وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده ، يقسمها الله لمن أحب — صدق الحديث ، وصدق الناس ، واعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع ، وصلة الرحم ، وحفظ الأمانة ، والتذمم للجار — أى البعد عن العيب معه — والتذمم للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء .

سعادة المرء المسلم وشقاؤه

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع ، والجار الصالح والمركب الهنىء » أخرجه الامام أحمد والحاكم وقالا صحيح الاسناد .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اليمن والشؤم فى المرأة والمسكن والفرس ، فيمن المرأة خفة مهرها ، ويسر نكاحها ، وحسن خلقها ، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها ، وسوء خلقها ، ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله ، ويمن الفرس ذله وحسن خلقه ، وشؤمه صعوبته وسوء خلقه » أخرجه الامام مسلم .

ومن سعادته أن يسعف جاره ، وينتشله من كبوته المالية ان قدر على ذلك ، ليكون على المستوى الرفيع الذى دعا اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ومن أمثلة ذلك أن ابن المقفع بلغه أن جارا له يبيع داره فى دين ركبه ، وكان يجلس فى ظل داره ، فقال : ما قمت اذن بحرمة ظل داره ان باعها مقدما ، فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها .

واعلم أن شهادة الجــار لجاره برهان على احسانه واستحقاقه أجر المحسنين السعداء ، قال عبد الله بن مسعود قال رجل يا رسول الله كيف لى أن أعلم اذا أحسنت أو أسأت ، قال : « اذا سمعت جيرانك يقولون قــد أحسنت فقــد أحسنت ، واذا سمعتهــم يقولون قد أســأت فقد أسأت » أخرجه أحمد والطبرانى ، واسناده جيد .

لاتبع دارك قبل عرضها على جارك

ومن أدب الاسلام أنك لا تبيع دارك أو أرضــك حتى تعرضــها على جارك ، مراعاة لحرمة الجوار ، قال صلى الله عليه وسلم: « مــن كان له جار فى حائــط أو شريك فلا يبيعه حتى يعرضه عليه » (١) أى من كان له جار فى بستان يملكه وحــده أو يشــاركه فيه جاره ، فلا يبيعــه لغيــره حتى يعــرضه عليه .

ولابن مــاجة من حــديث ابن عباس (٢) : « من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره »

وبعد فهذه جولة مبــاركة حول حقوق الجار وواجباته ، وقد تمتعنا فيها بعبير كتاب الله وسنة رسوله ، وسيرة السلف الصالح ، أســأل الله أن ينفع بها كل مسلم ومسلمة .

مصطفى محمد الحديدى الطير

---

(١) اخرجه ابن ماجة عن جابر ، والحاكم وقالا صحيح الاسناد .
(٢) رجــاله رجــال الصحيح .

المشكلة الاقتصادية
فى
ضوء تعاليم الإسلام الحنيف

دكتور رءوف شلبى

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فان الاسلام منهج حياة أوحاه الله الى نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لينظم الناس حياتهم على شريعته ، ويمشون فى درب الحياة على نوره وهديه ، ويعمرون هذه الأرض باستخدام النعم التى لا تحصى ولا تعد « وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

« سورة النحل »

والاسلام هو الدين الوحيد الذى يربط الانسان بالكون وربطه بالآخرة وجعل سعيه فى الدنيا مشكورا فى الآخرة ان قام نشاطه على هديه وأنواره ، وجعله هباء منثورا لا وزن له يوم القيامة ان ضل سعيه فى الحياة الدنيا .

ولقد قدم الاسلام لبنى البشر طرا مناهج حياتهم :

- ❋ الفردية .
- ❋ والاسرية :
- ❋ والاجتماعية .
- ❋ والاقتصادية .
- ❋ والعسكرية .
- ❋ والسياسية .

وللاسلام ذاتيته فى هذه المناهج سواء اتفقت معه المناهج الأخرى أو اختلفت فان امتياز المناهج الاسلامية انها تكفل السعادة للبشرية وتخاطب فيها الفطرة ،

وتتمشى مع واقعها وتأخذ بيـدها عنـد العثـرة بالهـدهدة واللين واليسر .

والمذهب الاقتصادى الاسلامى لا ينفك عن هـذه الخاصية فهـو يلتزم مع بقية المنـاهج الاسلامية بسمات الاسلام العـامة انه منهج يقوم على العقيدة كسائر منـاهج الحياة التى شرعها الله لعبـاده وهو منهج يقوم على الأناة والتؤدة .

وهو منهج يقوم على الواقعيـة والتوازن .

والاسلام لا يدعى أنه يقدم علما للاقتصاد فالمسلمون ليسوا فى حاجة الى علم اقتصاد وانما هم فى حاجة الى ضابط اقتصادى يسيرون على هديه .

ولقد صنع الاسلام لهم ضـابطا هو المذهب الاقتصـادى الاسلامى يقوم على :

أ ــ الملكية وحرية الانتاج .

ب ــ تسـخير الله لوسـائل الانتاج للبشرية .

جـ ــ قوانين الانفاق والتصدق .

د ــ العدالة الاجتماعية .

هـ ــ التـداول .

وهـذه النظرية ليست حكومية بل هى منهج للأمـة والشعب لأن التنمية تحتـاج الى جميع جهـود الأمة كلها وجهود الحكومة وحدها لا تكفى بل هى جهـود عاجزة ، ولذا فان الاسلام يجيش جهـود الأمة الاسلامية كلها لتتضافر على العمل والانتاج وقد دعا القـرآن الكريم جماعة المسلمين الى العمل : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

« التوبة »

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه بذل الجهد للحصول على الرزق الحلال .

* فجاءه يوما رجل يسأل فقال له خذ حبلك على ظهرك واحتطب .

* وجاء رجـل آخر يسأل ، فسأله النبى صلى الله عليـه وسلم ما عنـدك من الأمتعـة فقال حب وحصير فباعها النبى صلى الله عليه

وسلم بدرهمين وقال له : خذ درهما انفقه على أهلك ، واشتر بالدرهم الثانى قادوما ثم اذهب الى الجبل لا أرينك خمسة عشر يوما .

* ورأى النبى صلى الله عليه وسلم يد رجل عليها آثار العمل فقال : هذه يد لا تمسها النار .

فالتنمية فى نظر الاسلام ليست مسئولية الحكومة وحدها وليست طاقة الحكومة بكافية فى تحقيق التنمية بل التنمية تحتاج الى تفاعل شامل من أفراد المجتمع كله .

كما تحتاج الى خفض حجم الانفاق عن معدل الانتاج وهذا ما دعت اليه النظرية الاسلامية « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

« الفرقان »

والذى نعانيه فى بلادنا العربية والاسلامية اليوم انما هو انحراف عن الطريق الجاد الصحيح .

ا ـ فموارد الأمة لم تستغل فكم من ملايين الافدنة الصالحة للزراعة فى عالمنا العربى والاسلامى لما تستخدم حتى الآن .

ب ـ والقوى العاملة التى تزج بخريجى الجامعات الى مكاتب الحكومة والقطاع العام فى أعمال لا صلة لهم بما تعلموه فى الجامعة مما خلق جوا كئيبا فى الادارة عطل الانتاج وأفسد العلاقات الاجتماعية بين الناس .

جـ ـ وتتحمل الحكومة وحدها عملية التنمية مما جعل الناس جميعا يقفون موقف المتفرج وينتظرون اغداق الخيرات عليهم كاليتامى الذين ينتظرون حسنات الأغنياء .

د ـ والتبذير الفاضح والاسراف الأهوج فى المظاهر الفضفاضة التى تضيع الانتاج فى الهواء .

هـ ـ والتبعية الاقتصادية للايديولوجيات الاقتصادية التى تسعى لافساد اقتصادنا كأمة عربية واسلامية فرضت فى أذهان الناس عدم الثقة فى جدوى معالجة قضايا الاقتصاد وشككت فى كثير من البرامج بالاضافة الى وجود طبقة داخل الجهاز الحكومى تستطيع أن تحصل على مال سحت بأسلوب

أو بآخر ممــا يشجع الشعب على التهــاون فى المشاركة فى عمليــة التنمية .

ولو أستخدم المنهج الاســلامى لأقالنا الله تبــارك وتعالى من هذه العثرات ، ويفتــح علينــا بركات من الســماء والأرض كمــا وعد الذين يلجــأون اليــه ويحتمون فى حماه ، ذلك لو أرادوا الاصــلاح والعلاج . ولقــد آثرت أن يكون موضــوع البحث عــن المشــكلة الاقتصادية لأضع التصور الاسلامى فى حل هذه المشكلة .

وينقسم البحث الى الموضــوعات التالية :

أولا : مشــوار مــع المذاهب الاقتصــادية الكبرى الرأســمالية والاشتراكية .

ثانيا : مفهوم المشكلة الاقتصادية عند علماء الاقتصاد .

ثالثا : الاســلام والمقــومات الاقتصادية .

رابعا : المشــكلة الاقتصــادية في نظر الاسلام **وحلولها** .

خامسا : نتائج لا مبرر لها .

ا ــ التبعيــة للاديولوجيــات الاقتصــادية كحــل للمشــكلة الاقتصادية .

ب ــ تحديد النسل .

سادسا : الامكانات العربية فى مواجهة التحدى الخارجى .

أولا ــ مشــــوار مع المــذاهب الاقتصادية الكبرى :

(ا) الرأسمالية

(ب) الاشتراكية الأم

تدعى النظريتان : الاشتراكيــة بأنماطهــا ، والرأسمالية بتطــور تاريخها .. أنهما تهدفان الى خير الانسان واشباع حاجاته ، واسباغ الرفاهية عليه ومنحه السعادة التى يطمح اليها .

* وتبدأ أول خطوة فى المشوار بعجالة عن أقطاب الاقتصاد الطبيعى الكلاسيكى اولئكم الذين وضعوا بذور علم الاقتصــاد وســط فهم اقتصادى يدور حول مسألتين :

المسألة الأولى :

أن الحياة الاقتصادية تسير حسب ما تعطيه قوى الطبيعة وحكموا تبعا لذلك بأن هذه القوى هى التى تتحكم فى الكيان الاقتصادى للمجتمع والواجب العلمى بناء على هذا يفرض على العلماء استكشاف قوانين الطبيعة ومالها من قواعد أساسية بحيث تكون صالحة لتفسير مختلف ظواهر الاقتصاد واحداثه ومجرياته .

المسألة الثانية :

ان هذه القوانين اذا اكتشفت فهى كفيلة بضمان السعادة للبشرية بشرط أن تنفذ فى جو من الحرية لكافة أفراد المجتمع .

والحرية المطلوب كفالتها للمجتمع هى حرية : الاستغلال ، والتملك ، والاستهلاك .

وذهب العلماء بناء على هذا الى أن الوقوف فى وجه الافراد هو وقوف فى وجه الطبيعة وقوانينها فالرخاء وحل مشكلات الحياة الاقتصادية مرتبطة طردا وعكسا باحترام هذه الحريات الثلاث : التملك ، الاستغلال ، الاستهلاك .

وقد بدا هذا الفهم متخلفا علميا لأن قوانين الطبيعة لا تتخلف اذا توافر لها الظرف اللازم وعليه فمن الخطأ أن تعتبر الحريات الرأسمالية قوانين طبيعية وتعتبر بناء على هذا مخالفتها جريمة فى حق تلك القوانين ، اذ أن قوانين الاقتصاد الطبيعية تعمل ولا تكف عن العمل فى جميع الاحوال بل ومع اختلاف درجة الحرية فى حق التملك ، والاستغلال والاستهلاك .

والأصوب أن يقال : ان هذه القوانين يختلف مفعولها تبعا لاختلاف ظروفها والشروط المتوفرة حولها .

وقد أوصى فقهاء الاقتصاد بالنظر الى هذه الحريات فى جو بعيد عن الطابع العلمى المطلق لأنها تمثل اتجاها مذهبيا خاصا وهنا يتضح فارق رئيسى بين نظرة الاسلام الى القوانين الاقتصادية فى مستواها الطبيعى وبين النظرية الرأسمالية .

وهذا الفارق هو : ان الاسلام بوصفه دينا ـ وان كان لا يعالج

موضوعات الاقتصاد علميا غير انه يملك مذهبا اقتصـاديا يؤثر على أحداث الحياة الاقتصادية عن طريق مفهوم الحياة ودوافعهـا وغايتهـا لدى الفرد المسلم وذلك بأن صهر الفرد المسلم فى قالب روحى أبدع به الفرد المسلم حياة أفضل من حياة المجتمع الرأسمالى الذى كان يعيش معـه فى نفس الفترة ممـا جعـل المبادىء التى جعلت المسلم فى ذلك الحين ميزانا لتحقيق الحياة الأفضل فى العصر الحـديث فأية أمة تلك التى يشهد لأفرادها بأنهم : يؤثرون عـلى أنفسـهم ولـو كان بهـم خصاصة ٠

أنهـا الأمة التى تستطيع بفردها المسلم الذى يضـع الانتاج وسيلة لاسعاد أمته ويقدم ثمرات عمـله خـدمة للأمة عن رضـا وقبول ٠ واستحسان وفى الحديث الشريف :

« ان الأشـعريين اذا ارمـلوا اقتسـموا الطعـام فهم منى وأنا منهم » ٠

واذا كان جـوهر الحـرية فى الاسـلام هو هـذا الرخاء الذى يقدمه المسلم لمجتمعه تلبية لنـداء العقيدة ، فان الحرية فى الرأسمالية ترتبط باحدى ضرورات ثلاث :

ا ـ ضرورة ارتبـاط فـكرة التوافق بين مصالح الفرد ومصالح المجتمع لأنه اذا تم التوافق توفرت المصالح العامة وعلى ذلك لا تكون الحـرية الا أداة لتوفير المصـالح العـامة ٠

ب ـ ضرورة ارتبـاط تنميـة الانتاج بناء على النظرية القـائلة بأن الحرية الاقتصادية هى أفضل قوة تدفع الى الانتـاج ولتفجـير الطـاقات ولمضـاعفة الثروة الاجتمـاعية ٠

جـ ـ ضرورة ارتبـاط الحرية الاقتصـادية بالحـرية الرأسمالية لأنها ليست مجرد أداة ، لتنميـة الانتاج أو للوفاء الاجتماعى وانما هى تحقيق لانسانية الفرد ووجوده الطبيعى الصحيح ٠

وملخص الرأى عند علماء هذا المذهب ان الحرية تعتبر ضرورة فى التصميم الاجتماعى لأنها اما وسيلة لتحقيق المصالح العامة ، أو لأنها

سبب لتنمية الثروة والانتاج ، أو لأنها تعبير أصيل عن كرامة الانسان ، ولقد أصبح من السخرية بمكان الحديث عن التوافق بين المصالح العامة والدوافع الذاتية لما سجله التاريخ من جنايات على الاخلاق والروحانيات ومآسيها فى المجتمع ويكفى من نتائج ذميمة لهذه الحرية الاقتصادية ان الانسان كسلعة تخضع لقوانين العرض والطلب فاذا زادت القوى البشرية العاملة وزاد المعروض منها على مسرح الانتاج انخفض سعرها لأن الرأسمالى سوف يعتبر ذلك فرصة حسنة لامتصاص سعادته من العامل الشقى ، ولذلك وصمت الرأسمالية بقانون الاجور الحديدى ذلك القانون الذى تحطم أمام ثورات العمال المتكررة كل عشية وضحاها وهنا تأتى عظمة الاسلام الحنيف ، اذ يجعل الاجر نظير العمل بقدر يكفى ويتناسب مع كرامة العامل فيقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » .

(رواه ابن ماجة)

ففى الحديث ثلاثة أمور :

١ ـ ان الاجر لا يعطى الا بعد قيام العامل بالعمل .

٢ ـ ان العامل يستحق أجره حسب حاجته .

٣ ـ ان العمل الذى أدى قد استفرغ جهد العامل ولذا فله عرق من كثرة العمل .

أما الرأسمالية فقد كانت حريتها الاقتصادية سيفا مسلطا على الاخلاق والقيم فى المجتمع الانسانى ، وانها لوصمة عار تلك التى جعلت أصحاب نظرية الحرية الاقتصادية تسابق الدول الأوربية بشكل جنونى على استعباد البشر الآمنين القانعين ، ولعل الهجرة الاوربية على أفريقيا من بريطانيا وبلجيكا واغتصاب أمم من البشر وبيعهم رقيقا لأصحاب المصانع فى أوربا .

وان الطريقة التى تمت بها سرقة هذه الأمم البائسة لتفزع القلب الفظ بل الانسانى فقد عمد الاوربيون الى قرى أهالى افريقيا فحرقوها ليهب الناس فزعين الى

مــكان يأويهم فتستقبلهم النخاسة فيحملونهم على البواخر ويرسلونهم الى أســواق الرقيق فى أوربا .. ولقد ظلت هذه الجريمة الى القرن التــاسع عشر حتى استبدلتها أوربا باحتــلال كامــل لبــلاد الشرقين الافريقى والآسيوى .

ذلك بايجــاز مستوى المذهب الرأسمالى فى دعواه تحقيق الرخاء والسعادة للبشر .

* ولم يكد المذهب الرأسمالى يفيــق من قضــاياه حتى عاجلتــه النظريات الاشتراكيــة بأنماطهــا المتعــددة .

ونحب أن نقول فى بادىء الأمر انه لم يقم فى العــالم كله نظــرية اشتراكية بناء على المادية التاريخية التى تعتمد عليها نظرية ماركس ، فالثورات الداخليــة التى مارست عملية تطبيق الاشتراكية الماركسية لم تعتمد فى انتصارها على الصراع الطبقى .

ولعــل أحــداث أفغانستان فى ديسمبر سنة ١٩٧٨ ومن قبل ذلك المجر وتشيكوسلوفاكيا لم تكن الا تتيجــة ثورة مسلحة وليست ثورة بسبب شدة التناقضــات الطبقيــة التى يدعيها ماركس والماركسيون .

ولقد سقط الحكم فى روسيا تتيجــة انهيــار عسكرى صــاحب الحرب العالمية الأولى الأمر الذى مكن لقوى المعارضة من الانتصار السياسى .

والصين لم يطبق فيهــا النظــام الاشتراكى تتيجة صراع بين الطبقات بل كان تتيجــة حــرب عسكرية كذلك .

وكذلك الحال فى بلاد المغــرب العربى ، فى اليمن وفى سوريا وفى العراق لم يكن هناك صراع طبقى ولا تناقضــات تاريخيــة سارت فى مسارها المبتــدأ به حتى وصلت الى الحكم بل هو انقلاب مسلح .

والنظرية اذا فشلت فى التطبيق فشلت فى الاصــل الفكرى الذى تقوم عليه وهو نفس القياس الذى تأخــذ به الحــركة الشــيوعية أو الاشتراكية .

يقول جورج بولتزير :

ان من يهمل النظرية يقع فى فلسفة الممارسة فيسلك كما يسلك الاعمى ، ويتخبط فى الظلام ، أما ذلك الذى يهمل التطبيق فيقع فى الجمود المذهبى .

ويقول ماوتسى تونج :

ان نظرية المعرفة فى المادية الديالكتيكية تضع التطبيق فى المقام الأول فهى ترى أن اكتساب الناس للمعرفة يجب أن لاينفصل بأية درجة كانت عن التطبيق وتشن نضالا ضد كل النظريات الخاطئة التى تنكر أهمية التطبيق أو تسمح بانفصال المعرفة عن التطبيق .

وعلى هذا المقياس الذى ارتضاه الشيوعيون أنفسهم نؤمن ان الاشتراكية بأنماطها مذهب كاذب وفاشل لأنه وضع قواعد للنظرية لم تتحقق مرة واحدة فى كل البلاد التى ساد فيها هذا المذهب الا بقوة السلاح .

* فروسيا كانت بلدا زراعيا وحركة التصنيع فيها منخفضة ، وكان الرأسمال المحلى عاجزا عن الانتاج وكانت المشاكل السياسية والعسكرية فادحة ، وقد رفض ماركس من قبل أن تكون روسيا أرضا تتحقق عليها شيوعيته لأنه كان يحلم بالثورة الاشتراكية من انجلترا أو من فرنسا لوجود كثافة عمالية ومصانع كثيرة ظنها يوما تحقق أحلامه ، ولكن حتى الآن لم تستطع القوى العمالية فى انجلترا وفرنسا مطمح آمال ماركس ان تحيلهما الى دولة شيوعية .

ولقد دفن ماركس فى انجلترا بعد أن حلت مشاكل العمال عام ١٨٤٨م أى أثناء قيامه بتسويد المانفستو الشيوعى الفاشل .

* ودول أوربا الشرقية وضعت عليها الاشتراكية بقوة الجيش الأحمر مثل دولة بولونيا والمجر والتشيكوسلوفاكيا ولم تنبثق من هذه الدول ثورة نتيجة صراع الطبقات .

معالم الاشتراكية الأساسية :

والمعالم الرئيسية لكل الانظمة الاشتراكية أربعة :

١ ــ محو الطبقية وتصفية حسابها بخلق مجتمع لا طبقى .

ب ــ تسلم البروليتاريا للادارة عــن طــريق تــكوين حــكومة ديكتاتورية قادرة على تحقيق رسالة المجتمع .

جـ ــ تأميم مصــادر الثــورة ووسائل الانتاج واعتبارها ملــكا للمجتمع .

د ــ التوزيع يكون على أساس: من كل حسب طاقته ولكل حسب عمــله يستند ماركس الى قوانين المادية التاريخية التى ظنهــا تفسر حركة التاريخ فى ضــوء تطورات القوى المنتجة وأشكالها المختلفة . وهــذا خطــأ علمى لأن الواقــع التاريخى لا يسير فى موكب المادية ولا يستمد محتواها الاجتماعى من وضع القــوى المنتجــة فقط لأن الواقع التاريخى من صنع الانسان نفســه بكل مــا له من ملــكات وانجازات وقيم وأخــلاق على أن هذه التناقضات ترتكز على قانون القيمــة ، والقيمة الفائضــة وكلا القانونين قد سقط علميــا فان عالم التكنولوجيا المعاصر جعل قيمــة الفائض لا لجهد الانسان وعرقه بل لذكائه وقــدرته على صنع آلات تجيد مستوى الصناعة رشاقة ودقة وذوقا ولم يبذل العامل أمام الآلة أى جهد يحتسب فى قيمة السلعة .

وعلى هذا يظهــر فكر ماركس فكرا متخلفا عن التطــور العلمى والصناعى .

واذا كانت النظرية قائمة على أساس أن العامل يعطى للمادة قيمة بما يعطيه من ساعات العمل وقــد آلت ساعات العمل الى الآلة وصار العامل يقف ليضغط على زر لتدور الآلة وهى التى تضع المواد الخام فقد انهارت النظرية ولم يعــد لها محل للنقاش .

ولعل من ألمع الأدلة على كذب ادعاء الاشتراكية انها تريد الرخاء للبشر ثــورة العــالم الفيــزيائى زخــاروف على النظــام والحكم الروسى .

ومن قبل فقــد رفض برنشتاين مبدأ الصراع بين الطبقات ومبــدأ فائض القيمة .

وبذلك فقــد انتهى مشــوار الاقتصاد الى الفشل فى الغاية التى ادعاها لنفســه انه يعمــل لخــير الانسانية ورخائها .

البحث موصول

دكتور : رءوف شلبى

من الأدب النبوى :

التفسير النبوى للقرآن الكريم

للدكتور محمد رجب البيومى

لم يتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما نقل عنه ـ كثيرا عن شعراء الجاهلية وخطبائها الا بضعة أقوال متناثرة لا تتيح لنا أن نعرف حكمه المفصل على النصوص الأدبية المشتهرة فى عصره ، لأن أعباء الدعوة الاسلامية لم تترك لديه فراغا يفسح مجال القول فى أدب السالفين ، ولكن ما فاتنا من رأيه المفصل فى الأدب الجاهلى لا يعد شيئا جوار ما تركه عليه السلام من الحديث عن كتاب الله ، وهو أروع نص أدبى معجز عرفته اللغة العربية فى القديم والحديث ، لذلك كان على الدارس المنقب عن البيان النبوى الا يمر بتفسيره صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم دون أن يستنبط منه ماينبىء عن تذوقه عليه السلام للنص البيانى تذوقا مرتفع المستوى ، شامخ الاتجاه .

واذا كان الله عز وجل قد يسر القرآن للذكر ، فان آثار هذا التيسير من السهولة والنصاعة والوضوح ، وقوة الحجة بحيث جعلت كتاب الله ساطع البرهان وضىء الدلالة قوى التأثير لدى سامعيه ، وهم فى عصر النبوة أفصح أهل العربية بيانا ، بحيث كان ألد أعدائه يتسلل فى ظلمات الليل ليسمع آيات الكتاب المبين فى خفة عن الانظار ، وبحيث نقل لنا التاريخ عن أحدهم ، وقد كان شديد الخصومة للاسلام ، قوى

اللدد لرسول الله ، أنه استمع مـا استمع من بيان القرآن ثم رجع الى قومه ليقول عنه : ان له لطلاوة ، وان عليه لحـلاوة ، وان أعـلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق •

واذا كان خصوم الاسـلام قد دهشوا لروعة القرآن ، فان رسول الله كان أشد الناس تأثرا بمنطقـه البليغ وكان يتلوه تلاوة تظهر معانيه ظهورا رائعا أخاذا ، قال جبير بن مطعم رضى الله عنه : « سمعـت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى صلاة المغرب بالطـور ، فلما بلغ هذه الآيات : « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ، أم عندهم خـزائن ربـك أم هم المسيطرون» كاد قلبى أن يطير» (١) • فهذا صحابى كريم كاد يطير قلبه من روعة تأثيـر الالقاء النبـوى للذكر الحكيم ، لأن بلاغة الترتيل لدى رسول الله تنبع من قوة يقينه، وشدة ايمانه بما يقرأ ، ولا ريب أنه وهو أفصح الناطقين بالضاد ــ كان دائم التفكير فيما ينزل عليـه من روائع الكتاب ، اذ يزن كل آية بميزان حسـاس شـفاف بحيث تنكشـف له عـن دلائل عميقـة لا يلمحها سـواه ، لذلك يذكـر أصحابه أنه كان غزير الدمعة حين يتلو الكتاب وحين يسمعه ، قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

« قال لى النبى صلى الله عليه وسلم: اقرأ على ، قلت : أقرأ عليـك ، وعليـك نزل ؟ قال : فانى أحب أن أسـمعه من غـيرى ، فقـرأت عليه ــ عليه السـلام ــ سـورة النساء حتى بلغت قـوله تعـالى : « فكيف اذا جئنـا من كل أمـة بشهيد ، وجئنـا بك على هـؤلاء شهيدا » قال امسك ، فاذا عينـاه تذرفان » (١) • وكان فى ذهـابه وايابه وقيامه وقعـوده يفكر فى القـرآن ، ليستحضر آياته فى كل موقف يمر به ، ومن ذلك ما حدثت به أم المؤمنيـن عائشـة رضى الله

(١) التاج ج ٤ ص ٢٥٢ •
(٢) التاج ج ٤ ص ٩٦ •

عنها ، قالت : كان محمد صلى الله عليه وسلم اذا رأى غيما ، أو ريحا عرف فى وجهه ، قلت : يا رسول الله ، ان الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك اذا رأيته عرفت فى وجهك الكراهية ، فقال عليه السلام : يا عائشة ، ما يؤمننى أن يكون فيه عذاب ، عذب قوم بالريح ، وقد رأى قوم السحاب فقالوا هذا عارض ممطرنا » (١) . يشير بذلك الى قوله تعالى فى سورة الأحقاف عن قوم عاد « فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بلهو مااستعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين » (٢) .

فرسول الله اذن كان يتذكر من آيات القرآن فى كل موقف ما يند عن غيره ، مهما أمعن فى التدبر والتأمل ، وذلك لطول استغراقه عليه السلام فى معاودته ، وتتبع الألفاظ والمعانى والتراكيب تتبعا يكشف كل ما تحمله الأسلوب من أفكار ولوامع وايحاءات ، وقد سئل رسول الله عن بعض المعانى من أصحابه فجلاها فى تفسير كاشف هادف ، تصديقا لقول الله : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتقون » .

ولن نتعرض هنا لما ناقشه الأصوليون حول مدار الاجتهاد النبوى ، اذ ذهب فريق منهم الى أنه صلى الله عليه وسلم ليس له أن يجتهد فى الحكم بدليل قول الله عز وجل : « ومابنطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى .علمه شديد القوى » .

كما ذهب الجمهور الى أن الاجتهاد من حقه صلى الله عليه وسلم ، بدليل قوله تعالى : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » فمعنى بما أراك الله ، ما جعله لك رأيا ، كما قال القاضى أبو يوسف ، أقول : لن

---

(١) التاج ٤ ص ٢٤٠ .
(٢) سورة الاحقاف ٢٤/٢٥

تتعرض لذلك لأن اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم أوضح من أن يختلف فيه ، بدليــل أن القــرآن الكــريم كان يراجعــه فى بعض اجتهــاده ، كموقفه من أسرى بدر فى سورة الأنفال ، ومن عبد الله ابن أم مكتوم فى سورة عبس ، وغيرهما ، وبدليل أن القرآن جعل الاجتهاد من حق العلماء ، فى مثل قوله تعالى : « فاعتبــروا يا أولى الأبصار » وأولى انسان بالاعتبار رسول الله ، لذلك كان تفسيــره عليه الســلام لآيات الكتاب العزيز من وحى اجتهاده النبوى ، واذا علم أن اجتهاده الصائب نوع من الهامه الصادق فقد اقتــربت شقـــة الاختلاف •

ونحن هنا لا نبحث عن التفسير النبوى لنحلل الجانب الفقهى منه أو الجوانب التاريخيــة والعقدية ، فذلك ما تكفل به العلماء فى شرح الحديث النبوى ، ولكننا نريد أن نشير الى الجانب الأدبى فى شرح النص القــرآنى ، أو استشفــاف بعض معانيه ، لنعــرف كيف كان رسول الله يستشف البيان العــربى فى أفصح كتاب يتلوه الناس •

ان الذى يتأمــل أقوال محمــد صلى الله عليه وســلم يدرك أنه كثيرا ما كان يقـــدر الوحـــدة الموضوعية للنص القرآنى ، فهــو ينظــر الى السياق نظــرة كليــة متصلة ، بحيث لايقتصر على الكلمة الجزئية ، أو الآيةالواحدة ، صارفا النظر عما يحيط بها ، كما تعودنا ذلك مــن بعض المفسرين ، هــذه النظرة الكلية يفصح عنها حــديث أبى هريرة رضى الله عنه حين روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، « أنه قال : قال الله تعالى : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ما سأل فاذا قال : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدنى عبدى ، واذا قال : الرحمن الرحيم ، قال : أثنى على عبدى ، واذا قال : مالك يوم الدين ، قال تعالى : مجدنى عبدى ، وقال مرة أخرى : فوض الى عبــدى ، فاذا قال : اياك نعبد ، واياك نستعين، قال : هذا بينى وبين عبدى ، وله

ما سأل ، فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدى ، ولعبدى ما سأل » (١) .

فان هذا الحديث ينبىء أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان ينظر الى سورة الفاتحة نظرة كلية ، بمعنى أن آياتها قد رتبت ترتيبا متماسكا يسلم أوله الى آخره ، هذه النظرة الصائبة تدل على بصر كامل بالبيان الرفيع ، وتتخطى أزمانا كثيرة لتثبت أمام النقد المعاصر أن ما يكثر الحديث عنه من وحدة الموضوع كان مفهوما واضحا لدى رسول الله فى عهد النبوة .

وقارىء النصوص التفسيرية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدرك أنها لم تكن فى أكثر حالاتها تفسيرا لغويا ، لأن القرآن قد خاطب العرب بما يفهمون ، وما تفذ الذكر الحكيم الى شغاف قلوبهم الا لوضوحه فى أذهانهم ، وهم بعد أهل اللغة وخبراؤها الثقات ، الا ما وجد من كلمات يسيرة كانت تغيب معانيها عن فريق دون فريق ، مثل كلمة (بضع) فقد روى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « البضع مابين الثلاث والتسع من السنوات » (٢) . ومثل كلمة (المهل) فقد روى أبو سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم . قال فى تفسير قوله تعالى : « وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل » أى (كعكر الزيت ، فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه فيه) (٣) . أما ماعدا ذلك فليس بالتفسير اللغوى بل بما توحى به الدلائل ، ويكشف عنه السياق .

ولنا أن نقسم بعض ما نستشهد به من النماذج النبوية للتفسير القرآنى الى ثلاثة أنواع : نوع يكشف عن المعانى المجهولة لألفاظ لا يوحى بها المنطوق ، ونوع ثان جاء تفسيره فى سياق ارشادى يمهد لمراميه ، ويكشف عن مدلوله ،

(١) التاج ج ٤ ص ٣٧ .
(٢) التاج ج ٤ ص ٢٠٩
(٣) التاج ج ٥ ص ٤٥٤ .

ونوع ثـالث أوحى به المقام مـن توجيه سؤال أو واقع حال ، وكلها تصور وقوفه صلى الله عليه وسلم على أسرار البيان القرآنى ، وتشربه معانيه تشربا لا يتاح الا لمثله .

فمن النـوع الأول من هـذه الآثار .

١ ــ عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : لما نزلت : « الذين آمنوا ، ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون » ، شـق ذلك على المسلميـن ، فقالوا يا رسول الله : وأينا لا يظلم نفسه ، قال ليس ذلك ، انما هو الشرك ، ألم تسمعوا ما قال لقمـان لابنـه « يـا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » (١) .

فواضح من تفسير الرسول أنه يقرر أن القرآن يفسر بعضه بعضا ، فقد جاء بالنص الثانى من سـورة لقمان ليفسر معنى الظلم فى النص الأول من سورة الأنعام ، وهى قاعدة أصبحت من المسلمات الآن ، فأزال بذلك عناء مرهقا للنفس المؤمنة ، اذ لا يخلو أى انسان من ظلم نفسه ، فأراح التفسير النبوى من هـذا العناء .

٢ ــ روى النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليـه وسـلم ، أنه قال : الدعاء هـو العبـادة ، ثم قرأ « وقال ربكم أدعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عـن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » (٢)

وهذا تفسير معقول اذ أن قوله تعالى عقب الأمر بالدعاء : « ان الذين يستـكبرون عن عبادتى » يكشف المراد من معنى الدعـاء ، وهو ما اهتدى اليه الرسول حيـن قرأ الآية جميعها ، وبذلك يخطىء من يظـن أن كل دعـاء مستجاب كما هو الظاهر من المعنى اللفظى .

٣ ــ قال أبو أمية الشعبانى : سألت أبا ثعلبـة عـن معنى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » فقال : أمـا والله لقـد

(١) التاج ج ٤ ص ٣٣٤ .
(٢) التاج ج ٤ ص ٣٧ .

سألت عنها خبيرا ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك » (١) .

فالتفسير المحمدى هنا لا يغفل الأهداف العريقة التى دعا اليها الاسلام من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد يظن بعض السذج أن قول الله تعالى : « عليكم أنفسكم » مما يدعو الى التفات المرء الى نفسه دون غيره ، بمعنى أنه لو رأى معصية ترتكب فلا ينهى عنها ، ما دام هو فى ذاته لم يقارف اثما ، فجاء التفسير النبوى ليدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قدر الاستطاعة ، حتى اذا ظهر اليأس من القدرة على الاصلاح ، كان على المؤمن أن يتولى أمر نفسه اذ لا يضره من ضل حين اهتدت نفسه .

وأكثر ما روى من تفسير رسول الله لآيات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يؤكد ذلك ، فقد روى أبو عبيدة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان بنى اسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه ، فاذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، وفيهم نزل قول الله : «لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون. ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون. ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون » .

قال الراوى : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس، فقال : « لا ، حتى تأخذوا على يد الظالم فتأطروه أطرا » (٢) .

(١) التاج ج ٤ ص ١١٢ .

(٢) التاج ج ٤ ص ١٠٨ .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا الى تصحيح ما يتوهمه المسلمون من الخطأ فى تفسير بعض آيات الكتاب العزيز ، فما يكاد يصل الى سمعه بعض ما جاء فى غير موضعه من القول حتى يبادر الى احقاق الحق ، فقد قرأت عائشة ذات مرة قول الله عز وجل : « والذين يؤتون ما أتوا ، وقلوبهم وجلة ، أنهم الى ربهم راجعون » فسألت رسول الله : أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا يابنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ، ويخافون ألا يقبل منهم » •

فكأن عائشة رضى الله عنها ظنت الوجل من حدوث الذنب ، وغفلت عن سياق الآيات ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا يبتر قطعة من النص ليستشهد بها دون النظر الى جميعه ، فهو يعلم أن الآية سيقت فى مجال الحديث عن المؤمنين الأتقياء اذ يقول الله عز وجل عنهم فى سورة (المؤمنون) : « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون • والذين هم بآيات ربهم يؤمنون • والذين هم بربهم لا يشركون • والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ، انهم الى ربهم راجعون • أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون » وواضح أن الذين يسرقون ويشربون الخمر ليسوا هم الذين من خشية ربهم يشفقون ، وليسوا ممن يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ، ولو تدبرت عائشة رضى الله عنها النص الكامل ما سألت سؤالها ، أما الخوف والوجل مع هذه الأعمال فخشية ألا يتقبلها الله ، وهذا ما عبر عنه القرآن بالاشفاق فى مجال آخر حيث قال عن المؤمنين فى الجنة : « وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون • يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم • ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون • وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون • قالوا انا كنا فى أهلنا مشفقين • فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم • انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم » •

دكتور : محمد رجب البيومى

في مواجهة الإلحاد المعاصر:

خلاصة تناقضات الإلحاد العلمي

للدكتور يحيى هاشم

(١)

ان الملحدين الماديين عندما يرفضون الدين لقيامه على مسلمات افتراضية ايمانية ، يتناقضون عندما يقبلون العلم التجريبي في قيامه ابتداء على مسلمات ايمانية مماثلة .

وقد بينا ذلك في مبحثنا في عقائد العلم عن الايمان الأولى .

يقول شلر :

« ان فروض العلم كفروض الدين ..

العالم يسلك كما لو كان فرضه صحيحا انتظارا لتحقيقه ..

والمؤمن لم يفعل أكثر من ذلك . اذ يسلم بفروضه وينتظر نتائجها العملية .

وكل الخلاف بين العالم والمؤمن هو أن تحقيق الغرض العلمي يتم في وقت أقصر من تحقيق الغرض الديني » (١) .

ونحن لا نسلم بأن تحقيق الغرض العلمي يتحقق – دائما – في وقت أقصر ..

(٢)

ان الماديين الملحدين عندما ينكرون الدين الالهي لأنه يتعلق بالمجردات التي لا سبيل للانسان الى العلم بها يتناقضون مع أنفسهم عندما يؤمنون بغيبيات العلم وعلى قمتها المادة التي كشف العلم الحديث عن انها شيء مختلف تماما عما ندركه بأدواتنا الحسية المباشرة أو غير المباشرة .

---

(١) وليم جيمس للدكتور محمود زيدان ص ٢٥٤ وانظر كتابنا عقائد العلم

وقد أوضحنا فى كتابنا عقائد العلم كيف أن العلم التجريبى الحديث يقوم على الايمان بغيبيات خاصة به (١) .

(٣)

واذا كان الماديون الملحدون ينكرون موضوعات الدين لأنها لا يمكن ادراكها ... فانهم يتناقضون مع أنفسهم حين يقبلون موضوعات الفيزيقا بالرغم من :

١ ــ أن العلم الحديث يقر أننا عاجزون عن ادراكها كما أثبتنا ذلك فى عجز العلم عن ادراك حقائق الأشياء .

ب ــ اننا عاجزون عن التعبير عنها كما بينا ذلك فيما يذهب اليه أقطاب الماركسية عن «التمثيل العلمى للحقيقة وصعوباته » .

جـ ــ ان العلم الحديث يذهب الى أن ادراكنا الحسى لها ادراك مزيف تقوم فيه الذات بتزييف الموضوع ، وقد بينا ذلك فى مبحثنا عن عجز العلم عن تحقيق « الموضوعية أو الواقعية » وفى مبحثنا عن أخطاء التزييف الحسى .

(٤)

والماديون الملحدون عندما ينكرون الله سبحانه وتعالى ويرفضون التعبد له يتناقضون مع أنفسهم اذ يتخذون معبودات أخرى . .

وقد بينا ذلك فى مبحثنا فى عقائد العلم ، عن تعبد الماديين لغير الله .

(٥)

والماديون الملحدون الذين ينكرون الخالق لانكارهم خلق شيء من لا شيء وزوال شيء الى لا شيء ... يتناقضون مع أنفسهم عندما يقرون بأن للطبيعة حركة ونظاما وغاية تطورية ناشئة من لا شيء ..

يقول الاستاذ اسماعيل مظهر..

« وأنت أينما وليت وجهك فى نواحى الطبيعة وعرفت شيئا من أسرارها وقعت على قصد ونظام

---

(١) انظر كتابنا عقائد العلم

ونسبة تضبط تركيب المادة وتكون ظاهراتها .

فسلهم :

كيف يخرج القصد والنظام من الفساد المطلق والعماء الصرف ؟

وكيف تأتى النسبة من اللانسبة ؟ » (١)

وقد أثبتنا أن جدلية الجزيئات المكونة للذرة غير كافية فى اقامة العلاقات بينها (٢) . فضلا عن القول بأنها كافية فى قيادة حركات التطور والتقدم على الوجه الرائع الذى نجد الانسان على قمته ..

« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » صدق الله العظيم ..

(٦)

ان الماديين الملحدين عندما ينكرون الله سبحانه لأن القول به فى نظرهم محض عجز من الانسان عن معرفة الأسباب الطبيعية ..

يتناقضون مع أنفسهم عندما يعترفون بعجز العلم عن معرفة الأسباب الكبرى للطبيعة .. فيلجأون الى القول بالمصادفة وقد بينا ذلك فى مبحثنا فى عجز العلم عن تجنب القول بالمصادفة .

(٧)

ويتناقض الماديون الملحدون المتشحون بالعلم التجريبى ..

عندما يرفضون الدين لعدم كشفه عن جميع الحقائق ...

ثم يقبلون العلم مع مجهولاته لمجرد اعتقادهم بأنه صائر الى كشفها فى المستقبل .

وقد بينا ذلك فى مبحثنا فى عقائد العلم عن « الايمان الغيبى بالمستقبل » .

(٨)

ان الماديين الملحدين الذين يرفضون حقائق الدين لمجرد أن الدين لم يقدم تفسيره لها :

---

(١) ملقى السبيل ص ٤٦ .

(٢) انظر ما ذكرناه فى مبحث العبادة عند المادية الجدلية فى كتابنا عقائد العلم .

لماذا تقع ... ؟

يتناقضون مع أنفسهم عندما يقبلون حقائق العلم بالرغم من عجزه عن تقديمه لهذا التفسير وقد بينا ذلك فى مبحثنا عن عجز العلم عن « التفسير » واقتصاره على « الوصف » .

(٩)

واذا كان الماديون الملحدون ينكرون موضوعات الدين لأنها لم تصل الى أن تصبح موضوع معرفة يقينية ــ وهم كاذبون فى ذلك ــ فانهم يتناقضون مع أنفسهم حين يدعون الناس الى أفكارهم التى يعترفون فى نهاية المطاف بأنها غير يقينية .

وقد بينا ذلك فى بحثنا عن لا حتمية قوانين الطبيعة فى كتابنا « مزاعم الالحاد العلمى » وفى بحثنا « عجز العلم عن اليقين » .

(١٠)

انّ الماديين الملحدين عندما ينكرون الدين الالهى لأنه خارج عن نطاق العلم المادى يتناقضون مع أنفسهم عندما يعترفون بأن المعرفة المادية لا تشمل كل مناطق المعرفة .

وهذا فى حد ذاته هو مبدأ الاعتراف بالميتافيزيقيا .

وقد بينا ذلك فى مبحثنا فى « عجز العلم » عن طرق جوانب مختلفة للمعرفة الانسانية .

(١١)

الماديون الملحدون عندما يعترفون بأن المعرفة العلمية معرفة نسبية ...

يتناقضون مع أنفسهم عندما يقررون انها كافية الآن ، أو انها ستكون كافية فى المستقبل لكى تشمل كل مناطق المعرفة التى يتطلع اليها الانسان ...

ذلك لأن المعرفة النسبية تشير بالضرورة الى المعرفة المطلقة ؟

فكيف يصل العلم الى هذه المعرفة ــ المطلقة ــ وقد أقررنا بنسبية العلم ؟

وقد بينا هذا فى عجز العلم عن ادراك المطلق .

(١٢)

والماديون الملحدون عندما يدعون الاقتصار على المنهج العلمى التجريبى يتناقضون مع أنفسهم عندما يضعون « القواعد العامة »

التى يعجز هذا المنهج عن تبريرها ...

وقد بينا ذلك فى مبحثنا فى عجز العلم عن التعمم .

(١٣)

والماديون الملحدون عندما يؤمنون باطراد سنن الطبيعة ايمانا أوليا نزولا على حكم الضرورة العملية فحسب ...

يتناقضون مع أنفسهم عندما يرفضون الدين مع صحة اقامته على هذه الضرورة العملية نفسها . وقد بينا ذلك فى لا حتمية القوانين الطبيعية فى كتابنا « مزاعم الالحاد العلمى » .

(١٤)

والماديون الملحدون عندما يؤمنون بالتطور ... يتناقضون مع أنفسهم عندما ينكرون الدين المصدر الوحيد الذى يمكنه أن يقدم لهذا التطور مفهومه التقدمى .

وقد بينا ذلك فى مبحثنا عن عجز العلم عن استنباط معنى التقدم من خلال النظرة المادية الى التطور .

(١٥)

والماديون الملحدون عندما ينكرون الدين بما يقدمه من بناء للقيم لا تستغنى عنه الحياة الانسانية أو « العلمية » ، أو « العملية » ...

يتناقضون مع أنفسهم عندما يحاولون الاحتماء بهذه القيم التى يعجز العلم التجريبى عن تبريرها. وهذا ما بيناه فى مبحثنا عن عجز العلم عن ارساء « القيم » .

(١٦)

وأخيرا :

اذا كان العلم يقف موقفا لا أدريا من الحقيقة فان الملحدين العلميين يتناقضون عندما يؤكدون بطلان العقائد الدينية ، وان الانسان سوف يترك سدى وانه ذاهب الى العدم ، وقد بينا ذلك فى عجز العلم وبخاصة فيما ذكرناه عن عجز العلم عن الوصول الى اليقين .

د. يحيى هاشم حسن فرغل

الإسلام فى الفكر الأوربى

عرض وتحليل لمؤلفات أوربية
بقلم الدكتور محمد شامه

(٧)

الباب السابع
الفن الاسلامى

ويتضمن :

١ ـ ملامح الفن الاسلامى الاصلية :

* ذكر القرآن الكريم التماثيل فى معرض حديثه عن أعمال الشيطان ، وكان المقصود من هذا ـ فى المقام الأول ـ هو التحذير من اتخاذ الأصنام آلهة تعبد من دون لله • كما جاء فى الحديث الشريف أيضا تحريم النبى صلى الله عليه وسلم على المسلمين اقامة التماثيل لأى كائن حى • وبهذا حرم الاسلام ما أباحه اليهود من تصوير الله بصورة انسان ، فرفع منزلة الله الى مقام لا يستطيع الانسان أن يصل اليه ، وبالتالى لا يمكنه تخيل صورته أو رسمها بأى شكل من الأشكال •

* التزمت دوائر الفن الاسلامى بهذا التحريم الى أقصى درجة ممكنة ، فلم يجرؤ مسلم على رسم صورة لله ، اذ أن أى محاولة فى هذا المجال ، هى رجوع ـ حسب ما جاء فى الحديث الشريف ـ الى عبادة الأصنام • غير أنه ظهرت بعض الصور فى مجال الفن الشعبى بعد انتهاء القرن الأول نتيجة الوقوع تحت تأثير الثقافة الاغريقية ، وفيما بعد بتأثير الثقافة الفارسية أيضا • فقد رسمت ـ على سبيل المثال ـ صور على الأوانى والسجاد ، فجاء معظمها فى شكل معبر جذاب كانت هذه الأشكال بعيدة عن محيط الدين ، قصد بها جذب السياح القادمين من الغرب ودفعهم الى

شرائها ، كما صدرت الى كل أنحاء العالم ، كما يحدث فى عصرنا الحالى ؛ لأن عدم ارتباطها بالزمن أكسبها الدوام والاستمرار عبر القرون .

* اذا تأملنا هذا الطراز الثابت ــ أى الذى لم يتغير بتقلب العصور والأزمان ــ فى الفن اليدوى ، لتأكد لنا أنه يتجه الى الزخرفة العامة ، ولا يعبر عن ميول الفنان الذاتية ، فقد تنازل عن التعبير عن ذاتيته فى سبيل ابراز الألوان والأشكال التى تبعث السرور فى نفس المشاهد . حتى الفن الذى يذكر بتاريخ وعصر معين لم يفقد اهتمام المشاهد وتمتعه باقتنائه ، وذلك على عكس الأعمال الفنية اليدوية فى الغرب ، حيث يتحول نظر المشاهد من الشكل الى المضمون وملامح الفنان الذاتية ، وقد ركز العلمانى منها على ابراز المضمون لدرجة أن اتجاه الفنان فى جانب الشكل لم يفهم الا نادرا ، ان لم يظهر رفضه اياه .

أصبحت الزخرفة هى موضوع الفن الاسلامى الذى احتفظ بقواعد ثابتة ــ الى حد ما ــ على امتداد العصور ، حتى فى رسومات السجاد التى تحتوى على صور آدمية ، ورسومات حيوانية ، نجد أن الأشكال الهندسية المتداخلة معها ، تلقى اهتماما أكثر من الصور والرسومات ، لأنها ليست هى الأساس ، بل الزخرفة هى المحور الذى يقوم عليه العمل الفنى .

* لم يقتصر هذا الاتجاه على جانب دون آخر ، بل شمل جميع الجوانب اذ كان الفن مرآة الدين ، فالتاريخ باحداثه التى لا حصر لها ، يعنى فى الاسلام معبرة الى عالم الالوهية اللازمنى . وقبول هذا المبدأ فى الأعمال الفنية ، يبرهن ــ أكثر من أى كتاب ــ على مدى تعمق العقيدة الاسلامية فى وجدان المجتمع . ومن هذا المنطلق تكونت فى كل مجالات الفن الاسلامى وحدة ، جمعت بين المبادىء الدينية ، وما يستعمله المؤمن فى حياته اليومية ،وحدة لانعرفها نحن المسيحيين ، اذ يوجد عندنا حائط يفصل بين الفن الدينى والدنيوى،

فاذا دار حديثنا حول الفن المسيحى، كان المقصود الفــن الدينى ، أمــا اصطلاح « الفن الاسلامى » فهــو يعبر عن المجموع الكلى للفــن ، الذى اتجته الشعوب التى تؤمــن بالاسلام ٠

* تميز الفن الاسلامى من بداية عصره عن كل الاتجاهات الفنية فى العالم ، فقد وجــه الى أهــداف خاصة ، وخضع فى مجال الاستعمال للمنافسة ٠ كــذلك بذلت النقابات المهنية المختلفة جهودها فى مجــال التسويق ، فاعتنت بجودة الصناعة ، وراقبــت تنفيـــذ المواصفات فى التصنيع ، فانغرست فى نفوس العمال الرغبــة فى تحسيــن ما ينتجــون فأدى ذلك الى خلق بدائع فنيــة ، وروائع زخرفية ، اكتسبت شهرة على مدى قرون عديدة ٠

* أخرج الوعى الفنى شيئا من مجال اللاوعى ، ومن هنا جاء السحر الذى شع فى فن الزخرفة الاسلامية، اذ يحمــل اللاوعى ــ لدى كــل انسان ــ فى أعمق درجاته الحاسة الأصلية لتذوق الجمال ٠

* استلهــم الفــن الاســلامى أفكارا من الفن الأغريقى والفارسى والمسيحى ، ولكن ما أخذه من هذه الفنون المختلفة اعــاده فى شــكل اتخذ طابعا مختلفا كل الاختلاف عن مصادر هذه الأفــكار الثلاثة ، اذ عبر عن اتجاه اسلامى خالص يحمل بصمات الــروح الاســلامية التى تخضع لارادة الله ، الذى حدد فى اللوح المحفوظ مصير العالم ككل ، وقدر لكل كائــن حى قدره عــلى حدة ، فما يباشره الانسان من أعمال هى فى واقع الأمر منسوبة الى الله وفى ضوء هذا الرأى يستطيع المرء أن يدرك عــدم وجــود الاتجــاه الطبيعــى «Naturalismus» ــ بمفهومنا ــ على الرغم مــن أن الشعوب الشرقية كان ــ ولا يزال ــ عندها دائما حاسة واقعية قوية ٠

* انحصر الاعجاب بالصور فى الأشكال التى تجنح للخيال ، وكذلك أيضا الموضوعات التاريخية ، التى قدمت لفن الزخرفة وصناعة السجاد، فرصة لرسم صور فنية فى اطار اكثر حرية من التصور الخيالى ٠

* قد تكون افكار الفن الاسلامى غير معروفة فى كل العالم، أو مختلطة على بعض الناس ، ولكن يستطيع كل انسان ادراكها فى مسجد أو حتى فى النقوش العربية ، اذ تعنى كل الشعوب الاسلامية بهذا النوع من فن الزخرفة التى تستخدم رسومات الزهر والبراعم ، ولا يستطيع أى فن فى العالم اتقان هذا التناسق الموجود فى لوحات الرسوم الاسلامية .

* وبالاضافة الى هذا فقد ظهر فى رسومات النسيج أشكال هندسية وصور للانسان والحيوان وخطوط عربية فى أشكال زخرفية بديعة . وهكذا دخلت الآيات القرآنية والحكم والأمثال فن الزخرفة فصنع منها الفنانون لوحات زخرفية رائعة .

٢ ـ النسيج

* عرف المسلمون فن النسيج من سكان المناطق التى فتحوها ، وبالذات من المصريين والسوريين والفارسيين ، فقد أخذوا منهم قواعده الفنية ، ولكنهم أضافوا اليها نماذج الرسومات والزخرفة ، بفضل ابتكارهم فى هذا المجال . ظهرت رسومات ثابتة ـ أى لا تزول بالغسيل أو التعرض لأشعة الشمس ـ على نسيج الحرير والصوف الفارسى ، وقلدته مصر وسوريا ، فتلقت المصانع طلبات عديدة لتوريد هذا النوع من الملابس والستائر ، ولكن مدن النسيج الفارسية فاقت المدن الأخرى فى صناعة نسيج الحرير والقطن والصوف . وبعد تدمير المنغوليين هذه المصانع استطاعت بعض هذه المدن أن تستعيد قدرتها على الانتاج تدريجيا . فانتجت المنسوجات الحريرية ، وصدرتها الى أوربا ، كما أضافت الى الرسومات الزخرفية المحلية رسومات أخرى استنبطت من عالم الأساطير ومن المجالات الثقافية لشعوب شرق آسيا كالافاعى والسحب ، والطائر السحرى الذى اتخذ رمزا لعودة الروح .

* بلغت صناعة الأنواع الفاخرة عصرها الذهبى فى عهد الدولة

الصفوية عندما طلبت قصور أوربا ذلك النــوع المرصـــع بالذهب والفضــة مــن اصبهان ، وظلت تستورده منها ابتداء من عام ١٥٠٢م على امتداد مائتين وخمسين عاما . ثم ضاعت هذه الصناعة . بذهاب الدولة الصفوية ، اذ كانت هزيمتها أمام الافغانيين انهيـــارا لهــذه الصناعة .

٣ ـ صناعة السجاد اليدوى :

* يعتبر اقتناء السجاد الفارسى عندنا علامة على ثراء وتحضر مــن يملكها اذ ينظر اليــه على انه من الطبقة المميزة فى المجتمع . يندرج تحت كلمة « سجـــاد فارسى » العديد من أنواع السجــاد الشرقى المستورد من بلاد كثيرة . فعــلى الرغم من أن السجاد المصنوع آليا بلغ درجــة ممتازة ، الا أن خبراء السجـــاد لا يزالوا يفضلون السجاد المصنــوع يــدويا ، لأنه لم يزل محتفظا بقيم وتقاليد الفن الشرقى .

* احتلت عقد السجاد ــ على امتداد التاريخ ، منذ القــدم حتى الآن ــ مرتبة عالية ، لدرجة انه يوجد حتى اليوم مــراكز خاصــة لبحث ودراسة صناعــة السجــاد اليدوى ، فقد توصل الباحثــون الى أن هذه الصناعة كانت منتشرة فى القدم بين البــدو الرحــل فى وسط آسيا ، ثم انتقلت الى منطقة الشرق الأوسط ، ويرجــع أقــدم ما وجد من هذه الصناعة الى القرن الرابع قبل الميلاد ، ولكن الباحثين لم يجزموا بأنها لم توجد قبل هذا التاريخ .. ثم يمضى المؤلف فيبين المادة التى صنع منها السجاد وطرق صناعتــه المتنـــوعة فى العقــد والرســومات ، ومجــال استعمال المصنوع .

* عندما رحل «ماركوبولو» الى الشرق الأقصى كانت صناعــة السجاد مزدهرة فى الأناضــول ، فكتب عنها بأسلوب ينم عن اعجابه ودهشته عندما شاهد هذه الصناعة . ازدهر هذا الفن فى آسيا الصغرى وفى مصر ــ فى عصر المماليك ــ ، فان أقدم القطع الشرقية الأصليــة بما عليها من رســومات زخــرفية جــاءت مــن هــاتين المنطقتــين

الاسـلاميتين ، اذ تحمـل طابعا اسلاميا ، وان اختلفتا فى الزخرفة اذ بينمـا كان السجـاد المصرى ــ غالبا ــ قطعا صغيرة ، محـلاة برسومات هنـدسية حـول دائرة كبـيرة فى الوسط ذات رسومات أشبه ما تكون بالميداليات ، نـرى السجاد الاناضـولى ــ وخاصـة ما صنع فى العصر العثمانى ــ يميل الى الزخرفة النباتية .

* أخذت مصانع الدولة المقامة فى قلب المملكة الاسلامية ــ ومنها ما كان فى كـونيا وفى القاهـرة وتبريز ــ نماذج رسوماتها الزخرفية من كتب الرسامين ، اذ توجد نفس النماذج فى الكتب وعلى السجاجيد ولهذا عندما تفقد قطعة من السجاد الأصلى ، فيمكننا التعـرف على رسوماتها بسهـولة من الكتب ، واعادة طبعها على قطعة أخـرى . أخذت أشهر الرسـومات الأصلية على السجاد ، من أشهر الرسامين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادى ، فقد كانت منافسة الألوان والأشكال فى ذلك الوقت على أشدها .

* وجد بجانب السجاد الفاخر أنواع أخرى من السجـاد اليدوى للاستعمـال الشخصى وللطبقـات الشعبية ، اذ أن كل انسان فى حاجة الى سجادة للصلاة فأحدث هـذا الطلب المتزايد رواجا فى صناعـة وتجارة السجاد ، لدرجة أن البدو الرحل كانوا دائمى العمل فى نسج السجاد وكانوا يحملون معهـم فى حلهـم وترحـالهم الأدوات التى يستعملونها فى نسج السجاد .

* ظل الشرق حتى اليوم أكبر مورد سجاد للعالم ، وكان السجاد التركى أوسعها انتشارا فى العهـد العثمانى ، ولا زال مطلوبا فى كل أنحـاء العـالم حتى اليوم بجانب الفارسى والقوقازى .

٤ ــ فن الخطوط :

* أظهر الخطاطـون قدراتهـم الفنية فى رسم الكتابة العربية فى أشكال فنية رائعة بصرف النظـر عن كون الكلمة العربية فى الأصل كان تركيا أو فارسيا أو عربيـا ،

فقد أوحت الكتابة فى حد ذاتها ـ ولا زالت توحى الى الآن الى الفنانين بالابداع فى خلق اللوحات الفنية • ويرجع السبب فى اهتمام الفنانين باستعمال الكتابة فى لوحاتهم الى تحريم التصوير فى الاسلام • فكيف يمكن للمرء أن يقترب من تعظيم كلمة الله ، سوى بذل كل ما يستطيع فى كتابتها بخط جميل بديع •• وهكذا كانت العقيدة سببا فى تطوير فن الخطوط فى بداية النهضة الاسلامية •

* احتل الخطاط مكانا ساميا فى بلاط الخليفة فقد كان يكتب النصوص الطويلة من أوامر ومراسيم ورسائل دبلوماسية ، فكان خطه يبعث السرور فيمن يراه ، حتى لو كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة • ولذا كان الخلفاء فى بغداد والمماليك فى مصر يدفعون مبالغ كبيرة فى لوحات الخطوط الجميلة ، ويطلبون كتابتها بمادة ذهبية أو فضية كما رغبوا فى اقتناء الكتب التى كتبت بخط جميل •• ثم يستعرض المؤلف أشكال الكتابة المختلفة ، وأنواع الورق المستعمل فيها ، وحجمه ودرجة جودته ، ثم ذكر أن بعض نسخ القرآن المكتوبة بخط اليد فى تلك العصور السابقة ، مازالت موجودة فى متاحف القاهرة •

* استعرض المؤلف أنواع تجليد الكتب ، واستعمال الجلد ، والحرير فى صنعها وبين أن أنواعا عديدة من جلود الغنم والماعز استعملت فى تجليد الكتب فى جميع المناطق الاسلامية ، من فارس حتى اسبانيا • أخذ الفارسيون استخدام الحرير والمواد اللامعة فى تجليد الكتب من الصينيين ، كما زينوا المجلدات بالفسيفساء وبقطع من العاج •

* لم تستغرق كتابة الكتاب فقط وقتا طويلا ، بل أخذ التجليد فى بعض الحالات سنين طويلة ، اذا كان المجلد مكلفا بتحقيق رغبة ملك أو سلطان فى تجليد الصفحات المكتوبة بالذهب ، والمرصعة بالنقوش الفنية تجليدا يضفى عليها رونقا أكثر مما فى داخل المجلد •

* ولما كانت الصـور الفنيـة ـ بجميع أنواعها ـ عاجزة فى العالم الاسلامى عن الاقتـراب من نص القرآن الكريم فى مجـال فـن الخطوط ، فليس من المستغرب أن تحتـل اللوحـات الفنيـة للآيات القرآنية مكان الصدارة فى هـذا المجال الفنى .

٥ ـ الرسومات الصغيرة :

* خضع تزيين الكتب لفـن رسامى الرسومات الصغيرة ، فقد قاموا بعملهم بعد الانتهاء من كتابة النص ورسم العنـوان والزخـرفة الهامشية .

* كما لم يكن عمـل هـؤلاء الفنانين قاصرا على ما يضيفونه فى الكتب المصورة ، بل استخدمـوا ريشتهم أيضـا فى كتب علمية ، وكتب الرحلات . وسنحت لهـم بجانب هذا العمل فرصة رسم كتابة أسماء الحملات الشهيرة مـزينة بالورود والزهـور ، وقد اقتصر الفن العربى فى هذا المجـال على تزيين الكتابة بالصـور ، أمـا الفارسيون فقد ابتدعوا موضوعات خاصة لهم ، استنبطوها من الأعمال الأدبية الحـرة ، ومن الطبيعـة وأضافوا اليهـا انماطا من الحيـاة والمناظر الشخصية .

* كانت رسـومات الصـور الصغيرة فى القرون الأولى أمـرا مكروها فى مجال الفـن فى العالم الاسلامى ، وخاصة عنـد العـرب بسبب نفور المسلمين من الصور ، وتردد المؤمنين كثيـرا فى رسـم صورة ، عندما كانت ظروف اللوحة الفنيـة تقتضى رسمهـا . ولهـذا التزموا فى فنهم رسم الخطـوط المتداخـلة مع الـكتابة ، وتركوا تصـوير الأشخـاص للمسيحيين والمانويين الذين اكتسبوا شهرة بين قومهم بفضل ابداعهم فى هذا المجال الفنى . ومـن هنـا كانت الكتب المصورة التى صـدرت فى القرون الستة الأولى من تاريخ الاسلام ، من عمل المسيحيين ، حتى القصور التى أقامها الأمويون ، لم يقم برسم ما فيها من صور سوى مسيحيين ويونـانيين ، ورسـامين عالميـين جاءوا من بلاد غير اسلامية .

* استعاد الفن مركزه بعد اصابته فى الزحف المغولى ، فقد انتقل معهم — وهم شعوب آسيوية — تذوق الفن الصينى ، وخاصة ما احتوى على صور وخطوط مستقيمة ، وما أوحى باللين والتخيلات • تأثرت فارس — وهى وطن المنغوليين — بالنماذج والألوان والتراكيبات الأجنبية ، فتحررت من قيد تحريم تصوير الانسان وتجاوز الرسامون الحد فى هذا المجال ، لدرجة انهم رسموا صورة للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ففتحوا مجالا جديدا فى تاريخ الحياة الانسانية ، حيث رسموا صورا خيالية لأعمال التقرب الى الله ،كما يتصورها المتصوفون•

* كانت شاهنامة الفردوسى — التى احتلت مركزا مرموقا عند الفارسيين — مرجعا للرسامين أثناء الحكم المنغولى ، ولكنهم استلهموا أيضا كثيرا من صورهم من قصص الحب التى أذاعها الشعراء فى المجتمع ، سواء كان ذلك فى الجانب المدنى أو الصوفى وظلت مسيطرة بصورها ولوحاتها حتى القرن التاسع عشر الميلادى •

* كانت مركز تجمع صفوة الرسامين فى أواخر الدولة التيمورية فى هراة ، وفى عهد الصفويين فى تبريز ، فكانت كلتا المدينتين — على التوالى — مقر أكاديمية الرسم العليا التى اكتسبت شهرة واسعة ، ثم انتزعت منها هذه الشهرة مدرسة قزوين المقر الثانى للصفويين ، حيث وصلت فى القرن السادس عشر الميلادى الى ذروة مجدها فبسطت أسلوبها على البلاط المنغولى فى الهند ، ذلك الأسلوب الذى مال الى تناسق الصورة والكتابة ،مع الملاءمة بين الألوان والأشكال •

٦ — اعمال السيراميك و الخزف والفسيفساء :

* وجد فن الزخرفة الاسلامية سوقا كبيرة فى مجال تزيين الأوانى بالسيراميك لأنها صنعت لتستعملها كل طبقات المجتمع ، وقد أمكن اعادة ما وجد فى الحفريات من أوان وقطع زجاجية الى حالتها

الأصلية فأعطت الأشكال والألوان التى كانت طابع الفن فى العصور الاسلامية ، ففى العصر العباسى كانت زخرفة الأوانى نماذج مبسطة تبدو فى صورة خطوط زجاجية صفراء وسوداء وخضراء ، وبروز ناتئة على سطح الزجاج الشفاف ، كما طبعت نماذج زرقاء مالطية على أرضية بيضاء .

* يبدو من محاولة تقليد الفن اليدوى الآسيوى ـ وخاصة الفن الصينى ـ انه كان مشهورا فى ذلك العصر ، فقد ظهر فن صناعة الثريات من محاولة تصنيع الخزف الصينى ، ونشأ عنها أيضا صناعة الأوانى الفاخرة التى حلت فى الاستعمال محل الأحجار الكريمة المحرم استعمالها . كانت زخرفة الأشكال الزجاجية غاية فى الابداع من ناحية الأشكال والألوان فقد بذلت محاولة ضخمة لتطويرها فى جميع المناطق من فارس حتى اسبانيا .

* كان من عادة قدماء المصريين وسكان غرب آسيا أن يكسوا الحوائط بسائل لامع ، ولكن عندما غزا الاسكندر الأكبر هذه المناطق كانت هذه الصناعة قد اندثرت وطواها النسيان ، ومن المحتمل أن نماذج الأوانى المكسوة بالطبقة الزجاجية اللامعة بعثت هذه الصناعة من جديد فى القرن التاسع الميلادى ، وخاصة فى بلاط الخلفاء فى سامراء وبغداد ثم أمكن تحسينها بواسطة التقدم فى مجال صنع المواد اللامعة فقد استطاعوا طبع ألوان ـ حمراء وصفراء وسمراء ـ لامعة على مسطح أبيض شفاف مثل الزجاج . ومن أقدم قطع هذا اللون من الفن محراب جامع سيدى عقبة فى القيروان ، فقد صنع فى سامراء ، وما زال محتفظا بلمعانه حتى اليوم .

* كانت النقابات المهنية آنذاك حريصة على حصر سر المهنة فى محيط أبنائها ولكنها لم تستطع أن تمنع تسربها منعا كليا ، وعلى كل فقد توصل الفارسيون الى دقائقها ، فطوروها الى أحسن فى « سلطان أباد » و « كاشان » و « الرى » ثم اخترع أخيرا الفسيفساء اللامع . ولما كانت

صناعته تحتاج الى وقت طويل ومال وفير فقد استعاض عنه الفارسيون برسم دوائر دقيقة على مسطحات كبيرة بصورة تعطى الايحاء بأنه فسيفساء • وجد هذا النوع فى بلاط الشاه عباس ، كما لاقى رواجا كبيرا فى اسبانيا •

* سارت تركيا فى عهد العثمانيين فى اتجاه النهضة الايطالية ، فتحررت من النماذج الفارسية منذ القرن السادس عشر الميلادى ، ومنذ ذلك التاريخ وهى تلبى فى فنها الأذواق الاوربية التى تأثرت بالطابع الشرقى •

٧ ـ صناعة المعادن :

* انجزت البلاد الاسلامية فى مجال صناعة المعادن انجازات رائعة، فقد اتخذ المسلمون البرونز والمعادن الخام أرضية لزخرفتهم لأنهم رفضوا استعمال الذهب والفضة امتثالا لتحريم القرآن الكريم استخدامهما فى الزينة ، ولكن على الرغم من هذا التحريم فقد ذكر ابن خلدون انهما استخدما فى قصور العباسيين •

* يبدو أن لجوء العمال الفنيين الى تطعيم المعادن كان راجعا الى ندرة وجود الأحجار الكريمة فى المملكة الاسلامية ، فقد طعم البرونز بخيوط من الاحجار الكريمة فثبتت فيها بطريقة خاصة . يصعب انتزاعها • انتقلت هذه الصناعة من سوريا الى فينيسيا ، ومنها الى أوربا •

* لم يتردد الصناع فى رسم صور الكائنات الحية فى زخرفة القطع المعدنية ، فقد ورثوا هذا الاتجاه عن الساسانيين فى الفرس، وكان المسيحيون هم أول من قلدوا الفرس فى هذا المجال ، لأنهم لم يكونوا ملزمين باتباع تعاليم القرآن الكريم تحريم رسم صور الكائنات الحية ، وهكذا ظهرت صور الحيوانات ــ وفى بعض الأحيان صور ذات مدلول معين من العالم العلوى ــ على الأوانى والأسلحة • وحوائط المنازل وكانت المباخر المصنوعة على هيئة حيوان من أحب الأشياء عند الناس ، كما وجدت الأوانى المصنوعة على

صورة الحيـــة ـ وعلى صـور حيـوانات الأساطير أيضـا ـ فى أوربا تقليدا لمثيلاتها المصنوعة فى الشرق ، كذلك قام الخطاطـون بأعمـال فنية على القطع المعـدنية وخاصـة عـلى الأسلحة ، وكانت ترفع من قيمتهـا لو كان المكتوب عليها آية قرآنية .

* نشأ فن تطعيـم المعادن فى فارس فى القرن الثانى عشر الميلادى، ولكن القاهرة أصبحت المركـز الرئيسى له بعد ذلك بأعوام قليلة ، فتطور فيهـا وازدهـر ازدهـارا لا مثيل له .

٨ ـ صناعة الزجاج :

* كانت بلاد فارس وطـن صناعة الكريستال والزجاج أيضا ، ثم انتشرت فى جميـع البـلاد الاسلامية . ويوجـد الآن فى الكنائس المسيحية وقصور الامراء التى أقيمت فى القـرون الوسطى جبال من الأوانى المصنـوعة فى الشرق من الكريستال والزجاج . وتنسب الابحاث كثيرا من هـذه القطـع الفنيـة الرائعة الى عهـد الفاطميين فى مصر ، وهى الفتـرة الزمنية المحـددة فيما بين عام ٩٠٩ م ، وعام ١١٧١ م ، فقد كان حجاج أوربا المسيحيون مغرميـن باحضار قطع تذكارية مصنوعة من الكريستال على صـورة حيوانات معهم الى أوربا كما أحضروا معهم أيضـا قـوارير لاسـتخدامها فى المجالات المختلفة كأوانى للعطـور والأدوية .. و .. الخ .

* زينت الأباريق الكبيرة ذات المقبضيـن ، وأقـداح الشرب ، والزجاجات (القينـان) مـن الكريستال بصـور الحيـوانات كالأسد والزرافة ، وبأشكال الطيور على اختلاف أنواعها . كما وجدت أيضا أوانى زخرفت بخطوط فقط ولما كانت مادة الكريستال تعتبـر من الكماليات ، فقد نافس الزجاج المجلخ فن الكريستـال ، اذ غطى اتجاه الاستعمال المنزلى كالأكواب والقينان ، والأدوات المستعملة فى الكتابة ، حتى مصابيح الاضـاءة المطلية بالذهب والفضة فى المساجد.

* اشتهر الصناع المهرة فى عهد الصفويين ــ وعلى امتداد قرون لاحقة ــ بصناعة الزجاج الملون بالألوان المفرحة ، فقد تناسقت ألوانهم الحمراء والصفراء والخضراء مع أشكال القطع الفنية ، سواء كانت ابريقا أو زهرية ، أو صهريجا للزينة أو للاستعمال .

٩ ــ فن العاج :

* أعجب جنود الحملات الصليبية القادمين من الغرب بالفن اليدوى الاسلامى فأخذوا معهم كل ما وقع فى أيديهم الى أوطانهم ليهدوه الى ذويهم أو ليطلعوهم على روعة هذا الفن . كان من بين هذه الهدايا والقطع التذكارية ، قطع فنية من العاج ، نحتها المسلمون على أشكال فنية ، بلغت درجة الكمال الفنى فكانت دقات قلب كل امرأة ترتفع من الفرح عندما يهدى لها زوجها العائد من الشرق مع الحملات الصليبية علبة مجوهرات مطعمة بالعاج . وكانت الخناجر ذات المقابض المصنوعة من العاج من الأسلحة الممتازة ، كما شع من الأبواق سحر حمل المشاهد على الاعجاب بها ، لما فيها من العاج المنحوت بشكل فنى نادر .

* ازدهر فن العاج فى الاندلس وصقلية ، ثم انتشر من هناك فعم جميع بلاد الشرق الاسلامى ، كانت القطع الفنية تنقل من هنا وهناك فجاءت قطع فنية من مناطق أخرى الى تلك المنطقتين وطن العاج الأصلى ، لأن التبادل التجارى فى ذلك العصر كان نشيطا لا يتوقف عن الحركة أبدا . فالتجار دائمو الرحلات الى الاماكن التى تروج فيها بضاعتهم ، فحيث لا يرغب الناس فى اقتناء الاشكال المنحوتة يعرض التجار قطع الشطرنج المصنوعة من العاج . وهكذا يرحلون ببضاعتهم الى حيث توجد الرغبة عند الناس لاقتنائها .

* تدل المهارة الماثلة فى صناعة العاج فى نحت الأشكال الخشبية على التفوق الاسلامى فى هذا الفن ، اذ على الرغم من ارتفاع ثمن الخشب ارتفاعا فاحشا ــ فبسبب

نقص الانتاج المحلى ، وخاصة فى مصر والعراق . استوردوا الخشب الهندى ــ لم يهملوا صناعة المنابر ومحامل الكتب للمساجد وقصور الاغنياء . كذلك ظهرت أيضا البلكونات ذات الأسوار الخشبية فى القاهرة وبغداد ، كما صنعت الأبواب والشبابيك من الخشب وزينت بالرسومات والتماثيل المطعمة بالعاج .

١٠ ــ فن المعمار الاسلامى :

❊ أراد الامويون المحافظة على الاسلام كواجهة ظاهرية ، بجانب النمو فى جانب السلطة الدنيوية . ولما كانت هذه المملكة واقعة تحت تأثير الحياة البدوية التى خرجت منها فقد دارت حياتها بين مقرها فى دمشق وبين الصحراء ، اذ بينما كان الخلفاء حريصين على الجانب الدينى بجانب السلطة السياسية ، مال اخوانهم فى الدم الى الاقامة فى الصحراء ، حيث شيدوا لهم قصورا فخمة هناك . وفى هذا العصر ــ وهو عصر صدر الاسلام ــ لم يكن الفن المعمارى قد تحرر بعد عن النماذج البيزنطية والمسيحية ، ويدل على ذلك التجهيزات الداخلية لهذه القصور ، وكذلك النقوش وأسلوب الزخرفة ، التى جلب لها فنانون يونانيون وبيزنطيون . وفى مقابل هذا تطور الطراز الأموى فى مجال الهيكل الخارجى المعمارى تطورا ذاتيا فأصبح طرازا اسلاميا .. ثم يمضى المؤلف فى وصف اقامة المساجد بمآذنها فى هذا العصر وزخرفتها ، ويخص بالتفصيل المسجد الأقصى وبناء قبته بأمر الخليفة عبد الملك وزخرفتها بالفسيفساء والآيات القرآنية ، ويرى أن وجوده فى المنطقة علامة على سيادة الاسلام فى مواجهة الدولة اليهودية .

١١ ــ قصور الصحراء :

❊ قلد الأغنياء الخلفاء فى الاهتمام بفن المعمار ، ومنهم من اهتم ببناء المساجد وزخرفتها . فاذا كان الخلفاء الأربعة الراشدون ــ الذين نفذوا تعاليم القرآن الكريم تنفيذا دقيقا ــ قد حرموا على أنفسهم كثيرا من متع الحياة

الدنيوية خوفا من أن يبتعدوا عن الأسلوب الذى التزمه النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته فلم يشيدوا قصورا ولم يزخرفوا دورا ، فان الوضع قد تغير فى عهد الامويين ، فشيدوا لهم قصورا فى الصحراء ليستريحوا فيها من عناء السياسة والادارة ، وقد اطلق على قصر الصحراء « مشتى » •• ويمضى المؤلف فى وصف هندسة بناء بعض هذه القصور وزخرفتها وتعرض بالتفصيل لكل لوحة من لوحاتها ، كما بين معالم الفن الساسانى والرومانى ثم قال :

« كانت معالم الفن فى العصر الأموى هى الأخذ من كل النماذج الفنية الموجودة سواء كانت منحدرة من شعوب آسيا أو من اليونان أو من الرومان ، اذ يجد المرء فيه سمات الفن اليونانى والرومانى ، وفنون الشعوب الآسيوية حتى الهند » •

١٢ ـ الفن المعمارى فى العصور المختلفة :

* تناول المؤلف معالم الفن المعمارى فى كل عصر من العصور الاسلامية بالتفصيل مبينا أهم المعالم المعمارية من مساجد وقصور ، ومفصلا فى وصف دقائقها •• وما بقى منها وما ضاعت معالمه ، وأفرد لكل عصر بابا ، فجاءت فى كتابه على التوالى :

أ) فن المعمار فى العصر العباسى •

ب) بغداد المدينة الدائرية •

جـ) الفاطميون •

د) الفن فى العصر السلجوقى •

هـ) الفن فى العصر المملوكى •

و) الأبهة فى الدولة التيمورية

ز) الفن فى الدولة الصفوية الفارسية •

ح) اسبانيا وشمال افريقيا •

ط) الفن فى العصر العثمانى •

ثم ختم الباب بقوله :

« كان الاسلام بالنسبة لأوربا ـ على الرغم من قربه فى اسبانيا ـ عالما غريبا ، بل عالم

المغامرين والأعداء ،وعلى الرغم من هذا فقد أمكن الاستمتاع بفنه الجميل دونما ضرر كما نقلنا عنه انجازاته الهائلة فى مجال التجارة ، ومجال الابحاث العلمية ، ولكن ظل بين عقل الدين الاسلامى باتتاجه الخصب فى كل مجالات الحياة ، وبين الدوائر المسيحية هوة عميقة لا يمكن التغلب عليها •

* تدين كل البلاد — من اسبانيا حتى الهند — بالطاعة والخضوع لتعاليم الاسلام غير أن كل تفاسير هذه التعاليم اختلفت تبعا لما يراه المفسر فى ضوء المتغيرات الاجتماعية التى يحياها • ومع ذلك لم يبعدهم الثراء الواسع — الذى عم بعض مناطقهم اليوم — عن تذكر الله ، بل زاد من قربهم له ، وقوى عقيدتهم فى وحى الله الواحد القهار » •

للحديث بقية ••

دكتور : محمد شامه



الباحث عن الحقيقة

للمرحوم "محمد عبد الحليم عبد الله"

من منظور الفن الروائى

للدكتور فتحى محمد أبو عيسى

(١)

«الباحث عن الحقيقـة» رواية حاكت خيوطها أمجـاد التـاريخ وأحداثه ، ولكنها ـ مـع ذلك ـ ليست تاريخا بحتا ، يقف بالحدث التاريخى عند تخوم الحقيقة المجردة بل عملا يرتفع بالأحداث والمواقف الى حيث أقواف الخيال ، وروعـة التصوير ، فاذا المشهد الذى دوت أصداؤه منذ فجر التاريخ مـا يزال مونقا غض الاهاب ، لم تذو منه النضرة أو تذبل على تقادم العهد أو تتابع الحدثان ، بفضل هذه الغلائل الشفيفة التى خلعتهـا عليه ملكة الكاتب ومعايشته الموقف بعاطفـة مترعة بالحب ، مفعمـة بالأمانى ، يتراءى ذلك من رجـائه الضـارع الذى قدمه بين يدى أحداث هذه الرواية فى كلماته التى تنقلها الينا العبارة الآتية :

« ان لم تكن احـدى حسناتى فاغفر بها احدى سيئاتى يا ربى » .

وهى عبارة تتصدر الرواية تقع عليها عين القارىء قبـل أن يلج ساحتها ، ويقف على موضوعها .

(٢)

والرواية تمـرد عـلى الالف ، وثورة على التقليـد الأجـوف ، وانعتاق من عالم المادية المظلمـة ، والحيوانية الكاسرة الى عالم أثيرى آخر ، تتسـامى فيه الروح عـن لذاذات الحياة ومغرياتها ، ويتبـوأ المرء فيه المكانة التى كانت له منذ طفق الملائكة يعجبـون أن تكون الآدمية اصطفاء لعمـارة الأرض ، فضلا عن استخلاف الآدمى فيها ،

وهو ذلك المعنى الذى أبرزته الآية القرآنية :

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم مالا تعلمون »(١) .

هى قصة العزم الأكيد ، والتصميم الجاد ، والتردد الذى يداخل النفس ، ليمضى بها فى طريق اليقين ، بحثا عن الحقيقة التى تتجاوب مع « الفطرة » .

وقد ترتقى أحداث تلك الرواية فتشكل ما يمكن أن نطلق عليه « ترجمة فنية » — تتباين طولا وقصرا — تكشف عن الدخائل والحنايا التى استقرت فى وعى شخصيات ، تمثل أحداث هذه الرواية .

ونعنى بالترجمة الفنية ، ألا تكون من قبيل التراجم التى تتوخى الموقف ، وتعتمد الحدث مجردا عن الرتوش والأصباغ ، بحيث تقدم الشخصية فى نطاق معين بعيدا عن التجسيد وأبعاده ، والرؤية الفنية التى تعكسها ايماءة لموقف ، أو ايحاء مستور فى ثنايا كلمات نسجها الكاتب حول بطل أو شخصية ، وتلك خيوط قد تفصل بين التراجم الساكنة ، والتراجم الحيوية التى تترقرق فى وعى الروائى أو خيال الكاتب ، أو لعلها الفرق بين التاريخ حين يأتى عطلا من الفنية وعاريا عن ايرادها ومزدانا بأبهى حلله من رواء العبارة ، وشحنة العاطفة ، وخلابة الصورة .

(٣)

تكفلت « الباحث عن الحقيقة » بالترجمة الحية التى تكشف عن جانب — لعله أهم الجوانب — فى « سلمان الفارسى » الصحابى الجليل الذى اهتدى الى الحقيقة بيقينه وفطرته ، فتلمس الجانب النفسى والعقدى فيه .

ولكى يبدع الأديب الراحل فى وضع النقط على الحروف كان

---

(١) البقرة (آية ٣٠)

منطلقه فى تصويره ورسم أبعـاده منطلقا انسانيا ذا غـاية منشـودة ينعطف به الى ساحـة الايمان ، ومرفأ النجاة ، ويتمثل فى الفطرة النقية الصافية التى يحلق صاحبها — ما أراد — الى عـالم النـور يستبطنه ويسبر أغواره حتى يصل الى ضالته ومراميه .

وفى « الباحث عن الحقيقـة » تتكثف الأضـواء على مـواقف تشكل حياة « سلمان » لحمـة وسدى ، منذ أحس أنه فى مسيس الحاجة الى عالم آخر يتماذج به ، وذلك حين لاحظ أن كل مجريات الأمور — فى البداية — فى لـدد وتنافر مع ما يهدر فى كيانه ، ومن هنا صب جـام سخطه على « بيت النار » ، هذا المعبود الذى شبوا على قداسته ، وجـد فى البحث عن هذا العالم الذى يود أن يستشعـر فيه سـكينة النفس ، واستقـرار الفؤاد .

لم يعد « بيت النار » — كما كان — ذا مهابة ، بل غدا غـريبا عليه ، يرى فيه الشذوذ ، و « هذا هو الشىء الوحيد المنفصل عن كل ما حوله ، وكأنما اتفقت الكائنات جميعا على خصامـه ، فنزل عليه الليـل أشد ظلمة ، وكأنما الفجر على بقيـة الأشيـاء » واذ صـار « بيت النار » على هذه المثابة من النفرة والشذوذ ، لا ينسجـم أو يتسق مع ما حـوله فعلى عكس ذلك بدا والنجم والحجر فى تفاهم وتناغم ، ففيم يكمن السر ؟

خطرات قلب ، ونجـوى نفس دفعته الى أن يستغرق بكليته فى العبادة الصامتة والتأمل الخاشع ، غير أن آهة بددت هذا الصمت ، وقطعت عليه هدأة الفؤاد لتحمـل من معانى العبـادة مـا يعيش فى أعماقه ، وما تنطوى عليه حناياه .

(٤)

ويواجه « سلمان » — رضى الله عنه — قصة الصراع المرير ، وماكان أشد ما لقى فى سبيله من معـاناة ومكابدة باحثا عن الحقيقة ولا شىء سواها ، فمن أين يبدأ ؟ أبالمجتمع وقد صار غريبا بكل ما فى الكلمة من معنى ، وهو الـذى كان الى

الأمس القريب مهدا ينعم فيه بالعيش الرافه ، والسعادة الغامرة ؟ وهل يملك فى بداية هذا الصراع أن يطوع كل شيء لما يرى ؟

دون ذلك خرط القتاد بعد أن استقرت العادات فى بؤر الشعور ، واعتاد حياة الصغار والمهانة يرتكس فى مهاويها ، وما له عنها بد ، وكأنما كئوس المذلة التى يتجرعها أسلمته الى حالة من اليأس القاتل .

لا بد ـ اذن ـ من وقفة يضحى فيها بما استبعد سواه من المفتونين برواء الحياة ومباهجها ، ولكن مع من يبدأ جهاده وجلاده ؟

أبوالده الذى انصهر فى كيانه ، والذى لا يخاطبه الا بـ « أنا » أمارة على الحب ؟ وماذا لو كان ؟

وشهدت حلبة الصراع جولة عمقت فى الأذهان ان الحياة التى امتلأت بالجور والظلم واستنزاف الحقوق واهدار الآدمية ما كان لها أن تقيم وزنا للمبرة حتى بين الأب وولده .. ومن ثم أعلن ـ فى غير مواربة ـ رفضه لما درج عليه ، وأضحت اللهجة التى ألفها من أبيه نشازا لا يستريح الى سماعه .. وأزمع أن يكون ذا استقلال يميزه ، وان كان هذا الاستقلال بالنسبة الى الضعفاء والمقهورين والمجلودين يتلاشى أمام ضعفهم ، فاذا به كأنه بضعة منهم .

وهكذا كان صراعه : مع بيت النار ، ثم مع أبيه ، وفى اصراره على أن يذود عن المستضعفين .. كل أولئك أكد له أن اطار التوافق بين النجم والحجر هذا قد يشمل الانسان ، ويدخل فى دائرته .

ويقوى شعور « سلمان » بالمطحونين من بنى البشر ، ويمضى فى تحليل هذا الشعور فيه ، فيصل الى أن سعادة الانسان تختفى وراء تلك الأقنعة الزائفة التى صنعها زيف الطغاة من كتبهم ونارهم ، وطقوسهم ، وهل ذلك كله الا خدر لمشاعر هؤلاء المساكين ؟ ! !

لكم كان الفرار الى عالم يترنح فيه احساسه ورؤيته أملا باسما .. وكأنما الرؤى الوردية ظلت تخامر

احساسه الى أن اغرورقت عيناه بالدموع لا لشىء غير شوق مبهم يخالطه وعد غامض باللقاء •

وتنمو قصة الصراع وتطرد مواقفها حين تتهيأ الفرصة أمام « سلمان » فيرى قوما أمعنوا فى خدمة الروح ، فيشده الحنين الى أن ينفق سحابة يومه بين ظهرانيهم •

« وفى هذا اليوم انقطع عن العالم المادى ، فلم يشعر بجوع ولا ظمأ ،كأن الجسم الطينى الأصل فى منتصف الطريق الى الشفافية والاستغناء مثلما يتصل بأصل الوجود ومصدره ومدبره •• ومسيرة الأفلاك فيه •

واهتبل « سلمان » تلك الفرصة وخالطت بشاشتها قلبه بعد أن رأى الله فى مجالى الكون ، ،ولسان حاله يقول :

وفى كل شىء له أية
تدل على أنه الواحد

أجل ، تحتدم حلقات الصراع ، وتستحكم ، وتحتوى هذه الحقيقة التى هتف بها صدى مثيرا زلزل كيان الأب للحظته ، حتى لقد قال له « أوجدت الله عند رعاة الخنازير » ؟

واتتابه السعار ، والجواب يصك مسامعه :

« نعم ، انه رب المساكين ، وجدته على صورة جديدة : على صورة الحق ليس فى النار ، ناركم التى تعبدونها ، وليس فى الشمس : الشمس الضعيفة التى غلبتها النار على سلطانها فى المعابد ، وجدته فى آلام الانسانية ، وفى الدعوات الضارعة اليه فى السماء » •

لم يعهد الأب فى ابنه — من ذى قبل — صراحة أو حسما على هذا الغرار ، وجن جنونه و « سلمان » مأخوذ بالمشهد الذى رأى •• حين رأى النصارى يصلون •• وعبثا حاول الأب أن يقنع ابنه بأن ملك المجوس فى العبادة يبذ ملك النصارى فالمجوس انما يتقربون بالعبادة الى ما يرون توصلا به الى ما لا يرون •

وتنطلق — على الفور — ضحكة من « سلمان » دليلا ماديا على تهافت أبيه فى دعواه الخاوية

المتخاذلة التى حفظها ليرددها أمام ضواغط الموقف اذا لزمته الحجة •

وهكذا بدأ مد الصراع ينتشر، فبعد أن عاش فى أعماقه حبيسا يهدر كانت مرحلة المواجهة ، مواجهة الأب مع عنفوانه ومكابرته وكبريائه ، ثم راح ينأى عن الذاتية لكى يشتغل بآلام البشر قاطبة •

واذا أخذ الصراع هذا المد رأى الأب أن يتصرف تصرفا طائشا فيه رعونة ونزق ، شأن الطغاة حين يرهبون الناس بالسطوة والعنف • ولكن النتيجة ـ كما تؤكد العادة ـ أن يذوب جليد الصراع مهما يتراكم أمام وهج الايمان ونور اليقين ••

ويحكى القرآن الكريم مواقف من ذلك القبيل ، تشير الى الصراع بين الحق والباطل، وتقامىء الباطل فى مواجهة الحق ، وما قصة « أصحاب الأخدود » الا تجسيد لهذا الصراع ، وهى واحدة من عشرات القصص التى يزخر بها القرآن الكريم •

ترى كيف يكون التصرف ؟ وعم يتفتق ذهن الأب ؟

القيود والأغلال ، ظنا منه أن ما يعيد « سلمان » سيرته الأولى ، أو لعلهما على الأقل تفل من عزمه ، وتوهى من ارادته ، وهيهات أن تكون هذه وسيلة ناجحة ،فما كان لأصحاب المبادىء أن يغريهم وعد ، أو يرهبهم وعيده

(يتبع)

دكتور : فتحى محمد ابو عيسى

بين الأصول والفروع في التغيير الصوتي الصرفي

دكتور أحمد علم الدين الجندي

١ ـ الأصل الاشتقاقي

يرى بعض العلماء أن الأصل ـ هو الثنائي : فرمى : أصلها الثنائي : رم ـ حرك حرفه الثاني بفتحة مشبعة علامتها ألف • فلامه ليست حرفا بل اطالة أو اشباع الفتحة السابقة • والمثال : وثب • أصله الثنائي : (ثب) زيدت فيه الواو تنويجا • والأجوف : قام ـ أصله : قمْ أشبعت حركة حرفه الأول • أما المضاعف فهو مركب من حرفين مثل لعْ لعْ • مرْ مرْ ، فهو عبارة عن ثنائيين مكررين ، ومن العلماء الذين يرون ثنائية الأصل : ابن فارس والشدياق وجرجي زيدان والكرملي والدومنكي ، ولهم حجج كثيرة منها :

أن أصول الكلمات السامية كانت مؤلفة من حرفين اثنين ثم زيد فيما بعد على كل أصل منها حرف ثالث ، وقالوا : بأن الثنائيات صورة بعيدة مغرقة في القدم ودليل ذلك التدرج الطبيعي والانتقال من هذه المرحلة الى ما استقرت عليه الكلمات من ثلاثية الأصوات •

ويرى معسكر آخر أن أصل اللغة يرجع الى الثلاثي ، وأنه لم يتطور عن غيره ، ولهم أدلتهم أيضا ، على أنه يجب أن نشير الى أن النظرية الثنائية لا زالت فرضا واحتمالا • وأنها لم ترتق الى مجال القواعد الثابتة ، كما أنه اعترض على النظرية الثلاثية بأنها تنفى أصالة ما عدا الثلاثي وهم مع ذلك يلجأون في اثبات نظريتهم الى التأويل •

وعلى مذهب القائلين بأصالة الثنائي وتنميته لما فوقه الى الثلاثي عن طريق تضعيف الحرف الثاني أو اضافة حرف علة الى أول المادة الثنائية أو فى وسطها أو فى آخرها ، يرون أن اللغة وجدت فى أثناء تطورها فى المضعف ثقلا فراحت تبدل من أحد الضعفين حرفا من حروف العلة : انظر مايلى :

كعّ تطورت الى كاع .

ضرّ يضرّ ضرًّا تطورت الى ضار يضير ضيرا .

ذمّ تطورت الى ذام .

طبّ ، غمّ تطورت الى طاب ، غام .

مدّ تطورت الى ماد

صرّ (الصوت) تطورت الى صار .

حفّ تطورت الى حاف .

غبّ تطورت الى غاب .

طمّ يطمّ طموما تطورت الى طما يطمو طموا

همر تطورت الى همى

محق تطورت الى محا

حمّ (الحديد) تطورت الى حمى .

شجب تطورت الى شجا (أحزن)

هذا وقد يبدل أحد الضعفين نونا مثل احرجم تطورت الى احرنجم .

اظّلم تطورت الى انظلم .

وأبدلت نونا ، لأن النون حرف موسيقى محبب فى اللغة ، ولهذا يرى بعض الباحثين (١) أن وزن (أفِّعَل) هو الأصل ثم تطور الى (انفعل) فهى صورة جديدة للمطاوعة وهى فرع عن (افعّل وافتعل) .

فالتضعيف هو الوسيلة الأولى لتنمية اللغة ونقلها من الثنائية الى الثلاثية ، فالمضعف تولد منه على طريق الابدال : الأجوف ثم الناقص وكأنه نوع من القطعة (الترخيم) (٢) ثم المثال ثم السالم ، فالسالم جاء آخرا ، لأن زيادة

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٩ . د. مصطفى جواد .

(٢) ثنائية الأصول اللغوية ١٢٦ مقال للاستاذ حامد عبد القادر نشر بمجلة مجمع اللغة العربية ج ١١ .

حرف على المضعف أليق بحكمة الواضع فى التفنن فى نقصه ، اذ لو جعلت السالم أصلا لزم عنه العدول من الكمال الى النقصان .
والدليل على أصالة المضعف قراءة أبى حيوة (وعزنى فى الخطاب ٢٣ ص) ، قال ابن جنى فى المحتسب ٢/٢٣٢ دار احياء الكتب العربية تحقيق الأستاذ النجدى ومن معه : أصله : عزّنى غير أنه خفف الكلمة بحذف الزاى الثانية أو الأولى كما حكاه ابن الأعرابى من قولهم ، ظنْت ذاك : أى ظننت هذا ويمكن لظاهرة المخالفة أن تفسر الصلة بين المضعف وبين الأجوف والناقص :

الجبّ تطورت الى الجوْب (القطع) .

دسّس تطورت الى دسّى « وقد خاب من دساها » .

تسرّر تطور الى تسرّى .

« وليملل الذى عليه الحق » تطورت الى « فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » .

فهذه صور للتطور ورسوم للارتقاء .

على أن حدود التطور لم تقتصر على الأفعال واشتقاقها بعضها من بعض ، بل نرى من (الأفعال) ما تطور الى (حرف) خالص انظر مثلا :

البدوىّ علا الجبلَ — فهى فعل ومع كثرة الاستعمال والتداول أصبحنا نقول : البدوى على الجبلِ فهى نفسها حرف جر ، والعلاقة بين المثالين واضحة مدلولا واستعمالا (١) .

كما كان الأصل الاشتقاقى محل خلاف بين البصريين والكوفيين ، فيرى البصريون أن المصدر هو الأصل والفعل فرع عليه ، والكوفيون على العكس يرون أن الفعل هو الأصل والمصدر فرع عليه .

وحجة البصريين منها :

أن الفعل يدل على الحدث والزمان ، فلو كان المصدر مشتقا

(١) من دلائل القدم فى اللغة العربية . د. احمد عبد الستار الجوارى . نشر فى البحوث والمحاضرات . دورة ٣٣ . مجمع اللغة العربية .

من الفعل لدل على ما يدل عليه الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث : كما دلت اسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وعلى ذات الفاعل والمفعول ، فلما لم يكن المصدر كذلك علم انه ليس مشتقا منه .

كما استدلوا على أن المصدر هو الأصل بتسميته مصدرا ، والمصدر هو الموضع الذى يصدر عنه ... فلما سمى مصدرا دل على أن الفعل قد صدر عنه ، وكذلك احتجوا بأن قالوا : بأن المصدر يدل على زمان مطلق ، والفعل يدل على زمان معين ، فكما أن المطلق أصل للمقيد ، فكذلك المصدر أصل للفعل .

كما احتج الكوفيون بادلة منها :

أن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ، ألا ترى انك تقول : قاوم قياما ـ فيصح المصدر لصحة الفعل ، وتقول : قام قياما ـ فيعتل لاعتلاله ، فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على أنه فرع عليه . كما تمسكوا بأن المصدر يذكر تأكيدا للفعل ، ولا شك أن رتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد ، فدل على أن الفعل أصل والمصدر فرع (١) ... وهناك من الأدلة للفريقين غير هذا ، وأرجح رأى الكوفيين فى هذا النزاع مسترشدا بمايلى :

١ ـ ما يراه نفر من المستشرقين من أن أغلب الكلمات يرجع اشتقاقه الى أصل ذى ثلاثة أحرف (لبعضها أصل ذو حرفين) وهذا الأصل فعل يضاف الى أوله أو آخره حرف أو أكثر ، فتتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة .

٢ ـ أن العقلية الفعلية ـ قد سادت على اللغات السامية ، لأن لأغلب الكلمات فى هذه اللغات مظهرا فعليا . ففى الساميات الفعل هو كل شىء(٢) ، أما من ذهب الى أن أصل المشتقات هو المصدر

(١) الانصاف فى مسائل الخلاف . لابن الأنبارى . مسألة ٢٨ .
(٢) تاريخ اللغات السامية ١٤ تأليف ولفنسون . الطبعة الاولى .

ـ فهو مذهب نشأ عن الفرس حيث بحثوا فى اللغة العربية بعقليتهم الآرية ، والأصل فى الاشتقاق عند الآريين هو : المصدر ـ فعلماؤنا متأثرون ومقلدون .

وليس النزاع الذى ذكرنا طرفا منه وحده فحسب ، بل وقع خلاف فى دوائر البصرة نفسها حيث قال جمهورهم : ان المصدر متى ثبت أنه أصل للفعل ثبت أنه أصل للمشتقات بالواسطة ، اذ المشتقات متعلقات بالأفعال ، ومتى ثبتت فرعية المتعلق ، ثبتت فرعية المتعلق ، وقال جماعة منهم السيرافى : ان المصدر أصل للفعل ، ولكنه ليس أصلا للمشتقات ، بل الفعل هو الأصل للمشتقات ، اذ لا يلزم من كون الفعل متفرعا عن المصدر ، أن تكون متعلقات الفعل متفرعة كذلك عن المصدر ، بل ينقل السيوطى عن طائفة من المتأخرين اللغويين بأن : كل الكلم مشتق ، كما نقل عن طائفة من أهل النظر أن : الكلم كله أصل ! واذا كنا قد رجحنا رأى الكوفيين فلا زال الطريق شائكا ، فأى الأفعال هى الأصل ؟ يذهب بعض العلماء المحدثين أن اسم الفاعل هو الأصل ، وبعضهم يذهب الى أن صيغة الأمر هى أصل اشتقاق الأفعال . أما نحاة العرب فبعضهم يرى أن الفعل الماضى هو الأصل ، وبعضهم يرى أن فعل الحال هو الأصل ، وآخرون يرون أن فعل المستقبل ، الى غير هذه الآراء . كما يرى بعضهم أن بدايات الفعل فى العربية انما هى تطور من استخدام بعض صور اسم الفعل (١) ، أو أن الفعل انما تطور عن كلمات استخدمت وقصد بها الاسم والفعل معا ، ثم أخذ مدلول الفعل فيها يتحدد ، ويستقل باضافة فكرة الزمن ، ويرى نفر من العلماء أن ننظر الى (الجذر) (٢) ، وهذا يحل مشكلة الأصل الاشتقاقى ، فمسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات واشتراكها فى شىء معين ، والقدر المشترك بين

(١) الفعل زمانه وابنيته ١٢١ . د. السامرائى .
(٢) مناهج البحث فى اللغة ١٨٢ . د. تمام حسان . الانجلو . القاهرة

الكلمات المترابطة . وأصح ذلك هو الحروف الأصلية الثلاثة ، فأنت اذا نظرت الى : ضرب ضارب مضروب مضرب ضرب ، رأيت أنها تشترك فى (ض ر ب) وتتفرع منها ، فهذه الحروف الثلاثة جذور العربية التى تتفرع منها الكلمات . فالفعل واسم الفاعل واسم المفعول .. الخ .. صور من صور التعبير الشكلى للمادة التى لا يصدق عليها وصف بالفعلية أو الاسمية .

وفى كتب العربية تجدهم يتوسعون فيشتقون من أسماء المعانى : فلقد اشتقوا من أسماء العدد وهى أسماء معان جامدة ، ففى المخصص(١) : كانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم . كما اشتقوا من أسماء الأزمنة ففى اللسان (٢) : وأخرف القوم ــ دخلوا فى الخريف . كما اشتقوا من أسماء الذوات : يديته : ضربت يده ، فهو ميدى ، ويَدِىٌ : شكا يده (٣) ، ومن العجب أن العرب قد اشتقت من الحرف ففى الخصائص (٤) : سألتك حاجة فلوْليت لى : أى قلت لى (لولا) فاشتقوا الفعل من الحرف المركب من (لو+لا) ، ومعنى ذلك أن (الأصل) فى اللغة متعدد ، اذ قد اشتقت العرب من الأفعال ومن الأسماء الجامدة والمشتقة ومن الحرف .

وفى المشتقات تطالعنا أحوال عجيبة ، فقد نجد مصادر ولا أفعال لها ، كما أهملت بعض المفردات واستعملت جموعها . كما استعملوا بعض المصغرات من غير أن يستعملوا لها مكبرا ، كما روى عنهم أنهم أماتوا بعض المصادر . والحقيقة أن المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة اليها ، وقد يسبق بعضها بعضا فى الوجود ، ولهذا لا يمكن أن تكون الأفعال حين وجدت وجدت معها مشتقاتها ، فقد تعيش اللغة زمنا وليس بها الا الفعل وحده أو المصدر وحده ــ حسب حاجة اللغة واستعمالاتها فى حضارتها وبداوتها .

---

(١) ١٧/١٢٩ .
(٢) ١٠/٤٠٩ .
(٣) اللسان ٢٠/٣٠٣ .
(٤) ١/٤٣٦ ط الهلال ١٩١٣م .

ملحوظتـان :

١ ـ اذا تـرددت الـكلمة بين أصلين فى الاشتقاق فالتمس مايرجح أحدهما ، وله وجوه :

أ ـ كون أحد الأصلين أشرف

ب ـ كونه أخص فيرجع على الأعم •

جـ ـ كونه أسهل وأحسن تصرفا

د ـ كونه أليق •

٢ ـ قد يعرض للفرع المشتق مع الأصـل المشتق منـه تعبيرات منهـا :

أ ـ زيادة حركة كعَلِم من العِلْم

ب ـ زيادة مـادة : كطـالب وطلب

جـ ـ زيادة حـركة وحـرف، كضارب من الضرب

د ـ نقصان حركة كفَـرْس من الفرس •

(راجـع القـائمة فى المزهـر للسيوطى) •

الأصل والفرع فى المشتقات :

ولكن كيف تتبين الأصل والفرع فى صـيغتين مختلفتـين مشتقتين ويحسن قبل أن نجيب أن نتقـدم بعدة نصوص نفحصها وفى ضـوء ذلك يكون الجواب ، فمنهجنا يسير على استقراء اللغة وفحص مفرداتها أولا وأخذ صفة عامة لها ثانيـا ، وذلك قبل أن نتورط فى تعليـلات وهمية ، وتقديرات مجردة :

يقول ابن خالويه : ليس فى كلام العـرب مصـدر تفـاعل الا على التفاعل ـ بضم العين الا فى حرف واحـد جاء مفتـوحا ومكسورا ومضموما • قالوا : تفاوَتَ تفاوَتا وتفاوِتا وتفاوُتا (بالفتح والكسر والضم) ثم علق ابن خالويه على هذا بقول أبى زيد : وهذا غريب مليح (١) •

---

(١) ليس فى كلام العرب .

وقبيلة (كلاب) فى النص السابق تفتح ،(وبلعنبر) تكسر (١) . وأرجح أن الضم هو الأصل نورود ذلك فى القرآن : « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » (الملك آية ٣) كما أرجح أيضا أن الفتح فى لهجة (كلاب) ، والكسر فى (بلعنبر) فرع من الضم ، بدليل أن صيغة الفتح حدث فيها مماثلة : أى توافق حركى ، واللغة فى أثناء تطورها فى السلم التاريخى تهدف الى هذا الانسجام .

وصيغة : مرفق ــ القياس فيه فتح العين ، لأن مضارعه على يفعل ــ بضم العين ولكنه ورد بكسر العين ، وقالوا : بأن الكسر شاذ . ولكن هذا الذى اعتبروه شاذا ورد أنه بلهجة (الحجاز) ، بل قرأ به جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وأبو بكر وأبو عمرو فى رواية هارون ــ بفتح الميم وكسر الفاء فى قوله تعالى « ويهىء لكم من أمركم مرفقا » ، (الكهف ١٦) ، وجاء فى البحر (٢) أن معاذا أجاز فتح الميم والفاء . وأرى أن هذه الصيغة الأخيرة هى أحدثها فى التطور ، لأن بها توافقا حركيا ، واللغة فى أثناء تطورها تهدف اليه ، لأنه يقلل المجهود العضلى ، اذ عمل الانسان فيه يكون من وجه واحد .

وكان الحريرى يخطىء من يقول : فلان أشـَرّ من فلان . ويقول : الصواب : شـَرّ بغير ألف ، وكذلك يقال : فلان خير من فلان ، بحذف الهمزة ، ولا يقال أخير ــ على وزن أفعل . والأسلوب الذى خطأه الحريرى ورد فى كتاب الله و فى التراث العربى جاء عن ابن خالويه أن أبا قلابة قرأ قول تعالى « من الكذاب الأشر » (القمر ٢٦) بفتح الهمزة والشين وتشديد الراء (٣) ، كما ورد أخيرا ــ فى قول رؤبة (بلال خير الناس وابن الأخير) (٤) فأصل : شر وخير : أشر وأخير ، وهما أفعل

(١) اصلاح المنطق لابن السكيت ١٢٢ تحقيق الأستاذين . أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون . (٢) ١٠٧/٦ .
(٣) المحتسب : لابن جنى ١٤٧ مخطوط بمكتبة تيمور .
(٤) شرح الدرة ٦٤ ط اولى .

تفضيل ، وفى قراءة أبى قلابة وشعر رؤبة جاءت على الأصل ، بدليل سماع لهجة عربية نطقت ، هذا أخير من هذا • لكن لما كثر استعمال هاتين الكلمتين ــ حذفوا الهمزة منهما تخفيفا ، فكانتا فى الفصحى (شر وخير) •

وكأن الحريرى لا يؤمن بالأدوار التطورية التى مرت فيها العربية ، والدليل على تطور العربية لا سيما فى باب المشتقات زيادة على ما سبق :

١ ــ صيغة فِعْل ــ بكسر فسكون تقابلها صيغة فعول • تقول الحجاز شرب وتميم : شروب •

٢ ــ التبادل بين اسم الفاعل والمفعول (عضد ناشلة ومنشولة) (١) •

٣ ــ التبادل بين فِعْل (بكسر وسكون) ومفعول • ومن ذلك : « وفديناه بذبح عظيم » •

٤ ــ لتبادل بين فعَول ومفعول •• فاسم المفعول من الثلاثى من : ركب : مركوب وبجانبها نجد : ركوبا وجزورا بدل : مجزور ، ورسولا بدل : مرسول •

وربما كانت صيغة (فعول) هى الأصل فى الاستعمال بدليل وجود بقايا لها ، ثم بمرور الزمن ضعف معناها على هذه الصيغة فحاولوا تقويتها بميم زائدة حتى تستعيد قوتها المعبرة فقالوا : مركوب ••• وكذلك الميم فى اسم الآلة ، فانها اتصلت بالاسم فى مرحلة متأخرة للتأكيد ــ فأصبحت : مفعل ــ مثل : مِبرد ، والأصل : مايبرد ، فما موصولة فارغة من معنى الموصول ، ثم التصقت بها الميم ، فهذه الزوائد كما يراها بعض المحدثين ما هى الا كلمات مستقلة قديمة (٢) • وكذلك (مفعَل) فى اسمى الزمان والمكان انما جاء تطورا عن اتصال الميم سابقة بصيغة فعلية مضارعة مفتوحة العين •

---

(١) المخصص ١/١٦٤ ط اولى •
(٢) الفلسفة اللغوية ٩٣ جورجى زيدان •

وعندما قالوا ان اسم الآلة يأتى على : مفعال ومفعلة ومفعل ـ فالرأى أن الأصل هو : مفعال بصيغة المد ـ أما ما عداه ففرع منه ، ألا ترى أن الحركات فى العربية كانت فى القديم أحرف مد ثم اختفت وحل مكانها أحرف صغيرة ، ولهذا كان الخليل يسمى الضمة واوا صغيرة ، والكسرة ياء صغيرة ، والفتحة ألفا صغيرة ـ فالحركات فرع وأحرف المد الساقطة هى الأصل (١) .

٢ ـ حركية الصيغة بين الاصل والفرع :

معلوم أن الثلاثى المجرد له الأوزان الآتية : فعل . بفتح العين وكسرها وضمها والصيغة المضمومة وكذلك المكسورة يعتورهما تغيرات عدة لا سيما فى الأوزان الصرفية ، والقصد من هذه التغيرات هو التخفيف وتوفير الجهد الذى ينزع اليه العربى فى أثناء كلامه .

١ ـ فعل : بكسر العين سواء أكانت اسما أم فعلا حيث ينطق بها (فعل) بتسكين العين مثل : علم . فخذ ، وهذه التفريعات تختص بقبيلة تميم ، على حين أبقتها لهجة الحجاز على حالها بدون تفريع .

وبالاستقراء وجد أن صيغة : فعل بكسر العين يتفرع عنها :

أ ـ تسكين العين

ب ـ تسكينها بعد نقل حركتها الى الفاء فتصير فِعْل مثل : شِهْد فى حلقى العين . وكتف فى غير الحلقى .

ج ـ فِعِل ، ويختص بما كان حلقى العين مثل : ضِحِك .

أ ـ فَعِل ـ بكسر العين وتفريعها الى فعْل بسكون العين :

وذلك مثل قوله تعالى : « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » (البقرة ٢٨٠) قرأ أبو رجاء ومجاهد والحسن وغيرهم ـ بكسر الظاء ، وهذا التسكين فى الظاء للتخفيف من نظرة ـ بكسر الظاء ـ

ب ـ وقد تتفرغ صيغة (فعَل) بكسر العين الى (فِعْل بسكونها) من ذلك :

---

(١) انظر مقدمة لدرس لغة العرب ١٧٩ . العلايلى . ط العصرية .

قوله تعالى (بئسما اشتروا به أنفسهم) (البقرة ٩٠) فأصل بِئْس : بَئِس من البؤس سكنت همزتها ، ثم نقلت حركتها الى الباء ، قال الطبرى « وهى من لغة الذين ينقلون حركة العين من فَعِل الى الفاء اذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة ، وذلك فيما يقال لغة فاشية فى تميم (١) . والغرض من هذا التفريع كراهة الانتقال من الأخف الى الأثقل ، ولهذا آثرت تميم تسكين العين والسكون أخف من الحركة .

جـ ــ فَعِل ــ بفتح الفاء وكسر العين وتفريعها الى (فِعِل) بكسر الفاء والعين .

وهذا لا يكون الا فى الحلقى العين كنَعِم وبَئِس فتقول فيها على التفريع : نعم وبئس بكسر الفاء والعين ، والاصل فيها : نعم وبئس بفتح فكسر ، وكسر الحرفين الأولين معزو الى تميم ، ولا يجيز الحجازيون فيها الا الأصل . ولقد علل الرضى هذا التفريع فى تلك الصيغة فقال : وانما جعلوا ما قبل الحلقى تابعا له فى الحركة مع أن حق الحلقى أن يفتح نفسه أو ماقبله كما فى (يدمَع) لثقل الحلقى وخفة الفتح فأتبع فاؤه لعينه فى الكسر (٢) وعلل سيبويه لهذا التفريع بأن حرف الحلق لا يناسبه الا الفتح ، ولم تفتح العين الحلقية هنا خوفا من أن تلتبس صيغة (فعل) بفتح العين مع صيغة (فعل) بكسرها ، فلما لزمت العين الكسر ، وهى حرف حلق ، وفى ذلك شىء من الثقل ــ أتبعوا الفاء العين ليحدث نوع من التخفيف بالميل من كسرة الى كسرة ، وذلك لأن اللسان يعمل فى جهة واحدة ، فيكون العمل على وجه واحد (٣) .

٢ ــ فَعُل ــ بفتح الفاء وضم العين وتفريعها الى فَعْل بفتح فسكون مثاله ما قرىء به « كبْرت كلمة » (الكهف ٥) بسكون الباء

(١) تفسير الطبرى ٢٣٨/٢ . ط دار المعارف بالقاهرة . تحقيق محمود شاكر .
(٢) شرح الشافية ٤٠/١ . ط حجازى .
(٣) سيبويه ٢٥٥/٢ بولاق ، وانظر المخصص ٢١٣/١٤ .

فى كبر ، وعزيت لتميم (١)• على حين لا تفرع الحجاز فى تلك الصيغة ، قرأ زيد بن على « بما رحبت » التوبة ١١٨ • بسكون الحاء (٢) ، ويجوز فى هذا التفريع أى صيغة (فعل) بفتح فضم أن تنقل ضمة عينه الى فائه فيكون على وزن (فعل) بضم فسكون ، وبها قرىء « وحسن أولئك رفيقا » (النساء ٦٩) بضم الحاء وسكون السين • والنقل فى الحركة هنا لا يصح الا اذا لمحنا معنى التعجب فيها ، لأن التغيير فى اللفظ بالنقل صحبه معنى آخر زائدا وهو التعجب • والتسكين كما كان فى الكلمة الواحدة شمل الكلمتين أيضا ، ومن ذلك أنهم يسكنون هاء (هو) و (هى) اذا سبقهما واو أو فاء أو لام مثل : « وهو بكل شىء عليم » ، « فهو خير لكم » ، « لهى الحيوان » قرئت بسكون الهاء من الآيات السابقة ، والسبب فى هذا التسكين أن (فهو) على وزن (فعل) فكما جاز أن نسكن (عضد) فتكون (عضد) جاز تسكين الهاء من (فهو) التى بوزن (فعل) فتصير (فهو وهو) بسكونها •

ويمكن أن نميز الأصل والفرع من هذه الصيغة ، ففى قوله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين عضدا » (الكهف ٥١) فالصيغة الأصلية : عضد بفتح فضم ثم تطورت الى عضد بفتح فسكون ثم أخيرا الى : عضد • بضم العين والضاد ، وهى متطورة عن الأصل ، ولأنها أخف من (عضد) بفتح فضم ، وقد وردت قراءات قرآنية على الطور الأول والثانى •

٣ ـ تفريع (فعِل) بضم فكسر ولا يكون الا فى المبنى للمجهول ومنه :

أ ـ قول أبى النجم (لو عُصْر منه البان والمسك انعصر) وأصلها : عُصِر بالبناء للمجهول •

ب ـ وفى كتاب (العققة والبررة) ما عزى الى معبد بن قرط العبدى فى هجاء أمه :

---

(١) البحر المحيط ٦/٩٧ •

(٢) المرجع السابق ٥/٢٤ •

∴ (كأنما وجهها قد سفْع بالنار) [١] بسكون الفاء .

جـ ــ وقرأ أبو السمال « ولعنوا بما قالوا » . (المائدة ٦٤) بسكون العين ، ولقد حسنت هذه القراءة لأن السكسرة وقعت بين ضمتين » [٢] .

أما صيغة فَعَل ــ بفتح الفاء والعين ــ فلا تفريع فيها ، لأن الفتح خفيف فلا داعى للخروج عنه ، يقول سيبويه مؤيدا (وأما ماتوالت فيه الفتحتان ، فانهم لا يسكنون منه) . [٣] وأرى أن سيبويه ومن تبعه من علماء العربية قد جانبهم الصواب ، فقد خفف المفتوح بعض القراء [٤] ، أقول : وهم على حق ، اذ السكون أخف من الفتح ، لأنه يختصر المقاطع ويوفر المجهود ، وعلى ذلك قراءة أبى السمال وأبى المتوكل وأبى الجوزاء (الجَمْل) بفتح الجيم واسكان الميم ، وذلك فى قوله تعالى : « حتى يلج الجمل » (الأعراف ٤٠) .

ومما سبق يتضح أن اسكان البنية ، وهو ما سمى بالتفريع ــ كان من خصائص شرقى الجزيرة العربية وهو مرحلة متطورة عن الصيغ المتحركة التى هى الأصل وهذا الأصل كان فى قبائل الحجاز، يؤيد هذا ما جاء فى الخبر (نزل القرآن بالتفخيم) وقد اختلف الأئمة فى معنى (التفخيم) فبعضهم يرى أنه نزل بذلك (لعله يقصد الفتحة الصريحة) ثم رخص فى الامالة ، وبعضهم يرى : أنه يقرأ على قراءة الرجال ، لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء ، وآخرون : أنه نزل بالشدة والغلظة على المشركين ، وبعضهم يرى أن المراد بالتفخيم : تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر دون

(١) كتاب : العققة والبررة . لأبى عبيدة معمر ٣٦٥ ، تحقيق : عبد السلام هارون .

(٢) البحر المحيط ٥٢٣/٣ .

(٣) شرح السيرافى على سيبويه ٤١٦/٥ مكتبة تيمور . مخطوط ٥٢٨ (نحو) .

(٤) المحتسب ٣٠٧/١ مخطوط بالتيمورية رقم ٣٧٩ (تفسير) .

اسكانها (١) • وأرجح أن هذا المعنى الأخير هو المقصود دون غيره ، لأن من يرى أن معنى التفخيم نزوله بالشدة والغلظة على المشركين مردود ، لأن القرآن كما نزل بالغلظة نزل كذلك بالرحمة والرأفة ، والذى يؤيد ما أرجحه ما ورد عن أبى عبيدة من قوله : (أهل الحجاز يفخمون الكلام كله) (٢) ، وكأن المقصود هو نطق الحركات كاملة دون الجور عليها بالتسكين ، وذلك هو الأصل •

٤ ــ التوافق الحركى وعكسه ودلالتهما على الأصل والفرع

ومما يتصل بحركية الصيغة ما يتوارد عليها من توافق حركى أو عكسه ويكون هذا فى كلمة واحدة فى الأسماء أو الأفعال أو الظروف أو الضمائر ، وفى كلمتين ، واليك الأمثلة والشواهد :

أولا : التوافق الحركى فى كلمة :

١ ــ ويكون فى الأسماء وشواهده :

أ ــ سكارى • كسالى ، غيارى ــ بالضم والفتح (٣) •

ب ــ يقال فى الضأن : الضَّين ، والضِّين بالفتح والكسر (٤) •

ج ــ قرأ أبو عمرو (ما أخلفنا موعدك بملكنا) بكسر الميم وقراءة العامة بالفتح (٥) •

د ــ فكاك الرقبة ــ بفتح الفاء وكسرها •

فالصيغة التى حدثت فيها المماثلة أو التوافق الحركى هى الفرع ، والأخرى هى الأصل •

٢ ــ ويكون فى الأفعال وشواهده :

أ ــ فرغ يفرغ ــ بوزن فعل يفعل ــ بفتح العين فيهما ، وبوزن فعل يفعل ــ بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع •

---

(١) الاتقان : للسيوطى ١ / ٩٥ . ط حجازى .
(٢) المرجع السابق .
(٣) اصلاح المنطق ١٣٢ .
(٤) التذكير والتأنيث للسجستانى ١٢ مخطوط بدار الكتب رقم ٢٦٤ .
(٥) مفردة قراءة أبى عمرو بن العلاء ٥٨ مخطوط بمكتبتى .

ب ــ المشهور فى قبائل (الحجاز) أن أسماء الأفعال التى على وزن فعال ــ تبنى على الكسر ، وعن أبى حيان : أن (أسدا) تبنيها على الفتح (١) •

فلهجة أسد أحدث ، ولهجة قبائل الحجاز أقدم ، لعدم المماثلة •

جـ ــ وفى القرآن (سنفرغ لكم أيها الثقلان) قرأت تميم بفتح الراء ، والعامة بالرفع •

د ــ مضارع : مات ، يموت أو يميت ، ولكن (بنى طيىء) يقولون : (بمات) • فلهجة طيىء هى الفرع للتوافق الحركى ، وغيرها الأصل •

٣ ــ ويكون فى الظروف وشواهده :

حيث ــ بنصب الثاء على كل حال فى الخفض والنصب والرفع ، والنصب فى الثاء جاء لينسجم مع فتحة الحاء ، فاذا ورد أن بعض القبائل تقول : (حوث) (٢) ، بضم الثاء ، فأرجح أنها آثرت التوافق الحركى لأن الواو أصلها امتداد للضم ، فكأنهم جانسوا بين الواو والضمة •

٤ ــ ويكون فى الضمائر وشواهده :

أ ــ كقراءة ابن عامر « آيَّهُ المؤمنون » • (النور ٣١) بضم الهاء ، فاللهجة آثرت التماثل •

ب ــ قراءة سلام : « نُؤْتِهُ منها » (الشورى ٢٠) بضم الهاء (٣) •

جـ ــ وقرأ حفص « وما أنسانيه الا الشيطان » ، « بما عاهد عليه الله » ، « قال لأهله امكثوا » (٤) وكان ابن شهاب الزهرى يضم تلك الهاء فى جميع القرآن ، لأنه مدنى حجازى • وأصل هاء الغائب ــ الضم • والحجاز يضمونها مطلقا ــ يعنى تبقيه على الضم وهو الأصل •

---

(١) التذييل والتكميل لأبى حيانى ٥/٢٩ مصور بجامعة القاهرة .
(٢) اللسان ٢/٤٤٦ .
(٣) البحر المحيط ٧/٥١٤ .
(٤) الهمع للسيوطى ١/٥٨ فما بعدها .

ثانيا : التوافق الحركى فى كلمتين :

١ ـ ويكون فى التقاء الساكنين :

أ ـ اخشوُا القوم ـ بفتح الواو ، وقوله تعالى : « اشتروَا الضلالة » بفتح الواو (١) « وأنتمُ الأعلون » (آل عمران ١٣٩) بضم الميم . « وقالتُ أخرج عليهن » . (يوسف ٣١) باتباع ضمة التاء فى قالت ـ ضمة الراء فى ـ أخرج .

وحكى أبو عمرو عن أهل (نجران) : « براءة مِنِ الله » : بكسر النون (٢) .

٢ ـ كما جاء فى غير التقاء الساكنين :

أ ـ قرأ بعضهم « فِإنهم لايكذبونك » ، (الانعام ٣٣) بكسر الفاء والهمزة (٣) ويقرءون : «وِإنا ظننا»(الجن ٥) بكسر الواو والهمزة . ويغلب عامل التوافق الحركى على هذه الشواهد ، لتمام النسق الصوتى وكماله ، فهى شواهد متطورة (فرع) عن (أصل) .

ب ـ ومثل ذلك قولهم : أخذه ماحدُث وماقدُم . وضمت الدال من حدث حين قرن بقدم ، لأجل كمال النسق الصوتى حفاظا على الموازنة ، والأصل فى : حدث ـ على وزن فَعَل ـ بفتح العين والضم : فرع عن هذا (الأصل) .

٥ ـ ابواب الثلاثى بين الأصل والفرع .

من المعروف الثابت أن فعل ـ بفتح العين يأتى مضارعه على يفعل بضمها ، ويفعل ـ بكسرها ، ويفعل ـ بفتحها ان كانت عينه أو لامه حرف حلق . وأن مضارع فِعل ـ بكسر العين يكون على يفعل ـ بفتحها ، وجاء كسر العين فى المضارع فى أفعال محصورة ، وأن مضارع فعُل ـ بضم العين لا يكون الا مضموم العين فى المضارع هذا هو نظام الفعل الثلاثى . فاذا وجدنا فعلا غاير

---

(١) الهمع للسيوطى ٢ / ٢٠٠ .
(٢) مختصر شواذ القرآن ٥١ لابن خالويه . نشره : برجشتراسر .
(٣) السابق ٣٠ .

هذا النظام بأن يكون ماضيه على فعل ـ بفتح العين ومضـارعه على يفعل ـ بفتحهـا ، وليست عينـه أو لامه حرفا من حروف الحلق • أو يكون ماضيهعلى فعِل ـ بكسر العين ومضـارعه مضموم العين • أو يكون على فعُل ـ بضم العين ومضارعه خلاف ذلك قررنا بأنه من تداخل اللغات •

ومن القواعد الأساسية أنه دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة المـاضى لصيغة المضـارع ، لأن الهدف افادة الأزمنة ، فجعل لكل زمان مثال مخـالف لصـاحبه ، وكلما ازداد الخـلاف ، كانت فى ذلك قوة الدلالة على الزمان (١) ، والعدول عن المخالفة بين المـاضى والمضـارع لا يجـوز الا لأمـر طارىء ، وذلك اذا كان عين الفعل أو لامه حرفا من حـروف الحلق ، اذ حروف الحلق ثقيلة ، لخروجهـا من أقصى الحلق ، والضم والكسر ثقيـلان ، فلو جاء مضـارعه على (يفعل) أو (يفعل) بضم العين أو كسرها ـ حال كون عين فعله أو لامه حرفا من حروف الحلق ـ لأدى الى الجمـع بين الثقيلين ، فيجىء مضارعه على يفعل ـ بفتح العين ، لأن الفتح أخف الحركات ، وليكون خفة الفتحة فى مقابلة ثقل حروف الحلق (٢) ، ولهـذا رأى النحاة أن الباب الذى اتفقت فيـه حـركة عين ماضية وحـركة عين مضارعه فى غير باب فعل ـ بضم العين فرع عن غيره ـ أى أن الفتح فرع عن الضم والكسر ، اذ لو كان الفتح أصلا لجـاء من غير قيـد ولا شرط ، ولـكنه قيـد بكون الحرف حلقيا ، أما الضم والكسر فقد ورد بدون قيد • ولهذا نجـد مواده فى المعاجم اللغـوية أقل من مضموم العين أو مكسورها •

أما مضارع فعل ـ بضم العين ، فلم تختلف حركة العين فى مضارعه، لأنه يعتبر أصليا فى الثلاثى ، فهو لازم لا يتجاوز فعـله الفـاعل ، فأرادوا أن حركة عين الفعل الماضى لا تتجاوزها حركة عين المضـارع

(١) الخصائص ١/٣٨٠ ط . الهلال .
(٢) شرح الجرجاوى على تصريف العزى ٣٠ .

لتكون حركتا عين الفعل (الماضى والمضارع) متوافقين ليدل اللزوم اللفظى على اللزوم المعنوى حتى يكون اللفظ مطابقا للمعنى .

ويرى الدكتور أنيس أن صيغة فعل — بالضم — فرع عن فعل — بالفتح لأنه لا يلجأ اليها الا حين يراد المبالغة فى معنى الحدث الذى تتضمنه الصيغة الأصلية (فعل) بالفتح (1) .

أما باب نصر (الأول) وباب ضرب (الثانى) فكلاهما أصل . وأما باب فعل يفعل — بالفتح فى الماضى والمضارع ففرع عنهما . وأما باب فعل — بالكسر . يفعل — بالفتح فأصلى أيضا ، لأن الأصل كما قلنا أن يخالف بين حركتى عين الماضى والمضارع فى اللفظ كما خالفه فى المعنى ، ولهذا يطلقون على كل من الباب الأول والثانى والرابع (دعائم الأبواب) لأصالتها وكثرة المواد فى المعاجم العربية التى تتواكب عليها . أما باب (فعل يفعل) بالكسر فيهما فقليل نادر ، يؤكد هذا أن قراءة حفص القرآنية لا تشتمل على باب (فعل يفعل) بالكسر فيهما طبقا لاحصائية فى الأفعال الثلاثية الصحيحة فى القرآن الكريم ، كما أن قراءة حفص قد خلت أيضا من باب (فعل يفعل) بالضم فيهما الا فعلين اثنين وهما : كبُر يكبُر وبصُر يبصُر بالضم فى الماضى والمضارع .

د. احمد علم الدين الجندى

---

(1) فى اللهجات العربية ١٦٩ ط ٣ ، من أسرار اللغة ٣٨ ط ٢ . للدكتور أنيس .

حفيد النفس الزكية
من مواليد السند

للأستاذ السيد حسن قرون

فى سنة ١٥١هـ جرت مراسلات رسمية بين الخليفة أبى جعفر المنصور وواليه على السند بشأن غلام للثائر العلوى « عبد الله بن محمد بن عبد الله » وهذا الغلام من مواليد السند ، وأمه سندية ، وكانت نتائج المراسلات بعث الغلام وأمه الى المنصور بمدينة بغداد ، فكتب المنصور الى واليه بالمدينة يخبره بصحة نسب الغلام وبعث به اليه ، وأمره أن يجمع آل أبى طالب ، وأن يقرأ عليهم كتابه بصحة نسب الغلام ، ويسلمه الى أقربائه . وعرف الغلام فى التاريخ باسم « أبو الحسن محمد العلوى » ويقال له ابن الأشتر ، والأشتر أبوه ، وله قصة .

وقد بدأها الطبرى هكذا :

ولى المنصور « عمر بن حفص ابن عثمان بن أبى صفرة »(هزار مرد السند) فأقام بها حتى خرج محمد ابن عبد الله بالمدينة وأخوه ابراهيم بالبصرة ، فوجه محمد بن عبد الله ابنه « عبد الله » الذى يقال له الأشتر فى نفر من الزيدية الى البصرة ، وأمرهم أن يشتروا خيلا عتاقا ، ويمضون بها الى السند ، لتكون سببا فى الاتصال بالوالى عمر بن حفص ، وقد فعل ذلك لأن عمر كان له ميل الى آل أبى طالب ، وكان ممن بايع محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية قبل وصول بنى العباس الى الخلافة .

بلغ هؤلاء النفر بقيادة الاشتر العلوى البصرة والتقوا بالأمير الحسنى « ابراهيم عبد الله » وكان

قد ملك البصرة والأهواز وفارس وحوله جلة العلماء ممن يسمون فى ذلك الوقت أولى البصائر ، فأفضى بما قدم به الى عمه ابراهيم ، فرحب بالفكرة وأعانهم على شراء الخيل ، وابتهج لأن والى السند سيكون قوة الى قوتهم .. واجتمع للاشتر وأتباعه ما أرادوا من الخيل العتاق ، وركبوا البحر وبلغوا السند ، وكانوا فى هيئة تجار فى زيهم وحركاتهم فلما صاروا الى ولاية عمر بن حفص نزلوا واتجهوا اليه ، فلما كانوا بين يديه قالوا : نحن قوم نخاسون ومعنا خيل عتاق ، فأمرهم أن يعرضوا خيلهم ، فعرضوها عليه ، وأخذ يتأملها وينظر شياتها وملامحها ، فانتهزوا فرصة الحديث معه ، وتقدم اليه أحدهم ، فاستأذن منه أن يدنيه منه ليذكر له شيئا ، فأدناه منه وقال له : انا جئناك بما هو خير لك من الخيل ، ومالك فيه من خير الدنيا والآخرة ، وطلب منه الأمان على خلتين : قائلا له : اما أنك قبلت ما أتيناك به ، واما سترت وأمسكت عن أذانا حتى نخرج من بلادك راجعين . فأعطاهم الأمان ، فقالوا : ماللخيل أتيناك ، ولكن هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم « عبدالله ابن محمد بن عبد الله بن حسن ابن حسن بن على » أرسله أبوه اليك ، وقد خرج بالمدينة ، ودعا لنفسه بالخلافة ، وخرج أخوه ابراهيم بالبصرة وامتلكها ، وغلب عليها . والرجل له صلة قديمة بالنفس الزكية وكان ممن بايعه قبل أن تسقط الدولة الأموية فما كان منه الا أن رحب بهم ، وبسط وجهه لهم ، ثم بايعهم له ، وأمر بابنه أن يتوارى عنده ، ليتدبر الأمر ويهيىء النفوس له ، فدعا أهل بيته وقواده وكبراء أهل ولايته للبيعة فأجابوه ، وآن له أن يستبدل بالسواد البياض ، فقطع الأعلام البيض ، والأقبية البيض ، والقلانس البيض ، وهيأ لبسته من البياض يصعد فيها الى المنبر ، وحدد لما نواه يوم خميس ، وبينما هو فى شأنه وما أعده لنفسه وخاصته وولايته أتى ما قلب عليه عمله كله . فى يوم

الأربعاء قبل الخميس الذى حدده وافت الثغر (حراقة) : سفينة بها مرامى نيران للعدو ، وافت هذه الحراقة من البصرة فيها رسول « لخليدة بنت معارك » زوجة عمر ابن حفص معه كتاب منها الى زوجها تخبره باخفاق محمد « النفس الزكية » فى ثورته وقتله ، واستقرار الأمر للخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، فتحير الرجل ثم تماسك ، وكان شجاعا ذكى القلب ، فدخل على عبد الله بن محمد فى مكمنه وعزاه فى فقد أبيه . ثم قال له : اننى كنت بايعت لأبيك وقد جاء من الأمر ما ترى ، فقال له عبد الله وهو حزين حائر : ان أمرى قد شهر ، ومكانى قد عرف ، ودمى فى عنقك ، فانظر لنفسك أو دع . قال الوالى عمر : قد رأيت رأيا ، ها هنا ملك من ملوك السند عظيم المملكة ، كثير الأتباع وهو على شركه أشدالناس تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو رجل وفى ، فأرسل اليه واعقد بينك وبينه عقدا أو عهدا ، وأوجهك اليه تكون عنده ، فلست ترام معه .

قال عبد الله : افعل ما شئت .

وذات يوم رحل عبد الله الأشتر العلوى الى ملك السند بمعونة عمر بن حفص فوجد ماحدثه به عمر كاملا كما يحب ويرضى ، وجد اكرام ملك السند وبره ، وحفاوته به وبشره وترحيبه ، وتسامعت الزيدية بما لاقاه عبد الله عند هذا الملك الكريم فتسللوا اليه لواذا حتى صار اليه منهم اربعمائة رجل من أهل البصائر ، فكان عبد الله يركب فيهم فيصيد ويتنزه فى هيئة الملوك وآلاتهم . هكذا يقول الراوى .

وانتهى خبر عبد الله الأشتر الى المنصور ، والمنصور حازم يقظ يحرس ملكه بكل ما يملك من جند وقوة ، بل يسهر الليل والناس نيام ، وينظر الى كل اقليم فى ضوء ما يأتيه من أخبار ، وثورة بنى الحسن من العلويين نبهت مناصرا ألمعيا لوذعيا لا يعرف الهوادة

واللين لا بعدوه ولا بنفسه ، فلما جاءته أخبار هذا الفتى العلوى وما هو عليه من الأمن والاطمئنان زادته اهتماما وهما ، وامتلأ فؤاده قلقا ، وبلغ منه الأمر مبلغا نغص عليه انتصاره وحياته فكتب الى عمر بن حفص يستطلع كنه مابلغه ، فجمع عمر بن حفص قرابته وقرأ عليهم كتاب المنصور اليه وقال لهم : ان أقر بالقصة لم ينظره المنصور أن يعزله ، وان صار اليه قتله ، وان امتنع حاربه ، وسكت القوم مفكرين فى الأمر وعواقبه ، فانبرى فتى من أهل بيته وقال لعمر : ألق الذنب على ، واكتب اليه بخبرى ، وخذنى الساعة فقيدنى ، واحبسنى فلم يكن ليقدم على لموضعك فى السند ، وحال أهلك بالبصرة . قال انى أخاف عليك خلاف ماتظن . قال الفتى : ان قتلت أنا فنفسى فداؤك ، فان حييت فمن الله ، فأمر به فقيد وحبس . وكتب الى المنصور يخبره بذلك ، فكتب اليه المنصور بحمله اليه ، فلما صار اليه قدمه فضرب عنقه . ولكنه لم يشف غلته وما زال ظنه بعمر سيئا ، ، وأخذ يفكر فيمن يوليه السند بدل عمر بن حفص ، ويقول : فلان وفلان ، ثم يعرض عنه ، فهو يريد رجلا خالصا له مخلصا لدولته ، ولكن المصادفات تفعل الأعاجيب . أقبل المنصور من رحلة فى زينته ، وفى موكب نبيل ، وأبهة فائقة ، وكان فى موكبه (هشام بن عمرو التغلبى) ونظر اليه المنصور وهو ينصرف الى قصره ، فلما نضا عنه ثياب الرحلة دخل عليه الربيع فآذنه بهشام التغلبى .

قال المنصور : أو لم يكن معى آنفا ؟ قال الربيع : ذكر لهحاجة ، عرضت له مهمة ، فدعا بكرسى فجلس عليه ، ثم أذن له . فلما مثل بين يديه قال : ياأمير المؤمنين ، انى انصرفت الى منزلى من الموكب فلقيتنى أختى ، فرأيت من جمالها وعقلها ودينها ما رضيتها لأمير المؤمنين ، فجئت لأعرضها عليه ، فأطرق المنصور ، وجعل ينكث

الأرض بخيزرانة فى يده ... وقال : اخرج يأتك أمرى ، فلما ولى قال : يا ربيع لولا بيت قاله جرير فى بنى تغلب لتزوجت أخته والبيت هو :

لا تطلبن خئولة فى تغلب
فالزنج أكرم منهم أخوالا

فأخاف أن تلد لى ولدا فيعير بهذا البيت ، ولكن اخرج اليه فقل له : يقول لك أمير المؤمنين ، لو كانت لك حاجة الىّ لم أعدل عنها غير التزويج ، ولو كانت لى حاجة الى التزويج لقبلت ماأتيتنى به ، فجزاك الله عما عمدت له خيرا ، وقد عوضتك من ذلك ولاية « السند » وأمره أن يكاتب الملك الذى آوى عبد الله العلوى فان أطاعه وسلمه اليه والا حاربه.

وجد المنصور ضالته فى هشام هذا ، وكتب الى عمر بن حفص بولايته « افريقية » فخرج هشام التغلبى الى السند فوليها ، وأقبل عمر بن حفص يخوض البلاد حتى صار الى افريقية ، وحمد الله اذ نجا .

كان هشام يرجو مصاهرة الخليفة ، ليكون له شأنه ووزنه فى بغداد ، هو ذا يتولى أمر السند ببلاد الهند ، ومطلوب منه أن يستحوذ على العلوى الفار من وجه المنصور ، وأن يقتله ويرسل برأسه اليه ، واعتقد فى نفسه أن الذى اختير له صعب الأداء ، فظيع الغاية ، ان سلم من المنصور لم يسلم من الآخرة ، وابن رسول الله لم يهج أحدا ، ولم يتعرض لبلاده، والملك الذى ينزل عنده مسالم ، لم يعبث بالجوار ، ولم يحاد الدولة الاسلامية ولم يناهضها وما جال فى ذهنه أن فى ايواء رجل مثل العلوى ما يثير الخليفة فى بغداد ، وما دار فى خلده ما دار فى خلد هشام حين انتدب لهذه الغاية ، ان هشاماً يعرف من الخليفة شمائل تقض مضجعه، وتهز كيانه، وتجعله يفكر فى أمره بياض النهار وسواد الليل ، فالرجل الذى لم يرحم عمه، ولم تعطفه قرابة ، ولم يرده جميل كيف يخالف عن أمره ، فلتكن المطاولة والتأنى سبيله الى اجابة

مطالبه ، ولتكن الأيام كفيلة بحل معضلاته ، وراح يرى الناس أنه يكاتب الملك ويرفق به علّه يستجيب لطلبه ، فيسلم اليه العلوى وكفى الله المؤمنين القتال ، على حين أنه لا يكاتب الملك ولا يفكر فى القبض على العلوى أو قتله ، وما أشك فى أنه كان بمسلكه يعرض نفسه للكوارث لا يعلم الا الله مداها ، فكل من كان فى الدولة الاسلامية حينذاك كان يعرف سطوة المنصور وبطشه ، وأن له عيونا يبثها فى الأمصار فتأتيه الأخبار جديدة فى أوانها حتى لقد قر فى الأذهان أن المنصور وقعت فى يده مرآة أبينا آدم وبها يعرف ما يجرى فى المعمورة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ذلك أن الحاكم اذا صار عنيفا مخيفا دارت حوله الأساطير ، وخافه القريب والبعيد على السواء ، فلما جاءت رسائله الى هشام يستحثه على قتل العلوى أو الهجوم على ملك السند اذا لم يسلم العلوى أخذته رعشة تركته لا يدرى ماذا يصنع ؟ كان يظن أن المطاولة والتباطؤ ينفعه ، أيغير طريقته ؟ أيطالب ملك السند بتسليم ذلك اللاجىء ؟ واذا امتنع أيحاربه ؟ ليس له حق الحرية فى الاختيار ، ولو استقبل من أمره ما استدبر لرفض أن يكون واليا ، وواليا قاتلا أيترك الأمر للمصادفة ؟ انه يريد حلا ، وقد جاءه الحل مصادفة ، كيف كان ذلك ؟ يقول التاريخ :

خرجت خارجة ببعض بلاد السند ، أى قامت ثورة فى ولايته لأمر لم يذكره الرواة ، فوجه اليهم أخاه « سفنجا » فخرج سفنج يجر جيشا عرمرما ، وطريقه بجنبات ملك السند ، فبينما هو يسير اذا هو برهج قد ارتفع من موكب ، فظن أنه مقدمة للعدو الذى يقصده ، فبعث طلائع من جيشه ليجلو الخبر ، فذهبت ثم رجعت فقالت : ليس هذا عدوك الذى تريد ، ولكن هذا عبد الله العلوى ركب متنزها ، انه يسير على شاطىء مهران ، فمضى يريده فقال خلصاؤه ينصحونه : هذا ابن رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وقد علمت أن أخاك تركه متعمدا مخافة أن يبوء بدمه ولم يقصدك ، انماخرج متنزها وخرجت تريد غيره فأعرض عنه ، وكان فتى غمرا لم يجـرب الأمور يستعجل الوصول الى غاية فى نفســه ولو أدى ذلك الى ترك المروءة والنبل ومكارم الأخلاق ، قال : ما كنت لأترك أحدا يحوزه، ولا أدع أحدا يحظى بالتقرب الى المنصور بأخذه وقتله.وكان العلوى فى عشرة من أصحابه ، وفى غفلة مما يريده سفنج ويتوق اليــه ، فقصده سفنج ، وصاح فى جنوده وحثهم على قتالهومن معه ، وحمل وحملوا عليه .

لم يفكر عبد الله بن محمد العلوى فى الهــرب ، بل دفعتــه همتــه وهاشميته الى أن يتصدى لذلك الجيش الكبير فقاتل قتالا عظيمــا وقاتل أصحابه بين يديه حتى قتل وقتلوا معه ، ولكن أصــحابه حين قتل ضيعوا على سفنج فرصة أخذ رأسه ، فما أن سقط شهيدا حتى قذفوا به فى نهر مهران ، ولحق بآبائه ممن بذلوا أرواحهم دفاعــا عن الدين أو العرض .

هل حلت مشكلة هشام التغلبى بما جرى مصـــادفة ؟ كتب الى المنصور أنه قصد العلوى قصدا ، فقاتله وقتله .

فكتب المنصور اليه يحمد أمره ، ويأمره بمحاربة الملك الذى آواه ، فلم يجد بدا منحربه ، عبأ جيشه وأعد نفسه واقتحم ديار ذلكالملك، وكانت قــوة الجيش الاســلامى ظاهرة ، ودارت المعــركة وانتصر هشام ، واستولى على تلك البلاد.

وكان عبد الله العلوى قد اتخذ جوارى حين نزوله بجــوار ذلك الملك الكريم فأولد منهن واحــدة فلما صارت بيد هشام أرسلهــا وابنها الى أبى جعفر المنصــور ، فكان منه ما أشرنا اليــه فى أول الحديث ، فأبو الحسن محمد بــن عبد الله العلوى مــن مواليد السند وسيــكون له شــأن فى البيت العلوى .

السيد حسن قرون

من آداب وشروط القضاء فى الإسلام

المستشار محمد عزت الطهطاوى

القضاء لغة :

يعنى الحكم قال الله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه) (سورة الاسراء ٢٣) أى حكم ربك ألا تعبدوا الا اياه •

أما القضاء شرعا :

فهو كما يقول ابن رشد (الاخبار عن حكم شرعى على سبيل الالزام) أى أن فيه الزاما من السلطان على تنفيذ حكم القاضى •

الفرق بين القضاء وعلم الفتوى :

هما يشتركان فى أن كليهما اخبار عن حكم شرعى الا أن علم الفتوى لا الزام فيه بعكس القضاء ففى حكمه الزام لذلك فان المفتى يكون أقرب الى السلامة من القاضى لأنه لا يلزم بفتواه • وانما يخبر بها من استفتاه فان شاء قبل قوله وان شاء تركه •

وأما القاضى فانه يلزم بقوله لذلك كان خطره أشد — وقد كره العلماء للقاضى أن يفتى فى مجلس القضاء لئلا يلتبس الامر على العوام — وقد نقل عن القاضى شريح انه سئل مرة عن مسألة الحبس فقال (انما أقضى ولست أفتى) •

اهمية القضاء فى الأسلام :

لما كان الاسلام هو الدين العام على وجه الأرض يجمع بين الدين والدنيا ربط بين الأمور الاعتقادية وبين شئون المعاملات ارتباطا وثيقا لا يقبل التحلل منها بأى حال من الاحوال لذا كان من وظيفة النبى محمد صلى الله عليه وسلم

فوق الارشاد والتوجيه وتربية النفوس الفصل بين الخصومات والحكم فى المنازعات بين المسلمين طبقا لموازين العدل التى قررتها شريعة الاسلام والمتدبر لمنهج القرآن الكريم يرى أنه بعد تقريره التوحيد والتحذير من الاشراك بالله قرر اقامة موازين العدالة والقسط بين الناس صيانة لحقوقهم وحفاظا على أموالهم وأعراضهم •

ما كان يجب توافره فيمن يرشح لمنصب القضاء :

قال أبو يعلى الفراء — لا يجوز تقليد القضاء الا لمن كملت فيه الشرائط الآتية وهى :

الذكورية — والبلوغ — والعقل — والحرية — والاسلام — والعدالة والسلامة فى السمع والبصر — والعلم •

١ — أما الذكورية فان المرأة تنقص عن كمال الولايات وقبول الشهادات بقول الله سبحانه وتعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » ، (سورة النساء ٣٣) فلم يجز أن يقمن على الرجال • وقد جاء فى صحيح البخارى من حديث أبى بكر أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : (لن يفلح قوم وليتهم امرأة) الا ان الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه جوز قضاءها فيما تصح فيه شهادتها وهى فيما سوى الحدود والقصاص •

٢ ، ٣ — وأما البلوغ والعقل فلأن الصبى والمجنون لا يليان على أنفسهما فأولى أن لا يليا على غيرهما ولأن طريق الاجتهاد فى الحوادث وأعيان الشهود معدومة فيهما •

٤ — وأما الحرية فلأن العبد ليس من أهل الولايات ولا كامل الشهادات يقول الماوردى (ان نقص العبد عن ولاية نفسه يمنع انعقاد ولايته على غيره) لكن الرق لم يكن مانعا للرقيق أن يفتى أو أن يروى لعدم شرط الولاية فى الفتوى والرواية •

٥ ــ وأما الاسلام

فلأن الفاسق المسلم لا يجوز أن يلى فأولى أن لا يلى الكافر ويقول الماوردى لكونه شرطا فى جواز الشهادة مع قوله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » (سورة النساء ١٤١) فلا يجوز أن يقلد الكافر القضاء على المسلمين ولا على الكفار . لكن الامام أبو حنيفة رضى الله عنه جوز تقليده القضاء بين أهل دينه لكن اذا امتنعوا من تحاكمهم اليه لم يجبروا عليه وكان حكم الاسلام عليهم أنفذ .

٦ ــ وأما العدالة

فلأن الفاسق متهم فى دينه والقضاء طريقه الامانات . قال الماوردى فى الأحكام السلطانية (والعدالة معتبرة فى كل ولاية) وهى أن يكون صادق اللهجة ظاهر الأمانة عفيفا عن المحارم متوقيا المآثم بعيدا عن الريب مأمونا فى الرضا والغضب مستعملا لمروءة مثله فى دينه ودنياه ــ فاذا تكاملت فيه فهى العدالة التى تجوز بها شهادته وتصح معها ولايته وان انخرم منها وصف منع من الشهادة والولاية فلم يسمع له قول ولم ينفذ له حكم .

٧ ــ وعن السلامة فى السمع والبصر :

فليعرف المدعى من المنكر ولا يتحصل هذا للضرير ولا للاطرش ويقول الماوردى فى كتابه السابق الاشارة اليه (السلامة فى السمع والبصر) ليصح بها اثبات الحقوق ويفرق بين الطالب والمطلوب ويميز المقر من المنكر ليتميز له الحق من الباطل ويعرف المحق من المبطل فان كان ضريرا كانت ولايته باطلة لكن الامام مالك جوز ولايته كما جوز شهادته وان كان أصم .

٨ ــ وأما العلم فلا بد أن يكون ملما بالعلم الشرعى الضرورى عالما الاحكام الشرعية ومعرفتها تتقفف على معرفة أصول أربعة هى :

أولا : المعرفة من كتاب الله بما تضمنه من الاحكام .

ثانيا : العلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : علمه بأقاويل السلف فيما أجمعوا عليه وفيما اختلفوا فيه .

رابعا : علمه بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها الى الأصول المنطوق بها والمجمع عليها .

ولقد زاد بعض العلماء على الشروط السابقة شرطا آخر وهو الفطنة ولا خلاف فى أن القاضى يجب أن يكون على فهم وادراك وفطنة فيما لم يرد فيه نص صريح وهذه موهبة من الله زائدة على العلم الشرعى الضرورى وعن هذا الفهم يقول سبحانه وتعالى : « وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » (سورة الانبياء ٧٨ ، ٧٩) .

وبهذا الفهم توصل شاهد يوسف عليه السلام بشق القميص من دبره الى الحكم ببراءته وصدقه وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم » (سورة يوسف ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) .

وعن هذا الفهم يقول النبى صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) ، ودعا لعبد الله بن عباس فقال : (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه دعا له أن يزيده علما وفهما .

ذلك أن الحق يكون متواريا مع أحد الخصمين فاذا لم يكن القاضى فطنا على قدر من الفهم يصعب عليه تبيان الحق بينهما والقضاء به لأن الخصمين يتحاجان أمامه بأدلتهما وبراهينهما مما يعجزه أحيانا عن التمييز بينهما

والى هذا يشير النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه بقوله : (انما أنا بشر مثلكم وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون ألحن من بعض فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئا فانما أقطع له قطعة من نار) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الشهادات .

ويستقى من الحديث الأخير أن حكم القاضى لا يحل حراما ولا يحرم حلالا ولكن حكمه واجب التنفيذ سواء أصاب الحق أو لم يصبه بعد أن توافرت لديه شهادات من استشهد بهم الخصوم أو البينات التى تقدموا بها فى مجلس القضاء فاذا لم يكن القاضى على قدر من الوعى والفهم ضاعت الحقوق وسادت الفوضى وتعطل النظام وفقدت الطمأنينة على الانفس والأموال والأعراض .

وعن هذا الفهم يقول الامام ابن القيم فى كتابه اعلام الموقعين (صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التى أنعم بها على عبده — بل ما أعطى عبد عطاء بعد الاسلام أفضل ولا أجل منهما بل هما ساقا الاسلام وقيامه عليهما)

أهم الآداب التى وردت بشأن القضاء

هذه الآداب ورد ذكرها فى الصحاح والسنن وذكرها العلماء فى مصنفاتهم مما يجب على كل مشتغل بالقضاء مراعاتها والتقيد بها عند قيامه بالفصل بين الناس .

أولا — عدم القضاء فى حالة الغضب :

ذلك لأن الغضب كما يقول علماء النفس ينشأ من غليان الدم فيعمى الرجل عن معرفة الحق من الباطل — وشريعة الاسلام قائمة على احقاق الحق وابطال الباطل — يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

(لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان) رواه مسلم والترمذى والنسائى « لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان » . رواه البخارى فى كتاب الأحكام .

ثانيا : لا يقضى حتى يسمع من الخصم الآخر :

والى هذا يشير النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : (اذا تقاضى اليك رجلان فلا تقض للأول حتى تسمع كلام الآخر فسوف تدرى كيف تقضى) أخرجه أبو داود والترمذى فى سننهما والحاكم فى المستدرك .

ثالثا ــ التسوية فى جلوس الخصمين بين يدى القاضى :

لأن عدم التسوية بينهما يؤدى الى اكرام أحد الخصمين مما يشجعه على الظلم والتمادى فيه قال محمد بن نعيم عن أبيه (شهدت أبا هريرة رضى الله عنه يقضى فجاء الحارث بن الحكم فجلس على وسادته التى يتكىء عليها قال فظن أبو هريرة أنه جاء لحاجة غير الحكم قال فجاء رجل فجلس بين يدى أبى هريرة فقال له مالك فقال استأدى على الحارث فقال أبو هريرة قم فاجلس مع خصمك فانها سنة أبى القاسم) ولفظ استأدى يعنى استعدى رواه وكيع فى أخبار القضاة والحارث بن أبى أسامة فى مسنده .

رابعا ــ التسوية من جانب القاضى فى نظره واشارته الى الخصوم :

وذلك حتى لا يتوهم أحد الخصمين أن القاضى يميل الى صاحبه فيضعف عن الاستمرار فى مطالبته بحقه .

والى هذا يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه فيقول (من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم فى لحظه واشارته ومقعده ومجلسه) أخرجه البيهقى والدارقطنى فى سننهما عن أم سلمة رضى الله عنها .

خامسا ــ الا يرفع القاضى صوته على أحد الخصمين دون الآخر :

والى هذا يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : (من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فلا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لم يرفع على الآخر) أخرجه البيهقى والدارقطنى فى سننهما عن أم سلمة رضى الله عنها .

سادسا ــ عدم استضافة أحد الخصمين دون الآخر :

روى اسماعيل بن مسلم عن الحسن قال نزل على على بن أبى طالب رضى الله عنه رجل وهو بالكوفة ثم اختصم اليه فقال له على هل أنت خصم ؟ قال نعم قال فتحول فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نضيف الخصم الا وخصمه معه ــ وذلك لكمال المساواة بينهما رواه الطبرانى .

سابعا ــ ان لا يسمع القاضى الدعوى من الخصمين حتى يجلسا :

وذلك حتى يؤدى كل خصم بما لديه من أقوال ودفاع بهدوء واطمئنان روى عن عبد الله بن الزبير قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلس الخصمان بين يدى القاضى رواه أبو داود والبيهقى فى سننهما والحاكم فى المستدرك .

ثامنا ــ التسوية بين الشريف وغير الشريف وبين العبد والحر :

فالناس فى دين الله سواء وكذلك شأنهم أمام القضاء لا فضل فيه لشريف على مشروف ولا لرفيع على وضيع ولا بين الحر والعبد وبين الصغير والكبير وبين الغنى والفقير وبهذا تتحقق المساواة الحقيقية فى المجتمع الانسانى .

والى هذا يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله :

(الناس كالابل المائة لا يجد الرجل فيها راحلة) أى لا تكون فيها الذلول التى ترحل وتركب اشارة الى أن القاضى لا يفرق بينهم فى حكم الله .

أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما عن ابن عمر رضى الله عنهما .

تاسعا :

ألا يقبل الشفاعة أو الوساطة لأى من المتقاضين مهما كانوا فعن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه

وسلم ؟ فكلمه أسامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فاختطب ثم قال : (انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) متفق عليه — وفى رواية (فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال : (أتشفع فى حد من حدود الله ؟ فقال أسامة استغفر لى يا رسول الله ، قال : ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها) .

أورد ذلك الامام محيى الدين أبو زكريا النووى فى كتابه رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين فى باب تحريم الشفاعة فى الحدود وأورده الامام البخارى بلفظ آخر فى باب كراهية الشفاعة فى الحد : عاشرا — أن يجتهد القاضى فى أن يتحرى العدل فى حكمه ما أمكنه ذلك .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا) رواه مسلم وذكره الامام محيى الدين أبو زكريا النووى فى كتابه رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين فى باب الوالى العادل .

حادى عشر :

ألا يتبع القاضى الهوى فى حكمه .

ثانى عشر :

ألا يخش الناس مهما كانوا .

ثالث عشر :

ألا يشترى بحكمه ثمنا قليلا .

قال الحسن : أخذ الله على الحكام ألا يتبعوا الهوى ولا يخشوا الناس ولا يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ثم قرأ « يا داود انا جعلناكَ خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين

يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » .

وقرأ « انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا (استودعوا) من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس وأخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

وقرأ « وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان » ولم يلم داود ولولا ما ذكر الله من أمر هذين لرأيت أن القضاة هلكوا فانه أثنى على هذا بعلمه وعذر هذا باجتهاده — هذا ما أورده البخارى فى باب متى يستوجب الرجل القضاء فى كتاب الاحكام .

رابع عشر :

أن يكون القاضى فهما حليما عفيفا صليبا عالما سؤولا عن العلم قال مزاحم بن زفر قال لنا عمر بن عبد العزيز (خمس اذا أخطأ القاضى منهن خصلة كانت فيه وصمة — أن يكون فهما حليما عفيفا صليبا عالما سؤولا عن العلم) هذا ما أورده البخارى فى الباب السابق متى يستوجب الرجل القضاء فى كتاب الاحكام .

خامس عشر — الا يقضى القاضى الا وهو شبعان ريان .

وذلك لأن شدة الجوع والعطش تحول بين الانسان وأفكاره فتصرفه عن معرفة الحق والى هذا يشير النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه فيقول (لا يقضى القاضى الا وهو شبعان ريان) أخرجه البيهقى والطبرانى عن أبى سعيد وكان شريح القاضى اذا غضب أوجاع قام فلم يقض بين الناس .

سادس عشر — ألا يأخذ القاضى فى حكمه بالظنة والشبهة .

فعلى القاضى ألا يقضى فى حكمه بالظنة والشبهة والا يحكم بغير دليل فاذا لم يكن هناك دليل قاطع على الادانة فان البراءة

أولى طبقا لقواعد الاسلام ومنهجه فقد ورد فى الأثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم (فان الامام أن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة) (١) .

ومن هذا الأثر أخذ رجال القانون القاعدة التى تقرر أن الشك يفسر لصالح المتهم . وهذا المبدأ يعتبر من المبادىء الاساسية فى القضاء الجنائى .

هذه بعض من الآداب الهامة التى كان من اللازم أن يتحلى بها رجال القضاء فى صدر الاسلام ، فهلا قامت الاجهزة المشرفة على القضاء فى الدول الاسلامية فى زماننا المعاصر بتوجيه نظر القضاة اليها والتحلى بها تحقيقا للعدالة وصيانة لسمعة القضاء وحرصا على مصالح المتقاضين ! .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

---

١ ــ وهو جزء من حديث نصه هو كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم : (ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان كان له مخرج فخلوا سبيله ــ فان الامام ان يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة) أخرجه الترمذى والحاكم والبيهقى وأبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا ــ وأخرجه ابن حزم فى الأيصال بسند صحيح .

من أعلام التصوّف القدامى فى اليمن

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

مقدمة :

جئت الى هـذا القطر العربى الشقيق « جمهورية اليمن العربية » منذ ما يزيد على أربعـة أشهر ، وفى ذهنى أشياء كثيرة ، فهـذه أول مرة تقريبا أغادر فيها مصر ، ولا أبالغ حين أقـول : اننى لم أشعر حين هبطت اليمن بالغربة . فقد وجدت بأننى فى مصر الا أن أهلها قد غيـروا مـن أزيائهم وانطبعوا بزى قـومى مـوحد ، وغيـروا من لغتهـم فأصبحـوا يتحدثون بلهجة فيها الكثير جـدا من الفصحى ، أما المعـاملة فهى التى أعنيها بأننى لم أشعر بالغربة التى كنت أتوقعها ، فقـد رأيت قوما يكنون لمصر والمصريين كل احترام وحب وود . وحسبك فى هذا مقالا قرأته فى جريدة الثورة اليمنية كتبه الدكتور عبد العزيز المقالح يقول فيه ما معنـاه : ان أول مصحف قرأه كان مطبوعا فى مصر ، وأول ديوان اطلع عليه كان لشاعر مصرى وأول تعليم تعلمـه كان عـلى يد مـدرس مصرى ، فلمصر فضـل لا ينسى وحـق لا يجحد .. الى آخـر ما جاء فى هـذا المقـال .

وبحثت عن مكان التصوف فى هذا البلد العريق الذى كان الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أول مبعوث وجهه النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن ، والامـام علىٌ هو أبو التصوف ، ورثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول ابن عجيبة فى كتابه ايقـاظ الهمم : « واضع هذا العلم هـو النبى صلى الله عليه وسلم ، علمـه

الله له بالوحى والالهام ، فنزل جبريل بالشريعة فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة فخص بها بعضا دون بعض •• وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا على كرم الله وجهه وأخذه عنه الحسن البصرى » ويؤيد العقاد رحمه الله هذا الرأى بقوله فى كتابه عبقرية الامام ص ٣٠ ط دار المعارف سلسلة اقرأ : « قال ابن أبى الحديد : ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف ، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن فى جميع بلاد الاسلام اليه (أى الى على كرم الله وجهه) ينتهون وعنده يقفون ، وقد صرح بذلك الشبلى والجنيد وسرى وأبو يزيد البسطامى وأبو محفوظ معروف الكرخى وغيرهم ، ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة التى هى شعارهم الى اليوم وكونهم يسندونها باسناد متصل اليه عليه السلام » ثم يعلق العقاد على ذلك قائلا : « وقد جمع نهج البلاغة نماذج شتى من الكلمات التى تنسب اليه ويصح أن تصلح أصلا للعلم الالهى أو لأسرار التصوف فى صدر الاسلام قبل اشتغال المسلمين بفلسفة اليونان وحكمة الأمم الأجنبية ، وربما وقع الشك فى نسبة بعض هذه الكلمات الى الامام على رضى الله عنه لأنها تجمعت بعد عصره بزمن طويل وامتزج بها مالا بد أن يمازجها من علوم القرن الثالث وما بعده ، ولكن شيئا على هذا النهج لا بد أن يكون قد صدر منه حقا حتى جاز أن يتصل النسب بينه وبين أئمة التوحيد وعلم الكلام على النحو الذى تواترت به الأقوال وأجمله ابن أبى الحديد فيما تقدم •

فليس بغريب أن يترك الامام على كرم الله وجهه أثرا من آثاره الروحية الفياضة فى هذه البقعة التى تتابع فيها الصحابة الأجلاء وباركها النبى صلى الله عليه وسلم بدعائه حين بشر بمجىء وفد اليمن قبل قدومه الى المدينة بقوله : « يقدم قوم هم أرق منكم قلوبا »•فقدم الأشاعرة الذين حثهم الشوق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فجعلوا يرتجزون :

غدا نلقى الأحبة ..
محمدا وصحبه

ولقد أكرم النبى صلى الله عليه وسلم وفادتهم حين علم أن مجيئهم اليه لم يحركه غير الاخلاص لهذا الدين الذى استجابوا اليه طائعين بمجرد أن عرضه عليهم رائد منهم ذهب الى يثرب متاجرا وهو « منقذ بن حيان » ولقيه النبى صلى الله عليه وسلم وعرض عليه الاسلام فأسلم طائعا وعلمه النبى صلى الله عليه وسلم الفاتحة وسورة اقرأ ، وكتب معه كتابا الى قومه .

وأحسن القوم الاستجابة لهذا الكتاب فتجهزوا للوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام الثامن الهجرى قبل الفتح ، وفى هذا الوفد عبد القيس أبو موسى الأشعرى ، والأشج العصرى واسمه المنذر بن عاينة ، وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم هذا الوفد بقوله : أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق ، مرحبا بالقوم غير الخزايا ولا الندامى ، وتتابعت لوفود بعد ذلك فى العام التاسع الذى يسمى بعام الوفود حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاكم أهل اليمن ، هم ألين قلوبا وأرق أفئدة ، الايمان يمان والحكمة يمانية .

وليس بغريب أن يترك هؤلاء الصحابة الأجلاء الذين تولوا الامارة على اليمن ومنهم معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعرى والبراء ابن عازب وغيرهم من كبار الصحابة . ليس بغريب أن يتركوا الأثر الروحى الكبير الذى نرجو أن يعود قويا زاخرا كما كان فى عهد الأسلاف الأول الصالحين .

تاريخ عريق لليمن :

ولليمن تاريخ عريق فى الاسلام وقبل الاسلام ، والذى يذكر لليمن بالفضل والتقدير أن أهله استجابوا لله ورسوله وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ويقول بعض المفسرين : ان سورة النصر : « اذا جاء نصر الله والفتح ..» نزلت فى أهل اليمن .

جاء ذلك فى كتاب : (هذه هى اليمن) .

وأصبح اليمانيون أكبر عون للخلفاء الراشدين فى نشر الاسلام، فلم يكادوا يسمعون بدعوة سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه للجهاد حتى هب عدد كبير من قبيلة « ذى الكلاع » بقيادة زعيمها « ذى الكلاع الحميرى » ومن قبيلة « مذحج » بقيادة زعيمها « قيس بن هبيرة » ومن قبيلة « الأزد » بقيادة زعيمها « جندب ابن عمرو الدوسى » ومن قبيلة « طىء » بقيادة زعيمها « حايس بن سعد الطائى » ووصل هؤلاء جميعا الى الصديق رضوان الله عليه فى يوم واحد ، وكان عددهم يزيد على عشرين ألفا بكامل سلاحهم وعتادهم فبعثهم الى العراق والشام فجاهدوا أصدق جهاد وأبلوا أعظم بلاء ، وكانوا فى طليعة المواقع العظيمة كالقادسية واليرموك .

وبرز فى أعقاب هؤلاء المجاهدين من حملوا راية الاسلام التى أصبحت تخفق فى ربوع افريقيا والأندلس ، وحتى وصلوا بها الى تخوم الصين ، والى جنوب فرنسا فى أوربا ، وحقا ذلك فلن ينسى أحد عبد الرحمن الغافقى بطل الفتح فى اسبانيا ، ولا ينسى أحد أمير الأندلس . السمح بن حالك الخولانى فاتح قرطبة ومؤسس الامارة بها عام ٩٨ هـ .

لقد أسس اليمانيون قلاعا فى الأندلس تحمل أسماءهم من ذلك قلعة همدان بقرطبة ، وقلعة خولان فى غرناطة وقلعة يحصب فى أشبيلية، وقصور الكلبيين فى عاصمة صقلية .

هذا كلام نقوله للذكرى التى تنفع المؤمنين فأين الأندلس ؟ وأين صقلية ؟ ضاع ذلك بغفلة المسلمين فهل يتعظ المسلمون بما فات ؟ حتى لا يضيع منهم مابقى ؟

ولليمن عبر تاريخ الاسلام دور مشهور فى تشييد الحضارة الاسلامية ، ويلمس ذلك من يزورها ويرى معالمها ومساجدها وآثارها ، وهى كغيرها من بلدان الاسلام مرت عليها فترة ظلام حالك استطاعت الآن أن تعبرها ، ونرجو لها ولغيرها من بلاد الاسلام وأقطاره

العودة الحميدة القوية لتعاليم الاسلام المزهرة التى بها انتصر المسلمون قديما وسادوا وعزوا ، لعل هذه الأقطار جميعا تسهم معا فى رفع لواء العروبة والاسلام خفاقا من جديد .

عودة الى الموضوع :

أرجو ألا أكون قد ابتعدت عن جوهر الموضوع ، فليس التصوف سوى عودة الى روح هذا الدين العظيم الذى يدعونا الى الكفاح والجهاد والى أن يكون الله جل شأنه رائدنا واعلاء دينه غايتنا وطريق نصرته طريقنا . هذا هو التصوف الحق ، وليس التصوف مدعاة الى الكسل أو التواكل بل هو سمو بالروح ونكران للذات وحفظ للمروءة وتشييد لفضائل الأخلاق ، هو عمل من أجل هذا الدين الذى تتشرف بالانتساب اليه . لقد نفذ خصوم التصوف اليه يوم أن رأوا قوما ينسبون أنفسهم الى التصوف يعتنون بالمظهر دون الجوهر ويكثرون الكلام وينسون الأفعال يحبون أنفسهم ويحقدون على غيرهم . وهؤلاء حسبوا على التصوف زورا وبهتانا .

ان التصوف ــ وتاريخه وكتبه خير شاهد على ذلك ــ يدعو أربابه وأبناءه الى أن يتحققوا بالعزة الروحية والكرامة الاسلامية والجهاد فى سبيل الله والاسلام واتقان العمل والتضحية بالشهوات وحب الناس جميعا حبا يحمله على التعاون معهم والسعى فى اعلاء كلمة الجماعة الاسلامية . ان الصوفية الأوائل كانوا يجدون فى الجهاد أسمى غاية . وهذا عبد الله بن المبارك يقول :

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا
لعلمت انك فى العبادة تلعب

من كان يخضب جيده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب

أوكان يتعب خيله فى باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
وهج السنابك والغبار الاطيب

قال الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله فى كتابه عن ابن المبارك : كان ابن المبارك منغمسا فى الجهاد الى درجة أن كثيرا ممن كانوا يحبون أن يسمعوا منه كانوا

يذهبون اليه فيجدونه فى الغزو . ولقد مات فى أثناء عودته من الجهاد . وماذا كان تعليق الفضيل ابن عياض على هذا الشعر عند سماعه ؟ ذرفت عيناه ، وقال : صدق والله أبو عبد الرحمن ، وروى هذا الحديث عن أبى هريرة قال : ان رجلا قال : يارسول الله علمنى عملا أنال به ثواب المجاهدين فى سبيل الله ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : هل تستطيع أن تصلى فلا تفتر وتصوم فلا تفطر ؟ فقال : يا رسول الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك . ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : فوالذى نفسى بيده ، ولو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين فى سبيل الله .

فالتصوف لا ينفر عن العمل من أجل رفع بناء المجتمع على أسس الاسلام الصحيح عن طريق جهاد النفس والشيطان وجهاد عدو الاسلام وكلا الجهادين مطلوبان .

من اعلام التصوف فى اليمن :

ولقد وجد التصوف فى اليمن مرتعا خصيبا حين نزل اليها قوم اشتهروا بالزهد والعبادة من أمثال أبى عبد الرحمن طاووس بن كيسان، وكان فقيها محدثا زاهدا عابدا ناسكا فاضلا يروى عن عبد الله ابن عباس وأبى هريرة . نزل « الْجَنَد » وهى اسم بلد باليمن وانظر مادة « جَنَد فى اليمن — وهى « تَعْز » الآن — ومما يروى عن زهده أن أحد امراء اليمن واسمه أيوب بن عبد الملك ، بعث الى طاووس بسبعمائة — أو خمسمائة دينار — وقيل للرسول : ان أخذها منك فان الأمير سيكسوك ويحسن ان أخذها منك فان الأمير سيكسوك اليك ! ؟ قال فخرج حتى قدم على طاووس الْجَنَد ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، نفقة بعث بها الأمير اليك ؟ فقال : مالى بها حاجة ، فداراه على أخذها فأبى ، فغفل طاووس فرمى بها الرجل فى الكوة التى فى البيت ثم ذهب . فقال لهم : قد أخذها ، فلبثوا حينا ثم بلغهم من طاووس شيئا يكرهونه فقالوا : ابعثوا اليه فليأتنا بمالنا ، فجاءه الرسول فقال : المال الذى بعث به الأمير اليك ! ؟ فقال :

ما قبضت منه شيئا ، فرجع الرسول فأخبرهم فعرفوا أنه صادق ، وبعثوا الى الرجل الذى ذهب اليه بالمال. فقال : أنا وضعته فى الكوة التى بمنزله . فعاينوا ذلك فوجدوه كما وضعه وقد بنت العنكبوت على الصرة التى بها المال

موقفه مع هشام :

روى صاحب تاريخ مدينة صنعاء قال : روى أن هشاما حج وهو خليفة ، فحضر الأشراف والعلماء والزهاد فسلموا عليه ، فلما غص المجلس بالناس قال هشام : هل بقى أحد ؟ فقيل : نعم طاووس اليمانى ، فقال : علىّ به ، فقال له بعض القوم : انه شيخ كبير فانٍ ولا معرفة له بتحية الملوك والخلفاء . فقال : لا بد من احضاره ؟ فقام مشيخة من القوم فأتوا بطاووس فلما صار بين يديه خلع نعليه بحاشية البساط ولم يسلم عليه بأمير المؤمنين ولم يقف بين يديه الى أن يجلسه ولم يقبل يده وجلس بازائه ! ؟

وقال : ما خبرك يا هشام ـ سماه ولم يكنه ـ فاستشاط هشام غضبا وهمّ به بقبيح . فقال له مشيخة من حضر : لن يمكنك يا أمير المؤمنين قتله ولا هضمه وهو فى حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدمنا اليك بأنه لا معرفة له بتحية الملوك والخلفاء وأنه شيخ فانٍ من بقايا التابعين. فقال هشام : فما حمله أن فعل ما فعل ؟ قال طاووس : ما الذى فعلت يا هشام ؟ قال هشام : خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تسلم بامارة المؤمنين ولم تقبل يدى ولم تقف بين يدى حتى أجلسك ثم جلست بازائى وسميتنى ولم تكننى، فما يكون أعظم من ذلك ؟

قال طاووس : فهل شىء غير ذلك ؟ قال هشام : وما يكون أعظم من ذلك ؟

قال طاووس : أما خلعى نعلى بحاشية بساطك فما من يوم ولا ليلة الا وأنا أخلعها بين يدى الله عز وجل خمس مرات . أمرنى بذلك وأمرنى ألاّ أتكبر عليه .. ان الله لا يحب المتكبرين .

وأما سلامى عليك بغير امرة المؤمنين فليس المسلمون كلهم راضين أن تكون أميرهم فخشيت أن أكون فى سلامى كاذبا والله لا يحب الكاذبين . وأما قيامى بين يديك حتى تجلسنى ، فحدثنى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كثر قيامه بين يدى المجالس فقد تبوأ مقعده من النار ، فلم أحب أن أكون كذلك وأن أكون غدا فى زمرة الظالمين .

وأما تقبيلى يدك فنحن معاشر العرب لا نعرف القبلة الا لأحد رجلين رجل قبل امرأته لشهوة ورجل قبل ولده لرحمة .

وأما جلوسى بازائك وسميتك ولم أكنك فان الله تعالى سمى أحباءه ولم يكنهم فقال عز من قائل كريم : يا آدم يا ابراهيم يا موسى يا عيسى يا محمد ، وكنى أعداءه فقال تعالى : « تبت يدا أبى لهب وتب» فجعلتك آسوة للسادة الأخيار وصنتك عن الأنجاس الأشرار ! ؟ فقال هشام : أحسنت يا أخا اليمن زدنا ؟ فقال : حدثنى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان فى جهنم واديا فيه حيات كالنخل الطوال وعقارب كالبغال يلدغن راعيا لا يسير فى رعيته بطريق الحق .

وقام طاووس فاحتذى نعليه . فقال له هشام : زدنا يا أخا اليمن ؟ فقال : حسبك على الله أن كفاك حسبك . فأمر له هشام بصلة . فلم يقبلها .

هذا وبالله التوفيق .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

الأدب الأردى وتطوّره

دور المتصوفة ورجال الدين فى رقى الأدب

(٤٤٢هـ - ١٠٥٠م / ١١١٢هـ - ١٧٠٠م)

دكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

بعد أن عرضنا فى المقالين السابقين لنشأة اللغة الأردية ، نتناول فى مقالنا الحالى تطور الأدب الأردى فى مراحله الأولى ، تلك المراحل التى ساهم فيها المتصوفة ورجال الدين بنصيب واضح يجعلنا نقرر بكل ثقة أن الأدب الأردى قد ظهر وتطور على أيدى رجال الدين والمتصوفة قبل غيرهم .

يكتب الأدب الأردى بالخط العربى الذى خضع فى شبه القارة الهندية الباكستانية الى تغييرات طبيعية استلزمها التطور الطبيعى للغة الأردية نفسها ، فقد ظلت الحروف العربية حتى عهد الخلافة الرشيدة تكتب غير منقوطة وكانت مجرد اشارات يستطيع العربى قراءتها ، ومع انتشار الاسلام فى غير العرب كان لا بد من تطوير الخط العربى والحروف العربية ، فاخترع أبو الأسود الدؤلى تلميذ على رضى الله عنه الاعراب فى سنة ٥٠ للهجرة ، وذلك فى شكل نقط فكانت الكسرة نقطة تحت الحرف والفتحة نقطة فوق الحرف والضمة نقطة على جانب الحرف بينما النقطتان تدلان على التنوين .

وبعد فتح مصر وايران كان من الصعب على أهل البلاد المفتوحة قراءة حروف مثل : ج ح خ أو ب ت ث أو غيرها من الحروف المتشابهات ، ومن هنا أمر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ هـ) الحجاج بن يوسف والى العراق باصلاح الخط العربى فقام نصر بن عاصم بناء على طلب الحجاج بوضع نقط الحروف سوداء بينما نقط الاعراب توضع قرمزية اللون ومن

هنا صار التمييز سهلا بين الحروف المنقوطة .

وظل هذا النظام معمولا به حتى أربعين سنة تقريبا حين قام عبد الرحمن خليل بن أحمد (توفى سنة ١٠٠ هـ) بوضع حركات الاعراب المعروفة .

كانت حروف اللغة العربية ٢٢ حرفا أضيفت اليها فيما بعد ستة حروف هى ث ، خ ، ذ ، ض ، ظ ، غ ، وهذه الحروف الستةهى حروف خاصة باللغة العربيةتكونت بزيادة نقطة على الحروفالقديمة : (ت ، ح ، د ، ص ، ط ، ع) ثم زيد حرف (لا) حوالى القرن الرابع الهجرى وكذلك الهمزة ، وكان ترتيب الحروففىالبداية هو : أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ (والحروف الستة الأخيرة أضيفت فيما بعد كما سبق أن ذكرنا) وقد وضع هذا الترتيبطبقا للمخارج الصوتية الا أن الترتيب الحالى يختلف عن السابق ويقال ان ابن مقلة (توفى سنة ٣٢٨ هـ) قد وضعهحتى يسهل على التلاميذ الصغار تعلم العربية.

كان للعامل الدينى أثره البعيد فى انتشار الكتابة العربية فى مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش والسودان والحبشة والصومال وزنجبار والشام والعراق وايران وافغانستان وتركيا (حتى عهد كمال آتاتورك) وشبه القارة الهندية الباكستانية وقازان والملايو وجاوه كما كان منتشرا فىالأندلس وصقلية ومدغشقر ، ومن الجدير بالذكر أن بعض الكنائس فى ايطاليا واسبانيا وفرنسا تحمل نقوشا لا تزال قائمة تمثل آيات القرآن الكريم بخطوط جميلة .

وحين وصل الخط العربى الى ايران حدثت فيه بعض التعديلات والتغييرات بحيث أمكن استيعاب الأصوات الزائدة فى اللغة الدرية أو الفارسية الجديدة فأضيفت حروف مثل ب ، ج ، ز ، ك ، أى باء وجيم تحتها ثلاث نقط وزاى عليها ثلاث نقط وكاف مزدوجة .

ولما وصل العرب الى بلاد السند واختلطوا بأهلها وانتشروا فيما بعد فى شبه القارة ، ثم ظهرت اللغة الأردية الى الوجود وبدأ الهنادكة فى كتابتها بالخط الديوناجرى بينما اتجه المسلمون الى استخدام الخط الفارسى (العربى) ، فلم يكن فى مقدور الخط الديوناجرى استيعاب الأصوات العربية والفارسية الموجودة باللغةالاردية ، ولا تزال هذه قضية تثار داخل اللغة الهندية حتى اليوم اذ لا يوجد بها مثلا حرف يعبر عن صوتى ذ ، ز فهم ينطقونهما (ج)ثم أضافوا نقطة تحت حرف ج الديوناجرى للتعبير عن ذ ، ز فلم يكن من المعقول أن ينطق أهل الهند اسم رئيس وزرائهم السابقذاكرحسين، جاكر حسين .

وللتعبير عن الأصوات الهندية استخدم حرف الطاء موضوعا على حروف : ت ، د ، ر وحرف هـ ، مضافا الى حرف الباء والباء المثلثة وحرف التاء العربى والتاء الهندى (فوقها طاء) والجيم العربية والجيم الفارسية المثلثة والدال العربية والدال الهندية (فوقها طاء) والراء الهندية (فوقها طاء) والكاف العربية والكاف الفارسية المزدوجة. ولا تعتبر (هـ) حرفا منفصلا بل تمثل وما قبلها حرفا واحدا ينطق بصوت واحد وهذا الصوت فى الأصل موجود فى اللغة السنسكريتية .

فى بداية كتابة اللغة الاردية كانوا يضيفون أربع نقط توضع بدل حرف ط على ت ، د ، ر ولا تزال هذه الطريقة تستحدم فى اللغة السندية حتى اليوم ، كما كان البعض يقوم بوضع ثلاث نقط تحت الدال والراء والكاف وأربع نقط فوق التاء [1] .

وفى الكتابات القديمة (حوالى ١٠٢٨ هـ - ١٦١٩ م) نلاحظ اختفاء الطاء من فوق ت ، د ، ر ، وكذلك اختفاء حرف الكاف الفارسى وعدم الاهتمام باستخدام صوت هـ مضافا الىالحرفالسابق

(١) لغات كجرى ، تقديم وتصحيح نجيب اشرف ندوى بمبى ط ١٩٦٢

للتعبير عن صـــوت الحـــروف الهندية (١) .

وعلى كل حال فالتطور فى كتابة اللغة الاردية كان أمـــرا طبيعيا فلم تكن هناك مطابع وكان كل كاتب يكتب ما يملى عليـه طبقا لقدراته وكما هو مشاهد فى المخطـوطات الاردية القديمة كان بعض الكتاب يكتبون ت مكان ط مثل(واسته بدلا من واسطه) (أى من أجـــل) ويكتبون الهاء مكان الحاء مثل : (هواس بدلا من حواس)وباختصار كان الاملاء يعتمد فىمعظم الأحيان على الصوت فتصـــادفنا كلمـــات مثل : مهنت (محنت) ، منا (منع) صواب (ثواب) وغيرها كثير .

وقد قام بعضا لمصلحين(أكثرهم مـــن الشعـــراء) سنـــة ١٧٤٠ م تقريبا من أمثال شاه حاتم (شاعر) وسراج آرزو (شاعر ولغـــوى ألف مجمعا وتوفى سنة ١١٦٩ هـ) وغيرهما بتنقية اللغة مما أحســوا هم بغرابته عليهاكماقاموا بتصحيح كتابة العديد من الألفاظ التىراجت بين الشعراء وأطلق على حركتهم اسم « اصـلاحى تحـريك » أى الحركة الاصلاحية وتعد هذه أول حركة لغوية اصـلاحية فى تاريخ اللغة الأردية وقـــد شملت هـــذه الحـــركة تصحيح الامـــلاء وطريقة الـكتابة وتصحيح الأســـاليب والتراكيب اللغوية أيضا .

النماذج الاولى للادب الاردى فى شمال الهند

(٤٤٢هـ/١٠٥٠م ــ ١١١٢هـ/ ١٧٠٠ م)

يتناقل كتاب التذاكر بعض الجمل والعبارات الأردية وينسبونهـــا الى « أمير خسرو » (متوفى ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥ م) الا أنهـم يقـــررون أن « مسعـــود سعد ســـلمان » (٤٣٨ هـ ــ ٥١٥ هـ / ١٠٤٦ م ــ ١١٢١ م) أحد سكان مدينـــة لاهور هو أول شاعر نظم الشعر باللغة الهندوية « الأردية » وقـــد

(١) د. رانا احسان الهى : واحـــد بارى ــ تحقيق لاهـــور ١٩٦٠ (بالانجليزية) .

أشار الى هذا أميـــر خسرو فى مقدمـــة ديوانه المسمى « غـــرة الكمال » ونقل محمد عوفى صاحب « لباب الألباب » نفس الفـكرة قائلا : « بأن لمسعود سعد سلمان ثلاثة دواوين ، ديوان بالعـــربية وديوان بالفارسية وديوان بالهندوية « الاردية » (١) الا أنه لا وجـود لهذا الديوان الذى كتبه مسعـود سعد سلمان بالهندوية ، ومع هذا فالعبارات الأردية تتناثر بين أبيات ديوانه الفـارسى ، والحقيقـة أن الكلمات الاردية توجد فى أشعار حكيم سنائى (متوفى ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م) وكذلك فى الـكتابات الفارسية لكل من منهاج وأميـر خسرو وضياء الدين برنى وسيـد محمد بن سيد مبارك كرمانى (٢) ولم يقتصر الأمـــر على الألفاظ الاردية بل تعداه الى طريقة التعبير التى جعلت اللغـــة الفارسية فى الهند تختلف عن مثيلتها فى ايران الموطن الأصلى للغة ممـا جعـل البعـــض يطلق عليهـــا اسـم « هنـدوستانى فـــارسى » أى الفارسية الهندية ، ورغم انتشـــار الأردية كلغة يتحدث بها النـــاس الا أن الفارسية كلغة للبلاط احتلت مكانة عالية فاتجـه اليها الأدبـاء يعبرون بها عن أفكارهم فى شكل أعمال شعرية أو نثرية .

وتحت نداء النزعة الوطنية قام أمير خسرو الذى مزج بين الموسيقى الايرانية والموسيقى الهندية بالمزج بين الشعر الفارسى والشعر الهندى، وقد اتبع فى ذلك عدة أساليب منها كتابة أشعار يكون فيهـا مصرع بالفارسية وآخر بالاردية أو يكون فيها نصف مصرع بالفارسية ونصف مصرع بالاردية ، ومن هنا اتسمت هذه الأشعار بالغموض بل ظهـر نوع من الشعر يسمى « بهليليان » أو شعر الألغاز فاللفظة الفارسيـة لها معنى بالفارسية يختلف عـن

(١) مقدمة غرة الكمال ولباب الالباب صفحة ٢٤٦ ج ٢ كمبرد ج ١٩٠٢م

(٢) فى كل من : طبقات ناصرى (٦٥٨هـ / ١٢٥٩م وقران السعيدين (٦٨٨هـ / ١٢٨٩م) وتاريخ فيروز شاهى (٧٥٨هـ / ١٣٥٦م) وسـير الأولياء (حوالى ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م) على التوالى .

معناها حين تستخدم فى الأردية الا أن الامير خسرو قد ترك كتابا له أهمية عظيمة فى تاريخ الأردية ويطلق عليه « خالق بارى » وقد اختلف المحققون فى نسبة هذا الكتاب اليه حتى أن البروفسير حافظ محمود شيرانى نشر هذا الكتاب وجعل عنوانه هكذا : « حفظ اللسان معروف به خالق بارى مصنفه ضياء الدين خسرو در (فى) سنة ١٠٣١ هـ جو (الذى) عموما منسوب به حضرت أمير خسرو دهلوى » (١) .

و « خالق بارى » معجم منظوم يضم الألفاظ العربية والفارسية وما يرادفها من ألفاظ هندية والمعاجم المنظومة قديمة جدا ، ومن أقدم المعاجم العربية المنظومة كتاب « مثلثات قطرب » لأبى على محمد قطرب النحوى ، يضم ٣٢ بيتا من الشعر ، كما يحتل كتاب «صحاح» لأبى نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى مكانة عالية بين المعاجم القديمة ، وفى الفارسية كتب أبو نصر فراهى سنة ٦١٠ هـ /١٢١٣م معجما باسم « نصاب الصبيان » ظل يدرس ضمن مناهج المدارس النظامية لقرون وقد نظم المؤلف أشعارا أوضح فيها معانى الكلمات العربية بالفارسية ، وهكذا فعل أمير خسرو حين نظم «خالق بارى» الذى لا يحمل أية أهمية أدبية أو شعرية ولكنه يوضح ما كانت عليه اللغة الاردية من أهمية جعلت من الضرورى على الناطقين بالفارسية والعربية والتركية معرفتها والوقوف على معانيها .

ويضم « خالق بارى » ١٧٠ بيتا من الشعر ، فأضاف اليه « صفى » ١٢٠ بيتا من الشعر وأسماه « مطبوع الصبيان » وكتب فى مقدمته « كتاب مطبوع الصبيان عرف (المعروف به) خالق بارى تصنيف أمير خسرو دهلوى قدس سره العزيز » .

وقد كتبت عدة كتب على نمط « خالق بارى » مثل « واحد

(١) حفظ اللسان ، انجون ترقى اردو ـ دهلى ١٩٤٤م .

بارى » لأشرف بيابانى (٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م) و « مثل خالق بارى » (٩٦٠ هـ / ١٥٥٢ م) لاجى جند و « حفظ اللسان » لضياء الدين خسرو (١٠٣١ هـ) .

يعد أمير دهلوى من معاصرى أمير خسرو متوفى (٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م) وقد لقبه عبد الرحمن جامى شاعر الفارسية الشهير بلقب « سعدى هندوستان » أى سعدى شيرازى الهند فقد كان شاعرا مجيدا بالفارسية كما كتب أشعارا تقاسمت فيها الفارسية والأردية الأبيات ومزج بين الفارسية والأردية مزجا رائعا (١) .

فى هذه المرحلة التى تمثل مولد الأدب الأردى تطالعنا أقوال وحكم رجال التصوف المسلمين من أمثال شيخ فريد الدين مسعود كنج شكر « أى كنز السكر » (٥٦٩هـ ـ ٦٦٤ هـ/١١٧٣م ـ ١٢٦٥م) وهو من سكان مدينة ملتان وشيخ حميد الدين ناكورى (٥٩٠ هـ ـ ٦٧٣ هـ / ١١٩٣ م ـ ١٢٧٤ م) وخواجه نام الديظن أوليا (توفى ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) وللأخير عدة أبيات شعرية على نمط هندى يسمى « دوها » أو « دوهرا » يشبه المثنوى ، كما كتب شيخ شرف الدين يحيى منيرى (متوفى ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) عدة أشعار على النمط السابق وله أيضا بعض الأقوال المأثورة والأمثال التى اشتهرت فيما بعد . أما شيخ عبد القدوس كنكوهى (٨٦٠ هـ ـ ٩٤٥ هـ / ١٤٥٥ ـ ١٥٣٨ م) فقد كان شاعرا مجيدا بلغة « برج بهاشا » وعالما فقيها من علماء عصره وقد لقب بـ « مجتهد وقت » و « مقتداى زمان » أى مجتهد وقته ومرشد زمانه ، وترك مأثورات وأشعار وخطابات وكان يعبر عن أفكاره الدينية بالشعر الفارسى أولا ثم يفسر هذه الأفكار بالهندية على نمط « دوها » أو « دهرا » .

ومن العجيب أن يقوم واحد من الهنادكة يدعى كبير (متوفى ١٥١٨م) بمشاركة أهل التصوف فى دعوة

(١) جميل جالبى : تاريخ أدب أردو ـ ١ ص ٣٤ ـ ٣٥ .

الناس الى عبادة اله واحد ، وكان يصلى مع المصلين من المسلمين ثم ينطلق الى معابد الهنادكةليقدممعهم القرابين الى آلهتهم رغم انه كان ينكر عبادة الأصنام والشرك باله واحد وكان شاعرا مجيدا اعتبره المسلمون شاعرهم واعتبره الهنادكة شاعرهم ، ويرى كبير أن « رام » (اله الهنادكة) ـ و « الرحيم » (اله المسلمين) شيء واحد ويرى أن رام ليس باله الهنادكة ولكنه اسم هندى يعنى « الرحيم » وهو الله الذى يحتوى كل الصفات وهو أيضا ما وراء الطبيعة وهو الكل لا شكل له يوجد فى كل مكان ، وقلب الانسان هو بيت اللهكما أنه يمكن الوصول الى الله عن طريق العشق والهدف هو الله فمن وجد الله وجد كل شيء ، وهكذا يلتقى كبير مع المتصوفة فيما يتعلق بنظرية العشق • ومن الجدير بالملاحظة أن يقوم كبير باستخدام الألفاظ الفارسية والعربية والتركية التى كانت تروج على ألسنةالعامة، وهو فى هذا يحاول ايصالأفكاره اليهم بالوسيلة السهلة مما أدىالى وجود العديد من الأخطاء اللغوية والاملائية فى أشعاره فقد كان يكتب الكلمات العربية والفارسية والتركية كما ينطقها العامة ، واستعصى عليه نطق بعض الحروف العربية فالخاء هند كه ، والقاف كاف ، والضاضوالزاىعند هـ جيم وهكذا نرى أن : وضوء تصبح وجوه (وضوء) ، غريب (بمعنىفقير) تصبح « كريب » ، كما أن الشين تصبح عنده سينا والغين كافا فارسية والذال دالا • ورغم كل هذا فقد أطلق عليه «شاعرالشعب» لأنه كان يتكلم فى أشعاره كما يتكلم العامة لا يهمه أن تصدر عنه أخطاء لغوية أو املائية أو حتى عروضية فيكتب كبير كبيرا أو كبرا ويكتب محل « بمعنى قصر » محليا ودرويش درويسا ومقام مكاما حتى كلمة غفلت (العربية غفلة) يكتبها كبهلائى « وكتاب كتيب » وهكذا [1]

---

(١) بندت متوهر لال : كبير صاحب ، ط اله آباد ١٩٣٠م ص ١٢٩/١٣٠

كان هذا هو حال معظم الألفاظ العربية التى اتخذت شكلا عجيبا على ألسنة أهل شبه القارة الهندية الباكستانية من المسلمين وغيرهم حتى تم تصحيحها فيما بعد كما سبق أن اشرنا ، ومن أمثلة الكلمات العربية التى تغيرت صورتها ما يلى :

مسجد : مسيت ، صدق : سدك ، كعبة : كابا ، كلمة : كلما ، تسبيح : تسبيه ، صاحب، ساهب، درويش : درويس ، عشق محب : اسك مهبت ، قبول : كبول وغيرها .

يؤسس بابر (توفى ١٥٣٠ م) الدولة المغولية ويحاول توسيع رقعة امبراطوريته ، وفى زمانه اشتهر شيخ جمال كنبوه (متوفى ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥ م) بأشعاره الفارسية التى تتخللها الكلمات والعبارات الأردية مثل :

خوار شدم زار شـــدم لت كيا
درده عشـق توكمـر تتــاهى

فكلمة لت كيا الردية معناها : انقلب وكلمة تتا هى أردية معناها : انكسر والألفاظ الأخرى فارسية ومعنى البيت : أصبحت ذليلا أتألم وأنوح وأتقلب متوجعا ، فقد انكسر ظهرى فى طريق عشقك .

ولشيخ جمال أشعار فى الغزل يستهلها بقوله :

آن برى رخسار جون شانه به جوتى ن كند
جان دراز عاشقان را عمر جهرتى مى كند

أي : تلك الحسناء صاحبة الوجنات الملائكية حين تعقد ضفائرها (جوتى كلمة اردية تعنى الضفائر) على كتفها تقصر بذلك عمر المحبين المعمرين (جهوتى كلمة اردية تعنى قصير » .

يطالعنا بعد ذلك شاعر له اتجاهات أخرى وهو « أجى جند بهتنا » الذى قام سنة ٩٦٠ هـ / ١٥٥١ م بكتابة منظومة على نمط « خالق بارى » يشرح فيها معانى الكلمات الفارسية بالأردية ، ومن هنا سماها مولوى عبد الحق « مثل خالق بارى » [1] .

---

(١) د. مولوى عبد الحق : قديم اردو ـ ص ١٩٨ ـ ٢٠٧ ط كراتشى ١٩٦١م .

ومن أمثلة أشعاره :

تلخ شـــدن هى كروا هـــونا
كـهنه ســكون گفتــم نتوانم

أى : يصير مرا (بالفارسيــة) يصير مرا (بالاردية) : لا يمكن الكلام • لا يمكن الكلام •

ومن الملاحظ ان لغة أجى جنـد تتشابه مع لغة أمير خسرو فهو من ساكنى ضواحى دهلى وهى اللغـة التى أطلق عليها « اللغة الدهلوية» أو « اللغة الهندوية » •

وفى زمان الامبراطـور أكبـر مؤسس نادى « الـدين الالهى » امتـلأ البـلاط برجـــال مـن جميع مناطق الهند : البنجـاب ، السند ، الكجرات وبعض مناطـق الدكن والبنغال واقليم بهار وغيرها كما ضم العـديد من الاجنــاس : المغول والايرانييـن والطـورانيين والعرب والافغان والهنود جمعتهم الوظائف الرسمية وضـمهم العمـل داخل البلاط ، ورغم أن لغة البلاط كانت الفارسية الا أن أمور البلاط لم تكن لتسيـر بالفارسية فقط اذ كانت هناك لغة أخرى تضم افغانى والكجراتى والسنـدى والبنغالى والدكنى والبنجابى وهى اللغة التى أطلق عليها البعض «لغة التعايش » أو « لغة الساعة » أو « اللغـة الهندية » •

توضح النمـاذج الشعـرية فى زمان أكبر أن أدب اللغـة الأردية كان قد بدأ يتخذ شكلا يمكننا من أن نطلق عليه أدبا بالشكل المفهوم حاليا فالشعر ، والغزل بصفة خاصة، مملوء بالكلمات الأردية الصحيحـة والتعبيرات السليمة كما أن الألفاظ الأردية كانت دائما تستخـدم فى القافية والرديف رغم سيطرة طابـع الغزل الفارسى على الغزل الاردى• كما كانت الأشعار التى تضم حوارا معينا يعبـر عنها دائمـا بلغـة هى فى الواقع لغة التخاطب اليوميـة التى يتداولها الناس فى أحاديثهم وزاد هذا من روعة الشعر وصبغه بصبغة طبيعية خلابة الا أننا يجب أن نقول بان الصورة الادبية للشعر الاردى لم تكتمل بعد لأن الشعر الفارسى كان يسيطر ايضا بالفاظه فسـمى هذا القسم من الشعر الهندوى أو

الأولين ردى باسم « ريخته » أى الشعر الممزوج ـ وفى بلاط أكبر عاش شاعر مشهور يدعى « بهرام سقه بخارى » له ديوان بالتركية وآخر بالفارسية كما كتب أيضا شعرا بالاردية « ريخته » غلبت فيه الاردية الفارسية (١) . ولم يقتصر الأمر على مزج الفارسية بالاردية بل تعداه الى مزج الاردية بالتركية والفارسية معا كما فعل « عشقى خان عشقى » (متوفى ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م) فى قصيدته الفارسية « سرد وكرم زمانه » أى « برد الزمان وحرارته » (٢) وتناول فى قصيدته هذه الحديث عن حاله بعد أن فاز بوظيفة موزع هبات السلطان ، وهو يصور كيف يتكالب الناس على أصحاب الثروات ويتملقونهم بينما يبتعدون عن مجالسة الفقراء والمساكين كما يعبر عن الحياة الزوجية للرجل الغنى الذى يعود الى بيته فتتسابق زوجاته على خدمته وتدعو له الزوجة التركية باللغة التركية وتدعو له الزوجة التاجيكية باللغة الفارسية وحين يصل الى الهندية تستقبله قائلة :

زن هندى زيك طرف كويد
هو ترى لوندى تومرا خوندكار
تم جو مجهكون بيادركرتى هو
هون بهى كرتى هون تمهاره بيار

« تقول الزوجة الهندية ـ من ناحية ـ ها أنا جاريتك ياسيدى ، على قدر حبك لى أهيم فى حبك» والرجل الفقير حين يصل الى بيته تنفر منه زوجاته ، تشتم واحدة والأخرى تلعن والثالثة تصرخ وتصبح حياة المسكن جحيما لا يطاق تصرخ الهندية فى وجهه قائلة :

زن هندى زيك طرف كويد
تيرى مان كولى تيرا باب جمار
تجهتهين مجهكون نه روتى وبانى
تجه تهين مجه كون نهين سوادوسنكار

« تقول الزوجة الهندية ـ من ناحية ـ يا ابن الوضيعة يا ابن الاسكافى ما أتيتنا يوما بطعام أو شراب ، لم أعد أطيقك ، لم أعد استلطفك » .

والأشعارا لتى ذكرها الشاعر على لسان المرأة الهندية تعبر تماما

---

(١) جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ـ ص ٥٩ ط لاهور .
(٢) مجلة الكلية الشرقية لاهور اغسطس ١٩٣١ ص ١٢٢ ـ ١٢٥ .

عن الحوار الذى كان يروج داخل البيوت فى ذلك الزمان ، وهو حوار يسوقه بلغة سهلة صافية واضحة ولهجة مؤثرة كما نلاحظ وجود ألفاظ بعينها تروج فى مناطق الهند المختلفة مثل : تهين بمعنى أنا فى اللغة الكجراتية ، وهون بمعنى أنا فى الراجستانية وهكذا.

بدأ نجم الاردية يصعد فى زمان الامبراطور نور الدين جهانكير الذى ولد من أم كانت فى الأصل أميرة هندوكية ، وظلت الفارسية تحتل مكان الصدارة وخاصة فى شمال الهند بينما احتلت الاردية المقدمة فى منطقة الدكن والكجرات فى الجنوب واطلق عليها اسم كوجرى روكنى ونالت رعاية البلاط هناك .

فى بلاط جهانكير اشتهر محمد صالح نسبتى بشعره الفارسى والهندى ، وكان رجلا زاهدا فى الحياة استضاف الشاعر صائب حين زار الهند ، وتذكر كتب التذاكر ان له ديوانا بالهندية الا أنه غير موجود .

وما يهمنا هو محمد أفضل بانى بتى (متوفى ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٦ م) وهو من شعراء الفارسية والاردية المجيدين وكانت له مقدرة فائقة على كتابة النثر الفارسى ويعد من أهم شعراء زمانه ، خلف منظومة بالاردية بعنوان « بكت كهانى » أى « حكاية البلاء » ، نالت شهرة كبيرة ، ولا تزال تحمل أهمية واضحة فى تاريخ الأدب الاردى. كان شاعرنا هذا يعمل بالتدريس ، وحين بلغ من العمر عتيا هام فى عشق صبية هندوكية قلبت حياته رأسا على عقب فعبر عن معاناته العاطفية وعما اعتلج فى قلبه من نيران العشق فى هذه المنظومة الطويلة التى أنشدها على غرار حكاية هندية تسمى (باره ماسه) أى الفصول الأربعة وهى حكاية تضم اثنتى عشرة اغنية هندية على لسان امرأة تشكو فراق شهور السنة الاثنتى عشر (١) .

(١) مسعود حسين خان : قديم أردو ج ١ ص ٣٨٧ ط الجامعة العثمانية حيدر أباد ١٩٦٥م .

ومن الجدير بالذكر أن ديوان خواجه مسعود سعد سلمان الفارسي يشتمل على منظومة اشتهرت باسم «غزليات شهورية» أى الغزليات التى كتبت عن شهور السنة ، ومن العجيب أن يكتب الشاعر الانجليزى سبنسر فى سنة سنة ١٥٧٩م أشعارا على هذا النمط تحت عنوان
«Shepherd's Calender»

تضم أبياتا مختصرة عن كل شهر من شهور السنة فى بحر منفصل .

يسوق أفضل حكايته على لسان امرأة تركها حبيبها ، ويرسم صورة رائعة لمعاناة الفراق والهجر ، فساعة من ساعات الهجر تساوى مائة ألف شهر وتتعاقب الشهور والفصول ويزداد الألم وتشتد الحرقة واللوعة وها هى المرأة تحكى لرفيقاتها قصة عشقها قائلة :

سنو سكهيوبكت ميرى كهانى
بهئى هون عشق كى غم سون دوانى
نه مجه كو بهوك دن نانيند راتا
بره كى درد سون سينه براتا
ارى يه عشق هى يا كيا بلا هى
كه جس كى آك سى سب جك جلا هى
بكت مشكل نبت مشكل كهانى
دوانى كى سنو سكهيو ، كهانى

« استمعن أيتها الصديقات الى حكايتى المحزنة ، حكاية غم العشق الذى أصابنى بالجنون ـ لا ينالنى جوع فى النهار ولا يأتينى نوم بالليل ، ويكتوى الصدر «القلب» بألم الفراق ـ آه أهذا عشق ؟ ما هذا البلاء الذى احرقت ناره الدنيا جميعا .. انها حكاية بلاء شديد ... حكاية صعبة من أولها الى آخرها ، فاستمعن أيتها الصديقات الى حكاية الجنون »

ويبدأ فصل المطر ومعه تبدأ الأحزان والآلام :

ارى جب كوك كوئل نى سنانى
تمامى تن بدن مين آك لكانى
اندهيرى رات جكنو جكمكاتا
ارى جلتى كى اوبر بهوس لاتا

« آه حين بدأ الوقواق يسجع بصوته العذب اندلعت النيران اللظى فى جسمى ولحمى ، وحين بدأت اليراعة تتلألأ فى الليل الحالك احترقت وأصبحت هشيما » .

وتحكى المرأة حلما يعبر عن شوقها لمن تهوى فتقول :

جسه مى بينم لتكتا آوتا هى
به حسنش ماه را شرماوتا هى
كيا هى ان لباس زعفرانى
بهئى هون ديكهه كراس كودوانى

« ما رأيت هو طيف معلق قادم فى خجل ، له جمال القمر ، يا لحسنه ... جاء فى رداء زعفرانى ... آه لقد أصابتنى رؤياه بالجنون » .

والواقع أن أسلوب ولغة هذه القصة يختلف عن أسلوب ولغة القصص المعاصرة لها والمنظومة فى الدكن مثل : « سيف الملوك بديع الجمال » (١٠٣٥ هـ — ١٦٢٥ م) فالتأثير الفارسى واضح تماما فى شمال الهند ، الأفعال والضمائر الفارسية تستخدم فى النظم الاردى ، وتبلغ أشعار الحكاية ٣٢٥ بيتا من بينها ٤١ بيتا من الشعر الفارسى و ٢٠ بيتا من الشعر الملمع « فارسى واردو » . وتكمن الأهمية اللغوية للحكاية فيما نشاهده من ابدال لبعض الحروف فالراء تأتى بدل اللام والجيم بدل الذال والزاى وهناك فرق فى شكل الضمائر ، فهى تختلف عما هى عليه اليوم وكذلك الحال بالنسبة لحروف الجر وتصاريف الأفعال (١) .

وتوضح لغة هذه الحكاية وأسلوبها البيانى تفوقا على ما كانت عليه أشعار الدكن فى ذلك الوقت ، وهذ هو السبب الذى جعل شعراء الدكن يقبلون على هذا الأسلوب الرائج فى شمال الهند حين فتح ارنكزيت عالمكير (متوفى ١٧٠٧م) منطقة الدكن واتصل الشمال بالجنوب .

فى زمان الامبراطور شاه جهان (١٠٣٧هـ — ١٠٦٨هـ/١٦٢٧م — ١٦٥٧ م) تأصلت جذور اللغة الأردية فى المجتمع حتى أصبح من الضرورى على أى موظف فى البلاط أن يكون عارفا بالأردية ، وكان شاهجان نفسه عارفا بهذه اللغة (٢) .

يعتبر منشى ولى رام ولى من من شعراء زمان شاه جهان ، قال الشعر بالفارسية والعربية أيضا وجاءت أشعاره الأردية محشوة بالكلمات والجمل الفارسية ، يقول فى احدى غزلياته :

---

(١) جميل جالبى : تاريخ ادب اردو ج ١ ص ٦٨ ، ٦٩ .
(٢) شاهجهان نامه جلد اول ص ١٣٢ ط لاهور .

چه دل داری درین دنیاكه دنيا سی جلانا هی
چه دل بندی درین عالم كه سرير چهورجاناهی
تومهمان امدی این جاشدی خود خانه خاوند
توابنی كوبهـولا كسی كـونا بجهانا هـی

« أى رغبة لك فى هـذه الدنيا نحن راحلون عنها ـ لا محالة ـ وأى رغبة لك فى هذا العالم الذى سيترك كل شىء على رءوسنا ويمضى ، لقد جئت ضيفا وحللت بيت سيدك (ربك) فلتنس نفسك ولا تخدع أحدا » .

ويعد بندت جنـدر برهمـن (٩٨٢ هـ ـ ١٠٧٣ م/١٥٧٤ هـ ـ ١٦٦٢ م) من وزراء شاهجهان ومن الشعراء المجيدين بالفاسية والأردية ومن غزلياته الشهيرة هذه الأبيات :

خدانى كس شـهر اندر
همـن كو لانى دالا هـى
نه دلبـر هى نه سـاقى
هى نه شيشـه هـى نه
نـه بيـا هـى
برهمـن واسـطى اشـنان
كى بهـرنا هى بكيلاسـين
نه كنـكاهى نه جمنـاهى
نـه نـدى هـى نـه نالاهى

« فى أى مدينة هذه جاء بنا الله ، حيث لا محبوب ولا ساقى ولا كأس ولا قدح ـ ماذا أطلب فى دعواتى من أجل قارب الحبيب وممن أطلب ، وليس لذى مسبحـة الشيخ ولا مسبحة البرهمن ، ولا يوجد معى عقد الذهب ولا عقد الـورود ـ يا برهمن (١) (اسم الشاعر) كيف تغتسل وتتطهر لتؤدى صلواتك ولم تعد « هناك مياه » فى نهر الكنكا ولا فى نهر الجمنا وقد تلاشـت جميع الانهار والقنوات » .

تعبر الأبيات السابقة فى الواقع عن أفكار الشاعر الهندوكى الذى عرضها بالأردية ، ،واستخدم ألفاظ عقيدته الهنـدوكية بالاضـافة الى ألفاظ العقيدة الاسـلامية فكلمـة « سمرن » كلمة خاصـة بالهنادكة يقابلها لدى المسلمين كلمة « تسبيح » والمسبحة يقـال لهـا فى الاردية « تسبيح » وفى العقيدة الهندوكية تقابلها لفظة « مالا » كما أن اللفظة نفسها تعنى عقد الزهـور الـذى يطوق به الهنادكة أصنامهم ، كمـا يتضح تأثير الفارسية والعربية على الشاعر فهو يستخدم كلمات مثل : خدا « الله » ـ شهر « مدينة » دلبر « محبوب » ـ سـاقى ـ تسبى « تسبيح » واسطى « مـن أجل » وهكذا الا أن شعر بندت

(١) وهذه كناية عن رجـل الدين عند الهنادكة ذى الحسب الرفيع .

برهمن يوضح التخلص من التأثير الفارسي على الألفاظ الشعرية الى حد ما حتى أصبحت الأردية هي « لغة جميع اللغات » فهي توجد في كل لغة كما أن كل لغة موجودة فيها •

يأتي أورنكزيب (١٦٥٧ م — ١٧٠٧ م) الى العرش وتتسع رقعة مملكته ومع اتساعها بدأت ينابيع الثقافة في النضوب رويدا رويدا ومعها بدأت أنهار اللغة الفارسية في الجفاف وأخذت الأردية تستعد لتحل محلها تماما ، فأصبحت لغة التعليم في المدارس والكتاتيب واتصل الشمال بالجنوب وبدأ تأثير الدكن على أهل العلم والأدب في الشمال وأصبحت الفارسية تدرس كلغة ثانية ، ومن أشهر أعلام زمان عالمكير العالم الفاضل مير عبد الواسع هانسوى الذي اشتهر بكتابه « غرائب اللغات » وكان يعمل بالتدريس فألف عدة كتب لتلاميذه منها : رسالة عبد الواسع ، شرح بوستان، شرح زليخا ، وحمد باري المشهور باسم « جان بهجان » • ويعد كتابه « غرائب اللغات » الذي يحتوي على معاني الكلمات الأردية بالفارسية أول معجم في اللغة الأردية ولم يكتب بعده أي معجم الا بعد خمسين سنة حين كتب سراج الدين آروز (١٦٨٧ م — ١٧٥٦ م) « نوادر اللغات » واضعا أمامه معجم عبد الواسع « غرائب اللغات » كأساس يحتذيه •

من هنا يعد « غرائب اللغات » أول حلقة من حلقات المعاجم الأردية ولا يمكننا بطبيعة الحال أن نضع هذا الكتاب على مقاييس معاجمنا العصرية والا فلن يمثل أية أهمية على الاطلاق فأهميته تتمثل في أنه أول محاولة معجمية في تاريخ اللغة الأردية — وكانت محاولته الثانية هي حمد باري « أو جان بهجان » فقد أورد عبد الواسع في كتابه هذا الكلمات العربية والفارسية والأردية المترادفة وذلك في أبيات شعرية حتى يتمكن الطلبة من معرفة الكلمات العربية

والفارسية باللغةالأردية ويقول عبد الواسع فى مقدمته :

عبد الواسع سى يه كتاب
تين زبانون كى هى نصاب

« هذا الكتاب لعبد الواسع منهج للغات الثلاث » .

وبينما يستفيد الطلبة من مؤلفات عبد الواسع التعليمية يستفيد العامة والخاصة من الكتابات الدينية لمولانا شيخ عبد الله الانصارى الذى كتب (سنة ١٠٧٤ هـ / ١٦٦٣ م) رسالة بعنوان « فقه هندى » شرح فيها شعرا الفقه الاسلامى وقضاياه بطريقة يفهمها الرجل العادى وفى بحر يمكن للملحنين أن يلحنوه للمطربين ليغنى فى مجالس الغناء ومحافل الصوفية ، وأفرد لكل قضية فقهية بابا خاصا بها مثل : فصل فى بيان أركان الايمان » ، « فصل فى بيان شروط الايمان » ، « توحيد الحق تعالى » ، « فى بيان أحوال الملائكة» ، « القيامةوعلاماتها » ، « فرائض الايمان » ، « واجبات الايمان » ، « المـاء الراكد والماء الجارى » ، « مياه الآبـار » ، « الوضـوء » ، « الغسـل » ، « الحيض والنفاس » ، « المسح على النعال » وغيرها .

يقول الشاعر موضحا أهمية كتابه :

مطلب مسئلة بوجهنافرض عين كى جان
عربى تركى فارسى ،هندى يا افغان
علم شريعت بوجهنا فرض عين كى جان
بالـغ عمورت مردكون جو هووتى مسلمان

« ان معرفة قضايا الفقه هى فرض عين لو سئل عنها عربى أو تركى أو فارسى أو هندى أو افغانى » .

« ان معرفة علم الشريعة فرض عين على كل بالغ مسلم ، رجل كان أو امرأة » .

ويلاحظ القارىء العربى كم هى سهلة هذه الأشعار الدينية وكم هى مليئة بالألفاظ العربية التى اقتضتها ضرورة عرض موضوع دينى ففى البيتين السابقين أتى الشاعر بالكلمات العربية التالية : مطلب مسئلة ، فرض عين ، عربى تركى فارسى هندى أفغانى علم شريعت فرض عين ، بالغ ، مسلمان (أى

٦٠٪ كلمات عربية و ٤٠٪ كلمات فارسيةو هندية)٠

بدأت الكتابات الدينية تأخذ طريقها الى الوجود فها هو الشيخ محبوب عالم من كبار علماء عهد عالمكير يخلف لنا ثلاث رسائل : محشر نامه ، مسائل هندى ، درد نامه ، وقد كتب أولا محشر نامه ثم مسائل هندى وأخيرا درد نامه وفى منظومته الثالثة والأخيرة يتضح صفاء أسلوبه وقوة بيانه :

الهى تكبر خودى كهينچ لى
مسلمان محبوب عالم كون دى
كهى عشق سون نعمت احمد رسول
در عالم مين هو جائى مقبول بهول

« يا الهى احفظنا من التكبر والغطرسة ، وامنح المسلمين عالما بالحب ، فاننى أنشد بالمحبة فى مدح الرسول ليكون وردة مقبولة فى الدارين »٠

ونلاحظ أن الكلمات العربية موجودة بكثرة : الهى تكبر مسلمان محبوب عالم عشق نعت أحمد رسول عالم مقبول (٥٠٪ كلمات عربية ، ٥٠٪ كلمات فارسية وأردية) ٠

واذا عرجنا على لون آخر من ألوان الانتاج الأدبى ألا وهو الغزل نلاحظ أن التأثير الفارسى يتفوق من حيث المضمون والشكل الا أن قوة اللغة الأردية تتمثل بوضوح أكثر مما كانت عليه سابقا ٠ ويمثل الاتجاه شيخ ناصر على سرهندى (متوفى ١٩٦٧ م) فمرة يسيطر عليه التأثير الفارسى ومرة أخرىيسيطر عليهتأثير الأدب الدكنى المعاكس لسابقه حيث يقول فى احدى غزلياته :

سجن كى حسن قران
برهيا هى مين نظر كركر
نهين بائى غلط اوس
مين ديكهيا زير وزبر كركر
معانى اوربيان بهيتر بديع
اس كو سمجهتا هون
برهى هى حسن تيرى
كى مطول جس فكر كركر
كلام العشق همنا كون
سنا حكمت سون منطق مون
وكر نه اس مطول كون
ركهاتها مختصر كركر

« انظر الى حسن الحبيب وكأنى أقرأ القرآن ، لم أجد فيه خطأ واحدا لا فى فتحة ولا فى كسرة ، أفهم كل معانيه أفهم بيانه وبديعه طالعت حسنه وغرقت فى تفكير عميق لا قرار له ، لقد سمعت كلام

العشق بالحكمة وبالمنطق ، والا فكيف اختصرت قصة عشقى الطويلة ها هنا ... » .

النماذج الأولى للأدب الاردى فى جنوب الهند :

من العجيب أن اللغة التى ولدت حول دهلى فى شمال الهند اتجهت الى الدكن في جنوب الهند لتصبح فى فترة بسيطة فى عمر اللغات لغة الأدب والكتابة ولتزدهر ازدهارا كبيرا وتتفوق على لغة الشمال التى كانت تئن تحت سطوة اللغة الفارسية، وكان للتفوق الأدبى للغة الأردية فى الجنوب فى الكجرات والدكن عدة أسباب نذكر من بينها مايلى :

أولا : قام السلطان محمود الغزنوى بفتح الكجرات عام ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ثم قدم اليها السلطان معز الدين محمد بن سام الغورى سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م الا أن قطب الدين أيبك يعد أول سلطان مسلم يفتح هذه المنطقة بمعنى كلمة الفتح بينما الفتح الحقيقى الذى غير وجه المنطقة حضاريا وثقافيا واجتماعيا هو فتح علاء الدين خلجى للكجرات ، وكان ذلك عام ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م حين استولى على منطقة مالوه والدكن جميعها ــ ولما كانت هذه البلاد تبعد كثيرا عن دهلى فقد قام علاء الدين خلجى باعادة تنظيمها وتقسيمها الى محافظات ومراكز ، وعين المحافظين والمديرين وأقر الأمن والأمان فى المنطقة ونظم صفوف الجيش الذى ضم العديد من الأتراك الذين أقاموا بعائلاتهم وأسرهم فى مناطق الكجرات ومالوه والدكن ، وبعد مرور أكثر من ثلاثين عاما شعر هؤلاء الأتراك بأن هذه المنطقة أصبحت موطنهم الثانى ، ورغم أن هؤلاء المستوطنين كانوا فى الأصل من الأتراك الا أنهم قدموا من منطقة شمال الهند الممتدة من البنجاب حتى دهلى بعد أن أقاموا فيها سنوات عديدة ، فنزحوا ومعهم اللغة التى كان الشعب يتخاطب بها والتى كانت تروج فى الأسواق فلم يكن هؤلاء الناس يتكلمون فيما بينهم بالفارسية أو بالتركية ومن هنا حملوا هذه

اللغة وأضافوا اليها كلمات اللهجات المحلية لمنطقة الدكن والكجرات وكذلك كلمات اللغة العربية حتى يعبروا عن أفكارهم ، وهكذا أصبحت لهذه اللغة القادمة من الشمال مكانة سياسية واجتماعية عالية وكان من الطبيعى أن تترك اللهجات واللغات المحلية أثرها على هذه اللغة الوافدة من الشمال الذى ظل يتعامل مع الجنوب فأصبحت لهذه اللغة صفة « العالمية » بين العديد من اللهجات المتناثرة داخل منطقة شبه القارة ، وبدأ الشعراء والمتصوفة فى استخدامها كوسيلة للتعبير عن أفكارهم وكحلقة وصل تربطهم وعامة الشعب وأطلقوا على هذه اللغة الأدبية اسم « كوجرى » فى منطقة الكجرات و « دكنى » فى منطقة الدكن .

ثانيا : قام السلطان محمد طغلق بعد استيلائه على دهلى بنقل العاصمة الى دولت آباد حتى يتمكن من ادارة شئون الدكن والكجرات ، وأصدر أمرا (سنة ١٣٢٧ م) بنقل موظفى الحكومة والضباط ورجال الأعمال الى دولت آباد ، وتمثل هذه الهجرة نقطة تحول فى تاريخ المنطقة فقد انتقل قسم كبير من سكان منطقة دهلى الى دولت آباد مما أدى الى زيادة التأثير الحضارى والثقافى لشمال الهند على مناطق الجنوب وكانت هذه الهجرة سمادا خصبا أفاد افادة شاملة تلك الأرض التى زرعت من قبل وظهر نبتها .

ثالثا : فى سنة ١٣٤٧ م قام أحد الأمراء الأتراك من عمال محمد طغلق باعلان العصيان ، وانفرد بالدكن وهكذا انقطعت صلة الجنوب بالشمال وظهرت الى الوجود الدولة البهمنية على يد أسرة تركية كانت تشعر بالفخر لانتسابها لمنطقة الدكن ، وأصبحت الدكنة هى لغتهم التى تقوم على أساسها قوميتهم وثقافتهم الدكنية ، واعتمد الأتراك فى ترتيب أمورهم على عناصر دكنية خالصة ، وشعر أهل الدكن بفرح لقيام دولتهم وانفصلت ثقافة الجنوب عن ثقافة الشمال وتميزت عنها الا أن لغة

الجنوب كانت فى الواقع هى اللغة الهندوية .

رابعا : ظلت أبواب الدكن مغلقة أمام الشمال نتيجة لسياسة الدفاع التى انتهجتها الدولة البهمنية الا أن الكجرات ظلت على علاقة بشمال الهند على مستوى بسيط فقد استقل بها عاملها الا أنه لم يعلن استقلاله هذا ، وفى سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م انتشر فى الهند جميعها خبر قدوم تيمور بجيوش جرار فترك ناصر الدين محمود عامل آل طغلق دهلى وانطلق الى الكجرات ومنها الى مالوه ، ولما رأى الشعب هذا الحال انطلق الناس الى حيث الطرق المفتوحة أمامهم ، ولما كانت أبواب الدكن مغلقة فقد اتجهوا الى الكجرات وكانت فى حالة اجتماعية واقتصادية أطيب مما كانت عليها الدكن ، ومن هنا أصبحت جزيرة النجاة أمام سكان الشمال الذين هرب ملاحهم من السفينة وتركهم لا يدرون الى أين يتجهون ، وفى عام ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م انتشر مرة ثانية خبر هجوم الأمير تيمور فبدأت الهجرة الثانية لسكان الشمال الى الكجرات ومنها هاجر البعض الى الدكن ، وشعر الناس بالأمان فى الدكن والكجرات بعد صلح عقده تيمور مع فيروزشاه حاكم المنطقة الذى أعلن ولاءه لتيمور .

خامسا : حين ضعفت سلطنة دهلى أعلن عامل الكجرات ظفرخان استقلاله بالكجرات ، وحتى يحيط دولته بهالة من العظمة والأبهة قام برعاية أهل العلم والفن ومشايخ الدولة ورجالها مما دفع العديد من رجال الدين والعلماء وأصحاب الحرف المختلفة الى المجىء الى الكجرات طلبا لرعاية السلطان .

وهكذا أصبحت الأردية لغة التفاهم ولغة التخاطب ولغة البلاط فى منطقة الدكن والكجرات ، وبدأ المتصوفة بنشر أفكارهم الدينية باستخدام هذه اللغة التى أصبحت حلقة الوصل بين مختلف طبقات الشعب ، يتفاهمون بها فى حياتهم اليومية ، يتم عن طريقها الدرس والتدريس ، وبها ينشد الشعراء

أشعارهم ويتغنى بها المطـربون ، وتعزف الموسيقى نغماتها .

وهكذا ازدهـرت الفارسية فى شمال الهند على حسـاب الأردية بينما حققت الأردية تطورا عظيمـا وازدهرت فى الكجرات والدكن ، فقد اعتبر سكانها الأردية لغتهـم التى تمثل حائطا عاليا بينهم وبين الشمال ، كما قام الحكام برعـاية هذه اللغة وتشجيع المتحدثين بهـا مـن العـلماء والمشـايخ والأدباء والشعراء ، ولما كانت المنطقـة تعج بأناس ينتمون الى أجناس مختلفة فقد أصبحت الأردية هى اللغةالتى تضمهم معا وتحقق التجانس فيمـا بينهم كما قام رجال التصوف بدور فعال فى نشر هذه اللغة ورفعها الى مستوى لغة الأدب ، وهـذا مـا سنوضحـــه فى المقـــال التالى ان شاء الله .

د. سمير عبد الحميد ابراهيم



مع آيات من سورة النساء في ليلة من رمضان

للأستاذ عبد الحميد الفضالي

(٢)

جاء فى ختام الكلمة الأولى قول الشاعر :

والنـــاس فى غفلاتهـــم
ورحى المنيـــة تطحـــن

وقد مهدت له بقـولى : وكأن الشاعر يصور ببيته أحوال المسلمين الغافلين وحدهم من دون الناس .

فالغفلة قد شاعت فيهم شيوعـا لا نظير له فى غيرهم .. مع وجود الغافلين فى كل أمة ، والطائشين والحمقى فى كل شعب.. وبخاصة فى الشعوب المتخلفة التى استولى عليها الغرب باسـم الاستعمـار ، وهو فى حقيقته الافساد والاذلال والدمار .

فما أكثر الغفـلات التى غطت على أبصار المسلمين وبصائرهم..!! فصـاروا بها لا يتبينـون معـالم الطريق .. ولا يسيرون على هدى وبصيرة .. وانما يتخبطـون فى سيرهم ، ويخبطـون فى أمورهم خبط عشواء .. يستوى فى ذلك ــ مع الأسف الشديد ــ أغلب الحاكمين والمحكومين ، وأكثـر الرؤساء والمرءوسين .. !!

انهم لا يوحدون الله التوحيـد الخالص النقى اللائق بالله ، وفـق ما تدعو اليه وتدل عليه النصوص التى لا شك فيها ، مـن القـرآن والسنـة .. وبالتالى لا يعمـلون بمقتضى هذا التوحيد الخالص النقى الـذى لا شرك فيـه ولا اشراك معه .. فلا يخشون أحدا الا الله ، ولا يعتزون الا بالله ، ولايستعينون بغير الله ضل ، ومن اعتز بغيـره الا به .. سبحانه .. فمن استعان ذل .. !!

وانهم بذلك لا يتقون الله فى أنفسهم ، ولا فى أولادهم ، ولا فى أوطانهم ، ولا فى معاملاتهم ، ولا فى دينهم .. فهم لا يعملون بما تستوجبه شريعتهم السمحة التى شرعها الله لهم ، لتحقيق أمنهم واسعادهم ـ مع ثبوت نفعها لهم، بالتجارب التى مرت بهم ، أيام الصحو واليقظة والبعد عن الغفلة ، فى العاملين بها من آبائهم وأجدادهم. أولئك الذين عرفوا الله فعرفهم ، واستعانوا به فأعانهم ، فدانت لهم الدنيا ، وخضعت لهم الأيام ، وطاب بهم ولهم المقام ، فى المشرق العربى ، وفى مغربه .. بشهادة المؤرخين المنصفين من غير المسلمين .. فهم يذكرون على حد تعبيرهم ـ أن المسلمين أيام أمجادهم ـ كانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ..

وأن ذلك كان شأنهم فى الأندلس .. فلما استحالت لياليهم خمرا وطربا ، ونهبا وسلبا ، ولهوا ولعبا ، ونساء وقمارا ، واسرافا وافراطا .. واستحال نهارهم نوما وخمولا ، وتفريطا واهمالا ، وتقصيرا فى أداء الواجبات ، وقعودا عن فعل الخيرات ، وانصرافا الى الشهوات، وابتعادا عن تعاليم الاسلام ، وهدى الرسول والقرآن ـ ضاعت الأمجاد وزادت الأحقاد ، وانتشر فيما بينهم الفساد ، وتقلصت الأرض وضاعت البلاد ، وضاع العباد..!!

وان تاريخ المآسى والويلات والحسرات ـ ليستعيد نفسه وفيهم.. بسبب ما بهم من غفلات ـ لا يريدون الاقلاع عنها ، أو التخلص منها ، أو الاعتبار بما كان منها..!! والتاريخ دائما يعيد نفسه .. وما مأساة فلسطين ، والجولان ، واحتلال سيناء ، الا من هذا القبيل ..!!

ان أعداء الاسلام ، ليعلمون ما فى المسلمين الآن ، من جهل وسفه ، وحماقة وفرقة ، وضعف أمام الشهوات والملذات..وهم من أجل ذلك لا يفوتون على أنفسهم الفرصة ، بل يستغلون فى العرب وفى المسلمين ـ أهواءهم ،

ويستثمرون غفلاتهم ، ويباركون فيهم انحرافاتهم ، وييسرون لهم سبلها ، لاغراقهم فيها الى الأذقان ، فلا يفيقون منها الى اسلامهم الذى يوقظهم ، والذى يأخذ بأيديهم الى عزهم وحياتهم وأمنهم وأمانهم ويخلصهم من أوهامهم وحماقاتهم ومنكراتهم وغفلاتهم ، ويردهم الى صوابهم ورشادهم ، والى مكانهم اللائق بهم فى هذا الوجود ..! !

ولذا ، فان أعداء الاسلام والمسلمين ـ ليقفون دائما حجر عثرة أمام النهضات الاسلامية ، والدعوات الاصلاحية .. ويحاولون ما استطاعوا ـ قتل أية نهضة فى مهدها ، ووأد كل دعوة فى مكانها .. بوسائلهم الخاصة التى يحسنونها ، ويبذلون المال ، وما هو أغلى من المال .. الى الحكام وأعوانهم ـ لحربها ومحوها .. وانهم ليستخدمون فى سبيل ذلك ـ عملاءهم وغير عملائهم ، على سواء .. بخداعهم وتضليلهم وشراء ذممهم .. فكل الضمائر عندهم تشترى كما تقول أمثالهم .. غير أن أثمان الشراء تتفاوت ..فضمير يشترى بألف.. وضمير يشترى بعشرة آلاف .. وضمير يشترى بمئات الآلاف فكل الضمائر كما تقول أمثالهم تشترى .. غير أن أثمانها تتفاوت .. !!

ولكن ـ كل هؤلاء الذين تشترى ضمائرهم ، متاعهم قليل.. فعمرهم مهما طال قصير .. ثم مأواهم جهنم وبئس المصير .. خسروا الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .. !!!!

ان المشكلة اذن فى أن ينجح المسلمون فى تصحيح العقيدة ، وفى العمل بالشريعة .. ليتحقق لهم الخير والقوة والهيبة والسيادة والقيادة والريادة ـ كما تحققت لأسلافهم من قبل ، فى عصور كان فيها غير المسلمين يعيشون فى ظلمات الجهل وفى دياجير الضلال. وكان المسلمون وحدهم ، هم الأعزة الشرفاء ، والقادة الأمناء ، والسادة العلماء .. لأنهم كانوا يعملون بالكتاب والحكمة ، بالقرآن

والسنة .. وهما جماع مكارم الأخلاق ، وحميد الصفات ، وشريف الغايات ، وأمن الحياة وأمانها .. !!!

فهل من عودة اليهما ، والتزام بهما ، ووقوف عند حدودهما .. فى جميع المجالات..تطبيقاعمليا ، وسلوكا فعليا .. ؟!!

انا اذن لمهتدون ..!!

لكننا ، والأسف يملأ قلوبنا — نعيش فى عصرنا وأيامنا — فى جاهلية جهلاء ، وحماقة حمقاء — أشد وادهى ، مما كان فى الجاهلية الأولى .. كما سبق ايضاحه والاشارة اليه ، فى عددى رجب وشعبان من هذا العام ، فى مجلة الأزهر الشريف ، تحت عنوان « المجتمع الفاضل كما يصوره النبى صلى الله عليه وسلم » ..!!

فهل نحن ، مع بعدنا عن الدين ، ومخالفتنا لشرعه القويم — نعد من المسلمين ؟ !!

أم أن الأمر لا يعدو ، فى حقيقة انتسابنا الى الاسلام — ما هو مدون فقط فى شهادة الميلاد ، أو فى البطاقة الشخصية ، أو العائلية ؟ !!

اننا فى الحقيقة — مسلمون وفق ما هو مكتوب فى خانة الديانة .. وهذا قد ينفع فى حصر أعداد المسلمين، ونسبتهم العددية ، بالنسبة لغيرهم من المواطنين ، فى وطننا العزيز ، وفى سائر الأوطان العربية والاسلامية !!

فنحن لا شك كثير .. ولكننا غثاء كغثاء السيل .. كما أخبر بذلك سيدنا وقائدنا ومرشدنا — رسول الله المبعوث رحمة للعالمين.. صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن عمل بسنته واهتدى بهدايته ، الى يوم الدين.

ان الدين الاسلامى — ليس مجرد شعارات ولافتات .. ولا مجرد كلمات تنطق بها الأفواه ، ولا تعمل بها الجوارح .. ولكنه ، وكما أومأت من قبل — دين يتطلب من كل مسلم ينتسب اليه أن يلم بحقائقه المامة تجعله على بصيرة من الأمر، وتضعه على الطريق الصحيح ،

وتعصمه من الزلل والانحراف ، فى سيره وسلوكه ..!!

وتلك مهمة المستحفظين على الأمانات .. والمسئولين أمام الله الكبير المتعال ــ فى حدود ما استرعاهم ..اعمالا للحديث الشريف : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .. »

فالمسئولية عامة شاملة .. من رئيس الدولة وكبير العائلة ..الى الخادم فى مال سيده .. فان الله سبحانه وتعالى ــ لسائل كل راع عما استرعاه .. حفظه أم ضيعه .. !!!

فالتطبيق العملى للشريعة الاسلامية ــ هو السلوك المطلوب من كل مسلم ينتسب بحق الى الاسلام .

وان التزام كل دولة مسلمة ، بحدود الله وشريعته ــ لهو الدليل على صدقها فى اسلامها ، وعلى أنها تنتمى بحق الى خير دين ، والى خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .. وبهذا وحده يتحقق للمسلمين فى أنحاء الدنيا ــ الوحدة الشاملة ، والسعادة الكاملة ، وعز الدنيا والآخرة ..!!

أما أن تسير كل دولة مسلمة على هواها ، وتنغمس فى خسيس الملذات والشهوات ، ولا تتقى الله فى المحرمات والحرمات .. سرا وعلانية .. وترتكس فى معاصيها الى الأذقان .. فذلك هو الوبال والضياع والخسران ..!!

وأما أن نأكل عندنا أموال اليتامى ظلما .. ونعطل آيات المواريث ، فلا نعمل بها ، ولا نورث النساء والبنات ، ونحتال على ظلمهن بشتى ألوان الاحتيالات .. فوق ما نشارك فيه غيرنا من سائر المعاصى والانحرافات .. فذلك هو السر فى بلائنا وضعفنا وذلنا ، وتفرق قلوبنا ، وتشتت جموعنا ، وغضب الله علينا ، وانتقامه منا ..!!!

وانما كانت هذه الغفلات فى غيبة الدين والايمان .. ونسيان الموت الذى تطحننا كل يوم رحاه ..

ان الايمان ، هو صمام الأمن والأمان ..!!

وان المؤمن الصادق ـ هو من أمنه الناس على أعراضهم ، ودمائهم ، وأموالهم .. فلا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن . .ولا يقتل القاتل حين يقتل وهو مؤمن .. ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن .!!

وان تذكر الموت ـ لأكبر واعظ لمن أراد أن يتعظ ..!!

ولذا ورد فى الاثر : « من أرادو واعظا فالموت يكفيه ...».

وقد قيل : صاح شمر ولا تزل ذاكرا الموت فنسيانه ضلال مبين .

ورحم الله القائل :

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة
وانت على سوء من الفعل عاكف
واياك ان تحصى من الدهر ساعة
ولا لحظة الا وقلبك واجف
فبادر باعمال يسرك ان ترى
اذا نشرت يوم الحساب الصحائف

والى العيش مع الله فى آيات من سورة النساء :

❊ جعل الله الحرة الواحدة فى مقابل الاماء من غير حصر :

وذلك فى قوله تعالى : « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم » .

لقد لفت نظرى أن الله تبارك وتعالى ، قد سوى بين الحرة الواحدة ، وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد .

وقد أجاب عن ذلك صاحب الكشاف .. بأن الاماء وان كثر عددهن ـ أقل تبعة وأقصر شغبا ، وأخف مئونة من المهائر ، أى الزوجات الحرائر .. وأنه لا عليك من الاماء ، أكثرت منهن أم أقللت ، عدلت بينهن فى القسم أم لم تعدل ، عزلت عنهن أم لم تعزل ..!!

وقد يؤيد ما ذهب اليه صاحب الكشاف ـ ما يحكى عن الشافعى رحمه الله ـ من أنه فسر « أن لا تعولوا » فى قوله « ذلك أدنى أن لا تعولوا » ـ بأن لا تكثر عيالكم .. مأخوذ من : عال الرجل عياله يعولهم ، كمانهم يمونهم ـ اذا أنفق عليهم .. لأن من كثر عياله ، لزمه أن

يعولهم •• وفى ذلك مايصعب معه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب ••

وكلام الشافعى وهو من اعلام العلم وأئمة الشرع ورءوس المجتهدين ــ حقيق بالحمل على الصحة والسداد ، وأن لا يظن به تحريف «تعيلوا» الى «تعولوا» •• فقد قرأ طاووس « أن لاتعليوا» ، من أعال الرجل اذا كثر عياله •• وهذه القراءة تعضد الشافعى رحمه الله ــ من حيث المعنى الذى قصده •••!

* * *

* كيف يقل عيال من تسرى ؟

أما كيف يقل عيال من تسرى ، مع كثرة السرارى ، وفيهن ما فى الزوجات من الاستعداد للتناسل ؟ ! فجوابه ، أن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل •• بخلاف التسرى •• ولذلك جاز العزل عن السرارى بغير اذنهن •• فكان التسرى مظنة لقلة الولد ، بالاضافة الى التزوج •• كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الأربع ••

* التسرى رق : فكيف أباحه الاسلام ؟ !

ان الزواج من أمة ــ خطوة لرد اعتبارها وتكريمها ، أو المحافظة على كرامتها الانسانية كانسانة ••

أما التسرى بها ، ففيه الابقاء على رقها ، وفيه الاهانة لآدميتها •• فكيف أباح الاسلام التسرى ؟ !

** انها الضرورة التى أباحت استرقاق الاسرى هى ذاتها الضرورة التى اقتضت اباحة التسرى •• لأن مصير المسلمات حين يؤسرن من الكفار ــ كان كذلك •• بل كان شرا من ذلك •• فهى اذن الضرورة •• وهى اذن المعاملة بالمثل •• والمعاملة بالمثل ضرب من العدل •• حتى يتم الاتفاق على نظام لأسرى الحرب ، خير من هذا النظام الذى كان يسود العالم أيام تلك الحروب••!!

** هذا ، مع ملاحظة ان الاسلام قدأباح الزواج بالأسيرة ، كخطوة الى تحريرها ورد اعتبارها •• قال تعالى : « ومن لم يستطع

منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات ، فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ، والله أعلم بايمانكم ، بعضكم من بعض ، فانكحوهن باذن أهلهن ، وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان» .

** كما حث الاسلام على عتق الرقاب ، فى مواطن كثيرة من الكفارات .. كما سبقت الاشارة الى ذلك ، وفيه التخلص من هذا الاسترقاق شيئا فشيئا ، والتدرج فى ازالته . .فهو ثقيل على نفوس الأحرار ..

والاسلام نصير الحرية وعزة الانسان .. وهو حرب على العبودية والمذلة لغير الله ..!!

** ان هؤلاء الأسيرات المسترقات — لهن مطالب فطرية ، يحسب حسابها فى حياتهن .. فاما أن تتم عن طريق الزواج ، وفيه الاعزاز والتكريم.. واما أن تتم عن طريق التسرى ، ما دام نظام استرقاق الأسرى بضروراته قائما .. !! فى ظل تلك الحروب التى كانت تبيح الاسترقاق بوجه عام ، للرجال والنساء ، على حد سواء .. قاتل الله تلك الحروب.. وقاتل المعتدين فيها .. وما كانت حروب الاسلام عدوانا .. بل كانت دفعا للظلم، وردا للعدوان ، وايقافا للمعتدين عند حدودهم ..!!

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا .. » .. « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » ..

* * *

* أما شراء الجوارى فمخالف لروح الشريعة :

وأحب أن يكون مفهوما أن ما حدث بعد عصر الخلفاء الراشدين — فى أيام الأمويين والعباسيين ، ومن كان بعدهم — من تلك الحيوانية الشهوانية .. حيث كانت القصور تزدحم بالجوارى والسرارى ، عن طريق الشراء .. فقد لعبت فيه النخاسة دورا هاما .. وان الاسلام لبرىء من هذا الشراء ، ومن الاتجار فى النساء وغير النساء .. انه مخالف لروح الشريعة السمحة بلاجدال..!

انها الشريعة المكرمة لبنى الانسان. « ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ..!!

* * *

** وكذلك الأمر ، فيما هو موجود الآن ، من الجوارى والسرارى ـ فى قصور أمراء الدول العربية والاسلامية .. من أثرياء البترول وغير البترول .. فهو حرام قطعا ، والاسلام برىء منه براءته من النخاسة ودورها فى شراء الجوارى والسرارى واسترقاق النساء .. فهؤلاء مجلوبات عن طريق الشراء .. ولسن بأسيرات حروب نشبت بين مسلمين وغير مسلمين ، اقتضى نظامها هذا التعامل الضرورى البغيض ـ وبخاصة فى نظر الاسلام ..!!

** وانه لا يعقل على الاطلاق أن يكون على وجه البسيطة من فيه رق الآن .. لأن طول الزمن يورث جهالة بواقع الأمر .. والتملك بالشراء شرطه أن يكون المشترى معلوم الرق قطعا ، والا لتبايع الناس بعضهم بعضا ..!!

** الظاهر أن هؤلاء الذين يتعاملون مع النخاسين فى شراء الجوارى .. لاشباع نهمهم فى شهواتهم التى يعيشون لها ـ لايفهمون دينهم ، ولايفهمون روح الاسلام ، ولا حقائق الاسلام ..!!

** ان الرق كان ضرورة حروب اقتضتها أنظمتها .. وكان المسلمون فيها مكرهين على معاملة الكافرين بالأسلوب الذى يفهمه الكفار فى الارهاب والاذلال .. فهم مضطرون للتعامل بالمثل ، والا سقطت هيبتهم فى نظر أعدائهم .. والضرورة دائما تقدر بقدرها ..!!

** فهل للذين يتهمون الاسلام عن جهل بعداوته للحرية أن يتبينوا حقائق الامور ؟ ! وأن يعلموا أن تجار الرقيق ـ هم من الأوربيين ، وبخاصة من الانجليز .. فهم الذين كانوا يوردون الى أمريكا وغير أمريكا الآلاف ، وآلاف الآلاف من سود أفريقيا .. رجالا ونساء ..!!

ان الاسلام ليس أبغض اليه من الرق والاذلال ، واستبعاد الانسان لأخيه الانسان ..

انه شجع على عتق الرقاب .. وجعله كفارة فى ارتكاب الكثير من الأخطاء .. حتى فى كفارة اليمين .. كما جعل للمكاتبين لتحريرهم — نصيبا فى الزكاة ، لمعاونتهم على تحريرهم من الرق ، ولتخليصهم من الاستبعاد .. « انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب » .

** أماآن الأوان ليعلم أعداء الاسلام ، أنه خير دين يحترم حرية الانسان وكرامة الانسان وحقوق الانسان ، فى جميع مناحى الحياة ..؟؟!!

انه دين الرحمة بالانسان وبالحيوان ، على سواء ... فهذا رسول الاسلام — رسول الرحمة المهداة — يقول : « من لا يرحم لا يُرحم » ، ويقول : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، لا هى أطعمتها ،ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » ، ويقول : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » ..!!

وليس أدل على سماحة الاسلام ، وتأكيده على اخاء الانسان لأخيه الانسان وعلى دعوة الخير بين بنى الانسان ، من قول الله تبارك وتعالى :« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير» .

* * *

* حق المرأة فى صداقها :

انها فى الحقيقة — لوقفة حول معنى قوله تعالى :

« وآتوا النساء صدقاتهن نحلة .. » الى قوله : « فكلوه هنيئا مريئا » .

ففى هذه الآية الكريمة — يحدد الله تبارك وتعالى — حق المرأة فى صداقها ، أى حقها فى مهرها ، فيوجب على الأزواج أن يعطوا هذا الصداق لنسائهم .. ويتحتم أن تقبض كل امرأة صداقها ، نحلة ،

أى ملكا خاصا ، منحـــولا لها ، مسلما ليدها ، فهو حقها ..!!

وقيل : ان الخطاب للأوليـاء ، وليس للأزواج ، لأنهـــم كانوا يأخذون مهـــور بناتهـم ، وكانوا يقولون : « هنيئا لك النافجـة » لمن تولد له بنت .. يعنون تأخذ مهرها ، فتنفج به مـــالك ، أى تعظمه ..!!

وقيل : المراد بقوله « نحـلة » أى ديانة ، أى آتوهن مهورهـــن ديانة .. أى دينا من الله شرعـه وفرضـه .. فالنحـلة وردت فى اللغة بمعنى الملة والديانة .. ولذا قيل : نحلة الاسلام خير النحل.. أى خير الديانات .. وفلان ينتحل كذا ، أى يدين به ..!!

** ثم ماذا

ثم انه اذا شـاءت الزوجـة أن تنزل عن شىء من صداقها ، كهبـة بعد قبضه عن طيب نفس ، فهـو عندئذ فقط ــ حلال للـزوج ، هنىء مرىء ..!!

اما ان اضطـــرت الى الهبة ، نتيجة مشاكسة الزوج لها ، وسوء معاشرته ، فليس ذلك عـن طيب نفس ، ولا يحل للزوج أن ينفـق منه شيئا . .ولذا قالوا : فـان وهبت له ، ثمطلبت منه بعد الهبة ، علم أنها لم تطب عنه نفسا ..!!

فقد ورد عن الشعبى : أن رجلا أتى مع امرأته « شريحا القاضى» فى عطية أعطتها اياه ، وهى تطلب أن ترجـع ، فقـال شريح : رد عليها .. فقال الرجل : أليس قـد قال الله تعالى : «فان طبن لكم..»؟ قال شريح : لو طابت نفسها عنه ، لما رجعت فيه ..

وعنه أنه قال : « أقيلها فيمـا وهبت ، ولا أقيله ، لأنهن يخدعن» .

وعن عمر ــ رضى الله عنـه ــ انه كتب الى قضاته : « ان النساء يعطين رغبة ورهبة ، فأيما امـرأة أعطت ، ثم أرادت أن ترجع ، فذلك لها » ..

* * *

** أما حكمة قبض المهر كاملا قبل التنازل عن شىء منه ، فهـو تمكينها من حقها ، حتى اذا ردت منه جزءا ، ردته عن رضى حقيقى، وعن اختيار كامل ..!

أما لو تركت منه هذا الجزء قبل قبضه ، فربما كانت هناك شبهة اضطرار فى أنها تنزل عن جزء لتحصل على الباقى ..!!

** هذا ، والعلاقات بين الزوجين يجب أن تقوم على رضى كامل ، واختيار مطلق ، وسماحة نابعة من القلب ، زائدة عن الفريضة ..!!

أفبعد هذا سمو ورفعة ، واخلاص وحسن عشرة ؟ !!

ان فى هذا لتكريما للمرأة ، وللرجل على سواء ..!!

انه الاسلام ، جماع مكارم الأخلاق .

* * *

* ثم وقفة مع السفهاء :

السفهاء فى آية « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ، وارزقوهم فيها واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا » — هم المبذرون أموالهم ، الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ، ولا طاقة لهم باصلاحها وتثميرها وحسن التصرف فيها ..!!

والخطاب فى قوله تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » للأولياء .. والأموال هنا أموال السفهاء ..

وانما أضيفت الى الأولياء اشعارا لهم بعظم المسئولية الملقاة على عواتقهم بشأنها .. هذا من ناحية — فهم مسئولون عنها مسئوليتهم عن أموالهم الخاصة التى يولونها رعايتهم ، أمام الله .. فى حسن ادارتها ، وحسن التصرف فيها لصالح السفهاء من اليتامى.. ومن ناحية أخرى — فهم عادة من أقرب الأقربين الى السفهاء .. من أسرة واحدة ، وعائلة متعاونة مترابطة .. والمال فى أصله وحقيقته — مال هذه الأسرة ، بحكم مابينهم من توارث وتكافل ، ومن حقوق وواجبات توجب تعاونهم وتضامنهم ، وأن يمد القادرون أيديهم الى غير القادرين منهم .. فلا غرابة اذن ، فى اضافة أموال السفهاء الى الأولياء ، لما ذكر من هذه المعانى ، وغيرها ..!!

ويقول صاحب الكشاف :

وأضاف أموال السفهاء الى الأولياء ، لأنها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم .. كما قال : « ولا تقتلوا أنفسكم » ، « فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » ..!!

أما الدليل على انه خطاب للأولياء فى اموال اليتامى — فقوله تعالى : « وارزقوهم فيها واكسوهم » ، ووصفها « بالتى جعل الله لكم قياما » ، أى تقومون بها وتنتعشون .. ولو ضيعتموها لضعتم ، فكأنها فى أنفسها قيامكم وانتعاشكم ..!

ان المال اذن — مال الجماعة ، أعطاه الله لها ، لتقوم به أمورها ، وينتعشون بحسن رعايته وتدبيره واستثماره ، والانفاق منه فيما ينبغى.. واليتامى أو مورثوهم — انما يملكون فقط حق الانتفاع بهذا المال ، ما داموا عليه أمناء ، وما داموا قادرين على تدبيره وتثميره ..

فان عجزوا عن تدبيره وتثميره وحسن التصرف فيه — فلا حق لهم فى التصرف فى هذه الأموال. وانما تعطى لمن يحسن التصرف فيها من الجماعة ، مع مراعاة قرب درجته من قرابته لليتيم . وبهذا يتحقق مبدأ التكافل العائلى الذى هو جزء هام من التكافل العام ..!

أما السفيه فله حقه الكامل فى الرزق والكسوة وحسن المعاملة ، حتى بالكلمة الطيبة المشعرة بحبه وتقديره ، والمشجعة له على ما فيه خيره واسعاده ، « وقولوا لهم قو لامعروفا » ..

قال ابن جريج : القول المعروف — عدة جميلة . .كأن يقال لهم : ان صلحتم ورشدتم — سلمنا اليكم أموالكم .

ولكن المعروف أعم من ذلك.. فكل ما سكنت اليه النفس وأحبته ، لحسنه عقلا أو شرعا ، من قول أو عمل — فهو معروف — وما أنكرته ونفرت منه ، لقبحه فهو منكر ..!!

* * *

** المال سلاح المؤمن :

وكان السلف ــ رضوان الله عليهم ــ يقولون : المال سلاح المؤمن ..ولأن أترك مالا لايحاسبنى الله عليه ــ خير من أن أحتاج الى الناس ..!!

وعن سفيان ، وكانت له بضاعة يقلبها ويقول : اولاها لتمندل بى بنو العباس ..!

وعن غيره ، وقد قيل له : ان أموالك تدنيك من الدنيا..فقال : لئن أدنتنى من الدنيا ، لقد صانتنى عنها ..!!

وكانوا يقولون : اتجروا ، واكتسبوا ، فانكم فى زمان اذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه . .وربما رأوا رجلا فى جنازة فقالوا له : اذهب الى دكانك .. فماذا كانوا يقولون ، لو عاشوا فى عصرنا الذى نحن فيه ؟!!

** فى ابتلاء اليتامى والنهى عن الاسراف والمبادرة :

الابتلاء هو الاختبار والامتحان ..

وقد أمر الله سبحانه ، الأولياء باختبار عقول اليتامى ، وتعرف أحوالهم وتصرفاتهم ، قبل البلوغ ، حتى اذا ما تبينوا منهم رشدا ، أى هداية ــ دفعوا اليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ..وذلك فى قوله تعالى : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ... » .

** واختلف فى الابتلاء والرشد ، عند الفقهاء ..

فالابتلاء عند أبى حنيفة وأصحابه ــ أن يدفع اليه ما يتصرف فيه ، حتى يستبين حاله فيما يجىء منه ..

والرشد ــ التهدى الى وجوه التصرف .. وعن ابن عباس : الصلاح فى العقل ، والحفظ للمال .

وعند مالك والشافعى :

الابتلاء ــ أن يتتبع أحواله وتصرفه ، فى الأخذ والاعطاء ، ويتبصر مخايله وميله الى الدين .

والرشد ــ الصلاح فى الدين ، لأن الفسق مفسدة للمال ..!

** فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ ..

فعند أبى حنيفة رحمه الله ـ ينتظر الى خمس وعشرين سنة ، لأن مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ـ ثمانى عشرة سنة .. فاذا زادت عليها سبع سنين ، وهى مدة معتبرة فى تغير أحوال الانسان ، لقوله عليه السلام : « مروهم بالصلاة لسبع » ـ دفع اليه ماله ، وأنس منه الرشد أو لم يؤنس .

وعند أصحابه ـ لا يدفع اليه أبدا ، الا بايناس الرشد ..

** وتنكيرالر شد ، فى قوله تعالى « رشدا » يفيد أنه نوع الرشد ، وهو الرشد فى التصرف والتجارة .. أو هوطرف من الرشد ، ومخيلة من مخايله .. حتى لا ينتظر به تمام الرشد .

* * *

** ثم ينهى الله الأوصياء هنا ، عن أكل أموال التامى عن طريق الاسراف والمبادرة .

يقول لهم : لا تأكلوا أموال اليتامى مسرفين ، ومبادرين كبرهم .. انهم كانوا يسرفون فى الانفاق ، ويقولون : ننفق كما نشتهى قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا.. وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا » .

وان واقع الحياة ليثبت وجود هذه الظاهرة الأسيفة ، كلما قرب ميعاد تسلم الأموال من أيدى أولئك الأوصياء الذين لا يقنعون بالحلال ..!!

انهم ليأكلونها فى زماننا ، من بدء اشرافهم على اليتامى ..!!

بل انهم ليستلبونها منهم ، قبيل موت مورث اليتامى ، أو بعيد موته ـ بوسائلهم وحيلهم الاجرامية التى برعوا فيها.. لأنهم لا يتقون الله ، ولا يخافونه على أنفسهم ، ولا على أولادهم من بعدهم ..!!

وهم بذلك انما يأكلون فى بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا.. كما أخبرت بذلك الآية المنذرة لهؤلاء المعتدين الذين لا يقنعون بحلالهم عن حرامهم .. فانتزعت الرحمة من قلوبهم ..

والمعنى أنهم بأكلهم لأموال اليتامى ــ انما يأكلون ما يجر الى النار ، فكأنه نار فى الحقيقة.

أما السعير التى سيصلون نارها ــ فهى نار مستعرة شديدة الاحراق والتعذيب .

ولكن تنكير « سعيرا » ــ يفيد أنها نار مبهمة الوصف ، لا يعلم مدى شدتها وفظاعتها وحقيقتها ، الا الله خالقها ، لتعذيب هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ..!!! فهل من معتبر ؟ !!!

وقد ورد فى الأثر الشريف ، أن آكل مال اليتيم ، يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه ، وأنفه .. فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا..!!

وتلك لافتة تدل عليه ، وتشير اليه ، يفتضح بها يوم القيامة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .. يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ..!!!

* * *

** الأكل بالمعروف والاستعفاف

ورد بهما الأمر للوصى على مال اليتيم .. فى قوله تعالى :

« ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف».

وذلك يدل على أن للوصى حقا فى أموال اليتامى ، لقيامه عليها .

ولكن الآية تدل أيضا على أن الوصى لا يخلو أمره ، من أن يكون غنيا ، أو يكون فقيرا ..

ولكل حكمه .. فان كان غنيا ، فليستعفف ، أى فلا يأكل من مال اليتيم ، ولا يطمع فيه ، وانما يقنع بما رزقه من الغنى ، اشفاقا على اليتيم ، وابقاء على ماله ، ورحمة به .. !!

وان كان فقيرا ، فليأكل بالمعروف .. قوتا مقدرا ، محتاط فى تقديره ، على وجه الأجرة .. أو استقراضا . .على ما فى ذلك من الخلاف .

فعن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن رجلا قال له : ان فى حجرى يتيما ، أفآكل من ماله ؟ ! قال : « بالمعروف ، غير متأثل مالا ، ولا واق مالك بماله» فقال : أفأضربه ؟ قال : « مما كنت ضاربا منه ولدك » .

وعن ابن عباس رضى الله عنه ـ أن ولى اليتيم قال له : أفأشرب من لبن ابله ؟

قال : « ان كنت تبغى ضالتها ، وتلوط حوضها ، وتهنا جرباها ، وتسقيها يوم وردها ، فاشرب غير مضر بنسل ، ولا ناهك فى الحلب » •

وعن الشعبى : يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه •• وعنه : كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى •

وعن مجاهد : يستلف ، فاذا أيسر أدى •

وعن سعيد بن جبير : ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ، ولبس مايستره من الثياب ، وأخذ القوت ، ولا يجاوزه•••فان أيسر ، قضاه ، وان أعسر ، فهو فى حل•

وعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : انى أنزلت نفسى من مال الله منزلة والى اليتيم •• ان استغنيت استعففت ، وان افتقرت أكلت بالمعروف ، واذا أيسرت قضيت » !!!

هذا ، واستعف أبلغ من عف ، كأنه طالب زيادة العفة •

وكل ما تقدم وغيره كثير ـ يدل أبلغ دلالة ، على واجب الأوصياء ، وعظيم مسئوليتهم ، حيال أموال اليتامى • •فلا يمسونها بسوء أبدا •• ولا يتناولون منها الا عند الضرورة القصوى •• فان أيسروا قضوا •• !!

ان هذا هو الاسلام ، فى حدبه وعطفه على الأيتام ••!!!

فهل آن للناس أن يتقوا الله فيهم ؟ !!

ان الله كان على كل شىء حسيبا •

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله ، وليقولوا قولا سديدا » •

عبد الحميد الفضالى

المعرفة بين الفلسفة والإسلام

للأستاذ احمد عبد الرحيم السايح

المعــــرفة :

ادراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره .. .. والمعرفة أخص من العلم ، ويقال فلان يعرف الله .. ولا يقال يعلم الله ، متعديا الى مفعول واحد ..

وعرفه يعرفه معرفة وعرفانا ، فهو عارف .. والعلم والمعرفة ، يفرق بينهما من جهة اللفظ ، ومن جهة المعنى ..

أما اللفظ :

ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد . قال تعالى : « فعرفهم وهم له منكرون » (١) .. وفعل العلم يقتضى مفعولين كقوله تعالى : « فان علمتموهن مؤمنات » (٢) . واذا وقع على مفعول واحد كان بمعنى المعرفة كقوله تعالى : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » (٣) .

وأما الفرق من جهة المعنى فمن وجوه :

أحـــدها :

أن المعرفة تتعلق بذات الشيء ، والعلم يتعلق بأحوال الشيء ، فتقول :

عرفت أباك وعلمته صالحا ، ولذلك جاء الأمر فى القرآن الكريم بالعلم دون المعرفة كقوله تعالى : « فاعلم أنه لا اله الا الله » (٤) . فالمعرفة : تصور صورة الشيء ، والعلم حضور أحوال الشيء وصفاته ، والمعرفة نسبة التصور ، والعلم نسبة التصديق .. ..

(١) سورة يوسف الاية رقم ٥٨
(٣) سورة الانفال الاية رقم ٦٠
(٢) سورة الممتحنة الاية رقم ١٠
(٤) سورة محمد الاية رقم ١٩

ثانيها :

ان المعرفة فى الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه ، فاذا أدركه قرل عرفه ، أو تكون وصفا له بصفات قامت فى نفسه . فاذا رآه وعلم انه الموصوف بها قيل : عرفه . قال تعالى : « وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون » (٥) .. فالمعرفة نسبة الذكر فى النفس ، وهو حضور ما كان غائبا عن الذاكر . ولهذا كان ضدها الانكار ، وضد العلم الجهل .. قال تعالى : « يعرفون نعمة الله ، ثم ينكرونها » (٦) .

ويقال عرف الحق فأقربه ، وعرفه فأنكره .. ..

ثالثها :

أن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره ، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره .

رابعها :

انك اذا قلت : علمت محمدا لم تفد المخاطب شيئا ، لأنه ينتظر أن تخبره على أى حال علمته .. فاذا قلت كريما أو شجاعا ، حصلت له الفائدة .. واذا قلت عرفت محمدا ، استفاد المخاطب انك أثبته وميزته عن غيره ، ولم يبق أن ينتظر شيئا آخر ..

خامسها :

ان المعرفة علم يعين الشىء مفصلا عما سواه ، بخلاف العلم فانه يتعلق بالشىء مجملا .. والفرق بين العلم والمعرفة عند المحققين أن المعرفة هى العلم الذى يقوم العالم بموجبه ومقتضاه ، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده (٧) . .ولكن اذا كانت المعرفة لها كل هذا ، فهل هى فطرية ؟ أم مكتسبة ؟ أم مزيج ؟

---

(٥) سورة يوسف الاية رقم ٥٨ (٦) سورة النحل الاية رقم ٨٣

(٧) راجع بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى الجزء الرابع ص ٤٧ طبع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة . وانظر مقالنا « المعرفة فى ظل الاسلام » فى مجلة قافلة الزيت ع ١١ ص ٢ مجلد ٢٠ السعودية ١٣٩٢هـ .

فى هـذا تحصـل للدارسـين والباحثين ثلاثة آراء ، ولكل رأى من الادلة والبراهـين ما ينهض مدعما له :

أولا :

يقرر كثير من رجال الفـكر الفلسفى أن المعـرفة الانسـانية جميعهـا مـكتسبة وأن طـريق اكتسابها الحواس .

ويرى الفلاسفـة : أننا ندرك الأشياء عن طـريق الحـواس ، فالشـخص الذى يـولد أصـم لا يمـكن أن يعـرف الأصـوات وهى موضوع السمع .

وكذلك الشـخص الذى يولد أعمى لا يمكن أن يعرف الألوان . فنحن ندرك الأشيـاء الخـارجية عـن طـريق الحـواس : البصر أو السمع أو اللمس أو الشم .

وبمعنى آخـر :

أن الأجسـام الخارجيـة هى مجموعة من الاحساسات ..

أو بمعنى ثالث :

نحن لا ندرك الأشياء الخارجية .. وانما ندرك أنفسنا ، لأننـا لا يمكن أن نعرف الشىء الخارجى كهذا الكتاب الا عن طريق هـذه النوافذ التى نطل منها على العالم الخارجى .

وعن طريق هـذه الاحساسات التى تتجمع وتنتظم بعد نفاذها من هذه النوافذ « الحواس » نعرف الأشياء .. فأنا لا أعرف الكتاب ، وانما أعرف الاحساسات الموجودة فى عقلى عن هذا الكتاب ..

معنى ذلك :

أن هنـاك عقـلا يتلقى هـذه والاحساسات ، وأن العقل كالصفحة البيضاء يتلقى الاحساسات فتكون المعـرفة ..

ثانيا :

وقالت فئة أخرى : ان المعرفة فطـرية بمعنى أن الانسـان يولد ونفسـه عالمـة بكل شىء ، لأن النفس قبل اتصالها بالبدن كانت تعيش فى عالم المثل فاطلعت على كل شىء وعرفت كل شىء ، ولمـا اتصـلت بالجسـد نسيت ... وبمعنى آخـر أن الانسـان يولد

ونفسه قد فطرت على معرفة الاشياء .. فاذا عرفت النفس شيئا ، أو ادرك الانسان شيئا ، فانه فى الواقع لا يدرك شيئا جديدا ، ولا يكتسب معرفة جديدة ، ولكنه يتذكر ما كان يعرفه فى عالم المثل .. وهذا تفسير قول (أفلاطون) : « العلم تذكر ، والجهل نسيان » ولعل بعض الآراء فى التصوف تنحو هذا النحو ، وتزعم امكان المعرفة بغير الحواس (٨) .

ثالثا :

ويذهب آخرون الى أن العقل البشرى بطبيعته يحتوى على جزء من المعرفة الفطرية ، يضاف اليها جزء آخر مكتسب .

واختلف العلماء فى هذا الجزء الفطرى .. فقال بعضهم : ان المعرفة البديهية ، هى المعرفة الفطرية مثل : الكل أعظم من الجزء .. .. ويذهب « كانت » الفيلسوف الألمانى الى أن العقل البشرى حين يكتسب المعرفة المحسوسة للأشياء الخارجية يضيف اليها شيئا من جوهره وطبيعته ، ويصوغ المعرفة للمحسوسات الخارجية فى قالبين :

القالب الأول : المكان .

والقلب الثانى : الزمان .

وكأنّ الفيلسوف « كانت » يريد أن يقول : ان المكان والزمان لا يتعلقان بالأشياء الخارجية فحسب ، بل هما انسانيان ، فمن طبيعة العقل وجود هاتين الصورتين وبخاصة صورة المكان وصورة الزمان ، اللتين لا نستطيع أن ندرك الأشياء المحسوسة الا داخلة فيهما .

والرأى الذى يذهب اليه علماء الطبيعة ، وخصوصا الذين يأخذون بنظرية « اينشتاين » وهى أحدث النظريات فى تفسير الكون يتضمن أن المعرفة الموجودة فى عقولنا لا تنفصل عن جملة الحضارة أو الثقافة السائدة فى العصر الذى يعيش فيه صاحب المعرفة . وأننا نرى أن أدقاء

(٨) معانى الفلسفة للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ص ٨٨ الطبعة الاولى / القاهرة .

الباحثين قد أجمعوا على أن الثقافة البشرية سلسلة متماسكة الحلقات .. تؤثر سوابقها فى لواحقهـا ، على صورة قد تكون واضـحة ، وقد تكون غامضة .. .. وجوهر المعرفة موجود وجودا محققـا ، ولكن نعت المعرفة من قلة أو كثرة أو نسبية أو اطـلاق ، أو فطرية أو اكتسابية .. هو الذى اختلف فيه الفلاسفة منذ أقـدم عصور الفلسـفة الانسانية .. فهى تارة نسبية .. وأخـرى مطلقـة .. وثالثة فطرية كلهـا .. ورابعـة مكتسـبة كلهـا ترتكـز عـلى التجـارب .

وكذلك تعيين القوة العـارفة وتحديد مدى اختصاصها ، فمرة هى الحواس وحدها كمـا عنـد « هـيراقليطس » وأخـرى هى الحواس مع العقـل كمـا يرى « أرسطو » وثالثـة هى البصيرة كما يرى « أفلاطون » ورابعـة هى العقـل وحـده كمـا يرى « ديكارت » .

ويعيننا أن تعـرف أن المعارف الانسانية تنقسم الى قسمين :

القسم الأول :

أن المعارف الانسانية هى عبارة عن مجموعة المشاعر والاحساسات المادية المتحصلة للانسان بواسطـة بعض أجزاء بدنه .. وهى تمتـاز بأنها بسيطة ساذجة خالية من الدقة والتعمـق .. ويصفها الفيلسوف « هيراقليطس » بأنها أشبه بمـاء يسيل يمين شطآن غير محـدودة سيرا غير محدود المصير .. ونحن مدينون بهذه المعارف للحواس التى تستعين فى توصيلها الينـا بالزمان والمكان .

ولكن ليس هذا هو كل شىء .. بل ان الحواس تعانى فى نقل تلك المعـارف عمليتين لا بـد منهمـا لحصولهما لدينا وهما :

اولا :

ارتسام تلك الأشياء المادية المراد نقلها .

ثانيا

نقل تلك الرسوم الى مكانهـا الطبيعى مـن النفس البشـرية . فالمعـرفة العـامية لهـا بالضرورة درجتـان :

الدرجة الأولى :

المعرفة الاحساسية البحتة ، وهى لا علاقة لها بذكريات الماضى ، ولا بأخبار المستقبل .

الدرجة الثانية :

هى ما تشترك النفس فى عمليته ، وهو منظم ثابت ، يتناول ماضى الحياة وحاضرها ، ومستقبلها .

القسم الثانى :

المعرفة العلميـة : وهى التى يعول عليها فى الحياة الانسانية ، ويعتمد عليها الانسان فى الوصول الى ما قدر له .

وأظهر الفروق بين المعرفة العامية العلمية هى :

* أن المعرفة العامية مقصورة على النواحى المادية والاجتماعية فى الحياة ، بينما المعرفة الفلسفية تتناول فوق هذا تدبر أسرار الكون والوجود .

* ان المعرفة العامية موجودة لدى جميع أفراد بنى الانسان ، على حين أن المعرفة الفلسفية مقصورة على أصحاب العقول المفكرة .

* أن المعرفة العامية فطرية توجد لدى كل من توفر فيه القدر المحقق للانسانية من العقل ، ولكن المعرفة الفلسفية مكتسبة بالمران والتطبيق الدقيق .

* أن المعرفة العامية معرضة للتأثر بالغريزة أو بالعاطفة ، فى حين أن المعرفة الفلسفية خليقة بأن تكون بعيدة من أثر هذين الباعثين » (٩) .

فالمعرفة تشمل محيطات واسعة تبدأ بالمعرفة العامية التى يشترك فيها جميع أفراد النوع البشرى .. ثم تصعد الى درجة التجارب الحسية على أيدى الطبيعيين أو الكيميائيين .. ثم تستمر فى صعودها الى درجة النظر العقلى عند الرياضيين والفلاسفة ، لكى تنتهى عند مرتبة التجارب التنسكية .

---

(٩) المعرفة عند مفكرى المسلمين للدكتور محمد غلاب ص ٢١ ، ٢٢ طبع الدار المصرية للنشر .

ومن هذا يتبين أن المعرفة تتطلب جهودا ضخمة ، للاحاطة الشاملة التى تضمن القدرة على منح كل غصن من أغصان دوحتها المترامية الأطراف ، الطابع الذى يميزه عن غيره •

واذا أردنا أن تتبين المعرفة فى الاسلام ، فيجدر أن نشير الى نظريات المعرفة فى أكثر الآراء الفلسفية مع أبعاد الآراء المتطرفة التى ابتدعها المنحرفون ، وسنكتفى بالآراء التى تتمتع بالسيادة الفكرية ، وتعتمد على أدلة فوق مالها من رجال ومؤيدين •

الرأى التجريبى :

ورجال هذا الرأى يقولون : أن المعارف مهما بلغت من التجريد والاستقلال عن الأمور الحسية ، فلا يمكن القول بأنها أمور مركزة فى الفطرة ، بل هى كغيرها يكتسبها الانسان عن طريق الملاحظة والتجربة •

ويفسر التجريبيون نشأة العلوم الرياضية ، بأن الانسان قد اتجه منذ القدم الى الظواهر الحسية ، فقاس الأبعاد والحصى والسطوح والأشكال ، واستخدم بعض الوسائل الحسية كالأصابع والحصى فى التعبير عن الأعداد ، ثم استطاع آخر الأمر أن يجرد المعانى الرياضية من ملابساتها الحسية ، فاهتدى الى الخط المستقيم والخطوط المتوازية والمربع والدائرة وغير ذلك من الأشكال الهندسية (١٠) •

وطريق المعرفة فى المذهب التجريبى هو : الخبرة الحسية واذا أغلقت الحواس أبوابها انعدمت المعرفة ، فلن تنشأ فى العقل أفكاره ، الا اذا سبقتها مؤثرات حسية (١١) •

الرأى العقلى :

« ورجال هذا الرأى » يرون أن العقل وحده كاف فى الوصول الى المعارف وادراك مفاهيمها •

(١٠) محاضرات فى مناهج البحث للشيخ محمد خليل هراس ص ١٣ دار الطباعة المحمدية •

(١١) المحاضرات العامة للموسم الثقافى الثانى للأزهر ص ٩٠ مطبعة الأزهر ١٩٦٠ م •

وليس الانسان بحاجة الى أن يرجع الى الطبيعة لكى توحى اليه بفكرة « الكم المتصل » أو « الكم المنفصل » أو ترشده الى التعاريف الرياضية .. بل ان هذه المعانى توجد فى العقل بصفة فطرية وليست مكتسبة بالتجربة .. والأمور الظاهرية هى عوامل ثانوية تحفز العقل على الابتكار والابداع والايجاد .

وطريق المعرفة فى الرأى العقلى لا يرتكز على الحواس وحدها لأنها تخطىء وتصيب ، ولهذا لا تصلح أساسا للمعرفة . وانما أساس المعرفة هو العقل الذى يدرك ادراكا مباشرا والعقل الذى يشك ويفهم يدرك ويثبت ويريد ويشعر ـ كما يقرر « ديكارت » وهو صاحب الرأى العقلى فى الفلسفة الحديثة .

والعقليون لا يرفضون ما تجىء به الحواس ، ولكنهم لا يعتمدون عليها اعتمادا كليا ولا يقطعون فى الأخذ بها .

الراى النقدى :

ويطلق الباحثون على رجال هذا الرأى « الموفقين » ويرى هؤلاء : أنه لا تعارض بين المذهب التجريبى والرأى العقلى بل انه من الممكن الجمع بينهما ، وان كلا من العقليين والتجريبيين قد أدرك وجهى الحقيقة .. وغفل عن وجهها الآخر ، فتعصب لرأيه ، وغلا فى الانتصار له .. والحقيقة انما تتم بالعقل والتجربة ، فكلاهما متمم للآخر . فليست المعانى فطرية فى النفس كما يزعم العقليون ، وليس العقل وحده كافيا فى كشف المعارف . كما أن الملاحظات والتجارب لا يمكن أن تكون هى المنبع الوحيد للمعرفة أو هى العمدة فى ادراكها .

فالرأى النقدى يجمع بين الرأى التجريبى والرأى العقلى . وقد رأى ... (كانت) هذا الرأى مقررا أن المعرفة لا تتم الا بالخبرة الحسية والمبادىء العقلية معا ولا شك عند « كانت » فى ان جانبا منها يأتى من الخارج ، وهو جانب الحسية التى تتثبت من الأشياء

وحينما يتلقى العقل ذلك ، ينظمه فى حدوده .. ومن ثم يكون جزء من المعرفة معتمدا فى مضمونه على خبرة الحواس وفى قالبه على فطرة العقل فى طريقة الادراك . وهكذا يكون كل جزء من المعرفة حسيا وعقليا فى آن واحد معا (١٢) .

الراى الصوفى :

اذا كانت وسيلة المعرفة عند التجريبيين هى الحواس ، ووسيلتها عند العقليين هى العقل ، ووسيلتها عند النقديين هى الحواس والعقل معا . فان وسيلة المعرفة عند الصوفيين والنسكيين تختلف عن الآراء والمذاهب السابقة لأن هؤلاء يرون أن العلم اليقين انما يجىء عن طريق الحدس .

والحدس :

هو الادراك العقلى المباشر الذى يدرك به العقل الحقائق ادراكا ، وتذعن له النفس اذعانا ، وتوقن به ايقانا لا سبيل الى دفعه (١٣) .

الحدس :

اذن كشف عقلى بلغ من الظهور والوضوح أن زال معه كل شك وبلغ من السرعة والبساطة أن يتم دفعه لا على التعاقب ، والحدس عند الصوفيين ينهض على صفاء القلب ، ومجاهدة النفس حتى تصل الى مرتبة من الصفاء تتيح لها من المعارف مالا تصل اليه الحواس والعقول معا (١٤) .

الرأى العملى :

(البراجماتزم)

وهذا يخالف الرأى الصوفى كما لا يرضى لأى رأى أو مذهب ، وفلسفة البراجماتزم فلسفة تقدم العمل ثم تستخلص منه المعرفة ومن هنا أجاز هذا الرأى جميع الظواهر (١٥) .

---

(١٢) راجع مقالنا فى مجلة (قافلة الزيت) عدد ذو القعدة ١٣٩٢ ص ٣ وكتاب (المعرفة فى ظل الاسلام) ص ٢٩

(١٣) محاضرات فى الفلسفة للدكتور سليمان دنيا « مذكرات »

(١٤) المحاضرات العامة للموسم الثقافى الثانى بالازهر ص ٩٠ سنة ١٩٦٠م

(١٥) فصول فى الفلسفة ترجمة ماهر كامل ص ٢٥٨

والبراجماتية :

اصطلاح فلسفي يطلق على المذهب القائل بأن الحقيقة فى صميم التجربة الانسانية ، وأن المعرفة آلة أو وظيفة فى خدمة مطالب الحياة وأن صدق قضية ما هو فى كونها مفيدة ، وأن الفكر فى طبيعته غائى (أى له غاية) ويعنى هذا أن التاريخ البرجماتي معناه : الكشف بالاستناد الى معرفة الماضى وكلمة براجماتية كلمة قديمة ومستعملة بمعان مختلفة الا أنها تعرف الآن مقترنة باسم الفيلسوف الأمريكى « تشارلس ساندرزبيرس » رافع أسس المذهب البراجماتى [16] .

والمعرفة فى حقيقتها ليست مجرد العلم بالواقع كما هو ، بل هى أداة السلوك العملى الذى يأتى النفع [17] .

وتلك أهم مذاهب المعرفة التى اهتدى اليها علماء وفلاسفة الغرب ، وبعض الصوفين والتنسكيين .

وقد تفرعت عن هذه المذاهب نظريات فكرية عديدة وراح كل فريق يغالى فى التأييد لرأيه ومذهبه حتى أصبح لا يرى الحقيقة الا فيه .

والنظريات والآراء التى ذهب اليها التجريبيون والعقليون والنقديون والمتنسكون والبراجماتيون وغيرهم ، هى من وضع ناس فكروا وبحثوا وأصلوا الأصول ، وقعدوا القواعد ، فوصلوا الى ما هداهم اليه البحث والفكر والنظر والعقل .

أما الاسلام فغير هذا كله ، لأن الاسلام من عند الله ، الذى خلق الانسان وعلمه البيان ، وما كان من عند الله كان أتم وأكمل .

والباحث يرى أن الاسلام وثب بالمسلمين وثبتين هائلتين :

الوثبة الأولى :

كانت على أثر اشعاع القرآن الكريم فى جنبات الدنيا والانسانية فأنارها بعد ظلمة ، وهدى الانسانية بعد حيرة ، ونظمها بعد اضطراب ، وفتق اذهان أبنائها بعد ارتتاق ،

---

(١٦) دائرة معارف مجلة الفيصل ص ١٥٣ عدد رقم ٢٠ السعودية .

(١٧) مجلة الهادى المجلد الأول العدد الأول ص ٢٩ « قم ايران » .

وأزال الاصفاد والقيود التى كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر .. وكان من ذلك أن نبه الى وجوب النظر فى الكون العام ، وفى النفس الانسانية ، وفى الأسباب والمسببات .. فكان بهذا مصباحا أنار الدنيا ، وأضاء أفق الانسانية وأشرق بالمعرفة الصحيحة .

الوثبة الثانية :

كانت بعد نقل الحكمة والعلوم الى اللغة العربية ، وبهذا تفتحت العقول الى ألوان مختلفة من الثقافات والمعارف ..

والباحث المنصف يرى أن الاسلام فى وثبتيه الأولى والثانية قد وضع أسس المعرفة التى تهدى الانسان الى الخير وتحيط بجميع الجوانب ، وتستوعب الطرق كلها ، وتجعل منها كلا متكاملا غير قابل التمزق والشتات .

وتقوم المعرفة فى الاسلام لا على أساس نظرية تحتاج الى دراسة وتأمل وانما على أساس التعادل بين الكم والكيف ، وبين المادة والروح ، وبين الغاية والسبب ، وبين الدنيا والآخرة ، فلا افراط ولا تفريط ، طبقا لقوله تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (١٨) .

لقد ربط الاسلام بين الحواس المرهفة ، وبين العقل الباحث المنظم أو الوجدان النقى السليم . فالاسلام يدعو الى استعمال الحواس ، وبخاصة حاستى السمع والبصر . قال تعالى : «أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » (١٩) .

وقال تعالى : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شىء » (٢٠) .

---

(١٨) سورة الانعام الاية رقم ١٥٣
(١٩) سورة ق الآيات رقم ٦ ــ ٨
(٢٠) سورة الاعراف الآية رقم ٢١

وقال تعـالى : « ان فى خـلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب»(٢١).

الى غير ذلك من الآيات القرآنية التى تدعـو الى التـدبر والتبصر والتفـكر ، والتـأمل والنظـر ، واستعمال الملـكات العقلية . قال تعـالى : « ان السـمع والبصر والفـؤاد كل أولئـك كان عنـه مسئولا » (٢٢) .

والحواس وحدها قد لا تغنى فى أمـور كثـيرة ، ولهـذا نستعين بالبصيرة الملهمـة والعقـل الراجح النفـاذ « فانها لا تعمى الأبصـار ولـكن تعمى القـلوب التى فى الصدور (٢٣) .. أما طريق الحدس الوجدانى الذى يصل اليه الانسان بمجاهدة النفس وتقوى الله ، فقد أشار اليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنـوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » (٢٤).

وفى قوله تعالى : «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » (٢٥) .. وفى قوله تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » (٢٦) .

فالاسلام الحنيف قـد جمـع بين جميع المـواهب والملـكات ، سواء منها الحسية أو المعنـوية ، المنطقيـة أو الروحيـة ، ليصـل الانسان الى الكمال المنشـود فى ظلال تعاليم القرآن الكـريم التى جاءت لترشد الانسان الى ما فيـه السمو بالفكر والعقل .

وقد سجل القرآن الكريم طرقا شتى لكشف الحقيقة ، ليتخذ كل فرد من بنى الانسان الطريق الذى يلتئم مع مستواه ، ويتسق مـع عقليته .. والطـرق التى جاء بها الاسلام تتطابق مع مراتب الانسانية ودرجاتها ، وتتجاوب مع حاجاتهـا ورغباتها .

---

(٢١) سورة آل عمران الآية رقم ١٩٠
(٢٢) سورة الاسراء الاية رقم ٣٦
(٢٣) سورة الحج الاية رقم ٤٦
(٢٤) سورة الانعام الاية رقم ٢٩
(٢٥) سورة الطلاق الاية رقم ٢
(٢٦) سورة البقرة الاية رقم ٢٦٩

الطريق الأول :

(طريق النظر والتأمل فى السموات والأرض)

ولهذا الطريق مرحلتان : أرضية وسماوية ، والمرحلة الأرضية ألصق المراحل بالأرض ، وهى تخاطب عامة الناس بما بين أيديهم من مرئيات ، ثم توجههم الى استنباط ما هو بعيد عنهم لعلهم يهتدون .

قال تعالى : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت » (٢٧) .

والمرحلة السماوية استطاعت أن تظفر بحظ من تطور الانسانية ورقى العقلية . وهذا دليل على أن الانسانية قد ارتقت بعض الشيء وأصبحت جديرة بالنظر الى السماء ثم النظر فى السماء . قال الله تعالى: « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج،والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » (٢٨) .

فالآية الكريمة : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت .. » مليئة بالرحمة فائضة بالاشفاق على أولئك الناس ، ومن ثم تتواضع فتنزل الى مستوى الناس الفكرى وتجاربهم حتى يتمكنوا من المعرفة ..

أما الآية الكريمة . « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم .. » فتفيد أن فريقا من الناس قد ارتقى وصعد بعض الشيء ، وأصبح جديرا بالنظر الى السماء أولا .. ثم بالنظر فيها ثانيا ، ثم بمقياس ما لا يرى على ما يرى ، واستنباط نتائج محققة سامية من مقدمات بسيطة ميسورة .

والاسلام لم يشأ أن يقفز بهؤلاء قفزة قد تكون فوق مستواهم العقلى ، لهذا وقف بهؤلاء ريثما يعدهم للدرجة التى تليها وهى درجة النظر فى ابداع السموات وسير الكواكب فى أفلاكها ..

---

(٢٧) سورة الغاشية الآيات رقم ١٧ ـ ٢٠ (٢٨) سورة ق الآيات ٦ ـ ٨

وفى هذا يقول الله تعالى : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعلقون » (٢٩) .

وقال تعالى : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون » (٣٠) .

وقال تعالى : « ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون » (٣١) .

الطريق الثانى :

(الأسباب والمسببات)

والأسباب والمسببات طريق من طرق المعرفة فى الاسلام وهو طريق لفريق من البشر ، لأن كثيرا من الناس لا يقنع الا بأفاعيل الأسباب فى مسبباتها ولا يرضيه سوى التأمل فى نشوء المسببات عن أسبابها .. وهذا الطريق يصل ما بين الارادة والوجدان ويضع الخطوط المثالية للسلوك . وهذا الطريق يمكن الأسباب والمسببات من الصعود الى ما وراء الطبيعة ليصل الانسان الى معرفة الخالق وعظمته وعدله وحسابه وجزائه .

وكيفية استعمال هذا الطريق يقول عنها أحد قادة الفكر :

« هى ان المستدل ينظر أولا الى ما حوله من المرئيات ، ثم يحاول أن يتبين أسبابها المباشرة أى المؤثرة فيها بلا أية واسطة ، فاذا تبينها أسرع الى الاغفاء عن سببها وأعتبرها مسببات لما قبلها ثم بادر الى البحث عن التى قبلها فاذا اهتدى اليها سلك بازائها نفس مسلكه بازاء ما سلف ، حتى ينتهى الى الحق الذى هو الغاية المنشودة والنهاية المقصودة » (٣٢) .

---

(٢٩) سورة البقرة الاية رقم ١٦٤ (٣٠) سورة الاعراف الاية رقم ١٨٥
(٣١) سورة الروم الاية رقم ٢٥ (٣٢) المعرفة فى ظل الاسلام ص ٤٦

وهـذا شيء من آيات السببية والمسببية الدالة على وجود المبدع ، أو الدالة على البعث وامـكانه . قال تعالى : « ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنـا به جنـات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » (٣٣) .

وقال تعالى : «هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنـه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقـلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون » (٣٤) .

وقال تعالى : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ، وجعلنـا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ، وان من شيء الا عنـدنا خزائنـه وما ننزله الا بقـدر معـلوم . وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين . وانا لنحـن نحي ونميت ونحن الوارثون » (٣٥) .

وقال تعالى : « ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنـا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحى المـوتى انه على كل شيء قدير » (٣٦) .

ومن طريق الاسباب والمسببات وصل المفكرون الى أسرار الكون وخفايا الوجود ومعـرفة الخـالق جل وعلا ..

الطريق الثالث :

(طريق المعقولات المحضة)

ويمكن العثـور على ذلك فى قوله تعـالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » والمعقولات المحضـة لا يدركها الا عليـة الصفـوة من المفكرين والتى يغلق الباحث عندها أعين المادة والذهـن المعتمد على الحواس ، ويفتح عين القلب النقى لينفذ بواسـطة نوره الى ما وراء

(٣٣) سورة ق الآيات ٩ ــ ١١ (٣٤) سورة النحل الايات ١٠ ــ ١٤
(٣٥) سورة الحجر الايات ١٩ ــ ٢٤ (٣٦) سورة فصلت الاية رقم ٣٩

حجب المرئيات فيتفكر فى ملكوت المعقولات والذى لا يقاس به ملك المحسوسات لأن النسبة بينهما منعدمة بالطبع (٣٧) .

الطريق الرابع :

(طريق البديهات العقلية)

والبديهات قضايا عامة شديدة العموم يضعها العقل ويسلم بصدقها وتبدو كأنها مركزة فى العقل ، فهى ضرورية لا يمكن اقامة البرهان على صدقها مثل :

أ ــ الكميات المساويات لثالث متساويات .

ب ــ اذا أضيفت كميات متساوية الى أخرى متساوية كانت النتائج متساوية .

والبديهيات تستخدم كمقدمات لاستنباط النتائج التى تترتب عليها ، وقد اختلف الباحثون فى نشأة البديهيات . فذهب العقليون الى أن البديهيات قواعد عامة وضرورية فلا يستطيع العقل انكارها والا تناقض .

وذهب التجريبيون الى أنها من أصل حسى وأنها مكتسبة بالملاحظة والتجربة على كل حال ، فهذا الطريق يعد فى عالم الفكر المنطقى المحض أسمى الطرق وأقربها الى القمة ، وأدناها الى أوج الكمال الانسانى . وهذا الطريق منبثق من داخل النفس ، مؤسس على الحق الواضح الثابت ، وهو الفكر المحتوى فى أية : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون» .. ومجمل هذا الفكر ان كلا من المؤمن والجاحد والمرتاب يصدر فيما يذهب اليه عن فكر .. وهناك طرق أخرى كثيرة لا تقل شأنا عما سبق مثل الآيات فى الكون وفى الانسان . وفى الكائنات الحية ، وفى النبات ، وفى العالم العلوى ، وفى الأرض وما عليها . ومن كل هذا يتبين أن طرق المعرفة فى الاسلام تلائم الانسانية كلها حسب درجاتها فى الكمال الفكرى .. وان القرآن الكريم خاطب الناس على قدر ثقافتهم وفكرهم ليصل بهم الى ذروة ما قدر لكل من الفهم والادراك .

أحمد عبد الرحيم السايح

---

(٣٧) المعرفة فى الاسلام ص ٨٣



اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«خلق صحابي»

لما نزل قول الله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وأنتم لا تشعرون** »

اغلق ثابت بن قيس عليه داره ، وطفق يبكي !!

وافتقده النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأل عنه ، ثم أرسل من يدعوه ، وجاء ثابت ، فسأله النبي - صلى الله عليه وسلم - عن سبب غيابه فأجابه : « اني امرؤ جهير الصوت ، وقد كنت أرفع صوتي فوق صوتك يا رسول الله ، واذن فقد حبط عملي وأنا من أهل النار » ، وأجابه النبي - صلى الله عليه وسلم قائلا : « انك لست منهم ، بل تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا ، ويدخلك الله الجنة » .

وصدق رسول الله - عليه افضل الصلاة والسلام - فقد استشهد ثابت في موقعة (اليمامة) .

رضي الله عن ثابت بن قيس وأرضاه .

«الصمت وصون اللسان»

قال الله تعالى : « **ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد** » ، وقال تعالى : « **ان ربك لبالمرصاد** »

وينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه ،

لأنه قد يجر الكلام المباح الى حرام او مكروه بل هذا كثير وغالب ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا أو ليصمت** » . وقال الامام الشافعي - رضي الله عنه : « اذا أراد أحدكم الكلام فعليه ان يفكر في كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم ، وان شك لم يتكلم حتى **تظهر** » ..

وقد اجتمع قيس بن ساعدة ، وأكتم الصيفي ، فقال أحدهما لصاحبه : « كم وجدت في ابن آدم من **العيوب** ؟ فقال : هي اكثر من ان تحصر وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها ، قال : وما هي ؟ قال : « حفظ اللسان » .

ومن حكم الامام علي – رضي الله عنه – « اذا تم العقل نقص الكلام » وقال اعرابي : « رب منطق صدع جمعا ، وسكوت شعب صدعا » وقال وهب بن الورد : « بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت ، والعاشرة في عزلة الناس » ومن كلام بعض الحكماء : « من نطق في غير خير فقد لغا ، ومن نظر في غير اعتبار فقد سها ، ومن سكت في غير فكر فقد لها » وقيل لرجل بم سادكم الاحنف ! فوالله ما كان بأكبركم سنا ولا بأكثركم مالا ؟ فقال : « بقوة سلطانه على لسانه » ، وقال عمرو بن العاص – رضي الله عنه – « الكلام كالدواء ان اقللت منه نفع ، وان اكثرت منه قتل » ومن وصية لقمان لابنه : « يا بني اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر انت بحسن صمتك » يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف انتن فيقلن بخير ان تركتنا .

قال الشاعر :

احفظ لسانك ايها الانسان
لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه
كانت تهاب لقاءه الشجعان

« لا بشرك الله بالخير »

عاد أبو الحسن بن برهان رجلا مريضا .

فقال له : ما علتك ؟!!

قال : وجع الركبتين .

فقال : والله لقد قال جرير بيتا ذهب منه صدره وبقي عجزه

وهو : – وليس لداء الركبتين طبيب – .

فقال المريض : لا بشرك الله بالخير ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه .

« اليسر بعد العسر »

جمعت الرحلة بين محمد بن جرير الطبري ومحمد بن اسحاق بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الروياني بمصر ، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم ، واضر بهم الجوع ! فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون اليه – يكتبون فيه الحديث – فاتفق رايهم على ان يستهموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لاصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على محمد ابن اسحاق بن خزيمة .

فقال لأصحابه : امهلوني حتى اتوضأ واصلي صلاة الخيرة – اي الاستخارة – فاندفع في الصلاة ، فاذا هم بالشموع ، وخصي من قبل والي مصر يدق الباب ، فنزل عن دابته ، فقال : ايكم محمد بن النصير ؟ فقيل له هو هذا ! فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها اليه . ثم قال : ايكم محمد بن جرير ؛ فقالوا هو هذا ! فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها اليه .

ثم قال : ايكم محمد بن اسحاق ابن خزيمة ؟ فقالوا : هو هذا يصلي ، فلما فرغ من صلاته دفع

اليه الصرة وفيها خمسون دينارا ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ وفعل به كذلك .

ثم قال : ان الأمير كان قائلا بالامس (١) ، فرای فی المنام خيالا قال له : ان المحامد طووا كشحمهم جياعا ، فأنفذ اليكم هذه الصرر واقسم عليكم اذا نفدت فعرفونی .

((موقفان))

العبد بين يدى الله موقفان : موقف بين يديه فى الصلاة ، وموقف بين يديه يوم لقائه ، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر ، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف ، قال تعالى : ((**ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ، ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا**)) .

((عشرة أشياء ضائعة))

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها : علم لا يعمل به ، وعمل لا اخلاص فيه ولا اقتداء ، ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه فى الدنيا ولا يقدمه أمامه الى الآخرة ، وقلب فارغ من محبة الله والشوق اليه والانس به ، وبدن معطل من طاعة الله وخدمته ، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره ، ووقت معطل عن اغتنام بر وقربة ، وفكر يجول فيما لا ينفع وخدمة من لا تقربك خدمته الى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك ، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير فى قبضته ، ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

واعظم هذه الاضاعات ، اضاعتان هما اصل كل اضاعة : اضاعة القلب واضاعة الوقت ، فاضاعة القلب من ايثار الدنيا على الآخرة واضاعة الوقت من اتباع الهوى وطول الامل .

((رأى خالد بن صفوان فى الشعراء))

قال هشام بن عبد الملك لشبة ابن عقال ، وعنده جرير والفرزدق والاخطل ، وهو يومئذ أمير : الا تخبرنى عن هؤلاء الذين قد مزقوا اعراضهم ، وهتكوا أستارهم ، وأغروا بين عشائرهم فى غير خير ولا بر ولا نفع ، أيهم اشعر ؟

فقال شبة : أما جرير فيغرف من بحر ، وأما الفرزدق فينحت من صخر ، وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر .

فقال هشام : ما فسرت لنا شيئا نحصله !

فقال : ما عندى غير ما قلت !

فقال لخالد (٢) بن صفوان : صفهم لنا يا بن الأهتم ،

(١) كان قائلا : أى نائما وقت الظهيرة .

(٢) احد فصحاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الاخبار ، وكان يجالس هشام بن عبد الملك ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ .

فقـال : اما اعظمهم فخـــرا ، وأبعدهم ذكرا ، واحسنهم عذرا ، وأسـيرهم مثـلا ، واقلهم غـزلا ، واحـلاهم عللا ، الطـامى (١) اذا ذخر ، والحامى اذا زأر ، والسامى اذا خطر ، الذى ان هـدر (٢) قال وان خطر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، « فالفرزدق » .

واما احسنهم نعتا ، وامـدحهم بيتا ، واقلهم فوتا ، الذى ان هجا وضع (٣) وان مدح رفع فالأخطل .

واما اغزرهم بحـــرا ، وارقهم شعرا ، واهتكهم لعـــدوه سترا ، الأغـــر الأبلق ، الذى ان طلب لم يسبق ، وان طـلب لم يلحـق ، « فجرير » وكلهم ذكى الفـؤاد ، رفيع العماد ، وارى الزناد .

فقال له ابن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك ياخالد فى الأولين ، ولا راينا فى الآخرين ، واشهد انك احسنهم وصفا ، والينهم عطفـــا ، واعفهم مقالا واكرمهم فعالا .

فقال خالد : أتم عليكم نعمه ، واجزل لديكم قسمه (٤) وآنس بكم الغربة ، وفرج بكم الـكربة .

فضحك هشام . وقال : ما رايت كتخلصك يا بن صـــفوان فى مدح هـؤلاء ووصفهم ، حتى ارضيتهم جميعا وسلمت منهم .

« يــوم القيــــــامة »

جيء بأعرابى الى احـــد الولاة لمحاكمته على جريمة اتهم بارتكابها ، فلما دخل على الوالى فى مجلســه ، اخرج كتابا ضمنه قصته ، وقدمه له وهو يقول :

« هاؤم اقرأوا كتابيه » .

فقال له الوالى : انما يقال هـذا يوم القيامة .

فقال : هـــذا والله شر من يوم القيامة .. ففى يوم القيامة يؤتى بحسناتى وسيئاتى ، اما انتم فقـد جئتم بسيئاتى وتركتم حسناتى !

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

---

(١) الطامى : من طمى الماء اذا ارتفع وملأ النهر .

(٢) هدر البعير : ردد صـوته فى حنجرته .

(٣) وضع : خفض .

(٤) القسم : جمع قسمة وهى الرزق وما قسم .

باب الفتاوى

الأستاذ عبدالحميد شاهين

س : من المشاكل التى لا يخلو منها مجتمع ولها آثار سيئة تهدد المجتمع فى سعادته واطمئنانه اذا تركت دون حل مشكلة « الأطفال اللقطاء » ..

ماذا يفعل باللقيط ؟ وماذا يجب على الملتقط ؟ وعلى من يكون الانفاق عليه وتربيته وتهذيبه ؟ ومنها مشكلة « التبنى » ولا سيما أن بعض المسلمين يفتنون بما يجرى فى المجتمعات الغربية من اعتباره أمرا مشروعا والتزاما واجب النفاذ ..

فهل يجوز التبنى ؟ وما هى الآثار التى تترتب عليه ؟

ج : تحت عنوان « فى اللقطاء والتبنى» يجيب فضيلة الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله فى كتابه الفتاوى عن ذلك فيقول :

اللقيط فى نظر الشريعة :

عنيت الشريعة الاسلامية بالنظر الى الأطفال ، وعرض الفقهاء لنوع خاص منهم ، هو أجدرهم بالعناية ، نظرا لفقده من يعوله ويتعهده من أب أو قريب ، وذلك النوع هو المعروف عند الناس باسم «اللقطاء» فعرفوا اللقيط ، وبينوا أحكامه من جميع جهاته فى بحث مستقل وتحت عنوان خاص هو باب « اللقيط » وقد عرفوه : « بأنه مولود حى ، طرحه أهله خوفا من الفقر أو فرارا من التهمة » . وهو تعريف يصور لنا شأن اللقيط باعتبار الأسباب التى تدعو غالبا الى نبذه وطرحه ، وأنها لا تكاد تخرج عن أمرين : اما الخوف من الفقر وعدم القدرة على تربيته والانفاق عليه ، واما الخوف من تهمة العرض .

وقد قرروا أن أخذه والتقاطه واجب على من يجده ، لأنه احياء لنفس صار لها حظ فى الوجود ، ويرجى أن يكون لها نفع فى الحياة ، والله سبحانه وتعالى يقول : « ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » والواقع أن تركه — مع القدرة على التقاطه وأخذه — تضييع له وقضاء عليه .

وهذا القدر كاف فى تحقق مسئولية التقصير فى حفظ حياة الحى ، وهى مسئولية تدخل فى جو المسئوليات الجنائية فى نظر الشرائع والقوانين .

ومن هنا قال الفقهاء — ترغيبا فى التقاطه وتحذيرا من تركه — : « مضيعه آثم ، وآخذه غانم » وكيف لا يكون أخذه واجبا وغنما ، وتركه محرما واثما ، وقد دل تاريخ اللقطاء على أن فيهم من يختصه الله بكثير من فضله ، فيقود الأمم ، ويرشد الناس الى الخير والصلاح .

نسب اللقيط ونفقته :

واتفق أهل الفقه أنه اذا ادعى نسب اللقيط رجل مسلم ، وهو يعتقد أنه ليس ابن غيره ، ثبت نسبه ، حفظا لكرامته ، واعزازا له بين أمته بانتسابه الى أب معروف ، ومتى ثبت نسبه ثبتت له جميع حقوق البنوة ، من نفقة وتربية وميراث ، أما اذا لم يدع أحد نسبه فانه يظل بيد الملتقط ، تكون له ولايته ، وعليه تربيته وتثقيفه بالعلم النافع فى الحياة ، أو الصنعة الكريمة المثمرة ، حتى لا يكون عالة على الأمة ، ولا منبع شقاء للمجتمع ، ونفقته فى هذه الحالة واجبة على بيت المال ، ينفق عليه وهو فى يد الملتقط ، ويكون الملتقط مسئولا عنه فى كل ما يحتاج وينفعه من عمل وتوجيه .

وقد ورد عن عمر رضى الله عنه أنه قال لمن التقط طفلا : « لك ولاؤه وعلينا نفقته » وكان يفرض له من النفقة ما يصلحه ويقوم بشأنه ، ويعطيه لوليه كل شهر ، ويوصى به خيرا .

ومع هذا قرر الفقهاء أن الملتقط اذا كان سيىء التصرف ، لا يهتدى الى وجوه التربية المثمرة ، أو كان غير أمين على ما يعطى من نفقته ،

وجب نزعه من يده ، ويتولى الحاكم عندئذ تربيته والاشراف عليه ، كما يتولى رزقه ونفقته .

واجب الجماعة للقيط :

ولم يقف الفقهاء عند هذا الحد فى تمهيد طريق الحيـاة للقيـط ، ووسائل العناية بتربيتـه والانفاق عليه ، بل قدروا خلو بيت المال عن سداد حاجة اللقيط ، وتعذر الانفاق عليه من جهة ولى الأمر وعجزه عن القيام بشأنه .. قدروا ذلك وقرروا أنه يجب فى تلك الحالة على جماعة المسلمين أن يتعاونوا على البر به والانفاق عليه ، ويكون ذلك مـن الشئون الخيرية العامـة التى رغب القرآن فى التعاون عليها وحبب فيها، وأنكر على المتخاذلين عنها «وتعاونوا على البر والتقوى»(١) «ويطعمون الطعام على حبه مسـكينا ويتيمـا وأسيرا » (٢) « أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين »(٣) « كلا بل لا تكرمـون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين » (٤).

ولا شك أن اللقيط قد جمـع معانى اليتم والمسكنة والأسر ، فهو يتيم فقد أباه ومن يرعاه ، ومسكين أسكن فى التراب وفى الزقاق وفى الشواطىء ، وأسير شـد وثاقه ، وكبلت حياته ، وعقدت عليه سبلها ، فهو اذن أحـق بالعطف والرعاية ، والحض على اطعامـه من كل ذى حاجة سواه ولا يبعد أن يكون لهذه الآيات الكريمة أثر كبير فى توجيه أهل الخيـر الى تأليف جمعيـات الطفولة المشردة ، ومدها بوسائل الحياة لايوائها والعناية بها .

التبنى فى نظر الشريعة :

هذا ما قرره فقهاؤنا أخذا مـن قواعد الشريعة وروحها بالنسبـة للقطاء .

أما التبنى فينبغى لمعرفة حـكم الشريعة فيـه أن له فى معنـاه صورتين : احداهما أن يضم الرجل الطفل الذى يعرف أنه ابن غيـره الى نفسه . فيعامله معاملة الأبنـاء من جهة العطف والانفاق عليه ، ومن جهة التربية والعناية بشأنه كله ،

---

(١) الآية ٢ من سورة المائدة . (٢) الآية ٨ من سـورة الدهر .
(٣) أول سورة الماعون . (٤) الآيتان ١٨،١٧ من سورة الفجر

دون أن يلحق به نسبه ، فلا يكون ابنا شرعيا ، ولا يثبت له شيء من أحكام البنوة ، والتبنى بهذا المعنى صنيع يلجأ اليه بعض أرباب الخير من الموسرين الذين لم ينعم الله عليهم بالأبناء ، ويرونه نوعا من القربة الى الله بتربية طفل فقير ، حرم من عطف الأبوة ، أو حرم من قدرة أبيه على تربيته وتعليمه ، ولا ريب أنه عمل يستحبه الشرع ، ويدعو اليه ويثيب عليه .

وقد فتحت الشريعة الاسلامية للموسر فى مثل تلك الحالة باب الوصية ، وجعلت له الحق فى أن يوصى بشيء من تركته يسد حاجة الطفل فى مستقبل حياته ، حتى لا تضطرب به المعيشة ، ولا تقسو عليه الحياة .

التبنى المحظور :

أما الصورة الثانية ، وهى المفهومة من كلمة « تبنى » عند الاطلاق ، وفى عرف الشرائع ومتعارف الناس ، فهى أن ينسب الشخص الى نفسه طفلا يعرف انه ولد غيره وليس ولدا له ، ينسبه الى نفسه نسبة الابن الصحيح ، ويثبت له أحكام البنوة ، من استحقاق ارثه بعد موته وحرمة تزوجه بحليلته .

وهذا شأن كان يعرفه أهل الجاهلية ، وكان سببا من أسباب الارث التى كانوا يورثون بها ، فلما جاء الاسلام — وبين الوارثين والوارثات بالعناوين التى قررها سببا فى استحقاق الارث — أسقطه من أسباب التوارث ، وحصرها فى البنوة والأمومة والزوجية والاخوة والأرحام على ترتيب بينهم «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » (١) .

ولم يقف الاسلام فى ابطال آثار التبنى الجاهلى عند حد اسقاطه من أسباب الميراث ، بل صرح ببطلانه ، وأهدر آثاره ، وأرشد نبيه الى التمسك بالواقع الصحيح ، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، ادعوهم لآبائهم

---

(١) آخر سورة الأنفال .

هو أقسط عند الله فان لم تعلمـوا آباءهـم فاخـوانكم فى الـدين ومواليكم » (١) .

زيد بن حارثة :

وقد تبنى النبى صلى الله عليـه وسلم ــ على سنة العرب وقبـل التشريع ــ زيد بن حـارثة وكان يدعى : زيد بن محمد ، وحينمـا طلبه أبوه وأهله من النبى صلى الله عليه وسلم وكل النبى الأمر الى اختيار زيد ، فآثر زيد أبوة النبى على أبوة أبيه ، ورضى الجميـع بذلك ، وانصرفوا عنه ، وتركوه متبنى تبنى الرسـول فـرحين مسرورين ..

فلما جاء القـرآن بابطال التبنى أمر الله نبيه أن ينفذ بنفسه تطبيق ذلك التشريع الجديد فى متبناه ، ليكون ذلك عند الأمة باعثـا على الامتثال والمسارعة الى القبـول ، دون تحرج من ترك ما ألفوا .

أمر الله نبيـه بتنفيـذ التشريع الجديد واهدار السنة السابقة فيما يختص بالتبنى ، وفى سبيـل ذلك طلب منه أن يتزوج بحليلة متبنـاه زيد بن حارثة ، وقد اتفق فى ذلك الوقت أن زيدا كان قد طلقهـا ، وقد جاء ذلك فى قـوله تعالى : « فلمـا قضى زيد منهـا وطـرا زوجناكها لكى لايكون على المؤمنين حـرج فى أزواج أدعيائهـم اذا قضـوا منهن وطـرا وكان أمـر الله مفعولا » (٢) . وبذلك بطـل هذا النوع من التبنى ، وصار محرما على المسلم أن يلحق بنسبه الطفل الذى يعرف أنه ابن غيـره وليس ابنا له ، عرف أباه أم لم يعرفه .

ابطال هذا التبنى :

ولعل من واجب المسلميـن أن يعرفوا الحكمة فى ابطال هذا النوع من التبنى ونزول القرآن بانكاره وتحريمه وابطال آثاره ليتبين لهـم مقدار حدب الشريعة الاسلامية على صون الانسان وحفظ الحقـوق الأسرية ، التى ارتبطت فى التشريع الاسلامى بجهـات القـرابة ذات العماد الواقعى بيـن الوارثيـن ومورثهم .

---

(١) الآيتان ٤ ، ٥ من سورة الأحزاب .

(٢) الآية ٣٧ من سورة الاحزاب

وليس من ريب أن في هذا التبنى حرمان الأب الحقيقى المعروف من أن يتصل به نسبه المتولد منه . المنسوب اليه فى الواقع وفيما يعلم الله والناس ، وفيه ادخال عنصر غريب فى نسب المتبنى ، يدخل على زوجته وبناته باسم البنوة والاخوة ، ويعاشرهن على أساس منهما وهو أجنبى عنهما ، لا يباح له منهن ما يباح للابن أو الأخ الحقيقى لهن . وبقدر ما تتركز هذه البنوه الكاذبة فى هذه الأسرة فان البنوة الحقة ، فى الأسرة الحقة تسير الى الفناء والمحو والزوال ، وبذلك تضيع الانساب ، ويختل نظام الأسر .

وفيه وراء ضياع الأنساب واختلال نظام الأسر — تضييع لحقوق الورثة الذين تحقق سبب ارثهم الشرعى من الأب الكاذب (المتبنى) فلا ترث اخوته ولا أخواته لوجود الابن « الزور » الذى منع ببنوته الكاذبة ارثهم الشرعى . وبذلك تقع العداوة والبغضاء بينهم وبين مورثهم ، بهذا الدعى الذى تبناه وضيع به حقهم فى التركة .

هذا ، وقد قال بعض العلماء اجمالا لتلك الحكمة : لو فتح باب الانتفاء من الأب لأهملت المصالح ، ولاختلطت الأنساب ، ولضاعت حكمة الله فى جعل الناس شعوبا وقبائل .

وبعد :

فهذا هو الوضع الشرعى لمن يريد أن يتقرب الى ربه بضم ابن غيره اليه : يربيه وينفق عليه ويوصى له . دون أن ينسبه الى نفسه ، ويجعله ابنا يرثه وتحرم عليه حليلته .

وذاك هو الوضع الآخر الذى يمقته الله وينكره : ينسب ولد غيره اليه ، ويثبت له حقوق البنوة الصادقة ، ويمنع به المستحقين حقوقهم . .

وأرجو ألا يختلط أحد الموضعين بالآخر عند من يريد التبنى ممن يؤمنون بالله وشرعه .. آمين .

والله أعلم . .

عبد الحميد شاهين

كتـــاب الشهـــر

الكون بين العلم والقرآن

للدكتور منصور محمد حسب النبى

بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدني أن ألتقي بحضراتكم ونحن والعالم الاسلامي على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى ، فى موضوع هام فى هذا العصر عصر الذرة والفضاء والنسبية وهو موضوع « الكون بين العلم والقرآن » (*) .

وبهذا أتحدث اليكم بلغة العصر « عصر العلم » حتى يدرك كل انسان عظمة الكون وعظمة القرآن الكريم . وان القرآن الكريم كتاب الله خالق هذا الكون . وان محمدا رسول الله الى البشرية كلها .

ولقد أحسست أن الحديث عن الكون فى القرآن الكريم يكاد لا يتوقف وفى أسلوب رائع واعجاز علمى بالغ يوقظ عقل الانسان فى رفق ويسر ، ويخاطب كل البشر على اختلاف مستوياتهم العقلية والعلمية بحيث يستطيع كل انسان أن يستوعب هذه الحقائق بالقدر الذى يتسع له عقله وزمانه.

ولهذا أردت أن أقدم لكم اليوم عرضا لبعض الآيات الكونية الكريمة فى القرآن الكريم ، والتى تتعرض للحقائق الكونية التى اكتشفت حديثا كالذرة ، والمادة ، والطاقة ، والجاذبية ، والنسبية ، والفضاء ، وليسمع ويرى غير المؤمن أن القرآن معجزة الله الخالدة التى لا يقف اعجازها عند عصر معين ولا تحدها ثقافة معينة. كما أرجو أن تفسح الجامعات

(*) القيت هذه المحاضرة فى الموسم الثقافى بجامعة ام درمان الاسلامية فى ١٩٨٠/١/٢٠ م وفى الموسم الثقافى لجامعة عين شمس فى فى ١٩٨٠/٣/١٠ .

الاسلامية فى العالم الاسلامى صدرها لاظهار الاعجاز العلمى للقرآن تيسيرا للدعوة الى دين الله فى هذا العصر .

فالاعجاز العلمى لا يجرؤ أى مكابر أو ملحد أن يجد موضوعا للتشكيك فيه . فالحقائق العلمية الكونية الثابتة التى لم يعرفها الناس الا فى هذا القرن والتى ذكرها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا ، سوف تعطى دليلا محسوسا على أن خالق الكون هو منزل القرآن الكريم . وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » (يوسف ١٠٥)

وقوله تعالى :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » (فصلت ٥٣)

حقا ان دراسة الكون تكشف لنا النقاب عن العديد من آيات الله ، وتحرك عقولنا نحو ثلاث حقائق أساسية هى :

١ ـ قدرة الله : من خلال دراسة الكون. فتتكشف لنا قدرة الله اللانهائية .

٢ ـ وجود الله : من خلال النظام فى الكون . لأن النظام لا بد له من منظم .

٣ ـ وحدانية الله : من خلال التشابه والتماثل فى الكون . مما يدل على وحدانية الخالق.

والكون كتاب الله المفتوح الذى يشمل كل شىء فى السماوات والأرض وما بينهما ، وكلمات الله فى الكون لا تعد ولا تحص . وصدق الله العظيم فى قوله تعالى :

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مددا » (الكهف ١٠٩) .

حقا ان ما نعلمه عن الكون بفضل الاكتشافات العلمية لا يزال ضئيلا بالنسبة الى ما لا نعلمه أو

لا نستطيع تعريفه أو تعليله . اننا ما زلنا نقف على حافة المجهول فى الكون الفسيح رغم ما وصلنا اليه من علم فى القـــرن العشرين . وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« ومـا أوتيتم مـن العلم الا قليلا » (الاسراء ٨٥) .

ان محيط الكون مملوء بالمعرفة. وسوف أقلب فقط فى الأصـداف الموجودة على شـــواطىء الكون بينما محيط الكون مملوء باللآلىء. اننى أعتبـر نفسى كأحد العازفين على احـــدى الآلات النحـاسية المتواضعة وأنا أشارك فى عـرض سيمفونية الكون الرائعة .

ولست أدرى ! بماذا أبـدأ ؟ وكيف أنتهى ؟

فالكون اتساع خيالى تسبح فيه بلايين المجرات أو الجزر الكونية، وكل مجرة تحتـوى على مئـات البلايين من الشموس أى النجوم ، وهذه النجوم يدور حـول معظمها كواكب وكـــويكبات وأقمـار ومذنبات ، ويسبح فى فضائها شهب ونيازك ، وجسيمات دقيقة مجهرية لا حصر لها من الغاز والتـــراب الكونى والأشعـــة الكونيـــة والاشعاعات الضوئية المرئية وغيـر المرئية. ولهذا علينا أن نفكر بمقياس اللانهاية بالنسبة لعمق الكون وتفكر أيضا ـ بما يساوى بلايين السنين بالنسبة لعمر الكون . وعلينا أن نعلم أيضا أن أســـاس الكون هـو الـذرة بما فيهـا من مـادة وطاقة . ولهذا فسوف أبدأ جولتى هذه من الذرة الى المجرة ، أى من المستوى المتناهى فى الصغـر الى المستوى اللانهائى فى الكبر .

أولا ـ الذرة والكون :

لقد أعلن الفيلسوف ديمقـراط عام ٤٥٠ قبـل الميلاد أن الكون يحتوى على عـدد لا حصر له من جسيمات متناهية فى الصغر تدعى الذرات . وأن الذرة لا تنقسم لأنها الشيء الصغير جدا الذى لا يتجزأ. ولقد سادت هذه الفـــكرة حتى وقت قريب ، فقد أعلن دالتن عـام ١٨٠٢ م النظرية الذرية التى تنص على أن الذرة أصغر شيء مـادى فى الوجود وأنها لا تنقسم .

وفى عام ١٩١٢ م اكتشف رذرفورد أن الذرة يمكن أنتنقسم الى ما هو أصغر منها ، فالذرة تتركب من نواة موجبة الشحنة تحتوى على البروتونات ويدور حولها الكيترونات سالبة الشحنة، تماما كالكواكب وهى تدور حول الشمس •

ولقد تعرض القرآن الكريم لهذه الحقيقة حيث أشار الله سبحانه وتعالى بأن السموات والأرض تتكون من ذرات لها ثقل معين صغير جدا • ورغم صغر مثقال الذرة فان هناك ما هو أصغر من الذرة كما يتضح من الآيات الكريمة التالية •

« وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » (يونس ٦١)• وقوله تعالى :

« عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » (سبأ ٣) •

ولقد ثبت حديثا أن كتلة الذرة كسر من مليون بليون بليون من الجرام ! لدرجةأنالسنتيمتر المكعب من النحاس مثلا يحتوى على مائة ألف بليون بليون ذرة ! وأن الذرة رغم صغرها هذا تحتوى على جسيمات أصغر كالاليكترون والبروتون ، وقد تم اكتشافهما فى مطلع هذا القرن • كما تم العثور على جسيم متعادل يدعى النيوترون داخل نواة الذرة فى عام ١٩٣٢م • ومنذ ذلك الحين تتوالى اكتشافات الجسيمات دون الذرية المستقرة وغير المستقرة مثل النيوترينو ، والميزون ، والهيبرون • كما يتوقع العلماء فى المستقبل اكتشاف جسيمات أخرى دون ذرية مثل الكوارك والجرافيتون !

ولقد اتضح حديثا أن النظام الشمسى للذرة الذى يعتبر الذرة مكونة من نواة تدور حولها الاليكترونات تماما كالشمس تدور حولها الكواكب ما هو الا نظام شامل فى هذا الكون ، فالأقمار أيضا تدور حول كواكبها، والنجوم

تدور حول مركز مجـراتها ، وكل جرم فى الكون يدور حول نفسه وحول شيء آخر ، انه نظام الخالق الواحد الأحـد . وصـــدق الله العظيم بقوله تعالى :

« وكل فى فلك يسبحـون » (يس ٤٠) .

فهل عرفنا نحن المسلمين حكمة الطواف حول الكعبة.انها الدوران الذى يمثل سنة الله فى الكون . وتسبيح للمولى عز وجل بأسلوب يمثل الظاهرة التى فطـر الله عليها الكون كله . وبهذا فان الطـواف رمز لسر عظيم . وحـكمة انفرد بها الاسلام من بين الأديان كلها .

ولقد تعرض القـرآن الكـريم لحقيقة علمية هامة أخرى بقـوله تعالى :

« ومن كل شيء خلقنا زوجيـن لعلكم تذكرون » (الذاريات٤٩). وقوله تعالى :

« سبحـان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » (يس ٣٦) .

فما هى هـذه الأزواج يا ترى على المستـوى الذرى ؟ سـوف تندهش عندما أقول لك أن علماء الطبيعة قد اكتشفوا منـذ سنوات قليلة أنواعا مختلفة من الجسيمات الذرية المضادة تماما كما اكتشـف الانسان صـورته فى المـرآة ! فالاليـكترون السـالب له ضديد يدعى البوزيتـرون (اليـكترون موجب !) والبروتون المـوجب له ضديد يدعى البروتون السالب ! ، وحتى النيوترون المتعادل له ضديد يدعى النيوترون المضـاد بعـزم مغناطيسى معاكس ، ولقـد أصبح علماء الطبيعة الآن يبحثـون عـن الجسيم المضـاد اذا اكتشفـوا أى جسيم جـديد ! ومن خـواص الجسيمات المضادة أنها تفنى سريعا فور تقابلها مـع الجسيمات العادية المناظرة لها لتحولهما معا الى طـاقة وذلك فى عملية افناء ذرية معروفة لدى علماء الطبيعة بل وتخصصت معاهد كثيرة فى جميع أنحاء العالم لدراسة المـادة والمـادة المضادة . ويتوقع العلماء أن ذرةالمادةالمضادة لا تختلف فى صفاتهـا الطبيعية

والكيمائية عن ذرة المادة العادية ، واحداهما صـــورة معكوسة للأخرى • ولا يمكن التمييز بينهما الا اذا تقابلا فتحـــدث الكارثة بفنائهما وتحـولهما الى طاقة فى شكل أشعة غير مرئية تدعى أشعـة جاما !

ولقد كان لهـــذه الاكتشافات الحـديثة لنظـــام الأزواج على المستوى الذرى الفضل فى محاولة تفسيـر بعض الظـواهر الكـونية الغامضة • فلقـد أعلن الدكتور تريون عام ١٩٧٣ أن الكون كله قد نشأ من طاقة تحولت بدورهـا الى نوعى المادة بحيث أن كميـة المادة فى الكون لا بد وأن تساوى كمية المادة المضـادة وبحيث يظل النوعان متباعدين بدليل تباعـــد النجوم والمجـرات عـن بعضها بمسافات خيالية شاسعة ، وهـذا التباعد ضرورى حتى يمنع تلاقى المادة مع المادة المضـادة وبالتالى يمنع فناء الكون وزواله !

واذا فكرنا نحن المسلميـن فى هذا الموضـــوع الخطير نجد أن القرآن الكريم قد أشار الى فنـاء الكون بزوال السماوات والأرض اذا تغير نظام هذا الكون بارادته سبحانه • كما أشار الى عجز جميع الكائنات عن منع هذا الفناء عنـد حدوثه ؛ بقوله تعالى :

« ان الله يمســـك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحـــد من بعده » (فاطر ٤١) •

وقوله تعالى :

« واذا السمـــاء كشطـت » (التكوير ١١)

وقوله تعالى :

« يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبـرزوا لله الواحـد القهار » (ابراهيم ٤٨) •

فتأمل معى هذه الآيات واعلم أن زوال السماوات والأرض واعـادة تشكيلها حدث حقيقى يعتـرف به العلم الحديث كما فى تحول المادة الى طاقة وتحول الطاقة الى مـادة طبقا لقانون أينشتين •

كما أن وجـــود المادة والمادة المضادة أمـر منطقى فلا تستعجب

ولا تنـــدهش فلولا المادة والمادة المضادة ولولا الموجب والســالب ولولا الفضيلة والرذيلة ولولا الخير والشر ولولا العدل والظلم لما كان الكون ولما كانت الدنيا ! وسبحان الخالق الواحد القهار .

وقد تسأل بصرف النظر عن المادة المضادة . هل العناصر الموجودة فى الأرض هى نفسها العناصر الموجودة فى السموات ؟ وللاجابة على هذا السؤال أوجز فيما يلى النتائج التى توصل اليها العلم الحديث وأبحاث الفضاء عن هذا الموضوع :

١ ــ التحاليل الكيميائية للنيازك التى قد تصل الى الأرض مـن السماء تدل جميعها على أن عناصرها من نفس عناصر الأرض .

٢ ــ التحليـل الطيفى للضـوء القادم الينا مـن الشمس والنجوم أثبت وجود عناصر نعــرفها فى الأرض فى هذه الاجرام السماوية .

٣ ــ الأقمار الصناعية وسفـن الفضـــاء أثبتت أن السماء تعج بالأشعة الكونية التى تتــكون من نوى ذرات خفيفة وثقيلة مناظـرة لذرات الأرض ، كما أن الاشارات الراديوية القادمة من الفضاء الكونى تدل على وجود غاز الايدروجيـن كغاز كونى شامل علاوة على مركبات عضوية وبخار مـاء تم اكتشافهـا عام ١٩٧٠ فى السحب الباردة بين بعض نجوم مجرتنا والمجــرات الأخرى مما يثيـر الآن احتمالات الحياة على كواكب أخرى تابعـة لنجوم أخرى غير الشمس .

٤ ــ العينـــات التى أحضرها رواد الفضاء من على سطح القمـر تتكون جميعها مـن نفس عناصر الأرض وبهـا نسبة عــالية من الزجاج !

ولقد أشار القـرآن الكريم الى وحدة المادة بين السموات والأرض فى اعجاز علمى بقوله تعالى :

« أو لم ير الذين كفـــروا أن السمــوات والأرض كانتا رتقـا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » (الأنبياء ٣٠) .

ولقد أعلن جـامو (الروسى) عام ١٩٤٨ نظريته عن نشأة الكون التى تتلخص فى أن الكون كان فى

الأصل كتلة واحدة عظمى متماسكة تسمى البيضة الكونية ، وان هذه البيضة انفجرت عند نشأة الكون وتجمعت شظاياها لتكوين النجوم والمجرات فى أنحاء متفرقة متباعدة .

كما أعلن هبل بعد قياسات [1] بدأت منذ عام ١٩٢٩ وحتى الآن عن تباعد المجرات عن بعضها مما يوحى بأن الكون مازال يتمدد ويتسع منذ الانفجار الكونى العظيم عند نشأة الكون . ويشير القرآن الكريم أيضا الى هذه الظاهرة بقوله تعالى :

« والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » (الذاريات : ٤٧) .

كما أعلن تالمان حديثا أن تمدد الكون حاليا ما هو الا حالة مؤقتة سيتبعها تقلص مارا بدورات متتالية من التمدد والانكماش .

فالكون الآن فى حالة مستمرة من التمدد الذى بدأ بانفجار كبير ويبطىء تدريجيا ، وفى المستقبل سوف تسيطر الجاذبية على تأثير التمدد ويبدأ الكون فى الانكماش حتى يصل فى النهاية الى حيث بدأ . وتشير الآية الكريمة التالية الى هذا المعنى بقوله تعالى :

« يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين» . (الأنبياء ١٠٤) .

ولقد اختلف العلماء فى تقدير عمر الكون وتوقع القرآن الكريم هذا الخلاف كما فى قوله تعالى :

« ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم » .

صدق الله العظيم

ثانيا ـ الجاذبية والنسبية والكون :

الجاذبية العامة ظاهرة كونية اكتشفها نيوتن عام ١٦٨٧ م حيث أعلن أن كل شىء فى الكون يجذب كل شىء آخر فى الأرض أو فى

---

(١) تعتمد هذه القياسات على ظاهرة تدعى ظاهرة دوبلر لازاحة الطيف . وقد لوحظت الازاحة الحمراء فى طيف المجرات مما يدل على تباعدها عن بعضها .

السماء فالشمس تجذب الأرض ، والأرض تجذب القمر ، وتجذب كل ما عليها ، مع ملاحظة أن الجـذب متبادل بين الأشياء

وأن الجاذبية حقيقة علمية كونية بل قانون عـام [1] موجـود فى طبيعة الأشياء ويعمـل فى صمت فى الأرض والسمـاء . وعلى قدر ضآلة قوة الجاذبيـة على الأرض فهى جبارة عارمة فى السماء حيث الكتل عظيمة هائلة تتماسـك رغم تباعدها بفضل قوة الجـذب التى تمسك أجرام السماء وتمنعها من الانفراط لأن مدبر الكون لم يشـأ بعد لها انفراطا . حقا ان قانون الجاذبية قانون المدبر الأعظـم . قانون الله الواحد الأحد الذى رفع السماوات بغير عمد وصدق سبحانه بقوله تعالى : « ويمسك السمـاء أن تقع على الأرض الا باذنه ان الله بالنـاس لرؤوف رحيـم » (الحج ٦٥) .

وقوله تعالى :

« الشمس والقمـر بحسبـان ، والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان » (الرحمن ٥ ــ ٧) .

وقوله تعالى :

« الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصـل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون» (الرعد ٢) .

حقا انه ميزان الهى محسـوب بدقة متناهية ، لأن قانون الجاذبية يرغم الأجـرام السمـاوية على الدوران .

« وكل فى فلك يسبحون » .

وعند الدوران تتولد قوة تدعى القوة المركزية الطاردة خارج مركز الدوران لتتـوازن تماما مع قوة الجاذبية التى تشد الجسم الدائر نحو مركز الدوران . ولولا هـذا

---

(١) قوة الجاذبية بين اى كتلتين فى الوجود = ثابت الجـذب العام × $\frac{\text{الكتلة الاولى} \times \text{الكتلة الثانية}}{\text{مربع المسافة بينهما}}$

الدوران لوقعت الأرض على الشمس ولوقع القمر على الأرض ! ولولا التوازن بين القوتين لما استقرت الاجرام فى مداراتها فى هذا الكون !

ولقد استخدم علماء الفضاء هذه الظاهرة الكونية لاطلاق الأقمار الصناعية وسفن الفضاء فى مداراتها بسرعة معينة بحيث تتزن قوة الجاذبية مع القوة المركزية الطاردة . ومن الطريف أن أقمار الاتصالات اللاسلكية تبدو للمراقب لها من الأرض كأنها معلقة ثابتة فى السماء نظرا لدورانها حول الأرض بسرعة تعادل سرعة دوران الأرض حول نفسها !

وتلعب الجاذبية دورا هاما فى الكون كله . وعلى سبيل المثال فان النجوم تولد وتموت بسبب الجاذبية . فعندما يولد النجم تتجمع مادته بفعل الجاذبية من الغاز والتراب الكونى وتتراكم تدريجيا فترتفع درجة حرارة النجم بسبب كثرة تصادمات المادة عند تجاذبها ويبدأ بذلك التفاعل النووى فى باطن النجم فتتولد الطاقة التى تؤدى الى استقرار حجم النجم وكتلته فى مرحلة تدعى مرحلة الشباب حيث تتزن قوة الجاذبية التى تشد جميع مادته نحو المركز مع قوة الضغط الاشعاعى والحرارى خارج المركز . وعندما تنتهى التفاعلات النووية تتغلب الجاذبية وبذلك ينكمش النجم متحولا الى قزم أبيض أو نجم نيوترونى أو ثقب أسود حيث ينكدر النجم نهائيا ويموت . ويشير القرآن الكريم الى هذه الحقيقة الكونية التى اكتشفها العلم الحديث (١) بقوله تعالى :

« اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت » « التكوير ١ — ٢) .

وقوله تعالى :

« والنجم اذا هوى » (النجم ١) .

---

(١) يتوقع العلماء تكور الشمس الى الخارج وتحولها الى عملاق احمر عند شيخوختها ، ثم تكورها الى الداخل وتحولها الى قزم أبيض عند وفاتها .

حقا ان النجوم تولد وتمـوت وسبحان من له الدوام وصدق تعالى بقوله :

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قديـر . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » (الملك ١ ـ ٢) .

حقا ان النجوم التى تراهـا فى السماء والتى تسطع بألوانها المختلفة ما هى الا نجوم شابة باستثنـاء النجوم العمالقة الحمراء والأقـزام البيضاء والنجوم التى تسطع رغم وفاتها لأن الضوء الذى يعلن عن خبر وفاتها بآخر شعاع صدر منها لم يصل الينا بَعْد نظـرا لبُعْـد المسافة عنا !

كما أن النجوم النيـوترونية والثقوب السوداء نجوم ميتـة تم الكشف عنها حديثا بواسطة الفلك الراديوى والأقمـار الصناعية التى تقيس الأشعة السينية . ولقـد تم كشف أول نجم نيـوترونى عام ١٩٦٧ وهو نجم منكمش على نفسه بالجاذبية انكماشا شـديدا ويدور حـول نفسه مـرة كل ١/٣٠ ثانية وبهذا يبعث بنبضات راديوية نتيجة تسارع الاليكترونات الموجودة فى غلافه الكثيف. وأما الثقب الأسود فقد تم اكتشافه عام ١٩٧١ برصـد أشعة اكس التى تصدر من مـادة نجم أزرق يدور بالقرب من هـذا الثقب الأسود الخفى وذلك أثنـاء تسارع مادة هذا النجم بالجاذبية نحو الثقب الأسود الذى سيلتهـم حتما النجم المذكور . وسبحان الله نجم صغير منكمش ميت يلتهم هذا النجم الكبير الشاب ! . ان الثقوب السوداء (١) تلتهم بفضل جاذبيتهـا الخارقة كل ما يقتـرب منهـا من غازات واشعـاعات وأتربة كونية ونجـوم فهى تكنس السماء أثنـاء جريانها علاوة على اختفائها وعدم صدور أى ضوء منها . وقد تشير الآية الكـريمة التالية الى هـذه الحقيقة الكونية بقوله تعالى :

(١) الثقوب السوداء نجـوم ميتة منكمشة على نفسها وتمثل مقبرة فى السماء تجذب كل ما حولها ولا تسمح بهروب أى شىء منهـا حتى لو كان ضوءا .

« فلا أقسم بالخنس • الجوار الكنس » (التكوير ١٥ ــ ١٦) •
وقوله تعالى :

« والسماء والطارق ، وماأدراك ما الطارق • النجم الثاقب » (الطارق ١ ــ ٣) •

حيث تصف هذه الآية النجم بالطارق والثاقب معا •• والطارق لفظ يوحى بالحركة ، والثاقب لفظ يوحى بالنجم الذى يخترق الفضاء الكونى أثناء حركته الجبارة ويجمع بجاذبيته الشديدة كل ما حوله وكأنه يثقب الفضاء الكونى•

واتنقل الآن الى النظرية النسبية :

لقد أعلن اينشتاين عام ١٩٠٥ أن الزمن نسبى وليس مطلقا • وأن كل شيء متحرك يحمل زمنه معه ، وهذا طبعا أمر بديهى ، فالزمن مرتبط بالحركة أو المكان ، فلا زمان بدون مكان ، ولا مكان بدون زمان ، وعلى سبيل المثال فالسنة الشمسية على الأرض ممثلة فى مدة دوران الأرض حول الشمس تساوى ٣٦٥ ١/٤ يوما أرضيا بينما تساوى ٨٨ يوما أرضيا لكوكب عطارد ، ٢٢٥ يوما أرضيا لكوكب الزهرة ، ١١٫٩ سنة أرضية لكوكب المشترى ، ٢٥٠ سنة أرضية لكوكب بلوتو ، وقد تندهش اذا علمت أن يوم مجرتنا التى تتبع لها شمسنا مقاسا بالفترة التى تدور فيها المجرة حول نفسها مرة واحدة يعادل ٢٥٠ مليون سنة مما نعد على الأرض •

ولقد أشار القرآن الكريم الى نسبية الزمن بقوله تعالى :
« وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » (الحج ٤٧) •

وقوله تعالى :

« ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض » (الكهف ٢٥ ، ٢٦)•

وهذه اشارة الى أن ٣٠٠ سنة ميلادية تعادل ٣٠٩ سنة هجرية على الأرض • ونظرا لأن الزمن نسبى فان الآية تستطرد بعبارة : « قل الله أعلم بما لبثوا » •

صدق الله العظيم •

ويا لروعة القرآن الكـــريم ، ودقة تعبيـــره واعجـــازه العلمى البالغ .

ولم يقف الاعجاز العلمى عنـد هذا الحد بل تطرق القرآن الكريم لتفاصيل النظرية النسبية كمـــا يلى :

لقد أعلن اينشتين فى النسبيـة الخاصة أن الشيء المتحرك ســواء كان مادة أو طاقة ينكمش زمنــه بالنسبة للراصد الساكن . وخاصـة عندما تقترب سرعة الشيء المتحرك من سرعة الضــوء . ولتوضيح ذلك فان الرحلة التى تستغـرق آلاف السنين حسب الساعة الأرضية قد تدوم يوما واحـدا بالنسبة لطاقم صاروخ منطلق بسرعة تقترب مـن سرعة الضوء . ويزداد انــكماش الزمن بازدياد السرعة .

ولقد ثبتت صحة هذه النظـرية فهناك جسيمات ذرية تطول أعمارها فى نظر راصدها نظرا لانكمـاش زمنها الى مئات أو آلاف المرات اذا تحركت بسرعة قـريبة من سرعـة الضوء . ولهذا أدعـــوك يا أخى المسلم أن تتأمل الآيتين الكريمتين التاليتين :

« تعرج الملائكة والروح اليـه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (المعارج ٤) .

وقوله تعالى :

« ثم يعرج اليــه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » . (السجدة ٥) .

وانكماش الزمن هنا واضح فى الآيتين . فالعروج فى الرحلة الأولى يتم فى يوم كان مقداره خمسيــن ألف سنة بينما العروج فى الرحلة الثانية يتم فى يوم كان مقـــداره ألف سنة . وليس هذا تعارضا على الاطلاق بل اشارة الى أن عـروج الملائكة والروح يتم أسرع مـن العروج الآخـر الخاص بالمخلوقات الأخرى ، وهذا على ما أعتقد أمر بديهى حيث تسبقنا الملائكة [1] .

---

(١) مصداقا لقوله تعالى : « وترى الملائكة حافين من حـول العرش ، يسبحون بحمـد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » . (الزمر : ٧٥) .

والعروج هنا مقصود به الصعود فى مسار منحنى وليس فى خط مستقيم وقد نندهش عندما نعلم أن أينشتين قد أعلن فى نظريته النسبية العامة عام ١٩١٦ أن الحركة فى الفضاء الكونى لأى شىء سواء مادة أو طاقة تتم فى مسارات منحنية نظرا للجاذبية العامة !

فهل عرفت الآن لماذا يعبر القرآن الكريم دائما عن الحركة فى الفضاء الكونى بكلمة عروج كما فى الآيتين السابقتين والآيات الكريمة التالية التى تعرضت لأسفار الفضاء :

« ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون » (الحجر ١٤)

وقوله تعالى :

« يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها » (سبأ ٢)

فهل قرأ أينشتاين القرآن الكريم قبل أن يعلن نظريته النسبية أم أن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام كان يعرف النسبية قبل ظهورها ، وذلك فى نظر أولئك الكفار الذين يدعون ظلما وبهتانا أن القرآن الكريم من تأليف البشر ! !

ولقد ثبت فعلا أن الضوء ينحنى فى الفضاء وأن الاجرام السماوية تنحنى فى مسارها فى الفضاء وأن المجرات كلها تتباعد عن بعضها كما لو كان الكون كله يتسع ويتمدد.

وان الكون كروى يشبه البالون المستمر فى الانتفاخ ويشير القرآن الكريم الى اتساع الكون وتمدده بقوله بعالى :

« والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » (الذاريات ٤٧) .

ثالثا ـ الطاقة والكون :

لقد خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون من مادة وطاقة .

فالمادة قد تشع الطاقة كما فى ضوء الشمس والنجوم ، وقد تحترق لتعطى الطاقة كما فى الخشب والفحم والبترول ، وقد تنحل اشعاعيا لتعطى الطاقة كما فى

المواد الذرية المشعة ولهذا فالكون يعج بالطاقة المرئية وغير المرئية . وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » (الحاقه ٣٨ ، ٣٩)

وقوله تعالى :

« الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون » .

(النمل ٢٥)

فنحن نرى ضوء الشمس والنجوم بأعيننا وهو جزء ضئيل من طاقة النجوم التى تبعث باشعاعات غير مرئية مثل الاشعاعات الراديوية ودون الحمراء والفوق بنفسجية والسينية وجاما علاوة على الجسيمات الذرية غير المرئية العالية الطاقة كالأشعة الكونية التى تملأ أرجاء الكون والتى يتم اصطياد معظمها بفضل المجال المغناطيسى للأرض بدوران هذه الجسيمات فى أحزمة تحيط بالأرض (بعد الغلاف الجوى) تدعى أحزمة فان ألن الاشعاعية والتى تم اكتشافها فى عصر الفضاء نظرا لخطورتها على رواد الفضاء الذين يخترقونها ولهذا يجب عليهم تجنب المرور بها . كما أن الغلاف الجوى للأرض يقوم بامتصاص الأشعة غير المرئية والعالية الطاقة مثل الأشعة فوق البنفسجية والسينية وجاما ، فلا يصل الينا منها الا القليل علاوة على أن الغلاف الجوى يحرق ملايين الشهب التى تحتك به أثناء هبوطها فلا تصل الى الأرض . وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » (الأنبياء ٣٢)

والشمس تعتبر المصدر الرئيسى للطاقة فى عالمنا . فهى حقا شجرة الطاقة التى تتفرع منها كل أنواع الطاقة التى نعرفها على الأرض . فالرياح تنشأ بتسخين سطح الكرة الأرضية بدرجات حرارة متفاوتة بواسطة أشعة الشمس . كما أن مساقط المياه تتكون بسقوط الامطار التى نشأت أصلا من تبخر مياه المحيطات والبحار بتأثير حرارة

الشمس . كما أن الخشب والفحم والبترول أصلها نباتات أو حيوانات قديمة نمت وعاشت بفضل الشمس والطاقة الكهربية من الدينامو تتولد من مصادر أصلها الشمس كالبترول أو مساقط المياه أو الطاقة الذرية. والطاقة الذرية تنشأ من مواد مشعة موجودة بالأرض وتم طبخها منذ بلايين السنين فى باطن الشمس . فهل اقتنعت الآن أن الشمس هى شجرة الطاقة فى عالمنا . وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« أفرأيتم النار التى تورون. أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين . فسبح باسم ربك العظيم . فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » (الواقعة ٧١ — ٧٦)

حقا ان الشمس شجرة الطاقة. وان الشمس نجم من النجوم. وان مواقع النجوم شىء مذهل ! فالشمس تبعد عنا مسافة قدرها ٩٣ مليون ميل ! ويقطع الضوء هذه المسافة بسرعة قدرها ١٨٦٠٠٠ ميل/ثانية فيصل الينا فى زمن قدره ٣/١ ٨ دقيقة ضوئية . وأقرب النجوم الينا بعد الشمس هو النجم الفاقنطوروس الذى يبعد عنا ٢٦ مليون مليون ميل أى مايعادل ٤ر٤ سنة ضوئية(١) ، وأما نجم الشعرى اليمانية ، وهو ظاهريا ألمع نجوم السماء فيبعد عنا ٩ سنوات ضوئية. ونجوم مجرة المرأة المسلسلة تبعد عنا ٣٥ر٢ مليون سنة ضوئية ويمكن رغم هذا رؤيتها بالعين المجردة !. فما بالك بالنجوم التى أمكن رصدها بالتليسكوبات الحديثة (مثل تليسكوب بالومار فى أمريكا) والتى تبعد عنا أكثر من بليون سنة ضوئية . وما بالك بالتليسكوبات الراديوية التى تمكنت حديثا من رصد نجوم تبعد عنا عشرة بلايين سنة ضوئية .

ولقد اتضح أن جميع النجوم ليست ثابتة كما تبدو فى السماء ولكنها تتحرك وتجرى بسرعات جبارة لا نستطيع ادراكها نظرا لبعدها عنا .

(١) السنة الضوئية = ٦ مليون مليون ميل = ٥ر٩ مليون مليون كيلو متر .

ولكن العلم الحديث قد اكتشف هذه الحركة بملاحظة الازاحة الناشئة فى طيف هذه النجوم . ولقد ثبت فعلا أن للشمس مثلا عدة تحركات مثل :

١ - دوران الشمس حول نفسها مرة كل ٢٧ يوما .

٢ - الشمس تجرى ومعها مجموعتها الشمسية ونحن طبعا معها بسرعة فائقة قدرها ١٣٨ ميل / ثانية أثناء دورانها حول مركز مجرتنا والمعروفة بسكة التبانة .

٣ - الشمس تجرى ونحن معها بسرعة ١٢ ميل / ثانية بالنسبة لما حولها من نجوم مجرتنا .

٤ - تجرى الشمس مع نجوم مجرتنا وذلك نظرا لانطلاق مجرتنا فى الفضاء الكونى بسرعة تصل الى المليون ميل / ساعة ضمن ظاهرة التمدد الكونى . وذلك الى جهة غير معلومة .

وصدق الله العظيم بقوله تعالى : « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (١) .

والشمس كما نعلم نجم من ١٣٠ بليون نجم فى مجرة سكة التبانة. وهى احدى مجرات الكون العظيم الذى يحتوى على أكثر من ٢ بليون مجرة !

والشمس كتلتها ٢ بليون بليون بليون طن أى ما يعادل كتلة ٣٣٣٤٠٠ كرة أرضية مثل أرضنا . وحجمها قدر حجم الأرض أكثر من مليون مرة ، ودرجة حرارة سطحها ٦٠٠٠° م بينما باطنها أتون قدر العلماء حرارته بأكثر من ٢٠ مليون درجة مئوية . وتنشأ الطاقة من اختفاء المادة وليس احتراقها . حيث يتحول الايدروجين بالاندماج النووى الى هيليوم على حساب النقص فى الكتلة بمعدل يصل الى ٤٫٦ مليون طن فى الثانية !

وطبقا لهذه الأوصاف العلمية التى تفيد بأن الطاقة بالشمس طاقة نووية اندماجية وليست طاقة احتراق بمعنى أن الشمس ليس بها النار التى نعرفها والا لما دامت بلايين السنين . وطبقا للتقارير الواردة بواسطة رواد الفضاء عن

(١) لفظ تجرى هنا يعبر عن الحركة الحقيقية للشمس وليس الحركة الظاهرة اليومية من الشرق الى الغرب .

ظلمة السماء بعد مغادرة الغلاف الجوى وعن صخور القمر السطحية التى ثبت أنها تحتوى على نسبة عالية من الزجاج • فاننى أقترح فهما وتصورا جديدا للآية الكريمة التالية :

« الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » •

(النور ٣٥)

ويقصد بمطلع الآية : « الله نور السموات والأرض » أن الله منورهما • ويقصد بالمشكاة : الكوة أو المكان المظلم الذى لا نور فيه • وحيث أن السماء بعد مغادرة الغلاف الجوى تكون حالكة الظلام رغم بزوغ الشمس والنجوم فيها طبقا لوصف رواد الفضاء فاننى أعتقد أن السماء بعد الغلاف الجوى هى المشكاة فالسماء لا يوجد بها ما يشتت الضوء الى أعين الرواد ، فهى ليل سرمدى دائم •

وهذه حقيقة فالليل هو الأصل كما يتضح من قوله تعالى :

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » •

(يس ــ ٣٧)

وقوله تعالى :

« أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها » •

(النازعات ٢٧ ــ ٣٠)

وبهذا فان ليل السماء الدائم هو المشكاة ، وحيث أن المشكاة فيها مصباح ، والمصباح فى زجاجة • فان هذا المصباح هو القمر الذى ثبت أن صخوره السطحية تحتوى على نسبة عالية من الزجاج طبقا لنتائج فحص الصخور القمرية التى أحضرها رواد الفضاء فى رحلاتهم المتعاقبة الى القمر (١) •

---

(١) زجاج القمر ورد ذكره فى تقارير وكالة ناسا وجميع الكتب والبحوث التى تحدثت عن صخور القمر حيث ثبت أن نصف العينات عبارة عن قضبان وكرات لامعة من الزجاج !

ونعود الى آية النور فى وصفها للزجاجة « كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار » ومعنى هذا أن الزجاجة التى تمثل فى مفهومى الغلاف السطحى للقمر تظهر مثل كوكب لا يضىء بذاته ، ولكنه يعكس الاشعة القادمة من شجرة الطاقة أى من الشمس التى تشبه الزيتونة وليست فى الشرق أو الغرب فهى متنقلة متحركة علاوة على أن طاقتها نووية وليست طاقة احتراق أى لا تحتوى على النار **كما أنها مباركة تعتمد عليها حياة الانسان ، بل ان الانسان** نفسه وجميع الكائنات على الأرض قد تم تكوين ذرات مادتهم فى الشمس منذ بلايين السنين !

هذا هو تصورى فى فهمى لآية النور . والله بكل شىء عليم .

رابعا ــ غزو الفضاء :

لعل أعظم ما وصل اليه الانسان فى القرن العشرين هو وصول الانسان الى القمر فى ٢١ يوليو عام ١٩٦٩ . **ولقد سبق أن أشار القرآن الكريم الى هذا الحدث الرائع فى اعجاز علمى بالغ بقوله تعالى :**

« والقمر اذا اتسق ، لتركبن طبقا عن طبق ، فما لهم لا يؤمنون واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون » .

(الانشقاق ١٨ ــ ٢١)

حقا لقد ركب الانسان طبقا عن طبق بغرض الوصول الى القمر ، ولقد تم هذا الركوب كما يلى :

١ ــ تدرب رائد الفضاء على مرحلة انعدام الوزن قبل القيام بالرحلة ، وذلك بالدوران فى أطباق بسرعات مختلفة .

٢ ــ يركب رائد الفضاء فى كابسولة فى أعلى صاروخ متعدد المراحل كما لو كان الصاروخ طبقا عن طبق .

٣ــ اختراق الصاروخ لطبقات الغلاف الجوى المختلفة مثل طبقات التروبوسفير والستراتوسفير والأيونوسفير .

٤ ــ لقد تم ارسال العديد من سفن الفضاء قبل نجاح الوصول

الى القمر . وكانت هـذه السفن كالأطباق تحمل ركابا متعاقبين طبقا عن طبق وهؤلاء الركاب أو الرواد هم على الترتيب :

جاجارين ، شبرد ، جريسوم ، شـيرا ، كوبر ، بايكوفسكى ، فالانتينا ، ثم تتـابعت الرحـلات برائدين ، ثم بثلاثة رواد فى مركبة بعد مركبة . ألا يعبـر هـذا كله عن العبارة « طبقا عن طبق » . ؟

٥ ـ لقد نجح رواد الفضـاء الامريكيون فى رحلة أبوللو ١١ فى يوليو عام ١٩٦٩م فى الوصول الى القمر حيث هبط نيل آرمسترنج وألدرين بالمركبة القمرية على سطح القمر بينمـا كان زميلهم الثـالث كولينز ينتظرهما فى مركبة أخـرى تدعى كولومبيا فى مدار حول القمر حيث التحمت بها المركبـة القمرية بعد أداء مهمتهـا وعادوا جميعـا سالمين الى الأرض ، وقـد ركبوا فعلا طبقا عن طبق !

٦ ـ لقد تتابعت رحلات أبوللو ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ وانتهت فى عام ١٩٧٢م . أليس هذا أيضا طبقا عن طبق فى سبيل الوصـول الى القمر ؟

وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« فما لهم لا يؤمنـون ، واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون »

وعلينا أن نعتز بديننا الذى جعلنا نعيش كل عصر بـروح العصر . وعلينا أن نفخر بقرآننا الذى قدم لنا الحقائق الكونية فى اعجاز علمى رائع يتحدى كفار الأمس واليوم والمستقبل وسيظل العلم الحـديث قزما أمام ما قدمه القـرآن الكريم من حقائق عملاقة عن هـذا الكون الفسيح . ولن يحدث تناقض بين العلم والقرآن الا اذا ضـل العلم طريقه . كمـا أن تخلف المسلمين للأسف الشديد يرجع الى تقصيرهم ومخالفتهم للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفـة وابتعادهم عـن العلم . فالاسلام قد حث المسلمين على العلم والتقدم ودراسة الكون بقوله تعالى :

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » .

(يونس ١٠١)

وقوله تعالى .

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » .

(العنكبوت ٢٠)

وقوله تعالى :

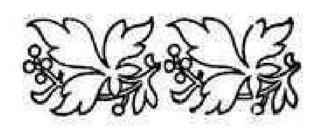
« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

(آل عمران ١٩٠ ـ ١٩١)

وفقنا الله لخدمة الاسلام والمسلمين .

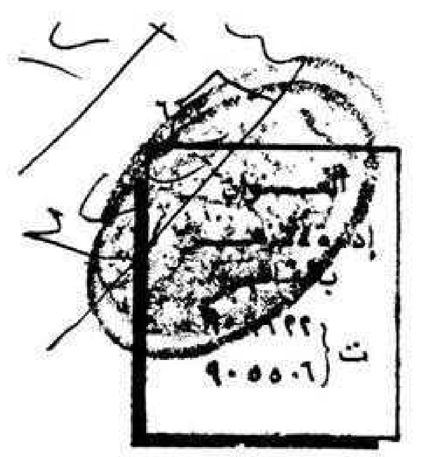
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدكتور منصور محمد حسب النبى
استاذورئيس قسمالطبيعة (الفيزياء)
كلية البنات ـ جامعة عين شمس



فهـــرس العـــــدد

الموضـــــوع	الصفحة





مدير المجلة
محمد صابر البريدي

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

ت ٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع ـ السنة الثانية والخمسون ـ رجب سنة ١٤٠٠ هـ ـ يونيه سنة ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة
إفتتاح العدد

للأستاذ محمد صابر البريدي
مدير المجلة

يطيب لى وقد أسند الى (ادارة مجلة الأزهر) أن أبعث الى قرائها فى كل مكان ، داخل جمهورية مصر العربية وخارجها ، بتحية الاسلام ، راجيا الله أن يوفقنى فى هذه المهمة الجليلة ، لتكون مجلة الأزهر مؤدية لرسالة الأزهر ، معبرة عن جوهره الأصيل .

وقد اعتادت المجلة أن تتوقف عن الصدور : شهرى جمادى الأولى ، وجمادى الآخرة من كل عام لتبدأ نشاطها من جديد فى شهر رجب .

وأسرة المجلة اذ تقدم لقرائها عددها الجديد ، ترجو أن يشعر القارىء بلمسات طيبة فيما يتصفح من صفحات ، وفيما يتذوق من أفكار وموضوعات .

وفى هذا العدد ، والأعداد

التالية (بمشيئة الله) كتاب جدد من رجالات الفكر الاســـلامى ، والأساتذة المتخصصين الذين تتلمذ عليهم آلاف الطلاب ، وعـــرف فضلهم وعلمهم قراء كثيرون .

وقد تفضـــلوا مشـــكورين بالمشاركة فى امداد المجلة بمـــا جادت به قرائحهم ، ايمـــانا منهم بأن هذه المجلة هى لسان الأزهر ، وعنوان الأزهريين .

ومن الخير للأزهر والأزهريين ولغيرهم من المسلمين ممن يهمهم أمر الدين أن تشرح رســـالة السماء ، وأن توطـــد فى أذهان الناس وأن يقوم أولو الفكر مـــن رجال الاســـلام ، أهـــل العلم والحكمة والتجربة فى نشر أسس هذا الدين ومعالم حضارته .

وهم اذ يتقدمون بهذا الجهـــد فى هذا السبيل انما يبتغون بـــه وجه الله .

وأسرة المجلة اذ تقدر لهم هذا الجهـــد الجليل ترجـــو الله أن يجزيهم بخير مايجـــزى به عباده المحسنين .

« وبمشيئة الله » ســـنوالى فى الأعداد القادمة نشر مالم نستطع نشره للكتاب الأفاضل ، وستكون لبعضهم أبواب ثابتة يكتبون فيها .

ونحن نرحب برجال الفكـــر الاسلامى ممن يهمهم أن يساعدوا فى تطوير المجلة ، تطـــويرا يحقق لها التفوق فى كل المجالات .

وأسرة المجلة تحرص عـــلى أن تقوم بمراجعة الطبع قبل الاعتماد مراجعة دقيقة ، بقدر ما تتحمـــل وتطيـــق ، حتى تخـــرج المجلـــة (بمشيئة الله) أقرب ماتكون الى الصـــواب .

وســـتدرس كل الأســـباب التى تعوق ظهور المجلة فى حينهـــا فى أول كل شهر عربى ، وستعمل على ازالـــة كـــل مايعترض ذلك مـــن معوقات .

رب ان الهدى هداك ، والخير بيدك ، ولا ملجأ الا اليك .

رب اهد الأمة الاســـلامية الى محاسن دينك ووفقها لمـــا تحبـــه وترضاه .

والله الهادى الى سواء السبيل .

محمد صابر البرديسى

ردا على ماورد فى بعض الصحف من التقـول على علمـاء الازهر ، ومشـيخته ونسـبة القول اليهم فى موضوع تنظيم الأسرة وتصـويره احيانا بتحديد النسل ، وتوضـيحا لوجه الحقيقة وانصـافا للحـق ، آثرنا ان ننشر ما سبـق ان نشر فى مجلة الأسرة والسكان وحتى نخلص الأفكارمن بعض الأهواء والأغراض التى لا تتفق مع الدين .

لقـاء مـع فضـيلة

الإمــام الأكبر

الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصـار شـيخ الأزهـر

السـائل : على الرغم من المهـابة والجـلال اللتين يمكـن أن تستحضرهما النفس عند مجرد التفكير فى الالتقاء به الا أن تخلقه الحق بخلق الاسلام ، يجعل الأمر أكثر من عادى .

فالرجل يلقاك هاشا باشا ودودا محبيا ، بطريقة لا تلبث أن تشـعر معها بأنك سبق والتقيت به من قبل .

فاذا كان أكبر لقب فى عالمنا الاسلامى اليوم ــ فضـيلة الامام الأكبر ــ جدير بأن يحملك على الشـعور بالمهابة والجلال ، فانه يكفى الرجل أن يكون خلقه الاسلام ، حتى تشعر تجاهه بالألفة والمودة ، قدر ما يحلق بك الخيـال .

فمنذ الوهلة الأولى تجدك أمام رجل مفتوح العقل والقلب ، مرهف

الحس والوجدان يحترم العقل ويتحدث بالمنطق ، ولكنه قبل ذلك ومن بعده يؤكد على الحقيقة الكبرى وأعنى حقيقة الايمان .

كل ذلك جعلنى أتصور أن مهمتى ستكون سـهلة وأنا ألتقى به فى حوار حول المشكلة السكانية ، أو مشكلة الانفجار السكانى ، ولكنـه بادرنى بقوله :

فضيلة الامام : أنا فى الواقع أرى أنه لاتوجد مشكلة وانمـا المشكلة توجد فى ضوء معين ، فلو أننا عدلنا هذا التصور لما كانت هناك مشـكلة .

ونحن عندما نتحدث لانتكلم من وجهة نظر قومية محلية وانما من وجهة نظر أعم وأوسع ، أعنى أننا نتحدث من خلال المجتمع الاسلامى ككل ، ذلك أن اقامة العدل فى المجتمع لا تقاس ببقعة معينة من الأرض دون الاخرى ، وانما طالب الله المسلمين أن يقيموا العـدل بينهم فى جميع البقاع والاصقاع ، وعلى أى مستوى من المسـتويات . لان الاسلام لايعرف الحدود الجغرافية ، ولا الفواصـل الجنسـية ، ولا يعرف الاقليميات أو المحليات بحال من الاحوال .

حينما تقول بأن هناك انفجارا سكانيا ، كيف نشأ هذا الحـكم ؟ لاشك أنه نشأ نتيجة لنظرتنا الى مواردنا فى داخل حدود بلدنا وقياس الزيادة فى هذه الموارد على الزيادة فى عدد السكان وحينما نجد أن معـدل الزيادة فى السكان أسرع منها فى الموارد نقول : ان هناك انفجـارا سـكانيا .

المصرى يتقن الفلاحة منذ القدم :

حقيقة هناك مشكلة سكانية فى مصر ولكنها نشأت نتيجة أننا حصرنا **أنفسنا فى شريط** ضيق من الأرض الزراعية على جانبى النيـل وأهملنـا **باقى البقاع الأخرى التى تصلح للزراعة** ، أهملنا توصيل المياه اليهـا أزمانا طويلة ، وكان يمكن أن نخلق منها وديانا زراعية جديدة ، تتسع

لأضعاف أضعاف ما تحمله من سكان الآن ، وليس هذا بالامر الصحيح الذى نستطيع أن نبنى عليه حكما من الأحكام ، لأن عنصر التقصير فيه حاصل ، وعنصر التكاسل والتواكل هنا موجود .

لا شك أنك تعلم أن الجهد البشرى ينمو على أساس النمو السكانى والزيادة السكانية ، بشرط ألا تكون زيادة قاحلة أو قفرة كما هو الحال فى المجتمعات التى تتسم بالكسل والتواكل والعجز ، **فاذا اتسم المجتمع بالجد فى العمل** والاستثمار النافع لكل ما هو كائن فى الأرض **فان الزيادة السكانية هنا تعنى مزيدا من الطاقة البشرية والجهد الانسانى ،** ونحن فى مصر لدينا هذه الطاقة البشرية ولكنها شبه معطلة ، **ولدينا كما يقول الرئيس السادات،الامكانات اللازمة للزراعة :كالمياه والأرض القابلة للزراعة والمناخ الممتاز ، بالاضافة الى الخبرة بل أقول العبقرية ،** فمنذ قدماء المصريين حتى الآن ، والمصرى معروف باتقانه للزراعة والفلاحة ، لكنه لم يتوسع فى مساحة الأرض المنزرعة لغيبة دور الادارة فى التخطيط والتنفيذ ، ولو وجد هذا الدور منذ القدم لكانت كل هذه البقاع ــ التى نسعى الى تعميرها الآن ــ قد عمرت وأصبح فيها حضارات قائمة .

السائل : هذا صحيح .

لماذا لايتعاون المسلمون ؟

فضيلة الامام : وعلى هذا الأساس فأنا أرى أن فكرتنا عن الانفجار السكانى ناتجة عن أمرين :

الأول : أننا لا نريد أن نعمل وننشط الأيدى العاملة لنضيف جديدا ونريد فقط أن نمنع النسل منبع هذه الكثرة السكانية مع أن ابن خلدون رائد علم الاجتماع يرى أن العمران البشرى أساسه كثرة السكان وبهم تقوم الحضارات .

الأمر الثانى : أننا لو نظرنا الى المجتمع الاسلامى لوجدنا بلـــدا اســـلاميا تعداده ثلاثة ملايين نسمة وامكاناته وثرواته المادية تعـــدل امكانات مجتمع آخر تعداده أربعون مليونا مثلا • لماذا لا يكون بينهمـــا تعاون وتكافل ؟

نحن لا نقول بتقسيم الثروة بينهما وانما نقول بالتعاون ، وبدلا من أن تستثمر هذه الدول الغنية تلك الأموال فى أوربا وفى دول غير اسلامية تستثمرها فى دول شقيقة فى الدين والعقيدة ، وليس فى هـــذا أى ظلم أو اجحاف لأى من الطرفين لو نظرنا الى المسألة من هذه الناحية لا نقول بأن هناك انفجارا سكانيا ، أيضا يجب ألا يغيب عن بالنا ما نعانيه الآن فى مصر من نقص فى الأيدى العاملة بالزراعة والذى يتمثل فى الشكوى من ارتفاع أجورها الى حد غير معقول •

ثم هناك الشكوى أيضا من قلة الأيدى العاملة المهنية والحرفية ، كالسباك والنجار والحداد ، وما الى ذلك ، والمغالات فى أجورها الى درجة أصبح يتندر بها فى رواية لعلك تعرفها •

السائل : لا بأس من ذكرها هنا لو أذنت •

فضيلة الامام : (حينما استحضرها فضيلة الامام الأكبر فى ذهنه ضحك قبل أن يرويها) ثم قال :

جاء السباك ليصلح حنفية فى منزل استاذ جامعى ، ولم يستغرق ذلك أكثر من ربع ساعة ، وحينما سأله الأستاذ عن الأجر الذى يقدره لنفسه طلب خمسة جنيهات ، وبعد أن عقدت الدهشـــة لســـان الأســـتاذ الجامعى بعض الوقت تمالك نفسه وقال له : أتريد خمسة جنيهات فى ربع ساعة !! ألا تعلم أنى أحاضر فى الجامعة لمدة ســـــاعة نظير جنيهين !! فكان رد السباك ،وأنا مالى ياأخى حد قال لك خيب نفسك واطلع استاذ جامعة •

فلنعد النظر فى السياسة التعليمية :

وأياما كان نصيب هذه الرواية من الصحة فان الأمر يدلنا على أن هناك عجزا فى الأيدى الحرفية والمهنية يستوجب أن نخطط لعلاجه داخل الأسرة ذاتها ، ومن ثم **فان الذين يعنون بتنظيم الأسرة يجب أن يهتموا بتغيير النظرة الى العملية التعليمية بحيث يوجه القدر الاكبرمن التلاميذ الى التعليم الفنى بعد الشهادتين الاعدادية والثانوية ٠** ولست بحاجة الى أن أشير الى تفوق دخل الحرفى أو الفنى على خريج الجامعة ، بل انه أصبح من الصعب أصلا ايجاد نوع من المقارنة ٠

التنظيم لايتعارض مع الشرع :

أما عملية تنظيم النسل فانه لا يصح أن تكون حكما عاما ، وانما يجب أن يترك الأمر لكل أسرة على حدة وفقا لظروفها ، فالأسرة التى لديها من الأسباب ما يقتضى المنع كمرض الزوجة أو ارهاقها أو اصابة الأولاد بمرض وراثى كالعته أو التخلف العقلى أو الشلل عندئذ يجب المنع لأن ظروف الأسرة تقتضى ذلك ٠

السائل : ولا يتعارض هذا مع الشرع ؟

فضيلة الامام : لايتعارض مع الشرع طبعا ، ولا مع نظام الأسرة ومصلحتها **وهذا ليس رأيى فقط وانما هو رأى مجمع البحوث الاسلامية** حينما سئل فى هذه المسألة ٠

السائل : ولعل هذا يتفق مع معنى الحديث الشريف « يوشك أن تداعى عليكم الامم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ٠ قالوا أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : لا ، بل أنتم حينئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » ٠

أى أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يريدنا أمة قوية بين الأمم ،

ولاشك أن قوة الأمة تقوم على قوة أفرادها ، ولا يريدنا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ غثاء أو كثرة بدون فعالية ، ما هو الحال حينما يكون النسل مصابا بالعته أو التخلف العقلى أو الشلل أو غير ذلك مما أشرتم اليه من قبل كموجب لمنع النسل •

فضيلة الامام : نعم ، ويضاف الى ذلك المنحرف أخلاقيا ، أو غير المتماسك ، لأنه لم يرث التربية الصحيحة ولم ينشأ التنشئة الطيبة الصالحة ، فقد يكون صحيح البدن والعقل ، ولكنه لا يريد أن يعمل **لمجتمعه ،ويؤثر نفسه ،ولا يشارك بايجابية فى بناء المجتمع • هذا يكون غثاء كغثاء السيل أيضا ، وليس المرض فقط ،** صحيح أن المرض قاطع بأن هذه الاسرة يجب أن تمنع من الانجاب لأن **الله لايريد للمسلمين ولمجتمعهم أن يكونوا جماعة من المتخلفين عقليا** والمشلولين وما الى ذلك اذا كان ذلك مرضا وراثيا ، أو ثبت أن الأسرة غير صالحة للانجاب •

لكنى أريد التأكيد على ضرورة استثمار الزيادة السكانية فى مجالات العمل ، خاصة ونحن نسعى الى توسيع الرقعة الزراعية ، من الذى سيفلح الأرض ولدينا هذا العجز فى الأيدى العاملة فى الزراعة ؟ ولتذهب الى الريف لترى •

السائل : أنا من أعماق الريف •

فضيلة الامام : اذن أنت تعرف ذلك ، ولا يخفى عليك أن الميكنة الزراعية ليست فى مقدور الأفراد ولابدأن تتولاها الدولة وهذا أمر يحتاج الى امكانات قد لاتكون متوفرة الآن وحتى لوتوفر لنا استخدام الميكنة الزراعية وأصبح لدينا فائضا من الأيدى العاملة فان هذا الفائض يجب استثماره فى مجالات أخرى من العمل ، وهنا يأتى دور التخطيط للسياسة التعليمية فى مصر •

أن الشباب الجامعى يجب أن يدرب ويؤهل للقيام بأعمال أوسع من دائرة الدراسة التى تلقاها ، حتى يزيد من دخله ، ولايقتصر على

الوظيفة الحكومية ، وهذا موجود فى جامعات أوربا كلها . ولايغيب عن بالنا ما تحتاجه سوق العمل العربية من الأيدى العاملة فى كافة المجالات .

اذن نحن بحاجة الى سياسة تعليمية جديدة بحيث لا يخطو الى المرحلة الثانوية الا مستوى معين من التلاميذ ، ويوجه الباقون الى الحرف ، والصناعات ، ثم لايمر الى التعليم الجامعى الا الأفذاذ الذين يسدون حاجة التخصص الدقيق الذى نحتاجه ، ويوجه الباقون الى التعليم الفنى وهكذا .

مزيدا من التنسيق والتنظيم لأمور حياتنا :

أيضا نحن نفتقر الى التنسيق العام بين أجهزة الدولة والنظرة الشمولية فى التخطيط ، فلا يصح أن يكون البحث دائرا بين أعضاء بعض لجان مجلس شعب وادى النيل حول أزمة اللحوم ومشكلة الأعلاف وما الى ذلك ، وفى نفس الوقت نقرأ فى الصحف أن محافظة مرسى مطروح صدرت خمسة آلاف رأس من الأغنام الى ايطاليا ، وتزمع تصدير مثل هذا العدد على رأس كل شهر !!

مثال آخر ، لافتقاد التنسيق والتنظيم فى أمور حياتنا ، أنك تجد كل مصلحة تعمل منفصلة عن الأخرى ، مصلحة التليفونات تحفر الشارع ، وبعد ردمه تحفره هيئة الكهرباء ، ثم بعد ذلك المياه ثم المجارى وهكذا .. لماذا لا يتم التنسيق والتنظيم بين هؤلاء جميعا قبل البدء فى المشروع اذ أن ، كل ذلك وثيق الصلة بتنمية موارد المجتمع لتتعادل مع الزيادة السكانية .

السائل : تأذن لى فضيلتك بالقول بأن جهاز تنظيم الاسرة والسكان أصبح يهتم فعلا بعملية التنمية بعد أن لاحظ أن عملية تنظيم النسل وحدها ليست كافية خاصة ، وأن ارتفاع المستوى الصحى العام يسهم بطريقة غير مباشرة فى زيادة السكان .

وبالتالى فهناك الآن عدة مشروعات للتنمية على مستوى القرية فى اثنتى عشرة محافظة وأنا شخصيا زرت مواقع هذه المشروعات على الطبيعة فى قرية « نواج » بمحافظة الغربية ، وشاهدت مشروعات لتربية الدواجن والنحل ،ومصنعا للالبان وآخر للبلاط ،وورشةللنجارة وقد حققت هذه المشروعات نجاحا كبيرا بالفعل لأنها خلقت موارد جديدة بالقرية ، وأصبح يتهافت على انتاجها : لجودته من جهة ، ولرخصه من جهة أخرى ، لكن هذه الجهود تحتاج الى دعمورعاية السادة المحافظين لها ــ خاصة ــ بعد منحهم سلطات رئيس الجمهورية •

وقـــل اعملوا

فضيلة الامام : أعرف قرية « نواج » وهذا عمـل طيب ولا شك بالاضافة الى أننى لا أطالب جهاز تنظيم الأسرة بأن يرفع يده نهائيا عن مراقبة النسل ، وانما عليه أن يستمر فى مراقبته وتنظيمه بل ومنعه فى الحالات الى أشرت اليها من قبل ، والتى تجعل المسلمين غثاء كغثاء السيل لأن الله سبحانه وتعالى أراد بالمسلمين خيرا ، **والاسلام جعـل** قيمة الفرد فى أن يعمل ، وبمقدار مايكون الفرد عاملا ومصلحا ، تكون منزلتـــه من الله ومكانتـــه عند الناس **« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة »** •

اذن السبيل الى الحياة التى ننشـدها لمجتمعنا هو التنمية ، تنميـة الحياة وترقيتها وسد حاجات المجتمع أفرادا وجماعات ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى المعول فى ذلك على العمل واستثمار الطاقات ، فليست حياة طيبة حياة الكسالى الذين لايريدون أن يعملوا أو يريدون أن يتقاضوا من الدولة مرتبات أو معونات ثم لا يستثمرون جهودهم فى العمل لصالحهم وصالح المجتمع ، قال تعالى : **« من عمل صالحا فلنفسـه ومن أساء فعليها »** ويقول أحد الفلاسفة فى هذا الصدد « اذا لم تكن لنفسـك فلمن تكون ؟ ولكن اذا كنت لنفسك فقط فلم تكون » ؟

اذن طولب المرء بأن يؤهل نفسه ويرقيها فى جوانبها المادية والفكرية والروحية ، الفكرية بتحصيل المعارف والخبرات ، والروحية بممارسة الفضائل والأخلاقيات ، أما الجانب المادى فبتمرين الجســـد عــلى الرياضيات البدنية وتحمل المشاق من الأعمال ، شريطة الا يطغى بقوته على الضعفاء • أو يتباهى على الجهلاء ، أو يستغل بذكائه الأغبياء •

بهذا يكون الفرد عضوا نافعا لنفسه ولمجتمعه وهـــذا أمر يجب أن تستهدفه التنمية ، تنمية الانسان فى ذاته وتنمية الانسان باعتباره عضوا فى المجتمع ، وليكن ذلك هدفا ورسالة يتحملها لا أقول جهاز تنظيم الأسرة فحسب وانما كل أجهزة الدولة ، هذا وبالله التوفيق •

« أشياء سميت بالرحمة »

سمى الله ــ تعالى ــ الايمان رحمة ، فقال سبحانه :

« وآتانى رحمة من عنده » أى الايمان •

وسمى الاسلام رحمة فقال ــ عز وجل :

« يدخل من يشاء فى رحمته » أى الاسلام •

وسمى القرآن رحمة ، فقال :

« وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين »

وسمى التوفيق رحمة ، فقال :

« ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبـــدا » أى التوفيق •

وسمى الرسول رحمة ، فقال :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »

مكانة الحديث فى التشريع الإسلامى

للدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

اصطفى الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا « صلى الله عليه وسلم » وأعده اعدادا كاملا ليتحمل أسمى رسالة يعطر بأريجها الدنيا تزكية للنفوس ، وتطهيرا للقلوب ، وتثبيتا للعقيدة الصحيحة وسيرا نحو النور فى الطريق المستقيم فى ميدان العقيدة والشريعة فأنزل على نبيه « صلى الله عليه وسلم » كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »** .

وأشرق ذلك الكتاب المبين يحمل فى نفسه دليل صدقه ذاتيا وهو الدليل الخالد على صدق الرسول « صلى الله عليه وسلم » فى كل ما جاء به ، وكان المعجزة الكبرى ، وبه تحدى الانس والجن **« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »** .

وعرف أرباب الفصاحة والبلاغة حلاوته وطلاوته وبلاغته وفصاحته ، وأيقنوا أنه ليس من كلام البشر ، وأن الذى جاء به انما هو رسول رب العالمين ، وحمل القرآن الأسس الكاملة للرسالة العامة الخالدة .

« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » وأمره الله بتبليغه .

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما

بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين » •

ولكن هل كل العقول مستعدة لفهم كل ما جاء به القرآن ؟

واذا فهمته فهل من سبيل الى **تفصيل اجماله ، وبيان ابهامه ؟**

اذن لابد من البيان والتفصيل والتوضيح فأمر الله نبيه فى كتابه أن يبين للناس مانزل اليهم **بسنته •**

قال تعالى : **« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »** وتكفل الله بعصمة **الرسول وامداده بالوحى وعصمته عن الخطأ والهوى فى كل ما يأتى به من قرآن وسنة فيها بيان** للقرآن أو تشريع مستقل **« وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى » « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه » •**

ومهد له الطريق وعبده لتذليل مهمته ، فأمر الناس بطاعة الرسول ونص فى قرآنه على أنها طاعة لله ، كما نص على أنه **لاخيرة فى الأمر بعد كلام الرسول** « صلى الله عليه وسلم » **« من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » وقال تعالى « فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » •**

قال ابن القيم : أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على نفى الايمان عن العباد حتى يحكموا رسوله فى **كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل ولم يكتف فى ايمانهم** بهذا التحكيم بمجرده بل حتى **ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ، ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما وينقادوا انقيادا •**

وقال الامام الشافعى « نزلت هذه الآية فيما بلغنا — والله أعلم — فى رجل خاصم الزبير فى أرض فقضى النبى صلى الله عليه وسلم للزبير ، وهذا القضاء سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حكم منصوص فى القرآن • أ هـ فكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وأثر عنه من السنة فاتباعه انما هو واجب لصريح أمر الله فى قرآنه باتباعه ، وهو بالتالى اتباع الله وقرآنه ، وهذا صريح فيما تقدم • وفى قوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، ومانهاكم عنه فانتهوا » وأخبر تعالى : أن الرسول أوتى القرآن والحكمة وهما مصدر التشريع فقال : « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين» وذهب جمهور العلماء والمحققين بأن الحكمة هى السنة ، وجزم بهذا الامام الشافعى لتغايرهما بالعطف ، وهى فى مقام المنة ، ولم يوجب علينا الا اتباع الرسول فلا يمكن أن تكون شيئا غير السنة •

« من يطع الرسول فقد أطاع الله » •

وحب الله فى اتباع الرسول وسنته « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم » •

فالقرآن هو الأصل الأول فى الدين الداعى الى السنة ، والسنة هى الأصل الثانى فى الدين ، وهى المبينة للقرآن ، المفصلة لاجماله ، والمستقلة بالتشريع ، فيها يعرف مثلا أوقات الصلاة ، وعدد ركعاتها وسجداتها وما يقيمها أو يبطلها مما لم يفصله القرآن ، بل أجمله فى الأمر بالصلاة كما انفردت السنة ببعض الأحكام مما لم يذكره القرآن مثل : تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها ، وتحريم الحمر الأهلية وكل ذى ناب من السباع أو مخلب من الطير ، الا أن مثل هذه الأمور يمكن أن يقال بأنها ليست مستقله استقلالا تاما عن القرآن ، حيث ان الأخذ بها

مندرج تحت أمر القرآن ، باتباع الرسول وسنته ، وأخرج أبو داود والتـرمـذى عـن المقـــدام ابن معديكرب . قال : قال رسول الله صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم «يوشك رجل منكم متكئا على أريكة يحدث» بحـــديث عنى ، فيقـــول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حـــرام حرمنـــاه ألا وان ما حرم رسول الله مثـــل ما حرم الله ــ زاد أبـــو داود ــ ألا انى أوتيت الكتـــــاب ومثله معـــه » والماثلة للكتاب هى السنة .

ومن رياض الســـــنة تفجرت ينابيع التفســـــير بالمأثور ، ومن رياض القرآن والســـــنة تكونت ثروة الفقه الاسلامى ، وهما أصل مصادر التشريع وهما ميزان العدل الالهى الصـــادق ، وعلى هديهما يستطيع المصلحون فى كل وقت أن يقيسوا أعمال الأفراد والجماعات والأمم ، ولا يكـــون الاعتـــدال الكامل فى الأخـــلاق والمعاملات والعبادات الا بالكتاب والسنة وقد توفى الرسول بعد أن ظل الناس بمكة والمدينة مركزى اشـــــعاع الـــدعوة الى الدنيا ثلاثا وعشرين سنة يقيم الناس معالم الدين على منهاج الحق بالكتـــاب والســـنة ، توفى وهو مطمئن الى أنه تركهما لنا ميزان حق وصـــدق لن نضـــل ما تمسكنا بهما قال « صـــلى الله عليه وسلم » « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى » .

تدوين الحـــديث الشريف

بعث الله فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وببعثه الرسول، وتلاوته الكتاب والحكمة النبوية ، وهى السنة ، زكت نفوس وطهرت قلوب وعمرت صـــــدور بالايمان فأقبلوا على رسول الله صـــلى الله عليه وســـــلم يتعلمون الكتـــاب والحكمة ، وأذكى فيهم ذلك الاقبال قدوة حسنة متمثلة فى الرســـول ، وبلاغـــة نادرة متمثلة فى الكتـــاب والســـنة ، وذوق عربى أصـــيل فى الصـــحابة ، حبب اليهم الكتاب والحكمة ، وذاكرة واعية ضربوا بها

المثـــل الأعـــلى فى قوة الحفظ ، أسعفهم بتسـجيل ما يلقى عليهم من الرســـول ، ووضـــعوه فى صـــدورهم الأمينة التى طهرها الاســـلام .

والقرآن يدفعهم ويوجههم الى العناية بالسـنة واتباع الرســول والرســول يفسر ويشرح بالسـنة وهم يحفظون ، ومعلوم أن القرآن نزل فى خلال ثلاثة وعشرين عاما ، فكان الرسول يبلغ الآيات ويفسرها وتطبق عمليـا ، وفى ذلك يقـول أبو عبد الرحمن السـلمى . حدثنا الذين يقرئوننا القــرآن كعثمـان ابن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، انهم كانوا اذا تعلمـــوا من النبى صلى الله عليه وسلم . عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمـل . قالـوا فتعلمنـا القرآن والعلم والعمـل جميعا . ونهج النبى معهم المنهج التربوى النبوى ، فكان يتعهدهم بالموعظـة كراهة الســآمه وفى ذلك تثبت للمعلومات .

روى البخارى بالسند المتصـل عن ابن مسـعود قال : كان النبى صلى الله عليه وسـلم : « يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهية السآمة علينا » والقرآن يدعوهم الى العلم **« قل هل يســتوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون»** والسنة تدعوهم الى العلم روى البخارى بالسـند المتصل قال النبى صـلى الله عليه وسـلم : « من يـرد اللـه بـه خـيرا يفقـه » وانمـا العـلم بالتعلم وفى رواية « من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين » ويأمرهم النبى صـلى الله عليه وسـلم . بالتبليغ ويقـول لهم « هذا فيبلغ الشاهد منكم الغائب فان الشـاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منـه » ودعـا لمن أدى مقالتـه كمـا حفظها فقال : نصر الله امرءا سمع مقالتى فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره » وقد التزموا أوامر رسولهم وتفـانوا فى الحرص عـلى تبليغ العلم .

روى البخـارى ، قال أبو ذر رضى اللـه عنـه : لـو وضـعتم الصمصامة (السيف) على هذه ــ وأشار الى قفاه ــ ثم ظننت أنى أنفـذ كلمة من رسـول الله صلى

الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا على وتقطعوا رأسى لأنفذتها .

وقال ابن عباس : « كونوا ربانيين حكماء فقهاء » ويقال الربانى — الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره .

وكان من عناية الصحابة بحديث النبى أنه كان الواحد منهم اذا شغله عمل أرسل صاحبه الثقة ليخبره بما يقول الرسول فكانوا يتناوبون فى السماع ويبلغ الشاهد الغائب ويسأل الغائب الشاهد ، وسطروا السنة على صفحات قلوبهم ، ووعوا كل ما سمعوا وما شهدوا ، وحرصوا على نشره وتبليغه ، وتعاون ثقات المجتمع الاسلامى من الصحابة فى حياة الرسول وبعد وفاته على حراسة سنة نبيهم ، وهل يشق على الآلاف الثقات من الصحابة المخلصين حراسة تراث رجل واحد رأوا فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ؟

وعدتهم فى ذلك ايمان عميق ، بنبيهم ، وبسمو سنته وذاكرتهم الواعية ، التى فاقوا فيها جميع الأمم ، وشعورهم الفياض بأن السنة هى سنة رسول رب العالمين، فلو تخصص عشرة من الصحابة ، وحفظ كل واحد منهم فى صدره ما يساوى كمية نصف القرآن الكريم الذى حفظوه لكانوا جديرين بحراستها ، فما بالك ، قد جند لها الآلاف الثقات الحفاظ أنفسهم ؟

هذا فضلا عن ان منهم من بدأ يكتب الحديث فى عهد النبى « صلى الله عليه وسلم » وان لم يكن التدين عاما قد كانت هناك صحائف خاصة ، كان عبد الله بن عمرو « رضى الله عنه » كاتبا محسنا ، اشتهرت صحيفته التى دون فيها الحديث « بالصحيفة الصادقة » لأنه كتبها عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » مباشرة فهى أصدق ما يروى عنه ، ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص لمجاهد : « هذه الصحيفة الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وليس بينى وبينه أحد ، وكانت عزيزة عليه للغاية حتى كان يقول ابن عمرو

« ما يرغبنى فى الحياة الا الصادقة والوهط » (١) .

وكان لجابر بن عبد الله الأنصارى صحيفة ، وكان لأنس ابن مالك صحيفة كان يبرزها اذا اجتمع الناس ، واشتهر ابن عباس بطلب العلم ، ودأب عليه ، وكان بعد وفاة الرسول « صلى الله عليه وسلم » يسأل الصحابة ويكتب عنهم وكان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قد دعا له كما فى صحيح البخارى فى باب العلم بالسند المتصل عن ابن عباس قال : ضمنى رسول الله «صلى الله عليه وسلم » وقال : « اللهم علمه الكتاب » وفى الكفاية : اللهم علمه الحكمة وعلمه التأويل ولهمام ابن منبه صحيفة وتسمى الصحيفة الصحيحة ، وهو أحد أعلام التابعين ، رواها عن أبى هريرة ،. ويقول الاستاذ الندوى : ان تأليف هذه الصحيفة يرجع الى أواسط القرن الأول لأن أبا هريرة توفى سنة ٥٨ هجرية ، وهى من املاء أبى هريرة ويقرر الاستاذ أبو الحسن الندوى متفقا مع صاحب تدوين الحديث العلامة مناظرا حسن الكيلانى رئيس القسم الدينى العلمى بالجامعة العثمانية « بحيدر آباد » بأنه اذا اجتمعت هذه الصحف والمجاميع ، وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث التى جمعت فى الجوامع والمسانيد والسنن فى القرن الثالث ، وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تسجيله من غير نظام وترتيب فى عصر الرسول « صلى الله عليه وسلم » وفى عصر الصحابة « رضى الله عنهم » . وقد شاع فى الناس — حتى المثقفين والمؤلفين ، أن الحديث لم يكتب ولم يسجل الا فى القرن الثالث الهجرى ، وأحسنهم حالا من يرى أنه قد كتب ودون فى القرن الثانى ، وما نشأ هذا الغلط الا عن طريقتين :

الأولى : أن عامة المؤرخين

---

(١) الوهط : أرض لعمرو بن العاص تصدق بها ووقفها .

يقتصرون على ذكر تدوين الحديث فى القرن الثانى ، ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت فى القرن الأول لأن عامتها ضاعت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات المتأخرة •

الثانية : أنهم لا يتصورون سعة هذه الصحف لكثرة الأحاديث الموجودة ، ويقول الكيلانى ، قد يتعجب الانسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية •

فيقال : ان أحمد بن حنبل كان يحفظ رضى الله عنه أكثر من سبعمائه الف حديث ، وكذلك يقال عن أبى ذرعة •

ويروى عن الامام البخارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ، ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة ، ويروى عن مسلم أنه قال : جمعت كتابى من ثلاثمائه ألف حديث • ولا يعرف كثير من المتعلمين فضلا عن العامة أن الذى يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد فحديث « انما الأعمال بالنيات » يروى عن سبعمائة طريق ، فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث •

وقد صرح الحاكم أبو عبد الله الذى يعتبر من المتسامحين المتوسعين : أن الأحاديث التى فى فى الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف •

ومعظم هذه الثروة الحديثة قد كتبت ودونت بأقلام رواة العصر الأول وقد يزيدها ما حفظ فى الكتب والدفاتر كتابة وتحريرا فى العصر النبوى ، وفى عصر الصحابة«رضى الله عنهم» على عشرة آلاف حديث اذ جمعت صحف ومجاميع أبى هريرة ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص وأنس بن مالك وجابر ابن عبد الله ، وعلى بن أبى طالب، وابن عباس « رضى الله عنهم » فيمكن أن يقال : ان ما ثبت من الأحاديث فى الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتبت ودونت فى عصر النبوة ، وفى عصر الصحابة قبل أن يدون الموطأ

والصــحاح بكثير « أ هـ » وهكذا تعاون الحفظ والتدوين على حفظ ســنة النبى « صــلى الله عليه وسـلم » فى عصر الصــحابة ، وعضوا عليها بالنواجز ، وعرفوا قدرها .

ولا نغفل ما حصل من أمر الوضع فى الحديث منذ سـنة أربعين من الهجرة بعد وقوع الفتنة ، وحرب الامام على ومعاوية والخـلافات السياسية والمذهبية والالحادية .

ولـكن مـن الطبيعى أن ذلك لا يصــدر الا عمن لا معـرفة ولا عناية لهم بالسـنة ، ولا ثقة للنــاس بهم ، ولا صــحبة لهم حقيقة مع الرسول ، ومن يحاول تقليد شىء لا علم له به يكون أمره مفضــوحا واهيا ، وماذا يفعلـون امام التيــار الجــارف من الحرص على السنة ، وقــد أحس الثقات بهم فحصروهم فى قـوائم سوداء ، وحصروا معهم الضعفاء فى قوائم الكذابين ، والوضـاعين والضعفاء .

وحصروا أحـاديثهم فى قوائم الموضــوعات .

وقوبلت حركة الوضع الهزيلة من الذين لا عناية لهم بالسنة ولا معرفة لهم بها ، بحـركة قويـة جبارة من علماء السنة ووضـعوا المقــاييس الفريـدة ، والمنهج القويم ، يســاند ذلك الحق والالهام والذوق والملكة ، ومعرفة أبطال الســنة وحرصــهم عليها ، فالتزموا الاسناد .

يقول محمد بن سيرين فى ذلك : لم يكونوا يسألون عن سناد فلمـا وقعت الفتنة ، قالوا سـموا لنـا رجالكم فينظر الى أهل الســنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر الى أهـل البدع فلا يؤخذ حديثهم ويقـول أبو العالية « كنا نسـمع الرواية بالبصرة ، عن أصحاب رسول الله « صـلى الله عليه وسـلم » فما رضينا حتى رحلنا اليهم فسـمعنا من أفواههم » .

ويقول عبد الله بن المبـارك : « الاســناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء » .

وعنه أنه قـال : « بيننا وبين القوم القوائم » يعنى الاسناد .

ويقول سيفان الثورى : « لمـا

استعمل الرواة الكذب ، استعملنا لهم التاريخ » ورحلوا من أجل الحديث .

يقول سعيد بن المسيب « ان كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد » . ووضعوا قواعد الاسناد والمتن وقضوا على حركة الوضاعين .

ولا يعارض كتابة الحديث فى عصر النبوة والصحابة ، ما روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى « رضى الله عنه » أنه قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم « لا تكتبوا عنى غير القرآن ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه وحدثوا ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فان ذلك كان فى بدء الدعوة حتى لا يختلط القرآن بالسنة ، ولم يستقر الأسلوب القرآنى بعد فى النفوس ، أو كان ذلك النهى بالنسبة لكتاب الوحى خاصة حتى يتفرغوا لمهمة القرآن ، أو النهى كان خاصا بكتابة الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة ، فانه يدل على الكتابة ، ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة « رضى الله عنه » أنه قال : « لما فتح الله على رسول الله « صلى الله عليه وسلم » مكة قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، فقام أبو شاه (رجل من اليمن) فقال أكتب لى يا رسول الله . فقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : اكتبوا لأبى شاه » وماروى البخارى فى كتاب العلم ، عن ابن عباس قال « لما اشتد بالنبى « صلى الله عليه وسلم » وجعه قال : آتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ... » الحديث .

وهكذا كان عصر الصحابة الذين شهدوا الوحى والتنزيل ، واختارهم الله لصحبة نبيه ، وجعلهم أعلاما وقدوة ونفى عنهم الشك والكذب والريبة ، وسماهم عدول الأمة ، فقال عز ذكره فى محكم كتابه « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس** » .

وفسر النبى « صلى الله عليه وسلم » وسطا : عدلا فكانوا أئمة الهدى ، وحجج الدين ، ونقلة الكتاب والسنة والحراس عليها ومعهم التابعون ، اختارهم الله لاقامة دينه ، وفقهوا فيه فأخذوا السنة عن الصحابة ، والذين اتبعوهم باحسان « رضى الله عنهم ورضوا عنه » •

يقول ابن أبى حاتم : ندبهم الله عز وجل لاثبات دينه ، واقامة سنته وسبيله المستقيم ، فلم يكن لاشتغالنا بالتميز بينهم معنى اذ كنا لا نجد منهم الا اماما مبرزا مقدما فى الفضل والعلم وفى السنة واثباتها ولزوم الطريقة واحتذائها ، رحمة الله ومغفرته عليهم أجمعين ، الاما كان ممن ألحق نفسه بهم ودسها بينهم ، ممن ليس يلحقهم ، ولا هو فى مثل حالهم لا فى فقه ولا حفظ ولا اتقان ولا تثبيت •

على أنه قبل أن ينقضى عصر الصحابة أمر الخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز بتدوين الحديث ، فكان التدوين الرسمى بأمر الخليفة على رأس المائة حينما رأى اتساع الفتوحات الاسلامية وانتشار الصحابة فى الأقطار وموت أكثرهم •

روى البخارى فى كتاب العلم من صحيحه « وكتب عمر ابن عبد العزيز الى أبى بكر ابن حزم ، انظر ما كان من حديث رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبل الا حديث النبى « صلى الله عليه وسلم » ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا » •

وأبو بكر بن حزم هو عامله وقاضيه على المدينة •

وأوصاه أن يكتب ما عنده عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارى ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر المتوفى سنة ١٢٠ هـ •

وكذلك كتب الى عماله فى أمهات المدن الاسلامية بجمع الحديث •

فقد أخرج أبو نعيم فى تاريخ أصـبهان أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أهـل الآفـاق : أنظروا حديث رسـول الله « صـلى الله عليه وسلم » فاجمعوه •

وأمر خليفة المسـلمين كعمر ابن عبد العزيز كفيـل بأن يشـغل الهمم ، ويصادف القبول فى النفوس المسـتعدة فتسرع للاجابة لتنفيذ أمره عـلى خـير وجه ، وقد لبى الأمر الامام الكبير محمد بن مسلم ابن شهاب الزهرى المتوفى سـنة ١٢٤ هـ وللزهرى مكانته وأمانته •

ثم شاع التـدوين فى الجيـل الذى يلى جيل الزهرى •

وكان أول من جمعـه بمكـة ابن جريج (١٠٥ هـ) وابن اسحاق (١٥١ هـ) ومـالـك (١٧٩ هـ) بالمدينة وسـعيد بن أبى عروبة (١٥٦ هـ) والربيع ابن صـبيح (١٦٠ هـ) وحمادين سلة (١٧٦ هـ) بالبصرة ، وبالكوفة سفيان الثورى (١٦١ هـ) وبالشام أبو عمرو بن الأوزاعى (١٥٦ هـ) وبواسـط هشيم بن بشر (١٨٨ هـ) وشعبة ابن الحجاج (١٦٠ هـ) ونجرسان ابن المبـارك (١٨١ هـ) وباليمن معمـر (١٥٣ هـ) وبالرى جرير (١٧٥ هـ) وبمصر عبـد اللـه ابن وهب (١٩٧ هـ) وهؤلاء كانوا فى عصر واحـد لا يدرى أيهـم أسـبق فى التـدوين ومنهجهم فى التدوين جمع حديث رسـول الله « صلى الله عليه وسلم » مختلطا بأقوال الصـحابة والتابعين ، مع ضم الأبواب بعضها الى بعض ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم نسجا عـلى منـوالهم الـى أن رأى بعض الأئمة أن يفرد حديث النبى « صلى الله عليه وسلم » خاصة على رأس المائتين فى أوائل القرن الثالث ، فألقت المسانيد ، ومنهج المسـانيد أن يجمع أحاديث كل صـحابى على حدة ، وأن تعدد الموضوع ومن هذه المسانيد مسند عبد الله بن موسى العبسى الكوفى ، ومسـند مسـدد بن مسرهد البصرى ، وأسـد بن مـوسى الأمـوى ، ونعيـم ابن حمـاد الخزاعى •

ثم اقتفى الأئمـــة أثـــرهم كالامام أحمـــد بن حنبـــل واســـحاق ابن راهوية وهما من اساتذة الامام البخارى ، وكان منهج هؤلاء مزج الصحيح وهو ما ثبت صـــحته بغيره ، ثم افرد البخارى الحديث الصـــحيح فى كتـــاب الجـــامع الصحيح •

د • الحسينى هاشم

من كلمات السيد الرئيس محمد أنور السادات فى خطابه التاريخى فى ١٤ مايو سنة ١٩٨٠ م

« رئيس مسلم لدولة اسلامية »

أقول لكم ولشـــعبنا ــ اننى يوم أن توليت الحكم فى مصر ، أحكم كرئيس مســـلم ــ أنا قلت يجب أن تسمى الأشـــياء بمسمياتها مصر ، دولة اســـلامية ، ومش دولة اســـلامية عادية ، بل لها مركز قيادى فى عالمها الاسلامى ، ومركز ريادة ، حيث حافظ الأزهر على الاســـلام طوال ألف سنة بشـــهادة مســـلمى العالم ، وكان يجب أن يعلم مثيروا الفتنة أن الضمانة الحقيقية للمسيحية فى مصر هو الاســـلام •

لما أقول رئيس مسلم لدولة اسلامية ، ليس منى هذا أبدا أننى لا أؤدى حق المسيحى قبل المسلم ، ولكن هذه دولة اسلامية ــ من عهد « البطريرك بنيامين » ــ وقت أن أرســـل جميـــع المســـيحيين لكى يعاونوا الجيوش العربية « جيوش عمر بن العاص لكى ينتهى الاضـــطهاد الدينى البيزنطى لأقباط مصر » •

دراسات إسلامية :

انتشار الإسلام خارج بلاده لا تزرعوا السموم فتقتلكم

لفضيلة الشيخ مصطفى الطير

قال تعالى فى آخر سورة محمد : « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

البيان

بنظرة فاحصة الى الاسلام اليوم ، نراه بين امتداد وانتشار فى بعض بقاع الأرض ، وخمول واسترخاء بين أهله وذويه ، وقد خرست ألسنة الدعاة فيهم ، رهبا من حاكميهم ، أو رغبا فى استرضائهم ، والله من ورائهم محيط .

ألست ترى الاسلام فى البلاد الغربية وغيرها ينمو وينتشر بين المثقفين وسواهم ، وأنهم حين يتعرفون على عقائده السمحة ، ومبادئه الرشيدة ، يقبلون عليه اقبال الهيم الظماء على الماء ، من غير أن يبعث اليهم المسلمون بخيل ولا بركاب ، ودون أن يوفدوا اليهم بعثات تبشيرية ، كالذى يصنعه المسيحيون فى نشر دينهم فى مجاهل أفريقيا ونحوها .

فى حين أنك تجد الاسلام فى بلاده يندب حظه مع أهله ، الذين أدبروا عن تعاليمه ، ووالوا أعداءه ، ومكنوا لهم فى بعض معاقله ، ويسروا لهم سبيل القضاء على حماسة أهله فى نصرته ، وبث مبادئهم الهدامة بين ربوعه .

صورة مشرقة من انتشار الاسلام

فى سنة ١٩٣٤ حضر الى مصر رجل سودانى اسمه محمد ساتى ماجد ، وقابل شيخ الأزهر وقتئذ — فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى — وأخبره أنه أسلم على يديه فى ولاية نيويورك ألفان معظمهم من

السود ، وطلب من شيخ الأزهر أن يمده ببعض العلماء ليعاونوه فى مهمته ، فاعتذر له شيخ الأزهر بأنه لا يوجد فى ميزانية الأزهر وقتئذ شىء بشأن البعثات التبشيرية أو التربوية ، ووعده بأن يضمن الميزانية مستقبلا ما يغطى هذا الفراغ ويملؤه ، ولم يستطع الرجل أن يعود الى نيويورك فعاد الى بلاده ، وقام خلفاؤه ممن أسلموا على يديه أولا ، وعرفوا بعض المعارف الاسلامية — قاموا — بتثقيف المستجدين منهم ، وقد نما هؤلاء نموا عجيبا، وممن أسلموا على أيدى خلفائه محمد على كلاى بطل العالم فى الملاكمة .

وكان السيد محمد سانى ماجد — عليه رحمة الله — طويل القامة فصيح العبارة ، وهو من أسرة سوار الذهب بالسودان ، وكان ينعت نفسه بشيخ اسلام أمريكا ، ويكتب ذلك فى بطاقة باسمه لا تزال عندى منذ قدم الى مصر، وقد حدثنى عن بعض مواقفه فى الدعوة الى الله تعالى فى نيويورك ليس هذا المقال موضع الحديث عنها .

وفى مدينة البعوث طلاب وطالبات من أمريكا وانجلترا أصلهم مسيحيون ، ثم اقتنعوا بما قرءوه عن الاسلام فأسلموا ، وجاءونا ليحفظوا القرآن ويعرفوا الاسلام من معينه .

ومن الأنباء الطريفة أن قرية انجليزية يطلق عليها اسم نوريش ، أسلم أهلها جميعا ، ورفضوا حياة الغرب التى يسيطر عليها الترف ، وهم يخططون لبناء قرية على غرار المدينة المنورة كما يتصورونها ، وقد ذكرت هذا الخبر صحيفة القبس فى عدد ١٦/٢/١٩٧٩ ، وفى اليابان عشرات الألوف من المسلمين ، قرأ بعضهم ترجمة لمعانى القرآن فأسلم ، وأسلم باسلامه خلق كثير هناك وبتزعمهم طبيب كبير ، وفى كل عام يذهب الى حج بيت الله الحرام ومعه عشرات منهم ، وفى المولد النبوى يقيم حفلا كبيرا ، فى صالة أفخم فنادق طوكيو ، ويدعوا اليه المسلمين وسواهم ،

وفى كل حفل يقيمه يسلم عدد من المثقفين ٠

ولصديقنا الفاضل الاستاذ عباس العوضى نجل يسمى الدكتور عباس على اسم أبيه ، وهو استاذ فى احدى الجامعات بولاية من الولايات المتحدة ، وقد اتاه الله دينا قيما وأسلوبا حكيما ، فأسلم على يديه كثيرون هناك ، وأقام بينهم اقامة ، وممن أسلم على يديه زوجته الامريكانية ٠

وحدث أن رجلا أمريكيا أسلم هو وزوجته ، وقدما الى مصر على متن احدى الطائرات ، وكان فى يد الرجل مسبحة يتلو عليها أذكاره ، فلقيه فى رحلته رجل يهودى وسأله ماذا يقول فأخبره أنه أسلم ، وأنه يذكر الله على حبات المسبحة ، فقال له أن اليهودية دين التوحيد أما الاسلام فان الآلهة فيه يصل عددهم ٩٩ تسعة وتسعين ، وكان الرجل فقيها دارسا فأجابه على الفور : لا تجد التوحيد الحقيقى الا فى الاسلام دون غيره من الاديان ، وأما الآلهة التسعة والتسعون فشىء تفتر به على الاسلام ، فانها أسماء الله وصفاته ، فالاله واحد ، وصفاته متعددة ، وذلك أمر واقعى فالرجل منا واحد وله صفات كثيرة ، ولايخرجه تعدد صفاته عن أن يكون واحدا فى ذاته ، وقد أذيعت هذه الواقعة فى حينها على القناة (٩) فى التليفزيون المصرى ٠

ولنا قريب اسمه : أحمد خالد الغزاوى ، ذهب الى أمريكا فى بعثة ليكمل دراسته العليا فى الطب هناك فعجب من اقبال الشباب المثقف على الاسلام هناك ، ووجدهم يعرفون كبار الكتاب المسلمين ، والمفسرين المعاصرين ، ورأى لديهم تفسير (فى ظلال القرآن) لسيد قطب ، وأرسل الى والده يطلب منه نسخة من الظلال وكتبا اسلامية أخرى ، فبعث له بها — الى غير ذلك من الصور المشرقة الكثيرة ٠

حالة الاسلام بين أهله

وبينما ترى الاسلام يمتد وينتشر فى بلاد غير مسلمة ، نراه أصبح فى أوطانه هدفا للرماة من

الملحدين وأهل المذاهب الهدامة ، فى حين أن حكام المسلمين لا هون فى المتعة والثراء ، أو مسخرون لدول تعادى الاسلام ويعاديها ، وتسعى لهدمه والقضاء عليه على أيدى بعض حكامه الأجراء وعن طريق الهيئات الشيوعية التى اشتروها فى المجمعات الطلابية والعمالية ·

واذا كان الله تعالى يدعو المسلمين الى الاتحاد بقوله « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » فانهم بدنياهم مشغولون ، وعلى شهواتهم عاكفون ، وحكامهم مأجورون أو غافلون ، والمحكومون بالحديد والنار يحكمون ·

ولقد أضعف بعضهم بعضا بحقده على جيرانه ، وتدبير المؤامرات له ، وقد أدى ذلك الى طمع الكفار فى ثروات البلاد الاسلامية ، وشراء طغمة فاسدة من أهل تلك البلاد ، ليصنعوا فيها الانقلابات لحسابهم ، حتى اذا تم لهم ما أرادوا ، نشروا فيها الالحاد ، وعطلوا دعوة الاسلام وصادروها ، ولقد استطاع الشيوعيون بأساليبهم الماكرة ، أن يضعوا لهذه الانقلابات مناهج ناجحة ، مكنتهم من الاستيلاء على أقاليم عظيمة التأثير فى العالم الاسلامى ، ومكنتهم من تطويق المسلمين وثرواتهم فى المشارق والمغارب ·

ألم يضعوا أيديهم بهذا الأسلوب الماكر على اليمن الجنوبية ، حيث يتحكمون فى مداخل البحر الأحمر ، ويجعلوا من اليمن الشمالية والسعودية ودول الخليج البترولية مرماهم فى أية جولة مقبلة ؟ كما وضعوا أيديهم على حاكم ليبيا وحكومة الجزائر وحكومة سورية والحبشة ، وأدخلوهم فى دائرة نفوذهم ، ليطوقوا مصر والسودان ، وتونس والمغرب ·

وأخيرا فاجئوا العالم بغزو أفغانستان والاستيلاء عليها ، وحرب أهلها وثوارها المسلمين حرب ابادة ، وما كان لهم أن يحدثوا ذلك فى بلاد الاسلام لو

كان حكامها على مستوى قوله تعالى **«واعتصموا بحبل اللهجميعا ولا تفرقوا »** وقوله صلى الله عايه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » •

أضاع العرب فلسطين أو كادوا

لقد أضاع العرب بتفرقهم وسوء سياستهم ، وطاعتهم لأعداء دينهم — أضاعوا فلسطين أو كادوا فلا ترى دولة منهم تعمل لاستردادها واقرار أهلها فيها ، وكل الذى يحدث منهم أقوال بلا أفعال ، ووعود بلا وفاء ، وصراخ بلا عمل، وهجوم على مصر التى تركوها وحدها ، تجاهد بالسلام والمفاوضة من أجلها ، بعد أن جاهدت بالسلاح وحدها ، وانتصرت على اسرائيل بالسلاح وحدها فى حرب ١٠رمضان سنة ١٣٩٣ — الموافق ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ولولا تدخل أمريكا لانتهت اسرائيل الى الأبد •

واذا كان المجتمع الدولى قد فرض اسرائيل ، وجعلها حقيقة لا مفر من الاعتراف بها ، واذا كانت أمريكا من خلفها تشد أزرها ، وتدافع عنها لمصالح تراها ، فما هو السبيل لاسترداد الأرض التى احتلتها فى الدول العربية سنة ١٩٦٧ ، أتتركونها فى يدها تصنع فيها ما تشاء ، وتبنى فيها المستوطنات اليهودية ، وتجعلكم أمام الامر الواقع ، أم تعلمون على تخليصها من يدها ، فاذا كان لا يرضيكم ما فعلت مصر من التفاوض والصلح ، فما هو البديل لديكم ، وحيث لا بديل غير السلام ، فلماذا لا تسلكونه ، وانتم تنادون به قولا وسكوتا ، وتتركون عدوكم وتحاربون مصر أختكم التى رفعت بالنصر رءوسكم •

قالت مصر : ان السبيل الى استرداد الأرض العربية المحتلة هو السلام والمفاوضة ، بعد أن قدمت العرب فرصة السلام بانتصارها الساحق على اسرائيل ، حتى دخلت أمريكا لانقاذها بعد ركوعها ، ومارست مصر السلام

وتفاوضت عن طريقه ، واستردت به معظم سيناء ، والبقية فى الطريق اليها خلال عامين بمشيئة الله ، وهى الآن جاهدة فى مفاوضات الحكم الذاتى لفلسطين ، تمهيدا لحصول أهلها على حقوقهم فيها كاملة ، فما الذى جعلكم تنفرون من مصر ، وتؤلبون عليها الدول فى المؤتمرات الدولية ، لقطع علاقاتهم بها كما فعلتم ؟ ولم تقتصروا على ذلك بل سعيتم فى تجويع أهلها واذلالهم !!

لماذا فعلتم كل ذلك بمصر أختكم الكبرى ، وسندكم فى الملمات ضد أعدائكم ؟ وما فعلت ذنبا يستوجب ما فعلتم ، سوى أنها فطنت قبلكم لدسائس روسيا الشيوعية ،

فأبعدت خبراءها ، وانتصرت بدونهم ، وأنهت معاهدتها معهم ، لأنهم يريدونها كسيرة الجناح ، راكعة أمامهم مستعبدة لسياستهم ، كافرة بدينها وأخلاقها من أجلهم ، فلهذا كله جن جنونهم حين انتصرت بدونهم ، ولم توقف الحرب وهى منتصرة من أجل سواد عيونهم ، فسلطتكم عليها وأنتم تزدلفون وبأمرها تأتمرون ، وقفت فى سبيل السلام ، وقدمتكم للخصام ، كما يفعل اللئام ، فاندفعتم لتنفيذ سياستها رهبا ورغبا فى مساعدتها ، وأقسم بمن خلق الحب والنوى لن يكون أمرها معكم أحسن من أمرها معنا ، ولن ينالكم منها أى نصر تبتغون ، وأية أرض محتلة تستردون ، وما أنتم معها الا مخالب قط ، وعبيد سيد متسلط ظالم قاس القلب ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ولو فطنتم كما فطنت مصر ، وكنتم معها فى سلامها ومفاوضاتها ، لوصلنا الى خير أكثر وسلام أسرع ، ولكنكم غافلون ، وغدا ستأكلكم كما أكلت سواكم ، والمخطط الشيوعى للاستيلاء عليكم واحدة بعد أخرى قد أعده المختصون منهم ، وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

الصلح مع الأعداء مشروع فى الاسلام

أفتونا أيها العرب : هل الصلح مع الأعداء حرام فى الاسلام حتى تحاربوا مصر من أجله ؟

ألم يصالح الرسول « صلى الله عليه وسلم » قريشا صلح الحديبية سنة ست ، مع أنها أخرجته مع المؤمنين من ديارهم ، وكان بالصلح شروط واضحة الاجحاف بالمسلمين، فقبلها الرسول رغبة فى السلام ، وتطلعا الى مستقبل مشرق يراه بنور النبوة •

رأى الرسول « صلى الله عليه وسلم » فى منامه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين ، فأخبر أصحابه بذلك وأنه يريد العمرة تحقيقا لمنامه ، واستنفر الاعراب حول المدينة ، ليكونوا معه حذرا من أن تردهم قريش عنه عمرتهم ، لكن الأعراب أبطأوا وتقاعسوا ، بظنهم أن الرسول والمؤمنين لن ينقلبوا الى أهليهم أبدا ، واعتذروا قائلين : (**شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا**) فخرج صلى الله عليه وسلم فى ألف وخمسمائة من المهاجرين والأنصار ، وأخرج معه الهدى ليعلم أهل مكة أنه لم يأتهم محاربا ، ولم يكن مع الرسول وأصحابه من السلاح سوى السيوف فى القرب •

وحينما وصل الجيش الى عسفان ـ على مرحلتين من مكة ـ جاءه أحد رجاله يخبره أن قريشا أجمعت على صدهم عن مكة ، وتجهزوا للحرب ، وكان خالد ابن الوليد حينئذ مشركا ، فخرج فى مائتى فارس طليعة لهم ، ليصدوا المسلمين عن التقدم ، فقال صلى الله عليه وسلم ، هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم ؟ فقال رجل من قبيلة (أسلم) أنا يا رسول الله ، فسار بهم فى طريق وعرة ، حتى وصل بهم الى مستوى سهل يملك مكة من أسفلها •

فلما علم خالد ما فعله المسلمون ، رجع الى قريش وأخبرهم الخبر ، ولما كان الرسول بثنية (المزار) ـ مهبط الحديبية ـ بركتناقته فزجروها فلم تقم ، فقالوا خلأت القصواء ـ أى حرنت وبركت من غير علة « فقال صلى الله عليه وسلم » والله ما خلأت وما ذلك بخلق لها ، ولكن حبسها حابس

الفيل ، والذى نفس محمد بيده : لا تدعونى قريش لخصلة فيها تعظيم حرمات الله الا أجبتهم اليها — مع أن المسلمين لو قاتلوا اعداءهم فى هذا الوقت لظفروا بهم ، ولكن الله تعالى كف أيدى المسلمين عن قريش ، وأيدى قريش عن المسلمين ، حفاظا على حرمة البيت الذى جعله الله حرما آمنا ، يوطد المسلمون دعائم الأمن فيه ، فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالنزول أقصى الحديبية .

واختارت قريش عروة ابن مسعود الثقفى سيد الطائف ، ليتكلم باسمهم مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد كانوا يظنون أنه جاء لحربهم والاستيلاء على مكة فى صورة مريد للعمرة ، فحضر اليه صلى الله عليه وسلم ، وذكره بأن قريشا أهله فكيف يحاربهم بالغرباء ، وقال انهم أقسموا أن لا يدخلها عليهم عنوة ، وبعد نقاش عاد عروة بن مسعود الى قريش ، وحدثهم بمكانة النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ، فقد قال : انه لا يتوضأ وضوءا الا كادوا يقتتلون عليه ، ليتمسحوا به ، واذا تكلموا بحضرته خفضوا أصواتهم اجلالا لمقامه ، ولايحدون النظر اليه ، وقال : والله يا معشر قريش . جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى عظمته ، فما رأيت ملكا فى قومه مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء أبدا ، فانظروا رأيكم ، واقبلوا ما يعرضه عليكم ، وانى أخشى أن لا تنصروا عليه ، فأصروا على رده فى هذا العام ليعود الى العمرة فى العام المقبل ، واختار النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، ليبلغهم أنه لا يريد سوى العمرة ، وأنه ساق الهدى ولا يريد حربا ، واستأذن معه عشرة من الصحابة ليزوروا أقاربهم ، وأمر النبى عثما بن عفان أن يأتى المستضعفين ويبشرهم بقرب الفتح واظهار الاسلام ، فدخل عثمان فى جوار أبان بن سعيد الأموى ، ثم بلغ الرسالة ، فأصرت قريش على منع

الرسول من دخول مكة هذا العام ، وحلفت أن لا يدخلها عليهم عنوة ، ثم طلبوا من عثمان أن يطوف بالبيت ، فقال : لا أطوف ورسول الله ممنوع ، ثم حبست قريش عثمان ، فشاع عند المسلمين أنهم قتلوه ، فقال صلى الله عليه وسلم « ان كان ذلك فلا نبرح حتى نناجزهم الحرب » •

بيعة الرضوان نذير الحرب

دعا النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه ليبايعوه على القتال ، فبايعوه تحت شجرة هناك على الموت ، وفيهم نزل قوله تعالى **« لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة •• »** الآيات من سورة الفتح ، فسميت هذه الشجرة شجرة الرضوان ، لأنه تعالى رضى عن المؤمنين الذين بايعوا الرسول على الموت فى سبيل الله تحتها •

وشاع أمر هذه البيعة عند قريش ، فرعبوا منها رعبا عظيما ، وكانوا أرسلوا خمسين رجلا ليطوفوا حول عسكر المسلمين ، وليصيبوا منهم غرة ، فأسرهم محمد بن مسلمة حارس الجيش ، وفز رئيسهم مكرز بن حفص ، فجاء جمع منهم لمناوشة المسلمين ، فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا ، وقتل من المسلمين رجل واحد •

شروط الصلح

لما رأت قريش النتائج الأولية للمناوشات ، أرسلت سهيل ابن عمرو ليتكلم فى الصلح مع الرسول ، فاعتذر عما حدث من المناوشات بأنها من عمل سفهائهم ، وطلب منه رد الأسرى ، فقال حتى تردوا عثمان والعشرة الذين أسرتموه ، فردوهم ، وعرض سهيل شروط الصلح التى تريدها قريش ، وهى (١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات (٢) من جاء من المسلمين مرتدا الى قريش لا يلزمون برده الى المسلمين ، ومن جاء من قريش الى المسلمين مؤمنا فانهم يلزمون برده الى قريش (٣) أن يرجع النبى بغير عمرة هذا العام ، ثم يأتى مع

أصـــحابه فى العام المقبـــل فيدخل مكة ، ويقيم بها ثـــلاثة أيام وليس معه ومع أصحابه الا الســـيف فى القراب والقوس (٤) من أراد أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فى عهد محمد من غير قريش دخل فيه ، فقبل النبى صلى الله عليه وسلم هذه الشروط ، ولكن المسلمين داخلهم منها أمر عظيم . وقالوا كيف نرد اليهم من جاءنـــــا مسلما ، ولا يردون الينا من جاءهم منـــا مرتدا ؟ ورد النبى قائلا : من ذهب منا اليهم فقد أبعده الله عنا ، ومن جاءنا منهم مســـلما مخلصـــا فرددناه فســـــيجعل الله له فرجا ومخرجا .

وقد سأل عمر أبا بكر : أليس رسول الله قد أخبرنا أنه رأى فى منامه أننا سندخل المسجد الحرام آمنين ؟ فأجابه بقوله : وهل ذكر أنه فى هذا العام ؟

ثم أملى النبى صلى الله عليه وسلم شروط الصلح قائلا : بســـم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل ابن عمرو : اكتب باسمك اللهم ، فأمره الرسول بذلك ، ثم قال : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : لو نعلم أنك رسول الله ما خالفنـــاك . اكتـــب محمد ابن عبد الله ، فأمر الرســـول عليا بمحوها وكتابة محمد بن عبد الله ، فلم تطاوعه نفسه ، فمحاها النبى بيده ، وكتبت نسختان ، احداهما لقريش والأخرى للمسلمين .

وبعد ذلك تحلل النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون من احرامهم بالحلق ونحر الهـــدى ، وكان ذلك عليهم كحز الرقـــاب ، ولكن هـــذا الصلح بشروطه القاسية كان خيرا وبركة على الاسلام والمســـلمين ، واتضـــحت لهم مع الأحداث حكمة الرسول فى قبوله ، وما أكثر أحداث هذا الصلح وآثاره العظيمة !!!

ومن أحداثه أن عتبة بن أســـيد الثقفى ـــ وكنيته أبو بصير ـــ فر بدينه من قريش الى رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرســـلت قريش فى أثـــره رجلين يطلبـــــان تسليمه ، فأمره النبى بالرجـــوع معهما ، فقال : يا رســـول اللـــه ،

أتردنى الى الكفار يفتنونى فى دينى بعد أن خلصنى الله منهم ؟ فقال : ان الله جاعل لك ولاخوانك فرجا ، فرجع مع الرجلين ، ولما بلغ ذا الحليفة قتل أحدهما وهرب منه الآخر ، فرجع أبو بصير الى المدينة ، وقال : يا رسول الله . لقد وفت ذمتك ، أما انا فنجوت ، فقال له : اذهب حيث شئت ،ولاتقم بالمدينة ، فذهب الى موضع بطريق الشام تمر به قوافل قريش فأقام به ، واجتمع معه جمع ممن كانوا مسلمين بمكة وجمع من الأعراب وقطعوا الطريق على تجارة قريش، فأرسلت قريش يستغيثون به ، ويطلبون منه ابطال هذا الشرط ، ويعطونه الحق فى امساك من جاءه مسلما ، فقبل منهم وأزاح الله بذلك غمتهم من هذا الشرط ، وعلموا حكمة الرسول فى قبول بنود الصلح التى كان من آثارها اتصال الكفار بالمسلمين ، ومعرفتهم سماحة الاسلام ، فخالطت بشاشة قلوبهم وأعدتهم لقبوله ، كما أنه مكن الرسول من مكاتبة قيصر والمقوقس والنجاشى وكسرى والمنذر ابن ساوى ملك البحرين وملكى عمان جيفر وعبد ابنى الجلندى وغيرهم من الملوك والأمراء ، يدعوهم الى الاسلام فمنهم من أجاب بالاسلام ، ومنهم من أحسن الرد ولكنه لم يسلم ، ولكن هذه الكتب كان لها أثرها العظيم فى الحديث عن الاسلام ، وتهيئة الجو لقبوله وتعرف أخباره ، والحديث فى ذلك يطول فنكتفى بذلك الموجز الآن .

الصلح مع تيماء اليهودية

وكما صالح النبى صلى الله عليه وسلم المشركين ، وقبل شروطهم الجائرة كمرحلة فى سبيل السلام والفتح ، فانه صالح اليهود أيضا فبعد أن فرغ من عقاب يهود المدينة وخيبر على نكثهم عهودهم معه ، وغدرهم وخيانتهم له ، سالم من وجده مسالما منهم وعاهده على البقاء فى دياره ، ومن هؤلاء يهود تيماء — قرية على ثمانى مراحل من المدينة — فانهم لما عرفوا مصير اخوانهم الذين خانوا

عهودهم مع الرسول ، صالحوه على دفع الجزية ، ومكثوا فى بلادهم آمنين .

يهود وادى القرى

أما يهود وادى القرى فقد حاصرهم ودعاهم الى الاستسلام ، فلما أبوا قاتلهم ، ولما انتصر عليهم أبقاهم فى الأرض يزرعونها بشطر مايخرج منها .

صلحه مع المسيحيين

لما خرج صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، ولم يجد هناك جيشا يلقاه ، مكث هناك أياما جاءه خلالها صاحب أيلة واسمه يوحنا ، وصحبته أهل جرباء — قرية جنوب الشام — وأهل أذرح — مدينة قرب السراة — وأهل ميناء ، فصالح يوحنا رسول الله على اعطاء الجزية ولم يسلم ، وكتب له الرسول كتابا نصه كما يلى : —

(بسم الله الرحمن الرحيم : : هذا أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ، ليوحنا وأهل أيلة ، وسفنهم وسيارتهم فى البر والبحر ، لهم ذمة الله ومحمد النبى ، ومن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر) ثم قال (وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر) .

وكتب لأهل أذرح وجرباء (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبى لأهل أذرح وجرباء أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل بالنصح والاحسان للمسلمين) وصالح أهل ميناء على ربع ثمارهم .

صلحه مع أهل نجران المسيحيين وصلاتهم فى المسجد

وفد على النبى نصارى نجران، وكانوا ستين راكبا ، ودخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير ، مختمين بالذهب، ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح جاءوا بها هدية للرسول ، فقبل المسوح ورد البسط لما فيها من

التماثيل ، ولما جاء وقت صلاتهم ، سمح لهم الرسول بالصلاة فى المسجد مستقبلين بيت المقدس ، ودعاهم الى الاسلام فامتنعوا ورضوا باعطاء الجزية ، وهى ألف حلة فى صفر وألف حلة فى رجب ، مع كل حلة أوقية من ذهب ، ثم قالوا : أرسل معنا أمينا ، فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح ، وكان لذلك يسمى أمين هذه الأمة.

خاتمة

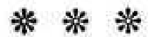
تبين من هذا السرد أن الصلح مع أهل الكتاب مشروع ، وأن النبى باشره بنفسه مع اليهود والنصارى ، كما أنه معروف بأول النظر ان الاسلام انما شرع الجزية مع أهل الكتاب عندما نصالحهم ونعاهدهم ، وأنه تجاوز أهل الكتاب الى المشركين فأجاز الصلح معهم ، اذا وجدت فيه مصلحة للمسلمين — مع أنهم أشد بعدا عن الاسلام من اليهود والنصارى ، كما حدث من النبى فى صلح الحديبية ، وتجاوبا مع قوله تعالى « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ، وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين** » .

فكيف يعترض الرافضون على الصلح مع اليهود وتخليص حقوقنا منهم بالمفاوضات ، حيث تعذر حصولنا عليها بالحرب لدخول أمريكا الحرب معهم حماية لهم ، ولأن المجتمع الدولى فى صفهم فيما أخذوه من الأرض قبل سنة ١٩٦٧ ؟!! فاذا كانت المفاوضات لاتعجبهم والسلام لا يرضيهم ، فلماذا لم يدخلوا الحرب مجتمعين ليلقوا اسرائيل فى البحر كما يريدون ، ماداموا رافضين للصلح الذى يستردون به الأرض التى انتزعت فى حرب سنة ١٩٦٧ .

يا قوم : ان الاسلام يجنح للسلام ، وان موقفكم السلبى يضر أكثر مما ينفع ، وان أهل فلسطين هم الذين يقاسون ويلات العذاب فى أرضهم وفى مخيمات لبنان وأنتم عنهم لاهون ، وبسوء سياستكم متورطون مكبلون ،

فان لم ترجع اليكم عقولكم ، وتتيقظ فيكم ضمائركم ، فلسوف تنقلب بكم عروشكم وكراسيكم ، ويحل بكم انذار ربكم **« وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »** ولا يبعد أن يكون البديل عنكم من بلادكم ، ثم من بعد ذلك من بلاد غيركم ، حيث انتشر الاسلام وعاد اليه شبابه بينهم ، وتنبه فى أعماقهم شعور دينى دافق ، يدعو الى تنفيذ شريعة القرآن ، لانقاذ البشرية من سوء المصير ، بعد أن انتشر الكفر والطغيان ، والظلم والحرمان ، وفشلت سياسة البشر فى علاج بلايا الانسان ، اللهم انى بلغت . اللهم فاشهد .

مصطفى محمد الحديدى الطير



نظرات قرآنية :

من الجديد عن أصحاب الكهف

للدكتور محمد رجب البيومى

« نحن نقص عليك نبأهم بالحق ، انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها ، لقد قلنا اذن شططا »

قرآن كريم

قصة أهل الكهف ذائعة مشتهرة وقد شرح المفسرون سورة الكهف شرحا يجلوها أمام من تخفى عليه رائعات المعانى ، ودقائق الاشارات وخصها نفر من العلماء بكتب مستقلة منها ما يشرح الأحداث شرحا وعظيا ، ومنها ما يحلل الأسلوب القصصى فى كتاب الله تحليلا فنيا يظهر قوة الترابط ، وتتابع الأحداث ، وتفسير النوازع ولكن ذلك كله لا يمنع أن نتحدث عن السورة الكريمة بما نعتبره كالجديد ، لدى بعض القارئين ، اذ لا يكفى أن نفهم أحداث السورة بعيدا عن مسرحها التاريخى حيث يحدد الاطار الدقيق للملامح الخافية فتتكمل الصورة بقسماتها الواضحة أمام الناظرين .

لقد بعث الله أصحاب الكهف فى زمن معين ، تبرز أحداثه الحكمة الخالصة فى بعث هؤلاء النائمين من سباتهم العميق ، اذ أن دعوة عيسى عليه السلام كانت فى عهده دعوة التوحيد الخالص ، وكذلك دعوات الأنبياء جميعا من لدن آدم عليه السلام الى خاتم النبيين

محمد «صلى الله عليه وسلم» تصديقا لقول الله عز وجل : **(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا اليك ، وماوصينا به ابراهيم وموسى وعسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) (١)** .

هذه الدعوة الخالصة لله ، ذات التوحيد الخالص من شوائب التعدد ، قد حرفت بعد فترة ، وخرجت عن لبابها الالهى الى نحو يتجه وجهة التثليث ، ويتحدث عن الأب والابن وروح القدس ، وقد تشعب الجدل بين رؤساء الكنائس دون أن يتجه وجهته الصحيحة ، حتى افتتن الناس ، وضلوا معنى الألوهية المنفردة بالكمال ، فشاء الله عز وجل أن ينهض أصحاب الكهف من رقادهم الطويل ، ليعلنوا كلمة التوحيد الخالص ، لمن حادوا عن الطريق ، وليذكروا قومهم بالاله الواحد فاطر السموات والأرض ، وبتنزيهه عن الأبوة والبنوة ، وما يمت الى البشرية من صفات ، وتجد أدلة ذلك فى مفتتح سورة الكهف اذ يقول الله عز وجل **(الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجا ، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ، ماكثين فيه أبدا ، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ، ولا لآبائهم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) (٢)** .

فهذا الافتتاح المجلجل بحمد الله الذى أنزل على عبده الكتاب ليبشر المؤمنين وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا دون علم صحيح ، يعتبر براعة استهلال جيدة تمهد لقصة هؤلاء المبعوثين بعد الرقاد لأن الله عز وجل قد جعل استيقاظهم الواثب تصحيحا لخطأ

(١) سورة الشورى : الآية : (١٣)
(٢) سورة الكهف الآيات من (١) الى (٥)

وقع فيه المتدينون حين ضلوا سبيل التوحيد واتخذوا من دون الله آلهة تشاركه السيطرة والنفوذ وذلك بعض ما يفهم من قول الله عز وجل (**نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها ، لقد قلنا اذن شططا ، هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة، لولا يأتون عليهم بسلطان بين ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، واذ اعتزلتموهم ومايعبدون الا الله ، فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ، ويهيىء لكم من أمركم مرفقا**) (١) .

وتمضى السورة الكريمة متحدثة عن أمر هؤلاء الفتية بما يعلمه قارئها المتأمل ، حتى اذا أوفت على نهايتها شاء الله عز وجل أن يعود الى حديث التوحيد الخالص فيقول تعالى شأنه (**ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، قل الله أعلم بما لبثوا ، له غيب السموات والأرض ، أبصر به وأسمع ، مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا**) (٢) ، وهكذا تلتئم براعة الاستهلال مع توجيه الخاتمة فى نهاية المقطع بما يضع القصة فى حيز مميز ناطق الدلالة ، واضح التفسير .

هذا الزمن المشرك الذى اختلط فيه معنى التوحيد اختلاطا ملتبسا لدى اتباع عيسى عليه السلام ، كان ظرفا مهيئا لبعث هؤلاء الفتية ، كى يعلنوا حقيقة الاعتقاد الصحيح ، فيعيدوا الى المسيحية روحها الأولى كما دعا اليها نبيها الكريم ، اذ يجهرون وسط المحتفلين ببعثهم الخارق بأن الله واحد مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا ، واذ يعلنون أنهم فروا من تعدد الآلهة حين اضطهدهم دقيانوس الوثنى فمضوا الى الكهف هاتفين (ربنا رب السموات

---

(١) سورة الكهف : الآيات من (١٢ : ١٦)
(٢) سورة الكهف : ٢٥ ، ٢٦

والأرض ، لن ندعو من دونه الها ، لقد قلنا اذن شططا) وتلك احدى آيـــات الله فى بعثهم الخارق ، ونشرهم المعجـــز بعد أكثر من ثلاثمائة عام .

واذا كانت العامة حينئذ قـــد ضلت سبيل التوحيد ، فـــان ذوى العقول المفكرة من متعاطى الفلسفة الجدلية مناقشى القضـــايا الفكرية قد وقعوا فى ضلال مماثل حـــين أخذت الأ فلاطونية الحديثة ، تغمر الفلسفة المسيحية اذ ذاك بضباب قـــاتم ، يطمس لألاء الحقيقة ، فأخذ مفكرو المسيحية بنظـــرية العقول المتعددة ، متأثرين بفلسفة اليونان ، اذ تجعل من العقـــول المتعددة ما يرمز الى الأب والابن وروح القدس ، لتوائم بين الوثنية القـــديمة فى فلسفة الاغـــريق ، وماتظنه يتصل بما جاء به المسيح عن السماء ، ونحن نعـــرف أن الافلاطونية الحـــديثة قد تأثرت بالاغريق غربا ، والهنـــد شرقا ، فأخذت نظرية العقول من الاغريق وأخـــذت انبثاق الابن عن الأب الآلهة من الهند ، ومزجت ذلك كله فى فلسفة تفسر ما تظنه ديـــانة المسيح ، وقد كان لهـــا رجالها الأعـــلام ، ودعاتهـــا المؤثرون ، فألبسوا العقيدة لباسا تنكره دعوة التوحيد ، وشاركوا العامة فى تعدد الآلهة ، فكان مبعث أهـــل الكهف هاتفين بالتـــوحيد الخـــالص ، تصحيحا لما ارتطم فيـــه العامة والخاصة من ضلال ، لو وجدوا من يستجيب للحـــق على وجهـــه الصحيح .

وأكبر ما هز دعاة الافلاطونية من بعث أهل الكهف هـــو تحطيم مبدئهم الفلسفى فى الايمان بالعلية التى تربط السببباالمسبب ، وتتنكر للمعجزات النبوية والخـــوارق الشاذة عن طبائع الأشـــياء ، لأن بعث هؤلاء النائمين فى كهفهم العتيق بعد أكثر من ثلاثمائة عام أمـــر خارق يحطم هذه العلية المقدســة لدى المتحمسين لها من أصـــحاب الأقيسة والأدلة ، اذ يجعل هـــذه الفجاءات المدهشة ذات قطر جديد لدى من يحتمون أن تسير الأمـــور فى طريقها المعهود ، واذن فقـــد بعث الله أصحاب الكهف ليقولوا

لدعاة الأفلاطونية الذين يصرون على ربط المسببات بالأسباب دائما دون تصديق لمعجزة ربانية تخرق السنن الطبيعى حين تجتازه الى سواه ! أجل لقد بعث الله أصحاب الكهف ليقولوا لهؤلاء : لقد قمنا من الرقاد العميق منذ ثلاثمائة عام على غير ما تتوقعون ، فأين يذهب ايمانكم الشديد بمبدئكم الفلسفى فى انكار المعجزات ؟ واذا كنتم — أو بعضكم بالتأكيد — تنكرون البعث الأخروى بدعوى استحالية فى افهامكم المحدودة ، فان مبعث أهل الكهف قد هدم هذا الانكار بمالا شبهة فيه ، اذ جاء دليلا ملموسا على البعث الأخروى دليلا يراه العيان ، وهو أقوى من كل برهان ، ولذلك يقول الله عز وجل **(وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة لاريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم ، فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا)** [1]

وكما كان بعث أهل الكهف مفاجأة لمن حرفوا دعوة المسيح عن اعتقادها الصحيح ، فقد كان نزول سورة الكهف مفاجأة مماثلة لمشركى مكة ، حيث أرادوا أن يعجزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ظنوا أنه ليس فى مقدوره فأرسلوا وفدا من المشركين الى يهود المدينة ، يتقدمهم عقبة ابن أبى معيط ، والنضر بن الحارث وغيرهما من صناديد قريش ليعلموا من أحبار أهل الكتاب ما يظنونه هدما لدعوة الاسلام ، وقد سأل عنه هؤلاء الاحبار أسئلة من يتطلع الى أمر يضايقه وجوده ، ويود بجدع الأنف أنه لم يكن ، ولذلك أعملوا تفكيرهم الجاهد فى ابتداع أسئلة يظنونها ذات اجابة مستعصية ، وقد أفهموا المشركين أن محمدا اذا لم يجب عنها فليس برسول ، وفى ظنهم الواهم أنه لن يجيب ، وكان فى طليعة هذه الأسئلة المتحدية سؤال تاريخى عن فتية بعثوا من

---

(١) سورة الكهف آية : ٢١

رقادهم بعد مدى طويل ، وواضعو هذا السؤال يفترضون افتراضا لا دليل عليه أن رسول الله قد قرأ التوراة والانجيل ثم ادعى الرسالة ليكون نبيا من طراز موسى وعيسى ، فشاءوا أن يتقدموا بسؤال عن قوم لم يذكروا فى التوراة والانجيل حتى يعجزوا الرسول فلا يجيب ، وقد طار المشركون فرحا بما أحضروه من الأسئلة وتقدموا بها الى الرسول فى تحد صريح ، وشاء الله أن يمكث الرسول قرابة خمس عشرة ليلة دون اجابة ، اذ أبطأ عنه الوحى ، فعدوا ذلك التأخير انتصارا مبينا على رسول الله ، ولم تدم لهم هذه الفرحة الشامتة اذ نزل الوحى الأمين بسورة الكهف ليكشف الجواب الصريح فى صدق أمين .

أما المفاجأة المذهلة التى نعنيها فى هذا النطاق ، فهى مفاجأة المشركين أنفسهم بدعوة التوحيد فى قصة أهل الكهف ، اذ أعلنت صراحة ايمان المبعوثين بالوحدانية ، وأكدت ما يدعو اليه رسول الله حين جعل التوحيد عقيدة الاسلام ، ونادى بمحاربة من يدعون من دون الله ، فماذا عسى أن يقول هؤلاء المشركون ، وهم يسمعون حديث فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى ، وقد ربط على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها ، لقد قلنا اذن شططا ، !! يالله ، لقد نزلت الآيات شافية صدور قوم مؤمنين ، وكاتمة أفواه نفر مشركين ، ثم هى بعد تملأ بالحيرة والدهش عقول الأحبار بالمدينة حين أذهلهم أن يعلم نبأ هؤلاء المستيقظين عربى أمى نشأ فى بلد بعيد عن موقع هذا الحدث الخطير وقد أتى بأدق وصف يعلمه هؤلاء من أمر القوم ، اذ جاء بوصف الشمس متيامنة متياسرة ، وبمشهد النائمين فى فجوة مستترة لا يحيط بعلمها غير الله « **وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ،واذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، وهم فى فجوة منه ، ذلك من آيات الله ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ،**

ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » (١) •

لقد أبدعت السورة الكريمة تصوير هذا البعث المفاجيء ، وما يتضمن من حيرة مذهلة شملت أهل الكهف أنفسهم كما غمرت من بعثوا فى عهدهم من الناس ، وقد تدرج الأمر طبيعيا حين استيقظ الفتية من النوم وهم يظنون أنهم رقدوا يوما أو بعض يوم ، ثم أحسوا بالجوع فطلبوا من أحدهم أن يذهب الى المدينة ليشترى الطعام ، وأوصوه أن يكون حذرا كيلا يدركه الأعداء فيوقعوا بهم أشد العذاب ، **(انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذن أبدا)** (٢).

أما الدهشة الكبرى وهى انتفاضة البعث بعد النوم الطويل فقد أوجزها القرآن ايجازا بليغا لأنها بواقعها المشاهد تمثل اطنابا نفسيا يمتد ويتسع ، ليشمل أفسح الفراغات فى المشاعر والعقول ؛ وقد عصفت حقيقتها الخارقة بكل سفسطة وأتت على كل اعتراض •

ومعلوم « أن القصص القرآنى فى كل مشاهده لا يساق لذاته ، بل لما يطوى من عبر تهدى الى الخير فى الحياة ، وترتفع بالسلوك الانسانى حين تشتبه المسالك ، وتوحش الدروب ، وقد ختمت قصة هؤلاء بما يجب التقيد به من هدى ربانى حين يجدر أن نعقب بمشيئة الله اذ نصور ما نأتى به من الافعال **« ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ، واذكر ربك اذا نسيت ، وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا »**(٣) هو تنبيه ضرورى للمؤمن اذ يجعله متصرفا وفق مشيئة خالقه ، تلك التى تسيطر على الكون بما يضم ومن يضم من الكائنات ؛ وبها تنتظم الأمور وتطرد الأحوال •

د• محمد رجب البيومى

---

(١) سورة الكهف آية : ١٧ ، ١٨
(٢) سورة الكهف آية : ٢٠
(٣) سورة الكهف آية : ٢٣ ، ٢٤

المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف

دكتور رءوف شلبي

(٢)

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» «١٠٣ ، ١٠٤ الكهف ٠»

تتفق النظريات الاقتصادية على وجود ما يسمى اصلاحيا بالمشكلة الاقتصادية ٠

* فالرأسمالية تذهب الى ان المشكلة الاقتصادية هى :

قلة الموارد الطبيعية نسبيا نظرا الى أن الطبيعة محدودة فالارض لا يمكن زيادة كمها ولا يمكن زيادة ثرواتها المتنوعة رغم ان احتياجات الانسان تنمو وتزيد وتطرد وفقا لتقدم المدنية وازدهارها ٠

ويظنون أن الطبيعة عاجزة عن تلبية جميع تلك الحاجات بالنسبة للتطور الحضارى فلن يسع هذا التطور جميع الافراد ، ومن هنا ينشأ عندهم ما يسمى بالمشكلة الاقتصادية نظرا لعدم امكان اشباع جميع الافراد بحاجاتهم ٠

فالمشكلة الاقتصادية اذن فى نظر الرأسماليين :

ان الثروة الطبيعية لا تستطيع مواكبة التمدن المتلاحق وبالتبع لا تستطيع اشباع جميع ما يستجد من البشر خلال التطور المدنى ٠

وعناصر المشكلة فى نظر هؤلاء ثلاثة :

١ ــ الحاجة

٢ ــ الموارد

٣ ــ المواءمة بينهما .

* فبالنسبة للحاجات : فانها رغبة طبيعية تتجدد وتتطرد وتتنوع وهذا يتطلب موارد تغطى الكم لاشباع الرغبات .

* وبالنسبة للموارد فالارض الزراعية لا يمكن ان تنتج لنا من المأكولات كل مانشتهيه ومن الغذاء كل ما نحتاج اليه وكذلك بقية المواد الطبيعية فهناك ندرة نسبية بين الحاجات والموارد وتبعا لهذا فان المواد تتناسب طردا وعكسا فى ندرتها .

* يظهر من ذلك ان الرغبات لا تغطيها كمية الموارد وعليه تقوم مشكلة اقتصادية هى محاولة التوفيق بين الحاجات والمواد بقدر ما يمكن .

وعلة هذا الخلط فى الفكر الرأسمالى :

(أ) انه يعيش فى رقعة ضيقة سببت له عدة حروب من اجل التنفس عن ضيقه والبحث عن مصادر للمواد المعيشية .

(ب) انه لا يملك مصدرا فى عقيدته يغذيه بأبعاد ما تحتويه الارض من قدرة على اشباع جمع الرغبات حتى تأخذ هى زينتها .

(جـ) ان الدين لم يستطع ان يضع لهم تصورا صحيحا عن علاقة الانسان بالكون .

* وأما الشيوعية أو الاشتراكية فتذهب الى ان المشكلة الاقتصادية هى : مشكلة التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع فاذا تم الوفاق بين الانتاج والتوزيع ساد الاستقرار فى الحياة الاقتصادية .

واذا كان الشيوعيون يقولون بنظرية التناقض فماهو الحد الذى تقف عنده موجات التناقض ومن الذى سيوقف هذا التناقض ، ومن الذى سيحدث الوفاق بين الانتاج والتوزيع اذا سلب الفرد حريته فى اختيار العمل المعين ولم يأمل فى توزيع عادل يضمن له حاجاته من بعد .

ولعل الواقع الشـــــيوعى والاشتراكى يعفينا من الاطالة فى تصوير فشل المذهب بكل أبعـــاده وقضـــاياه فالاشتراكية فى جميع البلدان فاشلة فى تحقيق حاجـــة الانسان الى الحرية قبل الطعام .

والخلاصـــــة : ان المشــكلة الاقتصادية نتاج طبيعى للنظريات الاقتصـــادية حسب تصورها بدليل أن الحياة الاقتصــــادية فى عصر المقايضـــات والبـــدائل العينية لم تشعر بمشكلة اقتصادية فان الكل ينتج حاجاته وتبادل الحاجات عن طريق العينات قبل ان يكون التداول نقديا هو عصـــــب التـــــوازن الاقتصادى قديما .

فالمشــكلة الاقتصـــادية نتيجـــة

(أ) ظهـــور النقـــد كبـــديل فى المقايضات .

(ب) استخدام النقد فى الادخار وابعاده عن مجال الاستثمار الفعلى لصالح المجتمع .

(جـ) استخدام النقد فى التعامل الـــربوى الذى يعطى رأس المـــال نسبة من العمل دون ان يجهـــد صاحبها فى الانتاج .

(د) تحويل مفهوم الربح من محتواه الانسانى فى المحافظة على استمرار رأس المال ليؤدى وظيفته الاجتماعيـــة الى رغبة جامحـــة فى الثراء بشتى الطرق .

(هـ) انفاق مسرف على المظاهر البـــراقة فى الدعاية ، والترفيـــه والأمزجة غير الاخـــلاقية وهى ممارسات تحدث مشكلة اقتصادية من حيث :

(أ) ضياع جزء من المال هباء .

(ب) ضياع وقت من الزمن دون انتـــاج .

(جـ) الاصـــابة بأمراض تسبب خسارة فى انفاق طبى دون مقابل ، لأنه كتطبيب لصحة معلولة .

(د) تعطيـــــل قوة من قوات وسائل الانتاج .

ولهذا حذر الاسلام من كل هذه المظاهر التى تســـبب الضـــيق الاقتصادى على نحو ما سنعالجه ان شـــــاء الله فالمؤمن القوى خير وأحب عنـــد اللـــه من المـــؤمن الضعيف .

الاسلام والمقومات الاقتصادية

(أ) الملكية وحرية الانتاج .

(ب) وسائل الانتاج .

(جـ) الانفاق والتصديق .

(د) العدالة الاجتماعية .

(هـ) التـداول .

نظرية الاسلام الاقتصادية احدى النظريات التى تدخل فى الاطار العام للدين الاسلامى كمنهج للحياة .

فاذا كانت الاديان الاخرى قد تحددت بقوم مخصوصين وأماكن وأزمنة محددة حسب نصوصها ، فان الدين الاسلامى دين عام وشامل للناس جميعا ، وللزمان كله ، وللمكان بأجمعه **« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا »** ٢٨ سبأ

« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » ١٥٨ الأعراف

والاسلام كمنهج للحياة الانسانية يضع الاسلوب الذى يتعايش الناس عليه قد وضع للاقتصاد حدودا وقواعد تحقق الغاية التى ينشدها الانسان فى حياته وهو ان يعيش راضيا وسعيدا مشرئبا لحياة افضل فى دار النعيم يوم يحاسب المرء على ما قدم وأخر ، وعلى ما كسبت يداه وعن ماله مما جمعه وفيم انفقه ؟

والمقومات التى وصفها الاسلام كمذهب اقتصادى ينسب اليه وبه يتحقق الخير للناس هى :

* الملكية .
* وسائل الانتاج : الارض ، البحار ، والافلاك ، والقوى البشرية .
* وقواعد الانفاق والتصدق .
* وتحقيق العدالة الاجتماعية .
* والتداول .

أولا — الملكية وحرية الانتاج :

تقوم نظرية الاسلام فى الملكية على تحديد مفهوم المال فى نظر الاسلام .

فالمال فى الاسلام وسيلة لخدمة الجماعة ولتحقيق اغراضها واغراض الجماعة الاسلامية هى :

(أ) حفظ النفس .

(ب) حفظ الاسرة .

(ج) حفظ العقيدة .

(د) حفظ الوطن الاسلامى .

فى مجال الحث على الانفاق يطالب الاسلام المسلمين ان ينفقوا مما هم مستخلفين فيه .

يقول الله تعالى :

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير »
٧ — الحديد

ويقول جل جلاله :

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ٣٣ — النور

وهذا دليل على أن الملكية الاصلية هى لله جل جلاله ..

« ولله ميراث السموات والارض » .

« له ملك السموات والارض » .

وهذا يشير الى ان ملكية الناس للمال انما هى ملكية بالوكالة أو ملكية انتفاع وادارة .

ولذا فعندما تأتى التكاليف التى يترتب عليها الثواب والعقاب واللوم والمؤاخذة ينسب الله تعالى الملكية الى العباد فيقول جل جلاله :

« الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » .

٢٧٤ — ٢٧٥ البقرة

« مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم، الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم ،

يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان

عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين »
٢٦١ ــ ٢٦٤ البقرة

« ولا تؤتو السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما »
٥ ــ النساء

اذن الملكية فى نظر الاسلام لها جانبان •

جانب اصلى ثابت هو ان الله وحده هو الذى يملك السموات والارض والعباد •

جانب تفويضى وظيفى هو ان العباد موكلون من قبل الله تعالى فى الانتفاع بهذا المال فهى ملكية انتفاع ، والنبى « صلى الله عليه وسلم » يصور هذه الملكية أصدق تصوير فى قوله الشريف :

« يتبع الميت ثلاثة : يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه : أهله ، وماله ، وعمله فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » •

متفق عليه

وملكية الانتفاع هذه ملكية ذات اشكال متنوعة :

❋ فالاسلام يؤمن بالملكية الخاصة ويجعل الدفاع عنها حقا مشروعا والحديث الشريف يقول :

« ومن قتل دون ماله فهو شهيد » رواه أبو داوود والترمذى

❋ كذلك الاسلام يؤمن بالملكية العامة وحدها فى نظر الاسلام كل ما لا دخل للفرد فى انتاجه مثل الارض والمعادن والبترول ، والبحار والغابات ، وكنوز الجبال •

❋ كذلك الاسلام يؤمن بملكية الدولة وهو بيت المال غرما وغنما يقول النبى « صلى الله عليه وسلم » :

« من ترك مالا فلورثته ومن ترك كلا فالينا » « متفق عليه »

وغنائم الحرب ، والفىء كلها من حقوق الدولة الاسلامية •

ومن هنا يظهر الخطأ الفادح علميا لمن يصف النظام الاقتصادى فى الاسلام بأنه رأسمالى أو اشتراكى •

وسبب ذلك الخطأ يرجع الى أن :

(أ) النظـــام الرأسمالى يؤمن بالملكية الفردية وبحريتهـــا غير المقيدة كقاعدة عامة ولا يلجـأ الى الاعتراف بالملكيـــة العامة الا فى ظروف اجتماعية خاصة .

والحرية الفردية عندها : الغاية تبرر الوسيلة ، وعندها الربح قبل خدمة المجتمع ولهذا فان المجتمـع الاســـلامى يرفض ان يطلق على نظامه الاقتصادى مثل هذه التسمية لاختلاف قواعد العمل الاقتصادى بين الاسلام والرأســـمالية ، فالاســـلام يرى ان الملكية متنوعة وأنها لخدمة المجتمع ، والرأسمالية ترى ان الملكية فردية ولها ان تفعل ما تشاء فى سبيل الحصول على ربح اكبر .

(ب) والنظام الاشـــتراكى لا يؤمن بالملكية الفردية ولا يضع لها ادنى حســـاب فهو قائم على قاعدة الملكية العامة .

فمن الخطأ علميا أن يوصف نظام الاقتصـــاد الاســـلامى بأنه اشتراكى .

صحيح ان الاشتراكية بـدأت تنزع فى الآونة الاخيرة الى نوع من الملكية الخاصة الجماعية ــ لكنـه نزوع سببه فشـل التجربة وليس ملكية خاصـة بالمفهوم الصـحيح والملكية العامة التى يقرها الاسلام ليست هى الملكية العـامة فى نظر الاشتراكية لأن الملكية العـامة فى نظر الاسلام هى المصادر الاساسية التى لا دخـل للاكتسـاب الفردى فيها مثل الارض والنهر «والبترول» والمعادن الاخرى .

أما الملكية العامة فى نظر النظام الاشـــتراكى فهى التلصـص على ممتلكات الافراد .

ومن هنا يفترق نظام الاصـــلاح بين الاســـلام والاشتراكية ، ومن هنا أيضا نقول بخطأ اطـلاق لفظ الاشتراكية على النظام الاسلامى .

كما أن مفهوم الملكية الفردية فى الاســـلام ليس هـــو مفهومهـا الرأســـمالية لأن الملكية الفردية فى الاســـلام محاطة بقوانين تحد من استغلالها للمجتمع .

لأن الانتـــاج فى نظر الاســـلام مرتبط بالقيم والمبادىء الاسلامية .

* فلا يجوز للأفراد اقامة مصنع للخمر وان صح ذلك فى النظام الرأسمالى لان الاسلام حرم الخمر .

* ولا يجوز للافراد التعامل بالربا وان صح ذلك فى النظام الرأسمالى لأن الاسلام حرم الربا الى يوم القيامة .

. * ولا يجوز ان يغش او يحتال أو يغتصب ، أو يسرق أو يغل أو يخون .

* ولا يجوز للحاكم أن يتاجر على المسلمين فان فى عمله بالتجارة خلخلة لموازين العمل الاقتصادى بما يبتزه أو يحتكره من طعام **المسلمين يقول النبى صلى الله عليه وسلم « من أخون الخيانة تجارة الوالى فى رعيته »**

رواه الطبرانى حديث صحيح

ويمكن ان نصوغ مجتمعنا الاسلامى فى حياته الاقتصادية على هذا اللون من الملكية ومن الحرية فى الانتاج المشروط بقواعد الشرع الحنيف حيث يبرز الجانب الانسانى فى النواحى بالخير والحق والعدل والرحمة بعيدا عن التنافس والسعى وراء ربح أكثر ولو على حساب الضعاف والمساكين .

وسائل الانتاج

من سمات الحياة الاسلامية أنها حياة انتاج لا استهلاك والملاحظون لنظام العبادة يرون نظام الصوم المفروض والمسنون يوحى بأن الامة الاسلامية أمة انتاج لا أمة استهلاك .

ولقد دعا الله الامة الاسلامية الى العمل والى زيادة الانتاج فى عديد من آيات القرآن الكريم واحاديث السنة الشريفة المطهرة .

يقول الله تعالى :

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » .

الملك

ويقول النبى « صلى الله عليه وسلم » :

« اذا بات الرجل كالا من عمل يده بات مغفورا له »

«ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه أحمد

ووسائل الانتاج فى الاسلام أكثر من التى عرفها الاقتصاديون.

انهم يرونها فى : العمل ، والموارد الطبيعية ورأس المال ويقصدون به: الالات والمعدات والمنشآت التى تمكن الافراد من القيام بعملية الانتاج ، ثم التنظيم ويقصدون به دراسة المشروعات من حيث احتمالات النجاح والفشل فهم يدرسون :

* عوامل الانتاج وقت انشاء المشروع .
* وأسلوب الانتاج .
* وتحديد افضل النسب التى يمزج بها عناصر الانتاج اللازمة للمشروع .
* واختبار الموقع .
* وتجميع رأس المال .
* ومستوى تواجد الايدى العاملة .
* وكيفية التسويق ... الخ .

ولهذه النظرة الضيقة حكموا على وسائل الانتاج الطبيعية بأنها ضيقة وأنها لا تكفى لأقوات الناس ورتبوا على ذلك قضايا منها تحديد النسل وانفجار السكان .. والندرة الاقتصادية ... الخ .

ولقد كانت نظرتهم من منطلق اعتقادهم وعجز اديانهم الاوربية عن اعطاء تصور صحيح لقدرة الله الرزاق المتين وما اودعه فى هذه الارض وما ادخره فى السماء وما اودعه البحار والجبال من كنوز .

ولهذا كانت نظرة الاسلام اشمل واصدق فقد اضاف الى هذه الوسائل .

(أ) الكون .

(ب) طاقات الانسان .

فصارت وسائل الانتاج فى الاسلام أشمل وأكثر وأدق فهى :

(أ) الارض وما عليها وما فيها .

(ب) والسماء وما فيها .

(ج) الرياح اللواقح .

(د) السمع والبصر والفؤاد .

أولا ــ الأرض وما عليها وما فيها:

يقول الله تعالى :

« هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شىء عليم »

٢٩ ــ البقرة

« وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وانهاراً ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

٣ ــ الرعد

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برزاقين .

وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » .

١٩ ــ ٢١ الحجر

« والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين » .

٥ ــ ٩ النحل

« وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه أن فى ذلك لآية لقوم يذكرون، وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون .

وألقى فىالأرض رواسى أنتميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون»

١٣ ــ ١٥ النحل

« وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه ،وهذا ملح اجاج ، ومن كل تأكلون لحما طريا ، وتستخرجون حليه تلبسونها ، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »

١٢ ــ فاطر

« الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماءبناء وصوركمفأحسن

صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين » ٦٤ — غافر

« قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين » ٩ — ١٠ فصلت

ثانيا — السماء وما فيها :

يقول الله تعلى :

« الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار » ٣٢ — ٣٤ ابراهيم

« هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون .

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »

١٠ — ١٢ النحل

* « و فى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون » ٢٢ — ٢٣ الذاريات

ثالثا — الرياح اللواقح :

* « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين »

٢١ — ٢٢ الحجر

* « وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا ، لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا » ٤٨ — ٤٩ الفرقان

« وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد » ٢٨ — الشورى

رابعا ـ السمع والبصر والفؤاد :

انـه من غـيره لن تسـتطيع جميع الموارد الطبيعية ان تثمـر شيئا ما الا بجهـد الانسـان البشرى ، وهـذا الجهـد طـاقة جسـمانية ، وطـاقة روحيـة ، وطاقة عقليـة .. وتلك لاتعطى مداها الطبيعى من القوة المطلوبة فى الانتـاج الا اذا كانت سـليمة معفية من النقص وهذا هو السر فى جعل الاسلام قوى الانسان عنصرا من عناصر الانتاج فهى مركز التكليف الشرعى فى هذا المجـال يقول الله تعالى :

＊ « ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

٣٦ ـ الاسراء

＊ « والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »

٧٨ ـ النحـل

هكذا يربط الاسلام الفرد المسلم بهذا الكون الفسـيح فى عملية الانتاج .

＊ فالأرض سهلة مذللة له .

＊ والبحـار والأنهـار مهيأة لعمله .

＊ والشمس والقمر والليـل والنهـار مسـخرات لخدمة زرعه وسفره وراحته وسعيه .

＊ والرياح تسـعفه فى البر والبحر فتسوق اليه السـحب المزن الثقال لتروى ظمأه وزرعه فى الواحة البعيدة ، كما تسوق اليه سفينته فى الشط البعيد كذلك .

وقد جعـل الله ذلك تذكرة من آياته الدالة على عظمـة ابداعه وتدبيره للكون :

« ومن آياته الجـوار فى البحر كالأعلام ، ان يشأ يسكن الريـح فيظللن رواكد على ظهره ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ،أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير » .

٣٣ ـ ٣٤ الشورى

والاسلام بهذا يحرر المسـلم من ربقة اليأس كما يحـرره من

العجز والكسـل ، ويفتح له باب التفاؤل فى رحمة الله الواسـعة ، فهو وحده جل جلاله فالق الحب والنوى ،كما هوفالق الاصباح ومع هـذا الرجاء فى رحمة الله وهـذا الفيض المدرار من نعمة جل جلاله فانه لا ندرة ولا مشكلة فى الاقتصاد الاسلامى الا ان يجنح المسـلمون الى غير ما افاءهم الله به من نعم وخيرات ومبادىء ودين قويم •

والحديث موصول

دكتور رءوف شلبى

من كلمات السيد الرئيس محمد أنور السادات فى خطابه التاريخى فى ١٤ مايو سنة ١٩٨٠ م

« تكريم القرآن للمسيح »

أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى القرآن بالحديث الذى دار بينه سبحانه وتعالى وبين المسيح عيسى عليه السلام :

« واذ قـال اللـه يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمى الهين من دون الله قال سـبحانك ، ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ٠٠ أن كنت قلتـه فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسـك انك أنت علام الغيوب » •

هذه أوامر ربنا سبحانه وتعالى ، لنا فى القرآن ــ مريم أطهر نسـاء العالمين الى يوم القيامة ، والمسيح يخلق من الطين كهيئة الطير فتكون طيرا باذن الله ، ويبرىء الأكمه والأبرص باذن الله ويحيى الموتى باذن الله » •

في مواجهة الإلحاد العالمي

منشأ القصور في المنهج العلمي

للدكتور يحيى هاشم

(١٣)

منشأ القصور « العلمى » على النحو الذى بيناه كامن فى عـــزم الانسان على الاستقلال بالفهم عن طريق العقل ، أو عن طريق العلم ، **أما « اقـــرأ » •**

« اقرأ باسم ربك » •

أى العلم المستند الى الله منذ الخطوة الأولى ، فهو عاصـم عن كل هذا التخبط ، فضلا عن كونـه ضرورة عملية لا محيص عنها •

ومن عجيب الاتفاقات أن حقيقة المعرفة فى القرآن الكريم هى أول ما نزل من القرآن •

انها موجودة فى قوله تعـالى :

(اقرأ باسم ربك الـذى خلق • خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، عـلم الانسان مالم يعلم) •

ثم تأتى تتمتها من قولـه تعالى اثر ذلك :

« كلا ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، ان الى ربك الرجعى » وبيان ذلك ، ان هذه الآيات تقول لنا :

١ — ان المعرفة لا يعثر عليهـا فى أعماق النفس البشرية ذاتيا (١) وانما تأتى باجتهاد تمثله كلمـة (اقرأ) •

---

(١) «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا» صدق الله العظيم ٧٨ النحل •

٢ ــ هذا الاجتهاد لا يقوم به الانسان مستقلا وانما يقوم به :

« باسم الله » .

وباسم الله لا تعنى مجــــرد البركة وانما تعنى الاستعداد .

فهو اجتهــاد يستمد مبــادئه ورسائله ووسائله وغـــاياته من الله .

٣ ــ ولتوضيح المقصود من كون المعرفة اجتهادا بشريا مستمدا من الله .

تذكر الآية نظير ذلك فى حيــاة الانسان :

وهو خلق الله للانسان .

الذى خلق (١) .

الانســـان لم يعثر عليــه فى الطبيعة ، ولم يصدر عن العلــــة الأولى بطريق الفيض .

ولكن الله هو الذى خلقه .

خلقه من بداية صغيرة .

« خلق الانسان من علق » .

وصاحب هذا الخلق جهد بشرى ضئيل ، مجرد مصاحبة .

هكذا الأمر فى المعرفة .

فهل خلق الله الانسان وتركــه دون أن يعلمه ؟ ذلك لا يتفق مــع وصفى :

١ ــ الربوبيــــة .

٢ ــ الكرم ، أو الأكرم .

فهو اجتهاد يســــتمد مبادئه ووسائله وغاياته من الله .

٣ ــ ولتوضيح المقصود من كون المعرفة اجتهادا بشريا مستمدا من الله :

---

(١) لعل فى هذا اشارة الى ان المعرفة الحسية موقوفة على تدبير من الله سبحانه فلقد أثبت العلم الحديث أن المعرفة الحسية لا شأن لها بما يسمى الشىء فى ذاته وانما هى تمثل هذه الأشياء وكما تؤثر فى حواسنا فحسب ، وبما ان هذه الحواس قد خلقها الله ســبحانه على نحو معين دون غيره فان الخالق سبحانه يحدد لنا بذلك وجه التأثر الذى تتــأثر به الحواس من هذه الاشياء ، وبناء عليه يمكن القول بأن معارفنا الحسية تنفذ الينا من خــلال ارادة الهبة ، وتدبير الهى ..

تذكر الآية نظير ذلك فى حيــاة الانسان :

« وهو خلق الله للانسان » .

« الذى خلق » (١) .

الانسان لم يعثر عليه فىالطبيعة ولم يصدر عن العلة الأولى بطريق الفيض .

ولكن الله هو الذى خلقه .

خلقه من بداية صــــغيرة .

« خلق الانسان من علق » .

وصـــاحب هذا الخلق جهـد «بشرى ضئيل ، مجرد مصاحبة» .

هكذا الأمر فى المعرفة .

فهل خلق الله الانسان وتركــه دون أن يعلمه ؟ ذلك لا يتفق مــع وصفى :

١ ــ الربوبيــة .

٢ ــ الكرم « أو الأكرم » .

وذلك ما تقوله الآية الثالثة .

« اقرأ وربك الأكرم » .

فالنتيجة اذن فى الآية الرابعة .

٤ ــ « الذى علم بلقلم » .

فهو الذى علم .

كما أنه هو الذى خلق .

واذا كان الخلق من الله مــع مصاحبة جهد بشرى ضئيل ..

مجرد مصاحبة فان التعليم من الله مع مصاحبة جهـــد بشرى ضئيل أيضا هو الامساك بالقلم . والقـــراءة .

فماذا علم الله للانسان ؟

---

(١) لعل فى هذا اشارة الى ان المعرفة الحسية موقوفة على تدبير من الله سبحانه فلقد أثبت العلم الحديث أن المعرفة الحسية لا شأن لها بما يسمى الشىء فى ذاته وانما هى تمثل هذه الأشياء وكما تؤثر فى حواســنا فحسب وبما ان هذه الحواس قد خلقها الله سبحانه على نحو معين دون غيره فان الخالق سبحانه يحدد لنا بذلك وجه التأثر الذى تتأثر به الحواس من هذه الأشياء وبناء عليه يمكن القول بأن معارفنا الحسية تنفذ الينا من خلال ارادة الهية وتدبير الهى .

هذا ما تجده فى الآية الخامسة.

« علم الانسان ما لم يعلم » .

٥ ـ علمه الأشياء التى لم يتعلمها .

الأشياء التى لم يعلمها أصلا أو التى لم يتعلمها ـ فى الحقيقة ـ بنفسه ، وان كان قد صحب عملية تعلمها بجهد بشرى ضئيل .

وهذه العلوم نجدها فى البداية :

فى العلوم الضرورية .

ويلحق بها أدوات المعرفة .

وفى الوسائط : فى افاضة هدى الله على جهد الانسان فى مسالك الوصول الى النتائج .

وفى النهاية : فى افاضة اليقين ، لجبر ثغرات الظن فيما يتعلق بالوثوق بالنتائج .

٦ ـ ولكى لا يلتبس أمر هذا كله بالوحى أو الكشف أو الالهام الخاص فقد جاء قوله تعالى « الذى علم بالقلم » ليؤكد الأسلوب العادى فى التعلم كما أن قوله تعالى « الذى خلق ، خلق الانسان من علق » يوضح الأسلوب العادى فى الخلق .

أما الأسلوب غير العادى .

أسلوب خلق آدم .

وأسلوب خلق عيسى .

وأسلوب الخوارق والمعجزات .

فذلك موضوع آخر لا يصح أن يختلط بما نحن ازاءه .

ذلك موضوع الوحى أو الكشف أو الالهام الخاص ، موضوع لا يتعلق بنظرية المعرفة العادية التى يشترك فى الخضوع لها البشر جميعا على سواء .

ثم تبين الآيتان التاليتان أن استقلال الانسان بالتعلم ، أو بالعلم انحراف عن مصدر التعليم .

« كلا ان الانسان ليطغى ، ان رآه استغنى » .

٧ ـ ثم تبين الآية الأخيرة فيما ذكرناه أن المرجع فى المعرفة هو

الله « ان الى ربك الرجعى » (١).

ان كلا من المعتزلة والاشاعرة يقررون أن العلــوم الضرورية ــ وهى أســاس اليقين فى حــركة العقل مخلوقة لله .

واذن فجملة البناء العقلي الذى بنوه يحتاج أولا الى معـــــرفة الخالق وبهذا وقعوا فى الدور الذى حسبوا أنهم يهربون منه ..

ظنوا أنهم يحتاجون فى بنـــاء الايمان الى العقل المستقل فــاذا هــم :

يجدون أنفسهم محتــاجين فى بناء العقل الى الايمان .

والحقيقة هى هذه :

يحتاج العقل الى الايمــان لكى يقوم ، ولا يتطلب الايمـــان الا مصاحبة العقل ، مجرد مصاحبة ، للتلقى .

وتلك سنة الله فى المعرفة .

كما هى سنته فى الخلق .

كما هى سنته فى الرزق .

وكما هى سنته فى كل ما يحصله الانسان ...

فاذا هــو ــ أى العقــل ــ بتواضعه ، وبمصاحبته للايمــان ، يصل الى هدفه الذى يعجز عنــه مستقلا .

الا وهو اليقين (٢) .

ليكون كلمة طيبة أصلها ثــابت وفرعها فى السماء .. وفى هــذه النظرية تعود الثقةبالضروريات اذا قلنا انها من الله سبحانه وتعالى .

ومع ذلك فهى لا تصلح أساسا أوليا . فى منهج وبناء العلـــوم لأنها تحتاج الى أساس والأساس هو فى الاعتقاد فى الله .

يقـــول أبو الحسن محمـــد ابن يوسف العامرى :

---

(١) لا داعى لتخصيص مدلول هــاتين الآيتين بطغيان الغنى بمـــاله وانذاره بالرجوع الى الله فى اليوم الآخر ، مادام النص أكثر شمولا ، ومادام المعنى الذى نراه مرتبطا بالسياق ولا يؤدى الى محظور .

(٢) هذا ما نبينه فى القسم الثالث من هذا الفصل .

من فلاسفة الاسلام فى القــرن الرابع الهجرى (ت ٣٨١ هـ) •

(ان العلم الدينى قد يصــير أساسا تبنى عليه العلوم •

فانه لن يقتبس الا من المشكاة التى تعزى اليها الأوضاع الأولية لكل صناعة نظرية • هذه المشــكاة هى الوحى الالهى الذى لا يعرض الشك عليه ولا يجوز السهو والغلط فيــه •

فأما العلوم الأخر فليس واحد منها بحيث يقــوى على أن يؤسس عليه علم الدين أو يقضى على شىء من أبوابه •

فاذن العلم الدينى لا محــالة ينزل فى ذاته منــزلة أصــول الصناعات النظرية ومبــادئها فى الصد والقوة •) (١) •

والنتيجة أن نظرية المعــرفة القرآنية يمكن صياغتها على النحو التالى :

الانسان لم يعثر عــلى المعرفة ولكن الله هو الذى أعطاه اياها •

أعطاه بذرتها منــذ البداية فى البدهيات أو العلــوم الضرورية وصاحب نمو هذه البذرة اجتهــاد بشرى مشروط بالاســـتمداد من الله •

وتنمو هذه البذرة لتقوم عــلى ساقها شجرة طيبة أصلها ثــابت وفرعها فى السماء •

« ألم تر كيف ضرب الله مثــلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصــلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربهــا ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون)

(سورة ابراهيم ٢٤ : ٢٥)

ومن هنا تتقرر حقيقة هامة :

ان العقل يحتاج الى الايمــان بالله •

فالعقل المستقل طغيان وانحراف وخبث •

(ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة

---

(١) الاعلام بمناقب الاسلام ص ١٠٦ .

اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) •

(٢٦ سورة ابراهيم) •

كلمة اجتثت من أصـولها : من البدهيات ، ضربت البدهيـات ــ باعتبارها يقينات فى الفلسـفة النقدية ، اجتثت •

كلمة خبيثة مهتزة بالشـكوك التى لا حاسـم لها ، محـوطة بالاوهـام والاحتمـالات التى لا خروج منها ، كما قدمها فلاسفة الشـك •

والعقيدة لا تتبنى عـلى العقل النظرى المستقل

وانما هى تتبنى عـلى منطق آخر •

منطق الضرورة العملية •

والتعرض للانـذار بعـذاب الآخرة •

والتعرض لعوامل تصـديق الرسـول •

وهى بداية وتترقى الى اليقين ، بهدى الله •

يقول تعالى :

«الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » •

١٤٦ البقرة •

لم يقل سـبحانه وتعالى « كما يعرفون انفسـهم » لان هـذا مستوى من المعرفة لا يصـل اليه الانسان ويكفى مسـتوى معرفة الابن ، كجهد بشرى •

اما اليقين الكامل فمن الله

لذلك تأتى الآية التالية لتقول :

« الحق من ربك فلا تكونن من الممتـرين » • ثم تأتى الآية التى بعدها لتعقب ببيان سبب عجـز الانسان عن المعرفة الكاملة التى هى اليقين • ذلك •• اذ تقـول :

« ولكل وجهة هو موليها » •

فهذه طبيعة البشر ، ونقصه ، الاتجاه الواحد فى الرؤية ، الاتجاه الجزئى ، الاتجاه غير المحيط •

وهذا لا يحصـل الاحاطة فى المعرفة ، ومن ثم لا يحصل اليقين الكامل بالعقل •

ومن هنـا كانت تكملة الآية :

مسحة حنان على هذا الضـــعف البشرى ووعد بالرعاية الالهيــة التى تكمل النقص وتلم الشعث .

« .. فاستبقوا الخيرات .. أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا .. ان الله على كل شىء قدير .. »

١٤٨ البقرة .

اذا تقرر ذلك فاننا نجد الآيات القرآنية تزيـــده ايضـــاحا وتوثيقا من ذلك قوله تعالى :

« وعلم آدم الأسماء كلها »

٣١ البقرة

« قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا » .

٣٢ البقرة

« وقل رب زدنى علما »

١١٤ طه

« ولا يحيطون بشىء من علمه الا بماشاء »

٢٥٥ البقرة .

ويقول رسول الله صـــلى الله عليه وسلم « اللهم انك سألتنا من أنفســـنا مالا نملكه الا بك اللهم فاعطنا ما يرضيك عنا » (١)

واذن فالنتيجة النهائية ان مصدر المعرفة هو الله ..

وهو مصدر قريب .

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » .

١٨٦ البقرة .

«ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » .

١٦ ق .

« فأينما تولوا فثم وجه الله ».

٦٧ الزمر .

هذا هو أصل المعرفة بوجه عام كما نراه فى القرآن الكريم . (٢)

اصول الهداية :

اذا كان من عجيب الاتفـــاقات كما قلنـــا ان تكون الآيـــات التى

---

(١) ذكره الامام السيوطى فى الجامع الصغير بسنده عن أبى هريرة ورمز له بالصحة .

(٢) أنظر ما ذكرناه آنفا فى هذا القسم من ان المتكلمين لا ينكرون ان الله هو مصدر المعرفة ، لكن خطاهم كان منهجيا

تستقى منها نظرية فى المعرفة القرآنية هى اول ما نزل من القرآن .

فانه من عجيبها كذلك ان تكون الآيات التى نستقى منها نظرية فى الهداية القرآنية هى أول ما صدر به القرآن .

تلك هى سورة الفاتحة .

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

وبيان ذلك أن هذه السورة تبين :

أولا : مصدر الهدى .

ثانيا : اسباب افاضته من الله .

ثالثا : اسباب منعه .

رابعا : فائدته

أولا : مصدر الهدى :

ان صدر السورة الكريمة يبين ان الهدى يأتى من الله سبحانه وتعالى :

« اهدنا الصراط المستقيم » .

ويتأيد ذلك بآيات اخرى كثيرة :

« قل ان هدى الله هو الهدى »
١٢٠ البقرة

« ان علينا للهدى ... »
١٢ الليل

« من يهد الله فهو المهتد »
٩٧ الاسراء

« وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله » .
٤٣ الاعراف

« وان اهتديت فيما يوحى الى ربى »
٥٠ — سبأ

« فاما يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »
٣٨ البقرة

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(والله لولا الله ما اهتدينـــا) ــ صحيح البخارى •

ويقول عليه الصلاة والسلام :

(سل الله تعــالى الهـــدى والسداد ، واذكر بالهدى هدايتك الطريق ، وأذكر بالسداد تسديدك السهم) •

وهذا الحـــديث يدعــو الى الاستعانة بهدى الله فى الصغيرة والكبيرة من شئون حياتنا •

ثانيا : أسباب افاضة الهدى من الله :

تبين السورة أيضا أن الهــدى نعمة من الله تأتى نتيجــة التوجه اليه بحمده والثناء عليــه بأسمائه الحسنى •• من حيث هو سبحانه المستحق وحده ــ للعبادة ••

ومن حيث هو سبحانه وحــده المستعان •

« الحمد لله رب العالمين •الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين •

اياك نعبد •

واياك نستعين ••

« اهدنا الصراط المستقيم » •

ويتأيد ذلك بآيات أخرى أيضا تبين أن الله سبحانه يعطى الهدى لمن يأخذ بأسبابه •

يقول تعالى « **والذين جـاهدوا فينا لنهـدينهم ســـبلنا » ٦٩ العنكبوت •• ويقول تعالى « يهدى به الله من اتبع رضوانه ســبل السلام »** •

(١٦ المائدة)

ويقول تعالى « **ويهدى اليــه من أناب** » •

(٢٧ الرعد)

ويقول تعالى« **هــــدى وذكرى لأولى الألباب** »

« ٥٤ غافر »

ويقول تعالى « **يا أيهــا الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لـــكم فرقانا** » •

(٢٩ الانفال)

يقول الغزالى : (أى نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من

الشبهات) • (١)

ويقول صلى الله عليه وسلم :

(**من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ، ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة •**

ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم (٢) •

ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار) •

ويقول تعالى :

(واتقوا الله ويعلمكم الله) •

ثالثا : اسباب منع الهدى :

تبين السورة أيضا ان الهدى لا يحصل عليه صنفان من الناس من يعادون الله فيغضب عليهم •

(غير المغضوب عليهم) •

ومن يستقلون بمنهجهم عن الله فيضلون :

(ولا الضالين) •

وتفصل الآيات الاخرى جوانب من اسباب منع الهدى •

يقول تعالى :

(والله لا يهدى القوم الظالمين)
٢٥٨ البقرة

(والله لا يهدى القوم الكافرين)
٢٦٣ البقرة

(والله لا يهدى القوم الفاسقين)
١٨ المائدة

(فان الله لا يهدى من يضل)
٣٧ النحل

(ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار)
٣ الزمر

(أن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب)
٣٨ غافر

(كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) •
٣٤ غافر

(ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)
٣٧ ابراهيم

---

(١) احياء علوم الدين جـ ٨ ص ٤١

(٢) قوله « تاه فيما يعلم » تصريح بضلال النظر التجريدى . والحديث صحيح رواه الامام مسلم والبخارى ، وهو حديث مشهور .

ويقول تعالى :

(فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) .

١٥٥ ، ١٥٦ النساء

ويقول :

(سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين)

١٤٦ الاعراف

ويقول :

(فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) .

٧٧ التوبة

ويقول **(فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)**

٥ الصف

ويقول :

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم) .

١ محمد

رابعا : نتيجة الهدى :

تبين السورة ان نتيجة الهدى هى الوصول الى « الصراط المستقيم » (اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم) .

وفى هذا الصراط المستقيم يحصل اليقين المنشود الذى أثبتنا انه لا يمكن الحصول عليه بالجهود العقلية الذاتية ، المستقلة عن الله ، ان العقل المتمرد أو المستقل يمكنه ان يصل الى شىء من الظن لكنه لا يصل مستقلا الى شىء من الهدى ، الذى تشعر فيه النفس بالطمأنينة والسكون واليقين .

ان الفلسفات والعلوم التجريبية التى يصل اليها العقل مستقلا خاضعة حتما لما تخضع له عقولنا من النسبية والنقصان .

لذلك فان ما نصل اليه اليوم من علم يظهر لنا نقصه غدا ، وما نزال

نكتشف بتقدم البحث جهلنا ، وهزال معارفنا ، وحاجتنا الى الهدى واليقين الذى لا تفرزه عقولنا .

وفى ظل هذه العلوم النسبية والفلسفات الناقصة يتقدم العلم التجريبى ويطرد الحصول على بعض منافع الدنيا ، لكن الانسانية لابدمن حركتها الى الامام — سواء عن طريق العلم أو الفلسفة — من أن يكون لها أهداف ثابتة واضحة ، راسخة على مدى الدهور ، والا كان ضلالها على أهدافها لا يمكن تلافيه أو الخلاص منه ، والعلوم النسبية تضل دائما عن الاهداف الراسخة .

ان دور العلم المحدود فى حياتنا ان صرح العلم العظيم يحتاج دائما الى من يحركه نحو هدف نضعه وفقا لعقائدنا .. اننا اذا ما سألنا عالما عن الطريق الذى يجب ان نسلكه ، فان الجواب الوحيد الذى نجده لديه هو : ان هذا يتوقف على المكان الذى نقصده، انه يتوقف على الهدف الذى نحدده .

وكما يقول الدكتور كيمينى — الفيلسوف العالم الذى عمل مساعدا لا ينشتين (علينا ان نقرر بوسائل غير وسائل العلم الهدف الذى نود بلوغه ، وبعدئذ يبرز دور العلم ، حيث يكون باستطاعته ان ينبئنا بكيفية المسير واتجاهه وأسرع الوسائل وافضلها لبلوغ الهدف)(١)

فهذا ليس من شأنها ، ولا يمت الى قدرتها بسبب ، ومن هنا كان الانسان بحاجة الى مصدر خارجى يهديه الى هذه الاهداف ، ويرسم لها الطريق .

(الصراط المستقيم)

وليس ثمة غير هدى الله :

« قل ان هدى الله هو الهدى »

١٢٠ البقرة

وخلاصة هذا البحث :

١ — ان مصدر الهدى هو الله .

٢ — ان اسباب افاضة الهدى من الله تكمن فى التعرض له ،

---

(١) الفيلسوف والعلم ص ٣٤١ .

والاخلاص فى طلبه منه سبحانه .

٣ ــ ان اسباب الضلال عن هدى الله تكمن فى الاعراض عنه، والاتجاه الى مصادر من النظــــر أو العمل مقطوعة الصلة بالله .

٤ ــ ان فائدة الهدى تحصـــيل اليقين ، الذى نحن بحاجة اليـــــه لصــــــون النفس أولا ، وللعلم بالاهداف العليا والطريق اليهـــا ثانيا ..

دكتور يحيى هاشـــم

« الصــــبر »

قال خالد بن الوليد : ان الصــــبر عز ، وان الفشـــــل عجــز ، وان النصر مع الصبر .

وقال حكيم : الضعيف الصبور قوى بصبره ، والقوى الجزع ضعيف بجزعه .

وقال آخر : لا توجد العظمة بين الرجال الا حين يوجد الصـــبر .

القرآن والدراسات النفسية

للدكتور عبد الغنى الراجحى

عالم الكائنات هو الكون الكبير وعالم الانسان هو الكون الصغير وخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس(١) والنفس البشرية لا تعدو أن تكون مظهرا من مظاهر الكون . والله سبحانه وتعالى برحمته وحكمته وجوده الذى أفاضه على جميع الكائنات قد تعهدها هى الاخرى بالاصلاح والتقويم والهدايات والامدادات التى يمد بها كل كائن لصلاح حاله واستقامة وجوده وكينونته . فهو الذى أحسن كل شىء خلقه . وهو الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى . وكل شىء خلقه بقدر وأعطى كل شىء خلقه ثم هدى . ولعله مما يشير الى هذا المعنى ويؤكده بالنسبة للانسان صراحة هذا الاستفهام الانكارى الذى صدر الله به سورة الانسان حيث يقول : **« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا »** خلق مادى تكوينى وهداية وتربية حتى نهاية الطريق . لم تهمل البشرية ولم

---

(١) انظر سورة غافر آية ٥٧ وسورة يس : « اوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم » وسورة النازعات : « أانتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها » .

تحرم من الهدايات والنبوات على طول العصـــور والدهور • **« وان من أمة الا خلا فيها نذير »** •
سورة فاطر آية ٢٤ •

لابد اذن للقرآن الكريم الذى أنزله الله لصـــلاح النفوس الانسانية من أن تكـــون له فى بلاغته وأساليبه وهديه وتشريعه التصـــاقات بالنفس البشرية • ولمسات قوية لأعماقها وانفعالاتها وطبائعها وانطباعاتها ليستنى لـه علاجها ومداراتهـــا كما يتسنى للطبيب علاج مريضه بوضع الدواء حيث يكون الداء • ولابـــد اذن وبالتالى أن يكون دارس القرآن ومفسره على معـــرفة بالنفس وغرائزها وانفعالاتها وكل ماتبحث فيه علوم النفس والاجتماع حتى يتسنى له الكشـــف عـــن عظمة القرآن وجلاله ، وأخذه بمجـــامع القلـــوب ، ونـــواصى النفـــوس وصلاحية مبادئه وأحكامه لكـــل زمان ومكان لأنه كتـــاب الفطرة والنفس البشرية حيثما كانت • ثم تفنيد وابطال مايوجه الى هـــذا القرآن العظيم من شـــبهات واتهامات تتعلق باعجـــازه وهديه وأحكامه وبلاغته ويمكن ابطالهـــا وردها من أقصر طريق على ضوء مقررات علم النفس الحديث الذى كان وليـــد النهضـــة العلمية فى العصور الحديثة والتى كانت بعد نزول القرآن بقرون كثيرة فيكون فى ذلك نمط من اعجاز القـــرآن شاهد بصدقه وحقيته ونزوله من عند الله ويكون الشأن فى ذلك كما وعد الله بقوله : **« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شـهيد »** ســـورة فصلت السجدة •

ولنأخذ مثلا قضيـــة التكرار الذى جاء فى القرآن الكـــريم والذى كان مثـــارا للشـــبهات واتهامات توجه بسببه الى القرآن الكريم بدعوى أن التكرار لافائدة منه وأنه مخل بالبلاغة والأساليب البلاغيـــة وليس فيه أى جمـــال تعبيرى سواء كان المكـــرر لفظا بعينه كقوله تعالى : « دكا دكا »

وقوله تعالى : « صفا صفا » (١) . أم تكرار جمله وعبارة بعينها كقوله تعالى : « **ان مع العسر يسرا .. ان مع العسر يسرا** »(٢) وقوله « **كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون** » (٣) وقوله : « **ويل يومئذ للمكذبين** » (٤) وقوله : « **فبأى آلاء ربكما تكذبان** » (٥) وقوله : **فكيف كان عذابى ونذر**»(٦)وقوله: « **ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين** » (٧) أم كان تكرار المعانى والعبارات بأساليب تختلف اطنابا وايجازا ،وتختلف فى بعض الألفاظ تقديما وتأخيرا وتنكيرا وتعريفا وذكرا وحذفا ، وابدال لفظ بآخر ونحو ذلك ، كالذى كان من تكرار قصص القرآن فى أكثر من سورة وأكثر من موضع تكرر القصة أو يكرر طرف منها مع الزيادة والنقص واختلاف طرق الأداء باختلاف العبارات والألفاظ . وان كان المعنى الأصلى واحدا أو كالواحد كالذى كان من تكرار قصص موسى وآدم ونوح وابراهيم وكثير من الرسل فى كثير من الآيات والسور وقد جاءت هذه الظاهرة أيضا فى غير القصص من آيات التوحيد والعقائد واليوم الآخر والحلال والحرام وسائر الأغراض التى سيقت لها آيات الذكر الحكيم .

عيب القرآن بذلك المستشرقون والباحثون الغربيون الذين هم بمعزل عن معرفة البلاغة العربية وادراك أسرارها وتذوق حلاوتها مهما استشرقوا ودرسوا من القرآن ولغة العرب . « ومن يك ذا فم مر مريض .. يجد مرا به

---

(١) سورة الفجر « كلا اذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا » ..
(٢) سورة الشرح .
(٣) سورة التكاثر .
(٤) سورة المرسلات .
(٥) سورة الرحمن .
(٦) سورة القمر .
(٧) سورة الشعراء .

المـــاء الزلالا » جاء فى دائرة المعارف البريطانيـة مادة قرآن ، قول الكاتب بعد أن أشار الى ماقى القرآن من تكرار فقال : « وليس هناك مهارة أدبية عظيمة واضحة فى هذا التكرار الذى لالزوم له».

وعيب القرآن بذلك الزنادقـة والملحدون منذ فجر الاسـلام . حيث يحكى الامام السـكاكى ذلك عنهم فى كتابه « مفتاح العلوم » فيقـــول : « ومنها ــ أى من اعتراضات الزنادقة علىالقرآن ــ انهم يقولون اننا نرى المعنى يعاد فى قرآنكم فى مواضع اعادة مـع تفاوت فىالنظم بين حكاية وخطاب وغيبه وزيادة ونقص وتبـديل كلمات ، فـان كان النظـم الأول حسنا لزم فى الثانى الذى يضاده بنوع من الزيادة والنقصان أو غير ذلك أن يكون دونه فىالحسن ،وفى الثالث الذى يضاد الأولين بنوع مضاده أن يكون أدون ، وقرآنكم مشحون بأمثال ذلك فكيف يصـح أن يدعى فى مثله أنه معجـز ؟ والاعجاز يسـتدعى كونه فى غاية الحسن ، لا أن يكـون دونها بمراتب .

هذه هى قضية التكـرار فى القرآن ، وان كان لها جـذور فى أعماق الماضى البعيـد الا أنهـا كثيرا ماتثار فى أقوال المحـدثين من الباحثين ، فتأخذ أوضـاعا وأشكالا وتكييفات تتناسب مـع الزمن الذى تثار فيه ، فيجب أن تكون دراستها والرد عليها وتفنيد مطاعنها كذلك مكيفا ومتناسبا مع الزمن الذى يقال فيه ، وقد ذكـر علماؤنـا الأولون ــ طيب الله ثراهم ــ الردود القوية والمفحمة التى تتلخص فى أن التكرار اللفظى فى الكلمة والعبارة ظاهرة معروفة فى الكلام العربى والأسـاليب العربية التى نزل بها القـرآن العربى المبين ، وفائدته التأكيـد وزيادة التقرير فى نفس السـامع ووعيه ، لا يخل بشىء من فصاحة الكلام وبلاغته ، بل يزيده فصاحة وبلاغة ، لاسيما اذا كان فى مقامات التضخيم والتهويل وعظائم الأمور وفحول المعانى ، واستشهدوا على ذلك بعشرات الشـواهد من بليغ

كلام العرب الذى نزل القــرآن بلغتهم ، وان تكـــــرار المعنى الواحد بعبارات وأساليب مختلفة يعتبر فى القرآن الكريم زيادة على ما أشرنا اليه من حكمة التكــرار مقدرة فائقة ومعجـــزة خـارقة للعادة ، حيث يكون المعنى الأصلى واحدا لكنه تحدث بتكـــــراره زيادات ومعان ثانوية وفنـــون متجددة من التعبـــير ، فيلبس الأسلوب فى كل موضع يقع فيــه المكرر ثوبا جديدا موشى بالحسن والرونق والجلال ، فـلا يزداد المكرر بالتكرار الا حلاوة ، وطلاوة ويكون المعنى الأصلى كالجوهــرة الثمينة التى تقلبها بين يديك ، وأمام ناظريك فتعطيك من كل جهـة من جهاتها وجها من وجوه الحســن ، تزداد لرؤيته نفســـك ابتهاجا لاتستطيع أن تفضل وجها منهـا على وجه وذلك على خلاف المعهود فى كلام الناس ، فانه كلام البليغ والأديب اذا تكرر فى موضـوع واحد ومعنى واحد هجمت عليــه أعـــراض التخاذل والتفـاوت والتفكك ، وتبدل حاله وتردد بين الضعف والقوة على حسب تبــدل المزاج البشرى واختــلاف قواه وطاقته من حين لآخر حســب الطبيعة البشرية والقصـــور الانســـانى ، أضف الى ذلك أن العرب كانوا يقولون عن القــرآن حين يسمعونه :«قد سمعنا لونشاء لقلنا مثـــل هــذا ، ان هــذا الا أســـاطير الأولين ، اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا» فتحداهم القرآن أن يأتوا بمثله ، فعجزوا، فأخذ القرآن نفسه يكــرر المعنى الواحد والقصة الواحدة فى أكثر من موضع وبأكثر من أســـلوب ليوسع لهم فى مجال المعارضـــة بالايجــاز تارة وبالاطناب أخــرى كأنه يعطيهم أنماطـــا للامثـــال المطلوب ، ومع كل ذلك فقـــد عجزوا عجزا تاما عن أن يعارضوا القرآن أو يأتـــوا بمثله من أى أسلوب شاءوا ، فقد كان منهم من يجيد بطريقة الاطناب وأسلوبه ، وكان منهم من يجيـــد بطريقة الايجاز وأسلوبه ، فجاء القــرآن مجيدا بليغا بكل أســلوب ، فكان ذلك ضربا آخر من ضروب الاعجاز

ينطق بأن القرآن ليس من كـلام بشر ، ولكنه من كلام خلاق القوى والقدر •

يقول السكاكي فى كتابه مفتاح العلوم باب التقديم والتأخير : « ولله در التنزيل واحاطته على لطائف الاعتبارات فى ايراد المعنى الواحد على انحاء مختلفة بحسب مقتضيات الاحوال ، لا نرى شيئا منها يراعى فى كلام البلغاء من وجه لطيف الا عثرت عليه مراعى فيه من ألطف الوجوه ، وانا ألقى اليك من القرآن عدة أمثلة مما نحن فيه لتستضىء بها فيما عسى أن يظلم عليك من تظاهرها ، اذا أحببت أن تتخذها مسارح فكرك ومطارح نظرك — • ثم أطنب » رحمه الله — بذكر أمثلة كثيرة لما أشار اليه ، نعتقد أن مراجعتها هناك لمن شاء مغنية عن الاطالة بذكرها هنا •• ويقول المرحوم مصطفى صادق الرافعى فى كتابه اعجاز القرآن وتحت عنوان اسلوب القرآن : « وهنا معنى دقيق فى التحدى ما نظن العرب الا بلغوا منه عجبا ، وهو التكرار الذى يجىء فى بعض آياته فتختلف فى طرق الأداء وأصل المعنى واحد كالذى يكون فى قصصه وتوكيد الزجر بالوعد والوعيد ، وهو مذهب للعرب معروف لايذهبون اليه الا فى ضروب من خطابهم للتهويل والتوكيد والتخويف والتضجيع وما يجرى مجراها من عظائم الأمور ، لكن وروده فى القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته لقوة غريبة منه لأن المعنى الواحد يتردد فى أسلوب واحد بصورتين أو صور ، كل منها غير الأخرى ، وجها وعبارة ، وهم على ذلك عاجزون عن الاتيان بصوره ، ومستمرون على العجز لايطيقون ولا ينطقون • السكاكى — رحمه الله — ينقب عن حكمة دقيقة وعميقة لهذه الظاهرة حيث يرى أنها كانت للتبكيت والرد على الخصم لو قال عند تحديه بالقرآن بألفاظه ومعانيه قد سبق الى صوغها الممكن فكيف نأتى لها بالمثل ، فكأن القرآن

يقول له هذا هو المثل بل المثلان بل الامثال حسب عدد التكرار .

اننا بعد ذلك كله نستطيع بانعطافة بسيطة نحو دروب علوم النفس والاجتماع ان نجد فى مقرراتها التبرير النفسانى والاجتماعى لوجود هذه الظاهرة ظاهرة التكرار فى القرآن الكريم وانها وجدت فيه لاتصالها الوثيق بتحقيق الأهداف التى من أجلها نزل القرآن وذلك حيث يقول الدكتور غوستاف لوبون الفيلسوف الفرنسى الاجتماعى المعروف فى كتابة « الآراء والمعتقدات » : « التوكيد والتكرار عاملان قويان فى تكوين الآراء وانتشارها واليهما تستند التربية فى كثير من المسائل ، وبها يعتنى رجال السياسة والزعماء ، والتكرار هو التنمية الضرورية ، وهو يحول المكرر الى معتقد » وفى كتابه « روح الاجتماع »يقول :«للتكرار تأثير فى عقول المستنيرين وتأثيره أكبر فى عقول الجماعات . والسبب فى ذلك كون المكرر ينطبع فى تجاويف الملكات اللاشعورية التى تختمر فيها أسباب أفعال الانسان .

ويقول الأستاذ مظهر سعيد العالم النفسانى الكبير فى كتابه علم النفس الاجتماعى : « على الداعى والزعيم أن يكثر من ترديد المسائل الهامة فى مناسبات عدة كأنه يلقنها للناس ، فذلك يكسبها قوة تستهويهم ، وقد ورد فى القرآن آيات التوحيد ونبذ الشرك ثلاثمائة وخمسين مرة والايمان والاعتقاد فى الله ثلاثمائة مرة ، ووصف جهنم لردع الناس مائة وتسعين مرة ، ووصف الجنة للترغيب مائة وخمسة وتسعين مرة وذكرت الصلاة مائة مرة وذكر الصبر كذا مرة .. ، ويقول الأستاذ أحمد أمين عالم الأخلاق الكبير فى كتابه (الأخلاق) : « من القوانين النفسية ان الفكرة اذا عرضت للمخ ورحب بها وقتا طويلا اثرت فيه أثرا كبيرا ثم تحولت الى عمل وان الفكرة لأول عرضها تؤثر فى المخ اثرا ما وكلما تكررت كبر أثرها وسهل ورودها وانتجت العمل لا محالة ثم يصير ذلك عادة بالتكرار ، وقد ترفض الفكرة لأول

مرة ، ولكن كثرة ورودها على المخ تجلعه يقبلها » .

ويمكننا نحن أن نضيف الى ذلك كله أننا نرى فى عصورنا الحديثة التى نضجت فيها علوم النفس والأجتماع كيف يعمد أصحاب الدعوات والدعايات الى التكرار فى نشراتهم واعلاناتهم مع التلوين فى عباراتها على غرار ما جاء فى كتاب الله قبل أن تخلق علوم النفس والاجتماع ، وأنه كان من مظاهر ذلك أن القرآن الكريم ابتعد عن الافراط فى الجدل والقياسات المنطقية التى لا تلزم الخصم الا فى الظاهر ، لأنه الاقرار النفسى والانقياد الجوابى الباطنى والامتثال النابع من الأعماق انما يكون الاعتماد فى تكوينه على الموعظة الحسنة والتأثير بالوحدانيات ، الأمر الذى اشاد به وامتدح نفسه به القرآن الكريم نفسه ، حيث يقول الله تعالى فيه:

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى من يشاء .. ومن يضلل الله فما له من هاد » .

سورة الزمر آية ٢٣ .

وبعد :فاذا كان ذلك كذلك وكان التكرار فى القرآن ضربا من ضروب عظمته وجلاله وكان الجاهلون قد عيبوه به ، فما الأمر فى ذلك الا كما قال القائل .

اذا محاسنى اللاتى أدل بها
كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذر ؟

د : عبد الغنى الراجحى

* * *

مع العلامة الندوى فى روائع إقبال

عرض : الأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

مقـــدمة :

يقول الجرجـــانى : « ان من كمال الجمال البلاغى أن تـــكون مادته الخير والفضيلة » ، والأدب الهادف هو أعظم ما يقصده النقاد ويدعون اليه ، وهو أن تكون لــه رسالة ســامية ينشرها ويدعـــو لتحقيقها ، والأديب الحـق رسول يجمل بيده مشعل الحب والحـــق والحرية ، ويبحث بكل مافى ضميره من شوق وشغف وما فى نفسه من نشاط واخـــلاص عن مصـــدر السعادة والمعرفة فى الحياة ليهدى اليها نفوس البشر الحائرة ــ كما يقرر ذلك بعض الأدباء .

وان ذلك لينطبق تمـاما عـــلى شاعر الاسلام محمد اقبال الذى يقول العلامة الندوى عنه فى كتاب صدر له بعنوان « روائع اقبال » ان أعظم ما حملنى على الاعجـــاب بشعره هو الطموح والحب والايمان وقد تجلى هذا المزيج فى شعره وفى رسالته أعظم مما تجلى فى شـــعر معاصر ، ورأيت نفسى قد طبعت على الطموح والحب والايمان وهى تندفع اندفاعا قـــويا الى كل أدب ورسالة تبعثان الطمـــوح وسمو النفس وبعد النظر والحرص على سيادة الاسلام وتسخير الـــكون لصالحه والسيطرة عـــلى النفس والآفاق ، ويغذيان الحب والعاطفة ويبعثان الايمـــان بالله والايمـــان بمحمد صلى الله عليـــه وسـلم وبعبقرية سيرته وخلود رســالته

وعموم امامتـه للأجيـال البشرية كلها .

وهذا تعليل معقول لاقبـال العلامة أبو الحسن النـدوى ـ وهو أستاذ جيـل ورائد من رواد النهضة الاسلامية ، وحبه لدينـه وأمته الاسلامية مازال منبعـا ثرا فياضا بالخير والعطاء نرجو اللـه أن يمتد الى أن تتحقق آماله وآمال المسلمين فى نهضة عظيمـة تؤتى أكلها وثمارها شهية يانعة باذن الله ـ هـذا تعليل مقبول لاقبـاله على شعر اقبـال ذلك الشـاعر الاسلامى الذى يعد فلتـة من فلتات التاريخ ، فيقدم لنا باقات منه فى هذا الكتاب الذى أصدرته دار القلم فى طبعة ثالثة بعـد أن نفدت طبعتاه الأولى والثانيـة فى وقت وجيز .. ويقدم بين يـدى هذه الباقات دراسة مستفيضـة للشاعر وشعره نوجزها فيما يلى :

شـاعر الاسـلام :

أما اقبـال فقد تضـافرت العوامل المهنبة لتكوين شخصيتـه الفذة لتخرج منه شاعرا اسلاميـا لا يشق له غبار ، فقد نشأ فى ظلال أب صوفى فى بيئة عرفت بالصلاح والتصوف فى مدينة : « سيالكوت » البنجابية ، وكان له أستاذ يعلمـه الفارسية والعربية من نـوادر المعلمين الذين يطبعـون تلاميذهم بطابعهم ، ويبعثـون فيهم ذوق العلم ، فأثر فى الشاب الذكى أكبر تأثير وغـرس فيه حب الثقـافة والآداب الاسـلامية ، وكان لديه الاستعداد الخاص لتلقى العلـم والطبـع الصافى لقول الشـعر والاستجابة السليمة والانفعـال الصادق والمثابرة المستمرة ، حتى انه لم يتجاوز الثانية والثلاثين من عمره حتى حقق نجاحا منقطـع النظير فى العلم والتدريس والقـاء المحاضرات فى مختلف العواصم ، ونبغ فى كثير من المواد ومنها مادة الاقتصاد والسياسة التى نال فيها اجـازة الدكتوراه من جامعـة « ميونيخ » فى ألمانيا .

لقد طوف اقبـال فى كثير من البلدان التى ترك فى كل منهـا أثرا لا ينسى ، ومن بينها : « صقلية » بلد القائد جوهر الصقلى قـائد

المعز لدين الله الفاطمى ومنشىء القاهرة والازهر وسكب على ترابها دموعا وقال قصيدة افتتحها بقوله :

« ابك أيها الرجل أدمعا لا دمعا
فهذا مدفن الحضارة الحجازية »

لطالما حز فى نفس اقبال ذلك التأخر الذى أصاب المسلمين ونظم فى ذلك قصائد رائعة ومن بينها تلك القصيدة التى يعتب عليهم فيها ضعفهم ويشكو الى الله على لسانهم ماحل بهم ، مذكرا لهم بأعمالهم الخوالد فى سبيل الله وفى الجهاد من أجل الاصلاح .. وأبان فى قصيدة أخرى على لسان الحضرة الالهية أن ما أصابهم من ضعف وتأخر انما كان بسبب اهمالهم للدين وعدم اتقانهم أمر الدنيا فاستحقوا الخزى والهوان ، ولقد كان لهاتين القصيدتين أثر كبير بين الناس ، فقد تغنى بهما الاطفال وحفظهما الرجال والنساء وأصبحتا مشهورتين تماما .

لقد كان فى شعره كله مبتكرا ، فى الأسلوب والمعانى وقوة العاطفة وروعة الأخيلة ، ما يقول قصيدة حتى تصبح أسير من المثل الذائع ، ومازال نشيده الوطنى ، وأنشودة المسلم لهما دويهما الرائع فى الأوساط والحفلات والمجتمعات .

كما كان للأحداث التى تنتاب الأمة العربية أثر كبير فى جيشان عاطفة الشاعر واثارة مشاعره حتى انه أصبح عدوا لدودا للحضارة الأوربية التى أقامت بنيانها على تقويض حضارة العرب والاسلام وله فى ذلك قصائد لا يشق له فيها غبار ، وقد نص على الزعماء الاسلاميين الذين ليست لهم بقائدهم الأعلى المصطفى صلى الله عليه وسلم صلة روحية ، حتى لقد أنشأ قصيدة بعنوان « شكوى الى الرسول » يقول فيها : أنا برىء من أولئك الذين يحجون الى أوربا ويشدون اليها الرحال مرة بعد مرة ولا يتصلون بك أبدا فى حياتهم ولا يعرفونك .

كما أنه أنشأ قصيدة من وحى أحداث طرابلس سنة ١٩١٠ بعنوان « هدية الى الرسول » جاء فيها :

أنه حضر عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ماذا حملت الينا من هدية ؟ فاعتذر الشاعر عن هدايا الدنيا وقال : انها لا تليق بمقامكم الكريم ولكننى جئت بهدية يتجلى فيها شرف أمتك ، وهو دم شهداء طرابلس .

وكان له موقف لا يبارى من الحرب العالمية الأولى حيث انفجر البركان الأوربى عام ١٩١٤م ففاض خاطره بالقصائد الرائعة التى تفيض بالحكمة والتجربة الصادقة والحماس للاسلام ، وكان تاج هذه القصائد قصيدة « طلوع الاسلام » التى لا يوجد لها نظير فى الشعر الاسلامى فى القوة والانسجام .

اختيار الفارسية لشعره :

وظل فكر اقبال يتسع وأفق معارفه يزداد حتى انتظمت دعوته واتضحت رسالته ، فنشر له عدة كتب فارسية ، وقد آثر اللغة الفارسية لشعره لأنها أوسع من اللغة الأردية وهى اللغة الاسلامية التى تلى اللغة العربية فى الأهمية والانتشار فى العالم الاسلامى ، ويتكلم بها قطران مهمان هما ايران وأفغانستان ، وتفهم فى الهند ويحذقها كثير من أهلها وأهل تركستان وروسيا وتركيا .

وقد ذاعت مؤلفاته وشعره وترجم أكثر كتبه الى مختلف اللغات ، وألفت فى ألمانيا وايطاليا مجامع وهيئات باسمه لدرس شعره وفلسفته ، وانتخب رئيسا لحفلة الرابطة الاسلامية السنوية التى عقدت فى « اله آباد » سنة ١٩٣٠ م وأثار فكرة باكستان لاول مرة ، وتقلب فى عدة مناصب رئيسية وسياسية هامة ، ودعى الى عدة دول من بينها : فرنسا وأسبانيا وايطاليا ، وألقى عدة محاضرات اسلامية ، وزار فى أسبانيا مسجد قرطبة ، وصلى فيه لأول مرة فى التاريخ بعد جلاء المسلمين ، وذرف على تربته دموعا غزارا وتذكر العرب الأوائل الذين حكموا هذه البلاد عدة قرون واستنشق عبير حضارتهم ، وشعر كأن هذا المسجد العظيم يشكو اليه حرمانه

من سجود المؤمنين ، وجو قرطبة يشكو اليه بعد عهده من الاذان ، وكان فى زيارته لهذه البلاد موضع حفاوة وتكريم بالغين •

رفضه زيارة المستعمرات الفرنسية

وسألته حكومة فرنسا أن يزور مستعمراتها فى شمال افريقية ، ولكن الشاعر الغيور رفض ذلك ، كما رفض أن يزور جامع باريس وقال كلمته المشهورة : ان هذا ثمن بخس لتدمير دمشق واحراقها •

ولقد ظل طول حياته يؤرقه حال المسلمين ، وقد وقف شعره على دعوتهم الى النهوض ورثاء أحوالهم وتذكيرهم بماضيهم المجيد لعلهم يحلون به مستقبلا مشرقا زاهرا ، ولم يقعده انحراف صحته ومعاودة العلل له عن رسالته وقال قبل أن يلفظ أنفاسه بعشر دقائق : ليت شعرى هل تعود النغمة التى أرسلتها فى الفضاء ؟ وهل تعود النغمة الحجازية ؟ قد أظلنى موتى وحضرتنى الوفاة ، فليت شعرى هل حكيم يخلفنى ؟

وقال وهو يجود بنفسه : أنا لا أخشى الموت ، أنا مسلم ، ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت باسما •

وكان ذلك آخر برهان أقامه على صدق الاسلام وايمان المسلم ويقينه ، وغربت هذه الشمس التى ملأت القلوب حرارة ونورا قبل أن تطلع شمس الحادى والعشرين من ابريل عام ١٩٣٨ م •

العوامل التى كونت شخصيته :

لقد جمع اقبال بين مختلف الثقافات العصرية واردا مناهلها فى مختلف الأمصار والبلدان ، ولكنه لم يكتف بذلك ، ولكنه كان يرد الفضل الأول فى تكوين شخصيته الى تعاليم المدرسة الالهية والتربية الروحية التى تشرب بها قلبه ووجدانه • لقد كان شديد الايمان بالاسلام وقوى الاخلاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مقتنعا بأن الاسلام هو الدين الخالد الذى لا تسعد الانسانية الا به ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل والبصير بالسبل وامام الكل •• ولقد كان هذا

سببا فى تماسكه أمام المادة ومغرياتها ، فالحب خير حارس للقلب وحافظ له ، فما بالك اذا كان هذا الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ استمع اليه وهو يقول فى ذلك : « لم يزل فراعنة العصر يرصدونني ويكمنون لى ، ولكنى لا أخافهم فانى أحمل اليد البيضاء ، ان الرجل اذا رزق الحب الصادق عرف نفسه واحتفظ بكرامته واستغنى عن الملوك والسلاطين . لا تعجبوا اذا اقتنصت النجوم وانقادت لى الصعاب ، فانى من عبيد ذلك السيد العظيم الذى تشرفت بوطأته الحصباء فصارت أعلى قدرا من النجوم ، وجرى فى أثره الغبار فصار أعبق من العبير » .

ولم يزل حبه للنبى يقوى ويسيطر عليه حتى اذا كان فى آخر عمره اذا جرى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فاضت عيونه بالدموع الغزار ، وقد ألهمه ذلك دررا غوالى ستظل على الدهر تتحدى الشعراء البلغاء ، ومن هذه المعانى العجيبة فى شعره قوله وهو يناجى الله عز وجل : « أنت غنى عن العالمين وأنا عبدك الفقير ، فاقبل معذرتى يوم الحشر ، وان كان لابد من حسابى فأرجوك يا رب أن تحاسبنى بنجوة من المصطفى صلى الله عليه وسلم فانى أستحيى أن أنتسب اليه وأكون فى أمته وأقترف هذه الذنوب والمعاصى » .

الشعر والحب :

ان هذا الايمان وهذا الحب العميق هو الذى كون شخصيته الشعرية ، ولا عجب : فان من تتبع التاريخ عرف أن الحب هو مصدر الشعر الرقيق والعلم العميق والحكمة الرائعة والمعانى البديعة ، والى الايمان والحب يرجع الفضل فى غالب عجائب الانسانية والآثار الخالدة .

ان الشخص اذا تجرد من الحب أصبح صورة من لحم ودم ، والأمة اذا تجردت منه أصبحت قطيعا من غنم ، والشعر اذا تجرد منه كان كلاما موزونا مقفى فحسب ، والعبادة اذا تجردت منه أصبحت

طقسا من الطقوس وهيكــــلا بلا روح ، والحياة بدونه تصبح طبعا كليلا وقريحة جامدة وعقلا مجدبا وشعلة خابية ومواهب معطلة .. هذا اذا كان الحب صادقا خالصا لا زيف فيه .

وهذا الحب الصــادق للحقائق والمعانى الباقية هو الذى يتفاضل به العظماء وهو المقيــاس الحقيقى لقوتهم ، لقد جنت المدنية الحديثة على الانسانية جناية عظيمة لأنها قضت على هذه العاطفة التى كانت قوة كبرى ومنبعا فياضا للحياة ، وملأت فراغها بالنفعية والمـادية أو الحب الجنسى والغرام المادى ، ولم تستطع بحكم ماديتها وضـيق تفكيرها أن تفهم أن هناك حبـــا للمعانى السامية أقوى من هـــذا الحب الرخيص . لقد أســاءت المدرسة العصرية اذ لم تحتفل بهذه العاطفة النبيلة والوجدان الصادق ولم تحسن توجيه القلوب واشعالها بحرارة الايمان .

القرآن الكريم وأثره :

وهناك عامل آخر أثر فى تكوين شخصية اقبال وشعره : هو القرآن الكريم الذى أثر فى عقليته ونفسه تأثيرا كبيرا . لقــد اقبل عـــلى قراءته بشوق ونهم وتذوق وقال فى ذلك : « قد تعمدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم ، وكان أبى يرانى فيسألنى : ماذا أصنع ؟ فأجيبه : أقرأ القرآن ، وظل على ذلك ثلاث سنوات متتالياتيسألنى سؤاله فأجيبه جوابى ، وذات يوم قلت له : مابالك يا أبى تســألنى نفس السؤال وأجيبك جوابا واحدا ثم لا يمنعك ذلك عن اعادة السؤال من الغد ؟ فقال : انمــا أردت أن أقول لك : يا ولدى اقــرأ القرآن كأنما نزل عليك .. ومنـــذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبـل عليه ، فكان من أنواره ما اقتبست ومن درره ما نظمت » .

ولم يزل اقبال الى آخر عهـده بالدنيا يغوص فى لجج القـــرآن فيخرج بعلم جديد واشراق جديد ، وكلما تقدمت دراسته واتسـعت آفاقه ازداد ايمانا بأن القــرآن هو الكتاب الخالد والعلـم الأبدى وأساس السعادة ، ولم يزل يدعو

المسلمين وغير المسلمين الى التدبر فى هـذا الكتـاب العجيب وفهمـه ودراسته والاهتداء به فى مشكلات العصر ، وحينما زار أفغانستـان قدم الى الملك نادرخان نسخة من القرآن الكريم وقال له « ان هذا الكتاب رأس مال أهل الحق ، فى ضميره الحياة وفيه نهاية كل بداية وبقوته كان على فاتح خيبر » فبكى الملك وقال : لقد أتى على نادرخان زمان وماله أنيس سوى القـرآن وهو الذى فتحت قوته كل باب .

معرفة النفس :

ويضاف الى ما سبق عامل هام هو معرفة النفس ، والغـوص فى أعماقها والاعتداد بقيمتها ، كـان يخاطب غيره بقوله الذى يؤمن به « انزل فى أعماق قلبك وادخل فى قرارة شخصيتك حتى تكتشف سر الحياة ، ما عليك اذا لم تنصـفنى وتعرفنى ، لكن أنصف نفسـك واعرفها وكن لها وفيـا ، ما ظنك بعالم القلب ؟ هو كله حرارة وسكر وحنان وشوق .. أما عالم الجسم فتجارة وزور واحتيال . ان ثروة القلب لا تفارق صاحبها ، أمـا ثروة الجسم فظل زائـل ونعيم راحل . ان عالم القلب لم أر فيه سلطة الافرنج ولااختلاف الطبقات لقـد كدت أذوب حيـاء وينـدى جبينى عرقا اذ قال لى حكيم : اذا خضعت لغـيرك أصبحت لا تملك قلبك ولا جسمك » .

يستطيع العبد أن يسمو بنفسه الى درجة الملـوك بل يعلوهم اذا كان جريئا مقداما ، ويقول اقبـال فى ذلك : « ان الانسان اذا عـرف نفسه بفضل الحب الصادق وتمسك بآداب هذه المعـرفة انكشفت على هذا المملوك أسرار الملوك » .

ومن أجل هذا الاعتداد بالنفس كان اقبال يرفض الرزق الذى يقيد حريته ، وتراه يقـول فى ذلك : « يا صاح ان الموت أفضل من رزق يقص من قـوادمى ويمنعنى من حرية الطيران » .

ومع اعتداده بنفسـه لم يكن صلفا أو مغرورا ، وفرق كبير بـين الغـرور والاعتزاز بالـكرامة والمحافظة عليها ، وقـد رفض فى

سبيل ذلك كل عرض رأى فيه جرحا لكرامته ، عرضت عليه الحكومة البريطانية وظيفة نائب الملك فى أفريقية الجنوبية — ومن تقاليد هذه الوظيفة أن حرم نائب الملك تكون سافرة تستقبل الضيوف فى الولائم الرسمية وتشارك زوجها فى حضور الاحتفالات ، فرفض هذه الوظيفة وقال : « مادام هذا شرطا لقبول الوظيفة فلا أقبله لأنه اهانة دينى ومساومة كرامتى » .

كان طرازا جديدا فى شاعريته ولذلك لم يحذ حذو الشعراء التقليديين فى انشاء قصائد المناسبات ، وهذا اعتزاز آخر بشخصيته وكرامته ، انه ينأى بنفسه أن يكون بوقا يهتف مع الهاتفين ويمشى فى ركاب العظماء والسلاطين .

رسالة الشعر :

لقد ركز اقبال فكره وشعره على بعث الحياة والروح فى المسلمين وايجاد الثقة والاعتزاز بشخصيتهم والايمان برسالتهم ، وكان شاعرا مطبوعا فلو أريد له أن يكون غير شاعر لما استطاع ، وكان مع ذلك مبدعا سلم له شعراء عصره بالامامة والاعجاز وتأثر به كافة الشعراء .

يتميز شعره بابتكار المعانى وجدة التشبيه والاستعارات ، وساعده على ذلك اتصاله بالشعر الانجليزى والالمانى والفارسى ، الا أن أهم ما يتميز به اقبال هو أنه أخضع شاعريته القوية وعبقريته لرسالة الاسلام .

لقد وقف على الاسلام شعره واستخدمه كما تستخدم للرسائل أسلاك الكهرباء فتكون أسرع وصولا ، ولطيب الازهار نفحات الهواء فيكون أكثر انتشارا ، وبذلك الشعر : أيقظ أمة وأشعل قلوبها ايمانا وحماسا وطموحا الى حياة الشرف والاستقلال والسيادة والحكم الاسلامى ، حتى أصبحت هذه الامة لا ترضى الا بدولة تحكمها وتدير دفتها .

ولا نعرف شاعرا أو أديبا يرجع اليه الفضل فى تأسيس دولة وتهيئة

النفوس لها مثل ما يرجع الى هذا الشاعر الاسلامى . كان شعره هو الذى أقام دولة باكستان ، وهيأ الثورة الفكرية لها .

وكم ضاع رجال من العباقرة وأصحاب المواهب لأنهم لم يحسنوا تقدير أنفسهم ، وباعوا أقلامهم وضمائرهم بالمزاد العلنى وقتلوا مواهبهم « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

اقبال والطبيعة :

ومن العوامل المؤثرة فى شعر اقبال اتصاله بالطبيعة من غير حجاب ، وتعرضه للنفحات السحرية ، يقوم آخر الليل مناجيا ربه شاكيا بثه وحزنه اليه ، فيتزود بنشاط جديد واشراق قلبى جديد وغذاء فكرى جديد ، ويطلع كل يوم على أصدقائه وقرائه بشعر جديد، فيه قوة جديدة وحياة جديدة ونور جديد ، وكانت ساعات السحر رأس ماله يقدرها حق التقدير ويقول فى ذلك : « كن مثل الشيخ فريد الدين العطار فى معرفته وجلال الدين الرومى فى حكمته أو أبى حامد الغزالى فى علمه وذكائه وكن من شئت فى العلم والحكمة ولكنك لا ترجع بطائل حتى تكون لك أنة فى السحر » وكان يقول : « خذ منى ما شئت يارب ولكن لا تسلبنى اللذة بأنة السحر ولا تحرمنى نعيمها » .

وكان يتمنى على الله أن يشعر بهذه الساعة شباب الامة المتنعمون فتتحرك لها سواكن قلوبهم ،ويبتهل قائلا : « اللهم اجرح أكباد الشباب بسهام الآلام الدينية ، وأيقظ الآمال والامانى النائمةفى صدورهم بنجوم سماواتك التى لا تزال ساهرة وبعبادك الذين يبيتون سجدا وقياما ولا يكتحلون بنوم ، ارزق الشباب الاسلامى لوعة القلب وارزقهم حبى وفراستى » .

تأثره بجلال الدين الرومى :

ولقد كان للمثنوى المعنوى الذى ألفه «جلال الدين الرومى» فى ثورة وجدانية ضد الموجة الاغريقية التى اجتاحت العالم الاسلامى فى عصره أثر كبير فى نفس اقبال وشعره ، لقد انتصر جلال الدين الرومى فى

هـــذا المثنوى للايمان ، وانتصف للقلب والـــروح والحب الصـــادق والمعانى الصـــافية من المبـــاحث الكلامية الجافة والقشور الفلسفية التى كانت تشغل أذهان المسلمين وأوســـاطهم العلمية ومدارســـهم الدينية •

وكان عصر اقبال يشبه الى حد كبير عصر جلال الدين وزاد عليـــه ما أنتجته المدنيـــة الاوربيـــة من مخترعات صـــناعية وآلات للدمار صـــبغت الحيـــاة بصـــبغة مادية أرجوانية ، حتى مكث اقبال فترة يتنازعه عاملان : عامل العقل وعامل القلب ، وكان للمثنوى أثره الكبير فى انقاذه من هـــذا الاصـــطراع الفكرى والاضطراب النفسى ،وقد اعترف بذلك الفضل للمثنوى فقال للمأخوذين بعلم الغرب « قد سحر عقلكسحر الافرنج ، فليس لكدواء الا لوعة القلب الرومى وحـــرارة ايمانه ، لقد استنار بصرى بنوره ووسع صدرى بحرا من العلوم » وقال أيضا « لقد أفدت من صحبة شيخ الروم ، وان كليما واحـــدا ــ يشير الى سيدنا موسى ــ هامته على راحته يغلب ألف حـــكيم قد أحنوا رءوسهم للتفكير » • وكان يتوق الى أن يحمل رسالة الرومى ويجدد علمه فى القرن العشرين ، ولكنه كان يعترف بتفوق جلال الدين عليه فى الجانب الروحى ولذلك قال فى احدى قصـــائده : « لم ينهض رومى آخر من ربوع العجم مع ان أرض ايران لا تزال على طبيعتها ولا تزال تبريز كما كانت ، الا أن « اقبال » ليس قانطا من تربتـــه فاذا سقيت بالدمـــع أنبتت نباتا حسنا وأتت بحاصل كبير » •

اقبال ونظم التعليم :

جنت المدرسة الحديثة فى نظـــر اقبال على هذا الجيل جناية عظيمة لأنها اهتمت بعقله ولسانه وغفلت عن قلبه ووجدانه • ولذلك أنشأت جيلا غير متوازن القوى وأصبحت المسافة بين ظاهره وباطنه شاسعة، وهو يقول فى ذلك « ان الشـــباب المثقف فـــارغ الاكـــواب ظمـــآن الشفتين ، مصـــقول الوجه مظلم الروح ، مستنير العقل كليل البصر ضعيف اليقين كثـــير اليـــأس ، لم

يشاهدوا فى هـذا العالم شـيئا ، هؤلاء الشبان أشـباه الرجال ولا رجال ، ينكرون نفوسهم ويؤمنون بغيرهم ، يبنى الاجانب على ترابهم الاسلامى كنائس وأديارا ، شباب ناعم رخو رقيق فى الثياب كالحرير يمـوت الامل — فى مهـده — فى صدورهم ، ولا يسـتطيعون أن يفكروا فى الحرية . ان المدرسـة نزعت منهـم العاطفـة الدينيـة وأصبحوا خبر كان . أجهل الناس لنفوسهم وأبعدهم عن شخصياتهم شـغفتهم الحضـارة الغربيـة ، فيمـدون أكفهـم الى الاجـانب ليتصـدقوا عليهم بخبز شـعير ، ويبيعـون أرواحهم فى ذلك . ان المعلم لا يعرف قيمتهم فلم يخبرهم بشرفهم ولم يعرفهم بشخصيتهم، مؤمنون ولـكن لا يعـرفون سر الموت ولا يؤمنون بأنه لا غالب الا الله ، يشترون من الافرنج اللات ومناة ، مسلمون لكن قلوبهم تطوف حول الاصنام . ان الافرنج قـد قتلوه من غير حرب وضرب ، عقول وقحة وقلوب قاسية وعيون لاتعف عن المحـارم وقلـوب لا تـذوب بالقوارع ، كل ما عندهم من عـلم وفن ودين وسياسـة وعقل وقلب يطوف حـول المـاديات ، قلوبهم لا تتلقى الخـواطر المتجـددة ، وأفكارهم لا تساوى شيئا ، حياتهم جامدة ، واقفة ، متعطلة » .

ويرجع السـبب فى كل هـذه الظواهر الى نظم التعليم الحاضرة ذلك :

— أن التعليم الآن يبعث عـلى التعطل وحب الهـدوء والراحـة ويجعل المتعلم كالمحيط الهادىء لا حركة فيه ولا اضطراب .

والتعليم الآن يحـدث الفوضى الفكرية ويقـول فى ذلك : « أن المدرسة تحرر العقل بلا شك ولكنها تتـرك الافكار بغـير نظـام ولا ارتباط » .

— والمدرسـة الآن تقـوم على التقليد والجمـود ومجـردة من الابتكار والاجتهاد ، انه يرى أن هذا الجيل ليس حيا قائما بنفسـه مفكرا بعقله، ولكنه ظل لأوربا وأن حياته مستعارة من الغرب .

ـ لقد أضعف نظام التعليم الغربى الروح المعنوية فى الشباب المسلم وجنى على رجولته ،فأصبح شبابا رخوا رقيقا مائعا ، لا يستطيع الجهاد ولا يتحمل المكروه .

انه يطالب المعلم بأن يعلم ابناءه المثل الاسلامية التى درست فى نفوس الشباب حتى تعود اليهم شخصيتهم الايمانية والمحمدية ، وكان لا يغتفر للغرب جريمة جنايته على نظم التعليم فى بلاد الاسلام ، ويقول فى ذلك : « أنا لا أقيم لذلك العلم وتلك الحكمة وزنا ، الحكمة التى تجرد المجاهد من سلاحه وتجعله أعزلا ضعيفا » .

رسالة الأدب :

يرى اقبال أن الأدب موهبة من الله يحدث به صاحبه ثورة فكرية تضرب الأوضاع الفاسدة الضربة القاضية ، وتشعل القلوب حماسة والبلاد ثورة ، وتملأ النفوس تذمرا من الشر وتطلعا الى الخير ، فلابد أن يكون فى قلم الاديب التأثير الذى فى عصا موسى ، وأن يؤدى رسالته فى العالم ، وكل أدب استغل لجمع المادة أو لارضاء الأغنياء واثارة الشهوات أو اتخذ أداة للهو والتسلية فهو أدب ضائع مظلوم استعمل لغير ما خلق له .

والأدب لا يصل الى حد الاعجاز الا اذا استمد حياته وقوته من أعماق القلب الحى وسقى بدمه ، ومهمة الأدب والشعر تظهر فى قوله « يا أهل الذوق والنظر العميق ، أنعم وأكرم بنظركم ، ولكن أى قيمة للنظر الذى لا يدرك الحقيقة ، لا خير فى نشيد شاعر ولا فى صوت مغن اذا لم يفيضا على المجتمع الحياة والحماس ، لا بارك الله فى نسيم السحر اذا لم تستفد منه الحديقة الا الفتور والخمول والذوى والذبول . ما قيمة شرارة تلتهب سريعا وتنطفىء سريعا ، وما قيمة لؤلؤة كريمة أو صدفة لامعة لا تحدث اضطراعا فى الأمواج ولا اضطرابا فى البحار ، لا نهضة للأمم الا بمعجزة فى أدب ولا شعر اذا تجرد من عصا موسى » .

لقد استعبدت المرأة — فى نظر اقبال — الأديب فى الشرق الاسلامى ، فأصبح لا يتحدث الا عنها ولا يتغنى الا بها ، وهذه عقيدة جديدة فى وحدة الوجود التى يمكن ان تسمى الوجودية الأدبية ، وكأن الأدب العصرى ينادى بلسان حاله لا موجود الا المرأة « أسفا للشعراء والرسامين وكتاب القصة فى بلادنا ، لقد استولت على أعصابهم المرأة » ولا شك أنه تصوير صادق للاتجاه الأدبى العام فى الشرق الاسلامى واندفاع الأدب المتهور وراء المرأة وهيامه بها •

ورأيه فى الفلسفة :

يرى اقبال أن الفلسفة لا تعيش الا بالجهاد والتضحية ، والفلسفة التى تقتصر على الدراسات والبحوث العلمية وتتلهى بالمناقشات اللفظية ، ولا تدخل فى صميم الحياة والمجتمع هى فلسفة منهارة انه يقول « ان الفلسفة التى لم تكتب بدم القلب فلسفة ميتة أو محتضرة » •

لقد انتهى اقبال من دراسة الفلسفة الى اقتناعه باخفاقها فى حل المشكلات الحيوية ، وشبهها بالصدفة اللامعة الخالية من اللؤلؤ مادامت هذه الفلسفة فى معزل عن الحياة والكفاح •

والدين فى رأيه هو الذى ينظم المجتمع وينير الطريق،ويقدم دستور الحياة ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو المصدر الوحيد الذى يستفاد منه هذا العلم • يقول فى رسالة الى صديق له من الهاشميين كان مشغوفا بالفلسفة حتى تزلزلت عقيدته الاسلامية : « ان الحكمة الفلسفية ليست الا حجابا للحقيقة وأنها لا تزيد صاحبها الا بعدا عن صميم الحياة وأن بحوثها وتدقيقاتها تقضى على روح العمل • هذا « هيجل » الذى تبالغ فى تقديره ان صدفته خالية من اللؤلؤة ، وان نظامه ليس الا وهما من الأوهام • لقد انطفأت شعلة القلب فى حياتك أيها السيد وفقدت شخصيتك فأصبحت أسيرا « لبرجسان » • ان البشرية تريد أن

تعلم كيف تتقن حياتها وكيف تخلد شخصـــيتها • ان بنى آدم يطلبون الثبات ويطلبون دســـــتور الحياة ولكن الفلسفة لا تساعدهم فى ذلك • بالعكس من ذلك ان المؤمن اذا نادى بأذانه أشرق العالم واســـــتيقظ الكـــون • ان الدين هو الذى ينظم الحيـــــاة وأنه لا يكتســـب الا من ابراهيم ومحمـــــد صلى الله عليه وسلم ، فعليك أيها الســـيد بتعاليم جدك صلى الله عليه وسلم • الى متى يا ابن على رضى الله عنه تقلد أبا على بن ســـــينا ؟ اذا لم تكن بصيرا بالطريق فالقائد القرشى خير لك من القائد البخارى » •

هو والشباب المسلم :

انه يتمنى للاســــــلام جيلا جـــــديدا ، شـــــــبابه طاهـــر نقى ، وضربه موجـــــع قوى ، فى الحروب أسد الشرى وفى الســـلام غزال الحمى ، يجمع بين حـــــلاوة العســـل ومرارة الحنظل ، هذا مع الاعداء وذاك مع الأولياء ، وهو فى حالتى الحرب والصلح عفيف نزيه ، آماله قليلة ومقاصـــده جليلة ، غنى القلب فى الفقر ، فقير الجســـــم والبيت فى الغنى ، غيور فى العسر ، رءوف كريم فى اليسر ، يظمـــأ ان أبدى له الماء منة ، ويموت جوعا ان رأى فى الرزق ذلة ••• يقينـــه بين أوهام العصر كمصباح الراهب فى ظلمات الصحراء ، يعرف فى محيطه بحكمته وفراسته وبأذان السحر ، الشهادات فى سبيل الله أحب اليـــه من الحكـــومات والغنائم ، يقتنص النجوم ويصطاد الأسود ، ويبارى الملائكة ويتحــــدى الكفر والباطل أينما كان ، يرفع قيمتـــــه ويزيد فى سعره حتى لا يستطيع أن يشتريه غير ربه ، شـــــغلته مآربه الجليلة وحيـــاة الجـــد والجهـــاد عن زينة الجسم والتأنق فى اللباس ، وشعر بانسانيته فترفع عن تقليد الطاووس فى لـــونه والعنـــدليب فى حسن صوته » •

الحضارة الغربية :

لاحظ اقبال جوانب الضـــــعف الأساسية فى حضارة أوربا ، لأنهـــا اتجهت اتجاهـــا ماديا صرفا ، ولأن أصحابها ثاروا على الديانات والقيم الخلقية والروحية ، وعلل فســـــاد

القلب والفكر الذى اتسمت به هذه الحضـــــارة بأن روح هذه المدنية ملونة غير عفيفة وبأنه استولى عليها القلق الدائم « لقد أظلم الجـو فى عواصمها بدخان المصانع المتصـــاعد الكثيف ولكن بنيتهـــــا على كثرة أنوارها غير متهيئة لفتح جــديد فى الفكر واشراق من عالم الغيب » •

وقد أشار الى أساس الحضـــارة اللادينية بأنها عجنت مع الثورة على الدين فهى فى خصــومة دائمة مع الــدين والأخـــــــلاق وهى عاكفة على عبادة آلهــة المادة ، ان القلب يعمى بتأثير سحرها والروح تموت عطشا فى سرابها ، انهـا لص تمرن على اللصوصية فيغير نهـارا جهارا ، انها تدع الانسان لا روح فيه ولا قيمة له ، ان شعار الحضارة الحديثة الفتك ببنى آدم الذى تقوم عليه تجارتها ، ليست هذه المصارف الا وليدة دهاء اليهود الأذكيـــــاء والذى انتزع نور الحق من صــدور بنى آدم ••• وليس غريبا أن تنهار هذه الحضارة وشيكا ، وان لم تمت حتف أنفهـا فســـتنتحر وتقتل نفسها بخنجرها ، فان كل وكر يقوم على غصـــــن ضـــعيف ليس له استقرار •

ان اقبال يصف المجتمع الاوربى ــ على اختلاف نظمه الرأســمالية والاشـــــتراكية ــ بمجتمع يحركه تنافس وحشى ، ويصف حضـــارته بحضـــارة فقدت وحدتها الروحيـــة بما انطوت عليه من صراع بين القيم الدينية والقيم الســـياسية • ان الرأســمالية والشيوعية فرعان من دوحة المـــادية ، وهما أسرتـــان للحضـــارة الغربية احداهما شرقية والاخرى : غربيةتلتقيانعلىالنسب المادى ، والتفكير المادى ، وللنظــر المحدود للانسان ، استمع اليه وهو يقول بلســان جمال الدين الافغانى « ان الغربيين فقدوا القيم الروحية والحقائق الغيبية ، وذهبوا يبحثون عن الروح فى المعـــدة ، ان الروح ليست قوتها وحياتهـا من الجسم ، ولكن الشيوعيةلا شأن لها الا بالمعدة والبطن ، وديانة ماركس مؤسســة على مســاواة البطون ، ان الأخوة الانســـــانية لا تقوم على وحدة

الاجسام والبطون ، انما تقوم على محبة القلوب وألفة النفوس » .

أثر التعليم العصرى فى نقل هذه الحضارة :

والقنطرة التى تعبر عليها الحضارة الاوروبية الينا هى : التعليم الذى يقول فيه اقبال « اياك أن تكون آمنا من العلم الذى تدرسه فانه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها ... انه الحامض الذى يذيب شخصية الكائن الحى ثم يكونها كما يشاء .. أن نظام التعليم الغربى مؤامرة على الدين والخلق » .

انه على الرغم من أنه خاض لجج التعليم الغربى الا أنه ومعه قلة معدودة خرج من هذه اللجج سالما ، لم ينصهر فى بوتقة الغرب كما انصهر غيره ولكنه تغنى قائلا : « كسرت طلسم العصر الحاضر وأبطلت سحره ، التقطت الحبة وأفلت من شبكة الصياد ، يشهد الله أنى كنت مقلدا لابراهيم فقد خضت فى هذه النار واثقا بنفسى وخرجت منها سليما محتفظا بشخصيتى » .

الانسان الكامل فى نظر اقبال :

ان المسلم فى نظر اقبال هو الانسان الكامل ، ولكن من هو المسلم ؟ هو المسلم المثالى الذى يتميز بالايمان واليقين والشجاعة والقوة الروحية والتوجيه الخالص والأفق الواسع ، والانسانية والتجرد من الشهوات والتمرد على موازين المجتمع الزائفة والقيم الحقيرة ، هو الذى يعيش برسالته ولرسالته ، هو ذلك المسلم الحق الذى مهما اختلفت الأوضاع وتطورت الحياة لايزال الحقيقة الثابتة التى لا تتغير ، هو الشجرة الطيبة **التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء** .

ان المسلم له وجودان ، الوجود الانسانى والوجود الايجابى ، والوجود الانسانى يشاركه فيه كل انسان ، أما الوجود الايجابى فهو أنه يحمل رسالة خاصة هى رسالة الأنبياء والمرسلين ، ويؤمن بمبادىء خاصة ويعيش لغاية خاصة ، فهو من هذه الناحية سر من أسرار الحق وحاجة من حاجات البشرية يستحق أن يعيش وأن ينتصر ، فحاجة

البشرية اليه ليست أقل من حاجتها الى الماء والهواء والنور والحرارة ، فاذا كانت أشكال الحياة مرتبطة بهذه كانت معانى الحياة وحقائقها مرتبطة بالغايات والأرواح والايمان والأخلاق ، التى تتكفل رسالات الأنبياء بشرحها وبيانها ويتكفل المسلم باعلانها والجهاد فى سبيلها ، فلولاه لضاعت هذه الغايات والرسالات وأصبحت سرا مكتوما .

والمسلم بذلك حى خالد لأنه يحمل رسالة خالدة ، يقول اقبال فى ذلك « لا يمكن ان ينقرض المسلم من العالم لان وجوده رمز لرسالات الأنبياء ، وان أذانه اعلان للحقيقة التى جاء بها ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم » .

والمسلم هو غاية هذا الكون خلق العالم له وخلق هو لله ؛ وهو جارحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخادم له وهو خليفة الله فى أرضه . يقول فى ذلك « ان العالم تراث للمؤمن المجاهد لا يشاركه فيه أحد ، ولا يعد مؤمنا كاملا من لا يعتقد أن العالم خلق له » .

والمسلم : خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض على البشرية اتجاهه ويملى عليها ارادته ، لأنه صاحب الرسالة وصاحب العلم واليقين وهو مسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهه فلا ينبغى أن يكون مقلدا متبعا ، فمقامه مقام الامامة والقيادة والارشاد والتوجيه ، ويقول فى ذلك « يقول من لا خلاق له : در مع الدهر حيث دار واذا لم يسالمك الزمان فسالمه ، وأنا أقول : اذا لم يسالمك الزمان فصارعه وحاربه حتى يفىء الى أمر الله » .

والمسلم هو مصدر الانقلاب الصالح فى التاريخ ومطلع فجر السعادة فى العالم ، وهو رسول الحياة ومؤذن الفجر فى الليل البهيم « ان المؤمن اذا نادى الآفاق بأذانه أشرق العالم واستيقظ الكون » .

ان قوة المؤمن مستمدة من رسالته وايمانه وباندماجه واضمحلاله فى ارادة الله ، فعند ذلك يتحول جارحة للقدرة الالهية وقوة

قاهرة لاتصدها الجبال ، ولاتقف فى سبيلها البحار ، والتاريخ الاسلامى القديم يصـــــــدق ذلك حينما قهر المسـلمون الأوائل جميع العقبات التى وقفت فى طريقهم •

والمسـلم لا ينحصر فى الأوطان والشعوب فهو حقيقة عالمية تتخطى حـــدود المكان والزمان ، وتفيض كالطبيعة البشرية وكالانســـانية العامة فى مساحة زمانية شـــاسعة كمساحة التاريخ الاســلامى ، وفى مســـاحة مكانيـــة كمســاحة العالم الاسلامى ، ويقول فى ذلك « المسلم الربانى ليس بشرقى ولا غربى ، ليس وطنى دهلى ولا أصــــفهان ولا ســـمرقند انما وطنى العالم كلـــه » •

والمســـلم متخلق بأخلاق الله يأخذ من صــــفات الله المغفرة والتســـامح ، كما يأخذ الغضب للحق ، وهكذا •• ولا يكون المثـل الكامل لدينه والصــورة الصــادقة للاســـلام حتى يجمع بين هذه الاخلاق العلوية الالهية •

والمســلم كالشمس اذا غربت فى جهـــة طلعت فى أخرى فلاتزال طالعة ، كذلك الاسلام لم ينكب فى ناحيـــة الا قامت له دولة فى جانب آخـــر •

والمســـلم الحق ليس يائســـا ولا متشائما ولا فانيا عن نفسه فناء يقعده عن كل تطلع ويقيـــده عن كل حركة ، ولكنـــــه عزيز أبى واثق بنفســـــه وبربه يعرف مكانته فى الوجـــــود ومركـــزه فى العالم الانسانى ، اســـمع اليه يخاطب المسلم ليعرف واجبه : « عجبـا لك أيها المسلم تجلت لك الآفاق وغابت عنك نفســـك ، الى متى تظل غافلا جاهلا وتجلس ضائعا عاطـــلا ؟ ان نورك الوهاج اضاء العالم القديم ، ونســـخ الليل البهيم ، ولاتزال اليد البيضـــاء التى ورثتها عن موسى فى كمك ، فأنت الســـابق لها والفائق عليها ، فقد كنت ولم تكن وستكون ولا تكون • هل تخاف الموت أيهـــا الانســـان الخالد ؟ لقد كان جديرا بالموت أن يخافك » •

ويقول له « افتح عينيك أيهــــا الــزهر النائم مثل النـــرجس الذى لا يطبق عينيه لحظـــة ولا يعرف الكرى اليه ســـبيلا ، لقد أغار على

وكرنا الأعداء ، ونهبوا كل مافيه من كنوز وخيرات ، ألا يكفى هدير الحمام وصفير الأذان وأنين القلوب والارواح أن يوقظك ، انتبه من هذا السبات العميق الذى طال أمده واشتدت وطأته » .

ان شعر اقبال كله يجرى على هذا النمط الذى يوقظ الشباب المسلم وتنبهه الى واجبه ، ويذكره بماضيه المجيد ، ليصل به مستقبلا مشرقا مضيئا مليئا بالخير والسعادة .

ان شعره بلاغ للشباب المسلمين الذين خضعوا لنظام التربية الحديثة والفلسفات المادية التى حجبت عنهم شخصيتهم وأعمتهم عن حقيقة أنفسهم وغطت على تاريخهم وأغفلتهم عن الطموح الروحى المشرق ، ولم تصور لهم العالم الا سوق تجارة أو مركز انتاج أو حانوت خمر أو بيت مقامرة أو مكان تتافس على القيادة وصراع فى مجال الاقتصاد . ذلك مبلغهم من العلم .

من روائع اقبال :

لقد قدم الندوى ــ أبقاه الله ــ فى هذا الكتاب بعد تلك المقدمة المستفيضة التى درس فيها حياة اقبال وشعره وفلسفته وآراءه ورسالته ــ مجموعة من القصائد الرائعة ، منها « **برلمان ابليس** » التى تخيل اقبال فيها مؤتمرا شيطانيا يعقد جلسة يناقش فيها خطورة الاسلام ، ويضع الخطط للقضاء على ذلك المسلم المنافس الوحيد لحيله ومؤامراته ، وأدلى كل برأيه وخطته ، واتفقوا على شىء واحد وهو أن يظل الدين الاسلامى متواريا عن أعين المسلمين ، فليشغلوا المسلم عنه حتى لا ينتبه الى جوهره ولا يعرف أسرار قرآنه ، عليهم أن يخرجوا روح محمد من جسمه فيصبح قليل الصبر جزوعا من الفقر شديد الخوف من الموت ، وعليهم أن يشغلوا العرب بالأفكار الغربية وينتزعوا من أهل الحرم تراثهم الدينى حتى يجلو الاسلام الحجاز واليمن ــ وان فى الافغان غيرة

دينية وعلاجهـــا أن يقصى العالم الدينى من جبالها وسهولها •

رحمـك الله يا اقبال ، لقد كنت تنخر بعين الغيب ، تستشف صحف المستقبل ، فما هو حادث الآن فى أفغانستان تطبيق رهيب لخطط هذا المؤتمر الشيطانى الخطير • فهل آن للمسلمين أن ينتبهوا من نومهم ؟

الى الأمة العربيـــة :

كما قدم قصـــيدة الى الأمة العربيـة يســـجل فيهـــا فضلها وسبقها وحملها لرســالة الاسلام والأخذ بيد الانســانية وافتتاحها لتاريخ جديد وفجر سعيد ــ انه يرثى لحالها الآن بعد أن تبدل الحال غير الحال ، وأصـبح العرب ذيولا بعد أن كانوا رءوسا ، وتابعين بعد أن كانوا متبوعين ، وسوقة بعد أن كانوا ملوكا • اســـمع اليه يقــول لهم آســـفا عـــلى هـــذا الخمـود والجمـــود : « أيهـــا العرب ، ألا ترون الأمم الأخرى كيف تقدمت وســبقت ؟ أما أنتم فما قدرتم قـــدر هـذه الصحراء التى نشأتم فيها ، وهذه الحرية التى ورثتموها • كنتم أمـة واحدة : أمةالاسلام ، فصرتماليوم أمما وكنتم حزبا واحدا حزب الله فأصـــــبحتم أحزابا ، لقد فرقتم جمعكم ومزقتم شملكم وانقسمتم على أنفسكم » •

وفى جامع قرطبـــة :

حيث زار الشــــاعر أسبانيا عام ١٩٣٢ م وقف وقفـــة المؤمن الخاشـــع ، وتحركت فى قلبـــه الذكريات الجليلة ، وتخطت عاطفته القرون ، حيثشهدت طارق بن زياد يفتحالاندلس ، ورأتصقر قريش : عبد الرحمن الداخل يخضع هــذه البلاد النائية الجملة لعقيدته وعزمه ومعه حفنة مؤمنة • انه تذكر هذا الجامع الذى لم يشهد صـــلاة المسلمين منذ جلوا عن الاندلس منذ قرون ، فيقول وقد خنقتهالعبرات : « تدين أيها المســجد العظيم فى وجودك لهذا الحب البرىء ولهذه العاطفة القوية التى كتب لها الخلود فهى لا تعرف الزوال والانقراض ، ان البدائع الفنية اذا لم ترافقهـــا العاطفة ولم يسقها دم القلب الحب أصبحت مصـــنوعات سطحية مـــن

لون أو قرميد أو حجر أو لفظة .. لا حياة فيها ولا روح. ان المعجزات الفنية لاتعيش الا بالحب،ولا تقوم الا على العاطفة والاخلاص ..

انه يذكر هذا المسجد العظيم بالمسام العظيم ، الذى رفعه وشاده وبالأمة الاسلامية التى تعبد الله فى أمثال هذا البيت ، فيرى أنه صورة صادقة للمسلم ويقول : « ان المسلم حى خالد لا يزول ولاينقرض لانه يبلغ فى أذانه تلك الحقائق والرسالات التى جاء بها ابراهيم وموسى والنبيون ، وقد قضى الله بخلودهاوبقائها ، فكيف تنقرض الأمة التى حملت هذه الأمانة وتكفلت بتبليغ هذه الرسالة » ؟

ان هذه القصيدة ــ كغيرها من قصائد اقبال ــ تحفة فنية ابداعية فيها عصارة روح ودماء قلب وانفاس ملتهبة لشاعر يعشق دينه العظيم ، وما أعظم النتاج الأدبى اذا كان كذلك « ان كل مأثرة وكل انتاج لم تذب فيه حشاشة النفس ناقص وجدير بالفناء والزوال السريع ، وكل رنة أو نشيد لم يدم له القلب ولم تألم له النفس ضرب من العبث والتسلية ولا مستقبل له فى المجتمع وعالم الافكار » .

أجل وهذا سر خلود الادب العظيم ــ كما يقول العلامة الندوى ــ وهذا سر تفاهة الادب الجديد الذى يولد سريعا ويموت سريعا وهذا هو سر التأثير والخلود فى شعر اقبال وانتاجه . فهل يسمع أدباؤنا وشعراؤنا ؟

ان مجموعة القصائد التى قدمها المؤلف فى هذا الكتاب جديرة بلقب الروائع التى أطلقت عليها ، تشهد عناوينها قبل أن يشهد مضمونها بذلك . ومن هذه القصائد :

« فى أرض فلسطين » « فى غزنين » وغزنين هذه عاصمة اسكندر الاسلام السلطان محمود الغزنوى صاحب الفتوحات الاسلامية العظيمة « دعاء طارق » فاتح الأندلس الذى قال فى خطبته المشهورة أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله الا الصدق

والصبر» « **وحديث الربيع** » وفى ذلك رمز يتطلع به الى أن يعود للأمة الاسلامية ربيعها فيبدل هذا الجفاف والذبول الذى اعتراها .

و « **نياحة أبى جهل** » ويتحدث فيها عن نور الاسلام الذى طهر قلوب العرب من رجس الجاهلية والتفاخر بالآباء والاجداد ، وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس .

و «**عودة الجاهلية**» وهو يأسى فى هذه القصيدة على ما أصاب المسلمين من ضياع وجهالة، وارتماء فى أحضان الغرب ، وبعد عن تعاليم الاسلام .

و «**ساعة مع جمال الدين الأفغانى**» وفيها يتحدث عن رسالة هذا العالم الجليل ، وقضى وقف عليها حياته ، وقضى فيها ايامه سائحا يثير فى المسلمين النخوة والعزة ، حتى يعود مجدهم ونهضتهم ووحدتهم . و « **فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم** » و « **شكوى ومناجاة** » وفى هاتين القصيدتين يناجى المصطفى صلى الله عليه وسلم سعيدا بزيارته متشوقا الى رحابه شاكيا له تفريط المسلمين فى واجبهم ودينهم ، موازنا بين عصرين : عصر المصطفى المنير المشرق وهذا العصر المضطرب المليء بالفتن والضياع .

انه من العسير تقديم ملخص لهذه القصائد الرائعة ، فالشعر لا يلخص، ولكنه يقرأ بتأمل ، فكل كلمة فيه نبضة من نبضات الشاعر ، وكل بيت فيه جزء من عاطفته وروحه وفكره واحساسه ، يحمل معنى لا غنى عنه ، والقصيدة الفنية كل لا يتجزأ ــ ومن الخير أن تقرأ هذه القصائد فى دواوين الشاعر لينتفع بها القارىء ويتذوق ما فيها من ابداع فنى ومعنوى .

لقد انتهى العلامة أبو الحسن الندوى فى تقديم هذه الروائع بدراسة حول الحقائق التاريخية فى شعر اقبال كان أهم ما فيها أن اقبال لم يقرأ التاريخ قراءة علمية جافة ولكنه قرأه ليستخلص منه نتائج وحقائق لا يصل اليها الباحثون والعلماء والمؤرخون الذين حرموا هذه الحاسة الفلسفية ، وقد دله على الوصول الى هذه الحقائق فهمه العميق للقرآن الكريم

ودراسته المخلصة المتواصلة له •
أجل : فالقرآن الكريم هو ذلك الكتاب الذي يقول اقبال فيه « ان هـذا الكتاب كتاب خالد ، حكمته غارقة فى الأزل ، سـارية الى الأبد ، انه يفشى أسرار تكوين الحياة ، ويثبت الضعيف الذى تزلزلت أقدامـه بالقول الثابت » •

اللهم اهد المسلمين الى كتابهم الخالد ووثق صلتهم به •

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

من كلـمات السيد الرئيس محمد أنور السادات فى خطابه التاريخى فى ١٤ مايو ١٩٨٠

« الأقبـاط واليهود مسـئوليتى »

وانا أقول اننى رئيس مسلم لدولة اسـلامية ، أعرف مسئوليتى الأقبـاط واليهود المصريين كالمسـلمين تماما « بنص القرآن » •

من أجل هذا أنا أقول ان الاسلام هو أكبر ضمانة • ماذا أمرنا الله سـبحانه وتعـالى ، وأمرنى به كولى أمر مسلم لدولة مسلمة ، يسكن فيها مع المسلمين مسيحيين ، ماذا أمرنى به • **« قل آمنا بالله ، وما أنزل علينا ، وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسـباط ـ وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيـون من ربهـم لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون »** •

هـكذا أمرنا اللـه ، وأمرنى كولى للأمر فى دولـة اسلامية ، أن أومن بما أنزل على ابراهيم ، واسـماعيل واسحق ويعقوب والأسـباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون ، وألا أفرق بين أحد منهم •

الباحث عن الحقيقة

للمرحوم "محمد عبد الحليم عبد الله"

من منظور الفن الروائى

للدكتور فتحى محمد أبو عيسى

(٥)

كان على « سلمان » أن يذعن لما برق فى خاطر أبيه حين فكر أن هذا التمرد من الابن أضحت الملاينة ازاءه سيفا مفلولا لا يجدى فى حسم الموقف، وأن عليه — كى يعيده الى صوابه — أن يستبدل المخاشنة بالملاينة ، متمثلا فى ذلك قول الشاعر :

ان الحديد تذيب النار قسوته
ولو صببت عليه البحر مالانا

فماذا لو أوثقه بالقيود ، وأدماه بالاغلال !!

واستسلم « سلمان » فى غير برم ولا مرارة ، وكله ثقة أكيدة بأن هذا العنف سيرتد مدحورا فى النهاية ، وزاده ذلك اصرار على المضى فى الطريق التى استبانت له ، ثم ما هذا الوثاق أمام سبحة القلب فى واد ريان يندى بالشوق ويغرى بالتضحية ؟ !!

وتخف اليه أخته « بوران » ضارعة متوسلة أن تحله من وثاقه ، ويهتف بها « سلمان » :

« لا تفعلى ، فالقوة التى حلت وثاق القلب ليست عاجزة يا «بوران» عن أن تحل وثاق القدم، هذه ذراعاى خلفى ، وهذه قدماى موثوقتان ، ولكن الراحة تملأ القلب ، عينى وراء أفقكم يا « بوران » هناك صلاة ذات أجنحة ترتفع بأصحابها الى السماء ، وهناك صلاة كسلاسل (الميناء) تشد السفينة الى الأرض » .

(٦)

بسط الظلام رداءه على الكون ، ودنت ساعة الخلاص فى التماعة برق ، تسلل منه شعاع هدى « سلمان » الى اعمال الحيلة ، بعد أن لمح — فى حجرته — سيفا أثريا معلقا على الحائط ، أجل ، دنت ساعة الخلاص ، لم يبق الا أن يبذل جهدا ومحاولة فى الوصول الى هذا السيف ، أملا فى نشدان ضالته ، ومضى الى السيف جاهدا ومازال به حتى تطامن للمحاولة ، ثم راح يعالج القيد ، فيحكه بالسيف مرة ومرة الى أن استخذى واستكان وقد كان صلفا يتأبى ولا يلين ..

وسيطرت على «سلمان» لحظات أكدت له أن المقام فى تلك البيئة لن يثمر غير العقم والخواء ، وأن عليه أن يسعى الى حيث يعانق الحياة الناضرة ، فعن له أن يتسلل الى « الشام » .

(٧)

وهاجر « سلمان » الى أرض « الشام » وكان حنينا الهيا يناديه ويجذبه ، أليس استعلاؤه على المغريات التى كانت تشده الى البقاء والدعة دليلا على أن هناك سرا من الأسرار الكوامن يدفعه فى غير ريث الى أن ينضم الى القافلة التى أخذت صوبها تجاه هذه البلاد ؟

وبينما القافلة تضرب فى السير اذ بصر بشاب يحدو بغناء مرن ، انساب فى مسامعه لحنا بعث الطرب والنشوة .. ويعرف « سلمان » أن صاحب الصوت الرخيم يدعى « سهيلا » وأنه مفتون بدين يأخذ عليه لبه ، ويملك عقله ، الا أنه — مع تلك الفتنة والهيام — يحس بفتور العلاقة بين صاحبه (سهيل) والهه الذى يعبده ، كان ذلك فى وقت اضطرت فيه الأمواج ، وعلت الاثباج ، وتقاذفت السفينة يمنة ويسرة ، وطلب « سلمان » الى رفيقه الايكف عن الغناء .

فهمهم «سهيل» به على استحياء، وواجهه « سلمان » قائلا :

«مالى لا أشم من ندائك رائحة الحقيقة ، لا تظنني يا أخى أسفه الهك ، ولكنى أسفه ضحالة العلاقة بينك وبينه الآن ، لو كان حاميك

ما أخافك النهر ، انظر واسمع ، فلو تصورت أنك تعبد هذا النهــــر كبعض الهنود ربما لم تخف مــن الغرق فيه ، ولو عبدت الها تسـع مملكته السموات والأرض ماخفت من شيء فى الأرض الا ممــا يرضى هو عنه غن ياسهيل ان كنت تحب صــــنمك فغن له فى المخاطـــر بقلب مطمئن ، الا تســــــمع همهمة المجوسى ، أن فكه يرتعش من الخوف من اله الظلام » •

وانحسرت المخاوف بعد قليل ، ومضى الليل بظلماته العاتية ، وألقى كل من العربى والفارسى بلابله ، وراح « سلمان » يسأل العربى : لماذا يتوسل بالصنم الى الله ؟ !!

وكانت مفاجأة مذهلة أن يفضى العربى الى « سلمان » بسر ينوء به، حين قص عليه أن عبادة الاصنام تقليد ، نزل على الاخــذ به قسرا ، وأن قلبه ــ لذلك ــ خلو من اليقين• واستيقن « سلمان » ووقف عــلى السر فى فتور العبادة عند صاحبه •• واختلفت السبل ــ بعد ذلك ــ بالصديقين ، ونسى كل منهما نفسه مع صاحبه ••

(٨)

ويحل « سلمان » بأرض الروم ، بعد أن جاوز « الشام » ، ليكــون التحول الكبير فى حياته ، ويلتقى ــ هناك ــ بعابد معروف بالورع والتقوى ، وتصافح ســمعه كلمات عجيبة تصدر من العابد :

« مرحبـــــا بك ، ولكنك جئت والشمس تغرب ، ليت الله يمد قليلا فى عمرى » •

ومضى العابد يسأله : كيف حال « كسرى » ؟ ويجيب « سلمان » لفوره بما يعرف ، بيد أن العابـــــد ما يلبث أن يقول : حاله ستتحــول وأنت كذلك •

وصكت كلمة « التحول » أذنيه ، وداخله شيء من الخوف ، ولكنه سرعان ما تبدد ، نعم ان التحــول عنده رغيبة مــودودة ، والا ففيم كانت خدمته للاساقفة والاحبـــار سنين عددا !!

ثم تحدث اليه العابـــــد ببعض ارهاصات سوف يعايشها بنفسه ، ويعالنه بقوله له :

« أنت خير منى أيها الشاب !! لا تعجب ، فأنت تركت أرضك وأهلك

والمراكب والعبيد ، وخرجت تبحث عن الحقيقة ، لانك لم تجد الحقيقة فى شىءمن حولك ، لم تجدها فى بريق الذهب ، ولكنك ربما ستجدها فوق رأس نخلة وأنت تحصد ، أو تحت اقدامها وأنت تزرع ، وستجد تلك الحقيقة المطلقة الكبيرة التى هى « الله » أو الطريق اليه ، ستجدها فى الحب لا فى الحرمان ، ستجدها فى ابن ترعاه لترعى غيره من عباد الله ، وفى زوجة تحبك وتخلص لك ، وتخلص لها ، وفى هذه الارض تزرع الفضائل ، الارض التى لا تلقى من الانسان شيئا ، بل تعترف به طينيا ونورانيا ، ويكون فى كلتا الحالتين عبدا طيبا من عبيد الله » •

وكان أمرا محتوما أن يخبر كل منهما الآخر بجلية أمره وحقيقته ، واستطاع العابد ــ وهو يقص خبره ــ أن يشعل الاضواء أمام «سلمان» حتى يعرف الطريق الى الله ، والاشواق التى تهديه الى ادراك الوجود وحقائقه الاساسية •

(٩)

واتفق أن رأى « سلمان » فى أعقاب ذلك ما أثار دهشته واستياءه حين كان يمضى فى سوق شاهد فيها اثنين من النصارى يتسابان ويتأكد ذلك بصورة أخرى لعينيه حين قدم الى العابد رجل تكسو ملامح وجهه آيات الكآبة يسأله أن يفتيه فى أمر ابنه الذى مات فى « مصر » وهو يتجر فى المنسوجات بسبب الفتنة التى اجتاحت النصارى فى عقائدهم ، فكان أن قتل •• وتكلم العابد ، وتنبأ بأن الانسانية فى حاجة الى دين جديد ، فقد سادت الفتنة أوساط الناس ، يستوى فى ذلك اتباع « المسيح » المحكومون بشريعته ، •أولئك الذين كانت تظلهم قوانين « روما » الارضية ، هذه القوانين الرثة التى هرمت وأصابها البلى •

(١٠)

واذ قد أشرب « سلمان » حب العابد فكر فى الرحيل عنه ، ابتغاء أن يفسح الطريق لغيره من جهة ، ورغبة منه فى أن يستقل بحياته وشئونها من جهة أخرى ، شريطة أن تظل الشابكة بينهما موصولة قائمة ، ولم لا ؟ ألم يخرج من

(سلمان) ـ فى صحبة العابد الشيخ ـ انسان جديد بعد أن مات فيه انسان ؟

ومضت الحال بهما على تلك النحيزة أياما معدودات ، أعقبتها اشارة من الشيخ لسلمان بالرحيل ، وعليه أن يتأكد أن مستقبلا مضيئا يترقبه ، كذلك عليه الا يخاف من الاشواق فنارها نور . ولكن ذلك لن يكون له الا بضريبة يدفعها ، وتبعات يتحملها ، وعلى الرغم من قسوتها ستبقى روحه طليقة .. هكذا لخص الشيخ الموقف ، وأردف يزف اليه البشرى الندية فى كلمات :

« قد أظلك زمان نبى يبعث بدين « ابراهيم » حنيفا ، يهاجر الى أرض ذات نخل بين حرتين ، فان استطعت أن تذهب اليه فافعل » .

وهرولت الايام ، وتغير كل شىء ، فالعابد قد عبر الى الشاطىء الآخر مودعا الحياة ، والمكان ـ كذلك ـ استحال شيئا آخر ، وكل ما حوله يهيب به أن يأخذ أهبته وسمته الى « الجزيرة العربية » .

(١١)

أحس (سلمان) ـ وقد انضم الى القافلة ـ بشوق طاغ يستحث كل فرد فى القافلة أن يطوى الارض طيا ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، فقد كانت القافلة قافلة سوء ، فاليهود هم الرءوس فيها ، وناهيك بذلك من معنى ، اذ كيف تسمح القافلة لفتى وسيم فاره كسلمان أن ينضم اليها ليبلغ مأمنه دون أن تتقاضاه أجرا على ذلك !! وبالرغم من تضحياته الجسام بكل ما فى يديه من مال لم يشبع ذلك اليهود ، فكان لامناص من استرقاقه .. ولله « سلمان » ، فهى ضريبة باهظة لا تعدلها ضريبة !!

ترى ماذا فعل ؟

لا شىء غير أن نبعا من الخواطر الايمانية انساب بين جوانحه فروى منه المواجد والاشواق ، لقد أخذ يناجى نفسه : « وماذا يضير مادمت فى الطريق اليه ؟ ان المملوك لا يملك مرتين فى وقت واحد ، ونفسى ملك لله ، فهى فى طلاقة الافق ، وحرية النسيم ، وماذا يفعلون بجسم

رقيق ؟. لست أرى فى هذا تناقضا ياربى .. آه أين أنت يا عابــــد « عمورية » لتقول لى رأيك ، لست أرى تناقضا فى أن أخدم عبـــدا ، وأعبد الها مادمت ياربى قد كتبت على أن أبكى فى الطريق اليك » ..

كان استرقاق « سلمان » صفقة ود الجميع لو يحصلون عليها ، بيد أن (أبا يعقوب) وقعت له هـذه الصفقة بثمن بخس ، وفجأة أحس « أبو يعقوب » أن الفتى الفارسى مهيب كأن الشرر ينقدح فى عينيــه كلما نظر اليهمــا ، فماذا عسى أن يفعل حتى يطفىء فيهما ذلك البريق واللمعان ؟ لقد بيت النية عــلى أن يرهقه من أمره عسرا ، وذلك بأن يحمله من العمل فوق طاقته ، وقام « سلمان » بما وكل اليه خير قيام غير ملول أو ضجر ، ثم اسلمته يد (أبى يعقوب) هذا الى (أبى كعب القرظى) بعد أن حمله فوق ظهـر ناقته الى المدينة .

ويترامى الى سمع (ســلمان) خبر النبى الجديد فى أثناء رجوعــه بالقطيع الى الحظائر ، وأن دعوته التى ينشرها تسوى بين الناس ، لا فرق بين سادة وعبيــد ، وملوك وسوقة ، فيخفق قلبه ، ويخطر له أن هذا هو النبى الذى كان يحلم به، ويتوق الى الايمان به قبل لقياه ، ويسترعى انتباه (سلمان) قيــام « بنى قريظة » على قدم وســاق فى ترميم حصونهم وتجديدهــا ، ويردد كلمات كان قد سمعها مــن قبل :

يا نخل تحت ظلك الحبيب
يا ليت لى فى الظل من نصيب

ويجهد (سلمان) فى الذهاب الى حيث ينزل النبى صلى الله عليــه وسلم ، وما ان بلـــغ المكان حتى « أخذته عينا النبى » .. أحس بقوة رفعته ثم التقطته ، شــعر أنه فى محتواها ، فى حيزهــا بكل كيانه ، التلاشى مع الوجود فى وقت واحد ، لكنه عاد يشعر بوجوده أكثر مــن تلاشيه ، وعرف النبى صلى اللــه عليه وسلم أن ذلك الرجــل الذى تقدم نحوه (سلمان) ، كما عــرف (سلمان) أن ذلكم هو « النبى » الذى كان شيخ « عمورية » يفيض فى الحديث عنه .

ويتحرر (سلمان) — رضى الله عنه — فى هذا الوقت من ربقة العبودية ، منتشيا بدعوة الاسلام التى جاءت تؤكد ذاتية (الانسان) وتعمل على اسعاده ، ثم تمضى الايام بالمسلمين حتى يكونوا وجها لوجه أمام أعدائهم من « بنى قريظة » ، وهنا يزداد نجم « سلمان » تألقا ، حيث أشار — رضوان الله عنه — بحفر خندق حول مدينة النبى صلوات الله عليه على غرار صنيع الفرس اذا توجسوا خيفة من هجمات الاعداء .. ويأخذ (سلمان) مكانه بين المسلمين ويحظى بهذا الشرف الرفيع .. وفجأة تنبعث فى الجو أصداء حبيبة ليست غريبة على (سلمان) ويرهف سمعه ، ليتأكد من صاحبه ، ولشد ما كان فرح « سلمان » حين رأى صديقه « سهيلا » يشارك المسلمين فى حفر الخندق .. ويلمح (سلمان) صخرة عاتية جاثية ، فيحاول — كما حاول غيره من المسلمين — تفتيتها ، وتقف من دونه الصخرة تتحداه ، حتى جاءها النبى صلى الله عليه وسلم فى فتلين لقبضته .

(١٣)

عاش المسلمون — بعد ذلك — أحداثا تعاورتهم الى أن أظلهم عهد الخليفة الراشد (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه ، وتتداح الفتوحات الاسلامية ، ويشهد (سلمان) بعينيه كيف وقعت بلاد «فارس» فى حوزة المسلمين ، ووقتها أخذت الخواطر اللامعة تنثال عليه ، فاذا هو فى حديث مع نفسه ، وحديث الى « سهيل » :

« هل أنا عائد الى وطنى ؟ أو هل أنا قد تركت خلف ظهرى وطنى فى المدينة ؟ اننى أشعر أن وطنى خلفى، لقد وطئت قدماى حافيتين الى الرسول فى مجلس ، فأحسست أنهما تطآن — مقدما — بساط « كسرى » ترانى يا « سهيل » أرى أحدا من أهلى ؟ أهلى بحكم أنهم نسلونى ، أخذت منهم اللون، وليس اللون هو البناء كله .. ان (محمدا) هو الذى بنانى ، ماذا أقول يا « سهيل » لا شىء وبحسبى

ما قلت ، دعنى أذهب لسعد بى أبى وقاص لأسأله ما ينتظر ، فقد جاء الى منذ قليل ، وأخبرنى أن الفرس يرحلون بكل ما يملكون عن مدينة (الايوان) »

وترك (سلمان) صديقه ، ويمم صوب (سعد) و « سهيل » يذكر ما كان من « سلمان » وهو شاهر سيفه يوم دخل المسلمون « المدائن » الدنيا ، وكلماته العذبة تغرى بالالتفاف حوله ، كان يقول :

« ليس غاية المسلمين مافى أيديكم بل غاية المسلمين ما فى قلوبكم ، اننا نريد أن تخرجوا من ضيق الدنيا الى سعة الآخرة ، كنت ابن دهقان « كسرى » ، كفرت بالشرك ، وتركت أرضكم ، وخرجت أبحث عن الله فهدانى (محمد) اليه ، وهأنذا قد عدت لا لابحث عن أرض أبى ، وحظائره ورقيقه ، فقد ذقت ذل الرق ، ولكننى عدت مع المسلمين ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » .

ويقلده « عمر » وساما من الأوسمة ، فيوليه على « المدائن » ، ولكن أتراه مع هذا قد نسى موقف الراعى منه ، وقد عقد العزم على الرحيل من البيئة فى بداية الأمر ؟

كان مستحيلا أن يغيب هذا الموقف عن وعيه ، فكم تمنى أن يكون الراعى موجودا وهو يصحب « سهيلا » فى الطريق اليه وهالته رؤية الراعى لا على سابق العهد به ، بل على صورة أخرى أصبح فيها رجلا من رجالات الاسلام ، وبقدر ماكان فرحه كانت المحاذير والمخاوف التى بثها ، ووجهها الى « سهيل » اذ قال :

« أخاف أن يمتد بى الأجل حتى أرى المسلمين وقد فتنهم متاع الدنيا وزخرفها ، فى هذه الزخارف التى حولك يا « سهيل » لا يستطيع أحد أن يرى الله ، لكنها اليوم تحت ظل الاسلام الفتى القوى تتحدث عن « الله » ، لأن فيها حقا لكل مسلم ، ولكن يا « سهيل » ، انها يوم يستأثر بها القوى دون الضعيف ، والحاكم دون المحكوم فانها ستكف عن التحدث عن الله ، سيعود زخرفا أخرس

ذا لغة شيطانية ، وسيقول الناس مقالة الرسول صلى الله عليه وسلم: « رحم الله أباذر » •

آه يا « سهيل » ، ما أجمل احتياجنا الى الله وكل شيء يلهى — حتى ننسى احتياجنا الى الله — فهو قبيح لا يساوى شيئا ، فأهلا بالمكاره مادامت هى الطريق اليه » •

(يتبع)

دكتور فتحى محمد أبو عيسى

« من أقوال السلف »

(أربعة) يسودبها المرء : الأدب ، والعلم والعفة ، والأمانة •

(أربعة) ينبغى للعاقل أن يمنع نفسه منها : العجلة واللجاجة والعجب والتوانى •

(أربعة)تزيد ماء الوجه : الوفاء بالعهد ، والكرم ، والكلام الطيب ، وطاعة الله سبحانه وتعالى •

(أربعة) من علامات الكرم : بذل الندى ، وكف الأذى ، وتعجيل المثوبة ، وتأخير العقوبة •

القرآن الكريم .. وحرية الرأى

للدكتور عبد الحليم حفنى

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لاتعلمون • وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم • قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (١) •

١ ـ طابع المحاورة :

هذه المحاورة من طراز يختلف عن سائر المحاورات ، فهى نموذج أعلى للارشاد والقدوة والتوجيه ، حيث يجعل الله سبحانه من ذاته فيها معلما ومثلا أعلى يقتدى به فى مثل موضوع المحاورة •

وهى بهذا المقياس أسلوب من أساليب التعليم المتعددة التى يسوقها القرآن الكريم التماسا لكل السبل فى ارشاد البشر وتوجيههم ، وبيان ذلك أن موضوع المحاورة كما سنرى مراجعة بين الملائكة وربهم فى

---

(١) سورة البقرة : الايات ٣٠ ـ ٣٤ •

بعض ماخلق ، أو ما قضى بخلقه ، ولا يصلح قط أن نفهم هذا الأمر على ظاهره البسيط القريب ، فالله سبحانه يستشير الملائكة فى خلق آدم ، والملائكة يظهرون فى وضوح عدم موافقتهم على خلق آدم ، أو على جعله خليفة فى الأرض ، وينكرون على الله سبحانه أن يفعل ذلك ، بل يسوقون انكارهم على الله فى أسلوب يشبه التقريع أو وصف الله سبحانه بعدم الحكمة ، متسائلين : كيف يترك الله سبحانه الجنس المتسم بالخير وهم الملائكة ، ثم يستخلف الجنس المتسم بالشر وهم بنو آدم ؟ (**قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**) ؟

ومن البدهى أن شيئا من هذا كله غير مقصود فى ظاهره ، فلا الله سبحانه فى حاجة الى المشورة لأن المستشير انما يلتمس خير الآراء وليس هناك رأى يعلو حكمة الله حتى يلتمسه الله سبحانه . ولا الملائكة بطبيعة تكوينهم يستطيعون مراجعة الله فى أمر قط ، لأن الذى يراجع غيره ، انما يكون غير مطمئن فى الأمر الذى يراجع فيه ، وهذا يجوز فى البشر اذا راجعوا الله لقصور عقولهم حين لا يفهمون حكمة الله أو لمخالفة بعضهم لله حين يفهمون ، أما الملائكة فهم جنس خالص لله ، ليس فى طبيعته ما يدعو الى المراجعة أو الى المخالفة ، واذن فهناك هدف تحمله المحاورة أبعد من ظاهرها .

والذى لا شك فيه أن هذه المحاورة حقيقة ، ولكن موضع التأمل هو : لماذا أوجد الله سبحانه هذه المحاورة ؟ ولماذا ساقها ؟ ويمكن الاجابة عن ذلك بأن من أبرز الأهداف الواضحة التعليم ، أى أنها سيقت لتكون وسيلة من وسائل التعليم ، وأن الله سبحانه ييسر للناس أساليب التعليم والتوجيه حتى انه يجعل من ذاته سبحانه قدوة يتعلم منه الناس ، فمع أنه فى غير حاجة الى المشورة والرأى الا أنه يلتمس

المشـــــورة والرأى من المـــلائكة ويجعلهم مستشارين لـــه ، ليعلم أصـــحاب الأمر والســـــلطان الا يتخلوا عن الشورى مهما تكن الاحوال كما فعل الله سبحانه ، وليعلم المحكومين أن يبدو رأيهم صريحا واضـــحا مها كان مخالفا للسلطان ، ومهما كانت سلطة هذا السلطان ، كما فعل الملائكة ، ولكنه يعلمهم أن يرجعوا الى الحق اذا اســـتطاع الســـلطان أن يقنعهم بالمحـــاورة والمنطق كمـــا رجـــع الملائكة ، وألا يتمادوا حينئـــذ فى الخلاف ، لان خلافهم اذن سيكون باطلا وليعلمهم سبحانه أشـــياء أخرى مما تضمنته المحاورة •

٢ ــ الموضـــوع :

والواقع أن الموضوع الأساسى للمحاورة هو تكريم آدم بوصـــفه جنسا وليس شخصا ، أعنى تكريم جنس بنى آدم الـــذين يعمـــرون الأرض ويصبحون خلفاء لله فيها • ولكن تكرار هذا المعنى فى القرآن الكريم بأكثر من أســـــلوب يجعله وان كان واضحا بـــارزا الا أن فى المحاورة ما هو أبرز منه لغرابتـــه أو طرافته ، ومن ذلك حرية الرأى التى أبداها الملائكة فيما يشـــبه الانكار على الله سبحانه فى خلقه آدم واستخلافه اياه فى الأرض ثم قبول الله ذلك منهم دون غضب ، بل فيما يشبه التشجيع لهم على ابداء الرأى الصريح الواضـــــح ليكون ســـبيلا الى الحوار ، ثم الوصول الى الحق المقنع ، الذى يبعث فى النفس اليقين والاطمئنان وهو غاية الايمان وهدفه •

٣ ــ مراحل المحاورة :

من حيث ان أظهـــر اغـــراض المحاورة الارشـــــاد والتعليم ، نلاحظ أنها صـــيغت فى القالب العادى المألوف للبشر ، وكـــأنها محاورة بين طرفين من النـــاس ، حيث تعـــرض علينـــا المحـــاورة ما يأتى :

١ ــ الله سبحانه يعرض على الملائكة الموضوع فيما يوحى بأنه يطلب رأيهم ، وقد عرض سبحانه الموضوع على الملائكة بصـــيغة تحمل فيما تحمل معنيين :

(أ) احدهما أنه قضى بجعـــل آدم خليفة فى الأرض أى مالكـــا

لهـــا ، ومسيطرا عليها نيـــابة عن الله المـــالك الحقيقى وأن هذا القضاء لا رجوع فيه ، وكل قضاء الله لا رجعـــة فيـــه ، ولذلك كان التعبير « **انى جاعـــل فى الأرض خليفـــة** » .

(ب) والمعنـــى الآخـــر أنـــه سبحانه لا يطلب رأيهم فى خلـــق آدم وانما فى جعله خليفة ، كمـــا هو واضح من التعبير السابق .

ومفهـــوم الآية يتضـــمن أن الملائكة لديهم علم بطبيعـــة بنى آدم الذين سيجعلهم الله خلفـــاء فى الأرض ، وليس يعنينا كيف كان لديهم هذا العلم ، فهذا أمر قـــد يطول حديثه أو الاختـــلاف فيه ، وانما يعنينا أن الوضع الطبيعىأن من يرشـــح شخصـــا لمنصب ، أو لتولى أمر ذى أهميـــة يعرض عادة تعريفا بهذا المرشـــح واذن فمن المتوقع ان الله حينما أخبرهم باســـتخلاف بنى آدم أخبرهم بطبيعة هؤلاء الآدميـــين ، أو أن الملائكة توقعـــوا ذلك من فهمهم لطبيعة آدم فى تكوينه ويكفى أن يكون من هذه الطبيعة أنه يـــأكل ويشرب ، فليس غريبا أن يكـــون من فى مثـــل درجة المـــلائكة من الادراك متوقعا لما سيصدر من بنى آدم ، ويحتمل أيضا أن تكون لهم تجـــارب مع مخلوقـــات أخـــرى ســـابقة لآدم ، فقاسوا طبيعـــة آدم عليها .

وأما عن كيفية استخلاف اللـــه آدم ، فمـــع مراعـــاة اختـــلاف المفسرين فيها يمكن القـــول بأن أقرب مايناسب العقول من هـــذا المعنى أن الله جعل بنى آدم هم المالكـــين للأرض ، والمســـيطرين عليها دون أن ينافســـهم فى ذلك جنس آخر ، وكأنهم بذلك نائبون عن الله فى هذه الملكية والسيطرة وذلك أن الأرض تحوى مالا يعد ولا يحصى من أنواع المخلوقـــات الحية وغير الحية،وهذه المخلوقات على كثرتها واختلافها ليس مـــن بينها قـــط جنس له ســـيادة أو سيطرة الا بنو آدم ويمكـــن أن نتصور كيف يكون حال الارض لو خلت مـــن بنى آدم ؟ والتملك فى حقيقته لله وحده ولكنه ســـبحانه كأنه أنـــاب بنى آدم واستخلفهم

عنـــــه فى تملك الأرض ومافيها ، والتعبير يشير بوضـــــوح الى أن الأرض وما فيها سـابقة لآدم وهذا مطابق للبحث العلمى .

٢ ـ الملائكة يظهرون فزعهم من أن يكون بنو آدم خلفاء لله فى هذا الكوكب ذى الأهميـــة أو فى أى مكان ، وذلك بعد أن علموا أن من طبيعة بنى آدم الافســـاد وسفك الدماء ، والملائكة جنس لايحمل فى طبيعته وتكوينه الا الخـــير ، فهم يستغربون الشر وينفرون منـــه ، ولا يتصورون كيف يرضى اللـــه بأن يستخلف مخلوقا يحمل شيئا من الشر ، مهما كان فيه من الخير وكأنهم يقترحون عـــلى الله أن يجعلهم خلفـــاء لـــه فى الأرض ، ليس حبـــا فى الخلافـــة ، وانمـــا محافظة على طهر الأرض وجعلها مكانا خالصا لتسبيح الله وتقديسه، وليس مـــكانا للافســـاد وســـفك الدماء،وتوجهوا بكل مافى نفوسهم الى الله ، لأنهم لايخفـــون عنـــه شيئا ، ومانفع الاخفاء عمن يعلم كل شىء ؟ « **قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحـــن نسبح بحمدك ونقدس لك** » ؟ .

٣ ـ يرد الله ســـبحانه على الملائكة بما من أجله اختـــار آدم خليفة ، ولم يكن الله فى حاجة الى تبرير شىء مما يفعل ومـــا كـــان لاحد أن يكون له فى خلق اللـــه رأى « **لا يســـأل عما يفعل وهم يسألون** » ولكنه سبحـــانه يريد أن يعلم الناس ، ومما يعلمهم ايـــاه ألا يستبد صاحب الامـــر برأيـــه يفرضه فرضا على الاتباع ، بـــل ينبغى أن يكون سبيله دائمـــا الحوار والاقناع بالمنطق والحجة كما فعل الله سبحانه ، فى اقناعـــه الملائكـــة .

ونلاحظ أن جواب الله سبحانه فى بيان استخلافه آدم ، يتضمن جانبين :

(أ) أحدهما أن آدم استحق هذه المنزلة لأســـباب خاصـــة يعلمها الله ، ولايريد أن يبسطها للملائكة أو أن بسطها غـــير ذى نفع لأنهم لن يفهموهـــا ، حيث ان طبيعة آدم فى تكوينه تختلف عن طبيعتهم فلن يفهموا الحديث عن طبيعة لايعرفونها ،واذا أراد امرؤ

أن يتخيل شيئا من هذه الاسباب التى حجب الله حديثها عن الملائكة فقد يلتمس أسبابا من أبرزها فى فضل آدم على الملائكه أن عمل الخير لدى الملائكة يسيرهين ، لأن طبيعتهم مهيأة للخير ، ولا تحمل الا الخير أو الدافع الى الخير ، أما الآدمى فان عمل الخير لديه شاق عسير ، حيث ان نفسه تحمل الشر والدوافع الى الشر ، وحين يريد عمل الخير تثور فى نفسه نوازع شتى لتثنيه عن هذا الخير، فلا يستطيع عمل الخير الا بعد اجتياز صراع مع نفسه ، وحينئذ يكون الآدمى صاحب الخير أفضل من الملك ، لأن الملك يفعل الخير بسجيته دون عناء ، أما الآدمى فيفعله ضد سجيته وفى صراع وجهد ، كما أن الآدمى الشرير أخف شرا من الملك الشرير وهو ابليس — باعتباره أصلا من الملائكة

— وبهذا المقياس يكون الادميون فى كل أحوالهم خيرا من الملائكة فهم فى الخير أعظم منهم خيرا وفى الشر أيسر منهم شرا ولئن صلح هذا سببا من الأسباب التى لم يبسطها الله للملائكه فى تفضيل آدم عليهم ، فهناك سبب أو أسباب من أجلها استخلف الله آدم ومن أجلها فضله على الملائكة حتى أمرهم بالسجود له ليس سجود العبادة وانما سجود التكريم والاعتراف بالأفضلية .

(ب) والجانب الآخر فى فضل آدم على الملائكة ظاهر واضح ، وهو العلم المكتسب فالملك يعلم ما يعلمه منذ خلقه الله وبطبيعة تكوينه ، فهو لايبذل جهدافى العلم ولاتزيد معلوماته بمرور الزمن ، وأما الآدمى فعكس ذلك ، لأنه يخرج من بطن أمه جاهلا كل الجهل ، ثم يتدرج فى المعرفة والعلم فى بطء وعناء شديدين وكل ما يحصله من المعرفة والعلم انما يأتى بالجهد ، قل هذا الجهد أو عظم ، ولايتصور أن يعرف الانسان شيئا دون أن يبذل فيه جهدا .

ويريد الله سبحانه أن يبرز هذا المعنى للملائكة بصورة واضحة لهم ، فيعقد امتحانا علميا يعرض عليه الملائكة أولا ،فاذا هم يفشلون فيه كل الفشل ، حيث

لايجيبون عن شيء منه قط ثم يعرض عليه آدم بما علمه الله من علم مكتسب ، فاذا هو ناجح كل النجاح ، حيث يجيب عن كل ماطلب منه .

هنالك أيقن الملائكة بفضل آدم عليهم ، وباستحقاقه الخلافة ، وقد عبروا عن ذلك بالسجود لآدم حين طلب الله منهم ذلك تكريما لآدم واظهارا لفضله .

وفيما يتعلق بنوع العلم الذى اختص به آدم ، يمكن أن نقول : ان التعبير فى الآيات يوحى بأنه ليس المراد تحديد نوع معين من العلم ، وانما الواضح ابراز نقاط معينة تبدو من خلال الالفاظ وأوضح هذه النقاط :

(أ) أن علم آدم مكتسب ، وليس نابعا من طبيعة تكوينه أو نحو ذلك ، ويشير الى هذا (وعلم آدم) فهو صريح فى أن آدم تعلم أشياء لم تكن معلومة له .

(ب) أن علم آدم واسع ، ومتسم بالشمول ، ويدل على هذا التأكيد بلفظ (**كل**) فى قوله : (**وعلم آدم الاسماء كلها**) .

(جـ) أن آدم اختص بهذا العلم دون الملائكة ، كما هو واضح فى الآيات .

أما ذكر الأسماء فأغلب الظن أنها مجرد رمز لهذه النقاط التى سبقت ، حيث ان السياق لا يركز على بيان نوع العلم ، وانما على تميز آدم وانفراده بعلم لايعرفه الملائكة .

٤ ـ رجع الملائكة الى الحق فاعترفوا بفضل آدم عليهم ، وهذا يمثل النتيجة للمحاورة فالموضوع الاساسى للمحاورة كما سبق ، هو تكريم آدم وبيان فضله ، وقد آثر الله سبحانه الا يفرض هذا على الملائكة فرضا وانما اراد أن يقنعهم به اقتناعا بأسلوب المحاورة وقد أبدى الملائكة اعترافهم بفضل آدم من جانبين على سبيل التضمين :

(أ) أحدهما اعترافهم ضمنا بفضل آدم فى العلم ، حين أعلنوا عجزهم عن الاجابه ، بينما أجاب آدم ، ونتيجة الموقف حينئذواضحة وهى تفوق آدم على الملائكة .

(ب) سـجودهم لآدم حين أمرهم الله بذلك ، فان السـجود لا يكون الا للأفضـل والأعظم ، ولذلك امتنع ابليس عن السجود لآدم حين لم يعترف بفضله .

العبـرة :

ومن الواضح كما سـبق أن المحاورة مسوقة للتعليم ، ومواطن العبـرة التى ينبغى أن يتعلمها الناس فى هذه المحاورة كثـيرة وأبرزها :

١ ـ يجعل الله سـبحانه من ذاته ، ومن الملائكة ، قدوة يتعلـم منها البشر ، وفى هذا أقصى مايمكن من حفز الى التعليم والاقتداء .

٢ ـ الشورى يجعلهـا الله منهجا أساسيا فى كل أمور الناس وشئون حياتهم،وخاصة ولاة الأمر فلا ينبغى لولى الامر مهما بلـغ من سـداد الرأى أو النفـوذ والسلطان أن يستبد برأيه وحكمه وحسبه أن يجد الله سـبحانه يشاور بعض خلقه فى شئون ملكه، بل نلمس من خلال التعبـير كأن الله شاور الملائكة جميعـا **(واذ قال ربك للملائكة)** .

٣ ـ حرية الـرأى يجب أن تكون مكفولة للجميع ، ولايشترط فى صاحب الرأى أن تكـون له صفات معينة أو منزلة خاصـة ، فان الملائكة ليسوا جميعا فى منزلة واحدة ، بل فيهم أعلام متميزون ذكر القرآن بعضا منهم بأسمائهم كجبريل وميكائيل أو بصـفاتهم كحملة العرش ، ولكـن الله لم يخصهم وحدهم بالمشورة ، كمـا أنه لم يجعل لهم وحدهم حـق التعبير عن رأيهم وانما منح هـذا للملائكة فى جملتهم ، ولذلك صدر الرأى عن الملائكة جميعا « **قالـوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** » ؟ فقد استطاع الملائكة أن يعبروا عن رأى يعتبر فى ظاهـره غاية فى الجرأة على الله ، لأن الله يريد أن يعلم النـاس أن يجهروا برأيهم مهما كان مخالفا لصـاحب الأمر والسـلطان ، وليس ذلك للشقاق أو الخلاف ، وانما هـو تتمة لمبدأ الشـورى الحقيقيـة ، فالمستشار الصادق المخلص لابـد أن يعبر عن رأيه كما يراه هـو ، وليس كما يرضى ولى الأمر ، ولكن

هذه الحرية التى يمنحها القــرآن للتعبير عن الرأى مقيدة بقيدين :

(أ) احدهما صدق التعبير عما فى النفس ، بمعنى أن يكون الرأى نابعا عن صدق واخلاص ولو كان فى حقيقته خطأ ، كما فعل الملائكة، فانهم بداهة لم يظهـــروا رأيهم هذا للمخالفة وانما خوفا من الشر الذى سيغرسه آدم فى الأرض ، ورغبتهم فى الخــير الذى تعودوه هـــم •

(ب) والآخر الرجـــوع الى الحق فور ظهوره ، فــلا ضــير فى خلاف الرأى مهما يبلغ،وانما الشر فى التمادى فى الباطل ، أو عــدم الرجوع الى الحق حين يتضــح ، وقد أسرع الملائكة الى الحق حين ظهــر •

٤ ــ العلم أعظـــم مايحمله الانسان ، بل أعظم ما فى الكــون على الاطلاق،وذلك شديد الوضوح فى آيات هذه المحــاورة ، فــآدم انما علا على الملائكة بشىء معــين حددته الآيات هو العلم وشــعاره **(وعلم آدم ••)** وحين أراد الله سبحانه أن يقنع الملائكة بفضــل آدم عليهم اجرى لهم وله امتحانا فى العلم وحين تفوق عليهم بالعلم اعترفوا بعلو قدره عنهم ونلاحظ ايضا أن الله سبحانه حينما وصف نفسه بأنه فوق الجميع ، جعــل صفته فى هذا المقام العلم **((ألــم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون))** مبينا أن العلم هو الــذى يحدد المنازل ، فالله سبحانه فوق الجميع لأنه يعلم ما لايعلمه أحد، وآدم فوق الملائكة ، لانه يعلــم مالا يعلمــونه ، والملائكة دون آدم لأنهم لايعلمون ما يعلمــه آدم ، ويكفى تعظيما للعلمأن صفة العلم فى آدم كانت أهم دواعى سجود الملائكة لــه •

٥ ــ الأحكام يجب أن تكــون مبنية على الاقنــاع مهما يكــن مصدرها ، حيث نجد فى المحاورة أن الله سبحانه قضى بفضل آدم فجعله خليفــــة عنه فى الارض وبتفضيله على مخلوقات أخــرى منها الملائكة حتى أمرهم بالسجود له وقد كان الله سبحانه يملك أن يقضى بما يشاء وأن يأمر بما يريد

ويملك أن يفرض طاعتة على كل مخلوق ، ولكنه جلت حكمته يريد أن يعلم الناس أن تكون أحكامهم مبنية على الاقناع فبين للملائكة مايقنعهم بفضل آدم ، بل جعل هذا الاقتناع عمليا فى صورة امتحان وصل فيه الملائكة فى اقتناعهم الى حد اعلانهم العجز عن مجاراة آدم فى العلم ، وهذا يقتضى تسليمهم الكامل بتفوقه وفضله عليهم •

٦ ـ من أبرز ماتضمنته المحاورة اظهار تكريم الجنس الآدمى ، ليتعلم الناس أن كل آدمى يكتسب كرامته من مجرد كونه آدميا ، وأن الآدميين جميعا فى هذا سواء ، حيث انهم لايتفاوتون فى صفة الآدمية ، وقد سبق القول بأن هذا هو الموضوع الاساسى للمحاورة ويؤكد ذلك أن هذا المعنى تردد كثيرا فى القرآن الكريم ، سواء فى صورة محاورة كهذه المحاورة أو فى اسلوب آخر كقوله تعالى « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » ويطبق الاسلام هذا المعنى فى كل تشريعه من جانبين : أحدهما المحافظة على كرامة الآدمى وحقوقه لمجرد كونه آدميا ، مهما صغرت منزلته فى أعين المجتمع ، والآخر المساواة بين الآدميين جميعا وعلى الاطلاق فى كل الحقوق والواجبات •

دكتور عبد الحليم حفنى

* * *

اللغة العربية والبيان القرآنى

ألفاظ القرآن

للدكتور إبراهيم عوضين

العربية لغة البيان القــــرآنى ولسانه ، لا شك فى هذا عــــلى اجماله ، فقد قال الله تعالى : « **انا أنزلناه قرآنا عربيا** » • (٢ يوسف)

واللسان أو اللغة لاتعنى شيئا واحدا ــ كما قد يتبادر الى الذهن ــ انما تعنى مناحى ثـلاثة هى : المادة ، والشكل ، والروح • ولكل أبعاده ومظاهره وأسسه •

أما مادة اللغــــة فهى اللفظ المستعمل فى اللغة ، حيث تتميز كل لغة بألفاظها ، بالقدر الذى يتناسب مع أهلها وقدراتهم الصـــوتية التى تمنحهم اياها بيئاتهم المختلفة •

وأما شكل اللغة فهو ذلك البناء التركيبى القائم على تجميع الالفاظ فى هيئة معينة توحى بها طبيعــــة الحياة التى تكتنف أصحابها ، حيث يختلف بناء الجملة فى لغة عنه فى لغة أخرى •

وأما روح اللغة فمعانى التعبير وأخيلته ، حيث تتباين اللغـــات فى معانيها وأخيلتها ، استجابة لتباين البيئات البشرية ، اذ روح اللغـــة ترتبط أوثق الارتباط بمناخ كل لغـــة وبيئاتها وظـــروف حيـــاة أبنائها ، وأسلوب تعاملهم ومعايشتهم •

ونحن حين نوجه بحثنا وتأملاتنا الى لغة البيان القرآنى نجـــد أن علينا تأمل كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة المكونة للغة على حدة ، حتى يتم لنا التعرف والتعريف الشـــافى بها ، وسنبدأ بعنصر الالفاظ فنقول:

ليس لدينا مجال بحث فى ألفاظ القرآن ونسبتها للعـــربية ، اذ أن اللغة معروفة ، والالفاظ محـــددة

المعنى ، واضحة الدلالة ، بينة الاصل .

بيد أن باب القول فى الفاظ القرآن لم يظل مغلقا ، بل لقد فتح ذاك الباب عنوة حين بدت اختلافات طائفة من الباحثين والدارسين فيه؛ فاضطررنا الى خوض البحث فيه ، شأن كثير من المباحث المتصلة بالقرآن الكريم !.

ان دارس القرآن الكريم ولغته يواجه بأقوال منسوبة الى الاقدمين تبدو متضاربة حول طائفة من الفاظه ، لما رأوا فيها من الغرابة .

فقد قالت جماعة بأن هذه الالفاظ ليست من لغة العرب ، وعملت على ارجاعها الى أصولها ونسبتها الى لغاتها غير العربية . وكان فى مقدمة هذه الجماعة عبد الله بن عباس ، وعكرمة ابن أبى جهل ، وأبو موسى الاشعرى .

فكلمة (الطور) معناها جبل بالسريانية ، و (هدنا اليك) معناها تبنا اليك بالعبرانية ، وكلمة (درى) معناها مضىء بالحبشية ،و(قسورة) تعنى الاسد الحبشية .

وقرر آخرون أن القرآن الكريم عربى ، لغته عربية خالصة ، ليس فيه أية ألفاظ غير عربية ، لأن الله تعالى جعله معجزة شاهدة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ودلالة قاطعة لصدقه ، وليتحدى العرب العرباء به ، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته ، فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة .

والى هذا ذهب الامام الشافعى ، وبه قال جمهور العلماء ، ومنهم : أبو عبيدة ، ومحمد بن جرير الطبرى ، والقاضى أبو بكر بن الطيب ، وأبو الحسين بن فارس اللغوى وغيرهم (١) .

ثم اختلف هؤلاء فى نحو تاك الكلمات التى نسبت الى لغات غير العربية .

فقال الطبرى : هذه الامثلة والحروف التى تنسب الى سائر اللغات انما اتفق فيها أن تواردت اللغات فتكلمت بها العرب والفرس

---

(١) الرسالة للامام الشافعى ص ٤١ بتحقيق أحمد محمد شاكر .

والحبشة بلفظ واحد . وحكاه ابن فارس عن أبى عبيدة (١) .

واستبعد ابن عطية هذا الذى قال به ابن جرير الطبرى ، ثم قرر أن القرآن بلسان عربى مبين ، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا نفهمها الا من لسان آخر .

أما هذه الالفاظ وما جرى مجراها فقد عربت قبل نزول القرآن بتغيير بعضها بالنقص من حروفها وتخفيف ثقيل عجمتها واستعملتها العرب فى اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربى الصريح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن الكريم (٢) .

وقال القاضى أبو المعالى عزيزى ابن عبد الملك : انما وجدت هذه فى كلام العرب لانها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظا ، ويجوز أن يكون العرب قد سبقها غيرهم الى هذه الالفاظ .

ونسب أبو عبيد القاسم بن سلام القول بوقوعه الى الفقهاء ، ونسب المنع الى أهل العربية . ثم قال : والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعا ، وذلك أن هذه الاحرف أصولها أعجمية ، كما قال الفقهاء ، الا أنها سقطت الى العرب فعربتها بألسنتها ، وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال انها عربية فهو صادق ، ومن قال أعجمية فصادق (٣) .

* * *

حول هذه الآراء دار الاختلاف فى بعض كلمات القرآن الكريم .

وواضح أن هذا الاختلاف يقوم على واحد من اتجاهين هما : القول بأن فى القرآن الكريم ما هو غير عربى ، والقول بأنه لا يمكن أن يكون فى القرآن ما هو غير عربى .

أما القول الاول فلا يصح أن

---

(١) انظر تفسير الطبرى ج ١ ص ١٣ وما بعدها بتحقيق أحمد محمد شاكر .
(٢) تفسير ابن عطية ج ١
(٣) الصاحبى فى فقه اللغة لاحمد بن فارس ص ٢٩ .

يكون ـــ أياكانت تعليلاته ـــ معقول الله تعالى :

«وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » ٠

(٥ ابراهيم)

« وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » ٠

(٦٤ النحل)

« أن أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » ٠

(٢ يوسف)

« وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين »٠

(١٩٢ ــ ١٩٥ الشعراء)

« وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد » ٠

(١١٣ طه)

« ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون » ٠

(٢٧ ، ٢٨ الزمر)

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » ٠

(٣ فصلت)

« وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها » ٠

(٧ الشورى)

« أنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » ٠

(٣ الزخرف)

« ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة ، وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا » ٠

(١٢ الاحقاف)

فقد وصف جل شأنه القرآن الكريم فى تلك الآيات ـــ على اختلاف مواردها ـــ بأنه عربى مبين ، وأنه بلسان عربى مبين ، وأنه عربى غير ذى عوج، وأنه لسان عربى ٠ فكيف يسوغ ـــ مع هذه الصفات المتكررة ـــ لقائل أن يزعم بأن فى القرآن ما هو غير عربى ؟ !

بل لقد شاء سبحانه وتعالى الا يقف بنا عند حد الصفات المثبتة ، فعرفنا بلغة القرآن بطريق السلب فى قوله :

« ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » •

(١٠٣ النحل)

حيث يخبر سبحانه وتعالى عن قالة طائفة من المشركين ، فقد ادعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما جاء بما جاء من القرآن الا اثرا من التقائه ببعض أهل الكتاب حيث تعلم منهم وأخذ عنهم ما قال • ثم يفند سبحانه هذه الدعوى فى ايجاز واضح مقنع ، وذلك بلفت النظر الى اللغة التى يقدم فيها تلك الاحكام والتعاليم ، حيث الخلاف البين بين لغة من يدعون أنه يعلمه وبين لغة القرآن الكريم •• **« لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين »** •

اذن أين مكان الكلمات غير العربية من هذا اللسان العربى المبين ؟ !

ان المؤمن بكتاب يتناقض مع ما آمن به لو أنه خالج نفسه مجرد شك فى أن بعض القرآن غير عربى ، لما فى ذلك من نفى العربية عن بعض القرآن، ولما فيه من اثبات الاعجمية ــ كذلك ــ لبعض القرآن • والله سبحانه وتعالى يصف القرآن بأنه عربى مبين ، وينفى عن القرآن جميعه أن يكون ذاعوج أو يكون أعجميا •

وليس لنا أن نخصص شمول الصفة التى وصف الله تعالى بها كتابه ، لانه لو صح ذلك لكان جائزا أن يقول واحد : بعض القرآن حبشى لا عربى، أو فارسى لا عربى، وأن يقول آخر : القرآن حبشى أو فارسى أو رومى أو أعجمى ، وذلك لأن مبدأ تخصيص شمول الصفة يعتمد على وصف الله تعالى القرآن بأنه عربى انما هو وصف يقوم على تغليب احدى الصفات على سائر الصفات الاخرى ، ومثل ذلك يجيز للآخرين أن يغلبوا احدى الصفات الاخرى ، فيقولون : هو حبشى ، أو هو رومى •• الخ •

ومن ثم فمنطق الايمان يستبعد أن يكون فى القرآن الكريم كلاما غير عربى ، قل ذلك أو كثر •

* * *

فاذا ذهبنا الى منطق التاريخ اللغوى والتاريخ العام نجدهما يقرران أن القرآن لا يشتمل الا ما هو عربى •

يقول جرجى زيدان فى كتابه (اللغة العربية كائن حى) :

نعتقد أن اللغة العربية نشأت ونمت ، أى تميزت فيها الاسماء والافعال والحروف ، وتكونت فيها معظم الاشتقاقات والمزيدات ، وهى لا تزال فى حجر أمها ، أى قبل أن تنفصل عن أخواتها (الكلدانية والعبرانية والفينيقية) وغيرها من اللغات السامية • وبعبارة أخرى : ان أم هذه اللغات — ويسمونها اللغة السامية أو الآرامية — تم نموها ، فتكونت أفعالها وأسماؤها وحروفها واشتقاقاتها ومزيداتها قبل أن يتشتت أهلها أو ينزحوا الى فينيقية وجزيرة العرب وما بين النهرين ، حيث اختلفت لغة كل قوم منهم بعد ذلك النزوح باختلاف أحوالهم •• فتولدت منها اللغات السامية المعروفة — مع وجود اختلاف كبير حول المهد الاصلى للسامية ، فهى أرمينية ، أو شمال أفريقية ، أو شبه الجزيرة العربية ، أو ما بين النهرين أو بلاد العموريين فى سورية — فالساميون الذين نزلوا جزيرة العرب تنوعت لغتهم تنوعا يناسب ما يحيط بهم من الاحوال ، فتميزت عن أخواتها بأمور خاصة هى خصائص اللغة السامية الاصلية •

وتشعبت هذه اللغة فى أثناء ذلك الى فروع يختلف بعضها عن بعض باختلاف الاصقاع ، وهى لغة الحجاز ، واليمن ، والحبشة • وتفرعت لغة كل من تلك البقاع الى فروع باعتبار القبائل والبطون •• الخ (١) •

من ذلك يتبين أن اللغة العربية فرع من فروع السامية الأم ، وأن هذا الفرع كذلك نشأ عنه فروع هى لغة الحجاز واليمن والحبشة •

ومن ثم فاذا وجدت فى اللغة العربية كلمة تماثلها أخرى فى لغة

---

(١) «اللغة العربية كائن حى» لجرجى زيدان ص ٢٨ ، ٢٩ طبع دار الهلال

الحبشة لم يكن من المنطق العاقل أن نسلب عنها عربيتها لذلك السبب .

بل ان الامر على العكس من ذلك فالحبشـــــية واليمنية فرعان عن العربية المتفرعة عن السامية .

فاما أن نسلم بوجود المشترك بين اللغات باعتبار أن الاصل واحد، واما أن نقرر بأن كل ما هو حبشى عـــربى . وليس العـكس ، لأن الحبشية فرع العربية .

هذا بالنسبة للعلاقة بين العربية وشقيقاتها أو فروعها الساميات من حبشية وعبرية ويمنية .

أما عن العلاقة بين العربيـــة واليونانية فالتـــاريخ البشرى واللغوى يقرران وجود العلاقـــة القديمة بين الحضـارة العـــربية والحضارة اليونانية منذ عصر الملك (قدموس) ــ على ما ذكر العقاد ــ ولعل أوضح مظاهر تلك العلاقـة موافقة الابجدية التى يكتبهـــا اليونانيون فى عصرنا هذا بترتيبهـا حرفا حرفا لترتيب الابجـــدية العربية ، اللهـــم الا اذا كان فى الابجدية العربية حرف من حروف الحلق ، فانه فى الابجدية اليونانية يقابل بحرف آخر يقاربه فى النطق الاوربى ، لان الاوربيين لا ينطقون حروف الحلق كما هـــو معلوم لاختلافات عضوية فى أدوات النطق بعامل البيئة .

فالابجدية اليـــونانية تبتدىء بحروف (ألفا وبيتا وجاما ودلتا) وهى حروف الالف والباء والجيم والدال فى (أبجد) وعلى ترتيبهـا نفسه ، ثم تتقابل حروف (هوز) بما يقاربها مع اختلاف نطق الهاء ونطق الواو حيث تكون حركـــة من عندهم وحرفا منطوقا عندنا فى بعض الاحيان . ثم تأتى حروف (كلمن) متتابعة كما هى عندنـــا بغير اختلاف لخلوها من حـــروف الحلق والمد ، وهم ينطقونهـــا (كافا ، ولا متا ، ومى ، ونى) ، ويتبعونها ببقية حروفنا على النحو الذى أشرنا اليه (١) .

ولا يمكن أن تكون تلك الموافقة الا بين آخذ ومأخوذ عنه .

---

(١) «اشتات ومجتمعات فى اللغة والادب» للعقاد ص ٢٥ طبع دار المعارف .

وغير مقبول أن تكون العربية هى الآخذة عن اليونانية لأن أسماء الحروف العربية عرفت بمعانيها وأشكالها ، أما فى اليونانية فلم يعرف لها معنى ولا شكل يعود بها الى لغة من لغات الاوربيين •

ومن معانى هذه الحروف فى العربية ما نفهمه فى أحاديثنا اليومية الى هذه الايام ، كالباء من البيت ، والجيم من الجمل ، والعين من العين المبصرة ، والكاف من الكف ، والنون من النون أى الحوت •

ومن ثم فاذا صادفنا فى اللغة العربية كلمة تماثلها أخرى فى لغة من اللغات الاوربية لم يكن معنى ذلك أن العربية أخذتها عن تلك اللغة، وانما الامر على العكس من ذلك ، يعنى أن اللغة الاخرى هى التى أخذتها عن العربية لان العربية هى اللغة الاقدم ، وحضارتها هى الحضارة المعطاءة منذ أكثر من خمسين قرنا •

ومن هذا يتبين لنا أن أصحاب القول الأول حين نسبوا بعض كلمات القرآن الكريم الى الحبشية أو العبرانية أو الرومية أو الفارسية لم يسلبوا عن تلك الكلمات عربيتها فى واقع الامر — وان ظنوا ذلك — لأن العربية أصل تلك اللغات جميعا، على ما تبين لنا من النظرة التاريخية •

وعلى ذلك نستطيع أن نقرر أن لغة القرآن عربية خالصة ، صدورا من منطق الايمان بما جاء به القرآن نفسه ، ومن منطق التاريخ اللغوى والتاريخ العام •

ثم من منطق العقل المجرد من الغرض •• !

وذلك لأن نسبة بعض الكلام الى لغات غير العرب لا ينفى عنها عربيتها ، فلم يرد نص ثابت يقرر أن شيئا من هذا الكلام لم يكن من كلام العرب قبل نزول القرآن ، أو أن العرب كانوا يجهلونه •

فنسبة الكلمة الى من يعرفها أو يعرف استعمالها أو الى من سمعت منه لا ينفى أن هناك غيره يعرف استعمالها وسمعت منه ، وبالتالى يصح نسبتها اليه كذلك •

فالكلمة التى يستعملها العربى وحده تكون عربية ، والكلمة التى يستعملها الفارسى وحده تكون

فارسية ، ولكن هذا لا يعنى أنهما متنافران لا يلتقيان حول كلمة يستعملها العربى كما يستعملها الفارسى ، فتكون عربية فارسية ، وذلك كالدرهم والدنيار ، والدواة والقلم والقرطاس .

ولا يظنن ظان أن اجتماع ذلك فى الكلام مستحيل ، فقد عرفنا من تاريخ اللغة أن اللغات العربية والحبشية والعبرانية والفينيقية من أصل واحد .

هذا الى أن الكلام ينسب الى من يعرف أنه يستعمله ، ومثل ذلك لا ينشأ عنه تناقض، وانما التناقض ينشأ من وصف الشىء بصفتين لا يلتقيان فى شىء واحد ، كالقيام والقعود فى وقت واحد من شخص واحد .

ومن ثم فالكلمة اذا نسبت الى جنس لم يلزم عليه نفيها عن غيره من الاجناس الاخرى ، فقولنا فلان قائم لا ينفى عنه الكلام والضحك ، ولا ينفى القيام عن غيره ، وانما الذى ينفى عنه هو نقيض القيام فقط وهو القعود فى الوقت نفسه .

وبذلك يتقرر أن لغة البيان القرآنى هى العربية ، وأن عربية القرآن ضرورة يحتمها النص القرآنى ، ويسلم بها الواقع التاريخى ، ويوجبها العقل .

دكتور / ابراهيم عوضين

« حوائج الناس اليكم نعمة » .

قال فيض بن اسحاق : « كنت عند الفضيل بن عياض اذ دخل عليه رجل فسأله حاجة والح فى السؤال فقلت : لا تؤذ الشيخ .

فقال لى الفضيل : اسكت يا فيض ، أما علمت أن حوائج الناس اليكم نعمة من الله فاحذروا أن تملوا النعم فتتحول نقما ، ألا تحمد ربك أن جعلك موضعا للسؤال .

ملامح الأصالة في الفكر العربي الإسلامي

للدكتور عبد الحميد محمد العبيسي

تشير الدراسات الفكرية الحديثة الى أن قضية أصالة الفكر العربى الاسلامى لم تعد بحاجة ما الى اثبات أو تأكيد ، فقد بات مقررا خطأ تلك الفكرة الشاذة التى كان يروج لها البعض بنفى أصالة هذا الفكر العربى الاسلامى ، ومحو شخصيته !! ••

وفى مواجهة محاولات الغزو الفكرى الاجنبى التى تهدف فيما تهدف الى الغاء كل أصالة ، وانكار كل ابداع لدى الامة العربية والاسلامية — فانه قد يكون من المفيد حقا أن نعرض فى تلك الدراسة بشىء من التركيز — أبرز سمات الأصالة فى فكرنا العربى الاسلامى العريق ، وهى كبرى قضاياه ، لأنها تمس الوجود الاسلامى كله فى الصميم •

ان المتأمل فى جوهر هذا الفكر الاسلامى ، وطبيعة نشأته الاولى القرآنية ، يدرك بجلاء أنه قد انبعث من باطن الامة الاسلامية ، وصدر عن ذاتيتها الفرقانية ، ليغدو أداة تعبير عن منهج حياتها ، وليطور مظاهر رقيها وحضارتها ، وليضىء مسالك مسيرتها ، وليصور أمانى وآلام أفرادها وجماعاتها •!

كما يعلم الباحث حقيقة الاختلاف فى طبيعة الفكر الانسانى من أمة الى أمة ، ومناط التفاوت بين مذاهبه وقضاياه ، واذا كان الفكر العربى الاسلامى يمثل حلقة من حلقات الفكر الانسانى — فان

ذلك لا يعنى أن تتطابق أو تتشابه الافكار فى جوهر مذاهبها ، بل تختلف تبعا لاختلاف واقع البنية الاجتماعية واللغوية لتلك المجتمعات فلنا أن نتساءل : هل تشابه اليونان مع الهنود فى شىء ؟ وهل استطاع الهنود — وهم أمة آرية عريقة — أن تقدم للانسانية ما قدمه اليونان؟ وهل استطاعت ايران القديمة — وهى أمة آرية أخرى — أن تقدم للفكر الانسانى ما قدمه الهنود أو اليونان ؟ لكن المسلمين القادمين من شبه جزيرة العرب بتلبيتهم دعوة القرآن فى بسط السيطرة على الحياة ، وايجاد الابداع العملى فى أرجائها ، والتحامهم بغيرهم من الامم والشعوب ، وتكوينهم معدلا بشريا جديدا ، ومزيجا فكريا فريدا — استطاع هؤلاء العرب المسلمون أن يقدموا للانسانية كلها فكرا خلاقا لم يعرفه اليونان ولا غيرهم !! •

وكذلك يقف الدارس الفاحص على خصائص المنهج التجريبى أو الاستقرائى ، كمنهج ادراكى تأملى وهو المنهج الذى ابتكره المسلمون الاولون وصاغوه ، وطبقوه علميا وعمليا ، فصبغ حضارتهم وثقافتهم معا ، بخلاف ذلك المنهج العقلى القياسى الذى ارتضاه اليونان ، حيث احتقر (أرسطو) معلمهم : التجربة ، والتجريب ، بقوله :

« النظر للسادة ، والتجربة للعبيد •• » ، بل ان فكرة القياس التى افترعها العرب المسلمون تجافى تماما : القياس الارسطى ، اذ أن قياس اليونان يعتمد على حركة فكرية ينتقل فيها العقل من حكم كلى الى أحكام جزئية ، أو من حكم عام الى حكم خاص ، بواسطة استخدام الحد الثالث •

بينما قياس العرب المسلمين يكون الانتقال فيه من حالة جزئية الى حالة جزئية ، لوجود جامع وشبه بينهما ، بواسطة تحقيق علمى دقيق !•

ولقد سيطر ذلك المنهج التجريبى العربى الاسلامى سيطرة كاملة على مناهج العلماء الغربيين منذ أواخر العصر الوسيط لدى (روجر بيكون) وحتى عصرنا الحديث ، وبخاصة

فى العلوم : الطبيعية ، والكيمائية، والدراسات التاريخية، والاجتماعية والنفسية ، وغيرها .

ومن المعلوم أن الفلسفة العملية التى شغل المسلمون بوضعها فى ضوء الهدى القرآنى ، وهم يسعون نحو صياغة منهجهم التجريبى المتميز ـ كانت هذه الفلسفة تدرك بداهة عجز العقل الانسانى عن التوصل الى الشىء فى ذاته ، وادراك كنهه وحقيقته ، ومن ثم فلا مجال للبحث فى تلك المسائل التوقيفية التى لم يشأ الوحى كشفها للرسول (ص) نفسه فان القرآن الكريم قد حدد مسائل : « ما بعد الطبيعة » تحديدا وافيا وطالب عدم البحث فيما وراءها ، ثم حث على النظر فى آفاق الكون، والبصر فى أنفس البشر ، ترسيخا لقاعدة الايمان فى القلوب ، ووأضح أن هذا بحث عن (الخصائص) ، لا عن (الجوهر) الذى لا طائل من ورائه ، على أن الفكر اليونانى بمذاهبه المتعددة المتعارضة ـ يبدو تعبيرا خاصا متلائما صادرا عن ذات مفسرة فى عالم يموج بتيارات الالحاد ـ بخلاف الفكر العربى الاسلامى الذى يأبى (بقوة) هذا النمط الشاذ من التفكير ، بل المخالف لصورة الكون الجلية العميقة، وبدهى أن الاسلام دين اجتماعى لايأخذ بمبدأ الفردية فى التفسير الوجودى .

وأبسط ما يقال : ان روح الفكر اليونانى مجافية لروح الفكر الاسلامى ، فان الروح اليونانية حينما أعلنت ايمانها الكامل بفناء الفرد فناء أبديا ، وبخلود النوع خلودا سرمديا ، لم تعرف قصة البعث ، ومن ثم لم تدرك قصة الخالق ! وظلت هذه الروح تبحث هائمة فى زوايا العقل عن الحقيقة، فضلت الطريق اليها ، لانها لم تعلم أن هناك قوة علوية فوق هذا الوجود العقلى ! .

لكن الروح الاسلامية كانت منسجمة تماما مع هذه الحقيقة الكبرى ، فقد كفى القرآن المسلمين عناء البحث عنها ، ووضح لهم أصول الغيبيات ، وبين لهم حدود العقل الانسانى وآفاقه ، ومدى

فاعليته ، ثم نهاهم عن الخوض فى علل الوجود ، وحذرهم منها ! •

وقد استطاعت هذه الروح الاسلامية أن تقدم للبشرية كلها : فلسفة مسلمة معبرة عن حقائق واضحة كاملة فى الجانب الالهى ، والعالم الطبيعى ، والكيان الانسانى •

ولا بدع فى ذلك ، فان الامة التى تفتح قلوبها لبواعث الهدى ودلائله فى الكون والنفس — هى أمة مهتدية الى الله سبحانه بالاهتداء الى نواميسه المؤدية الى معرفته وطاعته ، والامة التى تغلق قلوبها، وتصم آذانها دون تلك البواعث والدلائل هى أمة ضالة ضائعة تزداد ضلالا وضياعا كلما زدات اعراضا عن الهدى وبواعثه •

واذ وضح لك هذا التباين بين الفكر اليونانى وبين الفكر العربى الاسلامى فى الاسلوب ، والمنهج ، والخصائص — فهل يمكن قبول هذه الدعوى المزعومة من أن الفكر الاسلامى صورة من الفكر اليونانى وأن (أرسطو) هو المعلم الاول للمسلمين فى الفلسفة الى جانب أنه المعلم الاول فى علم البيان العربى[1] !!؟•

وان نظرة فاحصة الى الخريطة فى شبه الجزيرة العربية حين ظهور الاسلام لترينا أن العرب فى مجموعهم كانوا يدينون بالوثنية ، وأن قلة منهم محدودة آمنت باليهودية والمسيحية ، وهذا دليل على انعدام أثر ما لهاتين الديانتين فى الجانب الفكرى عند العرب المسلمين •

وحتى الفلسفات الوضعية الاخرى وبخاصة الهندية لم تجد رواجا لدى العرب ، ولا يكاد الباحث يجد لها أثرا فى الحياة الفكرية عندهم •• وعلى هذا فيمكن القول : ان الفلسفة المسلمة — وهى احدى شعب الفكر الاسلامى — ظلت بمنأى عن الافكار الاخرى •

---

(١) حسين : د• طه — مقدمة نقد النثر لابن وهب •

أما ما عرف بالفلسفة الاسلامية التى رأيناها عند الكندى ، والفارابى ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن طفيل ، وابن باجة وغيرهم ــ فان هذه الفلسفة شابتها فلسفات أجنبية وبخاصة اليونانية بعد ترجمة مصادرها الى العربية خلال القرن الثالث الهجرى وقد اعتبرها بعض [1] المعاصرين : « ترفا علميا قامت به مجموعة من الاسلاميين انفصلت فكريا عن هذا المجتمع الاسلامى » •

وقد يكون من الاولى أن نتناول بشىء من التفصيل شعب الفكر العربى الاسلامى الاخرى المتمثلة فى : فلسفة النحو والبلاغة واللغة وعلم الاجتماع ، وعلم الكلام ، وعلم أصول الاحكام ، وعلم التصوف ، لتتضح لنا مدى أصالة هذه الانماط وابداعها :

أولا ــ فلسفة النحو ، والبلاغة ، واللغة :

لا جدال فى أن نزول القرآن الكريم المصدر الاساسى للتفكير عند المسلمين بلغة العرب كان عاملا مهما فى نشر هذه اللغة عالميا ، وصبغها بالقدسية والجلال ، ولقد كان ظهور النحو ، وبروز البلاغة من أهم الظاهرات التى جعلت تبحث من منطلق فكرى رتيب ، لتأكيد عالمية تلك اللغة الشاعرة الشريفة ، وتكون النحو العربى معتمدا على دوافع لغوية فى البداية وسرعان ما نضج واستوى بأحكامه وقضاياه ومذاهبه على يد (ابن الانبارى) فى القرن الخامس الهجرى ، ولا ريب أن هذا التفكير النحوى الاصيل المستند الى أعماق اللغة ، وأصول الاحكام قد صدرت عنه فلسفة اسلامية خالصة فيها تتضح فكرة الزمان بأحواله : (الماضوية ، والحاضرية ، والمستقبلية) ، كما تبدو فكرة العلية ، والاخذ بالقياس النحوى بالاضافة الى السماع الذى هو الاصل •

---

(١) النشار : د. على ــ نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ج ١ ص٢٢٦

أما حظ البلاغة فكان أوفر ، باعتبارها علما حضاريا يحقق الارتباط بين المتكلم وبين المخاطب أو السامع ، ويقدم الكلام فى صورة محببة ، وخصوصية مقبولة ، فيكتسب الكلام قوة وشرفا ، ويتحقق الغرض من القاء الكلام ، ولقد نضج هذا العلم على يد الامام (عبد القاهر الجرجانى) فى القرن الخامس الهجرى كذلك ، وقد استطاع بكتابيه البلاغيين المشهورين : (أسرار البلاغة) ، و (دلائل الاعجاز) — وضع ، وصياغة أهم نظرية فى العلاقات بين الكلم ، وهى النظرية التى عرفت باسم « النظم » ، توصلا الى اثبات اعجاز القرآن بنظمه ونسقه .

وجهود الجرجانى تكشف عن تفكير عربى اسلامى خالص ، مما يجعلنا مطمئنين الى أصالة فكرنا الاسلامى فى هذا المجال ، ومدى ابداعه واقتداره على المستوى العالمى ، وما يزال تأثيره فى الفكر الغربى بخاصة قائما حتى الآن[1] .

ثانيا — علم الاجتماع :

ويسميه البعض فلسفة التاريخ أو السياسة ، ونرى فيه اتجاهين مختلفين :

١ — الاتجاه الاول : ويقوده الماوردى فى (الاحكام السلطانية) بنظريته السياسية ، ومن بعده فلاسفة المنهج التاريخى من المسلمين كالمسعودى ، واليعقوبى ، والطبرى ، والغزالى ، ثم ينتهى الى ابن خلدون صاحب المقدمة ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن الأزرق .. وخير مثل توضيحى لهذا الاتجاه المسلم الخالص هو مؤلف ابن خلدون (المقدمة) التى استقى مادتها من التاريخ الاسلامى والعالمى ، كما ارتكز على البناء الفقهى ، والكلامى ، والسياسى للفكر الاسلامى — فى عرض فكرته .

---

(١) العبيسى : د. عبد الحميد — الاعجاز النظمى للقرآن ص ٧٢ .

٢ ــ الاتجاه الثــانى : وكان يقوده عبد الله بن المقفــع الكاتب الاديب ، وغـــيره من المفــكرين الاعاجم من بعده ، الى أن انتهى الى الفارابى وغيره من الفلاســفة الاسلاميين .

ولا شك أن هــذا الاتجاه يتميز بالحرص على التوفيق ، والتنسيق بين الفكر الاســلامى وبين الفكر اليــونانى ــ ما أمكن ــ فبــدت صورته مشوبة غير خالصة للروح الاسلامية .

وعليه فانا مطمئنون الى ابداع الفكر الاجتماعى من خلال الاتجاه الاول دون الثانى ..

ثالثا ــ علم الكلام :

ويطلق عليه علم التوحيد ، وقد أودع المسلمون فى نطــاقه عملهم العظيم فى تفسير الكون ، ومعرفة القوانين الوجودية ، وتوصلهم الى مفهوم للوجود وللحركة وللعلة على نحو مخالف لمفهوم اليونان ، وقــد حقق علماء التوحيد بهذا سبقا على مفكرى أوربا المحدثين !!.

وحقيقة الامر فان المطلع عــلى جهود علماء الكلام المسلمين يدرك بيقين أن هذا العلم ظل اســلاميا خالصــا حتى القــرن الخــامس الهجرى ، ثم دخلته عناصر يونانية ومزج بالعلوم الفلسفية .

وقد أنكر بعض فقهــاء المسلمين هذا الاتجاه الذى فرضــته ظروف ــ فيما يظهــر ــ من رد هجــوم الآباء المسيحيين على الاسلام منذ فتحت بلادهم ، ودخلها المسلمون، وواضح أن هؤلاء الآباء كانوا قد درسوا منطق (أرسطو) ، واتخذوه أساسا فى حوارهم وجدالهم مــع المسلمين ، فكان عــلى علماء الكلام المسلمين أن يستخدموا هذا المنطق اليونانى ، درءا للخطر ، ودفاعا عن العقيدة .. وعــلى الرغم من ذلك فان علم الكلام بأى مقياس يظــل مفخرة للتفكير الاسلامى الخالص، وتبدو فيه الاصالة جلية !!.

رابعا ــ علم أصول الاحكام :

ويطلق عليه اسم (أصول الفقه) وتتضح أصالته فى أنه منهج الفقيه ومسلكه ، بل أداته ومنطقــه ، اذ

بقواعده يتسنى للفقيه أن يستنبط الاحكام ، وقد أرسى قواعده ، وأقام مبادئه الصحابة الاولون حين تحدثوا عن : نقد الاخبار ،والقياس وقد أضاف التابعون بعد ذلك بعض عناصره حتى رأيناه كاملا على يد الامام الشافعي وتلاميذه .

وقد قدر لعلماء الكلام من الاشاعرة والمعتزلة أن يؤلفوا فى أصول الفقه فكانت صورة الاختلاط بين علمى الكلام ، وأصول الاحكام فى العصور المتأخرة ، مما أسفر عن وجود مذهب فلسفى متكامل : نظرية فى المعرفة ، ونظرية فى المنهج ، ثم تطبيق لهذا المنهج ، ثم بحث الهى ، وأخلاقى .

خامسا ــ التصوف الاسلامى :

ونجد فيه تيارين :

١ ــ تيار فلسفى : وقد تأثر بأخلاط من الفكر اليونانى ، وبخاصة الافلاطونية المحدثة ، والمجموعة الهرمسية ، وبعض الافكار الاجنبيةالاخرى ، وأمشاج من اليهودية والمسيحية والاسلام !

٢ ــ تيار مسلم : ويستمد أصوله من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ويهتم بالجانب السلوكى فى الانسان ، ويركز على الناحية الخلقية فيه ، كما ينكرعلى التيار الاول الفلسفى معظم عقائده .

وهذا التصوف المسلم الخالص فى جوهره ثورة اجتماعية على الترف العقلى من جهة ، وعلى الترف الاجتماعى والاقتصادى من جهة أخرى .. وقد استطاع التصوف المسلم أن يصف حركات انقلب الدقيقة ، ويضع المذهب الذوقى فى الاسلام ، ويكتشف فكرة الضمير ، ويجعل من التصوف سبيلا لثورة المحرومين الفقراءعلى مجتمع القهر والاحتكار .

وهذه كلها بلا شك نسجلها له بكلاعزاز ، وهى أمور تنهض دليلا على ابداعه .

وخلاصة القول : أن هناكجانبا كبيرا من الفكر الاسلامى قد خلص من شوائب الثقافات الاجنبية ،

مما أبقى على ذاتيته الاسلامية ، كما أن هناك جانبا أخيرا محدودا كان للتأثير الاجنبى دوره فى جعله فكرا مشوبا غير خالص .

وعمـوما فان الفكر العـربى الاسلامى فى شتى العصـور ، ومختلف الأمكنـة يبدو أصـيلا فى مناحيه ، كما يظهر مبـدعا فى مجالاته ، وواجبنا جميعـا أن نراجع باسـتمرار جـوانب الفكر الاسلامى المضيئة ، لنبدد الغشاوات وننقض الشبهات واللـه متم نوره ولو كره الكافرون .

د. عبد الحميد العبيسى

« رءوس النعم »

قيل رءوس النعم ثلاثة :

أولها : نعمة الاسلام التى لا تتم النعم الا بها .

ثانيها : نعمة العافية التى لا تطيب الحياة الا بها .

ثالثها : نعمة الغنى التى لا يتم العيش الا بها .

الأزهر جامعاً وجامعة
أو مصر فى ألف عام

للأستاذ محمد كمال السيد

— ١٢ —

ذكرنا فى المقال السابق توسع الخديوى اسماعيل فى حركة التعليم بمصر . وكان على رأس هذه الحركة ثلاثة رجال : اثنان منهم أزهريا النشأة ، هما : رفاعة بك رافع الطهطاوى وعبد الله باشا فكرى . والثالث أزهرى النزعة وهو على باشا مبارك .

أما رفاعة رافع فقد مر ذكره فى المقال السابق .

وعبد الله باشا فكرى (١٨٣٤ — ١٨٨٩ م = ١٢٥٠ — ١٣٠٧هـ) هو الاديب الشاعر الناثر . كان جده الشيخ عبد الله محمد من العلماء المدرسين بالأزهر . وتلقى أبوه : محمد افندى بليغ العلم بالازهر ، ثم بالمدارس الحكومية حتى تخرج مهندساً التحق بالجيش المصرى . واشترك فى حرب المورة (اليونان) فى عهد محمد على . حيث أتى منها بوالدة عبد الله فكرى . ثم ذهب بها الى الحجاز مع الجيش المصرى حيث ولدت المذكور فى مكة المكرمة .

وتوفى أبوه وهو صغير فكفله بعض أقاربه . فأحفظه القرآن ثم أرسله الى الازهر حيث تلقى العلوم الدينية واللغوية التى كانت تدرس به وقتذاك . وأتقن علاوة على ذلك اللغة التركية مما أهله أن يعين فى وظيفة مترجم . ثم انضم الى حاشية سعيد باشا ومن بعده الى حاشية اسماعيل باشا . فعينه مدرساً لأولاده وبعض أمراء الاسرة الحاكمة — ومنهم الخديوى توفيق والسلطان

حسين كامل ولدا اسماعيل — وتقلب فى عدة وظائف حتى وصل الى نظارة المعارف سنة ١٨٨٢ (١٢٩٩ هـ) وكان محمود سامى باشا البارودى ناظرا للنظار •

وقامت الثورة العرابية • فسقطت الوزارة • واتهم عبد الله فكرى بالانضمام الى الثورة فسجن وأوقف صرف معاشه • ثم أطلق سراحه وعفا عنه الخديوى توفيق لما تقدم له بقصيدة طويلة يذكر فيها براءته وأنه برغم اشتراكه فى الوزارة كان بعيدا عن أحداث الثورة • ورد اليه توفيق معاشه • فشكره بقصيدة طويلة من تسعين بيتا • وقد أورد له على مبارك ترجمة مطولة ذكر فيها القصيدتين وغيرهما (الخطط التوفيقية حـ ٢ ص ٤٦) •

ويعد عبد الله فكرى من واضعى الاصطلاحات والالفاظ الديوانية المصرية الحديثة وبعضها مقتبس من اصطلاحات دولة المماليك • وشعره متوسط الجودة وتوفى سنة ١٣٠٧ هـ ولم يذكر على مبارك تاريخ فاته ، لان الخطط التوفيقية انتهى طبعها سنة ١٣٠٦ هـ •

وعلى باشا مبارك (١٨٢٣ — ١٨٩٣ م = ١٢٣٩ — ١٣١١ هـ) هو العالم المؤرخ المهندس •فضله معروف فى نهضة التعليم والاكثار من المدارس •

التحق على مبارك بأحد كتاتيب قريته برمبال (محافظة الدقهلية) فحفظ به القرآن • ثم دخل مدرسة (أبو زعبل) • ثم مدرسة القصر العينى • فدرس الرياضة والهندسة • وأرسل الى أوربا فى بعثة سنة ١٨٤٤ م (١٢٦٠ هـ) • ومكث هناك أربع سنوات درس فيها الهندسة والفنون الحربية •

وعينه عباس حلمى الاول رئيسا لديوان المدارس • لأنه مجاراة لرغبة عباس نفذ ما أراده من الغاء المدارس وادماجها جميعا فى مدرسة واحدة وبلغت نفقات التعليم فى عهد عباس الاول ٥٠٠٠ خمسة آلاف جنيه بعد أن كانت فى عهد جده محمد على ٨٨٠٠٠ جنيه •

وبعد عباس لم يكن مرضيا عنه فى عهد سعيد . فأرسل فى حرب تركيا مع روسيا فى القرم ولاقى هناك مشقة وأهوالا .

وفى سنة ١٨٦٤ (١٢٨١ هـ) فى عهد اسماعيل عين وكيلا لديوان المدارس . ثم تقلب فى عدة وظائف : مديرا للسكة الحديدية . وناظرا للمعارف وللاشغال . وللاوقاف . وللقناطر الخيرية .

وفى أواخر عهد اسماعيل بلغ عدد التلاميذ ١٤٠٫٩٧٧ وعدد المدارس ٤٨١٧ مدرسة . وكان فى القاهرة وحدها مايزيد على ٢٩٥ مدرسة بلغ عدد تلاميذها ١٠٫٠٠٠ تلميذ . عدا طلبة الازهر الشريف والمعاهد الاجنبية والمعاهد التابعة للاوقاف . والمدارس الحربية (تاريخ مصر فى الفتح العثمانى تأليف عمر الاسكندرى وسليم حسن ص ٢٢٥) . وقد نقل المؤلفان عن ادون دى ليون فى كتابه عن اسماعيل مقارنة بين عدد المتعلمين ممن فى سن التعليم فى مصر وبين نظرائهم فى أوربا وقتذاك أن نسبة المتعلمين فى مصر تبلغ ٢٣٪ حين أنها تبلغ فى الدولة العثمانية ١٠٪ وفى روسيا ٣٪ وفى ايطاليا لم تتجاوز ٣١٪ .

وعندما قامت الثورة العرابية كان على مبارك من (المعتدلين) الذين لم ينضموا الى الثورة فعينه توفيق ناظرا للمعارف . وظل فى وظيفته الى قبيل وفاته . فاعتزل العمل وتوفى سنة ١٨٩٣ م (سنة ١٣١١ هـ) .

ومن آثاره الباقية انشاء دار الكتب سنة ١٨٧١ م . وانشاء مدرسة دار العلوم سنة ١٨٧٢ م .

دار الكتب :

جمع على مبارك الكتب المنسوخة باليد . والمصاحف المزخرفة التى كانت مبعثرة فى المساجد وفى أنحاء البلاد . كما أن الخديوى اسماعيل اشترى مجموعة الكتب التى كانت عند أخيه مصطفى فاضل بعد وفاته بمبلغ ٤٠٫٠٠٠ جنيه . وكان هذا وذاك نواة لدار الكتب التى جعل على مبارك مقرها بسراى مصطفى فاضل بدرب الجماميز (التى

اخترقها الآن شارع مجلس الشعب وفى جزء من مكانها توجد المدرسة الخديوية الحالية).

وظلت دار الكتب هناك حتى انشئت لها الدار بباب الخلق فى عهد عباس حلمى الثانى .

دار العلوم : خطوة لتطوير الازهر :

كان انشاء دار العلوم لتزويد المدارس بحاجتها من المدرسين . وكان طلبتها من النابهين من طلبة الازهر . ومدرسوها فى اللغة العربية والشريعة من علماء الأزهر . وكانت تدرس بمدرسة (دار العلوم) العلوم المختلفة من طبيعة وكيمياء ورياضيات ولغات تركية وفرنسية وغيرها مما كان الازهر قد ابتعد عن دراستها . فكان انشاء دار العلوم فى الواقع أولى المحاولات لتطوير أو اصلاح الازهر .

وكانت عند انشائها فى سراى مصطفى فاضل بدرب الجماميز السابق ذكرها . ثم نقلت الى سراى عثمان بك البرديسى بالناصرية (محل المدرسة السنية للبنات) . ثم الى مكانها الحالى فى المنيرة .

وفى سنة ١٩٤٥ ضمت مدرسة دار العلوم الى جامعة القاهرة وأصبحت احدى كلياتها . وبطل تخصصها بالطلبة الازهريين .

الخطط التوفيقية :

وأهم ما يذكر به على مبارك كتابه الخالد : الخطط التوفيقية (نسبة الى الخديوى توفيق) فى عشرين جزءا وما يقرب من ٢٨٠٠ صحيفة من القطع الكبير كاملة السطور تكلم فيها عن القاهرة وشوارعها وأحيائها وآثارها من مساجد ومدارس وقصور . وتاريخ كل ذلك . وتناول فيها المدن والقرى المصرية مرتبة ترتيبا أبجديا . ونشأة هذه القرى . حتى يرجع بعضها الى أصولها الفرعونية . وما فيها من زراعات وصناعات وما مر بها من أحداث تاريخية . وتراجم النابهين منها .

وتكلم عن مقياس النيل والنقود والمكاييل والموازين والأقيسة والترع والآلات الرافعة المركبة عليها وغير ذلك من المعلومات التى ترتفع بكتابه الى مستوى الموسوعات .

ويعد كتاب الخطط التوفيقية

وصلا لأعمال المؤرخ الكبير المقريزى • وبينهما ما يقرب من الخمسة قرون •

مجلس شورى النواب :

وفى سنة ١٨٦٦ أنشأ اسماعيل مجلس شورى النواب • لتأخذ مصر الشكل الدستورى للدول الاوربية • ولكنه كان مجلسا مشوها • مكونا من ٧٥ عضوا ينتخبهم مشايخ البلاد والقرى • وللمديرين بذلك أثر كبير فى توجيه الانتخاب • ومدة المجلس ثلاث سنوات • ثم يعاد الانتخاب •

ويكفى لمعرفة الحالة الثقافية للأعضاء أنه نص فى اللائحة التأسيسية أنه فى الانتخاب السابع (أى بعد ١٨ سنة) يشترط فى العضو معرفة القراءة والكتابة • وفى الانتخاب العاشر (أى بعد ٢٧ سنة) يشترط هذا الشرط أيضا فى الناخبين •

وتقرر انعقاد المجلس سنويا مدة شهرين من ١٥ كيهك ــ ١٥ أمشير وكان هذا يوافق من ٢٤ ديسمبر الى ٢٢ فبراير) •

وذكر التقويم القبطي فى الفترة السابقة يرجع الى أن محمد على أصدر أمره سنة ١٨٣٩ بأن يكون سير حسابات الحكومة المصرية على مقتضى السنة التوتية (نسبة الى توت أول شهور التقويم القبطى) وفى سنة ١٨٧٥ أصدر الخديوى اسماعيل أمرا باستعمال التقويم الميلادى الجريجورى فى مصر رسميا بجانب التقويم الهجرى •

السيد جمال الدين الأفغانى :

وفى سنة ١٨٦٩ م (١٢٨٦ هـ) شهدت مصر حادثا من أهم المؤثرات فى مجرى الأحوال وهو قدوم السيد جمال الدين الأفغانى •

وهو الزعيم الاسلامى الثائر • الذى رأى ما فيه الأمة الاسلامية من عوامل التخلف والتفكك • وما عليه الدول الغربية من تقدم • فثار على هذه الأوضاع فى بلاده • ثم قدم الى مصر واستقر بها • واخذ يبث دعوته الى وحدة اسلامية • أو على الأقل الى دولة اسلامية تقود باقى الدول الاسلامية الى التقدم • ووجد فى مصر الارض الطيبة لانبات بذرة هذه الدولة ونموها •

وكان فى دروسه بالازهر ، وفى الندوات الخاصة والعامة ، يدعو المسلمين الى الاشتغال بالعلوم الحديثة من طبيعة وكيمياء ورياضيات ، فقد كانت لهم سابقة التفوق فيها على الغرب ، ثم أهملوا دراستها ، وجمدوا عن متابعتها أثناء الركود الذى أصاب العالم الاسلامى بالحكم العثمانى .

وكان حسن الحديث ، واسع الاطلاع ، قوى الحجة ، شديد الاقناع ، فالتف حوله الكثيرون من المثقفين منهم : الامام الشيخ محمد عبده وأحمد عرابى وسعد زغلول وعبد الله النديم ، وغيرهم ، وكلهم أزهريو النشأة .

ونحسب عبد الله النديم من الازهريين تجوزا ، فهو لم يدرس بالازهر ، ولكنه درس فى مقتبل حياته فى جامع الشيخ ابراهيم (ابراهيم باشا) بالاسكندرية ، وكان والمسجد الأحمدى فى طنطا يسيران على غرار الأزهر ، وقبسين من اشعاعه .

وكان السيد جمال الدين ينادى بضرورة حكم الشعب بنفسه ، وعدم استبداد الحاكم ــ ومثل هذه الأفكار كانت جديدة على الأذهان ــ فوجد من تلاميذه والمستمعين له آذانا صاغية ، وعقولا واعية ، وقلوبا دب فيها الحماس والرغبة فى مجتمع أفضل ، وبدأ يدور فى الأذهان خلع الخديوى اسماعيل .

وكان اسماعيل ــ دون ان يدرى ــ من جانبه يساعد بتصرفاته السيئة على انتشار قوة هذا التيار ، فقد استبد برأيه فى مسألتين ضاربا برأى العلماء عرض الحائط : هما انشاء المحاكم المختلطة سنة ١٨٧٥ ، والعمل على الغاء الرقيق .

كما أنه عزل الشيخ مصطفى العروسى من مشيخة الأزهر سنة ١٨٧٠ ، وعين مكانه الشيخ محمد المهدى العباسى .

والشيخ مصطفى العروسى أول شيخ يعزل من شيوخ الازهر ، فقبله كان شيخ الازهر يظل فى منصبه حتى يتوفى الى رحمة الله ، حتى انه فى مشيخة الشيخ الباجورى ــ السابق للعروسى ــ لما تقدمت به السن ، وعجزت

صحته عن أعباء العمل . استمر فى منصبه . وتعين معه أربعة وكلاء : واحد من كل مذهب من المذاهب الأربعة . برئاسة الشيخ العروسى . وظلوا يديرون شئون الجامع والوظيفة حتى توفى الباجورى سنة ١٨٦٠ م (١٢٧٧ هـ) .

واستمر اسماعيل فى سفهه . دون تبصر فى عواقب الأمور . وكم خدعوه فى صفقات . وكم سهل المقربون اليه الاستدانة بأسوأ الشروط نظير ما يعود عليهم خاصة من عمولات .

ونذكر على سبيل المثال أنه اتفق على تعمير ميناء الاسكندرية نظير مليونين ونصف من الجنيهات . وربحت الشركة التى قامت بالعمل أكثر من مليون جنيه . كذلك تنازل عن نصيب مصر من أرباح شركة قناة السويس ــ وقدر هذا النصيب ١٥ فى المائة . نظير مبلغ تافه هو ٧٠٠,٠٠٠ جنيه . وليته قبضه . ولكنه كان سدادا لقرض عجز عن سداده للشركة التى اشترى هذا النصيب . وهذا غير ما كانت تملكه مصر من سندات قناة السويس . فقد باعه اسماعيل الى انجلترا بمبلغ أربعة ملايين من الجنيهات .

وقدرت الديون على مصر فى تسويتها الأخيرة بمبلغ ٩٨ ثمانية وتسعين مليونا من الجنيهات . ولكن ما قبضه اسماعيل فعلا لا يزيد عن النصف . والباقى عمولات وفوائد .

وتدهورت ثقة الدول فى مالية مصر . فلجأ اسماعيل الى القروض الداخلية فأصدر قانونين : الأول عرف **بقانون المقابلة** . مجمله أن من يدفع المطلوبات الأميرية معجلا عن ست سنوات يعاف منها نهائيا . والثانى عرف **بقانون الروزنامة** مجمله أن من يدفع للحكومة مبلغا يأخذ عنه فائدة قدرها تسعة فى المائة على الدوام .

وبدأ العجز عن السداد . فتدخلت الدول صاحبة الديون . وتشكلت لجنة فى ٢ / ٥ / ١٨٧٦ عرفت **بلجنة صندوق الدين** . واقترحت عدة اقتراحات . ولكن وجد اسماعيل أنها تحد من تصرفاته فلم يقبلها . ولكنه قبل تعيين مراقبين اثنين على التصرفات المالية للحكومة

أحدهما انجليزى والثانى فرنسى •

ثم رأت لجنة صـــندوق الدين تأليف لجنة اسمها : **لجنة التحقيق** لتقصى مدى اســـتطاعة الحكومة السداد • وكان يرأس هذه اللجنـــة الأخيرة ديلسبس ولها وكيلان هما : رياض باشا والسير رفرز ويلسن • والأعضـــــاء هم مندوبو الدول فى صندوق الدين • وهى لجنة كما ترى كلها أجانب ماعدا رياض باشا •

ورأت لجنـــة التحقيـــق أنهـــا لا تستطيع المضى فى أعمالها الا اذا وافق اســـماعيل على اقتراحين : أحدها أن يتنازل اســـماعيل عن جميـــع أملاكه للحكومة مقابل أن يجعل له مرتب ســـنوى مناسب • والثانى أن يشترك فى الحكم وزراء مسئولون عن أعمالهم • فلا ينفرد اسماعيل بالسلطة •

الوزارة الأولى :

ووافق اسماعيل • وتشكلت أول وزارة فى مصر بالمعنى المفهـــوم • برئاســـة نوبار باشـــا فى ٢٣ / ٨ / ١٨٧٨ • وأدخـــل اسماعيل ضمن أعضاء هذه الوزارة المراقبين الانجليزى والفرنسى •

ولم تكن موافقة اســـماعيل الا ظاهرية • فما فيه من طغيـــان يأبى القيود • فافتعل مظاهرة قام بها بعض ضـــباط الجيش فى مبنى الوزارة الجديدة بحجة تأخر صرف مرتباتهم • كما عجزت الوزارة عن تحصيل الضرائب لســـداد الفوائد والأقســـــاط فى مواعيدها لعدم مساعدة الخديوى بنفوذه الأدبى • وأعطى هذا وذاك الحجة لاسماعيل للتنصل من المسئولية مادام غـــير حر التصرف •

فاستقال نوبار • وتشكلت وزارة جديدة برئاسة توفيق بن اسماعيل • وكان من أعضـــــائها المنـــدوبان الانجليزى والفرنسى أيضا •

ووضحت نية الدول على اعـــلان مصر • لتعامل معاملة المفلســـين • فلم يقبل اسماعيل • واحتج مجلس شـــورى النواب بتحـــريض من اسماعيل •واحتج العلماء • فأقال اسماعيل الوزارة • وتشـــــكلت أخرى برئاسة شريف باشا • وكان جميع اعضائها من المصريين •

خلع اسماعيل :

وسئمت الدول من هذا التلاعب

وخشيت أن تصل الوزارة الجديدة الى تسوية حالة مصر فيزداد مركز اسماعيل توطدا ، فاتصلت بالباب العالى فى استانبول وفعلا صدر القرار بخلع اسماعيل فى ١٨٧٩/٦/٢٦ .

وخرج اسماعيل من مصر فى ٣٠ يونيه بعد أن عهد الى ابنه توفيق بادارة شئون البلاد .

ورأت تركيا الفرصة سانحة لاسترجاع الامتيازات التى نالها اسماعيل فى سنوات ١٨٦٦ ، ١٨٦٧، ١٨٧٣ ومنها انحصار ارث الاريكة الخديوية فى أكبر أولاد اسماعيل جيلا بعد جيل . بعد أن كان فى الاكبر من أسرة محمد على. فأخرت اصدار الفرمان (المرسوم) بتعيين توفيق حتى ١٨٧٩/٨/١٤ لولا تدخل انجلترا وفرنسا مما جعل توفيق يشعر بالجميل والامتنان للدولتين .

وكانت الآمال معقودة على توفيق لما كان يبديه من العطف على مطالب الشعب . والتودد الى جمال الدين الافغانى وجماعته . والتنديد بتصرفات أبيه ولكن ما أن استقر له الامر بوصول الفرمان حتى ظهر على طبيعته .

وقدم شريف باشا الى توفيق مشروعا يجعل الحكومة نيابية . فلم يوافق توفيق وعزل شريف باشا فى ١٨ أغسطس . وتشكلت وزارة جديدة برئاسة رياض باشا .

كما أنه أصدر قرارا فى ٣١ أغسطس بابعاد السيد جمال الدين الافغانى عن البلاد بمنشور فيه بذاءة . تكلم فيه عن الامن وقطع دابر المفسدين الساعين فيما يضر الدنيا والدين . ويقول فيه عن جماعة جمال الدين (رئيسها شخص يدعى جمال الدين الأفغانى مطرود من بلاده . ثم من الآستانة العليا . لما ارتكبه من أمثال هذه المفسدة فى ديارنا المصرية وهذا من أكبر ما يغير الافكار . ويجب أن يعامل مرتكبه بالتشديد والانكار . فالتزمت هذه الحكومة الحازمة . أن تتخذ الطرق اللازمة. وتستعمل السداد فى قطع عرق هذا الفساد . فأبعدت ذلك الشخص المفسد من الديار المصرية . بأمر ديوان الداخلية . ووجهته من

السويس الى الاقطار الحجازية) (محمد عبده للمرحوم عباس العقاد ص ١٤٦) ولكن البذور التى وضعها جمال الدين كانت قد أينعت نباتات قوية صالحة للتحرر والثورة ومن أنضج ثمارها الشيخ الامام محمد عبده • فقد خرج جمال الدين من مصر وهو يقول لمن يسألونه عن وصيته فى البلاد : حسبكم محمد عبده •

الشيخ محمد عبده (١٨٥٠ — ١٩٠٥ م = ١٢٦٦ — ١٣٢٣ هـ) •
الامام العالم الكاتب المفكر المصلح ذو النزعة التحررية والافكار التقدمية •
درس أولا بالجامع الأحمدى فى طنطا • ثم أتم دراسته فى الجامع الأزهر • ونبغ فى علومه • وتتلمذ للسيد جمال الدين الأفغانى عندما كان يلقى دروسه فى الأزهر وكان من أنبغ تلاميذه •

وحصل على درجة العالمية سنة ١٨٧٧ م • (١٢٩٤ هـ) ثم اشتغل مدرسا بمدرسة دار العلوم • ولكن مالبث أن أبعد عن وظائف التدريس لما كان يجاهر به من آراء • وعين رئيسا لتحرير الوقائع الرسمية • فحررها من السجع الذى كان سائدا على أقلام الكتاب •

وكانت نصائحه لأحمد عرابى متزنة بالعقل وعدم الشطط والتهور • ولكن لما ساءت الأمور وفشلت الثورة لم يتنكر لها ولم يهرب من مسئولية المشاركة فيها • فنفى الى الشام • وتولى هناك التدريس مدة • ثم انتقل الى باريس حيث شارك مع جمال الدين الافغانى فى اصدار مجلة العروة الوثقى •

وقد صدر من هذه المجلة وقتذاك ١٨ عددا فى ثمانية شهور حتى عام ١٨٨٤م (١٣٠١هـ) • ثم توقفت عن الصدور • فالمشتركون فيها كانوا يعرضون للاضطهاد من حكوماتهم ويعرفون من وصول أعدادها اليهم •

وعاد الى مصر فى عهد توفيق • فعين قاضيا بالمحاكم الاهلية ثم فى سنة ١٨٩٤ فى عهد عباس حلمى الثانى عين عضوا بمجلس ادارة الازهر وفى سنة ١٨٩٩ عين مفتيا للديار

المصرية مع مواظبتـــه على القـــاء الدروس بالازهر •

وكان له الفضل فى استصـــدار قانون عام ١٨٩٥ لاصلاح الأزهر فى مشيخة الشيخ حسونة النواوى وهو ثانى القوانين لاصلاح الأزهر بعد قانون عام ١٨٧١ كما ســنرى باذن الله • ولو أن بعض المحافظين من علماء الأزهر أخروا تنفيذه •

ومن مؤلفاته رحمه الله تفســير جزء عم وجزء تبــارك ســلك فى تفسيرهما طريقة غير مسبوقة • وله رسالة فى التوحيد • وأملى تفسير سورة البقرة وآل‌عمران والنساء •

ولـــه شرح نهج البـــلاغة • وشرح مقامات الهمذانى • وغيرها من المؤلفات • ولو أنه يعد من غير المكثرين فى التأليف لانشـــغاله بالنواحى السياسية والاصلاحية •

الأزهر والثورة العرابية فى سطور

قد أطلنا فى بعض هذه المقالات عن الأزهر بعض الاطالة مما قـــد يعد خروجا عن الموضوع • ولكن كان واجبا أن نجتزىء من التاريخ صفحات نبين عليها تقـــدم الأزهر على مدارج الزمن •

ولا نريـــد أن نـــؤرخ الثـــورة العـــرابية الا بقـــدر ما يرتبـــط بموضوع الأزهر • فقد شارك فيها الأزهريون بجهـــودهم وأقـــلامهم وخطاباتهم •

وأحمد عرابى نفسه كان أزهرى النشأة • فقـــد حضر مـــن قريته بمحافظة الشرقية وهو صـــبى الى القاهرة عام ١٨٤٩ والتحق بالأزهر ومكث به أربع سنوات أتم فيـــها حفظ القرآن الكريم • وتلقى شيئا من علوم اللغة والفقه والتفسير • ولم يتم دراســـته بالأزهـــر حيث التحق بالعسكرية تنفيذا للقـــوانين وقتذاك •

وقد جرت الثورة العرابية نكبة الاحتلال الانجليزى لمصر • بمـــا كان لدى قادتها من تسرع وتهـــور وشطط • وعـــدم التخطيط لهـــا • وقصر النظر عـــن ادراك المطامع الأوربية فى مصر • خصـــوصا انجلترا • منذ أخرجت الفرنسيين منهـــا فى أوائل القـــرن • ومنـــذ هزيمتها فى رشيد عـــام ١٨٠٧ كما سبق ذكره • ولم تجد فرصتها فى عهد محمد على • ولكن وجدتها فى

الارتبـــاك المالى الـــذى أدى اليه اسراف اسماعيل •

ولكنها كانت ثورة قومية أذكت الشعور الوطنى • ونفضــت عــن الشخصية المصرية تراب القرون من الحكم العثمانى • وكانت البعثات العلمية للخارج ــ وقوام أغلبها من طلبة الأزهر كما ذكرنا ــ قد بدأت تؤتى ثمارها • فسار الشــعب الى الأمام قدما • وقد فتح له الطريق ومهـــــدت له أصـــــالته وعراقته التاريخيتان هـــذا الطريق فانطلق يريد تحطيم ما فى طـــــريقه مـــن معوقات •

ومرت سنة ١٨٨٠ م • هادئة • تمكنت فيها الحكومة من الوصول الى تسوية موضوع الدين المصرى وتقســيطه • وكانت هـــذه أكبر مشاكل البلاد •

ثم بدأت **الثورة العـرابية** سنة ١٨٨١ ثورة عسكرية • فقد اجتمع بعض ضباط الجيش مـــن المصريين وتدارسوا حالتهم • وما يلقـــــاه الضـــباط الجركس والاتراك مـــن حظوة فى التقدم والترقى • حـــين لا يرتفع الضابط المصرى الى أكثر من رتبة معينة • واتفقوا على كتابة (عريضة) الى رياض باشا ناظر النظار بمطالبهم • وهى عزل عثمان باشـــا رفقى ناظر الحـــــربية • واختاروا أحمد عرابى زعيما لهم • وتعاهدوا على الوفاء والاتحاد •

وكان عثمان رفقى أصـــدر أمرا بنقل الأميرالاى عبدالعال بك حلمى قائد آلاى طره الىديوان الجهادية (وزارة الحربية) معاونا بها • وفى هذا انقاص لدرجته • وعـــين بدله ضابطا جركسيا كما أصدر أمـــــرا بفصل أحمد بك عبد الغفار قائمقام سلاح الفرسان وعين بدله أيضـــا ضابطا جركسيا (الزعيم الثائـــــر أحمد عـــــرابى لعبد الرحمـــــن الرافعى) •

وكان هذا الاجتماع بمنزل أحمد عرابى بباب اللوق فى ١٦ ينـــاير سنة ١٨٨١ •

وكان اسناد الزعامة لأحمـــــد عـــرابى طبيعيا • فقـــد كانت له شخصية قوية • فضلا عما هيأته له دراسته بالأزهر من مستوى علمى فوق مستوى زملائه • يضاف الى

هذا ما كان لديه من فصاحة وملكة خطابية . مما أهله لهذه الزعامة .

وفى اليوم التالى تقدم بالعريضة أحمد عرابى وزميلاه عبد العال حلمى وعلى فهمى وقابلوا رياض باشا فهددهم بأن هذه العريضة تعرضهم للضياع . ولكنهم أصروا على موقفهم .

واجتمع مجلس الوزراء فى ١٨٨١/١/٣١ . وقرر محاكمة الضباط الثلاثة . وتعهد ناظر الحربية بتنفيذ ذلك . فدعاهم للحضور عنده بنظارة الحربية (وكانت بقصر النيل كما سبق ذكره) فى اليوم التالى بحجة ترتيب أحد الاحتفالات . فارتابوا فى الأمر . واتفقوا مع زملائهم أنهم سيذهبون تلبية للأمر . فاذا كانت هناك مكيدة وتأخرت عودتهم فعلى اخوانهم العمل على اطلاق سراحهم .

وفعلا بمجرد أن ذهبوا الى قصر النيل ألقى القبض عليهم . فتحرك زملاؤهم متجهين الى قصر النيل . واقتحموا المكان وأفرجوا عنهم . وكان الخديوى توفيق وقتذاك فى سراى الاسماعيلية (مكان مجمع التحرير ومجاوراته) وقد شاهد منها تحرك الجيش .

ثم اتجه رجال الجيش المتحالفون الى ميدان عابدين . حيث اجتمعوا هناك بأسلحتهم وعتادهم الحربى . واضطرب توفيق وحكومته . فأشار محمود باشا سامى البارودى — وكان وقتها ناظرا للأوقاف — باجابة طلبات الضباط . وهى عزل عثمان باشا رفقى والعفو عنهم . لأنه السبب فيما حصل . فتقرر عزله من نظارة الحربية واسنادها الى محمود سامى البارودى . وهكذا توطدت الصلة بين البارودى والعرابيين .

وأراد توفيق أن يزيل أثر أول فبراير سنة ١٨٨١ من النفوس . فدعا كبار ضباط فرق الجيش بالعاصمة الى سراى عابدين فى ١٢ منه وأعلن لهم عفوه . وطلب منهم التزام الطاعة والنظام . وأجاب الضباط بالشكر على العفو . والوعد بالتزام الأوامر والقوانين العسكرية .

ولكن لم ينته الأمر . فقد كان

للضـــباط طلبات تختص بمرتباتهم ونظام الترقية والتقاعد والأجازات والمكافآت وغير ذلك من الشئون • فقدموا الى ناظر الحربية عريضة بذلك • فأجيبوا الى كثير من هذه الطلبات • مثل تحســـــين المأكل وزيادة رواتب الضباط والجنـــد • وتقرر تأليف لجنة لوضـــع قانون ينظم الترقيات والمكافآت وغير ذلك من الشئون العسكرية •

وألهب هــذا النجاح حمـــاس العرابيين • وأصـــبح اسم احمـــد عرابى ملء الأفواه والأسماع وذاع صيته فى الداخل والخارج لما حققه من انتصار •

ثم حدث فى يوليه سنة ١٨٨١ أن توفى أحد الجنود فى الاســـكندرية نتيجة لحادث تصـــــادم عادى • فحمـــل جثته زمـــلاؤه الى سراى رأس التين • حيث كان يصـــطاف الخديوى • مطالبين بالعمل عـــلى عقوبة الجانى • وكان فى هــــذا التصرف كثير مـــن عـــدم اللياقة وسوء الادب • والخروج عـــلى النظام • فهذا مـــن شأن الشرطة لا الخـــديوى صاحب الســـيادة •

فغضب توفيق وأمر بمحاكمة هؤلاء الجنود أمام مجلس عســـكرى • وحـــكم عليهم ــ وكانوا ثمانية ــ بعضهم بالأشغال الشـــاقة المؤبدة وبعضهم المؤقتة • على أن يمضوا مدة العقوبة فى ليمان (ســـجن) الخرطوم •

وطلب البارودى ــ بناء عـــلى ايعاز أصدقائه العرابيين ــ تخفيف الحكم • فاعتبر الخديوى هـــــذا الطلب اهانة وقرر عزل البارودى ــ فاستقال • وعـــين الخـــديوى بدله صـــهره داود باشا يكن ناظـــرا للحـــربية • كما عـــزل محافـــظ العاصمة احمد باشـــا الدره مللى وعين بدله عبد القادر باشا حلمى • لميل الاول وعداء الثانى للعرابيين •

وحرم الوزير الجديد اجتماعات الضباط فى المنازل أو نواحى المدينة وراقب المحافظ الجديد تنفيذ هذا الأمر •

وشعر العرابيون أن المقصود هو تفتيت وحدتهم وعدم تمكينهم من الاتفاق على شئونهم فقرروا عدم **الطاعة** • وكان هذا بادرة التحرك **الثـــانى** •

فقرروا القيام بمظاهرة عسكرية من جميع فرق الجيش الموجودة فى العاصمة فى ميدان عابدين • على أن يقدموا فى هذه المظاهرة طلبات الجيش •

وحددوا لذلك ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ • وأخطر أحمد عرابى ناظر الحربية بذلك كما أرسل لقناصل الدول يطمئنهم على أرواح الاجانب وأموالهم • وأن هذه مسألة داخلية المقصود منها تحقيق مطالب عادلة لمصلحة البلاد •

واجتمع الجيش فى الموعد المحدد • وواجه أحمد عرابى الخديوى توفيق • وهذه المواجهة تاريخية مبسوطة تفاصيلها فى كتب التاريخ وتقدم أحمد عرابى بطلبات الجيش • وهى اسقاط وزارة رياض باشا وتشكيل مجلس نيابى•

ووجد توفيق نفسه لا حول له ولا قوة • فاضطر للموافقة • واستقال رياض باشا • ودعى محمد باشا شريف لتشكيل الوزارة الجديدة فى ١١ سبتمبر •

وتردد شريف باشا — وقد كان حرا أبيا • خوفا من تدخل العسكريين فى شئون الحكم • ولكن قدم له العرابيون وعدا كتابيا بعدم التدخل • ما دام يقبل أن يجعل بين وزرائه محمود باشا سامى البارودى ومصطفى باشا فهمى •

وتشكلت الوزارة الجديدة فى ١٤ سبتمبر وسميت هذه الوزارة بوزارة الأمة فتشكيلها أول نجاح يمارسه الشعب فى ادارة شئونه •

محمد باشا شريف أزهرى النشأة

ويجدر بنا أن نذكر أن محمد باشا شريف تلقى دروسه الأولى فى الأزهر فقد كان والده أحمد افندى شريف تركيا حضر من استانبول للدراسة بالأزهر • فلما أتم علومه عاد الى استانبول فعين هناك شيخا للاسلام • وأرسل ابنه محمد شريف الى القاهرة ليدرس أيضا بالأزهر • فجاور فى رواق الأتراك •

ولما ذهب محمد على الى استانبول والتقى هناك بشيخ الاسلام أوصاه على ابنه محمد • فلما عاد محمد على طلب محمد شريف وألحقه بالمعية وهى من

(مع) وتعنى الملازمين لشخص الحاكم معه وفى خدمته .

وتزوج محمد شريف بابنة الكلونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) ورزق منها بابنتين تزوجت احداهما بعبد الرحيم باشا صبرى . فولدت له نازلى والدة فاروق الملك المخلوع .

وحضر محمد شريف مؤتمر لندن سنة ١٨٤١ مندوبا عن الحكومة المصرية . بصفته مستحقا فقط . وهذه الصفة هى آخر ما أمكن الوصول اليه فى تمثيل مصر فى هذا المؤتمر الذى كان يقرر مصير مصر وعلاقتها بالدولة العثمانية .

وتقلب محمد شريف فى عدة مناصب فى عهد محمد على . ثم فى عهد سعيد عين فى وظيفة باشمعاون الوالى . وهى الوظيفة التى حلت محل الكتحدا (الكخيا يعنى الوكيل) وتعادل رئاسة الوزارة تقريبا . ثم لما أنشأ اسماعيل المجلس المخصوص ــ وهو يعادل الوزارة ــ وكان اسماعيل يتولى رئاسته . فتولى شريف باشا وكالته أكثر من مرة .

ثم شكل وزارته الاولى سنة ١٨٧٨ م . بعد الوزارة التى كان يرأسها توفيق بن اسماعيل كما سبق ذكره . فأخذ يعد فيها الدستور . ولكن عزل اسماعيل وأقال توفيق وزارة شريف باشا وتشكلت وزارة رياض باشا .

ثم توالت الاحداث كما ذكرنا حتى شكل شريف باشا هذه الوزارة التى عرفت **بوزارة الامة** فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ .

محمد كمال السيد

قيس بن عاصم
سيد أهل الوبر

للدكتور عفيف عبد الرحمن

وفد قيس بن عاصم المنقرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **هذا سيد أهل الوبر** » (١) •

هذا هو قيس بن عاصم المنقرى التميمى موضوع البحث وتعود صلتى بقيس بن عاصم الى ثمانى سنوات خلت ، حينما كنت أعد رسالة الدكتوراه ، وكان موضوعها : « الشعر وأيام العرب فى العصر الجاهلى » • وقد جعلت الباب الثالث من البحث فى البداية للحديث عن نماذج متميزة من شعراء الايام ، ووقع الاختيار على النماذج التالية :

المهلهل : بطل حرب البسوس وعنترة : بطل حرب داحس والغبراء ، وقيس بن عاصم : بطل حروب تميم • ولكننى اكتفيت حينما أعددت البحث للمناقشة باثنين من ثلاثة هما : المهلهل وعنترة ، وكان ذلك بسبب قلة ما توفر لدى فى ذلك الحين من شعر قيس بن عاصم •

ومن خلال تدريسى لمادة الأدب الجاهلى فى الجامعة بدأت تتضح لى صورة قيس بن عاصم بصورة أفضل مما كانت عليه قبل ثمانى سنوات ، كما أحسست أن قيس

---

(١) انظر : الاغانى (دار الكتب) ٧٤/١٤ ، معجم الشعراء للمرزبانى ٣٢٤ ، الاصابة ٢٤٢/٣ ، امالى المرتضى ١١٢/١ •

ابن عاصم شخصية متميزة ، وان قل شعره ، تستحق البحث والدراسة . ولا أظن أن الرسول (ص) قد اطلق عليه هذا اللقب : « سيد أهل الوبر » من باب المجاملة ، وحقا لقد وجدت الكثير من أخباره المبثوثة فى المصادر وان كان بعضها يؤكد بعضا ويكرره ، الا ان هذه الاخبار تؤكد قيما معينة كانت سائدة ، وكان قيس يمثلها أصدق تمثيل ، وأقرها الاسلام فيما بعد .

وينتهى نسب قيس : الى قبيلة تميم التى تنتسب الى مضر (١) وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة ، حتى يتصلوا بالبحرين وانتشرت الى العذيب فى أرض الكوفة .

ومن بطونهم : الحارث ابن تميم ، وبنو العنبر ، وبنو الهجيم بن عمرو بن تميم ، وبنو أسيد بن عمير ، وبنو مالك ابن عمرو بن تميم ، وبنو عمرو ابن العلا بن عمار بن عدنان ابن الحارث ، وبنو أمرىء القيس ابن زيد مناة وبنو سعد بن زيد مناة وبنو منقر بن عبيد بن مقاعس وبنو صريم بن مقاعس ، وبنو عرف بن كعب بن زيد مناة ، وبنو مالك بن سعد بن زيد مناة ، وبنو ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، وبنو ثعلبة بن يربوع بن حنظلة ، وبنو الحارث بن يربوع ، وبنو رياح ، وبنو طهية بن مالك ، وبنو دارم ابن مالك بن حنظلة (٢) .

ومن منازلهم : صلب والدهناء والاحساء ، ووبرة ، والصمان وشرف الارطى ، والهراء والصمان الشعر ، والرمادة (٣) .

ومن مياهم : حمض كنهل

---

(١) أنظر : الاشتقاق لابن دريد ٢٠١ وما بعدها ، العقد الفريد ٣/٣٤٤ ـ ٣٤٦ ، معجم البكرى ١/٢٠٧ ، ٢٣٤ ، ٢٥٦ ، نهاية الأرب للقلقشندى ١٨٨ ، معجم قبائل العرب لكحالة ١/١٢٦ .

(٢) انظر المصادر السابقة .

(٣) انظر المصادر السابقة .

والجفار ، وأواره ، وطويلع واللهيماء ، ونطاع ، والكلاب (١) .
وقد عد الذين أرخوا للعصر الجاهلى وعنوا بدراسته ودراسة حروبه وصلات القبائل ، وأعنى المؤرخين القدامى : قبيلة تميم من جمرات العرب (٢) ، وعنوا بالجمرة تلك القبيلة القوية الكثيرة العدد والعدة ، التى تستطيع أن تدافع عن نفسها ، وأن تغزو غيرها وتجبرهم على احترامها . فقد كانت القبائل تسعى الى المحالفات طالبا للأمن ، ودفعا للعدوان وايثارا للعافية ، ومع ذلك : فلم تستطع هذه المخالفات حقن الدماء التى كانت تسفك لأتفه الاسباب بل ربما كان الحلف نفسه من أسباب الحرب ، الا أننا يجب أن لا ننسى أن هذه الاتحادات : اتحادات الأحلاف ، قد لعبت دورا كبيرا ايجابيا فى تكوين القبائل ، اذ كانت تضم العشائر الضعيفة الى العشائر القوية لتحميها وترد العدوان عنها (٣) .

وتعتبر قبيلة تميم من القبائل التىخاضت حروبا كثيرة فى الجاهلية خاضتها مع قبائل يمانية ، وخاضت بعضها مع بكر عدوها اللدود وخاضت بعضها مع الغساسنة وبعض هذه الحروب كان مع قبائل عربية مختلفة . وقد أتيح لى خلال بحثى الآنف الذكر أن أجمع ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين يوما ، كان نصيب تميم منها مائة يوم ، انتصرت فى ستين يوما منها ، وهزمت فى أربعين يوما (٤)

ومن الأيام التى انتصرت فيها : طخفة (لتميم على المناذرة) : والكلاب الثانى : (لتميم على اليمن) ، والبناج : (لتميم على بكر) والغطالى : (لتميم على بكر) ، ومخطط : (لتميم على بكر) ، وجدود : (لتميم على بكر)

---

(١) انظر المصادر السابقة .
(٢) انظر : اللسان مادة (جمر) وكذا تاج العروس (جمر) .
(٣) شوقى ضيف ، العصر الجاهلى ، ٥٨ .
(٤) الأرقام والمعلومات من جداول ملحقة برسالة الدكتوراه .

وذو ذرائح : (لتميم على اليمن) ، والستار : (لتميم على بكر) ، وغول الثانى : (لتميم على الغساسنة) •

ومن الايام التى هزمت تميم فيها السلان : (لعامر على تميم) وأوارة الثانى : (لعمرو بن هند على تميم) ، والصفقة : (للفرس على تميم)، والجفار : (لبكر على تميم) ، ورحرحان الثانى : (لعامر على تميم) ، وشعب جبلة : (لعامر وحلفائها على تميم وحلفائها) والشيطين : (لبكر على تميم) •

بعد هذه المقدمة عن قبيلة الشاعر ومكانتها فى الجاهلية : ننتقل للحديث عن قيس بن عاصم • وسنتجول فى حديثنا فى رحلة تشمل : قيس بن عاصم الانسان والفارس البطل ، والمثال الجاهلى وقيسا المسلم ، وقيسا الشاعر •

وهكذا فسننتقل فى رحلتنا من مرحلة قيس فى جاهليته كفرد فى قبيلته ، ثم كفارس شجاع فى حروب تميم ، ثم كفرد دخل فى الاسلام ، فردته ، ثم عودته الى حظيرة الاسلام ، وأخيرا كشاعر •

وينبغى أن ننبه منذ البدء على أن قيسا ، شأنه فى ذلك شأن معظم الجاهليين ، لم تتوافر لدينا معلومات متكاملة عن نشأته ومراحل حياته بدقائقها المختلفة •

وهو : قيس بن عاصم بن سنان ابن خالد ، بن منقر ، بن عبيد ، ابن عبيد ، بن مقاعس ،ومقاعس ينتمى الى الحارث بن عمرو ، ابن كعب ، بن سعد بن زيد مناة ، ابن تميم (١)• وكنيته : أبوعلى(٢)• ويضيف ابن قتيبة أنه : « لم يكن فى الجاهلية أحد يكنى » أباعلى « غير قيس بن عاصم وعامر بن الطفيل » (٣) ونبحث عن سبب الكنية فلا نجد تفسيرا لأن المصادر لم تذكر ابنا له اسمه على • أما أمه : فكانت أم أصغر

---

(١) الاغانى (دار الكتب ٦٩/١٤) ، معجم الشعراء للمرزبانى ١٩٩ .
(٢) الاغانى ٦٩/١٤ ، المعارف لابن قتيبة ٣٠١
(٣) المعارف ٥٥٦

بنت خليفة ، بن جرول ، ابن منقر (١) •

وينتسب قيس الى بنى منقر من بنى تميم ، وقد عدد صاحب الجمهرة من ولد منقر : فقيما وبطنا ، وخالدا ، وسعدا ، وجرولا وصخرا ، وعوفا ، وأنيسا • وذكر قيسا أنه : بن عاصم بن سنان ابن خالد بن منقر (٢) •

ولم تهمل المصادر أبناءه وذريته ، فقد ذكرت : أن أولاده كانوا ثلاثة وثلاثين ابنا (٣) •

ولكنها لم تذكر لنا منهم الا طلبة والقعقاع ، والشماخ (٤) •

وذكرت من بنات أولاده : مية صاحبة ذى الرمة وهى : ابنة مقاتل ابن طلبة بن قيس (٥) • وأما ما ذكرت من ذريته فهم : شملة ابن بردة بن مقاتل بن طلبة ، وكان من الشراة خرج بالبادية فقتله محمد بن سليمان بن العباسى

ومنهم : عصيمة بن عاصم بن قيس ابن عاصم وقد قطعت يده فى يوم الوقبى وعرف بعاصم الجويرية كما عرف بعصبية الأجزم ، وقد قطع يده اليسرى أربد بن سنان فى يوم الوقبى الذى كان لبنى مازن ، من بكر على (٦) •

أما بناته : فلم يذكر لنا التاريخ بنتا لقيس ، وقد كثر ذكر الخبر الذى يروى عنه ، عندما قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم يسأله عن كفارة بسبب وأده عددا من البنات له ، وسنناقش ذلك فى موضعه من البحث ، وما عدا ذلك لم يرد ذكر الا لبنت واحدة له حدث بخبرها بعض الانصار والرسول (ص) (٧) • وسيأتى تفصيل ذلك فى حديثنا عن الوأد أيضا •

---

(١) الاغانى ١٤/٦٩ •
(٢) جمهرة أنساب العرب ــ ابن حزم ٢١٦ •
(٣) المعارف ٣٠١ •
(٤) المصدر السابق ٣٠١ •
(٥) المصدر السابق ٣٠١ ، والجمهرة ٢١٦ •
(٦) الجمهرة ٢١٧ •
(٧) الاغانى ١٤/٦٩ •

وتجمع المصادر على أن قيسا كان سيدا فى قومه كما كان شريفا ، قال عنه ابن قتيبة : « كان شريفا سيدا » (١) • وقد سئل قيس :بم سدت قومك ؟ قال : ببذل القرى وترك المرا ، ونصرة المولى (٢) • وفى رواية أخرى أنه قال : ببذل الندى ، وكف الاذى ، ونصرة المولى وتعجيل القرى (٣) • وقد : وصفه صاحب الاغانى : بأنه شاعر فارس شجاع حليم كثير الغارات مظفر فى غزواته ، أدرك الجاهلية والاسلام فساد فيهما •

وسنحاول فى عجالة أن نضرب أمثلة لهذه الخصال التى كان يتحلى بها قيس • أما الشاعرية فسنرجىء الحديث عنها قليلا وكذا فروسيته • أما الحلم : فقد رددت المصادر خبرا مفاده : أن الاحنف ابن قيس كان يقول : ما تعلمت الحلم الا من قيس ابن عاصم المنقرى ، لانه قتل ابن اخ له بعض بنيه ، فأتى بالقاتل مكتوفا يقاد اليه ، فقال : ذعرتم الفتى ، ثم أقبل على الفتى فقال :

يا بنى : بئس ما صنعت نقصت عددك ، وأوهنت عضدك وأشمت عدوك ، وأسأت بقومك خلوا سبيله ، واحملوا الى أم المقتول ديته ، فأنها غريبه ، ثم اصرف القاتل ، وما حل قيس حبوته ، ولا تغير وجهه (٤) •

وقد ضرب به المثل فى الحلم فقيل : « أحلم من قيس » (٥) ، وكان الاحنف يقول : لقد اختلفنا الى قيس بن عاصم فى الحلم كما نختلف الى الفقهاء فى الفقه (٦) •

وقد كانت السيادة فى الجاهلية يخص بها من توفرت فيه خصال حدد تلك الخصال أحد الباحثين

---

(١) المعارف ٣٠١ .
(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ١/٢٢٥ والأغانى ١٤/٧٦ •
(٣) بلوغ الأرب للالوسى ٢/١٨٧ •
(٤) أنظر الخبر فى الاغانى ١٤/٧٣ ، وفيات الأعيان ٢/٥٠١ ، الجمان لابن ناقيا ٢٥٣ مع اختلاف فى بعض الكلمات لكن المضمون واحد .
(٥) الوسيط فى الأمثال الواحدى ٦٦ •
(٦) عيون الاخبار ٢/٢٨٧ .

حين قال : « كان أهل الجاهلية لا يسودون الا من تكاملت فيه ست خصال : السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان » (١) ولعله من الواضح : ان هذه الصفات كان يتصف بها قيس بعد ان نستكمل حديثنا عن شجاعته وشاعريته • ومن أجل هذا كله قال عنه الرسول الكريم : « هذا سيد أهل الوبر » •

وكان قيس بن عاصم كريما يطعم الزاد لغيره ، ويكره أن يستأثره به • تزوج قيس ابن عاصم المنقرى منفوسة بنت زيد الفوارس الضبى ، وأتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام فقال : فأين أكيلى ؟ ، فلم تعلم ما يريد ، فأنشأ يقول :

يا ابنة عبد الله وابنة مالك
ويا بنت ذى البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له
أكيلا فانى لست آكله وحدى
أخا طارق أو جار بيت فاننى
أخاف ملامات الاحاديث من بعدى
وانى لعبد الضيف من غير ذلة
وما بى الا تلك من شيم العبد

قال : فأرسلت جارية لها مليحة فطلبت له أكيلا ، وأنشأت تقول له :

أبى المرء قيس أن يذوق طعامه
بغير أكيل انه لكريم
فبوركت حيا يا أخا الجود والندى
وبوركت ميتا قد حوتك رجوم (٢)

ولم يتوقف قيس بن عاصم عند حدود قبيلته وهو فارسها وسيدها ، بل كان فيمن وفد على النعمان بن المنذر للمفاخرة ، فقد كان منهم : الاقرع بن حابس وقيس بن عاصم • ومن بكر : بسطام بن قيس ، والحوفزان ابن شريك (٣) •

ولم يخل سجل قيس من بعض السقطات ، فقد ذكر صاحب الاغانى أن مما يعير به قيس وقومه أن عبادة بن مرثد بن عمر

---

(١) بلوغ الارب للالوسى ٢/١٨٧ •
(٢) الاغانى ١٤/٧٢ •
(٣) المرجع السابق ١/٢٨٠ •

ابن مرثد أسر قيس بن عاصم وسبى أمه وأختيه يوم أبرق الكبريت ، ثم من عليهم فأطلقهم بغير فداء ، فلم يثبه قيس ، ولم يشكره على فعله بقول يبلغه فقال عبادة :

على أبرق الكبريت قيس بن عاصم
أسرت وأطراف القناقصد حمر
متى يعلق السعدى منك بذمة
تجده اذا يلقى وشيمته الغدر (١)

ويذكر الاغانى خبرا آخر مفاده : ان زيد الخيل الطائى خرج عن قومه ، وجاور بنى منقر فأغارت عليهم بنو عجل ، وزيد فيهم ، فأعانهم ، وقاتل بنى عجل قتالا شديدا ، وأبلى بلاء حسنا حتى انهزمت عجل ، فكفر قيس فعله ، وقال : ما هزمهم غيرى فقال زيد الخيل : يعيره ويكذبه فى قصيدة طويلة منها :

ولست بوقاف اذا الخيل احجمت
ولست بكذاب كقيس بن عاصم(٢)
ولست أدعى لقيس العصمة

ولكن بكرا ، عدو تميم اللدود ، قاسم مشترك فى الخبرين ، فعبادة ابن مرثد وبنو عجل كلاهما من بكر • وقيس لا يريد ان يعترف لبكر بالانتصار عليه وعلى قومه لذا نجده لم يشكر عبادة بقول يبغله ، لان فى ذلك اذلالا لقيس بطل تميم ، ولم يعترف بانهزام عجل الا به وبقومه • وليست بمصدق ان يهزم فارس قبيلة مهما كانت شجاعته •

ويرتبط قيس بن عاصم بقضية خطيرة فى الجاهلية ، تلك هى قضية وأد البنات • فقد ذكر القرآن الكريم فى سورة التكوير **« واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » (٣) •**

والموءودة : المدفونة حية وكذلك كانت العرب تفعل ببناتها • هذا ما يورده الطبرى فى تفسيره ثم ينقل خبرا مرفوعا الى قتادة :

---

(١) قصة الخبر والشعر فى الاغانى ١٤/٨٩ •
(٢) الأغانى ١٤/٨٩ •
(٣) آية ٨ من سورة التكوير •

قتلت بلا ذنب ، كان أهل الجاهلية يقتل احدهم ابنته ويغذو كليه فعاب الله ذلك عليهم ... وكانت العرب أفعل الناس لذلك (١) .

وقد سميت بالموءودة : لان التراب يطرح عليها فيثقلها حتى تموت (٢) .

يقول متمم بن نويرة :

وموءودة مقبورة فى مغارة
بآمتها موسودة لم تمهد (٣)

ونسبه صاحب لسان العرب الى حسان وأورده هكذا :

وموءودة مقرورة فى مفاوز
بآمتها مرسومة لم توسد (٤)

ويورد صاحب « الكشاف » خبرا فى سياق شرح الآية المتعلقة بالوأد : بأن الرجل كان يستحيى ابنته احيانا فلم يكن يقتلها دائما فكان اذا أراد ان يستحييها ألبسها جبةمن صوف، أو شعر، ترعى الابل والغنم فى البادية . واما ان أراد قتلها تركها حتى اذا كانت سادسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى احمائها ، وقد حفر لها بئرا فى الصحراء ، فيبلغ بها البئر ، فيقول لها : انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ، ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالارض (٥) .

ولم يكن الرجل هو الذى يئد فحسب ، بل ان الحامل كانت اذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة ، فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة ، وان ولدت ابنا حبسته (٦) .

وفى ذلك يقول الراجز :

سميتها اذ ولدت تموت
والقبر صهر ضامن زميت (٧).

---

(١) تفسير الطبرى (طبعة بولاق) ٣٠/٤٦ .
(٢) تفسير القرطبى ١٩/٢٣٢ .
(٣) تفسير القرطبى ١٩/٢٣٢ .
(٣) تفسير القرطبى ١٩/٢٣٢ .
(٤) لسان العرب مادة (عوز) .
(٥) الكشاف للزمخشرى ١٤/٢٢٢ .
(٦) المصدر السابق ٤/٢٢٢ ، تفسير القرطبى ١٩/٢٣٣ والقرطبى يرفع الخبر الى ابن عباس .
(٧) تفسير القرطبى ١٩/٢٣٣ .

وتثير هذه الأخبار أمورا عـدة منها : هل كان الـوأد منتشرا بين القبائل العربية ؟ ، من أول من وأد البنات فى الجاهلية ؟ هل كان الوأد من اختصاص الرجل أم أن المرأة كانت تئد أيضا ؟ ما سبب قيامهم بذلك ؟ .

أما التساؤل الاول فمنطلـق الامور ينفيـه ، لان الوأد لوعم القبائل العربية لما استمر بقـاء الجنس العربى بعد جيل أو جيلين أو ثلاثة . وأما أول من وأد بناته فى الجاهليـة فيطالعنـا خبران ، الاول أن قيسا أول من وأد البنات فى الجاهلية (١) والثانى أن الوأد عند العرب أقدم من قيس ، وربما يعود الى ماقبل الميـلاد ، مثـل ما ذكروه عن سـودة بنت زهرة الكاهنة ، وهى أقدم من قيس (٢) وقد كان الرجل يئد بناته كما كانت المرأة أيضـا تفعل ذلك ، وربما كانت تفعلـه لانها تعرف رغبـة زوجها ، ولعل ما فعلته زوج قيس ابن عاصـم شاهد على ذلك ، فقد حدث قيس بن عاصم الرسـول (ص) أنه ما ولدت لـه بنت قط الا وأدها ، وما رحم منهن موءودة قط لا بنية له ، ولدتها أمها وهو فى سفر ، فدفعتها أمها لى اخوالهـا فكانت فيهم ، وقدم ميس فسـأل عن الحمـل ، فأخبرته امرأته انها ولدت ولدا ميتا ، ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية ويفعت فزارت أمها ذات يوم ، فدخـل قيس فرآها وقد ضفرت شـعرها وجعلت فى قرونها شيئا من خلـوق ونظمت عليها ودعا ، وألبسـتها قـلادة جزع ، وجعلت فى عنقهـا مختنقة بلح ، فسـال عنها قيس لانها أعجبته بجمالها وكيسهـا فبكت وقالت : هذه ابنتـك ؟ كنت أخبرتك أنى ولدت ولدا ميتـا وجعلتها عند اخوالها حتى بلغت هذا المبلغ ، فأمسـك قيس عنهـا حتى اشـتغلت أمهـا عنهـا ثم اخرجها يـوما فحفر لها حـفيرة

---

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان ١٨٣/١ .
(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ــ جواد على ٩١/٥ ــ ٩٢ .

فجعلها فيها ، وهى تقــول يا أبت ما تصنع بى ؟ ، وجعل يقذف عليها التراب وهى تقول : يا أبت أمغطى أنت بالتراب ، أتاركى انت وحدى ومنصرف عنى ؟ ، وجعل يقذف عليها التراب ، حتى واراها وانقطـــع صـــوتها ، ويختتم قيس مقولته هذه : فما رحمت أحداً مما واريته غيرها (١) •

وهذا يعنى ان المرأة الجاهلية كانت تعلم مصير ابنتها ، ولو اخفتها الى حين ، ولهذا كانت تئدها منـــذ ولادتها حتى لا تأسى عليهـــا وهى تراها شابة يافعة تدفن حية •

واذا ما انتقلنا الى سبب الوأد نرى تعليل فعلتهم الشــــنيعة تلك تأخذ عللا وأســـبابا كثيرة : ففى خبر عن قيس بن عاصم انه كان يئد بنـــاته « للغيرة والأنفة مـــن النكاح » (٢) وتبعه الناس فى ذلك الى أن أبطله الاســـــلام • ويورد صـــاحب الكشاف خبرا : يفيد بأن العرب يقولون : « ان الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به ، فهو أحق بهن » (٣) أما القرطبى فيرى انهم كانوا يدفنونهن لخصلتين : الاولى أنهم كانوا يقولون : أن الملائكـــــة بنات الله ، فألحقوا البنـــات به • والثانية : مخافة الحاجة والاملاق أو خـــوفا مــن الســـــبى والاسترقاق • (٤) •

وهكذا نرى انه يمكن رد أسباب الوأد الى الغيرة والانفة من النكاح والى الخوف من الحاجة والاملاق والخوف من السبى والاسترقاق • واخيرا الى عقيدة يعتقدونها : وهى ان الملائكة اناث وهن بنات الله ، ولذا لحقوا البنات به فقتلوهـــن

ونستطيع بمناقشة هذه الدوافع أن نتبين ان الخوف من الحـــاجة والاملاق والســـــبى والاسترقاق أمور يشترك فيها العرب جميعـــا ومن باب أولى : أن يخشى هـــذه الأمور ضعاف العرب وفقراؤهم ،

---

(١) الاغانى ١٤/٦٩ ــ ٧٠
(٢) وفيات الاعيان ١/١٨٣
(٣) الكشاف ٤/٢٢٢
(٤) تفسير القرطبى ١٩/٢٣٣

فلماذا يكون قيس بن عاصم ــ وهو سيد قومه وعزيزهم ، وقبيلته من أقوى القبائل وهى احدى جمرات العرب ــ هو الذى يئد بناته ؟ واذا كانت العرب تعتقد أن الملائكة بنات الله ، وتؤمن بذلك كل القبائل العربية ، فلماذا لم تجمع على الوأد ؟ ، أم أن الامر متعلق بعقيدة معينة ، وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم . ولم لا يكون السبب شخصيا خاصا بقيس بن عاصم أو من صادف حالة مشابهة ؟ فقد أورد صاحب الاغانى : أن سبب وأد قيس بن عاصم بناته أن المشمرج اليشكرى البكرى ، وبكر خصم لدود لتميم ، أغار على بنى سعد فسبى منهم نساء وأستاق أموالا ، وكان فى النساء امراة خالها قيس بن عاصم ، وهى : رميم بنت أحمر بن جندل السعدى ، فرحل قيس اليهم يسألهم ان يهبوها له أو يفدوها فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه فسأله فيها فقال : قد جعلت أمرها اليك ، فان اختارتك فخذها ، فخيرت فاختارت عمرو بن المشمرج . فانصرف قيس ، فوأد كل بنت وجعل ذلك سنة فى كل بنت تولد له ، واقتدت به العرب فى ذلك فكان كل سيد يولد له بنت يئدها خوفا من الفضيحة (١) .

وهذا الجزء الاخير من الخبر يتعارض مع ما ذكرنا من سبب الوأد بسبب الخوف من الحاجة والاملاق ، كما انه يتعارض خبر أورده القرطبى : بأن « الأشراف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه » (٢) ، وربما ارتبط خبر القرطبى بما ذكر عن صعصعة ابن ناجية : جد الفرزدق الذى اشترى ثلاثين موءودة منهن بنت لقيس بن عاصم ، وفى ذلك افتخر الفرزدق فقال :

وجدى الذى منع الوائدات ... وأحيا الوئيد فلم يوأد (٣)

(١) الاغانى ١٤/٧١ وتفسير الطبرى ٣٠/٤٥
(٢) تفسير القرطبى ١٩/٢٣٣
(٣) ديوان الفرزدق وأنظر وفيات الاعيان ٦/٨٩

ولا أدرى كيف يستوى هـذا المنطق ، فاذا اشترى صعصعة بنت قيس بن عاصم بالمال ومنع وأدها ، هل يمنع هذا العار من أن يلحق بقيس لو ارتكبت عملا مشينا ؟ ذلك سبب لا يقبله منطق العقل ، كما أن قيسا لا يقعل أن يبيعها بسبب الاملاق • يبقى احتمال من احتمالات كثيرة • أيكون فخر الفرزدق والخبر المتصل به من صنع الرواة ؟ •

وقد شغلت قضية الوأد بال قيس بن عاصم عندما دخل فى الاسلام ، فتعددت الروايات التى تجمع على ان قيسا كان يفد على النبى (ص) •

ففى خبر وأده لابنته بعد ان كبرت : أن الرسول (ص) دمعت عيناه ثم قال « ان هذه لقسوة ، وان من لا يرحم لا يرحم » (١) وهذا ما شغل بال قيس وأهمه •

وفى خبر مرفوع الى قتادة رواه الطبرى: ان قيسا جاء الى النبى (ص) وأخبره أنه وأد ثمانى بنات فى الجاهلية ، قال : فاعتق عن كل واحدة بدنة (٢) •

وفى خبر مرفوع الى قتادة انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انى وأدت ثمان بنات كن لى فى الجاهلية • فقال : فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة • قال : يارسول الله انى صاحب ابل ، قال : فاهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت (٣) •

ويروى ابن كثير ثلاث روايات: لا تحدد الاولى عدد البنات اللائى وأدهن فى الجاهلية • وتحدد الثانية العدد : بثمان ، وتذكر الثالثة : انه وأد اثنتى عشرة أو ثلاث عشرة (٤) •

ولقيس بن عاصم موقف من الخمر فى الجاهلية قبل ان يحرمها الاسلام ، فقد عده رواة الاخبار انه ممن حرموا الخمر فى

---

(١) الاغانى ١٤/٧٠

(٢) تفسير الطبرى ٣٠/٤٦ .

(٣) تفسير القرطبى ١٩/٢٣٣

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٨

الجاهليـــة ، وذكروا منهم نفـــرا منهم : قيس بن عاصـــم ، وعامر ابن الظرب العدوانى ، وصـــفوان ابن أميـــة ، وعفيف بن معد يكرب الكندى ، والعبـــاس بن مرداس السلمى ، وورقـــة بن نوفـــل والوليد بن المغيرة ، وزيد بن عمر ابن نفيـــل ، وأبو ذر الغفـــارى وقس بن ســـاعدة ، وعبيـــد ابن الابرص ، وزهـــير بن أبى سـلمى ، والنابغـــة الذبيـــابى والنابغة الجعدى ، وحاتم الطائى وغيرهم (١) •

ويرجع سبب تحريم قيس لها أنه ســـكر ليلة ، فغمز عكنة ابنته فهربت منه • فلما صحا منها ، سئل عما صـــنع البارحـــة فلم يعرف فأخبروه بصـــنعه ، فحرمها على نفسه ، وقال فى ذلك شعرا منه :

فلا والله اشربهـــا حيـــاتى
ولا أدعـــو لها أبدا نديمـــا
اذا دارت حميـــــاها تعلت
طوالع تسفه الرجل الحليما (٢)

وفى رواية أخرى عـــن عاصم بن الحدثان أن الزبرقان قال : انهـــا كانت أخته ، وقد أرادهـــا عـــلى نفســـها • ويضيف الخبر أنه أول عربى حرمهـــا على نفســـه فى الجاهلية (٣) •

وتحريم قيس للخمـــر مفخـــرة يضـــيفها قيس الى سجله الحافل بالمحامد والمكرمات ، علها تكفر عن فعلته بالبنات اللائى كن يولدن له •

تلك كانت جاهليـــة قيس ، فكيف نرى قيسا فى الاسلام ؟ ومتى بدأت صلته بهـــذا الدين الجديد ، وهل حسن اسلامه ؟ وما مدى تفاعله مع قيم هذا الدين ومثله ؟ •

تعود صلة قيس وقومه بالاسلام الى ما بعد فتح مكة (٤) ، فقد بعث النبى (ص) بشر بن سفيان على صدقات بنى كعب بن خزاعة ، فجاء

---

(١) انظر المحبر لابن حبيب ٢٣٧ ، أمالى للقالى ١/٢٠٤ ، نهاية الأرب للنويرى ٤/٨٨ ، بلوغ الأرب للألوسى •
(٢) الأغانى ١٤/٨٤
(٣) المصدر السابق ١٤/٨٥
(٤) المعارف لابن قتيبة ٣٠٢

وقد حل بنواحيهم بنو عمــــرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، فجمعت خزاعة مواشيها للصـــدقة ، فاســــــتنكر ذلك بنو تميم وأبوا وابتدروا القسى وشهروا السيوف ، فقدم المصـــدق على النبى (ص) فأخبره ، فقال : من لهؤلاء القوم ؟ فانتدب لهم عيينة بن بـــدر الفزارى فبعثـــه النبى (ص) فى خمسين فارسا ، فأغار عليهم فأخذ أحد عشر رجلا واحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا ، فجلبهم الى المدينة •

وعندها قدم وفد من رؤساء بنى تميم منهم : عطـارد بن حاجب ، والزبرقان بن بـــدر ، وقيس بن عاصم ، وقيس بن الحارث ، ونعيم ابن ســعد ، والاقرع بن حابس ، ورباح بن الحـــارث ، وعمرو بن الاهتم •• ويذكر الخبر ان الرسول (ص) قال فى قيس بن عاصم : هذا ســـيد اهل الوبر • ورد عليهم الاسرى والسبى وأمر لهم بالجوائز كما كان يجيز الوفود (١) •

ولكن الخبر لم يحدثنا لماذا تنبــه الرسول الكريم الى قيس دون بقية الوفد وقال عنه انه سيد أهل الوبر، هل فعل ذلك لانه أحسن القول ؟ أم لان الرسول (ص) كان على علم بمآثر قيس ؟ أم انه توسم فيـــه الخير لهذا الدين ؟

ويبدو ان قيســـا قد التقى بالرسول أكثر من لقـــاء ، يدل على ذلك حواره معه بشأن وأد من البنات وقد ســـبق ذكره ، وفى خبر آخر مرفـــوع الى قيس بن عاصم عن ســفيان الثورى انه أمر من النبى (ص) ان يغتسل بماء وسدر (٢) • ومن الاخبار أيضا ما رواه صــاحب الاغانى ان قيســـا دخــل على الرســول (ص) وفى حجره بعض بناته يشـــمها ، فقال له : ما هذه السخلة تشمها ؟ فقال : هذه ابنتى • فقال : واللــه لقد ولــد لى بنــون ووأدت بنات ما شممت منهن انثى ولا ذكرا قط • فقال الرســـــول الكريم : فهــل الا أن ينزع اللـــه الرحمة من قلبك (٣) •

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٩٣/١ ــ ٢٩٤ •
(٢) الاغانى ٨٩/١٤ •
(٣) الاغانى ٧٠/١٤

وفى خبر آخر عن ابن جعدية أن قيس بن عاصم قال : أتيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، **فرحب بى وأدنانى** فقلت : يا رسول الله ، المال الذى لا يكون على فيه تبعة ما ترى فى امساكه لضيف ان طرقنى ، وعيال ان كثروا على ؟ فقال : نعم المال الاربعون ، والاكثر الستون ، وويل لاصحاب المئين — ثلاثا — الا لمن أعطى من رسلها وأطرق فحلها ، وأفقر ظهرها ، ومنح غزيرتها ، وأطعم القانع والمعتر « فقلت : يا رسول الله ، ما أكرم هذه الاخلاق ! انه لا يحل بالوادى الذى أنا فيه من كثرتها . قال : « فكيف تصنع فى الاطراق ؟ » قلت : يغدو الناس ، فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به ، قال : « فكيف تصنع فى الافقار » ؟ فقلت : انى لا فقر الناب المدبرة والضرع الصغيرة . قال : « فكيف تصنع فى المنيحة ؟ » قلت : انى لا منح فى السنة المائة . قال : « انما لك من مالك اكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت »(١) .

وفى خبر آخر عن ابن جعدبة أن النبى (ص) لما فتح مكة قدمت عليه وفود العرب ، فكان فيمن قدم عليه قيس بن عاصم وعمرو بن الاهتم ابن عمه ، فلما صارا عند النبى (ص) تسابا وتهاترا ، وحاول عمرو بن الاهتم ان ينال من نسب قيس وحسبه ، فيقال ان النبى (ص) نهى عمرو بن الاهتم عن هذا القول فى قيس ، وقال : ان اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم كان احمر (٢) .

وفى حديث آخر عن جرير عن المغيرة عن ابيه شعبة عن التؤم ان قيسا سأل الرسول (ص) عن الحلف فقال : « لا حلف فى الاسلام ، ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية » (٣) .

ويذكر رجل قيسا عند النبى (ص)

---

(١) الاغانى ١٤/٧٧
(٢) الاغانى ١٤/٨٨
(٣) الاغانى ١٤/٩٠

وكأنه توعده فيرد النبى (ص) : « اذا تحـول سـعد دونه بكراكرها » (١)

هذه الاخبار تشير الى انه وفد على الرسول (ص) كثيرا ، كما تدل على ان الرسول (ص) كان يبش فى وجهه ، ويرحب به ، كما تشير الى أن قيسا كان غنيا ولم يكن يخش الاملاق .

وتحدثنا الروايات بأن قيسا ارتد بعد النبى (ص) عن الاسلام وآمن بسجاح التميمية وكان مؤذنها ، وقال فى ذلك :

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها
وأصبحت انبياء الله ذكرانا (٢)

ويضيف صاحب الاغانى أن خالدا ابن الوليد غزا اليمامة لقتال سجاح ومسيلمة الكذاب زوجها وأخذ قيسا أسيرا ، وأن قيسا ادعى عند خالد انه جاء يطلب ابنا له اخذه مسيلمة ، فأحلفه خالد فحلف ، فخلى سبيله (٣) .

وقبل مناقشة صحة هذه الرواية أو التعليق عليها نورد خبرا آخر عن المدائنى يفيد : بأن قيس بن عاصم كان على عهد الرسول (ص) قد ولى صدقات بنى مقاعس والبطون كلها ، وكان الزبرقان بن بدر قد ولى صدقات عوف والابناء . فلما توفى الرسول (ص) دس اليه الزبرقان من زين لقيس منع ما فى يده من الصدقات وخدعه بذلك ، ففرق قيس الابل فى قومه ، فانطلق الزبرقان الى أبى بكر بسبعمائة بعير فأداها اليه . فلما عرف قيس بالمكيدة قال : لو عاهد الزبرقان أمه لغدر بها (٤) .

والذى نميل اليه أن قيسا وقع ضحية مكيدة من الزبرقان فتأخر عن دفع الصدقات لابى بكر ، وربما فرقها فعلا فى قومه ، كما نميل الى أن العصبية القبلية ربما دفعت

---

(١) الاغانى ١٤/٩٠ .
(٢) الأغانى ١٤/٨٨ ، وهذا البيت وأبيات اخرى ذكرت فى ثمار القلوب للثعالبى ٣١٥ ، والمعارف لابن قتيبة ٤٠٥
(٣) الأغانى ١٤/٨٨ .
(٤) الأغانى ١٤/٧٦ .

قيسا الى تأييد سجاح التميمية • وبخاصة أن العرب بعامة ـ الا النزر اليسير ـ قد ارتدوا بعد وفاة النبى (ص) من هذا المنطلق • ولكن الذى نميل اليه ان قيسا زعزعت ثقته بسجاح عندما تزوجت من مسيلمة، ولهذا نسبت اليه بعض المصادر هذه الأبيات :

يالعنة الله والاقوام كلهم
على سجاح ومن بالافك أغرانا
أعنى مسيلمة الكذاب لا سقيت
أصداؤه ماء مزن حيثما كانا (١)

وربما كان قيس عندما أسره خالد ابن الوليد قد تراجع عن ردته قبل ان يأسره خالد ، وأن يمينه كانت صادقة •

واذا انتقلنا بعد هذا الى جانب هام من جوانب شخصيته وأحد مقوماتها ، ونعنى به **قيس بن عاصم الفارس** نجد أن أول ما يطالعنا خبر فى الأغانى يصفه فيه بأنه فارس شجاع كثير الغارات ، مظفر فى غزواته (٢) • ويطالعنا صاحب « المحبر » بخبر آخر يعد فيه قيس ابن عاصم من الجرارين (٣) ، والجرار هو القائد الذى يقود ألف رجل • وبدهى ان القائد الجرار الذى يقود ألف رجل محارب فى الجاهلية يعنى أنه فارس شجاع اذا ما اعتبرنا عدد الجيوش المقاتلة فى تلك الايام •

ونقلب فى المصادر التى أوردت أخبار تلك الايام والغارات فى الجاهلية فنرى أن قيسا كان قائدا وفارسا مبرزا فى الايام التالية : يوم جدود ، ويوم ثيتل أو النباج ، ويوم الكلاب الثانى ، وقتاله عبد القيس •

أما يوم جدود فقد كان من حديثه أن الحارث بن شريك جمع بنى شيبان وبنى ذهل واللهازم أغار على بنى مقاعس واخوتهم بنى ربيع فلم يجيبوهم ، فاستصرخوا بنى منقر ، فركبوا حتى لحقوا بالحارث ابن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون فى يوم شديد الحر •• وكانت نتيجة

---

(١) ثمار القلوب للثعالبى ٣١٥ ، المعارف لابن قتيبة ٤٠٥ •
(٢) الاغانى ١٤/٦٩ •
(٣) المحبر ـ لابن حبيب ٢٤٦ •

المعركة ان هزم الحـــارث وبكر ، وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ، ولم يكن له همة غيره ، والحارث على فرس له قارح يدعى الزبد ، وقيس على مهرزه ، فخاف قيس ان يسبقه الحارث ، فخفزه بالرمح فى استه ، فتحفز به الفرس فنجا ، فسـمى الحوفزان ، وأطلق قيس أموال بنى مقاعس وبنى ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكـــر بن وائل واسراهم ، وانتفضـــت طعنـــة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات (١) .

وفى يوم النبــاج وثيتــل ، أغار قيس بن عاصم على اللهازم ، فتبعه بنو كعب بن ســعد بالنباج وثيتل ، فتخوف ان يكره اصحابه لقاء بكر بن وائل ، فقام ليلا فشــق مزادهم ، لئلا يجدوا بدا من لقاء العــدو ، فلما فعل ذلك أذعنوا وصـــبروا للقائهم ، فأغار عليهم ، فكان أشهر يوم يوم ثيتل لبنى سعد ، وظفــر قيس بما شـــاء ، وملأ يديه من أموالهم وغنائمهم . وفى ذلك يقول أبنه على بن قيس بن عاصم :

أنا ابن الذى شق المزاد وقد رأى
بثيتل احيـــاء اللهازم حضرا
فصحبهم بالجيش قيس بن عاصم
وكان اذا ما أورد الامر أصدرا (٢)

وفى يوم الكـلاب الثانى ، وكان تاريخه بعد يوم الصفقة حيث أوقع كسرى بتميم ، اجتمعـت تميم الى سبعة منهم وشاوروهم فى أمرهم . وكان من بينهم قيس بن عاصم ، وقال كل رجـــل منهم ما رأى ، ووافقوا على رأى النعمـــان بن الحسحاس ، حيث أشـــار عليهم بالبحث عن ماء يجمعهم ولا يعلم الناس بأى ماء هم حتى يقـــوى ظهرهم ، وتصلح أحوالهم ، واقترح عليهم ماء قـــدة . وعلمت اليمن بضعف أمرهم بعـد أن بطش بهم كسرى ، فتنادت واحلافهـــا من قضاعة ، وخرج الجميع لغزو تميم ، ففزعت تميم الى اكثم ليشـير عليها ان تنزل حنظلة بالدهناء ، وسعد والرباب بالكـلاب ، وأى الطريقين اخذ القوم كفى احدهما صـاحبه ،

---

(١) الاغانى ٧٩/١٤
(٢) الاغانى ٨١/١٤

وقبل القوم مشـــــورته . واقتتل القوم وقتل النعمان بن الحسحاس آخر النهار ، ولما أصـــــبحوا تولى قيس بن عاصم امرة تميم ، وحملوا على أهل اليمن حملة صــــادقة ، فانهزموا ، وقيس ينادى : يالتميم ! لا تقتلوا الا فارسا ، فان الرجـــالة لكم (١) .

ومن غارات قيس بن عاصـــم ، تلك الغارة على عبـــد القيس ، وقد كان بنو سعد برئاسة ســـنان بن خالد ، وكان بنو عبد القيس بأرض البحرين ، فأصــــابت بنو سعد ما أرادت ، وقد أبلى بنو سعد بلاء حسنا ، واحتالت عبد القيس فى أن يفعـــل ببني تميم كما فعـــل بهم بالمشــــــقر يوم أغلق عليهم بابه فامتنعوا . ويبدو أن هـــذا اليوم ، بين عبد القيس وبنى سعد كان هو يوم جؤاثى ، لان ســـوار بن حيان المنقرى يقول مفتخرا :

فيالك من أيام صـــــدق أعـــدها
كيوم جؤاثى والنباج وثيتلا (٢)

ومن أخبار الايام ما نجده فى خبر يوم الســــتار ، وهو يوم بين بكر وتميم ، وفى هذا اليوم قتل قيس بن عاصم ، كما قتل فيه أيضا قتادة بن سلمة الحنفى فارس بكر (٣) .

هذا ما اسعفتنا به المصادر التى عنيت بأخبار الايام ، ومن المؤكد ان أياما أخرى قد ضلت طريقها الينا ، لان لابى عبيدة كتابين فى الايام ، كتاب الايام الكبير ، وكتاب الايام الصغير . وقد ذكر أبو عبيـــدة ألفا ومائتى يوم فى الكتـــــاب الاول ، وأورد فى الثانى خبر خمســــــة وســــــبعين يوما (٤) . كما ألف صاحب الاغانى كتابا فى الايام جمع فيه ألفا وسبعمائة يوم (٥) .

ولكننا بالرغم من كل هذا لا نعثر

---

(١) أنظر خبر هذا اليوم مفصـــلا فى مصــــادره : شرح النقــــائض ١/١٣٧ ، الاغانى والعقد الفريد ٣/٣٥٤ ، الكامل فى التاريخ لابن الاثير ، خزانة الأدب ١/٣٧٠ .

(٢) الأغانى ١٤/٨١ .

(٣) مجمع الامثال للميدانى ٢/٣٩٦

(٤) كشف الظنون لحاجى خليفة ١/٤٩٩

(٥) كشف الظنون ١/٤٩٩

على أخبـــار ما يقارب ثلاثمائة يوم أو يزيد قليلا (١)• وبعبارة أخرى ان ما وصـــــلنا اليه يعادل خمس الايام التى دونها العلماء الرواة •

ونتابع الرحلة مع ســـيد أهل الوبر لنبحث فى جانب آخــــر من جوانب شخصيته ، ونعنى **قيســـا الشاعر**، فقد أسعفتنا المصـــادر بمقطوعات من شعره ، ولم تتح لنا المصادر ان نظفر بقصيدة واحدة له يزيد عدد أبياتها على العشرة • وقد كان هــــذا من أبرز الدوافع عندى لالغاء الفصل الخاص بقيس ، اذ لا ديوان شـــــعر له بين أيدينا ، وليست بين أيدينا قصائد مطولة له ، كما أن عدد أبيات المقطوعات التى ظفرنا بها لا تربو على خمسين بيتا موزعة على احدى عشرة مقطوعة •

وسنحاول فى عجالة أن نعرض لنماذج من شعره لنتبين الموضوعات التى طرقها ، ولنتبين صلتها بجوانب شخصيته •

وأول ما نطالعه هنا حديثه عـــن الخمر التى حرمها على نفســـه فى الجاهلية • ففى خبر عن أبى حاتم أن قيسا شرب ليلة حتى سكر ، وكان يجاوره دارى تاجر ، فربط الدارى وأخذ ماله ،وشرب من شرابه فازداد سكرا ، وجعل يتطاول ويثـــاور النجوم من السكر ليبلغها وليتناول القمر فقال :

وتاجـــر فاجر جـــــاء الاله به
كأن عثنونه أذناب أجمـــــــال

فلما أصبح أخبر بما كان منه ، فآلى الا يدخل الخمر بين أضلاعه أبدا (٢) •

وفى رواية أخرى عن عاصم بن الحـدثان وهشـــام بن الكلبى عن أشياخهما أنه حرم الخمر لسبب آخر ذكرناه سابقا وأنشد فى ذلك :

وجدت الخمـــــر جامحة وفيهـــا
خصـــال تفضح الرجل الكريمـــا
فلا والله أشربهـــا حيـــــاتى
ولا أدعو لهــــا أبدا نديمـــــا
ولا أعطى بهـــا ثمنا حيـــاتى
ولا أشفى بهـــا أبدا ســــقيما

---

(١) احصائيات ملحقة ببحثى المشار اليه آنفا
(٢) الاغانى ١٤/٧٦ ، ٨٥

فان الخمر تفضـــح شـــــاربيها
وتجشمهم بهـــا أمرا عظيمـــا
اذا دارت حمياهـــــــا تعلت
طوالـــع تسفه الرجل الحليما (١)

ونلحظ فى الابيات السابقـة ان تحريمها على نفسه جاء نتيجـــة تجربة مريرة عاشها قيس ، قد تكون محاولة مع ابنته أو أخته ، ودليـل هذا قولـــه فى البيتين الرابـــع والخامس ، كما نلاحظ ربط ذلك بما تحدثه للرجل الحليم . وهـــــذه الاشارة ربما تعـود الى تصرفه أيضا مع تاجر الخمر نفســه وربطه الى دوحـــة فى داره ، ولطمه اخته وخمش وجههـــا ، وهـــذه تصرفات تسفه الرجل الحليم .

ولقيس مقطوعة أخـرى رويت عنه تتصل بالخمر ، يقول فيها :

فوالله لا أحســو يد الدهـر خمرة
ولا شربة تزرى بذى اللب والفخر
فكيف أذوق الخمر والخمر لم تزل
بصاحبها حتى تكسع فى الغـــدر
وصارت به الأمثال تضرب بعـــد ما
يكون عميد القوم فى السر والجهر
ويبـــدرهم فى كل أمـــر ينـــوبهم
ويعصمهم ما نابهم حـــادث الدهر
فيا شارب الصـــهباء دعها لأهلها
الغواة وســلم للجسـيم من الامر
فانك لا تـــدرى اذا ما شربتهـــا
وأكثرت منها ما تريش وماتبرى(٢)

ونستخلص من هذه الأبيــــات القليلة الاسباب التى حملته عــلى الامتناع عن شربها ومعاهدته اللــه عـــلى ذلك ، ومن ذلك انهـــا تزرى بصاحبها ولو كان ذا عقل ومحمدة يفخـــر بها ، ومنهـــا انهـــا لم تزل بصـــاحبها حتى تجعله ينغمس فى الرذيلة ويتمـــادى فى الغدر ، ومنها أنها تجعل شاربها حـــديث القوم وتضرب به الامثال فى السفه والغدر بعد أن كان سيد القـــوم فى السر والعلن ، وبعـــد أن كان صاحب المبادرة فى كل أمر ينزل بهم، وكان يعصمهم ويحميهم من نوائب الدهـــــــر . ونراه فى البيتين الاخيرين لا يقصر التحريم عـــلى

---

(١) الأغانى ١٤/٨٤ .
(٢) الأغانى ١٤/٨٥ .

نفسه بل تراه يوجه حديثه الى كل شارب لها ناصحا له بأن يتركهـا للغواة الضالين السـادرين فى الضلالة • وأن يتفرغ للأمور الهامة التى تهم قومه وتهمه ، ويعلل ذاك بأن الذى يشربها ويكثر لا يـدرى ماذا يفعل ولا يستطيع أن يميز بين الضار والنافع •

ومما أثر عن قيس بن عاصـم كرمه واطعامه زاده الآخـرين أن زوجه أتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام فقال : أين أكيلى ؟ فلم تفهم قصده ، فأنشأ يقول :

يا ابنة عبد اللـه وابنة مالك
ويا بنت ذى البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسى لـه
أكيلا فانى لست آكله وحـدى
أخا طارقا أو جـار بيت فاننى
أخاف ملامات الاحاديث مـن بعدى
وانى لعبد الضيف من غير ذلـة
وما بى الا تلك من شـيم العبـد

فأرسلت جارية لها مليحة فطلبت له أكيلا ، وأجابته :

أبى المرء قيس أن يذوق طعامـه
بغـير اكيـل انه لكـريم
فبوركت حيا يا أخـا الجود والندى
وبوركت ميتا قد حوتك رجوم (١)

بورك قيس بن عاصم ، فقد كان يخشى ملامات الاحاديث من بعده ، وقد كان يرفض أن ينفـرد بالزاد وهو يأبى الا ان يكون عبدا لضيفه الذى حدده بالطارق أو بالجـار ، وكلاهما له عليه حق فى زاده

ونرى قيسا حينما خدعـه الزبرقان وزين اليه أن يفرق كـل منهما الصدقات فى قومه ، وفعلها قيس ، وذهب الزبر قان بما لديه من الصدقات الى أبى بكر ، نراه يقول محددا سبب فعلته تلك ومعلنا ذلك ليصل الى قريش :

الا أبلغا عنى قريشا رسـالة
اذا ما أتتهم مهديات الودائـع
حبوت بما صدقت فى العام منقـرا
وأيأسـت منها كل أطلس طامع (٢)

ويتبين من البيت الثانى أنه خائف بعد موت النبى (ص) أن تقـع

(١) الاغانى ٤/٧١ ـ ٧٢
(٢) الاغانى ١٤/٧٥

هذه الصدقات فى يـــد لص خبيث طامع ، والاولى أن يقسمها فى قومه، وربما كان عذره فى ذلك أنه لم يكن قد تمثل الاسلام بعد ، وأن مـوت النبى (ص) لا يغنى أن عقد الامور قد حل وعادت الامور الى سابق عهدها فى الجاهلية .

أما قيس الفارس الشاعر فلم نعثر له الا على مقطوعات ثلاث ، الاولى قالها فى يوم جدود ، وفيها يقول :

جزى الله يربوعا بأسوا ســعيها
اذا ذكرت فى النائبات أمـــورها
ويوم جدود قد فضـــحتم اباكم
وسالمتم والخيل تدمى نحورهـــا
فأصـــبحتم والله يفعل ذاكم
كمهنئـــوة جـــرباء أبـــرز كـــورها
كموءودة لم يبق الا زفيرهـــا
وأصبحت وغلا فى تميم وأصبحت
عظاما مساعيها سواك ودورهـــا
أفخرا على المولى اذا مـــا بطنتم
ولوما اذا ما الحرب شـــب سعيرها

وينتقل بعد هذا اللوم ليربوع لنكوصها على نصرة اخوتها ، الى الفخر بقومه فيقول :

عصمنا تميما فى الحروب فأصبحت
معادتها تحيى سواك وخيرهـــا
وهرت بنو يربوع اذ هشـــها الوغى
هرير كلاب أوجعتها أيورهـــا

ثم يذكر يومين آخرين لقومـــه وهما جواثى والنباج فيقول :

ويوم جواثى والنبـــاج وثيتل
منعنا ربيعا ان تباح ثغورهـــا
وغزكم من رهطكم كل مربـــع
جوابى جهنام يمد نحيرهـــا
تساقط افلاق الحصى فى نحوركم
بصحن العراق فاستبنتم نحورها(١)

ويرتجز قيس فىيوم الكلاب الثانى:

لمـــا تولوا عصـــبا شوازبا
أقســـمت لا أطعن الا راكبا
انى وجدت الطعن فيهم صائبا (٢)

ويجيب راجز مذحج قائلا :

عما قليل تلتحـــق أربـــابه
مثل النجـــوم حسرا ســحابه
ليمنعن النعم اغتصـــابه
ســـعد وفرسان الوغى أربابه (٣)

---

(١) شرح النقـــائض لأبى عبيده ١/٤٦ ، ٣٢٨ ، الأغانى ١٤/٨١ ، العقد الفريد ٥/٢٠٠ ، الكامل لابن الاثير ١/٦١١

(٢) شرح النقائض ١/١٥٢

(٣) الكامل فى التاريخ لابن الاثير ١/٦٢٤

وفى الأغانى أن مهاترة نشبت بين قيس وابن عمه عمرو بن الاهتم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قدما عليه بعد فتح مكة ، وقال قيس يرد على ابن عمه ويفتخر :

لولا دفاعى عنكم كنتم أعبدا
مسكنها الحيرة فالسيلحون
جاءت بكم عفرة من أرضها
حيرية ليست كما تزعمون
فى ظاهر الكف وفى بطنها
وسم من الداء الذى تكتمون (١)

ويبدو أن العمر قد امتد بقيس ، فقد عاصر أبا بكر ، لان صاحب فتوح البلدان يذكر خبرا عن فتوح السواد ، ذلك ان المثنى بن حارثه الشيبانى كان يغير على السواد ، فبلغ أبا بكر خبره ، فسأل عنه ، فقال قيس بن عاصم لأبى بكر : هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ، وأثنى عليه (٢) .

وأكسبته تلك السنوات حكمة أودعها بنيه ، فكان يقول لهم : اياكم والبغى ، فما بغى قوم قط الا قلوا وذلوا .

وقد امثل بنوه لما أو أوصاهم فكان بعضهم يلطمه قومه أو غيرهم فينهى اخوته عن أن ينصروه (٣). وأوصاهم بحفظ المال ، وقد حمل عليه وعلى قومه من أجل ذلك لانه يناقض الكرم ولا يلتقى معه. وربما كانت وصيته الا ينفقوا المال الا فى اهداف نبيلة ، وأن يتجنبوا اتلافه فى اللهو وغيره مما لا ينفع ، ومما يؤكد هذا الاتجاه ما سيرد فى وصيته الاخيرة .

ويروى ابن عدى أن قيسا جمع ولده حين حضرته الوفاة وأوصاهم بما يلى : يابنى اذا مت فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم . وعليكم باصلاح المال فانه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، واذا مت فادفنونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم . واياكم والمسألة فانها آخر مكاسب العبد ،

---

(١) الاغانى ١٤/٨٨
(٢) فتوح البلدان ـ البلاذرى ٢٤٢
(٣) الاغانى ١٤/٧٧

وان امرأ لم يسأل الا ترك مكسبه

•• ثم جمع ثمانين سهما فربطهـا وتر ، ثم قال : اكسروهـا ، فلم يستطيعوا ، ثم قال : فرقـــوا ، فقال : اكسروها سهما ســـهما ، فكسروها • فقال : هكـذا انتم فى الاجتماع وفى الفرقة ، ثم أنشد :

انما المجد ما بنى والد الصـــد
ق وأحيا فعاله المولــــود
وتمام الفضل الشجاعـــة والحلم
اذا زانه عفـــاف وجـــود
كثلاثين من قـــداح اذا مـــا
شـــدها للزمان قدح شـــديد
لم تكسر وان تفرقت الاســـهم
أودى بجمعهـــا التبـــديد
وذووا الحلم والاكابـــر آولى
ان يرى منكم لهم تســـويد
وعليكم حفظ الاصـــاغر حتى
يبلغ الحنث الاصغر المجهـود (١)

ومات قيس بن عاصم بعـد ان انتهى من وصيته • هكـــذا يروى صاحب الاغانى •

والوصية بنثرها وشعرها لم تأت بجديد مما عـــرفنا من جوانب شخصيته المتفردة فى الجاهليـــة : الصدق فى الفعال ، وتمام الفضل يتمثل بالشجاعة والحلم اذا اقترن به عفاف وكرم ، وحفظ مقام الكبير، والعطف واحترام حقوق الصـغير حتى يكبر • كل هذه الخصال عشنا معها فى مسيرة حياة قيس وضربنـا امثلة لكل منها •

ويرثى عبدة بن الطبيب قيسا ، بعد أن كانت بينهما ملاحاة ، انتهت بصداقة عندما حمل قيس دية كان عبدة يسعى فى طلبها وجمعها ، ومنذ ذلك التاريخ أقلع عبدة عن ملاحاته• يقول عبدة فى رثائه :

عليك سلام الله قيس بن عاصـم
ورحمته ما شاء أن يترحمـــا
تحية من أوليته منك نعمـــة
اذا زار عن شحط بلادك ســلما
فما كان قيس هلكـــه هلك واحد
ولكنه بنيان قـــوم تهـــدما (٢)

دكتور عفيف عبد الرحمن

---

(١) الاغانى ١٤/٨٢
(٢) الاغانى ١٤/٨٣

باب الفتاوى

الاستاذ عبد الحميد شاهين

س : ما معنى قول الله تبـــارك وتعالى : **« ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا »** ؟

وكيف نوفق بين ما تفيده هذه الآية وما يبتلى به المسلمون أحيانا من نكسات وهزائم تجعل لاعدائهم الكافرين السيطرة عليهم . والتحكم فى كثير من مقدراتهم ومصائرهم ؟

كما هو واقع المسلمين اليوم !!

ج : تأتى هـــذه الآية فى ثنايا استعراض سمات المنافقين ، وقبلها مباشرة قول الله تعـــالى : **« اللـــه يحكم بينكم يوم القيامة »** ولهذا فقد قال الامام البيضـــاوى فى تفسيـــره : **ان قوله تعالى : « ولن يجعـــل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا »** (١) يكون حينئذ أى يوم القيامة ولكنـــه رضى الله عنه أورد رأيا آخـــــر وهو أن يكون ذلك فى الدنيا .. كما فسر السبيل بالحجة .

ولعل هذا الرأى الاخير هـــو الذى استند اليه الاستاذ ســـيد قطب ــ رحمـــه الله تعـــالى ــ فى تفسيره لهذه الآية حيث قال : « انه وعد من الله قاطـــع وحكم من الله جامع . انه متى اســـتقرت حقيقة الايمان فى نفوس المؤمنين ، وتمثلت عملا فى واقع حياتهم كما يجب أن تكون ، فلن يجعـــــل الله للكافرين على المؤمنين ســـبيلا ، ولن يغلب المؤمنون غلبة حقيقية ، ولن يهزموا الا هزيمة ظاهرية ووقتية ، والنصر

---

(١) من الآية (١٤١) من سورة النساء .

لهم مكتوب من عند الله لا يضيع .

هذه حقيقة يقررها الله ، ووعد لا يتخلف لمن استقرت فى نفسه حقيقة الايمان بالله . ولكننا قد نرى الظاهر يخالفها فى بعض الاحيان ..

ويقرر رحمه الله فى ثقة بوعد الله لا يخالجها شك .. أن الهزيمة لا تلحق المؤمنين ولم تلحقهم فى تاريخهم كله الا وهناك ثغرة فى حقيقة الايمان : اما فى الشعور واما فى العمل وبقدر هذه الثغرة تكون الهزيمة الوقتية ، ثم يعود النصر للمؤمنين .

ففى « أحد » : كانت الثغرة فى ترك الطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى الطمع فى الغنيمة ، وفى « حنين » : كانت الثغرة فى الاعتزاز بالكثرة ، لا فى الثقة المطلقة فى عون الله : « **ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا** » (١) .

ولو ذهبنا نتتبع كل مرة تخلف فيها النصر عن المسلمين فى تاريخهم لوجدنا شيئا من هذا نعرفه أولا نعرفه .. أما وعد الله فحق فى كل حين .

نعم : ان المحنة قد تكون للابتلاء ، ولكن الابتلاء انما يجىء لحكمة فى استكمال حقيقة الايمان .. وايقاظ كوامنه فى الصدور ، فمتى اكتملت تلك الحقيقة ، ومتى انبعثت بالابتلاء قوية ، جاء النصر وتحقق وعد الله .

على أننى انما أعنى بالهزيمة معنى أشمل من مدلولها الظاهرى ، انما أعنى بالهزيمة هزيمة الروح ، وكلال العزيمة ، فالهزيمة فى معركة لا تكون هزيمة الا اذا تركت آثارها فى النفس همودا وكلالا وقنوطا . فأما اذا بعثت الهمة ، وأذكت الشعلة ، فهى مقدمة للنصر ، ودافعة الى الاستعلاء .

ان غلبة الكفار علينا لا تتم يوم يغلبوننا فى معركة . ولكن يوم يغلبون أرواحنا ، فنراهم قوة لا تقهر ، ونرانا الى جانبهم ضعافا لا أمل لنا فى الانتصار .

---

(١) من الآية (٢٥) من سورة التوبة .

وحين يقرر النص القرآنى الكريم أن الله لن يجعـل للكـافرين على المؤمنين سبيلا •

فانما يشير الى أن الروح المؤمنة هى التى تنتصر ، والفكرة المؤمنة هى التى تســـود • وانما يدعو المسلمين الى أن يســتكملوا حقيقة الايمان فى نفوسهم شــعورا ، وفى حياتهم عدة وعملا ، وألا يعتمدوا على مجرد أنهم مسلمون ، فالنصر ليس للعنوانات • انما هو للحقائق التى خلف العنوانات •

وليس بيننا وبين النصر فى أى زمان وفى أى مكان • الا أن نستكمل حقيقة الايمان ، ومن حقيقة الايمان ألا نركن الى أعدائنا • وألا نطلب العزة الا من الله • ولا يقولن أحد : نتقوى بهم حتى نتقوى ، فان هذه القولة بذاتها هى الخطوة الأولى فى طريق الهزيمة ، فالضــعف لا يلد الاالضعف، والقوة لاتكون الابالله الذى وعد ووعده الحق **«ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا»** •

هذا الوعد يكفى بذاته لتقــرير حقيقته وتعليلها ، وهو يتفق كذلك مع حقيقة الايمان وحقيقة الكفر فى هذه الحياة •• ان الايمان صــلة بالقوة الكبرى التى لا تضعف ولا تفنى ، وان الكفر انقطاع عن تلك القوة التى لا قوة سواها • فطبيعى الا يجعل الله للكافرين على المؤمنين ســبيلا ، لأن هذا لو كان — ولن يكون — فان معناه أن قوة ظاهرة محدودة فانية تملك أن تغلب قوة موصولة بمصدر القوة فى هذا الكون جميعا •• وهو ما لم يكن ولن يكون أبدا •

غير انه يجب أن نفرق دائما بين حقيقة الايمان ومظهر الايمان • ان حقيقة الايمان قوة حقيقية ثابتة ، ذات أثر فى النفس وفيما يصــدر عنها من العمل ، وهى حقيقة كفيلة بأن تواجه حقيقة الكفر المنعزلـــة المبتوتة المحدودة فتقهرها ، ولكن حين يتحــول الايمان الى مظهــر فان حقيقة الكفر قد تغلبه اذا هى صدقت وعملت فى عالم الواقع ، لان حقيقة أى شىء أقوى من مظهــر أى شىء فى هذا الوجود •

ونحن اليوم مع خصـــومنا

وأعدائنا نمثل مظهر الايمان يواجه حقيقة الكفر ، لهذا هم يغلبوننا .. انهم يكفرون بالله ويؤمنون بالمادة والمادة ولو أنها صغيرة فهم يواجهوننا بحقيقة الايمان بشيء ما — ولو كان هذا الشيء صغيرا — ونحن نواجههم بغير ايمان . لا بحقيقة كبرى ولا بحقيقة صغرى !!

فأما يوم أن نحقق فى نفوسنا وفى واقعنا حقيقة الايمان بالله ذى الجلال فلن يغلبونا أبدا « **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** » اهـ (١) .

وقد أجابت لجنة الفتوى بالازهر على الاسئلة التالية فيما يأتى :

س : ما حكم حجاب المرأة المسلمة الأوروبية وهل يختلف الحجاب بالنسبة لها ؟

ج : المرأة المسلمة يجب عليها أن تستر جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين وذلك عند أمن الفتنة أيا كانت اقامتها — فى بلاد اسلامية أو أوروبية أو غيرها فأوامر الدين لا تفرق بين موطن وموطن .

س : ما حكم وجود المرأة مع الرجل فى دور التعليم ؟

ج : لا يجوز للمراة أن تخلو بالرجل أو بالرجال ، حتى ولو كان ذلك للتعليم ، أما اذا كان هناك عدد من الرجال وعدد من النساء للتعليم مع المحافظة والستر وأمن الفتنة فهو جائز .

س : ما حكم عمل الموظف فى البنوك التى تتعامل بالربا ؟

ج : الموظف الذى يعمل فى بنك يتعامل بالربا ، ان كان عمله يتصل بعمليات الربا فليس له أن يعمل اذا وجد عملا آخر يقوم بمعيشته ، اذ أنه كما حرم تناول الربا حرم كتابته والشهادة عليه .

وان لم يجد عملا آخر فهو محتاج ، له أن يعمل حتى يجد المخرج من ذلك .

والله أعلم

عبد الحميد شاهين

---

(١) من كتاب فى ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب .



اعداد الاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« ذكــر الله »

قال تعالى : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم »

وقال جل شــأنه : « والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعــد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .

فالرجل المؤمن ، هو الــذى يجلس بين الخلق يبيع ويشــترى ويختلط بالناس ولكنه لايغفل عن ذكر الله « ذكر الله فى الغافلــين كالشجرة الخضراء فى وســـط الهشيم » .

وقيل لعابد انك صائم ؟

قال : نعم صائم بذكره ، فاذا ذكرت غيره أفطرت .

وقيل للجنيد عند موته : قــل لا اله الا الله ؟

قال: مانسيته فاذكره ثم أنشد:

حاضر فى القلب يعمـــره
لست أنســاه فأذكــره
فهـو مـولاى ومعتمدى
ونصيبى منه أوفـــره

ومر ابراهيم بن أدهم برجــل يتحدث بما لا يعنيه ، فوقفه عليه.

وقال له : أكلامك هذا ترجو به الثواب ؟

قال : لا .

قال : أفتأمن عليه العقاب ؟

قال : لا .

قال : فما تصنع بكلام لاترجو عليه ثوابا ، وتخاف منه عقابا ؟

عليك بذكر الله تعالى .

« لأغمك »

كان لبعض النساك شاة فرآها على ثلاث قوائم •

فقال : من فعل بها هذا ؟

قال غلامه : أنا •

قال له : ولم ؟

قال : لأ غمك •

قال : لأغمن من حملك على هذا أنت حر لو جه الله تعالى •

« أتهزأ بى !! »

بينما النبى – صلى الله عليه وسلم – فى الطواف اذ سمع أعرابيا يقول :

يا كريم •

فقال النبى خلفه « يا كريم » فالتفت الأعرابى الى النبى •

وقال : يا صبيح الوجه ، يارشيق القد ، أتهزأ بى لكونى أعرابيا ؟

والله لولا صباحة وجهك ، ورشاقة قدك ، لشكوتك الى حبيبى محمد – صلى الله عليه وسلم – •

فتبسم النبى ، وقال : « أما تعرف نبيك يا أخا العرب » ؟

قال الاعرابى : لا •

فقال النبى : «فما ايمانك به »؟

قال : آمنت بنبوته ولم أره ، وصدقت برسالته ولم ألقه •

فقال النبى : « يا أعرابى اعلم أنى نبيك فى الدنيا وشفيعك فى الآخرة » •

فأقبل الأعرابى يقبل يد النبى •

فقال النبى : « مه يا أخا العرب ، لاتفعل بى كما تفعل الأعاجم بملوكها ، فان الله سبحانه وتعالى بعثنى لا متكبرا ، ولا متجبرا ، بل بعثنى بالحق بشيرا ونذيرا » •

« هكذا زهد ٠٠ كلا بنا »

قال ابراهيم بن أدهم : ما غلبنى غير فتى من سمرقند لقيته فى موسم الحج فقال : «أنت ابراهيم بن أدهم » ؟ قلت : نعم ، قال : « ما حد الزهد عندكم » ؟

قال : « نحن اذا حرمنا صبرنا، واذا أعطينا شكرنا » •

قال الفتى : « هكذا تفعل كلاب سمرقند عندنا » !

قال ابراهيم : فما حد الزهد عندكم ؟

قال : « أما نحن فاذا حرمنا شكرنا ، واذا أعطينا أثرنا !! »

قال ابن أدهم : ماغلبنى غير هذا الفتى من سمرقند .

« الدراهم أربعة »

الدراهم أربعة : درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج فى حق الله فذاك خير الدراهم ، ودرهم اكتسب بمعصية الله وأخرج فى معصية الله فذاك شر الدراهم ودرهم اكتسب بأذى مسلم وأخرج فى أذى مسلم فهو كذلك ، ودرهم اكتسب بمباح وأنفق فى شهوة مباحة فذاك لاله ولا عليه هذه أصول الدراهم ويتفرع عليها دراهم أخر : درهم اكتسب بباطل وأنفق فى حق فانفاقه كفارته ، ودرهم اكتسب من شبهة فكفارته أن ينفق فى طاعة ، وكما يتعلق الثواب والعقاب والمدح والذم باخراج الدرهم فكذلك يتعلق باكتسابه ، وسيسأل عنه من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟

« دعنى لمن خلقتنى »

دخل أحد الصحابة مسجدا يصلى ، فاستوقف نظره طفل لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، قائم يصلى بكل خشوع ، ويركع ويسجد فى هدوء واطمئنان ، فلما فرغ الصبى من الصلاة ، تقدم منه الصحابى وسأله : ابن من أنت يا هذا ؟

فرد عليه الصبى ، وقال: انى يتيم فقدت أبى وأمى .

قال الصحابى : أترضى أن تكون لى ولدا ؟

فقال الصبى : هل تطعمنى اذا جعت ؟

قال الصحابى : نعم .

فقال الصبى : وهل تسقينى اذا عطشت ؟

قال الصحابى : نعم .

فقال الصبى : وهل تكسونى اذا عريت ؟

قال الصحابى : نعم .

فقال الصبى : وهل تحيينى اذا مت ؟

فدهش الصحابى ، وقال : هذا ماليس اليه سبيل ، فأشاح الصغير بوجهه ، وقال : فاتركنى اذن للذى خلقنى ثم يرزقنى ثم يميتنى ثم يحيين .

فانصرف الصحابى وهو يقول : لعمرى من توكل على الله كفاه .

« من وصايا الحكماء »

لقى رجل حكيما فقال : كيف ترى الدهر ؟

قال : يخلق الأبدان ، ويجدد الآمال ، ويقرب المنية ، ويباعد الأمنية .

قال : فما حال أهله ؟

قال : من ظفر به منهم تعب ، ومن فاته نصب .

قال : فما الغنى عنه ؟

قال : قطع الرجاء منه .

قال : فأى الأصحاب أبر وأوفى ؟.

قال : العمل الصالح والتقوى.

قال : أيهم أضر وأردى (١) ؟

قال : النفس والهوى .

قال فأين المخرج ؟

قال : سلوك المنهج .

قال : وما هو ؟

قال : بذل المجهود ، وترك الراحة ، ومداومة الفكرة .

قال : أوصنى ؟

قال : قد فعلت .

---

(١) الردى : الهلاك .

« ماترك الاعرابى لنا عذرا »

قيل ان بعض وفود العرب قدموا على أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز — **رضى الله عنه** — وكان فيهم شاب ، فقام ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أصابتنا سنون عجاف ، سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة دقت العظم ، وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لنا فعلام تمنعونها عنا ؟ وان كانت لله ففرقوها على عباد الله ،وان كانت لكم فتصدقوا بها علينا **« ان الله يجزى المتصدقين »** .

فقال عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — : ما ترك الأعرابى لنا عذر فى واحدة .

« الانسان بين أعدائه »

كيف يسلم من له زوجة **لاترحمه** وولد لا يعذره ، وجار لا يأمنه وصاحب لاينصحه ، وشريك لاينصفه ، وعدو لاينام عن معاداته ، ونفس أمارة بالسوء ، ودنيا متزينة ، وشهوة غالبة له وغضب قاهر ، وشيطان مزين ، وضعف مستول عليه ، فان تولاه الله انقهرت له هذه كلها ، وان تخلى عنه ووكله الى نفسه اجتمعت عليه فكانت الهلكة .

« كم نعمة مطوية »

قال سعيد بن حميد الكاتب :

لا تعتبن على النوائب
فالدهر يرغم كل عاتب
واصبر على حدثانه
ان الأمور لها عواقب
كم نعمة مطوية
لك بين أثناء النوائب
ومسرة قد أقبلت
من حيث تنتظر المصائب

« ثلاثة »

ثلاثه : ينبغى أن يجلو وتعرف أقدارهم : العلماء ، وولاة العدل ، والاخوان .

فمن استخف بالعلماء أضاع دينه .

ومن استخف بالأمراء أضاع دنياه .

ومن استخف بالاخوان أضاع مروءته .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

كتاب الشهر

التوراة والإنجيل والقرآن والعلم

تأليف الكاتب الفرنسي: موريس بوكاي

ترجمة نخبة من الدعاة

عرض: للأستاذ السيد حسن قرون

موضوع هذا الكتاب كما يفهم من عنوانه دراسة نصوص الكتب المقدسة ، وهى التوراة والانجيل والقرآن وعرضها على معطيات العلم الحديثة والمقارنة بينها ، وتنبيه المؤمنين بها الى حقائق يجب معرفتها والسير فى ضوئها ، وهى دراسة حديثة تتسم بالموضوعية ، والتخلى عن نزعات الهوى والرواسب النفسية التى تحول بين الانسان والرؤية الصائبة البصيرة • ويعلن المؤلف (موريس بوكاى) فى مدخل الكتاب وهو المقدمةمقصده من دراساته ومالاقاه فى سبيل ذلك ، « فاعتبار المعطيات الموضوعية لتاريخ الديانات يضع العهد القديم والانجيل والقرآن فى مستوى واحد كمجموعة من الوحى المكتوب ، بيد أن هذا الامر وان كان مبدئيا مقبولا لدى المسلمين فهو لدى مؤمنى بلادنا الغربية المتأثرين باليهودية والمسيحية المسيطرة غير مقبول ، بل يرفضون اعطاء القرآن سمة الكتاب الموحى به • »
ذلك أن لليهودية كتابها المقدس (التوراة العبرية) ولا تعترف بأى وحى جاء بعد وحيها ، وللمسيحية أناجيلها الأربعة القانونية ، ولا تعترف بأى وحى جاء بعد عيسى ورسله • أما الوحى القرآنى الذى نزل بعد ستة قرون من المسيح فقد احتفظ بالعديد من تعاليم التوراة والانجيل اللذين أكثر من ذكرهما ، بل فرض على كل مسلم الايمان بالكتب السابقة (سورة ٤ آية ١٣٦) كما عنى بالرسل السابقين مثل نوح وابراهيم وموسى • وعيسى الذى كان فيهم فى مقام مرموق ، وقد أظهر القرآن ولادته كما كرم والدته مريم تكريما خاصا ، وأطلق اسمها على السورة رقم ١٩ يقصد سورة مريم •

ومن ثم فان مثقفى الغرب

ـ كمـــا يقول المؤلف ـ يعنون بمقومات الاسلام الفلســـفية والاجتماعية والسياســـية ، ثم لا يتساءلون كما هو الواجب عـــن ماهية الوحى المحمدى ، لأن قرونا متطاولة تباعد فيها الغرب عـــن الاعتراف به (١) « لقد لمست ذلك عندما حاولت عقـد حوار للمقابلة بين نصوص توراتية ونصـــوص قرآنية تتناول موضوعا واحـدا ، ولاحظت الرفض المبدئى لمجـرد اعتبار مايتضـــمنه القرآن فى الموضوع المطروح كما لو كـــان الاستشهاد بالقرآن بمثابة انتمـاء الى الشيطان » ٠

ولكنه يقول : الأمور تغيرت فى أيامنا هذه ، والوثيقة التى صدرت عن أمانة الفاتيكان ووزعت لغـير المسلمين ، وكانت ثالثة طبعاتهـــا بتاريخ ١٩٧٠ تشهد بعمق التغيير فى المواقف الرســـمية ، وتوالت نوعيـــات التقـــارب بين الغرب المسيحى والشرق الاســـلامى ، بين الفاتيكان وجامعة الأزهر وكبار علماء الجزيرة العربية الســعودية حيث تهيأت الفرصـــة لحوار بين المسلمين والمسيحيين عن « حقوق الانسان الثقافية فى العالم » وهذا التقارب فى المستوى التخصصى لم يبلغه مستوى العامة فى الشعوب الغربية لانشـــغالهم بدنيـــاهم ولاكتفائهم بما وصل اليهم مـــن الثقافة الدينية ٠

وبعد أن يفيض فى هذا الشـأن الذى حبب اليه ورغب فيه يتجـه الى ما وضعه نصب عينيه من نقد النصوص المقدســـة فى الاديان الثلاثة واضعا الاناجيل فى مستوى الاحاديث ، لأنها دونت بعد موت محمد بعشرات السنين تماما كمـا كتبت الاناجيل بعد مـوت عيسى بعشرات السنين ، وفى الحالين لم تكن الاحاديث والاناجيل ســوى شهادات بشرية عن وقائع ماضية ، واذا كانت الاحاديث تناقش لمعرفة

---

(١) ص ٨ مدخل الكتاب ٠

أصالة هذا الحـــديث أو ذاك فان الكنيسة اعتبرت أربعة أناجيل فقط « رغم وجود التناقض فيما بينها ، والفارق الواضح هو غياب النص الموحى به عند المسيحيين واليهود ، بينما يملك الاسلام القرآن الذى يحقق هذا التعريف •• ان القرآن هو نص الوحى المنزل الى محمـد من سيد الملائكة جبريل » •

ولهذا كانت مقابلة نصـــوص الكتب المقدســة بمعطيــات العلم موضع تفكير الانسان ، لأن مقياس النص على العلم يعطى راحـــة الانسان نحو أصالة النص ، وأنه من الوحى لا من صنع البشر ، ومن هنا حدد المؤلف منهجه بالنسبـــة لمعطيات العلم فهو لا يعتمد منهـا الا ماثبت ثبوتا لا يحتاج بعـــده الى كشف جديد ، واعتمد بصـــورة نهائية ، وبهذه القاعدة من منهجه ثبت خطأ التقـويم العبرى المبنى على مبدأ ظهور الانســان عـــلى الارض منذ ٥٧٣٦ سنة كما شـاء التقويم العبرى سنة ١٩٧٥ م لأننا اكتشفنا ــ كمـــا يقول المؤلف ــ آثار أعمال انسانية ترجع دونمـا ريب الى عشرة آلاف سنة قبـــل الميلاد ، فلا يجوز اذن اعتبار النص التوراتى لسفر التكوين كما لو كان صحيحا • اذ يذكر الســـلالات البشرية والتواريخ التى تحـــدد بداية الانسان (خلق آدم) أنهـا ترجع الى ســـبعة وثلاثين قرنا قبل المسـيح ، وبامكان العلم أن يقوم فى المســـتقبل بتدقيقات فى التأقيت اعظم من التقـــديرات الحالية •• ويبين جهـده فى هـــذا الشأن فيقول : « بعد تدقيق النص العربى بامعان شـديد قمت بجردة شاملة استبان لى منها أنه ليس فى القرآن تأكيد يمكن أن ينتقـد من الوجهــة العلمية فى هــذا العصر الحديث » وأن التدقيق نفسه اتخذه بالنسبة للعهد القديم والاناجيـل فاستبان له منه التناقضـــات مع المعارف الحـــديثة • « فكيف نـــدهش من ذلـك ونحن نعلم أن الاسلام ينظر الى العلم والـــدين كتوأمين ، وأن تهـذيب العلم كان جزءا من التوجيهات الدينيـــة من البداية ، وأن تطبيق تلك القـاعدة أدى الى التقدم العلمى العجيب فى

عصر الحضارة الاسلامية العظمى التى استفاد منها الغرب قبل نهضته » هكذا قال فى ختام « مدخله » ومن المدخل تلحظ أنه يجعل دراسته تنصب على الظواهر الطبيعية والمعلومات التى تحتاج الى تفسيرات ويمكن للعلم أن يصل اليها ويفسرها ، فالعلم مثلا لا يجد تفسيرا لكيفية تجلى الله لموسى أو السر الذى يحيط بمولد عيسى ومجيئه الى العالم من دون أن يكون له أب طبيعى • ولاينسى أن يشير الى أن ثروة الوحى القرآنى فى موضوع الظواهر الطبيعية بالذات كثيرة ومطابقة لمعطيات العلم الحديث • وحين قرأت هذا الكتاب مرة ومرة بدا لى أن أسير فى معطياته حسب موضوعاته لا حسب تاريخ ، الديانات ، فمثلا مسألة (الخلق) اعالجها فى الاديان الثلاثة مقارنا وموازنا ولكنى آثرت مجاراة المؤلف فى أقسامه الثلاثة وفصول كل منها ، فالقسم الاول للتوراة والقسم الثانى للأناجيل الأربعة والقسم الثالث للقرآن ، فالكتاب مؤلف من تلك الاقسام ومدخل فى الاول وخاتمة •

وكنت أود أن أعطى للقارىء صورة موجزة عن المؤلف الكاتب الفرنسى موريس بوكاى : نشأته ومسقط رأسه والعلوم التى درسها ولكنى لا أملك المراجع التى تؤهلنى لمثل هذا الامر الشائق ، وكان ينبغى على النخبة التى ترجمت كتابه أن تترجم حياته ، والرجل مازال يزاول دراسته وهو مستشرق يشترك مع رجال الفكر والدين فى المؤتمرات واللقاءات التى ترغب فى الحوار لتقارب الغرب والشرق فى الديانات •

العهد القديم

أعلن بادىء ذى بدء فى صدر حديثه عن العهد القديم متسائلا : من هو مؤلف العهد القديم ؟ وكان جوابه : كم من قارىء للعهد القديم يلقى عليه هذا السؤال فلا يحير جوابا الا مرددا ما قرأه فى مدخل التوراة بأن مؤلف هذه الكتب المقدسة كلها هو الله مع أن الذين كتبوها هم بشر من الذين أوحى الروح القدس اليهم • وبعد جولة

تاريخية مع عمل الكنيسة نحو هذه الكتب من القرن الرابع الى العصر الحديث ينقل عن الاستاذ (أدموند جاكوب) كثرة النصوص للتوراة ، وأنه كانت هناك نحو القرن الثالث قبل المسيح ثلاثة أشـــكال لنص التوراة العبرى على الاقل : منهـا نص الشـارحين اليهود والــذى إستخدم على الاقــل فى جــزء من الترجمة اليونانية ، والاســـفار السامرية الخمسة ، لقد كان الاتجاه فى القرن الاول قبل المســيح الى تثبيت نص مفرد ، ولكن كان لابد من الانتظار قرنا آخر بعد المسيح لكى يصبح نص التوراة محددا •• ولو كانت الاشكال الثلاثة باقيــة لأمكن الوصول بالموازنة والمقارنة الى نص يصــح أن ينســب الى الوحى • ويقول فى هذا الصـدد : « لقد أنجزت مجمـوعات متوازية متقاربة فى لغات مختلفة تورد جنبا الى جنب النصـــوص العبرية ، واليـــــونانية ، واللاتينيـــة ، والسريانيـة ، والآراميــة ، حتى العربيــة مثــل توارة (والتــون) الشهيرة ، ولنكمل المطاف نضيف أن المدركات التوراتية المتباينــة كانت بين مختلف الكنائس المسيحية سبب رفضها جميعها نفس الأسفار ، كما أنها حتى الآن ليس لها فى اللغــة الواحــدة الأفكــار الواحــدة عن الترجمة ••• وهكذا يبدو اســهام الانسان فى نص العهد القـــديم عظيما » •

وحين يتحـــدث عن « أصــل التوراة » قبل أن تصبح مجمــوعة أسفار يقول عنها : انها كانت تقليدا شعبيا يرتل عفويا من الذاكرة التى كانت فى الاصل الوسيلة الوحيــدة لتداول الافكار •• ويعلن أن العهد القــديم مجمـــوعة مؤلفات غير متساوية الطــول ومختلفة النــوع كتبت خلال أكثر من تســعة قرون فى لغات عدة أخذا بالســـماع ، ويفصل هذا الاجمال بذكــر تاريخ الشعب الاسرائيلى ليبين عمــل كل عصر فى تلك المـــؤلفات التى هى أســـفار العهد القديم ، ويجعــل للأنبياء قبل النفى الى بابل اسفارا ، والنفى حدث سنة ٥٨٥ قبل الميلاد ، وبعد النفى مشـــيرا الى ازدهار الكتابة فى عهــد المملكة الشـمالية

والجنوبية لهذا الشعب الذى « أنشد كثيرا وأجاد » ويخص أسفار موسى بالحديث (التوراة بالاسم السامى) وهى خمسة أسفار أو خمسة أجزاء : سفر التكوين وسفر الخروج وسفر الاخبار ، وسفر العدد ، وسفر التثنية ، وهى التى تشكل العناصر الخمسة الاولى من مجموعة التسعة والثلاثين كتابا من العهد القديم ، وقد مهد لهذا قبلا قائلا : « فقد اختلط الوحى بكل هذه الكتابات ولا نعرف اليوم الا ما تركه لنا منه الذين عالجوا نصوصه حسب هواهم وفقا للظروف التى وجدوا فيها ، والضرورات التى واجهوها . » ويعلق المترجمون على هذا القول : (١) بأن هذا الكلام من الأهمية بمكان ، وأن على الذين يقرءون هذه الكلمات التى يكتبها فرنسى فى أواخر القرن العشرين أن يروا فيها شهادة مشاهدة على اعجاز القرآن ، وأنه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وعلى صدق دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن يعترفوا بالحق ، وصدق الله تبارك وتعالى اذ يقول **« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون »** البقرة ٧٩ .

والكاتب الفرنسى نفسه يقول : « ذهبت اليهودية والمسيحية عبر قرون طويلة الى أن مؤلفها هو موسى نفسه » ونحن — المسلمين — لا نقر بأن موسى هو مؤلف التوراة ولكنا نعتقد أن تغييرا ماحدث فى آياتها . وبعد سياحة منه فى تاريخ الشعب اليهودى والكتابات المتوالية بتولى العصور قام بوضع قائمة يبين فيها بالدراسة والموازنة ما يخص (النص اليهودى (الله) والنص الكهنوتى من ١ الى ١١ من سفر التكوين ، ولسنا فى حاجة الى ايرادها مكتفين بما سجله من تناقضات سنشير الى

(١) ص ٢٢ من الكتاب .

بعضها مما كتبه هو وسجله فهو يقول : ان فى سفر التكوين تناقضات صريحة مع العلم المعاصر وهى فى الموضوعات الآتية :

(أ) خلق العالم •

(ب) تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الانسان على الارض •

(جـ) رواية الطوفان •

وقد تناول هذه الموضوعات بحيدة تامة كما هو منهجه ، ففى « خلق العالم » قال : فى سفر التكوين روايتان متقاربتان : الرواية الاولى فصلت عمل الاله الذى تم عمله فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع • رفض المؤلف هذه الرواية لم ؟ يؤكد أنه من الجلى أن الاستراحة التى أخذها الله بعد عمل دام ستة أيام هى أسطورة وهى كهنوتية من الأحبار ، وغير مقبولة من وجهة النظر العلمية ، « اننا نعلم تماما فى أيامنا أن تكوين العالم والارض قد أنجز فى مراحل ممتدة فى عهود زمنية متطاولة جدا لا تسمح المعطيات المعاصرة بتحديد مداها حتى التقريبى •• بل ولو انتهت الرواية فى اليوم السادس ولم تذكر السابع السبت الذى استراح فيه الله ــ جل الله وتعالى عن ذلك ــ كما يقول المترجم • بل ولو كان هو الحال بالنسبة للرواية القرآنية، قد سمح بالاعتبار بأن المراد فى الواقع فترات غير محدودة ، لا أيام بمعناها الحرفى ، فان ذلك كله لا ينقص من ضرورة رفض الرواية الكهنوتية ، لأن تتابع هذه الاحداث هو فى تناقض صريح مع القيم العلمية الاولية » وواضح من سياق الرواية أن الاحبار يريدون أن يجعلوا من السبت يوما مقدسا للراحة موصولا بالله الخالق ولم تتعرض الرواية الثانية للتدقيق الذى سجلته الرواية الاولى (فصلت اليوم الاول خلق كذا واليوم الثانى خلق كذا الخ) ولم ينقد منها مفندا الا تلك الآية : « زرع الله بستانا فى الوقت الذى خلق فيه الانسان » فقد نبه على الخطأ بقوله : وهكذا كان ظهور النبات فى الوقت ذاته الذى ظهر فيه الانسان على الأرض ، وهذا ليس بصحيح علميا ، فقد ظهر

الانسان على الارض بعد وقت طويل جدا من حملها النبات مع العلم بأننا لا نعرف كم من مئات الملايين من السنين كانت قد مضت بعد ظهور الحدثين .

وينتقل المؤلف الى « تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الانسان على الارض » فيرفض التقويم العبرى الذى يفيد أن الانسان ظهر منذ ٥٧٣٦ فى سنة ١٩٧٥ من خلق العالم ـ كما اشار الى ذلك فى المدخل ـ وبعد أن يغض النظر عن الفارق بين الحساب القمرى والحساب الشمسى يقرر « أننا (١) نحدد وضع خلق العالم فى هذا التقدير العبرى بنحو سبعة وثلاثين قرنا تقريبا قبل المسيح . فماذا يعلمنا العلم الحديث ؟ انه لمن الصعوبة بمكان الاجابة عما يتعلق بتكوين العالم ، وكل ما يمكننا تحديده هو عصر تكوين النظام الشمسى القابل بأن يوضع فى الزمن بصورة تقريبية مقنعة ، والمقدر أن الزمن الذى يفصلنا عنه هو أربعة مليارات ونصف من السنين ، وهكذا نقيس اذن الخط الذى يفصل الحقيقة المؤكدة اليوم عن المعطيات المستخلصة من العهد القديم .. »

وقد عنى المؤلف بنسب ابراهيم حسب ما جاء فى التوارة ، وبدأ بموت آدم سنة ٩٣٠ وانتهى بموت ابراهيم سنة ٢١٢٣ واستخلص من الانساب الواردة فيها أن مولد ابراهيم بعد آدم بـ ١٩٤٨ سنة ، وهذا التدقيق فى اثبات آباء ابراهيم الى آدم لا أصل له فى المعتقد الاسلامى الا فيما يتعلق بحياة نوح ، فقد ثبت بالقرآن أنه لبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما . والتوارة جعلت تاريخ ولادته ١٠٥٦ بعد آدم ومدة حياته ٩٥٠ عاما وتاريخ وفاته بعد خلق آدم سنة ٢٠٠٦ ، لكن هذا التدقيق فى السلالة وتقدير زمن كل أب لم نجده من ابراهيم الى العصر المسيحى كما كان قبل ابراهيم ، وبعد أن يفيض فى الحديث عن نسخ التوارة ومعطياتها التاريخية

---

(١) ص ٤٠ من الكتاب .

«الخاضعة للهوى» يعلن أنه لم يعد بالامكان عقليا فى القرن العشرين تقدير الزمن اســـتنادا لمثل هذا الوهم • ويقول ويمكن الاقتناع بأن الانسان وجد على الارض بكفايته الذهنيـــة والعمليـــة التى تميزه عن الكائنات الحية المشابهة له بعـــد تاريخ يمكن تقديره ، ولكن أحـدا لا يملك أن يحدد تاريخ ظهـــوره بدقة • ويمكن التأكيد بأنه وجدت فى هذه الأيام آثار انسانية مفكرة فاعلة بحسب قدمها فى وحـــدات زمنية وقوام كل منهـــا عشرات الآلاف من السنين •• فهناك اذن تناقض واضـــح بين ما يمكن استنتاجه من المعطيات الرقمية من سفر التكوين فيما يتعلق بتـاريخ ظهور الانسان على الارض والمعارف العلمية الاكثر ثبوتا فى هذا الزمان •

ويتحدث عن « الطوفان » وينقل عن سفر التكوين روايتين ذكرتا فى الفصول ٦ ، ٧ ، ٨ منه ، وينص على التناقض الذى أرجعه الى أنه ناتج من وجود مصدرين متمايزين : المصدر اليهوى ، والمصدر الكهنوتى وقد توالت عناصر كل مصدر مـع عناصر المصدر الآخر ممـــا غش الحقيقة بالخطـــأ •• والرواية فى مجملها : لما كان فساد الناس قد عم، فقد عزم الله على افنائهم مع جميع الخلائق الاخرى فأخبر نوحا وأمره أن يصنع فلكا وأن يحمل فيه زوجته وأولاده الثلاثة مع زوجاتهم الثلاث وغيرهم من المخلوقات الحيـــة الاخرى والمؤلف لا ينساق مـــع الرواية بل يرجع الى المصـــدرين ناقدا ومعلقا هكذا : المصـــدران يختلفان بالنسبةالى هذه الاخيرات، فبينما يشير فى مقطع من الرواية (هو من أصل كهنوتى) أن نوحا قد أخذ معه زوجا من كل نوع يثبت فى مقطع آخر (من أصل يهوى) أن الله أمره بأن يحمل معـــه من الحيوانات الطاهرة فقط سبعـــة من كل نوع ذكـــرا وأنثى ، ومن الحيوانات النجسة زوجا واحدا! •• وبعد قليل يثبت أن نوحا لم يدخل معه فى الفلك الا زوجا واحدا من كل واحـــد من الحيـــوانات •• والاختصـــاصيون مثل (دوفو) يؤكـــدون بأن المعنى هـــو مقتطـــع من الرواية الكهنوتيـــة

المحرفة ، ويعلق المترجم هنا قائلا : انا كمسلمين نعتقد بما ورد فى القرآن ولايزيد وهو قوله تعالى : **« قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول »** وأضيف الى ذلك أن القرآن قد جعل الطوفان خاصا بقوم نوح ولم يجعله عاما كما أنه انفرد بذكر ابن نوح الضال ، وهذا يغنى عن ذكر الطوفان فى الجزء الثلث وقد عالجه المؤلف بتوسع واعجاب .

ولنساير المؤلف فى عطائه الفكرى فهو يسوق لنا أن فقرة (من أصل كهنوتى) تظهر أن سببه ماء المطر وينابيع الارض معا ، وقد غمرت المياه الارض كلها حتى أصابت ذرا الجبال ، وانعدمت فيها كل حياة ، وبعد أن غيض الماء خرج نوح بعد سنة من فلكه التى استوت على جبل (أرارات) وأضاف أن الطوفان بحسب المصادر كان ذا مدة مختلفة هى أربعون يوما حسب الرواية اليهودية (١) ومائة وخمسون يوما حسب الرواية الكهنوتية ، والرواية اليهوية لا تحدد الوقت الذى جرى فيه الحادث فى حياة نوح ، ولكن الرواية الكهنوتية تذكر أنه وقع ، ولنوح من العمر ستمائة سنة ، وهذه الرواية بالذات توحى ببعض الملاحظات على أقلمتها فى أنسابها بالنسبة الى آدم وابراهيم ، فلما كان نوح قد ولد حسب الحسابات المجراة فى افادات سفر التكوين بعد ١٠٥٦ سنة من آدم فيكون الطوفان قد حدث بعد ١٦٥٦ سنة من خلق آدم . هذا ويذكر سفر التكوين أن الطوفان حصل قبل ٢٩٢ من ولادة ابراهيم وأن الطوفان أصاب النوع البشرى وقضى على جميع الكائنات الحية ، ثم أعيد بناء الانسانية انحدارا من أبناء نوح الثلاثة وزوجاتهم بحيث انه لما ولد ابراهيم بعد ثلاثة قرون تقريبا كانت قد تكونت مجتمعات ، فكيف فى هذا الزمن القليل يكون وجود تلك المجتمعات التى عاصرها

---

(١) الله باللغة العبرية .

ابراهيم ؟ ويعلن أنها تناقض المعارف العلمية • وللتمثيل على ذلك نسوق الفترة التى سبقت المملكة الوسطى (٢١٠٠ قبل المسيح تقريبا) فى مصر ، وهى تاريخ المرحلة الاولى المتوسطة قبل الاسرة الحادية عشرة ، بينما كان فى بابل الاسرة الثالثة (لأور) ونحن نعرف تماما بأنه لم يكن ثمة من انقطاع فى هذه المدنيات ، وبالتالى ليس من فناء عام أصاب الانسانية جمعاء كما أرادت التوراة •

وعلى هذا فانه لا يمكن اعتبار ما جاء فى التوراة كما لو كانت حاملة سردا مطابقا للحقيقة ، والله لا يعلم الناس بواسطة الاوهام — هكذا يقول — الامر الذى ينتهى بنا الى الوصول بصورة طبيعية الى آثار افتراض تشويه حصل بواسطة الناس أو تقاليد نقلت حرفيا من جيل الى جيل •

وكما تحدثت الأديان عن الطوفان تحدثت الأساطير ، وقد نقل الينا الكاتب عباس العقاد فى كتابه « أبو الأنبياء » قصة الطوفان وان كانت أسطورة الا أنها تشير الى وقوع الحادث ، وسأذكرها هنا لطرافتها • يقول العقاد :

تؤلف قصة الطوفان البابلية من اثنى عشر فصلا على حسب البروج ، وراوى القصة يسمى (أسديار) وقد عبر بحر الموت ليصعد الى السماء ويلقى (زستور) الذى ارتفع اليها بعد نجاته من الطوفان • والباقى من ألواح هذه القصة فى المتحف البريطانى يحكيها على هذا المثال :

« ابن بيتا واصنع سفينة تحفظ النبات والحيوان ، واخزن البذور، واخزن معها بذور الحياة من كل نوع تحمله السفينة وليكن طولها ستمائة قدم فى ستين عرضا ••• وتدخل السفينة وتحكم اغلاقها ، وتضع فى سطحها الحبوب والمتاع والأزواد والخدم والجند ، وتضع فيها كذلك أجناس الوحش لتحفظ ذريتها ••• وقال الله ليلا : انى سأرسل السماء مدرارا ، فأدخل الى جوف السفينة ، وأغلق عليك بابها ، وتغطى وجه الأرض ، وهلك كل ما عليه من الأحياء ، وفار الماء حتى بلغ السماء ،ولم ينتظر أخ

أخاه ولم يعرف جار جاره ، ستة أيام وست ليال والريح تعصف والأنوار تطفىء ، ثم كان اليوم السابع فانقطع المطر ، وسكتت العاصفة ، وانحسر البحر وانتهى الطوفان • وعج البحر بعد ذلك عجيجه ، واستحال الناس طينا ، وطفت أجسادهم على وجه الماء • ثم استوت السفينة على جبل (نيزار) ••• وأرسلت أنا الحمامة فذهبت وعادت ولم تجد من مقر تهبط عليه ، فأرسلت عصفور السمانة فعاد وما هبط على مكان ، وأرسلت الغراب فراح ينهش الجثث الطافية ولم يرجع ، ثم أطلقت الحيوانات فى الجهات الأربع ، وبنيت على رأس الجبل مذبحا فقربت لديه قربانا وفرقته فى آنية سبعة وفرشت حوله الريحان ، وشمت الأرباب رائحة جيدة فاجتمعت على القربان ، ونظرت أعاظم الأرباب من بعيد ، وارتفعت أقواس السحاب تحييها عند اقترابها » ص ٢٠٣ من كتاب « أبو الانبياء » ويعلق العقاد على القصة : وقد حلم المنقبون أن هذه القصة منسوخة من مصدر قديم أقدم منها ، فهذه الألواح لا يقل تاريخها عن ألفين وخمسمائة سنة ، والمصدر الذى نقلت منه يرجع الى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد •

وهذه القصة البابلية فيها مشابه مما ذكرته التوراة غير أنها تؤيد الكاتب الفرنسى من حيث البعد الزمن ، واستواء السفينة أخذ أسماء متعددة ، (أرارات) كما ذكرت التوراة ، (والجودى) كما ذكر القرآن و (نيزار) كما ذهبت القصة البابلية وهذه الاسماء لجبل فى شمال العراق حوى هذه امكنة ، وكلها تفيد وقوع الحادث فى بلاد النهرين •

على أن موقف المسيحيين من الأخطاء العلمية لنصوص التوراة أخذ مساحة كبيرة من الجدل بين مؤيد ومعارض فى دراسات كثيرة ومتصلة ، والذى يعنينا قول المؤلف فى هذا الموقف : « ان ذكر كل هذه المواقف من الكتاب المسيحيين تجاه الاخطاء العلمية فى نصوص التوراة يوضح جيدا الاستياء الذى تجلبه ، واستحالة

تحديد موقف منطقى غير موقف الاعتراف بمصدرها البشرى ، واستحالة قبولها على أنها جزء من الوحى •• » •

المسيحية والأناجيل

فى بحث عميق ضاف تناول الكاتب الفرنسى موريس بوكاى المسيحية مؤرخا لها ، مبينا نشأتها متحدثا عن صراعاتها ، دارسا أناجيلها ، مستخدما المعطيات الحديثة فى نقد نصوصها ، ناقلا عن آباء الكنيسة حينا ، وعن المفكرين حينا آخر ، وانك ستجد تحت كل عنوان من العنوانات الآتية معلومات قيمة يحسن الوقوف عليها مثل : « عودة تاريخية اليهودية ــ المسيحية والقديس بولس » « والاناجيل الاربعة مصادرها وتاريخها » (انجيل متى) و (انجيل مرقس) و (انجيل لوقا) و (انجيل يوحنا) وهى الأناجيل القانونية المعترف بها من الكنيسة ، والمتعبد فى ضوئها « مصادر الاناجيل » و «تاريخ النصوص» و «الاناجيل والعلم الحديث » و « تضاد الروايات واستحالاتها » وأخيرا « الخلاصة » ودراسة هذا القسم بفصوله وبحوثه يقفك على كثير من معالم الديانة المسيحية ، وموقف الدارسين لها ولاسيما فى العصر الحديث حيث أتيح لكل ذى رأى صائب أن يدلى به وأن ينشره ، لأن أزمانا متطاولة مرت وعملت أن تكتب الرواية وأن تزيد فيها أو تنقص حسب « النضال » أو « المناسبة » كما يقول الكاتب•

وأول مايطالعك به نشأة المسيحية والاتجاهات التى كان لها تأثير فيها ،ومن الغريب أنه يصدم المؤمنين بالأناجيل على أنها شهادات لا ريب فيها عن الأحداث التى شغلت وجود المسيح ووعظه ــ يصدمهم « بأن هذا الاسلوب لابراز الاشياء لايتفق مع الواقع أبدا •• » « وينبغى أن يعرف فيما يخص عشرات السنين التى تلت رسالة المسيح بأن الاحداث لم تجر مطلقا كما قيل ، وأن مجىء (بطرس) الى (روما) لم يركز أبدا الكنيسة على أسسها ، بل على العكس ، لقد شاهدنا خلال أكثر

من قرن بين الفترة التى ترك فيها المسيح هذه الارض وحتى منتصف القرن الثانى معركة بين اتجاهين : بين مايمكن أن نسميه المسيحية البولسية (نسبة الى بولس الرسول) واليهودية ــ المسيحية (نسبة الى من اعتنقوا المسيحية من اليهود) .

والاتجاهان بدت بينهما العداوة الى درجة أن اليهود المسيحيين وقد بقوا اسرائيليين أمناء وصفوا (بولس) بالخيانة والعداء والازدواجية المداهنة ، ويفهم من مجرى الحوادث أن اتجاه (المسيحية اليهودية) كان لايريد الانفتاح على الوثنيين على أن بولس يرى عكس ذلك ، فقد أسقط بولس الختان والسبت ومراسم المعبد حتى بالنسبة الى اليهود ، وقد كان على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسى الدينى لتنفتح على الوثنيين أى على غير اليهود .

ويؤرخ الكاتب لانتصار « المسيحية البولسية » بقوله :

« لما كانت اليهود قد ضعفت فى الامبراطورية (الرومان) فقد اتجه المسيحيون الى الانفصال عنهم (عن اليهودية المسيحية) فهيمن المسيحيون اليونان ، وحقق بولس نصرا بعد موته ، وتخلصت المسيحية اجتماعيا وسياسيا من اليهودية المسيحية المهيمنة ثقافيا حتى الثورة اليهودية الاخيرة سنة ١٤٠ م .

وبعد هذا مباشرة يؤرخ لظهور الأناجيل الاربعة المعتمدة من الكنيسة فيقول : « (١) ومنذ سنة ٧٠ حتى مرحلة هى قبيل سنة ١٤٠ م ظهرت أناجيل مرقس ومتى ــ ولوقا ويوحنا ، فهى لاتمثل الوثائق الثابته الاولى للمسيحية لأن رسائل بولس سابقة جدا عليها ، اذ يرى (كولمان) أن بولس قد حرر رسالته الى أهل (تسالونيك) عام ٥٠ م ولكنها اختفت على الأرجح قبل بضع سنوات من انتهاء انجيل مرقس»

وينقل المؤلف عن الكاردينال (دانييلو) نهاية اليهود المسيحيين

(١) ص ٥٧ من كتاب التوراة .. الخ .

مسجلا : « (١) بمجرد أن فصلوا من الكنيسة الكبرى التى تحررت تدريجيا من ارتباطاتها اليهودية قضى عليهم فى الغرب سريعا ، وتتبعت آثارهم فى الشرق من القرن الثالث حتى الرابع ، وبخاصة فلسطين والجزيرة العربية ، وشرق الأردن ، وسوريا وبلاد ما بين النهرين ، واندمج بعضهم فى الاسلام الذى كان وريث قسم من تعاليمهم ، بينما ارتبط البعض الآخر بأرثوذكسية الكنيسة الكبرى محتفظين بترسب ثقافى سامى ولايزال شىء منها موجودا فى الكنيسة الأثيوبية والكلدانية » •

ونعود الى الأناجيل فنراه يذكر أنها نقلت من الروايات الشفوية التى كانت سائدة بعد انتهاء عمل المسيح على الارض بسنين كثيرة ولا يعطى الكاتب تأكيدات الكنيسة التاريخية للأناجيل صفة الموافقة ، فينقل عن الأب (٢) (كننغسر) قوله : « لاينبغى الأخذ حرفيا بالأناجيل وهى « مكتوبة بالمناسبة» أو «للنضال» والتى « أورد الكتاب خطيا روايات جماعاتهم عن المسيح » ان الأناجيل نصوص « تندمج فى أوساط مختلفة ملبية حاجات الكنائس ، معبرة عن تفكير فى الكتب المقدسة مصححة الاخطاء ومجيبة حتى فى المناسبة على حجج الخصوم •• هكذا جمع الانجيليون كل مانقل اليهم رواية وكتبوها حسب رؤيتهم الخاصة » « ترجمة مسكونية للتوراة » •

ومن هنا بدأ يفرد دراسة خاصة عن كل انجيل ، والتعريف بمن نسبت اليهم ، وجعل (انجيل متى) أولا ، وان كان (انجيل مرقس) أقدمها ، لأن انجيل متى « فى صورة ما ليس الا امتدادا للعهد القديم ، انه قد كتب ليعرف بأن عيسى يكمل تاريخ اسرائيل » كما يفيد شراح الترجمة المسكونية •

وانجيل متى يبدأ بنسب المسيح

---

(١) ص ٥٨ المصدر نفسه .
(٢) ص ٦٢ من المصدر نفسه .

ويرجعه الى ابراهيم بواسطة داود ، وفى سرده يركز على الأسس الكبرى من صلاة وصوم وصدقة ـ كما هو القانون اليهودى ـ ويقول المؤلف : « (١) يريد عيسى أن يوجه تعليمه أولا الى شعبه وبالأفضلية فيقول الى الاثنى عشر رسولا : « لاتسلكوا طريقا الى الوثنيين ، ولا تدخلوا مدينة للسامريين ، بل اذهبوا نحو الخراف الضالة من آل اسرائيل » (متى ١ ، ٥ ، ٦) « لم أرسل الا الى الخراف الضالة من آل اسرائيل » (متى ١٥ ـ ٢٤) وفى ختام الانجيل يعرض متى لكل الأوطان رسالة تلاميذ المسيح الأوائل معطيا اياهم من هذا التوجيه : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم » (متى ٢٨ ـ ١٩) ولكن ينبغى تفضيل الذهاب نحو « بيت اسرائيل » ويقول (أ ـ تريكو) عن هذا الانجيل « من تحت الكساء اليونانى فان الكتاب يهودى لحما وعظما وفكرا له منه الرائحة والعلامات المميزة » فكأن متى يريد أن يجعل رسالة المسيح خاصة لاعامة .

ويميل المؤلف الى أن تأليف الانجيل قام به متى فى سوريا . ويمكن أن يكون فى أنطاكية أو فى فينيقيا لأنه كان يعيش فى هذه المناطق عدد كبير من اليهود ، ويصف منهجه فى الكتابة « بأن متى تصرفبالنصوص بحرية جادة فيما يخص العهد القديم عند ذكر نسب عيسى الذى صدر به انجيله فأدخل فى كتابه روايات لاتصدق» ويقول فى موضع آخر « هذا ويضرب متى فى روايته لأحداث رافقت موت عيسى مثلا آخر لتحرره اذ يقول : « واذا ستار الهيكل قد انشقشطرين من الأعلى الى الاسفل وزلزلت الارض وتصدعت الصخور وتفتحت القبور ، فقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ، فدخلوا المدينة المقدسة ، وتراءوا لأناس كثيرين»

(١) ص ٦٢ المصدر نفسه .

ويعلق المؤلف على تلك الروايـــة بقوله : ان هذه الفقـــرة من متى (٢٧ ــ ٥١ ــ ٥٣) لامثيل لها فى الأناجيل الاخرى • أنا لا أفهـــم كيف أن أجساد القديسين المعنيين بعثت من موتها ساعة موت المسيح (ليلة السبت تقول الأناجيل) ولم تخرج من قبورها الا بعد قيامته (فى اليوم التالى ليوم الســـبت حسب نفس المصـــادر) ويناقش المؤلف المدة التى مكثها المسيح فى قبره ، وينهى حديثـــه عن هـــذا الانجيل بقوله :وزيادة عما يختص به انجيل متى من الاســـتحالات فانه قبل كل شىء انجيل طائفـــة يهودية ــ مسيحية » •

وحين يتحدث عن (انجيـــل مرقس) يصفه « (١) بأنه أقصر الأناجيل الاربعة وأقدمها ، ولكنه ليس كتاب رسول ، وكل مافيـــه أنه كتاب محرر من تلميذ رسول » ويؤرخ لتأليف انجيل مرقس بأنه « على أقرب تقدير ما بين ســـنة ٦٥ وسنة ٧٠ بحســـب الترجمة المسكونية وحوالى سنة سبعين فى نظر (كولمان) ويصف قدرة مرقس فى التأليف ناقلا عن الاب روغيـــه « كاتب غير ماهر » « انه أسخف الانجيليين طرا » ويجعله فى بعض الوقائع على خلاف مع متى ولوقا بالنسبة لمعجزات المسيح ، وضرب مثلا بآية يونان (يونس) فمتى يروى بينما عيسى وســـط كتبة وفريسيين يحدثونه قائلـــين : « يامعلم نريد أن نرى منك آية » أجابهم « جيل فاسد فاسق (هكذا) يطلب آية ، ولن يجعل له ســـوى آية النبى يونان • فكما بقى يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال فكذلك يبقى ابن الانســـان فى جوف الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال » (نص الترجمة المسكونية) •

أما مرقس فيروى كما يقـــول المؤلف حادثة لاتصدق (٨ ، ١١ ، ١٢) « فأقبل الفريسيون وأخذوا يجادلونه طالبين آية من الســـماء ليجربوه فتنهد من أعماق نفســـه وقال : « مابال هذا الجيل يطلب آية • الحق أقول لكم • لايجعل لهذا الجيل آية • وتركهم وعـــاد

(١) ص ٦٦ من الكتاب نفسه •

الى السفينة فركبها وعبـــر الى الشاطىء المقابل » وكان تعليـق المؤلف على تلك الرواية : « انـه تأكيد من عيسى نفســـه وبنيته بألا يأتى أى عمل يمكن أن يبدو خـارقا للعادة ، ولذلك فان شراح الترجمة المســكونية للانجيل حين يندهشون من اعـلان متى بأن عيسى لايعطى سوى آية واحدة هى آية يونان يرون من الغـريب أن يقول مرقس : « ان هذا الجيل لاتكون له آية » فى الوقت الـذى لاحظوا فيه بعد ذلك « المعجزات التى يقدمها عيسى نفسه كآيات » (لوقا ٧ ، ٢٢ ، ١١ ، ٢٠) •

ونأتى الى (انجيل لوقا) فنجد المؤلف الفرنسى يصدر كلامه عنه بقوله : ان لوقا فى نظر كولمان مؤرخ وفى نظر الاب كننغسر « قصاص بارع » انه يخبـرنا فى افتتاحيته الموجهة الى (تيوفيل) بأنه بعـد آخرين جمعوا أخبارا عـن عيسى سيكتب بدوره سيرة عـن نفس الوقائع مستعينا بهذه الأخبـار ، وبمعلومات الشهود (وهذا يعنى أنه لم يكن واحدا منهم) وكذلك المعلومات المأخوذة من مـواعظ الرسل فهو عمل منظم اذن يقدمه فى عبارات تفيد نقله عن غـيره متوخيا تتبعها كلها من اصولها غاية التتبع ، كاتبا لها مرتبـة ليتيقن تيوفيـل صـحة ما تلقى من تعليم (١) •

ويقرر أن لوقا كان أديبا وثنيا اهتدى الى المسيحية ، ولأنه وثنى دخل المسيحية يهتم بغير اليهـود مخالفا متى ومرقس اليهـوديين اللذين دخلا المسـيحية ، فمتى يطلب البعد عن السـامريين على حين لوقا يحسن علاقاته بهـم « وهذا مثل رهيب من كثير يوضح لنا أن الانجيليين كانوا يقـولون المسـيح ماينـاسـب رؤاهم الشخصية •• » •

ويترجـم لوقا بأنه طبيب ، ويستدلون على مهنته بألفاظـه ، ويعود فيشكك فى هذه المهنة قائلا: « والمفردات التى يستعملها هـى

(١) ص ٦٩ المصدر نفسه •

ذاتها التى يستعملها كل انسان مثقف فى زمانه » وقد كان يلازم بولس فى سفره رفيق اسمه (لوقا) فهل هو نفس هذه الشخصية ؟ ويحدد تاريخ انجيله « بأنه كان غالبا مابين (سنتى ٨٠ و ٩٠)وان كان كثير ينسبونه الى تاريخ أقدم » ويذكر أنه يختلف عن الانجيليين فيما يدونه من أخبار ، فأخبار طفولة عيسى خاصة به ، لأن متى يختلف عنه فى سردها ، ولايذكر مرقس كلمة واحدة عنها ، وهكذا ، فان أنساب عيسى لدى كل من متى ولوقا مختلفة ، فالتضاد بارز والاستحالة ظاهرة بالنسبة للنظرة العلمية ... »

هذا وان مؤسسة سر القربان المقدس (الأفخارسيتيا) التى هى ذات أهمية أساسية هى أيضا موضوع خلافات بين لوقا والانجيليين الآخرين » وكذلك يختلف معهم فى قيامة عيسى (١) .

أما (انجيل يوحنا) فهو ــ كما يقول المؤلف يختلف فى الأصل عن الثلاثة الأخر الى درجة أن الأب روغيه قال عنه فى كتابه : « مدخل الى الانجيل » « انه عالم آخر » وينبه الأب روغيه الى أنه فى الوقت الذى تنقل فيه اللوائح كلمات المسيح بأسلوب « مؤثر أكثر قربا من الأسلوب الشفوى » فانها عند يوحنا فى التأمل لدرجة « أننا نستطيع أن نتساءل أحيانا عما اذا كان عيسى هو الذى يتكلم أو أن أحاديثه قد وسعت دونما شعور من الانجيلى » .

من هو الكاتب ؟ انه سؤال موضوع جدال ، اذ الآراء تختلف كثيرا فى هذا الموضوع ، وملخص ماذكره المؤلف فى هذا الشأن هو : يذهب (أ ــ تريكو) والأب (روغيه) الى أن انجيل يوحنا عمل شاهد عيان ، أنه يوحنا بن زبدا وأخو يعقوب الرسول والصورة الشعبية تمثله قريبا من عيسى كما فى زمن العشاء السرى قبل الآلام ، وكتابة هذا الانجيل فى زمن متأخر ليس حجة مقبولة

(١) ص ٧٠ من الكتاب نفسه .

ضد هذا الموقف ، وقد كتب نحو نهاية القرن الأول ، وتحديد موعد الكتابة هذه بعد ستين سـنة من المسيح يتفق مع وجود رسول فى شرخ الشـباب زمن عيسى عاش حوالى القرن •

وقد توصل الأب (كننغسر) فى دراسته عن القيامة الىأن أى كاتب من كتاب العهد الجديد (الاناجيل) ماعدا بولس لايمكنه أن يدعى أنه شاهد عيان لقيامة المسيح ، ومع ذلك فان يوحنا يروى الظهـــور للرسل المجتمعين • وتؤكد الترجمة المسكونيةللتوراة أن أغلبية الناقدين لاتتبنى فكرة التحرير من الرسول يوحنا ، ولكن كل شىء يوحى بأنه كان للنص المنتشر حاليا كتـــاب عـــديدون ، « وان من المرجح أن الانجيل كما هو بين أيدينا نشره تلاميذ الكاتب الذين أضافوا الفصل ٢١ وبعض الحـــواشى كمـا فى (٤ ، ٢) •

وانجيل يوحنا ينفرد بأخبــار ، وينقص عن غيره أخبارا ، وممـــا نقصه خبر تأسيس الافخارستيا ، وينفرد برواية ظهور عيسى القائم من القبر لتلاميذه على صفحة طبريا (يوحنا ٢١ ، ١ ، ١٤) •

« وثمة خلاف هام آخر بـــين انجيل يوحنا والاناجيل الثـــلاثة الاخرى هو مدة مهمة عيسى، فبينما يحددها مرقس ومتى ولوقا بسنة فان يوحنـــا يطيلها الى اكثر من سنتين ••• » ويختم بحثـــه فى انجيل يوحنا بقوله : « فمن يجب علينا أن نصدق اذن مرقس أو متى أو لوقا أو يوحنا ؟ » •

ويبدو لى من دراسة ما خطــه الكاتب فى بحث (١) « مصـــادر الاناجيل » أن هناك دراســـات موسعة معاصرة فى هذا الامر ، وما من شك فى أنه كانت روايات شفوية قبل ظهور الاناجيل ، وأن لليهــود الذين دخلوا فى المسيحية اتجاهـا يميل بهم الى مسلك العهد القـديم وأن الأمميين (غير شعب اسرائيل) لهم اتجاه آخر ، وأن الروايـــات صارت مدونات هى الاناجيل الكثيرة

---

(١) ص ٧٤ من المصدر نفسه •

ومنها الاناجيل الاربعة المعتمدة من الكنيسة والتى سبق الحديث عنها فى ضوء معطيات المؤلف القائل « ولقد عولج موضوع المصادر بأسلوب مبسط جدا فى عصر آباء الكنيسة فكانت المخطوطات الكاملة تشهد لانجيل متى بأنه الاول كما كان يعتبر بأنه المصدر الوحيد لتاريخ المسيحية فى القرون الاولى وقد طرحت مسألة المصادر فقط بالنسبة لمرقس ولوقا أما يوحنا فقد كانت له حالة خاصة ، وقد كان القديس (أواغسطين) يرى أن مرقس وهو الثانى فى الظهور فى ترتيب العرف قد اقتبس من متى ولخصه ، وأن لوقا وقد حل ثالثا فى المخطوطات قد استعمل معطيات الاثنين •• » وبمطابقة النصوص فى الأناجيل وترقيم آياتها جاءت المطابقة كالآتى :

آيات مشتركة بين اللوائح الثلاثة ٣٣٠ •

آيات مشتركة بين مرقس ومتى ١٧٨ •

آيات مشتركة بين مرقس ولوقا ١٠٠ •

آيات مشتركة بين متى ولوقا ٢٣٠ •

بينما يجعلون الآيات الخاصة بكل واحد من الانجيليين الثلاثة الأوائل هى ٣٣٠ لمتى و ٥٢ لمرقس و ٥٠٠ للوقا •

يقول المؤلف : وقد مضت ألف وخمسمائة سنة منذ آباء الكنيسة حتى نهاية القرن الثامن عشر دون أن تثار أية مشكلة جديدة عن مصادر الانجيليين ، وذلك لانهم كانوا يخضعون للتقليد •

وبعد الابحاث المعمقة فى العصر الحديث وايراد نقد كولمان للمصادر فى نقطتين هما أن مرقس الذى اقتبس منه لوقا ومتى ليس هو انجيل مرقس ، بل هو كتاب سابق وأنه ليس فى هذه الصورة (التى جاءت فى المصادر) اهتمام كاف بالرواية الشفوية التى احتفظت خلال ثلاثين أو أربعين سنة بكلمات عيسى وأخبار رسالته فى الوقت الذى لم يكن فيه كل انجيلى الا ناقل كلمة الطائفة المسيحية التى ضبطت العرف الشفوى • وبعد جولات وجولات يخرج علينا

بخلاصة كل هذا « أننا لدى قراءة الانجيل لانوقن بأننا نتلقى كلام عيسى ، وأن الأب (بنوا) ليتوجه لقارىء الانجيل ويحذره من ذلك ويقدم له بديلا ، فيقول : « اذا كان لابد لأحدنا من التخلى عن سماع الصوت المباشر لعيسى فى أكثر من حال فانه يسمع صوت المعلم الكنيسة ويثق بها ، وكأنها تكلمنا فى مجده بعد أن كلمنا قديما فى الارض » ويعلق على ذلك : « فكيف يمكن التوفيق بين هذا التأكيد الصريح عن عدم أصالة بعض النصوص مع عبارة الوثيقة الايمانية عن الوحى الالهى فى المجمع الفاتيكانى الثانى التى تؤكد لنا على العكس النقل الامين لعبارات عيسى ؟ ويدخل فى بحث « الاناجيل والعلم الحديث » فيصدره بنسب المسيح ويسوق تحفظا قبل أن يفند التناقضات التى جاءت فى سلسلة النسب بين انجيل متى وانجيل لوقا فيقول : « وينبغى أن يلاحظ أولا أن هذه الأنساب المتعلقة بالذكور غير ذات معنى بالنسبة للمسيح ، بل انه كان يجب تحديد نسب له وهو ابن مريم العجيب والذى ليس له أب بيولوجى ، فينبغى أن يكون نسبا لأمه مريم ... » ولو أن هذا التحفظ سلكه واهتم به لكان أولى من دراسة النسب فى كل من الانجيلين ، ولكنه بصدد أن يبين التناقضات التى جعلته يقول فى ختام حديثه : « ولعل أنساب عيسى فى الانجيل هى الموضوع الاهم الذى أثار بهلوانيات الشراح المسيحيين الفلسفية البارزة بنسبة تصرفات لوقا ومتى المستندة الى الهوى » (١) ولأغناء ما ذكره فى القسم الثالث حين عقد (٢) « موازنة بين القرآن والاناجيل والمعارف الحديثة لقد وضع القرآن عيسى من خلال نسبه الاموى على خط نوح

(١) ص ٩٣ من الكتاب نفسه .
(٢) ص ١٨٢ من الكتاب نفسه .

وابراهيم ووالد مريم (عمران كما هو فى القرآن) (سورة ٣ آية ٣٣ ــ ٤٣) •

« ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض » بل هناك أخبار كثيرة عن عيسى فى القرآن أسرة عمران وأخبار مريم بولادتها المعجزة لعيسى ، ورسالة عيسى ومعجزته ، وقد ابتعد القرآن عن سلسلة الانساب التى يرجعها الانجيل الى الآباء ولاتذكر مريم ، ويسجل أنه « لاتوجد فى القرآن أخطاء الاناجيل الاسمية المتعلقة بنسب عيسى ، واستحالات النظام النسبى الذى لدى العهد القديم فيما يتعلق بنسب ابراهيم الذى درسناه فى الجزء الاول والثانى من هذا الكتاب » وينحى باللائمة على « الذين يدعون دونما سند أن محمدا كاتب القرآن وأنه توسع فى النقل عن التوراة ، اننا نتساءل هنا عن الحجة وعمن صرفه أن ينسخها ، على الاقل فيما يخص نسب عيسى ليدرج فى القرآن بدلا منه التصحيح الذى جعل نصه بعيدا عن كل انتقاد يثار من المعارف الحديثة ، بينما نصوص الاناجيل بالمقابل ونصوص العهد القديم هى من هذه الزاوية غير مقبولة أبدا » وليعذرنى القارىء اذا خالفت منهج المؤلف هنا ، فتحدثت عن نسب المسيح جامعا الأقسام فى حيز واحد ، ولاعفى نفسى والقارىء من لائحة النسب فى كل من انجيل متى ولوقا •

ويدخل فى « تضاد الروايات واستحالاتها » فى الاناجيل ، فيناقش روايات الآلام ذاكرا قول الأب روغيه نفسه الذى يحدد الخلاف بأن (الفصح) فى الاناجيل الثلاثة مختلف زمنيا مع عشاء المسيح الاخير مع الرسل عنه فى الانجيل الرابع ، فبينما يضع يوحنا العشاء الاخير السرى قبل عيد الفصح يضعه الثلاثة الآخرون أثناء الفصح نفسه ، وهو اختلاف صريح مع الحقيقة ، ولا يمكن قبول هذه الواقعة بسبب وضع عيد الفصح المعين بالنسبة اليه ، « وعند مانعلم أهمية الفصح فى الطقوس الدينية اليهودية ــ وأهمية عشاء المسيح

الوداعى مع تلاميذه ، فكيف يتصور أن تفقد الذاكرة مركز أحدهما بالنسبة الى الآخر فى الرواية المنقولة فيما بعد عن الانجيليين ؟» •

وتختلف روايات الآلام بصورة عامة بين الانجيليين ، وبخاصة بين الاناجيل الثلاثة الاول وانجيل يوحنا ، ويشغل العشاء الآخير للمسيح والآلام حيزا كبيرا فى انجيل يوحنا يكاد يكون ضعفى الحيز الذى عند مرقس ولوقا •• ويروى يوحنا خطابا طويلا جدا للمسيح يملأ من انجيله أربعة فصول (١٤ — ١٧) أعطى فيه تلاميذه الذين يودعهم آخر توجيهاته ووصيته الروحية ، بينما لاتجد لذلك أى أثر فى الاناجيل الاخرى • وهذه الاناجيل تروى صلاة المسيح فى حديقة الزيتون التى لايتكلم عنها يوحنا •

والحدث الاهم الذى يصدم قارىء قصة الآلام فى الأنجيل يوحنا أنه لا يتعرض لأى ذكر لتأسيس سر (الأفخارستيا) خلال عشاء المسيح الاخير مع الرسل ، ويخرج من ذلك الى « أننا ندهش من صمت يوحنا عما يرويه الثلاثة الآخرون ، وصمت هؤلاء عما بشر به المسيح برواية يوحنا » ولايقبل محاولات التقريب بين يوحنا والانجيليين الاخرين للنقص الاكثر اضطرابا فى انجيل يوحنا •

ويسوق الاختلاف بين الاناجيل حول « قيامة عيسى وصعوده » بعد حديثة عن « ظهور المسيح المبعوث من الموت » ذاكرا نصوص الاناجيل مبينا اتجاه كل منها ، والتأويلات التى تعمل للتقريب بينها ثم يصل بنا الى •

أحاديث عيسى الاخيرة وبارقليط انجيل يوحنا

والبارقليط شغل مساحات كبيرة مكانية وزمانية ، وها هو ذا الكاتب الفرنسى يعالج أمره بمقتضى ما يهدف اليه ، ومن قبله تصدى له أناس كثيرون علهم يقفون على حقيقة أمره ، وكشف موقف رجال الدين منه ، ويوحنا هو الانجيلى الوحيد الذى نقل فى نهاية عشاء المسيح السرى وقبل توقيفه واقعة الأحاديث الختامية مع الرسل التى ختمت بخطاب

طويل جدا خصص له أربعة فصول من انجيله ، أشرنا اليها سابقا ، وهذه الفصول تعالج عند يوحنا مسائل أولية فى رؤى المستقبل ذات أهمية أساسية معروضة بأسلوب فخم واطار عظيم يتميز بها هذا المشهد الوداعى بين المعلم وتلاميذه .

وقارىء الأناجيل متعبدا بها وقارئها للمعرفة لابد أن يدور فى خلد كل منهما لماذا انفرد يوحنا بنقل ذلك الخطاب فى عشاء المسيح السرى دون غيره من انجيليين ؟ لذا كان من الطبعى أن يتساءل المؤلف الفرنسى :

هل كان يوجد النص ابتداء لدى الانجيليين الثلاثة الأوائل ؟ هل حذف فيما بعد ؟ ولماذا ؟ يقول : ولنبادر الى القول بأنه لاجواب على ذلك ، وسيبقى السر كاملا فى هذا النقص الضخم فى رواية الانجيليين الثلاثة اوائل .

موضوع الخطاب صورة مستقبل الناس التى نوه عنها عيسى ، وهاجس المعلم الذى يوجه تلاميذه وينصحهم ويأمرهم ويصف لهم بالتحديد ، من سيكون المرشد الذى يجب على الناس اتباعه بعد اختفائه ؟

ومن ثم كان « انجيل يوحنا هو وحده الذى يعينه بوضوح بالاسم اليونانى (بارقليطس) الذى أصبح باللغة الفرنسية حسب الترجمة المسكونية للتوراة ، العهد الجديد ، المقاطع اساسية « اذا أحببتمونى فستجتهدون فى المحافظة على أوامرى ، وسأعود الأب ، وسيرسل اليوم بارقليطا آخر « وهنا يدخل المؤلف فى الصميم :

ما معنى بارقليط ؟ يوضح معناه النص الذى بين أيدينا اليوم من انجيل يوحنا فى هذه الكلمات « البارقليط هو روح القدس الذى سيرسله الأب باسمى ، وسيعرفكم على كل شىء وسيذكركم بكل ماقلته لكم (١٤ — ٢٦) وسيشهد لى (١٥ — ١٦) انه فرصتكم حين ذهابى » « وفى الحقيقة فان البارقليط لن يأتى اليكم اذا لم أذهب . وعلى العكس فانى ان ذهبت فسأرسله اليكم ، وسيدهش بمجيئه العالم وسيفحمه

بمادة الخطيئة والعدل والحكم..» (١٦ ، ٧ ـ ٨) « وعندما سيأتى روح الحق فسيحملكم على الارض بالحـــق كاملا لأنه لن ينطق عن الهوى ، ولكنه سيقول ماسيسمعه وسيعرفكم بكل ماسيأتى » ولسوف يمجدنى » (١٦ ، ١٣ ـ ١٤) .

ويضع ملحوظة هى (للتذكير فان المقاطع غير الموردة هنا من الفصول ١٤ حتى ١٧ من انجيل يوحنـــا لا تغير مطلقا المعنى العـــام لهذه الافادات .

وقبل أن نورد مناقشات المؤلف نذكرك بأن النقاش كله حول معنى بارقليط ووصفه بالروح القدس ، ولذلك يقول المؤلف «لو قرأنا بسرعة النص الفرنسى المثبت لتطابق كلمة بارقليط اليونانية مع الروح القدس فانه غالبـــا لايستوقف الانتباه ، فضلا عن أن العناوين الصـــغرى للنص العام المستعملة فى الترجمات وعبارات الشراح الموجـــودة فى المؤلفات المعدة للعامة توجه القارىء الى المعنـــى الـــذى تريـــد (الأرثوذكسية) الطيبة أن تضفيه على هذه المقاطع » .

ماذا تريد الارثوذكسية ؟ وماذا يريد المؤلف ؟ يدخل بنا المؤلــف فى شروح ناقلا شرح (أ ـ تريكو) مبينا عدد المرات التى ذكر فيهـــا بارقليط بأنها أربع مرات تنطبق هذه الكلمة فى انجيل يوحنا على «الروح القدس » وفى الرسالة الى المسيح وقد كانت كلمة « بارقليط » رائجة بين اليهود الهللينيين من القـــرن الأول بمعنى « الشفيع والنصير » « وقد أعلن عيسى بأن الاب والابن سيرسلان الروح ، وستكون مهمته الخاصة أن يقوم مقام الابن الذى كان له دور المنقذ طيلة حياته الفانية فى صالح تلاميذه ، وسيأتى الروح ويتصرف كتابع للمسيح وبصـــفته بارقليط أو الشفيع القادر على كل شىء . يجعل هـــذا الشرح من « الروح القدس » اذن المرشـــد النهائى للناس بعد اختفاء عيسى ، فهل يتفق مع نص يوحنا ؟ ينبغى أن يطـرح هذا السؤال، لأنه أولا يبدو عجيبا أن نتمكن من نسـبة الفقرة الأخيرة الواردة آنفـا الى الروح القدس « انه لن ينطق من تلقاء نفسه ، ولكنه سوف يقـــول

ماسيسمعه ، **وسيعرفكم على كل ما سيكون** ، فكأنما يبدو غير قابل للتصور أن تنسب الى الروح القدس قدرة التحدث بكل مايسمع» وهذا السؤال لم يكن على العموم هدف شروح • هكذا قال المؤلف •

ولايترك الأمر عند هذا الحد بل يدخل فى مناقشات لفظية حول كلمة سمع وكلمة تكلم فى اللغات الفرنسية والانجليزية واليونانية ، ويخرج من بحثه بالنتائج الآتية :

١ ــ ان المقطع من انجيل يوحنا غير مفهوم مطلقا اذا قبلناه بكليته مع كلمتى « الروح القدس » الذى ينص على أن : « البارقليط » الروح القدس الذى سيرسله الاب باسمى وهى جملة تثبت الوحدة بين البارقليط والروح القدس وبحذف هاتين الكلمتين « الروح القدس » يصبح النص معبرا عن معنى شديد الوضوح ، وهو سيرسل الله الى الناس ببارقليط آخر أى شفيعا آخر للاصلاح •

٢ ــ وجود كلمتى الروح القدس فى النص كان حسب التقدير باضافة لاحقة مقصودة وهادفة الى تحريف المعنى الأساسى للمقطع الرابع الذى يخبر بمجىء رسول بعد المسيح يتضاد مع تعليم الكنائس المسيحية الناشئة التى تريد أن يبقى المسيح آخر الرسل •

وما ذهب اليه المؤلف أخبر به القرآن منذ أربعة عشر قرنا • قال تعالى : **« واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين »** الصف آية ٦ •

ويقول محمد لطفى جمعة رحمه الله فى كتابه « ثورة الاسلام » بعد أن شرح كلمة « البارقليط بأن معناها المعين والمدافع والنصير والمواسى فى اللغة اليونانية أن خبر المسيح « وسيعرفكم بكل ما سيأتى • ولسوف يمجدنى » ينطبق على النبى العربى محمد لأن رسالته كاملة وشريعته تامة ، وهو الذى مجد عيسى وعظمه وكرمه ونفى عنه كل المعايب التى ألصقها خصومه به وبأمه السيدة الصديقة

العذراء صفحة ٥١٠ من كتـــابه **بتصرف القرآن والاحاديث والعلم الحديث .**

من أول وهلة حين تناول الكاتب الفرنسى الوحى الاسلامى تحدث عن تيارين متوازيين : دهشته من توافق القرآن مع معطيات العـلم الحديث ، وموقف الغرب المعـادى لذلك الوحى ، فقد جاءت أحـكام الغرب ضالة كل الضلال متناقضة مع الحقيقة الى درجة الاعتقاد بأن الله (اله المسلمين) كمـا لو كان المسلمون يؤمنـــون باله غير اله المسيحيين .

وينبرى الكاتب للدفاع عن عقيدة المسلمين فيقول : « ان لفظة «الله» فى العربية تعنى الألوهية الواحدة، وهو معنى لا يستطيع النقـــل الفرنسى الدقيق ترجمته الى المعنى الصحيح للكلمة الا بمساعدة لفظة (الاله) والله هو بالنســبة الى المسلمين نفس اله موسى وعيسى .

ونحن المســلمين نقول : ان عجزهم عن فهم لفظ الجلالة اللـــه أتاهم من ضعفهم عن ادراك معانى ألفاظ اللغة العربية واستعمالاتها ، فخذ أصغر معجم وليكن مختـار الصحاح مثلا تجده يقول (أله ياله بالفتح فيهما الاهة أى عبد ومنه قولنا « الله » وأصله (الاه) على فعـال معنى مفعول ، لأنه مألوه أى معبود .. فلما أدخلت عليـــه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرته فى الكلام ، فالله هو الاله (١)

ويستطرد الكاتب الفـرنسى فى حديثه عن تجافى الغرب عن ادراك وحى الاسلام، ويذكر التقارب الذى قام فى أيامنا هـذه ، وينوه بالملك فيصل عاهل السعودية الراحـل ، ويذكر فضله بترغيبه فى معرفة اللغة العربية ليقف على جلية الامر فيما يضطلع به من التعرف على الاسلام وأصوله ، ويختم ثناءه عليـه بتلك الجملة التى تعد عرفانا بالجميل : « وسيبقى كل ذلك منقوشـــا فى ذاكرتى الى الأبد ؟ لأن مجـــرد حصولى منه ومن يحيطون به عـلى معلومات قيمة كان ذا اعتبار خاص»

---

(١) هناك اشتقاقات لمعان أخرى تلتقى كلها لتعطى الاله المعبـــود، والله علم على الرب ويقال انه الاسم الاعظم لانه يوصف بجميع الصفات ويرى بعضهم انه غير مشتق .

وبعد أن بين حقيقة الاسلام وأنه يدعو الى العلم ويحض عليه موردا قول الرسول : « اطلب العلم ولو فى الصين » يدفع قالة السوء من أن الاسلام أدى الى تخلف المسلمين بأنه بعث أمة وحضارة تتلمذ عليها الغرب دخل فيما تصده وهو معطيات القرآن وتوافقها مع معطيات العلم الحديث كمدخل آخر غير المدخل الأول (المقدمة)

ويشير الى موقف الغرب من العلم وموقف المسلمين منه مسجلا: « ينبغى أن تذكر أنه ما بين القرن الثامن والقرن الثانى عشر الميلادى فترة عظمة الاسلام حيث كانت التغييرات العلمية مفروضة فى بلادنا المسيحية كانت كميات معتبرة من الابحاث والاكتشافات قد حققت فى الجامعات الاسلامية » وبعد أن يؤكد أن الفترة النشيطة للمدنية الاسلامية مع النهضة العلمية التى واكبتها كانت لاحقة على نهاية الوحى القرآنى ، وأن القرآن ليس كتابا هدفه عرض بعض أنظمة الكون ، بل هو فى الأساس كتاب ذو هدف دينى يوضح أن ماجاء فى القرآن بالنسبة لنظام الكون لم يكن انسان القرون الماضية قادرا على أن يكتشف من ذلك الا ظاهر المعنى الذى قد يحمله فى بعض الاحوال على الوصول الى نتائج غير صحيحة نظرا لعدم اكتمال معرفته اذ ذاك ، ويورد جهده فى هذا السبيل فيقول : وقد عثرت أحيانا فى بعض الكتب على تفسيرات علمية لا يبدو لى أنها صحيحة ، وقمت بانتقائها وتفسيرها تفسيرا شخصيا باستقلال فكرى واخلاص تامين(١) لقد بحثت أيضا فيما اذا كان فى القرآن اشارات الى وجود كواكب شبيهة بالارض ، ويجب القول بأن عددا من العلماء يعتبرون هذا مقبولا تماما ، ولو لم تكن المعطيات الحديثة قد توصلت حتى الآن الى أقل تأكيد لها ، فرأيت أن على أن أعرضه مع كامل التحفظات .

وقد باشر تلك الدراسة منذ ثلاثين سنة تقريبا ووصل من دراسته

---

(١) ص ١١٥ من الكتاب نفسه .

الى أن فى القرآن اشارة الى غـزو الفضاء ، ويعود الى تحفظه فى هذا الشأن لكى تكون المواجهـة بين القرآن والعلم الحديث مقبولـة وصحيحة « أن يكون السند العلمى الذى ترتكز عليه كامـل الثبوت ولا يحتمل أى شك » وقـد أعلنه كشرط لبحثه فى المقدمة ، ولهـذا استبعد آية قرآنية فكـر عالم بالطبيعة مسلم بأنها تعلن مفهـوم (اللامادة) وهى نظرية يدور الجدل حولها حاليا « وعلى العكس فانه يمكن شرعـا انتباهه الى آية من القرآن تذكر « أصل الحياة المائى » وهى ظاهرة لا يمكننا اثباتها مطلقا وان كانت تلتقى عليها أراء كثيرة ، أما بخصوص عوامل الملاحظـة كتطور الجنين فانه يمكننا أن نواجه تماما مختلف المراحـل الموصـوفة فى القرآن بمعطيات علـم الجنين الحديث .. » ويستمر فى مقدمته للحديث عن القرآن ، فيشير الى أنه يقصد مقارنة بين التوراة والقرآن فى مسألتين . الخلق والطوفان ، وقد وضح أن التوراة اختلفت مع معطيات العلم الحديث مع قبـول معطيات القرآن فى هذا الشأن . ثم لا يقبل قول الغربيين أن محمدا قد نسخ التوراة وهو حكم مطلق مجرد من أى مستند ، ويرى هـو أن الاحاديث كالاناجيل روايات عـن أفعال وأقوال النبى ليس كتـابها شهود عيان .

والمترجمون (١) يردون عليه ، لقد ثبت أن بعض الصحابة كتب بعض الاحاديث عن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم وهو عبد الله ابن عمرو بن العاص ، ورأيه مقبول فى نظـرى ، لانه يتحـدث عن الاحاديث ككل ، ثم ان مـا كتب مختلف فى بقائه ، فقد نهى النبى عن كتابتها حتى لا تختلط بالقرآن ، وهو يصر على أنها كتابات لا تؤلف فى أى نوع منها كتبا حاوية الوحى المكتوب . وهو رأى جدير بالتقدير والدراسة ، ويعلل لرأيه بأننا نرى فى الكتب المنتشرة يقينيات تحـوى أخطاء من وجهة النظر العلميـة وبخاصة الوصـفات الطبيـة « فلنوضح أساسا ما يميزها مـن

---

(١) ١١٧ المصدر نفسه .

وجهة النظر هذه عن القرآن الذى لا يحوى أية يقينية علمية غــــير مقبولة » ويختم تلك المقدمة بقوله :

ان الاعتبارات التى سيتوســع فيها فى هذه الدراسة ستوصلنا مــن وجهة النظر العلميـة فقط الى الحكم بأن من المستحيل تصور رجل عاش فى القرن السابع الميلادى واستطاع أن يورد فى القـــــرآن أفكارا فى موضوعات متنوعة جدا ليست أفكار عصره تلتقى مع ما سيكشفه الناس منها بعد قرون متأخرة عنه ، أمــا بالنسبة الى فليس للقرآن أى تفسير بشرى • يريد أن يقول انه مــن عند الله ، وليس للبشر أى دخــل فى آياته •

وليؤكد ما يقوله يضـــع عنوانا هو « أصالة القرآن » تندرج تحته عنوانات فرعية : تاريخ تدوينه ، دورات الخلق الستة القـــرآن لم يحدد نظام تتابع فى خلق السموات والارض ، التتابع الزمنى الذى هو أساس تكوين العالم وانتهاؤه ببناء العالمين • النظام الشـــمسى • المجرات • تكوين وتطوير المجرات والنجوم وأنظمة السيارات • فكرة تعدد العوالم المواجهة مع معطيات القرآن عن الخلق • علم الفلك فى القرآن الى آخر ما ذكـــــر من المخلوقات كالنبـــــات والحيوان والطير • وعن الحديث عن تدوين القرآن يقول : ان لأصالة القرآن مكانة متفردة بين كتب الـــوحى لا ينازعه فيها العهد القـــديم ولا العهد الجديد • لماذا ؟ لأن العهـــد القديم والاناجيل طرأت عليهــــا تعديلات ، أما القرآن فليس كذلك لأنه ثبت فى عهد الرسول بالذات ، بالحفظ والكتابة والتلاوة والترتيل، ويبين لك أن تسجيل القرآن بدأ منذ نزوله ، ويستدل على صحة رأيه من القرآن نفسه قائلا : ان هناك أربعا من السور المكية تشير الى كتـــابة القرآن قبل الهجرة الى المدينة سنة ٦٢٢م ، ومما استشهد به سورة ٢٥ آية ٥ « **وقالوا أســـاطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا**» وهذه الآية تشير الى أن المســجل كتابة « وهو (١) ما يعترف به حتى خصوم محمد » ويشـــــير الى أن

(١) ص ١٢١ من الكتاب نفسه •

الرســـول كان يعرض القرآن مع جبريل كل سنة فى رمضان ، وأنت تعرف من كتب السيرة قصة اسلام عمر بن الخطاب مع أخته فاطمة حين أعطته صحيفة فيها صدر سـورة (طه) وكان ذلك فى مكة أسوقـــه تأييـدا للكاتب . أما الكتـابة فى المدينة فهى معروفة موصـــوفة .

ويتحدث عن الخلفاء وجهودهم فى الحفاظ على القرآن بعـــد وفاة (الرسول بقليل سنة ٦٣٢ م) وينهى حديثه فى أصالة القرآن بقولـــه : « ويمكن أن نتساءل عن الاسباب التى حدت بالخلفاء الثلاثة (أبى بكر وعمر وعثمان) وعثمـان بالذات باجراء المراجعات على نص الكتاب وللاجابة نقول : لقد كان انتشـار الاسلام فى السنوات العشر الاول عقب وفاة الرسول بسرعة عجيبة وبين شعوب تتكلم بأكثر من لغـة غير اللغة العربية فكان لابد مـن الاحتياط الضرورى فى تناقل النص للمحافظة على صفائه وأصالته، وهذا ما كان من هدف مراجعة عثمان » وأرجو أن يكـــون معلوما أنى لاأستطيع عرض ما جاء عن القرآن وتوافقه مع المعارف الحديثة لكثرتها وكثرة مناقشتها فلا كتف بما يصور مقاصد الكاتب من دراســـاته وموازناته بين الكتب المقدســـة ، وكأنما هى مقتطفات مما دبجـــه يراعه العلمى ، فالجزء الثالث أخذ من كتابه أكثر من نصفه ، اذ يبـدأ من صفحة ١٠٦ الى ٢١٧ وهو آخر الكتاب .

ولنعد الى بحثه ، فتحت عنوان « تاريخ السموات والارض » يعقد موازنة بين خبر التـــوراة وخبر القرآن ، والغربيون يجـدون فى الموازنة والمقابلة متعة وحبورا ، لأنهما يتقاربان جدا ، ولكن هـذا التقارب عنده يستحق الوقوف لأن التوراة تذكر (الخلق) دونما ابهام فى ستة أيام متبعة بيوم الراحـة (السبت) بالتماثل مع أيام الاسبوع « وكل يهودى مفروض عليه الراحة يوم السبت اتباعا لله الذى استراح بعد عمل دام ســـتة أيام من الاسبوع » والسبت معناه الراحة كما يقول المترجمون .

ومفهـــوم كلمـــة يوم فى التوراة محدد بالمسافة الزمنية المعتبرة مـــن

مطلعين للشمس أو مغربين لهـا متتابعين بالنسبة الى سكان الارض واليوم المحدد على هـذه الصـور هو حصيلة دوران الارض حـول نفسها •

ومن الواضح أنه لا يمكن منطقيا التحدث فى اطار هذا التحديد نعنى الأيام ؟ لأن الكون لم يكن عـلى ما نشاهده فى دورات الخلق الاولى حسب رواية التوراة • والتـوراة تجعل اليوم الرابع لخلق الأجرام المضيئة على حين تجعل النور لليوم الاول ، فمن المستحيل أن تكـون انارة فى اليوم الاول (انظر صفحة ٣٥ من الكتاب) •

واذا كان الوحى المحمدى حدد استمرار الخلق بستة أيام فهـو لا يعنى الايام التى حددتهـا التوراة ، ويأخذ على المفسرين أنهم لم يعرفوا مدلول القرآن ، لان ذلك لا يرجع الى اللغة ، وانما يرجـع الى الدراسات العلمية ، فالمقصود بالايام دورة زمنية غير محـددة ، وهذا المعنى يمكن أن يكون للكلمة موجود فى أكثر من موضـع فى القرآن • واقرأ ما يأتى :

« يدبر الأمر من السـماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعـدون » سورة ٣٢ آية ٥ وتجدر الاشـارة هنا الى أن الآية التى سبقت الآية خمسة هذه تذكر الخلق فى سـتة أيام •

« تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» سورة ٧٠ آية ٤ •

ان استعمال كلمة يوم هنا بمعنى دورة من الزمن المخالف كل المخالفة لمعناه الدارج قد أذهل كثيرا مـن المفسرين القدماء الذين لم يكونوا يملكون المعارف الحديثة •• وقـد ظل الامر كذلك الى أن تنبه اليه فى القرن السادس عشر بعد الميـلاد المفسر أبو السعود الذى لم يكن بعد قد حصل على تعريف اليوم الذى تحدد فلكيا نتيجة لدوران الارض ، فكر بأنه ينبغى فى موضوع الخلق اختيار تقسيم زمنه الى أيام بمعنى « نوبات » بالمعنى الذى اعتـدنا استعماله • وهكذا فتح البـاب للمفسرين بعده • ويؤكد المؤلف أن الأيام دورات طويلة من الزمن ،

ويعتبر فهمنا للفظة الايام الواردة فى القرآن بالمعنى الذى ندركه عادة مهزلة . وهنا يقول :

وقد ذكر القرآن الخلق فى أطول مقاطعه التى عالجت موضوعه وهو يسرد وقائع وجود الارض مقابل أخرى لوجود السموات . يقول الله مخاطبا الرسول سورة ٤١ آية ٩ ــ ١٢ يقصد سورة فصلت :

« قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » .

ويعلق على هؤلاء الآيات قائلا : هذه الآيات الاربع من السورة ٤١ تبرز مشاهد متعددة : الحالة الغازية البدائية لمادة السماء ، والتحديد الرمزى لعدد السموات السبع ، والحوار الرمزى بين اللــه من جهة والسماء الدنيا والارض البدائيتين من جهة ثانية . والمراد خضوع السماوات والارض بعد تشكلهما لاوامر اللــه .

ويدفع اعتراض القائل بأن العدد ثمانية أيام المتحصل من اضافة دورتى تكوين الارض الى الدورات الاربع والدورتين المخصصتين لتكوين السماء فالمجموع ثمانى دورات وهو ما يتخالف مع عدد الستة المحدد من قبل ، يدفع هذا الاعتراض بأن هذا النص الداعى الى التفكير فى القدرة الالهية يمثل جزأين موصولين بلفظه ثم المترجمة الى زيادة ولكنها تعنى « بعد ذلك » أو « تبعا لذلك » أكثر مما تعنى « فيما بعد » فهى اذن تفرض معنى تتابع مترتب على تتابع أحداث ، ويمكن أن يراد مجرد ذكر عادى ، وينتهى الى أنه لا تعارض ، وأن التكوين حدث فى ستة أيام أى ست دورات أو مراحل .

وتوضيح تفسيره هو أن الله خلق الارض فى يومين ، وخلق ما ذكره من الرواسى الى وقدر فيها أقواتها

فى تتمة أربعة أيـــام ، فالأرض وما عليها وتقدير الارزاق فى أربعـــة أيام وبقية الستة كانت يومين لخلق السموات ، ولذا استخدم ثم للفصل بين المجموعة الاولى والمجموعـة الثانية ، الاولى لها أربــع دورات والاخرى لها دورتان حسب رأيه العلمى .

وقـــد ذكر المفسرون أمثلة توضيحية لهذه المســألة منهم فى القديم (النسفى) ومن المحدثين الشيخ متولى الشـعراوى الذى مثل بالآتى :

« أقول وضعت أساس العمارة فى ثلاثة أشهر وأتممت بناءها فى عام ، هل معنى ذلك أن العمــارة استغرقت عاما وثلاثة أشهر ؟

لا . لقد أتممتها فى عام ولكن جزء الاساس استغرق ثلاثة أشهر من عام البناء، هنا تحدثت بالتفصيل والجزء من الكل ليس منفصــلا ولا زائدا عنه (١) .

ثم يذكر أن القرآن لم يحـدد نظام تتابع فى خلق السمــوات والارض » بمعنى أيهما خلق أولا ، ويورد آيات كثيرة من القرآن ويذكر رأيا ارتاه قائلا : وقـد بدا لى أن فى القرآن مقطعا واحدا ذكر فيــه تتابع واضح بين أحداث متنوعـة للخلق وهى الآيات ٢٧ ــ ٣٣ من السورة ٧٩ (النازعات) :

« أأنتم أشد خلقا أم الســماء بناها . رفع ســمكها فســواها . وأغطش ليلها وأخرج ضــحاها . والارض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبـــال أرساها . متاعا لكم ولانعامكم » .

ثم يتحدث عن « التتابع الزمنى الذى هو أساس تكوين العــالم وانتهاؤه ببناء العالمين » عارضــا آيتين من القرآن فيهما خلاصة من الاحداث التى ألفت التتابع الزمنى الذى هو أساس لتكوين العالم :

« أو لم ير الذين كفـــروا أن الســموات والأرض كانتا رتقــا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون» سورة ٢١ آية٣٠

« .. ثم استوى الى الســماء

---

(١) معجزة القرآن ص ٧٢ .

وهى دخـــان فقال لها وللأرض » سورة ٤١ آية ١١ اللتين أطاعتـــا الاوامر بالخضوع ونســـتنتج الآتى :

١ ــ وجود طبقة غازية مشحونة بذرات دقيقة ، لانه كذلك ينبغى تفسير كلمة « الدخان » فى العربية •

٢ ــ ذكر تتابع زمنى للفتق من كتلة واحدة أساسية ملتئمة العناصر فى الاصل (الرتق) و (الفتق) فى العربية هو الكسر والفصل والشق ، والرتق هو الجمـــع واللأم بين العناصر لتكوين كل متجانس •

٣ ــ رقم (٧) الوارد فى القرآن أربعا وعشرين مـــرة لمعدودات مختلفات معناه فى الغالب هو الكثرة، وبدون الآيات التى ورد فيها رقم ٧ ومنها تلك الآية :

« الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامـــر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن اللـــه قد أحاط بكل شىء علمـــا » • ويجعـــل منها دليلا على وجود سموات كثيرة وأراض كثيرة ووجود خلق وسيط بين الســـموات والأرض ، ويستدل بقوله تعـــالى **« الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام »** •

وهـــكذا يمضى فى تناوله للوحى القرآنى عارضا معطياته مـــع المعارف الحديثة وفى كل حالـــة لا يتناقض أبدا مع تلك المعـــارف الحديثة واليك لمحات مما ســـجله فى كتابه ، وهى ومضات علمية تمثل منهجه فى تناول الآيات القرآنية ، ولا تغض من معارفنا التفسيرية :

١ ــ « أصل الحياة » •

شغلت هذه المسألة الانسان فى كل زمن ، ومع تعرض القرآن لاصل الحياة فى خطها العام فانه يوجـــز ذكرمجدا فى آية تعنى أيضا بموضوع تكون الخلق ســـورة ٢١ آية ٣٠ **«أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهمـــا وجعلنـــا من المـــاء كل شىء حى أفلا يؤمنون »** ان مفهوم أصـــل الاشياء ليس موضع شك ، اذ يمكن أن يفهم من هذه الآية أن الماء مادة أساسية فى صنع كل شىء حى ، أو أن الماء هو أصل كل شىء حى ، وهذان المعنيان الممكنان متوافقـــان تماما مع المعطيات العلمية ، فقـــد

عثر على أن أصل الحياة مائى وأن الماء هو العنصر الاول لكل خليهحية وأنه لا سبيل الى الحياة دون الماء ، وعندما ندرس امكانية الحياة على أى كوكب نبادر الى التساؤل : هل يحتوى هذا الكوكب الماء بكمية كافية ؟ ويسير فى مفاهيمه ذاكرا العثور على النبات المائى من العصر السابق (لكامبرى) أى الاراضى الاكثر قدما فى علمنا .. الى أن يقول : وهكذا فان كل آيات القرآن المتعلقة بأصل الحياة سواء كان يراد أصل الحياة العامة ، أو العنصر الذى ينبت الزرع أو البذرة الحيوانية متفقة مع المعطيات العلمية الحديثة كل الاتفاق .

٢ ــ « منشأ مركب الحليب » ولنذكر الآية . قال تعالى :

« وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » سورة النحل آية ٦٦ يقول الكاتب الفرنسى : ان وصف القرآن لمنشأ مركبات الحليب الحيوانى متفق تماما مع معطيات المعرفة الحديثة فى تلك الآية ، وطريقة التفسير هى شخصية محصنة : لأن الترجمات حتى المعاصرة تنسب اليها عادة معنى غير مقبول . ويسوق لنا مثلين مما لم يقبل من التفسير .

١ ــ ترجمة (بلامشير)«فى الحقيقة ان لكم بالتأكيد عبرة فى أنعامكم نسقيكم من حليب نقى سائغ للشاربين من هذا الذى فى بطونها وبين الغذاء المهضوم والدم » .

٢ ــ ترجمة (حميد الله) « نعم لاشك أن ثمة ما يستوعى تفكيركم فى الانعام وما بطونها نسقيكم من خلال البراز والدم حليبا صافيا سائغا للشاربين » .

ويعلق على هذين التفسيرين بأن هذه الترجمة غامضة جدا ولا تنسجم مع المفاهيم الحديثة حتى البدائية . ومع أن هذه الاسطر من صنع أكابر علماء العربية الا أننا نعلم جيدا بأن المترجم مهما كان بارعا عرضة لارتكاب خطأ فى ترجمة المفاهيم العلمية الواردة فيها اذا لم يكن اختصاصيا فى المادة المعينة هنا . والترجمة التى تبدو لى صحيحة هى :

« فى الحقيقة ان لكم فى حيوانات قطعانكم عبرة تعطيكم للشرب مما فى داخل جسمها والذى ينتج من الصلة ما بين محتوى الامعاء والدم حليبا صافيا سائغا للشاربين » وقد تخالفه فى رأيه هذا أو توافقه فللرجل فهمه ، وهو لا يقف عند هذا بل يقول: ان هذه الترجمةقريبية مما يوضحه المنتخب فى طبعته المنشورة سنة ١٩٧٣ م من قبل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى القاهرة الذى يعتمد على معطيات من علم اعضاء الحيوان الحديث .

وبعد أن يوازن بين الكلمات فى الترجمات التى قدمها فى اللغة الفرنسية وما يقابلها فى العربية يفسر لنا معنى الآية علميا قائلا : ينبغى لالتقاط معنى هذه الآية من وجهة النظر العلمية أن نذكرمفاهيم فى علم الاعضاء الحيوانى ، تتكون المواد الاساسية التى تؤمن تغذية الجسم بوجه عام من تحولات كيمائية تجرى فى طول القناة الهضمية ، وهذه المواد تأتى من عناصر حاضرة فى محتويات الامعاء، وعند ما تصل الى المرحلة المراد فيها التحول الكيمائى تمر عبرة غشاوة نمو الدورة الدموية العامة ، وهذا العبور يتحقق بطريقتين : اما بطريقة مباشرة بواسطة ما نسميه الشرايين اللمفاوية ، واما بطريقة غير مباشرة بالدورة التى تسوقها الى الكبد أولا حيث تتلقى بعض التحويرات ثم تبرز لتصل اخيرا بالدورة الدموية العامة ، وبهذه الطريقة كل شىء يمر أخيرا عبر الدورة الدموية .

ان مركبات الحليب ترشح من الغدد الرضيعة التى تتغذى — اذا أمكن القول — من حصيلة هضم الاغذية التى تصلها بواسطة الدم السائل ، اذ يلعب الدم دور المصدر والمورد للمواد المستخلصة من الاغذية ليجلب الغذاء للغدد الرضعية المنتجة للحليب كما تجلب لغيرها من الاعضاء الاخرى .

وهنا كل شىء ينشأ من منطلق وضع المحتوى المعوى بحضرة الدم فى مستوى الجدار المعوى ذاته . هذا المفهوم الدقيق يرجع الى أبحاث كيمائية وعضوية فى عملية الهضم ، وقد كانت مجهولة تماما

فى زمن الرسول ومعرفتها تعود الى الفترة الحديثة ، كما أن الدورة الدموية هى من توضيح (هارى) الذى ظهر بعد الوحى القرآنى بما يقارب عشرة قرون . وفى رأيى أن وجود الآية التى تشير الى هذه المعلومات فى القرآن لا يمكن أن يكون له تفسير بشرى بسبب العصر الذى أعطيت فيه . والمترجمون (١) يعلقون : يعنى أنها لا يمكن أن تكون من كلام البشر .

٣ ــ غزو الفضاء .

وقف المؤلف مدهوشا أمام آيات ثلاث تستحق أن تجتذب كل انتباه من وجهة النظر العلمية :

الأولى، تذكر دون لبس مايمكن أن يفعله الناس فى مضمار غزو الفضاء وسيفعلونه . أما الأخريان فيذكر الله فيهما لكفار مكة الدهشة التى ستصيبهم اذا عرجوا فى السماء مشيرا بهذا الى فرضية يستحيل عليهم تحقيقها :

الآية الاولى : ٣٣ من السورة ٥٥ **« يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » سورة الرحمن .**

وهنايذكر الترجمة ويبين معنى اذا وان ولو وما يقابلها فى اللغة الفرنسية ويخلص الى أن هذه الآية تشير الى الامكانية التى سيحقق بها الناس مانسميه فىعصرنا ــ على سبيل **التجوز** ــ « غزو الفضاء » وينبغى التنبيه الى أن النص القرآنى لا يتعرض فقط الى النفوذ من أقطار السماء فحسب ، بل من أقطار الارض أيضا ، وهذا يعنى سبر الاعماق ، ويسبق هذا قوله . ويبدو أن السلطان الذى يملكه الناس ليحققوا هذه الخطوة مستمد من القادر على كل شىء .

أما الآيتان الأخريان فى السورة ١٥ آية ١٤ ــ ١٥ فيتحدث الله فيهما عن كفار مكة كما يدل عليه سياق النص فى السورة « ولو **فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا انما سكرت**

---

(١) ص ١٧٢ من الكتاب نفسه .

أبصارنا بل نحن قوم مسحورون »
انه تعبير عن الاندهاش أمام مشهد غير منتظر مخالف لما كان يمكن للانسان أن يتصوره ، لقد بدئت الجملة الشرطية بحرف « لــو » الذى يفرض معه استحالة تحقيق المطلوب من المخاطبين ، ولذلك فانا نجد أنفسنا اذن بمناسبة غزو الفضاء أمام فقرتين من القرآن : احداهما لما سيتحقق يوما ما بفضل القوى التى سيمنحها الله للذكاء والبراعة الانسانيين ، وتذكر الاخرى حدثا لن يراه كفار مكة ، لان مفهوم الشرط هنا هو لما لا يتحقق قريبا، وان كان سيراه آخرون كما تسوغ الآية الأولى افتراضه وتصف ردود الفعل الانسانية أمام المشهد المفاجىء الذى سيواجه المسافرين فى الفضاء ، أيضا مضطربة مسكرة، وشعور بأنهم مسحورون •• وقد عاش هذه الدهشة رواد الفضاء منذ سنة ١٩٦١ وما بعدها •

ويختتم كلامه مظهرا دهشته راضيا بماوصل اليه : وكيف لا نجد أنفسنا هنا أيضا عند مقابلة نص القرآن مع المنجزات الحديثة متأثرين بهذه التحقيقات التى لا يمكننا أن نفترض ظهورها من فكر انسان عاش منذ أربعة عشر قرنا ؟

وهكذا يبدى رأيه حرا طليقا فى جميع ما تعرض له سواء فى العهد القديم أو العهد الجديد أو القرآن واضعا نصب عينيه الحقيقة ، وقد فاز القرآن بشهادة من رجل منصف، وان كان القرآن فى غنى عن العالمين الا أن كلمة الحق يرضاها اللــه ، والحق أحق أن يتبع • وما من شك فى أن قارىء هذا الكتاب «التوارة والانجيل والقرآن » يحصل منه على فوائد تكشف له عن معلومات تجلو البصر والبصيرة ان صح التعبير ، وتدعو الى مواصلة البحث واثراء المجال الفكرى ، والواقع أنى لم أقل فيه ما يكشف عن مراميه ولكنى ألقيت لمحات ، واقتطفت مقتطفات قد تجد عند القراء اثارة لهم ليقرءوا الكتاب فى ترجمته أو فى أصل فى لغته الفرنسية •

ولو خلا الكتاب من كلمات ابن الله ، وموت عيسى وما الى ذلك لاقترب من التعاليم الاسلامية ،

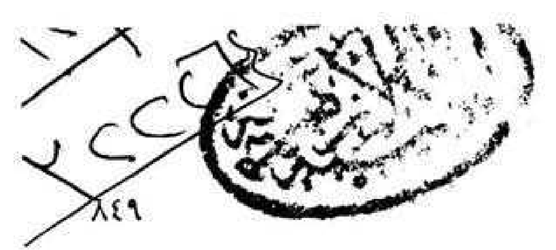
ولكن حسبه أنه أبرز فى سلامة نظر، وبراعة فكر أصالة الوحى القرآنى، وجعله الوثيقة الوحيدة من عند الله لهداية البشر التى جاءت الينا منه دون تدخل من صنع البشر ، أليس هو القائل عنه فى الخاتمة : « أنه يبرز للذى يمارس اختباره وتحليله بموضوعية كاملة فى ضـــوء العلم ذاتيته الخاصة به ، وهى الاتفاق التام مع المعطيات العلمية لحديثة، ويكشف حقائق من النوع العلمى تجعل من المستحيل على رجـــل فى عصر محمد أن يكتبه » •

انه الكاتب الفــرنسى موريس بوكاى المستشرق الأمين يحسن أن تقرأ كتاباته وكتابه الذى بين أيدينا صورة من عطائه وسداد تفكيره •

السيد حسن قرون

فهـــرس العـــــدد

الموضـــوع صـــفحة



مدير المجلة

محمد صابر البرديسي

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فى أول كل شهر عربى

العنوان

إدارة الأزهر

بالقاهرة

ت { ٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦ }

الجزء الخامس ـ السنة الثانية والخمسون ـ شعبان سنة ١٤٠٠ هـ ـ يوليو سنة ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحات من الإسراء والمعراج

للأستاذ محمد صابر البرديسي

قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله . لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

وقال تعالى : « والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى .. » الآيات .

اعتاد المسلمون فى الايام الأخيرة من شهر رجب من كل عام أن يحتفلوا بذكرى عطرة ، تتعلق بالاسراء والمعراج ، يحفزهم الى ذلك مشاعر طيبة تنبع من الايمان بالله ، والحب

الصادق لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقد كان حدث «الاسراء والمعراج» تكريما لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » وتقوية لارادته ، وبرهانا على أن الله « سبحانه وتعالى » معه وأنه سيتولاه باحسانه وتوفيقه ، ويمده بنصره ولن يتخلى عنه .

لقد وقف المشركون من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » منذ جهر بدعوته موقف العداء ، وترصدوا له فى كل مكان ، وألحقوا به وبأصحابه أشد ألوان الأذى والنكال ، ولكن رحمة الله برسوله « صلى الله عليه وسلم » جعلته يحتمل هذا العنت ، وذلك التحدى .

وقد شاءت ارادة الله أن تكون لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » فى بدء رسالته « حمايتان » .

احداهما : من جهة زوجته السيدة « خديجة » « رضى الله عنها » اذ كانت هى السكن فى بيته حين يلجأ اليه الرسول « صلى الله عليه وسلم » عندما يشتد به الضيق ، ويكثر أذى الكفار له ، وتتنكر قريش لما جاء به ، ويصبح فى حيرة من أمر هؤلاء الناس .

وثانيهما : حماية عمه أبى طالب ، فقد أعانه ، ودافع عنه ، ومنع الكثير من أذى المشركين له ، لماله من جاه ومكانة فى قريش .

وشاء الله أن تموت زوجه السيدة خديجة فى العام الذى يموت فيه عمه أبو طالب ، وبفقدهما فقد الحمايتين .

والله سبحانه لايتخلى عن أنبيائه اذا فقدوا المعين ، فحين يفقدون الأسباب الظاهرية ، فان الله يكون بجانبهم ، يحميهم وبنصرهم ، ويكشف عنهم السوء « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ؟ » لقد جاء حدث الاسراء والمعراج تسلية لرسول الله « صلى الله عليه وسلم» حين فقد زوجه وعمه فى عام واحد ، حتى لقد سمى هذا العام « عام الحزن » . أراد الله أن يشرفه ،

وأن يميزه بخصائص تنسيه همومه وتعوضه مافقده ، خصه بمعجزة الاسراء والمعراج ، وخرق له فيهما قوانين الكون فمعجزة وتعوضه ما فقده ، المعراج لم يصل اليها ، بشر ، ولم يقدر عليها ملك ، فقد توقف جبريل فى المرحلة الأخيرة من مرحلة السماء ولم يقدر عليها ، وانفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فكان ذلك شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنسا من الله لرسوله بدنوه منه ، ورؤيته للحق جل جلاله ، وبالاستماع الى كلامه مباشرة وبلا واسطة •

كما شرفه الله تعالى بالتقائه بالأنبياء الذين سبقوه ، والتحدث معهم ، وامامته لهم •

ان هذا الحدث العظيم مع ما أفاضه الله على رسوله من نور الهى وتجل ربانى كان له تعزية وسلوى لما أصابه من موت زوجه وعمه ، وتثبيتا لقلبه ، وتأكيدا لنصر الله له •

ان حدث الاسراء والمعراج جاء اختبارا لطائفتين من الناس : طائفة آمنت بالله ، واعتصمت به، لاتؤثر فيها الاحداث ولاتزعزعها الأعاصير ، وكان الحدث لهم هدى ورحمة ويقينا وتثبيتا •

وطائفة أخرى أشركت بالله ، وعميت عن الحق ، فأجمعت أمرها على الانكار ، وعزمت بكل قوتها على الوقوف ضد هذا الدين الجديد ، والتصدى لرسول الله ، والقضاء على الاسلام فى مهده قبل أن يستفحل أمره ، وارتد بعض المسلمين الذين لم يصلوا الى مرتبة اليقين •

هؤلاء المشركون ، والمرتدون ، عجبوا أن جاءهم محمد بالمعجزات ولم يصدقوا بالآيات ، ولم يدركوا قدرة الله فباءوا جميعا بالخسران • أنكروا حادث الاسراء والمعراج ، وقالوا لرسول الله : أتدعى أنك أتيتها فى جزء ليلة ، ونحن نضرب اليها أكباد الابل شهرا ؟ »

مالوا عن الحق ، وحادوا عن الطريق السوى •

ولكن رسول الله « صلى الله

عليه وسلم » لم تمنعه سـخرية المرتدين ، وارتداد ضعاف الايمان من المسلمين من المضى فى اعـلان هذا الحدث العظيم لثقته بالحـق الذى جاء به ، والحق الذى وقع لـه .

ايمانه بمارأى جعله يصارح قومه بهغير مبال برأيهم فيما رآه.

بعد ألف عام ، من عمر الاسلام يأتى قوم شغفوا بجدل الكلام ، وانصرفوا عن جوهر الحـدث الأصيل ، الى الجدل الشـكلى فيقولون :

أكان الاسراء فى اليقظـة ؟ أم كان ذلك مناما ؟

أكان ذلك بالروح فقط ؟ أم كان ذلك بالجسد والروح ؟

وهل كان ليلا ؟ أم كان ذلـك نهـارا ؟

مثل هذا الجدل من الكـلام ، لايحدث الا حين تضعف الثقة فى الله ويخف وزن الايمان .

ان المشركين ، وهم فى قمـة عنادهم ، فهموا من رسول اللـه « صلى الله عليه وسـلم » أن الاسراء كان بالروح والجسد معا، ولذا وقفوا منه موقف التكذيب له فيما يظنون أنه ادعاه ، فقالوا له :

« اتدعى أنك أتيتهـا فى جـزء ليلة ، ونحن نضرب اليهـا أكباد الابل شهرا ؟ » ولو أنهم فهموا أنه كان مناما أو بالروح فقط لما واجهوه بهذا السؤال .

وقد وصف لهم الرسول « صلى الله عليه وسلم » المسجد الأقصى كما رأوه وكما يعرفونه ، وهـم يعلمون أنه لم ير المسجد الأقصى ولم يذهب اليه ولو شكوا فى أنـه رآه لما طلبوا منه أن يصفه .

ولم يكتف رسول الله « صـلى الله عليه وسلم » بوصف المسـجد لهم كدليل على صدق قوله ، بـل أخبرهم بالقوافـل القادمـة ، وبأشياء رآها على الارض خـلال الاسراء به منمكة الىبيت المقدس والعودة ، والقافلة بعد فى طريقها الى مكة لم تصل ، ثم ترصـدوا القافلة فوجـدوا الامر كما قـال الرسول « صلىاللهعليهوسلم » .

وكان يقصد بذلك كله أن يعطى

الناس آيات أرضية حسية مشهودة .

ومتى تأكدوا من صحتها يصبح ذلك دليلا على أن الله قد خرق له القانون فى الارض وصارت له معجزة تكون بمنزلة (**صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى**) .

فاذا أخبرهم بعد ذلك بأمر المعراج أو بأى شىء آخر فانهم يصدقون ولا يشكون .

فالاسراء كان مقدمة للدلالة على صدق ما حدث ومادام الله قد خرق له قوانين الأرض فهو قادر على أن يخرق له قانون السماء « **وهو حدث المعراج** » .

ربما كان الاسراء نقلة عجيبة بالقياس الى مألوف الناس ، ومقدور البشر ، فهو حدث عجيب غريب ، تقف فيه العقول ، ولكن اذا علمنا أن الله هو الذى أسرى بمحمد « صلى الله عليه وسلم » ، ومحمد أسرى به ، ومادام الله هو الفاعل فلا غرابة ولا عجب فى أن يسرى به فى جزء ليلة بل فى لحظة ، فان الله يقول للشىء كن فيكون ، ولا يعجزه شىء فى السموات والأرض ، فلا أسباب ولا زمان ولا مكان مع قدرة الله .

وكانت جزء ليلة بحسب المرائى التى تعرض لها الرسول « صلى الله عليه وسلم » ورآها فى طريقه بنفسه وببشريته ، بمعنى أنه « صلى الله عليه وسلم » اذا رأى منظرا من المناظر ، فرؤيته لذلك المنظر هى التى تحتاج الى الزمن ، فالأشياء التى رآها هى التى صاحبت الزمن .

تعرض القرآن لحديث الاسراء صراحة فى أول آية من سورة الاسراء وتعرض لحدث المعراج ضمنا والتزاما فى الآيات الأولى من سورة النجم فلم يقل سبحانه وتعالى « لقد عرج محمد — وانما ذكر آيات تستلزم أنه عرج — وهذا من رحمة الله ، فالحدث الذى أقام عليه الرسول « صلى الله عليه وسلم » الدليل المادى — « كالوصف والآيات الأرضية الحسية التى شهدها خلال الاسراء به » — أتى به صراحة .

أما الأمر الذى لا يمكن أن يقام فيه الدليل المادى « لأنه سماوى » أتى به التزاما ، وتركه لمدى يقين العبد بربه وتوثيق الخبر من الله أو من رسوله ـ ومن هنا قال العلماء (الذى يكذب بالاسراء يكون كافرا ، والذى يكذب بالمعراج لا يكون كافرا بل يكون فاسقا »•

حدث الاسراء نقلة أرضية •

أما حدث المعراج فهو نقلة سماوية ، تخطى محمد « صلى الله عليه وسلم » الأرضين والسموات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل الى ما لم يصل اليه نبى مرسل ولا ملك مقرب •

وصل « صلى الله عليه وسلم » الى أقرب ما يكون من النور الالهى •

« فكان قاب قوسين أو أدنى » •

وحينما صعد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الى الملأ الأعلى ، وتنقل فى السموات السبع ، وجاوزها الى سدرة المنتهى ، بعد أن التقى بالأنبياء وبالملائكة ، يراهم ، ويتكلم معهم ، وكان يصحبه جبريل فى رحلتيه « الأرضية والسماوية » وبعد سدرة المنتهى توقف جبريل ، وانتهى حده ، وزج برسول الله « صلى الله عليه وسلم » فى سبحات من النور ، وارتقى الى ما يناسب ذلك الملأ الأعلى •

ثلاثة أشياء حدثت لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » فى رحلته الأرضية والسماوية :

١ ـ **بشرية فى الأرض** : وكان جبريل فيها يرى محمدا « صلى الله عليه وسلم » الأشياء •

٢ ـ **ملائكية فى السماء** : قبل سدرة المنتهى ، كان يسمع فيفهم بلا واسطة جبريل ، فقد تحولت ذاتية محمد وأصبحت ملائكية ، طرحت بشريته فى الأرض ، وأصبحت ملائكيته هى المسيطرة عليه •

٣ ـ **ملائكية فوق الملائكية** : ارتقى فيها ، ولم يكن جبريل معه ، وهى التى كانت بعد سدرة المنتهى ، تعرض فيها الرسول الى خطاب الله ورؤيته له سبحانه وتعالى •

لم يستطع جبريل عليه السلام ، وهو أقرب الملائكة الى الله أن يصل الى هذه المكانة ، بل ان جبريل عليه السلام ، قال لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » عندما وصل الى سدرة المنتهى وطلب منه أن يتقدم ، قال جبريل : « اذا تقدمت أنا احترقت ، واذا تقدمت أنت اخترقت » وذلك لأن نور الله سبحانه وتعالى فى هذا المكان بالذات لا يستطيع أن يتحمله حتى أعظم الملائكة (جبريل) عليه السلام •

فى هذا المكان الجليل الشأن ، العظيم القدر فرضت الصلاة ، فدل ذلك على قدرها وجلال شأنها وقيمتها العظمى كركن من أركان العبادة كانت الصلاة التى فرضها الله على أمة محمد هى الصلاة الجامعة لكل الصلوات السابقة وكانت خمسين صلاة ، فمازال الرسول « صلى الله عليه وسلم » يسأل ربه التخفيف حتى صارت خمسا ، وبقيت فى الثواب خمسين • وتختلف عن بقية الفرائض فى أنها فرضت مباشرة ، وغيرها كان بطريق الوحى •

وكانت الصلاة هدية لأمة محمد « صلى الله عليه وسلم » لأنه كان فى القرب من الله ، والصلاة تقرب المؤمنين من ربهم ، فهى « هدية القرب للقرب » قال تعالى **« فاسجد واقترب »** ويقول الرسول « صلى الله عليه وسلم » « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » •

فالله سبحانه وتعالى ، حيا محمدا « صلى الله عليه وسلم » وكرمه حين قربه منه فى الملأ الأعلى ، وأراد سبحانه وتعالى أن يكرم أمة محمد « صلى الله عليه وسلم » فحمله هدية «هى الصلاة» يحملها الى أمته فى هذه المناسبة الجليلة حتى تقربهم من الله كما كان للرسول حظه العظيم فى القرب منه يقول الامام القشيرى :

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق « رضى الله عنه » يقول : ان نبينا عليه السلام أتى للأمة بالمعراج على التحقيق ،والصلاة لنا بمنزلة المعراج •

وقد كان المعراج له عليه السلام ثلاث منازل — من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، ثم من المسجد

الأقصى الى سدرة المنتهى ، ثم منها الى قاب قوسين أو أدنى .

فكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل .

القيام ، ثم الركوع ، ثم السجود .

والسجود نهاية القرب ، قال تعالى « فاسجد واقترب » ويقول الامام القشيرى :

ومن لطائف المعراج ، ومما خص به الرسول « عليه السلام » فى أول حاله فى تلك الليلة الطهارة ــ

« ان جبريل عليه السلام حمله الى زمزم ، وشق صدره ، وغسل قلبه »

وقد شق قلب النبى « صلى الله عليه وسلم » مرتين ، مرة فى حال صباه ، حين كان فى حجر « حليمه » .

والمرة الثانية : ــ ليلة المعراج ــ

وانما خص القلب بالغسل لكيلا يكون لغير الحق نصيب فى قلبه ولأنه اذا صلح القلب صلح الجسد كله .

ولتنبيه الأمة على طهارة القلب .

روى أحمد بسنده عن أنس بن مالك ــ « رضى الله عنه » قال : كان أبى بن كعب يحدث أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : « ما معناه » « وأنا بمكة نزل جبريل ففتح صدرى ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطشت من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فأفرغها فى صدرى ، ثم أطبقه »

لقد بدأت رحلة الاسراء والمعراج بتطهير القلب ، وانتهت الى الرقى الروحى ، والفيوضات الالهية ، انتهت الى الغاية الحقيقية الانس بكلام الله ورؤية الحق **(فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى)** ــ **(ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى)** .

وفى هذا منتهى السعادة ، وغاية الأنس .

نسأل الله أن يمتعنا بالنظر الى وجه الله الكريم فى الجنة **« وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة »** .

كما نسأله أن يسدد خطانا ، ويمنحنا التوفيق ، ويحفظنا من الأخطاء ، والله الهادى الى سواء السبيل .

محمد صابر البرديسى

حول رأى العلامة ابن خلدون في اجتماع الناس والولاية عليهم

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

يقول الحكماء « ان الانسان مدنى بطبعه » ومعنى ذلك : أنه لايمكن أن يعيش مستقلا بنفسه ، بل لابد من اجتماعه مع الناس ، واجتماع الناس معه ، وتعاونهم جميعا ، للحصول على ما تتطلبه الحياة من طعام ، وشراب ، وخباء وكساء . بل والحصول على ماوراء ذلك من الكماليات التى تنقل الانسان الى مستوى كريم من الحياة ، وتوفر له من أسباب الراحة والطمأنينة ما تسعد له نفسه . وينهض به الى درجة لائقة ، تمكنه من استغلال ماسخره الله له على ظهر الأرض من حيوان ، ونبات ، وجبال ، وأنهار وبحار .

وفى بيان ذلك يقول ابن خلدون فى مقدمته :

« ان الله ــ سبحانه وتعالى ــ خلق الانسان وركبه على صورة لاتصح حياتها الا بالغذاء ، وهداه الى التماسه بفطرته ، وبما ركب فيه ، من القدرة على تحصيله .. الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته ، من ذلك الغذاء .. ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه ، وهو قوت يوم من الحنطة مثلا ، فلا يحصل ذلك الا بعد الطحن ، والعجن ، والطبخ » (١) . وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين ،

---

(١) طبخ العجين تحويله الى خبز .

وآلات لا تتم الا بصـــناعات متعددة ، من : حــداد : ونجــار وفاخورى • وهب أنه يأكله حبـا ، من غير علاج ، فهو ــ أيضــا ــ يحتاج فى تحصيله حبا الى أعمال أخرى ، من الزراعة ، والحصــاد ، والدراس ، الذى يخرج الحبــة من غلاف السنبل ، ويحتاج كل واحد من هــذه الى آلات متعــددة ، وصــنائع كثيرة أكثر من الاولى بكثير ، ويســتحيل أن توفى بذلك كله ، أو بعضه قدرة الواحد • فلابد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ، ليحصل القوت له ولهم •• وكذلك يحتاج كل واحــد منهم ــ أيضا ــ فى الدفاع عن نفسه ، الى الاستعانة بأبناء جنســه ، لأن الله ــ سبحانه ــ لما ركب **الطباع** فى الحيــوان كلها ، وقسم القدر بينهــا ، جعــل حظــوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظالانســان ، فقدرة الفرس مثــلا ، أعظم بكثير من قــدرة الانســان ، وكذلك قدرة الحمار والثور ، وقدرة الأســد والفيل ، أضعاف من قدرة الانسان • ولما كان العدوان طبيعيا فى الحيوان ، جعل لكل واحــد منها عضــوا يقتص بمدافعته ما يصــل اليه من عدوان غيره ، وجعل للانسان عوضا عن ذلك كله الفكر واليد ، فاليد مهيــأة للصنائع بخدمة الفكر ، والصــنائع تحصل له الآلات ، التى تنوب عن الجــوارح المعــدة فى ســائر الحيوانات ، للدفاع • فالرماح مثلا تنوب عن القــرون الناطحــة ، والســيوف تنوب عن المخالب الجارحة ، الى غير ذلك » •

•• وهذا البيان الواضح من ابن خلدون ، فيه تفصــيل دقيق ، عن موقف الانسان على ظهر الأرض فى علاقته باخــوانه من البشر ، وفى علاقته بما يوجد فى الدنيا من كائنات •• فالانسان الواحد ــ كما ترون ــ لا يصل اليه الطعام الا اذا تعاونت معه أفراد وجماعات ، تشــترك كلها فى تهيئــة الطعــام ، واعــداده ، والا اذا عملت فيه آلات ، وصناعات مختلفة ، تحتــاج الى الأيدى العاملة الكثيرة ، كل فى مجاله الذى يختص فيــه • حتى ان اللقمــة الواحدة من الخبز ، يشــترك فى

توصيلها الى الفرد عدد كبير ، ما بين زارع ، وحاصد ، وطاحن ، وعاجن ، وخابز ، وتشترك فى تهيئتها آلات كثيرة ، صنعها صناع كثيرون ، وبفضل تنسيق التعاون بين الأفراد تسير أمور الناس ، وتنتظم أحوالهم ، ويصبحون جميعا كالجسد الواحد ، لا تشيع فيه الحياة ، ولا تكمل له القوة الا اذا قامت كل جارحة فيه ، بل كل ذرة منه بواجبها المرسوم لها فى خدمة الجسد كله • قال الله تعالى : **« وتعاونوا على البر والتقوى •• »** وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « الناس بخير ما تعاونوا » وفى هذا المعنى يقول الشاعر العربى :

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

والانسان محتاج ــ كذلك ــ الى التعاون مع أبناء جنسه ، للدفاع عن نفسه ، أمام ما خلق الله فى هذه الدنيا ، من حيوانات قوية ، ووحوش ضارية ، وقوى شريرة ، بل هو أشد حاجة الى التعاون ليحول هذه القوى الجبارة الى منفعته ، ويسخرها لمصلحته ، واذا كان الله ــ عز وجل ــ قد زود هذه الحيوانات العجم بوسائل لتدافع عن نفسها أمام غيرها ، من سائر الحيوانات ، فجعل لها القرون ، أو الأظلاف ، أو الأنياب ، أو الأظفار فقد زود الله الانسان بالعقل ، ليستطيع بتفكيره أن يتعاون مع بنى جنسه فى اختراع الآلات ، التى تقاوم هذه القوى • ثم تسخرها لما يجلب له النفع والخير حتى يصبح الانسان وحده سيد هذه الكائنات ••

حاجة الناس الى الوازع :

ثم يتحدث ابن خلدون بعد ذلك عن :حاجة الناس الى وازع يردعهم عن المطامع ، ويراقبهم فيه تحقيق التعاون والتضامن ، حتى لا ينتكسوا الى الحيوانية الشرسة ، فيطغى القوى على الضعيف ، ويفترس الكبير الصغير ، وتسود فى الناس شرعة الغاب ، ومنطق الظفر والناب ، • وهذا الوازع انما هو الحاكم ، الذى يتولى قيادة الناس ، وتوجيههم • ويفصل فى مظالمهم ، ويرسم لهم المنهج ، الذى يصلح

حياتهم ، وينظم أمورهم ..

موقف الفلاسفة :

ولكن ابن خلدون لا يرتضى رأى الفلاسفة الذين يقولون ، ان الوازع الذى يوجه الناس الى طريق الحق هو النبى الذى يصطفيه الله من خلقه ليبلغ الناس رسالة الله التى يهدى بها من يشاء من عباده وان هذا النبى لابد أن يكون مؤيدا من الله بالمعجزات الخارقة التى يعجز عنها البشر لتكون برهانا على صدق دعوته .

موقف ابن خلدون :

.. نقول : ان ابن خلدون لا يرتضى هذا الرأى ، ويقول : لا يشترط فى الحاكم أن يكون نبيا لأن الحكومات القائمة فى هذا العالم لا يعتمد الكثير منها على الانبياء ، ومع ذلك فان العالم يسير فى طريقه ، وتمشى أمور الناس ومصالحهم فى دقة وانتظام ، وقد يكون هؤلاء الحكام مجوسا أو مشركين ..

الأساس فى الولاية :

.. ونحن لا نؤيد ابن خلدون فى مثل هذا الرأى ، ونعتقد أن الأساس الأول فى الولاية ، أى ولاية أمور الناس والحكم فيهم ، انما يرجع الى النبوة . وان آدم أبا البشر هو الحاكم الأول على ظهر هذه الأرض ، وهو نبى ، وقد جعله الله خليفته فيها . وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : **واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون * وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** » (١) .

---

(١) سورة البقرة الآيات من ٣٠ ــ ٣٣ .

فهـذه الآيات تشـير الى أول حكومةقامت علىوجه الأرض وأول خليفـة لله فيهـا ، وهو آدم عليه السلام ، وقد أفاض الله عليـه من علمه ما يمكنه من معرفة كل شيء فى هذا الوجود ، وهى منزلة لم يجعلها الله لملائكته المقربين ، وانما علمه الله كل شيء ليستطيع أن يضرب فى الأرض ، ويبتغى من فضل الله هو ومن يتناسـل منه هو وحواء من أولاد ، وهـم الأسرة الأولى من البشر ، وكان يتـولى أمـورهم ، أبوهم وحـاكمهم ، ونبيهم آدم أبو البشر •

•• فلما تتابعت الأجيـال ، وتكونت الأمم والشـعوب كانوا يترسمون منهج أبيهم آدم فى الحكم بما علمه الله •• أو منهج الأنبيـاء الذين جاءوا من بعده •

واذن فالأساس الذى تقوم عليه الولاية على الناس هو النبوة ، وقد جعلها الله فى هذه الدنيا على فترات متباعـدة ، أو متقاربة ، وفى أماكن مختلفة من أرضه الواسعة ، فاذا وجـدت على ظهر الأرض ولايات لأناس من غير الأنبيـاء فهم فى سياستهم – لأمـور النـاس وتنظيمهم لأحوال المجتمع – انما يسيرون فى ضوء النبـوات التى ظهرت من قبلهم ، ولن يطرد لهم النجاح والتوفيق الابسيرهم على هذا المنهج القويم ، وهذه سنة الله فى خلقـه ولن تجـد لسـنة الله تبديلا •

دكتور / محمد الطيب النجار

* * *

السنة والحديث والخبر والأثر

للدكتور الحسيني هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

السنة والحديث والخبر ألفاظ لمعنى واحد ، يطلقها علماء الحديث على ما أضيف الى النبى (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير ، أو الى الصحابى أو التابعى •

فالسنة لغة : هى السيرة والطريقة حسنة كانت أم سيئة وفى الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء ، فكل من بدأ عملا ليقتدى به غيره فقد سنه له •

ولما كان النبى « صلى الله عليه وسلم » هو القدوة الحسنة بأقواله وأفعاله قال تعالى **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »** — كانت السنة فى اصطلاح المحدثين هى كل ما أثر عن النبى «صلى الله عليه وسلم» من قول قاله ، مثل ما روى عن على بن أبى طالب « رضى الله عنه » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا اله الا الله ، وأنى محمد رسول الله بعثنى بالحق ، ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر) رواه الترمذى •

أو فعل فعله « صلى الله عليه

وسلم » ونقله الينا الصحابة ، مثل ما روى عن أبى هريرة : « أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، كان يعتكف كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين » — رواه البخارى وأبو داود •

وما نقله الينا معاوية فى صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم وصلاته ، وأدائه المناسك والحج « صلوا كما رأيتمونى أصلى ، خذوا عنى مناسككم » — أو تقريره لأمر وموافقته عليه (صلى الله عليه وسلم) • أو أمر فعل أمامه ولم ينكره مثل ماروى عن أبى داود عن أبى سعيد الخدرى ، أنه خرج رجلان فى سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة ، فتيمما صعيدا طيبا فصليا ، ثم وجدا الماء فى الوقت فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر ، ثم أتيا الرسول (صلى الله عليه وسلم) فذكرا ذلك له فقال للذى لم يعد : أصبت السنة ، وقال للآخر : لك الأجر ، مرتين • رواه أبو داود والنسائى •

والحديث لغة : اسم من التحديث وهو الاخبار ، ويطلق أيضا على الجدة بمعنى الجديد فى مقابل القديم ، قال شيخ الاسلام ابن حجر فى شرح البخارى ، المراد بالحديث فى عرف الشرع ما أضيف الى النبى (صلى الله عليه وسلم) وكانه أريد به مقابلة القرآن لأنه قديم •

والنبى (صلى الله عليه وسلم) سمى قوله حديثا ، روى البخارى فى باب الحرص على الحديث من كتاب العلم عنأبى هريرة أنهقال : يارسول الله • من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا « الحديث » أحد أولى منك ، لما رأيت من حرصك على « الحديث » أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه » •

كما أطلق ذلك على كل ما أثر عنه (صلى الله عليه وسلم) وعن الخلفاء الراشدين الذين اقتفوا أثره •

عن العرباض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب . فقال رجل :

يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع . فماذا تعهد الينا ؟ قال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا ، فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين : تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

رواه أبو داود .

ولذا أقرر رأى جمهور المحدثين بأن السنة والحديث والخبر والأثر ألفاظ مترادفة لمعنى واحد ، وهو ما أضيف الى النبى (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير أوصفة ، أو الى الصحابى ، أو التابعى خلافا لمن جعل السنة خاصة بأعمال النبى (صلى الله عليه وسلم) وجعل الحديث عاما يشمل قول النبى « صلى الله عليه وسلم » وفعله ، وقال : ان الخبر ما أضيف الى غير النبى (صلى الله عليه وسلم) والأثر ماروى عن غيره من الصحابة والتابعين .

وقرائن الرواية عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين تعين وتحدد مفهوم هذه المصطلحات .

فالسنة ، والحديث . والخبر . والأثر ما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحدث به وأثر عنه وعن الصحابة والتابعين .

ألقاب المحدثين

لم يكن علماء الحديث فى مرتبة واحدة ، أو يشملهم لقب علمى واحد بل تفاوتت الألقاب بحسب التمكن والفهم والمعرفة والنبوغ فهناك :

الطالب : وهو من يروى الحديث باسناده ، وليس له علم بأسانيد المتون ، ومعرفة رجالها ، ولا بعلل المتون ولا معانيها ، انه مجرد حافظ يحفظ أسماء الرواة .

ويحفظ الأحاديث بأسانيدها .

المحـدث : وهو من توسـع فى الرواية والمعرفة فأشغل بالحـديث رواية ودراية ، وجمع رواته واطلع على كثير من الرواة والمرويات فى عصره ، وتميز فى ذلك حتى عرف فيه خطه ، واشتهر ضـبطه . قال التاج السبكى : هو من عـرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال ، وحفظ جملة مستكثرة من المتون ، وسمع الكتب الستة ، ومسند أحمد وسنن البيهقى .

ومعجم الطبرانى ، وضـم الى ذلك ألف جزء من الأجزاء الحديثة والمقصود أنه من حصل على معرفة بالرجال والكتب تجعله ذاذوق فى معرفة الحـديث .

الحافظ : من الحفظ ، ويختلـف باختلاف العصور ، وهو من عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله ، وقد ذكروا نماذج **من حفظ** الحفاظ ليسـتدلوا بها على هؤلاء الحفاظ ومكانتهم .

فالامام أحمـد روى أنه كان يحفظ سبعمائة وخمسين ألف حديث والبخارى ثلثمائة ألف حـديث ، وكذلك مسلم . وحفظ أبـو داود خمسمائة ألف حديث ، ويحيى بـن معين مائة وثلاثين ألفا حـديث ، والحاكم خمسمائة ألف حـديث من شتى أنواع الحديث ، مابين صحيح وغير صحيح ، مما يتصل بالرسول « صلى الله عليه وسـلم » أو الصحابة أو التابعين .

الحجة : هو الحافظ الذى بلـغ فى الحفظ والاتقان مبلغا يصح أن يكون حجة عند العام والخاص .

الحـاكم : من عـرف أغلب الأحاديث متنا وسندا وجـرحا وتعديلا وتاريخا ونحو ذلك ممـا يتعلق بها من ناحية هذا الفن .

وأعلى درجات المحدثين « أمـير المؤمنين فى الحديث » أى أعلـم عصره به وأجمعهم له وأكثـرهم فهما لما يتصل به .

ومن لقب بأمـير المؤمنين فى الحـديث الامام مالك . والامام أحمد ، والبخـارى ، والدارقطنى وغيرهم .

وممن لقب بالحاكم . أبو داود

والترمذى ، والنسائى والحاكم النيسابورى •

هذه فكرة اجمالية عن مدرسة الحديث ، ودرجاتها العلمية ونظامها الدقيق البالغ الغاية فى الدقة والنظام ، وقد تحدث علماء الحديث من دعاة العلم والمتطفلين على مائدته فيما يتصل بهذا المجال فقال التاج السبكى : ومن أهل الحديث فرقة ادعت الحديث فكان قصارى أمرها النظر فى مشارق الأنوار الصاغانى ، فان ترفعت فالى مصابيح البغوى ، ظنت أنها بهذا القدر تصل الى درجة المحدثين وما ذلك الا بجهلها بالحديث ، فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب ، وضم اليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثا ، فان رامت بلوغ الغاية على زعمها اشتغلت بجامع الاصول لابن الأثير ، فان ضمت الى ذلك كتاب « علوم الحديث » لابن الصلاح ، أو مختصره المسمى « بالتقريب والتيسير » للنووى ، ونحو ذلك نودى بمن انتهى الى هذا المقام محدث المحدثين وبخارى العصر ، وما ناسب ذلك من الألفاظ الكاذبة وانما المحدث من عرف الأسانيد والعلل ، الخ •• ماسبق ذكره فى تعريف المحدث ، وقال أيضا : ومن أهل العلم طائفة طلبت الحديث ، وجعلت دأبها السماع على المشايخ ومعرفة العالى من المسموع والنازل وهؤلاء هم المحدثون على الحقيقة ، الا ان كثيرا منهم يجهد نفسه فى تهجى الأسماء والمتون وكثرة السماع من غير فهم لما يقرءونه ، ولاتتعلق فكرته بأكثر من تعدد المشايخ ، والتفاخر بهم ، وانما كان السلف يستمعون فيقرءون فيرحلون فيفسرون ، ويحفظون فيعملون •أهـ بتصرف •

وقد عنف العلماء فى الحملة على مدعى الحديث أو المنتسبون الى مدرسته دون جدارة واستحقاق ، فقال بعضهم :

ان الذى يروى ولكنه
يجهل ما يروى وما يكتب
كصخرة تنبع أمواهها
تسقى الأراضى ولا تشرب

وقال فيهم بعض الظرفاء : ان الواحد منهم قليل المعرفة والخبرة

يمشي ومعه أوراق ومحبرة ، ومعه أجزاء يدور بها على شيخ وعجوز ، لايعرف مايجوز مما لايجوز ، فكم يرض العلماء التقعر فى الحديث والسيرفيه دون فهم دقيق وذوق رفيع ، وخبرة عالية ، حتى لقد سرى منهج علماء الحديث الدقيق الى غيرهم ، واشتهرت جديتهم عنهم ، وروى الحاكم النيسابورى بسنده عن محمد بن سهل بن عسكر قال :

وقف المأمون يوما للآذان ، ونحن وقوف بين يديه اذ تقدم اليه غريب بيده محبرة فقال : يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به فقال له المأمون : (ايش) تحفظ فى باب كذا ، ؟ فلم يذكر فيه شيئا ، فمازال المأمون يقول حدثنا هيشم ، وحدثنا حجاج ابن محمد ، وحدثنا فلان حتى ذكر الباب ، ثم سأله عن باب ثان ، فلم يذكر فيه شيئا ، فذكره المأمون ، ثم نظر الى أصحابه ، فقال : أحدهم يطلب الحديث ثلاثة أيام ثم يقول : أنا من أصحاب الحديث أعطوه ثلاثة دارهم ٠

ولقد أفضنا فى هذا المجال لندرك الى أى مدى حفظ المحدثون مراكزهم ، وحددوا مناهجهم ، وكانت الشهادة لأحد منهم بالأمانة شهادة معبرة صادقة لها مدلولها الصحيح ٠

دكتور الحسينى هاشم

« اعتراف »

(انى أعتقد أن رجلا كمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لو تسلم زمام الحكم المطلق فى العالم بأجمعه اليوم ، لتم له النجاح فى حكمه ، ولقاد العالم الى الخير ، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة) ٠

« برنارد شو »

دراسات قرآنية :

ليلة النصف من شعبان

ليست الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

« حم (١) والكتاب المبين (٢) انا أنزلناه فى ليـلة مبـاركة انا كنا منذرين (٣) فيهـا يفرق كل أمر حكيم (٤) » من سورة الدخان

البيـــان

ذهب بعض العلماء الى أن ليـلة النصف من شـعبان هى الليلة التى يفرق فيها كل أمـر حكيم ، وهى التى جاءت فى سورة الدخان فى قوله تعـالى **«حم والكتاب المبين ٠ انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيهـا يفرق كل أمر حكيم »** وممن ذهب الى ذلك عكـرمة ، واحتج بما جاء فى بعض الأحاديث من أن الآجال تنسـخ فى ليلة النصف من شـعبان ، حتى ان الرجل ليتزوج وقد رفع اسمه فيمن يموت ٠

والصحيح أن الليلة المذكورة هى ليلة القـدر ، لقـوله تعـالى **انا انزلناه فى ليلة القدر »** وليلة القدر فى رمضان ، لقوله تعالى **« شـهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ،** فتبين من ذلك أن كل أمـــر حكيم لا يفرق فى ليلة النصف من شعبان ، بل فى الليلة المباركة التى أنزل فيها القرآن ، وهى ليلة القدر من شهر رمضــان الذى أنزل فيه القرآن ، وهذا هو الذى ارتضــاه جمهور العلمـاء وعلى رأسهم ابن عباس ، اخـــرج محمـــد بن نصر وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس أنه قال فى تفســير آية الدخان (يكتب فى ليلة القــدر ما يكون فى

السنة من رزق أو موت أو حياة ، أو مطر ، حتى يكتب الحاج : حج فلان ويحج فلان) .

ومن ذهب الى ذلك الحسن ، أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن ربيعة بن كلثوم قال : كنت عند الحسن فقال له رجل يا أبا سعيد : ليلة القدر فى رمضان هى ؟ قال : أي والله انها لفى كل رمضان ، وانها الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، فيها يقضى الله تعالى كل أجل وعمل ورزق الى مثلها ، وروى هذا التعميم عن غير واحد من السلف ، فهؤلاء جميعا قالوا ان كل مقدورات العام تنقل من أم الكتاب الى الملائكة ليلة القدر ، ليقوموا بتنفيذها فى مواطنها ، كل فى دائرة اختصاصه .

الصيام فى شعبان

شعبان شهر كريم ، وهو مقدمة لشهر أكرم ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وفرض فيه الصيام ، ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يخصه من بين الشهور بكثرة صيامه فيه ، ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر الا رمضان ، وما رأيته أكثر صياما منه فى شعبان » .

وفيهما عن عائشة أيضا قالت « لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يصوم شهرا أكثر من شعبان ، فانه كان يصوم شعبان كله ، وكان يقول : « خذوا من العمل ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا » .

احياء ليلة النصف من شعبان

جرت عادة كثير من المسلمين أن يحيوا ليلة النصف من شعبان ، وأن يدعوا الله تعالى ، لما روى عن احيائها من أحاديث تدل على فضلها ، وتبعث على احيائها .

وهذه الأحاديث وان لم تصل الى درجة الصحة فى أفرادها ، فان بعضها يقوى بعضا ، كما هو شأن الأحاديث الضعيفة السند اذا

اجتمعت ، ولهذا تجعل العمل بها مشروعا غير بدعى ، وقد نقل عن كبار التابعين احياء ليلة النصف عملا بتلك الأحاديث ، على ما سنوضحه ، وفيما يلى بعض هذه الأحاديث :

روى الطبرانى وابن حبان عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يطلع الله الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن** » وبهذا المعنى رواه أحمد فى مسنده .

وروى البيهقى فى كتاب السنن وغيره بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله عز وجل يطلع الى عباده فى كل ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمؤمنين ، ويملى للكافرين ، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه » .

وروى البيهقى عن العلاء أن عائشة رضى الله عنها قالت « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك ، فرجعت فسمعته يقول فى سجوده « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال « يا عائشة — أو يا حميراء — أظننت أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قد خاس بك » ؟ — أى غدر بك — قلت لا يا رسول الله ، ولكنى ظننت أنك قد قبضت لطول سجودك ، فقال : « أتدرين أى ليلة هذه » ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : « هذه ليلة النصف من شعبان ، ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم » .

وروى محمد بن عيسى بن حبان المدائنى بسنده أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه دخل على عائشة رضى الله تعالى عنها ، فقالت عائشة : يا أبا سعيد ، حدثنى بشىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدثك بما رأيته يصنع

قال أبو سعيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى صلاة الصبح قال « اللهم املأ سمعي نورا وبصرى نورا ، وبين يدى نورا ، ومن خلفى نورا ، وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا ، ومن فوقى نورا ، ومن تحتى نورا ، وأعظم لى النور برحمتك » قالت عائشة رضى الله عنها « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع عنه ثوبيه ، ثم لم يستتم أن قام فلبسهما ، فأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنه يأتى بعض صويحباتى ، فخرجت أتبعه ، فوجدته بالبقيع بقيع الغرقد ، يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، فقلت : بأبى وأمى ، أنت فى حاجة ربك عزوجل ، وأنا فى حاجة الدنيا ، ثم قصصت عليه ماحدثت به نفسها ، فقال صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ، أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ — قال — أتانى جبريل فقال : هذه ليلة النصف من شعبان ولله عز وجل فيها عتقاء من النار » ثم قال « لا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ، ولا الى قاطع رحم ، ولا الى مسبل ، ولا الى عاق لوالديه ، ولا الى مدمن خمر » ثم وضع ثوبيه وقال « يا عائشة ، أتأذنين لى فى قيام هذه الليلة ؟ قلت : نعم بأبى وأمى فقام فسجد طويلا حتى ظننت أنه قد قبض ، فقمت ألتمسه ، ووضعت يدى على باطن قدميه فتحرك ، ففرحت وسمعته يقول فى سجوده « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ،وأعوذ بك منك، جل وجهك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، فلما أصبح ذكر تهن له ، فقال : تعلميهن وعلميهن ، وأمرنى أن أرددهن فى السجود » .

وفى رواية للدارقطنى عن عائشة قالت (كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم عندى ، فلما كان فى جوف الليل فقدته ، وأخذنى مايأخذ النساء من الغيرة ، فتلففت بمرطى أما والله ماكان مرطى خزا ولاقزا ، ولا حريرا ولا ديباجا ، ولا قطنا ولا كتانا ، قيل ومم كان ؟ قالت : شعرا ولحمته من أوبار الابل،

فطلبته فى احدى حجرات نسائه فلم أجده ، فانصرفت الى حجرتى ، فاذا به كالثوب الساقط على وجه الارض ساجدا ، وهو يقول فى سجوده : « يا عظيم يرجى لكل عظيم ، اغفر الذنب العظيم ، سجد وجهى للذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، ثم رفع رأسه فعاد ساجدا ثم قال : أعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقابك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » ثم قالت « ثم رفع رأسه فقال « اللهم ارزقنى قلبا نقيا ، لا كافرا ولا شقيا » الى آخر ما قاله صلى الله عليه وسلم .

وجاء فى مشروعية صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته ، ماروا ه عبد الرازق وابن ماجه من قوله صلى الله عليه وسلم « اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فان الله عزوجل ، ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول : ألا مستغفر فأغفر له ، ألا مسترزق فأرزقه حتى يطلع الفجر » والمراد من نزوله تعالى الى سماء الدنيا نزول ملك بأمره جل وعلا اليها ، فيبلغ عنه سبحانه أنه يدعو عباده أن يستغفروه فيها ليغفر لهم ، ويسترزقوه ليرزقهم ، فان النزول والطلوع من صفات الحوادث ، ومثل ذلك المجاز مستعمل لغة ، كقولهم هزم الأمير أعداءه — مع أنه فى قصره — يريدون أن قائده هزمهم بأمره وتأييده .

احياء التابعين ليلة النصف

كان التابعون من أهل الشام ، كخالد بن معدان ومكحول ، يجتهدون فى العبادة ليلة النصف من شعبان ، وعنهم أخذ الناس تعظيمها ، وقد أنكر ذلك أكثر علماء الحجاز ، ومنهم عطاء بن أبى مليكة ، ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء المدينة ، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم ، وقالوا ان ذلك بدعة وقد علمت أن أهل الشام يستندون الى مجموع تلك الأحاديث التى يقوى بعضها بعضا ، وبذلك تخرج عن البدعة الى السنة .

واختلف علماء الشام فى صفة احيائها على رأيين (أحدهما) أنه يستحب جماعة فى المسجد ، وكان خالد بن معدان ، ونعمان بن عامر يلبسان أحسن ثيابهما ويتبخران ، ويقومان فى المسجد ليلتهما تلك ، ووافقهما على ذلك اسحق بن راهويه (وثانيهما) أن احياءها بالصلاة وان لم يكن بدعة ، لكنه يكره الاجتماع لذلك فى المساجد ، لعدم وروده فى تلك الأحاديث ، بل يصلى الرجل لخاصة نفسه ، وهذا قول الأوزاعى امام أهل الشام وفقيههم .

وتحيى ليلة النصف بالصلاة بغير تعيين عدد ، وبقراءة القرآن وذكر الله تعالى والدعاء والتسبيح ، والثناء والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقراءة أحاديثه وسماعها ، وتفسير كتاب الله وسماعه ، وشرح الأحاديث وسماعه ويحصل احياؤها بمعظم الليل ، وقيل بساعة ، وقيل بصلاة العشاء فى جماعة ، والعزم على صلاة الصبح فى جماعة كما قال بعض العلماء فى احياء ليلتى العيدين وليلة القدر .

رأى الدين فى دعاء نصف شعبان

جرت عادة بعض المسلمين ليلة النصف من شعبان ، أن يؤدوا صلاة المغرب فى جماعة ، وبعد الفراغ منها يقرءون دعاء معينا فى شكل جماعى ، ويقولون انه دعاء نصف شعبان ، ومنهم من يقرأ بعد صلاة المغرب سورة يس ثلاث مرات ، يصلى بعد كل مرة ركعتين يليهما هذا الدعاء ، وتكون الصلاة الأولى بنية طول العمر ، والثانية بنية رفع البلاء ، والثالثة بنية الاستغناء عن الناس ويظنون كل ذلك مأثورا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والواقع مغاير لذلك ، والدعاء الذى يقرءونه فيه أخطاء شرعية ، كطلب الداعى من الله أن يمحو من أم الكتاب شقاوته وحرمانه وطرده وتقتير رزقه ، اذ أنه لا يمحى شىء مكتوب فى أم الكتاب ، فأم الكتاب هى علم الله تعالى أو اللوح المحفوظ ، وكلاهما لامحو فيما ثبت فيه ، لأنه أزلى لا يغير ، وأحوال العقائد الطاعات والمعاصى والتوبة مكتوبة فيه بتفصيلها وزمنها ، فكل مايحصل

من تغير فى أحوال العبد الى صلاح أو الى فساد فهو ثابت ، لأنه تعالى لايبتدىء العلم حسب تغير المعلوم، فكل المعلـومات بتغيراتهـا واختلافاتها ومواقيتها وأسـبابها وغاياتها ، فهى ثابتة تفصيلا فى علم الله وفى اللوح المحفوظ ، ولا حاجة فيها الى محو ولا الى أثبات •

فليدع الانسان ربه بما يشـاء مما ليس فيه اثم ، ولايقيد دعاءه برفع ضده من أم الكتاب ، فـان صادف دعاؤه ما جاء فى علم الله من شفائه بعد مرض ، أو يسر بعـد عسر ، أو ذرية بعد عقم ، أو غنى بعد فقر ، أو فرج بعد ضـيق ، أو غير ذلك ، كان دعاؤه من قدر الله صادف قدر الله ، وان لم يكـن فى علمه تعالى تحقيق دعائه فلابد أن يثاب عليه فى الآخرة ، أو يبدل فى الدنيا من دعائه خيرا غيره ، أو دفع شر عنه ، كما ورد فى السنة المطهرة•

ومن شاء دعاء مأثورا ففى السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير ، ونورد بعضـه فيما يلى ــ وهو غير مقيـد بليلة النصف من شعبان •

(الدعاء عند النوم) •

روى البخارى عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل اللهم أسـلمت نفسى اليك ، وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك ، رهبة ورغبة اليك ، لاملجأ ولا منجى منـك الا اليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسـلت ــ فان مته مت على الفطرة ، واجعلهن آخـر ماتقول » •

(الدعاء عند الانتباه من النوم)•

أخرج البخارى بسـنده عن ابن عباس قال : (كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والارض ومن فيهـن ــ ولك الحمد ــ أنت قيم السموات والارض ومن فيهن ــ ولك الحمـد ــ أنت الحق ووعدك حق • وقولك حق ، ولقاؤك حق ، والجنة والنـار حق والساعة حق ، والنبيون حـق ومحمد حق ، اللهم لك أسـلمت ،

وعليك توكلت ، وبك آمنت ، واليك أنبت وبك خاصمت ، واليك حاكمت فاغفرلى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا اله الا أنت » .

(دعاء الصباح والمساء) .

أخرج البخارى بسنده عن شداد بن أوس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أبوء لك بنعمتك ، وأبوء لك بذنبى ، فاغفرلى فانه لايغفر الذنوب الا أنت ، أعوذ بك من شر ماصنعت ــ اذا قال حين يمسى فمات دخل الجنة ــ أو كان من أهل الجنة ــ واذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله » أى دخل الجنة .

(استعاذة من الهم والدين)

أخرج البخارى بسنده عن أنس ابن مالك من حديث رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول « اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين وغلبة الرجال » .

(استعاذة من البخل والجبن والفتن) .

أخرج البخارى بسنده عن مصعب قال « كان سعد يأمر بخمس ويذكرهن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بهن « اللهم انى أعوذبك من البخل ، وأعوذبك من الجبن ، وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر ، وأعوذبك من فتنة الدنيا ــ يعنى فتنة الدجال ــ وأعوذبك من عذاب القبر » .

دعاء شامل :

أخرج البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : «اللهم انى أعوذ بك من الكسل والهرم ، والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر وعذاب القبر ، ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر ، وأعوذبك من فتنة المسيح الدجال ، اللهم اغسل عنى خطاياى بماء الثلج والبرد ، ونق قلبى من الخطايا ، كما نقيت الثوب

الابيض من الدنس ، وباعــد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب » .

صلاة التسابيح ليلة النصف

ينبغى للمسلم أن يصلى فى ليلة النصف من شعبان صلاة التسابيح التى علمها النبى صلى الله عليــه وسلم لعمه العباس وغيره من أقاربه مبالغة فى طاعة الله واللجوء اليه .

وصــفتها كما رواها أبو داود بســـــنده عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للعباس عمه : « ياعماه ، ألا أعطيــك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل لك عشر خصال اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبــك أوله وآخره وقديمــــه وحديثه ، خطأه وعمده ، صــغيره وكبيره، سره وعلنه ــ عشر خصالــ أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة ، فاذا فرغت من القراءة فى كل ركعة وأنت قائم ، فقل سبحان الله والحمد الله ولا اله الا الله والله أكبــر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر ، ثم ترفع رأســك من الركوع فتقولها عشرا ، وتهـــوى ساجدا فتقولها وأنت ســاجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأســك فتقولها عشرا ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ، تفعل ذلك فى أربع ركعات ، ان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل ، فان لم تفعل ففى كل جمعـــة مرة ، فان لم تفعل ففى كل شهر مرة ، فان لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فان لم تفعل ففى عمرك مرة » قال الحافظ صلاح الدين : حــديث صـــلاة التسابيح صحيح أو حسن ولابد ، وقال الامام البلقينى : حديث صلاة التسابيح صحيح ، وله طرق يعضد بعضها بعضا ، فهى ســـــنة ينبغى العمل بها ، وبعد فعليك أيها المسلم باحياء هذه الليلة بتلك الصـــلاة أو بما شئت من طاعة سواها ، واللـــه تعالى ولى التوفيق والقبول .

مصطفى محمد الحديدى الطير

المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف

دكتور رءوف شلبي

ثالثا : قــواعد الانفاق :

لم يترك الاسلام قوى النفس البشرية رهوا تستهلك ماتنتجــه أو تسرف فى النفقة الواجبة شرعا .

بل جعل الله موازين للانفاق .

(أ) موازين للانفاق فى صورته الحــلال .

(ب) موازين للصدقة عــــلى الفقراء .

أولا : موازين الانفاق .

ان تناول الحياة فى نظر المسلم تناول للطاعة ومجالات العبادة فى الاسلام هى مجالات رقابة مباشرة بين العبد وربه فالعبد يعرض قلبه وخاطره على ربه خمس مــرات فى اليوم والليلة ، انه يشهد الله على نقاء سريرته ، وسلامة عرضـــه وصدق سلوكه وامتثاله .

فتناول الحياة يأخذ هذا الحيز النقى من تفكير المسلم يقول النبى « صلى الله عليه وسلم » : المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء (١) .

فالشراهة ، والنهــم والتنافس على الحياة بصورة مفجوعة طائشة ليست اخلاقا اسلامية بل الأخلاق الاسلامية أن يقنع بما يكفيه والا يبذر الفائض فى وجه غير شرعى .

ولقد حرص الاسلام منذ فجره

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومســـلم والترمذى وابن ماجه من طـــريق ابن عمر .

الصادق بمكة المكرمة أن يـــدرب المسلمين على قانون الانفاق الــذى يحقق التوازن بين قوة الانتاج وقوة الشراء بحيث لاتضطر الجماعـــة الاسلامية الى الخروج على مبـــدأ الاكتفاء الذاتى ، وبحيث لايحدث فى المجتمع غلاء أو ندرة تؤدى الى رفع الاسعار أو احتكار السلع .

ولهذا يقول الله تعالى :

(أ) وآتذا القـــربى حقــه والمسكين وابن السبيل ولا تبــذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لـــربه كفـــورا

٢٧ ـ الاسراء

ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك . ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا، ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقـــدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا .

٢٩ ـ ٣٠ الاسراء

بل ان هذا القانون الذى تقرره ســورة الاسراء كمبدأ لسـلوك الجماعة الاسلامية اقتصاديا قـــد جعلته سورة الفرقان خلقا ووصفا للمؤمنين يقول الله تعالى : « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما،والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما،والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عـــذابها كان غراما ، انها ســاءت مســـتقرا ومقاما** » .

« **والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولميقتروا وكان بين ذلك قواما** ».

٦٣ ـ ٦٧ الفرقان

وهذا ميزان يجعله النبى صلى الله عليه وسلم شرطـــا لتصرف الزوجة فى مال زوجها ..

ففى الحديث :

اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجر بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب **وللخـــازن مثلذلك لاينقص بعضهم أجربعض شيئا « مسلم » ويوم أن يتحقق** ميزان الانفاق من الغنى والفقـــير على السواء :

لاتبذير بالانفاق فى الكماليـــات والمهرجانات ولا اسراف فى النفقة **على البيت والأهل والأقارب .**

انه فى هذا اليوم تعرف الأمـة طريق الرخاء اذ لايجد المتلصصون لهم بابا يلجون منه وذلك لايكـون الا بالقدوة منصاحب الشأن وولى الأمـر •

ثانيا : موازين الصدقة :

قلنا ان وظيفة المال فى الاسلام وظيفة اجتماعية وليس القصد منه بالدرجة الأولى السعى وراءالربح **الكثير، وليس فى** التصور الاسلامى **أن** يكونتكديس الأموال وادخارها **هو** الغاية التى يسعى اليها العمل فى نظر الفكر الاسلامى بل العكس هو الصحيح ، فالمال خدمة للجماعة فقد وضع الله فى أموال الأغنياء حقوقا للفقراء يقول الله تعالى :

« وفى أموالهم حق للســـائل والمحروم » •

١٩ ــ الذاريات

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » •

٢٤ ــ ٢٥ المعارج

وجعل الاسلام البذل والعطـاء من صـــفات المؤمنين الأبـــرار الصادقين •

« ان الأبرار يشربون من كـأس كان مزاجها كافورا،عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنــذر ويخـــافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه اللــه لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » •

٥ ــ ٩ الانسان

وعلى العكس تكون صفة **البخل** والاحتكار للمجاحدين المكــذبين ، يقول الله تعالى : **« كل نفس بمـا كسبت رهينة ، الا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمـين ماسلككم فى سقر قالوا : لم نكمن المصـــــلين ، ولم نك نطعـــم المسكين »** •

٣٤ ــ ٤٤ المـدثر

وسورة صغيرة فى القرآن الكريم تهز أفكار الاقتصـاديين فى شتى المذاهب حيث يجعل الاسلام المال لخير الجماعة والفرد على الســواء فى الدنيا وفى الآخرة يقـــول الله تعـالى .

« أرأيت الذى يكذب بالـــدين فذلك الذى يدع اليتيم ، ولايحض علىطعام المسكين ، فويلللمصلين ،

الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون » •

وقد توعد الله الذين يجمعون المال ويكنزونه ولا ينفقونه فى سبيل الخير والرخاء يقول الله تعالى فى شأن القساوسة والأحبار الذين كانوا يكنزون المال ولا ينفقونه فى وجوه البر :

« يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون »
٣٤ ــ ٣٥ ــ التوبة

ولقد جعل الاسلام جمع المال وعده وكنزه دون انفاقه فى وجوه الطاعة والبر من صفات الكافرين يقول الله تعالى :

«ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده ، كلا لينبذن فى الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، أنها عليهم مؤصدة فى عمد ممدة »

فالانفاق فى سبيل البر والخير والصالح العام على الافراد أو المؤسسات الاجتماعية أمر يدعو اليه الاسلام كمبدأ فى النظام الاقتصادى الاسلامى •

ولذلك جعل له موازين وهى :

(أ) عدم الاسراف وهو قدر عام فى كل نظريات الانفاق عند الاسلام •

(ب) ألا يكون من الأردأ جودة يقول الله تعالى :

ولا تيمموا الخبيث منهتنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه وأعلموا أن **الله غنى حميد •**
٢٦٧ ــ ألبقرة

ويقول جل جلاله :

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم •
٩٢ ــ آل عمران

(ج) اخفاء الصدقة اذا كانت

لشخص معين أو اخفاؤها مطلقـــا خشية التهمة بالرياء •
يقول الله تعالى :

« أن تبدوا الصدقات فنعما هى ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكـــم والله بما تعملون خبير » •

٢٧١ ــ البقرة

والنبى صلى الله عليه وســلم يقول فى شأن السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها فلم تعلم شمـــاله ما أنفقت يمينه •

(د) أن يكون مؤمنا باللــــه الواحد الأحد وأن يكون مصـــدقا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم•
يقول الله تعالى :

« قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين •
ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون » •

٥٣ ــ ٥٤ ــ التوبة

واذا كان القرآن الكريم يرفض العمل الصالح من الفاسقين الكفرة لأنهم لم يؤمنوا بالله ولابرسوله•
فانه فى سورة الفرقان يصـــور حالتهم يوم القيامة بصورة بشعة فى الخسران واحباط الأعمـــال ، يقول تعالى :

« يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجـــرا محجورا ، وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » •

٢٢/٢٣ ــ الفرقان

ويفصل القرآن هذه الصدقة فى سورة آل عمران يقول الله تعالى:
« أن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهـــم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار همفيها خالدون •

مثل ما ينفقون فى هذه الحيـــاة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » •

١١٦ ــ ١١٧ آل عمران
ويقول الله تعالى :

«والذين كفروا أعمالهم كسراب

بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب » .

٣٩ البقرة

ولقد نجح الاسلام فى اقتصاده التطبيقى حيث كان الاخاء بين المهاجرين والأنصار اخاء منبثقا من هذه القوانين التى تكفل العيش الرضى للانسان فلم تحدث فى المجتمع الاسلامى الأول حاجة ندرة رغم أنه مجتمع أرض صحراوية موسمية الأمطار النادرة الوقوع ومع هذا فلم يؤثر الوضع فى نشر الدعوة والتغلب على كل المعاندين حتى حولت الجزيرة العربية كلها الى دولة اسلامية فى أقل من ربع قرن .

ان صحة النظريات الاقتصادية تقاس بنجاحها فىتحقيق الأغراض للدولة وقد أدت للدولة الاسلامية فى فجرها الأول كل أغراضها التى بعثت من أجلها :

(أ) فطهرت الجزيرة العربيةمن الشرك واستعدت لحمل مشعل الرسالة الى افريقيا ثم الى أوروبا فى أقل من قرن .

(ب) وأوجدت مجتمعا متحابا ليس فيه صراعات ولا تنافس مع وجود الثراء والفقر لكن للفقراء حقهم فى مال الأغنياء .

(جـ) وأقامت العدالة الاجتماعية دون ثورة أو شعار أو بروبا جاندا .

وتلك علامة من علامات الاعجاز الاسلامى أن تصح نظريته فى عمر قصير مع التكامل فى بقية الأهداف العليا للدولة ، ولما تستطيع الرأسمالية ان تقدم النجاح لمجتمعها الذى تجتاحه نفسية التلصص وشبح البطالة ، وعربدة التنافس المادى الذى يقلق الأمن ويرفع الأمان عن النفوس .

ولن تستطيع الاشتراكية حصول شىء من هذا المستوى الرفيع للعدالة الاجتماعية لفسادها كمذهب ولفساد عناصرها وعدم تلائمها مع مطالب الحياة ، وطبائع البشر .

ذلك لأن نظام الرقابة على الانفاق يحتاج الى شعور بالاحترام الرقيب وذلك لا يتأتى فى الأنظمة البوليسية ومأموريات الضرائب وانما يتأتى بنظام العقيدة التى تسوى بين الحاكم والمحكوم فى الوقوف أمام الرقيب الأعلى وهو

الله صاحب الملكوت والســلطان والتدبير وســبيل ذلك التربية فى معاهد التعليم ، والقدوة الحسنة فى ادارات المصــالح والحكومة وطبقات العمل التجارى العام .

رابعا العدالة الاجتماعية :

من سمات النظرية الاقتصادية الاسلامية أن العدالة الاجتماعية ركن من أركان الاقتصــاد وعنصر هام ورئيسى من عناصره .

وليست العدالة الاجتماعية فكرة متروكة للاجتهاد بل هى مبدأ دينى منطلق من التكافل الاجتماعى الذى جعله الله تبارك وتعالى مسـئولية المجتمع الاســلامى نحو افراده ، فبين أبناء المجتمع الاســـلامى علاقتان أساسيتان عليهما تقــوم دعامة العدالة الاجتماعية .

العلاقة الأولى : الاخــاء وهو ليس لفظا مجردا بقدر ما هـــو حقيقة تاريخية فى التطبيق للنظــام الاجتماعى الاســلامى فليس فقط مدلول الاخاء يقف عندقولهتعالى: **« انما المؤمنون اخوة »** .

١٠ ــ الحجرات

ولا عند قول النبى صــلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

البخارى

وانما الاخاء الاسلامى حــركة اجتماعية قامت فى اللحظة الأولى لبناء المجتمع الاسلامى بعد الهجرة تصنع من المهاجرين والأنصار أمة تلتزم بالتكاليف الشرعيـــة التى تحقق مبدأ كرامة الانســـان ، وربانية المجتمع كله .

ولقد سجل القرآن الكريم عملية الاخاء هذه فى قوله تعـــالى : **« والذين تبوءوا الدار والايمانمن قبلهم يحبون من هــاجر اليهــم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولــو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »** .

٩ ــ الحشر

العلاقة الثانية : تحمل المجتمـع مسئولية الولاية بين أفراده ، فبين أفراد المجتمع الاسلامى مسئولية الولاية فى تنفيذ أهداف المجتمـع الاسلامى ، وحماية خصائصه يقول الله تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعــروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون اللـــه ورسوله أولئك سيرحمهم الله أن الله عزيز حكيم » •

٧١ التوبة

وقد صور النبى صلى الله عليه وسلم مسئولية التضامن الاجتماعى فى المجتمع الاسلامى بقوله صـلى الله عليه وسلم :

« ترى المؤمنين فى توادهــم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » •

البخــارى

فالحياة فى التصور الاســلامى قائمــة عــلى التراحم والتــواد ، والتعاون ففى الحــديث الشريف **« الراحمون يرحمهم الرحمن »** •

وهى خاصية عامــة للدين الاسلامى :**«وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** •

الانبياء

غير أن مفهوم العدالة الاجتماعية له جانبان :

* جانب اقتصادى هو رعــاية المحاويج •

* وجانب أخلاقى هو احترام القيم وحماية كرامة الانسان •

* والجانب الاقتصـــادى فى رعاية المحاويج يصــور توظيف المال لخدمة الانسان فشرع عــدة **قوانين مالية للمحافظةعلى** الضعاف والمحاويج فى المجتمع •

فالزكاة والصدقة ، والنذور ، والكفارات والهبــة ، والوقف ، والرقبى ، والعمــرى ، والفىء والأنفــال والــركاز ، والميراث ، والعدل بين الأولاد ، وتحــرير الرقيق واحياء الموات ، والأضحية والهدى •

وهذا الجانب لا يقوم على المن والأذى ، بل ولا يشعر أصــحاب هذهالحقوق أنهم مدينون للأغنياء ذلك لأن الله تبارك وتعلى جعــل لهم حقوقا •

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » •

٢٤ ــ ٢٥ المعارج

وهذا الحق المعلوم قائم عــلى

ثبوت حق الفقراء فى مال الأغنياء يقول الله تعالى :

« وفى أموالهم حق للســـائل والمحروم » •

١٩ الذاريات

ولهذا فقد حذر الله أن يصاحب تسليم هذا الحق من أو أذى مـــن الأغنياء يقول الله تعالى :

«الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » •

٢٦٢ ـــ البقرة

وجعل الاســـلام القول المعروف والعفو أفضل من صدقة تصـــاحب لفظا نابيا أو تأنيبا •• الخ •

يقول الله تعالى :

قول معروف ومغفرة خير مـــن صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم، يا أيها الذين آمنوا لا تبطلــــوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن باللـــه واليوم الآخر الآية » •

٢٦٣ ـــ ٢٦٤ البقرة

ولذلك يكون من الخطأ علميا أن **يتصـــور أن مفهوم** العـــدالة الاجتمعية فى الاســـلام رديف أو شبيهة بما يماثلها فى التســـمية فى الأنظمة الأخرى •

لأنها فى الاسلام منطلقـــة من العقيدة والايمان وقائمة عـــلى ركيزة الاخاء والولاية داخـــل المجتمع الاسلامى •

ومن جانب آخر فمصادر تحقيق العدالة الاجتماعية وفيرة وفرة تكفى شمولها لكل أفراد المحاويج •

ومن جانب ثالث : فانها تحفظ على الفرد مروءته ، وكرامته وقيمته الانسانية •

❋ وأما الجانب الأخـــلاقى فى العدالة الاجتماعية فيبرز صـــحة قواعد العـــدالة حيث تكون قيمة الانسان وكرامته متساوية بين سائر أبناء المجتمع الاســـلامى مهما اختلفت أشكال الوظائف •

❋ وقصة عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين يعنى تحته هـــذه الاقطار الاسلامية فى أفريقيـــا وآسيا تقول له امرأة وهو عـــلى المنبر يوم الجمعـــة والناس كلهم شهود : أخطأت يا عمر أيعطينا الله وتمنعنا أنت ؟ لقد قال الله تعالى:

« وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا » .

وكان عمر يعظ الناس ألا يتغالوا فى المهور فقال لها : أصابت امرأة وأخطأ عمر . ان للمحافظة على القيمة الانسانية حظا وافرا فى النظرية الاسلامية وهى تقيم العدالة الاجتماعية حتى ولو كان ذلك المخاطب هو رئيس الدولة، ولم يجد المجتمع الاسلامى من يخذل المرأة لأنها عارضت رئيس الدولة ، لأنهم جميعا يتحملون مسئولية الولاية يأمرون بالمعروف كائنا من كان وينهون عن المنكر كائنا من كان .

❋ ومن العدالة الاجتماعية أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى عام المجاعة كان شاحب الوجه وفى ثوبه ثلاث رقاع فأشفق عليه المسلمون وطالبوه أن يأكل السمن ليقوى ويلبس ثوبا يليق بالامارة — وكان يستطيع أن يفعل — فقال : لا أشبع حتى يشبع الناس .

❋ ومن العدالة الاجتماعية مراقبة التوازن بين أفراد المجتمع فى الحصول على القوت ولقد رؤى عمر بن الخطاب فى الأسواق ومعه الدرة يضرب بها من أخذ أكثر من حظه فى اللحوم .

❋ وعبادة بن الصامت تهدى اليه هدية ومعه فى الدار اثنا عشر نفرا من أهله ولكنه يرى أن آل فلان أحق بها مع أنه معيل وله أسرة كبيرة .. قال الوليد بن عبادة بن الصامت فأخذتها فكنت كلما جئت أهل بيت يقولون اذهب بها الى آل فلان فهم أحوج منا اليها وظل هكذا .. حتى رجعت الهدية الى عبادة قبل الصبح .. وكان امتثالا للمبدأ الاسلامى :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

❋ ومن العدالة الاجتماعية التساوى فى الوقفة أمام القضاء فيحتفظ التاريخ الاسلامى بهذه الخاصية للدين الحنيف فقد وقف على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ورضى الله عنه كتفا الى جوار كتف يهودى خاصمه فى شىء ، ولم يكن مع أمير المؤمنين على بينة فقضى

القاضي بها لليهودى ضــد رئيس الدولة فلم يضق صدره لأنه يعلم أن القاضي ينفذ تعاليم الاسلام وأن الحاكم لا يعلو فوق الحق ولا فوق القضاء مع أنه يعلم أنه صــاحب الحق ، ولكن عجز اثبات ملكيته أمام موارية اليهودى الذى استطاع ــ ظلما ــ أن يقيم الدليل على ملكيته للشيء المتنازع عليه وأدرك اليهود عظمة الاسلام فــرد الى أمير المؤمنين حقه وخرج اليهودى مــن ربقة اعتقاده وصار واحــدا من جماعة المسلمين .

* والعدالة الاجتماعيــة بين الأفراد كانت خلقا محمودا فقــد روى عن أبي ذر الغفاري قال : انى سابيت رجلا فشــكانى الى النبى عليه الصلاة والسلام فقال النبى عليه الصلاة والسلام: أعيرته بأمه وفى رواية : انك امرؤ فيك جاهلية فذهب ابو ذر الى الرجل الذى سبه ووضع خده عــلى الارض وقال : طأ رأسى لعل الله يغفر لي ويصفح عنى .

* ولعله من أوضح البراهين على صدق الاسلام فى تحقيــق الرعاية الاجتماعية فى جانبهــا القيمى والأخلاقى قصة جبلة بن الايهم ، فقد وطىء فزارى ازاره وهو يطوف بالكعبة فلطمه جبلــة لطمة هشمت أنفه فاشتكى الفزارى الى عمر بن الخطاب ، فقــال عمر لجبلة اما أن تدفع الديه ، واما ان تأذن له بلطمك لطمة مثلها ، فقال جبلة متعجبا : كيف ذلك ، وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال عمر : ان الاسلام قد سوى بينكما .

* وتذهب العدالة الاجتماعيــة كمبدأ فى المجتمع الاســلامى الى ماذهب من رعاية بنى آدم ــ فتذهب الى رعاية الحيوانات فقد دخلت امرأة النار فى هرة حبســتها حتى ماتت لا هى أطعمتهــا ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الارض .

وقد غفر الله لرجل لأنه سقى كلبا كان ظامئا ، لقد سقاه فى خفه لأنه لم يجد وسيلة أخرى لرفــع الماء الى فم الكلب من البئر غــير خفه .

بل ان عقيدة الاسلام فى شمولها لمجالات الرحمة تجعل ممارســة

الحلال فى هذا الاطار يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« اذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » •

ولقد كانت العقيدة الاسلامية وهى تربط الانسان بهذا الكون فى تصور الربانية المهيمنة على الكون أسمى فى تشريعها للعدالة الاجتماعية ـ الاقتصادية ـ من كل تشريع بشرى جعل منها بابا للذل وسوطا للتعذيب ، وبريقا للسيطرة على الحكم •

ولقد فشل الاقتصاد البشرى بكل نظرياته فى تحقيق شىء من العدالة الاجتماعية ابنى البشر •

فها هى الرأسمالية تطغى على قيمة الانسان فتحيله الى طاقة تخدم اغراضها المالية لجمع المال وكنزه وتجعل العرض والطلب قانونا للابتزاز والنهب والسلب •

وها هى الاشتراكية توزع الفقر على الشعب وتجمع الثروة كلها فى يد الحزب ورجال المخابرات « وشلل » المنافقين •

وماعيب أمتنا العربية والاسلامية الا أنها تأخذ بأحد الايدولوجيتين الفاسدتين وتترك اسلامها الحنيف !!

خامسا : التداول

(أ) التداول بالمقايضة •

(ب) التداول بالنقد •

خامسا : التداول : ـ

معروف أن الانتاج ثم التوزيع يقترنان بالوجود الاجتماعى للانسان : فمتى وجد انسان فمن الضرورى أن يمارس نمطا ما من أنماط الانتاج ليواصل حياته ويحافظ على معيشته وعندما ينتج المجتمع لابد وأن يوزع ما ينتجه على جميع أفراده •

ولما كانت الحاجة ضرورة اجتماعية وكانت متنوعة وكان الانسان غير قادر على اشباع نفسه بجميع متطلباته فقد مارس نوعا من التبادل لسد حاجاته المتعددة •

ولقد كانت الأسرة القديمة تتغلب على صعوبة المبادلة والتداول عن طريق توزيع الاعمال التى تغطى كل حاجاتها على جميع أفراد الأسرة

ثم تطور الامر حسب تطور حجـم المجتمع وانتقل من التداول عن طريق المقايضة العينية الى التداول بالنقد، وصار فى الميزان الاقتصـــادى للتداول نوعان من التداول :

الاول : التداول على أســـاس المقايضة .

الثانى : التداول على أســاس النقد .

وللاسلام الحنيف رأى واضح فى هذين الأسلوبين من التداول :

(أ) فيما يتعلق بالمقايضـــة فان عصرها يتسم بالهـدوء والرخـــاء وتحديد الغاية الاقتصادية بالخدمة الاجتماعية وقد حافظ الاسلام على أسلوب المقايضة من الغش والربا أو الزيـــادة غير المشروعة فجعـل المقايضة مشروطة بشرطين : —

الشرط الاول :أن يكون مثـــلا بمثل عندما يتحد النوع مثل البر بالبر والشعير بالشـــعير ، والزبيب بالزبيب ، والحنطة بالحنطة .

الشرط الاول : أن يتحـد زمن المقايضة فيكون يدا بيد يقول النبى صلى الله عليه وسلم .

البـــر بالبـــر ربا الا هاء وهاء ، والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء ، والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء .

« رواه البخارى »

وروى البخـــارى : أن النبى صلى الله عليـــه وسـلم نهى عن المزابنة وهى أن يبيـــع التمـــر بالتمر كيلا ، ويبيع الزبيب بالكرم كيلا وروى البخارى كذلك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لا تبيعوا الذهب بالذهب الا سواء بســـواء ، والفضة بالفضـــة الا سواء بسواء وبيعـــوا الذهب بالفضة والفضة بالذهب كيف شئتم**

(ب) وأما فيما يتعلق بالنقد فقد كان فى فقه الاقتصاد الغربى معمل تفريخ لمشكلتين هما السعى وراء الاكثار من النقد مما أدى الى نهم فى جمع المال بغية اكتنـــازه .... وثانى المشكلتين : تنميـــة المال عن طريق الفائدة فى البنوك مما أدى الى تزايد فى سعر الفائدة ترغيبا فى ادخال الأموال فى البنوك وذلك مولد لشعور خبيث عند التجار والصناع والمستثمرين وهو أنهم لا يقدمون على مشروع تنمية استثمارية الا

بعد تردد ودراسة للطمأنينة على مصادر الربح ... والربح الكثير .

أما الاسلام فقد حافظ على أن يكون التداول النقدى فى وضعه الطبيعى وليس سبيلا الى جمع المال واكتنازه وليس أسلوب تنمية الربا أو الغش أو الاحتيال فشرع مجموعة مبادىء مالية للحفاظ على سلامة النقد كأسلوب للتداول الصحيح .

فحرم الاسلام الربا بشتى أنواع : النسيئة والفضل وحرم الاسلام الغش بصوره المتعددة .

ولذلك حرم أن يبيع حاضر لباد ، وحرم تلقى الركبان ونهى عن التصريه وهى حبس اللبن فى الضرع اذا أرادوا بيع الماشية ... وحرم الاسلام التحايل وأكل أموال الناس بالباطل .

* ونهى عن المنابذة : وهى بيع الثوب دون معرفة مافيه من عيوب .

* ونهى عن الملامسة : وهى جعل لمس السلعة شرطا فى انتقاء خيار العيب .

* ونهى عن البخس : وهو التحايل على زيادة الثمن عن طريق مزايد لا رغبة له فى الشراء .

* وأعطى لرئيس الدولة المسلم عن طريق الرقابة الشعبية والمحتسب المسلم حق مراقبة تداول النقد فى الأسواق بين المسلمين وذلك ليحافظوا على التوازن الاجتماعى لكى لا يكون المال دولة بين الأغنياء فقط .

* كما حث على تيسير التداول فى الأمور الضرورية للمعيشة والأمور الأساسية للحرية فحض القرآن الكريم على :

— تحرير الرقبة .

— وألا يمنع المحتاجون الماعون ..

وهكذا يتميز الاسلام بنظريته الاقتصادية عن النظام الرأسمالى والاشتراكى بهذه الأسس الانسانية الراقية .

ويخطىء كل من يصف الاسلام بأنه اشتراكى ، كما يخطىء كل من

يصف الاســــلام بأنه رأســــمالى فشتان ما بين وحى يوحى وفكــر يتخبط .

انه دين الله الشـــامل الوافى الكافى لسعادة الانســان فى دنياه وفى آخرته فمن شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فذلك هو الاســــلام الحنيف ..

(ان هذا القرآن يهــدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذيــن يعملون الصـــالحات أن لهــم اجرا كبيرا) .

« الاسراء »

دكتور رءوف شلبى

« توجيهــات صــــوفية »

« من اعتل قلبه اعتلت جوارحه ، ومن اعتلت جوارحــه كان فى ضلال مبين ، ومن ســلم قلبه سلمت جــوارحه ، ومن سلمت جوارحه هدى الى صراط مستقيم قال صلوات الله وسلامه عليه ــ « ان فى الجسد مضغة اذا صــلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله « ألا وهى القــلب » .

« اطلب العلم من التقوى ، والعزة من الايمان والرفعة من التواضع »

« من سكن الى شىء اطمأن به ، ومن اطمأن بغير اللــه فقد ضل سواء السبيل » .

محمد عيد الشافعى

في مواجهة الإلحاد المعاصر :

الإلحاد المادى .. والآخرة

للدكتور يحيى هاشم

تشترك اتجاهات الالحاد العلمى على اختلافها فى الاعتقاد بالحياة المؤجلة (الآخرة) التى يستكمل فيها ما نقص من هذه الحياة الحاضرة .

وهى السمة الرابعة من سمات الدين التى أشرنا اليها فى المقدمة .

ليست نظرة الالحاد العلمى الى المستقبل مجرد نوع من التوقع **لما يأتى فى الغد ، وانما عقيدة لازمة من أجل تبرير ما يستمسك به من نظرة الى الماضى ، أو الى الحاضر ويدون هذه النظرة المستقبلية الاعتقادية ، ينهار البناء الكلى للاتجاه الالحادى .**

يقول وليم جيمس :

(ان ثورة العلم ضد الكرامات وخوارق العادات .

وثورة بعض الفلاسفة ضد حرية الارادة .

لم تنبت كلها الا من أصل واحد :

وهو كراهية الاعتراف بوجود عنصر يمكن أن يشككنا فيما عرفناه عن المستقبل)(١) .

فهؤلاء يستنيمون الى غيبوبة لذيذة إلى عقيدة غيبية عن المستقبل تزعجهم عنها الكرامات ... أو تزعجهم عنها حرية الارادة ...

١ ــ ففى مجال العلم البحت ــ مثلا ــ لابد من هذه النظرة عند سماسرة الالحاد لتصح دعواه فى كفاية العلم التجريبى لتفسير

---

(١) الدين والعقل ص ٥٠

الوجود ، وتفسير المستقبل ، وازاحة الميتافيزيقا والدين عن هذا الطريق .

يرى كارل بيرسن أنه (من الخطأ الاعتقاد بأن جهل العلم حاليا يعنى أنه سيظل الى الأبد جاهلا فى المستقبل . فليس لنا أن نقطع بأن هناك ميادين ستظل مستعصية على العلم الى الأبد ،وبأن هناك أنواعا أخرى من المعارف غير العلمية هى التى تهدينا فى هذه الميادين ذلك لأن قدرات العلم لا حدود لها ..) (١) .

ومع ذلك فان بيرسن يقر بعجز العلم عن ادراك العالم الخارجى وهذا هو التناقض بعينه .

ان العالم الخارجى فى نظره فكرة مزعومة لأن أقصى ما نقترب به من ذلك العالم المسمى بالخارجى هو أطراف أعصابنا الحسية وموقف العالم فى هذا يشبه موقف عامل التليفون الذى لا يتصل بالمتحدثين الا من خلال الطرف المجاور له من أسلاك التليفون .

بل اننا فى موقف أسوأ من موقف صاحبنا هذا اذ أننا لم نخرج من مركز التليفون ولم نشاهد أبدا واحدا من أولئك المتحدثين الذين تصلنا أصواتهم من خلال الأسلاك فالعالم الخارجى بالنسبة الينا كما هو بالنسبة الى هذا العامل هو مجموع الرسائل أو المكالمات التى تنقلها الأسلاك أو الأعصاب ... الينا حيث نكون ، اننا لا نعرف شيئا على الاطلاق عن طبيعة « الأشياء فى ذاتها » .

ان ما يسميه الميتافيزيقيون بالأشياء فى ذاتها .. لا نعرف نحن عنه الا صفة واحدة هى « القدرة على تكوين انطباعات حسية وبعث رسائل تمر بأعصاب الحس حتى المخ ، فهذا هو القول العلمى الذى يمكن الادلاء به بشأن ما يوجد وراء الانطباعات الحسية .

وهنا يبدو كارل بيرسن فى قمة اليأس من معرفة العالم الخارجى ومن معرفة الشىء فى ذاته بالرغم من اعترافه بوجوده .

---

(١) تراث الانسانية ص ٩١٩ ، العدد ١٢ المجلد ٣ .

يقول (وعالم الانطباعات الحسية هذا مغلق علينا تماما ولا أمل لنا فى أن نبعد عنه خطوة واحدة) .

فأين هذا من ايمانه بقدرات العلم الذى لا حدود له ؟

وفيم كان اذن طرد جميع وسائل المعرفة الأخرى وانكارها ؟؟

٢ — ويقول برتراندرسل بناء على مبدأ عدم التحديد .

(ان اكتشافات العلم الحديث تبين لنا أن الذرة غير خاضعة لقوانين الطبيعة القديمة ، فهل يعنى هذا أن الذرة غير خاضعة للقوانين على الاطلاق)[1] .

وبدلا من أن يفترض رسل أن الذرة تدخل تحت قوانين غير قوانين الطبيعة التى عجز العلم عن كشفها فيفتح الباب للميتافيزيقا والدين ، يفترض عن طريق الايمان الغيبى (أيضا) .

(ان نظرية الذرة الفردية الحرة تقع تحت رحمة علم الطبيعة التجريبى الذى ربما استطاع فى أى لحظة أن يكتشف القوانين التى تنظم سلوك الذرات الفردية)[2] .

ويقول رسل (اننا لا نجد مبررا كى نظن أن سلوك الذرات غير خاضع لقانون ..... ان الطرق التجريبية لم تستطع الا فى أزمنة جد قريبة أن تلقى أى ضوء على سلوك الذرات الفردية ، فلا عجب فى أن قوانين هذا السلوك لم تكتشف كلها ، ومن المستحيل الآن نظريا وعمليا عدم خضوع مجموعة من الظواهر لقوانين ، وانما نستطيع أن نقول ان هذه القوانين موجودة ولكنها لم تكتشف بعد ، وقد يعترض أحدهم قائلا :

وأين مهارة علماء الذرة حتى ليعجزوا عن اكتشاف مثل هذه القوانين وبالتالى يستنتج عدم وجودها ؟

بيد أنى لا أحبذ مثل هذه الاستنتاجات السريعة ، بخاصة

(١) تراث الانسانية ص ٩٢١ العدد ١٢ المجلد ٣ .

(٢) مجموعة عالمنا المجنون لنظمى لوقا ص ٥٦ .

اذا كان الأمر يتعلق بالكـــون ونظرياته) •

ويقول فى مجال الارادة الانسانية:

(ان كشف القوانين العلمية ـ فى مجال أعمال الانسان ـ أمر يمكن تماما كما هو ممكن فى أى ميـدان آخر ، حقا يعترف العلماء بعـدم قدرتهم على التنبؤ بأعمال الانسان تنبؤا كاملا أو يقرب من الكمال ، ولكننا نرجع ذلك الى تعقد الكيان الانسانى وتضافر عوامل متعـددة لاحداث السلوك •

الأمر اذن لا يعنى أن نفترض عدم وجود قوانين على الاطلاق ، لأن مثل هـذا الافتراض لن يثبت أبدا أمام الفحص الدقيق••)(١)•

ونحن نقول له :

وهل ثبت أمام الفحص الدقيق. أن العلم سيكشف حتما عن القوانين التى تحكم أعمال الانسان وارادته؟ ان جزم رسل بأن العلم سـوف يصل فى المستقبل ان هوالا اعتقاد ارادى مبنى على ايمان مطلق بقدرة العلم •

يقـول هانز ريشنباخ ـ وهـو ملحد أيضا (ليس هناك سـبب يدعونا الى افتراض أن الجزيئات تخضع لقوانين صارمة •) (٢) •

ان رسـل ليس لديـه سـبب للاعتقاد بأن العلم سوف يتمكن فى المستقبل من الوصـول الى معرفة ما يجهله اليوم سوى قوله :

(ان النظريات العلمية قد فسرت قدرا منها يكفى لترجيح الاعتقـاد بأن هذه النظريات ستفسرها كلهـا مع الزمن ••) (٣) •

ان رسل باعتقاده هنا أن العلم سيكشف فى المسـتقبل عن قوانين الذرة التى اكتشـفنا جهلنـا بهـا اليوم ، يناقض نفسه اذ يقول فى موضع آخر :

(الآن وجب علينـا أن نعترف بالجهـل التـام المطلق الـذى لا

---

(١) مجموعة نظمى لوقا عالمنا المجنون لبرتراند رسل ص ٥٧ ، ٥٨ •
(٢) نشأة الفلسفة العلمية ص ١٤٧ •
(٣) مجموعة عالمنا المجنون ص ٧٧ •

استئصال له أبد الدهـــر تفعله الذرة فى لحظاتها الساكنة (١) •

وهنا نضرب مثالا على ماينطوى عليه مثل هذا الاعتقاد من مجازفة وفساد •

ذلك أنه ذاع فى القرن الثـامن عشر مذهب فى الانقــلاب الجنينى يسمى « مذهب التكوين » وينحصر هــذا المذهب فى القــول بــأن كل جرثومة حية تحوز حتما كل الأعضاء والصفات التى تمتاز بها الصــورة فى حال بلوغها ، وغاية ما فى الأمر ان المجهر المستعمل آنذاك ليس فى مســتطاعه أن يكشــف عن تــلك الأعضاء الكائنة فى البيضــة الأولى لصغر حجمها وضعف قوة الكشف فى المجهر •

واذن فالأمر مجرد قصــور فى أجهزة الكشف والقياس ، ســوف يزول حتما بتقدم العلم والتوصــل الى أجهزة أدق •

يقول الاستاذ استلى مونتاجيو (فى تلك الأيام التى كانت فيهــا المجاهر بدائية الى حد كبــير كان خيال العلماء يعوض ما لا تستطيع العدسة القيام به •

وهكذا كان ينظر الى الحيــوان المنوى على أنه رجل صــغير كامل بالفعل ، وجميع أجزائه متكونة من قبل ، ولا ينتظر الا الفرصة التى تسنح له للتكشف والتفتح •

وفى عام ١٧٥٩ وضع عالم ألمانى يدعى « كاســبار فلف » نظــرية مضادة تعرف باسم « نظرية الخلق أو التكون الجرثومى » تتلخص فى أن تقضى أو تطور الجنين يحــدث بطريقة تلقائية تماما ، وخطأ هــذه النظرية ينحصر فى الاعتقاد بــأن الجرثومة تخلو تماما من أى تكون عضــوى ••• هــاتان النظريتان تنتميان الآن الى التراث التاريخى للعلم وليس هناك اليوم عالم يؤمن بأيهما ••) (٢) •

ونحن نقصد بهــذا أن تغطيــة

---

(١) العقل والمادة مجموعة مقالات وابحاث لبرتراند رسل ، جمعهــا وترجمها احمد ابراهيم الشريف ص ٢٠١ •

(٢) الوراثة البشرية ص ٩٤ ــ ٩٦ •

الحاضر المعيب بالثقة فى مستقبل تتوافر فيه الأدلة والبراهين • كثيرا ما انتهى الى خيبة ظن وانفضاح فساد •

ولا يستعمل الملحدون العاميون سلاح الترقب للمستقبل هذا فى جبر عثرات العلم عندما يبدو ضعيفا فى مواجهة الدين فحسب • وانما هم يستعملونه فى الحالة العكسية أيضا •

أى يستعملونه فى اتهام « العلم الحاضر » عندما يبدو وكأنه قد توصل الى نتيجة مؤيدة للدين • كما هو الحال فى القانون الثانى للديناميكا الحرارية الذى يدل على حدوث العالم ودلالة ذلك كله على الصانع •

فهنا نجدهم يشككون فى هذا القانون العلمى على أساس الاعتقاد الغيبى فى أن « مستقبل » العلم سوف يتراجع عن تأييده للدين • انظر ما يقوله رسل عن هذا القانون الثانى للديناميكا الحرارية الذى أشرنا اليه يقول : (ان الاستدلال به ليس يقينا • فقد لا يسرى القانون الثانى للديناميكا الحرارية على كل زمان ومكان ، أو قد نكون مخطئين بأن الكون متناه فى المكان ••) هكذا •• يبدو لنا شيئا فشيئا أن الحاد هؤلاء محض « ارادة » •

٤ ــ يقول الدكتور ليكونت دى نوى :

(لسنا من أولئك الماديين العريقين الذين يتمسكون بآرائهم واعتقاداتهم رغم كونها سلبية بدون أى برهان :

فيعتقدون أن بداية الحياة ، والتطور ، والعقل البشرى ، وولادة الأفكار الخلقية سوف تصبح تحت سيطرة العلم فى يوم ما وينسون أن ذلك يتطلب تغييرا فى علومنا الحديثة ، وبالتالى :

فانه اعتقاد يرتكز على تعديلات عاطفية) (١) •

ان هذه الموضوعات التى أشار

---

(١) مصير البشرية ص ١١٠ •

اليهـا ليكونت دى نـوى هى الموضوعات التى اختص بها الدين — أو الميتافيزيقا — وسماسرة الالحاد عندما يزيحون الدين عن هذه الموضوعات يضطرون — فى مواجهة الحاح العقل البشرى — الى ادخالها فى نطاق المستقبل المجهول « آخرة العلم » لا لشىء الا لتستكمل الدائرة ، دائرة الحصار حول الدين .

٢ — وفى ديانة المذهب الوضعى « ديانة الانسانية » :

يستطيع الناس أن ينعموا فى الانسانية .. بالخلود الذى يتطلعون اليه .

ذلك أن الانسانية تضم اليها كل ما يطابق جوهرها وتحتفظ به وتتحد معه وكل ما يجعلها أعظم وأجمل وأقوى . وتتألف الانسانية من الأموات .. أكثر مما تتألف من الأحياء . هؤلاء الأموات يعيشون .. فى ذكرى الأجيال الحاضرة .. وهى ذكرى متحركة فعالة مؤثرة : فالأموات يؤثرون فى الأحياء بما يبعثونه فيهم من غيرة نبيلة تدفعهم الى أن يكونوا جديرين بالانضواء تحت لواء أجدادهم العظماء (١) .

أما الخلود الموضوعى الذى تقول به الأديان الأخرى فترفضه ديانة الوضعية اذ ما قيمة الاستمرار المادى فى المكان الى جانب الحياة المتصلة فى الزمان وفى الضمائر هذه الحياة التى تحقق وحدها أعز رغبة لقلب الانسان ألا وهى اتحاد النفوس فى الأزل (٢) .. هكذا !!

٣ — وفى الديانة الماركسية نجد الحلم الذى تنصبه للانسانية فى قيام مستقبل تتحقق فيه الشيوعية ، وتختفى الصراعات الطبقية ، وتزول الدولة ، وتتوافر الاحتياجات كلها ، لكل الأفراد .

والشيوعية اذ تمنى الشعوب الرازحة تحت سلطانها بمستقبل « آخرة » غير منظور فانها تفعل ذلك لتبرير ما تقوم به من سحق

---

(١) هذه ليست حياة للأموات ولكنها فى الحقيقة ارتكاس الى عبادة الأسلاف فى الديانات الوثنية .

(٢) العلم والدين لاميل بوترو ص ٥١ .

الأجيال الحاضرة ، وتخديرها عن عذاباتها الراهنة « الدنيوية » وهذا هو ما تسجله الوقائع التاريخية فى البلاد التى نكبت بهذا النظام .

ومن هنا فانه لينبغى القول بحق ان هذه الآخرة الشيوعية هى « أفيون الشعوب » .

ان للالحاد نظامه المقلوب للمستقبل ، وتوقعاته العرجاء التى يرسمها له ، وهو يدعو اليه بمنطق الايمان ، لا بمنطق النقد العلمى الذى استعمله فى هدم الأنظمة الأخرى ، ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان ثورته ضد الخوارق والمعجزات ليست — الا كراهية للاعتراف بوجود عنصر يمكن أن يشككنا فى المستقبل الذى يروج له فى سوق العلم . كما أشار الى ذلك وليم جيمس .

واذا كان من الصحيح ما يقوله وليم جيمس من أنه (لابد لكل مذهب فلسفى أو عقيدة دينية من تحديد اجمالى للمستقبل ..) ..

واذا كان من الصحيح ما يقوله أيضا من أنه لابد لكى ينجح هذا التصور المستقبلى من أن :

(يتناسب مع قوانا وميولنا الذاتية) (1) .

فاننا نقول انه لابد لهذا التصور من أن يتصف قبل ذلك وبعد ذلك ..

أولا : بالصدق
ثانيا : بالقداسة
ثالثا : باليقين
رابعا : بالخلود

ولا شك أن هذه الأنظمة الالحادية لا تتصف واحدة منها بشىء من هذه القيم .

بل هى على العكس من ذلك .
تعلن انكارها لها
أو تجاهلها اياها
أو استخفافها بها

وهذا سر من أسرار فشل المذاهب المادية ، وعجز أوثانها عن أن تحوز قبول الانسان وان لم يمنعها هذا الفشل من انشاب أظافرها فى كيانه .

---

(1) العقل والدين ص ٥٠ — ٥١ .

واذا أردنا فى هـــذا المقام أن نوضح نظرة الاســـلام ، الى الآخرة •

فلابد أولا من أن نأخـــذ فى الاعتبار أن بحث هذا الموضـــوع يتوقف على نظرة مقارنة بين موقف الاسلام عن الدنيا ، وموقفـــه من الآخـــرة •

وأذن فان الأســئلة هنا تطرح نفسها على النحو التالى :

١ ــ هل يعطى الاسلام للحياة الدنيا قيمة مطلقة بصرف النظر عن الآخـــرة ؟

٢ ــ أم يعطيها قيمـــة بحسب وضعها من الآخرة ؟

٣ ــ وما هى هذه القيمة وكيف تتحقق ؟

وفى مقام الجواب على الســؤال الأول يأتى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل اللـــــه اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل »

(سورة التوبة ــ ٣٨)

وهذا النص القرآنى الكريم ينكر على الانسان تمسكه بحياته الدنيا اذا طلب اليه بذلها فى سبيل الله ، ويوضح بشكل قاطع أن هذه الحياة لا قيمة لها فى ذاتها ومن ثم لا يصح الرضا بها اذا قطعت عن الآخرة ، والتضـــــحية بها فى سبيل الله ، تضحية فى الشكل ، لكنها من حيث الجوهـــر « كســـب » حقيقى للانسان •

« أن الله اشــترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »

ويتأكد هــذا المعنى بآيات كثيرة أخرى • منها قوله تعالى :

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وان الدار الآخـــرة لهى الحيوان » •

(سورة العنكبوت ــ ٦٤)

كما يتأكد بقوله صلى الله عليه وسلم :

« والله ما الدنيـــا فى الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع » •

حديث صحيح (انظر مصابيح السنة للبغوى)

روى عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أنه قال : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء » (١) .

وروى عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أنه قال : « الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه والجنة مأواه . والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه » .

وعندما يتأكد هذا المعنى يسوق لنا القرآن الكريم صفة أساسيةمن صفات الدنيا تبين تفاهتها فى ذاتها — أى عندما ينظر اليها مقطوعة عن الآخرة — ذلك أنها تتصف بسرعة الزوال » .

يقول تعالى :

« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس . كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » .

(سورة يونس — ٢٤)

فهذه الآيات تلفتنا الى حقائق تبين أن الحياة الدنيا سريعة الزوال مهما ازينت فى الطبيعة ، ومهما قدر عليها الانسان فى التاريخ .

ومن هنا يصبح هذا العارض السريع الزوال بغير قيمة حقيقية ، ما لم يوصل بشىء له قيمة .

ويتقرر من ثم أن الدنيا — اذا قطعت عن الآخرة — تبدو شيئا لا قيمة له .

ولا يقف الأمر هنا عند حد فقدان القيمة ، ولكنها — أى الدنيا تصبح كارثة ووبالا على المسكين بها .

يقول تعالى :

« زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ، والله يرزق من يشاء بغير حساب »

(البقرة — ٢١٢)

هكذا يصبح امساك الكافر

---

(١) بستان العارفين ص ٧٩ .

بالدنيا – وهى زائلة سببا فى خسرانه للآخرة وهى باقية .

ولا شك أن ذلك خسران بأى مقياس يحسب به حساب الكسب والخسارة ، بل هو الخسران التام الذى لا يقتصر على الضياع الأخروى .

بل ينسحب الى الضياع الدنيوى كذلك ..

انظر الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك :

« من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له »

(رواه الترمذى)

ولنطبق ذلك على الانسان المعاصر الذى ربطته الحضارة بمثل وأهداف قاصرة على الدنيا .

ان الدنيا هى هدف انسان الحضارة المعاصرة ، وهى همه الذى لا هم له سواه ، يسعى لكى يحصل منها على أكثر ما يستطيع من متعة ورفاهية ..

وكما يقول أحد مؤرخى النهضة الأوربية عن الروح الجديدة التى سيطرت عليها .

(تقوم هذه الروح الجديدة فى أعماقها على اهتمام متزايد بالحياة الانسانية كما يمكن أن نعيشها على هذه الأرض ، ضمن حدود الزمان والمكان ، ودون ارتباط بالعالم الثانى ، أو الأخروى) [1] .

وانسان هذه الحضارة هو النموذج العالمى الذى يغزو اليوم جميع أرجاء العالم ويسيطر على الذهن البشرى فى الأقطار المتقدمة والمتخلفة على السواء .

وانسان هذه الحضارة اذا فشل فيما يريد من دنياه رسخ فى وجدانه أن كل شىء قد ضاع من يده ، ولجأ الى سخط دائم ، وراودته فكرة الانتحار .

وهو من ثم فى حالة فشل دائم .

انه كما يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فى عبارة موجزة دقيقة بالغة الروعة « فقره بين

---

(١) تكوين العقل الحديث لجون هرمان راندال ترجمة جورج طعمه حـ ١ ص ١٨٤ .

عينيه » • انه لا يحس بالغنى ، أو الرضـــا ، انه واقع فى الفقر ، الفقر ماثل بين عينيه فى كل حال ، لا يترك خيـاله لحظـة ، يجـده فيما جمع لأنه لم يرض به ، ويجده فيما لم يجمع لأنه لم يحصل عليه •

انه فى حالة فقر مستمر ، ينغص عليه حياته ، ويدفعه الى مزيد من جمع مظاهر هذه الحيـاة •• دون جـــدوى •

فهو لم يحقق ما طلبه من هذه الحياة الدنيا التى جعلها همه وشـــغله الشـــاغل •

فقد فشل اذن فى الحصـــول عليهـا •

بل فشـــل — أيضـــا — فى « الحصول على نفسه » •

وذلك ما يعبر عنه قوله صلى الله عليه وســـلم « •• وفرق عليه شمله •• » ان طالب الدنيـــا — مقطـوعة عن الآخرة — يفقـد كيـــانه الـذاتى من الناحيتين الاجتماعية والفردية ••

الأولى : انه يقع فى صراع مع الآخرين : مع أهله وقومه ، واخوانه فى الانســـانية ذلك لأنه لا يرضى بما فى يده فيمدهـــا الى ما فى يد الآخرين ، وكلما وصل الى شىء لم يجد فيه ما يريد ، فينطلق مسعورا الى غيره ، •• الى ما فى يد غيره ، وهنا يقـــع الصراع وهو صراع لا نهاية له ، ولا ضابط يضبطه من قيم ، لأن القيمة الســـائدة هى الحصـــول على المتعة ، والآخرون أصبحوا مثله ، يريدون ما يريد ، وهنا يتفرق الشمل الذى أراد الله له أن يجتمع ، الشمل الذى تفتقـد الانسانية ذاتها اذا تفرق ••

ومن الناحيــــة الفردية يقع الانسان الطالب للدنيا المقطوعة عن الآخرة — فى صراع مع نفســه •

ذلك لأنه يحـاول أن يرضى فى نفسه شهوة الدنيا ، على حســاب ما أودعه الله فى هـذه النفس من قوى أخـرى تريد الآخرة ، فهو لا يرضى هذه النزعة ، ولا يرضى تلك ، •• ويقـع من ثم فى صراع مع نفسه ، أو تقع قوى نفســه فى صراع بعضـــها مع بعض ، وهنا يتفرق عليه شمله : شمل نفســه ،

ويقع فريسـة للقلق والتمزق ، والانفصام ، ورفض الحياة ..

فى بحث عن الانتحـار تقول الكاتبة مارجوريت كلارك :

(تزداد نسبة الانتحار فى أوقات الرخاء عن ايام الكساد

وتحدث نحو ٣٠ ــ ٤٠ فى المائة من مجموع حوادث الانتحار عندما يكون الرجل ناجحا اقتصاديا .

ويقول الدكتـور توماس مالون رئيس عيادة الأمراض العقليـة بأطلنطا بولاية جورجيا مفسرا ذلك « عندما يصـل الرجل الى ذروة النجاح فكثيرا ما لا يجد شيئا باقيا ليجمعه » ..) (١) .

وهكذا ..

يتبين لنا أن الدنيا فى نظـر الاسـلام لا قيمة لها اذا أخذت مقطوعة الصلة بالآخرة .

وهى بهذا ليست غير ذات قيمة فحسب ، بل هى كارثة ووبال على الانسـان .

والسؤال الآن هو :

هل تصبح للدنيا قيمة اذا وصلت بالآخرة ؟

والجـواب :

ان القول بأن الدنيا لا قيمة لها على الاطلاق ، يعنى أنها وجـدت عبثا وهـذا ما لا تجيزه النظرة الاسلامية . اذ يقول تعالى :

« وما خلقنا السـماء والأرض ومابينها لاعبين »

(الانبياء ــ ١٦)

ولا شك أن المهمة التى أوجد الله الانسان من أجلها فى هذه الحيـاة الدنيا تبين لنا بوضوح أهمية هذه الحياة .

وهذه المهمة هى الخـلافة فى الأرض .

يقول تعـالى : « واذ قال ربك للملائكـة انى جاعـل فى الأرض خليفة »

(البقرة ــ ٣٠)

ويقول **« وعد الله الذين آمنوا منـكم وعمـلوا الصـالحات ليستخلفنهم فى الأرض .. »**

(النـور ــ ٥٥)

---

(١) كتاب الطب الحديث لمارجوريت كلارك ترجمة الدكتور محمد نظيف نشر فرانكلين ودار الفكر العربى عام ١٩٦٣ صفحة ١٦٠ .

وتتأكد قيمة هذه الحياة الدنيا فى الاسلام عندما نتبين وظيفتها بالنسبة للحياة الأخرى .

لأنها الطريق الى الآخرة ولا طريق سواه ، واذا كان الطريق يستمد قيمته مما يؤدى اليه ، وكانت الآخرة هى الهدف الأسمى ، والقيمة العظمى **« وان الدار الآخرة لهى الحيوان » سورة العنكبوت ٦٤**، فان الدنيا تصبح ذات قيمة كبرى فى الاسلام بهذا الاعتبار .

يقول تعالى :

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم »
(الأنعام — ١٦٥)

ويقول أيضا **« انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا »**

(الكهف — ٧)

ومن هنا تنفتح أبواب الدنيا أمام المؤمنين :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة »
(الاعراف — ٣٢)

ويقول تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون »**
(المائدة — ٨٧ — ٨٨)

وهى لا تنفتح أمامهم فحسب ، بل ان تعميرها يصبح مسئولية أساسية من مسئوليات المسلم . وتتبع هذه المسئولية من واقع ربطها بالآخرة ، اذ يكون جزاؤه فى الآخرة على حسب ما قدم من عمل صالح فى هذه الدنيا .

يقول تعالى **« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة (أى فى هذا الدنيا) — ولنجزينهم أجرهم — (أى فى الآخرة) بأحسن ما كانوا يعملون »**

(النحل — ٩٧)

ويقول تعالى **« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات**

ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا »

(النــور ـ ٥٥)

ومن هنـــا لا تكون الزهادة فى الدنيا باسقاطها من الاعتبار وانما فى اعطائها قيمة عليا باعتبارها طريقا الى الآخرة .

يقول صـلى الله عليه وسـلم « الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضـاعة المال ولكـن الزهادة فى الدنيا ألا تكون بمـا فى يديك أوثق بما فى يدى الله ، وأن تكون فى ثواب المصـيبة اذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك » .

(انظر مصابيح السنة للبغوى)

ويحكى عن الشيخ الشـاذلى قوله لأصحابه :

كلوا من أطيب الطعام .

واشربوا من ألذ الشراب .

وناموا على أوطأ الفراش .

والبسوا ألين الثياب .

فان أحدكم اذا فعل ذلك وقال الحمد لله يستجيب كل عضـوفيه للشكر بخلاف ما اذا أكل الخبـز الشعير بالملح ..

ولبس العباءة .

ونام على الأرض ..

وشرب المالح الساخن .

وقال الحمد لله : فانه يقـول ذلك وعنده اشـمئزاز وبعض السـخط على مقدور الله عـز وجل (١) .

ويقول الشيخ الشعرانى عـن أخلاق صوفية الاسلام :

(من أخلاقهم كثرة زهدهـم فى المطاعم والمـلابس والمناكـح والمراكب والمساكن ونحو ذلك مع ملابستهم لها فيأكلون ويلبسـون وينكحون ويركبون الخيل المسومة ـ ويسكنون القاعات المزحمـة ، وهم مع ذلك زاهدون فيما خولهم الله فيه من النعم فليس الزهـد بخلو اليد كما يفهمه بعضهم وانما الزهد بالقلب فافهم . اذ لو كان

---

(١) انظر الاخلاق المتبولية حـ ١ ص ١٧١ .

المراد بالزهد خلو اليد من الدنيا لنهى الشارع عن التجارة وعمـل الحرف ولم يكن يأمر أحدا بهـا ولا قائل بذلك (١) .

ومن هنا نجد اهتمام الاسلام بتنظيم الحيـاة الاقتصـــادية للمسلمين .. فهـــو يضع أسس احترام الملكية ، ويهتم بأن تقوم الحياة الاقتصادية عـــلى أسس أخلاقية ، ويدعو الى اتقان العمل ويشجع على ممارسة الحـــرف ، والتجارة ، وينهى عـــن الغش ويحرم الربا ، ويوجب التكافـل ، وينهى عن الاسراف ، .. الى غير ذلك من الخطوط الاقتصـــادية العامة التى لامجال لتفصـيلها فى هذا المقام . وانما ألمحنا اليها هنا لنبين أن العقيدة الاسلامية تربط فى اطارها بين الحياتين الدنيـــا والآخرة ، وتجعـــل منهما كيانا عضويا واحدا بل اننا نجد أن قيمة الحياة الدنيا فى الاسلام تصل الى أعلى درجاتها وذلك عندما نجـد القيم الأخروية ذاتها من أهـــم العوامل للحصول على الدنيا .

وهذا مايعبر الحديث النبـــوى عنه أروع تعبير فى قوله صلى الله عليه وسلم « من كانت الآخـــرة همه جعل الله غناه فى قلبه ، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة» رواه الترمذى .

ومن هنا يتقرر :

أن الاسلام اذ يوجه الانسان الى العمل من أجل الآخـــرة ، لا يصرف نظره عن الدنيا ، ولكنه فى نفس الوقت يحفزه للحصـــول عليها ، الحصــــول عليها تابعـــة لامتبوعة ، تخضع للانسان ، ولا يخضع لها الانسان .

بذلك يتحقق للانسان المسـلم الفوز الذى يريده : انه يفـــوز بالدنيا والآخرة معا .

وهو بذلك يختلف عن انســـان الحضارة المعاصرة ويحصل عـــلى مالم يحصل عليه هذا فى الحياتين على السواء . انه يتحقـــق له مـــن الغنى مالم يتحقق لانسان هـــذه الحضارة . ويتحقق له من صـــحة

---

(١) انظر الاخلاق المتبولية حـ ١ ص ٣٥٧ .

النفس ، والتئام الشخصية ، مالم يتحقق لطالب الدنيا المبثوثة عن الآخرة •

انه كما يقول الرسول الكريم « جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة »•

يقول بعض الصوفية « الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعاً له » •

واذا كان ماتقدم يجيب على سؤال عن :

قيمة الدنيا اذا وصلت بالآخرة؟

فانه فى نفس الوقت يجيب على سؤال عن :

كيف نحصل على هذه القيمة ؟

انه يكون بوضع الآخرة هدفا أعلى ••

هنا تأتى الدنيا الى الانسان (•• وهى راغمة) ، وتأتى اليه رائقة من خلال مصفاة القيم العليا التى يفرضها الارتباط بالآخرة •

ولايقف الأمر عند ذلك فىتقييم دور الحياة الدنيا بالنسبة للانسان •• فى الاسلام بل أنها تقوم بدورها أثناء حياة الانسان فى الآخرة خلود فى الجنة أو فى النار •

ذلك أن الانسان — ولنأخذ مثلا من يتمتع بالثواب فى الجنة •• يظل يتذكر ماحدث له فى الدنيا من حرمان •

وفى ضوء هذا التذكر يحس بمتعة الجنة •

ان الانسان له طبيعته الخاصة فى ادراك الأشياء ••

ان ادراكه يدور فى فلك النقائض ، أى أنه يدرك الشىء بادراك نقيضه وكما يقولون « وبضدها تتميز الأشياء » فمالم يدرك الانسان الحرمان لا يدرك النوال •

ولعل هذا هو السر فى أمر الله لآدم بألا يأكل من الشجرة لقد كان ذلك فى مصلحة آدم •

كان هذا هو طريق آدم لادراك متع الجنة •

لكن آدم لم يصبر على هذا الأمر •

لم يصبر على هذا الحرمان الضئيل •

فكان نزوله الى الدنيا تطبيقا لنفس المبدأ .

أى ليواجه صنوفا من الحرمان يعجز عن تجاوزها والتغلب عليها .

ذلك لكى يتأهل للجنة .

أى ليدرك نعيمها بعد ادراك حرمان الدنيا .

عن طريق المقابلة والتضاد .

ومن هنا نقول :

سيظل للدنيا دور فى الآخرة .

هذا الدور هو أن يتذكر الانسان فيها ماحدث له فى الدنيا من مشقات وآلام وجهاد وحرمان .

بذلك يدرك النعيم ويلتذ به .

ولا سبيل له الى هذا النعيم الا عن هذا الطريق .

يقول وليم جيمس :

(ان عقولنا قد تعودت على أن ترى (غيرا) بجانب كل جزئية من جزئيات تجاربها واذا فكرت فى المطلق نفسه تراها تستمر فى عملياتها العادية وتتطلع الى ما وراء المطلق كأن هناك موضوعات أخرى للتدبر والتأمل) . (١)

يقول الامام ابن حزم :

(وان الله عز وجل لما خلق الدنيا دار محنة وبلوى خلقها أضدادا وأزواجا لتقع المحنة وتتم الدلالة ، فتمام الدلالة بذلك .. لأنه لا يعرف الشىء بحقيقته الا من قبل ضده . فبالظلمة تعرف النور ، وبالمكروه يعرف المحبوب ، وبالشر يعرف الخير وبالبرد يعرف الحر ، وبالتحت يعرف الفوق ، وبالظاهر يعرف الباطن .. كل واحد منها يعرف بصاحبه ، ويهتدى اليه بزوجه وضده .

ويهتدى بالأضداد كلها الى وحدانية الخالق لها .

وأما وقوع المحنة من جهة الأزواج فان الله تعالى جعل الدنيا امتزاجا وانفصالا روحين أيضا ضدين ليعرف هذا بهذا) (٢)

وروى عن أنس بن مالك رضى

---

(١) العقل والدين ص ٤٢ .

(٢) رسالة الرد على الكندى الفيلسوف ضمن كتاب الرد على ابن النغريلة ص ٢٢٥ .

الله عنه عن النبى صلى الله عليـه وسلم أنه قال :

(ان فى الجنة أسواقا لا شراء فيها ولا بيع يجتمعون فيها حلقـا حلقا يتذاكرون .

كيف كانت الدنيا .

وكيف كانت عبادة الرب .

وكيف كان فيها فقراء أهل الدنيا وأغنياؤها .

وكيف كان الموت .

وكيف صرنا بعد طول البلى الى الجنـة) (١) .

وتؤيد النصـوص القرآنية والنبوية حقيقة التذكر هـذه كقوله تعالى عن أهـل الجنة : (انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) .

وقوله تعالى عن أهل الجنـة كذلك (فأقبل بعضهم عـلى بعض يتساءلون ، قال قائل منهم : انى كان لى قرين ...) أنظر سـورة الصافات ، وما جاء فيهـا مـن الحديث عن أحوال الدنيا وماحدث لبعضهم فيها وعناية الله بكـل منهم وانقاذه من تآمر الكفار من التردى فى هاوية الكفر ، وما عاناه كل فى سبيل ذلك .

وفى الحديث فيما رواه ابن القيم عن ابن أبى الدنيا بسـنده عـن رسول الله ص قال (اذا دخـل أهل الجنة الجنة فيشتاق الأخوان بعضهم لبعض حتى يجتمعا فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفـر الله لنا ؟ فيقول صاحبه يوم كنـا فى موضع كذا و كذا ..) (٢) .

ومن باب التذكر ما أعده اللـه للمؤمنين من نعيم فى الآخرة له شبه بنعيم الدنيا .. لكنه فى حقيقتـه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وهذا يفسر لنا لمـاذا كان فى الجنة النخيل والعنب والزيتـون والرمان ..

ويرد على تخرصات الملحـدين أو تأويلات الفلاسفة .

---

(١) انظر بستان العارفين للسمرقندى ص ٢٥ .

(٢) انظر حادى الأرواح لابن القيم .

وأخيرا ، فاذا كانت هـذه هى قيمة الدنيا فى الاسلام ، فان السؤال يصبح هو ما قيمة الدنيا **فى غير الاسلام ؟**

والجواب على هذا السؤال الأخير نجده فيما قدمنا ، من قوله صلى الله عليه وسلم « **من كانت الدنيا همه جعل الله فقرة بين** عينيه ، وفرق عليه شمله ولم يأته **من الدنيا الا ما قدر** » .

والنتيجة الأخيرة التى نصل **اليها من ذلك :**

ان الاسلام ــ فيما نعلم ــ هو العقيدة الوحيدة التى تعطى للدنيا قيمة حقيقية (١) وتصف للانسان طريق الحصول عليها وهو ربطها بالآخرة .

وهذا هو الطريق ، ولا طريق سواه :

« وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلم تتقون » .

الانعام ١٥٣

وصدق الله العظيم ..

د . يحيى هاشم حسن

***

(١) وقد كانت المسيحية جديرة بذلك لو انها استمسكت بعمق ما جاء منسوبا الى السيد المسيح .
(اطلبو اولا ملكوت الله ...
وكل ماسواه سيعطى لكم بالتبعية) .
انجيل متى ٦/٣٣

تراث مفقود

مع كتابين مفقودين للفراء

دكتور أحمد علم الدين الجندي

ألف الفراء (ت ٢٠٧ هـ) كتبا كثيرة ، وأغلبها مفقـــود (١) ، ومن هذه الكتب المفقودة :

أولا : كتاب (لغـــات القرآن) الفهرست لابن النديم ٥٩ . وقد أشـــار اليه أبو حيان فى تفسيره (البحر المحيط ١٩٣/٣) وورد ذكره فى حاشية الشيخ عبادة على شذور الذهب ١٤٨/١ .

وثانيا : (كتاب اللغات) وهو مفقود كسابقه ، وقد عزاه ابن النـــديم (الفهرست ١٠٦) والســــيوطى فى بغيته (٤١١) ومزهره (٩٦/١) .

وقد ألف كثير من العلماء فى الفن الأول ، منهم هشـــام بن محمد بن السائب الكلبى ٢٠٤ هـ ، وأبو زيد الأنصارى ٢١٥ هـ وابن دريد ٣٢١ هـ والقطيعى ٥٥٤ هـ والبيهقى ٥٤٤ هـ وغيرهم . كما ألف فى الفن الثـــانى يونس بن حبيب البصرى ١٨٢ هـ وأبو عمرو الشيبانى ٢٠٦ هـ وأبو عبيدة

---

(١) انظر قائمة مؤلفات الفراء ، الموجود منهـــا والمفقود فى كتـــاب (أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ص ١٦٩ — وما بعدها ، للدكتور احمد مكى الأنصارى . والمعجم العربى ، نشأته وتطوره : الجزء الأول . الدكتور حسين نصار) .

٢١٠ هـ وأبو زيد الانصارى ٢١٥هـ والاصـــــمعى ٢١٦ هـ وابن دريـــد وغيرهم•وجميعها مفقودة اذا استثنينا كتاب اللغات لابن عمرو الشيبانى ٢٠٦ هـ ، والمعروف بكتاب (الجيم) •

ولقد جمعت هذه الكتب المفقودة فى هذين الفنين حيث تعقبت كتب العربية على اختلاف نحلها جردا وبحثا حتى وضعت يدى على المـــادة التى أرجح أن هذه الكتب الضائعة قد اشتملت عليها لهؤلاء الأعـــلام • فرصدت الروايات والسماعات والنقول الخارجية المبثوثة فى كتب علوم القرآن والشعر والنحو والعربية والطبقات والأمثال ، والتى كان مصدرها هؤلاء العلماء الذين ألفوا هذه الكتب • وأعرض الآن هيكلا لكتابى الفراء فى (اللغـــات) و (لغـــات القرآن) •

وهما مفقودان • وقد وضعت على الجانب الأيسر رمز (غ) اشارة الى أن النص — على ما أرجح — من (كتاب اللغات) ، ورمز (ق) اشارة الى أن النص من كتاب (لغات القرآن) •

١ — المستوى الصوتى ويشـــمل (علم الأصـــوات العـــام وعلم الأصـــوات التنظيمى أو علم التشـــكيل الصـــوتى)

أولا : حركيـــة الكلمـــة :

١ — فاء الكلمـــة :

الفـــــراء :

١ — يقال فيه غلظة وغلظة (١) ، ويقال رفقة ورفقة ، لغة قيس وتميم • اصلاح المنطق ١/١١٥ غ •

---

(١) وحكى ابو عبيدة وابن الأعرابى : غلظة : اصلاح المنطق ١/١١٧ وعزيت فى الاتحاف ٢٤٥ بالفتح لغة لأهل الحجاز . وفى البحر المحيط بالكسر لغة أسد وبالضم لغة تميم : البحر المحيط ٥/١١٥ .

٢ ــ وسمعت من بعض كلب :وجنة ووجنة ، لبعض العرب بكسر الجيم وفتح الواو اصلاح المنطق ١/١١٧ غ .

وحكى الفراء عن الكسائى وجنة وأجنة ووجنة عن أهل اليمامة . اصلاح المنطق ١/١١٦ .

٣ ــ هو يأكل الحينة ، والحينة لأهل الحجاز (١) غ .

٤ ــ قال الفراء فى قوله تعالى : « ونمارق مصفوفة » هى الوسائد واحدها نمرقة .

قال : وسمعت بعض كلب يقولون : نمرقة بالكسر . لسان العرب ١٢/٢٣٩ ق .

٥ ــ الجهد ــ بضم الجيم لغة أهل الحجاز ، والوجد ، ولغة غيرهم ، الجهد والوجد بالفتح . معانى القرآن للفراء ١/٤٤٧ (٢) .

٢ ــ عين الكلمة :

١ ــ ويقال : مخ ير ورار . وزعم الفراء قال : لغة القنانى رير بفتح الراء . وأنشد : (والساق منى باردات الرير) اصلاح المنطق ١/٨٩ (٣) غ .

٢ ــ قال صاحب العباب ، قال الفراء فى نوادره (٤) : الحلقة بكسر اللام لغة للحرث بن كعب فى الحلقة بالسكون . وأورد شاهدا . غ .

٣ ــ حكى الفراء عن بنى أسد : هل رأيت عينا فى معنى (أحد) يروى بسكون الياء وفتحها . كنز الحفاظ ٢٧٣ غ .

٤ ــ قال الفراء : البخل (٥) مثقلة لأسد ، والبخل خفيفة لتميم ، والبخل لأهل الحجاز ، ويخففون أيضا فتصير لغتهم ولغة تميم واحدة ،

---

(١) اى وجبة فى اليوم . اصلاح المنطق ١/١١٧ والمخصص ٥/٢٤ .
(٢) بمناسبة قول الله (الا جهدهم) سورة براءة آية : ٧٩ .
(٣) الحركة البسيطة تحولت الى حركة مركبة فى لغة القنانى .
(٤) يظهر أن كتب اللغات والنوادر كانت تسير فى فلك واحد .
(٥) فى القرآن : « ويأمرون الناس بالبخل » : سورة النساء آية : ٣٧ .

وبعض بكر بن وائل يقولون : البخل . البحر ٣/٢٤٧ . ومختصر الشواذ لابن خالويه : ٢٦ ق .

٥ ـ أهل الحجاز يقولون : أعطها صدقتها بضم الدال ، وتميم تقول : أعطها صدقتها بسكون الدال : فى لغة تميم . معانى القرآن للفراء ٢/٥٩ ق .

٣ ـ المماثلة فى الحركات :

١ ـ حكم هاء التنبيه الفتح عند أكثر العرب ، ويجوز ضمها وهى لغة عربية حكاها الكسائى والفراء . قال الفراء : هى لغة بنى أسد ابراز المعانى ٢٠٠ . وقرأ بها ابن عامر فى (آية المؤمنون (١) ـ ياأيهالساحر ـ بضم الهاء.ارشاد المريد على ابراز المعانى ٢٠٠.ق

٢ ـ سيبويه (٢) والفراء : ناس من بكر بن وائل يكسرون الكاف من نحو : منكم . وأحلامكم . وهى لغة رديئة جدا ، حكاها سيبويه والفراء ، الهمع ١ /٥٩ غ .

٣ ـ ذكر الفراء فى (كتاب لغات القرآن) له : أن الصلب وهو الظهر على وزن قفل ـ هو لغة أهل الحجاز . ويقول فيه تميم وأسد : الصلب : بفتح الصاد واللام قال : وأنشدنى بعضهم :

(وصلب (٣) مثل العنان المؤدم)

---

(١) وفى البحر المحيط ٦/٤٥٠ ، ١/٩٣ عزاها لغة لبنى مالك رهط شقيق ابن سلمة . وبنو مالك من بنى أسد .

(٢) اشترك الفراء مع سيبويه فى حكاية اللهجة عن العرب .

(٣) والبيت فى اللسان (صلب) للعجاج يصف امرأة وهو :
ريا العظام فخمة المخدم .. فى صلب مثل العنان المؤدم .... ويقال للظهر : صلب ، وصلب ، وصالب . اللسان مادة : (صلب) .
ولعل نص الفراء الذى ذكر انه فى كتابه (لغات القرآن) كان بمناسبة قوله تعالى « من أصلابكم » سورة النساء آية ٢٣ ، أو قوله « من بين الصلب » سورة الطارق آية : ٧ .

قال : وانشدنى بعض بنى أسد :

(اذا أقوم اشتكى صلبى) البحر المحيط ٣/١٩٣ .

٤ ـ فى قوله تعالى « الحمد لله » أما أهل البدو فمنهم من يقول : الحمد لله ، ومنهم من يقول : الحمد لله ، ومنهم من يقول : الحمد لله فيرفع الدال واللام (١) معانى القرآن للفراء ١/٣ ق .

٥ ـ فى قوله تعالى « ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى ..... » سورة ابراهيم آية ٢٢ . حكى الفراء كسر الياء ، لغة بنى يربوع (٢) النشر ٢/٢٩٨ ، اتحاف ٢٧٢ ق .

وفى التصريح ٢/٦٠ أن هذه اللغة حكاها الفراء وقطرب . وفى معانى القرآن للفراء ٢/٧٥ « قال الفراء ولعلها من وهم الفراء طبقة يحيى فانه قل من سلم منهم من الوهم . انظر البحر المحيط ٥/٤١٩ ، والنهر الماد ٥/٤١٨ .

ثانيـــا : ظاهرة التقريب

١ ـ الامالة والفتح :

أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد وما كان من

---

(١) علل الفراء صوتيا لكل قراءة ، الا أنه أهمل العزو ، فالحمد لله ، بكسر الدال واللام لغة تميم وبعض غطفان ، الاتحـــاف ١٢٢ هامش ، نزهة الألبـــا ٣٦٤ . والحمد لله ــ بفتح اللام اتباعا لنصب الدال وهى لغة بعض قيس . النشر ١/٤٨ .

(٢) وعقب أبو عمرو بن العـــــلاء على هـــــذه القراءة بأنها « جائزة وحسنة » ولا التفات الى انكار النحاة لها . الدر اللقيط ٥/٤١٩ ووصـــــفها الزجاج بأنها « عند جميع النحويين رديئة مرذولة . الخوانة ٢/٢٥٩ ، ابراز المعانى ٣٦٩ ، كما أنكـــــرها أبو حاتم (البحــــر المحيط ٥/٤٢٠) ورماها الزمخشرى بالضعف « الخزانة ٢/٢٥٩) وزاد فى اضـــــعافها وتوهينها بأن الشاهد الشعرى عليها لرجل مجهول . والحق أن الشاهد للاغلب العجلى ، ورآه أبو شامة فى أول ديوانه (حاشية زين الدين على التصريح ٢/٦٠) وقال القاسم بن معن عن هذه القراءة (انها صواب) النشر ٢/٢٩٩ ، وكان القاسم ابن معن ثقة بصيرا . ابراز المعانى ص ٣٦٩ .

ذوات الياء والواو • قال : وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يرون الى الكسر من ذوات الياء فى هذه الأشياء ، ويفتحون فى ذوات الواو مثل : قال وجال • شرح المفصل ٩/٥٤ والأشموني ٤/٢٢١ غ •

٢ ــ الادغام والاظهار :

١ ــ وسمعت بعض بنى أسد يقولون : قد اتغر (١) • وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة ، وغيرهم قد اثغر • معانى القرآن للفراء ١/٢١٥ غ •

٢ ــ وسمعت بعض بنى عقيل يقول : عليك بأبوال الظباء فاصعطها فانها شفاء للطحل (٢) • معانى القرآن : ١/٢١٦ غ •

٣ ــ فى (مدكر) ومدكر فى الأصل مذتكر ــ فصيرت الذال وتاء الافتعال دالا مشددة • قال : وبعض بنى أسد يقول : (مذكر) لسان العرب ٥/٣٧٦ •

ثالثا : الهمز والتسهيل

١ ــ روى الأزهرى باسناده عن الفراء قال : سمعت أعرابيا من بنى سليم ينشد :

(فانها حبل الشيطان يحتئل)

قال : وغيره من بنى سليم يقول (يحتال) بلا همز • اللسان : ١٩٨ ــ ١٩٩ غ •

---

(١) وصيغة (اتغر) أسهل ، لان اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك والالتقاء به التقاء محكما ينحبس معه النفس ؛ وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة ــ من أن تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك ، ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء ، كما يحدث فى الأصوات الرخوة .

(٢) مرض ، (اصعطها) افتعل من الصعوط وهو لغة فى السعوط وهو : ما يستنشق فى الأنف .

٢ ــ سمعت امرأة من طيىء تقول (١) • رثأت زوجى بأبيات • معانى القرآن للفراء ٤٥٩/١ ونقل اللسان عن الفراء أنه قال : سمعت أمرأة من طيء تقول : رثأت زوجى بأبيات • اللسان ١٠/١ غ •

٣ ــ ونسأ الله فى أجلك : أى زاد الله فيه ، ولم يهمزها أهل الحجاز ولا الحسن • معانى القرآن للفراء ٣٥٦/٢ غ • ومثلها : **وقد ترك** همز (التناوش : سورة سبأ آية ٥٢) أهل الحجاز وغيرهم جعلوها من نشته نوشا وهو التناول •••• وقد يجوز همزها • معانى القرآن للفراء ٣٦٥/٢ ق •

رابعا : مدارج اللهجات فى ابدال الحروف

١ ــ والتفتر لبنى أسد • (وهى لغة فى الدفتر) ابدال أبى الطيب ١٠٩/١ غ •

٢ ــ بنو أسد يقولون : المغثور وغيرهم بالفاء • ابدال أبى الطيب ١٨٦/١ ، معانى القرآن للفراء ٤١/١ غ •

٣ ــ كل ياء مشددة للنسبة وغيرها فان بعض العرب يبدلها جيما • وزعم الفراء أنها لغة طيىء • ابدال أبى الطيب ٢٥٨/١ غ •
وقال الفراء أيضا : وهم يقلبون الياء الخفيفة أيضا الى الجيم ، وذلك فى بنى دبير من بنى أسد خاصة • الابدال لأبى الطيب ٢٦٠/١ غ •

٤ ــ يقال سكرات ملتخ وملتك • حكاها الفراء عن امرأة من بنى أسد • الابدال لأبى الطيب ٣٤٣/١ غ •

٥ ــ أهل الحجاز أكثر شيء قولا : الفيعال من ذوات الثلاثة فيقولون

---

(١) وبعضهم يغلط العرب فى مثل هذا ، ويرى الفراء أنه من همز التوهم وهو همزهم ما لا همز فيه اذا ضارع المهموز • المزهر : ٢٥٢/٢ ، ٤٩٦ •

للصواغ : الصياغ (١) • معانى القرآن للفراء ١/١٩٠ ق •

٦ ـــ ومرضوا(٢)لغة أهل الحجاز • معانى القرآن للفراء : ٢/١٧٠ ق •
٧ ـــ وقيس تقول : طين لاتب • معـــانى القـــرآن للفراء ٢/٣٨٤ فى قوله تعالى « طين لازب » الصافات آية ١١ ق •

خامســا : الـــوقف

١ ـــ حكى عن بعض العرب أنهم يسكنون حركة الهاء اذا كانت بعـــد متحرك (٣) • البحر المحيط ٢/٤٩٩ ق •

٢ ـــ جمع التصحيح والمحمول عليه كالهندات والبنات والأخـــوات • الأفصح الوقف عليه بالتاء ، ويجوز الوقف عليها بالهاء غ •
وحكاه الفراء لغة لقوم من طيىء • يقولون فى مسلمات = مسلماه • عبث الوليد ص ٦٧، وفى الهمع ٢/٢٠٩ حيث أضاف قطربا الى الفراء فى حكاية اللهجة عن العرب •

٣ ـــ والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء الا طيئا فانهم يقفون عليها بالتاء مثل : هذه أمت (٤) وجاريت • لسان العرب ٢٠/٣٧٠ ، شرح السيرافى ١/٦١ غ •

---

(١) فى الحديث عن قول الله (القيوم : آل عمران آية : ٢) وقرأهـــا عمر بن الخطاب وابن مسعود (القيام) .
(٢) بمناسبة قوله تعالى « مرضيا » سورة مريم الآية : ٥٥ .
(٣) ولقد سمعها الكسائى من أعراب عقيل وكلاب : يقولون : « لربه لكنود » بالجزم وغير اعراب عقيـــل وكلاب لا يوجد فى كلامهم اختـــلاس ولا سكون . البحر المحيط : ٢/٤٩٩ . وقال أبو اسحق عن الاسكان انه غلط بين • وقال أبو حاتم انه غلط : الالتحاف : وانظر البحـــر المحيط ٣/٧١ ، واللســان ٢/٣٦٧ . كما رآه بعضهم ضرورة . الخزانة ٢/٤٠١ كما نقل ابن جنى فى المحتسب والخصائص ، وابن السراج فى الأصول أن الظاهرة لغـــة الأزد السراة . الخزانة ٢/٤٠١ والمحتسب ١/٤٠٢ وانظر شاهدا من الشعر على هذه اللغة فى الجمهرة ٣/١١٨ •
(٤) وفى المصباح ٢/٩٩٧ عزاها لحمير .

٢ ـ المستوى الصرفى

أولا : التصحيح والاعلال .

المشهور فى لسان العرب تسكين العين اذا كانت غـير صحيحة فى مثل : بيضات ، عورات . وقال الفراء : العرب على تخفيف ذلك الا هذيلا فتثقل ما كان من ذوات الواو والياء . (١) البحر المحيط ٦/٤٤٩ ، اللسان ٦/٣٠٣ ، شرح المفصل ٥/٣١ ق .

ثانيا : الممدود والمقصور .

عندما ذكر ابن هشام أن (هؤلاء بالمد لغة الحجازيين) شـذور الذهب : ١/١٤٧ . وبها جاء القرآن . وبالقصر لغة تميم ـ علق صاحب الحاشية بقوله : فى لغة تميم وقيل وأسد وربيعة ، ذكر ذلك الفـراء فى كتابه (لغات القرآن) ولم يخصه بتميم . (حاشية عبادة على الشذور ١/١٤٨) كما ساق صاحب التصريح ١/١٢٨ هذا النص السابق وعزاه الى الفراء فى كتابه (لغات القرآن) ق .

ثالثا : الأفعـال .

١ ـ (المهموز) أبو زيد والفراء ، رويا : اسل زيدا ، لغة عبد القيس حكاها أبو زيد والفراء يريدون : اسأل . فنقلوا حركة الهمزة الى السين وأسقطوا الهمزة . (٢) ليس فى كلام العرب ص ١٢ ق .

---

(١) قال ابو حيان فى البحر المحيط ٧/٥١٥ : ولم يقرأ احد ممن علمناه بلغتهم والصحيح ان الاعمش قرأ « ثلث عورات لكم » سورة النور آية : ٥٨ وقد عزاها ابن خالويه الى تميم . مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٠٣ .

(٢) وبلهجـة عبد القيس قرات فرقة من القراء . البحـر المحيط ٢/١٢٦ .

٢ ــ (تداخل) لغة الحجاز : دام يدوم • وتميم : دمت يدوم (بكسر الدال) فى الماضى • فيجتمعون فى المضارع ق •

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى ويحيى بن وثاب والأعمش : دمت ــ بكسر الدال وهى لغة تميم فى (مادمت عليه قائما) (١) س ٣ آية ٧٥ • مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢١ •

٣ ــ (باب نصر وضرب من الصحيح) فى قوله تعالى : « واذا قيل انشزوا فانشزوا » سورة المجادلة آية : ١١ • قال الفراء : قرأها الناس بكسر الشين ، وأهل الحجاز يرفعونها • قال : وهما لغتان• لسان العرب ٧/٢٨٥ ق •

٤ ــ (الأجوف) ضمت العامة الصاد فى قول الله (فصرهن اليك س ٢ آية : ٢٦) وكان أصحاب عبد الله يكسرونها (٢) ، وهما لغتان • فأما الضم فكثير ، وأما الكسر ففى هذيل وسليم قال : وأنشد الكسائى :

(وفرع يصير الجيد وحف كأنه) اللسان ٦/١٤٨ ومعانى القرآن للفراء ١/١٧٤ ق •

٥ ــ (لغتان فى الصحيح من غير باب نصر وضرب) : عجزت عن الشىء بفتح الجيم (ما تلحن فيه العامة للكسائى ص ٢٤) والكسر لغة حكاها الفراء قال ابن القطاع (انه لغة لبعض قيس) : ما تلحن فيه العامة ٢٤ هامش غ •

٦ ــ (المبنى للمجهول) فى نحو قيل وبيع ثلاث لغات :

١ ــ اخلاص الكسر وهو لغة قريش ومن جاورهم من بنى كنانة• البحر المحيط ١/٦٠ •

---

(١) وقال ابو اسحق : دمت تدام مثل : نمت تنام وهى لغة . البحر المحيط ٢/٥٠٠ .

(٢) والمعنى : قطعهن : من صريت اصرى أى قطعت فتقدمت ياؤها . الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٩ .

٢ ــ واخلاص الضم وهو لغـــة هذيل ، وبنى دبير (١) ، بنى فقعس (١) .

(أسرار اللغـــة : تيمور ص ١١١ والــــروض الانف ٢/٦٦ ، الاشمونى : ٢/٦٢ .) وقد حكى الفراء اخلاص الضم الى بنى أسد ، وأورد شاهدا (وقول لا أهـل له ولا مال) (٢) اللســان ١٤/٩٣ ق .

رابعا : المشــتقات :

١ ــ اذا جاءك فعل مما لم يسمع مصدره فاجعله فعلا للحجاز وفعولا لنجد (٣) . شرح الشافية ١/١٥٢ غ .

٢ ــ فى قوله تعالى : « من ماء دافق » مدفوق . قال : وأهل الحجاز أفعل لهذامن غيرهم أن يفعلوا المفعول فاعلا اذا كان فى مذهب نعت كقول العرب : هذا سر كاتم ، وهم ناصب . ثم قال : وأعان على ذلك أنها وافقت رءوس الآيات التى هى معهن . اللســـان ١١/٣٨٧ ق .

٣ ــ يقولون : هو مسكن ، قال عنها الفراء : هى لغة يمانية فصيحة (٤) البحر المحيط ٧/٢٦٩ ق .

٤ ــ أهل الحجاز يقولون : مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء فيما ارتفقت

---

(١) من فصحاء بنى أسد .

(٢) ولغة قيس وعقيل ومن جاورهم . الاشمام فى ذلك . اتحاف ١٢٩ كما حكى اخلاص الضم عن ضبة . التصريح ١/٢٩٤ ــ ٢٩٥ ، وقد قرىء بهذه اللغات فى « قيل ، سيء ، غيض ، حيل » البحر المحيط ٧/١٥١ .

(٣) قياس اهل نجد أن يقولوا فى مصدر ما لم يسمع مصدره من فعل المفتوح العين : فعول ، متعديا كان أو لازما . وقياس الحجازيين فيه : فعل ، متعديا كان أولا) .

(٤) وأهمل أبو زيد عزوها . المخصص ١٤/٢٠٤ ، اللسان ١٧/٧٤ .

به ويكسرون مرفق الانسان (البحر ٦/١٠٧) • (١) ق •

٥ ــ ذكر لى أن بعض العرب يسمون مأوى الابل مأوى بكسر الواو ــ قال : وهو نادر لم يجىء فى ذوات الواو والياء مفعل بكسر العين الا حرفين : مأتى العين ومأوى الابل وهما نادران ، واللغة العالية فيها مأوى • اللسان ١٨/٥٤ ، شرح الشافية ١/١٨٢ غ •

٣ ــ الظواهر العامة فى لهجات القبائل

أولا : فعل وأفعل •

١ ــ العرب تقول •• أعصفت الريح ، وعصفت ، وبالألف لغة لبنى أسد ، وأنشدنى بعض دبير (٢) (حتى اذا أعصفت ريح مزعزعة) معانى الفراء : ١/٤٦٠ •

٢ ــ أهل الحجاز يقولون : « ما أنتم عليه بفاتنين » (٣) وأهل نجد : « بمفتنين » السان ١٧/ ١٥٦ ، معانى الفراء ٢/٣٩٤ ق •

٣ ــ ينع الثمر وأينع : أحمر • وفى البحر ٤/١٨٤ بفتح الياء فى لغة الحجاز ، وبضمها لغة لبعض نجد ، وقرىء بها فى الأنعام آية ٩٩ « وينعه » مختصر شواذ القرآن ابن خالويه ٣٩ ق •

ثانيا : التذكير والتأنيث •

١ ــ الهدى مذكر ، الا أن بنى أسد يؤنثونه (٤) (المذكر والمؤنث للفراء ص ٢١) •

---

(١) لعل هذا فى قوله تعالى (ويهىء لكم من امركم مرفقا) الكهف آية ١٦ •

(٢) ودبير : بطن من بطون بنى أسد بن خزيمة من العدنانية معجم كحالة ١/٣٧٤ •

(٣) الصافات آية ١٦٢ •

(٤) فى التذكير والتأنيث للسجستانى ص ١٠ خط تيمور رقم ٢٦٤ والمخصص ١٧/١٧ (بعض أسد) •

٢ ـ الأصابع اناث كلهن الا الابهام فان بنى أسد أو بعضهم يقولون : هذا ابهام . المذكر والمؤنث للفـــراء : ١٥ ـ ١٦ والبحـــر ٨٤/١ (١) ق .

٣ ـ الذراع أنثى . وقد ذكر الذراع بعض عكل . المذكر والمـؤنث للفراء : ١٥ ، عبث الوليد ١٣٤ غ .

٤ ـ والقدد أنثى ويذكرها بعض قيس . المذكر والمؤنث للفراء ١٨ غ .

٥ ـ الرياح كلها اناث . وشاهد من بنى أسد على التذكير . ويقـول الفراء : أنشدنيه عدة من بنى أســـد . المذكر والمـــؤنث للفراء ٢٧ غ .

٦ ـ رأيت بعض بنى تميم وسقط ابن له فى البير ـ والله ما أخطـأ الركى ـ فوحده بطـــرح الهاء ، فاذا فعلوا ذلك ذهبوا به الى التذكير كأنه اســم للجمع (٢) ، وهــو موحد . المذكر والمؤنث للفراء : ٣٠ ، والمخصص : ١٠/١٧ غ .

٧ ـ ذكرت كتب اللغة أنه يقــال للرجــل (زوج) ولامرأته أيضــا (زوج) وذلك فى لغة الحجاز ، ولغة تميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون (هى زوجته) البحر ١٠٩/١ . المخصص ٢٤/١٧ . وأبى الأصمعى لهجة تميم وقال (زوج لاغير) لســان ١١٧/٣ ويقول ابن منظور وكانت من الاصمعى فى هذا شــدة وعسر لسان ١٠٧/٣ .
أما الفراء فقد وصف لهجة نجد فى الظاهرة السابقة (زوجــة) بأنها (أكثر) ، ولهجة الحجاز بأنها (أفصح) المذكر والمـؤنث للفراء : ٢٦ . وفى كل ذلك يستشهد الفراء ويحتج بالقــرآن والشـــعر .

---

(١) يتصل بـــ (يجعلون أصابعهم) البقرة .
(٢) والفراء يشير الى ان من اســـبا باجتماع التذكير والتأنيث فى الكلمة : الجمع والافراد : مثل ركية وركى .

ثالثا : القلب :

١ ــ تميم تقول : صاقعة فى صاعقة وأنشد لابن أحمر :
ألم تر أن المجرمين أصابهم •• صواقع لابل هن فوق الصواقع (١) ق •

٢ ــ لغة أهل الحجاز عميق ، وبنو تميم يقولون : معيق (٢) اللسان ١٢/١٤٣ البحر ٦/٣٤٧ ق •

٣ ــ من العرب من يتم (حاش) وفى لغة الحجاز (حاش لك) وبعض العرب حشى زيد ــ كأنه أراد : حشى لزيد ، وهى فى أهل الحجاز • البحر ٥/٣٠ ق •

٤ ــ سمعت بعض قضاعة يقول : اجتحى ماله ، واللغة الفاشية اجتاح ماله • وشاهد لها • معانى الفراء ٢/١٢٤ غ •

رابعــا : التشديد والتخفيف •

روى الفراء وأبو عبيد : يقال : اجلس ههنا أى قريبا •• قال: وههنا أيضا تقوله : قيس وتميم • اللسان ٢٠/٣٧٤ غ •

خامسا : مطل الحركات والحروف وانتقاصها فى لهجات القبائل •

١ ــ أجاز الكوفيون حذف الياء المفتوح ما قبلها مثل اخشين يا هند فتقول على لهجتهم : اخشن يا هند بحذف الياء • وحكى الفراء أنها لغةلطيىء•الاشمونى ٣/٢٢٣ ، الهمع ٢/٧٩ ، الخزانة ٤/٥٨٠ غ•

٢ ــ وقد تسقط العرب الواو وهى واو جماع ، اكتفى بالضمة قبلها فقالوا

---

(١) وفى القرآن : من الصواعق : البقرة ، وقرأ الحسن : الصواقع . وهى لغة تميم وبعض ربيعة . الاتحاف ١٣٠ هامش .

(٢) فى قوله تعالى « من كل فج عميق » الحج . ويقال : معيق .

فى : ضربوا قد ضرب •• وهى فى هوازن وعليا قيس (١) معانى الفراء ٩١/١ غ •

٣ ــ ويقال للمنخر : منخور (٢) وهم طيىء • معانى القرآن للفراء ١٥٢/٢ غ •

٤ ــ المستوى النحوى

أولا : الاعراب والبناء •

١ ــ وحكى الفراء عن كثير من أهل نجد أنهم يجرون الخبر بعد (ما) بالباء واذا أسقطوا الباء رفعوا • الخزانة ١٣٣/٢ ق •
وفى ابن عقيل ٢٦٦/١ أن سيبويه والفراء رحمهما الله تعالى نقلا زيادة الباء بعد (ما) عن بنى تميم ــ فلا التفات الى من منع ذلك •

٢ ــ عزا الفراء فتح لام كى الى تميم (٣) ، معانى القرآن للفراء ٢٨٥/١ غ •

٣ ــ حكى الفراء أن فتح لام الأمر لغة معزوة الى قبيلة سليم • وقد نقل ذلك ابن مالك • البحر المحيط ٤١/٢ ، والنهر الماد ٤١/٢ غ •

٤ ــ بعض العرب يجرى (كلا وكلتا) مع الظاهر مجراهما مع المضمر فى الاعراب بالحرفين وحكى (رأيت كلى أخويك) وعزاها الفراء الى كنانة • ارتشاف الضرب ٦٤/١ مصور بالدار رقم ٦١٥٦ ، الهمع ٤١/١ غ •

---

(١) وأورد شواهد ثلاثة على هذه اللهجة .
(٢) ولعل السبب فى وجود صيغة (منخور) اختلاف موقع .
(٣) وزعم يونس أن ناسا من العرب يفتحون اللام التى فى مكان (كى) وزعم خلف الأحمر أنها لغة لبنى العنبر . خزانة ٣٧٦/٤ . وفى حاشية الأمير ١٨٥ : ان عكلا وبلغنبر يفتحون لام الجر بشرط ان تدخل على فعل منصوب بأن مضمرة .

٥ ــ عزا الفراء فتح نون المثنى مع الياء لغة لبنى أسد (١) • ارتشاف الضرب ١/٦٤ غ •

٦ ــ بعض العرب يجرى (بنين وباب سنين) وان لم يكن علما مجرى غسلين فى لزوم الياء والحركات على النون منونة غالبا على لغة بنى عامر ، وغير منونة على لغة بنى تميم حكاه عنهم الفراء (٢) التصريح ١/٧٧ ، الهمع ١/٤٧ غ •

٧ ــ الجر بـ (لعل) لغة عقيلية حكاها أبو زيد والأخفش والفراء (٣) • الهمع ٢/٣٣ لسان ١٣/٥٠٢ غ •

٨ ــ كما روى عن الفراء على المستوى النحوى مايتصل بالاستثناء عند القبائل • معانى القرآن للفراء ١/٤٨٠ •

٩ ــ بعض بنى أسد وقضاعة (٤) ينصبون (غيرا) اذا كانت فى معنى (الا) تم الكلام قبلها أم لم يتم يقولون : ما جاءنى غيرك ، وما أتانى أحد غيرك غ •

التصريح ١/٣٦١ • اللسان ٦/٣٤٤ • معانى القرآن للفراء ١/٣٨٢ •

١٠ــ فى نقل عن الفراء نصب الجزئين بـ (ليت) وهى لغة تميم • الخزانة : ٤/٢٩١ غ •

١١ ــ وكنانة يقولون : (اللذون) (٥) معانى القرآن للفراء ٢/٧٨ غ •

---

(١) وقال الكسائى هى لغة لبنى زياد بن فقعس . التصريح ١/٧٨ .

(٢) واعراب هذا النوع : اعراب الجمع لغة الحجاز وعلياء قيس . الهمع ١/٤٧ .

(٣) وسمع أبو زيد من عقيل (لعل زيد قائم) .

(٤) وقد أضاف الجوهرى الى هاتين القبيلتين بنى شهل . المصباح ٣/٧٠٤ .

(٥) عزيت هذه الصيغة لبنى عقيل . النوادر لابى زيد ٨٩ . وعزاها الأشمونى ١/١٤٩ لهذيل أو عقيل . ثم يقول : واو : للشك (التصريح ٢/١٣٣) وابن عقيل : ١/١٢٥ يعزوها لهذيل فقط ، وابن الشجرى فى الأمالى ٢/٣٠٨ يعزوها كذلك لهذيل ، وذكر ابن مالك انها لغة طىء : الارتشاف ١/١٣٦ .

١٢ ـ وقال الفراء فى (لغات القرآن) وربما قالوا : هذان ذوا تعرف • وهؤلاء ذوو تعرف (التصريح ١٣٨/١) ق •

١٣ ـ وقال الفراء فى (لغات القرآن) سمعنا أعرابيا من طيىء يسأل فى المسجد الجامع ويقول (بالفضل ذو فضلكم الله به ، والكرامة ذات أكرمكم الله به) التصريح ١٣٨/١ • فبنى ذات ـ على الضم ونقل حركة الهاء الأخيرة الى ما قبلها وحذف الألف فسكنت الهاء (١) ق •

٥ ـ التراكيب الأثرية فى لهجات القبائل

قال الفراء : وسمعت بعض بنى سليم يقول فى كلامه : كما أنتنى

---

(١) أثيرت امثلة لهذه الظاهرة فى كتب علوم القرآن (البحر ٣٣٨/٢) وكتب الادب والامثال (الامثال للميدانى ٦٨/١) وكتب اللغة (نوادر أبى زيد ٦١ ، الكامل ١٣٨/٢ ، آمالى الشجرى ٣٠٦/٢ ، المزهر ٥٣٦/١ ، ٤٣٨/٢) ومؤلفات الشعر (شرح الحماسة ٥٩١/٢) والمعاجم العربية (المخصص ١٠٢/١٤ . اللسان : ٣٤٨/٢٠) ومصادر النحو العربى (شرح السيرافى على سيبويه ٤٣/٤ . الانصاف ٢٣٥/١ . ابن يعيش : ١٤٨/٣ . الشذور ٦٥/١ التصريح ١٣٨/١) كما اثير لها أمثلة فى كتب التاريخ القديمة (الاكليل ٢٣٨/٨ للهمدانى) ونلخص الاتجاهات التى فى هذه المصادر : ذو = استعملت بمعنى الذى عند طيىء ، وعند غيرهم تكون بمعنى صاحب ، ويظهر أن ذو ـ الطائية كانت مضطربة عند قبائل طىء فبعض طيىء وهم أكثرهم تكون عندهم بلفظ واحد للمذكر والمؤنث مفردا ومثنى وجمعا ، كما أنها تكون للعاقل وغيره .

والفريق الآخر من طيىء كان يعربها بالواو رفعا وبالالف نصبا وبالياء جرا ـ ومعنى هذا انها كانت مثل (ذى) بمعنى صاحب ـ كما أن بعض طيىء قد اتجه ناحية مخالفة لما مضى فهو يثنيها ويجمعها . كما وجدنا بعض طيىء يجعل مكان الذى ـ ذو ومكان التى ـ ذات ويرفعون التاء على كل حال .

واذا كان المعروف فى طىء انها لا تثنى ولا تجمع كلمة (ذات) وأنها تبقى مبنية على الضم ، فقد حكى عن بعضهم تثنيتها وجمعها .

وقال أبو حيان (حكى لى شيخنا الامام بهاء الدين الحلبى أن بعضهم حكى اعرابها اعراب ذوات ـ بمعنى صواحب ثم عقب على ذلك بقوله : وهو نقل غريب (الارتشاف ١٣٧/١ مصور) وقد ورد صدى لبعض هذه الظواهر فى كل اللغات العربية الجنوبية ، وكذلك فى اللهجات العربية القديمة كالثمودية والصفوية واللحيانية .

ومكانتنى ـ يريد : انتظرنى فى مكانك (١) • معانى القرآن للفراء ١/٣٢٣ غ •

٦ ـ المستوى الدلالى

١ ـ سمعت أعرابيا يقول : بع لى تمرا بدرهم ـ يريد اشترلى تمرا • وقيل لجرير من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

ويأتيك بالأخبار (٢) من لم تبع له •• بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

أراد من لم تشتر له • والبنات : الزاد (الأضداد لابن الانبارى ٦١) وفى معانى الفراء ١/٥٦ أن هذه اللغة فى تميم وربيعة • وكان الفراء يفسر قوله تعالى « بئسما اشتروا به أنفسهم » البقرة آية ٩٠ (٣) ق •

٢ ـ يعزو الى بنى أسد كقوله : الحائب فى لغة بنى أسد (٤) القاتل (الاضداد لابن الانبارى ١٤٦ • ولعله كان يتحدث فى تفسير قول الله « انه كان حوبا كبيرا » النساء آية ٢ • و فى مكان آخر يقول ورأيت بنى أسد يقولون ••••• معانى القرآن للفراء ١/٢٣٥ ق •

٣ ـ قال الفراء والكسائى فى (هيت) (٥) هى لغة وقعت لاهل الحجاز

---

(١) والمعروف فى العربية أن العرب تأمر بالظروف وحروف الجر ، مثل عليك ، ودونك ، واليك ، يقولون : اليك اليك ، يريدون : تأخر .

(٢) فى معانى القرآن للفراء ١/٥٦ أنشده بعض ربيعة •

(٣) وقال قطرب : شريت بمعنى بعت لغة لغاضرة . الاضداد لابن الأنبارى ٦١ .

(٤) وفى اللسان ١/٣٢٩ : الحوب لاهل الحجاز ، والحوب لتميم ومعناهما : الاثم) .

(٥) وقال أبو زيد الانصارى هى بالعبرانية واصله (هيتالج) اى تعال . الاتقان ١/١٤١ لسان (هيت) . وعن ابن عباس : بالقبطية . وقال الحسن : بالسريانية وقال عكرمة هى بالحورانية . الاتقان ١/١٤١ وفى المتوكلى للسيوطى ص ١١ بالنبطية ، ومعناها = هلم لك . وقرىء (هئت لك) ومعناها : تهيأت لك وانظر تعليق أبا عمرو على هذه القراءة : مجاز القرآن لأبى عبيد ١/٣٠٥ . وقرأ على رضى الله عنه : ها انا لك . شواذ القرآن لابن خالويه ص ٦٣ وقرىء هيئت لك ـ فعل صريح مبنى للمفعول : البحر ٥/٢٩٤ .

فتكلموا بها . النشر ٢/٢٩٥ ق .

قال الفراء ، ويقال : انها لغة لأهل حوران ★ ، سقطت الى أهل مكة فتكلموا بها . لسان (هيت) .

٤ ــ الهون فى لغة قريش : الهوان ، وبعض بنى تميم يجعل الهــــون مصدرا للشىء الهين . معانى الفراء (١) ٢/١٠٦ ق .

المنهج الذى سار عليه الفراء من خلال الروايات والنقول والنصـــوص الخارجيـــة التى نقلت عنـــــه

١ ــ يلاحظ أن الفراء كان يعزو كثيرا الى قبائل أسد وبطونها فقد قمت باحصائية عن اللهجات فى معانى القرآن له . وكان ميدان هـــــذه الاحصائية من سورة الفاتحة الى آخر سورة الزمر وهى كما يلى :

أسد	تميم	ربيعة	هوازن	بعض قيس	قريش	هذيل	سليم	الحجاز
١١	١١	٢	١	٦	٢	٢	٥	١٦

عكل	عقيل	العالية	قضاعة	عمان	طيىء	فزارة	كلاب	عامر	حوران	نجد
٣	١	٢	٣	١	٣	١	١	٢	١	٤

الخع	بنو انسان	الانصار	الحارث بن كعب	كنانة	حضرموت	اليمن
١	٢	١	١	٢	١	٢

تهامة	نمير	علياقيس .
١	١	١

وتشير الاحصائية الى أن قبيلة أســـــد لم يتقدم عليها فى الكثرة الا لهجة الحجاز وحـــدها ، مما يحسم الخلاف بين المؤرخين حين

---

(١) بمناسبة قوله تعالى « أيمسكه على هون » النحل آية ٥٩ .

★ يراد بالحورانية او النبطية ــ اللغة الآرامية عنـــد اللغويين المسلمين كما أشار الى ذلك نولدكه فى ZDMG ١٢٢/٢٥ .

اختلفوا فى نسب الفراء هل هو مولى لبنى أسـد أم مولى بنى منقر ؟ ، فهو اذن أسدى وقد رجح هـذا الدكتور أحمد مكى الأنصارى فى كتابه (أبو زكريا الفراء) ص ٤٢ ، ولا غرو اذا فتن بقبيلته ولغتها (وانما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى) •

٢ ــ والحديث عن معانى القرآن للفراء ، يدعونا الى الحديث عن كتاب آخر صنوه وهو كتاب (المجاز) لأبى عبيدة ، وحسبنا أن نذكر احصائية للهجات القبائل فى كتاب (المجاز) حتى نقف عـلى مدى اهتمام الفراء بتسجيل لهجات القبائل وروايتها عن العرب • وكان ميدان هذه الاحصـائية كما سبق فى معانى القرآن للفراء وهى :

تميم أكلونى البراغيث نجد الحجاز العالية كنانة بعض المكيين •

١ ١ ١ ١ ١ ١

وهذا الخـلاف بين الرجلين فى رواية اللهجـات يوضـح الى حد كبير الخلاف بين المدرسـتين البصرية وهى التى ينتمى اليها أبو عبيدة ، والكوفية وهى التى ينتمى اليها الفراء • كما أننى أرجح أن كتابى الفراء كانا أعظم قدرا ، وأوفى نصيبا من كتابى الأصمعى فى (اللغات) و (لغات القرآن) ولعل السبب فى ذلك يرجع الى الاختلاف بين المدرستين التى ينتمى اليها كل منهما • فالأصمعى البصرى كما يروى أبو حاتم لم يقل (ديار ولا ديور ، لأن ديارا فى القرآن : الجمهرة ٤٨٣/٣) ويقول ابن دريد (ورغا اللبن وأرغى وسرى وأسرى ، ولم يتكلم فيـه الأصمعى ، لأنه من القرآن) الجمهرة ٤٣٤/٣ • وسحته وأسحته ••• ولم يتكلم فيه الأصمعى الجمهرة ٤٣٦/٣) ، لأن فى القرآن (فيسحتكم) ولعله كان يخاف أن يزل فى القرآن • كما كان الأصمعى ينكر لهجات عربية مثل : تميم (المصباح ١٠٣٨/٢) ونجد (اللسان ١٩٤/١٧) كما أنه لم

يتكلم فى « عصفت الريح » و « أعصفت » ، لأن فى القرآن (ريح عاصف) ، الجمهرة ٣/٤٣٥ • لكن الفراء المتحرر عزاها الى بنى دبير ، وهم بطن من أسد ، وأورد شـــــاهدا لها • معانى القرآن للفراء : ١/٤٦٠ • كما كان الفراء يحتج للهجات العربية بالقراءات القرآنية توجيها وتنظيرا (انظر نصوص الكتابين) •

٣ ــ ان كتابى الفراء كانا معينين اســـــتقيا منهما اللغويون والمفسرون (البحر ٣/٢٤٧ ، ٣/١٩٣) ، (اللســـان ٧/٢٨٥) ، (التصريح ١/٧٧) ، (الهمع ١/٤٧) •

٤ ــ بعض الظواهر الصوتية كان سيبويه يراها ضرورة ويراها الفراء لغة عن العرب (عبث الوليد ٢٢٥) وكثيرا ما كانت اللهجة تشتجر مع الغلط أيضا ، ولكن الفراء يحكيها لهجة عربية المزهر ــ ٢/٢٥٢، ٤٩٦ البحر ٢/٤٩٩ • وهذا يوضح اعتداده للهجات القبائل وتقديره لكل ما سمع من العرب •

٥ ــ أنه كان يؤكد لهجات القبائل بالسماع والسند وتسلسله ليحيطها بسياج من التوثيق ، حماية لها من الوضع والتدليس ــ وهذا يؤكد تأثره بمنهج المحدثين وبالنزعة السلفية (انظر معانى القرآن للفراء ١/٤١ ، ٥٦ ، ٩١ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٥٣ ، ٣٢٣ ، ٤٥٩) ٢/٣٣ ، ١٥٠ ، ٦٤ ، ٢٤٩ كما كان يوثق اللهجــــــة بالرؤية وهى ملاحظة مباشرة • معانى القرآن للفراء ١/٢٥٣ •

٦ ــ كما كان دقيقا فى عزوه اللهجات فيستعمل الكثرة كقوله (وهى كثيرة فى أسد وتميم وعامر • معانى القرآن للفراء ٢/٩٢) (وكثير من أهل نجد والخزانة ٢/١٣٣) ويستعمل كلمة (بعض) : كقوله (سمعت بعض بنى عقيل) معانى القرآن للفراء ١/٢١٦) أو كلمة (خاصة) كقوله (وذلك فى بنى دبير من بنى أسد خاصة) الابدال لأبى الطيب ١/٢٦٠ •

٧ ــ ويسم لهجة الأنصـــار بأنها من المرفوض (معانى القرآن للفراء ٢/١٥٣) أو يصف اللهجة بـ (العالية) اللسان ١٨/٥٤ . أو أنها (أفصح) أو (أكثر) المذكر والمؤنث للفراء : ٢٦ ، ويصف لهجة تميمية بأنها لا تصـــلح فى الكتاب أى فى القراءة (معانى القرآن للفراء : ٢/١٦٤) .

٨ ــ كثرة الاستعمال وأثرها فى حذف جزء من الكلمـــة فى لهجـــة بنى فزارة : معانى القرآن للفراء ٢/٩ .

٩ ــ كثرة الشواهد التى يحتج بها لتوثيق اللهجة . اللســـــان ٦/١٤٨ معانى القرآن للفراء ١/٤٦٠ ، ٩١ ، المذكر والمؤنث للفراء ص ٢٦٠ .

١٠ ــ ومن أوليائه أنه سمع نصا لهجيا من قبيلة بنى انسان (١) معانى القرآن للفراء : ٢/١٠٧ .

١١ ــ كما كان الفراء أمينا ثقة لا يتورع أن يقول (لا أعـــرف) فقـــد عقب على قراءة (صللنا) بالصاد فى (ضللنا) السـجدة آية ١٠ بقوله : ولست أعرفها الا أن تكون لغة لم نسمعها . معانى القرآن للفراء ٢/٣٣١ .

١٢ ــ ويظهر أن لغات القرآن ــ للفراء لم تكن مقصورة على لهجـــات القبائل العربية وحدها بل شملت لغات أخرى غير العربية يـــؤكد هذا قوله فى سورة المؤمنين آية ١١ (الفردوس) قال الكلبى : هو البستان بلغة الروم وقال الفراء وهو عربى أيضا العرب تســمى البســتان : الفردوس (٢) (معـــانى القرآن ٢/٢٣١) وتعليق

---

(١) وهى اسم قبيلة عربية . نهاية الأرب للقلقشندى : ٨٨ .

(٢) وفى المتوكلى : فيما ورد فى القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والقبطيــــة والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية (دمشق ١٣٤٨ هـ) . للسيوطى وردت : الفـــردوس مرتين الأولى ذهب الى أنها رومية ص ٨ ، والثانيـــة الى أنهـــا : الـــكرم بالنبطية ص ١١ ، وأصلها (فرداسا) .

الفراء يوضح لنا مذهبه فى المعرب •

١٣ ــ وكان الفراء فى حالات نادرة يشترك فى حكاية اللهجة مع غـيره كقطرب (الهمع ٢٠٩/٢) وأبى زيد (ليس فى كلام العرب ١٢) وأبى عبيد (اللسان : ٣٧٤/٢٠) والأخفش (الهمع ٣٣/٢) والكسائى (النشر : ٢٩٥/٢) •

وبعد فان بعث كتب (لغات القبائل) و (لغات القرآن) المفقودة :

أولا : تسد ثغرة فى تاريخ الجانب اللغوى والقرآنى ، لانهـا تعتبر أما فى توثيقها للهجات القبائل •

وثانيا : تحمل فى بطونها بذورا للعربية فى تاريخها الطويل ، فهى حقل غنى ومعلمة زاهرة فى الدراسات الصوتية والنحوية والدلالية •

وأخيرا : فان استخلاص ما سبق من غضون حقل العربية الشتيت على قدر استطاعتى •

ــ بعد ان بوبته ونسقته وعلقت عليه ــ يعتبر عملا خطيرا ، لأنه بعث الى الحياة مرة أخرى ــ تراثا قد اختفى ، ونورا كاد يخبو ، والحمد لله على ماهدى اليه وأعان عليه ، وسبحانك اللهم وبحمدك • اشـهد ألا اله الا أنت • أستغفرك وأتوب اليك •

للبحث بقيــة

دكتور أحمد علم الدين الجندى

مقتطفات من عالم النفس البشرية

للدكتور محمد محمد خليفة

يزدحم عالم النفس البشرية منذ بدء الخليقة الى يوم القيامة بأشتات من النفوس تباينت طباعها وأخلاقها وسلوكها وغرائزها وميولها وطاقاتها وذكاؤها ووعيها وأحاسيسها ومداركها وطواياها وان كانت من طينة واحدة ، أو ربطها دين واحد أو عادات أو لغة أو اقليم ، أو اجتمعت فى رحم أو تلاقت فى وراثة ، ولو شاء الله لصنع النفوس موحدة الطباع والسلوك والميول ، ولكن حكمته فى ذلك التباين تقف دونها أفهام البشر ، ولا تدرك كنهها عبقريات العقول .

وان الغوص فى عوالم النفس البشرية لاستكشاف دخائلها ليسلمنا الى صور مختلفة عدد ما خلق الله من البشر ، ولكل صورة طبيعة وطباع ودخائل ونزعات وألوان وظلال واشراقات أو ظلمات تفردت بها عن غيرها من الصور فقد اختلفت صور النفوس بين الأمراض النفسية فى شتى أنواعها ، وبين الصحة فى تباين قواها ، وبين الخيرية فى تساميها ومعاليها ، وبين البشرية فى تحدرها ومهاويها ، كما اختلفت من حيث الضمائر صحة ومرضا وحياة وموتا ويقظة ونوما وحبا وحقدا ، وحلاوة ومرارة وسيطرة على الأهواء واستسلاما لها ، ومن حيث العقيدة ايمانا وكفرا أو نفاقا ، ومن حيث العقل ذكاء أو غباء أو وعيا ، ومن حيث المشاعر قوة أو ضعفا ، وتلهبا أو خفوتا .

ولم تجتمع نفس وأخرى منذ بدء الخليقة فى كل ما أفردها الله به

من صفات خلقية أو خلقية ، وربما تشابهت بعض النفوس فى الخلق أثرا للوراثة أو البيئة ، ولكنهما تختلفان فيما أودع الله فى كل منهما من الصفات الخلقية والطباع .

وقد خص الله كل نوع من الحيوانات والزواحف والحشرات والطيور وعوالم البحار بطباع وغرائز تجلت فيها وامتاز كل نوع منها عن غيره بطباع خاصة :

فللسبع بطشه وأثرته ، وللذئب غدره ، وللثعلب مكره ولليربوع خداعه ، وللنمر شراسته وللحيات خبثها وللكلب وفاؤه وللجمل صبره ولبعض الطيور ايثارها ، وقد شاركت بعض النفوس الحيوانية فى تلك الطباع : فكثيرا بعض النفوس الانسانية طبعت على حب البطش والأثرة ، وكثيرا ما ينطوى البعض على الغدر أو المكر وكثيرا ما يتبدى فى البعض الخداع أو الشراسة أو الخبث ، وكثيرا ما يظهر فى البعض الوفاء أو الصبر أو الايثار ، وكأن النفس الانسانية حين تتأثر بتلك الطباع الحيوانية الغازية قد ضعفت فيها انسانيتها أمام طغيان الحيوانية وجبروتها حيث فرضت عليها سلطانها فاستسلمت لها أو أن الحيوانية التى تعيش فى الانسان هى الحيوانية التى غلبت انسانيتها، وان كان فى بعض النفوس الانسانية بعض الفضائل والخير أودعها فيها خالقها ، أو ساقها اليها طول التأمل ، أو الايمان بالحق الذى أودعه الله فى الخلق ، وربما كانت تلك الفضائل أثر الدين جاء به نبى ، أو لاصلاح دعا اليه مصلح ، وما أكثر ما كانت النفس البشرية منجما يزدحم بمعادن الخير ، وما أكثر ما كانت مصنعا لنوازع الشر ، وما أكثر ما كانت مرآة تنعكس عليها طباع الحيوانية الكامنة فيها ، أو فضائل الخير التى تترفع بانسانيتها عن وحشية الحيوانية وطباعها .

ومازالت نوازع الخير ونوازع الشر تعيش فى حيوانية الحيوان وحيوانية الانسان فلا يقتلع جذور الشر من حيوانية الانسان غير دين يهدى الى الخير ويقود الى الحق : فأنانية السبع التى يثيرها حب التملك والسلطان حتى يستبيح

لنفسه الفتك بمن يتصــدى له حين اقتناص فرائســـه هى هى نفس الأنانية التى تســـتبد بنفوس اللصوص ، وتنسيهم انســـانيتهم حينما يفتكون بمن يحــولون بينهم وبين ما يسلبون من مال أو متاع ، وانهم ليستبيحون ســفك الدماء فى سبيل ارضاء لصـــوصيتهم التى تثيرها شهوة التملك ، وغدر الذئب حين تمزق أنيابه وأظفـاره من قد يحسن اليه فيطعمه رحمة به وانقاذا له من غوائل الجـــوع هو هو غدر النفس البشرية التى تعض أيدى من ترد عطاياهم عنها غوائل المسغبة ، بل قد يثيرها الغدر والحقـــد الى الفتك بالمحسنين لا لشىء الا أن الله جعل أيديهم هى العليا .

ومكر الثعلب ومراوغاته واحتياله على فريســـته حتى اذا تمكن منها اســـتبد بها هو هو مكر النفوس المريضة التى تراوغ وتحتـال حتى تظفر بمآربهـا ، وانها لتدوس فى ســـبيل أمانيها كل القيم والمثل ، ولا يضيرها التخلى عن الأخلاقيات والتجرد من كرامة الانســـانية وقدســية الفضائل اذا كان يعوقها ذلك عن تحقيق أحلامها ، وما يتخذه اليربوع فى صنع جحره من وسائل التضليل والخداع هو هو ذلك الذى ينســـجه المنافق من خداع ليحقق مطامعه ، ويرضى خسائس نفســه الأمارة بالســوء وطالما جعل طول النفاق فى المنافقين القدرة على صنع الأقنعة التى يوارون بهـــا حقائق وجوههم ، وما تحمــل من ألـــوان الغش والخداع ، ولكن تلك الأقنعة المضـــللة لن تحجب ما وراءها عن بصائر المؤمنين التى جعل الله فيهـا قدرة على النفاد الى دخائل النفوس واستشفاف ما يتفاعل فيهـــا من الشر .

وشراسة النمر تثير فيه القسوة حتى بالضعاف من الحيوانات التى لا تملك شيئا من قوة تقاوم به عنف ثورته وبشــاعة شراسته هى هى شراسة النفوس البشرية التى تفنن فى تعذيب مناوئيهـــا حفاظا على سلطان من أصحاب تلك النفوس ، أو هى نفوس أولئك الذين باعوا رحمتهم بثمن بخس لدينا غـيرهم ممن حكموا فجاروا ، أو استرعاهم الله أمانة محكوميهم فخـانوا أمانة

الله ، بل حلت لهم شهوة الظلم حتى استباحوا فى سبيل ارضاء شهواتهم أنكى وسائل التعذيب ، وطالما احتفظ التاريخ بصور المعذبين التى تحكى على الزمن ما عانوا من شراسة النفوس البشرية فى سبيل دينهم أو مبادئهم .

وخبث الحيات الذى قد يفتك بمن يحسن اليها فيحميها من غوائل البرد ، ويحفظ لها حياتها هو هو خبث النفوس التى لا يعيش فيها غير الحقد كل الحقد الذى يستبد بحياتها ولا يدع بينها مأوى لذرة من ذرات الخير تستطيع أن تطفىء يوما جذوة الحقد التى يسعرها حب الانتقام وحب التغلب وحب السلطة وحب التزعم .

وما أكثر أصحاب هذه النفوس بين عالمنا الذى ألهب صراعه الخبث الدفين فاستباح اراقة الدماء وتجويع البطون واذلال الأباة وتمزيق الأواصر فى سبيل ارضاء ضراوة الخبث .

ومع كل هذه الخسائس التى تفعل أفاعيلها فى تدمير صروح الخير فى الحياة فان فى بعض الحيوانية التى تعيش فى الوجود بعض الفضائل الخيرة :

فوفاء القلب الذى ضرب به المثل فى ذلك حيث يتجلى فى دورانه وتواثبه وتمسحه بصاحبه حين يراه بعد غياب وان كان لحظات هو هو وفاء بعض الأصفياء حين يتعانقون، وتتلاقى أرواحهم مع عناقهم فيفرغ كل منهما فى قلب صفيه اشراقات من نور الحب الصادق ، وما أكثر أولئك الذين تحابوا فى الله فى فجر الاسلام ، وتآلفت أرواحهم فى ظل الايمان ، والتقوا فى رحابه مع أسمى جمال الخير والبر والرحمة .

وصبر الجمل الذى ضرب به المثل فى قوة احتمال عذاب الأسفار فى لفح الهواجر لم تنهنه من قوته وعزماته حرارة الصحراء ولا حرارة العطش هو صبر المؤمن على مشقات التكاليف السماوية وما يقاسيه فى أدائها من الجهد ، بل انه ليستعذب فى سبيل رضوان الله ما يكابده من عناء .

وما أكثر ما يبذل المؤمن الصادق

من صبره وطاقاته فى كل ما يقربه من ساحة الرضوان .

والايثار الذى نراه فى الكثير من الطيور التى تغدو وتروح لتلتقط قوت فراخها وتؤثرهم به .

هو هو الايثار الذى عرفه المسلمون فى نفوس آل بيت النبوة، فطالما كان يراهم المسلمون وبيوتهم تضيق بما أفاء الله عليهم وعلى المسلمين من غنائم حتى اذا أمسوا خويت البيوت من كل شىء الا من شكر الله وحمده ، وخرج كل ما فيها فأخذ طريقه الى بيوت المعوزين وأفواه اليتامى وبطون المحرومين ، وهذا ما تحدث به الصديقة بنت الصديق عائشة رضوان الله عليها فتقول :

ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا ، وقد ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم آل بيته على الايثار وطبع نفوسهم عليه فعاشوا بعد الرسول يأتسون به ويعملون عمله .

وقد حدثنا تاريخ عائشة رضوان الله عليها أن معاوية بعث اليها فى خلافته ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق وجعلت تقسمه بين الناس ، فلما أمست قالت : يا جارية هلمى فطورى (وكانت صائمة) فجاءتها بخبز وزيت ثم قالت لها الجارية : ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه ، فقالت : لو ذكرتينى لفعلت ، وقد نسيت عائشة نفسها التى بين جنبيها وهى تقسم الأموال ، فلم تثر شهوتها للحم وبين يديها أكوام الدراهم فتذكر نفسها وحاجة معدتها ، ولكنها ذكرت البيوت التى سكنها الحرمان فآثرتها على نفسها حتى أنفدت عطية معاوية فلم تبق منها درهما واحدا لنفسها ولجاريتها .

ولعل تلك النفحة من نفحات بيت النبوة تأخذ طريقها الى النفوس فتنتفض فيها نوافح الخير والرحمة وتربط حياتها بعمل يقربها الى ساحات المؤثرين الذين زهدوا فى متاع الحياة (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) وليت النفوس

تنتزع من جوانحها أشـواك الشر وضراوة الحيوانية لتعلو بانسانيتها عن أوحال الدنيا ، بل تستأصـل جذور الشر من طريق الانسانية ، ثم تبذر بذور الخـير لتطيب فى ظلالها حياة البشر .

وليت النفوس البشرية تصحـو ضـمائرها أو تمـزق أكفانها التى انطوت فيها حينا من الدهر لترجع الى حياة مؤمنة تخاف فى ظلها سوط الضمير ، وتنطلق فى سبيل الخـير الذى يدعوها اليه نداء الضـمير المؤمن .

وليت النفوس البشرية تسـمو الى انسانيتها راجعة الى ربهـا راضية مرضية ؟ !

دكتور : محمد محمد خليفة

***

الذميون في بلاد الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوي

الذمة لغة معناها العهد والضمان والأمان — والذميون هم أصحاب المصلحة في هذا العهد — وسموا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الاسلام — وفي كنف المجتمع الاسلامي آمنين مطمئنين فهم في أمان المسلمين وضماناتهم بناء على (عقد الذمة) فهذه الذمة تعطي أهلها من غير المسلمين ما يشبه في عصرنا الحالي (الجنسية السياسية) التي تعطيها الدولة لرعاياها فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين ويلتزمون بواجباتهم .

والأصل أن المسلمين هم أهل دار الاسلام — لكن قد يسكن معهم طوائف الذميين لأن الاسلام لا يمنع المسلمين من مخالطة غير المسلمين ، ولا يمنع هؤلاء من الاقامة مع المسلمين في دار الاسلام .

والمجتمع المسلم ، وان كان يقوم أساسا على عقيدة الاسلام ، منها تنبثق نظمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه ، لكنه لا يحكم بالفناء على جميع العناصر التي تعيش في داخله وهي تدين بدين آخر غير الاسلام ، بل يقيم العلاقة بين أبنائه المسلمين وبين مواطنيهم من غير المسلمين على أسس وطيدة من العدالة والتسامح والبر والرحمة — وهي أسس لم تعرفها البشرية قبل أن تشرق عليها شمس الاسلام بل كانت تقاسي قبل ظهوره الويل من فقدانها — ولاتزال الى اليوم

تتطلع الى تحقيقها فى المجتمعات الحديثة نظرا لما غلب عليها من هوى وعصبية وأنانية وضيق فى الأفق جرتها الى صراع دائم مع المخالفين فى الدين أو المذهب أو الجنس أو اللون .

عقد الذمة :

عقد الذمة عقد مؤبد — وقد يكون هذا العقد صريحا ويتضمن اقرار غير المسلمين فى بلاد الاسلام على دينهم وتمتعهم بحماية الجماعة الاسلامية ورعايتها ، بشرط تقديم الجزية — والتزامهم أحكام القانون الاسلامى ، فى غير الشئون الدينية — وبهذا يصيرون من أهل دار الاسلام ، وبناء على هذا العقد تنشأ حقوق متبادلة لكل من طرفيه المسلمين وأهل ذمتهم فضلا عما يرتبه من واجبات .

وقد يكون عقد الذمة عن طريق ارادة الدولة الاسلامية نفسها ، فهى التى تمنح الذمة أى الجنسية لغير المسلم بمحض ارادتها ، وتقديرها وفقا لقواعد الشريعة ، وما تقتضيه مصلحة الدولة فيدخل فى هذا الفريق من هو ذمى عن طريق القرائن الدالة على رضاه أو بالتبعية لغيره أو بالغلبة والفتح .

الجنسية الأصلية — والجنسية اللاحقة :

اذا اكتسب الذمى جنسية دار الاسلام فى لحظة ولادته فهى جنسية أصلية واذا اكتسبها بعد ولادته فهى جنسية لاحقة .

وتتصور الجنسية الأصلية للذمى فى حالة ما اذا ولد للذمى ولد فان هذا المولود يتبع أباه فى الذمة من لحظة ولادته فيكتسب جنسية دار الاسلام ، أما اذا كان للذمى ولد صغير عند ارتباطه بعقد الذمة فان ولده الصغير هذا يتبعه فى الذمة أيضا فيكتسب جنسية دار الاسلام وتكون هذه الجنسية فى حقه جنسية لاحقة — وكذلك الزوجة تدخل فى الذمة تبعا لزوجها أو اذا تزوجت ذميا فتكتسب جنسية دار الاسلام ، وتكون هذه الجنسية بالنسبة لها جنسية لاحقة .

فقد الجنسية بالنسبة للذمى :

يفقد الذمى جنسيته اذا قام بما تنتقض به الذمة ، كما لو لحق بدار الحرب الا أنه مادام لم يظهر منه ما تنتقض به الذمة ،فان الدولة الاسلامية لاتملك نزع الجنسية عنه ٠

القاعدة العامة فى حقوق وواجبات الذميين :

ذكر الامام الكاسانى فى بدائعه حديثا للنبى صلى الله عليه وسلم عن الذميين فيقول (قال النبى صلى الله عليه وسلم فاذا قبلوا عقد الذمة ، فأعلمهم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) ٠

ويقول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه (انما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا) ٠

وفى شرح السير الكبير للامام السرخسى يقوم (ولأنهم قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم وحقوقهم كأموال المسلمين وحقوقهم) ٠

وطبقا لهذه القاعدة، فان الذميين حكمهم كالمسلمين فى الحقوق والواجبات ، الا أن هذه القاعدة يرد عليها استثناء هو أن الدولة الاسلامية تشترط للتمتع ببعض الحقوق توافر العقيدة الاسلامية فى الشخص ، ولا تكتفى بتبعيته لها — ولا غرابة فى هذا الاستثناء لأن الدول حرةفى تنظيم تمتع مواطنيها بالحياة القانونية الداخلية فقد تساوى بينهم وقد تفرق ومادامت الدولة الاسلامية تعتبر الوصف الدينى هو الأساس المقبول للتمييز بين الوطنيين فى بعض الحقوق لأنها محكومة بالاسلام ، فلا تملك الخروج على أحكامه — والاسلام يشترط للتمتع بهذه الحقوق المعينة توافر العقيدة الاسلامية فى هذا الشخص ٠

كما أن هذا الوصف الدينى تعتبره الدولة الاسلامية فى تفرقتها بين مواطنيها فى بعض الواجبات التى تتطلبها أحكام الاسلام ٠

فالزكاة مثلا : يلتزم بها المسلم دون الذمى — والجزية يلتزم بها الذمى دون المسلم والجهاد بما فيه

الدفاع عن دار الاسلام يجب على المسلم دون غيره وان كان للذمى أن يساهم فيه .

بالنسبة للوظائف العامة :

هناك من الوظائف العامة مـــا لا يكلف بها الذمى لأن طبيعتهـــا تقتضى ألا يتولاها الا المســـلم ــ فكان من شرط تقليدها للشخص أن يكون مسلما كالخلافة أى (الامامة) لأن الامامة فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الـــدين وسياسة الدنيا فكان من البديهى أن يكون رئيس الدولة الاســـلامية مسلما ــ وعلى هذا جرى المسلمون فى جميع عصورهم .

وكذلك الحال فى امارة الجهاد لأن الجهاد يلتزم به المسلم دون الذمى وان كان للذميين أن يشتركوا مـــع المسلمين فى الدفاع عن دار الاسلام فكان من السائغ القول أن يكـــون قائد الجيش مسلما .

وحجب هذه الوظائف القليلة عن الذميين ، ينبغى ألا يثير استغرابا ولا دهشة ، لأن الوظيفة فى نظـــر الاسلام تكليف لاحق ــ وللدولـــة (كما سبق بيانه) أن تشترط بعض الشروط الخاصة التى تراها ضرورية فيمن تكلفه بمثل هذه الوظائف التى لا يكلف بها الذمى ، لأنها تقوم على أساس العقيدة الاسلامية أو تتصل بها ، ويظهر فيها عنصر التـــدين بارزا فكان قصرها على المســـلم سائغا مقبولا لأن الذمى لايشارك المسلم فى أمور الديانات ولا فيمـــا يتصل بالعقيدة الاسلامية أو يقوم عليهـــا .

بالنسبة لحق الانتخاب وحـــق الترشيح لخليفة المسلمين :

يشـــترط فقهاء الاســـلام فى الشخص الذى يقوم بانتخاب أمام المسلمين (وهو الخليفة) مايشترط فى الامام نفسه أى أن يكون مسلما ــ وعلى هذا يكون حق انتخـــاب الامام مقصورا على المســـلمين وحدهم ممنوعا عن غيرهم .

ومما يؤيد هذا الاتجاه أنه لـــم ير أحد قط أن واحدا من أهل الذمة اشترك فى انتخاب الخليفة فى عصر الخلفاء الراشدين ــ كما لم ينقل أن أهل الذمة أو واحدا منهم طالب

بهذا الحق ــ مما يدل علــى أن المفهوم لدى الجميع أن هذا الحق مقصور على المسلمين دون غيرهم •

جواز تكليف الذميين بالوظائف العامة :

وفيما عدا الوظائف القليلة التى يشترط فيمن يتولاها أن يكــون مسلما يجوز اشتراك الذميــين فى تحمل أعباء الدولة واسناد بــاقى الوظائف العامة اليهم وقد أشار الى ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة •

ففى القرآن الكريم يقول اللــه تعالى **(يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضــاء من أفواههم وما تخفى صــدورهم أكبر)** سورة آل عمــران ١١٨ ــ فهذه الآية الكريمة لم تنه المسلمين عن اتخاذ بطانة من الذميين بصورة مطلقة ــ وانما قيدت النهى بالقيود الواردة فيها أى أن النهى منصــب على من ظهرت عداوتهم للمسلمين فهؤلاء لايجوز اتخاذهم بطــانة ومعنى هذا أن الذميين الــذين لاتعرف لهم عداوة للدولة الاسلامية يجوز للمسلمين اتخاذهم بطــانة يستعينون برأيهم فى شئون الدولة وتطبيقا لهذا المعنى يجوز اســناد بعض الوظائف العامة اليهم التى هى دون البطانة فى المركز والأهمية لكن بالقيود التى أشرنا اليها آنفا •

أما ما ورد فى السنة المطهرة ــ

أشارت كتب السيرة النبــوية بصدد معركة بدر الكبــرى التى وقعت بين المسلمين بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم وبين مشركى مكة سنة ٢ هـ فقد انتصر فيهــا المسلمون وأسروا من المشركين فى تلك المعركة سبعين أسيرا وكان من هؤلاء من لا مال له فجعــل النبى صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة بأن يعلم الواحد منهم عشرة من أولاد الأنصار ثم يخلى سبيله فهــذا الأثر يفيد أن النبى عليه الصلاة والسلام استخدم غير المسلمين فى شأن من شئون الدولة الاسلامية وهو تعليم بعض أبناء المســلمين الكتابة وفى السيرة النبوية أيضــا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما

توجه الى مكة سنة ست للهجرة ووصل الى مكان يدعى ذى الحليفة بعث عينا منه من خزاعة يخبره عن قريش وكان هذا العين كافرا ومع هذا أسند اليه هذه المهمة الخطيرة ولاشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مطمئنا الى أمانته فوثق به وقبل ذلك عندما هاجر من مكة الى المدينة استخدم أحد المشركين الموثوق فى كفاءته وعدم خيانته (وهو عبد الله بن أريقط) ليدله هو ورفيقه الصديق على الطريق ــ مما يدل على جواز اسناد وظائف الدولة العامة الى الذميين ما داموا أهلا لها من حيث الكفاءة والثقة والأمانة •

وهذا فى الحقيقة أعلى درجات التسامح والتساهل مع المخالفين فى الدين لايجد المرء نظيرا له فى أى شريعة لا فى القديم ولا فى الحديث •

ومن هذا المنطلق الاسلامى الكريم فى التسامح أجاز فقهاء الشريعة الاسلامية تقليد الذميين وزارة التنفيذ وهى المنوط بها ابلاغ أوامر ولى الأمر والقيام بتنفيذها وامضاء مايصدر عنه من أحكام ــ وتشبه وزارة التنفيذ فى القديم مركز الوزارة فى الدولة الحديثة حيث يقوم الوزير بتنفيذ قرارات مجلس الوزراء •

كما أجاز الفقهاء اسناد وظائف أخرى الى الذميين كجباية الجزية والخراج وقد بلغ تسامح المسلمين فى هذا الأمر أحيانا الى حد المبالغة والجور على حقوق المسلمين مما جعل المسلمين فى بعض العصور يشكون من تسلط اليهود والنصارى عليهم بغير حق ويقول المؤرخ الغربى آدم ميتز فى كتابه ــ الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ــ (من الأمور التى نعجب لها كثرة عدد العمال خصوصا الولاة وكبار الموظفين والمتصرفين غير المسلمين فى الدولة الاسلامية فكان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين فى بلاد الاسلام فالشكوى من تحكيم أهل الذمة فى أبشار المسلمين شكوى قديمة •

حقوق وواجبات أهل الذمة

أولا : حقوق أهل الذمة :

لأهل الذمة حق التمتع بحماية

الدولة الاسلامية وحرية العمل والكسب وحرية التدين •

وعن الحماية من الاعتداء فانه ينصب على الاعتداء الخارجى وحمايتهم من الظلم الداخلى •

فحماية أهل الذمة من الاعتداء الخارجى فان على ولى الأمر أن يوفر لهم ما للمسلمين من حماية وأن يدفع من قصدهم بأذى ماداموا بدار الاسلام ومن المواقف التطبيقية لهذا المبدأ الاسلامى موقف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله حينما تغلب التتار على بلاد الشام فقد توجه الامام ابن تيمية الى القائد التترى (قطلوشاه) لاطلاق سراح الأسرى وبعد الكلام معه وافق القائد التترى على اطلاق أسرى المسلمين فقط — ورفض أن يطلق سراح الأسرى من أهل الذمة فما كان من شيخ الاسلام ابن تيمية الا أن طالبه بضرورة افتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمة المسلمين فلما رأى القائد التترى تصميم الامام ابن تيمية أطلقهم له •

أما حماية أهل الذمة من الظلم الداخلى فهو أمر يوجبه الاسلام ويحذر المسلمين أن يمدوا أيديهم أو ألسنتهم الى أهل الذمة بأذى أو عدوان وقد أورد القرآن الكريم مايشير الى مراعاة العدل معهم وعدم ظلمهم قال تعالى (**ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**) سورة المائدة ٨ ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من ظلم معاهدا أو انتقصه حقا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامه) رواه أبو داود والبيهقى — وقال عليه الصلاة والسلام (من آذى ذميا فأنا خصمه — ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة) رواه الخطيب باسناد حسن ويقول صلى الله عليه وسلم « من آذى ذميا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله » رواه الطبرانى فى الأوسط باسناد حسن •

ويقول الامام على بن أبىطالب كرم الله وجهه عن الذميين (انما

بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا) .

وفقهاء المسلمين منكافة المذاهب الاجتهادية قرروا بأن على المسلمين دفع الظلم عن أهل الذمة والمحافظة عليهم لأن المسلمين حين أعطوهم عقد الذمة قد التزموا دفع الظلم عنهم وهم صاروا به من أهل دار الاسلام .

وحق الحماية المقرر لأهل الذمة يتضمن حمايتهم فى دمائهم وأنفسهم وأبدانهم كما يتضمن حماية أموالهم وأعراضهم وكل ذلك على التفصيل الذى أورده فقهاء الاسلام فى كتب الفقه المختلفة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما) رواه الامام أحمد والامام البخارى فىالجزية كما رواه الامام النسائى والامام ابن ماجة فى الديات .

وكما حمى الاسلام أنفس الذميين من القتل حمى أبدانهم من الضرب والتعذيب فلا يجوز الحاق الأذى بأجسامهم حتى ولو تأخروا أو امتنعوا عن أداء الواجبات المالية المقررة عليهم كالجزية والخراج — هذا فى الوقت الذى يتشدد فيه الاسلام كل التشدد مع المسلمين اذا منعوا اخراج الزكاة .

ولم يجز الفقهاء فى أمر الذميين المانعين للواجبات المقررة عليهم أكثر من أن تأديبا لهم لكن بدون أن يصحب الحبس أى تعذيب أو أشغال تتسم بالمشقة . أورد الامام أبو يوسف فى كتاب الخراج أن الصحابى الجليل حكيم ابن هشام رأى رجلا وهو على مدينة حمص يشمس ناسا من النبط فى أداء الجزية فقال ما هذا؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا) رواه الامام مسلم فى صحيحه .

حماية أموال أهل الذمة :

وهذا ما اتفق عليه المسلمون فى

جميع المذاهب وفى جميع الأقطار ومختلف العصور • روى الامام أبو يوسف فى الخراج ما جاء فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لأهل نجران (ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أموالهم وملتهم وبيعهم وكل ماتحت أيديهم من قليل أو كثير).

وفى عهد عمر بن الخطاب الموجه الى أبى عبيدة بن الجراح أن (امنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحلها) كما ورد مثل ذلك فيما عهد به عمر بن الخطاب الى أهل ايلياء عند فتحها مما سيأتى ذكره •

حماية أعراض أهل الذمة :

ذكر الفقهاء أن الاسلام يحمى عرض الذمى وكرامته كما يحمى عرض المسلم وكرامته فلا يجوز لأحد أن يسبه أو يتهمه بالباطل — أو يشنع عليه بالكذب ويذكره بما يكره فى نفسه أو نسبه أو خلقه أو خلقته أو غير ذلك مما يتعلق به لأن عقد الذمة يوجب لهم حقوقا علينا لأنهم فى جوارنا وفى خفارتنا وذمتنا وذمة الله تعالى وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم •

كفالة المعيشة للذمى ولمن يعولهم :

لقد ضمن الاسلام لغير المسلمين فى ظل مجتمعه الاسلامى كفالة المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونهم لأنهم رعية لدولة الاسلام يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته) متفق عليه من حديث ابن عمر — ورأى عمر بن الخطاب شيخا يهوديا يسأل الناس فسأله عن ذلك فأخبره بأن الشيخوخة والحاجة ألجأتاه الى ذلك فأخذ بيده وذهب به الى خازن بيت مال المسلمين وأمره أن يقرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم •

وعند مقدمة (الجابية) من أرض دمشق مر فى طريقه بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت — أى أن تتولى الدولة القيام بطعامهم ومؤونتهم بصفة

منتظمة ـ كما يلحق بأمثال هؤلاء العجزة من أهل الذمة .

وبهـــذه المعاملة الكريمة تقرر الضمان الاجتماعى فى الاســلام ليشمل أبناء المجتمع جميعا مسلمين وغير مســلمين ـ اذ لا يجوز أن يبقى فى المجتمع الاسلامى انسان محروم من الطعام أو الكسوة أو المأوى أو العلاج فان دفع الضرر عن الشــخص الآدمى واجب دينى سواء كان هذا الشخص مســلما أو ذميا ـ وهذا ما درج عليه فقهاء الاسلام فى فقههم من أمثال الامام النووى وغيره من الفقهاء .

حرية العمل والكسب :

لغير المســلمين فى المجتمــع الاسلامى حرية العمل والكســب بالتعــاقد مــع غيرهـــم أو بالعمـل لحســاب أنفســـهم ـ ومزاولة ما يختــارون من المهن الحرة ـ ومبــاشرة ما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادى شأنهم فى ذلك شأن المســلمين ولم يستثن الفقهاء الا الآتى : ـ

أولا : عقد الربا .. فانه محرم على الذميين كالمسلمين فقد روى أن النبى صلى الله عليه وســلم كتب الى مجوس هجــر (اما أن تذروا الربا أو تأذنوا بحرب من اللـــه ورسوله) .

ثانيا : منعهم من بيــع الخمور والخنازير فى أمصار المسلمين وفتح الحانات فيها لشرب الخمـــر أو ادخالها الى بلاد الاسلام ولو كان ذلك لاستمتاعهم الخاص ســـدا لذريعة الفســـاد واغلاقا لبــاب الفتنة .

وفيما عدا هذه الأمور المحدودة يتمتع الذميون بتمــام حريتهم فى مبــاشرة التجــارات والصــناعات والحرف المختلفة ـ وهذا ما جرى عليه العمـــل ونطـــق به تاريخ المسلمين فى شتى العصور وكادت بعض المهن تكون مقصــورة عليهم كالصيرفة والصــيدلة وغيرها ـ واســـتمر ذلك الى وقت قريب فى كثير من بلاد الاسلام ـ وقد جمعوا من وراء ذلك ثروات كبــيرة كانت معفـــاة من الزكاة ومن كل ضريبة الا الجزية .

يقـــول آدم ميتز (لم يكن فى التشريع الاسلامى مـا يغلق دون أهـــل الذمة أى باب مـن أبواب الأعمال ـ وكانت قدمهم راسخـة فى الصـــنائع التى تدر الأرباح الوافرة فكانوا صـيارفة وتجارا وأصـــحاب ضـياع وأطباء ـ بل ان أهل الذمة نظموا انفســـهم بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة فى بلاد الشــام من اليهود ـ على حين كان اكثر الاطباء والكتبة من النصارى) .

وكان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفة وكان رؤساء طوائف اليهود والنصارى مقربين عنده .

حرية التدين :

كفل الاسلام لرعيته من الذميين حرية الاعتقاد والتعبـد فلكل ذى دين دينه ومذهبه لا يجبر على تركه الى غيره ولا يضغط عليه أى ضغط ليتحول منه الى الاسلام وأســاس هذا الحق قوله تعالى :

(١) « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ســـورة البقرة ٢٥٦ .

(٢) « افأنت تكره النـــاس حتى يكونوا مؤمنين » سورة يونس ٩٩ .

ولم يعرف التاريخ شعبا مسلما حاول اجبـــار أهـل الـذمة على الاسلام ويشـــهد بذلك المؤرخون خصوصا الغربيون منهم .

بل ان المسـلمين صـــانوا لغير المسلمين معابدهم وكنائسهم ويشير الى ذلك عهد النبى صـلى الله عليه وسلم الى أهل نجد السابق الاشارة اليه وتأيد ذلك بما أورده الطبرى فى تاريخه عما عهد به عمر بن الخطاب رضى الله عنـــه الى أهـل ايليـــاء (مدينة القــدس حاليا) فلقد نص فيه على حريتهم الدينية وحـــرمة معابدهم وشعائرهم (هذا ما أعطى عبد اللهعمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان ـ أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصـــلبانهم وسائر ملتها لا تسـكن كنائســهم ولا تهدم ولا ينقص منهـا ولا من حيزها ولا من صليبها ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ـ ولا يسـكن بايلياء معهم أحد من اليهود) .

يقول المفكر الفرنسى غوستاف لوبون (رأينا من آى القرآن أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية ــ وأنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التى ظهرت قبله كاليهود والنصرانية على وجه الخصوص ــ وسار خلفاؤه على سنته وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المرتابون أو المؤمنون القليلون الذين أمعنوا النظر فى تاريخ العرب والعبارات الآتية التى اقتطفها من كتب الكثيرين منهم تثبت أن رأينا فى هذه المسألة ليس خاصا بنا يقول يوبر تسون فى كتابه (تاريخ شارلكن) ان المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى وأنهم مع امتشاقهم الحسام نشرا لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارا فى التمسك بتعاليمهم الدينية) .

ضمانات وفاء المسلمين بهذه الحقوق الى الذميين :

لما كانت الشريعة الاسلامية هى شريعة الله وقانون السماء الذى لا تبديل لكلماته ولا يتم الايمان الا بطاعته لا يسع أى مسلم يتمسك بدينه الا أن يقوم بتنفيذ أحكام هذه الشريعة ووصاياها من نفسه ليرضى ربه وينال أجره ومنها احترام الحقوق التى كفلتها للذميين يقول تعالى :

(١) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)

سورة الاحزاب ٣٦

(٢) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعولوا اعدلوا ــ هو أقرب للتقوى ــ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) سورة المائدة ٨ .

وحتى اذا شعر أو أحس الذمى بأى ظلم فله أن يشكو من ظلمه ليجد من يسمع لشكواه وينصفه من ظالمه مهما يكن مركزه ومكانه بين المسلمين بل حتى ولو كان الخليفة نفسه وهناك فى التاريخ الاسلامى

وقائع صريحة تشهد على ذلك نذكر منها الآتى على ســــبيل المثال لا الحصر •

١ ـــ فقدت درع الامام على بن أبى طالب وقت خلافته فوجدها عند رجل نصرانى ادعى أنه صـــاحبها فاختصما الى القاضى شريح ـــ قال الخليفـــة الدرع درعى ولم أبع ولم أهب فسأل القاضى ذلك النصرانى فيما يقوله الخليفـــة فرد عليه بقوله (ان الدرع درعى وما أمير المؤمنين عنـــدى بكاذب) فالتفت شريح الى الخليفة يســـأله يا أمير المؤمنين هل لك من بينة ، فضحك الخليفة وقال أصـــاب شريح ما لى بينه وقضى شريح للنصرانى بالـــــدرع لأنـــه صاحب اليد عليها ولم تقم بينة على خلاف ذلك فأخـــــذها هذا الرجل النصرانى ومضى •• لكنه لم يمش خطوات حتى عاد يقـــول (أما أنى أشهد أن هذه أحكام أنبياء ـــ أمير المؤمنين يديننى الى قاضيه فيقضى لى عليه أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رســـــول الله الدرع درعك يا أمير المؤمنين أخذتها وأنت منطلق من صفين) فقال له الخليفة (أما اذ اسلمت فهى لك) •

٢ ـــ فى خلافة عمر بن الخطاب توجه اليه بالمدينة أحد أبناء الأقباط فى مصر وشكا اليه ابن عمرو بن العاص بأنه اعتدى عليه بالسوط اثر ســـــباق بينهما فاز فيـــه ابن القبطى على ابن عمـــرو بن العاص وقال له كيف تسبق ابن الأكرمين فاستدعى الخليفة عمرو بن العاص وابنه وأعطى السوط لابن القبطى وأمره بضرب ابن الأكرمين (ابن عمرو بن العاص) فلمـــا انتهى من ضربه التفت الخليفـــة الى عمرو بن العاص وقال كلمته الخالدة يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ •

٣ ـــ فى خـــلافة الوليـــــد بن عبد الملك أخذ هذا الخليفة كنيســـة (يوحنا) من النصارى وأدخلها فى مساحة المسجد الأموى بدمشق ـــ فلما اســـتخلف عمر بن عبد العزيز شكا اليه النصارى ما فعل الوليد بن عبد الملك فى كنيســـــتهم فكتب الى عامله برد ما زاده فى المسجد عليهم

لولا أنهم تراضوا مع الوالى على أساس أن يعوضوا بما يرضيهم .

٤ ـ شكا أحد رهبان النصارى فى مصر الى الوالى أحمد بن طولون أحد قواده لأنه ظلمه وأخذ منه مبلغا من المال بغير حق فأحضره الوالى وأنبه وعزره وأخذ منه المال ورده الى راهب النصارى ـ وأعلن على الملأ أن بابه مفتوح لكل متظلم من أهل الذمة ولو كان المشكو من كبار القواد أو موظفى الدولة .

٥ ـ لما أجلى الوالى العباسى صالح بن على بن عبد الله بن عباس قوما من أهل الذمة من جبل لبنان لخروج فريق منهم على عامل الخراج تصدى له الامام الأوزاعى وعارضه فى اجلائهم وحرر له رسالة .. يذكره فيها بأن أحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال (من ظلم ذميا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه) .

ما عليه العمل فى بلادنا المصرية :

ان ما يجرى فى جمهورية مصر العربية وغالبية سكانها العظمى من المسلمين هو المساواة بين جميع المصريين فى تولى الوظائف العامة فتسند الدولة اليهم تلك الوظائف حسب توافر الشروط القانونية فيهم والمساواة أيضا بينهم فى الحقوق والواجبات طبقا لأحكام الدستور دون أى تمييز أو تفرقة بينهم بسبب الجنس أو الدين مع تقرير حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية لجميع المواطنين ولقد ورد فى دستورها الدائم على أن المواطنين لدى القانون سواء وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة .

ولقد جاء فى تقرير اللجنة التشريعية بمجلس الشعب حول تعديل المادة الثانية والنص فيها على أن تكون مبادىء الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع أنه من المسلمات ايضا أن مبادىء الشريعة الاسلامية السمحة تقرر الآتى :

ان غير المسلمين من أهل الكتاب يخضعون فى أمور أحوالهم

الشخصية لشرائع ملتهم وقد استقر علـى ذلك رأى فقهـاء الشريعة الاسلامية منذ أقدم العصور نزولا على ما ورد فى الكتاب والسنة •

وأنه لا توجد ثمة شبهة فى أن حق تولى الوظائف والمناصب العامة وحرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية تعد من الحقـوق العامة للمصريين الذين يتمتعون بها فى ظل الدسـتور وطبقا لأحكام القانون دون أى تمييز أو تفـرقة بينهم بسبب الجنس أو الأصـل أو اللغة أو الدين أو العقيدة •

وأن أى انحراف بتفسـير أى نص فى الدسـتور بما يخل بمبدأ المساواة أو حرية العقيدة وممارسة الشـعائر الدينية لأهل الكتاب من المصريين يمثل مخالفة دسـتورية صريحة وبصفة خاصة لأحكام المادة الثانية من الدستور على النحو الذى سبق أن أقره المجلس •

واذا كانت هناك حقـوق قررها الاسـلام لأهل الذمة فلابد وأن تقابلها واجبات عليهم مقابل التمتع بتلك الحقـوق لأنه من المبادىء المقررة أن كل حق يقابله واجب ••

* * *

والى مقال آخر لتفصـيل تلك الواجبات ان شاء الله •

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

« الصـبر »

اذا بليت بعسرة فالصـبر لهـا

صـبر الكريم فـان ذلك أحـزم

الربا
قبل الإسلام وبعده

للأستاذ زيدان أبو المكارم حسن

مقدمـــة :

ــ اختلف الناس من قديم ٠٠ فى (مفهوم : الربا) وما يدخل فيه فيكون محرما من المعامـــلات ، وما يخرج منه ٠٠ **فيصير حلالا،فى** كل معاملة ٠

ــ حدث هذا قبل الاســلام ، وحدث أيضا بعد الاسلام ؟؟

ــ ولقد خاض العلماء والفقهـاء ــ بعد عهد الصحابة ٠٠ ميــدان البحث الفقهى ٠٠ وخرجوا مختلفين ٠٠ اختلافا بينا ، الى مذاهب كثيرة، اشتهرت من بينهـــا : المذاهب الأربعة ، واحتفظت بطون الكتب الفقهية ــ القديمة ــ بتدوين أكثر من عشرة مــذاهب ٠٠ **فى مفهوم** الربا ، قال بكل منها : امــام مجتهد ، أو جماعة من أئمـة تلك العصور ! ؟

ــ ومع مرور الزمن ٠٠ رسخت **المذاهب الأربعة** ٠٠ على ما بينها من **اختلاف ، ونسيت تلك المــذاهب** الأخرى !؟

ــ وفى عصرنا الحديث ٠٠ **أصبح الاقتصاد** : مشكلة عالمية ، تخوضها الآراء الفلسفية والنظريات التحليلية الوضعية !؟

ــ والدراسة التى أعرضها اليوم ٠٠محاولة ــ أراها واجبة ــ لاعادة النظر ٠٠ بحثا عن **(مفهوم : الربا)** قبل الاسلام ، وبعده !؟

من خلال النصوص القـــرآنية والنبوية ٠٠ أولا ؟؟

ــ ثم أعرض ٠٠ باختصــار ــ شديد ــ الى **(الفكر الفقهى)** ٠٠ وأرجو أن يكون هذا البحث تحت

نظر الغيورين ، والمخلصين .. من العلماء ، والفقهاء ، والاقتصاديين والاســــلاميين ــ ونحن نخوض معركة الأصالة الاسلامية ، فى عصر سيطرت فيه الصراعات البشرية ، تنافسا على خيرات الأرض ، بعيدا عن هدايات السماء ! ؟

النصـــوص

(أ) القـــرآنية

من نصــــــوص :

(أ) العدل الالهى ومنه « العدل الاقتصادى » .

(قبل الاسلام) :

١ ـ « لقد أرسلنا رســــــلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتــــاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط »

سورة الحديد ٥٧ : آية ٢٥ ــ

وهى سورة مدنية

القسط : العدل .

٢ ـ « الله الذى أنزل الكتــاب بالحق والميزان »

سورة الشورى ٤٢ : ١٧ ــ

وهى سورة مكية

(فى الاســـــــلام)

٣ ـ « والسماء رفعها ووضــع الميزان ، ألا تطغــوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقســــط ، ولا تخسروا الميزان » .

الرحمن ٥٥ : ٧ ــ ٩ ــ

وهى سورة مدنية

٤ ـ « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

النساء ٤ : ٥٨ ــ

وهى سورة مدنية

فى نور هذه الآيات :

يخبر الله ــ عز وجـــــل ــ فى الآيتين الأوليين أنه أنزل الكتـــاب والميزان ، وأرسل الرسل ، مــن أجل اقامــة العـــدل ، ونصرة الحق ، والناس جميعـــا مكلفون أن يقـــوموا بالعــــــدل فى كل شئونهم . ويدلهم على العدل :

ــ مقياس معنوى يبين القيم غير المحسوسة ، ويهــدى اليــــه « الكتــــاب » .

ــ ومقياس حسى يبين القيــم المحسوســـة ، ويهـــدى اليه : « الميزان » وما أشبهه من المقاييس

التى يكتشفها كل جيل بقدر تجاربه، وتفكيره فى سنن الله الكونية فى علم : « المقاييس والمواصفات » .

والآية الثالثة : تبين جلال أمر الميزان عند الله وتأمر بايفاء « الميزان » بالعدل ، وتنهى عن الظلم فى « الميزان » .

ــ أيجوز أن يقيم الانسان « العدل » فى «الميزان» المحسوس ، وأن يظلم ويخسر فى (الميزان المعنوى) للقيم ؟

ــ أبهذا يقوم (العدل الالهى)؟

ــ أين التفكير السليم ، والضمير الصاحى ؟؟ .

ــ هنا تجىء الآية الرابعة تأمر فى وضوح بأداء « الأمانات » والحكم بالعدل بين الناس .

(ب) رسالة « العدل » ، فى (الاقتصاد الالهى) .

فى قصة رسول الله شعيب ــ عليه السلام ــ مع قومه « أهل مدين » وأصحاب الأيكة .

(قبل الاسلام)

(أ) « كذب أصحاب الأيكة المرسلين ، اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ! انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ،وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين :

ــ أوفوا الكيل .

ــ ولا تكونوا من المخسرين .

ــ وزنوا بالقسطاس المستقيم .

ــ ولا تبخسوا الناس أشياءهم .

ــ ولا تعثوا فى الارض مفسدين

ــ واتقوا الذى خلقكم ، والجبلة الاولين » .

الشعراء ٢٦ : ١٧٦ ــ ١٨٣ ــ وهى سورة مكية ؟

ــ فى نور هذه الآيات :

ــ هنا (الاقتصاد الالهى) فيه متسع عام ، والى جانب ذلك فيه الضوابط الضرورية (للعدل الاقتصادى) ، وبدونها لابد أن يقع الظلم .

ــ والضوابط واضحة فى رسالة « شعيب » عليه السلام :

١ ــ مقياس المحسوسات : المكيال والميزان ، وما ماثلهما .

٢ ــ مقياس القيم المعنوية : لا يجوز بخسها، ولا يجوز انقاصها

عن حقها العادل بأى وسيلة من وسائل الافساد فى الأرض •

ــ هذا هو (الاقتصاد الالهى) قبل الاسلام ، وتلك ضوابطه العلمية ، بماذا جاء الاسلام ؟

(فى الاسلام)

٣ ــ « قل : تعالوا ، أتل ما حرم ربكم عليكم :

ــ ألا تشركوا به شيئا •

ــ وبالوالدين احسانا •

ــ ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم •

ــ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن •

ــ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون •

ــ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده •

ــ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الاوسعها•

ــ واذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى •

ــ وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به ، لعلكم تذكرون » •

الأنعام ٦ : ١٥١ ــ ١٥٢ ــ

وهى سورة مكية

ــ وفى نور هذه الآيات من الرسالة الخاتمة ، نرى التأكيد على ضوابط (العدل الاقتصادى) بايرادها فى سياق أهم أركان الاسلام ، ايجابا وسلبا •

ــ مقياس المحسوسات ، من مكيال أو ميزان •• يجب ايفاؤه بالعدل بكل ما لدى الناس من وسع

ــ مقياس القيم المعنوية ، يجب أن يكون القول فيه بالعدل ــ ولو ألحق أذى ظاهريا بقريب أو يتيم فقير ، فالله أولى بهما ، ورحمته تسع الجميع فى أبواب أخرى من خلال لا ظلم فيه •

ميزان

« القيمة العادلة »

المبيع القيمة

القسطاس المستقيم

المبيع : سلعة ، أو خدمة = الثمن : ذهبا ، أو غيره

ــ ما العدل الالهى فى هــــذا النظام .

ــ ما الضوابط العلمية فى (العدل الاقتصادى) ؟

ــ ما أظن أن منصفا يقرأ ما سبق من آيات الله البينات يستطيع أن يزعم أن هناك خفاء أو تعقيدا أو غموضا ، بعد أن ظهر أن الهدف هو « اقامة العدل » .

ــ والوسائل الى ذلك ، وســائل علمية ، مما يقع فى طاقة الناس فى كل جيل « لا نكلف نفسا الا وسعها ٦ : ١٥٢ » .

ــ وانظر قول الله ــ عز وجل :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم، يحكم به ذوا عدل منكم ، هديا بالغ الكعبة » .

المائدة : ٥ : ٩٥ ــ

وهى سورة مدنية

ــ من أجل التقدير العادل للقيمة يجب تحكيم رجلين عدلين . يحسنان التقدير ، ومعنى ذلك تحكيم :

« الخبرة العلمية النزيهة » .

ــ كما يجب احترام مقتضيات :

« علم المقاييس والمواصفات » .

(ج) آيات الربا

ــ هل تؤكد (اقامة العــدل الالهى) ، وتقوى ضوابط « العدل الاقتصـــادى » ؟

ــ أو تفتح أبواب الاخســـار ، والبخس ، وقد تقرر اغلاقها قبل الاسلام ، وبعد الاسلام ؟

١ ــ « يا أيها الذين آمنوا : لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفــة ، واتقوا الله ، لعلكم تفلحون » .

آل عمــران ٣ : ١٣٠

وهى آية مدنية نزلت فى السنة الثالثة الهجرية (١)

٢ ــ « الذين يأكلـــون الربا ، لا يقومون الا كما يقـــوم الذى يتخبطه الشيطان مــن المس ، ذلك بأنهم قالوا :

---

(١) انظر تفسير المنار .. الجزء الرابع منه ؟

ــ انما البيع مثل الربا .
ــ وأحل الله البيع ، وحرم الربا
ــ فمن جاءه موعظـــة من ربه فانتهى ، فله ما سلف وأمره الى الله .
ــ ومن عاد ، فأولئك أصـحاب النار هم فيها خالدون .
ــ يمحق اللـــه الربا ، ويربى الصــدقات ، واللــه لا يحب كل كفار أثيم .
ــ ان الذين آمنـــوا وعملوا الصالحات ، وأقاموا الصــلاة ، وآتوا الزكاة ، لهم أجرهم عنــد ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هــم يحزنون .
ــ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . وذروا ما بقى من الربا
ــ ان كنتم مؤمنين .
ــ فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمـــون ، ولا تظلمون » .
البقرة ٢ : ٢٧٥ ــ ٢٧٩

ــ وآيات الربا هــذه نزلت فى السنة الأخيرة من الحيــاة النبوية الشريفة (١) .

ــ فى نور هذه الآيات :

ــ نقف عند آية (آل عمران) التى نزلت فى السنة الثالثــة مــن الهجرة ، ونلاحظ أنها تنهى عــن الربا اذا بلغ « أضعافا مضاعفة » وتسكت عن سواه !؟

ومفهوم ذلك :

ــ أن النهى القاطع لم يتنــاول مالم يبلغ « **الاضعاف المضاعفة** » ، من أنواع الربا فى تلك المرحلة .
ــ ومعنى ذلك : أن بعض أنواع من الربا ظلت حية قائمة ، معمولا بها فى المبادلات ، والمعاقــدات .. عند بعض الناس ، بعد نزول هــذه الآية .

ــ ومن الأدلة على ذلك :

١ ــ أن فى آيات البقرة ــ وهى **آخر ما نزل فى أمر الربا** قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقليل ــ

(١) نزلت قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة من الهجرة ، انظر تفسير الآيات عند ابن كثير وغيره ؟

مايدل على ذلك ويثبته ، حيث ورد فيها :

« يا أيها الذين آمنـوا : اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا » •

ــ فحتى السنة العاشرة كانت لا تزال هنالك معاملات ربوية باقية؟

٢ ــ فى السنة السابعة من الهجرة بعد فتح خيبر ، وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم معاملة بأنها «عين الربا» ، فى حديث بلال : (البيع الآخر) •

٣ ــ فى حجة الوداع قال صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع **« ألا ان كل ربا فى الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربانا : ربا عمى العباس بن عبد المطلب » (١) •**

❋

ــ قضية « ما بقى من الربا » الى قبيل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، ليست قضية تافهة ، بل هى من أخطر القضايا فى التشريع الاسلامى الاقتصادى ؟

❋

ــ بعد فحص الأدلة يتبين أنها « حقيقة » •

ــ والقضية : هى أن هذه « الحقيقة » لم تأخذ حقها من البحث •

ــ وترتب على ذلك ، اقرار افتراضات فقهية غير صحيحة ؟ واستنبطت أحكام على أساس هذه الافتراضات فى غيبة « الحقيقة » ودراستها •

ــ **والنتيجة :** أن ما بنى على غير الحقيقة يكون غير صحيح ، وغير حقيقى !؟

❋

ــ علمنا أن (الاقتصاد الالهى) قبل الاسلام ، يحتم الالتجاء الى المقاييس العادلة ، حسيا ومعنويا ، ليصل الى (منع البخس) ؟؟

ــ وأن رسالة الاسلام جاءت

---

(١) رواه أبو داود : الحديث ١٨٢٥ ، وأخرجه مسلم ، وابن ماجه بنحوه ، مطولا ، وأخرجه النسائى مختصرا ، وانظر « بناء الاقتصاد فى الاسلام » ص ١٧٢ ، ١٧٦ ؟ المطبوع بالقاهرة .

مؤيدة لما سبقها من رسالات الرسل وبخاصة رسول (الاقتصاد الالهى) شعيب عليه السلام ؟؟

ــ فهل فى آيات الربا الخاتمة ما يناقض (العدل الاقتصادى) الذى قرره (الاقتصاد الالهى) السابق !؟ .

ــ هل فيها ما يرفض (القسطاس المستقيم) أو يقبل (البخس) !؟

* * *

الصحابة بعد الوحى :

ــ هل أجمع الصحابة على شىء فى معنى « الربا » بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ؟

١ ــ قال عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه :

« انا والله ، ما ندرى ؟ لعلنا نأمركم بأمور لا تصلح لكم ، ولعلنا ننهاكم عن أمور تصلح لكم ، وانه كان من آخر القرآن نزولا : آيات الربا فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبينه لنا ؟ فدعوا ما يريبكم الى مالا يريبكم » (١) :

ــ وروى عنه الامام أحمد : أنه قال : ــ

« من آخر ما نزل آية الربا ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها لنا ؟ فدعوا الربا والريبة » (٢) .

٢ ــ جادل عدد كبير من الصحابة عبد الله بن عباس فى « الربا » وقد احتج عليهم بحديث « أسامة » (٣) .

ــ ومع ابن عباس عدد من الصحابة ، منهم ــ :

أسامة بن زيد .

وعبد الله بن مسعود .

وعروة بن الزبير .

وزيد بن أرقم .

وأعيان الفقهاء المكيين ، كما نص على ذلك ــ :

---

(١) المحلى لابن حزم ج ٩ : ٥١٩ ، مطبعة دار الاتحاد العربى ـ بالقاهرة
(٢) عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر ٢ : ١٩١ ، مطبعة دار المعارف بالقاهرة .
(٣) مسلم ج ٥ : ٥٠ « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » لابن حجر العسقلانى .. الحديث ١٣٠٢ طبعة الكويت .

الامام الشافعى ، وابن تيمية ، وابن حزم ، وغيرهم (١) .

ــ أهــذا يدل عــلى اجمــاع الصحابة ، أم على اختلافهم ؟؟

ــ هل الحكم فى موضوع (الربا) بعد كل تلك الآيات فى شــــأن (الاقتصاد الالهى) قبل الاسلام وبعده ــ مرجعه الى النصــوص القرآنية ، او مرجعه الى « الاجتهاد الشخصى » ؟؟ .

رسم يوضح الآية الخاتمة

« فان تبتم ، فلكم رءوس أموالكم ٢ : ٢٧٩ »

فلكم رءوس أمــــوالكم

البائع رأس مال .. (رأس مال) المشترى .

(رأس ماله) : سلعة ، أو خدمة = ذهبا ، أو غيره : (رأس ماله) .

« لا تظلمون ولا تظلمـــــون ٢ : ٢٧٩ »

حقيقتـــان :

١ ــ « آيات البقرة ٢ : ٢٧٥ ــ ٢٨١ » الخاتمة لأحكام الربا فى السنة العاشرة تدل فى قوة وحســم ووضــوح على مطــابقة الشريعة الاسلامية (للعدل الاقتصــادى الالهى) الــذى ورد فيمــا قبــل الاسلام من شرائع ، وتحرم جميع أنواع الربا ، من حيث القيمة ، لا من حيث الشكل « فان تبتم فلكم رؤوس أموالكم ٢ : ٧٩ » ولا تكتفى بالنهى عن « الأضعاف المضاعفة ــ كمــا سبق فى آيــة آل عمــران ٣: ١٣٠ » فهى آيــات خــــاتمة وناسخة !؟

ــ فمثلهــا كمثــل آية المائدة فى « الخمر ٥ : ٩٠ » حــرمت الكثير

---

(١) اختلاف الحديث للشافعى ــ طبع القاهرة ص ٢٤١ .
ــ رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، لابن تيمية ــ طبع القاهرة ص ٣٤ .
ــ المحلى ، لابن حزم ج ٩ : ٥٣٧ مطبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة
ــ المغنى لابن قدامة ــ طبعة القاهرة ١٣٦٧ ج ٤ ، ص ١
ــ وكتابنا « مذهب ابن عباس فى الربا » ٣٢ ــ ٦٣ طبعة دار التراث بالقاهرة .

والقليل فى جميع الأوقات ..
ونسخت آية « النساء ٤ : ٤٣ »
التى وجهت التحريم الى فترات
معينة هى أوقات الصلوات !؟

٢ ـ الصحابة ـ رضوان الله
عليهم جميعا ـ لم يجتمعوا على
كلمة واحدة فى تطبيق ماورد فى
آيات الربا من سورة البقرة
٣ : ٢٧٥ ـ ٢٨١ ؟؟

ـ والبحث يبين أنهم انقسموا
الى مواقف ثلاثة ـ :

أ ـ موقف المتمسكين بحديث (الأصناف الستة) وهو يمثل مرحلة « ما قبل خيبر » وعلى رأسهم أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه .

ب ـ موقف الطالبين للبيان النصى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ، حيث قال ـ :

« ثلاث وددت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عهد الينا فيهن عهدا ننتهى اليه : الجد ، والكلالة ، وأبواب من أبواب الربا » (١) .

ج ـ موقف الذين بلغهم البيان المطابق للآيات الخاتمة ، وللعدل الالهى كما ورد فى شرائع الرسل والأنبياء قبل الاسلام ، وفى مقدمتهم ـ :

أسامة بن زيد .

وعبد الله بن عباس .

وعبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنهم .

ـ وهؤلاء : عمدتهم النصوص القرآنية والنبوية ، يقوى بعضها بعضا بلا تعارض ، ولا تناقض ، ولا حاجة الى قياسات باطلة ، وآراء بشرية خاطئة !!؟

* * *

ـ هل يجوز أن ندعى (اجماعا) للصحابة فى مواجهة النصوص القرآنية والنبوية الواضحة ؟!

ـ هل يجوز أن يقبل اجماع ليس فيه عمر بن الخطاب وعبد الله ابن عمر !؟

---

(١) قال فى عمدة التفسير ٢ : ١٩٠ (اخرجه البخارى) ١٠ : ٤٣ (فتح ومسلم ٢ : ٤٠١ ، ٤٠٢) . طبع دار المعارف بالقاهرة .

اجماع يناقضه : أسامة بن زيد ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن مسعود ، وغيرهم !؟

ــ هل يجوز أن نعطل نصا قرآنيا ، أو حديثا نبويا صحيحا ناسخا : بحجة أنه لم يعلمه عدد كثير أو قليل من الصحابة رضوان الله عليهم !؟

أو بعبارة أخرى :

ــ هل يجوز أن نحتج بقول من لم يحفظ ، ونجعله حجة على من حفظ ؟!

(ب) النصوص النبوية :

أولا :

ما عمدة تحريم الربا عند جميع فقهاء المذاهب فى قياساتهم وتفريعاتهم ؟؟

ــ حديث واحد : (حديث الأصناف الستة) وهو يمثل ــ :

المرحلة الأولى : قبل « خيبر » :

١ ــ عن عبادة بن الصامت ــ رضى الله عنه قال ــ :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والبلح بالبلح : مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ، فاذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم ، اذا كان يدا بيد • (١)

وفى رواية أبى داود زيادة قوله: « فمن زاد أو ازداد ، فقد أربى » (٢) •

ثانيا :

ألا توجد أحاديث أخرى ؟

ــ بلى ، هناك الكثير ، نذكر منه ــ مما جاء بعد (حديث الأصناف الستة) تعديلا لأحكامه ، وتدرجا الى « التقدير العادل » :

---

(١) بلوغ المرام : الحديث ٦٩٦ ، وقال : رواه مسلم •

(٢) أبو داود ، الحديث ٣٢١٠ ، وقال : اخرجه : مسلم ، والترمذى وابن ماجه بنحوه ، وفى الفاظه زيادة ونقص •

وانظر : (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ص ١٥٢ طبع القاهرة •

(حديث البيع الآخر) وهو يمثل :

المرحلة الثانية : مرحلة خيبر ـ :

٢ ـ عن أبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ استعمل رجلا على خيبر ، فجاءه بتمر جنيب (وهو صنف جيد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أكل تمر خيبر هكذا ؟ » .

ـ فقال : لا ، والله يا رسول الله ، انا لنأخذ الصاع من هذا (الجيد) بالصاعين (يعنى من الردىء) والصاعين بالثلاثة !؟

ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« لا تفعل ، بع الجمع (الردىء) بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا ».

وقال فى الميزان مثل ذلك (١) .

٣ ـ وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال :

ـ جاء بلال الى النبى صلى الله عليه وسلم ـ بتمر برنى (وهو صنف جيد) .

(فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « من أين هذا ؟ » .

ـ قال بلال : كان عندنا تمر ردىء ، فبعت منه صاعين بصاع ، ليطعم النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

ـ فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم :

« أوه !! عين الربا ، لا تفعل ، ولكن اذا أردت أن تشترى ... فبع التمر ببيع آخر ، ثم اشتريه » (٢) .

ثالثا :

ثم يأتى بعد ذلك حديث (البيع المباشر) بالتقدير ، بعد حديث خيبر ، وهو يمثل ـ :

المرحلة الأخيرة : قبيل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) متفق عليه ـ وانظر كتاب (فتاوى رسول الله صلى الله عليه وسلم) صفحة ٧٠ (الحديث ٨ ـ بيع الردىء بالجيد) طبع مكتبة دار الاعتصام بالقاهرة .

(٢) عمدة الأحكام لابن قدامة ، الحديث ٢٧٠ . طبع القاهرة .

٤ ــ عن أسامة بن زيد ــ رضى الله عنهما :

ــ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ــ :

« انما الربا فى النسيئة » (١)

٥ ــ وعن أسامة ــ رضى الله عنه :

« انما الربا فى النسيئة ، وما كان يدا بيد فلا بأس » (٢) .

هذه المراحل الثلاثة :

ــ عندما نتجه الى البحث فى النصوص النبوية ينبغى أن يكون أمام أعيننا ما انتهت اليه الآيات القرآنية من نتائج وأحكام .

ــ والترتيب الزمنى له قيمته فى رفع التناقض ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ والأحاديث السابقة هذا ترتيبها :

الأول : (حديث الأصناف الستة) قبل خيبر :

وهو يلزم المسلمين اذا تبايعوا فى صنف واحد من هذه الأصناف ــ الذهب ، والفضة ، والقمح ، والشعير ، والتمر ، والملح ــ أن يتساوى البدلان صاع من التمر الممتاز لا يقابله الا صاع واحد من التمر الردىء .. وهكذا .. فلا عبرة بالجودة ولا قيمة لها ولا امتياز ؟؟

وبالاضافة الى ذلك لابد من التقابض فى هذه الحالة .

وللانسان أن يسأل :

ــ هل من (العدل) أن أعطى صاعا من التمر الممتاز ولا آخذ فى مقابله الا صاعا واحدا من التمر الردىء ؟

ــ الجواب واضح بالنفى .

---

(١) رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وأحمد ، والشافعى ــ انظر (مذهب ابن عباس) ص ٣٥ طبع دار الاتحاد العربى بالقاهرة .

(٢) رواه الامام ابو حنيفة موقوفا فى مسنده ص ٥٨ (طبعة حلب) .
ورواه الامام الشافعى موصولا « انما الربا فى النسيئة » فقط .
الرسالة للامام الشافعى صفحة ٢٧٨ ، ومسلم ١ : ٤٦٩ ، والبخارى ٣ : ٧٤ ، ٧٥ واخرجه أيضا أحمد ، والنسائى ، وابن ماجه .
انظر (علم العدل الاقتصادى) ص ٩٢ طبعة دار التراث بالقاهرة .

— المؤمن المعاصر لذلك الحديث النبوى يقول :

« سمعنا وأطعنا ٢٤ : ٥١ » •

« نهى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن أمر كان لنا نافعا ، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا وأنفع » (١) ، لأن القيادة النبوية قائمة ، والوحى ينزل ، والحكمة الربانية تسعى ، لتشفى المجتمع من أمراضه الاقتصادية فى اختلال موازين القيم !؟

— ويبقى السؤال بغير جواب الى حين تأتى :

— المرحلة الثانية (مرحلة خيبر) •

— ويأمر النبى — صلى الله عليه وسلم — بـ (البيع الآخر) ويتحقق التفاوت العادل عن طريقه ، بصورة غير مباشرة ، وهذا أمر معقول ، أن يكون للممتاز من كل صنف تقديره العادل اذا قوبل بنظيره من الردىء دون بخس لأحدهما !؟

— وينتهى سؤال المؤمن المعاصر للوحى •

— ويبقى سؤال :

١ — لابد أن للحظر النبوى فى المرحلة الأولى حكمة ؟ ماهذه الحكمة يا ترى !؟

٢ — لماذا لا ترعون فى تفريعات أحكامكم الفقهية حديث (البيع الآخر) ؟ أنه يحقق العدل فى التبادل بطريقة غير مباشرة ، وهو فى تاريخ متأخر !؟

٣ — وأخيرا ، يكون سؤال ثالث :

— اذا كان المقام النبوى قد أمر بالبيع الآخر ، رعاية للتقدير العادل ، •

— فلماذا لا يسمح بالبيع المباشر مع ملاحظة (التقدير العادل) أيضا ؟؟

— وهو سؤال منطقى ومعقول

---

(١) أبو داود فى حديث رافع بن خديج ٣٢٢٥ ، واخرجه مسلم ، والنسائى ، وابن ماجه ، انظر (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ص ١٤٣ طبعة بالقاهرة •

ـ وهو ما يحققه حديث :

ـ **المرحلة الاخيرة (حديث البيع المباشر) .**

« لاربا الا فى النسيئة » .

ـ أما التفاضل بين أفراد الصنف الواحد ، تبعا للجودة والرداءة بالعدل ، فهو الأمر المشروع العادل ، وذلك مع التقابض فى حالة البيع .

ـ ما الفرق بين (المرحلة الثانية) و (المرحلة الاخيرة) ؟؟

ـ أنه فى شىء واحد : تقدير التفاوت بطريق (البيع المباشر) دون لجوء الى توسيط (البيع الآخر) ؟؟

ـ هل تناقض أحاديث المراحل الثلاثة ما انتهت اليه النصوص القرآنية ، من وجوب التساوى المالى بين البدلين بالطريق العادل دون بخس ؟؟

ان التناقض يأتى عند الاخلال بحق الترتيب التاريخى للاحاديث النبوية ؟؟ .

ـ أما بعد العثور على أدلة الترتيب التاريخى بين هذه الاحاديث : فقد زال التناقض ، وأصبحت النصوص القرآنية والنبوية مترابطة يعضد بعضها بعضا فى تدرج ، يرفع صرح (العدل الاقتصادى) .

ـ ويحمى (القيمة العادلة) .

ـ ويحارب : البخس ، والظلم والغبن !؟

رابعا :

أليست هناك أحاديث أخرى فى موضوع : « الربا » !؟

ـ بلى ، كثيرة !؟

ـ ولكن اهتمامنا كان كبيرا بتوضيح المراحل الثلاثة المتقدمة ، لأن عدم اكتشافها كان سببا فيما رآه الفقهاء من تناقض بين الاحاديث ، بعضها وبعض من جهة وبينها وبين النصوص القرآنية من جهة ثانية ؟؟

٥ ـ والآن : نذكر بعض الاحاديث الأخرى :

٦ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« الربا : ثلاثة وسبعون بابا ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه

وان أربى الربا عرض الرجـــل المسلم » (١) .

٧ ــ عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن النبى صلى اللـه عليه وسلم قال : « ليأتين عـلى الناس زمان لايبقى أحد الا أكـل الربا ، فان لم يأكله أصــابه من بخـاره » (٢) .

ــ وفى رواية : « من غبـاره »

٨ ــ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يأتى الناس زمان يستحلون الربا بالبيع » (٣)

ــ وهناك أحاديث كثيرة تمنـع صورا من البيوع ، ومســالك فى التجارة ، لأنها تخل (بالقيمـــة العادلة) وتسمح بالبخس ، وهــو ربـــا .

تذكر أمثلة منها :

٩ ــ عن حكيم بن حزام ، أن رسول الله ــ صلى اللـه عليـه وسلم ــ قال : « البيعان بالخيار مالم يفترقا ، فان صـدقا وبينا ، بورك لهما فى بيعهما ، وان كتمـا وكـــذبا : محقت البركــة من بيعهما » (٤) .

ــ وتأمل العقوبة : انهــــا « المحق » وهو عقوبة « الربا » .

١٠ ــ عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم :

« ثلاثة لا يكلمهم الله يـــوم القيامة » .

---

(١) بلوغ المرام : ٦٩٤ وقال : رواه ابن ماجه مختصرا ، والحاكم بتمامه وصححه ، وقال فى عمدة التفسير ٢ : ١٩١ : « صحيح على شرط الشيخين » ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى » وانظر (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ١٥٦ . طبعة القاهــرة .

(٢) رواه أبو داود : الحديث ٣١٩٠ ، ٣١٩١ ، وأخرجه النسائى وابن ماجه وانظر (مذهب ابن عباس فى الربا) ٨٤ ، ٨٥ طبعة دار التراث بالقاهرة.

(٣) تهذيب سنن أبى داود ، أورده ابن القيم ٥ : ١٠٧ ــ انظر (مذهب ابن عباس فى الربا) ص ٨٥ .

(٤) أخرجه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ٠٠ الحـديث ٣٣١٤ ع والترمذى ، والنسائى ــ (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ص ١٦٢ طبع القاهرة .

ــ رجل منع ابن السبيل فضل ما عنده .

ــ ورجل حلف على سلعة بعد العصر ــ يعنى كاذبا .

ــ ورجل بايع اماما فان أعطاه وفى له ، وان لم يعطه لم يف » .

وفى رواية : « ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » .

ــ وقال فى السلعة : « بالله لقد أعطى بها كذا وكذا ، فصدقه الآخر فأخذها » (١) .

١١ ــ عن قيس بن أبى غرزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان التجار هم الفجار ، الا من بر وصدق » (٢) .

ــ فكل تاجر فاجر الا اذا صدق فى اعطاء البيانات الصحيحة عن سلعته ولم يضطر المشترين بأى وسيلة كى يدفعوا له ثمنا أكثر من (القيمة العادلة) .

ــ وان هذا ليبين لنا اهتمام المقام النبوى الشريف بالنشاط الاقتصادى ، فى الأسواق وفى غير الأسواق ؟؟

وأخيرا :

يجب أن نشير فى هذا المجال الى أن السنة النبوية حرمت صورا من البيوع لما فيها من الاخلال بضوابط (القيمة العادلة) مثل :

النجش ، بيع المضطر ، بيع الحصاة ، الدابة المصراة ، بيع الحاضر للبادى .. الخ .

ــ لماذا حرمت هذه البيوع ؟؟

* * *

ــ هل نجد فى النصوص النبوية ما يتناقض بعضه مع بعض ، بعد اكتشاف الترتيب التاريخى ، وظهور الناسخ المحكم ؟

---

(١) اخرجه البخارى ، ومسلم ، ورواه ابو داود ، الحديث ٣٣٢٨ ، ٣٣٢٩ ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ص ١٦٢ طبع القاهرة .

(٢) وقد نصت على ذلك آيات المطففين : « كلا ان كتاب الفجار لفى سجين ٨٣ : ٧ » وانظر كتابنا « الاقتصاد الاسلامى » ص ٣٢ طبع الخانجى بالقاهرة .

ـ هل نجد فى النصوص النبوية ما يتناقض بعضه مع بعض بعد اكتشاف الترتيب التاريخى ، وظهور الناسخ المحكم ؟

ـ هل نجد أحكاما فى السنة النبوية ـ بعد هذا ـ تخالف نصا قرآنيا ؟؟

ـ هل نجد فى الشريعة الاسلامية ما يخالف الأساس الذى قامت عليه الرسالات الآلهية قبل الاسلام ؟؟

ـ أليس (العدل الاقتصادى) و (القيمة العادلة) فى مقام التقدير والاحترام فى جميع النصوص المحكمة ؟؟

ـ هل يجوز الاجتهاد عن طريق (القياس وعلله) مع وجود هذه النصوص ؟؟

حكم الربا :

ـ هل تخلف حقيقته فى الشريعة الاسلامية .

حقيقته فى الشريعة الالهية ؟؟

الفكر الفقهى

ـ سبق أن عرفنا أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانت لهم مواقف ثلاثة من (الربا) * .

١ ـ موقف المتمسكين بحديث المرحلة الأولى .

٢ ـ موقف طالبى البيان .

٣ ـ موقف الذين علموا البيان النبوى فى حديث : (البيع المباشر) مع رعاية (القيمة العادلة) .

ـ فماذا فعل أئمة الفقه ؟

ـ انحازوا الى الموقف الأول .

ـ وأهملوا الموقف الثانى .

ـ واعترض عليه الامام ابن حزم وانتقد الخليفة عمر ابن الخطاب ، قال :

حاش لله ! من أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين الربا الذى توعد الله فيه أشدالوعيد والذى أذن الله تعالى فيه بالحرب **

(*) انظر صفحة ١٧ ـ ٢٥ الماضية .

(**) يعنى بذلك قول الله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا : اتقوا الله .. وذروا ما بقى من الربا .. ان كنتم مؤمنين .. فان لم تفعلوا .. فأذنوا بحرب من الله ورسوله .. وان تبتم .. فلكم رءوس أموالكم .. لا تظلمون ولا تظلمون ٢ : ٢٧٨ ، ٢٧٩ » .

« ولئن كان لم يبينه لعمر ، فقد بينه لغيره (يعنى حديث الاشياء الستة) وليس عليه أكثر من ذلك ،ولا عليه أن يبين كل شىء لكل أحد ؟؟

ولكن اذا بينه لمن يبلغه ، فقد بلغ ما لزمه تبليغه » (١) .

ــ كلامه كله صواب ، عدا حسبانه أن عمر لم يكن يعلم بحديث (الأشياء الستة ..) المشهور ، مع أن عمر ــ رضى الله عنه ــ من رواة هذا الحديث وحفاظه ، وقد نص على علمه بذلك ابن حزم نفسه فى موضع آخر (٢)

ــ والحقيقة أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بينه لما شاء الله من الصحابة ومنهم « أسامة » الذى بلغه لابن عباس وحديث أسامة هو البيان الذى ينسخ المرحلة الاولى ويمثل المرحلة الأخيرة ؟؟

ماذا فعل الفكر الفقهى بعد ذلك ؟

لم يكتف بما فعل تجاه الموقف الثانى من مواقف الصحابة ، وانما انتقل الى الموقف الثالث ، فرماه بالتناقض من ناحية ، ثم ادعى أن الصحابة أجمعوا على حديث « الاصناف الستة » من ناحية أخرى وأن ابن عباس خرج عن الاجماع .

ــ أما التناقض : فقد تم دفعه بالتاريخ ، واثبات أن الاول منسوخ بالاخير ؟؟

ــ واذا وجد النص ، فهل يجوز الاجماع على خلافة ؟؟

*

وأين الاجماع ! ؟

ــ قال الامام ابن حزم :

« وأعجب شىء مجاهرة من لا دين له بدعوى الاجماع على وقوع الربا فيما عدا الاصناف الستة المنصوص عليها ، فكيف فى غيرها ؟؟

أو ليس ابن مسعود ، وابن عباس يقولان : لاربا فيما كان يدا بيد؟؟ وعليه كان عطاء ، وأصحاب ابن عباس ، وفقهاء أهل مكة (٣) .

---

(١) المحلى لابن حزم ٩ : ٥١٩ طبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة .
(٢) المحلى لابن حزم ٩ : ٥٣٩ اول المسألة ١٤٨٢ .
(٣) المحلى لابن حزم ٩ : ٥٣٧ طبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة .

ــ ولكن الفكر الفقهى تغــاضى عند التدوين ، فلم يعط لمذهب ابن عباس حقه ، بل تصدى لمهاجمتــه وتشويهه بغير برهان ولا دليل .

ــ أصبح حديث المرحلـــــة الاولى هو الركيزة الاساسـية فى تحريم الربا ، عند الفكر الفقهى :

ــ فهل يحرم التفاضل فى هذه الاشياء الستة وحدها ؟؟

أم يجعلها أصلا ، يلتمس علته عن طريق الاجتهاد القياسى ؟

ــ التزم الظاهرية بالاتجـاه الأول .

ــ وعمل آخـــــرون بالاتجاه الثانى .

ــ ولكن : ما العلة التى يقاس عليها ؟؟

ــ اختلفوا فى ذلك الى نحــو عشرة مذاهب (١) .

❋

ــ هل أجمع فقهاء المذاهب على سلامة هذا الطريق ؟

ــ كلا ! بل ظهر المنتقــدون ، ومنهم :

امام الحـــرمين الجـــوينى الشافعى ، حكى قول الغــزالى ، قــال :

«والمختار : أن العللقد تزدحم على حكم واحد :

ويعلم أن الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ فى اشــتوارهم ، كــانت تتشعب آراؤهم الى مصالـــح متظاهرة ، ولا يشتغلون بالترجيح؟

ــ ومسألة الربا ، ليست معللة عندنا ، ولاهى مجمع عليها ، ولكن كل اعتقد أن علة خصمه باطلــة ، لاتستعمل ، ولذلك لم يجمعــوا ، ومسالك الترجيح فيها باطلة »(٢)

ــ ومنهـــم : ابن عقيـــل الحنبلى (٣)والامام الصنعانى (٤)

---

(١) فصلها ابن حزم فى المحلى ٩ : ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ولخصــناها فى كتابنا (علم العدل الاقتصادى) ١٠١ ــ ١٠٩ طبعة دار التراث بالقاهرة .

(٢) المنخول للغزالى ٣٩٣ .

(٣) اعـــلام الموقعين لابن القيم (٢ : ١٥٥ ، ١٥٦) طبعـــة امبابى بالقاهـــرة .

(٤) سبل السلام للأمير الصنعانى ٣ : ٥٤ طبعة مصطفى محمد ١٩٥٣ باب الربا .

فهم يرون أن علل الفقهاء : باطلة أو ضعيفة ، أو غير منصوصة (١) .

ــ ومع ذلك ، فان ممن استخدموا (الاجتهاد القياسى) من وصل الى علة تماثل فى نتائجها ــ عند التطبيق ــ ما يؤدى اليه النص الذى تمسك به ابن عباس :

ــ ابن الماجشون : يرى أن العلة هى (المالية) فكل مالين ــ عند التبادل ــ لابد من التساوى بينهما فى (المالية) سواء كانا نوعا واحدا ، أو أنواعا ، دفعا للغبن عن البائع والمشترى (٢) .

ــ ولكن ، أين من انتفع بمذهبه ؟؟

ــ ولماذا لايكون رأى ابن الماجشون هو الصواب فى القياس لو لم يكتشف الناسخ فى النصوص النبوية ؟؟

ويصبح الأصل الذى تدور عليه (المعاملات) هو :

ــ اقامة العدل .

ــ حماية القيمة العادلة .

ــ تحريم البخس .

ــ اعطاء كل ذى حق حقه .

بالميزان العادل ، والتقدير العادل .

ــ تحريم الربا .

ــ وبالجملة : اقامة :

العدل الاقتصادى !! ؟

نسائل أنفسنا ! ؟

ونستفتى :

ــ هل يجوز أن نظل نحكم فى أمور (معاملاتنا) اجتهادات بشرية ، تختلف فيها الآراء ويجتهد كل فقيه برأيه هو ، وتنقسم المذاهب الى عشرات ، يضيع فيها الحق ، ولاتطمئن ضمائر المسلمين على تمييز الحلال من الحرام ، والحق من الباطل ، وليس رأى بأولى من رأى ، ولا اجتهاد بأولى من اجتهاد ؟؟

ــ هل يجوز أن يستمر ذلك ، ونترك الآيات القرآنية الواضحة الاحكام ، .

---

(١) (علم العدل الاقتصادى) ١٠٤ ــ ١٠٦ طبعة دار التراث بالقاهرة .

(٢) بداية المجتهد لابن رشد الأندلسى .. ج ٢ ص ١٠٨ طبع الخانجى بالقاهرة .

ــ ونترك الاحاديث النبوية الناسخة المحكمة ، لنخرج الى آرائنا وآراء البشر ؟؟

ــ ولا حجة لنا الا أن نقول : ان فقهاءنا المجتهدين ــ رحمهم الله ــ : قد كفونا ، وبذلوا الجهد؟

ــ ألا يجوز أن يكونوا ــ وهم جميعا بشر غير معصومين ــ قد خفى عليهم الأمر بسبب من أسباب الخفاء التى نص عليها شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالته الجليلة « رفع الملام عن الائمة الاعلام » وقال فيها :

« .. فلا يجوز أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صحيح وافقه طائفة من أهل العلم ــ الى قول آخر قاله عالم يجوز أن يكون معه مايدفع به الحجة ، وان كان أعلم ، اذ تطرق الخطأ الى آراء العلماء أكثر من تطرقه الى الادلة الشرعية .

ــ فان الأدلة الشرعية حجة الله على جميع عباده بخلاف رأى العالم » .

وقال أيضا :

« وليس لأحد أن يعارض الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بقول أحد من الناس ،كما قال ابن‌عباس ــ رضى الله عنهما ــ لرجل سأله عن مسألة فأجابه عنها بحديث .

فقال له : قال أبو بكر وعمر .!

فقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء !!

أقول : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وتقولون : قال أبو بكر وعمر !؟ (١) .

ــ السابقون لهم عذرهم ،ولهم أجر اجتهادهم !! ولكن : ما عذر من تبين لهم النص القرآنى الواضح فى أن يتركوا العمل به ؟ وما عذر من تبين لهم الحديث النبوى الناسخ المحكم فى أن يتركوا العمل به ؟؟

❋

(١) انظر « الرسالة » المذكورة (رفع الملام .. عن الأئمة الأعلام) صفحات ٢١ ــ ٢٣ .

ــ هذا هو محل (الاستفتاء) يتوجه الى ضمير كل فقيه أمين على علمه ودينه :

(قضية الربا) :

ــ هل نجد حلها فى النصوص القرآنية .

والأحاديث النبوية ؟

ــ أو نستمر ندعى : أنه لا حل لها الا فى الآراء البشرية التى تقدمها الاجتهادات المنسوبة الى الفقه المذهبى !؟

* * *

ــ أيها السادة العلماء والفقهاء:

ــ ستظل كلمة الله هى العليا.

ــ سيظل القرآن ونصوصه الواضحة تتحدى .

ــ ستظل الأحاديث النبوية الناسخة تتحدى .

*

ــ من وجد طريقا مستقيما ، فمن الأمانة أن يعلنه ، حتى لا تتحمل الكافة حرج الحيرة ، وضعف الحياة ، ويتحمل هو اثم الكتمان ، ، ووزر العصيان !؟

ــ أما ان كان الحق فى النصوص القرآنية والنبوية كما اتضح من (مذهب ابن عباس) فانه لايجوز لذى رأى من أهل الفقه والعلم أن يضن بنصره ، ويجهر بتأييده حسبة لوجه الله ، وخوفا من عقابه ؟؟

*

أيها السادة العلماء : ــ

ــ فليذكر بعضنا بعضا بقول الله عز وجل : ــ

« ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون ؟؟؟

الا الذين تابوا وأصلحوا ، وبينوا ، فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم ٢ : ١٥٩ ، ١٦٠ » .

وأمثالها من الآيات الكريمة .

* * *

ــ ويقول حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم : ــ

« من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .

وبأمثاله من الأحاديث النبوية الشريفة .

* * *

« ان اللـــه يأمركم أن تــؤدوا الأمانات الى أهلهــا ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعــدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا ٤ : ٥٨ » .

« يأيها الذين آمنوا : لا تقدموا بين يدى الله ورســوله ، واتقــوا الله ، ان الله سميع عليم » .

« يأيها الذين آمنوا : لا ترفعوا أصــواتكم فوق صــوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضــــكم لبعض أن تحبط أعمالكم ، وأنتم لا تشعرون ٤٩ : ١ ، ٢ » .

« وسع ربنا كل شيء علما ،على الله تؤكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين ٧ : ٨٩ » .

قضــايا خطيرة

وبعد الاستقرار على اتبـــاع **(هداية القــرآن والســـنة)** فى (تحريم الربا) : —

— فان امام السادة العلمــاء ، والفقهاء ، والاقتصاديين ، وحكام المسلمين — قضــايا خطــيرة يجب التنبه لها واعـــداد الاجــراءات السليمة لحلها ، حفاظا على الثروة الاقتصادية فى جميع بلادنا .

ما هذه القضايا ؟

— سوف يصحو الضمير المؤمن ، المراقب لله عند كثير ممن حازوا أموالا محرمة من الربا ، ومن فائض القيمة بصورهما المتعددة ، ويريدون التخلص منها !! ؟

— ماذا يفعلـــون ؟؟

— أين البرامج الاقتصادية : فى الزراعة ، والصــناعة ، والبنــاء ، والخدمات المختلفة : لا عادة ثمرات هذه الأموال الى جميع أبنـــــاء الأمة ، كل بقدر حقه ، كل بقـــدر عمله الحلال !؟

— هنا : تكون المسئولية مشتركة بين الجميع ، ولكن هناك من عليه نصيب أكبر ؟ وهم : —

* حكام المسلمين فى كل مكان .
* والاقتصـــاديون المؤمنون المخلصون للعدل !

* أما أكثــر أولئك فضـــلا ، وأقربهم الى الله ، وأعظمهم ثوابا فهم : —

ـ الأغنياء الذين يستيقظ ايمانهم ، فيحاسبون أنفسهم ، ويعرفون أن المال الحرام الذى كسبوه : هو نار جهنمية تحيط بهم (١) وبأولادهم فيتقدمون لتسليمها ، متطهرين من آثامها فى شجاعة المؤمن التقى !!

« .. الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما .

ومن تاب وعمل صالحا ، فانه يتوب الى الله متابا ٢٥ : ٧٠ ، ٧١ »

زيدان أبو المكارم حسن زيدان

***

(١) ورد فى تقرير وزير التخطيط المصرى : ان بضعة آلاف من الناس جمعوا من المال الحرام ، ومن فروق الأسعار ، فى ثلاث سنوات (١٩٧٣ ــ ١٩٧٦ م) نحو ١,٠٠٠ الف مليون جنيه (الأهرام ١٩٧٧/٩/٩ م) ، فهل حسبت ذلك البلاد الأخرى ! ؟

الاسلام والحضارة

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

مفهوم كلمة الحضارة مفهوم تطور مع الزمن لاسيما فى تاريخ الحياة العربية . والمفهوم الاصيل لكلمة الحضارة فى اللغة العربية أنها : تعنى حياة الحضر والاقامة الثابتة فى المدن والقرى ، عكسها (البداوة) وهى حياة التنقل فى البادية ، ولقد عرف الفارق بين حياة البادية وحياة الحضر ، منذ كانت بادية ومنذ كان حضر .

ولكن أول من تصدى لهذا التمييز على أساس من الدراسة الواعية والتسجيل والتحليل العلمى .. هو عبد الرحمن بن خلدون ، بل ان هذا العالم هو أول من عالج شئون الحضارة العربية بطريقة علمية تحليلية .

على أنه اذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على أنها : ذلك النمط من الحياة المستقرة والذى يناقض البداوة ، فينشىء القرى والامصار ويضفى على حياة أصحابها فنونا منتظمةمن العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وادارة شئون الحياة والحكم وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية .

اذا كان ابن خلدون بلور هذا المعنى التاريخى واعتبر الحضارة غاية العمران ،فان مفهوم الحضارة فى عصرنا قد امتد الى ألوان من المعنى هى ابعد وأوسع مما رآه ابن خلدون فى عصره ، وفى بيئته العربية فى انتقالها الاجتماعى والسياسى والثقافى والمدنى من البادية الى الحضر .

ولئن كان بعض العرب القدامى قد استعملوا لفظ (مدنى) بمعنى (اجتماعى) فان مفهوما آخر ظهر واتصل بها وأصبح الأن يعــرف بالمدنية بل ان ابن خلدون ذاته كان سباقا أيضا فى هذا المجال اللفظى فاستعمل صيغة التمدن وكان يعنى بهــا (التحضر) •

على أن تلك المفاهيم اللغوية انما نشأت فى بيئة عربية كانت حيــاة الحضر فيها تقابل حياة البــادية • ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجــد بصــورتها التقليدية الا فى جهات قليلة جــدا خارج عالمنــا العربى ولذلك فان لفظ الحضارة فى مفهومه العالمى ومفهومه الحــديث المعاصر بصفة خاصة قد أصبح أكثر اتساعا مما كان يدل عليه فى مفهومه اللغــوى التقليــدى •• واذا كان أصل الحضارة الاقامة فى الحضر• فان المعاجم اللغوية الحديثة ، ترى أن الحضــارة هى الرقى العلمى ، والفنى والأدبى ، والاجتــماعى فى الحضر •• وبعبارة أخــرى أكثر شمولا ، هى : الحصيلة الشــاملة للمدنية والثقافة والفكر ، ومجموع الحياة فى أنماطها المادية والمعنوية ، ولهذا كانت الحضارة هى : الخطة العريضــة ــ كما وكيــفا ــ التى يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم ، ومنهــا الحضــارات القــديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة •• ومنها الاطوار الحضارية الكبرى ، التى تصــور انتقال الانســان أو الجماعات ، من مرحلة الى مرحلة •

والحضارة باختصار شديد هى جملة المظاهر المعنوية التى يخلفها التاريخ والتى تبقى فى المجتمع على مر الايام دليلا عــلى القــدرات الذهنية المميزة ، وتعبيرا عن روح هذا المجتمع والشعب الذى يمثله • ولا شك أن المظاهر المعنوية تأخــذ قوالب مادية مختلفة تتجسم فيها تلك المعنويات ، وتتشــكل المظاهر المعنوية فى صور مختلفة كالفنــون والأداب والعلوم والمعــارف ، ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسـجيلات ومشــاهد فى الأثار والعمائر وأســلوب الحياة وآداب المعاش اليومى وتقاليد المجتمع فى التقارب والتفاهم والتعايش •

والمدنية هى الوسائل والأدوات

المادية التى يستعين بهـا الانسان على تحقيق حضارته وهى العديد من الاشياء والأدوات المادية التى تعين الانسان عـلى التقـدم فى مضـمار الحضـارة واذا كانت الحضارة هى الابداع فى مجالات الفنون والمعـارف والعلوم فالمدنية هى السبيل الى تذليـل الصـعاب الحضـارية والأدوات المادية التى تبلغ بها الحضارة مستوى الابداع والتقدم . وكلما سيطرت الحضارة على وسائلها أمكنها أن تحقق ألوانا من الفن والابداع الذى تسـجله الحضارة فى جملة مظاهرها المعنوية .. وقد تؤدى الماديات المختلفة الى رفع مستوى التقدم الحضارى . وقد تؤدى الى تخلفه وانحداره . والذكاء الانسـانى فى مجـال استخدام الماديات هـو الحكم فى توجيه هذه الماديات فاما أن يسير بها سـيرا حثيثا نحـو الابـداع والتألق والتقدم . أو أن يهبط بها الى مجال العبث والفساد والتدهور .. واما أن تسيطر القيم الروحية العالية على هـذا الذكاء فتحـدد مساره وتربطه بأهـداف انسانية عاليـة .

ولئن كان الاسلام قد امتاز بأنه دين الحضـارة الانسـانية ، فان الواقع يبين للباحث والمفـكر ، والدارس ، أن الحضارة الاسلامية اسـتمدت كـل مقوماتها وعناصر وجـودها ، وأسـباب نمائها وازدهارها .. من الاسلام ذاته .. والاسلام كان ولايزال ديـن الحضارة والانسانية ، بمعنى أنه كان منذ نزوله دين عبـادة ودين معاملـة وانه انشأ لونـا من الحضارة ، عرف باسمه ، وهـو الحضارة الاسلامية .

وقد قامت الحضارة الاسلامية ، على دعائم أساسية ، جعلت منهـا حضارة عالمية متميزة ، وفريدة فى تاريخ البشرية .. ومن ذلك .

أولا : أن الاسلام قد انطـوى على طاقة روحية جعلت منه قـوة فاعلة والشىء المهم فى هذه القوة الفاعلة . أنها كانت اصـلا جذريا

ثانيا : ان الاسـلام كان دين دعوة ..وفكرة الدعوة فى الاسلام .. قد واءمتها ظروف الانتشار فى

النطاق العالمى ، وفى ظلال الدعوة المستمرة تمكن الاسلام مـن نشر طابعه الحضارى ، كعقيدة للحياة ، وأن يصبح فى أقل من ربع قرن ، مقوما أساسيا من مقومات الحضارة الانسـانية .

ثالثا : كان الاسلام دينا سهلا غير معقد ، ولا مركب فى عقيدته ، وكان فى الوقت ذاته دينا مباشرا ، يتصل فيه الانسـان بخالقه دون وسـاطة :

« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم »

« واذا سألك عبادى عنى فانى قـريب »

ولا نجـد عقيـدة تطلب مـن الانسان شهادة أبسط مـن شهادة الاسـلام عـلى عمقها وعظمتها : **« لا اله الا الله محمد رسول الله »** .. عبـارة سـهلة رائقة .. تقف بالعاقل عـلى عتبة الدخـول فى الاسلام ، موقفا سـهلا والمقـوم الاصيل فى هـذه البساطة ، أن القرآن الكريم هو الوعاء الأساسى للعقيدة كلها .

رابعا : كان الاسلام دينا رحبا يدعو الى سبيل العقل ، فى حدود أصول العقيدة كما يدعو الى سبيل الضمير ، والحق .. ومن هنـا كانت الدعـوة الى النظـر ، والى المعرفة ، أساسا من أسس الدعوة الاسلامية وكان التفتح البصـير مفتاح الدعوة للحضارة .

والاسلام فى رحابته الحضارية ، اسـتطاع أن يمتص الـوان الحضارات فى البلاد التى أوقد فيها قناديل الضـياء وأن يصـبغ عليها طابعا اسلاميا شاملا ..

خامسا : البيئة بعواملها المحلية وموقعها الجغرافى ، قـد ساعدت على اعطاء الحضارة الاسلامية ، ما كان لها من طابع ، ومن مكانة ..

سادسا : القرآن الكريم ذاته . وذلك أن القرآن كان أعظم ما عرفته الانسانية فى تاريخها الممتد الطويل .. وقد تضمن القواعد الرصـينة الكفيلة بقيـام المجتمع الانسـانى السليم . تنشده الانسانية فتجـد فيه مبتغاها من التشريعات الفردية والعـلائق الأسرية ، والمعـاملات الاقتصادية والحربية ، والقـوانين

المدنية ، والانظمة الدولية وبعبارة أوجز ... تجد فيه الامة كل مـا تحتـاج اليه فى حياتها العـامة والخاصة والدين والدنيا •

سابعا : اللغة العربية نفسـها كانت دعامة من دعائم الحضـارة الاسلامية وذلك لانها أعرق اللغات منبتا وأعزها جانبا ، وأقواها جلادة وأغزرها مادة وأدقها تصويرا لمـا يقع تحت الحس وتعبيرا عما يجول فى النفس •

وعنـدها مـن المرونة عـلى الاشتقاق والقبول للتهذيب ، وسعة صدرها للتعريب • ما يمكنها مـن الاستمرار فى عطائها ، نزل القرآن بلسانها فجعلها أكثر رسوخا وأشد بنيانا ، وأقوى استقرارا ، وبفضل القرآن صارت العربية أبعد اللغات مدى ، وأوسعها أفقا ، وأقـدرها على النهوض بتبعاتها الحضـارية عبر التطور الدائم الـذى تعيشه الانسانية واستطاعت العـربية فى ظل عالمية الاسلام ، أن تتسـع لتحيط بأبعد انطلاقات الفـكر ، وترتقى حتى تصل أرقى اختلاجات النفس ، وليس هنـاك معنى مـن المعانى ، ولا فـكر مـن الافكار ، ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية علمية من النظريات ، تعجز اللغة العربية عن تصويره بالاحـرف والكلمات ، وتجسيده داخـل الكلمات •

ثامنا : وبجانب هـذا وذاك ، كانت هنـاك مقـومات تاريخية وبشرية ، تتصل بالعصر الذى ظهر فيه الاسلام ، ثم بالعنصر البشرى •• والتكوين السكانى ، فاما عـن العصر ، فقد كان الاسلام ختـام الأديان السماوية ، وكان الاسلام بذلـك رباطا لهـا مـن الناحيـة التاريخية ، كما كان فى الوقت ذاته تصحيحا لها ، لما أصابها من تخريف الفلاسفة والوثنيين •

ولقد كان هذا كله ، قوة دفـع للفكر الاسلامى ، وما اتصل به من حضارة ومن هنا انطوى التفاعـل الاسلامى عـلى قـوة غلبت كـل التحديات الجاهليـة فانتشر طابع الحضارة الاسلامية على فعالية لم يعرف لها مثيل فى تاريخ الانسانية•

تاسعا : ومما يذكر ان ترسيخ معالم الحضارة الاسلامية ، قـد

تضاعف بفعل مقوم انسانى آخر ، وهى تنوع السلالات التى دخلت فى الاسـلام ، ثم هنـاك ظاهرة أخرى ترتبت على كل هذه الجوانب والعوامل ، وهى ظاهرة الاتصـال والاستمرار الزمنى فى الحضـارة الاسـلامية .

.. ومن وراء كل ذلك هنـاك الايمان بالله فهو القـوة الدافعة الموجهة التى تسند الضعيف من ان يسقط ، وتمسك القـوى مـن أن يجمع وتعصم الغالب من أن يطغى وتمنع المغلوب من أن ييأس .

ولئن كان الاسلام قد أمتاز بأنه دين الحضارة الانسانية من حيث تقديس حرية الفكر واعزاز حرية الانسان وكرامته وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بـين الناس فى ظلال اخاء شـامل وعـدل تام وروحانية صافية واعتزاز بالمثـل العليا والقيم الأخلاقية السامية .

فان واقع الأمـر يبين لنـا أن الحضارة الاسـلامية اسـتمدت مقوماتها وعناصر وجـودها مـن الاسلام ذاته .

وإذا كان ظهور الاسلام قـد سبقه فى جزيرة العرب وما جاورها حضارات أقـدم منه كما سـبقته أيضا فى البلاد التى انتشر فيهـا الوان من الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية والآشـورية والبابلية والاغريقية .

فان الاسلام استطاع أن يضفى على البلاد التى شملها لونا عظيما من الفكر الدينى والحياة والمعاملات والعلاقات الانسـانية الاجتماعية والسياسية والاقتصـادية حتى أصبح هناك قدر حضارى مشترك بين المسـلمين فى مختلف الاقطار وبلاد الدنيا ..

وهذه الحضارة الاسلامية تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحى رسالة السماء التى تمـدها بالروح والقوة والتماسك وتوجهها الى الموازنة بين مقاصـد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهـد المعطل للعمل وعن المادية الجامعة المفسـدة ..

فهى فى نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله وافراده بالعبـادة

والتنظيم والتمسك بما شرع من آداب السلوك والمعاملة .

وهى فى نظامها السياسى تقوم على الشورى والنزول على رأى الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان والتزود بكل أسباب القوة والمنعة .

وفى نظامها الأخلاقى تقوم على خلوص النية ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير والحق والتزام الآداب الفردية والاجتماعية التى تسير بالبشرية الى الكمال والسلام .

وفى نظامها الاجتماعى تقوم على الاسرة المتماسكة القائمة على أساس من المودة والرحمة والاخلاص وتعاون المواطنين على الخير والبر وقيام كل راع بمسئوليته .

وفى نظامها الاقتصادى تقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية .

وفى نظامها التشريعى تقوم على أصول رئيسية واسعة وقد تمثلت هذه الناحية فى ثروة من الفقه الاسلامى تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكرى .

وفى نظامها الثقافى تعتمد على طلب المعرفة من كل طلب ممكن ومن أى مكان واستخدام العقل فى كسب المعارف وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة واعتبار الثقافة أيا كان مصدرها ومهدها تراثا عاما للانسانية ونستطيع أن نصل الى ان الحضارة الاسلامية .

ـ وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الأقدمين وما أضافت اليه من صنع عبقريتها المبدعة .

ـ انقذت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى وانهيار واضطراب فى الحضارة واستعباد وظلم اجتماعى .

ـ أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد فى اسمى صورها وأصفاها ومجتمعا جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمى بين الجميع .

ـ أعطت الانسانية ذخيرة ضخمة من المعارف أفاد منها الغرب فى عصر الاحياء والنهضة واعتمد عليها العالم العربى فى يقظته الحديثة فى بناء نهضته المعاصرة .

ـ وضعت بعض أصول المنهج العلمى الحديث ـ كطريقة الشك عند (الغزالى) كما فتحت آفاقا جديدة فى البحوث الانسانية ـ كفلسفة التاريخ عند (ابن خلدون) وعلم البصريات على يد (ابن الهيثم) وابتدأت مرحلة جديدة فى تطور علوم الرياضة على يد (الخوارزمى) وعمر الخيام .

ـ ساعدت بآدابها على نهضة الآداب فى أوربا وفتح آفاق جديدة أمام شعراء الغرب وكتابه .

ـ ساعد خلفاؤها وقادتها ـ بسلوكهم الأخلاقى وبنماذج المروءة والشرف التى تحلوا بها على اشاعة المثل الاخلاقية الرفيعة مما كان قدوة لمن احتك بهم فى السلم أو فى الحرب .

ان من يمعن النظر .. فى أعماق الحضارة الاسلامية ، وما حققته للانسانية من أسباب النمو ، وعوامل الازدهار .. ويلم بما جاء به الفكر الاسلامى ، من مفاهيم تناولت أهم معضلات الحياة .

ان من يتعمق فى ذلك .. يدهشه مدى عمق التفكير الواعى ، الذى بلغ ذروته علماء الاسلام .. ويتضاعف اعجاب الباحث ، بهذا الفيض الزاخر من الجهود العلمية العظيمة التى ملأت الدنيا ..

وتزداد دهشة المفكر ، ويتعاظم تمجيده ، لحركة التحول الخطيرة التى أصابت المجتمع العربى ، فى تلك الفترة القصيرة ..

ترى .. أى سر هذا الذى استطاع أن يحول عرب الصحراء الى أساطين فى العلم ، ومشاعل فى الحضارة ، وأفذاذ فى المعرفة ، ومنارات فى الثقافة ؟ وأى قوة رفعت العرب من حال البداوة التى كانوا عليها ، الى أبطال وقادة ، غير هيابين ولا وجلين ؟ .

وترى .. كيف نفسر سرعة تطور العرب من الجاهلية الجهلاء ، الى الحضارة العلياء ، فى أقل مدة عرفتها الانسانية ؟ .

تقول الكاتبة الالمانية الدكتورة (سيجريد هونكه) : « ان هـذه الطفرة العلمية الجبـارة ، التى نهض بها أبناء الصـحراء ، من العدم ، من أعجب النهضات العلمية الحقيـقية ، فى تاريـخ العقـل البشرى » .

وليس من المعقول فى نظر المفكر .. والباحث ، والـدارس .. أن يطفر الفكر العربى الذى قيـدته ظروف الحياة القبلية الآسـنة اليبوس ، الى مثل هـذه المرتبة العالية ، دون أن تكون هنـاك الأسباب القوية التى دفعت بـه الى الحياة المتحركة دفعا .

ومن المسلم به ، أنه لم تظهر قبل الاسلام .. أية دلائل عـلى التطـور الفكرى مـن العـرب المنتشرين فى الجزيرة العربية .. وكان الشعر ، والخطابة والتنجيم أحب شىء الى عـرب الجاهلية ، اذن .. ما هى تلك الاسباب التى استقى منها الفكر العربى ، مـادة هيويته ، وتطوره ؟ وما هى الموارد التى نهل منها أسـباب تكامله وقـوته ؟؟ ..

ان المنبع الأول والأصيل فى كل ذلك .. هو : القرآن الكريم ... وذلك أن القـرآن ، لم يكن كتاب دين يحث على العبادة فحسب .. وانما كان الى جانب تأكيد وحدانية الله ، وما يتبعها مـن عقائـد ، وعبادات ، وأوامر ، ونواهى كان أعظم الدسـاتير التى عرفتهـا الانسـانية ، فى تاريخها الطـويل الممتد عبر الزمن .. وذلك بمـا تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانسانى الصالح .

ولقـد كان أول أثر مـن آثار القـرآن فى الفـكر الانسانى .. اهتمامه الواسع بالعلم .. وذلـك أن العلم أساس التقدم والتعاون ، وتبادل الخبرات والمنفعة ، وقـد كانت عنـاية القـرآن بالعلم .. تفوق حد الوصف .

تأمل القرآن وتدبر آياته ، تجده يدعو الى تحكيم العقل والمنطق ، فى مظاهر الكون ، وأحداث الماضى .

ولقد اشتمل القرآن على ستة آلاف ومائتين وست وثلاثين آية ، منها سبعمائة وخمسون آية كونية وعلمية .. احتوت أصولا وحقائق

تتصل بعلوم الفلك والطبيعة ، وما وراء الطبيعة ، والأحياء ، والنبات •• والحيوان ، وطبقات الارض ، والأجنة ، والوراثة والصحة ، والصحة الوقائية ، والتعدين والصناعة ، والتجارة ، والمال ، والاقتصاد •• الى غير ذلك من أمور الحياة •• واحتوت باقى الآيات على الأصول والأحكام فى المعاملات ، وعلاقات الأمم والشعوب ، فى السلم والحرب ، وفى سياسة الحكم واقامة العدل ، والعدالة الاجتماعية •• وكل ما يتصل ببناء المجتمع ••

وهذا كله بخلاف العبادات، والعقائد ، والتكاليف ، والقصص ، والمواعظ والأمثال ، وغير ذلك من شتى أمور الدين والدنيا •• مما كان محلا للدراسة والاستنتاج ، والتخريج ، والتأصيل ، والبحث ، والتنقيب •• وكان أساسا لعلوم الفقه ، والتفسير ، والحديث والأصول والأخلاق ، والبلاغة ، والنحو ، والأدب •• ذلك أن القرآن من العمق ، والاتساع ، والعموم ، والشمول •• بما يقبل تفهم البشر له •• أيا كان مبلغهم من العلم ، وبما يفى بحاجاتهم فى كل عصر ، ويتجاوب مع أهل البداوة فى يسر ، ويبهر فى عمقه أهل الحضارة الذين صعدوا فى سلم الرقى ويرعوا فى فنون العلم والمعرفة •

لقد كرم الاسلام العلم ، وحث المسلمين على المزيد فيه ، والاستفادة منه ، لأنه ينير العقول المظلمة ، ويحيى القلوب الميتة ، ويهدى النفوس الحائرة ، ويرقى بالمجتمعات الانسانية ، ويسمو بالقواعد الحضارية • وقد كانت عناية الاسلام بالعلم تفوق حد الوصف • حتى ان كلمة العلم بجميع تصريفاتها واشتقاقاتها ترد فى أكثر من خمسمائة آية من آيات القرآن الكريم • وهذا ينبىء عن مكانة العلم فى الاسلام ••

والقرآن الكريم نفسه مشتق من القراءة ، والقراءة مفتاح هائل من مفاتيح العلم للانسان ، وطريق دائم للمعرفة • والانسان مهما كان ضعيف العلم والثقافة فانه الى نمو فى الثقافة والعلم مادام يقرأ •• وأول ما نزل على محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، من وحى السماء ، عندما كان يتحنث فى غار حراء ، خمس آيات من القرآن الكريم ، هى قوله تعالى فى سورة العلق : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** » ..

ففى هذه الآيات الخمس ، بدأ الوحى الالهى بالقراءة فى أول آية ، وكان ذلك بصيغة فعل الأمر . وقد تكرر الامر بالقراءة فى الآية الثالثة . وأوضحها مؤكدا ما رمى اليه من معنى .وهو التعليم ،وزاد التأكيد بذكر القلم ..

« والتعليم بالقلم من أعظم نعم الله على عباده . اذ به تخلد العلوم ، وتثبت الحقوق ، وتعلم الوصايا ، وتحفظ الشهادات ، ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس . وبذا تقيد أخبار الماضين للباقين اللاحقين . ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ،ودرست السنن وتخبطت الأحكام ، ولم يعرف الخلفمذاهب السلف..وكانمعظم الخلل الداخل على الناس فى دينهم ودنياهم ، وانما يعتريهم من النسيان الذى يمحو صور العلم من قلوبهم فجعل لهم الكتاب وعاء حافظا من الضياع . كالاوعية التى تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان . فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن من أجل النعم . والتعليم به كذلك » (١) .

وقال تعالى فى سورة القلم : « **ن والقلم وما يسطرون** » فالله يقسم بالقلم والكتب ، فتحا لباب التعليم بهما ، ولا يقسم الله الا بالأمور العظام . فاذا اقسم بالشمس والقمر ، والليل والفجر ، فانما ذلك لعظمة الخلق ، وجمال الصنع ، واذا اقسم بالقلم والكتب ، فانما ذاك ليعم العلم والعرفان وبه تتهذب النفوس ، وترقى شئوننا الاجتماعية والعمرانية (٢) .

وما أروع لفظ (وما يسطرون)

---

(١) انظر : تفسير القاسمى ج ١٧ ص ٦٢٠٩ ..
(٢) راجع تفسير الشيخ المراغى ج ٢٩ ص ٢٧ .

حيث يشـــمل كل فنون الكتابة والتعبير عما فى الضـــمير بالرسم والتصوير ، ويشمل كل آلة أو نظام استحدث للتوصل الى ذلك من آلات ومعدات حدثت أو ستحدث (١) .

فانسانية الانسان لا تكمل الا فى ظل المعرفة الصادقة ، والعلم البناء المثمر الذى يوضح المعالم ، ويهدى الى الرشـــاد . قال على رضى الله عنـــه :

ما الفخر الا لأهـل العلم انهم
على الهدى لمن اســتهدى ادلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحســـنه
والجاهلون لأهل العلم اعـداء
ففز بعلم تعش حيـــا به ابدا
الناس موتى وأهل العلم احياء

والاسلام يحض المســلمين على طلب العلم ، والتفقـــه فى الدين ، والبحث الدقيق فى كل مجـــالاته وفنـــونه وفروعه . وأن يتحملوا المشاق فى سبيل تعلمه وتحصـيله وأن يبـــذلوا كل طاقاتهم فى طلب المزيدمنه.وأن يتعلموا كلماينفعهم فى دينهـــم ودنياهـــم ، وكـــل مايعـــود عليهم وعلى الامة الاســـلامية ، والمجتمعات الانســانية بالخير والرقى .. قال تعالى فى سورة التوبة : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفرمن كل فرقة منهم طائفـــة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

فهذه الآية الكريمة تشير الى أن تعلم العلم أمر واجب على الأمـــة جميعـــا وجوبا لا يقل عن وجوب الجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن الاسلامى . فان الوطن يحتاج الى من يناضل عنه بالسيف ، والى من يناضل عنه بالحجة والبرهان ..

وفى الآية ـ كما جاء فى تفســير المراغى ـ اشارة الى وجوب التفقه فى الدين والاســـتعداد لتعليمه فى مواطن الاقامة ، وتفقيه الناس فيه بالمقدار الذى تصـلح به حالهم . فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة التىيجب على كلمؤمن أن يتعرفها. والناصبون أنفسهم لهذا التفقه ، على هذا القصـد ، لهم عند الله من

---

(١) كتاب التفسير الواضح للشيخ حجازى ج ٢٩ ص ١٣ .

أسمى المراتب ما لايقل فى الدرجة عن المجاهـــد بالمال والنفس ، فى سبيل اعلاء كلمة الله ، والذود عن الدين والملة . بل هم أفضل منهم فى غير الحال التى يكون فيها الدفاع واجبا عينيا على كل شخص (١) .

روى البخـارى ومسـلم وابن ماجة ، عن معـاوية رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .

وروى أحمـــد والطبرانى عن صفوان بن عسال المرادى . قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو فى المسجد متكىء على برد له أحمر . فقلت له يا رسول الله انى جئت اطلب العلم . فقال : (مرحبا بطالب العلم . ان طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من حبهم لما يطب) . وروى ابن ملجه عن أبى ذر رضى الله عنـــه قال قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خـير لك من أن تصلى مائة ركعة لأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلى ألف ركعة) .

وروى الترمذى عن أنس قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : (من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : (تعلموا العلم . فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ،والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صـدقة ، وبذله لاهله قـربة . لانه معـالم الحـــلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الانيس فى الوحشـــــة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلـــوة والدليـــل على السراء والضراء ، والسلاح على الاعداء ، والزين عند الاخلاء) ..

وانطلاقا من تعاليم الاســلام ، ودعوته الى العلم . ادرك المسلمون مبلغ الحاجة اليه فى بناء المجتمـع ودعم مراكز الأمة . لهذا وجهـوا

---

(١) تفسير المراغى ج ١١ ص ٤٨ .

العـــزائم الى طلب العلـوم على اختلاف انواعها • ولم يشغلهم عن طلبها ترف الحضـــارة • ولم تثن عزائمهم عنها بأســـاء الحيــاة وضراوتهـا ، وبحثوا عنها فى آيات الله التشريعيـــــة ، وآيات الله الكونية ، وأقاموا لها فى كل مدينة منارا عاليا ، وحملوا المشاعل المضيئة الى مشـــارق الأرض ومغاربها •• ولم يقف المسلمون بجهودهم عند نتاج عقولهم وأفهامهم •

بل اتجهوا ايضـــا الى علوم السـابقين ، يدرسون ويبحثون ، فاســـتخرجوا العلوم من زوايا الاهمال والنسيان •وكانوا يطلبون العلوم طلب الناقد البصير • واكتمل لهم من ملكة العلوم والفنـون فى جيـــل واحد مالم يكتمل لأمـة من الأمم الناهضـــة فى عـــدة أجيال وفى ذلك يقول بعض العلماء المؤرخين : (ان ملكة الفنون لم يتم تكوينها فى أمة من الأمم الناهضـة الا فى ثلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل الخضرمة ، وجيل الاستقلال والاجتهاد • الا العرب وحدهم فقد استكملت لهم ملكة الفنون فى الجيل الأول الذى بدأوا فيه بمزاولتها) •

وتقول الكاتبة الالمانية الدكتـــورة سـجريد هونكه فى كتابها المسمى (شمس الله تشرق على الغرب) : ان هذه الطفرة العلميةالجبارةالتى نهض بها أبناء الصحراء من العدم منأعجب النهضاتالعلمية الحقيقية فى تاريخ العقل البشرى • فسيادة أبناء الصحراء التى فرضوها على الشـعوب ذات الثقافات القديمة ، وحيدة فى نوعها • وان الانســان ليقف حائرا أمام هــذه الهجـرة العقلية الجبارة التى يحار الانسان فى تعليلها وتكييفها » •

وقـد قام العلمـاء والمفكرون المسلمونبهذه النهضة العلمية التى تخطت مراحل النهوض فى الامم • قاموا بها عـلى رغم الاحـداث العاتيـة التى حملوا اعبـاءها ، والحـروب الطاحنة التى خاضـوا غمارها • لأن الاحداث والحروب وان بلغت مـن العنف مـا بلغت لا تسـتطيع ان تقف فى طـريق العقيدة الصـحيحة التى انطـوت عليها القلوب ، وتفاعلت بها النفوس •• ولا ان تمنع العزائم القوية من

الوصول الى تحقيق أغراضها وأهدافها •

واستطاع المسلمون فى سرعة لم يعهد لها مثيل فى تاريخ الحضارة ، أن ينتقلوا من أمة الامية الى أمة العلم ، والقيادة الفكرية ، وأن يصبحوا قادة للفكر ، وروادا — للمعرفة والعلوم والفنون • يدرسونها للاجيال المعاصرة كأحسن ما يكون التدريس والتعليم ، وينشرونها فى شعوب كانت تائهة فى عماء الجهل وظلمته ويدونونها للاجيال المقبلة كأحسن ما يكون التدوين والتأليف •

وان الامة التى اكرمها الله بالقرآن ، تتطلع الى غد مشرق بالعلم والحضارة ، وخير للأمة أن تعمل فى حزم وعزم ، لتحقق الأمجاد وتسعد الأفراد والجماعات •

أحمد عبد الرحيم السايح

***

الطب الإسلامي

للدكتور علي محمد مطاوع

أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافـــة ونزل عليه الكتاب الـــذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • وجعل هذا الكتاب شاملا لأمر الدين والدنيا **« ما فرطنا فى الكتاب من شىء »** **وقال سبحانه وتعالى فى هذا** الكتاب عن النحل **«يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفـــاء للناس »** **وقال : وننزل من القرآن ما هو شــفاء ورحمـــة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا تبارا »** •

وقال رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم الذى أنزل عليه الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمـــة • والذى لا ينطق عن الهوى :

ـ تداووا عباد الله فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء •

ـ عليكم بالشفاءين : العســل والقرآن •

ـ داووا مرضاكم بالصدقة •

ـ ماء زمزم لما شرب له •

ـ وأخيرا وليس آخرا : شفاء **أمتى فى ثلاث** : شربة عسل ••

شرطة محجم

والكى

وما أحب أن أكتوى

ولو أنعمنا النظـــر فى الحديث الأخير لوجدنا فيه برنامجا شاملا لعـــلاج جميع الأمراض • فشربة العسل وحدها أو باضـــافة بعض العقاقير الأخرى شفاء لكثير مـــن **الأمراض • والحـجامة والتشريط** علاج لمجموعة أخرى والكى بنوعيه: **الكى الطبى والكى الجراحى هـــو**

آخر العلاج لقوله صلى الله عليه وسلم « **آخر العلاج الكى** » .
والجراحة نوع من الكى ونحن لانلجأ اليه الا عند ما يفشل العلاج الطبى بالوسائل الأخرى .

وفى كتاب الله العزيز قوله تعالى « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » ، وقوله تعالى :« **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » .

ومن هذا المنطلق . وهو دراسة نفس الانسان وجسده وأمراضه وعلاجه سيرينا المولى عز وجل من آياته ما يبين للناس طريق الحق أى أن الطب سبيل من سبل الدعوة الى الله . وأن الطب النبوى وهو الطب الاسلامى القائم على أحاديث وتعاليم النبى صلى الله عليه وسلم سيكون وسيلة من وسائل الدعوة الى الله تعالى .

ولو انتبه المسلمون الى هذه الحقيقة . وبدأوا فى دراسة هذه الاسس العلاجية التى أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم لوجدوا فيها من الآيات ما يجذب الكثير من غير المسلمين الى هذا الدين الحنيف الذى تكفل الله جل جلاله باظهاره على الدين كله ولو كره المشركون : « **هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » .

لقد بدأ الناس ينتبهون الى حقيقة كانت تخفى على الكثير وهى أن الأدوية المصنعة التى يتعاطونها لها آثار سيئة فهى تعالج شيئا وتحدث أضرارا فى أجزاء أخرى من الجسم ولذلك يعطى المريض دواء للمرض ويعطى أدوية أخرى فى نفس الوقت لملافاة الآثار الجانبية لهذا الدواء .

ان هذه الحالة غير معروفة فى العلاج بالعسل أو بالأعشاب الطبيعية أو بالحجامة أو بالكى فليس لها آثار جانبية سيئة كما للادوية المصنعة .

وهناك ميزة أخرى فى وسائل العلاج النبوى وهى سرعة الاستجابة ورخص العلاج . **فمن المعروف عند من يمارسون العلاج بالكى أن الالتهاب الرئوى يعالج بالكى على الظهر بين الأضلاع وأن**

القيء والاسهال والمغص يعــالج بالكي عــلى الكعبين والعجيب أن نتيجة العلاج تظهر فى بضع دقائق وبدون أعراض جانبية بصــورة لا نعرفها فى أى علاج من الأدوية المصنعة .

ان الأبحاث أثبتت أن العسـل مادة تصنعها النحل لتمنع حبـوب اللقاح من النمو فى العسل . وهذه المادة توقف نشاط الخلايا السرطانية كما أن النحالة الذين يمارســون هذه المهنة فوق خمس ســنوات لا يصابون بالسرطان ان الأمـر يحتاج الى دراسة وأبحاث وتجارب أرى أن أولى الناس بالقيام بهـا هم القائمون بأمر طب الأزهر وأن جامعة الازهر يجب أن تهيىء لهم كل أسباب العمل فى هذا السـبيل وعلى القادرين من اخواننا المسلمين فى بلاد البترول أن يرصدوا مـن الأموال ما يكفى العاملين فى هذا الحقل من أداء هذا الواجب المقدس ابتغاء مرضاة الله وطمعا فيما عند الله . والله عنده حسن الثواب .

أ . د . على محمد مطاوع

***

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
رضى الله تعالى عنه

الشيخ أحمد على منصور

لقد أرسل الله تعالى الينا أشرف الورى ، سيدنا ومولانا محمدا ، صلوات الله وسلامه عليه ، بالهدى ودين الحق ، بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فقام فى مكة وحيدا فريدا يدعو الى العلى القدير ، وآمن به رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، واعترض طريقه آخرون قعدوا له ولاصحابه كل مرصد ، وطهر الله عز وجل أفئدة المؤمنين الأولين ، وملأها تقوى ونورا فأدوا فرائض ربهم وأطاعوه فى سرهم وعلنهم ، وسارعوا الى الخيرات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

وكان من المألوف أن يعيشوا كآبائهم وأجدادهم ، دون أن تسجل أسماؤهم فى عداد المصلحين ، ولكن الاسلام الحكيم ،والقرآن العظيم والأسوة الحسنة بامام الهدى عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم ، جعلت منهم الحكام العادلين ، والقواد المنصورين ، الذين أدركوا أنهم لم يخلقوا عبثا ، ولم يتركوا فى هذه الحياة سدى ، ولكنهم مسئولون أمام مولاهم عن كل ما قدموا فى دنياهم . فعملوا بالحق ليوم عظيم لا يقضى فيه الا بالحق، وأرهفت حواسهم فلم يكن شىء أحب اليهم من الاصلاح ، ولا أبغض لديهم من الافساد .

ولحق الرسول الكريم بالرفيق الاعلى ، وقام بأمر المسلمين من بعده أبو بكر الصديق ، فكان متبعا ولم يكن مبتدعا ،لأنه صاحب

المصطفى فى الغار ، ورفيقه فى الأسفار ، وأمينه على الاسرار ، وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، وعدل فأمن ، وراقب الله فى الامة ، ورأى ذات يوم رؤيا أضاءت لها جوانب نفسه ، بأنه سيأتى من ولده رجل أشج ، يلى أمر الناس فيملأ الارض عدلا ، وقص رؤياه على المقربين اليه ، فذاعت هنا وهناك .

ولقد قدر أمير المؤمنين عظم مسئوليته عن رعيته أمام الله الواحد القهار ، فكان يتعسس ويطوف ليلا بشوارع المدينة المنورة ليتفقد أحوال الناس ، واستمر فى ذلك ليلة مع قائد جنده حتى كاد يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ، وبينما هو يتأهب للذهاب الى المسجد النبوى الشريف ليصلى بالناس سمع حوارا بين أم وبنتها ، قالت الام لابنتها : قومى يابنية واخرجى اللبن واخلطيه بالماء ، فأجابتها البنت : وكيف أفعل ذلك وقد نهى عنه أمير المؤمنين ؟ فقالت الام : وما يدرى أمير المؤمنين بنا ونحن بمأمن عن الناس والرقباء ؟ فقالت البنت : اذا كان أمير المؤمنين لا يرانا يا أماه فرب أمير المؤمنين يرانا ، ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

وانشرح صدر أمير المؤمنين لهذه الاجابة الصادرة من البنت ، التى تقوم على الايمان واليقين ومراقبة الله عز وجل فى السر والعلن ، وتمنى فى قرارة نفسه أن تكون هذه الفتاة التقية النقية زوجة لابنه عاصم ، وتحقق ما دار بنفسه ، ووضعت ليلى ونمت مع الأيام ، وودع أمير المؤمنين الحياة وبايع الناس عثمان بالخلافة ، فاستعان بمروان بن الحكم ، حتى أمسى ساعده الأيمن ، وكان له ولدان عبد الملك وعبد العزيز ، ونشأ كل منهما بمدينة الرسول ، يؤم المسجد النبوى ويستمع الى كبار الصحابة ، وانتهت خلافة عثمان وتلتها خلافة على بن أبى طالب ، ونازعه معاوية بالشام ، وتم له الامر أخيرا ، وانتقلت رؤيا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع الأجيال ، وتمنى

عبد العزيز بن مروان أن تتحقق له، فيقترن نجمه بليلى حفيدة عمر وبنت عاصم ابنه ، وبلغ سن الزواج وفاتح أباه مروان بن الحكم فى ذلك فاستولى الخوف على نفسه وعلى نفوس من علموا بهذا النبأ من الامويين ، وتذكروا شدة عمر وعدله ، وأدركوا أن العرق دساس، فربما تأتى ليلى برجل يرث صفات جد أمه ، ويحول بينهم وبين ما ألفوه من ترف ونعيم ووراثة للملك والحكم ، وحاولوا جاهدين أن يثنوا عبد العزيز عن رغبته ، ولكن دون جدوى •

وتزوج من ليلى وصحبها الى الشام ، وعاشا فيها عيشة راضية ، ومات معاوية بعد أن أخذ البيعة لابنه يزيد ، ولم تمض مدة طويلة، حتى وضعت ليلى غلاما ، سربه أبوه سرورا عظيما ، وبلغ من اعجابه بجد زوجته أن سماه باسمه وتمنى أن تتحقق فيه رؤيا الفاروق نضر الله تعالى تاريخه ، ومات يزيد وبويع مروان بن الحكم ، فولى أمر المسلمين ، ورغب اليهم أن يبايعوا بعده ابنيه عبد الملك وعبد العزيز ،

ولقد كان بقصر عبد العزيز بالشام اصطبل يضم الكثير من الخيول العربية وكان عمر ابنه مولعا بها ، يركبها ويمسح عليها ، وعلى حين غفلة من المشرفين على هذه الخيول ، رمح عمر فرس فشجه ، وطار الخبر الى أبيه فأسرع نحوه، ومن خلفه رجال القصر ، وأبصر الدم يسيل من وجه ابنه فمسحه عنه ، وتذكر رؤيا جد زوجته ، وضم عمر الى صدره فى حنان وقال له : ان كنت أشج بنى مروان انك اذن لسعيد • وبرىء عمر من شجته وأدرك مقتبل العمر وريعان الشباب ، وعكف على تلاوة التنزيل الحكيم ، وأحاديث الهادى البشير النذير ، والالمام بتاريخ جد والدته عمر ، والعوامل التى رفعته الى هذه المنزلة ، التى لايرقى اليها حاكم• ومات جده مروان وقام بأمر المسلمين من بعده ابنه عبد الملك وعادت مصر الى الامويين بعد حروب طاحنة ، ورغب عبد الملك الى أخيه عبد العزيز أن يتولى امارتها فشرع فى التأهب للسفر اليها ، وتقدم عمر بن عبد العزيز من أبيه

يرجوه فى أن يسمح له بالذهاب الى المدينة المنورة ليأخذ عن علمائها ، وحقق أبوه رجاءه وغادرت الشام قافلتان : قافلة عبد العزيز بن مروان وزوجه والحاشية متجهة الى مصر ، وقافلة عمر بن عبد العزيز تأخذ طريقها الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحيط بها الخدم والحشم ، وما أن لاحت المدينة لعمر حتى امتلأ قلبه رهبة ، وراح يستعد لدخولها ، ولبس أجمل ثيابه، ودخل المسجد النبوى خاشعا خاضعا وحياه بركعتين بين المنبر والروضة الشريفة ، ثم نهض من فوره ووقف أمام الرسول الاعظم، صلى الله عليه وسلم فى أدب ، مستحضرا عظمته وقال :

السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا خاتم النبيين والمرسلين ، ورحمة الله تعالى للعالمين ، والشفيع يوم الزحام فى المذنبين ، وجزاك الله عن الاسلام والمسلمين خير ما جزى نبيا عن أمته • ثم رجع الى الوراء حتى كان تجاه الصديق ، وقال :

السلام عليك يا صديق رسول الله ، وناصر الاسلام ، وواصل الارحام ، ومقاتلا لأهل الردة والبدع ، ولقد خلفته أحسن خلف ، وسلكت طريقه ومنهاجه خير مسلك، وقمت بأمر الرعية من بعده أعظم قيام حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ما جزى اماما عن أمة نبيه • ثم تحول حتى حاذى عمر ابن الخطاب جد والدته ، وقال :

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ومظهر الاسلام ، ومحطم الاصنام، وكافل الايتام ،ورافع لواء العدالة بين الانام ، ولقد كنت للمسلمين اماما مرضيا ، وهاديا مهديا جمعت شملهم ، وأغنيت فقيرهم ،وجبرت خواطرهم ، فرضى الله تعالى عمن استخلفك ، وجزاك عن الاسلام والمسلمين أفضل الجزاء ، وما أن استقر المقام بعمر بن عبد العزيز فى المدينة ، حتى قصد صالح بن كيسان ، الذى أسند اليه أبوه عبد العزيز بن مروان أمر تعليمه وتثقيفه ، وقضى عمر معه معظم وقته ، واشتد اعجاب صالح بذكاء عمر وفطنته ، وصلاحه وتقواه ،

وخوفه من مولاه ، وان كان لايزال غض الاهاب • وفى يوم تأخر عن شهود الجماعة أول وقتها بالمسجد النبوى ، ولما حضر بادره صالح مغضبا : ما شغلك ؟ فقال كانت جاريتى تمشط شعرى ، فتأسف ابن كيسان أكثر وقال : قدمت ذلك على الصلاة ، وكتب رسالة الى أبيه عبد العزيز بن مروان بحلوان ، يخبره فيها بما كان من ابنه عمر ، ولم يمض وقت طويل حتى جاء عمر كتاب أبيه يرسم له فيه ما يجب أن يسير عليه بالمدينة ، حتى يكون خير خلف لخير سلف ، وينهض بالأمر اذا وسد اليه على أروع الوجوه •

وما أن تلقى عمر كتاب أبيه حتى بادر بحلق رأسه ، وزادت مكانة أستاذه لديه ، وبلغ من حبه للعلم ورغبته فى أخذه منه بأكبر نصيب ، أنه لم يكتف بأستاذ واحد ، بل راح يختلف الى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه ، وكان عمر يتحامل فى أحاديثه على الامام على بعض الشىء كما يفعل الامويون فظهرت أمارات الغضب على وجه شيخه عبيد الله ، وما أن وقع نظره عليه حتى أعرض عنه ، وقال له : متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ؟ ففهم ما يرمى اليه شيخه بما فطر عليه من نباهة وبعد نظر ، وقال : معذرة الى الله واليك ، وأعاهدك على ألا أعود لمثلها ، ومنذ ذلك الحين تحرر عمر من تعصب الامويين ، وانشرح صدره لاهل بيت الرسول الصادق الامين ، عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلوات وأتم التسليم ، كل وقت وحين •

ولما أقبل موسم الحج قدم الحجاج من جميع الجهات على الاماكن الطاهرة لاداء مناسكهم ، والتشرف بزيارة خير الورى عليه الصلاة والسلام ، وكان من بينهم حجاج مصر يتقدمهم واليهم عبد العزيز بن مروان وخف ابنه عمر فى لهفة لاستقبال أبيه وأمه ، يمتع نظره برؤيتهما ، ويستمع الى حلو حديثهما وأبناء مصر وأحوال المسلمين فيها ، ووزع والده الهدايا على أحبابه ومعارفه ، وسأل صالح ابن كيسان ، وعبيد الله بن عبد الله

مؤدبى ولده عنه ، فأنبآه بما شرح صدره ، وملأ جوانب نفسه سرورا، فقد صرحا له بأنهما لم يريا أحدا يعظم الله عز وجل كهذا الغلام .

ورغب عبد الملك بن مروان ، فى أن يجعل البيعة بعده لابنيه الوليد وسليمان ، ولكنه خشى الشعب الذى بايع أخاه عبد العزيز بها بعده ونهاه المقربون عن ذلك حتى لا يفتح باب الفتنة ، ولكن هذه الفكرة ظلت تعاوده الحين بعد الحين ، فكتب الى أخيه بمصر : ان رأيت أن تعيد هذا الامر لابنى أخيك فافعل . فلم يوافقه عبد العزيز على رأيه ، فأرسل اليه عبد الملك يطلب منه خراج مصر . فكتب اليه : يا أمير المؤمنين انى واياك قد بلغنا سنا ، لم يبلغها أحد من أهل بيتنا الا كان بقاؤه قليلا ، وانى لا أدرى ولا تدرى أينا يأتيه الموت أولا ، فان رأيت ألا تكدر على بقية عمرى فافعل .

فنزل عبد الملك على رأى أخيه وبادر ولديه بقوله : ان يرد الله تعالى أن يعطيها لكما فلن يستطيع أحد من العباد ردها عنكما ، ثم سألهما : هل ارتكبتما اثما قط ؟ فأجابا بالنفى،فكبر عبد الملك فرحا وقال لقد نلتماها ورب الكعبة ، ووردت الاخبار بعد حين من مصر بموت عبد العزيز وجلس عبد الملك يتقبل التعازى فيه ، ثم كتب عهدا بولاية الحكم من بعده لابنه الوليد ، حتى اذا فارق الوليد الحياة ولى أمر الناس بعده أخوه سليمان ابن عبد الملك ، وكتب بذلك الى الامصار فبايع الناس .

وحزن عمر بن العزيز لموت أبيه، فضمه عمه عبد الملك الى أولاده ، وأعجب بتقواه وورعه ، واعتقد بأنه أشج بنى مروان الذى سيملأ الارض عدلا ، وزوجه من بنته فاطمة ، وجعله حاكما على خناصرة قرب حلب ، ففرح أهلها بولايته ، لما سمعوا من زهده وعدله . فسار فيهم سيرة الخلفاء الراشدين ، وسجل فىحكمه من صحائف المجد والعظمة ما لا تستطيع محوه الدهور والعصور .

ولقد كان عمر بن عبد العزيز فى أعماله مخلصا وفى حكم الرعية

منصفا ، وفى طاعة ربه صادقا ، ولكتابه تاليا ، ولرحمته راجيا ، ومن خشيته مشفقا ، وبحميد الخلال متمسكا ،وللأرحام واصلا ، وعلى اليتامى عطوفا ، وللمعروف باذلا ، وللحقوق مؤديا ولا غرو فى ذلك فقد نشأ نشأة عزيزة كريمة ، قبل أن تتهيأ لغيره ، وقضى وقتا طويلا بمصر مع والده ووالدته ، والخدم والحشم بحلوان ، ينعم بخيراتها وطيب هوائها ، ويتمتع بجميل مشاهد البلاد المصرية ، وروائع الحسن والآثار فيها ، وشاءت ارادة العلى القدير ، أن يأخذ علومه من المنابع العذبة الفياضة ، فى المدينة المنورة بلد الثقافة الاسلامية العربية حينذاك، ومقر البقية الباقية ، والنجوم اللوامع من أفاضل الصحابة وكبار التابعين .

وكذلك كان عمه عبد الملك قبل خلافته واليا على المدينة فى حياة أبيه ، ولم يكن هناك أحد أفقه ولا أقرأ لكتاب الله منه ، وكان الفقهاء يومئذ بالمدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير، وقبيصة ابن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان ، ولم تنقض سنة على وفاة أخيه عبد العزيز ، حتى كان عبد الملك على فراش الموت يوصى ابنه الوليد بالتقوى ، والعمل على جمع الكلمة، وصلة الارحام ، واعطاء كل ذى حق حقه ، ودعوة الناس بعد موت أبيه الى مبايعته ، وودع الخليفة الحياة وما ان عاد المشيعون من دفنه ، حتى صعد ابنه الوليد منبر المسجد الاعظم بدمشق فحمد الله وأثنى عليه وقال : انا لله وانا اليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا فى أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا به من الخلافة ، قوموا فبايعوا . فصدع الناس بالامر وأعطوه بيعتهم .

أحمد على منصور

الأمن ومقاومة الجاسوسية والتخريب في ضوء الإسلام

للواء محمد جمال الدين محفوظ

« كل عدة شهور يقف لورى أبيض اللون يقوده روسيان أمام مقلب للقمامة فى احدى ضواحى واشنطن ، ويتخلص اللورى من قدر كبير من القمامة ثم يمضى فى طريقه .

وقبل أن يهدأ التراب المثار ، تتصل احدى العاملات بادارة التحقيقات الفيدرالية وتبلغها هذه الرسالة : جاء الروس مرة أخرى .

وفى دقائق يصل الى نفس المكان فريق من خبراء القمامة للبحث عن شىء فى كوم القمامة الذى تخلص منه الروس .. ويقول العاملون فى هذا المقلب ان ما وجده رجال المخابرات فيه حتى الآن لا يتعدى ايصالات من مطاعم وتذاكر غرامات مرور .

ويقول مدير المقلب بوب جونسون: ان السوفيت لايترددون فى القاء قمامتهم هنا ، ولكن ادارة التحقيقات الفيدرالية تجد فى القمامة شيئا مفيدا ، وهى تعلم الكثير مما يلقيه الروس من قمامة ، ويقول جونسون : انه لاحظ أن المخابرات تتعلم من ايصالات المطاعم أين كان السوفيت يأكلون ومن كان معهم ، ومن تذاكر مخالفات المرور يعلمون أين تقف سياراتهم ثم يبحثون لماذا وقفت فى هذا المكان أو ذاك .

ويقول جونسون : انه حدث مرة أن تقابل الغرب مع الشرق عندما وصل رجال ادارة التحقيقات الفيدرالية مبكرين الى المقلب وكان اللورى الروسى مازال يلقى

بالقمامة ، ونظر كل من الفريقين الى الآخر ، وفى المرة التالية غير الأمريكيون لون سيارتهم .

وأصبحت المخابرات المركزية التى يبعد مقرها ١٥ ميلا عن المقلب عميلا له بعد أن قررت القوانين عدم احراق القمامة تجنبا للمزيد من التلوث ، فاضطرت المخابرات الى القاء قمامتها فى النهاية فى المقلب **غير أن قمامة وكالة المخابرات ليست كغيرها من القمامات : فالأوراق تمزق أو تمزج بالمواد الكيماوية فتمحى الكتابة من عليها ثم توضع فى صناديق قبل أن تلقى فى المقلب . ورغم ذلك فان المخابرات المركزية توفد أحد رجالها بعد التخلص من القمامة لترى ان كان أحد يعبث بها .**

ونفس الشيء تفعله وزارة الدفاع الامريكية ، غير أن هؤلاء ينتظرون حتى يتأكدوا من أن « البولدوزر » قد سحق مخلفاتهم تماما (عن جريدة الاهرام ١٩٧٩/٩/٥ عن واشنطن بوست تحت عنوان « سيارة المخابرات الأمريكية تستولى يوميا على المهملات التى تتخلص منها السفارة السوفيتية ») .

أرأيت الى أى حد يبلغ اهتمام الدول بالحصول على المعلومات عن غيرها من الدول ، وكيف أن « القمامة » تجد من يفتش فيها بحثا عن خيط من المعلومات مهما كان تافها ؟ ! وكيف أن الحرص على صيانة الأسرار يصل الى حد محو الكتابة بالمعالجة الكيمياوية للأوراق ثم تمزيقها بواسطة آلات تحيل الورقة الى خيوط رفيعة يستحيل الحصول منها على شيء من المعلومات ؟ !

صيانة أسرار الدولة

والواقع أن كل دولة تعنى غاية العناية بالحفاظ على أسرارها ، وتعمل فى نفس الوقت على مقاومة كل محاولة للوصول الى تلك الأسرار .

وتحرص كل دولة على أن تجعل من الصعب على الدول الاخرى وخاصة الدول المعادية لها ، الحصول على معلومات عنها ، أو القيام بمحاولات تهديد منشآتها

وأهدافها الحيوية ، أو التأثير على معنويات شعبها أو التشكيك فى مبادئها وقيمها . وهى فى سبيل ذلك تضع كل قدراتها المادية والعلمية لمواجهة هذه المحاولات..

يقول « فرانز موند رينتلين » رئيس الجواسيس الالمان فى الولايات المتحدة الامريكية خلال الحرب العالمية الاولى :

« ان لكل دولة الحق فى أسرارها الخاصة ، وهى — فى الوقت نفسه — ملتزمة بالمحافظة عليها .. ولكن هذا المعنى نفسه ، يعطى كل دولة الحق فى أن تكتشف أسرار الدول الاخرى » .

من أجل ذلك : نرى كل دولة تهتم بمعرفة جميع أنواع المعلومات صغيرها وكبيرها المتعلقة بجميع الدول . وفى المقام الأول الدول التى تتخذ منها موقف العداء ، وتلك التى ينتظر أن تكون فى وقت ما طرف نزاع مباشر معها .

دور أجهزة المخابرات :

ولقد تأثر الى حد كبير شكل العلاقات الدولية بالتقدم العلمى والتكنولوجى فى مختلف مجالات الحياة ومع تطور أحداث التاريخ، فأصبح لدى كل دولة — وبخاصة الدول المتقدمة — جهاز للمخابرات يناط به خدمة أمنها القومى ويعنى هذا الجهاز بالحصول على جميع أنواع المعلومات التى تمكن الدولة من وضع سياساتها المختلفة ، ومن توجيه ألوان العمل المختلفة ضد الدولة أو الدول المعادية لها .

والمخابرات لا تقصر نشاطها — كما قد يتبادر الى الاذهان — على الحصول على المعلومات العسكرية فحسب ، بل انها تهتم بالحصول على كافة أنواع المعلومات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والجغرافية والطبوغرافية وحتى المعلومات الخاصة بالمواصلات والنقل .

وسائل الحصول على المعلومات :

وتحصل المخابرات على المعلومات بطريقتين : احداهما علنية والاخرى سرية : —

١ — فالطريقة العلنية تعتمد على المصادر العلنية للدول الاخرى ومن ذلك ما تصدره من مطبوعات رسمية وما تذيعه اذاعاتها وما يصرح به ساستها فى خطبهم أو

لقاءاتهم ، ويتم بعد ذلك تحليل وتقييم هذه المعلوات لاستخلاص الحقائق التى يراد معرفتها .

٢ ــ أما الطريقة السرية المستترة للحصول على المعلومات فتقوم أساسا على نشاط الجواسيس وعلى أساليب الجاسوسية التى تبدأ من « التصنت » على حديث يدور أثناء حفل خاص بواسطة أحد العملاء وتصل الى حد استخدام أحدث الأساليب العلمية والتقنية كأقمار التجسس الفضائية .

ويؤكد خبراء المخابرات أن المعلومات التى تحصل عليها المخابرات بالطرق السرية تمثل أقل من عشرين بالمائة من مجموع ما تحصل عليه، ومع ذلك فهم لايأخذون ما يصلهم بالطرق العلنية قضية مسلمة ، بل يعملون على التأكد من صحتها والتحقق من أسباب نشرها وهنا قد يعودون الى أساليب الجاسوسية !

أعمال التخريب والتآمر :

ومن أنواع النشاط الذى تقوم به أجهزة المخابرات فى كثير من الدول ــ بالاضافة الى الحصول على المعلومات ــ القيام بأعمال التخريب المادى والتخريب المعنوى (أى ما يعرف بالحرب النفسية أو الحرب السياسية) أو القيام بعمليات محددة ذات أثر مباشر كالتآمر لقلب نظام الحكم فى دولة ما .. وفى بعض الدول تتولى هذه الاعمال أجهزة أخرى غير المخابرات ، غير أنه فى كلا الحالتين يتم الافادة من المعلومات التى حصلت عليها المخابرات عند التخطيط لتلك الاعمال .

ويطلق على هذه الجهود التى تقوم بها ادارات المخابرات ضد الدول الاخرى اصطلاح « المخابرات الايجابية » .

المخابرات الوقائية :

ولكى تواجه الدولة عمليات المخابرات الأجنبية المعادية لها ، فان عليها أن تتخذ من التدابير والاجراءات والعمليات ما يكفل لها ضمان التحفظ على أسرارها ويمنع وقوع ما يمكن أن يلحق بها الضرر أو يؤثر على سلامتها وأمنها .

وهذه التدابير يعبر عنها « بالمخابرات الوقائية » أو

« المخابرات المضـــــادة » أو « المخابرات السلبية » ويعرفهـا الخبراء بأنها هى « الجهد الـذى يرمى الى حماية الاسرار الخاصة بالدولة ، ومقاومة من يحـــاول الوصول اليها » ، أى أنها هى العمل الدفاعى للمخابرات •

فالمخابرات الوقائية بمعنى آخر تعنى أمرين : —

الاول : حماية أسرار الدولة •

والثانى مقاومة من يحـاولون الوصول الى هذه الاسرار •

وانطلاقا من هذا المفهـــوم ، واستنادا الى الوســـائل التى تستخدمها المخابرات فى جمـــع **المعلومات ، فان كل دولـة واعية تحرص على أن تقيـم « خطـا دفاعيـا » يتمثـل فى التدابـير والاجراءات التى تستهدف حماية أسرارها ومنشآتها الحيوية ، ثم تقيم خطا آخر ايجابيا يسـتهدف مـع أولئـك الـذين يحـاولون « اختراق » الخط الدفاعى الاول من تحقيق غرضهم وذلك بالقبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة قبل أن يتمكنوا — كلما كان ذلك ممكنا — من نقل أى جزء من المعلومات عن الـــدولة أو تنفيـــذ مخططهم التخريبى •**

ويطلق على اجـــراءات حماية أسرار الدولة وحماية منشآتهـــا (الامن الوقائى) ويطـلق عـلى اجراءات منع اختراق سياج الأمن الوقائى (مقاومة الجاسوسية) (١) ويقول خبـــير الجاســـوسية لاديسلاس فاراجو :

«ان نجاح الجاسوس أو المخرب لا يرجع الى نقص أو ضعف فى نظام مقاومة التجسس ، بقدر مـا يرجع الى النقص فى تدابير الأمن الوقائية » •

مفاهيم خاطئة عن الجاســوسية :

وهناك تصور خاطىء حـــول الجاسوسية هو أن دورهـــا فى الشئون الدولية ينحصر فى المجال

---

(١) الأمن الوقائى : Protective Security
مقاومة الجاسوسية : Counter Espionage

العسكرى فحسب ، والواقع أن الجاسوسية تعمل فى كل المجالات التى تشكل مصادر قوة الدولة كالمجال الاقتصادى والسياسى والاجتماعى بالاضافة الى العسكرى .

ويرجع التصور الخاطىء الى أن نشاط الجاسوسية الذى يستهدف الحصول على الأسرار العسكرية هو النشاط الأكثر خطرا والذى يحظى بالعناية الاكبر لكشفه ومنعه ، والواقع أن الجاسوس الذى يعمل فى المجالات الاخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية لايقل خطرا عن زميله الذى يعمل فى المجال العسكرى .

اختيار الجاسوس :

واختيار الجاسوس ــ الذى هو العنصر الاساسى فى عملية التجسس ــ يتم بكل الحرص والدقة ، فلابد أن تتوافر فيه وتجتمع لديه من القدرات والخصائص والظروف والعلاقات والصداقات ما يمكنه من أداء مهمته فى الحصول على المعلومات .

كماتعتمد أجهزة المخابرات الأجنبية **عند تجنيد أحد الجواسيس للعمل لحسابهاعلى استغلال نقاط الضعف فيه . ومن ذلك : عدم قناعته بالدخل المشروع ورغبته فى الثراء، وفقدان الوازع الدينى أو الوطنى، والشذوذ الجنسى والميل الى الجنس الآخر، والاستهتار بالقيم الاخلاقية وادمان الخمر والميسر الىغير ذلك** .. أما مكان الاختبار أو التجنيد فقد يكون داخل البلاد أو خارجها، وقد يكون الجاسوس من مواطنى الدولة التى يعمل ضدها أو من رعايا دولة أخرى ويقيم فى البلاد أو قد يكون غير مقيم بها لكنه يدخلها بطريقة ما لمزاولة التجسس .

أسلوبه فى العمل :

ويقوم الجاسوس بالحصول على المعلومات عن طريق الملاحظة والمشاهدة والاستماع وقد يكون ذلك أثناء وجوده داخل المكان الذى **يحتوى على هذه المعلومات أو قد يكون عن طريق أشخاص آخرين يثقون به ولا يدركون حقيقة نشاطه ونواياه ، أو عن طريق ما يلتقطه من ثرثرة أولئك الذين يتحدثون بغير حذر أو حرص ، وفى كل هذه**

الأحوال لا يقف الجاسوس موقفا سـلبيا ، بل انه يستخدم أسلوبه الماكر فى دفع الناس الى اخراج ما فى صدورهم من معلومات ، ومـن ذلك مثلا أسلوب الاثارة فى الحوار أو المناقشة أو تقديم الاسئلة بحيث يدفع الشخص الآخر الى الانطلاق فى الحديث ، ومنه أيضا استغلال ميل محدثه الى التفاخـر وحب الظهور بمظهر العليم ببواطن الامور وبذلك يحصل الجاسوس عـلى المعلومات المطلوبة دون جهـد أو عناء .

ويعمل الجاسوس بالدرجة الأولى على أن يكتسب ثقـة الآخـرين دون أن يثير الشك حول حقيقـة مهمته أو نوايـاه حتى يجعلهم يقدمون له ما عندهم من معلومات ، ومن أجل ذلك تعد المعلومات التى تحصل عليها المخابرات عن هـذا الطريق ، معلومات ذات قيمـة وأهمية عند التخطيط .

واذا كانت أجهـزة الأمن قادرة على ضبط الخونة والجـواسيس ، فانها لا تملك شيئا ازاء المواطنين الذين يتطوعون بامداد جواسيس العدو بالمعلومات بحسن نية دون أن يتبادر الى أذهانهم أنهم بزلـة لسان أو تصرف طائش أو رغبة فى الظهور والتفاخر يكونون السـبب المباشر فى حصول العدو على ما يريد من معلـومات وأسرار وبـذلك يعرضون أمن أمتهم وسلامتهـا للخطر .

الاسلام والمخابرات الوقائية :

من أجـل ذلك كان جوهـر « المخابرات الوقائية » هو كتمان الأسرار وحمايتها وهو ما اصطلح العسكريون على تسميته «بالامن»، وتعتبره المدارس العسكرية فى جميع الدول خط الدفاع الاول عن الامة.

وقد عنى الاسلام بالأمن أشـد العناية ، ووضـع له المبادىء والأصول والأساليب ، **وقد أثبت تاريخ صدر الاسلام أن من أسباب انتصار المسلمين على أعـدائهم الكثيرين أن أسرار النبى صـلى الله عليه وسلم وأسرار المسـلمين كانت مصونة وبعيدة عن متنـاول الاعـداء ، فى الوقت الذى كان صلوات الله وسلامه عليه ، يطلع**

على نيات أعـدائه العدوانية عـن طريق عيونه وأرصاده (رجـال مخابراته) قبل وقت مبكر فيعمـل من جانبه على احبـاط ما يبيتونه للاسلام من غدر وخيانة أو عدوان٠

كذلك لم يستطع المشركـون وأعداء الاسلام أن يباغتوا قوات النبى صلى الله عليه وسـلم فى الزمان والمكان وأسلوب القتـال ، بينما استطاع عليه الصلاة والسلام أن يباغت أعداءه فى معظم غزاوته وسراياه ٠

لواء محمد جمال الدين محفوظ

دعــاء

يامن يجيب دعـاء المضـطر فى الظلم
يا كاشـف الضر والبلوى مع السـقم
قد نام وفدك حـول البيت وانتبهـوا
وأنت يا حى يا قيـوم لم تنم
أدعـوك ربى حزينـا هائمـا قلقـا
فارحم بكائى بحـق البيت والحـرم
ان كان جـودك لا يرجـوه ذو سـفه
فمن يجـود على العاصين بالكـرم

أول وثيقة عالمية للضمان الاجتماعى
قانون الضمان . تشريع إسلامى أصيل

للأستاذ صلاح عزام

مظلة التأمينات الاجتماعية .. عبارة حديثة معاصرة .. يتحدث عنها كل حاكم مصلح .. يريد الخير لشعبه ويبحث عن الأمان لأمته ..

وهذه الأيام .. يكثر الحديث فى مجتمعاتنا المعاصرة عن قوانين للتأمينات الاجتماعية .. ويتنافس الشرق والغرب فى « أنواع » التأمينات الاجتماعية .. ويتباهى الكل بالجديد فيها .

ولكن ..

الذى يجب أن يعرفه الشباب ، هو أن أول من فكر .. وطبق نظم التأمينات الاجتماعية .. فى أسمى صورها .. وأكمل نظمها .. انما هو الاسلام .. ومنذ أيام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن أجل ذلك حفظ لنا التاريخ أروع وثيقة فى هذا المجال ويجب أن يدرسها طلابنا فى المعاهد والجامعات قبل أن يدرسوا وثائق أخرى .. بما فى ذلك القوانين وحقوق الانسان .

• و .. الغريب .. أن أول تطبيق شامل .. وكامل للتأمينات الاجتماعية .. نفذ فى مصر .. وفى خلافة الامام على كرم الله وجهه .. وبعدها .. قلدتها دول العالم .. ومازالت .. ولكن لن تصل الى ما كان .. الا اذا طبقت نظام الاسلام ..

• و .. الوثيقة العالمية .. هى التى ضمنها الامام على تعاليم الاسلام فيما يعلق بالضمان الاجتماعى .. وهو الأمر الذى لم

يعــرفه العالم •• قبــل ظهــور الاســلام •

• و •• تقول الوثيقة •• وهى رسالة كتبها الامام على الى واليه فى مصر يقول فيها بالحرف الواحد:

الله • الله فى الطبقة السـفلى من الذين لا حيلة لهم • والمساكين •

والمحتــاجين •

وأهــل البؤس ••

والزمنى « المصابون بعاهة » •

فان فى هذه الطبقة قانعا (سائلا) •• ومعترا (متعرضــا للعطـــاء بلا سؤال) ••

واحفظ الله ما احتفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما مــن بيت مالك ، وقسما من صوافى (غنائم) الاسلام فى كــل بلد فان للأقصى منهم مثل الذى للأدنى •

وكل قد استرعيت حقه فـــلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعــذر بتضيعك التافه ، ولا حطامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصغر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال •• ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشـــية والتواضع •• فلترفع اليك أمورهم •• **وتعهد أهل اليتم وذوى الرقة** فى السن ممن لا حيلة له، ولاينصب للمسألة نفسه •• وذلك على الولاة ثقيل •• والحق كله ثقيل ••

وفى تصورى أن رســالة الامام المتضــمنة أروع نظام للتـــأمين الاجتماعى •• انما جمع فيما كل ما تعلمه من سيدنا رسول الله •• وما شارك فيه من تطبيقات عملية خلال عهد الخلفاء الثلاثة السابقين له رضى الله عنهم •

ــ فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرر مبدأ الضمان الاجتماعى كان بدء ذلــك عنــدما جاءته أرملة ســـيدنا جعفر بن أبى طالب تشكو وتبكى يتم أولادها •• فقال لها عليه الصلاة والسلام **(أ ألعيلة تخافين عليهم •• وأنــا وليهم فى الدنيا والآخرة ••) ؟**

وبذلك كان أول قرار فى التاريخ يحقق (تأمينا) من الدولة •• لأهل الشــهداء •

ــ وبعـــدها جاءت التعــاليم المحمدية •• والتى ظهرت أوضح ما ظهــرت لكثرة تطبيقاتهــا أيام

عمر بن الخطاب رضى الله عنه •• فمثلا •• المعونات الاجتماعية التى يستحقها من مال الدولة الأرامل •• نذكر قرار الخليفة الثانى بعد ما شاهد امرأة تحاول فطم رضيعها، وهو يصرخ ويصيح ، فجادلها الخليفة ، وهى لا تعرف شخصيته عن سبب ذلك فقالت :

أنا أفطمه لأن عمر لا يفرض للرضيع ، فأردت أن أعجل فطامه لآخذ له نصيبه من بيت المال حتى استعين به على فقرى •

فانزعج عمر •• ولنصرف الى بيته •• ولم ينم •• فلما صلى الفجر وسلم •• قال لأصحابه يا بؤسا لعمر •• كم قتل من أولاد المسلمين وقص عليهم الأمر •• ثم أصدر قرارا وأمر مناديا باعلانه (لا تعجلوا أولادكم من الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام) •

ـ وقرار التأمين الاجتماعى للشيخوخة والمرض •• فرضه الاسلام •• ونفذه ابن الخطاب على نطاق واسع حتى على غير المسلمين الذين يعيشون فى كنف الدولة الاسلامية كما حدث للعجوز اليهودى الذى كان يتسول فى المدينة لعدم وجود عائل له •• وعدم قدرته على العمل •• وقال عمر كلمته المشهورة فى رسالته الى خازن بيت المال (انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه ان أكلنا شبيبته ثم نخزه عند الهرم •• انما الصدقات للفقراء والمساكين •• وهذا من مساكين أهل الكتاب ••

• و •• بقى سؤال ••

هل قرر الاسلام مصدرا لهذا النوع من التأمينات الاجتماعية التى صورها الامام على •• ونفذها من قبله الخليفة ابن الخطاب •• تنفيذا لأوامر سيدنا رسول الله •• أم •• أن المصدر هو مال الدولة (الميزانية العامة ••) ••

والحقيقة •• أن القرآن الكريم وهو تشريع الأمة الخالد •• وهو يعلمنا حتمية تطبيق هذا النظام (التأمينات الاجتماعية) انما يبين لنا مع الأمر التنفيذى •• مصادر تمويل هذا (الباب) •••

من (أبواب ميزانية) الدولة بأسلوب العصر الحديث •
وذلك عن طريقين •

الأول ـ الزكاة •• ومصارفها كما حددتها الآية الكريمة (**للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين •• وفى سبيل الله وابن السبيل**) •

والثانى ـ بما نسميه الآن ••• التبرعات طواعية •• أو كطلب الغير من الولاة •• وهذا الأمر قد حسم فى مجلس عثمان بن عفان رضى الله عنه وخلال أيام خلافته اذ طرح سؤالا على الحاضرين بقوله • أرأيتم من زكى ماله هل يبقى فيه حق لغيره ؟!

فأجاب كعب الأحبار : لا

فأسكته الصحابى الجليل أبو ذر •• وصرخ فيه كذبت ثم تلا قول الله تعالى(**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى ، واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة**) •

ثم قال أبو ذر • ألا ترى أن الله تعالى قد فرق بين آداء الزكاة واعطاء المال ذوى القربى واليتامى

• و •• المهم •• هو أن يؤدى للمسلمين حقوقهم •• فى ضمان حياة كريمة لهم •• تتفق مع انتسابهم لأشرف دين ••

و •• ألم أقل •• انه قد آن الأوان لكل مفكر مسلم أن يقوم بواجبه نحو دينه •• فيكشف لأبناء أمته معالم هذا الدين ؟ •• حتى يعلموا أن كل النظريات الحديثة وغيرها •• والتى يرون فيها الخير •• سواء علمية أو اجتماعية أو قانونية •• ! الخ انما سبق بها الاسلام كل المفكرين •• ليس هذا فحسب •• بل ان ما فى الاسلام هو الكمال •• ومن غير أدنى ضرر لأنها من عند خالق الانسان •

وصدق الله العظيم (**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) •

صلاح عزام



اعداد الاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« الاستغفار »

جاء رجل الى الحسين بن على ــ رضى الله عنهما ــ واشتكى اليه الفقر ، فقال له :

استغفر الله ، فجاء آخر واشتكى اليه جدب الأرض ريعها ، فقال له : استغفر الله .

فقال رجل : يا ابن بنت رسول الله ، شكا اليك أناس كثيرون فهلا عندك ، دواء غير الاستغفار ؟

فقال : أما سمعتم قوله تعالى: **« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا »** أى لمن اشتكى قلة المطر ، وقوله تعالى **« ويمددكم بأموال وبنين »** أى لمن اشتكى الفقر وقلة الولد ، وقوله تعالى : **«ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا »** لمن اشتكى جدب الأرض ، وقلة ريعها .

وقال الرسول الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه : **« من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب »** .

ويقول الامام على ــ كرم الله وجهه : « العجب لمن يقنط والنجاة معه » ، قيل : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : « الاستغفار » .

« الرجال ثلاثة »

قال قتادة : الرجال ثلاثة .

رجل : وهو العاقل .

ونصف رجل : وهو من لا عقل له ، ولكنه يشاور العقلاء .

ورجل لا شيء : وهو من لا عقل له ، ولا يشاور العقلاء .

« أبو بكر يوصى عمر »

أحضر أبو بكر عمر ، وقال لـه : انى استخلفتك على أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأوصاه بتقوى الله ؛ ثم قال : يا عمر ان لله حقا بالليل ، لايقبله بالنهار ، وحقا فى النهار ، لا يقبله بالليل ، وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة .

ألم تر ياعمر :انماثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الحق أن يكون ثقيلا !

ألم تر يا عمر : انما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا !

ألم تر يا عمر : انما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة ،وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا ، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه .

ألم تر يا عمر : انما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم وأمسك عن حسناتهم ، فاذا ذكرتهم قلت : انى أخاف أن أكون من هؤلاء .

وأنه ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم ، لانه تجاوز عما كان لهم من سيىء فاذا ذكرتهم قلت : أين عملى من أعمالهم ؟ فاذا حفظت وصيتى ، فلا يكون غائب أحب اليك من الموت ، وهو آتيك. وان ضيعت وصيتى فلا يكونن غائب أبغض اليك من الموت ، ولن تعجزه .

« خلتان »

دخل الوليد بن عبد الملك المسجد فرأى شيخا هد كيانه الزمن ، وأحنى ظهره الكبر ، فاقترب منه ، وقال له مداعبا :

ألا تؤثر الموت يا شيخ ؟

قال الرجل : لا يا أمير المؤمنين .. لقد ذهب الشباب وشره ، وأتى الكبر وخيره ، فأنا الآن اذا قمت حمدت الله ، واذا قعدت ذكرته ، وأحب أن تدوم لى هاتان الخلتان .

« أيقبل الله العاصى اذا تاب ؟ »

دخل عتبة على الحسن البصرى — رضى الله عنه — وكان يفسر قوله تعالى : **« ألم يأن للذين آمنو أن تخشع قلوبهم لذكر الله »** وقد أفاض البصرى فى تفسيرها ، حتى أبكى الحاضرين ، وبكى عتبة وكان فاجرا يعاقر الخمر ، ويزور النساء ، فلما سمع تفسير الشيخ لهذه الآية ، قام فقال : أيقبل الله — تعالى — الفاسق الفاجر مثلى اذا تاب ؟ !!

فقال له الشيخ : نعم يقبل الله — تعالى — توبتك فاصفر لونه ، وارتعدت فرائصه ، وصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه . فلما أفاق قال : يا شيخ هل قبل الرب الرحيم توبة العبد اللئيم ؟

فقال الشيخ : وهل يقبل توبة العبد الجافى ، الا الرب المعافى ؟

فرفع عتبة رأسه ، وقال : الهى ان كنت قد قبلت توبتى ، فاكرمنى بالفهم والحفظ ، حتى أحفظ ، كل ما سمعت من القرآن، الهى أكرمنى بحسن الصوت ، الهى أكرمنى بالرزق الحلال ، وحدث من شهر عتبة بعد ذلك ، أن الله جلت قدرته ، من عليه بالثلاثة .

« من صحبنا فليصحبنا بخمس »

قال عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — : من صحبنا فليصحبنا بخمس ، والا فلايقربنا .

يرفع الينا حاجة من لايستطيع رفعها .

ويعيننا على الخير بجهده .

ويدلنا من الخير ما لا نهتدى اليه . ولا يغتابن أحدا .

ولا يعترض فيما لا يعنيه .

فانصرف عنه الشعراء والخطباء وثبت عنده الفقهاء والزهاد .

« بين أبى حنيفة ومالك »

حضر الامام أبو حنيفة عندما ذهب الى المدينة ، درس الامام مالك — رضى الله عنهما — ولم يكن يعرفه ، وألقى الامام مالك : سؤالا على أصحابه ، فأجابه أبو حنيفة . فقال مالك : من أين هذا الرجل ؟

قال أبو حنيفة : من العراق .

فقال مالك — متفكها — : من أهل بلد النفاق والشقاق !!

فقال أبو حنيفة : أتأذن لى أن أقرأ شيئا من القرآن ؟

قال : نعم .

فقرأ ، « **وممن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل العراق مردوا على النفاق** » .

فصرخ مالك ، قائلا : ما قال الله هكذا !

فقال أبو حنيفة : كيف قال — تعالى — ؟

قال مالك ، قال تعالى : « **ومن أهل المدينة مردوا على النفاق** » .

فصاح أبو حنيفة ، قائلا : الحمد لله ! حكم الامام على نفسه ووثب من مجلسه !

ثم عرفه مالك ، فأكرمه غاية الاكرام ! .

« دافع الخطرة »

دافع الخطرة فان لم تفعل صارت فكرة ، فدافع الفكرة فان لم تفعل صارت شهوة فحاربها ، فان لم تفعل صارت عزيمة ، فان لم تدافعها صارت فعلا ، فان لم تتداركه بضده صار عادة فيصعب الانتقال عنها .

« أحسن الأشياء »

قيل لحكيم : أى الأشيئا خير للمرء ؟

قال : عقل يعيش به .

قيل : فان لم يكن .

قال : فاخوان يسترون عليه .

قيل : فان لم يكن .

قال : فمال يتحبب به الى الناس .

قيل : فان لم يكن .

قال : فأدب يتحلى به .

قيل : فان لم يكن .

قال : فصمت يسلم به .

قيل : فان لم يكن .

قال : موت يريح منه العباد والبلاد .

« وصية »

ان أردت أن تذم أحدا فذم نفسك ، وان اردت أن تعادى أحدا فعادى بطنك ، فليس لك عدو أعدى منها ، وان أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله ،وان أردت

أن تترك شيئا فاترك الدنيا ، وان أردت أن تستعد لشىء فاستعد للموت ، وان أردت أن تطلب شيئا فاطلب الآخرة .

« أمام الله .. أنت مسئول عن كل هؤلاء » !!

لقى هارون الرشيد ، ابراهيم ابن أدهم فى موسم الحج فأوقفه ابن أدهم ، فقال :

يا هارون باسمه مجردا .

قال : لبيك يا ولى الله .

فقال ابن أدهم له : انظر خلفك فنظر هارون .

ثم قال له : انظر عن يمينك فنظر وعن شمالك فنظر ، ثم قال له : أنظر أمامك .

قال : أترى كل هؤلاء الناس ؟

قال : نعم .

قال : فان كل واحد من هؤلاء مسئول عن نفسه ، أما أنت فمسئول عنهم جميعا ، فانظر بما تجيب ربك غدا !! وترك ابراهيم، هارون الرشيد يبكى .

« من أقوال الحكماء »

اذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا فى خير .

واذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه يشير عليه طبعه أن لا يفعل .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفتاوى

الاستاذ عبد الحميد شاهين

س : حدث كسوف الشمس واستعد العلماء فى شتى أنحاء العالم لرصد هذا الحدث واستقبله الناس بصور مختلفة .. فما هو هدى الاسلام عند حدوث هذه الظاهرة ؟

ج : لا شك أن الشمس والقمر من نعم الله الكبرى . وتأثيرهما على حياة الانسان والحيوان والنبات وغيرها لا يقدر . يقول الله تعالى : **« وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ،وآتاكم من كل ماسألتموه وان تعدوا نعمةالله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار »**[1] .

وذهاب نور الشمس أو ضوء القمر ــ كليا أو جزئيا ــ الذى يحدث عند الكسوف والخسوف مما يبعث فى النفس الرهبة والخوف لما يوحيه من **مشاهد** القيامة **« فاذا برق البصر وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الانسان يومئذ أين المفر »** (٢) .

وقد كان هناك فى الجاهلية من يعظم الشمس والقمر ويتوجه اليهما بالعبادة ، ولهذا جاء النهى عن ذلك فى قوله تعالى : **« ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس**

---

(١) الآيتان ٣٢ ، ٣٣ من سورة ابراهيم .
(٢) الآيات من ٧ ــ ١٠ من سورة القيامة .

ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون»(١)٠

كما كان هناك من يظن أن كسوف الشمس أو خسوف القمر يكون لموت عظيم أو حياته تعظيما له أو حزنا عليه ٠

وقد صح أن كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعض الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم ، فلما سمع النبى عليه الصلاة والسلام مقالتهم خرج اليهم فزعا من تلك المقالة ، وحرصا على عقيدة أمته من أن يتسرب اليها شىء من ضلال الجاهلية ودخل بهم المسجد وصلى بأصحابه صلاة الكسوف ودعا الله حتى انجلت الشمس ثم خطب الناس ٠

فعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : « انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

يوم مات ابراهيم فقال الناس انكسفت الشمس لموت ابراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى تنكشف » متفق عليه واللفظ لمسلم وللبخارى من حديث أبى بكرة : « فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم » ٠

وقد استدل بهذا الحديث وغيره على مشروعية صلاة الكسوف فذهب الجمهور الى أنها سنة مؤكدة ونقل عن أبى حنيفة أنه أوجبها ٠

أما كيفيتها : فقد اتفقوا على انها ركعتان ولكنهم اختلفوا فى عدد الركوعات فى كل ركعة فذهب الجمهور الى انها تصلى ركعتين ، فى كل ركعة ركوعان : يقرأ فى القيام الأول من الركعة الأولى الفاتحة وسورة ثم يركع ثم يرفع ويظل قائما ويقرأ الفاتحة وسورة

---

(١) الآية ٣٧ من سورة فصلت ٠

ثم يركع ثم يرفع ويسجد سجدتين ثم يقوم للركعة الأخرى فيفعــل كما فعل فى الركعة الأولى ٠

وبهذا أخــذ مالك والشــافعى والليث وأحمد وغيرهم ٠

يقول الامام أبو حامد الغزالى رضى الله عنــه (وهــو شــافعى المذهب) فى كتاب أسرار الصــلاة من احياء علوم الدين :

« فاذا كســفت الشــمس فى وقت ــ الصــلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة ــ تــؤدى الصــلاة جامعة ، وصلى الامام بالناس فى المســجد ركعتين ٠ وركــع فى كل ركعة ركوعين أوائلهما أطــول من أواخرهما ، ولا يجهر ٠

فيقرأ فى الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحــة والبقــرة ، وفى الثانية الفاتحــة وآل عمران وفى الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفى الرابعة الفاتحة وســورة المائدة ، أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ٠

ولو اقتصر على الفاتحة فى كل قيام أجزأه ، ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ٠

ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء ٠

ويسبح فى الركوع الأول قــدر مائة آية ، وفى الثانى قدر ثمانين، وفى الثالث سبعين ، وفى الرابــع خمسين ٠٠٠ وليكن السجود على قدر الركوع فى كل ركعة ٠

ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلســة ٠ ويــأمر النــاس بالصدقة والعتق ، والتوبة ٠

وكذا يفعل بخســوف القمر الا أنه يجهر لأنها ليلية ٠

فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف الى تمام الانجلاء ٠ فان انجلى فى أثناء الصلاة أتمها مخففة أ هـ ٠

وذهبت الحنفية الى أنها تصلى ركعتين كسائر النوافل ٠ ويصلى بهم امام الجمعــة ، ولا يجهر ولا يخطب ، فان لم يكن صلى الناس فرادى ٠٠٠ ويدعون بعدها حتى تنجلى الشــمس ٠ وفى خســوف القمر يصلى كل وحده ٠

س : شاب كثير الاحتلام يسأل هل المنى نجس أم طاهر ؟

ج : اختلف العلماء فقالت الشافعية المنى طاهر على ألا يخالطه نجس واستدلوا على طهارته بالأحاديث الدالة على الاكتفاء بفركه أو حكه . وحملوا الأحاديث التى تأمر بغسله على الندب . وأن الغسل ليس دليل النجاسة . فقد يكون لأجل النظافة أو ازالة الدرن ونحوه ... الخ.

ومن الذين قالوا بنجاسة المنى الحنفية ولكن قالوا يطهره الغسل اذا كان رطبا ويجزىء فيه الفرك يابسا ... وللأخ السائل أن يأخذ بما هو أيسر له « **ما يريد اللـه ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** »[1] .

عبد الحميد شاهين

---

(١) الآية ٦ من سورة المائدة .

من أنباء العالم الإسلامي

توجيهات هامة من
الرئيس السادات
لوزير الأوقاف

حفظة القرآن في باكستان

دعا فضيلة الدكتور وزير الاوقاف الى مؤتمر صحفى عام حضره مندوبو الصحف والمجلات وقد بدأ فضيلته الحديث باسم الله •• ثم بين أنه تم لقاء بينه وبين رئيس الجمهورية وكانت لسيادة رئيس الجموهرية توجيهات حكيمة ورشيدة من بينها : العناية بالمسجد •• وحماية أموال الأوقاف ، مجلس أعلى للشئون الاسلامية من المفكرين فى العالم •

أصدر الرئيس محمد أنور السادات توجيهات الى الدكتور زكريا البرى وزير الأوقاف بالعناية بالمسجد ورسالته فى مجال الدعوة الاسلامية وتحفيظ القرآن الكريم ، ووضع القواعد التى تضمن الحفاظ على قدسية وممارسة وحماية العبادة ومدارس العلم والمعرفة •• وأن يتحمل الوزير مسئوليته الكاملة فى حماية أوقاف المسلمين بشتى الوسائل والطرق القانونية والتشريعية والتنفيذية •

كما تضمنت توجيهات الرئيس أن يبدأ الوزير فى تشكيل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بحيث يكون التشكيل نواة لجامعة الشعوب الاسلامية وذلك بعضوية رجال الفكر الاسلامى والقيادات فى مجال التجمعات الشعبية الاسلامية فى جميع أنحاء العالم الراغبين فى خدمة الاسلام وقضاياه •

وقال الدكتور البرى : أرى من واجبى تنقية المساجد من الشوائب التى تسىء الى الاسلام ولا سيما فى الموالد حيث تتحول المساجد الكبرى الى مطاعم وأماكن للنوم مما يخرجها عن دورها ورسالتها كدور للعبادة والصلاة والتقرب الى الله تعالى •• وانه قد اتفق مع مشيخة الطرق الصوفية للاعداد لذلك وترشيد السلوك الصوفى عن طريق اختيار المحتسب الصوفى ليكون مرشدا وموجها اسلاميا ـ وفى الوقت نفسه يتم تشكيل مجلس ادارة لكل مسجد للحفاظ على رسالته ونظافته •

وقال الوزير : بالنسبة لسياسة

الوزارة فى تحفيظ القـــرآن الكريم فقد تقرر تحويل مقارىء المساجد الى جمعيات لتحفيظ القرآن الكريم على أوســـع نطاق .. وقال : انه سيتم توحيد الدعوة الاســـلامية لمنع الازدواجية فى العمل .

حفظة القرآن فى باكستان

المقرىء الأول فى باكستان يقول:

فى جمهورية باكستان الاسلامية يوجـــد ٥٠ خمســـون ألف مواطن باكستانى يحفظون القرآن الكريم عـــن ظهـــر قلب ، ولكنهم للأسف الشديد لا يفهمون معانيه . يجب أن لا تكون هنـــاك قطيـــعة بـــين الشعوب الاسلامية فى كـــل الدول الاســـلامية حتى ولو اختلفت أو تخاصمت الحكومات .

ثم يقـــول :

علماء الدين الاسلامى يجب أن يستفاد بهم فى كل مكان ولا تجوز مقاطعتهم حتى ولو كانت هنـــاك مقاطعة لحكوماتهم .

مجمع اللغة العربية

الادارة العامة للمجمعـــات واحياء المراقبة العامة لاحياء التراث

مسابقة احياء التراث

لعـــام ١٩٨٠ م

يعلن مجمع اللغة العربية عن جائزة ســـنوية قيمتهـــا ٥٠٠ (خمسمائة جنيه) تمنح لأجـــود مايقدم اليه من التراث العـــربى الذى ينشر لأول مرة محققـــا تحقيقا منهجيا فى اللغة العربيـــة بالشروط الآتية :

١ ـــ أن يكون العمل المقدم فى متن اللغة العربية أو فى أحـــد علومها . أو فى نص من نصوصها الأدبية (شعرا أو نثرا) .

٢ ـــ تعد النصوص من التراث العـــربى اذا كانت مؤلفة باللغـــة العربية قبل نهاية القرن الثانى عشر الهجـــرى .

٣ ـــ أن يكون المقدم عملا كاملا (لا يقل عن خمس وعشرين ملزمة من ذوات الست عشرة صفحة) .

٤ ـــ أن يكون العمل المحقق مما لم يسبق نشره أو تحقيقه .

٥ ـــ ألا يكون مـــن منشورات مجمع اللغة العربية فى القاهرة .

٦ ـ ألا يكون قد مضى على نشره أكثر من ثلاث سنوات ، والمعتبر فى ذلك تاريخ آخر جزء (ان كان ذا أجزاء) .

٧ ـ ألا يكون قد نال جائزة ما ـ من المجمع أو من غيره من الجهات والهيئات الاخرى .

٨ ـ يجوز أن يكون العمل المقدم من تحقيق فرد أو أكثر ، كما يجوز أن يشارك المحقق ـ أو المحققين ـ مراجع أو أكثر ، وفى حالة تعدد المحققين أو مشاركة المراجعين توزع الجائزة على الجميع بالتساوى .

٩ ـ يستوى فى التقدم الى هذه الجائزة المصريون وغيرهم من المشتغلين بتحقيق التراث العربى فى البلاد العربية والاسلامية وكذلك المستشرقون من غير العرب والمسلمين .

١٠ ـ يقدم المتسابق خمس نسخ من العمل المحقق الى المجمع باسم الأستاذ الدكتور الأمين العام للمجمع وليس له الحق فى استردادها .

آخر موعد للتقدم الى الجائزة هو ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٨٠ م .

كتاب الشهر

دلالات التراكيب

دراسة بلاغية - تأليف الدكتور محمد أبو موسى

دراسة

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

هل تنطلق البلاغة العربية من ميادين التراث البلاغى والنقدى لعلمائنا الأصلاء القدامى أو من نظريات الغرب وأفكاره البيانية التى يكشف عنها علماء النقد والبيان فى أوربا ، أو منهما معا ؟

ان البلاغة العربية تراث حافل خالد ملىء بالذكاء والطبع والتفكير الرصين ، والاستنتاج الرزين .. ولكننا لن نستطيع دراستها من خلال هذا التراث الا اذا كان لها اجتهادات كبيرة فيه ، وزيادات واسعة عليه ، واضافات عميقة اليه .

وهنا ، فى كتاب « دلالات التراكيب » يدرس الدكتور المؤلف محمد أبو موسى بعض الاصول البلاغية فى البيان العربى ، على ضوء من تراث السلف ، وبخاصة تراث الامام عبد القاهر الجرجانى ، صاحب كتابى « دلائل الاعجاز » ، و «أسرار البلاغة» ، مع اجتهادات ملائمة ومفيدة لموضوع الدراسة وطبيعتها .

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه الذى بين أيدينا : قضت هذه الدراسة على منهج القدماء ، ذلك المنهج الذى يقوم على تأمل التركيب وتحليله ، والتعرف على ما أودعه فيه صاحبه من فكر وحس ، تعرفا يفرط فى الجد والتقصى .

ويقول : منهج القدماء فى التحليل البلاغى يقوم على الادراك الواعى للفروق بين أحوال التراكيب ، وأن هذه الاحوال قادرة على أن تكون مسارب جيدة تتساب منها مواجيد النفس ، فعكفوا على هذه الاحوال ، وهذه المسارب وساءلوها عما أودع القوم فيها من أنفاس نفوسهم ، وخلجات أفئدتهم ..

«وأقول : ان سيبويه ومنسبقه من النحاة ارتبط تفكيرهم النحوى بهذا المنزع الذى لا أخطئه ، وهو تحليل السليقة اللغوية ، وكأنه ضرب من التحليل النفسى للغة ، أو ضرب من مدارسة الفكر والمنطق الكامن وراء هذه اللغة » .

ويوضح كذلك منابع هذه الدراسة فيقول : « جدت هذه الدراسة فى الاستمداد من هذه المنابع (أى التراثية طبعا) ، واصطنعت هذا المنهج فيما عرضته

من أبواب وهى على يقين من سداده فى فهم الأدب، وتذوقه تذوقا يقوم على البصر بأحوال اللغة ، والتعرف على ما يستكن فيهـا من أسرار . وهى ترى أن التذوق ليس هـو الاستمتاع بجمال العمارة فحسب، وانما هو مع ذلك وعى بما تحتويه العبارة من فكر وحق ، وما ترمى اليه من مرام قريبة أو بعيدة ، وما تفصح عنه بصوت مسموع أو توسوس به وسوسة خفية ، أو تغمغم به غمغمة مكتومة لا تلامس الا قلة من ذوى البصر بأحوال هذا اللسـان » ص ٩ مقدمة الكتاب.

ويؤكد ذلك فيقول : واذا كانت هذه الدراسة تجد فى أن ننتفع بهذا المنهج القديم المثمر ، فان لها رأيا فى الوجه الذى تراه نافعا فى دراسة تراث العلماء فليس المهم هو فهم هذا التراث ومناقشته فقط ، وانما المهم هو شىء بعد ذلك ، هو فقهه وتمثله وادارته فى العقل والقلب . المهم هو نفض مقالتهم والتفتيش فى ظاهرها وباطنها على فكـرة نافعة » ــ ص ١٠ ، ١١ من المقدمة.

ــ ٢ ــ

يتناول المؤلف فى كتابه أسلوب القصر بالدراسة فى نحو السبعين والمائة صفحة ، وأسلوب التقديم كذلك فى نحو العشرين صـفحة ، وأساليب الانشاء ، فى أكثر من مائة صفحة ، وأساليب الفصل والوصل فى نحو الثمانين صفحة .. ولاشك أن هذه الموضوعـات هى من أهم موضوعات البلاغة العـربية ، التى يقف عندها الباحث متأنيا مستلهما التراث والذوق جميعا يعرض آراء البلاغيين القدماء ، وآراء البلاغيين الجـدد ، ويناقش كل رأى وكل فكرة ، معتمـدا عـلى ذوق أدبى أصيل ، وثقافة عربية واسعة .

ويسـتمر المؤلف فى الدراسـة والبحث ، حتى نهـاية الكتاب ، مسترشـدا بذوقه وفطنتـه الى أعماق الأسرار فى التركيب البلاغى ومهتديا الى الرأى الامثل حـين يختلف البلاغيـون والنقاد معا فى الفهم والتحليل والتعليل .

ــ ٣ ــ

ومن أمتع صور البحث فى الكتاب

دراسته للمناسبات البلاغيــة بين انجمل ، ولأحوال الوصل وأحوال الفصل فيها • وفى دراسته للقصر أثار كثيرا من البحوث والمســائل انبلاغية ، وناقش كثيرا من الآراء ، ونقد ما يستحق النقد منهــا ، فى ذكاء وحذر شـــديدين وما أكثر ما عرض له من مسائل وقضـــايا بلاغية ونقدية فى كتابه •

فى بحث « انما » مثلا يعــرض لمعنى انما ودلالتها كمــا صــوره عبد القاهر الجرجانى ، ثم يناقش رأيه والأدلة التىذكرها البلاغيون، ويحلل ملاحظـــات لأبى عـــلى الفارسى ، ثم يستقصى طبيعـــة المعنى الذى يأتى بانما ، ويحــلل الشواهد على ذلك ويســـتقصى البحث فى هذا المجــال استقصـــاء واسعا ، ويخرج بنتائج جــديدة مثمـــرة فى البحث عن بلاغـــة الأسلوب •

وهكذا يتميز بحث الدكتور محمد أبو موسى بتعمق التراث ، وبتحكيم الذوق ، وبمناقشة الآراء القديمــة والجديدة معا ، والوصول الىالرأى المحص الدقيق الســليم ، مــع الأسلوب المبســط ، الخــالى من التعقيد والاصطلاحية ، والغموض، وذلك مما يجعل لهذا البحث قيمته العلمية الرفيعة الخصبة المثمــرة •

ونحن لا نملك الا أن نقـــول للمؤلف : ياليت البحث البلاغىيجد من أشباه تلك العنـــاية المرموقة ما يضىء السبيل نحو بلاغة عربية أصيلة متجـــددة تماشى الذوق والطبع والفطرة والوجدان ومشاعر الانسان ، ولا يقعد بها سوء الفهم أو سوء التحليل والتأويل والتعليل•

ان فى الجهد المبــذول فى هــذا الكتاب ، لاضاءة ، جديدة لدروب البحث البلاغى الذى اكتنفته على طول العصور المتـــأخرة ســحب كثيفة قادته الى مسارب الظــلام واللامبالاة معــا •

وفى ختام هذا الكلامأحيىءالمؤلف الدكتور أبا موسى ، وأســتنهض همته فى الدراسة والبحث حــول كل ما يتصل بالبـــلاغة العربيــة وتراثها الدفين •

دكتور محمد عبد المنعم خفاجى

فهرس العدد

الموضوع **صفحة**

مطابع مؤسسة روزاليوسف



مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى
مدير المجلة
محمد صابر البرديسى
العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦

الجزء السادس — السنة الثانية والخمسون — رمضان سنة ١٤٠٠ هـ — اغسطس سنة ١٩٨٠ م

فى رحاب رمضان
توجيه ودعاء

لفضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر

يأتى رمضان كل عام •• ويطل على المسلمين مشرقا وضيئا •• ليجدد الهمم •• ويوقظ العزائم •• ويدفع بها الى العمل الصالح •• ويمدها باليقين والايمان •• لأن شهر رمضان مدرسة قدسية يتعلم المسلمون فيها دروسا عملية •• تقودهم الى الخير •• وتهديهم الى الطريق القويم الذى يحقق لهم سعادة شاملة فى دنياهم وأخراهم ••

لو أننا نظرنا الى رمضان نظرة سليمة فاحصة لتكشفنا أنه ما شرع الا لغايات نبيلة •• ومقاصد شريفة •• ولا تتفق بحال مع تلك النظرة السطحية التى تقف بمفهوم الناس لرمضان عند حد لياليه الساهرة ••

وأنواره الباهرة •• والتهام ما لذ وطاب •• والاقتصـــار عـــلى مظاهر شكلية •• لا تؤتى ثمرا •• ولا تحقق هدفا ••

فالصوم فى الحقيقة نزهة للقلب •• وفسحة للروح •• تســمو بصـاحبها الى عالم علوى من الســمو والجلال •• حيث يتجرد من شهواته •• وينتصر على نزواته ونزعاته •• متفرغا لطاعة ربه وخالقه ومولاه •• متنائيـــا عن المعاصى والذنوب والآثام •• متقربا الى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيــه •• لأن الصـــوم تجريد للنفس من الهــوى •• وتغلب على ما تهفــو اليــه من جنــوح وانحــراف •• فالصوم فى جوهره لم يكن مقصـورا على الامســاك عن الطعــام والشراب •• بل هو منوط بالامتنــاع عن كل حرام •• ليكون ذلك تلقينا للمسلم للالتزام بأحسن الفضائل •• والتزود بأطيب الشــمائل • والتحلى بأروع القيم •• ليصبح فى ذلك مثلا أعلى •• وصورة متألقة للانسانية الكاملة •• فالصائم يتلقى من صيامه دروسا عملية فى الصبر والجلد •• والصمود والمثابرة •• تؤهله لمواجهة الصعاب والمشـقات بايمان ثابت •• وارادة قوية لا تلين ولا تعرف الضعف أو الوهن •• كما تتأصل فى أعماقه جذور الأمانة •• تلك الأمانة التى تمثلت فى صيانته لدينه •• وحفاظه على هذه الفريضة •• حتى ولو كان بعيدا عن أعين الرقبـــاء •••

فضلا عما يترتب على الصيام من احساس بالجوع والعطش •• لندرك ما يقاسيه الفقراء الذين تتلوى بطونهم من الحرمان •• والمساكين الذين لا يجـــدون ما يطفىء غلتهم أو يقيم أودهم •• فنمــد لهم يد العطف والشفقة والحنان •• ومن هنا : نرى رمضــان شـهرا مبـاركا ميمونا •• لأنه موسم للطاعة •• وميدان للعبادة •• وفلك قدسى تطوف فى رحابه قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا •• ويفوزوا برضـــوان ربهم بعدأن قدموا أحسن الأعمال ابتغاء وجهه الكريم •••

فعلى كل مسلم أن يستشعر جلال هذا الشهر ، ليتخذ منه وسيلة الى الخلاص •• وطريقا الى الله•• بالكف عن المحارم •• والبعد عن المعاصى •• والاعراض عن الشبهات •• ومجانبة الفساد •• والاقبال على الطاعات •• وفعل الحسنات •• والتحلى بمكارم الأخلاق •••

وانى اذ أهنىء قوافل الاسلام فى كل مكان بحلول شهر الصيام •• يطيب لى أن أدعوهم الى التمسك بما يمليه علينا ديننا من الترابط والتآلف والتراحم والتعاطف •• والتآخى والتعاون •• ونبذ الخلاف والشقاق •• والتفرق والانشقاق •• تحقيقا للوحدة •• وتجميعا للكلمة •• وتوحيدا للصف •• وتمثيلا للقوة •• وتأكيدا للمجد والكرامة •• واستجابة لقول المولى تبارك وتعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » •• وتلبية لقول رسوله الكريم : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » •• فلنستقبل شهر رمضان وجوها مستبشرة •• وقلوبا متفتحة •• وأرواحا صافية •• وأيادى متصافحة •• فى ظلال ديننا الحنيف •• ورحاب شريعتنا السمحاء •••

ولا يسعنى — ونحن فى مطالع شهر الرحمة — الا أن أتوجه بالدعاء والضراعة مبتهلا الى المولى سبحانه أن يجعل هذا الشهر فاتحة خير وبركة •• وبارقة أمل ورجاء •• لأن يوفق المسلمين الى الحق والنور •• ويضفى عليهم سرابيل المجد والشرف •• والعز والكرامة ليكونوا كما وصفهم فى كتابه الحكيم « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » •••

دكتور
محمد عبد الرحمن بيصار
شيخ الأزهر

الأهداف المرجوة من الصوم كيف تتم ؟ ومتى تتحقق ؟

لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

يتجـه كثير من المسلمين الى صوم رمضان استجابة لعاطفتهم الدينيـة ، وتقاليدهم التى ورثوها عن الآباء والأجـداد دون أن يتفكروا ويتأملوا فى الأهـداف المرجوة من الصـوم والتى أرادها الله عز وجل وحينمـا فرض على المسلمين صوم هذا الشهر من كل عام ، حيث يقول : « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (١)** » ، ويقول : « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » (٢) .

وقليل من المسلمين من يصوم رمضان لأنه قد فكر فى أثر الصوم والحكمـة التى أرادها الله منه ، واقتنع بعد هذا التفكير فلبى نداء العقل والعاطفة معا . واستجاب بعد صوت الضمير لصوت المنطق القويم والعقل السـليم ، ..

والنتيجة الحتمية لذلك أن يصبح كثير من المسلمين ينفذون أوامر الدين تنفيذا لا يعتمد على التفكير والتأمل ولا يستند الى الاقتناع بالحجة والدليل ولكنهم يصومون لأن الله أمرهم بالصيام ، ويصومون لأنهم ورثوا تلك العادة عن أسلافهم من قديم الزمان .. وأغلب الظن أن يكون هذا الاتجاه

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٣ .
(٢) سورة البقرة آية ١٨٥ .

وما يماثله فى العبادات الأخرى هو السبب فى أن المسلمين ينفذون القانون السماوى فى ظاهره لا فى جوهره فى كثير من الأحيان ..

والواقع أن الدين لم يأمر بالصوم رغبة فى تجويع الناس وحرمانهم . ولكن لتقوية الارادة فى النفوس وكبح جماحها عن المعاصى المهلكة والشهوات المردية ، واذن فكل صائم يمسك عن الطعام ولا يمسك عن الذنوب والآثام . أو يجوع نفسه لكى يملأ بطنه من الحرام بنهب أو سرقة أو تدليس أو بأية وسيلة من وسائل الاجرام .. أو يمتنع عن الأكل والشرب ولكنه يطلق لسانه فى أعراض الناس بالتشهير بهم أو بقول الزور والبهتان . كل من كان على هذا الوضع المشين من الصائمين فصيامه مردود عليه ولا يستفيد من هذا النصب والتعب شيئا ، ولا يكسب من صيامه الا الجوع والعطش والحرمان ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كم صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » ويقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » (١) .

**

والله عز وجل قد فرض الصوم لصلاح الأبدان وتقوية الأجسام وذلك أن المعدة وهى بيت الداء لها طاقة محدودة . وهى بلا شك تكل من كثرة العمل واستمراره . فكان صوم رمضان فترة راحة واستجمام فيه صلاح المعدة ونشاطها وفى ذلك صلاح الجسم وقوته ونشاطه .

ولكن كثيرا من الناس ينفذون الصوم بطريقة تجعله مضيعة للصحة ومهلكة للأجسام ، فهم يجعلون من هذا الشهر معرضا لألوان الأطعمة الشهية ويتفننون فى الطرق المغرية على الاسراف فى هذا السبيل .. ونتيجة ذلك أنهم يثقلون المعدة ويتخمونها بما يحشدونه على موائدهم فى

---

(١) رواه البخارى .

وجبات الافطار والسحور من مختلف الأطعمة . وهكذا يقضون هذا الشهر كله فى اثقال المعدة بالأطعمة فيعرضون أنفسهم للأسقام والعلل . وبذلك تنعكس الآية ويضيع الغرض المنشود من الصيام ، وليس العيب فى الصوم انما العيب فى أولئك الذين جهلوا حكمة الصوم أو تجاهلوها . فصيروا الدواء داء وقلبوا النعمة والخير الى نقمة وشر ووبال .

**

والله عز وجل قد فرض الصيام ليشعر الغنى بمرارة الجوع فيعطف على الفقراء البائسين والمساكين المعوزين . ولكن كثيرا من الأغنياء يصومونه دون أن يشعروا بمرارة الجوع فهم يحاولون أن يغيروا سنة الله حيث يقلبون الليل نهارا والنهار ليلا ويجعلون الليل للسعى والعمل ، والنهار للنوم والكسل والخمول ، ويقضون ليلهم ساهرين يأكلون ويتمتعون . ونهارهم نائمين لا يغدون ولا يروحون

وتكون النتيجة أن الكثير من الأغنياء يصومون رمضان ولكنهم لا يحسون بمرارة الجوع والحرمان . وتظل قلوبهم على شدتها وقسوتها فلا يعطون محروما ولا ييسرون على معسر . وبذا تضيع الحكمة المنشودة فى الصيام وتذهب الفائدة المرجوة منه .

ويعجبنى فى هذا المعنى ما ذكره الامام أبو حامد الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين حيث يقول : « وكيف يستفاد من الصوم اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته صحوة نهاره وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن ندخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل فى عدة أشهر ، ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى ، واذا استمرت المعدة خاوية من أول النهار الى آخره حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها . وانبعث من

الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها » .

**

فالصوم مدرسة أخلاقية يتعلم الناس فيها الدروس النافعة والمبادىء الهادية ، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المرشد الأول للأمة الاسلامية يصوم رمضان فيضرب للناس أروع الأمثال فى تحقيق حكمة مشروعية الصيام . وهو القائل : « الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم (١) » . وكان أصحاب الرسول الأبرار وأصفياؤه الأطهار يسيرون على آثاره ويستضيئون بأنواره فتصوم ألسنتهم عن اللغو والهذيان والكذب والبهتان .

وتصوم جوارحهم عن الآثام والعيوب والمعاصى والذنوب . وكانوا يحققون حكمة الصيام فلا يتخمون المعدة بأثقال الطعام حتى لا تتعرض أجسامهم للعلل والأسقام . ولا غرو فهم يعلمون أن الحياة وسيلة للآخرة . وأن الآخرة هى الغاية الدائمة وهى دار الخلود والقرار ، ومن أجل ذلك سمت أرواحهم عن الماديات . وزهدوا فى الاسراف فى متاع الدنيا فلم تشغلهم دنياهم عن آخرتهم ، بل أخذوا من الدنيا والآخرة دون افراط أو تفريط فلم يسرفوا لم يقتروا وكان بين ذلك قواما ..، وبذلك تحققت لهم الأهداف المرجوة من الصوم وهى تلك الأهداف التى تتمثل فى كلمتين اثنتين ختمت بها الآية الكريمة :«**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** » فثمرة الصيام هى التقوى والهدف المرجو منه هو التقوى ، والتقوى هى أن تمتلىء نفسك بالخوف من ربك فتتقى غضبه وتجعل بينك وبين ما يسخط الله وقاية تمنعك وتحميك ، « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث**

---

(١) متفق عليه .

لا يحتسب (١) » ، « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله نو الفضل العظيم » (٢) فمن الحق اذن على كل مسلم أن يتدبر حكمة الصيام حتى تتحقق له الثمرة الطيبة التى وعد الله بها المخلصين من عباده وهى التقوى التى هى جماع الخير وملاك الايمان ، وحتى يكون من المعنيين بهذه الأحاديث الشريفة وهى قوله صلى الله عليه وسلم : **« من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (٣)** وقوله صلوات الله وسلامه عليه : **« ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم • يقال : أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فاذا دخلوا أغلق عليهم فلم يدخل منه أحد » (٤)** وقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » (٥) •

ولاشك أن أبواب الجنة لن تفتح الا للصائمين الذين تصوم بطونهم عن الطعام وتصوم جوارحهم ونفوسهم عن الذنوب والآثام ، وهم الذين تغلق أمامهم أبواب النار • وتصفد لهم الشياطين •

ألا فليفهم المسلمون الصوم على حقيقته حتى يظهر أثره فى نفوسهم وأعمالهم • وحينئذ يبنى المجتمع الصالح الذى يتجه للخير ويهدف للكمال • وتسعد به الأمم والأجيال •

هذا •• ومن الله العون وبه التوفيق •

د / محمد الطيب النجار

وكيل الأزهر

---

(١) سورة الطلاق آية ٢ ، ٣ •
(٢) سورة الأنفال آية ٢٩ .
(٣) متفق عليه •
(٤) متفق عليه •
(٥) متفق عليه •

شهر رمضان

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

قال تعالى : « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » ..

الآيـة

الصوم شرعا : هو الامساك عن المفطرات من الأكل والشرب والجماع ، يوما كاملا من طلوع الفجر الى غروب الشمس .

والأصل فى وجوب الصيام ، الكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى فى كتابه العزيز : « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون** » (١) .

وأما السنة فقول النبى — صلى الله عليه وسلم — : « بنى الاسلام على خمس » ذكر منها صوم رمضان ، وعن طلحة

---

(١) الآية رقم ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ من سورة البقرة .

ابن عبيد الله أن رجـلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ثائر الرأس ،فقال يارسول الله أخبرنى ماذا فرض الله على من الصيام ؟ قال شهر رمضان • قال هل عـلى غيره ؟ قال لا الا أن تطوع شيئا قال فأخبرنى ، ماذا فرض اللـه على من الزكاة ؟ فأخبره رسـول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام ، قال : والذى أكرمـك لا أتطوع شيئا ، ولا أنقص ممـا فرض الله على شيئا ، فقال النبى « صلى الله عليه وسلم » « أفلح ان صدق » أو « دخل الجنـة ان صدق » متفق عليهما •

وأجمع المسلمون على وجـوب صيام شهر رمضان •

وان أعظم منزلة لشهر الصيام، نزول القرآن ، فيه هدى للناس ، فكان الصيام احتفاء بنزول القرآن هدى للناس •

« فمن شهد منكم الشـهر فليصمه » فمن علم بهلال شـهر رمضان ليلة الثلاثين من شـعبان رؤية ، أو علم بحكم القـاضى بثبوت الرؤية أو بتيقنه ممن رآه أو أخبر بالحساب الدقيـق فليصمه •

« عن ابن عمر قـال : تراءى الناس الهلال ، فأخبرت رسـول الله ـ صـلى الله عليه وسلم ـ «أنى رأيته ، فصام وأمر بصيامه» رواه أبو داود •

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: « جاء أعرابى الى النبى صـلى الله عليه وسلم فقال : انى رأيت الهلال ، يعنى رمضان ، فقـال : أتشهد أن لا اله الا الله ؟ قـال نعم • قال : أتشهد أن محمـدا رسول الله ؟ قال : نعم ، قـال : يا بلال أذن فى الناس فليصـوموا غـدا » •

رواه الخمسة الا أحمـد ـ فتكفى شهادة الواحد العـدل • وتكفى شهادة الاثنين العدلين فى شهادة رؤية شهر شوال فى آخر يوم من رمضان •

وعن عائشة رضى الله عنهـا قالت : كان رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) يتحفظ من هلال شعبان مالا يتحفظ من غـيره ، يصوم لرؤية رمضان ، فان غـم

عليه عد ثلاثين يوما ثم صام ، رواه أحمد •

وعن أبى هريره ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم ، فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » رواه البخارى ومسلم •

واذا تعارض الحساب والرؤية للعدل الثقة ، قدمت الرؤية ، ويؤخذ بالحساب الموثوق به بالمراصد وغيرها عند عدم الرؤية وان لم يعلم أكمل شعبان ثلاثين يوما •

وقيل يعتبر لأهل كل بلد رؤيتهم ، ولا يلزم رؤية غيرهم ، حكاه ابن المنذر عن عكرمة ، وحكاه الترمذى عن أهل العلم •

وقيل : انه لا يلزم بلد رؤية غيرهم ، الا أن يثبت ذلك عند الامام الأعظم «متى وجد الامام» وحينئذ يلزم الناس كلهم لأن البلاد فى حقه كالبلد الواحد •

والرأى الثالث ، ان تقاربت البلاد كان الحكم واحدا ، وهو الأقرب والأولى لجمع وحدة المسلمين •

وتجب النية من الليل فى صيام رمضان دون النفل ، يقول ابن عمر عن حفصة عن النبى « صلى الله عليه وسلم : « من لم يجمع الصيام قبل الفجر ، فلا صيام له » رواه الخمسة •

والنية محلها القلب ، فتحصل بالاستعداد للصوم ليلا والسحور للصوم •

وقد روى البخارى فى صحيحه عن أنس ابن مالك قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » « تسحروا فان فى السحور بركة»

ويسن تعجيل الفطر ، وتأخير السحور •

قال صلى الله عليه وسلم « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور » رواه أحمد •

واذا أكل الصائم أو شرب ناسيا ، فيتم صومه ، وصومه صحيح ، روى البخارى عن النبى صلى الله عليها وسلم قال « اذا نسى فأكل وشرب ، فليتم صومه ، فانما أطعمه الله وسقاه » •

ومن شرب أو أكل متعمدا أثم وعليه القضاء ، ومن جامع فى نهار رمضان فعليه الكفارة ، وهى عتق رقبة ، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ، ويقضى اليوم .

ومن كان مريضا أو على سفر فله الأفطار ، وعليه القضاء — ومن كان مريضا مرضا لا يرجى شفاؤه كمرض الشيخوخة ، وما ماثله ، فليطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه .

الحائض والنفساء لا يصح منهما الصوم ، ويحرم صومها ، فيفطران ويقضيان الصوم . ويجوز للحبلى والمرضعة الافطار والقضاء وزاد بعض أهل العلم ، الاطعام عن كل يوم مسكينا .

واذا غلبه القيء فصومه صحيح بخلاف تعمد القيء ، واذا وصل غبار طريق الى حلقه أو دقيق لمزاولة لا يفسد الصوم .

ومن طلع عليه الفجر ، وهو يأكل أو يشرب فتوقف ، ومج الفاضل فلا يفسد صيامه .

وابتلاع ريقه لا يضر ، ويكره له أن يذوق الطعام ، ولو ذاقه ومجه فلا يفسد صيامه — ولايضر بالصيام الحقنة فى الجلد أو العضل أو العرق لأنها من طريق غير طبيعى ، بخلاف الحقنة الشرجية .

ويسن الفطر على تمر وماء ، لقول الرسول « صلى الله عليه وسلم « اذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فان لم يجد ، فليفطر على ماء فانه طهور » رواه الخمسة الا النسائى ، وعن معاذ بن زهرة أنه بلغه أن النبى « صلى الله عليه وسلم » كان اذا أفطر قال « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت » رواه أبو داود .

ان الصائم متجه بروحه الصافية فى شهر الخير ، شهر القرآن ، شهر الصيام — الى مولاه فى كل وقت ، مؤمنا ، وعابدا ، وداعيا ، ومضاعفا للخيرات فى شهر الغفران ، قال « صلى الله عليه وسلم » (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى

« صلى الله عليه وسلم » أجــود الناس بالخير ،وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان فيدارســـه القــرآن فلرسول الله « صــلى الله عليــه وســلم » اجود بالخير من الريح المرســـلة .

اقبال على الله بمضاعفة الجود والرحمة والبر والخير فى شهر فيه ليلة القدر فى شهر القرآن .

ومن هنا كانت آداب الصــوم بفعل الخــيرات ، والبعــد عــن الآثام ، قال « صلى الله عليــه وسلم »« من لم يدع قول الزور، والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

وفى شــهر رمضــان ليلة بألف شهر هى ليلة القدر .

عن عائشــة رضى الله عنها، أن رسول الله « صلى اللــه عليــه وسلم » قال « تحروا ليلة القــدر فى الوتر فى العشر الأواخــر من رمضان » .

من أجــل ذلك كان يضـــاعف الرسول « صلى الله عليه وسلم » العبادة والعمل فى العشر الأواخر عن عائشة قالت كان النبى « صلى الله عليه وسلم » اذا دخل العشر شد مئزره ، وأحيا ليلــه ، وأيقظ أهله .

وكان يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان ، فعن عائشة رضى الله تعالى عنها ، « أن النبى صلى الله عليه وســلم كان يعتكــف العشر الأواخر من رمضــان حتى توفاه الله تعــالى ، ثم اعتكف أزواجــه من بعده » .

صلاة التراويح جمع ترويحة ، وهى المرة من الراحة ، وســميت الصلاة فى الجماعة من رمضـــان ، «التراويح» لأنهم أول ما اجتمعوا عليها كانوا يســـتريحون بين كل تسليمتين وجاء فى صحيح البخارى عن أبى ســلمة بن عبد الرحمن ، أنه سأل عائشة « رضى الله عنها : كيف كانت صــلاة رســـول الله « صــلى الله عليه وســـلم » فى رمضان ؟ فقالت ، ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احــدى عشرة ركعة ، يصــلى أربعا فــلا

تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا فقلت : يا رسول الله : أتنام قبل أن توتر ؟ قال يا عائشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبى » .

وجاء فى صحيح البخارى عن عبد الرحمن بن عبد القارى أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » ليلة فى رمضان الى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلى الرجل لنفسه ، ويصلى الرجل ، فيصلى بصلاته الرهط ، فقال عمر : انى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد كان أفضل ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون ، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله .

فمن أراد أن يصلى التراويح احدى عشرة ركعة أو عشرين ركعة فله ذلك .

وزكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والفحش وقدرها صاع عن كل فرد وهو قدح وثلث بالكيل المصرى ، فتجزىء الكيلة عن ستة اشخاص وتكون من غالب قوت البلد من القمح أو الشعير أو السلت والذرة والدخن والأرز والتمر والزبيب والأقط (وهو لبن يابس نزع زبده) ويجوز دفع القيمة بالنقود .

عن ابن عباس قال (فرض رسول الله صلى‌الله عليه وعلى‌آله وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغووالرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات) رواه أبو داود وابن ماجه .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق الأمة الاسلامية الى مافيه خيرها وصلاحها كما نسأله تعالى أن يوفق ولاة أمور المسلمين الى جمع شملهم وتوحيد صفوفهم واعلاء كلمة الله .

والله ولى التوفيق

دكتور الحسينى هاشم

من وحي رمضان

للاستاذ محمد صابر البرديسي

قال تعالى : « **يا أيها الـــذين آمنــوا كتب عليكم الصيام كمــا كتب على الذين من قبلكم لعلــكم تتقون** » (١) .

تشريع الصيام ، ليس جـديدا فى شريعة الاسلام ، وانما هـــو تشريع قديم شرعـــه الله للأمم السابقة .

وحينما تشعر النفس بأنها ليست منفردة بما تطالب به ، وانما سبق لأجيال ، وأمم مضــت ، أن كلفت بهذا النوع من الصيام فانهـــا تقبل عليــــه ، وتستريح لـــــه ، بلا مضض أو حرج أو استياء ..

والغاية من الصوم تفهـم من قوله تعالى « **لعلكم تتقون** » هى الوقاية التى تقى الصائم ، وتحول بينه وبين الوقوع فى المحرمات ، والميل الى المنكرات .

الصـــوم يقى الفرد أن تتغلب عليه حيوانيته ، فيصير حيـــوانا لا ضابط له ..

والصــــوم يقى المجتمـــع من الانحراف ، فان المجتمع يتكون من الأفراد ، ومتى تهيأ الفرد الصالح الذى يعمل لخير المجتمع ، أصـبح المجتمع صالحا .

واذا ما اتقى الانســـان شرور نفسه ، واتقى المجتمـــع منـــــه شروره ، فقد بلغ الفرد والمجتمع غاية التقوى ، وهذا معنى قولــه تعالى « **لعلكم تتقون** » واللـــــه سبحانه وتعالى يعلــم أن التكاليف بشىء أمر شاق على النفس تحتاج فيه الى دفع واستعـــداد ، حتى تستجيب له ، وتستأنس به ولـــو

---

(١) البقرة ١٨٣ .

كان فى هذا التكليف نفع لها ، ورفعة لشأنها ، هذا الدفع يكون بشىء محبب اليها ، تطمئن اليه ، وتقنع به .

ومن هنا جاء النداء فى أول الآية بقوله تعالى **« يأأيها الذين آمنوا »** هذا النداء المحبب الى كل عبد مؤمن ، ترتاح اليه نفسه ، ويسعد به قلبه حين يسمعه ، ويستعد لتلقى ما يجىء بعده .

فاذا ما جاء بعد هذا فريضة الصوم ، وذكرت الحكمة منه ، وقع ذلك من نفس المؤمن موقع الارتياح والاستحسان .

يتضح لنا من تلك الايحاءات ، أن الدين لا يقود الناس بالسلاسل الى الطاعات ، وانما يقودهم بالحب والرغبة والايمان والاقتناع . واذا حدث أن فسد الناس فى زمن من الازمان ، فان أحسن طريق لاصلاحهم ، يكون عن طريق التوجيه بالحكمة والموعظة الحسنة لا عن طريق التشدد فى الأحكام على غير أساس .

فالاصلاح الناجح يكون بالتربية الحسنة ، والقدوة الصالحة واصلاح القلوب ، واحياء الشعور الطيب فى النفوس ، وخاصة فى الشعائر التى يتعبد بها الناس ، لأن حسابها بين العبد وربه لا تتعلق بها مصالح العباد .

ان الشريعة الاسلامية شريعة سمحة ، « ولن يشاد الدين أحد الا غلبه » يقول تبارك وتعالى **« أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا »** .

ويقول سبحانه **« ما جعل عليكم فى الدين من حرج »** ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « بعثت بالملة السمحاء » .

فالدعوة الى الله ينبغى أن تكون بالصورة التى أرادها الله ، وتقررها شريعته الغراء ، فالله أعلم بما فيه صالح العباد .. قال تبارك وتعالى : **« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن »** (١) .

هذه هى طريقة تربية هذه الأمة تربية أساسها الايمان والتقوى ،

---

(١) النحل .

ورقابة الله ، وحساسية الضمير •

وقد اختص الله شهر رمضان بمزيد من الفضل ،وعظيم الأجر •

روى عن سلمان الفارسى مرفوعا فى فضل شهر رمضان :

« من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » •

وروى أنه « يوازن يوم القيامة بين الحسنات والسيئات ، ويقاص بعضها من بعض ، فان بقى من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها الجنة » •

لكن الصوم لا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها ، بل يوفر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة ، فيوفى أجره فيها •

روى عن سفيان بن عيينة رحمه الله هذا الحديث :

« اذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ، ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لايبقى الا الصوم ، فيتحمل الله عز وجل ما بقى عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة •

الصوم سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره ، وفى الصوم ترك لتناول الشهوات ، التى يمكن تناولها عادة فى الخفاء ، فاذا ترك العبد ما تدعوه اليه نفسه طاعة لله ، وابتغاء مرضاته ، حيث لا يطلع عليه غيره ، فان ذلك يدل على كمال الايمان ، وصدق المحبة لله •

والله سبحانه وتعالى ، يحب من عباده أن يعاملوه سرا بينهم وبينه ، فلا يطلع على معاملتهم اياه سواه سبحانه وتعالى •

ومن أجل هذه النية الباطنة ، والسرية الصادقة ، أضاف الله سبحانه وتعالى الصيام الى نفسه وخصه باسناده اليه ، دون غيره من العبادات وسائر الأعمال •

روى فى الحديث القدسى أن الله تعالى يقول :

« كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » •

ومن كمال الصيام ، وتمام القرب من الله ، أن يترك الصائم المحرمات ، فمن ارتكب المحرمات ،

ثم تقرب الى الله تعالى بترك المباحات ، كان كمن ترك الفرائض وتقرب الى الله بالنوافل .

وهل يكون تمام قرب العبد من الله ، وكمال اتصاله به سبحانه وتعالى بترك المباحات ، مع مباشرته لما حرم الله ، من الكذب ، والظلم والعدوان على الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ؟

ان هذا أمر لا يقره العقل ، ولا يقبله الذوق السليم ، ويتنافى مع توجيهات الاسلام ، وأسسه التى بنى عليها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « من لم يدع قول الزور ، والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » (١) .

وفى حديث آخر « ليس الصيام من الطعام والشراب ، انما الصيام من اللغو والرفث » (٢) .

روى « اذا صمت فليصم سمعك وبصرك ، ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء » .

اذا لم يكن فى السمع منى تصاون
وفى بصرى غض وفى منطقى صمت
فحظى اذا من صومى الجوع والظما
فان قلت : انى صمت يومى فما صمت .

وقال صلى الله عليه وسلم : « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر » (٣) .

وقد روى « أن امرأتين صامتا فى عهد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فكادتا أن تموتا من العطش ، فذكر ذلك للنبى ، صلى الله عليه وسلم ، فأعرض ، ثم ذكرتا له ، فدعاهما ، فأمرهما أن يتقيآ ، فقاءتا ملء قدح قيحا ، ودما ، وصديدا ، ولحما عبيطا ، فقال النبى صلى الله عليه

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه ابن خزيمة ، وابن حيان فى صحيحهما ـ والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .
(٣) رواه بن ماجه والنسائى ، وابن خزيمة فى صحيحه .

وسلم « ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما ، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست احداهما الى الأخرى ، فجعلتا تأكلان لحوم الناس » (١) .

ومع أن الصيام فيه تمام القرب من الله ، لما فيه من اخلاص العبادة لله وترك للشهوات والمحرمات ، ففيه أيضا سمو بالروح ، وتربية للنفس ، وتنشيط للجسم ، وتحريك للعاطفة ، وتقوية للارادة ، وارغام لأنف الشيطان .

يترك الانسان فى رمضان الشبع والرى ، ومباشرة النساء ، فتسمو روحه .

يدع الصائم الرفث والفسوق والفجور والعصيان ولا يخاصم ولا يشاتم من أجل الصيام، ويتحرك لأعمال الخير ، فيصل الرحم ، ويقرى الضيف ويعين على نوائب الدهر . ومتى تعودت النفس على ذلك فانها تسلك طريقها السوى وتسير **نحو مدارج** الكمال .

يقوم الصائم ليله ، يكثر من الصلاة نهاره ، وينتقل الى بيت الله ، ويصحو للسحور ، ويمشى لأداء ما عليه من واجبات ، فتحل الهداية فى قلبه ، واذا الهداية حلت قلب امرئ تنشطت لها الأعضاء وامتلأ الجسم حيوية وحركة .

والصائم يحس بألم الجوع ، وحرارة العطش ، فتتحرك فيه فضيلة الشفقة والرحمة ، فيعطف الغنى على الفقير، ويمد له يد العون والمساعدة . فالصوم يجعل الغنى يستشعر فى نفسه الأمانة على حق الفقراء، فيعطيهم حقهم من مال الله الذى آتاه « **وفى أموالهم حق للسائل والمحروم** » (٢)

والفقراء يتذوقون مرارة الصوم ، وحينما تسعى اليهم خيرات الله على يد الأغنياء تتحرك فيهم عاطفة الحب وتملأ قلوبهم الأمانة ، فيحافظون على أموال الأغنياء ، وحينئذ يشعر الغنى والفقير بنعم الله ويحمدون

---

(١) رواه احمد فى المسند .
(٢) الذاريات (١٩) .

الله على ما تفضل به عليهم من خير ونعمة .

وفى شهر الصيام يترك الصائم بعض ما تعود عليه من عادات التدخين ، والشاى ، وكثيرا من العادات التى يتوهم الانسان أنها أصبحت ملازمة له فتتقوى بالصوم الارادة فتكون عارمة جازمة ، وتضعف عنده سلطان العادة ، وحينئذ يملك زمام أمره فيستهين بنكبات الدهر وتقلبات الزمان ، ويتغلب على مشكلات الدنيا ، ويحتمل آلام الحياة ، ايثارا لما عند الله من الرضى والثواب ..

والصائم يخلو قلبه للفكر والذكر ، فيصفو ذهنه ، وترق مشاعره ، ويطرد بالصيام وساوس الشيطان فلا يكون له عليه سلطان ، قال تعالى : **« ان عبادى ليس لك عليهم سلطان »** .

فى الصوم فوائد جمة ، ومزايا لاتعد ولاتحصى ، منها اذا استفحل الداء وعز الدواء كان الصيام خير شفاء .

وشهر الصيام رحمة وبركة ، وفيه ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن وهى خير من ألف شهر ، قال تعالى **« انا أنزلناه فى ليلة مباركة »** .. وقال تبارك وتعالى **« انا أنزلناه فى ليلة القدر وماأدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من الف شهر »** وقال تعالى **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن »** .

كانت الليلة مباركة لانها ليلة القدر ، ولأنها أنزل فيها القرآن ، وكان الشهر مباركا لأنه نزل فيه القرآن ، وفرض فيه الصيام .

والقرآن الكريم لم يعين هذه الليلة فضلا منه ورحمة ، ليجتهد الصائمون طوال شهر رمضان ، وليحيوا لياليه يتلمسون هذاالفضل ويرجون هذه البركة .

وقد ورد من الأحاديث ما يشير ، بل يؤكد تحديد هذه الليلة ، فى ليلة من جملة الليالى ، من العشر الأواخر من رمضان ، ولا عجب أن تكون هذه الليلة خيرا من ألف شهر ، فان ليلة فيها هدى ونور ، خير من دهر يمضى فى ظلام

وضلال ، فليست قيمة الايام بساعاتها ، ولا قدر الليالى بطولها وعددها ، وانما قيمة الاوقات بما يحدث فيها من خير للناس ، وهدى للبشر ، وسعادة للأمة ..

عن أنس رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا كان ليلة القدر ، نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى » .

فعلى كل مسلم أن يتزود من خير هذا الشهر المبارك ، وخير الزاد التقوى .

اللهم وفق الامة الاسلامية علماءها وقادتها الى ما فيه خير الأمة وصلاحها .. اللهم اهدهم الى محاسن دينك ، والعمل على تطبيق شريعتك ، فى كل بلاد المسلمين ، حتى يعود للأمة الاسلامية مجدها وتقود معاركها من نصر الى نصر ، والله سبحانه ولى التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

محمد صابر البرديسى

« الصائم المحتسب »

الصائم المحتسب لا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا مطمئنا هادئا ، قد يصيبه فتور فى جسمه ولكن روحه تظل قوية متيقظة .

الصائم المحتسب لا يغضب فى رمضان مما كان يغضب منه فى غيره ، ولا يمل مما كان يمل منه وهو مفطر ، لأن صيامه لله ، وصبره بالله ، وجزاءه على الله .

من كتاب توجيهات الاسلام

لفضيلة الامام المرحوم الشيخ محمود شلتوت

دراسات قرآنية

سورة الطارق

لفضيلة الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى « والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ ، فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » الخ •

لماذا أقسم الله بالسماء والطارق ؟

وكيف خلق الانسان من ماء دافق ؟

وما هو المقصود من الصلب والترائب ؟

البيان

لاشك أن عددا من الاسئلة يدور فى ذهن قارئى هذه السورة وسامعيها ، وأن الاجابة على تلك الاسئلة تريح قلوب المؤمنين ، وتزيد علم المتعلمين ، وتفتح الطريق الى حق اليقين •

(وأول هذه الاسئلة) :

لماذا يقسم الله بمخلوقاته ، فى حين أنه تعالى حظر علينا أن نقسم بغيره ؟ فلا يحل لنا أن نقسم بالملائكة أو الانبياء ، ولا بالآباء أو الأولياء ، ولا بالسماء وزينتها من النجوم ، وانما نحلف بالله الحى القيوم •

والجواب على هذا السؤال : أنه تعالى انما أقسم بها وهو خالقها ، لكى يوجه عباده الى معرفة آياته فيها لا الى تقديسها ، ويشير الى

ذلك نحو قوله تعـــالى : « **ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليـــل والنهار لآيـــات لأولى الألباب** » (١) .

أما اذا أقســـم البشر فانهم ينحرفون الى تقديسها وعبادتها ، كما فعل البابليون ، حيث عظمــوا الكواكب ليتقربوا بها الى الله ، ثم عبدوها ، ثم رمزوا اليها بأصنام عبدوها لتقربهم اليها ، فازدادوا بذلك بعدا عن الذى خلقها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضـــحاها ، فأرسل الله اليهم خليله ابراهيم ، لينهاهم عن عبادتها ، ويصرفهم الى عبادة خالقها ، فلما لم يمتثلوا حطم أصنامهم خفية ، فلما عرفوا أنـــه هو الذى حطمها ، أو قدوا له نارا وألقوه فى الجحيم ، فجعلها اللـــه عليه بردا وسلاما .

(وثانى هذه الاسئلة) :

ما معنى السماء لغة وما المقصود بها هنا ؟

والجواب على هذا السؤال أن سماء كل شىء ما علاه ، فســـماء البيت عرشه ، وسماء المستظـــل ظله ، والعلماء سماء العامـــة ، يستظلون بهم من نار الشـــبهات ، وهجير الجهالة ، وأنت تسمو على أقرانك أى تعلوهم ، والمطر سماء لعلوه ، ومنه قول الشاعر :

اذا نزل الســماء بأرض قــوم
رعينـــاه وان كانــوا غضـــابا

أى اذا نزل المطر بأرض قــوم رعينا الكلأ الذى نبت بسببه، وان لم يرض صـــاحب الارض التى نبت بها ــ كذلك يقول الشـــاعر متناسيا حق المالك فى أرضه .

والمراد بالسماء فى لسان الشرع غالبا : السماء ذات النجوم ، وقد تطلق على السحاب ، كما فى قوله تعالى : « **وأنزلنا من السماء ماء طهورا** » أى : وأنزلنا من السحاب ماء عظيم الطهارة بليغ النقـــاء ممـــا يلوثه ، مطهرا لغـــيره من أدرانه .

والمراد بالسماء هنا : الســـماء ذات النجوم ، وهل النجوم مــن

---

(١) آل عمران ١٩٠

السماء أو هى السماء فى لسان الشرع ؟ والذى يبدو لنا أنها غير السماء فى لسان الشرع ، وأن هذه المغايرة ظلت خفية على المفسرين والباحثين ولم يتنبهوا لها ، فان النجوم والكواكب تسبح فى فضاء الله ، وهى زينة للسماء الدنيا وليست منها ، قال تعالى فى سورة الملك : **« ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح »** وقال فى سورة ق : **« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج »** وقال فى سورة الصافات : **« انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب »** •

ولا شك أن الزينة حلية يزدان بها غيرها ، فان الزينة غير ما يزدان بها ، ألا ترى أن القلادة زينة لصدر المرأة وليست هى صدر المرأة ، فكذلك النجوم زينة للسماء الدنيا وليست هى السماء الدنيا ، وذلك واضح من منطوق النص الكريم ، كما أنه واضح من حديث المعراج ، فان المعراج لم يكن الى الكواكب ولكنه كان الى السماوات •

ولقد قرأت مرة أن بعض (التلسكوبات) البعيدة المدى ، اكتشف بعض العلماء بالنظر فيها خلف الكواكب والنجوم والمجرات ما يؤكد ظاهر النص القرآنى ، من وجود سماوات وراءها لا يعرفه حقيقتها سوى علام الغيوب ، وهكذا يبقى القرآن مفتاحا لغيوب لم تدركها عقول البشر !! وقد يدركون بعضها ، وبالجملة فانه سر الله المصون !!

أما هذه الزرقة التى نرى الكواكب والنجوم تلمع فى وسطها ، فهى زرقة الغلاف الجوى ، وقد اخترقه أولئك الرحالة الذين وصلوا الى القمر ، فلما جاوزوه لفهم الظلام حتى وصلوا الى الغلاف الجوى للقمر •

والسؤال الثالث :

الطارق والنجم الثاقب

ما هو الطارق الذى أقسم الله به مع السماء ؟

وفيما يلى مقدمة تسبق الجواب:

والجواب : أن الطارق قد يطلق فى عرف اللغة على سالك الطريق ، لانه يطرقها فى سيره ، ثم غلب على

من يأتى ليلا ، لانه يكثر مجيئة ، والأبواب مغلقة فيطرقها ، ثم اتسع فى معناه فأصبح يطلق على ما يظهر بالليل حتى الصور الخيالية ، كما فى قول الشاعر :

طرق الخيال ولاكليلة مدلج
سدكا بأرحلنا ولم يتعرج (١)

والمراد بالطارق هنا عند الجمهور : الكوكب الظاهر فى الليل، اما على أنه اسم جنسى لكل كوكب ، أو هو كوكب معين ـ كما سنبينه ان شاء الله تعالى .

ويعظم الله أمر هذا الطارق فيقول « **وما أدراك ما الطارق** » وكأنه يقول : وأى شىء أعلمك أيها المخاطب ما هو الطارق الذى أقسم الله به ، انه لعظمة شأنه لا يعرف المراد منه أو حقيقته الا بالتلقى من العليم الحكيم ، ثم كشف عنه كشفا خفيفا فقال : « **النجم الثاقب** » يعنى ان الطارق الذى أقسم الله به هو النجم الذى يثقب الظلام بضوئه ، وهو جنس يشمل كل نجم يثقب الظلام بسناه ، أو هو نجم بعينه نوره أقوى ، وشعاعه أسرع ، وحجمه أكبر ومن العلماء من فسره بالجدى ـ نقلا عن ابن عباس ـ ومنهم من قال : انه الثريا نقلا عن ابن زيد ، فانه يكثر اطلاق اسم النجم عليه عند العرب ، وقيل هو زحل وهو أبعد السيارات وأرفعها وأقواها ضوءا ـ كما قال قدامى المنجمين .

وانما قلنا أبعد السيارات ، لأن الجدى والثريا أبعد منه بكثير ، وليسا من الكواكب السيارة حول الشمس ، ومنهم من قال هو كوكب الصبح .

وسواء كان هذا أو ذاك ، فكل منها دال على عظمة الله العلى الكبير ، حيث سيرها الله فى الفضاء بقدرته ، وأبدعها بحكمته ، وأنار بها المسالك للسالكين فى جنح الظلام ، وهدى بها المدلجين فى الصحارى ، والماخرين ليلا فى لجج البحار ، فما أعظمك أيها الخالق

---

(١) المدلج السائر فى الليل والسدك بفتح السين وكسر الدال المولع ، والأرحل بالحاء المهملة جمع رحل ، وهو ما يجلس عليه راكب الابل ، والتعرج الميل والانعطاف .

القدير ، والمدبر الحكيم . ثم أجاب على القسم بقوله سبحانه :

« ان كل نفس لما عليها حافظ »

أى ما كل نفس (١) الا عليها حافظ يحفظها أو يحفظ أعمالها ، أما الحافظ لها : فهو الملك الموكل بكل انسان ، يحفظه من الكوارث التى تحل بجواره أو فيه ، وينفذ مشيئة الله بنجاته ، كالرجل ينجو من سقوطه من مكان مرتفع ، أو انهيار منزل فوقه ، أو غرق سفينة كان بها وقد مات راكبوها ، أو الامتناع عن أكل طعام لا يعلم أنه مسموم ، أو غير ذلك من المهلكات التى ينجيه الله منها ، بأسباب خارجة عن ارادته وبغير تدبيره ، ولولا حفظ الله لهلك (٢) .

وأما الحافظ لأعمالها : فهو الملك ، الذى وكله الله بتسجيل أعماله خيرها وشرها فى صحيفة ليقرأها يوم القيامة ، ويعرف منها مصيره وجزاءه ، والناس يومئذ فريقان : (مؤمن تقى) يتناول كتابه بيمينه ، فيحس بالسعادة تغمر مشاعره ، (وكافر شقى) يتناول كتابه بشماله ، فيشعر بالشقاوة تغطى أحاسيسه ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة الحاقة :

« فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ، انى ظننت أنى ملاق حسابيه ، فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ، وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ، ولم أدر ماحسابيه ياليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه » الآيات

ولهذا الملك وصفان — الرقابة والثبات — وفى ذلك يقول الله تعالى : « ما يلفظ من قول الا لديه

---

(١) (فان) هنا بمعنى ما النافية ، و (لما) بمعنى الا ، وهى لغة مشهورة فى هذيل وغيرهم ، نقله أبو حيان عن الأخفش .

(٢) وفى ذلك يقول الله تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » اى يحفظونه بأمره تعالى .

رقيب عتيد » أى مراقب ثابت .

ويصح أن يراد من الحافظ : المولى سبحانه ، فهو مهيمن ورقيب كما قال تعالى : **وكان الله على كل شىء رقيبا »** وقال الشاعر :

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقيب

عجائب خلق الانسان ومصيره

بعد أن بين الله فيما سبق أن كل نفس عليها حفظة يحفظونها ويحفظون أعمالها ، أمر الله الانسان أن يتأمل فى مبدأ خلقه ، ليستيقن بالبعث والجزاء ، ويعمل من الصالحات ما ينجيه من سوء المصير فقال سبحانه : **« فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » الآيات .**

أى : فليتأمل الانسان من أى شىء خلقه الله بعد خلق أبيه آدم من تراب ، لقد خلقه الله بطريقة أخرى غير الطريقة التى خلق بها أباه ، وذلك أنه تعالى خلق فيه الرغبة الجنسية ، فاذا ما اتجه بها نمو أنثاه استجابت له ، وخرج من كل منهما عند الوقاع ماء دافق سريع الانصباب ، مدفوع بقوة الغريزة الجنسية التى أعدها الله لذلك فى كل من الرجل والمرأة .

وانما قال من ماء دافق ، مع أن الجنين مخلوق من ماءين ، ماء الرجل وماء المرأة — كما سنشرحه — لأن الماءين بامتزاجهما صارا ماء واحدا ، أو أن المعنى : خلق من ماء دافق يخرج من كل من الزوجين فيلتقى بالماء الآخر ، فيحصل التلقيح والحمل ، وقد حدثتنا الآية أن هذا الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب، وزعم بعض قدامى المفسرين فى تفسيره : أنه يخرج من بين صلب الرجل ، وهو عظام ظهره ، وترائب المرأة ، وهى عظام صدرها ، حيث موضع قلادتها ، وادعى هؤلاء أن هذا التأويل منقول عن ابن عباس .

وهذا غير صحيح نقلا ولا موضوعا :

أما نقلا : فلأنه لم يروه عن الحبر ابن عباس من يوثق به بل رووا خلافه .

وأما موضوعا : فلأن صدر المرأة ليس وعاء لمنيها كما ثبت ذلك تشريحيا ، كما أن عظام الظهر ليست موضع المنى ولا مخرجه فى الرجل.

وانما مخرج المنى ومصنعه الأساسى : « الخصيتان فى الرجل ، والمبيضان فى المرأة » .

والصواب فى فهم الآية : أن المعنى : يخرج الماء الدافق من جميع أجزاء البدن فى كل من الرجل والمرأة ، فخروجه من بين الصلب والترائب كناية عن ذلك .

وتفصيل ذلك : أنه عند الوقاع تثور الشهوة الجنسية فى جميع البدن ، فينصب الدم الى الخصيتين فى الرجل والى المبيضين فى المرأة ، ثم يتحول فيهما الى نطفة ، وتشتمل نطفة الرجل على الحيوانات المنوية ، ونطفة المرأة على بويضة تخرج منها مرة كل دورة شهرية ، ثم تلتقى النطفتان فى القناة الفالوبية ، التى تصل بين رحم المرأة ومبيضيها ، ويحصل التلقيح للبويضة بأقوى الحيوانات المنوية داخل القناة المذكورة ، وتنقسم بسرعة الى خليتين ، والخليتان الى أربع ، والأربع الى ثمان وهكذا ، وبعد أربعة أيام ، تنزل خلايا كثيرة جدا من القناة الفالوبية الى الرحم ، وتظل تتكاثر داخل الرحم ، وفى اليوم الثالث من نزولها الى الرحم تلتصق بجداره ، وهذا هو القرار المتين للنطفة ، وقد رتب الله لها غذاءها فى داخل الرحم ، وبعد خمسين يوما تكون النطفة قد انعقدت جنينا طوله ثلاثه سنتيمترات ، وبعد ثمانين يوما يكون طوله ثمانى سنتيمترات ، ووزنه خمسة وعشرين درهما وهذا الطور يسمى طور العلقة ، لأن الجنين عالق بجدار الرحم ، ويشبه فى تعلقه بها تعلق الدودة بما تمسك به ، ويبدأ بعد ذلك طور المضغة ، ويمكث أربعين يوما أخرى فوق الثمانين السابقة ، ويكون الجنين فى آخرها قد أتم مائة وعشرين يوما ، أى : أربعة أشهر ، ويكون قد تم خلقه فينفخ فيه الروح حينئذ ، ويكون طوله بعد أربعة أشهر ثمانية عشر سنتيمترا ، ووزنه سبعين درهما ، ويبدأ فى الحركة فى بطن أمه ، ويزيد وزنه

وطوله ، حتى يحين زمن فصاله وخروجه من رحم أمه كما قدره الله تعالى ، فيخرج باذن الله صالحا للحياة خارج الرحم ، وينتقل غذاؤه من رحم أمه الى صدرها ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وقد عبر الله عن خروج المنى من الجسد كله بخروجه من بين الصلب والترائب على سبيل الكناية كما قلنا لأن الترائب أطراف البدن كما جاء فى القاموس ، والصلب موضع العصب النازل من الدماغ ، ومنه تتوزع الشعيرات العصبية على جميع الجسد ، وله دخل عظيم فى نقل ايحاءات المخ الى الدورة الدموية ، فهو الذى ينقل الاحساس بالشهوة اليها فيثيرها ، وتتنزل سلالة من الدم الثائر الى الانثيين والمبيضين ، فيتحول فيهما الى منى .

وكأن ابن عباس كان يعيش بيننا فى عصر الحقائق العلمية ، حيث حمل الترائب على أطراف الانسان وعينيه ، كما نقله عنه مكى ، وروى الحسن عن قتادة : يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبهما ، وهذا هو المعنى الذى رأينا الأخذ به .

وبهذا التأويل رددنا كيد بعض الملاحدة الى نحورهم ، اذ طعنوا فى الآية بأن المنى لا يتولد من بين الصلب والترائب ، بل ينفصل من الجسد كله ليأخذ الجنين طبيعة أصله وصورته ، فان التأويل الذى ذكرناه هو المقصود من الآية الكريمة ، وبه يأخذ الجنين صورة أصله ، وهو المتفق مع رد الرسول صلى الله عليه على بعض النساء ، فقد ورد أن امرأة سألت النبى صلى الله عليه وسلم : « هل على المرأة من غسل اذا هى احتلمت » ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم اذا رأت الماء » فقالت احدى النساء : « أو تحتلم المرأة يا رسول الله ؟ » قال : نعم ، فبم يشبهها ولدها ؟ » .

تلك هى خلاصة الحديث ومعناه واضح .

ولما بين الله خلق الجنين على هذا النحو العجيب ، عقبه ببيان

أن من قدر على ذلك فهو قادر على بعثه لجزائه ، حيث قال :

« انه على رجعه لقـــادر ، يوم تبلى السرائر ، فمـــاله من قـــوة ولا ناصر » أى : انه تعالى عـــلى رجع الانسان الى الحياة بعد الموت لقادر لا يعجزه أن أصبح عظامـــا نخرة وحطاما مبعثرا فان من قدر على خلقه من ماء مهين ، قادر على أن يعيد له الحياة التى فـــارقته وفارقها ، فهو الذى يقول للشىء كن فيكون ، ومن سلب الحياة فهـــو قادر على ردها .

ولقد بين الله تعالى أن رجـــع الانسان وبعثه ، سيكون يوم تبلى السرائر ، أى يوم نكشف الامور الخفية من العقائد والنوايا وسائر الأعمال ، فتبدو واضحة لصاحبها ولأهل القيامة ، وليس له فى ذلك اليوم من قوة يمتنع بها ، ولا ناصر ينتصر به ، **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »** . نسأل الله السلامـــة فى هذا اليوم الرهيب .

مصطفى محمد الحديدى الطير

« ما يقوله الصائم عند الافطار »

كان النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ اذا أفطر قال :

اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطـــرت ، ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر ان شاء الله تعالى .

إلى المسلمين فى كل أنحاء العالم

للأستاذ أحمد حسين

الى المسلمين فى مشرق الدنيا ومغربها ، لا الى الدول فحسب ، من أمثال الدول العربية وتركيا وباكستان وبانجلاديش ، ولا حيث يمثلون الاغلبية فى دول أفريقية أو أسيوية ، ولا حيث هم يجاهدون لاثبات الذات ، فى قبرص أو أريتريا والفلبين وغيرها ، أو حيث هم أقلية مسحوقة كزنوج الولايات المتحدة الأمريكية ، وانما أوجه حديثى الى هؤلاء وغيرهم من المسلمين فى كل مكان وركن فى العالمين ، الى حيث لا يذكر عددهم لقلتهم أو الخوف من بأسهم اذا كثروا ، الى المسلمين فى دول أوروبا بشرقها ، أو غربها ، أو فى جزر الدنيا المتناثرة عبر البحار ، الى حيث يوجد مسلم واحد ، فليست العبرة بالكثرة أو القلة ، « **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله** » .

وتاريخ الاسلام لم يقم فى يوم من الأيام على الكثرة ، وكل معارك الاسلام بدأ بمعارك الرسول صلوات الله وسلامه عليه — ومرورا بأعظم معاركه عبر التاريخ ، كالقادسية واليرموك ، وانتهاء بحطين وعين جالوت لم يكن المسلمون هم الأكثر عددا ، وانما كانوا كما يجب أن يكونوا دائما ، هم الأشد ايمانا والآخذين بجانب الحق والعدل الالهيين .

الى هؤلاء المسلمين ، حيثما كانوا وأينما كانوا وكيفما كانوا ، ولقد زعموا أن عدتكم تبلغ ٨٠٠ مليون مسلم ، والله يشهد انهم لكاذبون تصورا منهم أنهم يغضون

من شأنكم اذ يقللون من عددكم ، وانكم لأكثر من ذلك ، ولكن العبرة ليست بالعدد كما قدمت ، فقد فتح المسلمون دنيا عصرهم وقهروا القوتين العظميتين (الفرس والروم) وعددهم لا يتجاوز بضعة ألوف وهذا هو ما يجب أن يتكرر الى هؤلاء جميعا أوجه هذه الرسالة .

من هو العبد الفقير :

ومن حق من يتلقى الرسالة ، أن يعلم من صاحبها ، فكاتب الرسالة ليس ملكا ، ولا هو رئيس أو كبير، أو صاحب مال أو جاه وانما صاحب هذه الرسالة عجوز (فوق السبعين) مشلولا شللا كاملا منذ أكثر من عشر سنوات .

ولكنه والحمد لله نشأ من أبوين مسلمين وعاش فى طاعة الله ما وسعه الجهد، ولم يبرح الاسلام خاطره فى يوم من الايام .

فأنشأ فى صباه أى منذ أكثر من ستين عاما جمعية (نصر الدين الاسلامى) وعندما كبر وشب عن الطوق وكان ممن أخذوا بروعة المدنية الأوربية ، فنقل عنها الاشتراكية ، حرص على أن يجعلها اشتراكية اسلامية من الألف الى الياء حتى رأى نفسه فى غفلة ، وأن الاسلام بمبادئه وتعاليمه ، فى غنى عن كل المسميات وكل النظم وكل التعاليم التى لم ترد فى القرآن ، ومن أجل ذلك فهو يكتب هذه الرسالة ويودعها خلاصة معارفه وتجاربه عبر السنين ، ويعهد بها الى المسلمين كافة وليبلغ الشاهد الغائب وبهذا يكون الكاتب قد أدى الامانة فاشهد اللهم .

بعض التعاليم الاسلامية :

ولأسق الآن بعض المبادىء والتعاليم التى تعتبر فى الوقت الحاضر ذروة الحضارة الانسانية ، وتعمل أمريكا وأوربا بشرقها وغربها ، للوصول اليها وتحقيقها ولكن دون جدوى ، أقول فلأسق بعض هذه المبادىء ونرى أنها كانت سارية ومطبقة بالفعل لأنها من صميم التعاليم الاسلامية المنصوص عليها فى القرآن والسنة .

الحرية والاخاء والمساواة :

وهى مبادىء ثلاثة عظيمة ، قيل انها من صنع الثـورة الفرنسية ، ومنهـا سرت الى بقيـة أوروبا وأمريكا ، والثورة الفرنسية لم تقم الا فى الثلث الأخير من القـرن الثامن عشر ، حيث نادى بهـا الاسلام وطبقها بالفعل منذ القرن السادس واليك النصوص •

الحـرية :

ــ لكم دينكم ولى دين •
ــ لا اكراه فى الدين •
ــ فمن شاء فليؤمن ومن شـاء فليكفر •

ويقول عمر بن الخطاب لعمرو ابن العاص يؤنبـه عـلى بعض تصرفاته : « ياعمرو متى استعبدتم الناس وقـد ولدتهم أماتهـم أحرارا » •

فاذا علمت أن الدين فى حيـاة المسلم ، هو كل شىء ، هو حيـاته كلها ، أدركت ، أنه اذ يدع غـيره وما يعتقد ، هو تغليب للحـرية الانسانية ، على الحياة نفسهـا ، ولن تدرك عظمة هذا المبدأ الـذى طبقه الاسلام بالفعل الا اذا علمت أن فى الاتحاد السوفييتى ، وفيما يدعـو له من تعاليم لتطبـق فى العالمين ، لا يسمح لمن يدين بغير الشيوعية بالبقـاء ، وتعتبـر المجتمعات الرأسماليـة نفسها فى ذروة الرقى والتقـدم لأنها تسمح (على مضض) بوجود أحـزاب شيوعية بين ظهرانيها •

أما أوروبا فى العصور الوسطى فلـم تكن تسـمح بالحيـاة (الكريمة) لمن لم يكن مسيحيا •

الاخـاء :

أما ثانى مبدأ قامت عليه الثورة الفرنسية ، وشادت عليـه أوروبا حضارتها المزعومة ، فهو (الاخاء) وفى ذلك يقول القرآن الكريم •• « **انما المؤمنـون اخوة** » وحيث ظلت كلمة الاخاء الفرنسية مجرد لفظ براق خال من كل مضـمون ، فقد كان المجتمع الاسلامى كله ، سواء فى الكل أو التفاصـيل يبنى على هذه الاخوة •

المسـاواة :

قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم « المسلمون سواسية كأسنان المشط » والاسلام كله مبنى على هذه المساواة •

الاشتراكية :

ننتقل الآن الى نظام حديث ، زعموا أن العقل الأوربى قد ابتكره لتحقيق قدر من العدالة الاجتماعية ، ونعنى به الاشتراكية حيث النظام أحد أركان الاسلام الخمسة ، وأعنى به الزكاة ولا يخطئن أحد فيتصور أن الزكاة هى الضرائب ، فالضرائب تدفع فى مقابل خدمات تؤديها الدولة ، أما الزكاة فهى حق الفقراء فى أموال الأغنياء ، أى أن أروع مافى الاشتراكية ، وهو تأمين كافة أفراد المجتمع ضد العوز والحاجة هو أحد أركان الاسلام •

التعاون :

ومن النظم التى ابتكرتها ما أطلق عليه اسم « الحضارة الغربية » نظام التعاون ، ليعالجوا بعض مفاسد الجشع فى جنى الأرباح ، وهذا التعاون هو لب المجتمع الاسلامى وجوهره ، وهو الذى يحقق كل المبادىء السابقة ويضعها موضع التطبيق ، يقول رسول الله •• صلى الله عليه وسلم — « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » •

وجاء فى القرآن الكريم•• « **وتعاونوا على البر والتقوى** » ومن هنا كان التعاون بأدق معانيه وتفاصيله ، هو سدى الحياة الاسلامية ولحمتها ، ولا داعى لذكر الأمثلة فالمجتمع كله ، كان قائما على التعاون •

النظام والنظافة :

وتزعم الحضارة (التى وصفت بأنها غربية) أنها تقوم أول ماتقوم على النظام والنظافة ، حيث نرى أنفسنا أولا وقبل كل شىء على أساسين من أسس العبادة الاسلامية ، فالصلاة الجماعية لا تكمل الا اذا سادها النظام فيطلب الامام دائما من المصلين أن يسووا صفوفهم ، وفى الصلاة

فى الحرمين ، المكى والمدنى ، فى أيام الحج صورة لا مثيل لها فى الدنيا كلها ، حيث ينتظم قرابة مليون مصل فى صفوف خلف الامام ، أما عن النظافة : فشىء بدوره لا مثيل له فى العالم ، فالصلاة لا تصح الا بعد غسل (أى استحمام) والمسلم مطالب أن يتوضأ قبل أى صلاة ، وعددها خمس فى اليوم الواحد .

التمييز العنصرى :

ونصل الى مشكلة من أعقد مشاكل ما يسمونه بالحضارة الغربية ، وهو التمييز العنصرى ، وهو يسرى مسرى الدم فى هذه الحضارة المزعومة ، ويتصور الكثيرون أنها وقف على التمييز بين الألوان ، هى عامة وشائعة وتعتبر مثلا أعلى فى بعض النظم (التقدمية) فالشيوعية على سبيل المثال تعمل على القضاء على من تسميهم « بورجوازيين » وفى عهد الاستعمار كان كل مستعمر يضع نفسه بطبيعة الحال فوق الشعوب التى نكبت باستعماره .

وهكذا ..

وما التمييز بين اللون الأبيض والأسود الا أحد مظاهر هذا التمييز .

وقد برىء المجتمع الاسلامى من هذا الرجس ، فأوامر القرآن الصارمة ، ونص كلام الرسول يحرم هذا التمييز لأى سبب من أسباب اللون أو الجنس أو القبيلة ، وبديلها فى العصر الحديث (الوطنية) يقول الرسول صلوات الله عليه ، ما معناه : « لا فضل لعربى على عجمى أو أبيض على أسود أو أحمر الا بالتقوى » .

والرسول فى ذلك يردد المبدأ القرآنى الذى أوحى اليه .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وكان انعدام التمييز العنصرى بكافة أنواعه وتفريعاته ، نصا وروحا هو أحد الأسس التى قام عليها المجتمع الاسلامى .

الوحدة الانسانية :

وأخيرا انتهت الحضارة الغربية

المزعومة الى فكرة توحيد البشرية (من الناحية النظـــرية) فكانت عصبة الأمم وخليفتها هيئة الأمم وكلتاهما نادتا بقانون عام يعلـــو القوانين المحلية ، ولا يزال كـــل ذلك بطبيعة الحال (حبـــرا على ورق) حيث ان المبدأ عنصر أساسى فى الحضارة الاســـــلامية فالبشر جميعا أمة واحدة يعلوهـــا قانون السماء • **« وان هذه أمتكم أمـــة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »** •

ونستطيع أن نمضى فى هـــــذا السرد حتى نصل الى أدق التفاصيل مثل آداب المائـــدة ، والاستئذان وكل صنوف التعامل مما قـــــررته الانسانية عبر ألوف الســــنين ، وأصبح يطلق عليه مدنية وحضارة ونقله الأوربيون عن المســـلمين فى العصور الوسطى ، فسادوا وعزوا بهـــذه المبـــادىء والتعاليم ، حتى تفوقوا على المسلمين أنفســــهم (الذين كانوا قدتها ونوافى هـــذه المبادىء أو نسوها أو جهلوهـــا) واستطاع الأوربيون بفضل مانقلوه وتعلموه من المسلمين أن يقهروهم عسكريا وبالتالى أن يسيطروا عليهم ويحكمونهم وراحوا بموجب القاعدة التى تقول • (ان المغلوب يقلـــد الغالب) ينقلون عن الأوربيين ما كان الأوربيون قد سبق أن نقلوه عنهم ، من نظام ونظافة وعلم •• الى آخره •

ولا عيب فى ذلك وانما العيب فى أن يتصور المسلمون أن الغربيين هم الذين ابتدعوا هذه المبادىء وأن سر تخلف المسلمين هو فى تمسكهم بالاســـــلام ، حيث يشهد الواقع والتاريخ بغير ذلك على ما قدمنا •

كيف ومتى نقـــل الأوربيـــــون الحضارة الاسلامية ؟

وقبل أن نمضى قدما فى تبيان رسالة المسلمين اليوم فنريـــد أن نوضح لمن لم يكن يعلم ، متى وأين وكيف نقل الأوربيون الحضـــــارة الاسلامية •

وبـــداءة ذى بدء فليعلم من لم يكن يعلم أن ليس هناك ســــوى حضارة واحدة وأن الزعم بأن هناك حضـــــارة ــ شرقية وأخـــــرى « غربية » هـــــــو من تخليطات الأوربيين ومادرجوا عليه من تمييز

عنصرى فليس هناك سوى حضارة انسانية واحدة ، وهى مجموعة قواعد « السمو الانسانى » ومحاولته العيش على ظهر الارض فى أحسن حالة ممكنة .

انتهاء الحضارة الى العالم الاسلامى :

وقد نشأت الحضارة أول ما نشأت فى مصر ، وانتقلت منها الى حوض البحر الابيض كله أولا فى شرقه (اثينا) ثم الى وسطه (روما) وكان يوجد فى أنحاء أخرى فى الشرق الأوسط بعض مراكز حضارية كأشور وبابل وفارس وغيرها ، وقد انتهى ذلك كله الى الحضارة الاسلامية بعد أن أضفى القرآن على كل ما كان سليما من هذه المبادىء روحا قدسية تشهد بمصدرها وهو الله سبحانه وتعالى .

ومن هنا فقد شهد البشر عبر ألف سنة عالما اسلاميا يغص بأسمى صور الحضارة ، حيث كانت أوروبا الحديثة .. (انجلترا ــ فرنسا ــ ألمانيا ــ وروسيا) تعيش فيما أسموه بالعصور المظلمة والتى دامت أكثر من خمسمائة سنة ، ويجب أن نقف قليلا ازاء هذه الحقيقة لنعرف حدود الظلام الذى عاشته أوروبا ومداه ، وكيف دخلت مرحلة النور تحت وهج الحضارة الاسلامية

كيفية انتقال الحضارة الى أوروبا؟

كانت أوروبا كلها ، باستثناء اليونان وروما والشريط من ساحل البحر الابيض ، تعيش فى حالة قبلية يصفها مؤرخو الغرب بأنها كانت همجية بربرية ، الى الحد الذى عندما احتلت هذه القبائل الهمجية روما فى العصور الوسطى اعتبر ذلك نهاية الحضارة وبدء عصور الظلام واعتنقت القبائل المتبررة المسيحية فسرعان ماعكست جوهرها وهو المحبة والمودة والتسامح الى صورة وحشية أخذت صورة « محاكم التفتيش » التى كان أسلوبها تعذيب الجسد بأبشع صنوف التعذيب لتطهر الروح ، وكان من بين جرائم هذه المحاكم على سبيل المثال ، حرق جان دارك حية .

وعلى هذا الغرار تبعت أوروبا من مشرقها (ما عدا حوض البحر

الأبيض) لمغربها المسيحية (ذروة حضارة الشرق فى ذلك الوقت) فالجهل والقذارة هما قمة التدين ، ولا يدخل الجنة الا من أذنت له الكنيسة ،ولما كان بابا روما هو رأس الكنيسة فأصبح يصدر قرار « الحرمان » على دول بأكملها فيستحيل عليها أن تدخل الجنة ، بينما يستطيع هو أن يدخل الجنة من يشاء عن طريق « صكوك الغفران » ويطول بنا المقام لورحنا نتحدث عن أوروبا فى العصور الوسطى وحسبنا أن الاوروبيين أنفسهم هم الذين أطلقوا عليها أسم عصور الظلام .

الحروب الصليبية :

وقررت أوروبا « المظلمة » أن تقضى على الاسلام والمسلمين فأرسلت انجلترا وفرنسا والمانيا جيوشها الى فلسطين لتخليص بيت المقدس من الكفرة المسلمين ، وعندما استولت هذه القوة الطاغية على بيت المقدس ، أجروا خيولهم فى بحار من دماء المسلمين واليهود، واسترد صلاح الدين بيت المقدس بعد هزيمة الصليبيين فى موقعة حطين ، وتصرف وفق التعاليم الاسلامية من رحمة وتسامح وبعد عن الانتقام فانبهرت أوروبا بالحضارة الاسلامية فراحت تنقلها فنقلت النظافة والعلم والأخلاق الرحيمة وكان أن بدأت أوروبا رحلتها فى سبيل التقدم والتحضر مبتدئة بما سمى بحركة « الاصلاح الدينى » واكتشفت أمريكا فى محاولتها تفادى الوصول الى الهند عن غير طريق المسلمين ومن جديد راحوا فى أمريكا يطبقون أساليبهم الوحشية والبربرية فى ابادة الهنود الحمر .

والخلاصة : أن أوروبا لم تعرف الحضارة الا عن طريقين .

الأول — نقلها مباشرة عن طريق الأندلس (أسبانيا) .

الثانى — كثمرة من ثمار الاحتكاك فى الحروب الصليبية .

الامور التى زادتها أوروبا على ما نقلته :

أما بالنسبة للمبادىء الرئيسية للحضارة فلم ترد الا فكرة واحدة وهى فكرة الحكم عن طريق الأغلبية العددية وسنرى فساد

هذا النظـــام من وجهة النظـر الاسلامية •

فنى الرسم والنحت :

وتفوق الأوربيون فى فنى الرسم والنحت ، ذلك أن الاسلام وهــو أعدى أعداء الوثنية حرم هــذين الفنيين ، ليتفادى صنع الأصــنام والتماثيل ، ولذلك فقــد انصرف الفنان المسلم الى نوع من النقوش يزخرف بها منشئاته وهو نوع من التجريد الذى انتهى الفنان المعاصر اليه ، وقد طوفت أوروبا وأمريكا، فكانت هذه الرسوم الضخمة على الجدران أو اللوحات والتمــاثيل المختلفة دينية أو غير دينية تمثـل عنصرا تجاهلته الحضارة الاسلامية وقد تصور المسلمون « خطأ » أن ذلك هو عنوان الرقى ، فحــاولوا ذلك بأوربا فى هذا المضــمار ، واندفعوا فى جهــالتهم يقلدون « الموســيقى » مع أنهم فى هذا المضــمار يتفوقون على الأوربيين فحيث تعرف موسيقاهم النغمــة ونصف النغمة وربع النغمة ، فــلا تعرف الموسيقى الأوربية ســوى نصف النغمة فاعتبر ذلك هــو التقــدم •

تطوير الآلات :

أما الشىء الثانى ، فهو تطوير ما نقلــوه من آلات ، حيث توقف المسلمون ، فتصور الأوربيون أنهم وحدهم القادرون عــلى الابتكار والاختراع وكانت المصيبة عندمــا صدقهم المسلمون ، مع أن الممارس لأى عمل من الاعمــال لا يلبث أن يضيف اليه أو أن ينقص ما لا يرى ضرورة له وهكذا •

وهذا التطور فى صناعة الآلات هو ما يســمى فى عصرنا الحديث « بالتكنولوجيا » ولا علاقة لــه بالمدنية والحضارة التى هى أسس وقواعد وهدفها الأول والأخير هو التكافــل بين البشر والعيش فى أخوة وسلام ورحمة •

قرنان من الزمان فقط :

ولما كان الأوربيون برابرة وهمج بطبيعتهم ، فان الحضارة لم تستقر عندهم أكثر من قرنين (١٨ ، ١٩) ولم يكد القرن العشرون يســتهل حتى أشعل الأوربيون فيما بينهم

حربا وحشية لم تعرف الدنيا لها مثيلا من قبل فى وحشيتها ، وتوقفت لعشرين سنة فقط لتعود أشد ضراوة ووحشية .

وانسلخت أوروبا وأمريكا من الحضارة جملة ، فلا دين أو أخلاق وانما صراع ووحشية ، يفوز فيه دائما الأكثر مثالا والأكثر ازدراء للقوانين والقيم الحضارية وحسبنا أن تشير الى آخر صنوف التجارة فى أمريكا وهو الاتجار فى قطع الغيار البشرية فيقتل الناس (بطريقة علمية) فى احدى المستشفيات ، ليقطع الجسد بعد موته الى قطع غيار تباع فى السوق ويشيع الأمر الى جعله (فيلما سينمائيا) يعرض فى دور السينما ولقد انتهت أوروبا بشرقها وغربها كقوة حضارية ، وليس سوى متعلمى ومثقفى المسلمين من لايزالون ، ينظرون الى أوروبا وأمريكا باعتبارهما مصدرا للحضارة والحضارة منهما براء ومن هنا يجىء واجب المسلمين فى بعث الحضارة الانسانية بكل قيمها ومبادئها الموروثة .

القضاء على الربا :

ولست أريد أن أقف طويلا أمام الأفكار الزائفة التى أضافتها أوربا انى دنيا الفكر من أن أصل الانسان قرد (داروين) ، أو أن الجنس هو محور حياة الانسان (فرويد)أو أن لا وجود لله (ماركس) .

ولكنى أقف أمام النظام الاقتصادى حيث عمل اليهود (وهم قلة مسحوقة) على السيطرة على أوربا وأمريكا عن طريق ادخال (الربا) على المعاملات ، واعتباره أساس الحياة الاقتصادية ، وقد برئت الحضارة الاسلامية من هذه اللعنة ، ان أعظم ما قام به المسلمون فى الوقت الحاضر هو انشاء مؤسسات لا تعمل بالربا . ان سلطان اليهود (الذى يجعلهم يفكرون فىالسيطرة على العالم وبدأ باحتلال فلسطين وانشاء دولة اسرائيل بدأ بنظام الربا بحيث أصبحوا يسيطرون على البنوك وتسيطر البنوك على سائر مناشط الاقتصاد كما هو الحال فى أمريكا .

النظام الديمقراطى :

وثمة نظـام كاذب تحمل لواءه أوربا بشرقها وغربها فضلا عـن أمريكا وذلك هو ما يسمى (بالنظام الديمقراطى) وهو الحكم السياسى للأكثرية العددية للسكان وهو نظام فاسد من أساسه •

يقـول تعالى فى محـكم تنزيله **« وان تطع أكثر مـن فى الأرض يضـلوك »** وليس أدل على كـذب الادعاء بحكم الاكثرية أن انجلترا (٤٠ مليون) حكمت أيام الاستعمار شعوبا مؤلفة من ألف مليون وكذلك فرنسا ، وكل دولة تزعم انها تؤمن بالديمقراطية (أمريكا فى فيتنـام واليوم روسيا فى أفغانسـتان) فالتشدق بحكم الأغلبيـة والنزول عند رأى الارادة الشعبية هو محض هراء تتشدق به قلة عددية لتسود به أغلبية عددية •

الشورى أساس الحكم الاسلامى :

ومن هنا كان نظام الشـورى الاسـلامى هو النظـام الأمثل والأكمل •

فلينهض المسـلمون :

مؤمنين أن دينهم ، هو الدين ، وأن حضارتهم هى الحضـارة وأن ما يجدونه من أنظمة عريقة الأصول فهى بضاعتهم ردت اليهم •

وعليهم أولا قبـل كل شىء أن لا يقلدوا الغرب فى عبادة المـال والعمل بكل الوسائل لجمع أكبـر قدر منه •

فما الحياة الدنيا الا متـاع الغرور وأن الآخرة خير وأبقى وأن السعادة كل السعادة فى هذه الدنيا يكون بالرضا والقناعة ومن تحلى بهاتين الصفتين يعيش طول عمره « أمينا » لا يكـذب ولا يغش أو يخادع فضلا عن أن يسرق أو ينهب ويعيش رحيما عطوفا ناظرا الى أى انسان على أنه أخاه •

وهذه هى الحضـارة فعلى المسلمين أن يعملوا على تحقيقهـا وانهم لقادرون على ذلك •

ألا هل بلغت اللهم فاشهد •

أحمد حسين

المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف

دكتور رءوف شلبى

(أ) البطالة
ب) الانحرافات الأخلاقية
(جـ) الانحرافات المالية

* * ثانيا ـ الحل

(أ) العمل ...
(ب) الاستقامة
(أ) الاستقامة الأخلاقية
(ب) الاستقامة فى الانفاق

١ ـ المشكلة الاقتصادية

لاشك أن الاقتصاد له مشكلة يعترف بها كل أصحاب النظريات الاقتصادية ، غير أن كل مذهب اقتصادى له تفسير للمشكلة الاقتصادية ، تتبع الأسس الفلسفية التى يقوم عليها المذهب .

الاسلام يعترف أن هناك مشكلة اقتصادية ، لكنها ليست فى الندرة ولا فى قلة الموارد الطبيعية كما يقول أصحاب نظرية الرأسمالية ولاهى فى أن التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع ، كما تذهب الى ذلك الماركسية ، ذلك لأن الله تبارك وتعالى هو الرزاق ذو القوة المتين ، وقد خلق الله الأرض وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين .

بل ان نعم الله التى يمن بها على عباده أنه خلق لنا معايش ولسنا له برازقين ، وخصص لكل نوع من المخلوقات طعامه :

يقول جل جلاله : **وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم »**

٣١ ــ ٣٢ عبس

وقد أقسم الله تعالى على أن

رزق العباد فى السماء ، وفى **السماء رزقكم وماتوعدون ،فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون »** .

٢٢ ، ٢٣ الذاريات

ولكن المشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام تكمن فى :

* البطالة
* الانحرافات الأخلاقية
* الانحرافات المالية

(أ) أما البطالة فقد حذر منها النبى — صلى الله عليه وسلم — عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم .

ويقول عليه الصلاة والسلام : على كل مسلم صدقة . فقالوا : يارسول الله فمن لم يجد ؟

فقال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فان لم يجد قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فان لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف ، وليمسك عن الشر فانها له صدقة .

(ب) الانحرافات الأخلاقية :

الاسلام نظام متكامل تتغذى كل مجالاته بعضها من بعض ، والمشكلة الاقتصادية تنشأ عن الفساد الخلقى ، لأن الفساد الخلقى يضيع المال دون مقابل .

فشرب الخمر ، والحشيش ، والأفيون ، والزنا ، والقمار ، واللعب ليلا فى صالات الرقص ، والملاهى الليلية ، والكاباريهات .. الخ ضياع للمال دون عوض مقابل ، وضياع للوقت ، وضياع للصحة .

والمال والوقت والصحة كلها وسائل انتاج ، ليست فقط معطلة بل ذاهبة فى الهباء ، فكأنما الانحرافات الأخلاقية تلقى كمية من وسائل الانتاج فى عرض بحر الهوى ، كما تنفق كمية من الزمن فى دخان الشهوة .

وكل ذلك يعطل الانتاج ، ويقلل وظيفته الأساسية ، من كونه خدمة للمجتمع فى مجالات الخير والفضيلة ، وتحوله الى نفقة على الذات خاصة فى فراغ ليس من ورائه نفع ولا فائدة .

ولقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من هذا العبث ، ففى الحديث الشريف : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه : كره قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ..

رواه البخارى

كما حذر من اتلاف المال بغير وجه حق ، فقال صلى الله عليه وسلم :

من أخذ أموال الناس يريد اتلافها أتلفه الله ، الا أن يكون معروفا بالصبر ، فيؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، كفعل أبى بكر حين تصدق بماله ،وكذلك آثر الأنصار المهاجرين ، ونهى رسول الله عن اضاعة المال فليس له أن يضيع أموال الناس بعلة الصدقة .

رواه البخارى

وينهى الاسلام الزوجة من افساد مال زوجها ، لأنه سبب من أسباب المشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

(اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لاينقص بعضهم أجر بعض شيئا) .

رواه البخارى

ومن الانحرافات الأخلاقية قتل الأولاد خوف الفقر ، أو لقيام الفقر بهم ، لأن الأولاد ، طاقة عمل تحتاجها ميادين الانتاج ، وقلة الأيدى العاملة تؤثر فى الانتاج كما وكيفا ، وبالتالى تؤثر على وظيفة المال كخدمة لرخاء العيش للجماعة الاسلامية .

ولهذا كله حرص الاسلام على أن يبرأ المجتمع الاسلامى من هذه الأمراض الاجتماعية ، التى تفسد الأخلاق ، وبالتالى تفسد الاقتصاد ، وتفرخ المشكلة الاقتصادية .

يقول الله تعالى :

« انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

٩٠ ــ المائدة

ويقول الله تعالى :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا بـه شـيئا وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلـوا اولادكم من املاق نحن نرزقكـم واياهـم ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطـن ، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ».

ولاتقربوا مال اليتيـم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسـط لا نكلف نفسا الا وسـعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعـوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

١٥١ ــ ١٥٣ الأنعـام

ومع هـذا التشريع المرطب للمشاعر ، المتقبل لدى الفطـرة السليمة ، المرضى للعقل المنصف ، فان الله يكرر تحذيراته من ضياع المال فى الانحرافات ، ويرتب على الفساد الخلقى فساد الحياة كلها، يقول جل جلاله :

«واذا أردنا ان نهلك قـرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحـق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

١٦ ــ الاسراء

ويقول جل شأنه :

وكان فى المدينة تسـعة رهط يفسدون فى الأرض ولايصلحون ، قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشـهدنا مهلك أهله وانا لصادقون ، ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشـعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين » .

٤٨ ــ ٥١ النمـل

ولقد ضرب الأمثال فى القرآن الكريم عـلى أن هـلاك الأمـم والأفراد تابع للفساد الأخلاقى ، وليس هناك أشد فسادا خلقيا من الكفر والفسق ،وقد كانت خاتمة أصحاب الجنة فى سـورة القلم ، أنها أصبحت كالصريم لأنهم غدوا على حرد قادرين فى زعمهم ، على منع الفقراء من حقهم المسنون .

(جـ) أما عن الانحرافات المادية

فقد حرم الاسلام كل تصرف مالى يؤثر فى الدورة الاقتصادية .

* فحرم الاحتكار ففى الحديث : من احتكر فهو خاطىء مسلم وأبو داود .

* من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجزام والافلاس رواه : أحمد وابن ماجه

* من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء وقد برئت منه ذمة الله ورسوله .

رواه : أحمد والحاكم حديث حسن

* وحرم الغش ففى الحديث: من غش فليس منى

اصحاب السنن

* وحرم الربا ، يقول الله تعالى : **وأحل الله البيع وحرم الربا**

٢٧٥ البقرة

* وحرم السرقة يقول الله تعالى : **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله .**

٣٨ المائدة

* وحرم الميسر : يقول الله تعالى :

انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .

٩٠ المائدة

* **الغصب : ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون .**

١٨٨ البقرة

يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا .

٢٩ ــ ٣٠ النساء

وفى البخارى عن حكيم بن حزام قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطانى ثم سألته فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم قال ياحكيم : ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس

بورك له فيه ومن أخـذه باشراف نفس لم يبـارك له فيـه وكـان كالذى يأكل ولا يشـبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى .

* الغل : وهو أخذ المال مـن الأنفال قبل القسـمة « **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** » .

١٦١ آل عمران

* الطمع : يقول النبى صـلى الله عليه وسلم :

لو كان لابن آدم واديان مـن مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جـوف ابن آدم الا التراب ويتوب اللـه على من تاب .

رواه البخارى

* الاتلاف : يقول النبى صلى الله عليه وسلم : من أخذ أمـوال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد أن يتلفها أتلفـه الله .

رواه أحمد وابن ماجه

تلك مجموعـة من التشريعات التى تصور أسـباب المشـكلة الاقتصـادية ، انها فى البطالة واتلاف المال ، والانحرافات بشتى أنماطها ، وهى أمور لم يفطن لها أصحاب المذاهب الاقتصادية ، بل أنهم ليمارسون هذه الانحرافات وهم لا يشعرون ، انها مفاسـد تفرخ المشـكلة الاقتصـادية ، فالخمور ، والقمار ، والكباريهات والمسارح ، وصالات الرقص كلها أنظمة مستوردة من عالم أوربا ، وعالم الشيوعية والاشـتراكية ، تلك التى جعلت المسارح بديلا عن المساجد وهى سلوكيات .

وما أحوج الأمة الاسـلامية فى عصرهـا الحـاضر ، وهى تملك أساسيات العمل الاقتصادى ، من ثروات متعددة المصادر والمنابع ، ما أحوجها الى عودة مخلصـة لنظامها الاسـلامى ، فلعلها ان جربت سـعدت ، وانه لمن العجب العجاب ، أن تفسح الأمة العربية والاسـلامية صـدرها الوطنى والاقتصادى ، لنظريات غربيـة معربدة ، وشرقية فاشلة ، وتتلقى مآسى فى اقتصادياتها كل يـوم ، ثم تستمر متمسكة بما أدخلته فى بلادها من هذا الشر الوبيل ، ولم تفق لنداء الله "**ولو أن أهل القرى**

آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .
٩٦ الاعراف

ثانيا ــ الحل الاسلامى للمشكلة الاقتصادية

تتركز الحلول الاسلامية بشكل موضوعى ، للتغلب على المشكلة الاقتصادية من مفهومها المشروع سابقا ، على دعامتين اثنتين فقط :

الدعامة الاولى : العمل :

الدعامة الثانية : الاستقامة على شرع الله :

(أ) أما العمل : فقد حظى فى الاسلام بتوضيح شامل ، لأن الاسلام ذاته منهج عملى ، ولأن النبى صلى الله عليه وسلم فى كل حياته كان عمليا:انه مع المجاهدين يحفر الخندق ، ومع الطهاة يجمع الحطب ، ويساعد أهل بيته ، وكان يخصف نعله بيده الشريفة وهو القائل : صاحب الشىء أولى بحمله والله تعالى يشهد على عمل المسلمين ، والرسول الكريم ــ عليه الصلاة والسلام ــ يشهد مع الله على عمل المسلمين وجماعة المؤمنين مع ربهم ورسولهم يشهدون عمل المسلمين فيما تتلوه آيات من سورة التوبة :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

١٠٥ ــ التوبة

والعمل فى التصور الاسلامى يشمل الأرض والبحار والأنهار والزرع والضرع ، فقد عرف المسلم أن الله سخر له هذا الكون كما دعاه الله الى السير فى جنبات الأرض سعيا على رزقه ، **يقول** الله تعالى :

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » .

١٥ ــ الملك

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : لأن يأخذ أحدكم حبله على ظهره فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه .

ودعا الى الجدية فى العمل ، والحسن فى الأداء ، فيقول صلى الله عليه وسلم :

« ان الله يحب أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه » .

والقرآن الكريم يحشد آيات جمة تصور صلة العمل فى الدنيا بمركز الفرد المسلم يوم القيامة ،

يقول الله تعالى :

«فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »

٧ ــ ٨ الزلزلة

« ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » .

١٣ ــ ١٥ القيامة

ويحذر القرآن الكريم من سوء العاقبة للعمل الفاسد :

«ظهر الفساد فى البر والبحربما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » .

٤١ ــ الروم

وقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم السعى على المعيشة من أسباب تكفير الذنوب فيقول :

ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة يكفرها الهم فى طلب المعيشة .

أبو نعيم فى الحلية

ب ــ وأما الاستقامة فهى استقامة الأغنياء .

واستقامة الفقراء

أخلاقيا ، وماديا ، نفسيا ووجدانيا ، وأساس الاستقامة عند الأغنياء أن يتمسكوا بما شرعه الله فى الأموال من حقوق للفقراء والمساكين وابن السبيل وفى سبيل الله ... الخ لا يغمطوهم حقا ، ولا يستذلوهم بحق ، فان الأخوة الاسلامية والولاية فى المجتمع الاسلامى تربط بين المسلمين برباط واحد ، فى تحقيق كمال العبودية لله واذا أدرك الأغنياء أن الغنى ليس بكثرة العرض ، بل بكثرة القناعة والرضا ، طابت نفوسهم بما أعطاهم الله ، ورضيت نفوسهم بالبذل لأصحاب الحاجة والفقراء ، كذلك اذا أدركوا أن هذه الحياة قسمها الله من الأزل وأنه لاراد لما اعطى الله ، ولا

معطى لما منع الله ، طابت نفوسهم بما يبذل لهم من حق هولهم فى مال الأغنياء ،وعملوا على ازالة فقرهم بجد فى الكد والكدح ، والجهاد ، فمن بات كالا من عمل يـده بات مغفورا له •

والقضية الأساسية فى الاستقامة أن الحياة الدنيا لا تسير دواليبها الا بالتنظيم ، الـذى أبدعه الله وسيرها عليه ، يقول الله تعالى :

« أهم يقسمون رحمت ربـك ، نحن قسمنا بينهم معيشـتهم فى الحياة الدنيا ،ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمت ربك خير ممـا يجمعون ، ولولا أن يكون الناس أمةواحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعـارج عليها يظهـرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ،وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيـا والآخرة عند ربك للمتقين » •

٣٢ ــ ٣٥ الزخرف

أن هذا التقسيم الالهى ، يجب أن يحترم من المسـلمين ، وان الخروج عليه افساد يدفـع اليه الجهل بميزان التـوزيع الآلهى ، فليست نظريات الاقتصاد هى التى توزع ، وليست الحكومات شرقية أو غربية هى التى توزع ، فكلهـا تصاب بالعجز فى الانتاج ، وقـد استمر العجز فى انتاج الغذاء فى روسيا الشـيوعية ، حتى راحت تسـتجدى أمريكا اتفاقات شراء قمـح لتغطية العجـز الزراعى ، وذلـك لعلة تخفى عـلى كـل الاقتصاديين ، وهى أن التـوزيع الهى فيقول الله تعـالى :

« له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شىء عليم » •

١٢ ــ الشورى

وصدر الآية دليل على التقسيم فالله هو صاحب مقاليد السموات والارض ، انه جل جلاله هو الذى يدبر الأمر فيهما ، وهو جل جلاله الذى قدر الأقـوات فى الأرض ، وهو جل جلاله الذى جعـل رزق العباد فى السموات ، وهو جلجلاله الذى يبسط الـرزق لمن يشـاء من عباده ، وهو جل جلاله الذى يقدر الرزق على مـن يشاء مـن

عباده لعلة وحكمة هى : **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير » •**

٢٧ الشورى

فمن الذى يقدر من البشر :

اقتصاديين

او سياسيين

أو عسكريين

من الذى يستطيع أن يغير هذا التوزيع الأعلى ؟

• هل استطاع الشيوعيون تغييره ؟ لقد عجزوا وفشلوا ويكفى سوء حالة العالم الشيوعى فى اقتصاده ، ومجتمعه وأسرته وأفراده وهم البائسون ، المطحونون الأذلاء للآلة ولأسيادهم أعضاء الحزب الحاكم •

• وهل استطاع الرأسماليون تغييره ؟ فما بال الملايين الجائعة ، والملايين من اطنان القمح تطرح فى المحيط لحماية السعر ، ولاخضاع الأمم للاستعمار الاقتصادى الحديث •

• أما الاسلام فقد جعل الايمان أساسا لحل كل مشكلة وأساسا للتوزيع •

يقول الله تعالى : **فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا •• ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » •**

١٠ — ١٢ — نوح

وتأتى رحمات الله فى الضيق لمن تاب اليه واستمسك بوحيه وعمل بشرعه : يقول الله تعالى :

«وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد » •

٢٨ — الشورى •

فالاستقامة هى :

ألا يتخذ الأغنياء من أموالهم سبيلا الى ارتكاب المعاصى ، واذلال الشعوب •

وألايحسد الفقراء الأغنياء على ما منحهم الله من فضله •

ولم تقع الأمة العربية والاسلامية فريسة الثورات العسكرية التى قامت ، تدعى أنها

جاءت للعـدالة الاجتـماعية ، فصادرت الأموال والحريات مـن أجل هذه الدعوى ٠٠٠٠ لم تقـع الأمة فريسةلهذه الثورات الا لأنها جعلت شرع الله خلف ظهـرها ، وارتمت فى أحضان النظام الأوربى فصارت بيوتهم كبيوت أوربا لغة وسلوكا ٠٠ فتحدثوا الأوربيـــة وشربوا الخمر وحولوا بيوتهم الى مراقص ، ونظروا الى الفقـــراء نظرة العبيد الأرقاء ٠٠

واذا كانت القاعدة ما من ظالم الا ويبلى بظالم ، فقد ظلم أولئك القوم أنفسهم بخـروجهم عـلى شرع الله ، فابتلاهم الله بظـالم يصادر أموالهم ، ويعصف بحرياتهم ٠٠٠ فما زادت ـ الثـــورات العسكرية عالمنا العربى والاسلامى الا سجنا على سجن ، وذلا عـلى ذل ، وفقرا على فقر ٠٠٠ وصدق الله العلى العظيم :

« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قـال : رب لـم حشرتنى أعمى وقد كنت بصـيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجـزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعـــذاب الآخرة أشد وأبقى » ٠

١٢٤ ـ ١٢٧ طـه

فهل الى عودة من سبيل ؟؟ !!

د ٠ رءوف شلبى

* * *



يونس عليه السلام ودعاة الإصلاح

للاستاذ السيد حسن قرون

حين أرخت السيرة النبوية لرحلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، بعد وفاة عمه أبي طالب ، وزوجه خديجة ، في السنة العاشرة من المبعث ، وسجلت ما جرى من سادة ثقيف ، وسفهائها وأرقائها ، لم يفتها أن تسجل لقاء النبي بأحد الارقاء ، وهو عداس غلام ابني ربيعة : عتبة وشيبة ، فقد لجأ النبي الى بستان هذين الأخوين ، حين لقي ما لقي من أذى القوم الذين نالوا من سيد البشر ، رعاية لقريش أن تسمع عنهم حسن اللقاء .

نظر الأخوان القرشيان عتبة وشيبة الى الرسول ، فتحركت له رحمهما ، فهما يجتمعان معه في (عبد مناف) فأرسلا اليه غلامهما (عداسا) بطبق فيه قطف عنب ، فجرى بين الرسول وعداس حوار على النحو التالي ، كما يروى ابن هشام في السيرة النبوية . وضع عداس طبق العنب بين يدي النبي، وقال له : كل . فلما وضع النبي فيه يده قال : باسم الله ، ثم أكل .

نظر عداس في وجهه ثم قال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل تلك البلاد . فقال رسول الله : ومن أهل أي البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل (نينوى) فقال رسول الله : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله . ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله،صلى

الله عليه وسلم ،يقبل رأسه ويديه وقدميه .

يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه — وقد رأيا مارأيا — أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما رجع اليهما عداس قالا له : ويلك يا عداس ؟ مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدى ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه الا نبى . قالا له : ويحك يا عداس ، لايصرفنك عن دينك ، فان دينك خير من دينه . ومن البديه أنك تدرك الصلة بين محمد ويونس فى تلك المصادفة العجيبة ، فالرسول جاء الى الطائف ليتخذ من أهلها عونا على نشر رسالات ربه ، والتصدى لقريش لدحر أصنامها وأوثانها ، انه خرج من مكة غاضبا من قومه ، منكرا لعنادهم ، راغبا فى هدايتهم بكل الطرق الممكنة ، ولكنه خرج ليعود ، وخروجه نوع من الجهاد والامل فى هداية العباد ، أما يونس فقد خرج مغاضبا لمن أرسل اليهم ، لا تطاوعه نفسه للعودة الى قريتهم ، حذرهم وأنذرهم ودعا عليهم ، فلما لم يجد أثرا لكل ذلك تركهم ليلقوا مصيرهم .. ولئن كانت ثقيف ردته أقبح رد ، فقد وجد من عداس الايمان والتكريم والحفاوة البالغة ، التى تتمثل فى تقبيل رأسه ويديه وقدميه . كان النبى وحيدا بين أئمة الكفر ، ولكن عناية الله عطفت عليه من آمن ومن أصر على الكفر .. ولكن يونس لقى ما سنحدثك عنه فى مسير الكلمات .

وقد كان ذكر يونس فى هذا البلد الموحش ، وفى هذا الوقت العصيب ، دلائل تبشر بالفرج وانفساح الآمال ، فيونس بعد الضيق الذى أحاط به ، وضغطه عليه ولفه فى ظلماته واتاه الفرج واسباغ النعمة .. والقرآن الكريم يقص علينا قصة يونس فى سور منه هى : سورة يونس ، وسورة الأنبياء ، وسورة الصافات وسورة القلم على الترتيب الذى استقر عليه المصحف الشريف ، فلا غرو أن أسير على هذا النهج ، فأتناول الآيات التى وردت فى تلك السور ،

مبينا العبرة منهـــا ، والدروس المستفادة من كل موضـــع ، لتكون أمام دعاة الاصلاح نبراسا فى شق طريقهم نحو هداية البشر ، ومـا المصـلحون الا بصيص من نـور النبوات، وقبس مما تركوا من عظات والقرآن فى ترتيب سـوره بـدأ بخاتمة القصة ، لما لها مـن نتائج بارة سارة ، ولأن تلك النتيجــة تشير الى انفراد قـرية يونس بنعمة لم تنعم بها قرية أو أمـــة أو قوم جاءتهم النذر على أيـدى الرسل •

آية واحدة وردت فى ســـورة يونس ، سميت السورة باسمها ، والآية الكريمة تعطيك مثالا رائعا للايمان ونفعه ، لمن شرح اللـــه صدورهم ، فازدادوا به قربا مـن الله ، وشوقا الى عبادته وتوحيده، نجوا على حين أصاب غيرهم الغرق أو الخسف أو العذاب المهين بالظلة أو الريح الصرصر العاتية ، لـكن قوم يونس آمنوا بعد كفر، وأطاعوا بعد عصيان • ومتى آمنوا ؟ عجب عاجب ، انهم آمنوا بعد أن غاب عنهم نبيهم غاضبا من مسـلكهم ، زاريا لخلافهم ،كارها للحياة بينهم، آمنوا ولذلك لم يجعلهم الله مثل الذين قال عنهم : **« أن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنـــون • ولو جاءتهم كل آيـة حتى يـروا العذاب الاليم »** (١) بل شـــاء هدايتهم ، فقذف فى قلوبهم التوبة، فلبسوا المســوح ، وتناهوا عن المظالم ، وعجوا الى ربهم أربعين ليلة ــ كما تقول كتب التفسير ــ فلما عرف الله منهم الصـــدق ، والتـوبة والندامة عـلى ما مضى منهم ، كشف عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم مصداقا لقوله تعالى من سورة يونس آية ٩٨

« فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنـــوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين » •

وهذا تنويه عظيم بتلك القرية ، التى نالت رضا الله ، فكشف عنها

---

(١) يونس ٩٦ و ٩٧ •

عذاب الحريق، أو الغرق أو الخسف أو ما الى ذلك ، ولعذاب الآخرة أكبر ، وهذا يعطى للتوبة مذاقا لايحسه الا المهتدون، الذين عرفوا الذنب فندموا ، وعزموا على ألا يعودوا اليه ، فتجلت عليهم السعادة والتوبة أثر من الايمان وضوء منه، فاذا ملأ الايمان القلوب ضاقت على الذنوب ، وصار ذووها مثلا عالية يقتدى بهم وتتأثر خطاهم . ولذلك سميت السورة بسورة يونس فهو وان هرب فقد كان السر فى ايمان هؤلاء القوم الذين يسكنون نينوى من اقليم الموصل شمالى العراق ، وان كان الحديث عن قوم يونس فالله لا يضيع أجر العاملين، ويحاسبهم بعد ان قصروا ، وفى التنويه بقوم يونس علامة على عناية الله بالمؤمنين وفضله عليهم ، وأنهم محل انعامه واكرامه .

وتذكر كتب التراث أن متى أبا يونس كان رجلا صالحا يسكن فلسطين ، نشأ ابنه تحت عينه وبصره يقومه ويوجهه ، فشب على الصلاح والتقوى ، وهذا واجب الآباء نحو الأبناء ، فلما شب عن الطوق وبلغ أشده ، وصار صالحا لتحمل التبعات ، هبط عليه جبريل ، فأمره أن يتوجه برسالة الله الى أهل نينوى ، فنفذ أمر ربه .. وأنا أساير القرآن – كما قدمت – فأذكر ما جاء بسورة الانبياء وما جاء بها خاص بيونس ، وما جرى له بعد أن هرب من قومه ، عنيت سورة يونس بقوم يونس . أما سورة الانبياءفخصت يونس وتوبته وتسبيحه فى أضيق حالاته .

جاء ذلك فى آيتين اثنتين ٨٧،٨٨ من سورة الانبياء . قال تعالى :

« وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين » .

تتحدث هاتان الآيتان عما وقع فيه يونس صاحب الحوت من الخطأ ، وماصار اليه من العقاب ، وما وفق اليه من أسباب النجاة ، وصار عقابه معجزة له ، تذكرها الرسل فى المحنة ، ويتقبلها الأتباع

للعظة ، ويرويها الدعاة للاهتداء .

خرج يونس من قريته دون أذن ربه مغاضبا لقومه ، ظانا أنه يجد سعة بعد ضيق ، وراحة بعد عناء ، ولم يدر ما قدر له ، فلم يتخذ فى البر مهربا ومضطربا ، بل ركب مع قوم سفينة ثقيلة حمولتها ، فلجت بهم . وخافوا أن يغرقوا ، فاقترعوا على رجل يلقونه فى الماء ليخف حمل السفينة ، فوقعت القرعة عليه ، فأبوا أن يلقوه ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا ، فأبوا ثم أعادوها فوقعت عليه ، وفى سورة الصافات تقول الآية « فساهم فكان من المدحضين » أى أجريت القرعة فكان من المغلوبين فالمدحض من دحضت حجته أى بطلت ، وأدحضها الله أبطلها ،ومن معانى المادة دحضت رجله أى زلقت ، فكأنه بعمله أزلق نفسه وألقى بها فى المهالك . ومن ثم قام يونس وتجرد من ثيابه كما يقول ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم، وألقى نفسه فى البحر ، وقد أرسل الله من البحر الأخضر حوتا يشق البحار حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه ، فأوصى الله الى ذلك الحوت ألا تأكل له لحما ، ولا تهشم له عظما ، فان يونس ليس لك رزقا وانما بطنك يكون له سجنا . هكذا يروى ابن كثير عن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ ، وهذا قول يرضاه المؤمنون .

والآيتان تلخصان موقفه : هرب وظن أن لن يضيق عليه بعد هربه ، فيقدر بمعنى يضيق وهو رأى أرتضيه وأفضله على من قال يقدر بمعنى يقضى عليه ، وحال يونس تعين المراد ، وأصحاب الرأى الاول استشهدوا بقوله تعالى : **« ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا »**(١) فمعنى «قدر عليه رزقه» ضيقه عليه فصار فى عسر لا يسر ، فيونس ضاق ذرعا بمن أرسل اليهم فهرب منهم ليجد أرضا واسعة ، وظن أنه لايعود الى الضيق فجازاه

---

(١) الطلاق ٧ .

الله بعكس مراده ، فى ضيق لامثيل له ، فى ظلمات ثلاث : ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل ، ليكون ذلك أبلغ فى العقاب وأبلغ فى العظة ، وأدعى الى تذكر ذنبه ، والعمل على الخلاص منه ، أراد الله له النجاة فهداه الى أن ينادى فى الظلمات نداء حفيا أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين والاعتراف يهدم الاقتراف ، أقر بالذنب وأبان ظلم نفسه لنفسه فنظر الله اليه فنجاه من غمه ، وكذلك يمن الله على المؤمنين ، ومما يروى عن أنس بن مالك يرفع الحديث الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يونس حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت قال : اللهم لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة : يارب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة • فقال : أما تعرفون ذاك ؟ قالوا : يارب ومن هو ؟ قال : عبدى يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة : قالوا : يارب أو لا ترحم من كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ قال : بلى ، فأمر الحوت فطرحه فى العراء • ودعاء يونس هذا له منزلة رفيعة عند السلف الصالح ، ويرون أن المسلم اذا دعا به منيبا الى ربه استجيب له • وعلى ذلك جاء الحديث « من دعا بدعاء يونس استجيب له »

وقد بان لك فى ضوء النص القرآنى ، أن يونس كان فى سعة من أمره فرآه ضيقا ، وظن أن فى هربه بحبوبة من العيش ، فاذا به فى مكان أشد مايكون تحجرا وضيقا وأن دعاءه الصادق من قلبه الخاشع أبدله من الحرج فرجا ، فعاد الى سيرته ليسير على منهج الرسل ، فيجب على الداعية أن يتحلى بالصبر ، ويتخلى عن القلق والضجر ، وأن يفتح صدره للمعارضة ، وأن يتسع أفقه ليسع المؤيدين والنابذين ، كما فعل ألو العزم من الرسل ، وقد كان نبينا المثل الأعلى فى الصبر ومعالجة ضعف البشرية بأسلوب يحسن

الاقتداء به . لقد كانت ثقيف محك امتحانه فأدى الامتحان قادرا عليه وكان دعاؤه التضرع الى من بيده الأمر كله ، فانفرجت عنه الغاشية، وبدا عمله فى لقاء القبائل فى المواسم حتى تم له نشر رسالته بمن اهتدى بهديه من الأوس والخزرج حماة يثرب .

وأنا فى هذا الصدد لا أميل الى تحديد المدة التى مكث فيها يونس فى بطن الحوت ، فقد ذكر بعضهم أنه مكث سبعة وأربعين يوما ، وجعلها بعضهم ثلاثة أيام ، وقال الشعبى التقمه الحوت ضحوة ونبذه عشية ، فلا داعى لهذا التحديد فقد عوقب يونس بأن حل فى بطن الحوت ، ولقى الضيق والعنت مما دعاه الى عون ربه ، فألقاه الحوت فى العراء وهو عليل. واقرأ معى آيات سورة الصافات الآيات من (١٣٩ الى ١٤٨) وفيها القصة كلها .

قال تعالى : « **وان يونس لمن المرسلين . اذ أبق الى الفلك المشحون . فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم . فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون .**

فنبذناه بالعراء وهو سقيم. وأنبتنا عليه شجرة من يقطين . وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون . فآمنوا فمتعناهم الى حين » .

وقد شملت تلك الآيات القصة كلها ، مؤكدة رسالة يونس ، موضحة مدى قيامه بأمر تلك الرسالة ، وعقابه على هربه عن حمل الأمانة ، ثم العفو عنه لما دعا وتضرع وأناب .

ولتوضيح هذه الآيات نضع تلك الاشارات الى ماتضمنته من دلالات ، فهى تؤكد رسالته كما قدمنا ، والرسالة عليها تبعات تقتضى الصبر والجلد وسعة الأفق والحلم والأناة ، وأن الرسول فى قومه طبيب القلوب ، يعالجها من العمى ، ويطهرها من الأوضار ، ثم ان الله وصفه بالاباق فجعله عبدا هاربا من سيده على طريق المجاز ، فلو أنه استأذن ربه حين ضاق بقومه للقى البصيرة التى تفتح له الأبواب ،ثم جعله يمارس

هربه فى سفينة يساهم من فيهـا ، فيكون هو المغلوب فى المساهمـة ، والطامة الكبرى أنه لا ينقـذ حين رمى بنفسه كما يفعل السباحون ، انما كان على موعد مع الحوت الذى حمله فضغط عليه .. ثم سـبح فكانت المفاجأة السارة ، فطرحـه الحوت على الشاطىء عاريا سقيما، وأنعم الله عليه بشجرة من يقطين قيل هى شجرة القرع التى لايحوم حولها الذباب أنشأها الله انشاء ، أمام عينيه فكانت قبة فوقه تحميه من عوامل الطبيعـة . وأتم اللـه عليه نعمته فرجع الى قـومه ، فوجدهم على ما وصفنا من الايمان والتوبة والتقوى وحسن المعاملة ، وكانوا مائة ألف بل يزيدون فأو فى الآية بمعنى بل ؟ لأن الله عالـم بعددهم ولا داعى لجعل العدد فى نظر الرائى من البشر ، وهـؤلاء القوم ان متعوا فى الدنيا فأمامهم نعيم الآخرة ، فقـد وعد الله المؤمنين جنات النعيم .

وتأتى آيات سـورة القلم لتتحدث عن يونس أيضا ، ولكـن الخطاب هنا لرسول الله محمد بن عبد الله ، تسـاق اليـه للتأسى والتصبر والتسلية ، والدفـع الى أداء الرسالة لهـداية البشرية ، ويقال فى سبب نزولها ان الرسول هم بالدعاء على ثقيف حين تحصنوا بالطائف ، ولم يدخلـوا فى ديـن الاسلام كسائر العرب بالجـزيرة العربية فقال تعالى :

« فاصـبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهـو مكظوم . لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذمـوم . فاجتبـاه ربه فجعـله مـن الصالحين » (١) والآيات مفهومة فى ضوء ما سـقناه قبلها من شرح وتوضيح ، وتلاحظ أن ضيقه جاء فى عبارات متقاربة ، فهو قد خرج « مغاضبا » وهـو قد « أبق » ، وأخـيرا « نادى وهو مكظـوم » تجـد حـاله حـين التقمه الحوت عكس حاله حين نبـذه فى

---

(١) القلم ٤٨ الى ٥٠ .

العراء ، ففى الأولى كان ملوما ، وفى الاخرى غير ملوم .

فعلى الدعاة فى زماننا أن ينهجوا منهج التقوى باتخاذ الصبر وسيلة الى بلوغ المرام ،وأن تكون الموعظة الحسنة سبيلهم الى انارة الأذهان وتحريك الوجدان ، ولهـــم من الوسائل مايعينهم على الاصلاح ، عندهم كتاب الله وسنة رســوله ، ولهم ثقافتهم من علــــوم النفس والاجتماع والتاريخ مايسهل الامر ويهون العمل .

ألا بالصبـــــر تبلغ ماتريـــــد
وبالتقـــــوى يلين لك الحديـــد

ولنا من حياة الأنبياء وتجارب المصلحين نجوم تهدى فلا نضـــل الطريق . والله الموفق .

السيد حسن قرون

« رجاء الى كتاب مجلة الأزهر »

تسهيلا لعمليات المراجعة ، . يرجى من السادة كتـــاب المجلة أن يتكرموا بكتـــابة مقالاتهم على الآلـــة الكاتبـــة « التبرايتر » ثم مراجعتها ــ أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، والله الموفق .

أسرة المجلة

منابع النور .. في غار حراء

للأستاذ جابر حمزة فراج

تعهد الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالعناية والرعاية •• وبث فيه الطهر والنقاء •• وزرع في أعماقه الخير والصفاء •• وصانه من الجهل والعبث •• وحفظه من الشرك والانحراف •• وعصمه من النقائص والرذائل وزوده بأحسن الصفات •• وطبعه على أجمل الشمائل •• وأفضل الشيم •• وأطيب الخصال •• وتوجه بمكارم الأخلاق •• ووهبه الكمال والجلال •• وزينه بأرقى معالم الآداب •• وجمع فيه كل ما تتطلبه الانسانية من مثل عليا •• وقيم سامية •• حتى صار كما قال عن نفسه : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » •• وصدق الله تعالى اذ يقول عنه :« **وانك لعلى خلق عظيم** » ••

اشتهر محمد بين كل من خالطه وعرفه •• بالنبل والفضل •• والعفاف والوقار •• والصدق والأمانة •• والعزة والكرامة •• والاعتدال والاستقامة •• والمروءة والنزاهة •• وحسن المعاملة •• وطيب المعاشرة •• ولين الجانب •• وخفض الجناح •• والتواضع والمسالمة •• ورغم أنه نشأ في قوم تربوا بين الجبال الشامخة •• والوديان السحيقة •• والصحراء الفسيحة •• تملأ حياتهم الفوضى •• ودنياهم الهمجية •• حيث لا شريعة تهديهم •• ولا قانون ينظمهم •• ولا حاكم يردعهم •• فالقوة الجائرة أسلوبهم •• والقهر والقمع وسيلتهم •• الا أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — لم يكن على شاكلتهم •• ولم يتأثر بعاداتهم

ولم ينحـــــدر معهم الى مهاوى الشرك والضـــلال •• وعبادة الأصـــنام والأوثان •• بل سـلك طريقه فى الحيــــاة •• لم يظلم أو يكذب •• لم يعتد أو يتجبر •• لم يفتر أو يتكبر •• لم يجنـــح أو يأثم •• لم يفحش أو يفجر •• لم يخن أو يغـــدر •• وانما كان يقابل التحامل بالتســـامح •• والاساءة بالصـــفح •• والتجاوز بالابتســـام •• حتى أصبح بين القوم مضرب الأمثال •• فلقبـــوه بالصادق الأمين ••

مارس محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحياة ممارسة الانسان الذى يؤمن برسالته التى من أجلها خلق •• ليكون عضوا عاملا نافعا يمنح المجتمـع الخير والعطاء •• اشـــتغل فى طفولته برعى الابل والأغنام •• لتتأصل فى قلبه الرأفة والرحمة •• والعطف والشفقة •• ويتجسم فى نفسه تحمل المسئولية •• ثم اشتغل بالتجارة وهو شاب يافع •• فاختلط بالناس وعاشرهم وعاملهم •• حتى اكتسب من وراء ذلك الخبرة والتجربة •• وبين هذا وذاك كان قمـــة فى الأخلاق •• وذروة فى المعاملة الصالحة المشرقة •• الأمر الذى جعله محبــــوبا مرموقا عند الجميع •• لم تجرفه تيارات الجاهليـــة الطاغية •• ولم يتأثر بانحرافات الشباب العاتية •• ولم ينزلق الى ما وصل اليه القوم نحو الهاوية ، ولم تخدعه الدنيـــا وزينتها •• أو الحيـــاة بفتنتها •• بل كان بعيدا عن النزوات •• نائيا عن الشـــهوات والنزعات •• ولا غرو •• فهذا محمد الذى علمه ربه ورعاه •• وهذبه وهـــداه •• واختاره واصطفاه •• ورفع ذكره وارتضاه •• هيأه للرســـالة •• ودربه ليتحمـــل الأمانة •• والله أعلم حيث يجعل رسالته •• انتقاه ليكون قدوة •• وصـــانه ليصبح أسوة •• فلقنه أسمى المبادىء •• وأنبل المقاصد •• وأشرف الغايات •• ليكون للناس بشيرا ونذيرا ••

اتجر فى مال خديجـــة أمينـــا حصيفا •• رزينا مســـتقيما •• فنمت على يديه تجارتهـــا ••

وبوركت بسببه أموالها .. فاختارته لنفسها زوجا بعد أن رفضت أشراف قريش الذين تقدموا لخطبتها والزواج منها .. وبعد أن سمعت عن فضائله من كل مرافقيه ومخالطيه .. ليعيش الزوجان الطاهران الطيبان فى حياة صالحة .. يمنح كل منهما للآخر مظاهر الحب والحنان .. وملامح الثقة والتقدير ..

رأت السيدة خديجة فى زوجها الانسانية النادرة فى سموها وجلالها .. والأخلاق الكريمة فى رفعتها وشموخها .. عرفته كريما سخيا .. عزيزا أبيا .. صاحب مروءة عالية .. وكرامة لا توجد الا فى النفوس الطاهرة الشامخة .. يحمل الكل .. ويقرى الضيف .. ويكسب المعدوم .. ويعين على نوائب الدهر .. ويساعد المحتاج .. وجدته المخلص الصادق الصدوق .. عرفته الهادىء الورع .. الخاشع الوادع .. فكانت له الزوجة الوفية .. والصورة المثالية .. فى صفاء الجوهر .. وأصالة المعدن .. وسمو الخلق .. ونبل الشمائل .. وظلت له اليد الطولى فى تهيئة الحياة الصالحة .. بما منحته من حس مرهف .. وشعور مترف .. وسرعة خاطر .. والتماع ذكى .. فأخذت بدورها تصب فى بيتها عطرا من عطرها .. ونفحة من عبيرها .. وقبسا من اشعاع طهارتها وعفتها ..

رأت خديجة فى محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ .. عزوفا عن الحياة .. وبعدا عن بذخ الدنيا وما فيها من ترف وزينة .. ولمست فيه حبه للعزلة .. وكثرة التفكر والتأمل .. وانجذابا الى السماء .. وتطلعا الى الآفاق .. فلم تتمرد أو تتأبد .. ولم تثر أو تعترض .. ولم تسخط أو تغضب .. ولم تفعل ما يفعله غيرها من النساء اذا رأين فى أزواجهن بعدا أو هجرا .. بل كان عندها من توقد الذهن .. ودقة الفهم .. وسلامة الذوق .. ما جعلها آية فى النبوغ .. وقوة الملاحظة .. لتصبح فى سجل الخالدين رمزا للتضحية والفداء .. وعنوانا للوفاء والولاء ..

حرصت خديجة على تمهيد الطريق لزوجها •• فذللت له كل عقبة •• وأزالت من أمامه كل صعوبة •• تحقيقا لرغبته •• واحتراما لارادته •• وتقديرا لميوله •• فلقد تأكدت من ألفته للعزلة •• ولم يكن شىء أحب اليه من أن يخلد وحده •• ليسبح بفكره ووجدانه فى الآفاق الرحيبة •• والفضاء الواسع •• فكانت تهيىء له الفرص ليقضى الأيام العديدة •• والليالى المتعاقبة ليشبع روحه وقلبه •• ويغذى فؤاده وعقله •• ويرتوى من وراء تفكره وتأمله حتى يطيب خاطره •• وتبتهج نفسه ••

وفى غار حراء •• وهو غار صغير يقرب من ثلاثة أمتار فى مترين •• فى قمة جبل على يسار السالك من مكة الى عرفات •• كان محمد — صلى الله عليه وسلم وهو قبيل الأربعين من عمره الشريف — يذهب اليه •• ويظل فيه •• يقلب البصر بين أرجاء الكون •• ويلقى بنظره فى خضم الوجود •• يمتد به الزمن •• وتتعاقب الأيام والليالى •• وهو فى صمت رهيب •• وفكر عميق •• وتأمل دقيق •• واستفسار دفين •• فتمتلىء بالدهشة •• وتختلج أعماقه بالحيرة •• فيتنقل من نظر الى فكر •• ومن فكر الى دهشة •• ومن دهشة الى رعشة •• ومن رعشة الى تأمل •• ومن تأمل الى استدلال ••

كان الوقت يمتد بمحمد — عليه السلام — ويطول •• وهو على وضعه هذا يشعر بالسعادة والراحة فى هذا الجو الهادىء •• والمناخ الرائع •• الذى تنطلق فيه الروح •• ويسرح الخاطر •• وينتفض الوجدان •• ولولا ما تفرضه عليه الزوجية من واجبات •• لآثر هذه الخلوة عن أى شىء سواها •• فلقد رأى فى خلوته راحة وسكونا •• وفى عزلته سكينة واطمئنانا •• وفى غربته استقرارا وائتناسا •• رغم ما كان فى المكان من خشونة •• وفوق ما يلاقيه من حيرة •• عبر عنها ربه بقوله : « ووجدك ضالا فهدى » ••

لقد عرف محمد من قومه أمورا

لا يقرها عقل •• ولا يرضاها ضمير •• فلم يعجبه دينهم حيث رآهم يعبدون أصناما جوفاء •• لا تسمع ولا تبصر •• ولا تضر ولا تنفع •• فان هى الا جمادات صماء خرساء •• صنعتها يد البشر •• وصورها الانسان من وحى خياله •• ثم قدسها وخضع لها ••

ولم يرقه نوع حياتهم •• ولا أسلوب تعاملهم •• فهناك ظلم وعدوان •• فسوق وفجور •• بهتان وزور •• سلب ونهب •• فساد وبغى •• فوضى وهمجية •• استبداد ووحشية •• فالكبير يأكل الصغير •• والغنى يسترق الفقير •• والقوى يعتدى على الضعيف •• رغم ما هنالك من نفوس موءودة •• وكرامات مهددة •• وحقوق مهضومة •• وحرمات مهتوكة •• وأوضاع مقلوبة •• ان دلت على شىء فانما تدل على شراسة الانسان والضياع فى متاهات الحياة ••

لم يعجبه صلى الله عليه وسلم ما رأى من وثنية غاشمة •• وديانات باطلة •• وعقائد زائفة •• فأين الحق اذن ؟

سؤال كان يتردد بين أعماقه •• فتعتريه حالات نفسية •• ويتملكه شعور غريب •• يشغل لبه •• ويشد عقله •• آثر أن يعتزل الناس ودنياهم •• لأنهم يحولون بينه وبين تفكيره •• ويقطعون عليه سلسلة مشاعره •• لقد جرب الوحدة •• وألف العزلة •• فوجدها تفتح قلبه •• وتريح نفسه •• كما وجد فيها مفتاحا لما انغلق أمامه •• واتجاها لهدايته •• وطريقا لوصوله الى غايته المنشودة التى يجرى وراءها بحثا عن الحقيقة فبالغ فى الانفراد والابتعاد ••

ان الناس وضوضاءهم •• ومناظر حياتهم •• يرهقون حسه المرهف •• فليهرب منهم •• وليبتعد عنهم وان الطبيعة بمناظرها وجمالها •• ورونقها وبهائها •• تبعث فى أعماقه ما يجعله يطمئن اليها •• فالليل فى أعلى الجبل بسكونه الرهيب ••

وهدوئه العميق •• وسـمائه المحيطـة •• ونجومه المتلألئة •• وبدره السافر •• والكون حولهنائم واقد •• وهو ينـاغى الكواكب فى حيرة وتساؤل •• والنهار فى أعلى الجبل كذلك يشرف منه على العالم من تحته •• فيشـاهد الناس فى صخبهم وسـلوكهم •• فيتأسى لأحوالهم •• ويشـفق على اضـطرابهم •• كل هذه الخواطر كانت تختلج فى صـدر محمـد الانسـان •• وتدور بخلده •• وتمتزج بوجدانه فيخفق قلبه وهو فى غار حراء •• فلقد عرف الباطل ورأى مظاهره ونتائجه •• والنهاية الاليمة التى تتردى فيها الانسانية •• فتهوى الى دركات سحيقة من الهلاك والخسران •• فهو يريد أن يعرف الحق الذى يضمن السلامة •• ويصـون الكرامة •• ليرتقى بالبشرية الى أسـمى درجات الكمال •• كما أنه أدرك الضـلالة وما تؤدى اليه من فوضىواضطراب •• ويريـد أن يـدرك الهـدى وما يترتب عليهـا من اشراق وانطـلاق •• الى آفاق الأمن والاستقرار •• ولم يعجبه ما كان الناس عليه من تخبط وانحطـاط وهمجية وفساد •• ولكن يريد أن يعرف ما ينبغى أن يكونوا عليه من خير وسلام ••

كانت هذه أفكار محمد ـ عليه السلام ـ وخواطره•• يستعرضها وكأنه يرسم للوجـود طريق الخلاص •• ويضع للناس الحلول السليمة •• والقواعد الحكيمة •• التى تقودهم الى الحياة الفاضـلة •• والمجتمع الطاهر •

هذا الظلام بسواده وغيومه وكآبته
فأين النور بتألقـه وسـناه •• ؟
وهذا العمى ببهته وطمسه وحلوكه
فأين البصر بجلائه وصـفاه •• ؟
وهـذا الانحراف بجهالته ورذيلته ومساوئه
فأين الحق بطهره وهـداه •• ؟
وهذا المرض بأسـقامه وأثقاله وآفاته
فأين الدواء ببلسمه وشـفاه •• ؟

هكذا رأينا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غار حراء••لميأو اليه عبثا •• ولم يأته عجـزا أو سـلبية •• وانما جاءه متفكرا

متأملا •• باحثا متكشفا •• ساعيا وراء الحق •• بعد أن تهيأت نفسه •• واستعدت روحه •• وكملت مشاعره •• وامتزجت بالاصلاح أحاسيسه •• لم يطلب الحق من طريق الشعر •• فالشاعر يحلق بخياله •• وينسج بأوهامه •• ثم يترجم بلسانه •• مستسلما لما يمليه عليه الهوى من رؤى وأطياف وما تفرضه القوافى من قيود يلتزم بها سعيا وراء الألفاظ الحلوة •• والكلمات المزهوة •• لتنسجم مع الألحان والأنغام •• وليس هذا من شأن النبوة فى قليل أو كثير ••

ولم يطلب الحق من طريق الفلسفة أو العلم •• فكلاهما عبد المنطق •• عبد الألفاظ •• عبد الكتب عبد الأفكار •• عبد النصوص •• ولكل انسان عقله وقد يضل •• وفكره ربما يزل •• ومنطقه وكثيرا ما يخطىء ويجنح •

ولكن محمدا ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ طلب الحق من طريق أسمى وأرفع من هذا وذاك •• فلقد طلبه من طريق القلب •• وأعلن أنه لم يطلب علما •• ولكن طلب ايمانا •• فهو أمى لا يقرأ ولا يكتب ولأن القلب فوق اللغة •• وفوق الكتابة والقراءة •• وفوق العلوم •• وفوق المنطق •• من أجل هذا لم يلجأ محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ الى معلم يعلمه الكتابة •• ولم يذهب الى مثقف بالكتب والأديان •• بل فضل على ذلك كله صحبة غار حراء •• حيث الطبيعة الصادقة على فطرتها •• مفتوحة على قلبه •• وحيث يتصل هو وهى بربها وربه ••

« بحث وتحليل »

وصفوة القول : أننا لو تناولنا موقف محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قبيل البعثة وغار حراء والفترة الزمنية التى شملت ذلك لكان من العسير على الباحث أن يحيط بهذا المجال من كل نواحيه •• ولكننا نتناوله من بعض زواياه •• وبقدر محدود •• حيث ان العقل يقف حائرا •• والفكر يظل قاصرا أمام هذا المقام الواسع الفسيح •• وما يحيط به من غيب وأسرار ••

فلو نظرنا الى المكان •• والمقصود به:غار حراء •• لوجدناه مع ضيقه وبساطته وخلوه من الأثاث والمتاع •• أوسع من الدنيا •• وأرحب من الحياة ••

ولو نظرنا الى وحشته وظلمته •• لوجدنا فيه الأنس والبهجة •• والراحة والطمأنينة •• والنور والضياء •• فبهجة النفس •• وطمأنينة القلب •• وضياء الأعماق •• أسمى من كل ما عداها •• فكم من قصور مترفة •• ومساكن مرهفة •• وهى جرداء من تذوق السعادة •• رغم ما فيها من كل ما يبهر العيون •• ويأسر الأبصار ••

وكم من مدن تسطع فيها الأنوار •• وتتألق بينها الأضواء •• ولكنها تعيش فى ظلمة حالكة •• وتعيش فى جهالة عمياء •• رغم ما تدعيه من مدنية وحضارة •• ورفعة وارتقاء •• حتى وان زخرت بما عندها من معارف وعلوم •• لأن كل علم خلا من الايمان •• وتجرد من اليقين •• ونأى عن طريق الله كان دمارا وخرابا على الزمان والأجيال ••

ولو أننا قارنا الموقف فى غار حراء بغيره من المواقف الدنيوية •• ووضعناه مواجها لهذه المؤتمرات الدولية الحديثة بما لها من طاقات وامكانيات واستعدادات •• وما تتطلبه من أجهزة وأموال ومفكرين ومساعدين •• وما تسفر عنه فى النهاية من سقوط فى مهمتها •• أو انحراف فى غايتها •• أو تمرد على أهدافها •• أو هضم لحقوق شعوب بريئة •• أو اعتداء على دول نامية •• اما عن سوء فهم •• أو عدم علم •• أو حب فى السيطرة •• أو امعان فى التجبر والاستغلال •• فيفتك الانسان بأخيه الانسان •• وتقوم الحروب •• ويتخرب العمران •• وتتشرد الأفراد والجماعات لوجدنا الفرق واسعا أما الموقف فى غار حراء•• فكان بمثابة منزل الطمأنينة •• ومهبط السعادة •• وشاطىء الأمان لهذه الحياة ففيه تألق الجوهر •• وسطع الحق •• وولد الخير •• وتحقق العدل •• وعم الهدوء ••

وسادت المودة •• ونشأت الرحمة ••وانتشر السلام على ربوع العالم •• حيث سرى بين جوانب هذا الغار نور الله •• فتفجرت ينابيع اليقين •• على قلب محمد الأمين ـ عليه السلام ـ •• الذى اتخذه وسيلة الى الوصول نحو المعرفة •• وطريقا الى الحقيقة••

ومن هنا : يتضح لنا أن القلب أقوى من العقل •• وأن البصيرة أجلى من البصر •• فكثير من أصحاب العقول •• مرضى القلوب •• حيث انهم يرون بعقولهم أدق الأشياء •• ولكن القلوب فى عمى عن درك الشمس السافرة فى وضح النهار ••

فما أكثر هؤلاء الذين كتبوا وألفوا •• واخترعوا ونبغوا واكتشفوا بعيونهم وعقولهم •• وملئوا الحياة بنظرياتهم •• فكان لهم فى مضمار العقل سبق كبير •• الا أننا نراهم بعد ذلك يرسفون فى حضيض الجهل •• ودركات الضلال •• فمنهم:من يسجد للنار •• ومنهم : من يعبد الحجر •• ومنهم:من يقدس البقر ومنهم:من يعظم الشمس والقمر •• وأولئك هم أصحاب النار •• وهم فيها خالدون •• ولو أن بصيصا من النور دخل قلوبهم •• لما كانوا فى جهالتهم يعمهون ••

اذن:فعلوم العقل تتضاءل أمام ادراك القلب •• وكشف البصائر •• تعجز عنه الأبصار •• وشتان ما بين المادة والروح •• والعرض والجوهر •• فكثيرا ما نرى أناسا تبحروا فى العلوم •• وخاضوا ميادين المعارف معتمدين فى ذلك على عقولهم المحصورة التى لا تدرك سوى الماديات التى تربطها القواعد والقوانين وتحكمها الرؤية والمشاهدة •• وبالتالى فهى محدودة قاصرة •• أما القلب والروح والبصيرة فهى قوى معنوية •• ترتقى فوق الحواس•• فلا تخضع للقوانين أو المقاييس••

من أجل هذا:نرى أناسا وصلوا الى معرفة الخالق عن طريق العقل •• فجاء ايمانهم ناقصا غير مكتمل فى الوقت الذى نجد أن من عرف الله تعالى بقلبه كان عميق الايمان •• وطيد اليقين ••

ولا عجب أن نرى امـرأة بـدوية جاهلية كانت أسبق الى الايمان من بعض أصحاب العقول الكبيرة •• والأفكار الواسـعة كأبى سـفيان وغيره من سادات قريش ••

ومما يؤيد كلامى هـذا الـذى أقرر فيه أن طريق الايمان هـو القلب : ما نراه من العلمـاء والعباقرة الذين وصلوا بسـفنهم الى بعض الكواكب عبر الفضاء•• ثم عادوا من رحلتهم ينكرون وجود الله ولو أن عندهم قلوبا واعيـة لامتلئوا يقينا وايمانا •• نتيجـة ما شاهدوه من عظمة الكـون •• ورحابة الآفاق •• ودقة الصنع •• واتساق النظام •• وروعة هـذا الوجود •• الذى لا يمكن مطلقـا أن يأتى وليد الصـدفة •• وذلك لأن قلوبهم لم تحرك عقولهم •• لما ران عليها من صدأ •• وما بهـا من غشاوة•وهكذا نعلم:أن من مات قلبـه •• وعميت بصـيرته •• يستحيل عليه أن يؤمن •• مهما كان عقله متفتحا وسأسوق مثـلا على ذلك فأقول : تكلم كثير من علمـاء الحشرات عن العنكبوت •• وأجروا أبحاثا على حياتها وطبيعتهـا •• وادعوا أن انواع العنكبوت تصل الى خمسين ألف نوع •• واكتشفوا أن العناكب تتلون بلون المكان الذى تعيش فيه حتى تتمكن من التخفى ••وتوصلوا الى أن العناكب لاترى الأشياء البعيدة •• وأن بعضهـا لا تزيد رؤيته عن بوصة واحدة •• غير أنها ذات حسـاسية قـوية جدا •• لدرجة أنها تستطيع معرفة أى شىء تريـد معرفتـه •• لأن أهدابها التى تنتشر على أقدامهـا تستطيع بواسـطتها معرفة أى شىء يلمس خيـوطها البعيـدة المتطايرة فى الهواء •• وقالوا عنها: ان الزوجـة من العنكبـوت تأكل زوجها بعد الزواج غالبا •• كمـا أخبروا:أن العنكبوت تنسج خيوطا تطلقه فى الفضـاء متعلقـة به •• فيرتفع مع تيارات الهواء الساخنة الى طبقات الجـو العليا •• فقـد تصل فى ارتفاعها الى خمسة عشر ألف قـدم •• وقالوا عنها كذلك : انها مهنـدس بارع •• وجنـدى يتقن عمليات التخفى •• وغواص ماهر •• ومكتشف لطبقات الأجواء

العليا •• وحائك دقيق ونساج فنان •• ثم ينتهى بهم البحث الى القول بأنها أعجوبة ••

نعم •• هكذا رأوا بعقولهم •• ما أوصلته اليه عقولهم •• فوصلوا فى النهاية الى القول بأنها أعجوبة ووقفوا عند هذا الحد •• وذلك لأن قلوبهم عميت عن ادراك الحقيقة السافرة •• والبينة الواضحة التى لا يراها الا القلب المؤمن •• والفكر الوضىء •• والبصيرة الملهمة ••

لقد غاب عنهم ما وراء هذا المخلوق العجيب من أسرار •• وضاعت منهم الحقيقة الناطقة التى تشير الى عظمة الخالق •• وقدرته الباهرة •• ونظامه البديع •• الذى خلق الموجودات بدقة واحكام ولكنهم غفلوا عن وجود هذا الآله الذى صنع هذه المخلوقات المختلفة •• وزودها بخصائص عجيبة تحار فيها العقول •• وتؤمن بها القلوب ••

ولو أن انسانا جاهلا وقف على هذه المشاهدات •• لنطق قلبه فى الحال •• تبارك الله أحسن الخالقين « **وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** » (١) ••

قبس من نور

سجى الليل •• وبرزت نجوم السماء كمصابيح نثرت فى الفضاء •• وشمل الكون سكون عميق •• وبدت جبال مكة كأشباح صامدة •• وهدأت الطبيعة من صخب الحياة وضجيجها •• وطابت لمحمد — عليه الصلاة والسلام — لذة المناجاة •• بعد أن أفرغ قلبه من كل شواغل الدنيا •• وتجرد من روابطها •• فأرسل تأملاته الفاحصة النفاذة تخترق الحواجز جريا وراء الغيب •• وكأن احساسا داخليا يشده الى السماء •• فيطيل النظر •• ويمد البصر •• ثم يطلق للقلب العنان •• عله يستشف الأسرار المكتونة التى تحيط هذا الوجود •• وكأن قلبه

---

١ — سورة الروم ٥٣

ينبض بالتســاؤل والاستفســار رغبة فى الوصول الى الحقيقة ••

وفى ليلة من ليالى رمضــان •• وكانت هى ليلة الحيــاة •• وليلــة البركة •• وليلة النور •• وليلــة الخير •• وليلة الرحمة •• وليلــة الهدى •• وليلة القدر والشرق •• وبينما كان محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعيدا عن دنيا الناس •• تلفت هنا وهناك على صوت رهيب يمزق صمت المكان •• فتطلع مأخوذا نحو الأفق العالى لصلصلة لها جرس عنيف فارتاعت نفسه •• وارتجف فؤاده •• وارتعدت أوصــاله •• وظل صامتا مبهورا يلفه الخشوع ••ويتملكــه الــرعب •• من تألق النور الزاهى الذى غمر المكان •• ياللعجب •• ان النــور يتجمع ويتركز حوله حتى غمــره وأفاض عليه •• واذا به أمام ملك له بريق •• اقترب منه وضمه ضمة شديدة فى قوة خارقة •• عجــز محمد عن مقاومتها وتحملها •• حتى أوشك على المــوت •• وكادت أنفاســه تتوقف •• وأعضاؤه تتهشــم •• أمام هذه القوة الهائلــة •• ولكن الملك أطلقه قائلا له : اقرأ يامحمد •• فرد عليه الصــلاة والســلام قائلا : ما أنا بقارىء •• بصــوت متهــدج وكأنه يطلب منــه الرفق والشــفقة •• وتكرر الأمر مرات ثلاث •• ثم قال له : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق •• خلق الانسان من علق •• اقرأ وربك الأكرم •• الذى علم بالقلم • علم الانســان ما لم يعلم** » ••

وارتفع الملك من حيث أتى •• أما محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقــد وقف جامدا فى مكانه •• مبهورا مأخوذا مما رأى •• وأخذ يقلب ببصره فى السماء •• فيرى الملك فى الفضاء ويسمعه يقــول : يا محمد أنا جبريل •• وأنت رسول الله •• فتأكد محمد أن جلال الحق قد حل •• وأن نور الحقيقة قــد وضح •• فقضى على كل خــوف •• وأحس بأن نفحة مضــيئة من العالم الأعلى سكنت فى قلبــه من جديد ••

وهنا تتوقف الأقلام •• وتتجمد الأفهام •• أمام هذا المشــــهد الرائع •• فلا الشعراء يســبحون

بخيالاتهم وأوهامهم •• ولاالأدباء بدقتهم وأذواقهم •• ولا الحكماء بمعارفهم وأفكارهم ••

ولا الرســامون بريشــتهم ولوحاتهم •• لماذا •• ؟ لأنه موقف، من مواقف السرمدية والأبدية •• ولأنــه موقف من مــواقف الملأ الأعلى •• ولأنه موقف من مواقف عالم الغيب •• هنا فى غار حراء•• تجلت رحمــة اللــه •• وتحققت أسمى الرســالات •• وتفتحت مغاليق الكون •• والتقت الأرض بالسماء •• فكانت مسيرة الخير•• وموكب الحق •• ومشرق النور •• ومنبع الطهر •• ومنطلق الحضارة والأمن والاستقرار •• انه الايمان ••ولا شئ غير الايمان ••

قد يتساءل المرء قائلا : لمــاذا ضم جبريل محمدا عليهما الســلام بعنف وقوة حتى أوشــك عــلى الموت •• ؟

والجواب عن ذلك •• أن ماحدث على هذه الصــورة •• انما كان بمثابة درس وتنبيه لمحمد عليــه السلام فى بدء حيــاة النبــوة •• يتعلم من خلاله أن المهمة شــاقة مجهــدة وأن الأمر خطير •• وأن الرسالة تبعة وأمانة •• وأن القيام بها صعب يحتاج الى صبر وجلد•• وعزم وحزم ومثابرة •• وأن يحفظ ما ينزل عليــه بيقظــة وأمانة •• وحرص واهتمــام فــلا يفرط ولا ينسى •• ولا يهمل ولا يغفــل ولا يتقــول ••

ومما تقدم نرى أن محمد ــصلى الله عليه وسلم ــ •• تعلق بالهداية فشدته اليهــا •• وانطبع عــلى الاســتقامة فجذبته نحــوها •• وانطوى على المثالية فارتبط بها•• وتهيأ للأمر العظيم فمشى فى رحابه ••وسار فى دربه •• وعرف الحق فالتزم به وتعشق الكمال فاكتساه ••وتسربل بالجــلال فارتداه •• حتى لمعت فى قلبه الشرارة الالهية كما يتهيأ السحاب فيلمع البرق ••

لقد أضــاءت له هــذه الشرارة الآلهيــة كل شئ •• واللــه أعلم حيث يجعل رسالة •• يمهد لها •• ويصلح من أجلها النفوس ويهذبها •• يمدها بالنور •• ويســقيها باليقين •• ويتولاها بالعنــاية • ويغلفها بالعظمة •• ويلفها بالوقار

•• ويزودها بالخشوع •• ثم يكون العطاء ••

جاءت رسالته من جنس هدايته •• فرسالته أن يبعث الحيـاة فى القلب •• ويبعث الضـــوء الى النفس • كالقمر يستمد نوره من الشمس •• ثم يعكس أشـــعته الجميلة الزاهيـة على الكـون •• •• يشترك فى الاهتداء به العـالم والجاهل •• الـذكى والغبى •• الفيلســـوف والعيى •• الكاتب والأمى •• المثقف والعامى عـلى اختلاف فيما بينهم •• لأن بينهم قدرا مشـــتركا من القلب قابـلا للاهتـــداء ••

جابر حمزه فراج

❋ ❋ ❋

رمضان
شهر العبادة

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

ما أعز وأجل وأكرم رمضان ، شهر العبادة ، وشهر الطاعة ، وشهر الصيام .

ما أرفع هذا الشهر العظيم ، الذى شرع الله فيه الصوم ، وجعله فيه فريضة ، أوجبها على كل مسلم ومسلمة ، يعبدان الله فى الارض .

وما أجل رمضان ، الشهر الذى أنزل الله عز وجل فيه القرآن ، كتاب الله المبين ، الحكيم ، العظيم الذى نزل على رسولنا الامين ، محمد صلى الله عليه وسلم ، نورا وهدى للناس ، ورأفة وبرا بالانسانية ، وانقاذا للناس أجمعين من ظلمات الشرك والوثنية والضلال والبهتان .

لقد عظم الله أمر رمضان غاية التعظيم ، وكرمه أبعد حدود التكريم ، فأنزل فيه القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وبالقرآن بدأت الانسانية تعود الى رشدها ، وترجع الى صوابها ، وتنصت لنداء السماء وتبعد عن دعوات الشرك والمشركين ، وتدخل فى عهد جديد من الحضارة والتقدم والرفاهية .

ولقد كرم الله شهر رمضان تكريما يفوق كل تكريم، ففرض فيه الصيام ، وجعل هذا الشهر الجليل كله موسما للطاعة والعبادة ، اذ دعا الى صيام نهاره ، وندب الى قيام ليله ، وسن فيه ذكر الله وقراءة القرآن ، والتهجد بالليل ، ودعا فيه عمر بن الخطاب المسلمين الى صلوات التراويح ، مظهرا جليلا

لطاعة الله وعبادته وتقواه ، وأوجب فيه الله عز وجل زكاة الفطر ، كما سن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة والاحسان والجود والبذل والعطاء والسخاء ، والانفاق على الفقراء واليتامى والمساكين •

وفى حديث البخارى : كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه كل ليلة فيدارسه القرآن ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة •

— ٢ —

ولنستمع الى حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه :

كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به ، انه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه •

وفى هذا الحديث بيان واضح لعظمة شريعة الصيام ، ولتأكيد الله عز وجل لها ، وشرح لعظيم جزائها عند الله عز وجل فى الدنيا والآخرة •

وفى حديث سلمان المرفوع الذى أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه : رمضان هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة • وفى حديث آخر : الصوم نصف الصبر ، والصبر نصف الايمان • وفى حديث ثالث : الصيام لله لايعلم ثواب عمله الا الله عز وجل •

وفى هذا الحديث بيان لجلال شريعة الصوم ولعظمة جزائها عند الله جل جلاله ••

والآية الكريمة : « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** »(١) بيان واضح صريح لأثر الصوم كطاعة وعبادة وشريعة ، فى بعث روح الايمان والتقوى والخير فى نفس المسلم •

---

(١) البقرة ١٨٣

وفى الحديث : ان للصائم عند فطره دعوة ما ترد .

وفى حديث رسول الله صلوات الله عليه : من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه .. رواه أحمد وأصحاب السنن .

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة،عليهم أسس الاسلام، من ترك واحدة منهم فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان » .

وفى حديث ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم فشفعنى فيه ، فيشفعان — رواه أحمد .

وفى حديث أبى أمامة ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : مرنى بعمل يدخلنى الجنة . قال : عليك بالصوم ، فانه لا عدل له ، ثم أتيته ثانية فقال : عليك بالصوم فانه لامثيل له . رواه أحمد .

وفى حديث سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان للجنة بابا يقال له الريان ، يقول يوم القيامة : أين الصائمون ، فاذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب ، رواه البخارى ومسلم .

وفى الصحيحين : ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون لايدخل منه غيرهم .

وفى الحديث : ان الجنة لتزخرف من الحول الى الحول لدخول شهر رمضان ، فتقول الحور : يارب اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجا تقر أعيننا بهم ، وتقر أعينهم بنا .

وفى حديث الحارث الاشعرى عن رسول الله صلوات اللهوسلامه عليه : أن زكرياء عليه السلام قال لبنى اسرائيل : آمركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل فى عصابة معه صرة فيها مسك ، فكلهم تعجبه

ريحه ، وان ريح الصيام أطيب عند الله من ريح المسك •

وهــذه الاحاديث كلهــا تــدل على فضيلة شهر رمضان ، وعــلى فضل فريضة الصيام فيه ، وهى ناطقة بعظمة هذه العبادة الاسلامية الجليلة •

ــ ٣ ــ

والصدقة في رمضان شــعيرة ، وسنة مندوبة ، وعمل انســانى يرضى الله وملائكته ورســله عنه، وفى الترمذى عن أنس مرفوعــا : أفضل الصدقة صدقة فى رمضــان وفى حديث زيد بن خالد عن رسول الله : من فطر صائما فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شىء •

وفى حديث سلمان مرفــوعا : رمضان شهر المواساة ، وشــهر يزاد فيه فى رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه،وعتق رقبته من النار ، وكان له مثــل أجره من غير أن ينقص من أجــره شىء ، قالوا : يارسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، قال : يعطى الله هذا الثواب لمن فطــر صائما على شربة لبن أو تمرة أو شربة ماء ومن أشبع فيه صائمــا سقاه الله من حوضى شربة لايظمأ بعدها حتى يدخل الجنة •

ونعيد هنا ذكر حديث ابن عباس كما فى الصحيحين ، وخرجه الامام أحمد : كان النبى صلى الله عليــه وسلم أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضــان حين يلقـــاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكــان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضــان فيدارسه القرآن ، فلرسول اللــه صلى اللــه عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريـــح المرسلة •

وفى المسند عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : نزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من شهر رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، وأنــزل الانجيل لثلاث عشرة من رمضان ، وأنزل القرآن لأربــع وعشرين خلت من رمضان •

ان الصـــيام عبادة روحيــة

اسلامية جليلة ، وهو ركن من أركان الاسلام ، وشعيرة من أجل شعائره ، وهو تهذيب للمسلم ، ورفع لروحه الى مستوى الانسانية الرفيعة ، وتطهير للمؤمن من الذنوب والمعاصى ، وهو سياج وحمى يحول بين المسلم وبين التفكير فى عمل ما يغضب الله من الذنوب والآثام ، وهو حائل بين المسلم وبين الاسترسال فى الشهوات واللذات والمعصية •

وهو شهر القرآن العظيم ، القرآن الكريم ، القرآن كتاب الله الخالد ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد •

ونختم هذه الكلمة بهذا الحديث العظيم ، كما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

يمثل القرآن يوم القيامة رجلا ، فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف أمره ، فيتمثل له خصما ، فيقول : يا رب ، حملته اياى ، فبئس حاملا تعدى حدودى ، وضيع فرائضى ، وركب معصيتى ، وترك طاعتى •• فلا يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال : شأنك به • فيأخذ بيده ، فما يرسله حتى يكبه على منخره فى النار •

ويؤتى بالرجل الصالح كان قد حمله وحفظ أمره فيتمثل له خصما دونه ، فيقول : يارب حملته اياى فخير حامل ، حفظ حدودى ، وعمل بفرائضى • واجتنب معصيتى ، واتبع طاعتى ، فلا يزال يقذف له بالحجج ، حتى يقال : شأنك به فيأخذ بيده ، فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ، ويعقد عليه تاج الملك، ويسقيه كأس الخمر » •

صدق رسول الله ، اللهم اجعلنا ممن آمن بكتابك وسنة رسولك حق الايمان ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

د• محمد عبد المنعم خفاجى

الإمام الدكتور

عبد الحليم محمود

كما عرفته

للأستاذ على عبد العظيم

عرفت عديدين من زعماء علماء العالم الاسلامى فى شتى الأقطار والأمصار ، كان فيهم من يمتاز بالعلم الغزير والثقافة العميقة المتنوعة ، ومنهم من كان يمتاز بالذكاء الوقاد أو البصيرة الملهمة ، ومنهم من كان يتميز بالتقوى والصلاح والحرص على التمسك بالشعائر الاسلامية .

ولكننى عرفت من اجتمعت فيه هذه الصفات كلها وهو المغفور له الدكتور عبد الحليم محمود تغمده الله برحماته وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

عرفته وهو أستاذ بكلية أصول الدين ثم عرفته وهو عميد لها ثم وهو أمين عام لمجمع البحوث الاسلامية ثم وهو وكيل للأزهر ثم وهو وزير للأوقاف ثم وهو شيخ للأزهر ، فاذا هو هو لم تغيره المناصب ، ولم تفتنه الألقاب والرتب ، بل كان يزداد تواضعا كلما ازداد رفعة .

وكان — رحمه الله — يمتاز بالقدرة على العمل المتواصل لا يشغله عنه شاغل ، كما كان يمتاز بأن لسانه رطب بذكر الله دائما سواء فى اقامته أم فى سفره لا تفارق مسبحته يده أو لا يشغله شاغل عن مواصلة الذكر والعبادة .

وقد ترك ثروة ضخمة من المؤلفات العلمية القيمة لا ينهض بها الا أولو العزم من العلماء فى شتى ألوان الثقافة الاسلامية .

فقد ترجم بعض الكتب عن الفرنسية وحقق بعض المخطوطات

الثمينـــة وألف فى تراجم بعض العلماء الراسخين فى العلم وبخاصة فى التصوف وألف فى الدفاع عن الاسلام وفى ابراز المقـــومات الاسلامية السامية وفى تفســير بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وعنى عنـاية تامة بنشر الكتاب الاسلامى عن طريق مجمع البحوث الاسلامية بثمن رمزى ، وراعى فيما تنشره الأمانة العـامة لمجمع البحوث الاسلامية أن تكون بعض الكتب سهلة الأسلوب ميسورة الفهم ليعم نفعها الجميع ، كمـا اهتم بأن ينشر بعـض الكتب العلمية الدقيقة التى ينتفع بهـا الخاصة فجمـع فى هـذا بين الحسنيين ، كمـا اهتم بنشر الموسوعات الاسلامية الكبرى مثل « الجامع الكبير للسيوطى » وهو يضم مائة ألف حديث وقد صـدر منه نحو ثلاثين جزءا والبـاقى فى طريقه الى النشر .

ومن مزاياه الكبرى عفة اللسان وطهارة الصدر ، فقد أساء اليـه كثيرون فقابل اساءتهم بالصـفح الجميل ملتزما قوله تعالى « **خـذ العفو وامر بالعرف وأعـرض عـن الجاهلين** » . كما كان يمتاز بعفة السمع فلا يسمح لجلسـائه أن يخوضوا فى نقد أحد من المسلمين وان كان يستحق النقد عملا بقوله تعـالى « **ولا تقف ما ليس لك به علم ان السـمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسـئولا** » ، وكان يضيق باللغو فلا يسمح به فى مجلس من مجالسه لأنه كـان حريصا على أن يقضى الوقت فى ذكر الله أو فى مشروع علمى نافع مفيد .

ولقد صحبته فى بعض تنقـلاته فكان أثناء الطريق يتلو القـرآن الكريم أو يستمع الى من يجيـد تلاوته أو يثير قضية علمية يستمع فيها الى من يصحبه ، وكان بفطرته الطبيعية يميـل الى الاستشـارة والحكم الجماعى ، فحينمـا ولى وزارة الأوقـاف ألف مجلسـا استشاريا ضـم وكلاء الوزارة وبعض من يأنس فيهم قوة الايمان وعمق التفكير ــ وكان من حظى أن اختارنى من أعضاء هذا المجلس فكنا نجتمع أسبوعيا تحت رياسته

وندرس مشكلات الوزارة ونتناقش فيها وفى أثناء المناقشة يتضح الصواب فيسرع الى قبوله والى العمل به .

وفى مشيخة الأزهر ألف لجانا عديدة من أهمها اللجنة العليا للدعوة الاسلامية وهى تضم لفيفا من كبار رجال الصحافة والجمعيات الدينية ورجال الفكر الاسلامى ، وكنت أحد أعضاء هذه اللجنة ، ومن آخر الموضوعات التى طرحها على اللجنة موضوع كيف يستقبل الأزهر القرن الخامس عشر الهجرى . وقد استقر رأى اللجنة على التوصيات التالية ، وبدأ فضيلته الاعداد لتنفيذ هذه المقترحات وأهمها :

١ ـ وضع ترجمة دقيقة لتفسير القرآن الكريم .

٢ ـ انشاء معاهد مراسلة لنشر اللغة العربية فى البلاد الاسلامية غير العربية عن طريق الاذاعة والتسجيلات الصوتية .

٣ ـ انشاء صحيفة اسلامية كبرى تهتم بأخبار العالم الاسلامى ومعالجة مشكلاته .

٤ ـ نشر بعض الكتب المبسطة عن شعائر الاسلام وحضارته الروحية وأثره فى العالم وترجمتها الى اللغات الحية المعاصرة .

٥ ـ العمل على انشاء مراكز ثقافية اسلامية بأهم الحواضر العالمية الكبرى .

٦ ـ العمل على تذويب الخلافات الطائفية فى الدول الاسلامية ليلتقى الجميع على كلمة سواء .

٧ ـ ترجمة بعض الكتب الاسلامية الهامة التى صدرت باللغات الأجنبية ليتيسر للمسلمين الانتفاع بها .

وكنا نتمنى أن يمد الله فى عمره حتى يتم تنفيذ هذه الوصايا .

ومن مزاياه قدرته على العمل المتواصل فقد شغل مناصب هامة عديدة كان ينهض بأعبائها فى صبر ومثابرة بهمة لا تعرف الملل ولا الكلال .

كان يستيقظ من نومه فى الثلث

الأخير من الليل فيتهجد ما شاء الله له أن يتهجد ، وبعد صلاة الفجر يعكف على التأليف بضع ساعات ونفسه صافية شفافة فيلهمه الله من الآراء والأفكار السديدة الصائبة ما يلهمه ، ثم ينتقل لمباشرة عمله فى حيوية ونشاط ولهذا ترك فوق الثمانين كتابا من أقوم الكتب التى أفادت المسلمين فى شتى البقاع والأمصار وهو جهد تنوء به العصبة أولو القوة .

وكان الى هذا كله سخى اليد ينفق فى سبيل الله انفاق من لا يخاف من ذى العرش املاقا ، فكم أعان من عائلات فقيرة مدقعة لولاه لعضها الجوع بأنيابه وبراثنه وألزم نفسه الزاما أن يتصدق بعشر ما يصل الى يده . قلت له يوما : ان الزكاة تجب حينما يتم الحول بمقدار اثنين ونصف فى المائة . فقال : اننى ألتزم بقوله تعالى : **« وآتوا حقه يوم حصاده »** . لأننى لا أملك ضمان بقائى على قيد الحياة حتى يحول الحول . أما اننى أتجاوز نصاب الزكاة فلأننى أعمل بقوله تعالى : **« وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »** ولهذا عاش ومات دون أن يمتلك بيتا يأويه ويأوى أسرته واكتفى باستئجار بيت متواضع ظل فيه وهو أستاذ بالكلية ثم وهو عميد لها ثم وهو وزير ثم وهو شيخ للأزهر .

وكان دائم العناية بمن يعملون معه ، دعيت معه الى مآدب عديدة فكان قبل أن يمد يده الى الطعام يوصى باطعام سائق سيارته وساعيه الخاص ولا يتناول شيئا حتى يطمئن الى تنفيذ وصيته .

وقلما كان يغضب أو يثور الا حينما يتعرض الاسلام أو الأزهر لنقد أو تشهير فكان يغضب فى الله ويرضى فى الله ويحب فى الله ويسخط فى الله ، وقد ناله بعض الخصوم فى لجاجة واسراف فرددت على ما كتبه أحدهم فى نقده ، فاتصل بى ورجانى أن أكف عن الكتابة ضد خصمه واقترح على أن أضيف كتابا فى تاريخ مشيخة الأزهر منذ انشائها

الى الآن(١) ليصرفنى عن مواصلة الكتابة ضد خصمه العنيف فلبيت دعوته ، وما كدت أفرغ من ترجمة حياته حتى اختاره الله الى جواره فكانت خسارة العالم الاسلامى فيه كبيرة كما كانت خسارتى أنا فيه كبيرة ولهذا أسرعت الى رثائه وان كان هذا الرثاء لا يعبر عن مقدار آلامى وأحزانى عليه وقد قلت فيه :

ما كدت أهتف فى الورى بحياته
حتى سعيت مشيعا لرفاته
فتمزق القلب الكليم من الجوى
متدفقا ينساب فى عبراته
صهرته آلام الأسى فتصاعدت
أنفاسه كالجمر فى زفراته
عجبا لمن ذقنا النعيم بقربه
ذقنا فنون الثكل يوم وفاته
اليأس من بعد الامام أحاطنا
وطوى جوانحنا على ظلماته
كان العزاء لنا اذا جد الأسى
واليوم مات عزاؤنا بمماته
يا راحلا عمت فجيعته الورى
فالكل مطوى على حسراته

شيخ الشيوخ مضى لساحة ربه
مستروحا بالفيض من رحماته
من كان للاسلام حصنا باذخا
يدعو له ويذود عن حرماته
بلغ المدى فى كل فضل سابغ
فأشع نورا من جميع جهاته
وسما فحقق كل مجد سامق
وأفاض سباقا الى غاياته
ما كف عن ذكر المهيمن لحظة
فى صحوة أو فى عميق سباته
ما كان يعبد رغبة أو رهبة
لكنه عبد الاله لذاته
سل عنه جنح الليل كيف طواه فى
أبحاثه • وقضاه فى اخباته
وأفادنا ببحوثه • وأمدنا
بيقينه ، واقتادنا بصفاته
ملأ العيون بسمته ووقاره
وغزا القلوب بحلمه وأناته
يبدو جلال الحق فى نفحاته
ويشع نور الطهر فى قسماته
سمح اليدين بماله وبجاهه
وبعلمه وبنصحه وعظاته
غمر الجميع بنبله وسخائه
فالكل مشمول بفيض هباته

---

(١) كاد يتم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية فى جزئين كبيرين

يعطى ويعطى لا يمل من الندى
ويزيد اعطاء على علاته
لم يجتمع مال لديه لأنه
أقناه فى صدقاته وزكاته
ففعاله موصولة بيقينه
وصلاته موصولة بصلاته
حسن الخلائق كالندى فى أيكه
والماء فى ينبوعه والعطر فى زهراته
عذب الحديث كأنما هو صدحة
غنى بها داود فى نغماته
يا من ورثت المصطفى فى هديه
وتبعته مترسما خطواته
فنهلت ثم عللت من ينبوعه
وقبست نور الحق من مشكاته
أحييت سنته وصنت سبيله
وعملت بالمأثور من كلماته
وقضيت عمرك تاليا لكتابه
متدبرا ما راع من آياته
تصغى وتقرأ ثم تشرح للورى
ما يبهر الألباب من نفحاته
أرضيت ربك جاهدا ومجاهدا
فانعم مع الأبرار فى جناته

على عبد العظيم

« هل تعلم ؟ »

* **ان شهر رمضان هو الشهر الوحيد الذى ذكر فى القرآن ذكرا صريحا ، ولم يذكر شهر سواه .**
* **ان لكل شىء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم .**
* **ان للصائم دعوة عند فطره لا ترد .**
* **ان الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة .**

اللغة العربية والبيان القرآنى
ألفاظ القرآن

للدكتور إبراهيم عوضين

نعرف أن لكل لغة سمات خاصة فى بنائها التعبيرى ، الذى تتميز به عن غيرها من اللغات ، شاء ذلك أهلها أو لم يشاءوا ، فهم ينطلقون فى البناء التعبيرى خاضعين لمؤثرات البيئة بشتى ألوانها : من بيئة طبيعية الى بيئة اجتماعية : الى بيئة اقتصادية ، الى غير ذلك .

وذلك لأن البيئة عامل أساسى فى تكوين المزاج الشخصى ، والمزاج الجماعى لكل أمة ، ومن هذا المزاج تصدر الأمة فى حركاتها وسكناتها ، وميولها ورغباتها ، وما تقبل عليه وما تصدر عنه فى مختلف شئون الحياة : من مسكن ومطعم ، وسلوك وعادات ، وتعبير .. الخ .

ومن ثم : كان لكل أمة خصائص تنفرد بها عن غيرها ، ثم هى لا ترضى بها بديلا مهما علا شأن ذلك البديل ، ومهما بذل فى سبيل اقناعها ، لأن ذلك انما قر بعامل البيئة ، وليس طارئا عليها يمكن استبدال غيره به .

والمتأمل فى اللغة العربية يجد أنها تميزت من غيرها فى بنائها التعبيرى ، بحيث نستطيع أن نتعرف على تأثيرها فى اللغات الأخرى ، وتأثرها بها ، اذا وجد شىء من ذلك .

ومن أبرز مظاهر ما تتميز به اللغة العربية — فى تعبيرها — عن اللغات الأخرى فى تعبيرها :

أولا : أن الجملة فى اللغات الأوربية لا تنقسم الى اسمية وفعلية ، كما هو الشأن فى اللغة العربية ، وانما الجملة فى اللغات **الأوربية ، اسمية يتقدم فيها** الفاعل على الفعل ، ولا يتقدم فيها الفعل الا شذوذا فى حالات محدودة ، أهمها حالة الدلالة على المفاجأة ، ووقوع الفعل على غير **انتظار • ومع ذلك فان مثل هذا** التركيب غير معتبر عندهم ، وانما هم يحسبونه عارضا من عوارض القلب ، التى يحدث فيها أن يتقدم الفعل على الفاعل ، كما يتقدم حرف الجر أو الظرف ، أو الصفة لمناسبة يقتضيها التعبير •

أما اللغة العربية ، فالجملة فيها اسمية أو فعلية ، ولكل مقامها الذى يتطلب استعمالها •

وعلى هذا النمط العربى نجد البيان القرآنى فى بنائه التعبيرى يقدم الفعل اذا كان الحديث عن الفعلهو المهم أو المقصود بالحديث وذلك نحو قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين» ١٢ المؤمنون

اذ المقصود الحديث عن خلق الانسان وما ينطوىعليه من اعجاز وليس المقصودالحديث عنالخالق•

وعلى هذا المسار التركيبى سار البناء فى الآيات بعد ذلك •• فقال تعالى : « •• **ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين • ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما • فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين »**

١٣ — ١٤ المؤمنون

ولما أنكر الانسان الحياة الآخرة مستبعدا أن تعاد الحياة الى الانسان بعد أن أصبح عظاما بالية مجردة من اللحم والدم ، حيث يقول : « **من يحيى العظام وهى رميم** »

أجابه الله — سبحانه وتعالى — بما يتناسب مع اعتراضه ، ويزيل ما التبس عليه واستبعده •• فليس المقصود بسؤاله التعرف عن الذى يحيى — وان كان هو الظاهر من لفظ العبارة — وانما ذلك سؤال استبعاد لاحياء تلك العظام بعدما رمت وبليت ، فهو انما يسأل عن

احياء تلك العظام فى تلك الحالة التى لا يتصور عقل احياءها ••• من هذا الذى يستطيع احياءها ؟!

ومن ثم كان الجواب •• على خلاف ظاهر اللفظ •• متفقا مع مقصود السائل :

« قل يحييها الذى أنشاها أول مرة ••• » •

٧٨ — ٧٩ يس

أما حين كان المقصود التعريف بالله — سبحانه وتعالى — فاننا نجد البيان القرآنى يقيم جملته على الاسم ، كما يتضح من قوله عز وجل فى مجال الخلق والانشاء كذلك :

« وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ••• »

١٤١ — الأنعام

وذلك لأن الناظر فى الآية السابقة على تلك الآية ، يلاحظ ما اشتملت عليه من بيان تجرؤ بعض المخلوقين على خالقهم ، وتعديهم حدود وجودهم ، وافترائهم عليه ، وابعادهم فى الضلال والاضلال ، مما يتطلب لفتهم الى ذاته جل شأنه وتعريفهم بها •

« قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله • قد ضلوا وما كانوا مهتدين • »

١٤٠ الأنعام

فمن يصنع مثل ذلك انما يصنعه من منطلق الجهل بالله ، أو الغفلة عنه وعن قدرته وسلطانه ، ومثله يتطلب لفتا ينبهه الى الحقيقة التى غفل عنها •

ومن ذلك — كذلك — ما تجده فى قوله تعالى على لسان نبيه صالح يخاطب قومه :

« قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ••• »

حيث تشعر العبارة من أول الأمر بأن المطلوب بعد ذلك من صالح عليه السلام أن يعرف قومه هؤلاء بالله سبحانه وتعالى فى ميدان الخلق والانشاء • ومن ثم كان بناء

الجملة التالية على الاسم ، فقال :

« ••• هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ••• »

٦١ ــ هود

ومن ثم •••

لا مجال لمرتاب أو مشكك فى عربية البيان القرآنى من هذا الجانب •

وان شئت مزيدا من الاستدلال فافتح كتاب الله ، تجد المئات من الجمل الاسمية فى موقعها الذى لا يناسب الا أن يبنى الكلام فى كل منها على الاسم ، الى جوار المئات من الجمل الفعلية كذلك التى لا يناسب الا أن يبنى الكلام فى كل منها على الفعل ، لا ترى فى شىء من هذا أو ذاك عوجا ولا أمتا •

ثانيا ان الصيغ التى تدل على الفاعل فى اللغة الأوربية ، اما أن تبنى على فاعل معلوم أو فاعل مجهول ، • وهى المعروفة بصيغة المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول ــ أما فى اللغة العربية فلا تقتصر فى الحديث عن الفاعل على هاتين الصيغتين ، ولكنها تضيف صيغة ثالثة لا وجود لها فى اللغة الأوربية ••• تلك هى صيغة الفعل المطاوع ، فقولنا : (انسكب الماء) يختلف فى دلالته عن قولنا : (سكب الطفل الماء) ، وعن قولنا : (سكب الماء) وذلك لأن التعبير الأول يقدم معنى لا تدل عليه دلالته الدقيقة صيغة من الصيغتين الأخيرتين ، فقولنا (سكب الطفل الماء) يقال لمن يهمه أن يعرف من الذى سكب الماء • وقولنا (سكب الماء) يقال كذلك لمن يقصد التعرف على الفاعل ، لكننا نخبر عن ذلك الطريق اما بجهلنا بمن وقع منه الفعل ، أو بعدم ارادتنا ذكره •

أما حين نقول : (انسكب الماء) فاننا نوجه الحديث لمن يتوقع انسكاب الماء وينتظره ، ولا يهمه أن يعرف ساكبه ولا عدم معرفته •

ولا شك : فى أن الفارق كبير بين هذا وذاك •

وهذا الفارق الكبير يعين اللغة على الدقة فى استيفاء وجوه الدلالة ، حتى يتمكن بها من ملاحظة مقتضى الحال •

وهذه احدى مميزات اللغة

العربية فى بنائها عن غيرها من اللغات الأوربية •

واذا نحن تأملنا آيات القرآن الكريم من هذا المنطلق ، وجدناه قد جمع بين هذه الصيغ الثلاثة فى بنائه التعبيرى •

ولأن الذى يعنينا — هنا — هو أن نقف على استيعاب البيان القرآنى لكل ما يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات فى البناء التركيبى ••• لا أرى ما يدعونا لأن نطيل بذكر نماذج قرآنية لصيغة المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول — فهذا واضح لا يحتاج برهانا — انما الذى يحتاج البرهان هو الصيغة الثالثة (صيغة الفعل المطاوع) •

وهذه الصيغة فى القرآن لا تقصد لذاتها ، وانما شأنها شأن كل الصيغ تأتى حين يتطلبها الموقف ملبية المطلوب ، محققة المقصود •

من ذلك قول الله تبارك وتعالى:

« وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء » •

٧٤ — البقرة

فالفعلان (يتفجر ويشقق) مضارعان • ماضيهما تفجر وتشقق وهما مطاوعان لفجر وشقق — المضعفين — فالحجارة لا يتأتى منها الفعل ابتداء ، ولكنها خاضعة تستجيب للقوة العليا حين تفجرها وتشققها بتجميع أسباب التفجير والتشقيق عليها •

فالآية الكريمة بذلك : تلفت نظر المتأمل الى ما وراء تلك الظواهر الطبيعية : من قدرة الله ومشيئته، دون أن يتصادم الظاهر مع الواقع الحق •• !

ومن ذلك كذلك قوله عز وجل :

« قد نرى تقلب وجهك فى السماء » •

١٤٤ — البقرة

فالتقلب : التردد ، وهو مصدر تقلب المضعف ، مطاوع قلب ، يقال : قلبته فتقلب تقلبا •

ولا ريب : فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يقلب وجهه فى السماء عن ارادة منه واختيار ، ولكنه كان فى ذلك خاضعا لقوة نفسية خارجة عن ارادته ، هذه القوة هى التى قلبت وجهه فتقلب

وذلك لأن حيرته صلى الله عليه وسلم فى أمر القبلة كانت أقوى من سلطانه هو وقدرته ، فبلغت منه هذا المبلغ الذى سجله القرآن •

ومن ثم : يتضح الفارق الكبير بين (تقلب) ، و (تقليب) ولولا دقة البيان القرآنى فى اختيار التركيب الملائم للحال لما ظهر الفارق بين التركيبين ، ولكانا على مستوى واحد فى الأداء •

ومن ذلك قوله تعالى :

« فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت ••• »

٢٦٦ ــ البقرة

لأن احترق : مطاوع أحرق ، يقال أحرقته فاحترق •

ولو اكتفى البيان القرآنى بأصل الفعل فقال : فأصابها اعصار فيه نار فأحرقتها • لما حققت المقصود تبليغه من اتيان النار عليها ، لأن الاحراق يفيد احراق الكل كما يفيد احراق الجزء •

فلما جاءت الآية على هذا ••• أفادت أن الاحراق من النار وليس ذاتيا • وأن احراق النار اياها شامل وليس احراقا جزئيا •

ومنه أيضا قوله سبحانه :

« وما نتنزل الا بأمر ربك » •

٦٤ ــ مريم

فنتنزل : مضارع تنزل، وتنزل: مطاوع نزل ــ المضعف ــ تقول : نزلته فتنزل •

أى : أن نزول الملائكة ونحوهم من جنود الله لا يكون الا استجابة لأمر صادر اليهم وطاعة له •

ومن ثم : ضمنت الآية بيانا بصاحب الأمر الذى كان النزول مطاوعة له •• !

ومنه قوله عز وجل على المسار ذاته :

« تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض ••• »

٩٠ ــ مريم

يتفطر : مضارع تفطر ، وهو : مطاوع فطر المضعف ، يقال : فطرته فتفطر • وتنشق : مضارع انشق ، وهو : مطاوع شق : يقال: شققته فانشق •

وقوله : « فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » •

٦٠ ــ البقرة

انفجر : مطاوع فجر ، يقال : فجرته فانفجر •

وقوله : « ••• الا لنعلـم من يتبع الرسول ممن ينقلب عـــلى عقبيه • »

١٤٣ ــ البقرة

ينقلب : مطاوع قلب ، يقال : قلبته فانقلب •

وقوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها •• »

١٧٥ ــ الأعراف

انسلخ : مطاوع سلخ ، يقال : سلخته فانسلخ •

والآيات المشتملة عــلى صيغة المطاوعــة أكثر مــن أن تحصر فى مقال ، فليرجع الى كتاب الله من أراد مزيدا •

انما الذى نقصد اليه أننـــا فى تأملنا ذلك تعرفنا على عربية البيان القرآنى فى بناء تعبيره ، كما تعرفنا من قبل على عربيته فى ألفاظه •

ثالثا : أن اللغة العربية تحرص على أن تسـتوفى أدوات الصــفة وكافة شروطها • وذلك أن الصفات لابد فيها من المطابقة بينها وبـين الموصوفات كل المطابقة ، بخلاف الأسماء ، فليس ضروريا فيها أن تطابق مسمياتها ، اذ الأسماء قد تكون توقيفية لا ارادة للمتكلم فى وضعها واطلاقها على مسمياتها ، وقد نطلق اسما على مسمى لأدنى ملابسة دون أن تكون هناك مطابقة بين الاسم ومسماه ، وذلــك بأن نسمى الشىء باســم أرضه ، أو باسم صاحبه ، أو باسم حــادث وقع عندما تعرفنا عليه ، أو باسم كاشفه •• الى غـير ذلــك مــن الملابسات • وقد تكون الأســماء منقولة عن لغة أخرى بحروفها أو مع تعديل فيها •

أما الصفات فلابد من أن تطابق موصوفاتها •

ومن ثم : حرصت اللغات على أن تكون هناك مطابقة بين الصفة والموصوف •

لكنها لم تتمكن من اســتيفاء

جميع أدوات الصفة وشروطها كما تمكنت منها اللغة العربية .

فالصفة فى اللغة العربية تابعة للموصوف ، مطابقة له فى الافراد والتثنية والجمع ، وفى التذكير والتأنيث ، وفى التعريف والتنكير ، وفى مواقع الاعراب . وبتعبير آخر : الصفة العربية تطابق الموصوف فى العدد وفى الجنس ، وفى التحدد والشيوع ، وفى الشكل العارض للفظ .

أما فى اللغات الأخرى : فقد تجد فيها بعض تلك المتابعات ، لكنك لن تجدها جميعها بقواعدها المطردة الا فى اللغة العربية !

ففى الانجليزية ــ مثلا ــ تأتى الصفة سابقة موصوفها ، ولا تتغير الصفة تبعا لتغير مواقع الاعراب.

ونحن حين نتأمل فى البيان القرآنى نجده عربيا فى بنائه الوصفى ، فلن تجد فيه صفة الا التزم فيها المطابقة الكاملة بينها وبين موصوفها ، من تبعية الى مطابقة فى الجهات الأربع التى تميزت بها الصفة العربية .

وأعتقد أن هذا فى البيان القرآنى أوضح من أن يحتاج منا الى تقديم نماذج تكشف ما قد يخفى على القارىء منه .

ومن ثم : يتقرر أن البناء التعبيرى فى البيان القرآنى لا يخرج على البناء التعبيرى للغة العربية فى قليل ولا فى كثير ، وانما هو يسير وفق منهج العربية تماما فى بنائها .

وبالتالى : فان روح اللغة العربية بمعانيها وأخيلتها هى التى تسرى فى البيان القرآنى فى أرقى مدارجها وامكاناتها ، بحيث تتحقق بالقرآن المعجزة البيانية من خلال اللغة العربية التى اصطفاها الله سبحانه لينزل القرآن الكريم بها دون غيرها .

ولذلك : خلدت العربية بكتاب الله ، وقاومت من العقبات ما كان من المحتمل أن يقضى عليها لولا خلود الذكر الحكيم .

دكتور ابراهيم عوضين

الباحث عن الحقيقة

للمرحوم محمد عبد الحليم عبد الله من منظور الفن الروائى

للدكتور فتحى محمد أبو عيسى

— ٣ —

يدور محور الرواية الأساسى ـ كما بدا ذلك من خلال المقالين السابقين ـ على اماطة اللثام عن « سلمان الفارسى » ـ رضى الله عنه ـ فى المقام الأول ..

يجهد الروائى الراحل « محمد عبد الحليم عبد الله » فى تكثيف الأضواء عليه ، ثم يسلط شعاعا على سائر الشخصيات التى احتشدت فى روايته ، موزعة على الأدوار ، ومن ثم ترى ذلك الشعاع يتبدى فى أشكال مختلفة ، اذ يخبو مرة ويلتمع مرة أخرى ، ثم يقوى ويتوهج ثالثة .. ووفقا لهذه الأضواء تنبسط الشخصيات على مساحة الرواية وفى حيزها ، وقد أخذت أنماطا فنية متسقة ، تتضافر فى النهاية على ابراز ملامح البطولة فى الشخصية ، التى تستقى منها الرواية مادتها وأحداثها .

فالأسرة : الأبوان والاخت (بوران) ـ يضطلع كل فرد فيها بدور .. فالأم لاتلبث أن تتوارى فى زحمة المواقف ، وكأنما تناولها الروائى بقفاز حريرى ناعم ، شاء أن يمضى عنها بعد اشارات خاطفة؛ ليجسد شخصية (الأب) بكل مافيه من ولاء لمجوسيته، وتقديس لعاداته وحرص على تقاليده ، وشخصية كهذه تلغى عواطفها ـ وقد تكون مشبوبة ـ أمام تحقيق رغبة من الرغائب أو حفاظ على الشارات ، وهل تتحرج فى سبيل تلك الغاية أن تركب المركب الخشن ، متذرعة بالمكابرة واللجاجة !!

وأما (بوران) فهى الأخت الوديعة العطوف التى يحزنها أن ترى أخاها مقيدا بالأغلال ، موثوقا بالحبال ، ولهذا تبدو متقدة العاطفة فى مواجهة صلف الأب ، وعاطفته الصلدة ، وتظل على تلك الصورة من الحنو البالغ ، والانعطاف نحو أخيها ، رجاء أن تصحح مسيرة المشاعر فى أسرة تجمع بينها لحمة القرابة .

ويغلف الروائى « محمد عبد الحليم » بعض الشخصيات عنده بهالة من الغموض ، رامزا بذلك الى أن الحاسة الفنية فى شخوص الرواية لا ينبغى أن تكون من الدقة الصارمة بحيث تعنى بالتفريعات وتحفل بالتفصيلات ، كما هو الحال عند المؤرخ ..

ومن أجل ذلك جاءت شخصية العابد ، والراعى محددة الرسوم والمعالم ، مستغنيا بها عن تحديد الأسماء ، غير أن الحديث عن « العابد » يتشعب ويطول فى حوار شائق ، يلمس أقطار النفس وتصافح حرارته عاطفة « سلمان » وفكره .. وربما كان هذا أمرا طبيعيا فى رواية يفرض موضوعها أن يتبوأ « العابد » فيها منزلة مرموقة ، ونطاقا بارزا يشغله بين مواقفها وأحداثها ، فليس يعنى الباحث عن الحقيقة — أيا كان — الا أن يكون مسدد الخطا على درب المعرفة ، وأن يتزود بما يقرب اليه تلك الحقيقة ، وهذان المعنيان — لا شك — يملك زمامهما عابد شفت سريرته .. ولا تفتأ الرواية بعد ذلك تقدم أحداثا تتشابك فى شخصيات كل من « سهيل » و « أبى يعقوب » و « كعب القرظى » ومن اليهم فى لقطات رائعة ، على ما فيها من لمح سريع ، الا أنها بلغت حد البراعة الفنية ، حيث كان القاسم المشترك فى رسم هذه الشخصيات هى تلك المزايا التى تفرد كل منها فى خلقه أو سلوكه بعيدا عن التدخل والامتزاج ..

ومن الجدير بالتنويه أن المرحوم « محمد عبد الحليم » كان من وراء تلك البراعة ، يضفى عليها بعض لمسات الخيال ، مما جعل روايته

(الباحث عن الحقيقة) معرضا يموج باللمحات الفنية ، وما أكثرها فى أعماله الروائية ..

وأولى بنا وأقمن أن نؤصل الفكرة التى ذهبنا اليها فى موضوعية ، ولندع ــ بعد ذلك ــ ما يتراءى لنا فى تقويم فنية الرجل ، ومناقشة ما أثير من آراء مادحة أو قادحة ..

ان للعمل الروائى أبعادا معينة تتمثل فى اختيار الموضوع وتناوله ، وشخصيات الرواية ، ولغتها ، وفنية الحوار فيها الى غير ذلك مما هو جهير معروف ، فأين وقع الروائى (محمد عبد الحليم) من هذا كله ؟ وهل استطاع أن يطوع تلك العناصر ويعطيها من الأصباغ ما تتسق به ، وتتوازن ملامحها فى انسجام ، فلا يطغى عنصر فيها على حساب عنصر آخر ؟

لا محيد لنا ــ فى البداية ــ عن الاشارة الى حقيقة مهمة : أن الروائى الفنان يمكنه أن يطوع المرائى المشاهدة لقلمه،لتكون موضوعات لرواياته ، وقد يذهب الى أبعد من ذلك فى اختيار الموضوع حين تسيطر على وعيه خاطرة قد تكون بعيدة عن الواقع الذى تتحرك به الحياة ، ومن هنا كانت رقعة الموضوعات أمامه رحبة واسعة تتزاحم وتتدافع .

والروائى ــ صاحب الرؤية البعيدة ــ ينتقى من هذه الموضوعات ما يتجاوب مع فكره وشعوره ، وتبعا لذلك يأتى اختلاف الموضوعات وتناولها عند روائى آخر .

والفنان « محمد عبد الحليم » متعدد الرؤى فى رواياته ، يتجلى ذلك عنده فيما خلفه من روايات.. وروايته « الباحث عن الحقيقة » ــ كما أومأنا ــ تتخذ من أحداث التاريخ مسرحا ، على أرضه تلتقى شخصياتها .. واذا قص التاريخ علينا سيرة (سلمان) ــ رضى الله عنه ــ فان قصته لا تعدو أن تكون سردا للمنعطفات التاريخية فى نطاق مألوف ، لا يستهدف الخواطر الكامنة فى أعماق الشخصية ، أو الحدث الذى تضطلع به ، ولكن « الباحث عن الحقيقة » ــ فوق

أنها تؤرخ لجوانب من حياة الصحابى الجليل (سلمان) ــ تعد تجسيدا لنبض خفقت به جوانحه ، واضطرب فى وجدانه ، فموضوعها ــ لذلك ــ يبدو مألوفا مطروقا ، غير أن ابراز المعانى الدفينة ، وانتزاعها من الأغوار رغبة فى تصويرها ليس أمرا سهلا ، كما قد يخالج بعض الباحثين ، فاذا أضيف الى تلك المحاولة محاولة أخرى، تعكسها مقدرة الفنان على الابداع الفنى بما يشتمل عليه من خيالات تبتكرها ملكته ، لتواكب الموقف الذى يحدثنا عنه ألفينا أن عمل الروائى ومهمته شاقة جسيمة ..

يقول الدكتور « شوقى ضيف » :

« ان مادة القصة هى المجتمع وواقعه ، غير أنها تنتظر القصاص البارع كى يصوغها فى صور بشرية ثابتة ، والقصاصون كثيرون ، ولكن الذى يخلو منهم هو الذى يستطيع أن يتغلغل فى أعماق الأفراد وينفذ الى كيانهم الداخلى ، وما يرسب فيه من جواهر باقية على الأبد ، أما من يقف عند السطح من المواقف والقضايا الاجتماعية فان عمله لا يبقى طويلا ، لأنه لا ينفذ فيه الى الحقائق الانسانية الخالدة ، ومعنى ذلك أن القصة ينبغى ألا يكون غرضها التسلية والمتعة السريعة الزائلة ، وانما الوصول أو النفوذ من خلال الوعى الكامل بالمجتمع الى الحقائق الانسانية ، بل الى جذور هذه الحقائق ودفائنها ومكنوناتها » (١) .

وقد حاول الكاتب ــ وكان موفقا ــ أن يؤلف من بعض المواقف فى حياة (سلمان) عملا روائيا ، بمعنى أن الذى لفته الى تلك الشخصية « بحثه عن الحقيقة » ، وهى الحقيقة التى لقى فى سبيلها من المخاطر ما لقى ، حتى اذا رآها بعد رحلة طويلة استعذب فيها الآلام هب يرسخها

---

(١) فى النقد الأدبى ٢٢٨ (دار المعارف) .

فى نفوس القوم ، وذلك بعد أن صار واليا على « المدائن » من قبل « الفاروق عمر بن الخطاب » — رضى الله عنه — وأحسب لو أراد الكاتب أن يشعب المواقف ، ويعددها فى حياة (سلمان) لفعل ، اذ فى حياته من الثراء والعطاء ما يفجر المواهب ، ويغذو الملكات ، ولعل توقفه عند جانب منها : البحث عن الحقيقة هو مظهر الفنية فى اختيار الموضوع ، ولوقد عمد الى أن يطرق مجالات تاريخية معروفة فى حياته لاستحال الموضوع شيئا آخر ، قد لاتكتمل له فنية العروض ، وبراعة الاختيار ..

واذا كان « الحب » هو المعنى الذى يغلب على موضوعاته الروائية فتدور حوله ، فقد حول الحب فى « الباحث عن الحقيقة » عن السمة التى واكبت موضوعاته الروائية ، ومحضه فى مرتكز واحد تفردت به تلك الرواية عن سائر الاعمال الروائية عنده ، واستحقت أن تكون أنموذجا أدبيا رائعا بين رواياته ..

وهذا النموذج الروائى تشكله جملة من الحقائق ، تختلف فيها الرواية عن القصيدة ، اذ القصيدة لا تتبسط فيها عناصر الموضوع على نحو ما تتجه الرواية ، وليس من شك فى أن الروائى القدير يستطيع أن يجعل من عمله الروائى نمطا راقيا يكسب التفرد ، ويضفى عليه استقلالا وشخصية « ينفصل بها عن نظرائه وأشباهه ، وكأنها النموذج التام فى الأدب كالنموذج فى الطبيعة ، اذ لا يوجد فيها نموذجان بصورة واحدة ، بل ان شجرتين من نوع واحد تختلفان فى الساق والغصون والفروع ، بل ان ورقتين فى شجرة واحدة لا نزال نجد بينهما اختلافا بحسب ما تستقبل كل منهما من ضوء الشمس والظل والرياح ..

فكرة التفرد فى النموذج الأدبى فكرة تطابق طبائع الأشياء فى الوجود ، وارجع الى الانسان فانك لن تجد شخصا يكرر شخصا آخر ، بل دائما حتى بين الأب والابن تقوم أسرار فاصلة فى المزاج والطباع والشكل والملامح ،

فالفردية جوهر من جواهر حياتنا ، بل من جواهر وحدات الوجود جميعها ، وعلى هذا القياس نماذج الأدب الجديرة بأن تسمى نماذج ، فانه ينبغى أن يكون لكل منها شكله وقسماته وملامحه التى تفرده عن غيره (١) » .

فى ضوء هذه المعانى تبدو فكرة الرواية أو موضوعها متداولة ، مألوفة فالبحث عن الحقيقة معنى يتمثل فى حياة كثير من الناس ، وربما يكون ديدن عديد منهم ، يعرف به ويدل عليه ، الا أن فنية الكاتب بعثت فى الالف به نبضا جديدا ، جرى فى بعض شرايين صنعها خيال الكاتب وطبيعته فى معايشة المواقف والأحداث ، فكان أن تماسكت وحدات الموضوع ، وتناسقت لبناته فى جدة وحيوية يخلعان عليه رواء الفن ، وعبقرية الملكة ..

ولا يفوتنا ــ على ذكر موضوع الرواية ، ومدى الافتنان فى التصرف فيه ــ أن ننبه الى تلك المعارك الأدبية التى اشتجرت فيها الأقلام بين المرحوم « محمد عبد الحليم عبد الله » وكتاب لامعين ، نذكر منهم الدكتورة « بنت الشاطىء » التى أخذت على الكاتب « محمد عبد الحليم » أن « شمس الخريف تكرار لبعد الغروب » وأن « غصن الزيتون » و « شجرة اللبلاب » أنبتتهما بذرة واحدة ، وتضيف الى ذلك ما قالته : « لقد ذكرنى صنيع « عبد الحليم » حين كرر الغصن بالشجرة والغروب بالخريف بنادرة قيلت عن (بوانكاريه) فى زيارته لانجلترة ، حين استقبل عشرين وفدا من شتى الطوائف ، وأصغى الى عشرين خطبة ترحيب به ، فرد عليها عشرين مرة شاكرا دون أن يكرر عبارة واحدة فى مرتين ، وروى (ابن بسام) فى « الذخيرة » أنه سمع وزيرا من وزراء (أشبيلية) يقول عن (ابن زيدون) : لعهدى بأبى الوليد قائما فى مأتم بعض

---

(١) ذاته ١٨٨ .

حرمه ، والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمعناه يجيب بما أجاب به غيره (١) » •

ومهما يكن من شيء فان موضوع الرواية عند (محمد عبد الحليم) لم يجمد عند حدود هذه الموضوعات ••

نعم قد تسيطر عليه أحيانا أفكار تتكرر فى بعض أعماله الروائية ، ولكنه ــ مع ذلك ــ استطاع أن يعدو هذا الطور ، ويتجاوز تلك المرحلة ، ويعزى ذلك الى تطور الرؤية عنده ، وانفساح النظرة الى العمل الفنى لديه ، حتى ليصح وصفه بأنه كاتب متعدد النزعة •

ولئن تجرد «محمد عبد الحليم» للرد على ما أثارته الدكتورة « بنت الشاطىء » انه كان محقا فى دفاعه عن موقفه حيال هذه القضية •

ولندع حديثه عن المشابه فى الأدب العالمى الى مايذكره فى هذا المضمار من أن « الأديب لا يستطيع أن يعدم ويستهلك شخصياته وذكرياته أولا بأول بعد كل رواية ، ثم يقف من جديد ليخلق شخصيات وذكريات لا ترتبط بحق •• أما التشابه بين قصة « بعد الغروب » و « شمس الخريف » الذى زعمته الدكتورة « بنت الشاطىء » فهو غير موجود الا بالقدر الذى يربط الأخوين أبناء الحلال بأبيهم •

وهكذا الأمر بين « شجرة اللبلاب » و « غصن الزيتون » حيث تلوح فكرة « الشك » فيهما الا أن ذلك الشك كان من الضرورة والحتمية بمكان •

(يتبع)

دكتور فتحى محمد أبو عيسى

---

(١) قضايا ومعارك ادبية ٩٧ وما بعدها .

رمضان والفضائل النفسية

دكتور عبد الغنى الراجحى

رمضان ــ أيامه ولياليه ، صيامه وقيامه ، ودروسه وقرآنه ، وأحاديثه وثقافته ، وأمجاده وابتهاج المسلمين به ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، لازمة من اللوازم ، وظاهرة من الظواهر العربية والاسلامية ، عبر الأجيال الى أن تقوم الساعة ، ويرث الله الأرض ومن عليها .

مجرد ذكر رمضان يعطى شحنة كبيرة من الطاقات الروحية والاجتماعية فى البيئة العربية والاسلامية ، عندما يهل هلاله ، وتتابع بين المسلمين لياليه وأيامه ، يمكن للمسلمين أن يخرجوا منه بحصيلة كبيرة وزاد ثقافى كبير ، ورصيد اجتماعى ودينى وفير ، يقضون على مدده وعلى صلة به بقية شهور العام ، حتى يأتى رمضان القادم ، فيتجدد ما تبدد من هذا الرصيد وتلك الحصيلة ، ويعطيهم طاقة أخرى جديدة من الزاد الروحى ، والمدد الفكرى ، والثقافى والاجتماعى ، الذى يسعدون به فى الدنيا والآخرة ، ويبلغون به فى مدارج الحضارة والرقى ، والكمالات النفسية والسلوك الانسانى النظيف ، أعلى الدرجات وأكمل المستويات ، ولعل ذلك هو مايشير اليه الحديث النبوى القائل « لو علمت أمتى مالها من الفضل والكرامة عند الله فى رمضان لتمنت أن تكون السنة كلها رمضان »

سوق تقوم ثم تنفض ، يربح ويخسر فيها من خسر ، أما الخاسر

فقد خرج منها صفر اليدين ، وكان من الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، حال الشيطان بينهم وبين ما جاء به رمضان من مناهج الهدى والخير والبركة ، فلم يصوموا يومه ، ولم يقوموا ليله ، ولم يقدموا فيه مثقال ذرة من صالح الأعمال ، وظلوا فى ضلالهم يعمهون ، لم يرفعوا له رأسا ، ولم يقدموا فيه خيرا ، ولم يلقوا اليه بالا ، وأما الرابح فقد أمده رمضان بالمعانى الدينية ، والقيم الاجتماعية ، والروحية ، والذكريات المجيدة ، والعبادات المشروعة ، التى تقربه الى ربه ، وتنتقل بالنفس البشرية من حضيض البهيمية الى أبهج صورها وأسمى كمالاتها ، حتى أن الله سبحانه يباهى ملائكته بعباده الصائمين ، فيقول لهم انظروا يا ملائكتى الى عبدى ، ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل الصوم لى وأنا أجزى به « كما جاء فى الحديث الشريف الصحيح .

ففى رمضان يتشبه المسلمون فى صيامهم وقيامهم بملائكة الله المقربين ، المنزهين عن الطعام والشراب وشهوة الجنس ، وفى كل انسان عنصران ــ عنصر مادى ترابى كثيف ، وعنصر روحانى سماوى نظيف ، فمن غلبت عليه مظاهر العنصر الأول الكثيف فهو الى الحيوانية والبهيمية أقرب .. ومن غلبت عليه مظاهر العنصر الثانى الروحانى اللطيف ، فهو الى الملائكة أقرب ، وبعالم المجردات أشبه ، والى هذين العنصرين فى التركيب البشرى يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى : « **اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** »(١) فقد أشار هذا النص الكريم الى العنصرين اللذين تتركب منهما حقيقة الانسان ، المادة والروح ، ولا يزال الانسان يسفل فى درجات

---

(١) ص ٧١ ، ٧٢

العنصر الأول حتى يكون أحط فى شرف الوجود وفضله من البهائم والعجماوات ، ولا يزال يترقى فى مدارج العنصر الثانى الى أن يبلغ من شرف الوجود وفضله مرتبة ربما فاقت مرتبة الملائكة المقربين.

ان رمضان بصيامه وقيامه ، وروحانياته وذكرياته وأمجاده القرآنية ، يعتبر فرصة سانحة ومنهجا ربانيا لتقوى فى المسلم روحانياته ، وقيمه الروحية على مادياته وقيمه المادية ، التى من شأنها أن تكون حائلة بينه وبين الادراك الصحيح لجلال الحق وجمال الحق جل جلاله .

ان الانهماك فى اللذائذ الحسية من مأكل ومشرب وجنس ، بهيمية قال الله فى أصحابها : « **يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** » (١) ويقول الحديث الصحيح فيها : « الكافر يأكل فى سبعة أمعاء والمؤمن يأكل فى معى واحد » — فاذا خرج المسلمون من شهر رمضان بحصيلة القيم الروحية ، والمدارك المعنوية والدينية والالهية ، يعبئون بها نفوسهم لتدفعهم الى التحلى بالفضائل ، والتشبه بالكمالات الربانية على قدر الطاقة البشرية ، فقد خرجوا من رمضان بمعين لا ينضب ، ومدد لا ينفد ، وزاد يتزودون به ليبلغوا القمة والذروة فى معالم الانسانية ، وفضائل النفس البشرية .

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

هذه الكمالات تدفع بالانسان الى كل ما هو نافع ومفيد وبناء ، تقوى همته وتشحذ عزيمته وتشد ارادته ، وتجعله أكثر انتاجا ، وأقوى على الصمود والجلاد والجهاد ، فى ميادين العمل وميادين الانتاج وميادين الجهاد ، ومن هنا تسقط عن درجته الاعتبار قولة القائلين : ان الصيام يكون سببا فى

---

(١) من الآية ١٢ سورة محمد

ضعف الانتاج ، وقلته ، فان القوى المادية اذا لم تكن لها خلفية من القوى الروحية تشحذها وتدفعها وتصبغها بصبغة الايمان والتضحية والاستبسال ، كانت لا محالة قليلة الجدوى ضعيفة الأثر . وتلك حقيقة يؤكدها لنا ما نراه من الربط الوثيق بين الصيام وانتصار المسلمين فى بدر ، ثم فى غزوة الفتح ثم فى معارك العبور فى العاشر من رمضان المبارك ، والسادس من أكتوبر ١٩٧٣ يوم عبرنا القناة ، وحطمنا خط بارليف ، وزلزلنا الارض تحت أقدام اليهود بصيحة الله أكبر ، وأعاد التاريخ نفسه وتكرر المشهد الذى قال الله فيه منذ أربعة عشر قرنا من الزمن : « **وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا** » (١) .

ومن توابع ذلك ومتمماته ، ما يتدرب عليه المسلمون فى شهر الصيام ، من قوة الارادة والصلابة فى تنفيذها ، وانتصارها على الشهوات الفانية ، فشهوة البطن وشهوة الفرج ، تدعو الانسان الى ممارستها ، ومن شأن الانسان أن يكون أسرع استجابة الى صوت الشهوات منه الى صوت العقل والحكمة ، ولكنه بالصيام يتدرب ويتمرن على أن يكون أكثر استجابة الى صوت الحكمة والعقل ، منه الى صوت الشهوات ، واذا دعته نفسه الأمارة بالسوء الى شىء من هذه الشهوات المفسدة للصيام ، دعاه صوت الحكمة والعقل أن يكون ذا ارادة حديدية ، لا تلين أمام هذه المغريات مهما اشتهتها النفس ، فيستمسك بصيامه ويلوذ بطاعة ربه ، وتتمرس نفسه على هذا الصنيع من انتصار ارادته دائما أبدا ، فى ميادين جهاد النفس والهوى والشيطان ، فتصير قوة الارادة له خلقا وكيفية راسخة فى نفسه ، يشق طريقه بها فى حياته موفقا منتصرا متألق النفس والروح ، صلب الارادة قوى

---

(١) ٢٦ سورة الأحزاب

العزيمة ، يملك زمام نفسه ولاتملك نفسه زمامه ، فمن ملك زمام نفسه نجا ونجت ، ومن ملكته نفسه هلك وهلكت ، وصدق الله حيث يقول : **« ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم »(١)** وصدق البوصيرى وهو يقول :

والنفس كالطفل ان تتركه شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم
فاحذر هوى النفس واحذر أن توليه ان الهوى ما تولى يصم أو يصم •

وهكذا تدعو قوة الارادة الى الوقوف فى وجه النزوات جميعها ، والمغريات الداعية الى الوقوع فيما يغضب الله من سائر المعاصى والآثام ، والتورط فى الاندفاعات والهفوات التى يكون التورط فيها عادة ناشئا عن ضعف الارادة ، وضعف العزيمة وعدم ضبط النفس ، وكثيرا ما يعرف الانسان أن هذا الفعل قبيح ، ولكنه لا يملك نفسه من الوقوع فيه ، وفى هذا ورد الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »

والحديث الذى يفيد أن قوة الارادة التى يتحلى بها الصائم مانعة له عن فعل القبائح جميعها ، واتيان الرذائل ما ظهر وما بطن فيقول صلى الله عليه وسلم « الصوم جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق وان شتمه أحد فليقل انى صائم انى صائم » ويقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ويقول : « كم من صائم ليس من صومه الا جوعه وعطشه» ويقول : « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق فضيقوا مجاريه — قالوا : بم يارسول الله ؟ قال : بالجوع »

ويقول فى امراتين اغتابتا الناس وهما صائمتان : ان هاتين صامتا عما حل الله وأفطرتا على ماحرم الله » يعنى لحوم الناس •

---

(١) ٥٤ سورة يوسف •

ألا يرى الى مافى قـوة الارادة عند الصـائم من كسر العـادة ونبذها ، والانفكـاك من أسرها ، فبعد أن يتعود الناس على مـدى أحـد عشر شـهرا أن يصـبحوا فيفطروا ، ثم يأتى وقت الغـذاء فالعشاء وهـكذا دواليـك ، مع ما تعودوا أن يتعاطوه على فترات مختلفة من قهـوة أو شـاى أو مثلجات أو ما شاكل ذلك ، يأتيهم رمضان بنظـام جـديد وتوقيت جديد ، يرضخون ويذللون أنفسهم وحياتهم ، ونظامهم المعيشى عـلى وفقه ، من افطار وسحور ، ومايحل تعاطيه فيما بين الافطار والسحور وكفى ٠

ان قوة الارادة المعينـة عـلى كسر العادة ، والمتحصلة من فضيلة الصيام ، تسـتطيع أن تسـاعد الكثيرين على التخلص من عاداتهم السيئة من المكيفات وغيرها ، التى أدمنوها واعتـادوا عليهـا ، وهى لا يرضى بهـا عقـل ولا دين ، فليجربوا اذا شاءوا ٠

ومن توابع ذلك كله ومتمماته ، ما تتربى عليه نفوس المسلمين فى رمضان : من فضيلة المراقبة لله ، والقيام بحقوق الأمانة ، بحـافز من الذات والضمير وجـوانبه الانسانية ، وابتغاء وجـه ربـه الأعلى ، فكم يستطيع الانسـان الصائم أن يخلو الى نفسه ، فيأكل ما شاء أن يأكل ، ويشرب ماشـاء بعيدا عن أعين الرقباء من الخلق ، ثم يخـرج اليهم منـدمجا فى صفوفهم واحدا منهم كأنه صائم من الصائمين ، لكنه لا يفعل ذلك لأنه اذا استطاع الخفية عن أعين الرقباء من الناس فلن يسـتطيع الخفية عن أعين الخلاق العليم ، ولا يريد أن يكون من الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم **« وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير »** (١) ٠ **« ما يكون من نجوى ثلاثة الا هـو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا »** (٢) ٠

---

(١) سورة الحديد من الآية ٤
(٢) سورة المجادلة من الآية ٧

ويستطيع المسلمون أن يخرجوا من رمضان برصيد من حصيلته ، فيما يتعلق بمشاعر الوحدة بينهم ، فى أمر ان كان مظهريا الا أنه يعبر أصدق تعبير عن أمر جوهرى ، لا غنى لهم عنه اذا ما أرادوا القوة والعزة والكرامة ، وهو الوحدة ، فان المغرب يؤذن فتسمعه ملايين المسلمين فينطلقون الى انهاء الصيام وبدء الفطر فى لحظات جماعية ، وان تفرقت بهم الأماكن والديار والبيوت ، فهذه اللحظة الحاسمة التى كانوا يترقبونها قد وحدت بينهم فى شعور واحد ، وعمل واحد مشترك هو الافطار : وكذلك ينطلق مدفع الامساك ، أو يؤذن للفجر فيمسك ملايين المسلمين فى وقت واحد ، ولحظة واحدة عن الطعام والشراب ، يضم شملهم عمل واحد ، وموقف واحد ، وان نأت بهم الديار ، وتفرقت بهم الأماكن والبلاد ، لقد كان من تعاليم الاسلام وسننه المندوبة تعجيل الفطر وتأخير السحور ، يفطر الصائم فيحس بالفرحة والبهجة ، لأنه آدى الأمانة ، واقتحم العقبة ، ونجح فى طاعة ربه وخذلان شيطانه ، مرددا هذا الدعاء المشهور « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ، وبك آمنت وعليك توكلت ، ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر ، ان شاء الله ، ياواسع الفضل اغفر لى » ثم يحس احساسا قويا بمدى صدق الحديث الصحيح الذى يقول فيه نبى الاسلام صلوات الله وسلامه عليه : « للصائم فرحتان • فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » ويتسحر الصائمون استعانة لهم بالسحور على طاعة الله فى صيام يومهم القادم ، ويجدون لذلك راحة نفسية واعدادا نفسيا ، وتجهيزا عمليا للقيام بطاعة الله ومرضاته ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : « تسحروا فان فى السحور بركة » فمن يسر الاسلام وعدم الحرج والمشقة فيه ، ورعايته لمطالب الروح والجسد معا ، أن كره الاسلام للمسلمين الوصال فى الصيام على معنى أنهم لا يتسحرون ، وكانوا

فى مبدأ الاســـــلام يتحرجون من الطعام والشراب والجماع ، بعـــد أن يصلوا العشاء ، فنــزل قـــوله تعالى : « **أحل لكم ليلة الصـيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكـم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** »(١) .

ولما نهى النبى المســـلمين عن الوصال ، قالوا له : انك تواصـــل يا رسول الله ، فقـــال لهم : اننى لست كهيئتكم ، اننى أبيت عند ربى يطعمنى ويســـقينى ، فكان ذلك خصوصية له صلى الله عليه وسلم، ومن لواحق ذلك وتوابعـــــه ، أن يتمرس المسلمون على عملية النظام والانضباط ، فيتخذون ذلك ديدنا لهم فى ممارسة حياتهم بعامـــــة ، فيكـــــون ذلك أرجى لنجاحهم فى أعمالهم ونظم حياتهم ومسيرتها ، يشقون طريقهم فيها بدقة ونظام واحكام ، فقبل أذان المغرب بدقيقة واحدة ، لا يحل شىء من الطعـــام والشراب ، فاذا ما نطـــق المؤذن بقوله الله أكبر فقد حل ما كـــان حراما ، وسبحان من حرم الحلال بالصيام ، وحلل الحرام بالفطـــر ، وكذلك الشأن فى طلوع الفجر ، فكل شىء حلال مادام الليل ، فاذا طلع الفجر حرم ما كان حلالا ، وحصل الانتظام والانضباط فى طـــــرفى النهار ، فيما بين جموع المسلمين وملايين المســـلمين ، وان اختلفت أزمان ذلك فى بعض القطاعات عنها فى بعض آخـــــر ، الا أن معنى الانضباط لا محـــــالة قـــــائم ، والانضباط سر الحياة وسر النجاح فيها ، وقد يستطيع المسلمون أن يدركوا ويحسوا فى نهاية شـــهر الصيام ، أن جسومهم بالجوع قد تخلصت من كثير من ســـمومها ، وأدرانها ، وأن كثيرا من أجهـــزة الجسم قد أخذت راحتها طيلـــــة الصيام ، من مضار البطنة وامتلاء المعدة بالطعام والشراب ، فما ملأ

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٧

ابن آدام وعاء شرا من بطنه ، وفى الحديث الصحيح جوعوا تصحوا ، وقد سبق ذكره ، فاذا ما أحس الصائمون فى نهار رمضان ببعض الفتور والضعف ، فانهم لا محالة بعد انقضاء الشهر سوف يكونون أنشط وأقوى بدنا ، فيعودون الى مضاعفة الانتاج ، واجادة العمل تعويضا عما عسى أن يكون قد نقص من ذلك ، أو ضعف فى شهر الصيام •

ان هذه الحصيلة الرمضانية ، والثمرات التى يجنيها الصائمون من شهر الصيام ، والانطباعات التى تشبعت بها أحاسيسهم ، ومواجدهم ، نستطيع أن نجد القرآن قد جمعها على تغرق شتاتها ، وفروعها ، فى كلمات قليلة من جوامع الكلم ، تلك التى يقول فيها : **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »**(١)• وقوله تعالى فى آية أخرى : **« وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون »**(٢)، فاذا كانت التقوى هى حصيلة الصيام ، فانها كلمة جامعة لكل خير ، ومنافية لكل شر ، وهى رأس الأمر كله كما ورد فى حديث النبى لمعاذ : « عليك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله » وكذلك كانت الخيرية فى الآية الأخرى كلمة جامعة لكل فضيلة ، وكل نافع ومفيد فى الدنيا أو فى الآخرة ، على مستوى الفرد ومستوى الجماعة ، ومستوى الأمة الاسلامية كلها ، من الوجهة الدينية ، والاجتماعية والصحية والنفسية •

أن الشارع الحكيم ، لم ينس أن يتوج الأعمال الرمضانية التى تزكو بها النفوس ، ويستقيم عليها السلوك ، وتنضج بها حياة المسلمين بتاج أخير من العمل الجليل ، الذى لا يقبل صيام رمضان عند الله الا به ، فشرع زكاة الفطر التى قال عنها نبى الاسلام ، صلى الله

---

(١) سورة البقرة ١٨٣
(٢) سورة البقرة ١٨٤

عليه وسلم : « صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع الا بزكاة الفطر » وقال : « زكاة الفطر طهرة للصائم وطعمة للمسكين » ثم تكون كلمة الختام وحفل الوداع لرمضان ، هى صلاة عيد الفطر ، بما فيها من التكبير الذى قال الله فيه : « **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** » (١) ٠

ان رمضان مهرجان اسلامى وضعه الشارع الحكيم للمسلمين ينتقلون فيه من طاعة الى طاعة ومن ممارسة الى ممارسة ، ومن موقع الى موقع ، منهج تربوى اسلامى ، يربى أمة الاسلام على عمل الخير ، وخير العمل، حتى تكون بين أمم الأرض أمة رائدة ، تهدى بدينها وقرآنها وسلوكها أهل الأرض ، الى أرفع المثل ، وأنبل الغايات ، ويتحقق فيها قول الله : «**كنتم خير أمة أخرجت للناس**»(٢)٠

دكتور عبد الغنى الراجحى

* * *

(١) البقرة من الآية ١٨٥ ٠
(٢) آل عمران ١١٠ ٠

واجب المسلمين نحو القرآن في شهر القرآن

للأستاذ محمد شلبى

سأل قيصر الروم أحد قواده يوما عن سبب هزيمة جيشه أمام المسلمين ، رغم أنهم ــ أى الروم ــ كانوا أكثر عددا وعدة ، وأعز نفرا وجندا ، فقال له القائد الحكيم :

« لقد انهزمنا ودمرنا وضعنا من أجل أننا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونشهد بالزور ، ونجور ونظلم .

وانتصر المسلمون لأنهم صادقون متقون ، لا يشربون الخمر ، ولا يأتون الفاحشة ، ويحكمون بالعدل ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

ان الفضل هو ما شهد به الأعداء كما يقولون ، فقد أعلن القائد الرومى أن النصر الذى حققه المسلمون سببه : صدقهم وتقواهم ، وعدم شربهم الخمر ، وبعدهم عن الفاحشة ، وحكمهم بالعدل ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

ومن أين للمسلمين هذه الصفات النبيلة ، وتلك الأخلاق الكريمةالتى مكنت لهم فى الأرض وكانت من من أسباب النصر ؟

انه القرآن الكريم ، الذى أكرمنا الله ــ سبحانه وتعالى ــ به فى هذا الشهر العظيم : **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »** .

القرآن الذى يقول عنه المرحوم الأديب : مصطفى صادق الرافعى فى كتابه القيم : « اعجاز القرآن » والذى سنحاول أن نقتبس بعض فقراته عن القرآن • قال :

« لم يأت دين من الأديان بمعجزة توضع بين يدى الناس يبحث فيها أهل كل عصر بوسائل عصرهم ، غير الاسلام بما أنزل فيه من القرآن •

ان القرآن أنزل لتكون كل نفس سامية نسخة حية من معانيه ، وليكون هو النفس المعنوية الكبرى ، فهو كتاب ولكنه مع ذلك مجموعة العالم الانسانى »•

ويقول الرافعى : « ولكنه مع ذلك كتاب ، أى : كلام ومعان تتسع لكل الأزمنة ، وتحتمل اختلافها الذى تختلف به ، ثم هى تحدد هذا الاختلاف ، فترده الى القانون الانسانى الأعلى ، الذى يسرى فيه اليقين العام ، ليحفظ الانسانية على أهلها ، ومن ثم : تراه يجمع فى نفسه الثبات الزمنى ، فلا يتغير ولا يتبدل ، ثم يجمع الى ذلك لكل جيل قوة التأويل فى معانيه الحادثة الصحيحة ، وقوة التكوين فى آدابه الصالحة القوية كأنه ليس فى زمن مضى ، ولا كان لأمة سلفت ، ولا هو لتاريخ وقع وانقطع » •

فاذا أنت تدبرت هذا واستدللت عليه بما أظهره هذا الجيل العلمى فى القرآن ، مما وافق الحقائق الطبيعية والكونية والاجتماعية ، فلن يأتى لك من ذلك الا معنى واحد تستخرجه وتقتنع به ، وهو أن هذا الكتاب الكريم أثر غيبى ، كان فى علم الله قبل كل الأزمنة ، فهو يحويها كلها ، وكأنه يوجد معها كلها ، وبذلك يتعين أنه هداية الهية فى أسلوب انسانى يحمل فى نفسه دليل اعجازه ، ويكون القرآن منفردا فى التاريخ بأنه منذ أنزل لا يبرح فى كل عصر من ناحيتين صادقتين : ناحية الماضى ، وناحية الحاضر •

وقد ثبت أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبض ولم يفسر من القرآن الكريم الا قليلا جدا • وهذا وحده يجعل كل منصف

يقول : أشهد أن محمدا رســـول اللـــه .

اذ لو كان صلى الله عليه وسلم فسر للعــرب بما يحتمله زمانهم ، وتطيقه أفهامهم ، لجمد القــرآن جمــودا تهــدمه عليــه الأزمنــة والعصرو بآلاتها ووســائلها ، فان كلام الرســول نص قاطع ، ولكنه ترك تاريخ الانســانية يفسر كتاب الانســـــانية ، فتأمل حكمة ذلك السكوت : فهى اعجاز لا يكابر فيه الا من قلع مخه من رأسه .

كان العرب يأخذون القرآن على لســــان أفصح خلق الله منطقا ، وأصــحهم أداء ، وأجملهم ايماء ، وأبدعهم فى الاشارة ، وأبينهم فى العبارة ، وهو صـــلى الله عليه وسلم كان بينهم مظهر خطاب الله لأولى الألباب .

لا جرم أن القــــرآن هو سر السماء ، فهو نور الله فى أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلــــود فى دولة الأرض الى أن تزول ، وكذلك تمادى العرب فى طغيانهم يعمهون ، وظلت آياته تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون .

« ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

تأمل كيف أقام القرآن الكريم هذا الأســـــاس الأدبى العظيم ، فجعل أكرم الناس المتســـاوين جميعـــا فى الحالتين الفـــردية والاجتماعيـــة هو « أتقاهم » أى أعظمهم خلقـــا ، لا أوفرهم مالا ولا أحســـنهم حالا ولا أكثـــرهم رجالا ولا أثقبهم فهما ولا أعلمهم علما ولا أقواهم قـــوة ، ولا شىء من ذلك وأشـــــباه ذلـــك ممـــا لا يتفاضل به الناس على التحقيق الا فى ادبار الدولة ، واضـــطراب الاجتماع ، وفساد العمران .

« الأمـــر بالمعـــروف والنهى عن المنكر » .

المعروف هو كل ما يعرفه العقل الصــــحيح حقـــا ، والمنكـــر كل ما ينكره .

ففى ذلك تقويم لكل انسان من الملوك فمن دونهم ، غير أن هـــذا المعنى لم يكن على حقيقتـــه الا فى أهل الصدر الأول للاسلام .

والآن : ما هو واجبنــــا نحو القرآن فى شهر القرآن ؟

لقد أجاب عن هذا السؤال أحد رواد الفكر الاسلامى فى العصر الحديث فقال :

« فى الحقيقة ان الانسان ليعجب من موقف الناس أمام كتاب الله تعالى : « القرآن الكريم » ان موقف الناس من كتاب الله فى هذه الأيام ، مثلهم كمثل جماعة أحاط بهم الظلام من كل مكان ، فهم يتخبطون فيه ، ويسيرون فيه على غير هدى .

فتارة يقعون فى هاوية ، وأخرى يصدمون بحجر ، وثالثة يصطدم بعضهم ببعض ، ولايزالون يخبطون خبطا عشوائيا ، ويسيرون فى ظلام دامس ، مع أن بين أيديهم زرا كهربائيا لو وصلت اليه أصابعهم فان حركة يسيرة يمكن أن توقد مصباحا مشرقا منيرا .

فهذا هو مثل الناس الآن ، مثل كتاب الله وموقفهم من القرآن .
فما هو واجبنا الآن نحو القرآن ؟

واجبنا نحو القرآن الكريم :
« أن نؤمن ايمانا جازما قويا لا ضعف فيه ولا وهن معه ، بأن لا ينقذنا الا منهاج اجتماعى مستمد من كتاب الله تبارك وتعالى ، منهاج مأخوذ من كتاب الله وصادر عنه ، وأن كل نظام اجتماعى حيوى لا يعتمد على القرآن الكريم ، ولا يستمدمن القرآن الكريم فى كل ناحية من نواحى الحياة ، منهاج فاشل .

فمثلا هم يعالجون الحالة الاقتصادية بترقيعات لا تسمن ولا تغنى ، على حين أن القرآن الكريم :

- نظم الزكاة .
- حرم الربا .
- أوجب الكسب والعمل .
- منع الترف .
- أوجد التراحم بين الناس .

وبهذا تحل مشكلة الفقر ، وبغير هذا لا يمكن أن يكون ، وغير هذا لا يتعدى أن يكون مسكنات وقتية .

فى محاربة الجريمة مثلا : هل نضع السارق فى السجن ليتخصص على أساتذة الاجرام ؟ وكلما طالت

مدة اقامته فى السجن زاد تخصصه فى الاجرام .

واذا كان الأخذ بهذا النص القرآنى : « أن ينفوا من الأرض » قد أفادت البلاد منه كثيرا فما بالك يا أخى لو طبق النظام جميعه !!

الاسلام وحدة واحدة ، لا يقبل الشركة ، فيجب أن نؤمن بأن الاسلام هو الصالح لانقاذ الأمة من كل ناحية من نواحى حياتها .

علينا بعد ذلك — نحن المسلمين — نحو كتاب الله — تبارك وتعالى — أن نتخذ منه أنيسا وسميرا ومعلما ، نتلوه ونقرأه ، وألا يمر بنا يوم من الأيام حتى تكون لنا صلة بالله ، وبكتاب الله تبارك وتعالى .

وعلينا بعد ذلك أن نلاحظ حين نقرأ القرآن آداب التلاوة ، وحين نسمع كتاب الله آداب الاستماع ، وأن نحاول ما استطعنا أن نتدبر وأن نتأثر .

وبعد أن نؤمن بأن كتاب الله هو المنقذ الوحيد ، بعد هذا يجب علينا أن نصل الى العمل بأحكامه تطبيقا عمليا ، فحين تقرأ القرآن يجب أن تقف عند أحكامه وحدوده ، فمن لم يكن يصلى ويقرأ قوله تعالى : « **وأقيموا الصلاة** » فلابد أن يصلى . وحين تقرأ : « **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** » فيجب أن تؤدى الى كل ذى حق حقه ، ويجب ألا تحتاج الى من يحملك على هذا ، فالحلال بين والحرام بين .

وعن فضل القرآن والشريعة الاسلامية تكلم كثيرون ، ولكن فى هذه العجالة سنحاول أن نورد آراء الكتاب والمفكرين من غير المسلمين ، الذين أدركوا فضل الاسلام .

قال الأستاذ : يوسف زخريا — وهو مسيحى يقوم بتدريس الشريعة الاسلامية فى الجامعة الأمريكية — مبينا فضل الشريعة الاسلامية :

« ان الشريعة الاسلامية تمتاز عن سواها من الشرائع المعمول بها فى عصرنا بأنها فضلا عن كونها

مجموعة القــواعد التى يجب أن يتبعها كل مســلم ، بما حوت من أمر ونهى ، هى أيضا شريعة مدنية صالحة للأمم التى لا تزال تتعامــل بها سواء كانت هذه الأمم مسلمة أم غير مسلمة » .

ويعلن « هوكنج » أســـتاذ الفلسفة بجامعة « هارفرد » :

« أن ســبيل تقدم البــلاد الاسلامية ليس اتخاذ الأســاليب الغربية المتنــكرة للدين كموجــه لحياتهم اليومية ، وانما ســبيل تقدمهم ونموهــم اتخــاذ الدين مصدرا ، فنظام الاسلام يستطيع توليد أفــكار جديدة ، وأحــكام مستقلة متفقة مع الحياة .

وانى أشعر بأنى على حق ، حين أقر : أن الشريعة الاســـلامية تحتوى بوفرة على جميع المبادىء اللازمة لارتقاء الانسان » .

ويقول الدكتور « أنريكو انسابا تومين » :

« ان الاســلام ـــ مع احتفاظه بحيويته وقوته وأصالته ـــ يتمشى مع مقتضيات الحاجات العصرية ، فهو الدين الذى أعطى أرســخ الشرائع نباتا » .

واقرأ معى أيها الأخ المســلم ما قاله « شــيرل » عميــد كليــة الحقــوق بجــامعة « فينا » عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ان البشرية لتفخر بانتســاب رجــل « كمحمد » اليها فقــد استطاع ـــ على أميته ـــ أن يأتى قبل بضــــعة عشر قرنا ، بتشريع سنكون نحن الأوربيين أســعد ما نكون لو وصــلنا الى قمته بعد ألفى عام » .

وفى شــــهر يوليو عام ١٩٥١ انعقد فى باريس مؤتمر أســبوع الفقة الاسلامى ، فى كلية الحقوق بجامعة السربون ، بدعوة من لجنة الحقوق فى المجتمع الدولى للقانون المقارن ، وبعد أن ألقى عــدد من الأعضــــاء محاضراتهم عن الفقه الاسلامى ، وتبين منها أصــــالة التشريع الاسلامى واشتماله على ثروة حقوقيــة ، ونظريات قانونية خالدة القيمة ، اتخذ المؤتمر قرارا جاء فيه مانصه :

« ان مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها ، وأن اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية ، هى مثار الاعجاب ، وبها يستطيع الفقه الاسلامى أن يستجيب لمطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها » .

وينفى « ريتشارد وود » مايقال عن القرآن : من أنه حائل دون النهوض بالانسان ، والارتقاء بفكره وحياته ، فان القرآن يتضمن أحكام الدين ، وفى الوقت نفسه يتضمن الأمور المدنية والشئون السياسية » .

ويقول « ريتشارد وود » نفسه :

« ان كثيرا من المستشرقين يزعمون أن المسلمين لن يتقدموا ما داموا بنصوص القرآن التى لا تتلاءم ــ بزعمهم ــ مع المعارف والفنون الحديثة » .

وهذا وهم باطل نشأ عن الجهل بمقاصد القرآن ، ويكفى برهانا على بطلانه تاريخ صدر الاسلام ، وعناية علماء العرب بالعلوم والفنون ، ودراستهم لكتب الحكماء الأقدمين .

ان الاسلام قد أكد منذ الساعة الأولى لظهوره أنه دين عام ، يصلح لكل جنس وصنف ، ولكل عقل وعصر ، ولكل درجة من درجات الحضارة .

وبعد :

فهذا هو القرآن من وجهة النظر الاسلامية ، وتلك هى آراء بعض المستشرقين المنصفين فيه ، وفى الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى . وذلك هو واجبنا نحو القرآن فى رمضان شهر القرآن ، وفقنا الله الى العمل بما فيه ، باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، فنسعد فى دنيانا ، ويرضى عنا الله ورسوله يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

محمد شلبى

هـواتف

طلب العلم

للدكتور ابراهيم على أبو الخشب

فى الحديث الشريف ما يفيد أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وربما كان هـذا العلم الذى يقصد اليه الحديث هنا ، هو هذا الذى يصحح به المسلم سلوكه مع الله — سبحانه وتعالى — لتكون عبادته له على بصيرة تامة ، ووعى سليم ، لا تشوبها خرافة ، ولا يداخلها تزيد ولا مبالغة ، ولا يحيط بها جهل ولا تخبط ، وانما تكون كما رسمها القرآن الكريم ، وبينتها السنة النبوية المطهرة ، وان كان طلب العلم ، والاشتغال به ، والتحصيل له ، والعيش معه ، والانتساب اليه ، شرف لا يدانيه شرف ، ولا يعدله جاه أو سلطان ، الا أن هنالك معنى وراء ذلك كله قلما يفطن له الناس ، ويلتفتون اليه ، ويدور بخلدهم أنه مقترن به ، أو ملازم له ، وذلك هو ما يجده الطالب حينما تربطه به الأسباب ، وتصله به تلك الوشائج النبيلة التى تعلق ذهنه به ، وتحول نظره اليه ، وتفكيره فيه ، فانه — حينئذ — يحلق فى جو من السعادة التى لا يجدها الا الشعراء ، وهم يحلقون فى ملكوت السماوات والارض ، يبحثون عن صورة جميلة ، أو معنى رائع ، وقد أدركت بنفسى هذه الحقيقة التى لاشك فيها وأنا أقلب خزانة كتبى ، بحثا عن سفر أعاود النظر اليه ، أو القراءة له ، لأتصور عهدى به لأول مرة ربطتنى به الأسباب ، وجمعت بينى وبينه

المناسبات ، وربما كررت هـــذه الزيارة لخزانة كتبى هذه مـــرة وأخرى ، اذا وجدت ملا من جهد بذلته ، أو عناء قاسيته ، فلا يخفف عنى ما ألاقيه الا عيشى فى هـذه الرحاب الطاهـرة ، والأجـــواء العطرة ، وكثيرا ما تغمرنى الفرحة البالغة ، والغبطـة العميقـــة ، والبهجة الحلوة ، اذا وجدت كتابا كنت قد قطعت الرجاء منــه ، أو الأمل فيه ، اذ ظننت أن أحدا قــد استعاره ولم يرده الى ، وماأدرى ان كان ذلك لأن كتب الانســـان — كما يقـــول بعض الأدباء — كفلذات أكبــاده الذين يوليهم من حـــدبه عليهم ، واغتباطه بهم ، وميله اليهم ، وهشاشـــته لهم ، وما لا يمكن أن يتصوره الا الأب الحانى على أولاده ، الذى يتصور السعادة كلها فى ذلك الاشراق الذى ترسله وجوهم وموسيقى نبراتهم وأصـــوات كلماتهـــم وهــو ينظـــر اليهم ، أو يصـــغى الى أحـــاديثهم ، أو يقتـــرب منهم ، وكثير من الغرائز البارزة فى الانسان كحب الاستطلاع ، والحل

والتركيب ، والولوع بالكشف عن المجهول ، وغير ذلك مــن القوى الكامنة فيه ، والاســتعداد الذى خصه الله به دون ســـائر أنواع الحيوانات برهان واضح عــلىأنه لا يرضى لنفسه بحال من الأحوال ، أن ينطوى على الجهل ، أو يسكت على عدم المعرفة ، أو يستكين لتلك الظروف القاهرة التى تجعلــه — هكــذا — صندوقا مغلقـــا ، أو صخرة صماء ، أو كومة من اللحم والدم ، أو شبحا كل همه أن يروح ويجىء ليس الا ، والدليل عـــلى ذلك أنه يغضب ويثور اذا رمــاه أحد بالجهل ، أو قال له انســـان أنت لا تدرى ، ولو كان هو فى واقع الأمر كـــذلك ، وكم رأينا مــن مصادمات لا يكون لها من سبب ، سوى أن يقول قائل لصــاحبه ان بينك وبين العلم عداوة الصــديق، ونفور المختلفين ، ولقد كان المرجح الذى فضل الله به آدم عليه السلام على الملائكة ، ومن أجله منحـــه الخـــلافة فى الارض ، وأمرهم بالســجود له ، انما هــو العلم ، **«وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم**

على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السماوات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (١) •• وكذلك كان جل جلاله لا يسوى بين العلم والجهل ، ولا بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، واذا كان السؤال نصف العلم — كما يقولون — فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أسئلة ، ربما بدا منها أنها مما يتحرجون منه ، أو يترددون فى توجيهها اليه ، وهم الذين أمرهم الله بالتزام الادب معه ، وعدم الايذاء له ، وقد كانوا يلحون فى طلب الجواب ولو كان غير سار ، كهذا الذى نزلت فيه الآية الكريمة ، **« يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم »** وقد كان مطعون النسب جاءت به أمه من أب غير شرعى ، فلما أخبره صلى الله عليه وسلم أن أباه فلان كانت القاصمة له •• ولم يكن مثل هذا كله شاقا على النبى ، أو مؤلما لنفسه ، لأنه يعلم علم اليقين ما تحدثه فى الرأس لذعة الحيرة والشك ، أو الجهل بالأمور ، وعدم المعرفة للأشياء ، والوقوف على أسبابها وعللها ، وارتباط بعضها ببعض ، ولهذا لم يكن يتغاضى عن اجابة السائل ، واضاءة المشاعل لمن تشتبه عليه المسائل ، أو تخفى عنه المعالم ، أو تغيب عنه براهين الاشياء ، وأدلة الحقائق ، ويعاتبه سبحانه وتعالى اذا بدا منه ما يشبه التوانى ، أو الاهمال فى الأخذ بيد الضالين ، أو الحيارى الذين يطرقون بابه رغبة فى العلم ، أو بحثا عن المعرفة ، أو حرصا على أن يرشدهم الى السلوك الذى يجب

---

(١) البقرة ٣١ — ٣٤

أن يأخذوا به ، ليكونوا من المؤمنين الصادقين ، لا تهزهم عواطف الشك ولا أعاصير الزيغ ، و لا عوامل الباطل ، ولو حصل شيء من ذلك ولو على سبيل الاجتهاد لم يقره عليه ، أو يتركه للاسترسال فيه ، كما حصل مع ابن أم مكتوم ، ذلك الذى كان حريصا على الذهاب اليه، والأخذ منه ، ليكون له من هذا فقه فى دينه ، وكمال فى يقينه ،وقوة فى ايمانه ، وثبات على دربه ، ونور فى سبيله ، وقد صادف فى احدى غدواته اليه ، أن كان عنده بعض وجوه الكفار الذين كانوا يساومونه على الايمان به والدخول فى دينه ويريدون منه أن يطرد من حوله الفقراء الذين يغشون مجلسه ، ويتوددون اليه ، أو يترددون عليه ، وهنالك لم يستقبله الاستقبال الذى عوده عليه ، واشتغل بالحفاوة بهم، وكأنه كان مطمئنا الى أن هذا الذى ألف التردد عليه ، والزيارة له ، لا ينكر فى نفسه اغضاءه عنه ولا تركه للحفاوة به ، والاقبال عليه ، والألفة — كما يقولون — نسقط الكلفة ، لكن جبريل ، عليه السلام ، قد نزل عليه ، يبلغه صوت السماء بالانكار لهذا الصنيع، **« عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى»** (١) وكان صلى الله عليه وسلم اذا لقى ابن أم مكتوم بعد هذا يقول له : أهلا بمن عاتبنى فيه ربى .. وكان جبريل الأمين فى بعض الأحايين يجيء الى الرسول الكريم ، فى شكل أعرابى جلف ، يسأله فى عنف وغلظة — كما هو شأن الأعراب وكان بعض الصحابة تدفعه نفسه الى الاعتداء عليه ، أو التأنيب له ، لاساءته الأدب مع سيد الخلق ، وكان النبى يردهم عن ذلك قائلا انه أخى جبريل جاء ليعلمكم كيف تسألون عما يشتبه عليكم من الحلال والحرام ، وكان الصحابة يسألونه صلى الله عليه وسلم ، لا يقف سؤالهم عند حدود الخبر الذى يريدون معرفته ، وانما يسألون عن الشر كما يسألون عن

---

(١) عبس ١ — ٤

الخير ، وعن الفضيلة كما يسألون عن الرذيلة ، ويقــول حــذيفة بن اليمان كان الناس يسألون رســول الله عن الخير ، وكنت أســأله عن الشر مخافة أن أقع فيه .. وهكذا نرى السؤال لا حدود له ، وقــد يكون عن الشر الذى يجب تركه ، وعدم الاقتراب منه ، كما يكون عن الخير الذى يجب اتباعه ، والأخذ به، ومن المعقول أن تتصرف البشرية عن النظر فى الأشياء ، أو البحث عنها ، والتفكير فيها ، والمعرفة لها، أو ربط الأسباب بالمسببات منها ، اذا طغى عليها طيش الحيــاة ، أو استولت عليها غفلة الــذهن ، أو غفوة القلب ، أو حالت بينها وبين ذلك ظروف قاسية ، لا تســتطيع أن نتحكم فيها ، أو تقــدر عــلى تخطيها ، لكنه ليس من المعقول أن يظل ذلك دائما أبدا ، وعلى طــول الخط . فان فرعون موسى الــذى عاش غــارقا فى ســكرة الملك ، وغرور الحكم وأبهة الجــاه ، أو جبروت السلطان ، لم يمنعه ما كان فيه ، من محاولة المعرفة ، والرغبة فى الوقوف على حقائق الأشياء ، ولم يلبث وقد أخبره موسى ان الله فى عليائه قد استوى على العرش ، أن قال لوزيره **« يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السماوات فأطلع الى اله موسى »**(١) وكانت نهايته وقد تطامن كبرياؤه ، وذهب غروره ، وأيقن أنه مــلاق سوء عمله **« قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل »** (٢) وهكذا كن طغيــان المــادة عــلى الناس اذ يحول بينهم وبين الحق، فلا تنظر عيونهم للنور ، ولاتذعن قلوبهم للخير ، ولا ترتبط أفئدتهم بالذى خلق السماوات والأرض ، لأنهم فى هذه الفترة من أعمــارهم يعيشون لليوم لا للغد ، وللجسد لا للروح ، ولشهوة البطن لا أكثر ولا أقــل ، حتى اذا مــا أطبق عليهم الحال ، وضاقت عليهم الســبل ، وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا

---

(١) غافر : من آيتى ٣٦ ، ٣٧

(٢) يونس : من الآية ٩٠

أنهم قد أحيط بهم ، عاد اليهم الرشد ، واعتدل فيهم ميزان التفكير ، ولذلك رأينا الحروب الأخيرة ، وقد طحنت رحاها العالم ، وأتت على الأخضر واليابس ، تفتح قلوبا غلفا ، وأعينا عميا ، وآذانا صما ، وتوقظ كثيرا من الجاحدين أن يبحثوا عن السداد والرشاد ، والصواب والحق ، ليستقيموا على الجادة ، ويسلكوا السبيل الصحيح الذى لا التواء فيه ولا انحراف ، وربما كان الرأى مضطربا بين الأخذ بشريعة الله أو شريعة الناس ، ولا يعنينا أن نقول ما هو هذا الذى كان يجمل بهم أن يفزعوا اليه ليكون فيصلا ، انما يعنينا فقط أن نقول ان ذلك عنوان النزوح الى العلم والمعرفة ، والبحث عن الحق والصواب ، أو تجاوز الحدود والسدود •• وعلماء الاجتماع وهم يتكلمون عن البدائية الأولى فى الانسان ، لم يختلفوا فى أنه كان يتطلع ويتأمل ويسأل ويحاول أن تتكشف له الحقائق عارية من الأغلفة والحجب ، والحاجة الى الزاد العقلى كانت دائما أبدا تلح على صاحبها أكثر من الحاجة الى الزاد الجسمى ، لأنه يستطيع أن يحتمل الجوع والعطش من غير غضاضة ولا مضاضة ، ولا يعيبه معهما أحد ، ولكنه لا يحتمل الجهل بالأشياء ، وعدم معرفته لها الا على ضرب من القلق والحيرة ، والسخط والاضطراب ، الذى يستحيل معه السكون والاستقرار ، والرضا والارتياح ، ولا أدل على ذلك كله من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى كان لا يشك فى رعاية ربه له ، واهتمامه به ، وتوفير كل أسباب النجاح لدعوته ، يتلهف تلهفا يشبه النهم على أن يردد ما يوحى به اليه ، دون أن ينتظر انتهاء جبريل ، عليه السلام من تلاوته اياه ، وكان جل جلاله يذهب هلعه وفزعه ، ويطمئنه على أنه لا يضيع عليه شيئا منه أو يجعل الفرصة تفلت دون أن يكون قد أحاط به «**لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه**»(١) •• وفى قصة موسى مع الخضر

---
(١) القيامه : ١٦ — ١٨

عليهما السلام ، صورة طريفة الى أبعد حد — فى هذه الناحية ، اذ وجد موسى أنه مع التشريف الذى شرفه الله به من اختياره للنبوة ، واصطفائه بالرسالة ، ينقصه كثير من علم الخضر بالأشياء ، وبصره بالأمور ، واحاطته بالمسائل ، وكأنما تمنى لو يقتبس من وعيه ، ويأخذ من فهمه، ويغترف من بحره ، ويكون لهبعض ما أفاض الله به عليه « **قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا ، قال انك لن تستطيع معى صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ، قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا ، قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكر** » (١)وعلى الرغم منأن موسى أبدى طاعة التلميذ لأستاذه، وخضوع المريد لشيخه ، وأعلن أنه سينزل على حكم الكبير على الصغير ، فلا يتحول عن هذا الأدب ، ولا يتمرد على تلك التقاليد ، فان الطبيعة الانسانية كانت تفرض عليه أن يسأل ، وتحتم عليه أن يتعجل المعرفة ، وتلح عليه أن يطلب كشف الغطاء عن المجهول ، غير مترقب للفرصة المتاحة أو الظروف الملائمة ، وهنالك تخطى الوعد الذى وعد به ، والعهد الذى اخذه على نفسه ، وانساق انسياقا للسؤال وطلب العلم والمعرفة ، مكتفيا بالاعتذار عما بدر منه ، أو وقع فيه ، وكلما ضاق الخضر ذرعا بما حصل منه أعاد على سمعه « **ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا** »كأنما يشفى بهذا غليله ، ويرمه به ، أو غضبه الذى كان يملأ جوانحه ، ولا يزيد موسى مع ذلك كله على اعتذاره له « **لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا** » وهكذا يتكرر خطأ المخطىء، واعتذار المعتذر ، بقول الأول

---

(١) الكهف : ٦٧ — ٧٠

« ألم أقل لك » ويقول الثاني « لا تؤاخذني » ونحن أمام هذا الحوار الطريف بينهما نقف موقف المتأمل ، وكلاهما رجل لا يستهان بعقله ورأيه ، وذوقه وأدبه ، وتفكيره وحصافته ، يؤاخذه المجتمع على أنه لم يلتزم بما أخذه على نفسه ، واذا قلنا ان الخضر كان له رأيه فى الانتظام أو التؤدة ليكون ذلك أدعى الى التشويق والترقب ، وليكون للاجابة وقعها الطيب فى النفس ، كما يفعل المربى الماهر مع التلاميذ ، فماذا عساه أن نقول له عن هذا الذى تخطى السدود والحدود ، أو المواثيق والعهود ، ثم انساق انسياقا قاهرا وراء الرغبة فى العلم ، والنزوع الحاد الى المعرفة ، الا أن يكون هو الطبع الانسانى الذى لا يستطيع أحد أن يخالفه ، أو أن يخرج على تقاليده ، وهكذا كانت البشرية منذ خلقها الله ، تنزع الى طلب العلم ، وتبحث عن حقائق الأشياء .

د . ابراهيم على أبو الخشب

* * *

انشقاق القمر والإعجاز العلمي للقرآن

دكتور منصور محمد حسب النبي

أشار الله سبحانه وتعالى الى ظاهرة انشقاق القمر فى مطلع سورة : « القمر » بقوله سبحانه : **« اقتربت الساعة وانشق القمر » (١)** •

ولقد اختلف المفسرون فى تفسير هذه الآية ، ولذلك أردت أن أكتب هذا المقال لأساهم برأى العلم الحديث فى هذا الموضوع ، وخاصة وقد توقعت البحوث الحديثة أن نظام الأرض والقمر سيتطور مؤديا الى انشقاق القمر •

وفيما يلى : سأناقش قضية انشقاق القمر على ضوء التفسيرين الواردين لهذه الآية الكريمة :

أولا : يستدل بعض المفسرين بهذه الآية على أن انشقاق القمر وقع فعلا فى الماضى ، كمعجزة مادية خارقة من معجزات سيدنا : محمد عليه الصلاة والسلام وذلك استجابة لطلب المشركين ، ودليلا على اقتراب يوم القيامة •

ثانيا : يجمع المفسرون حديثا على أن هذه الآية تعبير عن الأحداث الكونية فى المستقبل ، فعند دنو يوم القيامة سينشق القمر ، وينفصل بعضه عن بعض ، ويؤيد وجهة النظر هذه ما يأتى :

(أ) أن التعبير عن الماضى فى الآية الكريمة : « **اقتربت الساعة وانشق القمر** » ليس معناه أن القمر قد انشق فعلا ولكنه التعبير

---

(١) سورة القمر ٥٤ الآية الأولى منها •

بالفعل الماضى عن حدث مايستخدم عادة فى الأصل البلاغى فى مقام التعبير عن المستقبل ، تأكيداً لتحقق وقوعه ، بدليل قوله تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » (١) فلفظ أتى هنا بمعنى : سيأتى • حيث عبر القرآن الكريم بصيغة الماضى بدلا من المضارع ، تأكيدا لوقوع الحدث فى المستقبل•

(ب) أن التوقعات العامية الحديثة تشير الى انشقاق القمر فى المستقبل ، وهذا ما سأوضحه فى هذا المقال •

وقبل أن أدخل فى التفاصيل العلمية لهذا الموضوع ، فسوف أناقش التفسير الأول •

أولا : انشقاق القمر فى الماضى

يقول صاحب كتاب « الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى » ان دعوة الاسلام لم تكن دعوة لقوم أو لجنس ، ولم تكن دعوة جيل أو زمن محدد معلوم ، ولم تعتمد فى عملها على القهر والتسلط على العقل أو المشاعر ، لأنها دعوة عامة للبشر ، وهى دين الله الخاتم للناس جميعا ، فالدعوة الاسلامية دعوة قائمة على الحجة الواضحة ، والبيان النير ، ولم تعتمد على اعجاز مادى ، لأنها خالدة الى يوم القيامة ، وعامة لكل جيل من البشر فى أى مكان على وجه الأرض •

ولقد كانت معجزة كل رسول حسية ، لأنه مبعوث لقومه خاصة ، أما معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله الى البشرية كلها : فهى عقلية خالدة ، لا تتغير ولا تتبدل بحفظ الله لها ، وهى : « القرآن » •

ولقد ضرب القرآن الكريم أمثلة كثيرة للذين كانوا يشاهدون الآيات التى تعتمد على الخوراق المادية ثم لم يؤمنوا بها مثل : قوم ثمود ، الذين جاءتهم الناقة وفق ما طلبوا ، ولكنهم كفروا وأهلكهم الله •

---

(١) سورة النحل ١٦ الآية الأولى منها

ولهذا جاءت رسالة الاسلام ختاما للرسالات كلها ، غير مصحوبة بخوارق مادية ، لأنها رسالة الانسان على وجه الأرض • انها رسالة الأجيال المتعاقبة ، ورسالة الرشد البشرى تخاطب فى الانسان مداركه وعقله ووجدانه جيلا اثر جيل •

انها رسالة تحترم الانسان وتميزه ببشريته •

وآية الاسلام هى « القرآن » كتاب مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه •

حقا : ان « القرآن الكريم » معجزة الله الخالدة ، وسوف يظل القرآن الكريم مفتوحا للأجيال المتعاقبة ، وحتى قيام الساعة ، باعجازه اللغوى والبيانى والعلمى •

ويسجل « القرآن الكريم » مرحلة المهاترات التى كان يثيرها الكفار بطلب المعجزات والخوارق المادية ، أيام نزول القرآن الكريم بقوله تعالى :

« ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا • وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا • أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا • أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا • أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » •

(الاسراء — ٨٩ — ٩٣)

ويتضح بهذا أن الكفار قد قصر اداركهم عن التطلع الى آفاق الاعجاز القرآنى ، فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية ، ويتعنتون فى مطالبهم ، لدرجة المطالبة بمجىء الله — سبحانه وتعالى — والملائكة اليهم ! مما يدل على اختلال قواهم العقلية •

ولقد كان الجواب على هذه المطالب : **« قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » •**

حقا : أن محمدا بشر • ولقد طلب الكفار منه أن ينزل الله عليه ملكا يصدقه ويحدث الناس

معه ، فأنزل الله تعالى الآية الكريمة التالية .

« وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

(الانعام ٨ ــ ٩)

وبهذا يتضح أن الله سبحانه لو استجاب لمطالبهم وأرسل مع محمد ملكا كما اقترحوا ، ثم عاندوا ولم يؤمنوا ، لنفذ الأمر الالهى باهلاكهم فورا . كما أن الملك المطلوب ليؤيد الرسول لابد وأن يكون على هيئة بشر ، حتى يستطيع الكفار مشاهدته والفهم عنه ، لأنهم لا يقدرون على رؤية الملك فى صورته الأصلية ، ولكن ارسال الملك فى صورة بشر اليهم سوف يوقعهم فى نفس الخطأ الذى يتخبطون فيه لأنه فى هذه الحالة سوف يشتبه عليهم الأمر ، ولهذا كان طلبهم مرفوضا .

ولقد سأل أهل مكة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحى عنهم الجبال فيزرعون .

فأنزل الله عز وجل الآية الكريمة :

« وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون » .

(الاسراء : ٥٩)

أن التكذيب بالآيات المادية الخارقة ، يوجب فى حكم الله معاقبة المكذبين فورا بالنقمة ، كما حدث لقوم صالح : (ثمود) ولآل فرعون ، وبهذا : فلو أعطيت قريش ما سألوا من الآيات ، وجاءهم بما اقترحوا من معجزات مادية خارقة ، ثم كذبوا ... لم يلبثوا أن عوقبوا بتكذيبهم للمعجزات .

ولكن الله أكرم محمدا ، وبعثه رحمة للعالمين .

ويتضح مما سبق أن الدعوة

---

(١) الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى ــ للدكتور : رؤوف شلبى . من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية .

الاسلامية لم تعتمد على اعجاز مادى لأنها خالدة الى يوم القيامة، ولأنها عامة لكل البشر ، ولأنها رحمة للعالمين •

أما موضوع انشقاق القمر : فقد قال بعض المفسرين عنه :

أنه حدث ووقع تاريخيا ، وثبت بالسنة (١) ، على نحو ما رواه البخارى :

انشق القمر ونحن مع النبى — صلى الله عليه وسلم — بمنى فقال :

(اشهدوا ، وذهبت فرقة نحو الجبل) •

وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبدالله : انشق القمر بمكة • وتابعه محمد بن مسلم عن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى يعمر عن عبد الله •

وهو حادث واجه به القرآن الكريم جماعة المشركين فى حينه ، ولم يروعنهم تكذيب لوقوعه ، فهو بذلك قد وقع بصورة يتعذر معها التكذيب ، حتى ولو على سبيل المراء الذى كانوا يتذرعون به ، غير أنه روى عنهم أنهم قالوا : سحرنا : ولكنهم أنفسهم اختبروا الأمر فعرفوا أنه ليس سحرا ، حيث سألوا آخرين قادمين من السفر ، فأخبروهم أنهم رأوا القمر منشقا ، ورغم ذلك قالوا : هذا سحر • فأنزل الله تعالى الآية **« اقتربت الساعة وانشق القمر • وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر »** •

(القمر — ١ — ٢)

والسؤال الآن :

هل انشق القمر فعلا فى الماضى أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

ولو سلمنا بأن حادثة انشقاق القمر قد وقعت فعلا استجابة لمطالب المشركين ، فلماذا لم يستجب القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم — لباقى مطالب المشركين ؟

وللجواب على ذلك :

فاننا نحن « المسلمين » نؤمن

بكتاب الله ، وبصدق رسول الله ، ولو كانت رواية انشقاق القمر صحيحة على نحو ما رواه البخارى ، فليس بوسعنا تكذيب حادثة انشقاق القمر أيام رسول الله لأن الله قادر فى أى لحظة أن يشق القمر ، وقادر أن يعيده الى كتلة واحدة .

ولكن القول بأن انشقاق القمر كان استجابة لطلب المشركين : قول متجاف مع النص القرآنى ، والموقف النبوى الذى أوضحناه من قبل مصداقا لقوله تعالى :

« قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » .

وقوله تعالى :
« وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون » .

يقول المسلم الفرنسى « اتين دينيه » (١) :

« اننا لا نستطيع تصديق حدوث تلك المعجزة المزعزعة ، لأنها تتنافى صراحة مع الكثير من آيات القرآن . وما أقل تأثير المعجزات فيما مضى من التاريخ . لقد عبد بنوا اسرائيل العجل بعد أن أنقذهم موسى بمعجزته من لجة البحر ، ومن طغيان فرعون وما كان أهل مكة المشركون ليتأثروا بالمعجزة أكثر من غيرهم من بنى البشر ، فان الطبيعة الانسانية واحدة .

غير أننى لا أملك أمام الكثرة الكثيرة من الأحاديث الصحيحة الا أن أقول : انه ليس فى الامكان تكذيب حادثة انشاق القمر ، لكنها وقعت ، لا على أنها دليل فى مواجهة مطالب المشركين لاثبات الرسالة ، بل هى وقعت كما وقعت خوارق كثيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم » .

دكتور

منصور محمد حسب النبى

---

(١) محمد رسول الله « اتين دينيه » .

رمضـــان والمجتمع والقيم والحياة ..

حسيد عبد الحكيم النجار

فى شهر رمضان المبارك .. تتجه القلوب الى ربنا تبارك وتعالى .. منطلقة لتجديد القيم فى النفس والمجتمع والحياة .. وتتجه ملايين الأنفس الى مقام الجلال والكمال سيدنا رسول الله صلوات الله عليه وسلم .. محمد .. هدية السماء الى الأرض .. من أرسله الله رحمة للعالمين ..

فتتخذ جماهير المؤمنين من هذا الشهر العزيز .. على الله وعلى الناس .. ومن منهاج صاحب الرسالة العظمى فى هذه الأيام الروحية الرحبة .. منطلقا لتطهير النفس وتصفية الروح .. وحتى نجعل من رسالة السماء .. سلوكا ومنهاجا وواقع حياة .. حيث تنطلق فى جنبات الدنيا الكلمة الشريفة .. للسيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها .. عندما سئلت عن خلق رسولنا العظيم فقالت : كان خلقه القرآن .. بل كان قرآنا يمشى على الأرض .. يضىء ويحكم ويشرع بين الناس بالعدل وللعدل ومن أجل العدل ..

هكذا! عاشت ومازالت تعيش هذه القيم الخوالد فى نفوس أبناء الاسلام .. حتى أصبح رمضان ربيع القلوب والأرواح وواحة الأمل للعودة الى رحاب الله .. سبحانه وتعالى ..

تربية الروح

الطاقات الروحية أقوى طاقات الانسان وأكثرها أثرا فى

حياته •• وفى شعوره بالسعادة والأمن والأمان •• فان الله جلت قدرته وعظمت ارادته طلب من المؤمن أن يكون دائم **الاتصال به** • والشعائر فى حقيقتها ما هى الا محطات للتزود من الطاقات الروحية التى تؤثر فى المسلم وفى سلوكه وفى عادته وفى أمنه وأمانه•• بل فى سعادته •• ومن هنا يطلب القرآن من المسلمين جميعا أن ينهلوا من هذا الرحيق الصافى الشفيف النظيف ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ••

وفى الحديث الشريف •• أن رجلا سأل النبى العظيم عن الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل للمغنم أى ذلك فى سبيل الله ؟

فقال الرسول : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » ••

والصوم من الناحية الروحية صلة وثيقة متفاعلة بين العبد وربه صلة بعيدة عن الرياء وفى ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى فى حديثه **القدسى « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به »** ••

تغذية الروح

ومن أهداف الصيام تربية النفس على الصبر •• فالمسلم يتحرر من ذاته ويتربى على ضبط أعصابه فلا يثور لأول مؤثر بل يقيم الاعتدال فى طبيعته وحركته وسلوكه •• والصوم يساعد على تربية المسلمين ومساعدتهم على اقامة مجتمع سليم قوى له قيادة يرجع اليها فى كل أمر من أمور حياته •

والصائم المحتسب لا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا محتسبا مطمئنا هادئا •• ومن هنا ندرك أن أساس الصوم اعداد المسلم بأن تكون تصرفاته كلها منسجمة مع تعاليم الاسلام •• وجوهر الاسلام ينادى دائما بتحرير الانسان فى الأرض من العبودية للعباد ومن العبودية للهوى •• بل لعبودية الواحد الأحد بأن الله واحد •• لا شريك له •• سبحانه ••

ولم يكن من المصادفة أن

يفرض الصوم فى العام الذى فرض فيه القتال لرد العدوان ونشر الاسلام .. فالصوم هو مجال تقرير الارادة القوية واتصال الانسان بربه اتصال طاعة وانقياد – ومجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها واحتمال ضغطها وثقلها ايثار لما عند الله .. وهذه عناصر لازمة لاعداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك والذى تحف بالسالكين فيه المغريات ..

التفكير الحديث

ونحن نعلم أن الشباب المدلل لا يستطيع أن يقف على قدميه فى هذه الحياة لأنه نشأ طفلا رخوا لينا تتقاذفه الرياح من كل جانب ثم هو فى العادة الذى يصاب بالأمراض والعقد النفسية وبصدمات الحياة ..

والفرق الخاصة فى الجيوش تدرب تدريبا عاليا يؤهلها للقيام بالمهمات الخطيرة التى تحتاج اليها الأمة فى ملماتها ..

ان الجندى الذى يؤخذ الى ميدان المعركة بدون اعداد لهو شاب فاشل .. وان الشباب الذى يقابل الحياة وصعوباتها بدون اعداد لهو شاب فاشل .. والصوم يسهم فى تربية النفوس وترويضها وتعويدها الصبر فى كل الأمور ..

وشباب اليوم يحتاج الى الاعداد النفسى والعقلى فى مدرسة الصوم ..

والصوم فى حقيقته ليس حرمانا من حرية الانسان بل هو يطهر النفس ويوجه عقل الصائم كى يسترد حريته .. حرية الارادة وحرية التفكير .. وحرية الحركة فى سبيل الله الحق المبين ..

والتفكير الحديث أفسد فى أذهاننا معنى الحرية حين هدم حدودها الروحية والنفسية ثم استبقى حدودها المادية فالانسان ليس حرا فى التفكير الحديث فى ان يعتدى على مال غيره أو على شخصه ولكنه حر فى نفسه وان جاوز ذلك حدود القتل .. أو قواعد الخلق ..

والواقع ان الانسان عبد العادة وتغيير العادة فيها حرية الانسان . وعبودية العادة مفسدة للارادة ومفسدة للفكرة الصحيحة عن الحرية فى صورتها الصادقة .. ومفسدة لسلامة التفكير لأنها تخضعه للتأثر بضرورات الجسم المادية التى طبعتها العادة ..

التفكير العقلى

العقل طاقة هائلة ضخمة اذا أحسن الانسان استخدامها استطاع أن ينتج انتاجا ضخما .. والله سبحانه وتعالى يمن على عباده بالعقل فيقول **« وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة »** وجعل الانسان مسئولا عن هذه النعم .. **« ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »** ونعى على الكفار الذين يلغون عقولهم ويقولون **« انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون »** .

وقد وضع الاسلام المنهج الصحيح للاستدلال العقلى وطلب من عباده أن ينظروا ويتفكروا **« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »** .

وفى هذا الشأن كانت الدقة العلمية التى أدهشت علماء الغرب وجعلت عالما مثل « جب » يقول فى كتابه الاتجاهات الحديثة فى الاسلام : « أعتقد أنه من المتفق عليه ان الملاحظات الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وانه عن طريق الملاحظات وصل المنهج التجريبى الى أوروبا فى العصور الوسطى » .

والصوم من الناحية الفكرية يجلو صدأ الذهن فيكون الانسان أقدر على الفهم والادراك والتفكير .. **وما أحوجنا الى أن نسير على النظام الذى كان يسير عليه الرسول الكريم فنستفيد من رمضان فائدة كاملة ..**

المجتمع المتكامل

وصوم رمضان فرصة لتربية المسلم عن طريق القدوة حين يقتدى الصغير بالكبير وحين

يقتدى المسلمون بسلوك النبى الكريم وعن طريق الموعظة الحسنة التى تأتى عن طريق دراسة القرآن وفهم معانيه والحديث الشريف فى المساجد والمنتديات ووسائل الاعلام والصحف .. وفى رمضان عمليات تربية لا مثيل لها فى الدول المتقدمة من حيث المساواة الكاملة بين المسلمين جميعا لأنهم يصومون فى وقت واحد ، الكل سواسية فى الصوم .. تلك المساواة التى يهدف الاسلام الى اظهارها دائما والى تثبيتها فى النفوس ..

والاسلام حث على التعاطف فى كل وقت ولكنه حث عليه فى رمضان **أكثر والتاريخ يحدثنا أن النبى كان أجود من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون فى رمضان .. والصوم من الناحية الاجتماعية فيه تقوية وتنقية للمجتمع المتعاطف المتكامل ..**

والاسلام قد جعل من الصوم علاج لكثير من الأمراض الباطنية لا سيما الجهاز الهضمى وهو يعالج الأمراض الجلدية وأمراض القلب وضغط الدم وغيرها حيث قال تعالى **« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » .**

الصوم والعلم الحديث

ان العلم الحديث قد أثبت ظاهرة فى الجسم تسمى : « ظاهرة التكيف » ــ فعندما يصاب أى جزء من الجسم بعطل يسرع باقى الجسم الى التكيف .. على الظروف الصعبة التى أصبح فيها ــ فيزداد نشاط الأجهزة كلها بحيث يعوض أى نقص قد حدث فى الجسم .. فقد ثبت أن القلب قد يتضخم الى أكثر من ثلاثة أضعاف حجمه ليواجه أزمة فى الجسم وانه اذا توقفت كلية عن العمل سارعت الكلية الأخرى الى عمل مضاعف حتى تصل الى عمل الكليتين ..

ولذلك فان الانسان عندما يجوع تماما فان هذا الجوع يحرك كافة الأجهزة الداخلية ويدفعها الى العمل فيكتسب قوة عن طريق عملها السريع وتنعكس هذه القوة على الجسم كله ..

وفى هذه الظاهرة يقول الدكتـــور « الكسيس كاريل » الحائز عـــلى جائزة نوبل فى الطب والجراحة فى كتابه الانسان ذلك المجهــــول « ان كثرة وجبـــات الطعـــام وانتظامها ووفرتها تعطل وظيفـــة لعبت دورا عظيما فى بناء الاجناس البشرية وهى وظيفة التكيف عـــلى قلة الطعام ‥ كان الناس فى الزمن الغابر يلتزمون الصـــوم فى بعض الأوقـــات وكانوا اذا لم ترغمهم المجاعة على ذلك يفرضونه عـــلى أنفسهم فرضـــا بارادتهم ‥ ان الصـــوم ينظف عطل عمليات ظلت ذاتية النشاط آلاف الســـنين لدى الكائنات البشرية » ‥

وأخيرا ‥

ان الصوم مدرسة كبرى تؤدى واجبها ‥ وتظهر أثرها فى تربيـــة النفس البشرية على أكمل الوجوه وأفضلها ومن حق المؤمن المســـلم أن يســـتفيد من هذا الشـــهر الكريم ‥ فائدة كاملة ‥ فيقوى ارادته ويتقى الله فى السر والعلن ليصبح الانسان الصـــائم القـــوة الدافعة للبناء والبذل والعطـــاء بلا حدود ‥ وبذلك نحس جميعا بأثر رمضـــان فى تربية المجتمـــع الاسلامى ‥ السعيد ‥ فى التعمير والانتاج من أجـــل غـــد مشرق ينشده الاســـلام لملايين البشر شرقا وغربا ‥ والله ولى التوفيق

عبد الحكيم النجار

＊ ＊ ＊

الأزهر جامعًا وجامعة
أو مصر فى ألف عام

للأستاذ محمد كمال السيد

- ١٣ -

ذكرنا فى المقال السابق أن محمد باشا شريف ألف وزارته فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ . وأن الشعب قابلها بالابتهاج وسماها وزارة الأمة .

وطلب شريف من عرابى وأصحابه الابتعاد بفرقهم عن القاهرة ، ليعود الهدوء والسكينة ، فاستجابوا له ، ونقل عرابى الى الشرقية ، وعبد العال حلمى الى دمياط ، وخرجوا من القاهرة يودعهم عشرات الآلاف ، واستقبلتهم فى الطريق فى كل محطة أيضا عشرات الآلاف مبتهجين بما حققوه للشعب من انتصار .

ثم رأت الحكومة أن فى وجود عرابى فى الشرقية موطنه الأصلى — زيادة فى قوته ، وتجميعا لمؤيديه ، ووجدت أن الحكمة هى فى وجوده بالقاهرة تحت رقابتها ، فعينته بعد ثلاثة شهور وكيلا لوزارة الحربية .

وكان شريف من الداعين للدستور ، وقد سبق فى هذا العرابيين ، فقد طالب به فى أواخر عهد اسماعيل وأوائل عهد توفيق ، وقد وضع مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس النواب فى وزارته الأولى .

فما أن شكل هذه الوزارة حتى قدم فى ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ الى الخديوى تقريرا بمزايا النظام النيابى ، وطلب اجراء انتخابات عامة لمجلس شورى النواب ، ليجتمع بصفة جمعية تأسيسية يعرض عليها مشروع الدستور ،

أو القانون الأساسى كما كان يسمى وقتذاك ، وفعلا تمت الانتخابات فى حرية ودون تدخل من الحكومة أو من العرابيين ، واجتمع مجلس النواب فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨١ ، وألقى توفيق فى جلسة الافتتاح ما أصبح يسمى فيما بعد بخطاب العرش ، ورد عليه بعض الأعضاء بالخطابات المناسبة •

وقدم شريف للمجلس فى ٢يناير سنة ١٨٨٢ مشروع الدستور للمناقشة ، وكان دستورا محتويا على أحدث المبادىء العصرية ، من فصل السلطات ، وتحديد مدى كل سلطة ، والمسئولية الوزارية ، وغير ذلك من الشئون الدستورية ، وابتهجت الأمة بمجلسها الجديد ، وتفتحت آمالها بالدستور وبدا فى الأفق ابتداء انتظام حال مصر •

ولكن أوربا كانت بالمرصاد لتعويق البلاد عن التقدم ، فاعترضت انجلترا وفرنسا على ما ورد فى الدستور من حق المجلس فى تقرير الميزانية ، فشاعت موجة من السخط فى البلاد على هذا التدخل فى مسألة من صميم شئون مصر الداخلية •

وكان شريف بحنكة الرجل السياسى يرى أن يطأطىء الرأس حتى تمر الزوبعة ، فالميزانية قد تقررت قبل انعقاد المجلس ، والميزانية الجديدة لن تعرض قبل سنة تقريبا ، فلا داعى للتصادم الآن ، ويحسن تأجيل البت فى المادة الخاصة بالميزانية الى ما بعد •

وكان هذا أيضا رأى الشيخ محمد عبده ، فقد قال لأحمد عرابى : لقد لبثنا عدة قرون فى انتظار حريتنا ، فلا يشق علينا أن ننتظر بضعة أشهر • (أحمد عرابى للرافعى ص ٣٠) •

ولكن عرابى وصحبه لم يقبلوا فكرة التأجيل • ويرى المرحوم الرافعى فى كتابه المذكور : (ص ٩٠) أن هناك عاملا آخر كان فى نفوس العرابيين ، هو احراج شريف باشا باشا ليستقيل ، وتسند الوزارة الى أحدهم •

وفعلا استقال شريف باشا ،

وألف محمود باشا سامى البارودى الوزارة الجديدة فى ٢ فبراير سنة ١٨٨٢ ومن أعضائها أحمد عرابى بصفته وزيرا للحربية، أو الجهادية كما كانت تسمى • وهكذا وصل الى رتبة اللواء والباشوية •

وأتم المجلس مهمته ، وأقر الدستور فى ٨ فبراير ، وصدق عليه الخديوى ، ولم يقتصر عمل المجلس فى مدة انعقاده القصيرة على اقرار الدستور ، ولكنه وضع اللائحة الداخلية للمجلس ، وبحث بعض شئون التعليم والتجارة ، كما أقر اقتراحا من أحد أعضائه **بانشاء خزان أسوان •**

وهكذا نرى أن فكرة خزان أسوان مصرية ، لا كما يدعى الانجليز أن لهم الفضل فيها لتنظيم الرى ، ولولا الاحتلال الانجليزى لما تأخر تنفيذه • فقد بدىء العمل فى خزان أسوان سنة ١٨٩٨ ، وتم سنة ١٩٠٢•

وازدادات مكانة أحمد عرابى فى البلاد ، وأصبح منزله مقصدا لأصحاب المصالح والحاجات من شتى الجهات كأنه احدى الوزارات •

وكانت استقالة شريف ، ووزارة البارودى على غير هوى الخديوى، برغم أن شريف كان حريصا على كرامته ، مستقلا برأيه ، فالوزارة الجديدة كانت عرابية بالكامل ، وكان الرئيس الفعلى لها هو أحمد عرابى •

وبدأت الفتن :

فقد نما الى العرابيين وجود مؤمرات من الضباط الجركس ، لاغتيال عرابى وعدد من أصحابه • فقبض على عدد منهم ، وتشكل مجلس حربى لمحاكمتهم ، وحكم على أربعين منهم بالنفى الى أماكن متفرقة فى أقاصى السودان ، مع تجريدهم من الرتب والنياشين والامتيازات العسكرية •

ووجد توفيق فى هذه الأحكام قسوة بالغة ، فعدلها الى النفى خارج البلاد ، على أن يختار المنفيون البلاد التى ينفون اليها ، ورفضت الوزارة التعديل ، وصممت

على اقرار الأحكام ، وفكـرت فى دعـوة مجلس النـواب ، وهـذا يسـتوجب توجيـه الـدعوة من الخـديوى ، طبقـا للائحة التى أقرها المجلس ، ورفض الخديوى دعوة المجلس ، ولكن الوزارة دعته الى الاجتماع .

وحضر النواب من دوائرهم ، واجتمعوا فى دار البارودى فى مايو سنة ١٨٨٢ ، ولكن الأعضاء اعتبروا هذا الاجتمـاع غـير قانونى ، ويحمد لهم هذا الموقف لما أبدوه فى هذا الشأن من استقلال فى الرأى ، وكانت موافقة المجلس مسـألة خطيرة ، فاذا صمم الخديوى على موقفه فمعناه التهـديد بخلعـه ، وكانت هذه الفكرة بدأ يرددهـا العرابيون ، وأخيرا سوى الأمـر بموافقة الوزارة على التعديل الذى أجراه الخديوى ، وهو ما كان على الوزارة قبوله ابتـداء ، فلم يكن الموضوع يستحق هذه الأزمة .

ولكن انجلترا وفرنسـا كانتـا بالمرصاد ، وحضرت أسـاطيلهما للاسكندرية ، وقدمتـا فى ٢٥ مايو مذكرة شديدة اللهجة الى الحكومة، طلبتافيها استقالة وزارة البارودى، ونفى عرابى خـارج البـلاد ، وتحـديد اقامة عبد العـال حلمى باشا ، وعلى الديب باشا بالأرياف، مع حفظ رتبهم ومرتباتهم .

وكان رأى البارودى قبول هذه المذكرة ، ولكنه لم يستطع اقنـاع أحمد عرابى ، كما نصحه الشـيخ محمد عبده قائلا : (ان هذا الشغب قد يجر الى البلاد احتلالا أجنبيا ، يستدعى تسجيل اللعنة بسببه الى يوم القيـامة) . فأجـابه عرابى مبتسما : (أبذل جهدى ألا أكون مورد هذه اللعنة) . (محمد عبده للمرحوم محمود عباس العقـاد ص ١٦٧) .

وقبل توفيق المذكرة ، واستقال البارودى بوزارته ، ومن ضـمنها أحمد عرابى ، وعقد توفيق فى ٢٧ مايو اجتماعا بسراى الاسـماعيلية (بميدان التحرير) حضره النواب، والعلماء ، والأعيـان ، وكبـار المـوظفين ، ومن ضـمنهم شريف باشا ، فكلفه توفيق بتشـكيل الوزارة الجديدة ، ولكنه رفض .

ثم اجتمع النواب بدار محمـد

باشا سلطان – رئيس مجلس النواب – وكانت بشارع صبرى أبو علم (جامع جركس سابقا)، ومحلها الآن شركة فيلبس ، ومسجد أنشىء بجوارها •

واجتمع معهم كبار العلماء والأعيان ، وحضر عرابى وصحبه مطالبين بخلع الخديوى ، فلم يوافقهم أغلب الحاضرين ، فلجأ العسكريون الى التهديد ، فأصروا على موقفهم ، ولما عجز عرابى عن ضمهم الى صفه اكتفى بالمطالبة ببقائه وزيرا للحربية ، وفعلا قابل سلطان باشا الخديوى وأقنعه بذلك ، وصدر القرار باستمرار أحمد عرابى وزيرا للحربية ، رغم استقالة وزارة البارودى ، وبذلك ظل أحمد عرابى مسيطرا على الجيش والحكم •

وتوالت الأحداث سريعا ، ففى الاسكندرية ترددت فرنسا فى التدخل ، فاستقل الأسطول الانجليزى بالأمر ، وطلب قائده من حكومته تعزيز قوته ، بحجة أن مصر تحصن بطارياتها بالاسكندرية ، ولبث طلبه •

وفى ١١ يونية حصلت **مذبحة الاسكندرية** المعروفة ، فقد قتل أحد المالطيين أحد الحمارة ، بعد أن ركب حماره طول النهار ، وأبى ألا يدفع الا قرشا واحدا ، فلم يقبل المصرى فقتله وهرب •

وثارت نفوس الشعب على الأجانب عامة ، وهاجموهم ، ورد الأجانب باطلاق الرصاص عليهم من النوافذ ، وقتل فى هذا اليوم ٤٩ شخصا منهم ٣٨ من الأجانب ، والحادث مفتعل كما دلت الأحداث فيما بعد ، فالمالطى انجليزى الجنسية ، وكان أخا لخادم القنصل الانجليزى (أحمد عرابى للرافعى ص ١٢١) •

ووصلت الأخبار الى القاهرة • وارتبك الجميع • وتوجسوا خيفة من قيام حرب • وتعهد أحمد عرابى بالطاعة للخديوى • وبمنع الاجتماعات العامة • واليقظة والمحافظة على الأمن ، وأموال وأرواح الأجانب ولكن شرع الأجانب فى الهجرة بايعاز القناصل، حتى بلغ عدد المهاجرين

حتى ضرب الاسكندرية فى ١١ يولية ستين ألفا •

وانتقل توفيق الى الاسكندرية بحجة تهدئة النفوس بها ولكن انتقاله كان نذيرا بالشر ، واعتبر هروبا من القاهرة ، والتجاء للانجليز •

وتشكلت وزارة اسماعيل باشا راغب ، وكان أحمد عرابى وزيرا للحربية فيها ، ولكن انجلترا قد حزمت أمرها على احتلال مصر ، وكان يهمها أن تظهر البلاد فى حالة فوضى ، تبرر لها هذا الاحتلال • فلم تقابل تشكيلها بالارتياح ، وأخذت تخلق لها العراقيل •

ففى أول يولية أرسل الأميرال : سيمور — قائد الأسطول الانجليزى — يطلب ازالة التحصينات التى أجريت فى طوابى الاسكندرية ، ولم تكن تحصينات ، ولكنها ترميمات عادية • فقد كانت الحرب أبعد ما يكون عن ذهن العرابيين ، فلم يستعدوا لها ، وركبهم الغرور أنهم يستطيعون قهر الدول الأوربية • ولو مجتمعة•

وفى ٦ يولية كرر سيمور الطلب ، فأجابه طلبة باشا عصمت — قومندان موقع الاسكندرية — بأنه لم تجر أى تحصينات جديدة ، وفى ١٠ يولية أرسل سيمور يطلب تسليم بعض البطاريات ، مع التهديد فى حالة الامتناع بضرب الاسكندرية فى اليوم التالى •

وتقرر رفض هذه الطلبات ، فضرب الأسطول على الطوابى فى صباح ١١ يولية سنة ١٨٨٢ ، ولم تمض ساعات حتى سكتت مدافع هذه الطوابى ، وأخذ الجنود المصريون فى اخلائها ، وبدأ الجيش الانجليزى فى النزول الى البر •

وكان من الممكن صد هذا الجيش لو صمد العرابيون ، ولكنهم آثروا الانسحاب من الاسكندرية والتحصن فى كفر الدوار • ولم يكتفوا بالانسحاب ، بل أحرقوا المدينة قبل مغادرتهم لها بغرض تعويق العدو •

وهكذا تم للانجليز احتلال الاسكندرية :

وفى ١٧ يولية أرسل اسماعيل

باشا راغب — رئيس الوزارة الى عرابى — بتكليف من الخديوى — يحمله فيها مسئولية اخلاء الاسكندرية بدون مقاومة ، واحراقها ، ويأمره بوقف التحصينات فى كفر الدوار ، ويطلب اليه الحضور للاسكندرية لتلقى الأوامر .

ورفض عرابى الذهاب للاسكندرية لاحتلال الانجليز لها ، وطلب حضور رئيس الوزارة والوزراء الى كفر الدوار ، للتشاور فى الدفاع عن البلاد .

وتشكل فى القاهرة مجلس من وكلاء الوزارات ، وبعض كبار الضباط بصفة حكومة أخرى ، ودعا هذا المجلس الى مؤتمر يحضره النواب والعلماء والأعيان وكبار الموظفين .

وانعقد المؤتمر فى ١٧ يولية فى وزارة الداخلية . وكان عدد المجتمعين ٤٠٠ شخص ، منهم بعض الأمراء الموجودين بالقاهرة ، وعرضت على المؤتمر تفاصيل الموقف ، فقرروا وجوب الدفاع عن البلاد ، واستدعاء الوزراء من الاسكندرية للتداول معهم ، وكان رد الخديوى على ذلك عزل عرابى من وزارة الحربية .

واجتمع المؤتمر ثانية فى ٢٣ يولية . وكان اجتماعه هذه المرة أكثر شمولا من المرة السابقة ، فقد بلغ عدد المجتمعين حوالى الخمسمائة .

فتوى العلماء :

وفى المؤتمر تلا الشيخ : محمد عبده قرار الخديوى كما تليت فتوى شرعية من الشيخ : محمد عليش ، والشيخ : حسن العدوى ، والشيخ : محمد أبو العلا الحفناوى بمروق الخديوى :توفيق من الدين ، لانحيازه الى العدو المحارب للبلاد ، وقرر المؤتمر وجوب الدفاع عن البلاد ، وعدم قبول عزل عرابى ، كما قرر ايقاف تنفيذ أوامر الخديوى .

ولم تعد المسألة خلافا بين الخديوى وعرابى ، بل أصبحت استقلال البلاد ووجوب الدفاع عنها ضد الغاصب المحتل ،

واستجابت البلاد جميعها لهذا الهدف النبيل بكل ما تستطيع ، من رجال ومال ، تطوعا وتبرعا ، وأزكت الخطابات حماس الشعب ، فعلى منبر الأزهر وقف الشيخ حسن العدوى غير مكتف بخلع توفيق بل ينادى باهدار دمه لخروجه على الدين ، وانحيازه لأعداد البلاد •

ولن نسترسل فى تفاصيل الاحتلال الانجليزى للبلاد ، فهذا موضوع آخر ، ولكن نختصر فنقول : ان الانجليز عجزوا عن اختراق التحصينات المصرية عند كفر الدوار ، وهزموا مرارا ، فاتجهوا الى الناحية الشرقية •

وكان العرابيون قد أهملوا تحصين هذه الجهة ، اعتمادا على أقوال : (ديلسبس) بحياد قناة السويس ، وأنه لن يسمح بدخول الأسطول الانجليزى فيها ، ولا ندرى كيف ينخدع أحد بهذه الأقوال !! حتى ولو كان الرجل صادقا ، فكيف يستطيع منعهم ، ولو فكر عرابى فى سد القناة لتعسر على الانجليز الدخول ، ولكنه انخدع وتردد لسوء حظ مصر ، ولما حزم أمره على قطعها كان قد نفذ المقدور ، فقد احتل الانجليز بور سعيد فى ٢٠ أغسطس ، والاسماعيلية فى ٢١ منه وفى ٢٢ منه تم احتلال القناة حتى السويس ، واتخذوها قاعدة للهجوم على الجيش المصرى ، الذى كانت مواقعه منتشرة فى محافظة الشرقية •

وظهر عجز وزارة اسماعيل باشا راغب عن معالجة الموقف ، فاستدعى محمد باشا شريف من أوربا ، وشكل الوزارة فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٨٢ ، ومن أعضائها : : رياض باشا للداخلية ، وعلى باشا مبارك للأشغال ، وغيرهما من المعروفين بمخالفتهم للعرابيين •

وأسرع عرابى الى الجبهة الشرقية ، وتضافر سوء التخطيط العسكرى ، وبطء التحركات ، وعدم الكفاءة واليقظة عند بعض الضباط وخيانة البدو ، فوقعت

الهزيمة الكبرى فى التـل الكبير فى ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ٠

ولجـأ عرابى الى القـاهرة ، فوصلها فى اليوم التالى ، ودخـل الانجليز القاهرة فى ١٤ سبتمبر ، وسلمت القوات المصرية لهم بدون قتال ، وتشتت رجـال الجيش فى البلاد ، بعد أن تركوا أسـلحتهم لضباطهم فى الثكنات ، وأراد أهالى القاهرة المقـاومة ، ولكن اقنعهم محافظ العاصمة بعـدم جـدوى المقاومة ، وأنها لن تؤدى الا لمجرد سفك الدماء ٠

وقيل ان شريف باشـا دخـل القاهرة بعد ذلك ، ورأى فى طريقه من المحطة الى سراى عابدين آثار الاحتلال الانجليزى ، لم يتمـالك نفسـه من البكـاء ، وظلت وزارة شريف باشـا حتى ينـاير سـنة ١٨٨٤ ، حيث استقال احتجاجا على طلب الانجليز اخـلاء السـودان للعجز عن قمع ثورة المهدى ، وتوفى شريف بعد ذلك فى نفس السنة ٠

وانتهت الثورة العرابية بتسليم أحمد عرابى وأصـحابه أنفسـهم ومحاكمتهم ، واعترافهم بجريمـة العصـيان ، ليحـكم عليهم بالنفى بدلا من الاعدام ٠

يتبـع

للأستاذ محمد كمال السيد

اذا أبقت الدنيا على المرء دينـه

فما فاته منهـا فليس بضـائر

رمضان وحكمة الصيام

للأستاذ محمد نعيم عكاشة

•• وجاء الشهر الكريم •• الشهر الذى شرفه الله وعظمه وأعلى فيه منزلة الانسانية ، حيث أنقذها من ظلمات الجهل والوثنية وهداها الى سبيل الرشاد •

•• شهر رمضان الذى ذكر صراحة فى القرآن ، دون بقية الشهور ، واختصه الله تبارك وتعالى بالصيام الذى فرضه على عباده •• يقول سبحانه وهو أصدق القائلين : « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ».

والصيام فى حقيقته — وان طال الحديث عن أسراره وحكمه — تزكية للنفس وتطهير للقلب وجلاء للصدر ، حيث ينقطع الصائم فى نهاره عن الطعام والشراب وملاذ الحياة محتسبا بذلك النية لله تعالى ، ويقوم ليله متقربا الى الذات العلية •

من أجل هذا : كان فضل الصوم عظيما ، وكان من أحب العبادات الى الله تعالى •• وقد اعتبروه ربع الايمان ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « الصوم نصف الصبر » •• وقوله : « الصبر نصف الايمان » •

وقد روى فى المباهاة بالصائم : أن الله تعالى يقول : « انظروا ياملائكتى الى عبدى ترك شهوته ولذته ، وطعامه وشرابه من أجلى » • وقيل فى قوله تعالى : « **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ،جزاء بما كانوا يعملون** »

.. كان عملهم الصيام ، لأنه قال : « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» .والصابرون الصائمون فى أكثر الأوقات .

وورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخص شهر رمضان من العبادة بما لايخص به غيره من الشهور ، فكان يكثر فيه من الصدقة والاحسان ، وتلاوة القرآن ، والصلاة ، والذكر والاعتكاف .. كان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن فى رمضان، وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود الناس ، وأجود مايكون فى رمضان .

كما أن الصوم يتميز عن غيره من سائر العبادات ، وهو ماعبر عنه بقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى : **الصيام لى وأنا أجزى به»** وذلك : لأنه يقع فى القلب ولايكون الا بالنية التى تخفى عن الناس ولا يطلع عليها أحد غير الله ، فأضافه سبحانه الى نفسه باعتباره سرا بين العبد وربه يفعله خالصا له ، ويعامله به طالبا لرضاه .

وقد تضمنت الآيات الخمس من سور البقرة المدنية : (١٨٣ ــ ١٨٧) فرض الصوم على المسلمين مثلما كان مفروضا من قبل على أهل الملل السابقة ، حيث كانت تتعبد به الأمم القديمة حتى الوثنية منها ، باعتباره من أقوى العبادات .. فقد كان معروفا عند قدماء المصريين ، وانتقل منهم الى اليونان ، ثم الرومان ، ولايزال الوثنيون حتى وقتنا هذا يؤدون نوعا خاصا من الصيام،وقد ورد فى التوراة والانجيل مدح الصوم ، وفرض على اليهود فى بعض الأيام وأشهر صوم وأقدمه عند النصارى هو: الصوم الكبير الذى يسبق عيد الفصح ، وهو الذى صامه موسى، وكان يصومه عيسى والحواريون ، والتشبيه انما هو فى الفرضية لا فى الصفة ولا فى العدد ..

صيام المسلمين ليس كصيام أهل الديانات والملل الأخرى ..

ومن حيث صيام رمضان : فقد بين الله لنا الحكمة فى كتابته على الناس ببيان فائدته الكبرى، وهى:

اعداد نفس الصائم لتقوى اللـــه بترك شهواته الطبيعية المباحـــة الميســـورة ، امتثالا لأمر ربه ، واحتسابا للأجر عنــده ، فتتربى بذلك ارادته ، وتتقوى نفســه ٠٠ كما تتناول هذا المعنى كثـــير من الأحاديث النبوية الشريفة ٠ ومنها على سبيل المثال : عن أبى هريرة رضى الله عنه ــ عن النبى صلوات الله وسلامه عليه قال : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر لــه ماتقدم من ذنبه ، ومن قام ليلـــة القدر ايمانا واحتسابا غفــــر له ماتقدم من ذنبه » ٠

وفى معنى « ايمانا واحتسابا » قال الخطابى : « ايمانا واحتسابا» أى نية وعزيمة ، وهو أن يصومه على التصديق ، والرغبة فى ثوابه، طيبة به نفسه ، غـــير كاره له ، ولا مستثقل لصيامه ، ولا مستطيل لأيامه ، لكن يغتنم طول أيامــــه لعظم الثواب ٠

وقال البغوى:قوله: «احتسابا» أى طلبا لوجه الله تعالى وثوابه ، يقال : فلان يحتســب الأخبار ، ويتحسبها : أى يتطلبها ٠

وعن أبى هــريرة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى صـــلى الله عليه وسلم قال : «من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» ، وقال عليه الصـــلاة والســـلام : « صمت الصائم تسبيح ، ونومه عبـــادة ، ودعاؤه مستجاب ، وعمله مضاعف وذنبه مغفور » ٠

٠٠ الى غير ذلك من الأحاديث الشريفة التى تذكر فضل الصـــوم وآدابه ٠٠

ثم بين الله سبحانه وتعالى: أن الصيام الذى كتبه علينا معـــين محدد ، فقال : « **أياما معدودات** » أى معينات بالعدد أو قليـــلات ، لأن القليل يسهل عده ٠ روى عن مقاتل:أن كل معدودات فى القرآن أو معدودة ، دون الأربعـــين ، ولايقال ذلك لما زاد ، والمراد بهذه الأيام المعدودات هى:أيام رمضان ــ اختار ذلك ابن عباس والحسن ــرضى الله عنهما ــ ٠

وبنزول تلك الآيات الكريمة من سورة البقرة صام الرسول صلوات

الله وسلامه عليه والمسلمون شهر رمضان فى العام الثانى من الهجرة وكان أول يوم فيه يوافق أول شهر برمهات القبطى ، والسادس والعشرين من شهر فبراير الميلادى • وذكرت بعض كتب أهل السيرة: أن أيامه فى تلك السنة كانت كاملة العدد كما دون ذلك الحاسبون •

قال البيضاوى : « **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** » ، يعنى الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام ، وفيه توكيد للحكم ، وترغيب على الفعل وتطييب للنفس •

وقال الجصاص « فى أحكام القرآن » : ان قوله تعالى: « **كما كتب على الذين من قبلكم** » : يحتمل ثلاثة معان ، كل واحد منها روى عن السلف ، قال الحسن والشعبى وقتادة : انه كتب على الذين من قبلنا — وهم النصارى — صيام شهر رمضان أو مقداره من عدد الأيام • وقال ابن عباس والربيع بن أنس والسدى : كان الصوم من العتمة الى العتمة ، ولايحل بعد النوم مأكل ولا مشرب ولا منكح ثم فسخ •

وقال آخرون : معناه : أنه كتب علينا صيام أيام كما كتب عليهم صيام أيام ، ولا دلالة فيه على مساواته فى المقدار ، بل جائز فيه الزيادة والنقصان •

وقال أبو السعود : المراد بالمماثلة : اما فى أصل الوجوب ، واما فى الوقت والمقدار •

والخلاصة عند جمهور العلماء : أن ليس المقصود من الآية :«**كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** » أن من قبلنا كانوا يصومون ما نصومه اليوم ، بل القصد من ذلك هو : بيان أن فريضة الصوم عامة ، ولكل أمة أيام معينة تصومها • قال تعالى : « **ولكل أمة جعلنا منسكا** » وقد خص الله الأمة الاسلامية بصوم شهر رمضان باعتباره الشهر الذى أمر فيه رسوله بالبلاغ ، ونزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد الشهر وجب عليه صومه •

ومن أعظم فضائل الصوم : أنه يتميز عن بقية العبادات بخاصية لاتوجد فى سواه ، وهى: أنه ينسب الى الله تعالى ، وأنه يعطى عليه من الثواب بغير حساب ولا تقدير، ويشهد لهذا قول الله تعالى فيما حكاه نبيه صلى الله عليه وسلم :

« كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، الا الصيام ،فانه لى ، وأنا أجزى به » ••

شهر رمضان فى الجاهلية :

كان شهر رمضان معظما فى الجاهلية عند كثير من قبائل قريش، خصوصا المتألهين ، أى الذين يعتقدون فى وجود الآله ، وان كانت مضر تعظم رجبا لأنه شهر حرام لا قتال فيه ، وقد كانت تصومه وتذبح فيه ، ولذلك سماه رسول الله شهر مضر •

ويروى أهل السير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحنث شهرا من كل سنة فى غار حراء ، كما هو مبسوط فى سيرةابن اسحاق وغيره ، ويقول صاحب السيرة الحلبية : ان غار حراء كان يتحنث فيه أهل الجاهلية الذين يروضونأنفسهم على الأخلاق القويمة وهم المتألهون منهم ، وأول من تحنث بحراء : عبد المطلب ابن هاشم ، كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء ، وأطعم المساكين ، ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل ، وأبى أمية بن المغيرة •

وكان عليه السلام يجاور ذلك الشهر ، يطعم من جاءه من المساكين لأنه كان من نسك قريش فى الجاهلية ••

تعظيمه فى الاسلام :

أما تعظيمه فى الاسلام فقد ازداد بعد أن ذكر اسمه صراحة فى القرآن دون بقية الشهور ، وأن الله سبحانه جعله شهر الصوم الذى فرضه على عباده •

وكذلك حفاوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشهر رمضان ، واعتباره شهر القرآن •• ففيه نزل القرآن الكريم •• وفيه كانت انتصارات الاسلام الأولى • وفيه يستجاب لكل مسلم صائم ••

الصحة والطب والصوم :

وإذا نظرنا الى ما توصل اليه الطب من اكتشافات علمية نجد:أنه يعدد فوائد الصوم في علاج كثير من الأمراض مثل : اضطرابات المعدة والأمعاء ، وحالات البول السكرى المصحوبة بزيادة الوزن ، وزيادة ضغط الدم ، والتهاب الكلى الحاد والمزمن ، وأمراض القلب ، كما يستخدم وقائيا فى حالات أخرى كثيرة •

ويقول الدكتور ماك خادون من كبار علماء الصحة بأمريكا في كتابه: « الصوم والطب » : « ان كل انسان يحتاج الى الصيام وان لم يكن مريضا ، لأن سموم الأغذية والأدوية تجتمع فى الجسم فتجعله كالمريض ، وتثقله وتقلل نشاطه ، فاذا صام خف وزنه وتحللت هذه السموم من جسمه » •

ويذكر : أنه عالج بالصوم كثيرا من المرضى بأمراض مختلفة مثل اضطرابات المعدة ، قائلا : « ان الصوم لها مثل العصا السحرية يسارع فى شفائها ، وتليها أمراض الدم ، ثم أمراض العروق كالروماتيزم وغيره ••

ويقول الدكتور محمد جعفر : « ان الصوم نعمة وبركة وان خير ما يفعله الناس أن يتبعوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فيفطروا على لقيمات صغيرة ، أو حسوات قليلة من طعام خفيف ، أو شراب ساخن ، أو فاكهة يسيرة ، مما يكفى لكسرة حدة الجوع ، وأفضل ما يزيل العطش فى هذه الآونة فنجال من مرق دافىء أو حليب أو ما شابهه من السوائل الدافئة ، أما الثلج والسوائل الباردة فهى مصدر للمتاعب فى الجهاز الهضمى جميعه ، ومثار لكافة العلل ، ثم فليصل الصائمون ولينتظروا ساعة أو بعض ساعة ثم يتناولوا طعامهم من كأكلهم المعتاد ، وليراعو االله فى أنفسهم ولا يسرفوا •• امتثالا لأمر الله تعالى : **« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا »** •

وقد تأكد لعلماء الطب فى العالم فوائد الصوم لعلاج كثير من الأمراض الى حد انشاء مصحات

يقوم فيها العلاج على الصـــــوم أساسا .

وأشهر مصـحة موجودة الآن هى : مصـحة الدكتـور هيتربج لاهمان فى درسن بســـكسونيا ، ويقوم العلاج فيها بالصـوم ..

وكذلك : مصحة الدكتور برشديد والدكتور مولر وغيرهما،ويكون ذلك العلاج غالبا فيـه الشــفاء من اضطراب الهضم والبدانة وأمراض القلب والكبد والكلى والبـــول السكرى وارتفاع ضغط الدم ..

ومما ذكرناه وغيره ..

يبين لنا حكمة التكاليف الدينية وما أشملها ! وتتجلى بأوسع مدلول عظمة الشارع الاســـلامى فيما فرض وشرع ..

وتبقى بعـد ذلك كلمة أخـيرة تتعلق بظاهـرة المجاهرين بالفطر فى رمضـــان ، والتى تشـــيع فى الشوارع والمحلات العامة ووسائل المواصلات ..وفى المكاتب ودوائر الأعمال أيضا ، وهى بلا شك ظاهرة مؤسفة ومعيبة خاصـــة فى بلـد الأزهر ، وتســـتوجب بالضرورة محاسبة هؤلاء المجاهرين بالفطر فى نهار رمضان بالحبس أو الغرامة ، اذ لا يجـوز أن تجـاوز الحريات الشخصية حرمة الدين ، وتتحدى مشاعر الصائمين ، وتتصـادم مع الجو الاسلامى العام .

فاذا كان الفطـر لعـذر شرعى أو لاختلاف فى الدين : فيجب على أصحاب تلك الأعذار أن يستتروا . أما الملاحدة الذين يتعمدون الاساءة الى الاسلام وأهله فلابد أن يكون عقابهم أشـد ، فليس بعد الكفر ذنب ..

محمد نعيم

شعر

ربيع الـروح

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

يا هـــلالا راح يحبــو فى ســماه
نـــوره الوهـــاج من نور الالـــه

ناســـك قد عاد من محـــــرابه
يسكب الاشراق فى قلب الحيــــاه

* * *

رن فى الآذان ابان الغـــــــروب
صــوت داع فوق أســـتار الغيوب

ســاحر الأنغــام قدسى الصــدى
أيقـــظ الاحساس فى غافى القلــوب

* * *

أيهــا الحيران فى تيــه الضـــلال
أيهـــا المحـــروم من برد الظـــلال

قف قليــــلا واســـتمع أنشــودتى
مرهف الاحســـاس مشبوب الخيال

* * *

ان نـــور الله شـــفاف سـناه
ان أصـاب الـروح رجس لا تراه

فاغسـلوها فى ينـابيع التقى
وارقبـوه فى محـاريب الصـلاه

* * *

ذاك شـهر الصوم رفاف الضـياء
ذا نعيم الـروح فى دنيا الشـقاء

لوعـة الحـرمان فيـه لـذة
لا تسـامى فى شـعور الأشـقياء

* * *

آه لـو ذاقت شـفاه المرمـل
فى رحـاب الصـوم عـذب المنهل

ما اشـتكى فى عيشـة حر الظمـا
لا ولا أحنى بمتـن مثقـل

* * *

آه لو راءت عيـون حائـرة
بارقـات فى الديـاجى باهـرة

لاسـتبانت فى سـناها رشـدها
واسـتحالت من عشـاها باصرة

* * *

قـم ترقب أيهـذ الصـائم
ليلـة من ألف شـهر أعظـم

ان فضـــل الله فيهــا ســـابغ
من فيـــوض يرتجيهـــا المسلم

* * *

حســبك الريــان اذ ما يفتـــح
حســبك الجنـــات فيهـــا تمرح

فـــوق نهــر تحت ظـــل وارق
بـــين حــور عند طـــير يصــدح

* * *

محمد صالح الدين البرديسى

حـكـم .. وطـرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« الفضائل الخمس »

قال على ـ كرم الله وجهه : أوصيكم بخمس لو ضربتم اليها اباط الابل لكانت لذلك أهلا : لا يرجون أحد منكم الا ربه ، ولا يخافن الا ذنبه ، ولا يستحين أحد اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، ولا يستحين أحد اذا لم يعلم الشىء أن يتعلمه ، وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ، ولا خير فى جسد لا رأس معه ولا فى ايمان لا صبر معه .

« درجات الصوم »

للصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص .

فصوم العموم : هو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

وصوم الخصوص : وهو صوم الصالحين ، فهو كف الجوارح عن الآثام .

وتمامه بستة أمور :

الأول غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل .

الثـــانى : حفظ اللســـان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت ،وشغله بذكر الله.

الثالث : كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه ، لأن كل ما حـرم قوله حرم الاصغاء اليه .

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام : من اليد والرجل وعـــن المكاره ، وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار .

الخامس : أن لايستكثر من الطعام الحلال وقت الافطـار ، فما من وعاء أبغض الى الله عز وجل من بطن ملىء من حلال .

السادس : أن يكون القلب بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء ، اذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليـه فهو من الممقوتين .

أما صوم خصوص الخصوص : فصوم القلب عن الهمم الدنيـة **والأفكار الدنيوية** ، وكفه عما سوى الله بالكليـة .

« جهد ضـائع »

دخل لصـــوص بيت أحـد الظرفاء ، يطلبون شيئا يسرقونه ، فقال لهم :

ان الذى تطلبونه منا فى الليل ، قد طلبناه فى النهار فما وجـدناه .

« آداب الكلام »

قال حكيم : اعقل لسانك الا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضـه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تذكرها .

وقال آخـر : اذا جالست الجهال فانصت لهم ، واذا جالســت العلماء فانصـت لهم ، فان فى انصاتك للجهـال زيادة فى الحلم ، وفى انصاتك للعلماء زيادة فى العلم .

وقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لسان العاقل من وراء قلبه ، فاذا أراد الكلام رجع الى قلبه ، فان كان له تكلم ، وان كان عليه أمسك ، وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما عرض له .

وقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : من لم يعد كلامه من عمله ، كثرت خطاياه .

« ما لم تكن تعرفه »

وقع بين الأعمش وبين زوجته وحشة ، فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح بينهما ، فدخل اليها وقال : ان أبا محمد شيخ كبير ، فلا يزهدنك فيه : عمش عينيه ورقة ساقيه وضعف ركبتيه ، ونتن ابطيه وبخر فيه ، وجمود كفيه !!

فقال الأعمش : قم قبحك الله !! فقد أريتها من عيوبى ما لم تكن تعرفه .

« الحزم »

قيل لأبى مسلم الخرسانى ، بأى شىء أدركت ما أدركت ؟

قال : ائتزرت بالحزم ، وارتديت الكتمان ، حالفت الصبر ، وساعدنى القدر ، فأدركت مرادى وحققت ما فى نفسى .

« مايصفو به ود المتوادين »

قال عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ثلاث يصفو بها ود أخيك : تسلم عليه اذا لقيته .

وتوسع له فى المجلس .

وتدعوه بأحب أسمائه اليه .

وقال على بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث : فى نكبته ، وغيبته ، ووفاته .

وقال ابو العتاهية :

أحب من الاخوان كل مواتى
وكل غضيض الطرف من عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أريده
ويحفظنى حيا وبعد مماتى
ومن لى بهذا ليت أنى وجدته
فقاسمته ما لى من حسناتى

« مواجهة قاسية »

من المواجهات القاسية الرادة ، ماروى عن عمر بن عبد العزيز من أن رجلا سعى برجل عنده ، فقال : ان شئت نظرنا فى أمرك ، فان كنت كاذبا فأنت من هذه الآية « **ان جاءكم فاسق بنبأ** » وان كنت صادقا فأنت من هذه الآية : « **هماز مشاء بنميم** » وان شئت عفونا عنك .

قال : العفو يا أمير المؤمنين .

قال : على عدم العودة مرة ثانية .

« يكره الزحمة على المائدة »

جلس أبو الفضل الشاعر المعروف : « بابن القطا » يأكل مع زوجته ، فقال لها اكشفى رأسك .

ففعلت .

ثم قرأ سورة الاخلاص .

فقالت له : ما الخبر ؟

قال : اذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة ! واذا قرئت سورة الاخلاص ، هربت الشياطين .

وأنا أكره الزحمة على المائدة .

« بـــر الـــوالدين »

مرض لعمر بن ذر ابن له ، فدخل عليه وهو يجود بنفسه ، فقال : يابنى انه ما علينا من موتك غضاضة ، فلما قضى وصلى عليـــه ، وواراه التراب ، وقف على قبره فقال : يابنى انه قد شـــغلنا الحزن لك ، عـــن الحزن عليك ، لأنا لا ندرى ما قلت ، وما قيل لك : اللهم انى قد وهبت له ما قصر فيه ممـــا افترضت عليه من حقى ، فهب له مـــا قصر فيـــه من حقك ، واجعل ثوابى عليه له ، وردنى من فضـــلك ، انى اليك من الراغبين وسئل يوما ، ما بلغ من بره بك ؟

قال : ماشى معى بنهار قط الا قد منى !

وما شى معى بليل قط ، الا تقدمني ، ولا رقى سطحا وأنا تحته .

« كذا أدبنا الله »

قال أنس بن مالك ، كنت عند الحسن بن على . رضى الله عنهما . فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فحيته بها ، فقال لها : أنت حـــرة لوجه الله تعالى .

فقلت : تحييك بطاقة ريحان لاخطر لها فتعتقها ؟

قال : كذا أدبنا الله تعالى فقال : **«واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها »** وكان أحسن منها عتقها .

« دعـــــاء »

اللهم لك صـــمت ، وعلى رزقك أفطرت ، فاجعـــل يارب رحمتك سترا لعيوبى ، وعفوك سترا لذنوبى ، ووفقنى للقيام بطاعتك ، والابتعاد عن معصيتك، وألهمنى خيرا أفعله ترضى به عنى ، عليك اتكالى فى جميع أحوالى يا رحمن يا رحيم .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : هل النية شرط فى صحة الصوم فى كل يوم أم يكتفى بنية واحدة فى أول الشهر ؟

ج : نية الصوم شرط فى صحته .. فانما الأعمال بالنيات ، ويرى بعض الأئمة أنه يكتفى بنية واحدة فى أول ليلة من ليالى شهر رمضان وان كان يستحب تجديدها فى كل ليلة ، على أنه ليس من الضرورى التلفظ بها ، بل يكفى السحور نية للصائم وكل ما يدل على هذه النية .

س : صام فى الاسكندرية ثم سافر فى اليوم نفسه الى القاهرة وفى القاهرة يفطرون قبل الاسكندرية فعلى أى توقيت يفطر ؟

الفطور يكون على توقيت بلد الوصول فهو يفطر هنا على توقيت القاهرة . ولو كان الأمر بالعكس فانه يفطر على توقيت الاسكندرية ولو أفطر فى الحالة الثانية على توقيت القاهرة — قبل غروب الشمس فى الاسكندرية — يبطل صومه .

س : ماذا تفعل المرأة اذا فاجأها الحيض أو النفاس فى نهار رمضان وهى صائمة ؟

جميع الفتاوى المذكورة أخذت مادتها العلمية ، من كتب الفقه المختلفة ومن فتاوى وأقوال كبار الفقهاء المعاصرين مثل : الشيخ محمود شلتوت والشيخ حسنين مخلوف ، والشيخ صالح شرف ، والشيخ سيد سابق وغيرهم نفعنا الله بعلمهم ورضى الله عنهم .

ج : على هذه المرأة أن تفطر فانه يحرم على الحائض والنفساء الصوم فاذا انتهى الحيض أو النفاس صامت ما بقى لها من رمضان وقضت الايام التى أفطرتها من رمضان ..

ومن رحمة الله بالمرأة أنها تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ، لأن رمضان لا يتكرر ، أما الصلاة فهى تتكرر فى كل يوم خمس مرات ولو تكرر القضاء بتكرر الحيض لكان فى ذلك مشقة والدين يسر لا عسر .

س : ما حكم اختلاط الرجال والنساء فى المواصلات العامة وغيرها مما يوقع الصائمين والصائمات فى الحرج ؟

ج : لا شك أن اختلاط الرجال والنساء بالصورة التى نشاهدها فى المواصلات العامة لا يقره الاسلام ولا يبيحه ، بل انه يهدد آدمية الانسان وهو اذا كان غير مباح فى غير رمضان فهو فى رمضان أشد كراهية بل قد يصل الى درجة الحرمة اذا صاحبه القصد السىء — وعلى كل فهو يحط من ثواب الصائمين والصائمات ، والاولى تجنبه الا لضرورة ملحة للخروج والا فليتجنبوه ما أمكن .

س : عقد قرانه فى شعبان وأراد الدخول فى رمضان فعارض ذلك بعض الاهل فى الحكم ؟

ج : الدخول فى رمضان أو عقد القران فيه مباح لا شىء فيه فلم يحدد الشرع أياما معينة لذلك ، واعتقاد بعض الناس أن الزواج أو العقد فى شهر رمضان لا يجوز اعتقاد باطل وليس له أصل فى الشريعة .

فلا حرج أن يدخل بزوجته فى أى ليلة من لياليه المباركة ولاشؤم فى الاسلام .

س : من الناس من يعتبرون رمضان شهر راحة وكسل فيقل انتاجهم فيه ، ومنهم من يقتل نهاره فى اللهو والجلوس فى المقاهى ولعب الأوراق أو الطاولة بقصد التسلية ، ومنهم من يسهر ليله وينام نهاره فما حكم هؤلاء الناس ؟

ج : شهر رمضان شـــهر تربية وليس شهر كسل وعدم انتـــاج ، وعلى العامل والموظف والصانع أن يحسن عمله فيه ولا يؤخره حتى لا تتعطل مصالح الناس ، ولا يقل الانتاج •

ولنا فى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم الأسوة فقد غزا بدرا وفتح مكة فى رمضان مما يدل على أن الجهاد مطلوب فى هذا الشهر ــ ولا شك أنه أشق من ممارسة الأعمال العادية فيجب أداء العمل من باب أولى •

أما هؤلاء الذين يقتلون أوقاتهم الغـــالية فى اللهـــو واللعب فلعله لا حظ لهم من صيامهم الا الجوع والعطش ، وان كانوا قـــد أدوا الفريضة ، وأولى بهم أن يقضـــوا هذه الأوقات فيما يعود عليهـــم بالنفع فى دينهم ودنياهم من قراءة قرآن أو ذكر أو أداء أعمال تتصل بمعايشهم ففى هذا الخير الكثير •

والأجر على قدر المشقة فكـــل عمل فيه مشقة كان أجره مضاعفا « حفت الجنـــة بالمكـــاره وحفت النار بالشهوات » ونوم الصـــائم نهاره لا يتحقق به معنى الصيام ، وليس هذا النوم عبادة كما يزعم البعض ــ ورحم الله أصـــحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانوا رهبانا بالليل فرســـانا بالنهار •

س : عند الغروب يهجم بعض الناس عـــلى المائـــدة ويملئـــون معداتهم بالطعام والشراب فهـــل يتفق هذا مع هدى الاسلام ؟

ج : تعجيل الفطـــر مســـتحب ولكن على أن يكون على تمرات أو شىء من الماء ويقول عند فطره : اللهم لك صـــمت وعـــلى رزقك أفطرت،فاغفرلى ماقدمت وماأخرت ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر ان شاء الله •• ثم يصلى المغرب وبعده يتناول عشاءه •• هكذا كان يفعل النبى وخير الهدى هديه صلى الله عليه وسلم •

س هل الغيبة والنميمة تفسدان الصيام ؟

ج : ان الغيبة والنميـــمة مـــن المحـــرمات فى دين الله ، وهمـــا كغيرهما مـــن المحرمات مثـــل أن يغش أو يطفف فى الكـــــيل أو

الميزان أو يؤذى الناس بيده أو بلسانه فكل هذا محرم شرعا وارتكاب المحرم يؤثر فى الصيام تأثيرا بالغا اذ يوجب عقوبته فى الآخرة .

ولذلك ورد النهى عن جميع المحرمات متأكدا فى الصوم لأن ارتكاب المحرمات يتنافى مع مايصاحبه من الاخلاص لله ومراقبته والتخلى عن جميع المعاصى والتحلى بالفضائل ، والتى ينال بها الثواب العميم لمن صام رمضان ايمانا واحتسابا مما ورد ذكره فى السنة .

ومع هذا فان الصيام لا يفسد بمثل هذه المحرمات ولا يجب قضاءه ، على أنه مما يجب التنبيه عليه ، أن من ارتكب معصية صغيرة كانت أو كبيرة أن يتوب الى الله ولا يؤخر التوبة حتى يلقى الله ربه وقد غفر له ذنبه .

والكيس من جعل رمضان فترة جهاد شامل للنفس والشيطان والشهوات حتى يخرج من رمضان قوى الايمان ، يفرح بفطره ، كما يفرح بلقاء ربه .

س : يسافر كل يوم لعمله وليس فى سفره مشقة فهل يرخص له فى الفطر ، واذا نوى الصيام ليلا ثم بدأ سفره نهارا هل يجوز له الفطر ؟

ج : السفر ولو كان مريحا فى سيارة أو طيارة أو قطار مكيف رخصة فى الفطر فقد أطلق القرآن السفر دون قيد ، لأن السفر مظنة المشقة ، والله يحب أن تؤتى رخصه .

وقد اختلفت العلماء فى مقدار السفر المبيح للفطر ، فمنهم من قال لابد أن يكون سفر قصر وهو حوالى ثمانين كيلو مترا ومنهم من قدره بثلاثة أيام بلياليها بالسير العادى قبل المواصلات الحديثة . وهناك أقوال أخرى .

ومذهب مالك لاباحة الفطر انه لابد من تبييت نية الفطر وأن يبدأ السفر قبل الفجر .. ويرى غيره أنه يجوز أن يفطر سواء نوى الصيام قبل السفر أو نوى الفطر .

والافضل فى السفر الصيام لمن لا يشق عليه الصوم ، أما من يشق عليه الصوم فان الافضل له

الفطر ، بل قد يكون الفطر واجبا عليه ان خاف شدة المرض .

س : هل يصح لربة البيت أن تتذوق الطعام وهى صائمة ؟

ج : يجوز لطاهيـــة الطعام أن تذوق الطعام لتعرف بذلك نضجه وصـــــلاحيته للأكل شريطـــة أن تحرص على عدم تحلل شىء منه الى الحلق ، وألا تتمادى فى ذلك ويكره لغـــيرها ممن لا يمـــارس الطهى ذلك ، لأنـــه رخص ذلـــك للطاهية للضرورة .

ومثلها كل صاحب صنعة مـــن كيال وجباس وحفار يصل الى فمه شىء مـــن غبار صـــنعته فانه لا يفطر به .

س : كيف يصوم أهل البـــلاد التى يقصر ليلها ويطول نهارها أو تلـــك التى يقصر نهـــارها ويطول ليلهـــــا ؟

ج : اختلف الفقهاء فى التقدير على أى البـــلاد يكون . فقيـــل : يكون التقدير على البلاد المعتدلة التى وقع فيـــها التشريع كمـــكة والمدينة .

وقيل : على أقرب بلاد معتدلة اليهم .

س : هل يجوز تعاطى الحقن أثناء الصيام ؟

ج : الحقنة مطلقا سواء أكانت للتغذية أم للعلاج وســـواء أكانت فى العروق أو تحت الجلد مبـــاحة ولا تبطل الصيام فانها وان وصلت الى الجوف فانها تصل اليه مـــن غير المنفذ المعتاد .

ولما كان المحظور فى الصوم هو الاكل والشرب عـــن طريق دخول شىء من الحلق الى المعدة ــ التى هى محل الطعام والشراب مـــن الانسان ــ كان المبطل للصـــوم ما دخل فيها بخصوصها سواء كان مغذيا أم غير مغذ . ولابد أن يكون عن طريق المنفذ المعتاد . فما دخل فى الجوف ولم يصل اليها لايفسد الصوم .

وعلى هـــذا فقـــد رأى بعض العلماء أن الحقنة الشرجية التى يدخل بها الماء الى الجوف ولايصل الى المعدة لا تفطر الصائم ، وبهذا تكون الحقن بجميع أنواعها لاتفطر الصائم .

وكذلك أقماع البواسير أو مراهمها ، والاكتحال والتقطير فى العين كل ذلك لا يبطل الصيام .

س : أين تصلى صلاة العيدين؟

ج : صلاة العيد يجوز أن تؤدى فى المسجد . ولكن أداءها فى المصلى خارج البلد أفضل ــ ماعدا مكة والمدينة ــ ما لم يكن هناك عذر كمطر ونحوها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى العيدين فى المصلى . ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة لعذر المطر .

س : هل تجوز زيارة القبور فى الاعياد وما الحكم فيمن يذهبون اليها بالطبول والاكل والشرب ؟

ج : زيارة القبور جائزة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها » .. وكان النهى عنها أولا لقرب عهدهم بالاسلام خوفا عليهم من الشرك كعبدة الاصنام . ثم أبيحت لأجل العبرة والعظة وذكر الموت ، والدعاء للأموات بالرحمة والمغفرة ، أما خروج النساء والرجال اليها فى أيام العيدين ومعهم الطعام والشراب واتخاذ القبور مسكنا ومأوى للطعام والشراب واللهو فذلك غير جائز شرعا ..

والله أعلم .

عبد الحميد شاهين

من أنباء العالم الإسلامي

اعداد الأستاذ : فهمى عبد الـلاه سيد على

جاء فى نشرة المركز الاسلامى بايطاليا رقم ٨٣ فى شـهر أبريل عام ١٩٨٠ م : ما يلى

يشهد العـالم فى هـذه الأيام صـحوة دينية اسلامية عظيمة لم يسـجل التـاريخ لهـا مثيـلا ، المسـلمون يعملون عـلى ابراز شخصيتهم وتأكيد وجودهم ، وقد بدءوا يراجعوا خططهم ويعـدوا أنفسهم للعودة الى الحكم بشريعة دين الاسلام السـمحة ومبادئه السامية ، يقينا منهم أن تمسكهم بكتـاب ربهم واتباعهم سنة نبيهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وتطبيقهم لأحكام دينهم كما كانوا رواد الحضارة التى تبارى عبر التاريخ ، ولقد شعروا بذلك عندما ابتعدوا عن أحكام دينهم ، ألا أنهم سرعان ما أفاقـوا مـن غفوتهم ونهضوا من كبوتهم التى عانوا منها زمن الاستعمار •

لقد بدءوا يدركون أهمية ذلـك التراث الاسـلامى العظيم وأن الفرصـة ما زالت مواتيـة لهـم ليتبـوءوا مكانتهم بـين الامم ، وليسـاهموا فى تطوير الحيـاة الانسانية نحو الافضل ، لصالح الأمم والشـعوب دون استثناء أو تمييز بحيث يعم الرخاء وتسـود العدالة ، وتنتشر الأخلاق الفاضلة والقيم المثالية التى جاء بها ودعا اليها الدين الاسلامى الحنيف •

لقد جاء دين الاسلام بأفـكار قويمة ومبـادىء سـليمة وعقائد مسـتقيمة تتفق مـع الفطرة الانسانية الصحيحة التى فطر الله

الناس عليها ، كما أنها تلتقى مع القيمة الأخلاقية والمثل العليا ، وتعرف الناس بالحقوق والواجبات ، دون تفريق بين الأجناس أو تمايز بين الألوان ، فالاسلام هو دين الحياة صالح لكل زمان ومكان .

« الذبح وفق الشريعة الاسلامية »

ان ما كان ينقصنا ، فى مدينة روما ، أصبح موجودا الآن فى بعض المدن الايطالية ألا وهو اللحم الحلال ، المذبوح وفق الشريعة الاسلامية ، وهذا أمر بالغ الأهمية للعديد من أبناء الجالية الاسلامية فى مدينة روما ، والذين يعافون اللحم الموجود فى الأسواق ، ويفضلون عليه أكل السمك أو الجبن أو الدجاج الذى يذبحونه أو يشرفون على ذبحه بأنفسهم وفق الشريعة الاسلامية .

جاء فى (ملحق مجلة الوعى الاسلامى) العدد ٦١ رجب ١٤ هـ ص ٦ر٧ (جمهورية مصر العربية)

حصن العروبة والاسلام ..

بلد الأزهر الشريف ... وعاصمة الدولة الفاطمية .. وخط الدفاع عن الاسلام والعروبة وستبقى هكذا رغم كيد الأعداء ... وعبث العابثين .. وما تعيشه مصر اليوم وما يعيشه العالم العربى والاسلامى سحابة صيف سوف تنقشع قريبا ... ليلتقى الجمع العربى والاسلامى من جديد فى بلد الأزهر الشريف .

جاء فى صحيفة الأخبار بتاريخ ١٨/٦/١٩٨٠ ويوميات الأخبار للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ما يلى :

ان الازهر ليس جامعة ولا جامعا كما يقولون ، ولكنه تراث تاريخى ضخم من الفكر والرأى والعمل الاسلامى ، وبهذا عاش قبله المسلمين على امتداد ألف عام

« والأزهر هو القاعدة »

تردد الحديث عن انشاء مجلس اسلامى أعلى يضطلع برسالة العمل الاسلامى فى الأمة

الاسلامية ، ويكون قاعدة لجامعة الشعوب فى العالم الاسلامى على أن يكون فى تكوينه صورة للأمة الاسلامية على المستوى العلمى والمستوى الشعبى .

ويتجه الرأى الى أن يكون المجلس الأعلى للشئون الاسلامية هو القاعدة أو الصورة التى يتم بها انشاء هذا المجلس مع اضافة ما يقتضيه التوسع فى العمل والغرض لتحقيق الهدف المنشود. الفكرة فى ذاتها قويمة وعظيمة ، وهى لا تنشأ من فراغ فى مصر فقد عاش الأزهر بقيمته العلمية ومكانته الاسلامية ، حتى فى الوقت الذى أصبحت فيه الاستانة دار الخلافة الاسلامية ، فكان للأزهر كلمته المسموعة فى كل مايهم العالم الاسلامى من شئون الدين والدنيا ، وفى الآونة الأخيرة أقمنا هذه الفكرة على وضع رسمى شمل فى تكوينه المؤتمر الاسلامى ومجمع البحوث الاسلامية وهو تكوين يضم صفوة من العلماء الأعلام الذين يمثلون شعوب الأمة الاسلامية ، ولقد بدأ مجمع البحوث الاسلامية هذا بداية طيبة وعقد المؤتمر الاسلامى عددا من الاجتماعات عرضت فيها أبحاث قيمة تناولت القضايا الاسلامية التى تشغل اهتمام المسلمين فى هذا العصر ، ولكن فى الايام الأخيرة أصيب مجمع البحوث الاسلامية بنوبة من الركود ، وانقضت اجتماعات المؤتمر الاسلامى لهذا المجمع لغير سبب معقول .

فاذا كنا نريد انشاء مجلس اسلامى يكون قاعدة للعمل الاسلامى وقاعدة لجامعة الشعوب الاسلامية ، فلابد أن يكون الأزهر هو الأساس الأول لهذه القاعدة ، فان الأزهر له قداسته العلمية والفكرية فى العالم الاسلامى كله، وما زال جامعة الشعوب الاسلامية يتوافد عليه طلاب العلم والدراسات الاسلامية من مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، ومازالت أروقته تحمل أسماء هذه الدول ، وأوقافه شركة بين أبناء هذه

الدول • والتكوين المطلوب للمجلس قائم فى مجتمع البحوث الاسلامية ومؤتمره العام وكل ماهناك هوأن يتوسع فى هذا التكوين وفاء للغرض المنشود • فلنحذر أن يكون المجلس الذى نريده بعيدا عن الأزهر ، لأننا بهذا نضحى بتراث اسلامى ضخم ليس ملكنا وحدنا ولكنه ملك لكل المسلمين •

«النصوص الكاملة لميثاق الشعوب الاسلامية » •

* المسلمون أمة واحدة والشريعة الاسلامية المصدر الأساسى للتقنين •

* أى عدوان على أى شعب من الأمة الاسلامية عدوان عليها جميعا •

* مؤتمر عام للشعوب الاسلامية •

* محكمة عدل لدعم التعاون بين المسلمين •

انتهت اللجنة المشكلة بالأزهر الشريف لوضع ميثاق الشعوب الاسلامية الذى طلب الرئيس محمد أنور السادات من فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر اعداده ليكون أساسا لعلاقات الدول الاسلامية ومعاملاتها •

وحول ما تضمنه الميثاق من مبادىء سيتم رفعه للرئيس خلال الأيام القليلة القادمة •

توصيات اللجنة البرلمانية :

دعم الأزهر وتوحيد أجهزة الدعوة والتصدى للأفكار المضادة •

أوصت لجنة الشئون الدينية بمجلس الشعب فى تقريرها الذى وافقت عليه أمس برياسة الدكتور محمد محجوب بضرورة دعم الكيان الدينى والعلمى للأزهر الشريف ، ليظل مركزا للاشعاع الروحى فى مصر والعالم العربى والاسلامى ، وتوحيد أجهزة الدعوة الاسلامية فى جهاز واحد ، يمكن أن تكون له فعاليه أقوى فى سبيل دعم الأسس السلبية للعقيدة الاسلامية •

وطلبت اللجنة بالاهتمام باعداد الدعـاة وتخريج العـدد اللازم منهم للعمـل فى مجـال الـدعوة الاسـلامية ، وضرورة التنسـيق بين وزارات التعـليم والثقـافة والاعلام، من أجل التصدى للتيارات الفكريـة المضـادة للعقيـدة الاسلامية .

لأول مرة تفسير اذاعى جـديد للقرآن الكريم .

كما كان لمصر السبق فى جمع القرآن الكريم جمعا صوتيا لاول مرة فى المصحف المرتل ؛ فانها تستقبل القـرن الهجرى الخـامس عشر بأضخم حدث فى عـالم الفكـر الاسلامى ، وهو التسجيل الكامل لتفسير عصرى على ستين شريطا من أشرطة الكاسـيت يحمل كل شريط أربع حلقـات ، تشرح كل حلقة منها ربعا من أرباع القرآن الكريم ، بعد قراءة الربع بصوت المفسر ، وتستغرق الحلقة نصف سـاعة ..

وقد اشترك فى هذا التفسـير نخبة من كبار علماء مصر والعالم الاسـلامى .

فهمى عبد اللاه سيد على



على النبى صلى الله عليه وسلم

كان محمد صلى الله عليه وسـلم يذهب الى « غـار حراء » ويمكث فيه أياما يفكـر فى كـل شىء حوله ، ٠ وفى ليلة من ليالى رمضان جـاءه الملك (جبريل) فنـاداه يامحمد !! وقال له :

« اقرأ » فقال محمد : ما أنا بقارىء ، فضمه الملك ضمة شديدة ، وقال له : اقرأ ، قال محمد : ما أنا بقـارىء ، فضمه ضمة ثانية ، وقال له : اقرأ ، قـال محمد : ما أنا بقارىء ٠ قال جبريل عليه السـلام : « اقرأ باسـم ربك الذى خلق ، خلق الانسـان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الـذى علم بالقلم ، علم الانسـان مالم يعلم » فقرأها محمد ، وحفظهـا ، ثم اختفى جبريل عن عينيه ، وكانت هذه أول ما نزل من القرآن الكريم ٠

كتاب الشهر

الآلهة في الأسواق

تأليف الدكتور رءوف شلبي

عرض وتحليل: للدكتور محمد رجب البيومي

مؤلف الكتاب عالم داعية ، وكتابه ينم عنه فى صفتيه هاتين ، ففيه دقة العالم عمقه وأمانته ، وسلامة استنباطه وحسن تعليله ، وفيه شفافية الداعية ، وقوة ايمانه وحرارة دفاعه ووضوح غايته ، وقد أسس لهذه الخصائص تأسيسا مكينا أن المؤلف قد سافر الى بلاد الآلهة الارضية ، وناقش كهانها ، وخالط عبادها ومشى فى الأسواق بحثا عن الحق وتوضيحا للباطل الزائف ، فادار أسئلة ، واستمع الى اجابات ، وشاهد من المساخر العابثة ما كاد يصدمه فيما متع به الله عقول الناس من حصافة واعية ، ونفاذ مستشف ، فأين هى الحصافة ؟ وأين هو النفاذ ؟ فى سوق الآلهة التى تشترى وتباع ؟ !

والكتاب من وجهته الثابته دعوة لأبناء الاسلام ، كى ينشطوا الى الدعوة لدينهم الصحيح ، لأن فساد الاعتقاد فى الشرق والغرب يدعو أصحاب الرسالة الخاتمة أن يكونوا مؤمنين بها ، فيعملوا على نشرها ، واشراق نورها ، فى بلاد الظلمات لتخرج الناس من الغى الى الرشاد ، وقد عجب المؤلف كل العجب حين رأى أمريكا وأوربا ترسل المبشرين الى مناطق الاسلام نفسه ، لتخرج الموحدين بالله الى التثليث ، دون حياء ، وأبناء الاسلام نائمون لا يفعلون شيئا ، ومن هؤلاء القسس من يعد الرسائل الجامعية لمعالجة الدعوة التبشيرية لدينهم فى بلاد الاسلام من ناحية . ولتسهيل أقرب الطرق لتشويه معانى هذا الدين الأصيل، وقد اتصل أحدهم بالأستاذ المؤلف ، وحاول أن يخدعه باصطناع ما يزعمه من التزام المنهج العلمى ، ولكن الدكتور رءوف كان جريئا على الباطل ،فأفهم الدارس أنه يلتزم — سابقا — بمقررات باطلة ، لا تتحمل هبة ريح ،ولو أراد الحق لوجه الحق لنزع عن نفسه كل تأثير طائفى ، ليواجه الحقائق سافرة ، بعيدة عن الطلاء . وما أن سمع الدارس هذه النصيحة حتى لاذ بالفرار .

يتحدث هذا الكتاب القيم عن الوثنيات المنتشرة فى الدنيا ، وقد

بدأ بالحديث عن الوثنية العربيـة الجاهلية ، وهو حديث مشتهر لدى الدارس المسـلم المثقف ، ولـكن المؤلف قد أوجز نقاطه وحدد مجراه فلم يترك الماء يفيض دون نفـع ، ولكن امتد به الى الزرع المتعطش للرى ، فأينع وأثمر ، وآتى أكله ، ولم ينقص منه شيئا ، فليت الذين يتكلمون فى الذائع المشتهر يحسنون احسان المؤلف فى استخلاص اللباب وطرح القشور •

ويأتى بعد حـديث الوثنيـة العربية الجاهلية حديث الوثنية فى جنوب شرق آسـيا ، اذ تحـدث المؤلف عن الهنـدوكية والبوذية ، ثم كر راجعا الى مصر الفرعونية ، ليحدد مكانها من التوحيد •

وقد سرنى جداً : أن يجعـل المـؤلف اهـداء كتـابه الى روح أستاذنا المغفور له الدكتور : محمد عبد الله دراز ، رحمه الله — لأن المهدى اليه علم حقيقى من أعلام الازهر ، ومفكر نابه من مفكـرى الاسلام ، وقد تحدث عن نشـأة الأديان حديث العـلامة المكـين ، وللدكتور دراز شفافية ساطعة ، تجعل الغامض المبهم فى سراديب الفلسفة والمنطق باهـر اللألاء ، ساطع الضياء ، كمـا سرنى : أن يشيد بالأسـتاذ الدكتور : محمود حب الله ، معترفا بفضل توجيهه ، وراجعـا الى مؤلفـاته النافعـة ومترجماته السديدة ، لأن الوفـاء للأساتذة قد قل فى هذه الأيام ، اذ رأينا فى الدوائر العلميـة : من يحاول أن ينكر آثار أسـاتذته ، وأن يغتصبها لنفسه ، والاشـارة أولى من التصريح •

وقد جلى المؤلف تجلية رائعـة مقالاته الأولى عن الدين : نشـأة وبواعث ومفهـوما واتجـاها وثقافة ، موضـحا اضطراب الفكر الأوربى فى بحوثه الدينية ، وموازنا بين ما يكتبه القسس وأصـحاب دوائر المعارف ، وبين ما يقـول به الاسلام فى مصدريه الصحيحين : كتاب الله وسنة رسوله واذا كانت علاقة الدين بالأخلاق من جهـة وعلاقة الدين بالفلسفة من جهـة ثانية موضع خلط كثـير لدى المتسرعين من الدراسـين فقـد وفـق الدكتـور : رءوف الى

تحديد هاتين العلاقتين فى وضوح سافر لا يحتمل اللبس ، اذ قال عن علاقة الدين بالأخلاق :

« فالدين والأخلاق فى الفكر الغربى من الناحية التجريبية مستقلان وان أمكن لقاؤهما فى الغاية ،ومن الناحية العلمية الواقعية يسبق الشعور الأخلاقى الشعور الدينى • فى نفس الطفل ، وفى عدم امتزاج القوانين الأخلاقية بالقوانين الدينية فى المجتمع ، أما فى الاسلام : فالدين مصدر الأخلاق • لأن الدين منهج واضح يحدد السلوك ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر » •

وفى مجال التفرقة بين الفلسفة والدين : اختار المؤلف رأيينقويين للدكتورين الكبيرين : محمد عبدالله دراز ،وعبد الحليم محمود رحمهما الله ، ثم بلور الخلاف فى نقاط هامة حين قال ص ٤٠ —

« ان الدين السماوى حقيقة الهية ، وان الفلسفة ظن بشرى ، فالدين السماوى له من صفات الكمال والثبات مثل ما للحق — سبحانه وتعالى — وللفلسفة من العثار والضعف ما للانسان الضعيف الذى كتبهما ، وان أدلة الدين يقينية ، لأنها من الوحى المعصوم وأدلة الفلسفة ظنية ، لأنها من العقل الذى يستطيع أن يبنى ، وأن يهدم دون يقين •

وفى الحديث عن الهندوسية والبوذية ، ذكر المؤلف : أنه لم يشأ أن يعتمد على رأى عالم أوربى ، لأن أكثر الكاتبين فى العربية ليس لهم مصدر عنهما ، غير ما كتبه الأوربيون ، ولكن المؤلف درس لغة القوم ، وقرأ مؤلفاتهم ، ورحل الى بلادهم ، وشاهد معابدهم ، وناقش العباد فى أمور المعبودين • وبذلك : استطاع أن يهتدى الى صواب كثير ، وأن يصحح أخطاء وقع فيها نفر من أساتذته ، على اخلاصهم الزائد للحق كالأستاذ ، الدكتور : محمد غلاب ، اذ أن مصادر الدكتور : غلاب — رحمه الله — كانت أوربية تحمل من الصواب قدر ما تحمل من الخطأ ولم يجىء خطأ الباحث الأوربى

عن غفلـــة فى النظـــر ، وخطـــأ فى البحث ، ولكنه جـــاء عن محـــاولة الاستعلاء المتغطرس على كل دين يخالف دينه ، أرضيا كان هذا الدين أو سماويا ، وقد اهتـــدى المؤلف الى حقيقة خطيرة هى : أن دعـــاة الهندوســـية المحدثين قد أخـــذوا مناهج الاســـلام ليلصـــقوها بالهندوسية ، دون أن تعرف هذه المبادىء لدى الســـابقين من دعاة الهندوسية ، قبل ان تعم بلادهم تعاليم الاسلام ، يقول الأســـتاذ : رءوف وتحت عنوان : (كيف ألفت كتب الويدا) ص ٥٧ .

« يقـــول المؤرخـــون : كـــانت « الويدا » تنقل عن طريق السمع الى زمن معين ، شعر فيه المؤلفون الملهمون الذين يرون بعين البصيرة أنوار الحق ، فأحالوا ما رأوه الى كتب تسمى بالويدا : (وهى التى تعرف لـــدى المثقفين بالفيـــدا) ، ولهذا : فان بعضا من الكتب قـــد لحق أسمه باسم المـــؤلف ، لا لأن هؤلاء الشعراء هم المؤلفون عـــن أنفسهم ، بل لأنهم تلقوا محتويات عن طريق الالهـــام والايحـــاء ذاك الالهام الذى سكبعليهم فأظهروه فى هذا الثوب الجميل من المعـــانى والألفاظ البديعة » .

ينقل الدكتور ذلك القـــول عن مؤرخى الهندوسية ، ليكون شاهدا بعدم الجزم بأصالة الويـــدا ، ثم يوالى البحث ليجد فى النهـــاية أثر الاســـلام بارزا فى اتجـــاه دعاة الهندوسية المحدثين ،لأن السابقين من دعاة الهندوسية كانوا ينكرون الوحى ، وقد حكى الشـــهر متانى عنهـــم ذلك بوضـــوح لا يقبـــل التأويل ، فكيف تســـنى للمحدثين أن يعتـــرفوا به . يقـــــول المؤلف ص ٩٤ :

« وهذا أســـلوب جديد يتبعـــه القساوسة ،اذ يلفقون لنحلهم أدلة وقضايا لتســـاير العصر ، وقـــد سمعت قسيســـا كبيرا يتحدث فى التليفزيون عن يوم القيامة ،فأقام على صحة البعث عدة أدلة منها : أدلة العـــدالة الالهيـــة ، وأدلـــة المشـــاهدات اليوميـــة ، وأدلـــة الســـلطان الالهى ، وهى كلها من منابـــع القرآن الكريم ، وليس فى

الأناجيل كلها فقرة ، تشير اليها ، وأفاض المؤلف فى تأكيد ذلك ، بما نرجو أن يكون موضع ملاحظة صادقة لدى علماء مقارنة الأديان ، ومن أعظم ما هزنى فيما أعلم من الحقائق : ما ذهب اليه الدكتور : رءوف من انكار القول بتناسخ الأرواح فى العقيدة الهندوسية ، مستندا الى نصوص صريحة من كتب القوم ، مع أن الذى نعلمه : أن التناسخ مذهب هندوسى ، ولا أقول : ان المؤلف قد قال الكلمة الأخيرة فى هذا المجال ، فلابد من دراسات شافية جامعة ، ولكن أقول : انه قد فتح بذلك مجالا للبحث عن التناسخ مبدأ ونحلة وعاقبة ، وهو أمر جدير بنظر الدارسين •

وحديث المؤلف عن المنبوذين حديث جيد ، والمجلد السابع من مجلة الأزهر قد اتسع لتقرير البعثة الأزهرية للهند ، فأغنى عن كل مرجع • وقد أدت البعثة واجبها ، وان لم تظفر بما تريد ، وقد ذكر المؤلف أحد أعضائها شيخنا العلامة المؤرخ الأستاذ : عبد الوهاب النجار ص ٢٩٣ مسبوقا بكلمة الدكتور ، والعلامة الكبير لم يكن دكتورا ، وان استحق أن تؤخذ دكتوراه فى بحوثه التاريخية ، وحديثه عن الأناجيل من أقوى ما كتبت فى العربية ، وقد نقل قصص الانبياء الى اللغة الفارسية، فامتد نوره الى آفاق شتى •

فاذا تركنا آسيا الى مصر ، فاننا نجد : حديث المؤلف عن مصادر التاريخ القديم ، وعن طريقة حل الرموز فى حجر رشيد ، وعن مؤرخى الفرعونية القديمة من أقوى ما قيل ، واذا سبق المؤلف ببعض ما كتب فان ما سطره تحت عنوان : (توحيد اخناتون ودعوة الأنبياء) يدعو الى التأمل الوئيد ، فقد فتح الله على المؤلف فتحا مبينا ، حين أظهر الحق الأبلج ، الذى حاول المضللون شرقا وغربا أن يطمسوه ، اذ زعم أساتذة الجامعات لدينا نقلا عن سدنة الاستشراق فى أوربا : أن مصر لم تعرف التوحيد الا على يد أخناتون ، مع أن التوحيد عقيدة

عرفت من يـــوم أن نزل آدم الى الأرض ، اذ علمه ربه الأسماء وأمر الملائكة بالسجود له اجلالا لما علم ، ثم توالت الرسل والأنبياء قبـــل اخناتون ، لتثبيت التوحيد ، جـــاء نوح وابراهيم ويوســـف قبـــــل اخناتون ــ فاذا لم يكن نوح ممن قدموا الى مصر من الأنبياء ، فقد قدم اليهـــا عن يقـــين : ابراهيم ويوسف ، وفى ربوع النيل : صدع أبو الأنبياء ابراهيم بوحــــــدانية الله ،وفى سجن مصر :هتف يوسف بما حـــكاه الله عنـــه فى قولـــه : **« يا صـــاحبى الســجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحــــــد القهــــــار ، ما تعبـــدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من ســـلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الاإياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »** : ٣٩ ، ٤٠ ســـورة يوســــــف •

واذا كان لى من رجـــاء لـــدى المؤلف فهو : أن يصـــحح رأيه فى « انجيل برنابا » ، مستأنسا بمـــا ذكره عنه الأســـتاذ الســـيد : محمد رشيد رضا ــ رحمه الله ــ وانى لأعترف أن كتاب : (آلهة فى الأسواق) مصـــدر نفـــع محقق للدارسين ، ولعل المؤلف بســـبيل اعداد كتاب آخر يستكمل به قصة الآلهة ، ومن غير الآلهـــة أجـــدر بالحـــديث ، وان كانوا متوهمـــين لا حقيقيين • ؟ !

دكتور: محمدرجب البيومى

فهـــرس العـــدد

الموضوع | صفحة

الموضوع | صفحة

مطابع مؤسسة روزاليوسف



بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام يدعو إلى الحياة الكريمة في ظل العمل والتعاون

للدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

جاء الاسلام الحنيف فاشرف على العالمين بدستور قوى متين يدعو الى مكارم الاخلاق وكريم العادات وينظم العلاقة بين الافراد والجماعات ويصف ما تعانيه الامم من الادواء ثم يقدم لها فى يسر وسهولة أنجع الدواء .

• وهذه المشكلات والامراض الاجتماعية التى تعانى الانسانية ويلاتها وتقاسى آلامها والتى طالما اجهد المصلحون انفسهم فى علاجها فنجحوا بعض النجاح حينا واخفقوا أحيانا قد وصف لها الاسلام الدواء الناجع الذى يضمن النجاح من ايسر سبيل واقوم طريق وانما يستشرى

الداء ويعز الدواء من التقصي والاهمال ، وعـدم تطبيق مبادىء الدين والاخذ بما تنطوى عليه تلك المبادىء من انظمة واحكام وقوانين .

• والاسلام فى معالجته لمشـاكل الافراد والجماعات انما يوجـه الامم والشعوب فى مختلف الازمنة والعصور الى النظر بعين الاعتبـار الى الظروف والملابسات التىتحيط بالمجتمع ، ومن هنا : كانت لولى الامر سلطته الواسعة فى تقدير كل ظرف ، ووضع العـلاج المناسب الـذى يلائمه ، وهذه السلطة ـ بلا شك ـ انما ترتكز على أساس متين هـو العقيدة الصـادقة والايمان الخالص والعدالة الكاملة .

• ولعل اصدق الامثلة على ذلك ما وقع عقب هجـرة الرسـول ـ صلى الله عليه وسـلم ـ واصحابه من مكة الى المدينة حينما بدأ رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يؤسس الدولة الاسلامية الجـديدة وكانت الظروف حينئذ تملى على ولى الامر ان يتخذ خطة حكيمة تلائم الوضـع الاليم الذى يحيط بالمهاجرين .

• فلقد آخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ بين المهاجرين والانصـار وكانت هى الاولى من نوعها فى تاريخ الانسـانية لانها أخوة نادرة المثـال لم تقم عـلى قانون وضعى يسـهل مغالطته ويمكن مخالفتـه اذا غفلت عينـه وضعفت الرقابة على تنفيذه وانما قامت على عقيدة راسخة تهـون امامها متع الحياة ولذاتها ولأنهـا لم تفرض بقوة البطش وجبروت السلطان وانما فرضـت بأمر من الرسول الذى لا ينطـق الا بمـا يتنزل عليـه من العليم الحـكيم الرءوف الرحيم ولقد جعل الرسول لكل رجل من المهاجرين أخـا من الانصار ، وجعل لهـذه الاخـوة من الحقوق والواجبات ما لأخـوة النسب ، فكلاهما يرث صـاحبه اذا مات ويعقـل عنـه اذا جنى ويؤازره اذا ألمت بـه شـدة أو اصابه مكروه مؤازرة الأخ لأخيه من النسب فكان ابو بكر الصديق اخا لخارجة بن زهير الانصـارى

وكان ابو عبيدة بن الجراح من المهاجرين اخا لسعد بن معاذ من الانصار وكان عثمان بن عفان من المهاجرين اخا لأوس بن ثابت من الانصار ، وكان عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين اخا لسعد بن الربيع من الانصار •• ••

وهكذا أصبح المهاجرون والانصار بنعمة الله اخوانا وقد آتت هذه الاخوة — بحمد الله — ثمرتها المباركة ، اذ خففت عن المهاجرين وعوضتهم خير العوض عن فراق الاهل والعشيرة •

وكان هذا علاجا طارئا زال بزوال اسبابه وانتهى حينما انتهت دواعيه فحينما اطمأن المسلمون فى مقرهم الجديد وشعر المهاجرون بكيانهم وبالامن والحرية يشرقان عليهم وشقوا طريقهم بالعمل فى سبيل الرزق نزلت الآية الكريمة : **« وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض »** فانقطع التوارث بين المهاجرين والانصار ، ورجعت الاخوة الى قاعدتها الاولى وهى اخوة النسب ، ولكن بقيت الاخوة الاسلامية التى تظلل جميع المسلمين وتقتضى المودة والتعاون بينهم •

وفى ظل تلك الاخوة الكاملة الشاملة بين جميع المسلمين وضعت القواعد الدقيقة التى تكفل قيام مجتمع اسلامى رشيد والتى تقضى على المشكلة الاقتصادية الاولى فى هذا العالم ، وهى : فقر الافراد الذى هو النواة الاولى لفقر الامم والشعوب •

وكان من اقوى الدعائم التى قام عليها النظام فى الدولة الاسلامية الدعوة الى العمل ونبذ البطالة والكسل •• فلقد دعا الاسلام كل انسان ان يأكل من كد يمينه وعرق جبينه ومن ذلك جاء فى صحيح البخارى عن المقداد بن معد يكرب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » وثبت فى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان زكريا عليه

السلام نجارا » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتغل بالتجارة ويشتغل ــ كذلك ــ برعى الغنم وقد ذكر عن نفسه وعن بعض الانبياء فقال : « بعث موسى وهو راعى غنم وبعث داود وهو راعى غنم وبعثت وانا ارعى غنم اهلى باجياد » .

واعتبر الاسلام العمل عبادة لله وجهادا فى سبيله فلقد روى ان رجلا قويا نشيطا مر على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ متوجها الى عمل معين فقال اصحاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لو كانت قوة هذا الرجل موجهة الى الجهاد فى سبيل الله . فقال صلوات الله وسلامه عليه : « انكان خرج يسعى على اولاده صغارا فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه فهو فى سبيل الله » وقال الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه « الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله » .

أجل : ان الاسلام يدعو الافراد الى العمل حتى لا يكونوا عالة على المجتمع ، وسوسا ينخر فى عظامه ولقد ضرب اسلافنا الاولون رضى الله عنهم اروع الامثال فى هذا السبيل فكانوا يكرهون البطالة ويأنفون ان يكونوا كلا وعالة ، والتاريخ الاسلامى مشرق بسيرتهم عطر بانبائهم ومن ذلك قصة عبد الرحمن بن عوف المهاجر مع سعد بن الربيع الانصارى رضى الله عنهما فحينما آخى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بينهما بعد الهجرة عرض سعد على عبد الرحمن نصف ماله ونصف بيته بل لقد أراد ان يطلق احدى زوجتيه لتكون زوجة لعبد الرحمن ويكتفى هو بزوجة واحدة ولكن عبد الرحمن وقد تربى فى كنف العزة الاسلامية وهى تلك التى ينطوى عليها قول الله تعالى « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » أبى الا ان يعتمد بعد الله على نفسه فقال لصاحبه دلنى على سوق المدينة ثم اشترى شيئا يسيرا من الزبد وامهل صاحبه بعض الوقت ثم باعه وسدد ماعليه

ثم اشترى وباع واشترى وباع وربح ثم ربح فلم يمض الا زمن يسير حتى ملأ اسمه الاسماع وملأت تجارته الاصقاع والبقاع .

وكان ابو سليمان الدارنى يقول : ليست العبادة فى الاسلام ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوصى الفقراء والاغنياء بأن يتعلموا المهنة ويقول انه يوشك ان يحتاج احدكم الى مهنة وان كان من الاغنياء . وكان يمقت اشد المقت اولئك الذين يخلدون الى الراحة والكسل مع قدرتهم على العمل ، ومن ثم قال قولته المشهورة « لا يقعدن احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

وقد بلغ من قيمة العمل فى الاسلام انه يعتبر عبادة ، وقد جعله الله سبحانه فرضا واجبا على كل قادر عليه تحصيلا للرزق وابتغاء تحقيق مجتمع الكفاية والامن ، وفى ذلك يقول الله سبحانه « **هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** » ويقول « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله** » .

وفى الحديث القدسى « ياعبدى حرك يدك انزل عليك الرزق » .

كما كانت « الزكاة » ولاتزال من اقوى الدعائم التى قام عليها النظام فى الدولة الاسلامية وقد جعل الله الزكاة الركن الثالث من اركان الدين وفرضها حقا معلوما للفقراء والمساكين واوجب اداءها على كل مسلم يملك النصاب فى النقدين وفى الزروع والثمار وفى الابل والبقر والغنم وعروض التجارة وتوعد من يمتنع عن ادائها بالويل والثبور وعذاب السعير فقال تعالى « **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** » .

وجعل الله ايتاء الزكاة من أسس الفلاح والايمان فقال « **قد افلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون** » •

ويبين الله عز وجل ان الانفاق فى سبيل الله هو التجارة الرابحة التى لا ينمو فيها رأس المال الى عشرة امثال فحسب بل الى سبعمائة بل يضاعفه الله اضعافا كثيرة وذلك حيث يقول « **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** » وثبت فى الصحيحين ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما ، اللهم اعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفا » •

وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا رجلين احدهما بخيل يضن بمال الله على عباد الله والآخر منفق يعطى مما اعطاه الله فقال ــ كما جاء فى الصحيحين : « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو اثره ، واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع » • ومعنى ذلك : ان المنفق كلما بذل المال فى سبيل الله وسع الله عليه بزيادة رزقه أو بالقناعة التى تجعل القليل كثيرا وان البخيل فى ضيق من نفسه الكزة وطبيعته الشحيحة فهو مهما زادت امواله وكثرت ارزاقه فى ضنك وشقاء وبؤس وعناء • واذا كانت موارد الزكاة تكمن فى كل ما يحوزه الانسان من انواع المال المهيأ للتنمية والاستثمار كالنقدين (الذهب والفضة) والانعام والزروع والثمار وعروض التجارة •• فانه يمكن أن يلحق بها فى هذا العصر الذى نعيش فيه وفيما يأتى بعد ذلك من الازمنة كل ما استحدث أو يستحدث من انواع

الاموال واستثماراتها كأرباح المصانع والشركات والعمارات السكنية الى غير ذلك على ان يقوم كل نوع به عند حساب ما يجب فيه من زكاة — ثم تكون الزكاة على حسب القواعد المفصلة فى كتب الفقه الاسلامى » .

وقد حدد القرآن الكريم مصارف الزكاة فى ثمانية اصناف بقوله تعالى : « **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** » .

ويلاحظ ان من بين المصارف الثمانية الاموال التى تصرف « فى سبيل الله » وهذه الكلمة كانت تحمل أولا على المجاهدين ولكنها فى واقع الامر تتسع لكل وجوه الخير كبناء المساجد وانشاء المدارس والمصحات وما الى ذلك من دور الخير والبر .

ومن واجب الدولة المسلمة أن تنشىء صناديق الزكاة لكى تتجمع فيها حصيلة تلك الموارد وفق ما امر به الدين الحنيف وهو جزء ضئيل ولكنه مجزىء وجزيل ومقدار قليل ولكن اثره كبير ووفير .

اجل : انه فى جملته وفى اغلب الموارد يوازى ربع العشر من الارباح السنوية ولكنه لو احسن توزيعه فى يقظة ودقة على المحتاجين والمستحقين ، وتولت كل حكومة مسلمة الاشراف على هذا التوزيع على أساس من الانصاف والعدل والامانة فلن يبقى فى المجتمعات الاسلامية بائس أو فقير .

وليس هذا الكلام جزافا أو مجرد ادعاء ولكنه النبأ الصادق الذى تحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى والذى لا يتحدث الا عن وحى يوحى .. ومن ذلك ما يرويه على بن ابى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الله فرض على اغنياء المسلمين فى اموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا الا بما

يصنع اغنياؤهم . الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا اليما » .

ولقد مرت على المجتمع الاسلامى فترات مشرقة بالخير والسعادة نتيجة لتطبيق المبادىء الاسلامية والسير على سننها الحكيم ومنهجها القويم وقد توارى — حينئذ — شبح الفقر البغيض واحس الجميع برد النعمة والرخاء ، فيروى الطبرى ان عمر بن عبد العزيز كتب الى عقبة بن زرعة الطائى — وكان قد ولاه الخراج فى خراسان — فقال له : « استوعب الخراج واحرزه فى غير ظلم فان بك كفافا لاعطياتهم « أى مساويا لاعطياتهم » فسبيل ذلك والا فاكتب الى حتى احمل لك الاموال فتوفر لهم اعطياتهم قال : فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن اعطياتهم » (١) .

ويروى ابن عبد الحكم ان رجلا من ولد زيد بن الخطاب قال « انما ولى عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا فذلك ثلاثون شهرا فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون فى الفقراء فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فلا يجده »(٢) .

على ان الزكاة المفروضة وهى دعامة كبرى لاصلاح المجتمع الاسلامى وتدعيم اقتصادياته — ليست فى واقع الامر الا جزءا محدودا من الاسس القوية الاخرى التى جاء بها الاسلام فى هذا المجال ، فقد امعن الاسلام فى محاربة الفقر واتخذ كل الوسائل فى سبيل القضاء عليه ، حيث جعل الاحسان الى الفقراء والمساكين كفارة للخطايا والذنوب وستارا للآثام والعيوب ، فكفارة اليمين اذا ما حنث فيها الانسان هى اطعام الفقراء والمساكين ، وفى ذلك يقول الله تعالى : **(لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن**

---

(١) الطبرى جـ ٨ ص ١٣٩ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم .

يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيامٍ ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم ، واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) •

والرجل اذا ظاهر من امرأته بأن قال لها : أنت علي كظهر أمي حرمت عليه ولا يحل له أن يقربها الا بعد الكفارة ، والكفارة تكون باطعام الفقراء والمساكين وفى ذلك يقول الله تعالى « **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم** » •

ومن أفطر بالجماع فى شهر رمضان لزمته الكفارة ، والكفارة هى عتق رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ••

وهكذا يكفر الاحسان الى الى الفقراء الذنوب والآثام ، ويغسل الخطايا والأوزار ، ولا غرر فقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — «الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » •

ومظاهر التعاون فى الاسلام كثيرة ومجالاته واسعة تمتد امتداد الحسنات التى يضاعفها الله الى عشر ثم يضاعفها حتى تصل الى سبعمائة ثم يضاعفها الى ما يشاء ولمن يشاء فالصدقات والاحسان الى المحتاجين والمعوزين لا يتقيد شىء من ذلك بقيود ولا تقف دونه حدود ، وقد وصل الأمر بجماعة من المسلمين الى درجة الايثار ، وكان ذلك فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم — وذكرهم الله فيمن ذكر من عباده الأبرار فقال عنهم « **والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم**

خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

والاسلام هو دين العالمين ، وليس دين العرب وحدهم . وهو دين الأزمنة والعصور جميعا منذ أشرقت الأرض بنوره الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال « كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة » وفى رواية أخرى « وبعثت الى كل أحمر وأسود » « والمعنى على الروايتين واحد . ومادام الاسلام قد تخطى حواجز الأمكنة والأزمنة ، فان آدابه العالية ومبادئه السامية يجب أن تتخطى نطاق الزمان والمكان كذلك .

وبهذا يكون المسلمون فى أرجاء هذا العالم مدعوين الى الجهاد فى سبيل الله حتى تكون كلمة الله هى العليا وحتى يعلو لواء الاسلام .

ويتم نور الله ويتحقق وعده سبحانه وتعالى حيث يقول **« كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله لقوى عزيز » .**

وحتى يتم ذلك ، وما ذلك على الله بعزيز — فان من حق الأقليات الاسلامية التى تعانى من جور الظالمين وطغيان الكافرين أن تشعر بهذا التعاون الذى يفرضه الاسلام على الدول الاسلامية التى منحها الله نعمة الحرية ، وأفاض عليها من الخير والثراء وبسط لها فى الرزق وبذلك يمكن أن تكون الأمة الاسلامية التى قال الله عنها **« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »** ويمكن كذلك أن تتحقق بين المسلمين فى أرجاء الدنيا الأخوة الاسلامية التى لا تفرق بين مصرى ويمنى وهندى وباكستانى وعراقى وشامى ، بل تجعل المسلمين فى أرض الله الواسعة كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر ..

وفى هذا العصر الذى تقاسى فيه الشعوب الاسلامية من آثار

التخلف الذى فرضه المستعمرون والذى يتولى كبره الآن جنود الشيطان وأعوان الباطل فى كل مكان ، فى هذا الوقت العصيب والجو الرهيب تظهر قيمة التعاون الذى يفرضه ديننا الحنيف على الدول الاسلامية التى تتوفر لها الثروات الضخمة والاقتصاد القوى المتين • كى تمد يد العون الى الأقليات الاسلامية لتتوفر لها العزة والكرامة ، والحياة الآمنة السعيدة ، وتبدلها من بعد ضعف قوة ومن بعد خوف أمنا وطمأنينة، وبذلك يرأب الصدع ، ويجتمع الشمل ، وتعود للمسلمين عهود القوة والمجد والسلطان •

فيأمة الاسلام ، ويا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام •

ان الاسلام جهاد وعمل ، وعقيدة وايمان ، وتعاون وتضامن ، وليس الاسلام ألفاظا تجرى على اللسان ، ولا أدعية تتلى فى المساجد والمعابد ، وليس الاسلام ركوعا وقياما ولا حجا وصياما فحسب ، انما الاسلام فوق ذلك كله عاطفة انسانية واحساس بآلام الناس وآمالهم ، ومشاركة لهم فى شعورهم وتعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان وأخوة كاملة ترفع عن بنى الاسلام ضراوة الهمجية والوحشية وتجعل الصغير بجوار الكبير والقوى الى جانب الضعيف كالبنيان يشد بعضه بعضا •

الا ان الفجر الصادق فى حياة المسلمين لقريب ان شاء الله ، ولقد بدأ الاسلام غريبا من العظمة والغرابة وسوف يعود غريبا فى عظمته كما بدأ ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين •

والسلام عليكم ورحمة الله ••

وكيل الأزهر
دكتور / محمد الطيب النجار

مناهج المحدثين

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

حث الرسول صلى الله عليه وسلم على رواية الحديث وشجع المسلمين عليه فقال : « نضر الله امرءا سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها » . وفى رواية : نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » .

وفى رواية : « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » .

لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحافظ الحديث وراوى الحديث بالسعادة فى الدنيا والنعيم فى الآخرة والبركة فى الجسد وفى الروح بشرط أن تكون الرواية صحيحة وأن يكون الراوى تثبيتا .

قال سفيان بن عيينة : « ليس من أهل الحديث أحد الا وفى وجهه نضرة لهذا الحديث » .

ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم حملة الدين الحقيقيين الذين تجمعت فيهم أوصاف خاصة هى الذكاء والحفظ والقدرة على استخراج الطيب من الخبيث والتعرف على الصحيح من السقيم فقال : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ما ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » . وقد روى هذا الحديث من غير طريق وتعددت طرقه بما يقتضى حسنه

كما قال العلائى .. وفى هـذا الحديث رسم لمنهج المدرسة الحديثية ووصف لرسالتها فى الحياة . انها تميز الحق من الباطل وحماية الدين من كل دخيل عليه.

قال النووى رحمه الله : « هذا ـ أى الحديث ـ اخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة هذا العلم ، وحفظه ، وعدالة ، وان الله يوفق له فى كل عصر خلفا من العدول ، يحمونه وينفون عنه التحريف ، فلا يضيع ، ان فى الحديث رسما لمنهج وأخبارا يتحقق هذا المنهج مصداقا لقوله تعالى : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » والذكر هو القرآن ما يبينه من السنة الصحيحة ، وسنرى كيفتحقق هذا الخبر على يد الأئمة الأفذاذ من رجال الحديث . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل . وهو بذلك انما يبين خطر السنة النبوية ورسالة رجال الحديث .

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ السنة الصادقة وحذر من الكذب عليه فقال : « بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وقال : « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين» .

وقال : « ان كذبا على ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وفى هذا الحديث توجيه الى أهمية السنة وخطرها . ان الكذب فيها على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كالكذب على غيره . اذ لا التزام على أحد باتباع غيره ولا الزام لأحد بذلك ان الكذب عليه عنيف الأثر يمتدوزره الى كل زمان والى كل مكان ، وقد يحدث من الآثار ما لا يمكن جبره .وعلى الكاذب عليه أن يتعرف مكانه أنه النار .

من هنا كان اختلاف العلماء فى كذب الكاذب المتعمد على الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كان غير

مستحيل لذلك ولكنهم لم يختلفوا فى أن من كذب علـى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حـديث واحـد عمدا فسق وردت رواياته كلها ويبطـل الاحتجاج بجميعـها حمـاية للسنة وحفظا لحـرمة الرسول صلى الله عليه وسلم — بل لقد قال بعض العلماء بعـدم ذهاب الفسق عنه بعد توبته وعدم قبول روايته بعد اقلاعه عن هذا الذنب العظيم .

وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من التحديث بكل ما سمع السامع فقال :

« كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع» . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع . وقال مالك رحمه الله : اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل مـا سمع ، ولا يكون اماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع .

والمقصود من ذلك أن يتحرى الانسان فى الرواية ويعرف وجوه الحديث لينتقى منه ما يصـلح للعامة وما لا يصلح ، وما كان منه عاما وما كان منه خاصا وما كان منه مقصـودا لذاته وما كان منه غير مقصود . قال النووى : فيها الزجر عن التحديث بكل ما سمع الانسـان فانه يسمع الصـدق والكذب فاذا حدث بكل ما سـمع فقد كذب لاخباره بما لم يكن . ومذهب أهـل الحـق أن الكذب الاخبار عن الشىء بخلاف ما هو . ولا يشترط فيه التعمد لكن التعمد شرط فى كونه اثما . ولا يناقض هـذا ما روى الامام أحمـد فى مسنده عن عبد الله بن عمرو أنه قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريـد حفظه ، فنهـتنى قريش فقالوا : انك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله بشر يتكلم فى الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتـابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منى الا حق» وقوله صـلى الله عليه وسـلم : « انى لأمزح ولا أقول الا حقا » وقوله : « انى وان داعبتكم فـلا

أقول الا حقا » لأن النهى انما هو فى حق غير النبى صلى الله عليه وسلم • ففيه توجيه الى التعرف على الرواة والتثبيت من المشايخ وتعرف مجارى كلامهم وأساليبه واذا كان فى كل ما يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم فائدة للمسلمين فان على المحدث أن يتعرف مناسبات الحديث وجو التحديث وأن يتلاءم مع بيئته وظروفه : روى البخارى فى كتاب العلم من صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان راكبا ومعاذ رديفه على الرحل فقال :

« يا معاذ بن جبل • قال : لبيك يا رسول الله وسعديك • قال : ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار • قال معاذ : يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا • قال : اذن يتكلوا » وأخبر بها معاذ عند موته تجنبا لاثم كتمان العلم •

وروى مسلم فى كتاب الايمان : ان عمر رد أبا هريرة وقد أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يبشر الناس بمثل حديث معاذ ودخل على الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله : أنت قلت لأبى هريرة كذا وكذا •• فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: نعم فقال عمر : لا تفعل فانى أخشى أن يتكل الناس فخلهم يعملون • وقد أقره الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال « فخلهم » لقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم قبلا ورأى عمر من بعده أن ظروف المسلمين الشاقة قد تدفعهم الى الاسترخاء عند معرفة هذا الخبر • وأن المصلحة فى عدم اعلامهم به حتى يتعودوا على الأعمال الصالحة ويتمرسوا بفعل الطاعات فلم يعلموهم به رغم صحته وما فيه من فائدة •

وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » •

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين • أما أحدهما

فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هــذا البلعوم •

وهذا الذى امتنع عن نشره هو ما فيه أخبار الفتن والملاحم ومــا يكون من الأحداث مما قد ينفر عن الحكام ويخلق الفتن ويثير الأزمات بلا فائدة ترجى منه • أو ما فيه أخبار عن أمور غيبية تتصل بمعانى المتشابهات أو تفصـــيل بعض المشكلات مما لا تطيق الأفهــام فهمه ولا يقدر غير الرسول على تفهيمه •

ومن هنا كان ما قاله عبدالرحمن ابن مهدى « لا يكون الرجل يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع»

وكان أحمــد بن حنبــل يكره التحديث ببعض الأخبار التى يكون ظاهرها الخروج على الأمير وكان أبو موسى يكره التحديث بالغرائب

وبالجملة كانوا حريصين عــلى عدم بث الفتنة أو فتح الطــريق أمامها برواية ما يســبب ذلـــك وتوجيه الأنظار اليه محافظة على سلامة الدين من أصحاب الأهواء والشغب والفتن وغــيرهم مــن المغرضين والجاهلين •

وقد حمل الرســول صلى الله عليه وسلم من ســمع منه العلم مسئولية تبليغه فقال بعد أن أمر ونهى وبشر وحذر : « ألا ليبلغ الشاهد الغائب » وقال : « ألا هل بلغت » مرتين •

وقد دعا صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة بالحفظ ومدحه بحرصه على الحديث •

وكان من هديه التعليمى أنه اذا سئل عن شيء لم يعلمه سكت حتى يأتى الوحى بالجواب • وكان اذا قال كلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه وكان كثيرا ما يطرح المســألة على أصحابه ليجــذب انتباههم ، ويختبر أفهامهم وكان يتخــولهم بالموعظة مخافة الســآمة عليــهم ويختار الأوقات الملائمة للوعــظ والتذكير والتدريس كوقت السحر وبعد صلاة الفجر وبعــد العشاء ونحو ذلك • لقد رسم الرســول (صلى الله عليه وسلم) منهــج التحــديث ومنــهج التلقى وحد الحدود لأخذ السنة واعطائها •

وما جهود العلماء بعد ذلك الا تفصيل لما أجمل وتقنين لما رسم •

دكتور الحسينى هاشم

ولاية الله للمؤمنين

للأستاذ محمد صابر البرديسى

الايمان : ماوقر فى القلب ، وصدقه العمل — التصديق الثابت المتيقن الذى لا يتزعزع ولا يضطرب .

فالايمان له مشاعر قلبية باطنة، وقرت فى القلب واستقرت فيـه ، من : اخلاص الاعتقاد بوحدانية الله ، والتصديق بألوهيته بلاشك ولا ارتياب .

وللايمان صورة حركية ظاهرة ، هى : العمل .

فالعمل هو الدلالة الظاهـرة للايمان ، والتى لابد من ظهورها للعيان ، لتكون شهادة بالوجـود الفعلى للايمان .

ومتى أخلص العبد الاعتقـاد بوحدانية الله وأخلص العمـل والعبادة له دون سواه ، صـفا قلبه . فلا يعمل عمـلا يخالف شريعة الله .

ومتى استشعر القلب فى باطنه بحقيقة الايمان ، وامتلأت جوانبه بنور الله ، فان الصورة الايمانية التى تضىء قلبه لاتفترق عـن الصورة العملية التى تصدر عنه .

ان لكل شىء حقيقة ، وحقيقـة الايمـان : أن يستشعر المؤمن وحدانية الله فى قلبه ثم تكـون له جدية تظهر فى دنيا الواقـع وفى عمله ، فليس الايمان كلمة تقـال باللسان ، مع عمل يخالف الحـال والكلام ، فلا يطابق المقال المقام.

« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » (١) .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٤ .

روى عن الحارث بن مالك الأنصارى : أنه مر برسول الله « صلى الله عليه وسلم » فقال : « كيف أصبحت يا حارث » ؟ قال: أصبحت مؤمنا حقا . قال : « انظر ما تقول ، فان لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة ايمانك » ؟ فقال : عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى انظر الى عرش ربى بارزا، وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر الى أهل النار يتضاغون فيها . فقال : « يا حارث ، عرفت فالزم » ثلاثا .

هذه شهادة من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » للحارث بأنه عرف حال نفسه ، وأنه مؤمن حقا ، وأن هذا الصحابى الذى استحق شهادة الرسول « صلى الله عليه وسلم » لم يكن ايمانه مجرد ايمان ، وانما كان مصحوبا بالعمل والحركة المدفوعين بمشاعر قوية ، ملأت عليه قلبه فأثرت فيهما .

ان حلاوة الايمان التى يجدها المؤمن فى قلبه تشرح صدره وتؤنس نفسه ، وتزيل كربه ، وتطيب بها حياته ، ويطمئن لها قلبه **(ألا بذكر الله تطمئن القلوب)** (١) .

والمؤمن حقا يكون فى مدد الهى وأمن ربانى ، يحمل بايمانه ثقل الدنيا وأكدارها ، فلا تكون أثقالها ثقلا على نفسه ، وانما تكون له أسباب قوة .

لا يضطرب من شيء ، وكيف يضطرب وعنده الاستقرار ؟ لا يخشى مخلوقا وكيف يخشى ومعه الله ؟

« ان من عباد الله عبادا أحبوا ربهم حبا ملك عليهم قلوبهم وجوارحهم ، فغدوا بهذا الحب عبادا قانتين لله ، مداومين على عبادته ، محافظين على اتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، مراقبين له فى كل أحوالهم ، رغبة ورهبة منه.انهم بهذا يبلغون درجة

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٨ .

رفيعة ، ومنزلة عالية ، ويصبحون أولياء لله • وأحباء له وأقرباء منه تذكر أسماؤهم بذكر الله بصفاء قلوبهم ، واشراقة وجوههم ، ويذكر الله برؤية غيرهم لهم » •

عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » • أن الله تعالى قال فى الحديث القدسى : « ان أوليائى من عبادى ، وأحبائى من خلقى ، الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم (١) » •

وكما يدفع الايمان صاحبه الى العمل الصالح فانه يمنعه من اقتراف المعاصى ، ويكون حائلا بينه وبين الموبقات ، لأن الانسان فيما يفعل وفيما يصدر عنه خاضع لسلطان عقيدته ، ومسير بأمرها ، ولهذا يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » •

فالايمان يأبى على المؤمن أن يفعل ماينافيه ، أو يترك مايقتضيه •

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم » (٢) •

وعد الله الذين آمنوا بهدايته لهم بسبب ايمانهم •

فما أعظم الانسان حين يؤمن بربه ، ويعمل للتقرب من خالقه ، فيؤدى ما أمر الله به ، ويجتنب مانهى الله عنه ، فمن آمن بالله واستقامت أحواله فانه يصير من أولياء الله •

« ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون » (٣)

تبين الآية : أن المؤمنين يتولاهم ربهم فى شتى شئونهم ، فلا خوفه

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير •
(٢) سورة يونس الآية ٩ •
(٣) سورة فصلت الآيات (٣٠ ، ٣١) •

عليهم ولا حزن يعتريهم .

والأمة المؤمنة يمدها الله بعونه وينصرها بقدرته ، ويبدل خوفها أمنا ، ويستخلفها فى الارض ، ويمكن لها من اقامة شريعة الله .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » (١) .

ذكر عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

قال تعالى **« لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »** لقد عرفنا بشرى الآخرة : الجنة . فما بشرى الدنيا ؟

قال : « الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له ، وهى جزء من أربعة وأربعين جزءا من النبوة » (٢) .

وعن أبى ذر قال : قيل لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه ، قال: « تلك عاجل بشرى المؤمن » (٣) .

وقد يكون من البشرى فى الدنيا الصبر عند الابتلاء ، فالمؤمن يبتلى فى دنياه بألوان الابتلاء ، فلا يشعر أنه المرزأ المبتلى .

« ولقد كان المسلم يضرب بالسيف فى سبيل الله ، فتقع ضربات السيوف على جسمه فتمزقه ، فما يحسها الا كأنها قبلات أصدقاء من الملائكة ، يلقونه ويعانقونه » (٤) .

وعمار بن ياسر وأهله وغيرهم من الرعيل الأول المؤمنين السابقين قد لقوا من صنوف العذاب والتنكيل ، ماتقشعر له الأبدان وتنوء عن حمله الجبال « ان عمارا ملىء ايمانا من رأسه الى قدمه ،

---

(١) سورة النور الآية ٥٥ .
(٢) تفسير ابن كثير ص ٢ ص ٤٢٣ .
(٣) رواه مسلم .
(٤) مصطفى الرافعى .

واختلط ايمانه بلحمه ودمه » .

والعبرة بالتضحية ، وما يقدمه المؤمن لدينه وأمته ، فالتضحية هى جوهر الايمان .

تلك بشرى المؤمنين فى الدنيا .

أما بشراهم فى الآخرة ومايتصل بها ، فان المؤمن اذا حضرته الوفاة وانقطع خيطه من الدنيا ، كشف عنه الغطاء ، فيرى مقعده فى الجنة ، فيحب لقاء الله ، ويحب الله لقاءه ، فاذا ثوى فى قبره ، وسوى عليه التراب ، جعل الله قبره روضة من رياض الجنة ، ويوم يحشر الناس من قبورهم وقاه الله شر ذلك اليوم ، ولقاه نضرة وسرورا ، فاذا اشتدت الشمس على الرءوس ، أظله الله فى ظله يوم لاظل الا ظله ، ثم يدخله الله الجنة .

وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وان لم يكن فيها الا التمتع بالنظر الى وجه الله الكريم لكفى **« وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة »** (١) .

أرجو الله أن يبصر المسلمين بدينهم ، وأن يهديهم الى الايمان الكامل ، وأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، حتى يحكموا بكتاب الله ، ويطبقوا فى الأرض نظم السماء ، فيعم العدل والرخاء وتصبح الأرض كلها جنة، والناس كلهم ملائكة .

محمد صابر البرديسى
مدير مجلة الأزهر

(١) سورة القيامة الآيات ٢٢ ، ٢٣ .

دراسات قرآنية :

الإيمان بالله كما يعنيه القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى فى سورة البقرة « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) » .

البيان

جاء مثل هذه الآية فى سورة المائدة بتقديم الصابئين على النصارى ، ورقمها هناك (٦٩) وقد أساء بعض المعاصرين فهم الآية على صورتيها ، حيث زعم أن اليهود والنصارى والصابئين ، مأجورون يوم القيامة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون — وان لم يؤمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه — لأن الآية فى نظره تدل على أن المطلوب من هذه الطوائف أن يؤمنوا بالله واليوم الآخر ويعملوا صالحا ، ليحصلوا على الأجر ويأمنوا من الخوف ، وهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات ، ولم تطلب الآية منهم أن يؤمنوا بالنبى وما أنزل عليه حتى يحصلوا على الأجر ويأمنوا من الخوف وقد أساء هؤلاء فهم الآية فضلوا عن سواء السبيل ، وباءوا بغضب من الله لانحرافهم بذلك عن حقيقة الاسلام .

(الآية تدعوهم الى الايمان بالله)

لو كان ما عليه أهل الكتاب والصابئة ايمانا بالله لم يشترطه القرآن عليهم لكى يحصلوا على

الأجر وينجوا من الخوف ، ولكان نظم الآية هكذا : ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ــ من عمل منهم صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ــ ولكنه اشترط عليهم الايمان بالله واليوم الآخر بقوله « **من آمن بالله واليوم الآخر** » لكى يحصلوا على الأجر كما يحصل عليه المؤمنون الذين صدرت بهم الآية ــ فكأن النص يقول ــ ان الذين آمنوا بالله ورسوله ، وكذا اليهود والنصارى والصابئون لو آمنوا بالله ايمان المؤمنين ، بأن دانوا بشريعة التوحيد التى أصلحت ما أفسده أهل الأديان ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون •• فالآية فى الحقيقة دعوة لهم الى الايمان بالله ايمانا نظيفا من الشرك والولدية والوثنية ، وترك ما هم عليه من الأفكار الخاطئة فى الله تعالى ، وترك الديانات التى انتهت بهم الى عقائدهم الفاسدة ، والاستجابة الى دين الحق الذى أصلح ما أفسدته الأديان ، اذ يناديهم بقوله سبحانه فى سورة آل عمران « **يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** » أى أنهم ان لم يستجيبوا الى ما دعاهم اليه من دين التوحيد وترك ما هم عليه مما ينافيه ، فانهم بذلك لا يكونون مسلمين ولا مؤمنين بل كافرين خالدين فى النار ، وأشهدهم على أن المسلمين هم الذين دانوا بدين التوحيد ، وهم محمد وأصحابه •

وقد توعدهم على كفرهم بآيات الله بقوله تعالى لرسوله فى سورة آل عمران « **قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ٩٨** » كما توعدهم على صدهم عن سبيله بقوله له أيضا « **قل ياأهل الكتابلم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون** » •

عقائدهم فى الله أبعدتهم عن الايمـــــان بـــه ..

يقول الله تعالى فى ســــورة التوبة «**وقالت اليهــود عزير ابن الله وقالت النصارى المســيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبــل قاتلهم الله أنى يؤفكون**» ويقول فى سورة المائدة «**واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للنــاس اتخذونى وأمى الهين من دون اللـــه قال ســـبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمتــه تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمــرتنى به أن اعبـــدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شـــــهيدا مادمت فيهم فلمــا توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد**» .

واليهود يعتقدون أن الله تعالى يخطىء ويصــــيب كالبشر ، فاذا تبين له خطـــؤه نـــدم وبكى ، ويزعمون أنه ندم على الطــوفان الذى أهلك به عصارة البشر ، وأنه يبكى من أجل هذا الخطأ ، كمـا يزعمون أنه صـــارع يعقــوب حتى الفجر ، ولم يستطع الافلات منه الا بعد ان ضربه فى حق وركه ، وأصابه من أجل ذلك بعرق النسا ، وأنه تعالى غير اســمه من يعقوب الى اسرائيل لشـــجاعته وجهاده ومصــــارعته لربه ــ هكذا قالت التوراة ــ فانظر سـفر التكوين . اصحاح ٣٢ فقرة ٢٣ ــ ٢٨ .

والايمان بالله فى الاســـلام لا يبيح مثل هــذا الاعتقاد فى الله ويرفضه ويكفره ، كما أن العقــل المســتقيم لا يقبل أن يغلب البشر خالق الكون ، ولا يوافق على هذا العبث الماجن ، حيث تصــــور التوراة المقتدر الجبار بمصــارع عابث وواهن عاجز لا يستطيع أن يفلت من البشر الذى يصـــارعه الا بعد أن يضربه فى فخذه .

والنصارى تخبطوا فى شـــأن المســيح ، فجعلوه ابن الله تارة ، وثالث ثلاثة تارة ، وجعلوه هو الله تارة أخرى ، واعتقدوه فى كل هذه الصورشخصا ساذجا ضعيفالفكر ،

اذ يسلم نفسه لخصومه اليهود ليصلبوه ويقتلوه على زعم تكفير خطايا البشر ، مع أنه يضاعف ذنبهم بتمكينهم من قتله ، فى حين أنه يستطيع العفو عنهم دون أن يرتكبوا اثم قتله ، وكيف يستطيع البشر قتل الههم أو ابن الههم ، وكيف كان حال الكون حين قتله ، ومن كان يدير شئونه بعد قتله وقبل قيامه من الموت .

وكيف يستقيم أن عيسى هو الله ، وقد جاء فى أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم ، أنه خاطب الله تعالى وهو مصلوب قائلا « ايلى ايلى لما شبقتنى » أى الهى الهى لماذا تركتنى لليهود ليصلبونى ويقتلونى .

لقد أنكر القرآن عليهم كل ذلك وحكم بكفرهم ، وقضى بعقابهم ، قال تعالى فى سورة المائدة **« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ٧٢ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ٧٣ »** .

وحسبك هذا القدر فى تصوير الايمان بالله عند أهل الكتاب ، دون أن نعرض لتفاصيل أخرى ، ومعلوم أن العهد القديم موضع التسليم من اليهود والنصارى ، وحسبك فى الرد عليهم قوله تعالى فى سورة الزمر **« وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون »** وقوله سبحانه **« ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »** وقوله **« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »** .

أما الصابئة فمع ايمانهم بالله ووصفه بالأزلية والأبدية ، يتوصلون الى عبادته بعبادة الكواكب كما نبينه ، ولما كان ايمانهم بالله مشوبا بالاشراك به فى

العبـادة ، فانه لا يعتبر ايمانا به سبحانه ، ولهذا لا ينجى صاحبه من أشـد العقاب ، قال تعالى « **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السـماء فتخطفه الطـير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق** » وقال « **ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية** » .

من لم يؤمن برسالة محمد فهو هالك

ضلال مبين أن يزعم أحد صحة الايمان بالله وكفايته فى النجاة مع الكفر برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فالكفر برسول الله كفر بالله الذى أرسله وتمرد عليه، ولهذا قال تعالى فى سورة النساء « **ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسـله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا (١٥٠) . أولئك هم الكافرون حقا وأعتـدنا للكافرين عـذابا مهينا (١٥١)** » فالله سبحانه لا يرسل رسـولا الا ليطاع باذنه ويعمل بشريعته ، والا كان ارساله عبثا ، وتعالى الله أن يكون عابثا ، ولهذا قال سبحانه فى سورة النساء « **وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله (٦٤)** » وقال « **من يطع الرسول فقد أطاع الله (٨٠)** » وهذا النص شاهد بأن من يعصى الرسول فقد عصى الله .

واعلم أن شريعة كل رسـول ناسـخة للشريعة التى قبلها بما اشـتملت عليه من أحكام جديدة تناسب الأمة التى شرعت لها ، وأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم — مع نسـخها للشرائع التى سـبقتها ، فهى عامة لجميـع الخلائق ، منذ بعثته الى أن تقوم السـاعة ، قال تعالى فى سورة الأعراف « **قل يأيهـا الناس انى رسول الله اليكم جمعيا** » وقال فى سورة النساء « **وأرسـلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا** » وقال فى سورة سبأ « **وما أرسـلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا** » .

وقد صدقت رسالته صـلى الله عليه وسـلم رسائل النبيين قبله فيما اشـتملت عليه من العقائد وأصـول الأحكام ، قال تعالى فى سـورة آل عمـران « **نزل عليك**

الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه » .

وكما صدقت رسائل النبيين فيما جاء بها من الحق ، ردت ما جاء فيها من عبث العابثين وتبديل المبدلين ، وبينت الحق فيه ، ففى شأن عيسى — مثلا — قال تعالى فى سورة المائدة « **ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون »** . ولهذا كان القرآن مهيمنا على تلك الرسالات السابقة ومبينا لما فسد فيها ، كما قال تعالى فى سورة المائدة « **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق »** .

وحيث كان محمد من ربه على هذه المكانة الرفعية ، فيجب الايمان بنبوته وعموم رسالته ونسخها لما قبلها من الرسالات التى عبث بها أصحابها ، ومن لم يفعل ذلك فهو كافر ومصيره جنهم ، قال تعالى فى سورة النساء « **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »** وقال سبحانه فى سورة البينة « **ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية »** .

وقد بين القرآن أن الرسول يشهد يوم القيامة على من كفر به فتسوء حالته ، قال تعالى فى سورة النساء « **فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (٤١) يومئذ يود الذين كفرو وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا (٤٢) »** .

وحذرهم عاقبة كفرهم بآيات الله الشاهدة على صدق رسوله فقال فى سورة النساء « **ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما (٥٦) »** .

كما حذر أهل الكتاب من كفرهم

به فقال فى سورة النساء أيضا **« يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا (٤٧) »** .

أفبعد هذا البيان مستنبطا من آيات القرآن ، يتوهم أحد أن من يؤمن بالله ويكفر بمحمد يكون ناجيا ، ان من ينحدر الى ذلك الفهم الخاطىء هالك خالد فى نار جهنم والعياذ بالله رب العالمين ، **« فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون »** **وماذا بعد الضلال** سوى سوء المصير .

دعوة هرقل الى الاسلام ومدلولها

لا يوجد من هو أعلم بمقاصد القرآن ممن أنزل عليه القرآن ، وأنت — أيها القارىء الكريم — تعلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا هرقل عظيم الروم — وهو نصرانى يؤمن بالله ايمان النصارى به — دعاه الى الاسلام بقوله «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وان توليت فان عليك اثم ، اليريسيين — أى عامة الشعب — **ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »** .

فأنت ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعتبر هرقل النصرانى على هدى ، ولهذا قال له : السلام على من اتبع الهدى ، ولو اعتبره على هدى لقال له : السلام عليك ، كما انه دعاه الى الاسلام ، لأن ايمانه بالله كايمان النصارى بعيسى ، وهو ايمان فاسد ، والاسلام جاء ليصلح ما أفسده أهل الكتاب ، وليأخذ بيد البشرية لتسلك الجادة الآمنة الى نعيم الخلود ، وتبتعد عن تيهاء الضلال ، وتتجنب عذاب السعير .

ولقد اختتم النبى صلى الله عليه وسلم كتابه الى هرقل بإنذاره بأنه ان تولى وأعرض عن الاسلام الذى دعاه وأمنه اليه ، فان عليه اثم عامة الشعب فوق اثمه ، لأنه لم يبلغ دعوة الاسلام اليهم ، ثم نبههم الى توحيد الله والامتناع عن اتخاذ أرباب من البشر ، وختم كتابه اليه ، بأنهم ان أعرضوا عما دعاهم اليه ، فليشهد هو ومن معه من أهل دينه أننا نحن المسلون دونهم .

فاقرأ حديث هرقل فى صحيح البخارى — كتاب بدء الخلق ج ١ ص٥ — طبعة قديمة ، قبيل كتاب الايمان مباشرة ، وسترى فيه فصل الخطاب وهدى الحيران بمشيئة الله تعالى .

وكما دعا هرقل الى الاسلام دعا المقوقس عظيم القبط اليه ، ومن ذلك يفهم أن الاسلام الذى يدعو اليه القرآن ويأمن به صاحبه من النار هو الذى يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أجل ذلك يعتبر الايمان به وبالقرآن الذى أنزل عليه أساسا فى الايمان بالله الذى تكون به النجاة من الخلود فى النار ، ويعتبر الكفر به كفرا بمن أرسله وأيده بكتابه العظيم .

« ان الدين عند الله الاسلام »

هذه الآية تقتضى أن جميع الأديان الالهية ، تشترك فى معنى الاسلام وقواعده القلبية والعملية فأما معناه الذى تشترك فيه فهو المعنى العام ، وهو الاستسلام والخضوع لله رب العالمين ، وأما قواعده القلبية فهى الايمان بالله وملائكته وكتبه التى أنزلها على رسله ، وسلمت من تغيير أصحاب الهوى ، والايمان برسله جميعا دون استثناء أحد منهم ، ولا تفريق فى التصديق بينهم ، والايمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب ، والايمان بالقدر خيره وشره .

وأما قواعده العملية المشتركة ، فالاعتراف برسول الأمة ، وبجميع الرسل — سابقهم ومعاصرهم ولاحقهم — وأصول الشرائع والأخلاق ، من صلاة وصيام

وزكاة وبر للوالدين ، وحرمة العدوان بغير حق ، وغير ذلك من عموم الأحكام والعبادات ومكارم الأخلاق .

ومع اشتراك هذه الأصول العملية بين جميع الأديان ، فانها تختلف فى صورها وأحوالها ، لكى تناسب عصرها وأمتها ، فالصيام فى شريعة أمة ، يختلف فى كيفيته ووقته ومقداره عنه فى شريعة أمة أخرى ، والصلاة فى أمة قد تختلف فى كيفيتها وشروطها وأوقاتها عنها فى أمة أخرى ، والزكاة فى أمة قد تختلف فى أنواع الزكويات ومقدار النصاب ومقدار الزكاة ووقت اخراجها عنها فى أمه أخرى ، الى غير ذلك فالأمور المشتركة من العقائد وأصول الأحكام تمثل الاسلام المشترك بين الأديان السماوية ، وهو الذى يعنيه قوله تعالى «ان الدين عند الله الاسلام» وكل ما خالف تلك الأصول فهو من وضع أصحابه كادعاء البشرية فى الله وأن له ولدا وأنه ثالث ثلاثة الى غير ذلك من الفساد فى الأصول .

وكل دين بأصوله المشتركة ، وبفروعه وتفصيلاته الخاصة به ، يمثل الاسلام الخاص بأمته وبرسوله ، ويسمى كل من النوعين اسلاما ، لما فيه من الاستسلام والخضوع لله رب العالمين .

وشريعة كل رسول تنسخ شريعة من قبلها فى أمة هذا الرسول ، وتوجب على أمة أن يدينوا بها ويتركوا الشريعة التى قبلها ، لما فيها من تغييرات تناسبها وفى ذلك يقول الله سبحانه « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** » فان لم يفعلوا فهم برسولهم وبرسالته كافرون ، كما حدث من بنى اسرائيل حين رفضوا رسالة عيسى « **فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون** » .

ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يبلغ الناس عموم رسالته فقال « **قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** » وأيد ذلك بقوله « وما

أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » •

كلمة عن ديانة الصابئة

فى سهول الموصل جماعة يسمون الصابئة ، يؤمنون بأن الخالق واحد أزلى ، لا أول لوجوده ولا نهاية له ، منزه عن عالم المادة والطبيعة ، وهو الذى أوجدها ، ولكنهم مع هذا يتقربون اليه بعبادة الأفلاك والكواكب ، زاعمين أنها أقرب الأجسام المرئية الى الله تعالى ، وأنها حية خالدة ناطقة ، وأن كل ما يحدث فى العالم يكون على حسب ما تجرى به الكواكب حسب أمر الله لها ، فعظموها ثم جعلوا لها تماثيل وأصناما ترمز اليها فعبدوها ، فهم كالمشركين الذين عبدوا الأصنام لتقربهم الى الله وبما أنه تعالى لم يقبل من المشركين اعترافهم بالله خالقا ، مع اشراكهم غيره معه فى العبادة ، فكذلك الصابئة لا يقبل الله منهم اعترافهم بأنه هو الخالق مع اشراكهم غيره معه فى العبادة ، قال تعالى **« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »** فالله سبحانه يرفض الوسائط فى عبادته بقوله **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »** ويقول فى الحديث القدسى **« أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشريكه »** والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

مصطفى محمد الحديدى

الطير

* * *

نظرات هادفة :

عالم الدين عندنا وعندهم

للدكتور محمد رجب البيومى

قرأت قديما قصة البؤساء التى كتبها الاديب الفرنسى الأشهر فيكتور هوجو ، ثم شاهدتها تمثل معربة على الشاشة البيضاء بمصر ، فرأيت رجل الدين المسيحى يأخذ بين أبطال الرواية أرفع مكان اذ تجلى فى أنبل المواقف الانسانية وأقربها الى معانى الايثار والكرامة والتضحية والاحساس حين صوره المؤلف الكبير فى صورة الانسان المثالى الذى يلقى كلمة الله فيواسى المنكوب ويعمل على اسعاد الفقير ويمسح دموع الأيامى والثواكل ، وهو بهذا يقدم رحمة الله لليائسين والتعساء ، وقد رسمه الكاتب فى عدة مشاهد تنطق بهذه المعانى لا فى مشهد واحد !

وأذكر منها موقفه الرائع حين ولج الكنيسة لص مجرم أخذ يجمع التحف ويسرق السجاد والبسط ، وقد عثر عليه الخدم فى لحظاته الأخيرة فاقتادوه مكبلا الى الشرطة وعلم رئيس الكنيسة بالامر فبادر الى المجرم ، وفهم من قصته أنه فقير لا يجد قوت اطفاله ، فسعى الى العفو عنه ، وقدم له من العطاء الجزل ما يفى بحاجته ثم أخذ يقدم له نصائح الحياة ، فى وعظ عملى مؤثر حتى رده الى دنيا العفة والكرامة ، وهكذا شاء الأديب الفرنسى أن يقدم لقرائه ومشاهديه رجل الكنيسة فى أعطر أفق ، وأوسع مرأى وكأنه عندهم ملك لا انسان .

أثار هذا المشهد الرائع فى نفسى

خواطر أليمة ، حين تذكرت موضع عالم الدين الاسلامى لدى نفر كبير من كتاب المسرحية العربية اليوم ، اذ دأب الكثيرون على انتقاصه زورا ، والصاق المثالب به بهتانا وقد يفجر أحدهم فجورا يكذب به على الله وعلى الناس حين يعمد الى مشعوذ أمى فيلبسه عمامة ، ويطلق له لحية ثم يجعله واعظا داعية فى الظاهر ليطلع الناس منه على باطن دنىء كله احتيال وعهر وتسفل ، وهو بعد صاحب عمامة يتلو آية ، ويقرأ حديثا ، ويتمتم على مسبحة ! حتى قدم علينا وقت لا نرى فيه غير أشباه من يسمون (بالشيخ متلوف) فى مذهب هؤلاء ، وهو آدمى هزأة ضحكة يلبس العمامة والقفطان ليرفه عن الحاضرين بحركات صبيانية واشارات بهلوانية ثم ينطق بلغة بين الفصيحة والعامية ، يتقعر فى حروفها ، ويتماجن فى نبرها ليثير الضحك من لغة الضاد أيضا ، وكأن الفصحى هدف آخر للمناوأة والمعاداة ، ثم تنتهى الرواية وقد أوحت ظلالها الكئيبة فى نفوس المشاهدين ، فزعزعت مكانة عالم الدين اذ لا يخلو أمامهم من أحد أمرين ، اما أن يكون عاقلا داهية فهو مراب ولص وفاجر ، واما أن يكون مجنونا مستهترا فهو مهرج بهلوان !

ذلك مزلق وبىء تسقط فيه الاقدام المغرضة سقوطا بعيد المدى سيىء المنقلب لانه فى أبسط نتائجه يوحى بأن الدين الاسلامى قد عجز عن تكوين علمائه تكوينا انسانيا يقدم المثل ، ويعطى الشاهد ، وهو تبعا لذلك أعجز من أن ينشىء أجيالا تفهم معنى الخير والرحمة وتسعى بالتسامح والهداية بين الناس ، وأنا لا ادعى العصمة لعالم الدين ، اذ أنى اعرف أن كل طائفة من الطوائف تضم الخبيث والطيب ، وتجمع الصالح الى الطالح . ومع ما أعرفه من ذلك فانى أقرر أن نسبة الشاذ بين رجال الدين فى الاسلام لا تقاس اطلاقا بنسبة المنحرف من غير رجال الدين بمعنى أن المنحرف من علماء الشريعة يمثل

الاستثناء النــادر لا القــاعدة المطردة ، اما الطوائف الاخــرى فنسبة المنحرفين فيها لا تسـمح بالموازنة بحال ، فماذا يريد هؤلاء المفترون حين يصممون على تشويه عالم الدين ، وكأنه وحده هـدف لكل تجريح •

نحن نعرف أن الاسـقاط مـن الحيل العدوانية لـدى الانسان ، ومعناه أن يرمى الانسان غـيره بدائه لينجو مـن التثريب ، واذا كان عالم الدين هو الهـادى الى البر ، والداعى الى المعـروف ، والمندد بالشرفان هؤلاء النفر من الكتاب يجدون راحة نفسية فى أن يظهروه فى غير مظهره ، وكـأنهم من ناحية أولى يريدون أن ينتقموا لأنفسهم من هـذا الذى يحذرهم

عقوبة الله اذ ينقد مسـالكهم المشبوهة على رءوس الأشـهاد ، ومن ناحية ثانية يقولون للنـاس لا تصدقوا أن مبادىء الاسـلام وأخلاقه الرفيعة شىء عملى يتاح فى الحياة ، ولكنها مسائل نظـرية تقال فقط ! ولو وجدت تطبيقهـا عند أحد لوجدته عند علماء الدين ، وهاهم هؤلاء أمامكم كما يعرضهم الفنانون !

هذا التواطؤ المنكر على تشويه عالم الدين ! لا يقف عند اصطياد الهفـوات العـابرة لتضخيمهـا وتجسيمها كى تذاع على النظارة بألف مذياع ، ولكنه يعمــد الى مواقف الكـرامة المثاليـة لـدى الأفذاذ من العلماء ليشوه وسامتها الرائعة بعـد أن بهرت العيـون وملكت الألبـاب ، وتلك وقاحـة سافرة تتطلب التأديب دون مراء• وواضح أننا لا ندعو الى الاطراء الباطل ، ولكننا ننكر ان يكون عالم الدين وسيلة للاسقاط الدنىء لدى أناس يسرهم ان تكون الرذيلـة قاسما مشتركا بين الجميع ! ولكى اوضـح ما أعنيه مـن الاطـراء المنصف ، استشهد هنا بشخصية العز بن عبد السلام لنـرى كيف نظر اليها روائيان مختلفان !

كان العز بن عبد السلام سلطان العلماء فى عصره ، وكان من المهابة والعزة والكرامة والتجلـة بحيث

أصبح بعض من عناهم شوقى حين قال :

كانوا أجل من الملوك جلالة
وأعز سلطانا وأبهى مظهرا
من كل بحر فى الشريعة زاخر
ويريكه الخلق العظيم غضنفرا

وقد كان بطلا روائيا فى قصة واسلاماه للاستاذ على أحمدباكثير رحمه الله وفى قصة السلطان الحائر للاستاذ توفيق الحكيم ، فلننظر الى ما صنع الكاتبان :

لقد كان الاستاذ باكثير رحمه الله رجل صدق واخلاص وفن ! فقد قرأ تاريخ العز ورأى من شجاعته الرائعة فى مواجهة الطغاة ثم فى مقاومة الصليبيين والتتار معا ، ما كاد يعز نظيره فى عشرات الاجيال ، فعرف أن مواقف الرجل العظيم بحقائقها المذهلة تغنى عن كل خيال فالكاتب عادة لا يلجأ للخيال الا ليزين الواقع ويجمله ويقربه من الخواطر والأذهان ، فاذا كان الواقع نفسه أبهر من الخيال ، فان الكاتب رحمه الله قد جعل من واقع العز بن عبد السلام مجال امتاع خصيب يرضى العقل ويغذى الشعور ويحيى الوجدان ، ولذلك جاءت قصته البارعة « وا اسلاماه » آية للسائلين !

اما الاستاذ توفيق الحكيم فلم يكن رجل صدق واخلاص ، ولكنه كان رجل فن فقط ، اذ جعل العز ابن عبد السلام رجل كفاح ونضال وعزة فى بعض مواقفه ، والى هنا فالكاتب صادق لم يتخيل ما يشين ، ولو دار فى هذا المدار وحده لمضى بخط باكثير من الاتقان ، ولكنه افترى على الحق حين جعل العز عاشق غانية يلين لها ويتوسل !! وما هكذا كان العز ولن يكون وقد كان هذا الانحدار الشائن مدعاة غضب عنيف من الفاقهين ، واذكران المغفور له الاستاذ أمين الخولى قد نقد هذا الاسفاف بجريدة الاهرام نقدا ساطع الدليل ، واضطر الاستاذ توفيق أن يلتمس من يدافع عنه فقال من يبرر مسلكه : ان الروائى لا يتقيد بالتاريخ وانما يريد ان يصور النفس البشرية ، ولكل نفس مهما ارتقت مثالب ومحرجات والعزوان لم يكن فى تاريخه ما يوحى بهذا

المسلك ، فهو بشر ينتظر ان يحدث منه هذا وان لم يحدث !! وهـذا كلام باطل لأن العـز وأمثاله قد تغلبوا على النوازع المنحـدرة وعاشوا فى أفق الطهارة ، فمحاولة الصاق التهم بهم بدعوى أنهـم معرضون لها كبشر ، محاولة هابطة ولها دلالة خبيثة لا تشرف كاتبـا كالحكيم ونحن نسأل الكاتب بربه أيرضى لنفسه ان يجعل منه كاتب آخر بطلا روائيا يصـور السرقة والزنا بدعوى أنه بشر يتعـرض للانحـدار !! واذا كان لا يرضى لنفسه هذا وهو باريسى «متفرنج» أفيرضاه لسلطان العلماء العز بن عبد السلام ! انا لا أتردد لحظة فى ان أقول ان هذا الذى يتجه هذا الاتجاه ممن يتسـترون بالفن ليلصقوا التهم بالشرفاء أحد الذين عناهم الله عز وجل حين قال :

« ان الذين يحبون أن تشـيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » •

ان تاريخ علماء الاسلام عـلى مد عصوره يفيض بسـير أعـلام أئمة ، يصلح تاريخ الواحد منهم أن يكون تـاريخ عصره جميعه ، فأنت اذا تحـدثت عن تاريـخ سعيد بن المسيب أو الحسـن البصرى أو مالك بن أنس أو أحمد ابن حنبل فى قصص تاريخية، تقوم كل قصة على تصوير مواقف العزة والمروءة فستجد من هؤلاء وأمثالهم ما وجده الأستاذ على باكثـير فى العز بن عبد السلام ، وكتـابة تاريخ هؤلاء الافذاذ فى ثـوب قصصى واجب مفروض عـلى المخلصين من رجال القصـة لأن تراجم هؤلاء فى كتب الطبقـات لا تتيسر للشبيبة المتطلعة فى عصر المسرح والسينما والتليفزيون وان قراءة قصة غـرامية أو حكاية بوليسية لأفضل لديهم من صحف قديمة تتحدث عن القدماء ! فـاذا ما نهض فضلاء من أمثال باكثـير رحمه الله لتسجيل حيوات أئمـة رفعوا كرامة العلم وأعزوا كلمـة الاسلام فسيعلم جمهرة القارئين كيف كان عالم الدين فى الاسـلام وكيف يتحدث عنه المتحدثون •

أذكر أن فقيد البيان العـربى

الاستاذ مصطفى صادق الرافعى رضى الله عنه قد كتب فى أوائل الثلاثينيات بقلمه الساحر سير نفر من الائمة على صفحات الرسالة وقد جمعت فيما بعد فى وحى القلم فجذبت الانظار الى نوع من الأدب الاسلامى الحى ،ونفر من حملة الاصلاح الدينى أدوا رسالتهم الحية فى محاربة الشهوات وكانوا بسيرهم الطاهرة موضع الاسوة لمن ينشدون عزة النفس وشرف الحياة ، ولكن أسلوب الرافعى من القوة والعمق والدقة والايغال بالمكان الذى يرضى الخاصة ويعلو على العامة، ولابد لاكمال رسالته فى هذا المضمار من أن تعاد سير هؤلاء الأفذاذ مرة أخرى فى قالب روائى أخاذ ، وأن يقوم بكتابتها جماعة فهموا روح الاسلام فى تنشئة علمائه وابداع حكمائه ، وحين تنتشر هذه السير الرفيعة بين المجتمع المعاصر يستطيع عالم الدين اليوم أن يمثل دور سالفه الغابر ، وقد عرف مكانه الطبيعى من القيادة البصيرة والهدى المستنير ، كما تحتم على المجتمع أن يعلم أن عالم الدين شمس تضىء لا رجل يحتال ويختل ويسف ليعيش !

لقد صدر عن مارتن لوثر وحده فى أوربا اكثر من عشرين رواية أدبية تتحدث عن اصلاحه الدينى كما صدرت روايات هادفة عن اغسطن وكلفن وتوماس ألا كوين ثم رسم هيجو واضرابه صورا زاهية لأناس متخيلين لا حقيقيين يمثلون الشخصية المحترمة لعالم الدين فاذا كان كتاب الرواية عندنا اليوم يقلدون أساتذتهم الأوروبيين فيما يعالجون من فنون • فلماذا لايقلدون صنيعهم المثالى فى تقدير الرسالة الحية لعالم الدين ! ان كان لابد من التقليد المترسم لدى أناس يرون طريق الغرب أقوم سبيل •

د • محمد رجب البيومى

المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف

دكتور رءوف شلبي

كل النظريات الاقتصادية تحاول أن تقدم لشعبها خدمة بقدر مايرى علماء النظرية مقدار هذه المصلحة لبلادهم .

* فالتجاريون حين زعموا أنهم فسروا كمية الثروة لدى كل أمة بالمقدار الذى تملكه من النقد استخدموا هذه الفكرة لتنشيط التجارة الخارجية بوصفها الأداة الوحيدة لجلب النقد الاجنبى وذلك من أجل خدمة اقتصاد بلادهم ورفاهية شعبهم ولذلك نراهم يضعوا معالم سياسة اقتصادية تؤدى الى زيادة قيمة البضائع المصدرة على قيمة البضائع المستوردة من أجل تحقيق عمل تجارى يزيد فى جلب النقد الأجنبى الى البلاد .

* والطبيعيون من بعدهم يفسرون الثروة بأنها الانتاج الزراعى وحده وأنه هو الذى يكفل تنمية الثروة دون التجارة والصناعة وأيضا كان ذلك خدمة لبلادهم من أجل ازدهار الزراعة وتقدمها لأنها فى نظرهم قوام التجارة والصناعة .

* ولما رأى الغربيون أن محاولاتهم كلها لم تحقق الأمل المنشود ورأوا أن الشرق العربى والاسلام هو خزانة المال ومصدر الثروات طلعوا علينا بنظرية « مالتس » التى تزعم أن : نمو البشر أسرع من نمو الانتاج الزراعى وذلك يؤدى حتما ـ حسب زعمه ـ الى مجاعة هائلة فى مستقبل الانسانية وذلك بسبب

زيادة الناس على المواد الغذائية ووجد الحل الذى يريح البشرية من هذه الفجيعة هو تحديد النسل وراحت البلاد التى تعانى من كثرة الأيدى العاملة تنادى بفكرة تحديد النسل .

وتلقف الاقتصاديون فى البلدان العربية والاسلامية نظرية « مالتس » وروجوها ، وزج علماء الاجتماع بأبحاثهم فى الميدان ثم زج السياسيون بسطوتهم فرض تحديد النسل كعمل قومى وراحت البلاد التى تعانى من قلة الايدى العاملة تنادى كذلك بفكرة تحديد النسل ، واعتبروا ذلك حلا .

ثم دس الاشتراكيون أنوفهم المزكومة فى ميدان الاقتصاد رغم أنهم فاشلون فيه زراعيا وصناعيا — وزعموا انهم كشفوا القوانين الطبيعية التى تتحكم فى التاريخ وقالوا بحتمية الصراع بين الطبقات ، وحكم البوليتاريا ومن العجيب أن صاحب النظرية كان يعيش فى انجلترا عام ١٨٤٨ م ابان حملة العمال الانجليز وثورتهم من أجل الأجور واستطاعت الحكومة البريطانية حل الازمة عن طريق التشريع وانتهت ثورة العمال الى الابد ولم تتحول بريطانيا الى دولة شيوعية ، رغم أن ماركس كان يكتب ورقاته ابان ثورة العمال فى انجلترا وشاهد حلها لكنه كان « رجماسيا » فاسد المزاج ، ديكتاتورى الرأى فلم يعبأ بما حدث واستمر يكتب الورقات وها هو التاريخ يقرعه فى قبره فى لندن ان العمال فى انجلترا لم يحولوا بريطانيا الى دولة شيوعية كما كان يحلم صاحب السخيمة الاحمق .

ومع هذا يجنح حكماء العرب الى موسكو ظنا منهم أن كعبة المال السخى والمدد الممدود سوف تغرقهم فى نعيم الاشتراكية .. ومع الحفاء الذى تعانيه الشعوب الاشتراكية والمرض والجهل ، ومع الظلم والبغى فما زالت حفنة منهم تظن أن الحل النبيل هو فى النظام الاشتراكى .

وان النتائج المذهلة التى ترتبت على اقتصاد فاشل فى الغرب وفى

الشرق الشيوعى قد جعلهـا قومنا محاور للاصــــلاح الاجتماعى والاقتصادى •

(أ) فالاشتراكية الفاشــلة فى نظر بعض حكام الامة العـــربية والاسلامية هى عندهم طـــريق الاصلاح الاقتصادى •

ولقد جربت الشيوعية وكان من حصيلة تجربتها : ـــ

(أ) مصانع متخلفة لا تصــلح للعمل •

(ب) عمالة فاسدة لفشل المصانع فى تحقيق ارباح لرداءة منتجاتهـا وعدم قدرتها على سد الديون •

(جـ) دين باهظ يتراكم نتيجـة تخلف المصانع وسوء ادارة الانتاج وفساد التوزيع •

(د) بيوقراطية كسيحة جعلت الصناعة قزما •

(هـ) تعطيل طاقات العمـــل الزراعى بتحويل عمال الزراعة الى المصانع لا من أجل الانتاج بل من أجل ايجاد جناح عمالى يستخدم فى المظـــاهرات والمضــــاربات السياسية •

فاذا أضيف الى هذا ما جــرته الشيوعية على بلادنا من : ـــ

(أ) المعتقلات التى مازال اثرها الى اليوم فى نفوس شبابنا خوفــا ورعبا وعدم ثقة فى كثير من حياتنا المعاصرة •

(ب) تجميد الطاقات البنــاءة المتحررة فى نفوس المحبين للعمل الاقتصادى •

(جـ) ارهاب رأس المال الاجنبى من دخول البلاد خوفا من المصادرة والتأميم والحراسة •

(د) زعزعة الثقة فى نظام الحكم واشاعة سقوطه لا رجاف النقـــد الاجنبى من دخول البلاد لتظــل البلاد فقيرة ليفرخ فيهـــا الوباء الاشتراكى فان الاشـــــتراكية لا تعيش الا وسط أكوام المــرض والفقر والجهل والرذيلة •

ولهـــــذا فان الجنــوح الى الاديولوجيةالاشتراكية خطأ دينى أولا ، ووطنى ثانيــا لأنها نظرية فاشـــلة لم تستطع أن تنجح مع

ما يحرسها من السلاح المدجج والسلطان المستبد .

ب : وتحديد النسل كنتيجة أوربية دعا اليها ديكلردو لمعالجة قضايا العمال كان يراعى فيها :

* ضيق الارض فى البلاد الأوربية .

يضاف الى ذلك : —

* ضيق التدين فليس لديهم دين يعطيهم مفهوما كاملا عن الكون والرزق وقدرة الله .

* والتطلع الاستعمارى لبلاد العرب والمسلمين لكثرة خيراتها ، ولن يمكنهم ذلك الا اذا اضعفت فى العرب والمسلمين القدرات العقلية الفياضة وذلك يتأتى عن طريق تحديد النسل .

وتحديد النسل خرافة لأن الله جل جلاله هو الكبير المتعال وهو الفعال لما يريد ، وان الله بالغ امره فأية قوة تستطيع أن تحدد ما قرر خلقه ، أو تقف دون ارادته، أو تناوىء قدرته ؟ كلا وألف كلا .

ولست أريد أن أعرج على أدلة الدين فى هذه القضية بل سأعرج على افتراض عقلى صرف وهو لو فرضنا أن الله اراد أن يوجد فى عام ١٩٨٠ مليون نسمة فى مجتمع معين وأراد أهل المجتمع أنيحددوا النسل فعقموا ثلاثة أرباع النساء فيه أفلا يمكن أن يوجد الله هذا المليون من بقية النساء .. ؟؟

ولقد فشلت جميع وسائل تحديد النسل الا وسيلة واحدة هى العقم فهل تستطيع الحكومات ان تغامر بهذه المخاطرة .. ؟؟

ان تجربة الاشتراكية فى العالم العربى والاسلامى تشير الى خطأ ممارسة اتباع هذه الايديولوجية .

وان الدعوة الى تحديد النسل تبعية الى اديولوجية اقتصاد غربى

---

(١) يراجع فتح البارى جـ ٥ ص ٣١٥ ، ٣١٠
وكتاب احياء علوم الدين جـ ٢ ض ٥١ ، ٥٢
وكتابنا استوصوا بالنساء خيرا ص ١٢٠ ، ١٠٣

فاسد فاشل وكلاهما فاسد وكلاهما خاسر لان الله تبارك وتعالى حكم منذ الازل •

ان الله لا يصلح عمل المفسدين •

فهل من توبة نصوح عسى ربنا أن يرحمنا ويرزقنا من حيث لا نحتسب فان قوله صدق **« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب »** •

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا » •

الخاتمة

الامكانات العربية في مواجهة التحدى الخارجى

تقع الامة العربية فى منطقة استراتيجية هامة فهى مركز الاتصال بين القارات وهى كذلك مصدر تمويل للعالم بكثير من المواد الأولية التى تقوم عليها الحياة الصناعية بل والاجتماعية فى أوربا واليابان وأمريكا •

لقد كانت الامة العربية فى بدء القرن العشرين فقيرة وكانت ممزقة للسطو الاستعمارى عليها •

واليوم وقد اظهر الله ثراءها اباهظ فى الموارد الطبيعية وفى النقد الحر ، وفى القوة البشرية وفى العلم والبحوث •

* ففى الامة العربية مساحات بالملايين لما تزرع حتى الآن وفى السودان وحده ٢٠٠ مليون فدان صالحة للزراعة وتحفها المياه من النيلين الازرق والابيض •

وفى العراق وسوريا حوالى ٣٠ مليونا وهذه امكانات معطلة ، تحتاج الى وحدة فى الضمير تجمع شتات الامة العربية بنية خالصة لاستثمار هذه المساحات لتغطية حاجات العالم العربى والاسلامى من الغذاء •

فالمعركة المعاصرة ليست معركة سلاح بقدر ما هى معركة تجويع •

* وفى الأمة العربية طاقات هائلة من البترول والغاز الطبيعى • والمعادن الاخرى ففى الجزائر : معادن الرصاص ، والزئبق ،

والنحاس ، الحديد ، الفوسفات وبها ١٠٪ من الغاز الطبيعى الذى يغطى احتياجات العالم ٠

وفى دولة الامارات العربية المتحدة: بترول يستخرج يوميا من حقوله ٢ مليون برميل ٠

وفى الكويت : بترول يقدر بـ ١٠٠ مليون طن سنويا بالاضافة الى المعادن الكيماوية ٠

وفى ليبيا : يقدر البترول المستخرج من الحقوق سنويا بألف مليون برميل ٠

وفى المغرب : معادن الزنك ، والحديد ، والفوسفات والمنجنيز ، والفضة والفحم وهى مصدر طبيعى للأسماك ٠

وفى قطر : يقدر انتاج البترول سنويا بمبلغ ٣٥٠ مليون دولار بالاضافة الى الحديد ، والغاز الطبيعى ، وبعض المحاصيل الزراعية ٠

وفى السعودية : الرخام ، والنحاس ، والحديد ، والاسمنت وبلغ دخلها من البترول عام ١٩٧٤م ٤١٧ بليون دولار ٠

وفى مصر : الغاز الطبيعى ، والبترول ، والزراعة ، وقناة السويس والمحاصيل الزراعية ٠

يضاف الى هذه الامكانات امكانات استراتيجية فالامة العربية هى صاحبة البحر الاحمر وهى المتحكمة فى مضايق البحر الابيض المتوسط والخليج العربى فما الذى يجعل الامة العربية عضوا فى دول العالم النامى ؟؟

أرأيت لو أن هذه الامكانات مع اسرائيل ماذا كانت تفعل ؟

ان العالم العربى يسأل يوم القيامة عن ضياع أرضه وأمته وعن فقر شعوبه لأن الله :

* اختار له الاسلام دينا وهو منهج حياة عليا ٠

* اختار له الموقع الاستراتيجى الهام ٠

* وأعطاه من الامكانات مالا معذرة معها ٠

* وجعل فيه من القوة البشرية

ما يكفي لاقامة حضارة رائعة في السياسة والعسكرية والرخاء ، والعلم والأمن الدولي .

فلم يذهب العرب الى روسيا أو الى أمريكا أو الى أوربا .. ؟؟

ان العرب سيسألون يوم القيامة عن كل هذه النعم وعن رسالتهم في الحياة فبماذا يجيبون ؟؟

ألا هل بلغت اللهم فاشهد

دكتور : رءوف شلبي

تضع ست توائم بنات

نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٠/٦/٣٠ بأن سيدة في مدينة طما محافظة سوهاج قد وضعت ست توائم بنات وجميعهن في حالة صحية جيدة .

من مراجـع البحث

* **القــرآن الكريم**
* **فتح البارى : شرح صـــحيح البخارى** — المطبعة السلفية
* **كتاب الخــــراج : للقاضى أبى يوسف يعقوب ابن ابراهيم** — المطبعة السلفية
* **الربا فى نظر القانون الاسلامى** — للمرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز
* **المال والحكم فى الاسلام** — للشهيد الاستاذ عبد القادر عوده
* **خلاصة الاقتصاد السياسى** — الدكتور حسين على الرفاعى
* **تاريخ أوربا الاقتصادى** — دكتور أمين مصـــطفى عفيفى عبد الله واخر ٠
* **اقتصـــادنا** — العلامة محمد بافر الصدر
* **الاقتصاد الاســلامى** — للمرحوم الدكتور عيسى عبده
* **التضليل الماركسى** — دكتور : رءوف شلبى ٠
* **العمل الاقتصادى من وجهــة نظرا الاسلام** — دكتور : رءوف شلبى ٠
* **المبادىء الاقتصادية فى الاسلام** — دكتور : على عبد الرسول ٠
* **فى الاقتصاد الاسلامى** — المرحوم الدكتور محمد عبد الله العربى
* **العدالة الاجتماعية فى الاسلام** — الشهيد سيد قطب

* **النظام المالى فى الاسلام**	المرحوم العلامة أبو الاعـــلى المودودى
* **الربـــا**	
* **النظرية العامة فى الاقتصاد**	ترجمة نهاد رضا ــ تأليف جون ميركنز
* **فى مبادىء الاقتصـــاد**	دكتور : محمد خليل برعى
* **الاسلام والاوضاع الاقتصادية**	العلامة الشيخ محمـــد الغزالى
* **التكافل الاقتصادى فى الاسلام**	دكتور : على عبد الواحد وافى .
* **الاسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة**	الاستاذ : محمد اسماعيل .
* **نظرة الاسلام الاقتصادية**	عبد الحميد أحمد ابو سليمان .
* **نظرية التوزيع**	الاستاذ رفعت العوضى .
* **السياسة المالية فى الاسلام**	الاستاذ عبد الكريم الخطيب .
* **الاسلام والتكافل الاجتماعى**	للاستاذ الاكبر الشيخ محمـــود شلتوت .

الشعر الحديث والقصيدة العمودية

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

القصيدة العربية العمودية ، التى يمتد عمرها الى آلاف السنين والتى ورثناها عن المهلهل وامرىء القيس وشعراء المعلقات .

— ١ —

القصيدة العربية العمودية هى:
التى نهج نهجها جميع الشعراء على مدى العصور حتى اليوم ، والتى أدت جميع أغراض الشعر والشاعر ، وخدمت جميع قضايا العروبة والاسلام ، على اختلاف الأجيال ، والتى أكبرها الدارسون والعلماء والنقاد ، بل المستشرقون الذين ترجموها الى كل اللغات العالمية ، حتى ان المستر : وليم هونر أكبر قصيدة المعلقات وترجمها الى الانجليزية ، ونوه بصورها وخيالاتها وبحيويتها أيضا ، ودعا الشعراء الانجليز الى خلق حركة تجديد فى الشعر الانجليزى تأثرا بها .. هذه القصيدة خالدة ، وستبقى حية ومتجددة على مر العصور .

وموسيقى هذه القصيدة العمودية الداخلية والخارجية ، المتمثلة فى الوزن والقافية ، صارت من الأصول الفنية للقصيدة العربية ، وصارت تمتلك ناحية

التأثير الكبير فى الجماهير العربية وتقود ثوراتها دائما الى التقدم والحرية •

ان مدائح المتنبى فى سيف الدولة مثلا ، لم تكن مجرد مدائح فى مناسبات طارئة ، انما كانت أغانى وطنية تمثل روح الشعب العربى العظيم ، فى دفاعه عن حرياته ضد الغزو البيزنطى لبلاده — فى القرن الرابع الهجرى — العاشر الميلادى — وقصيدة أبى تمام مثلا فى مدح المعتصم بمناسبة انتصاره فى عمورية — فى اوائل العشرينيات فى القرن الثالث الهجرى — كانت تمجد البطولات الاسلامية الظافرة ضد جيوش بيزنطة فى سهول آسيا الصغرى •

ولم يمجد الشعراء العرب على اختلاف العصور الحكام بمقدار ما مجدوا الشعوب العربية فى حركتها المستمرة نحو الحضارة والتقدم ، وفى انتصاراتها ضد أعدائها فى كل مكان ••

وقد تطورت هذه القصيدة العمودية ، منذ وضع الخليل بن أحمد عروضها الشعرى ، فشملت الموشحات ، وشملت الأوزان المولدة الجديدة ، وشملت ضروبا من التجديد فى القافية أحدثته مدارسنا الشعرية المتعاقبة ، ومن أواخرها : مدرسة البعث ، ومدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ومدرسة شعراء المهجر •

بل نظم الشعراء العباسيون والأندلسيون الملاحم التاريخية ، ونظم من أتى بعدهم ملاحم فى السيرة النبوية ، ونظم الشعراء الصوفيون القصائد الصوفية الطويلة فى الحب الالهى ، ونظم شوقى البردة ، كما نظم ملحمته عن كبار الحوادث فى وادى النيل وملحمته الأخرى فى التاريخ الاسلامى العظيم فى كتابه : «دول العرب وعظماء الاسلام » •

ولم تضق القصيدة العمودية — التى ورثناها عن شعرائنا ، والتى لايزال ينظمها شعراؤنا العموديون حتى اليوم — صدرا بأية خاطرة أو فكرة أو غرض من أغراض الشعر والحياة ، حتى الملاحم والقصص الشعرية كتب فيها الشعراء قديما وحديثا •

ومع أن القصيدة، لابد فيها عند علماء الشعر من أن تكون أبياتها من بحر شعرى واحد ، وأن تلتزم فيها قافية واحدة ، فقد نظم الشعراء المحدثون من « مجمع البحور » كما فعل أبو ماضى فى قصيدته : « الشاعر والسلطان الجائر » ، وكما فعل غنيم فى بعض قصائده وكما فعل عزيز أباظة فى ملحمته : « من اشراقات السيرة الزكية » . بل كما فعل شوقى فى مسرحياته ، التى أبدع فيها كل الابداع ، ووضح بها أن الشعر العربى لايعجز عن نظم التمثيلية ولا يعجز عن الحوار وتمثيل الصراع .

وبذلك : صارت القصيدة يمكن أن تشتمل على عدة أوزان ، اذا تعددت مواقفها وأفكارها .

وعدد المعاصرون كذلك — من أمثال : مطران ،وشكرى ،وشعراء الديوان ، وأبولو ، والمهجر — القافية فى القصيدة الواحدة ، مجاراة لفن الموشحات الأندلسى ، وتحررا من سلطان القافية، وجعل الكثير منهم كل مقطع يمثل تيارا فكريا متميزا فى القصيدة ..

وبذلك : صارت القيود الفنية فى القصيدة ضيقة غاية الضيق ،أو قل : صارت سهلة غاية السهولة . مع أن الفن هو الفن لابد فيه من القيود ، والمثل الفرنسى يقول : « لايحيا الفن بغير القيود » ، بل ان الفن فى رأيه : هو العبور الى الانطلاق من خلال القيود .

والشاعر الموهوب لاتعوقه أبدا قيود الوزن والقافية ، كما يقول أبو شادى فى مقدمة ديوانه « الينبوع » :

« وفى تراثنا الشعرى نظام المسمط والأرجوزة والموشحة وعكس البحور ، ويضاف الى ذلك ماجد من أوزان شعرية ، ومن تنويع القافية والوزن فى القصيدة الواحدة ، مع بقاء الروح الشعرى والهيكل التراثى لها ، والموسيقى الحلوة الرفافة المؤثرة » .

ولاننسى : أن القصيدة العمودية بعروضها قد قلدها الشعر الفارسى والتركى ، بل والعبرى أيضا .. كما أنها استخدمت فى الشعر القصصى

والملحمى والمسرحى ، وبــذلك صارت مطواعة للتعبير عن مطالب الحياة ، وأقطار الشاعر .

وقد نظم الشاعر الفــرنسى : « لويس أراجون » بعض شــعره على نهج الشعر العمودى ، فقسم بيته الى مصراعين وقفاهما تقفية عربية ، وعد ذلك كشفا جديدا .

ـ ٢ ـ

ولقد حدث فى الثلاثين ســنة الأخيرة أن نظم شعراء الشـباب قصائد من الشعر الحر ، وبـدأت الدعوة الى هذا الشعر الحــر تظهر فى كتابات كثيرة ، بل لقــد غالى بعض الكتاب ، فــزعم أن عمود الشعر قد انتهى الى الأبد ، وانتهت معه القصيدة العمودية الى غير رجعة ، وانتهى معهما الشعراء العموديون بلا رثاء أو رحمــة !! كأنما هم أعداء لايستريح شعراء الشعر الحر الا اذا أجهــزوا عليهم .

هذه الدعوة تأثرت فى أكثــر الأمر بمذهب الشاعر الأمريكى : « والت هوتمان » الذى هجــر الأوزان فى معظم شعره ، ولــم يهتم بالقافية .

وكان بعض الشعراء فى أوربـا قد شــكوا فى ضرورة الــوزن للشعر ، وان لم يلق رأى هــؤلاء جميعا أنصارا كثيرين فى الولايات المتحدة ، وفى بلجيكا .

أما فى انجلترا وفرنسا : فلــم يصادفوا نجاحا يذكر .. وفى عام ١٩١٧ نشر « اليوت » : ديــوانا شعريا خرج فيه على نظام الشعر القديم وزنا وقافية .

وشــعراء الشعر الحر بــدءوا فقيدوا أنفسهم بالشكل الهرمى ، تفعيلة فى البيت الاول ، واثنتان فى الثانى ، فثلاث ، فأربع ، فخمس مثلا ، ثم يعــودون بالعكس الى نهاية القصيدة : خمس تفاعيــل ، فأربــع ، فثــلاث ، فاثنتــين ، فواحــدة .

ومن الشعراء الذين ينظمــون هذا الشعر الحــر من يتأثرون بالطريقة القديمة ، فيلتزمــون فى أحيان كثــيرة القافية ، كنزار والفيتورى ، ومنهم من يتركهــا كنــازك والســياب فى أغلب شعرهما ..

وهكذا : صار الشاعر (الحر) لايتقيد بنظام التفاعيل العروضية، ولايقيد البيت بنظام الشطرين ، وكأن التفعيلة العروضية هى الاناء الموسيقى للشعر الجديد .. بل ان منهم من ترك التفعيلة نهائيا باسم التجديد ..

وهكذا : صار الشعر الحر تغييرا كاملا لنظام القصيدة العمودية ، وأصبح يحاول اسدال الستار على تراثنا الشعرى كله ، دون أن يملك الموسيقى أو العروض الشعرى الذى يبرر له أن يزعم ذلك ، ودون أن يملك زمام التأثير على الجماهير ، وعلى أذواق الشعب ومشاعره . ودون أن تصمد قصيدة من قصائده لروح الغناء والفن الأصيلة .

ومع ذلك صار هذا الشعر الجديد يحطم عمود الشعر العربى بقسوة وعنف مع أن جميع النقاد العرب فى القديم والحديث حذروا من الخروج عليه ، وعدوا ما خرج عليه من النظم ليس شعرا على الاطلاق .

الشعر فى أساسه فن ، والفنون هى القيود ، ويقول نيتشه : « الفن هو الرقص بالقيود والأغلال » .

وعمر الشعر الحر ثلاثون عاما، ولايملك أية قدرة خارقة على تحطيم الجبل الأشم الذى يمثل القصيدة العمودية ، واليوت الشاعر الانجليزى يقول : « اذا أردت أن تجدد فى الشعر فيجب أن تكون جذورك عميقة فىالماضى» .. وهذا هو الطريق الصحيحة للتجديد ..

هل صار شوقى وحافظ وعزيز أباظة وشعراء الثلاثينيات — الديوان وأبولو — بل ومن عاصرهم أو سبقهم من أعلام الشعر العربى على مدى العصور يستحقون منا الآن نرجمهم بالحجارة وندعى أنهم غير جديرين بالخلود والتقدير من أحد ؟

لقد صاحب نشأة الشعر الحر دعوات لتحطيم عمود الشعر ، ونحن نعلم أن الشعر الحر قبل أن يظهر عندنا ظهر فى أمريكا وأوربا ، ونظم منه « اليوت ، وما يكوفسكى ، وهوتمان،وسواهم

كما نعلم أن فى أوربا مدارس أدبية تتبنى تحطيم القديم بحثا عن شىء جديد،من مثل: التعبيريين والعبثيين وغيرهما ، وفى مجموعة : (فجر الانسانية) التى أصدرها الشعراء التعبيريون صدى لذلك .

ان أرسطو يقرر فى كتابه « الشعر » أن الفنون الشعرية الكبرى لابد أن تستخدم كل أدوات المحاكاة ، من الايقاع والوزن والانسجام . بينما لم يستطع الشعر الحر اثارة القارىء ولا السامع ، لفقدانه الموسيقى الخارجية دائما ، وأحيانا كثيرة جدا يفقد الموسيقى الداخلية أيضا . وقد سماه العقاد وعزيز أباظة والزيات وصالح جودت ، وآلاف الدارسين والنقاد : الشعر المنثور . وعادت نازك الملائكة فى ديوانها الرابع (شجرة القمر) الصادر عام ١٩٦٨ تتنبأ بوقوف تيار الشعر الحر ، وبأن الشعراء لابد أن يرجعوا الى الاوزان الشطرية ، بعد أن خاضوا فى الاستهانة بها ، والخروج عليها .

ولها الحق فى ذلك بعد ظهور ما يسمى قصيدة النثر ، وبعد أن أصبح الغموض والرمز والمضامين الغريبة تحيط بالشعر الجديد احاطة السوار بالمعصم ، وبعد أن صار اهتمامه بالاثارة والرمز الاسطورى والتفكير الدرامى أكثر من أى شىء آخر .

لقد حدثنا السياب أنه هو وجماعة جلسوا يوما فى مقهى من مقاهى شارع أبى نواس فى بغداد .. وكتبوا قصيدة حرة ، توخوا فيها أن تكون خالية من أى معنى أو مضمون ، وبعثوا بها الى مجلة أدبية مشهورة ، بعد أن ذيلوها بتوقيع مستعار « سميرة أحمد العلنى » ونشرت المجلة القصيدة فى مكان بارز ، وجاء بعض أدعياء النقد فصنف الشاعرة سميرة التى ليس لها وجود ضمن الشعراء المبدعين من شعراء الشعر الحر ، وتنبأ لها بمستقبل مرموق !!

ولا يزال الهجوم على القصيدة العمودية صناعة كثير من الناس فهذا معين بسيسو يقول كما كتب فى صحيفة كبيرة : ان الشاعر

العمودى يرتطم صوته وتسقط قافيته ، ويجىء الشعر الحر كالصاعقة الكهربائية ، التى تلتهم القصيدة العمودية وتذروها رمادا » .

لقد ذكر العقاد أن سليقة الشعر العربى تنفر من الغاء القافية كل النفور ، كما تنفر من طرح الموسيقى فى شعر الشعراء الجدد .

ولطه حسين رأى مشهور نختم به هذه الكلمة ، قال : « ان التجديد فى الأوزان أو القوافى دعوة غير منكرة وغير جديدة » .. وبالطبع التجديد فيهما غير الالغاء .. ثم يقول : « والجدير بالبحث فى الشعر الجديد هو البحث عن توافر الأسس التى يجب أن تراعى فى الفن الشعرى ، والخصائص التى ينبغى أن تتحقق فيه ، ولا يمكن أن يعد هذا الجديد شعرا الا اذا قام على تلك الأسس ، وتوافرت فيه تلك الخصائص ، ولست أرفض الشعر لأنه انحرف عن عمود الشعر القديم أو خالف الأوزان ، (المخالفة خلاف الالغاء طبعا) التى أحصاها الخليل ، وانما أرفضه حين يقصر فى أمرين :

الأول : الصدق والقوة وجمال الصورة وطرافتها .

والثانى : أن يكون عربيا لا يدركه فساد اللغة ولا الاسفاف فى اللفظ . وقديما قال أرسطو : يجب قبل كل شىء أن نتكلم اليونانية . فلنقل : يجب قبل كل شىء أن نتكلم العربية .

وأقول مع عميد الأدب العربى: انه يجب أن يكون ما ننظمه ــ قبل كل شىء مما يصح أن يسمى شعرا .

د. محمد عبد المنعم خفاجى

التصوف والعلوم العصرية

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

مفهوم التصـــوف : ينبغى أولا على هذا الفهم هو الصوفى الحق ،
تحديد مفهوم التصوف ، فقـــد يظن الكثيرون أنه شىء جـديد فى الاســـلام ، ولكنه هو جوهـر الاسلام وحقيقته ، بل هـو المنهج الامثل له ، لانه يعنى بتنقية الخلق ، وتهذيب النفس وتخليصـــها من شوائبها ، كما يعنى بمراقبة اللـــه تماما ، ومحاسبة النفس فى دقـــة بالغة ، ويهدف الى التعرف عـلى اللـــه عن طريق أداء الفـــرائض والنوافل ، والاذكار فى أدب ودأب واخلاص وخشوع •

وباختصار : هو مقام الاحسان الذى ورد فى حقه الاثر الشريف : **« الاحسان أن تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »** •

هذا هو التصوف ، وسالك طريقه أما غير ذلك : فهو اما جاهـــل بحقيقته أو منحرف فى طريقته ، وكلاهما لا يسمى صوفيا •

وبعد : فما العلم فى نظر الصوفية ؟

العـلم فى نظـــر الصـــوفية هو ما هداك الى الله لا ما أبعدك عنه • والعلم فى رأيهم : خلـــق محض وتهذيب مطلق ، ويســـتوى فى ذلك النظرى والعملى •

والصوفية لا يعارضون العلوم الحديثة بفروعها المختلفة طالما كان الهدف من ورائها ادراك سر الوجود واستنباط الدليل على قدرة الموجود ، الذى دعانا الى التفكـــر **« وفى أنفسكم أفلا تبصرون »** ويقـــول جل وعلا : **« سنريهم آياتنـــا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم**

أنه الحق » . ويقول : « **وما يتذكر الا أولوا الالباب**» بعد قوله تعالى : « **يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا** » .

ويقول : « **ولتعلموا عدد السنين والحساب** » . ويقول « **وما يعقلها الا العالمون** » . الى غير ذلك من الآيات الكريمة التى تدعو الى التعلم والتفكر .

والذى يتهم الصوفية بالجمود غير منصف لهم . وانما شاع بين طوائف مدعى التصوف أن العلم حجاب ، وأن العقل عقال ، حتى أصبحت هذه الشائعة بكل أسف تكاد تكون عقيدة راسخةبين هؤلاء.

ولكن الذى يعنينا : هو موقف المستنيرين من أهل التصوف ، الذين تحققوا بالدين ، وتسلموا باليقين ، ومضوا على درب من تقدمهم من الصحابة الأجلاء ، والتابعين الأوفياء ، وكانوا فى منتهى الجرأة حين وجهوا أنظارهم الى السماء وأفلاكها ، والمخلوقات وأجناسها ، باحثين عن الحقيقة المجردة ، وقد أدركوا من وراء ذلك أسرارا عزيزة يوحى الفطرة السليمة ، والنظرة الثاقبة ، والالهام الصادق ، والرغبة الأكيدة فى معرفة واجب الوجود .

رائد الصوفية : ولقد كان رائدهم فى ذلك الامام : على كرم الله وجهه الذىيعتبرونه مورثالعلم الصوفى بل هو باب مدينة العلم ، الذى منه يلج المتفكرون فى خلق السموات والارض ، ويستخرجون منها كنوز المعرفة والتبيان . اقرأ قوله رضى الله عنه فى وصف الخفاش : « ومن لطائف صنعته ، وعجائب حكمته ما أرانا من غوامض الحكمة فى هذه الخفافيش ، التى يقبضها الضياء الباسط لكل شىء ويبسطها الظلام القابض لكل حى ، وكيف غشيت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدى به فى مذاهبها ، وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها فسبحان من جعل الليل سكنا وقرارا ، والنهار معاشا ، وجعل لها أجنحة من لحمها ، تعرج بها عند الحاجة الى الطيران كأنها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب الا أنك ترى مواضع العروق بينة أعلاما ، لها جناحان لم يرقا

فينشقا ، ولم يغلظا فيثقلا .. فسبحان البارىء لكل شىء على غير مثال خلا من غيره .. » .

واقرأ قوله فى وصف الجرادة : « خلق لها عينين حمراوين ، وأسرج حدقتين قمراوين ، وجعل لها السمع الخفى ، وفتح لها الفم السوى ، وجعل لها الحس القوى ، ونابين بهما تقرض ، ومنجلين بهما تقبض ، يرهبها الزراع فى زرعهم ، ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا بجمعهم ، حتى ترد الحرث فى نزواتها ، وتقضى منه شهواتها ، فتبارك الله الذى يسجد له من فى السموات طوعا وكرها .. » .

فبغض النظر عن البلاغة التى أحكمت نسج هذه العبارات ، وأضفت على البيان روعة وجلالا ، نجد من وراء ذلك أفكارا دقيقة ، ومعانى عظيمة ، تشهد بتصويب النظر فى روائع ما خلق الله ، لاستنباط دلائل القدرة الالهية الفائقة ، وشهود عظمة الخالق فى خلقه ، ومن وراء ذلك علوم جمة مكتسبة بالفكر والتروى ، وهذا هو معنى التوحيد ، والهدف من هبة العقل للانسان .

انما يخشى الله من عباده العلماء : لقد كانت خشية الله هدفا ساميا من أهداف الصوفية ، والعارفون بالله أخشى الناس لله ، والمعرفة أساسها العلم ، وليس العلم الدينى فقط ، بل العلم بما تحويه الدنيا من عوالم تخطف بصر الناظر ، وتلفت ذهن المتفكر ، وتبعث على التأمل ، ولقد جاء قوله تعالى : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » بعد كلام يلفت الله فيه النظر الى ظواهر كونية تستحق البحث والدراسة : « **ألم تران الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود — ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك** ... » .

ولقد ورث الصوفية الحقيقيون هذه الفطرة السليمة ، فنادوا بأن يستغل الفرد قدراته الممنوحة له فى الوصول الى الحق ، وبرز منهم من برز فى مختلف العلوم والفنون ولم تقف مجهوداتهم عند التبحر

فى علوم الشريعة وما وراءها من أسرار ، ولكنهم برزوا فى الكثير من الكثير من علوم الحياة : من تاريخ ، وتقويم ، وهندسة ، وطبيعة وغيرها من العلوم يستوى فى ذلك السابقون فى العصور الاولى ومن جاءوا بعدهم فى العصور المتأخرة •

ونستشهد فى ذلك بالمقريزى صاحب المؤلفات المتعددة التى تشهد بسعة علمه : فى التاريخ ، والخطط ، والترجمة ، والسكة ، والأوزان ، والمقاييس ، فضلا عن التوحيد ، والحديث ، والفقه ، وان غلبت شهرة التاريخ عليه ، يقول السخاوى المعروف بدقة النقد — فيما ترويه مقدمة كتاب الخطط — عنه « انه كان على جانب عظيم من حسن الخلق ، وكرم العهد ، وكثرة التواضع ، وعلو الهمة ، والمداومة على التهجد والأوراد ، وحسن الصلاة ، والملازمة لبيته » •

ولا أدل على تواضعه من قول المقريزى نفسه فى مقدمة كتاب الخطط :

وما أبرى نفسى اننى بشر
أسهو وأخطىء مالم يحمنى القدر
ولا ترى عذرا أولى بذى زلل
من أن يقول مقرا اننى بشر

هذه شنشنة صوفية ، وهى طريق الوصول ، فمن تواضع لله رفعه ، وأنار له سبيل الفهم والمعرفة •

ونستشهد أيضا بالدميرى صاحب كتاب « حياة الحيوان » الذى كان رائدا لكثير من علماء الفرنجة حتى اعتنوا بهذا الكتاب ، ودرسوه وحققوه واستفادوا منه ، واشتهر فى الاوساط العلمية فى «أوربا» بأنه كتاب عظيم قيم ، وقد استطاع — كما تقول مقدمة الكتاب التى كتبها الدكتور حسين فرج زين الدين ونشرتها دائرة معارف الشعب — أن يلعب دورا هاما فى الثقافة الغربية ، فكثيرا ما اقتبس منه العلامة « لين » واقتبس عنه « وستنفلد » واستعان به العلامة « بوكارت » والعلامة « هاذل » وغيرهم من أعلام المستشرقين •

هذا الرجل العظيم الذى يقول عنه « لوسين ليكلير » : انه أعظم عالم فى علم الحيوان أنجبته العرب ،

كان نموذجا صوفيا عظيما ، ومازال مسجده فى حى «الحسينية» بالقاهرة عامرا ، وله فيه مشهد يزار •

وقد اخترت هذين الشاهدين من القرون المتوسطة • فما بالك بالقرون الاولى ! حيث كان المسلمون فى أوج نشاطهم ، وعنفوان قوتهم ، وفورة تمسكهم بدينهم ؟

الشعرانى والعلم :

وفى القرون المتأخرة من لدن القرن العاشر الهجرى وما تلاه ، برز صوفيون آخرون • من أمثال: الخواص والشعرانى والدباغ وعبد الله بن المبارك وغيرهم ، وقد يظن ظان أن هؤلاء كانوا غفلا من العلوم الحديثة المبنية على التجربة والمشاهدة ، ولكنهم بوحى من الالهام الصادق ، والفطرة الصافية ، هداهم الله الى ما اهتدى اليه الأوربيون بتجاربهم وملاحظاتهم •

يرى الشعرانى : أن العلم الظاهرى ضرورة لتعمير الحياة ، بل يرى أنه الوسيلة للتقرب الى الله عند أهل الحق ، ويقول فى ذلك فى كتاب « درر الخواص » :

« ان أهل الحق يشهدون جميع العلوم ، حتى الحساب والهندسة، وعلوم الرياضيات ، والمنطق ، والعلم الطبيعى • لها دلالة وطريق الى العلم بالله » • ويرد فى كتابه « آداب العبودية » على من يرى فى دراسة هذه العلوم حجبا عن الله بأن الذى يشهد ذلك انما هو محجوب عن موضع الدلالة فيها عن الحق ، لأن جميع العلوم التى يراها أكثر الناس حجابا انما هى عند « أهل الله لا حجاب فيها » • وهذا ذوق عال وادراك عظيم •

الخواص الأمى المعلم :

وللاستدلال على سبق الصوفية الى العلوم التجريبية نسوق ما أورده المرحوم : طنطاوى جوهرى فى كتاب «تفسيرالجواهر» فى الجزء التاسع عند قوله تعالى :

« ولكن لا تفقهون تسبيحهم »

قال : ألهم الله الرجل الصالح الشيخ الخواص فى القرن العاشر

الهجرى أن يلقى بعض مسائل للشيخ : عبد الوهاب الشعرانى ، وتلك المسائل تناسب الآية « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » التى نحن بصددها ، وتناسب العلوم التى كشفت حديثا ولم تكن معلومة فى ذلك العصر ، وانما فعل ذلك ليرد على جهلة المسلمين فى عصره ، الذين يقولون : ان العلوم لا لزوم لهـا ، وفى الوقت نفسه حجة على من يدعى من الصوفية جهلا أن الاسلام براء من هذه العلوم . لقد أظهر الله على يد الخواص بعض العجائب العلمية ، ليثير فى المسلمين روح التعلم ، وليكون ذلك علامة على صدق هذا الدين ، ومعجزة لصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم .

أما هذه المسائل التى أشار اليها الجوهرى فتتلخص فى أن الخواص أخبر تلميذه الشعرانى بأن كلشىء فى الوجود حى يدرك حتى الجمادات ، وفى أن الاشجار تتعاشق ويطلب بعضها بعضا للقاح .

وحدثت محاورة بين الشعرانى وشيخه حول ذلك ، انتهت باقتناع الشعرانى العالم بردود الخواص المؤيدة بالكتاب والسنة . وليرجع اليه من أراد الاستيضاح فى مصدره المشار اليه .

والدباغ أيضا :

وقال الجوهرى أيضا : ثم ان الشيخ أحمد بن المبارك بعد ذلك بقرنين حدث عن شيخه الدباغ بمثل هذا ، حين سأله عن تسبيح الحصى ، فقال الدباغ : ان ذلك كلامها وتسبيحها دائما ، وقد سأل النبى صلى الله عليه وسلم ، أن يزيل الحجاب عن الحاضرين حتى يسمعوا ذلك منها ، فسمعوا . وأفاد أن الجمادات تعرف ربها كسائر الحيوان وأنها عابدة خاشعة خاضعة ، هذه وجهتها الى ربها أما وجهتها الينا فهى أنها لا تعلم ولا تسمع . قال تعالى : « **وان من شىء الا يسبح بحمده** »

وقال الدباغ أيضا : ان للارض علما هى حاملته وعارفة به ، كما يحمل أحدنا كتاب الله تعالى .

وعلق الجوهرى — رحمه الله — على ذلك بقوله : « ان كلام

الصوفية هذا هو ما كشفته العلوم الحديثة الآن ، فتعاشق الاشجار الذى قاله الخواص هــو نفس ماأثبته العلم الحديث فى نظـرية التلاقح ، وأما حياة الجمـاد فهو أمر خفى لم يذكر علمـاء العصر الحـاضر منـه الا قولهم ، كل الجمادات متحركات • وهـذا أمر صحيح مبرهن عليه ، ومعنى ذلك أن كل قطرة ماء أو قطعـة حجـر مركبة من ذرات صغيرة ، والذرات الصغيرة ترجع الى جواهر فردة ، والجواهر الفردة ترجع الى عناصر أولية كالأكسجين والايدروجين ، وهذه العناصر متى تحللت ترجـع الى الكهرباء ، وما هى الا تموجات وبينها مسافات متبـاعدات يدور بعضـها على بعض كمـا تدور السيارات حول الشمس ، فالعوالم كلها متحركة دائما لا سكون لها ، وحركات تلك الذرات دائمة لا فتور فيها ، فهى لا تهدأ من يوم أن خلق الله العالم الى أن يفنى •

والخلاصة : أن كل موجـود حى •

وقال الجوهرى : ان كشـف العصر الحـاضر قد أتى بثلاثة أرباع ما قاله شيوخ الصوفية من باب الالهام ، وقد نبه هـؤلاء الشيوخ المسلمين ، ولكن المسلمين مع ذلك بقوا غافلين لم يفطنوا لما يقوله الشيوخ •

نخلص من كل ذلك الى أن العلم الحديث لا ينافى التصوف ، بل هو طريق من طرق الوصول الى الله ، لأنه يدل عليه عن طريق هـذه المكتشفات العظيمة ، التى تدل على عظمة الخالق وقدرته ، وكلمـا أمعن العالم فى بحثه ، ووصل الى أسرار جديدة من أسرار الكون ، ازداد ثقة بأن هذا الكون لم يخلق عبثا ، بل ازداد ايمانا بقـوله تعالى :

« ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » •

درس لصوفية عصرنا :

ان ظهور تلك الأذواق على يد أولئك الصوفية دليل مسـوق الى أهل التصوف فى عصرنا أن يعملوا عقـولهم ليدركوا علوم عصرهم ، فان ذلك لون من الجهـاد العملى المؤدى الى معرفة الحق سـبحانه

وتعالى .

ولا يقال : ان هؤلاء المتقدمين قد وصلوا الى ذلك عن طريق الكشف والالهام ، فعلى المريدين أن يتجردوا عن الأسباب لينالوا ما ناله المتقدمون .

لا يقال ذلك : فان الذين منحوا عن طريق الالهام نادرون، والنادر لا حكم له ، ولو كان الفتوح عاما لأصبحت بلاد الاسلام أغنى وأعمر من الدول الأخرى المتقدمة. على أن الكثيرين من العلماء الأجلاء السابقين سلكوا الطريق الطبيعى للوصول الى ما وصلوا اليه من ابتكار وعلم وفهم ، ان العلم بالتعلم ، والله لا يمنح مفاتيح علمه الا للمجد فيه ، ولو درس المتصوفون الآن العلوم بالجد والتقوى ، ومراقبة الله ومحاسبة النفس ، وغير ذلك من الآداب التى يحرص على توطيدها التصوف ، لأثمر ذلك ثمارا يانعة ، وأتى بنتائج مضاعفة ، مصداقا لقوله تعالى : ولقول **الأثر**
ويعلمكم الله » . **« واتقوا الله**
الكريم : **« من عمل بما علم ورثه**
الله علم ما لم يعلم » .

ان من يترك عقله ومواهبه اتكالا على الفتوح يكون أشبه ــ كما يقول الجوهرى ــ بمن يترك حرث الأرض وزرعها اتكالا على أنه ربما يعثر على كنز .

آداب المتعلم

ولابد من التنبه لهذه الملاحظة فى أثناء طلب العلم ، وهى : أن العلم أحيانا يقف فى طريق العالم ويصده عن الغاية الروحية المطلوبة ، وذلك حين يغتر العالم بعلمه ويظن أنه قد بلغ نهاية الكمال . فاغتراره حينذاك هو الذى يضع حجابا كثيفا على قلبه ، يحول بينه وبين الرؤية الحقيقية المبصرة ، فالعلم بحر لا ساحل له ، وحقائق المعرفة لا يمكن لكائن أن يحيط بها مهما أوفى على الغاية فى فنه ، والرجل عالم مازال يطلب العلم ، فمتى ظن أنه علم فقد جهل .

ومن أجل ذلك ، كان التواضع ميزة فى العالم أكمل منها فى غيره ، لأن تواضعه عن معرفة كاملة ،

وتحقق تام بحال العجز الذى يرفع من شأنه ، ويعلى من قدره •

التصوف والكشوف الحديثة :

لا نكرر القول بأن الصوفى الحق يتحمس لهذه الفتوح العلمية الحديثة ، لأنه يعتقد أنها من أبواب الخير على الانسانية ، وبشرى تحمل فى طياتها انتصارا للروح على المادة ، وانطلاقا لقوى الخير الكامنة فى الانسان •

يقول المرحوم طه عبد الباقى سرور فى كتاب «أعلام التصوف» : « لقد آمن المتصوفة بأن فجر الذرة انما هو صفحة جديدة فى تاريخ الكون ، تتمشى مع التسخير الالهى لقوى الكائنات كافة للانسان « الخليفة » ، بل لقد رأوا فى الفجر الجديد ارهاصا لعالم جديد سيبلغ كماله مع الوثبة الروحية » ، ويستشهد على ذلك بأقوال أساطين المادة أنفسهم ، كقول العلامة برديف : « والعالم اليوم يدلج نحو صوفية روحانية جديدة ، لا محل فيها لتلفت النظرة النكسية الى الدنيا ، ولا لما توحيه تلك النظرة النكسية من العزلة ، واجتناب الجماعات والآحاد ، ولا يبقى فيها النسك الا كوسيلة أو رياضة على التطهر والصفاء ، وهو يتجه الى الدنيا ولكن لايعتبرها نهاية الغايات ، فهو مسلك من النسك أشد اتصالا بالدنيا ، وأكثر تحررا منها فى وقت واحد » •

ويقول اينشتين : « ان الانسان الذى لم يختبر وقفة من وقفات الصوفية حيال ذلك العالم ، ولم يشعر نحوه بالروعة ، هو حى حكمه حكم الميت » وبقوله : « كنت كلما تعمقت فى نظرية النسبية ازددت قربا من منطقة الروح والايمان » • وبأقوال غيره من علماء الغرب ، الذين لم يقفوا عند حدود المادة فى كشوفهم ، بل نفذوا من ورائها الى عالم فسيح من الروح والملأ الأعلى •

ان كثيرا من هؤلاء العلماء انطلقت أصواتهم تحذر من طغيان المادة ، وانسياق الناس وراءها انسياقا أعمى ، لأن فى سيطرة المادة على الروح نذيرا بتغلب

الشر على الخير ، وفى النهاية فناء العالم . مصداقا لما جاء فى القرآن الكريم : ((**حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس**)) .

لا نكرر ما سبق أن قلناه من أن تاريخ التصوف يروى لنا قصص المئات من علوم الصوفية ، الذين برزوا فى مختلف العلوم الشرعية واللغوية والعقلية وغيرها ، واستطاعوا أن يقدموا للحياة زادا وافرا من المعلومات التى نفعت الناس ، ويسرت لهم السبل ، فهم لم يقصروا فى علوم الحياة ، كما لم يقصروا فى علوم الدين ، وهم وان كانوا قد وصفوا فى الأولوية ندب أنفسهم لتعلم وتعليم العلوم الموصلة الى الله ، فلأنها فى نظر العاقل أحوج ما يكون اليها الانسان ، بل هى أمس ما تدعو اليه الغاية من خلقه ووجوده فى الحياة ما دام غيره من العلماء معنيا بعلوم الدنيا ، ومع ذلك فاشتغاله بها لم يصده عن طريقه الى الله ، وربما كان ذلك من وسائله فى هذه الطريق .

حقا : اعتبروا العلوم الموصلة الى الله أشرف العلوم ، حتى قال الجنيد فيما يرويه ابن عجيبة عنه فى كتابه ايقاظ الهمم : « لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت اليه » . ولقد صدق الجنيد رضى الله عنه فى قولته .

على أنه من أسباب الوصول الى الله : البحث فى أرجاء هذا الكون الواسع ، وما فيه من عوالم يهتدى المفكر بواسطتها وبواسطة دراستها واستقصائها وتحليلها والمقارنة بينها على قدرة المبدع ، الذى فطر السموات والأرض ، وفى هذه الحالة يصبح تعلمها فرض عين لا فرض كفاية كما يرى بعض الصوفية رحمهم الله .

لا أحسب أن الصوفى الحق فى عصرنا هذا يحاول أن يقف فى وجه التقدم العلمى ، لا سيما ونحن فى أمس الحاجة اليه ، لأنه من أسباب

القوة التى أمرنا الله — سبحانه وتعالى باعدادها فى قوله تعالى : **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »** •

ولا أشك فى أن الصوفى الحق فرح بما تناله دولته الاسلامية من أمجاد علمية ورقى فكرى على يد أمثالها العلماء المجدين والمستكشفين ، ولكن الصوفى أيضا يسره أكثر أن يجد هؤلاء النابهين غير معطلين لشعائر دينهم ، أو مفرطين فى حقوقه ، ويسره أيضا أن يكون هذا التقدم العلمى طريقا الى الايمان العميق ، واليقين الصادق ، والاستدلال المشرق على معرفة واجب الوجود •

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

« العلم والعمل »

الدنيا كلها ظلمات ، الا موضع العلم ، والعلم كله هباء الا موضع العمل ، والعمل كله هباء الا ما كان خالصا لوجه الله الكريم ، قال جل وعلا : « الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » •

أهل الذمة
وواجباتهم فى بلاد الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

تكلمنا فى مقال سابق عن أهل الذمة وحقوقهم فى بلاد الاسلام وذكرنا أنه من المقرر أن كل حق يقابله واجب ، ومادام الاسلام قد قدر للذميين تلك الحقوق فلابد وأنه رتب مقابلها واجبات عليهم أن يلتزموا بها ، وهذه الواجبات تنحصر فى الامور الآتية :

أولا : واجبات مالية هى :

١ ـ أداء الجزية .

٢ ـ أداء الخراج .

٣ ـ أداء الضريبة التجارية .

ثانيا :

التزام أحكام القانون الاسلامى فى المعاملات المدنية والتجارية والجنائية .

ثالثا :

احترام شعائر المسلمين ومشاعرهم .

الواجبات المالية :

١ ـ اداء الجزية : والجزية ضريبة سنوية على الرءوس من الذميين ، تتمثل فى مقدار زهيد من المال ، يفرض على الرجال البالغين القادرين على حسب

ثرواتهم ، فى ميعاد معين ، ويعفى الفقراء منها اعفاء تاما .

وليس للجزية حد معين ، وانما ترجع الى تقدير الامام الذى عليه أن يراعى طاقات الذميين ولا يرهقهم كما عليه أن يراعى المصلحة العامة للأمـــة .

أساس وجوب الجزية :

هو : القرآن الكريم ، والسـنة النبوية المطهرة .

فمن القرآن الكـــريم : قوله تعالى : **(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الـذين أوتوا الكتاب حتى يعطـوا الجـزية عن يدوهم صاغرون)** سـورة التـوبة ٢٩ — وصاغرون : تعنى هنا التسـليم والقاء السلاح والخضوع لحكـم الدولة الاسلامية .

ومن السنة النبوية المطهرة :

ثبت أن النبى صلى الله عليـه وسلم أخذ الجزية من مجـوس البحرين ، وأخذها عمر بن الخطاب من مجوس سواد العراق بلا انكار من أحد من المسلمين ، وأخذهـا عمرو بن العاص من أقباط مصر من كل حالم دينارين ، وكتب بذلك الى عمر بن الخطاب فأجازه .

شرائط وجوب الجزية :

أولا : العقل والبلوغ والذكورة فلا تجب على الصبيان والنسـاء والمجانين من أهل الذمة ، لان الله تعالى أوجب الجزية على من هـو أهل للقتال — فقال جلت كلماته : **« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخـر .. الآية »** والصبيان والنساء والمجانين ليسوا من أهل القتال ، فلا تجب عليهم .

ثانيا : السلامة من الزمـانة والعمى والكبر — فلا يجب على من زمن وعمى والشيخ الكبير — وهذا ما فعله خالد بن الوليد فى صلحـه مع أهل الحيرة ، وقد كتب به الى الصديق : أبى بكر وقت خـلافته ليعلمه بما فعل ، فلم ينكره عليه .

ثالثا : الحرية — أى : أن يكون الشخص الذمى الذى يقوم بدفع الجزية متمتعا بالحرية ، فلا تجب على العبد ، وهو : الشخص الذى

فقد حريته ، لانه ليس من أهل ملك المال يقول الله تعالى : **« حتى يعطوا الجزية »** سورة التوبة ٢٩ — ولا يقال لمن لا يملك — حتى يعطى — مع ملاحظة أن هذا الشرط أصبح فى زماننا المعاصر شرطا نظريا ، أو شرطا فرضيا ، لان نظم الرق تم الغاؤه دوليا .

رابعا : ألا يكون الذمى فقيرا غير معتمل ، وهو : الذى لا قدرة له على العمل والكسب ، لان الجزية لم توضع على فقير غير معتمل من أهل سواد العراق فى زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب — كما أنه أيضا رفع الجزية عن رجل كبير من أهل الذمة رآه يسأل الناس **« لا يكلف الله نفسا الا وسعها »** سورة البقرة ٢٧٦ .

خامسا : ألا يكون راهبا ، لأنه من المبادىء المقررة فى الاسلام أن الراهب اذا أسر فى الحرب لم يقتل ، فاذا دخل فى الذمة لم تجب عليه الجزية .

يقول المؤرخ الغربى آدم ميتز : (كان أهل الذمة بحكم ما يتمتعون به من تسامح المسلمين معهم ، ومن حمايتهم لهم ، يدفعون الجزية كل منهم بحسب قدرته .. وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطنى ، فكان لا يدفعها الا الرجل القادر على حمل السلاح ، فلا يدفعها ذوو العاهات .. ولا المترهبون وأهل الصوامع) .

وقت وجوب الجزية :

اختلف الفقهاء فى وقت وجوبها فمنهم : من رأى وجوبها فى ابتداء السنة كالحنفية . ومن الفقهاء : من رأى أنها تجب فى آخر السنة وتؤخذ مرة واحدة .

عن أى شىء وجبت الجزية ؟

شرعت الجزية على الذميين بدلا عن حمايتهم من قبل الدولة الاسلامية ، ذلك أن الدولة الاسلامية دولة (عقائدية) ، ومثل هذه الدولة لا يقاتل دفاعا عنها وسلامة عقيدتها وفكرها — وليس من المعقول أن يؤخذ شخص ويدفع الى القتال والقتل ويسفك دمه من أجل فكرة يعتقد عدم صحتها ، وفى سبيل دين لا يؤمن به .

من ذلك يتبين: أن الجزية ليست عقوبة كما يشيع عنها أعـــداء الاسلام ، لان الاسلام لم يلزم الذميين بواجب الدفاع عـن دار الاسلام كما الزم به المسلمين ، وان كان لهم أن يساهموا فى هـذا الواجب لكن باختيارهم ، فضـلا عن انتفاعهم بالمرافـق العامـة للدولـة .

ويستدل عـلى ذلك بالآتى :

١ ـ ما حرره خالد بن الوليد فى كتابه الى (صلوبا بن نسـطونا) صاحب قس الناطف بعد مصالحته له ، فقد ورد فيه كما رواه الطبرى فى تاريخه : (بسم الله الرحمـن الرحيم . هذا كتاب خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه ، أنى عاهدتكم على الجزية والمنعـة .. وأنك نقيب على قومك ـ وأن قومك قد رضوا بك ـ وقد قبلت ومن معى من المسلمين ، ورضـيت ورضى قومك ، تلك الذمة والمنعة ، فـان منعناكم فلنا الجزية ، والا فلا ، حتى نمنعكم) .

٢ ـ كتاب سويد بن مقرن قائد جيش المسلمين فى بلاد الفرس زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ملك جرجان ـ فقد جـاء فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سويد بن مقـرن لرزبان ، وأهل دهستان ، وسائر أهل جرجان ، أن لكم الذمـة ، وعلينا المنعة) .

٣ ـ أورد الامام أبو يوسف فى كتابه (الخراج) قوله : (فانما كان الصلح جرى بين المسلمين وأهـل الذمة فى أداء الجـزية ـ وفتحت المدن على ألا تهدم بيعهم ، وعـلى أن يقاتلوا من ناوأهم من عدوهم ، ويذبوا عنهم ، فأدوا الجزية عـلى هذا الشرط ، فافتتحت الشام كلها على هذا) .

ما يسقط الجزية بعد وجوبها ؟ :

١ ـ **الاسلام** : فمن دخل مـن الذميين فى الاسلام سقطت عنـه الجزية .

٢ ـ **الموت** : كذلك من مات من الذميين بعد وجوب الجزية ولـم تستوف منه سقطت عنه ، ولا يلزم بها ، ولا تؤخذ من تركته .

٣ ــ مضى المدة ويراد به مضى سنة أو أكثر على وجــوب الجزية تستوف دون أن تستوف من الذمى، فقد اختلف فيها الفقهاء فبعضــهم يقرر : وهو الامام أبو حنيفة بأن الذمى لا يطالب بجــزية الســنين الماضية ولابالسنة التى هوفيها حتى تنقضى ، لانه يرى أن دين الجزية دين ضعيف يمكن سقوطه بغـــير الاداء أو الابـــراء الا أن بعض الفقهاء ــ فى مذاهب الحنابلـــة والشافعية والشيعة الامامية يرى عدم سقوطها بمضى المدة ، بحجــة أن الجزية حق مالى يجب فى آخــر كل حول •

٤ ــ حصول بعض الاعــذار :

فاذا طرأت بعض الاعذار المانعة من ايجاب الجزية ، كما لو صـــار الذمى فقيرا لا يقدر على شىء ، أو صار مقعدا أو زمنا أو شيخا كبيرا، ففى هذه الاحوال تسقط عنـــه الجزية ــ ولا تؤخذ منه جزية مــا مضى اذا لم يكن قد أداها فى وقتها، وهذا ما يراه الاحناف ويشترطون أن تدوم هذه الأعذار نصف ســنة فأكثر حتى يســـــقط الباقى من الجزية •

ويرى المالكية : أن الجزية تسقط عند عجز الذمى عن أدائها ، بـــل انها لا تؤخذ منه بعد يساره عمــا عجز عنه •

٥ ــ سقوط الجزية بعجز الدولة الاسلامية عن حماية الذميين :

اذا عجز المسلمون عـــن حماية الذميين لم يبق لهم ما يدعو الى بقاء الجزية عليهم ، لانها كما قررنا فى صدر هذا البحث أنها بدل عـــن الحماية ، لان الاسلام لـــم يلزم الذميين بواجب الدفاع عـــن دار الاسلام رعاية لهم ، وعناية بهم ، والسوابق التاريخية شاهدة عـــلى ذلك • فمنها على سبيل المثال لا الحصر :

(أ) جاء فى صلح خالد بن الوليد مع صولبا بن نسطونا صاحب قس الناطف فى منطقة الحيرة والسابق الاشارة اليه : (انى عاهدت عـــلى الجزية والمنعة •• فان منعنـــاكم فلنا الجزية والا فلا حتى نمنعكم)

(ب) أن أبا عبيدة بن الجراح عندما أعلمه نوابه على مدن الشام

بتجمع جيوش الروم للهجوم عليها • كتب اليهم : أن ردوا الجزية على من أخذتموها منه ، وأمرهم أن يقولوا لهم : (انما رددنا عليكم أموالكم ، لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وانكم اشترطتم علينا أن نمنعكم ، وأنا لا نقدر على ذلك — وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشروط ، وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم) •

٦ — سقوط الجزية باشتراك الذميين فى الدفاع عن دار الاسلام :

مادامت الجزية قد وجبت على الذميين بدلا عن حمايتهم ، فانهم اذا ساهموا فى الدفاع عن دار الاسلام فقد قاموا بالاصل الذى من أجله وجبت عليهم الجزية ، وبالتالى تسقط عنهم الجزية •

والأمثلة كثيرة نكتفى منها بالآتى :

(أ) روى الامام الطبرى فى تاريخه عن ملك (الباب) فى نواحى اقليم أرمينيا وكان اسمه : (شهر براز) أنه طلب من سراقة بن عمرو أمير تلك المناطق من قبل الدولة الاسلامية — : أن يضع عنه وعمن معه الجزية ، على أن يقوموا بما يريد منهم ضد عدوهم ، فقبل سراقه : وكتب بذلك الى الخليفة عمر بن الخطاب ، فأجازه وحسنه •

(ب) أن الجراجمة فى جبل اللكام فى نواحى أنطاكية نقضوا العهد ، فوجه أبو عبيدة بن الجراح الى انطاكية من فتحها ثانية ، وولى عليها بعد فتحها حبيب بن مسلم الفهرى ، فغزا الجرجومة مكان الجراجمة — فلم يقاتله أهلها — ولكنهم طلبوا الامان والصلح ، فصالحوه على أن يكونوا أعوانا للمسلمين ، وعيونا ومسالح فى جبل اللكام ، وأن لا يؤخذوا بالجزية ، ودخل من كان فى مدينتهم فى هذا الصلح •

الجزية فى البلاد الاسلامية عامة ، وفى بلادنا المصرية خاصة :

يوجد فى كثير من البلاد الاسلامية ذميون فى الوقت الحاضر — وهؤلاء لا تؤخذ منهم جزية —

ويمكن ارجاع ذلك الى أنهم فى تلك الدول يشتركون مع المسلمين فى واجب الدفاع عن دار الاسلام ، والمساهمة فى هذا الواجب تسقط الجزية — بعد وجوبها ، أو تمنع وجوبها أصلا — اذ الدفاع عن الوطن واجب مقدس — وأداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين، والتجديد أصبح اجباريا وفقا للقانون .

ولقد نص القانون رقم ٥٠٥ سنة ١٩٥٥ المعدل ، بشأن الخدمة العسكرية والوطنية فى مصر ، فى مادته الاولى على أن : (تفرض الخدمة العسكرية أو الوطنية على كل مصرى من الذكور أتم الثامنة عشرة من عمره) .

فمن ذلك يتبين أن الذميين يساهمون حاليا برضاهم فى الدفاع عن أرض الوطن ، ولا يتميزون فى هذا الواجب المقدس عن المواطنين المسلمين .

هل الجزية ضرائب كيدية ؟

يزعم أعداء الاسلام أن الجزية ما هى الا ضرائب كيدية ، ويبدو أن مرد ذلك راجع الى ما غلب عليها من وصف بأنها (جزية الرءوس) فاشتبهت بما كان من ضرائب فرضتها الدولة الرومانية فى الزمن القديم على رءوس رعاياها ، فكرهوها ، لانها انتقاص من الحرية ، وتعامل الشخص كعرض من عروض التجارة — وفاتهم أن الرءوس فى الاسلام غير ذلك ، اذ فرضت على الشخص لصفة فيه — وهى أنه ذمى — وأن هذا الوصف يلحق بالشخص لدينه لا لماله ، أما ماله ومال المسلم فسواء — أما عند الرومان فكانت ضريبة الرءوس تفرض عندهم على الشخص لعينه . وشتان بين الصورتين .

(٢) الخراج

الخراج فى اللغة يعنى الاتاوة — وأصله ما يخرج من غلة الارض والمال — ومن معناه : المال المضروب على الارض والجزية .

فكلمة الخراج ترد فى الاستعمال بمعنى الجزية ، استنادا لقول الشعبى عامر بن شراحبيل المتوفى سنة ١٠٤ هجرية (أول من فرض الخراج رسول الله — صلى الله

عليه وسلم — فرض على أهل هجر على كل محتلم ذكرا أو أنثى) .

الا أن المعنى الشائع فى استعمال كلمة الخراج عند الفقهاء هو ما يفرض على الارض من ضريبة مالية — ولا يطلق اسم الخراج على الجزية الا مقيدا بخراج الرأس .

أنواع الاراضى الخراجية

١ — الاراضى التى فتحها المسلمون عنوة وقهرا :

ومثالها : أراضى العراق ومصر فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — ترك الارض بأيدى أهلها ، وضرب على رءوسهم الجزية ، وعلى أراضيهم الخراج ، بعد عرض الموضوع على صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وموافقتهم .

(ب) الاراضى التى تركها المسلمون الى أهلها صلحا على وظيفةمعلومة : فانها تكون خراجية لما روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه صالح نصارى نجران على جزية رءوسهم ، وخراج أراضيهم ، على ألفى حلة وروى على أكثر من هذا المقدار .

(جـ) أراضى نصارى بنى تغلب

وهذه لها حكم خاص بها ، فقد صالحهم الخليفة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — على أن يأخذ من أراضيهم العشر مضاعفا .

(د) أرض الموات التى أحياها ذمى ، وداره التى اتخذها بستانا

وأرض الغنيمة اذا حصل عليها الذمى بسبب اشتراكه فى القتال مع المسلمين — وانما كانت هذه الاراضى خراجية لان الارض لا تخلو من خراج أو عشر ، وأرض الذمى يفرض عليها ابتداء الخراج لما فى العشر من معنى العبادة ، والذمى ليس من أهل وجوبها .

(هـ) الاراضى العشرية اذا تملكها ذمى فتصير أرضا خراجية :

ويعلل ذلك الامام أبو حنيفة : بأن فى العشر معنى العبادة ، **لأن** العشر زكاة ما تخرجه الارض .. والذمى ليس من أهل وجوبها — ولهذا لم يجب عليه العشر ابتداء — فكذلك لا يجب عليه فى حال البقاء .

أنــواع الخراج :

الخراج نوعــان : خراج وظيفة ــ وخراج مقاسمة •

(أ) خراج الوظيفة :

وهو : ما يفرض عــلى الارض بالنسبة الى مساحتهاونوع زراعتها والاصل هو ما فعله الخليفة : عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى أرض السواد فى بلاد العراق بعد فتحها ، فقد تركها بأيدى أهلها ــ وفرض على كل جريب أرض بيضاء تصلح للزراعة قفيزا مما يزرع فيهــــا ودرهما • وعــلى جريب الرطبــة خمسة دراهم • وعلى جريب الكرم عشرة دراهم • وقد جعل الخليفة الراشد تلك المقــادير بمحضر من الصحابة ، ولم ينكر عليه أحـــد وقتئذ •

(ب) خراج المقاسمة :

وهو : أن يكون الواجب شيئا من الخــارج نحو الخمس والســدس وما أشبه ذلك وهــذا النوع مــن الخراج جائز ــ فقد فعله النبى صلى الله عليه وسلم مع أهل خيبر لما افتتحها •

والفرق بين النوعين : هو أن فى خراج الوظيفة يكون الواجب شيئا فى الذمة يتعلق بالتمكن من الانتفاع بالارض •

أما اخــراج المقاســمة فيتعلق بالخارج من الارض لا بالتمكن من الزراعة •

وخراج الوظيفة يؤخذ مرة واحدة فى السنة ــ أما خراج المقاســـمة فيتكرر أخذه بتكرر الخارج مــن الارض •

مبنى الخراج على الطاقة :

عند تعيين مقدار الخراج ينظر ولى الامر الى طاقةالارض وقدرتها على تحمل ما يفرض عليهـــا من الخراج ، لمــا ثبت من أن حذيفة ابن اليمان وعثمان بن حنيف لمــا مسحا سواد العراق ووضعا عليها الخراج بأمر الخليفة : عمـــر بن الخطاب قال لهما لعلكما حملتــــا الارض ما لا تطيق ؟ قالا ــ لابل حملناها ما تطيق • ولـــو زدنا لأطاقت • فدل هذا الخبر على أن مبنى الخراج على الطاقة •

ما يستدل من مناقشة الخليفة عمر بن الخطاب ؟

هذه المناقشة تدل على عدالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه المستمدة من سماحة الاسلام وعدالته بالنسبة الى كل انسان مهما كان دينه ، ومهما كانت عداوته للاسلام والمسلمين ، ملتزما بما قاله تعالى : **« يأ يها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » سورة المائدة ٨ .**

كما يدل كلام الخليفة عمر بن الخطاب على أن المسلمين لم ينظروا الى غير المسلمين من أهل البلاد المفتوحة نظرة استغلال ، مما يشير الى أن الفتوحات الاسلامية لم يكن يراد بها استغلال الشعوب ونهب خيراتها ، وانما ابلاغها بعقيدة الاسلام وشريعته ، واقامة العدل فيها .

وقد نص الفقهاء على بعض الامور التى يجب ملاحظتها بمعرفة ولى الامر عند فرض الخراج ، للتعرف بها على طاقة الارض من ذلك خصوبة الارض ، ونوع ما يزرع ، وثمنه ، وطريقة سقيها وقربها أو بعدها عن المدن والاسواق .

تأثير الخراج بما يصيب الأرض من طوارىء :

اذا تقرر الخراج ، ثم طرأ على الأرض طارىء أضعف طاقتها ، فانه يجوز للامام تخفيضه . واذا زادت طاقة الأرض جاز له تقرير زيادة فى خراجها .

نظام الخراج فى ميزان التشريع الضريبى :

لما كان الخراج ضريبة مالية على الأراضى الزراعية التى تركها الفاتحون المسلمون بأيدى أهلها ، فقد توافر فى هذه الضريبة القواعد الأساسية التى يسترشد بها علماء التشريع المالى عند تقريرهم للضرائب فى الوقت الحاضر ، وهذه القواعد هى العدالة ــ واليقين ــ والرفق ــ والاقتصاد .

١ ـ قاعدة العدالة :

هذه القاعدة ملاحظة فى التشريع المالى الاسلامى ، وطبقت تطبيقا دقيقا فى الضرائب التى قررتها الدولة الاسلامية • ذلك أن الاسلام هو دين العدل والعدالة ، فالخليفة الراشد : عمر بن الخطاب هو أول من وضع ضريبة الخراج على أساس طاقة الأرض ، وأكد على عماله أن يجعلوا مقدارها مناسبا مع هذه الطاقة ، كما تشير بذلك المحاورة التى ذكرناها فيما سبق بينه وبين الصحابى : حذيفة ابن اليمان وعثمان بن حنيف • وكان قد أرسلها الى سواد العراق لمسح أراضيه وتقرير الخراج عليها •

وتبدو هذه القاعدة واضحة بجلاء فيما قرره فقهاء الاسلام : من أن خراج الوظيفة يجب بالتمكن من الانتفاع بالأرض ـ فاذا تعذر الانتفاع فلا يجب الخراج ، وأن خراج المقاسمة يجب بوجود الزرع حقيقة ، فان لم يوجد فلا يجب الخراج ـ واذا لم تخرج الأرض الا بقدر ما كفى الخراج فلا يؤخذ الخراج كله ، وانما ينقص الى النصف ـ اذا هلك الزرع بآفة سماوية فان الخراج يسقط فى هذه الحالة ، لأنه مصاب ، فيستحق المعونة ، وتعذر عليه استغلال الأرض •

ولم يفت فقهاء الاسلام أن يوصوا أولى الأمر من حكام المسلمين ، بل أكدوا عليهم ألا يتعسفوا فى جباية الخراج ، وأن يراقبوا عمالهم حتى لا يأخذوا من أصحاب الأرض أكثر من المقدار المعين عليها •

وفى ذلك يقول الامام أبو يوسف فى وصيته الى الخليفة العباسى هارون الرشيد ، بعد أن طلب منه ضرورة مراقبة عمال الخراج ، والأخذ بمقتضى العدل ، وترك الظلم :

(ان العدل وانصاف المظلوم وتجنب الظلم مع ما فى ذلك من الأجر يزيد به الخراج ، وتكثر به عمارة البلاد ، والبركة مع العدل تكون • وهى تفقد مع الجور • والخراج المأخوذ مع الجور تنقص البلاد به وتخرب) •

٢ ــ قاعدة الوضوح واليقين :

فالضريبة التى يلتزم الفرد بأدائها يجب أن تكون محددة فى مقدارها ، واضحة فى سبب وجوبها ، وزمن أدائها • وبهذا الوضوح واليقين يكون المكلف بها على بينه من أمره ، فلا يستطيع جباةالخراج استغلال جهله ، وأخذ أكثر من المستحق عليه ــ وضريبة الخراج تتوافر فيها هذه القاعدة ، فمقدارها معلوم ومعلومة المقدار نسبة الى الخارج من الأرض ، وتدفع فى وقت معين من السنة •

٣ ــ قاعدة الرفق :

وتعنى هذه القاعدة : أن الضريبة أن تجبى فى الأوقات الملائمة التى لا ترهق الملتزم بها ، وضريبة الخراج لا تجبى الا وقت ظهور الزرع، وحلول وقت حصاده ، وهذا الوقت لا جدال أنه أنسب الأوقات لجباية الضرائب من المكلفين بها •

٤ ــ قاعدة الاقتصاد :

وتفيد هذه القاعدة فى : أن جباية الضريبة يجب أن تنظم على نحو تكون نفقات جبايتها قليلة ، ويكون الفرق بين مايخرج من المكلف وبين ما يدخل الخزانة العامة أقل ما يمكن • ومن الأصول المخالفة لهذه القاعدة : أن تقوم الدولة ببيع الضرائب لقاء ثمن يدفعه الراغب فى شرائها وجبايتها ، وهذا ما عرفه فى الماضى : (بنظام التقبل) وهو نظام سقيم ، يرهق أصحاب الأرض ، ويلحق الضرر ببيت المال ، وينافى قاعدة الاقتصاد ، لأن الداخل فى بيت المال بهذا النظام أقل مما لو تولت الدولة جباية الخراج بمعرفة عمالها أنفسهم فضلا عما فى التقبل من ارهاق أصحاب الأرض وظلمهم بمعرفة المتقبل ، والذى يحمل على أهل الخراج ما لا يجب عليهم ليعوض لنفسه ما قام بدفعه للدولة •

وفى ذلك كما يقول الامام أبو يوسف (خراب البلاد وهلاك الرعية) •

ما عليه ، العمل فى بلادنا المصرية ؟

ينظم ضريبة الأراضى الزراعية

فى جمهوريتنا المصرية القانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٣٩ وما تلاه من تعديلات وقوانين .

وبموجبه تفرض على الأراضى الزراعية الصالحة للزراعة ، سواء زرعت أو لم تزرع ، وهذا الحكم هو ما قرره الفقهاء فى خراج الوظيفة — اذ تجب بالتمكن من الانتفاع بالأرض الزراعية ، ولا يشترط الانتفاع الفعلى بها كما بيناه سابقا — ولا شك أن واضع القانون لاحظ طاقة الأرض فى تقرير نسب الضريبة المفروضة عليها ، حتى لا يكون هناك ارهاق على المكلف بدفعها . مع تفصيلات كثيرة يمكن الرجوع اليها فى كتب فقهاء التشريع الضريبى لمن أراد التوسع فى ذلك .

٣ — الضريبة التجارية — أو العشور

قرر الاسلام على الذميين ضريبة تجارية تفرض على أموالهم المعدة للتجارة عند نقلها من بلد الى بلد داخل دار الاسلام — وهى أشبه بالضريبة الجمركية فى عصرنا ، لان المسلمين يخضعون لها اذا ما انتقلوا بأموالهم التجارية من بلد الى آخر داخل دار السلام — ويعفى الذمى من هذه الضريبة فى بلده الذى هو فيه ، فتجارته وان كانت قد تجلب له ربحا الا أنه ليس كالربح الذى يحصل عليه بانتقاله من بلده الى بلد آخر ، كما أنه لا يستفيد من مرافق الدولة وهو فى بلده كما يستفيد بها فى تنقله .

ووعاء هذه الضريبة : جميع عروض التجارة : من ثياب ، وحيوان ، وحبوب ، ونحو ذلك وكذلك الذهب والفضة ، نقودا كانت أو عتادا اذا بلغت النصاب ، وهو نصاب الزكاة . ومقدارها : نصف العشر .

ويستوفى هذه الضريبة عمال الدولة المعينون لهذا الغرض ، والقائمون فى ثغور الدولة الاسلامية — وعلى طرق المواصلات خارج المدن — وقد سمى استيفاء هذه الضريبة بالتعشير ، وسمى العامل القائم بجبايتها بالعاشر ، لأن ما يستوفيه من ضريبة مداره على العشر .

دليل شرعية هذه الضريبة السنة ــ والاجماع .

١ ــ من السنة : فقد ورد فى كتاب شرح السير الكبير للسرخى وكتاب الأموال لأبى عبيد : أن الخليفة عمر بن الخطاب بعث أنس بن مالك لجباية العشور فقال أنس (يا أمير المؤمنين تقلدنى المكس ؟ . فقال عمر : قلدتك ما قلدنى رسول الله ــ صلى الله عليهوسلم ــ قلدنى أمور العشور، وأمرنى أن آخذ من المسلم ربع العشر ومن الذمى نصف العشر ، ومن الحربى العشر) .

٢ ــ من الاجماع : فقد أورد الكاساتى فى بدائعه بأن عمر بن الخطاب نصب العشار وقال لهم : (خذوا من المسلم ربع العشر ، ومن الذمى نصف العشر ، ومن الحربى العشر ، وكان ذلك بمحضر من الصحابة ــ ولم ينقل أنه أنكر عليه أحد منهم فكان اجماعا ــ والاجماع المذكور اجماع سكوتى والفقهاء ــ يختلفون فى حجيته) .

تعليل جعل ضريبة الذمى ضعف ضريبة المسلم :

يبدو أن السبب فى هذا التضعيف : هو أن الذمى كان لا يؤخذ من أمواله شىء سوى ما يؤخذ من أمواله التجارية التى ينتقل بها من بلد الى بلد ــ أما أمواله التجارية التى فى بلده ــ وأمواله الباطنة كالذهب والفضة ، وزروعه وسوائمه ، فلا يؤخذ منها شىء ، بخلاف المسلم الذى تؤخذ منه زكاة هذه الأموال جميعا ــ اما أن يأخذها الامام نفسه كما فى زكاة السوائم والزرع ــ واما أن يدفعها المسلم نفسه الى مستحقيها كما فى أمواله الباطنة وأمواله التجارية التى فى المدينة وعلى هذا تكون التكاليف المالية على المسلم أكثر منها على الذمى ، فاقتضى هذا الأمر تضعيف الضريبة التجارية على الذمى .

الضريبة التجارية على الخمور والخنازير :

يرى فقهاء الشافعية والحنابلة : ألا يعشر الخمر ولا الخنزير

ولا ثمنها ، لانهما ليسا بمال أصلا ــ والعشر ــ أى : الضريبــــة التجــارية ــ انما يؤخذ من المال المتقوم .

أما فقهــاء الأحناف فلهم رأى آخر : فمنهم من رأى أنها تفرض على الخمور دون الخنازير . ومنهم من رأى : أنهـــا تفــرض عــلى الخنــازير فقط ومنهم من رأى : أنها تفرض على الخنازير أيضــا شأنها شأن الخمور لاستوائهما فى المالية ، وهما مال متقوم فى حــق أهل الذمة ، ولهذا كان مضــمونا على المسلم بالاتلاف .

يتبــع

وبالله التوفيــق

المستشار / محمد عزت الطهطاوى

تأليف العبارة كما يراه المبرد في الكامل

للأستاذ السيد حسن فترون

المبرد : هو محمد بن يزيد ابن عبد الأكبر ، ولقب « المبرد » لأن أستاذه المازنى لما صنف كتاب « الألف واللام » سأله عن دقيقه وعويصه فأحسن الجواب : فقال له المازنى : قم فأنت المبرد . أى المثبت للحق ، ولكن منافسيه فى عصره وحاسديه كانوا يتخذون من هذا اللقب منفذا للاساءة اليه والنيل منه ، فيقولون انه المبرد بفتح الراء لا بكسرها ، كما أن خصوم العقاد فى عصرنا اتخذوا من اسمه وصفا لغموض شعره ونثره وتعقيده ، والمبرد والعقاد بريئان مما تقول به منافسوهما .

والمبرد من اسرة نبيلة هى : «ثمالة» وثمالة من قبيلة «الأزد» والأزد ، قبيلة كبيرة لها شأنها فى الجاهلية والاسلام ، وحسبك أن منها الأوس والخزرج أنصار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وفضلهم على الدعوة الاسلامية لا ينكر ، منهم دعاتها والمنافحون عنها ، والباذلون أموالهم وأرواحهم رخيصة فى سبيلها ، وأول حكومة اسلامية نشأت فى مدينتهم (يثرب) التى سميت المدينة المنورة فضمت خير البشر الرسول وخلفاءه وأصحابه من المهاجرين والأنصار، ومن الأزد الغساسنة ملوك الشام ، ومنهم أزد شنوءة ، وأصل الأزد اليمن ، ولكنهم بعد انهيار سد مأرب اتجهوا الى الشمال ، وبقى بعضهم فى الجنوب ، ومنهم المهلب بن أبى صعرة وأبناؤه ، ولهم دورهم فى تدمير الخوارج ،

وقد كانت ثمالة تسكن السراة من أرض الحجاز ، ولكن المبرد ولد فى مدينة البصرة من أسرة سرية ثرية ، ومن دلائل شرفها أن ابنها محمدا الأديب الوحيد فى أدبنا العربى ، الذى يعرف يوم مولده ويوم وفاته ، فقد ذكروا أنه ولد فى غداة عيد الأضحى من سنة ٢١٠ هـ ، وتوفى فى بغداد سنة ٢٨٥ هـ •

وتلقى المبرد النحو واللغة والأدب من شيوخ عصره وأئمة دهره ، كالأصمعى وأبى زيد وأبى عبيدة ، والجرمى والمازنى ولم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من المازنى، كما عرفمنه ذلك ونوه به تلاميذه وفى مقدمتهم المبرد •

وكما كان للمبرد شيوخه • كان له تلاميذه ، منهم أبو اسحاق الزجاج ، وأبو على الصغار ، وابن درستويه ، وأبو الحسن الأخفش « الصغير » ، وكان المبرد زعيم مدرسة البصريين ، فى الوقت الذى كان فيه أحمد بن يحيى ثعلب زعيم الكوفيين ، ويمتاز المبرد على ثعلب بفصاحة لسانه ، وصباحة وجهه ، مما جعل الخلفاء والأمراء والوزراء يقبلون ، ويتنافسون فى تكريمه •

وللمبرد مؤلفات أشهرها « الكامل » « والمقتضب » فى النحو ، و (الفاضل والمفضول) و « التعازى والمراثى » ، « ومعانى القرآن » ، ويعرف بالكتاب التام •

وكتاب الكامل أشهر كتب المبرد، وأكثرها فائدة للنحوى واللغوى والبلاغى ، وطالب الأخبار والأنساب ، لأنه قد حوى كل ذلك وقد يستطرد الى مسائل الفقه والعقائد ، والتفسير الى كثير من العلوم الاسلامية ولأهمية الكامل قال عنه ابن خلدون !

« سمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين ، وهى كتاب الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها » •

ولكن كتاب الكامل • حسب النظرة المعاصرة • لا يعد كتاب

أدب بالمعنى الفنى الحديث ، ولكنه كما قدمنا كتاب جـامع فى فنون المعـــرفة الدينية ، وكان المبرد واسع الأفق ، رحب الصـــدر ، متفتح الذهن ، لا يضيق بمناوئية، ولا منافســـيه ، حتى لقد روى الهجاء الذى قيل فيه فقد ســئل ما أشد ما قيل فيك من هجاء ؟ قال قول الشاعر :

ســـألنا عـن ثمـالة كـل حى
فقـال القـائلون ومن ثمالة ؟

فقلت محمد بن يزيـد منهـم
فقـالوا زدتنا بهـم جهالـة

وما أسهل الرد على قائل ذلك الشعر ، محمد بن يزيد لا يزيـد قبيلته جهالة ، بل يرفعها ويرفـع الأمة كلها الى مواطن النجوم لما آداه للفـكر العربى ، والبلاغـة العربية من فن وعلم .

واذا كنت قدمت لما أنا بصـدده بهذا التقديم للمبرد ، فلأنى أود أضـع القـارىء معى فى دائرة الضوء ، علنـا نتبين معـالم أدب المبرد ، ومدى رأيه فى نقد الشعر، وتأليف العبارة ، واذا كان المبرد عنى بالحديث عن الشعر من جميع نواحيه على مدى صفحات كتاب الكامل ، فانه بعـد المقدمـة التى جعلها للنبى وأصحابه وصد الباب الأول لنقد الشـعر ، الذى راعنا منه عنايته بتأليف العبارة ، فماذا قال ؟ والى أى حد يتفق ونقـدنا الحديث ؟ وينبغى أن نعلم أنه كان مجددا ولا ينظـر الى القـــديم لقدمه ، فيطريه على طول الخط ، ولا ينظر الى الحديث لحـداثته فينقص من قدره ، بل الميزان عنده واحد للقـــديم والحديث عـلى السواء ، فالمدار على الاجادة أو كما يقول : « وليس لقدم العهـد يفضل القائل ولا لحـدثان عهـد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يسـتحق ، وموقفى أنا معـه موقف التلميذ المخلص والنـاقد معا ، ولست فى هـذا بعاق لـه ، ولا حائد عن طريقته ، بل سعيا الى تبرئة سـامته ، وتكميلا لمذهبه ، وكان الأخفش الصغير مـن خاصة تلاميذه فى عصره ، ولكن الأخفش حين تقرأ « الـكامل » تجـد له تعليقات ناقـدة ، مكملة منثورة ، فى غضون الكتـاب ، وقـد كنت

جمعت تلك التعليقات فى كراسة ، ثم فقدت منى ، وأرجو أن أوفق فى جمعها من جديد ، لأبين مدى ما أحسن فيه وما أساء فيه ، وأنا أوافق الأخفش فى أخذه على المبرد خطأه فى بعض أسماء الأعلام ، ومما لم يلاحظه الأخفش خطأ المبرد فى نسب خال هشام ابن عبد الملك ، فقد جعله من ولد هشام بن المنيرة ، والصواب أنه من ولد الوليد بن المغيرة ، فقد مدح جرير الخليفة هشام بن عبد الملك بقصيدة عصماء منها قوله :

سما بك خالد وبنو هشام
الى العلياء فى الحسب الجسيم

قال أبو الحسن الأخفش : « وهم أبو العباس فى قوله : وبنو هشام ، وانما وقع فى شعره وأبو هشام وهو الصحيح ، يريد اسماعيل ابن هشام ، وهو جده من قبل أمه » ولكن أبا العباس المبرد حين أورد النسب قال » : سما بك خالد يريد خالد بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ، وهذا صحيح ثم قال : لأن أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام ابن المغيرة وهذا خطأ ، لأن هشام الأخير أخو خالد بن الوليد ، وقد بنى المبرد على الخطأ بيان منزلة (هشام بن المغيرة) فقال عنه أنه كان « أجل قريشى حلما وجودا ، وكانت قريش تؤرخ بموته كما كانت تؤرخ بعام الفيل •• قال الشاعر :

«زمان تناعى الناس موت هشام»

ومن أجله يقول القائل :

فأصبح بطن مكة مقشعرا
كأن الأرض ليس بها هشام

ووضع الأمور فى نصابها أن تقول سما بك خالد وأبو هشام وهو الوليد بن المغيرة الذى لا يقل منزلة فى قريش عن أخيه هشام ابن المغيرة ، وهشام أخو خالد سمى باسم عمه لمكانته فى قريش ، وكان زعيم بنى مخزوم عام غزوة بدر •

---

(١) ص ٣٢٥ جـ١ الكامل

أما هشام بن المغيرة فهو والد أبى جهل ، ومن الغريب أنه فى فصل آخر أورد النسب سليما .

أقول : كل هذا لأبرهن على أنى مع المبرد فى احسانه ، وليس معه فى أخطائه .. واليك ما جاء منه فى تأليف العبارة ، قال أبو العباس :

« من كلام العرب الاختصار المفهم ، والاطناب المفخم ، وقد يقع الايماء الى الشىء فيغنى عند ذوى الألباب عن كشفه ، كما قيل لمحة دالة ، وقد يضطر الشاعر المغلق ، والخطيب المصقع ، والكاتب البليغ ، فيقع فى كلام أحدهم المعنى المستغلق ، واللفظ المستكره ، فان انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره ، وسترتا من شينه .

وان شاء قائل أن يقول : بل الكلام القبيح فى الكلام الحسن أظهر ، ومجاورته له أشهر ، كان ذلك له ، ولكن يغتفر السيىء للحسن ، والبعيد للقريب » ..

وقبل أن نورد ما مثل به لمذهبه تناقش تلك القطعة فى ضوء مفهومنا للكلام البليغ ، أشار أبو العباس المبرد الى منهج العرب فى الشعر والخطب والكتابة ، فبين خاصية العرب فى حب الايجاز .

فالايجاز مطلب صعب لا يحسنه كل قائل ، فهو يحتاج الى حصافة العقل ، وتوهج الذهن ، وتملك اللغة والعربى الخالص فيه تلك الصفات ، وله اللمحة الدالة وتأليف العبارة تقتضى الوضوح ، ومن ثم قيل له بيان ، ولكن البيان يعتدره ما يشينه من استغلاق المعنى ، واستكراه اللفظ ، فماذا ينبغى لمن وقع فى صناعة الكلام ؟ يرى المبرد : أنه اذا أحيط بما يبينه من سياق العبارة . كان مقبولا ، « ويغتفر السيىء للحسن » ثم هو لا ينكر قول الآخر من أن المعنى المستغلق ، واللفظ المستكره ، يكون العيب فيه أظهر ، وهذه قضية قام بها القدماء ، منذ عهد الجاحظ الى اليوم ، وقد وضحها وبين معالمها الامام عبد القاهر الجرجانى ، وأرجع كل نقص فى العبارة الى مخالفة النحو وقواعده ، وما من شك فى أن المبرد وان عفا عن

الاساءة لمقارنتها للاحسان ، فان أمثلته تضعه فى جانب من ينكر استغلاق المعنى ، واستكراه اللفظ، وشتان بين هذا وبين استخدام اللفظ مهما كان حسنه أو قبحه ، فما دام اللفظ يتعاون مع سابقه ولاحقه ، ويبين عن مكنون ما فى النفس ، فهو فى قمة البلاغة ، ولا تحديد للفظ شعرى أو غير شعرى •

يقول أبو العباس مبينا نقده للكلام موردا الأمثلة لما يحسن وما يستهجن : ، فمن ألفاظ العرب البنية القريبة المفهمة ، الحسنة الوصف الجميلة الوصف قول الحطيئة : وذلك فتى ان تأته فى صنيعة الى ما له لا تأته بشفيع

وكذلك قول عنترة :

يخبرك من شهد الوقيعة أننى
أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وكما قال زهير :

على مكثريهم حق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

ومما وقع كالايماء قول الفرزوق (يهجر جريرا) :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها
وقضى عليك به الكتاب المنزل

وهذه الشواهد لم يعلق عليها المبرد ما عدا البيت الأخير فانه قال « فتآويل هذا أن بيت جرير فى العرب كالبيت الواهى الضعيف فقال : « وقضى عليك به الكتاب المنزل » يريد به قول الله تبارك وتعالى : **« وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لوكان يعلمون »**(١)

ولو نظرت الى قوله الحطيئة وقول زهير وهما مادحان لوجدت الألفاظ مفصلة على قدر المعانى ، فلا زيادة ولا نقصان ، وهذا ما يعرف فى البلاغة بالمساواة تسمية الا يجاز والاطناب ، وهما يرسمان صورة مثلى للانسان الرفيع والأسرة الكريمة ، أما عنترة فقد وصف نفسه بالشجاعة ، واحترس أن يكون دخوله فى الحرب للمغانم، فكان فى بينه اطناب جميل ، لا يتم

---

(١) العنكبوت من الآية ٤١ •

الوصف الا به ، وهو قوله : « وأعف عند المغنم » وهى جملة نسميها فى البلاغة الاطناب « بالاحتراس » .

والأبيات المختارة كلها تبين دون المبرد ونفاذه الى الوقوف على الشعر الجيد المنشود ، وبه تدفع قول القائل : ان مختارات المبرد فى الشعر ليست جيدة .

والمبرد وقد سبق عبد القاهر الجرجانى مثله فى أن جمال تأليف العبارة يجىء حسب قواعد النحو التى تجىء أيضا ترجمة لما فى نفس الشاعر أو الكاتب أو الخطيب ، فاذا ضعف المعنى فى نفس القائل أو لم يتضح له ونبهت عليه طرق الأداء وقد اتخذ المبرد من الفرزوق سبيله الى تطبيق مذهبه ، فأورد له شعرا غاية فى التعقيد ، وشعرا غاية فى الوضوح ، قال : ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعانى قول الفرزدق :

وما مثله فى الناس الا تملكا
أبو أمه حى أبوه يقاربه

مدح بهذا الشعر ابراهيم بن هشام بن اسماعيل بن هشام (١) بن المغيرة (المخزومى) ، وهوخال هشام بن الملك ، فقال : وما مثله فى الناس الا مملكا يعنى بالمملك هشاما أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح . ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحا ، وكان يكون اذا وضع الكلام فى موضعه أن يقول : وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح ، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد ، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع فى صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول :

تصرم منى ود بكر بن وائل
وما كاد معنى ودهم يتصرم
قوارص تأتينى ويحتقرونها
وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول :

والشيب ينهض فى الشباب كأنه
ليل يصيح بجانبيه نهار

---

(١) هشام بن الوليد بن المغيرة .

فهذا أوضح معنى وأغرب لفظا وأقرب مأخذا •

هذا هو الكلام الذى وازن فيه المبرد بين شعر الفرزدق المعقد ، وشعره البين ؛ وأنت تجده أرجع ذلك الى تأليف العبارة ، وايقاع لفظها حسب المتعارف من قواعد النحو ، فالبيت « وما مثله فى الناس •• » جاءه الفساد من التقديم والتأخير ، وفصل الصفة عن الموصوف ، وعلماء البلاغة منذ وقعوا على نقد المبرد ، اتخذوا هذا البيت مثالا للتعقيد ، الذى جاءه الوهن من مجافاة الشاعر لمنهج اللغة العربية •

أما ما عاتب به قبيلة بكر بن وائل وما تحدث به عن الشيب ، فهو فى غاية البلاغة • ألا تراه فى العقاب يذكر (تصرم) التى تدل على تدهور العلاقة شيئا فشيئا ، ويورد الفاعل ، ثم يوضح ما أراده بقوله وما كاد منى ودهم يتصرم فتجد يتصرم ردا على الصدر ، مما يجعلك تقول معه وتنتهى الى ما انتهى اليه ، والبيت الثانى يوضح ما جرى قوارحى تأتيه يظنونها لا تؤذى ، وهى بتكرارها تملأ نفسه غيظا ، وهنا تكون القطيعة •

وبيت الشيب واضح الدلالة والتشبيه يقع موقعه ، والجمل تتقابل • الشيب ينهض فى السواد، يقابله ليل يصيح بجانبيه نهار ، فوصف الليل جعل التشبيه فى مقام البلاغة الأصيل ، وكلمة ينهض تدل على ظهور شىء لم يكن ، وكلمة يصيح هى من صاح العنقود يصيح اذا استتم خروجه من أكمتة وطال ، وهو فى ذلك غصن ، تأليف العبارة حسب قواعد النحو ، وكل لفظ يؤدى الغرض فهو تشبيه حالة بحالة ، وهذا البيت فى الشيب لقى حظوة عند عبد القاهر الجرجانى فجعله من التشبيه المصيب •

ناهيك بتشبيه يجمع الحركة واللون ، وقد تلمح فى يصيح « الصوت » •

وأنا فى هذا المقال لا أعرض عليك كل ما استشهد به المبرد على مذهبه ومثل به ، ولكنى اختار لك بعض ما أثبته فى كتابه

فى هذا الباب ، يقول : ومن حسن الشعر وما يقرب مأخذه قول مخيس بن أرطأة الأعرجى ، والأحرج الحارث بن كعب من تميم ، لرجل من بنى حنيفة يقال له (يحيى) ، وكان يصير الى امرأة فى قرية من قرى اليمامة يقال لها (بقعاء) :

عرضت نصيحة منى ليحيى
فقال غششتنى والنصح مر
ومابى أن أكون أعيب يحيى
ويحيى طاهر الاخلاق بر
ولكن قد أتانى أن يحيى
يقال عليه فى بقعاء شر
فقلت له تجنب كل شىء
يعاب عليك ان الحر حر

لم يتعرض المبرد لشرحها تفصيلا ، ولكن عنى ببعض فقراتها ، والمعنى واضح ، فالشاعر يرى أن صلة يحيى ببقعاء جعلته مضغة فى أفواه الناس يلوكونها ، فنصحه فرماه يحيى بالغش ، مع أن الشاعر حريص على تنقية سيرة يحيى من الدنس، لعلمه بطهارة أخلاقه ، وما عليه لو تركها حتى يسلم من ألسنة الناس ، ويسلموا من الاثم ؟

والشاعر مقتصد فى تعبيره ، فكل معنى له لفظه ، ولذلك يقول المبرد .. فهذا كلام ليس فيه فضل عن معناه ، وانظر الى شرحه وتعليقه تجده يقول : وقوله « ان الحر حر » انما تأويله أن الحر على الأخلاق التى عهدت فى الأحرار ، ومثل ذلك « أنا أبو النجم وشعرى شعرى » أى شعرى كما بلغك وكما كنت تعهد ، وكذلك قولهم : الناس الناس أى الناس كما كنت تعهدهم .. وقوله « تجنب كل شىء يعاب عليك » كقول عمر بن العاص لمعاوية حين وصف عبد الملك ابن مروان فقال : آخذ لثلاث تارك لثلاث : آخذ بقلوب الرجال اذا حدث ، وبحسن الاستماع اذا حدث ، وبأيسر الأمرين عليه اذا خولف . تارك للمراء ، تارك لمقاربة اللئيم ، تارك لما يعتذر منه كقوله :

... تجنب كل شىء
يعاب عليك ان الحر حر

والهدف من كل ما ذكرت ومالم أذكر ، أن أبين أن تأليف العبارة

يجب أن يكون واضح الدلالة ، مرصوفا حسب قواعد اللغة ، ولو كان المعنى عويصا يحتاج الى كد الذهن ، فان تأليف العبارة حسب القواعد يعين على الفهم ، والارتياح الى التحصيل ، ومن ثم نرفض الشعر الحديث ، الذى يجيء تهويهات وتهاويل ، بكل الذهن عن بيان ما يعرضه الشاعر، وقد يتصور الشاعر الحديث أن الرمز هو الأداء ، ولكن الرمز اذا زاد عن حده كان أصواتا لا تحمل معنى ، وجميل من الشاعر أن يأتينا بالصور ، ولكن الصور ينبغى أن تكون مما يعكس مشاعر الشاعر ، ومما ترفضه أن يكون هناك أداء حسب التراث ، وأداء حسب اللغة المعاصرة ، فالفصحى هى الفصحى ، لها قواعدها ولها تراكيبها ، واذا كان الأقدمون لهم معان وصور حسب رؤياهم ورؤيتهم ، فلنا نحن مثل ذلك فى عصرنا ، فقد اتخذ الأقدمون وسائل القتال مثل السهم والسنان والسيف مجالا فى الغزل وغيره ، فعلينا نحن المعاصرين أن نصنع صنيعهم حسب ماتطلى المعاصرة .

أما اللغة فهى الوعاء ، والوعاء يتضح بما فيه .. وأول المبادىء فى التعبير الوضوح .

ألا ترى قول الله تعالى : **« الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان »**(١) فالبيان هو مطلب الانسان ، فاذا ضاع البيان ضاع التأثير وفقد الارتياح، وصرنا الى التعقيد وهو شر ما يصاب به الأدب فى ذلك الزمان ، ولناعودة .

السيد حسن قرون

---

(١) الرحمن الآية ١ — ٤ .

انشقاق القمر والاعجاز العلمى للقرآن

دكتور منصور محمد حسب النبى

-٢-

ونظرا لأن موضوع انشقاق القمر فى الماضى قد تعرض لكثير من الجدل ، وأن منطق الرسالة يعتمد على العقل والتفكير ، فاننى أرى أن أقدم التفسير العلمى لانشقاق القمر فى المستقبل .

عند اختلال نظام الأرض والقمر الذى قد يكون مقدمة لاختلال الكون كله كبداية للنهاية ، باعتبار أن الكون أشبه بالعقد الذى اذا انفرطت احدى حباته تناثرت الحبات الباقية ، وليس هناك من الناحية العلمية ما يمنع من اختلال نظام الكون على هذا النحو كمقدمة لزواله نهائيا عند قيام الساعة .

وأجدنى أكثر ميلا الى الأخذ بالرأى الذى يقول : ان الآية الكريمة تنبىء بأن القمر سينشق فى المستقبل ، كعلامة من علامات الساعة ، لأننى وجدت فى العلم الحديث ما يؤيد ذلك ، بالاضافة الى ما ذكرته سابقا .

فاذا كانت الحقيقة العلمية تتفق على هذا النحو المدهش مع نص الآية القرآنية ، فما الذى يمنع عقلا وشرعا من تفسير الآية طبقا لتلك الحسابات العلمية القاطعة ، لاسيما وأن العصر الذى نعيش فيه الآن لا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب ، فضلا عن الاقتناع ، ولاسيما أيضا أن هذه اللغة العلمية هى اللغة التى لا لغة غيرها لمخاطبة غير المسلمين ؛ اذا أردنا أن نصدع بما أمرنا من نشر الدعوة الاسلامية وتبليغها الى البشر أجمعين .

فهيا لنرى سويا ذلك الاتفــاق المذهل بين العلم والقرآن ، لالنرد على المنكرين والكافرين بالقــرآن فحسب ، بل ان بعض المســلمين الراسخى العقيدة يريدون — لكى تطمئن قلوبهم — أن يجدوا جوابا علميا لكثير من التساؤلات — حتى لا يعتريهم شعور بالنقص فى حجة عقيدتهم ، ولنستفيد من الحضارة الحديثة ، لنقدم الرد الصحيح على التحدى الذى يمسنا فى صـميم مصيرنا ، ولنعلن أن الاســلام يتحـدى العلم فى كل زمـان وأن الفكر الاسلامى يقف وجها لوجــه مع الفكر المعاصر والالحاد .

ثانيا : انشقاق القمر فى المستقبل :

أجمع معظم المفسرين حديثــا على أن الآيــة الكــريمة .

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

تفيد بأن القمر سوف ينشق عنـد اقتراب الساعة فى المستقبل ، وذلك لأن التعبير بالفعل الماضى عن حدث ما يستخدم عادة فى الأصل البلاغى فى مقــام التعبير عن المســتقبل ، تأكيدا لتحقق وقوعه .

ومن جهــة نظر علــوم الطبيعة والفلك : فان التوقعــات العلميــة الحديثة تؤيد أيضا انشقاق القمر فى المستقبل ، نظرا للتغير التدريجى لنظام الأرض والقمر .

وفيما يلى أقدم شرحا مبســطا للحقائق العلمية التى أدت الى هذه التوقعات المثيرة :

١ — دوران الأرض حول نفسها :

نحن نعلم أن الأرض كــروية الشكل تقريبا ، وهى تدور حــول نفسها ، أى : تدور حول محورها الــوهمى مرة واحــدة فى اليــوم الواحد ، فيتعاقب عليها النــور نهارا ، والظلام ليــلا ، وتكمـل الأرض دورتها حول نفسها فى زمن يقدر حاليا بأربع وعشرين ساعة ، أو على وجه الدقة ٢٣ ساعة ، ٥٦ دقيقة ، ٤ ثوان .

ودوران الأرض يمثل الســاعة الكونية العظمى بالنسبة للانسان ، فهى الساعة التى تبلغ فى انتظامها حدا يندهش له الانسان ، فهى كما سنعرف فيما بعد : سوف تعطينــا يوما أطــول بمقــدار ٠٠٢ر٠ من الثانية بعد مائة ســنة من الآن ،

وبهذا فان نسبة الخطأ لا تتعدى واحد فى البليون ! •

واذا ما قارنا تلك الدقة المتناهية فى انتظام مدة دوران الأرض بجرم الأرض الذى هو حوالى خمسة آلاف مليون طن على تناهى كبره ، فان العقل البشرى ليقف مندهشا غارقا فى التأمل ، لدقة هذه الساعة الكونية العظمى ! •

ان ساعة من معدن أو غير معدن جرمها جرامات تدور فتخطىء فى دورانها فى اليوم بضع ثوان ، ونقول عنها : ما أضبط وما أجمل هذه الساعة !! فما بالك بالكرة الأرضية التى تعمل كساعة كونية ، جرمها ملايين ملايين الملايين من الأطنان !! تدور ولا تخطىء فى اليوم ثوانى ولا أعشار الثوان ، ولكن أجزاء من آلاف من الثانية وتخطئها لأسباب معلومة محسوبة •

حقا ان هذا الخطأ البسيط فى دوران الكرة الأرضية دليل على الكمال • وسبحان الخالق مبدع السماوات والأرض •

وقد يندهش القارىء لصغر هذه الأجزاء من الألف من الثانية التى يزداد بها طول اليوم الأرضى • وقد يقترن استصغاره لها بالاستخفاف بها ولكن حذار من اهمال المقادير الضئيلة فى حساب الأفلاك • ان عمر الانسان يقاس بالأيام والأشهر والسنين ، ولكن عمر الأفلاك وأحداثها تؤرخ بملايين وبلايين السنين • وبهذا فان ملايين أو بلايين السنين تجمع القليل التافه من هذه الأجزاء من الألف من الثانية ، لدرجة أن طول اليوم كان فى الماضى عند نشأة الأرض ٤ ساعات فقط ، وذلك عندما كانت الأرض كرة من الصخر المنصهر كالعجين قبل أن تتجمد قشرتها • وعندما استقر الماء على سطحها ، وتكونت البحار والمحيطات ، بدأ المد والجزر بفعل جذب القمر لهذا الماء ، فأدى الى تعويق دوران الأرض حول نفسها تدريجيا ، الى أن أصبح منذ ٣٥٠ مليون سنة مثلا ٢٢ ساعة ، وأصبح الآن ٢٤ ساعة ، وسوف يصبح فى المستقبل ٤٣ ساعة مثلا بعد حوالى خمسة بلايين سنة من الآن

وبهذا يدرك الانسان ما فى ساعة الكون العظمى : (الأرض) من تأخير ، رغم أنها أدق من الساعة التى تطلق عليها الشركات الآن ساعات الكوارتز ، التى تدرك الجزء من الألف من الثانية !

والآن وقد اكتشف العلم ما فى دورة الأرض حول نفسها من ابطاء ، والى جانب هذا الابطاء الدائم القائم المنتظم فى دوران الأرض حول نفسها لأسباب أكثرها وأخطرها جذب القمر لمياه البحار والمحيطات : (المد والجزر) توجد تغيرات فى سرعة هذا الدوان اسراعا أو ابطاء ، تصيبه فى غير انتظام وقد تصيبه بغتة !

فكل حدث يحدث فى الأرض : فى سطحها ، أو فيما دون سطحها ، يكون من أثره انتقال مادة من مكان الى مكان ، يؤثر فى سرعة دورانها •

فليس المد والجزر هو العامل الوحيد فى ذلك حتى ما تنقله الأنهار من مائها من ناحية فى الأرض الى ناحية يؤثر فى سرعة الدوران وهبوط فى قاع البحر أو بروز فى سطح الأرض هنا أو هناك يؤثر فى سرعة الدوران •

ومما يؤثر فى سرعة الدوران أن تتمدد الأرض أو تتكمش ، بسبب ما ، ولو انكماشا أو تمددا طفيفا لايزيد فى قطرها أو ينقص منه الا بضعة أقدام •

ولقد ثبت علميا أن أهم العوامل فى ابطاء الأرض فى دورانها حول نفسها هو جذب القمر لمياه البحار والمحيطات ، محدثا ما نسميه : « المد والجزر » •

٢ ــ ظاهرة المد والجزر وابطاء الأرض :

عرفنا أن يوم الأرض يطول مع الزمن ، نظرا للتباطؤ الحادث فى سرعة دوران الأرض حول نفسها ، ولقد ثبت أن القمر يلعب دورا هاما فى هذه الظاهرة ، فالقمر تابع للأرض ، ويدور حولها وحول نفسه ، وهو أقرب الأجرام السماوية للأرض ، وكلنا يعرف ظاهرة الجاذبية بين كل الأجرام فى الكون ، وبهذا فان القمر يؤثر بالجاذبية على الكرة الأرضية وعلى حركتها فى الفضاء ، فيسبب

ظاهرة معروفة : « بالمد والجزر » حيث يعمل القمر دائما على جـذب مياه البحار والمحيطات التى تغطى ثلاثة أرباع سطح الأرض ، أثناء مواجهة هذا الماء للقمر ، فترتفـع هذه المياه عن سطح الأرض عاليا ، نظرا لليونتها ومرونتهـا ، فينتج ما يسمى بظاهرة : « المد » لهـذه المياه • وتدور الأرض بهذا الماء ، ليستقبل القمر ماء غيره على سطح الأرض ، فيصيبه « المد » بجـذب القمر ، بينما يهبط الماء الأول بعد أن دارت به الأرض وبعد عن تأثير القمر فيصيبه « الجزر » من بعـد المد • وهكذا تدور الأرض حـول نفسها ، فيتناوب سطوحها المائية جذب القمر لها شدا وتعلقا ، ويبعد بعض سطحها اذ يدور عن القمر ، والقمر متعلق بمائه ، فيعوق هـذا التعلق الأرض فى دورانها ، ذاك لأن الماء المتعلق يرتطم بما يأتى من سواحل المحيطات الصلبة وقيعانها، فيعوق من دورانها ، أى من دوران الأرض ، وهو تعـويق يؤدى الى ابطاء سرعة دوران الأرض حـول نفسها ، ورغم أنه تعويق فى غـاية التفاهة الا أنه تعويق على كل حال يؤدى الى أن يوم الأرض سيطول فى المسـتقبل •

ويمكن تشبيه هذه الظاهرة وكأن الكرة الأرضية رجـل يدور حـول نفسه ، وتمسك أنت بأطراف ثوبه، وكلما أفلت من يدك طرف أمسكت فورا بطـرف آخـر من الثوب ، وبهذا يتعطل الرجل فى دورانه حول نفسـه •

ولهـذا فان المد والجزر يبطىء أى يفرمل من دوران الأرض حول نفسها • ويتكرر المد والجزر مرة كل يـوم ، فى جميـع البحـار والمحيطات فى سائر أنحاء الكـرة الأرضية ، وبهذا يتكرر التعطيل ، ويزداد طول اليوم الأرضى الحالى تدريجيا بمقدار ٠٠٢ر٠ ثانية كل قرن !! فى المستقبل ، بينما كان هذا اليـوم أقصر فى الماضى بنفس المعـدل •

فلقـد ثبت أن اليـوم كان ٢٢ ساعة فقط ، منذ حوالى ٣٥٠ مليون عـام مضى ، وذلك فى العصـر المعروف بعصر الأسـماك ، حيث ثبت أن بعض الشعب المرجانيـة الحالية تظهر عليها أحزمة سنوية

تتركب من ٣٦٥ حلقة أصغر : (بعدد أيام السنة الحالية) تمثل مؤشرا للنمو السنوى الحالى لهذا النوع من الشعب المرجانية .

بينما المرجان المتحجر لنفس النوع من هذه الشعب ، التى كانت موجودة منذ نحو ٣٥٠ مليون عام ، فقد أظهر ٤٠٠ حلقة صغيرة لكل حزمة سنوية (بعدد أيام السنة فى هذا العصر !) .

وحيث انه لا يوجد دليل أو سبب لتوقع لأى تغيير حقيقى لطول العام ، فان كثرة عدد الحلقات يعتبر دليلا على أن اليوم فى هذه الحقبة الماضية من الزمن كان أقصر ، ويمكن بذلك حساب طول اليوم فى هذا الوقت الماضى بمقدار ٢٢ ساعة .

وهكذا لقد أدى ابطاء الأرض الى زيادة طول اليوم تدريجيا ، كما أظهرته دراسات الشعب المرجانية ، وساعات الكوارتز ، والساعات الذرية .

ويمكن القول بأن اليوم سيزداد طوله فى المستقبل ، حتى يصل مثلا الى ٤٣ ساعة بعد فترة تقدر بحوالى خمسة بلايين سنة من الآن . وهذا طبعا يوم طويل اذا ما قورن بيومنا الحالى ذى الـ ٢٤ ساعة ، مما سيؤدى حتما الى تطور نظام الأرض والقمر تطورا يجبر القمر على الانشقاق !

٣ ـ انشقاق القمر علميا :

من المعروف أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس ، بينما القمر تابع للأرض يدور حول نفسه وحول الأرض ، ولهذا فان الأرض والقمر يمثلان معا نظاما شبه معزول ، وهناك تأثير متبادل بينهما ، وكمية تحركهما الزاوى أى : الدورانى مقدار ثابت ، فلو أبطأت الأرض فى دورانها أسرع القمر فى دورانه والعكس صحيح ، لأن مجموع كمية التحرك الدورانى فى أى نظام معزول مقدار ثابت طبقا للقوانين الأساسية فى الطبيعة . والمقصود بكمية التحرك الزاوى (١) لأى جسم هى كمية

---

(١) ـ كمية التحرك الزاوى لجسم ماهى ناتج حاصل ضرب كتلة الجسم الدائر × بعده عن محور الدوران × سرعة الدوران .

التحرك المناظرة لدوران الجسم حول محوره أو لدورانه فى مداره أو لكليهما .

وحيث ان الأرض سوف تبطىء فى سرعة دورانها حول نفسها فى المستقبل ، فان القمر سوف يسرع حتما فى دورانه حول نفسه ، أو فى دورانه حول الأرض، ليعوض ما ينقص فى الأرض من كمية تحركه . وهذا التسارع فى دوران القمر فى المستقبل سوف يؤدى الى انشقاق القمر ، ويمكن ادراك ذلك بطريقتين :

(أ) زيادة سرعة دوران القمر حول نفسه فى المستقبل ، سوف تؤدى الى تغلب القوة الطاردة المركزية (١) على أجزاء القمر المتماسكة ، فينشق القمر ويتفتت كما يتفتت الشيء عندما يدور بسرعة فى الخلاط الكهربى .

(ب) زيادة سرعة دوران القمر حول الأرض سوف تؤدى الى ابتعاد القمر عن الأرض ، ثم اقترابه منها تدريجيا ، وخاصة بعدما يصل يوم الأرض الى حوالى ٤٣ ساعة ، وذلك فى غضون ٥ الى ١٠ بليون سنة من الآن ، (٢) حيث سيقترب القمر من الأرض اقترابا يجعل الفرق فى تأثير جذب الأرض على الجزئين : القريب والبعيد من القمر كافيا لشق القمر شيئا فشيئا ! وعندما يحدث هذا فان بقايا القمر تصبح على شكل حلقة من الجسيمات حول الأرض ، شبيهة بدرجة كبيرة بحلقات زحل !

والآن وقد عرفنا بالمنطق العلمى المتفق مع الحضارة الحديثة أن القمر سينشق بالتأكيد فى المستقبل فقد تسأل كيف يمكن للعلماء تحديد موعد ولو تقريبى لانشقاق القمر علما بأن انشقاق القمر مرتبط كما ورد فى القرآن الكريم باقتراب

---

(١) ــ وهى القوة التى يكتسبها اى جسم مادى دائر ، ويكون اتجاهها خارج مركز الدوران ، مثل القوة التى تقذف بقطرات الماء خارج الملابس التى تدور فى مجفف الغسالة .

(٢) ــ آفاق جديدة فى علم الفلك ــ تاليف : جون براندت وستيفن ماران (مترجم) مكتبة الوعى العربى صفحة ٤٢٠ .

الساعة كما تشير الآية الكريمة : ؟

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

كما أن علم الساعة وتحديد يوم القيامة أمر من الغيبيات التى يحتفظ بها الله سبحانه وتعالى لنفسه بدليل قوله تعالى :

« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت » لقمان ٣٣

وللرد على هذا السؤال فاننا نلاحظ من سياق هذه الآية الكريمة أنها تقرر أن الله عنده : علم الساعة ، وينزل المطر ، ويعلم مافى الأرحام • وقد يتعرض الانسان بواسطة العلم لهذه الأمور الثلاثة ، وقد يتمكن فى حدود ضيقة (اذا ما سمح الله له بشىء من العلم الالهى وهذا جائز) أن يعرف علامات الساعة وكيفية نزول المطر واستعجاله ، ونوع الجنين دونتأكيد مطلق فى هذه الأمور الثلاثة • ولكن موضوع رزق الانسان وميعاد ومكان وفاته ، فان الآية تنص نصا صريحا على استحالة التعرف عليهما داخل أى اطار بدليل قوله تعالى :

« وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت » •

وبهذا فان من الجائز أن يسمح لنا الله بمعرفة موعد انشقاق القمر دون تأكيد مطلق بهذا الموعد، وحتى لو عرفنا موعد انشقاق القمر فان هذا سيكون دليلا على اقتراب الساعة ، وليس قيامها !

كما أن العلم لا يستبعد تدخل عوامل أخرى غير المد والجزر تؤثر على سرعة دوران الأرض حول نفسها ، مما يقدم أو يؤخر من موعد انشقاق القمر ، وهذا يتفق مع الآية الكريمة التالية التى تشير الى قيام الساعة فجأة ، وبالتالى فان علامات الساعة سوف تحدث دون تأكيد مطلق بموعد حدوثها :

« هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون » • (الزخرف : ٦٦)

وقوله تعالى :

« يسألونك عن الساعة أيان

مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها . انما أنت منذر من يخشاها » .

(النازعات ٤٢ ــ ٤٥)

هذا هو العلم الحديث يكشف عن امكانية انشقاق القمر فى المستقبل ، دون تحديد مطلق لموعد الانشقاق . وهذا هو القرآن الكريم يشير الى انشقاق القمر ، وما كان رسول الله سيدنا محمد يستطيع معرفة هذه الظاهرة ، وهو مجرد من كل الوسائل العلمية التى تكشف النقاب عنها ، ولهذا فان القرآن الكريم كتاب الله ، وأن سيدنا محمدا رسول الله . وسوف يظل الاعجاز العلمى للقرآن الكريم حتى قيام الساعة ، بعد أن ينشق القمر ، وتتكور الشمس ، وتتحول الى عملاق أحمر كما سنعرف فى المقالة التالية باذن الله تعالى .

والسلام عليكم ورحمته الله وبركاته .

دكتور

منصور محمد حسب النبى

رجاء الى كتاب مجلة الأزهر

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة أن يتكرموا بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة (التبرايتر) ثم مراجعتها ــ أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، والله الموفق .

أسرة المجلة

مع اللغة فى تطورها

للدكتور توفيق شاهين

اللغـــة ككائن حى ، تتحـــرك وتمـــوج وتضـــطرب ، وتحيـــا وتستخدم وتتغير وتموت ، كشأن الأحياء .

ولا يمكن أن تثبت اللغة ثبوت الدين فى دائرة الخلود ، بل لابد من تغيرها وتطورها ومعرفة حياة اللغة وتقلباتها ، وتأثرها وأثرها ، وتماسكها أو تلاشيها .. كانت من البحوث القيمة ، التى أولاها علماء اللغة عناية كبيرة ، فى مجالات :

• علم الاجتماع اللغوى

(SOCIOLOGY OF LANGUAGE)

لبيان العـــلاقات التى تربط بـــين اللغة ومجتمعها ، وأثره فى مختلف المظاهر اللغوية ، من حيث تركيبه وحضارته وبيئته .

وكان التعاون بين علماء اللغات والاجتماع مفيدا لكليهما :

اذ استفاد الاولون من دراسة الألفاظ ودلالتها على نحو دقيق فى واقع الاطار الحضارى والاجتماعى .. وتفسير التغير اللغوى تفسيرا كاملا فى ضوء الظروف السابقة .

واستفاد الآخرون : أن اللغة من أهم مظاهر السلوك الاجتماعى ، وسبب لانتماء الفرد لمجتمعه .

• كما عظمت العناية ببحـــوث (علم النفس اللغوى

(LINGUISTIC PSYOLOGY

لبيان العلاقة بين اللغة ، والحالة النفسية ، والتفكير والايحاء .

• وكذلك بحـــوث علم الدلالة (السيمنتيك (SEMANTIQUE

وخاصة علمي : البنية : الاشتقاق والتصريف (المورفولوجيا) • والتنظيم ، فى أقسام الكلام وأنواعها ، ووظائفها فى التركيب ، فى المسارين : التاريخي والمقارن •

• وكذلك علم الأساليب : (الستيليستيك STYLISTQUE) الذى ينوع فنون القول باختلاف العصور عند الشعوب ، فى اطارى المقارنة والتاريخ أيضا • أما الجانب التعليمى فى كل ما سلف فقد استقل بنفسه ، وأصبح علما مستقلا ، وكثير من علماء اللغة ، لا يعدونه من أبحاث علم اللغة اليوم •

وقد احتاجت اللغة فى دراسة جوانبها الى تكاتف وتعاون هؤلاء العلماء ، حتى يتم توضيحها والكشف عنها فى قطبيها من ناحية الأصوات وأجهزة النطق ، التى تحتاج لعلوم : الطبيعة ، والفيزيولوجيا ، والتشريح ، والأنثروبولوجيا •

ومن ناحية المخبر وهى المعانى التى تؤدى اليها الأصوات ، ولما كانت المعانى يتم بها تنظيم علاقات التفاهم ، والتعبير عن الحاجات والمشاعر والأحاسيس ، احتاجت فى دراستها الى علوم الاجتماع ، والنفس ، والتاريخ ، والبيئة الجغرافية •

اللغة فى مسارها التاريخى أو الموروث :

التطور والتغيير ناقوس فى كل مجتمع والمجتمع بأسره وما يدور فيه عامل فى خلق هذا التطور • والمدلول الاجتماعى يسبق دائما المدلول اللغوى ، الذى يخلفه ليغطيه برمز لغوى • واللغة أهم ظاهرة لغوية فى المجتمع ، التى يتوارثها الأجيال تباعا • وكل تطور نفسى أو عقلى أو اجتماعى ، بيئى ، أو حضارى •• تبدو مظاهره فى اللغة ، فتلاحقه ، وتتشكل معه تطورا وتغييرا وأثرا وتأثيرا • وبازدياد ملامح التغيير والتطور تتسع مسافة الخلف ، حتى تتشعب اللغة الى لهجات ، وتصبح لغات — كما أسلفنا — وهكذا دواليك •

وقد شبه بعضهم اللغة

بشـــجرة [١] تتـــدلى فروعها الى أسفل ، فتلامس التربة ــ وترسل فى الأرض جذورا تصبح أشجارا فتية فيما بعد • وقد تموت الشجرة الأم ، ولكن من فروعها تنشـــأ أشجار جديدة •

واذا قلنا : ان اللغة تمـوت ، فانما نقصـــد بالموت التغيير الكلى الذى يطرأ على المجتمع ، والتبدل الجذرى فى الحياة ، وفى الظروف المحيطة بالحياة الى حد نســتطيع فيه القول أن لغـــة اليوم مغايرة للغة الأمس •

قد نستطيع أن نطيل حياة لغة باقامة سياج حولها مـــن أحـــكام شديدة وقوانين ثابتة • وقد نقيم حولها هالة من التقديس ، وقـــــد نضـــفى عـــلى أدبها مسحة مـــن القدسية •• وجميع هذه تطيل فى حياتها ، ولكن لا مفر من المحتوم: (الموت) ، وكل حى يموت ، واللغة حيـــة فهى خاضـــــعة لهـــــذا الناموس ••• » •

ونقول : اذا جاز ذلك الموت على كل لغة ، فان العربية وهى وعـــاء مقدساتنا لن تموت ــ باذن الله ــ وان نالها التطور والتغيير •

واللغة تنبع من أصل ، وتجرى فى روافد الى مصب ، وتتشعب بها المجارى والروافد ، وكلما بعـــدت عن نقطة الانطلاق ازداد التغاير والتباين •

وهذا التطور قوى التيـــــار ، يجرف أمامه ما يعترضه ، ويصبغه بصبغته ، مهما نشط اللغويون بكل امكاناتهم فى ايقاف زحفه ، فقـــد يطيل الأجل قليلا ، أو يوقف الزحف يسيرا •• ثم تمسى اللغة متقوقعة ، أو غريبة الوجه واللســـــان ، أو هامدة الحركة •

ويؤيد ذلـــك : أن العـــــربية وأخواتها الســـاميات : العبرية ، والبابلية ، والأشورية ، والفينيقية والسريانية ، والحبشية ، عـــــلى ما بينها مـــن اختـــلاف •• كلهـــا انشعبت وتحدرت من مجـــــرى واحد •

وأن اللغـــــات : الأرمنيـــة ،

(١) نظريات فى اللغة ٥٠.

والايرانية ، والروسية ، والألمانية، والايرلندية ، واليونانيةوالسويدية والدانمــــــركية ، واللاتينـيـة ، والانجليزية ... على ما بينها من تباين كبير فى الاصوات والنظـــام والاساليب ... تمثل مجــــارى متشبعة من مجرى واحد ، مــــن الجرمانية الأم .

ولم يبق للاتينية الا رســـمها ، حين استقلت عنها : الفرنســيــة ، والايطـــــــالية ، والرومانية ، والبرتغالية ، والأسبانية .

وكالعربية الفصـــحى التى ظلت لغة كتابة وحديث وتأليف وأدب ، بينما تجد — اليوم — لهجاتها فى البعد عنها فى عامية الأقطار العربية وتغذ السير فى هذا البعـــد الذى استشرى وخيفت عقباه ونتائجه .

ومعلوم أن لكل لغة صــــفات أساسية مشتركة بين عـــدد مـــن أصواتها ، يعرفه أبناء تلك اللغـــة الا أن لكل انسان صفاته المميزة فى النطق، وطريقة تعبيره وأدائهحتى (IDIOLECT,) ليمكن أن نميز صوته عن غـــيره ، ومن بعيد ، وعبر الأثير واللاسلكى ويرجع هذا الاختلاف الى التكوين الفسيولوجى لكل واحد على حدة ، وبسبب تعوده والفه . كمـــا يتلون حديثه بما ينم عنشخصيته ومهنته وطبقته فى الحيـــاة . والفـــــروق الفـــــــردية فى النطق لا تخفى الأصوات اللغوية للمجموعة ، والتى تحميها الصـــفات الأساسية التى يشترك الجميع فى معرفتها والسير عليها . وتحديد هـــذه الصـــفات الأساسية لاصوات لغة ما كان هو السبب الداعى لنشـــــوء نظرية (الفونيم) فى الدراسات اللغوية ، وعنها تفرعت (الفونولوجيا) .

وهـــذه الفـــروق الفردية بين الأفراد فى نطق الأصوات حتمية ، لا يمكن ايقافها ، لأنهـــا جبرية ، وكل انسان وطبيعة تكوينه .

كما أنها قديمة : فقـــد وصـــف سيبويه — فى القرن الثانى الهجرى — الضاد التى سمعها بأنها : الضاد الضعيفة ، أى ليست هى الضاد التى ينطقها الأعرابى الأصيل (١)

---

(١) الكتاب لسيبويه ٢/٤٠٦

وقد قلبت هذه الضاد الى ما يقرب من الدال فى بعض اللهجات ، والى ظاء فى لهجات أخرى كما يشاهد فى العراق •

• والتغيير يشمل المفردات فى معانيها ، كما يشمل التراكيب ، وكما شمل الحروف : فاذا تتبعنا لفــظ (جمع) وبعض مشتقاته فى العربية ــ مثلا ــ لوجــــدناها تطــورت حضــاريا كما يلى : القـــواميس القديمة عــرفت (جمـــع) بمعنى الضم والجمع والاجتــماع للناس والأشياء ، والأمر الجامع • وعرفت الصلاة جامعة ، وصلاة الجماعة ، وما عرفت الجمعية ، حتى القــرن الثانى الهجرى •

ولكننا لو راجعنا معجم (دوزى) فى عصر الحضارة ، وراجعنــا ــ أيضا : (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى) (١) لوجــدنا تشــعب الاصطلاحات وكثرة الاستعمالات :

فالجمع : حسابى عند الرياضيين وضــم الأصــل والفـــرع لعلة مشتركة ، ليصح القياس عنـــد الأصـــوليين • عكس المفرد عنــد النحويين •

والجامعة اليوم : تيار سياسى ، وأكاديمى ، وشعبى فى الجامعــة الشعبية •

وأهل السنة والجامعة ، وجماعة المسلمين ، للصف الاسلامى الموحد

والجمعية العمومية ، والتعاونية •• والاجتماع للقـــاء ، واجتماع المنجمين ، والاجتماع عنـــد علماء الاجتماع ، واجـــماع الفقهاء ، وعلماء الكلام ، والنحاة •

ويقول المقرى : انجمعت عـــلى القلوب ، والقواميس لم تعـــرف (انجمع) • وجاء عـــن الادريسى (مجتمع) ، وعندنا اليوم المجتمع الســنوى ، والمجمع اللغــــوى ، ومجمع البحـــوث ، ونكنى عـــن الزوجة بالجماعة ••

وقد كان تتابع الاضافات معيبا فى التراكيب ، كقول الشاعر :

---

(١) علم اللغة العربية ــ د ــ محمود حجازى ٢٩٩ وما بعدها .
(٢) كشاف التهانوى ١ / ٣٣ .

(حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى) .. فأصبح مألوفا فى تراكيبِ جديدة مثل : احتمال قرب سقوط مطر الشتاء .

الاحتكاك اللغوى فى مجال التغيير :

الانسان مدنى بطبعه ، والاتصال ضرورى بين الأمم ، وقد كثر نتيجة لتذليل سبل الاتصال والاحتكاك اللغوى عندئذ لابد منه والتأثر والتأثير اللغوى نتيجة هذا الاحتكاك ، ومصير التأثير التطور والتغيير لا شك فى ذلك .

وسنة اللغات فى الاحتكاك الأخذ والعطاء ، والأعلى كعبا من اللغات هى التى تقرض أكثر مما تقترض .

والبلد المتفوق فى ناحية من نواحى الحياة أو الثقافة يعطى هذا الجانب ومع ألفاظه الى الذى افتقد هذا الشيء :

فقد أخذت اللاتينية عن الاغريقية ، مع حضارتها الشيء الكثير من الألفاظ ، وخاصة الطبية والفلسفية وأخذت الجرمانية عن اللاتينية مفردات عديدة فى : التشريع ، والقضاء ، ونظم السياسة والاجتماع (١) وأخذت الأوربيات عن العربية كثيرا من ألفاظ منتجات الزراعة ، مثل : الليمون ، والزعفران ، والسكر ، والكافور ، والقهوة ، والقطن ، والنسيج الموصلى ، والدمشقى . وهى على الترتيب :

LEMON, SAFFRAN, SUGAR, CAMPHOR, COFFEE, COTTON, MUSLIN, DAMASK.

وأخذت الأسبانية عن العربية حوالى أربعمائة لفظة ، فى شئون الملاحة والبحرية ، وكذلك صنع اليونان كالأسبان .

وكلمة (شاى) وفدت من ماليزيا ، وعمت أرجاء المعمورة

وأخذت العربية من اليونانية : الفاظ الطب ، والفلسفة والمنطق ، وعلوم الطبيعة ، وكذلك الفردوس ، والقسطاس ،والبطاقة ، والسجنجل (للمرآة) .

وأخذت العربية عن الفارسية

---

(١) علم اللغة . د . وافى ٢٣٢ .

أسماء التوابل • والأدوات المنزلية •• مثـــل الفلفل ، والقـــــرفة ، والزنجبيل ، والدراصيني ، والكوز والابريق ، والطست • والخوان • ومن العطور : البنفسج ، والمسك ، والياسمين ، والكافور ، والعنبر • ومن النسيج : الديباج ، والسندس •• والاستبرق (١) •

وأثبتت العـــربية بما أخـــــذته وعربته من اللغات الأخرى أنهـــا ذات قدرة بارعة على هضم الألفاظ الأجنبية ، وصقلها على أوزانها فيها وجعلها مثل الالفاظ الاصلية فيها ، حتى صرفتها واشتقت منها ، فقالت فلسفة ، وتفلسف ، ومتفلســـف • ونورز من النيروز •

اللغة والحضارة :

تعيش اللغة فى تفاعل دائم مـــع طبيعة العـــلاقات الاجتمـــاعية ، والحضارية ، والسياسية ، وكـــل ما فى المجتمع عبر الأجيال ، لأن اللغة من الحياة الانسانية ولها ، والعنصر الانسانى هو الـــــذى يضفى على اللغة مسحة من تأثير وفيرة المفردات ، رقيقة الحاشية السحر والكمال والجمال ، فهـــى أكثر من (فونيمات) وحياتهـــــا أو موتها أو تبدلها رهـــن بالعنصر الانسانى اذا عاش عاشت معـــه ، وان مات توارت معه ، سواء اكان موته حقيقيا أو معنويا •

واللغة أصدق سجل لتـــــاريخ الأمـــــــة ، وميزان منزلتها من الحضارة ، وتعكس ماف البيئة من مختلف الشئون الحياتية ، وتتأثر بكل مايدور ويحدث فى البيئة من موروث أو طريف ، والانسان ابن بيئته : فـــان بـــدت وبادت معـــه لغتـــــــه ، وان تحضرت حضر وتحضرت معه لغته :تتسع بانفتاح آفاقه وتنغلق بانعزاله :

فمن (الســـــاميات) : كانت (الآرامية) فى الشمال : قليلـــــة الألفاظ ، مضطربة القواعـــــد ، ثقيلة التراكيب ، صعبة النطـــق ، متنافرة الكلمات والحروف •

و (العربية) فى الجنـــــوب :

---

(١) فقه اللغة للثعالبى الباب ٢٩ ، والمزهر للسيوطى ، النوع ١٩ •

انسانية التعبير ، منطقية القواعد، رحبة الأفق ، ووسعت كتاب الله لفظا وغاية .

وجاءت (العبرية) فى منزلة بين المنزلتن : ففاقت الاولى ، ولم تبلغ شأو الثانية » (١) .

واللغة أداة بلاغ ، وحمالة حضارة ، لكنها كما ثبت من الواقع — لاتحدد نوع الحضارة لمجتمع معين : فقد ثبت : « أن المجتمعات التى تتكلم لغات مختلفة يمكن أن تشارك فى نفس الحضارة : كالحضارة العربية الاسلامية » ، التى حاكتها أمم تنتمى الى لغات شتى .

وعكس هذا صحيح أيضا : «فمن الممكن أن تستعمل مجتمعات تنتمى الى حضارات مختلفة لغة واحدة ، كما هو حاصل فى الوقت الحاضر — مثلا — للغة الانجليزية » (٢) .

فاللغة انعكاس لاهتمامات المجتمع الذى يتكلمها ، وتفى — دائما — باحتياجاته واهتماماته بشكل مرض للغاية ، وهى — بالتالى — تساعد الفرد والمجتمع على التفكير الى العالم بطريقة ما ، ولكنها لاتمنعه من التفكير والتصرف بطريقة أو طرق أخرى.

فاذا انتقل المجتمع من حال الى حال : من الزراعة الى الصناعة ، أو من البداوة الى الحضارة لاتقف اللغة حائلا دون ذلك التحول ، لان فى كل لغة امكانيات للتطور والتغيير ، بحيث تساير المجتمع الجديد فى كل مايجد فيه من شئون ، تسرع أو تبطىء فى ذلك على حد ما فى طياتها من امكانات اليسر أو العسر فى الحركة ، ولكنها سائرة نحو الوفاء بالتعبير عما جد فى المجتمع الذى تعايشه من مداليل وأمور .

وتصطبغ اللغة بما فى البيئة ، وترى أنماط السلوك السائدة ، والاتجاهات الاجتماعية ، والطبقية وتوحى بدرجة الثقافة :

---

(١) علم اللغة . د. وافى ٢٣٥ .
(٢) اضواء على الدراسات اللغوية ٢٢٠ .

فحين يصبح فرس امـــرىء القيس خير وسيلة للسفر ، يصفه امرؤ القيس بتفصيل دقيـــق . وحين تمسى ناقة طرفة خير ركوبة وعليها زاده وأمله وحيـــاته .. يمطرها بأكثر من أربعـــة آلاف لقطة ، لاتـــدع شاردة ولا واردة من شئون ناقة الا أحصاها .

وحين تمحل الأرض أو تخلـف السماء ، لاتجد أثرا للراحلـــين سوى الدمن والاطلال ، وبعـــر الآرام فى العرصات .

وحين يحيا القوم فى عيشـــة راضية ، يمـــدح الشاعر المرأة ، بأنها نئوم الضـحى ، ويضـحى فتيت المسك فوق فراشـــها ، ومشيتها من بيتها الى بيت جارتها مشى السحابة لاريث ولا عجل .

ويكون القـــوم المدوحون : رقاق النعال ، وطيب حجـزاتهم ، ويسوسون أحلاما بعيدا أناتهـا وتخالهم جنا اذا جهلوا .

وقانون البيئة وانطباع مافيهافى اللغة لا يتخلف ، والعنصر الانسانى هو الأداة والحمالة : فقد تزدهـر الحضارة ، وتموج بها الدنيا مـن حوله ، وهو لايدرى .. لكـــن ما ان يتعامل مع الدنيا الجـديدة وينفعل الا وتجد النقلة واســعة ، والجذوة متقـــــدة ، اذا كانت القريحة وقادة :

تحدث أســـانيد الأدب : أن شاعرا وفد من البادية ، مشـبعا بمشاهــدها ، ويحمل بضــاعتها ، مدح على بن الجهم ، فقال له :

أنت كالكلب فى وفائك بالعهـد
وكالتيس فى قراع الخطـــوب
أنت كالدلو لاعد مناك دلـــوا
من كثير العطا قليل الذنـــوب

فهم احد جلساء الأمير بتأديبه، ولكن الأمـــير أدرك بفطنته ، فالشاعر استوحى محصـــوله ومخـــزونه اللفظى والمرئى ، فلم تسعفه الذاكرة بأكثر مما عاشـــه واقعا فى بيئته ، وأبقاه الأمير زمنا يسيرا ينعم فى بحبـوحة العيش ، ويتعامل مع الطبيعـــة فى أجلى مغانيها ومفاتنها ، ويشـــاهد الجوارى كالحوريات فى غدواتهن وروحاتهن وتحــدث كتب الأدب أن ذات الشاعر رأى فى روضـــة

أريضة كالخميلة جارية تتهادى بين الشجر ، فهم بمغازلتها فتهـددته بخنجرها ، فأمسك بيدها قائلا :

يامن حوى ورد الرياض بخده
وحكى قضيب الخيزران بقـده
دع عنك ذا السيف الذى جردته
عيناك أمضى من مضارب حده
كل السيوف قواطع ان جردت
وحسام لحظك قاتل فى غمـده
ان رمت تقتلنى فأنت مخـير
من ذا يعارض سيدا فى عبـده

وذات الشاعر هو القائل أيضا :

عيون المهابين الرصـافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى •

وهكذا تكون النقلة ، وهكـذا يكون أثر البيئة ، وهكذا تكـون اللغة مطواعا لألمعى •

وكثير من العلماء يرون أن لكل لغة مقدرتها على التعبير عمـا فى بيئتها ، فلا مجال لتفضيل لغـة على أخرى فى أية ناحية ، وانمـا التفضيل لحضارة على أخـرى تحملها لغة :

يقول الأستاذ أنيس فريحة : « لقد أثبت علم اللغة الحديث: أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، يتميز بهـا كل مجتمع انسـانى ، وهى ظاهرة انسانية •• لم تهبـط مـن عل ، بل نشأت من أسـفل ، وتطورت بتطور الانسان ذاتـه ، ونمت بحضارته • وليس هنـاك مبرر للمفاضلة بين لغة وأخرى •

لكل لغة عبقريتها ومقدرتها على التعبير عن حياة المجتمع •

وليست القضية قضية لغـة أفضل من لغة ، بل قضية حضارة أرقى من حضارة • وحياة أغنى من حياة •

ولذلك لا مفاضلة فى أصـوات اللغة : كأن يقول أحـدنا ، ان فى الايطالية أصواتا أعذب موسيقى من أصوات العربية ، فالذى نعده ــ نحن البيض ــ عـذوبة فى الصوت ، قد يعده الهندى الأحمر قبحا وخشونة • وما نحسـبه بيانا وفصاحة •• قديرى فيـه الزنجى غموضا وتعقيدا •

ولامبرر للقول بأن مفـردات لغة ما أكثر عددا من مفردات لغة أخرى ، اذ قد يكون عندنا ــ نحن البيض ــ للصورة الذهنية لقطـة

خاصة تعبر عنها ، بينما نجــد أن الصفر أو الحمر أو الســـود من البشر لايشــعرون بأن هـــذه الصورة الذهنية تحتاج الى لقطة خاصة بل قد يعبرون عنها بطريقة أخرى مخالفة ، ولكن فعالة » (١)

ونحن لا نوافق الاستاذ فى كل ماذكره : فهناك عذوبة فى موسيقى بعض اللغات كالفرنســية ، يحب الانسان أن يسمعها ، ويأنس لها ويطرب ، ولولم يــدرك معناها . وهناك لغات غنية بمفرداتهـــا ، وأخرى فقـــيرة .. وناهيـــك (باللسان) الذى يضم بين دفتيه أكثر من مائة ألـــف مادة .. ومخزونه الوفير هذا ارهاص بأنه يلبى أشواق الروح ومطالب الحياة والأحيــاء ، حين تدعو الحاجة ، وتلم الضرورة .

اللغة والفكر :

ثار جدل كبير بين العلمـــاء والمفكرين ، بشأن قضية : توافق اللغة والفكر وتفاعلهما . فـــكان التساؤل : هل يوجد فكر مجـــرد بدون رموز لغوية ؟ أو أن اللغـــة والفـــكر مظهـــران لعمليـــة (سيكولوجية) واحـــدة ، كوجهى قطعة عملة ؟

والسؤال بوجه آخر ، هـــل هناك ارتباط بين طبيعة نظام اللغة ورموزها من جهة ، وبين تفكـــير مجتمع هذه اللغة وفلسفته ومظاهر التفكير التى انتجها وينتجها هـــذا المجتمع من جهه أخرى .

بعض العلماء يؤيد هذا الترابط وتؤيد التجارب والدراسات : بأن اللغة تسيطر على طريقة تفكـــير المجتمع ، وان سلوك الفـــرد والمجتمع معزو الى اللغة المتكلمة وطبيعتها .

وبعض العلمـــاء ينقض ذلك وينفيه . فمسافة الخلف واسعة ، والتطرف كبير بين النفى والاثبات:

يرى سابير (SAPIR) : أن اللغة هى التى تجعل مجتمعـــا ما يتصرف ويفكر بالطريقـــة التى يتصرف ويفكر فيها . وأن ذلـــك

---

(١) نظريات فى اللغة ٤٨

المجتمع لايستطيع رؤية العالم الا من خلال لغته ، فالبشر واقعون تحت رحمة تلك اللغة المعينة ، التى اتخذوها وسيلة للتفاهم فى مجتمعهم . حقيقة الأمر أن العالم الحقيقى مبنى الى حد كبير على العادات اللغوية لمجتمع معين »(١)

وفى موطن آخر يوضح (سابير) نظريته ، بأن اللغة طريق ممهد ، أو أخدود كالأخاديد التى تراها على سطح اسطوانة تمهد وتحدد للابرة لتمر فيه لتردد الصوت .

فاللغة تسهل الفكر وتساعد على نموه ونمو الفكر ذاته يعود فيؤثر فى اللغة وتطورها ونموها . فالتفاعل بين اللغة والفكر أمر واقع : (٢) .

ان ولادة فكرة ما يسبقها عادة نوع من التعبير اللغوى الواضح أو غير الواضح . ولكن هذه الفكرة المولودة جديدا لايصبح لها كيان ذاتى مالم تلبس رمزا لغويا ، أى مالم تضمن الفكرة فى (كبسول) لغوى ، عندها تشعر أن الفكرة المولودة جديدا قد أصبحت ملكا لنا ، وأصبحت تشكل جزءا من تفكيرنا .

وكان (بنيامين وورف) أوضح وأشد صراحة من أستاذه (سابير) اذ جعل اللغة حاكمة تماما ، والمرء أسير لغته ، يقول : « ان الانسان أسير لغته ، وان اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الافكار ، فنحن نقسم الطبيعة (العالم) بموجب الخطوط التى ترسمها لنا لغاتنا القومية » (٣) .

بينما يرى (الفرد كورزيسكى A. KORZYBSKY ١٨٧٩ — ١٩٥٠) ، عكس النظرية السابقة فلغة مجتمع معين لاتحدد الاطار لذلك المجتمع لأن يرى العالم من خلال لغته . ويوضح ذلك ، بأن (الخريطة لاتمثل الرقعة الأرضية كلها) ، أى أن اللغة لاتمثل كل مايشمله هذا العالم من أشياء ، وما يحدث فيه من أحداث » .

---

(١) اضواء على الدراسات اللغوية ٢١٨ .
(٢) نظريات فى اللغة ٥٩ .
(٣) أضواء على الدراسات اللغوية ٢١٩ .

وتأسيسا على الرأيين السابقين جعل العلماء طريقة التفكير عنــد العرب والفرنسيين اســتنتاجية : (DEDUCTIVE) لأن الصــفة فى لغتيهما تتبع الموصوف • بينمــا تفــكير الأمة الانجليزية تفــكير استقرائى : (INDUCTIVE) لأن الموصوف عندهم يأتى بعــد الصفة (١) •

وقيل أيضا : ان مجتمع اللغــة التى لا تميز تراكيبها بين أحــداث الجمــلة ، ومورفيماتهــا بدقة فى الاستعمال مجتمع قدرى، كمجتمع الهنود الحمر مثلا ، فلا ضابط له ولارابط ، وتفكيره ضـــحل ، وتعابيره بدائية محسوسة •

وأى مجتمع لا تتوافر فى لغته بنيــات الزمن ، وتتقاســمها مصطلحات التحــديد المنطقى ، تتسم حياته بعــدم احتــرام الزمن ، ولا يقيم للفكر والمنطــق وزنا •

ولكن بعض علماء اللغة يردون هذا وذاك ، ويثبتون خطأ هذا القول ، فقد ثبت أن ليس هناك لغــات بدائية متخلفة ، ولغــات عصرية متقدمة ، ففى مفردات كل لغــة وتراكيبها ــ فى أى لغة ــ مايغطى ويفى بمتطلبات وحاجيات هــذا المجتمع ، ويتمشى مع ما يعوزه من أشــياء • فقــد ذكر طرفة ناقته وشئونها فى أكثر من أربعــة آلاف لفظة فى مجتمــع بدائى التفكير والبيئة فيه ضحلة •

ويعرف (الاسكيمو) لصــنوف الثلج وألوانه الشىء الكثير، ويعبر عن كل نوع بلفظة تخصه •

وللأرز فى (الفلبين) أكثر من عشرين لفظة •• وتراكيب كل لغة تعين مجتمعها على التعبير الصائب، والفهم والافهام •

وبعض الكلام لايدخل فى نطاق الفكر ، ولا تتلبس به اللغة تلبسا واضحا وقويا • فقولك مثلا : نمت الليلة نوما هادئا • وقولك لزميلك: تفضل معنا لا تحتاج سوى لمســة فكر خفيفة •

فالمعادلات الرياضــية كانت

---

(١) أضواء على النظريات اللغوية ٢١٨ وما بعدها .

موجودة بصورة ما فى الذهن ، قبل تلبسها برمز لغوى • ولكنه بعد تلبسه بها وضحها وقننها ، وجعلها تقترب بسرعة من الفهم والاذهان عند ذويها •

فضلا عن أن المدلولات الاجتماعية تسبق فى الظهور المداليل اللغوية التى تعنونها • هذا ما يترتب على الرأيين السابقين ، (لسابير)وتلميذه (بنيامين) من ناحية ، ورأى (الفرد كورزبسكى) من ناحية أخرى فى سيطرة اللغة على الفكر ، أو عدم السيطرة • وذكرنا طرفا مما اعترض به على النظريتين •

وهناك رأى فلسفى لا يفصل بين الفكر واللغة ، لأنهما نوعان من السلوك البشرى : اذ يعتبر (جون واتسون JOHN WATSON وأصحاب المدرسة السلوكية : التفكير نوع من الكلام الداخلى، والمنطوق على مستوى الحنجرة • و (سكنير SKINNER) لا يفصل بين الفكر واللغة ، لأنهما نوعان من السلوك البشرى على حد سواء (١) •

ونقد هذا الرأى : بأن اللغة نظام تجريدى يشارك فيه أبناء المجتمع الواحد بينما الكلام الفعلى واحد من مظاهر القدرة اللغوية الكاملة •

والذى نرتضيه من هذه الآراء :

ــ أن العلاقة متبادلة بين اللغة والفكر ، وكذلك بينهما وبين الحضارة والأحداث التى تدور فى المجتمع : فهما يعتمدان على بعضهما الى حد كبير • ونحن لا نستطيع التفكير أبعد من قدرتنا اللغوية : كما لا نستطيع أن ننطق بما لا نستطيع التفكر فيه •

ــ وان التجارب التى أجريت ومازالت تجرى دلت على أن اللغة لا تسيطر سيطرة كاملة على أى مظهر من مظاهر الحضارة ، أو احتواء الفكر احتواء كاملا •

مجتمع اللغة والطبقية :

اللغة ناظمة عقد أى مجتمع ،

---

(١) السابق

ودليل هـويته ، ومرآة أحـداثه وشئونه ، وهى لذلك خير ترجمان لكـل ما يـدور فى المجتمع : ان فى أعـلاه أو فى قاعـه ، وتعـكس الاحداث الاجتماعيـة ، وهـوية النظم والتقاليـد ، والثقـافة والانتماء الحرفى ، وكـذلك القيم والسلوك السائدة ، لكل الأشتات والأجناس التى يموج بهـا هـذا المجتمع :

وتكشف الالقاب والنعوت جانبا كبيرا مما سلف ، اذ عندما تسمع : حضرة صاحب الجلالة والسلطان ، والعظمة ، والسمو ، والفضـيلة ، والغبطـة ، والمعـالى والسـيد ، والباشا ، والبـك والأفنـدى ، والأستاذ ، والدكتور ، والمهندس ، والأسطى •••

وعندما تتصـدر الرسائل أو تنتهى بمثل هذه العبارات :

تفضـل سـيدى ، ومولاى ، وأرجو أن تتفضلوا ••• تدرك على الفور أن اللغة كشفت عـن جانب من هوية المجتمع وبعض نظامه ، وطبقـاته المتعايشـة ، ونظـامه السياسى •

وبون شاسـع بين هـذا ، وبين ما عرفته العربيـة فى الصـدر الاسـلامى ، حـين كان يخاطب الأعـرابى النبى صلى الله عليه وسـلم ، قائلا : يامحمد : أعطنى من مال الله •

وللمجتمع الفه وعـاداته فى أحاديثه وتعـابيره التى تخضـع لمعايير الذوق والأدب : فيكنى عما يسىء ويزعج ، ويورى عما ينفر ، ويغلف بمعسول القول ، ما يؤلم ، ويستر بأسلوب الحكيم البليغ ما يؤذى المشـاعر والأحاسيس ، وما يستقبح ويستهجن ذكره :

وللعربية قصب السبق فى هـذا المضمار :

ففى حديث السيدة عائشـة ــ رضى الله عنها ــ : ما رأيت منـه ولا رأى منى « والرسول يوصى به بألا يقول أحد : عبـدى وأمتى • ولكن فتاى • وفتاتى • والقـرآن الكريم يقـول فى أدب عـال : **«نساؤكم حرث لكم» ، « فاعتزلوا النسـاء فى المحيض » ، « واهجروهن فى المضـاجع » ،**

« فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا » .

ويقول عمر بن أبى ربيعة فى مواسم تغزله :

وكم من مالىء عينيه من شىء غيره

ويقول فقهاؤنا ينقض الوضوء مايخرج من أحد السبيلين ..

وحتى أطباؤنا لايذكرون ألفاظ (السل) ، و (السرطان) ، لمن هو مريض بهما ..

ونحن لانقول : مات فلان ، ولكن نقول : انتقل الى رحمة الله ، وأراحه الله ، وأعطاك عمره ..

وأحيانا نلوذ بكلمة أجنبية ، مثل (التواليت) ، أو مجاورة كالحمام (واكس) لما دل عليهما ،

وحتى قلنا للأعمى : بصير ، وللمريض : سليم ، وللأعور : ممتع باحدى عينيه .

وذكرنا قبل لفظة « الشيطان » ببسم الله الرحمن الرحيم ، لئلا يخرج لنا . والشر بره وبعيد عن بيتنا .

كل ذلك من باب الأدب والاحتشام والحياء ، ومراعاة الذوق العام ، أومراعاة لأعراف ومعتقدات ، وأسباب تعلم أو تخفى .

وظاهرة الكلام المحظور اجتماعيا (TABOO) ، محكومة اجتماعيا ، وقد يكون قانونيا فى البلاد المنعزلة والمحافظة ، والتى لا تقبل اطلاقا بخدش الحياء العام كما فى بعض البلاد الاسلامية ، وفى المجتمعات الانجليزية .

بينما يكون الحبل على الغارب فى البلاد المفتوحة ، للأدب الصريح والمكشوف ، فلا يستحى أهلها فى التعبير عن السوآت والعورات ، وتسمية المستور باسمه الصريح ، وتداوله فى كتب ومجلات سيارة ، كاللغة اللاتينية قديما ، وبعض مجتمعات أوروبا حديثا ، وخاصة عند المنحرفين كالهيبيين ومن على شاكلتهم دونما حياء ولا خجل ، وقد يكون ذلك بسبب التحدى للمجتمع ، أو الشذوذ ، أو التمرد على السلطة والنظام القائم .

كما لاحظ علماء اللغة أن من الألفاظ ما يحظر على النساء ذكرها ومنها ما يكثر على لسانهن أكثر

مما يكون على لســـان الرجال ، وحبــذا لو درس ما يـــدور فى مجتمعهن كاملا ، ليظهــر الفــرق جليــا .

فالمـــــرأة الانجليزية كانت لاتتحدث عن رجل المائدة المكسورة والنساء عموما تكثر من ذكـــر الألفاظ العاطفية ،والتمييز الدقيق بين أنواع الألوان ، بما لايعرفــه معظم الرجال .

وتحابى اللغة أحيانـــا جنس الرجال ، فتغضب جماعات النساء، فالتغليب لجنس الرجال شائع فى العربية وغير العربية .

وذكر الدكتور نايف خرما ، أن الانجليزية حين تقول :

تعنى أن الرجل محترما وينتمى الى احدى المهن المرموقة
(HE IS PROFESSIONAL)
بينما اذا قالت الانجليزية
(SHE IS PROFESSIONAL)
فيصف ذلك المرأة
بأنها مومس وكلمـــة (MASTER)
تعنى بالنسبة للرجل (ســيد) .
بينما مؤنثها (MISTRESS
تعنى أن المرأة موسومة بوصــف سوء . وفى الانجليزية أكثــر من مائة كلمة بدلا من كلمة حيض .

وأحيانا تسقط اللفظة اجتماعيا، وأصلها لابأس به .. فلا تذكــر الا فى وسط مثقف كحـــديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — : اخوانكم خولكم أطعموهــم مما تطعمــون ، وأكســـوهم .. والمعنى عبيدكم خدمكم ، بينما هم فى الحقيقة اخوان لكم ، فأنزلوهم المنزلة الاسلامية الانسانية .

الجهود اللغوية فى صـيانة اللغــة واثرائها :

كل أمة لها اسهام فى الحضارة الانسانية بشىء ، ولها ماضـــيها التليـــــد ، وحاضرها المشرف ، ومستقبلها المرجى .. تحافظ على لغتها ، حفاظها على مقوم رئيسى من مقومات حياتها ووجودها .

والمستعمر قبل أن ينال ثروات الشعوب ومقدراتها ويسيطر عليها يوهن من عرى لغتها ، ويطاردها حتى تمسى فى زوايا النسيان .. لأنه يدرك أن اللغة منــاط وحدتهم وناظمة عقدهم .

ولولا جهود الشيخ عبد الحميد

بن باديس الجزائرى وأعوانه فى الجزائر ابان الاستعمار الفرنسى لكانت العربية فى خبر كان .

وعندما نتأمل المنجزات الحضارية فى تاريخ الشعوب .. نجد أن مفخرة من مفاخرها هى أبجدية الكتابة .

وقد كان قصب السبق فى هذا الجانب للحضارة السامية ، ثم نقلتها عنها الحضارة الفينيقية الى اليونانية ، والرومانية بعد ذلك .

وتدرجت الكتابة بالرسم المشخص للشيء ، الى الرمز عنه بشيء منه ، أو بخطوط متعارف عليها ، كما تحكيه لنا قصة الكتابة الأبجدية : فالمصرية القديمة رسمت الصقر بصورته ، ورمزت الهيروغليفية للشمس بدائرة فى وسطها نقطة . ورسم الفينيقيون للدلالة على الثور رأس الهمزة . واستعانت الصينية بأكثر من أربعين خطا أساسيا ، توضحها خطط صغيرة فى أبجديتها .

وترجمت الحروف عن الأحداث ــ كما فى مقدمة الشيخ العلايلى ــ فالسين والميم والكاف تشير الى السمك بمعنى : كف الماء القوى . والجمل والشجر ، لأى شيء عال ضخم كالجبل ..

ومن الأبجدية الفينيقية اشتقت الاغريقية ، ومنها أخذت اللاتينية ومنها كانت حروف الأوربيات الحديثة ، ومن الفينيقية أيضا : اشتق العبرى القديم ، والآرامى ، والتدمرى ، والسريانى ، والنبطى ومن النبطى جاء العربية .

وكانت الكتابة نعمة جلى ، لأن الاعتماد على مخزون الذاكرة كثيرا مايخون ، أو يتداخل فيحدث اللبس والخلط فأصبحت لغة الكتابة ، وسيلة القيد ، والحفظ للتراث وعدم ضياعه ، وتولى الحكومات جهدها لتعليم اللغة المحلية ، وحفظها وصيانتها وتنقيتها مما يشوبها ويعلق بها ويأتى ذكرها فى دساتير البلاد فى المرتبة الثانية ان لم تكن الأولى ، وتعكف المدارس والمعاهد والجامعات على تعليمها ، والتدريس بها ، وتلتزمها وسائل الاعلام المختلفة فى بث برامجها ونشر بضاعتها . وقد أمر الرسول

ـ صلى الله عليه وسلم ـ زيد بن ثابت بتعلم لغة أجنبية ، وجعل فداء أسرى بدر بتعليمهم أبناء المسلمين الكتابة !!

وكلما تقدمت وسائل الاتصال والتكنولوجيا ، كلما أعان ذلك على الثقافة ، ووجدنا حركة التجديد فى اللغة ، فى تأثر الأدباء والكتاب باللغات ، الأجنبية ، وترجمة المفردات الأجنبية والتراكيب والافكار .

وفى احياء المفردات المهجورة من بطون المعاجم القديمة رغبة فى التجديد ، ونقل المصطلحات الأجنبية .

والنشاط فى التآليف والترجمة .

والحث على التأليف اللغوى للأبحاث اللغوية ونشرها واشاعتها ..

وانشاء المجامع اللغوية للحفاظ على اللغة القومية وتنميتها ، وترويض الدخيل ، وانتقاء وصقل الوافد ، وايجاد البديل ..

وكل تلك محاولات تطيل أجل بقاء اللغة ، ولكن سنة التطور والارتقاء والتغيير تنال من اللغة برغم كل الاحتياطات والسياجات سنة الأحداث والأيام فى اللغات .

الدكتور توفيق شاهين

الأزهر جامعًا وجامعة
أو مصر فى ألف عام

للأستاذ محمد كمال السيد

- ١٤ -

وانتهت الثورة العرابية بتسليم أحمد عرابى وأصحابه أنفسهم ومحاكمتهم واعترافهم بجريمة العصيان ليحكم بالنفى بدلا من الاعدام

ولم يقبل عبد الله النديم الاعتراف بالعصيان ، وانتقد عرابى وزملاءه على هذا الاعتراف، واختفى النديم تسع سنوات فى قرى الدلتا ، متخفيا متنكرا بزى مغربى أو يمنى أو شامى ، أو غير ذلك من صور التنكر ، ومجددا تنكره كل حين ، وآواه الناس وعرف الكثيرون سره ، فستروه ، ولم يطمعوا فى المكافأة التى جعلت لمن يدل عليه ، ايمانا بأهداف الثورة ، وحفاظا للذمام كطبيعة الخلق العربى ، حتى وشى به أخيرا مخبر سرى متقاعد طمعا فى المكافأة، ولكنه لم يقبضها ، لأنه لم يكن يعرف أنها كانت موقوتة بسنة ، فقبض على النديم فى أكتوبر سنة ١٨٩١ م ، ونفى الى يافا (تل أبيب بفلسطين) • ثم عفى عنه سنة ١٨٩٢ ، ثم نفى ثانية سنة ١٨٩٣ ، وتوفى منفيا باستانبول فى أكتوبر سنة ١٨٩٦ ، وتعد حياة عبد الله النديم من أروع قصص المغامرات والبطولة وحرية الرأى (عبد الله

النديم للدكتور على الحديدى) .

ثم أخذت الحكومة تقبض على عشرات الآلاف فمن كان لهم ضلع فى الثورة ،أوتشجيعها سواء بالعمل أو القول أو المال ، وكان من المقبوض عليهم مئات من علماء الازهر وطلبته ، وحوكموا ، وحكم عليهم بالسجن أو النفى مددا مختلفة ، ولو أردنا حصر العلماء الذين قبض عليهم لطال بنا القول ، ولكن نذكر بعضهم ، فمنهم الشيخ محمد عبده، وقد سبق ذكره .

ومنهم : **الشيخ محمد عبد الله** عليش شيخ المالكية ، وهو احد الذين وقعوا على الفتوى بعزل توفيق ، فقد أخذ مريضا من داره ، ونقل الى المستشفى حيث توفى بها ، وأشيع أنه وضع له السم فى الدواء، ولم تسمح الحكومة لأهله بتشييع جنازته من داره ، ولم تكتف بموته، بل نفت أكبر أولاده الى الشام ، وهو الشيخ : **عبد الرحمن محمد عليش** .

وكان للشيخ حسن العدوى (بكسر العينى) ــ وهو أحد الموقعين على الفتوى والذى نادى من فوق منبر الازهر باهدار دم توفيق كما ذكرنا ــ فى محاكمته موقف مشرف ، فقد قال فى جرأة : انهم اذا جاءوه الآن بفتوى أن توفيقا مستحق للعزل فأنه يوقعها .. وما فى وسعكم وأنتم مسلمون أن تنكروا أن الخديوى توفيق مستحق للعزل ، لانه خرج على الدين والوطن .

والشيخ : حسن العدوى هو منشىء الجامع بشارع القائد جوهر ، أمام الجامعة الازهرية . أنشأه سنة ١٨٧١ م (١٢٨٥ هـ) كما سبق ذكره فى مقال سابق .

وممن نفوا الى الشام الشيخ : **محمد عبد الجواد القاياتى** ، وأخوه الشيخ : أحمد ، **وقد اختارا** بيروت .

والقاياتى : نسبة الى القايات ، قرية غربى البحر اليوسفى من مركز العدوة ، فى شمال محافظة المنيا ، وهو أحد العلماء الأجلاء ، وأحد مشايخ الطرق الصوفية ، وطريقتهم فرع من الطريقة

الأحمدية ، (نسبة الى السيد أحمد البدوى) ، وعرف بيتهم بالتقوى والكرم ، ولأهل مصر الوسطى اعتقاد كبير فيه ، وينسبون لآله الكرامات المختلفة ، وأخوه الشيخ : أحمد عالم أيضا ، وكان شيخ رواق الفشنية بالازهر، وهو والد الشيخ : مصطفى أحمد القاياتى، المعروف بخطاباته الوطنية فى ثورة سعد زغلول سنة ١٩١٩ .

وقد ألف الشيخ : محمد عبد الجواد القاياتى كتابا عن قصة نفيهما سماه : (نفحة البشام فى رحلة الشام) والبشام على وزن سحاب : نبات طيب الرائحة ونقتطف من مقدمة الكتاب المذكور ما ذكره عن سبب خروجهما من مصر ، فهو اجمال لشرح الحالة من أحد المعاصرين المشاركين ، فقال رحمه الله :

وسبب خروجنا من مصر أن أهالى البلاد عندما صارت الأحكام فيها عسكرية ، وانتشبت الحرب بين الانجليز وأهل الوطن العزيز ، اجتهدوا غاية الاجتهاد ، فى سبيل المدافعة والجهاد ، بأخذ الأهبة والاستعداد ، وأعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل الجياد ، وبذلوا ما يملكون من نفائس النفوس ، وما يقدرون عليه من مأكول وملبوس ، ومهمات عسكرية ، وتجهيزات حربية ، وغير ذلك مما تصل اليه الاستطاعة ، ولو ببسط أكف الابتهال والضراعة كل على حسب حاله ، وما يليق بأمثاله ، حتى أن أهل العلم والطريق ، وما أشبه هذا الفريق ، كانوا يساعدون بالدعوات الصالحات ، والاستغاثات والتضرعات . الى رب البرية فى دفع هذه البلية ،

(وكانت السادة العلماء الأعلام، ولاسيما أستاذنا شيخ الاسلام ، يقرأون كتاب البخارى الشريف ، فى الجامع الازهر المنيف، والافاضل منهم الكملة ، يحثون على اتحاد الكلمة ، فى مقاومة هذا البلاء والاصر ، النازل ببلاد مصر) .

(وليس هذا بالأمر العجيب منهم ، ولا بالغريب صدوره عنهم . فذلك شأن كل أمة قصدتها بالحرب

أمة أخرى ، فهي ترى أن الدفاع أولى وأحرى ، بل تراه من الواجب على الأعيان ، لا سيما اذا تخالفت الأديان ، اختلف اللسان ، وتباينت العقائد ، وافترقت العوايد) .

(فبهذه النسبة العلمية ، والمناسبة العملية ، التمس منا أهل بلادنا القيام معهم ، لنكون لهم قدوة ، وتكون لهم بنا أسوة ، فى مساعدة اخوانهم الجهادية ، بالمراكز العسكرية والنقط الحربية ، والحدود الدفاعية ، وذلك من انتقاد غيرتهم الدينية ، وحميتهم الوطنية ، فتوجهنا معهم الى تلك المواطن ، والله أعلم بالظواهر والباطن) .

(فلم نلبث الا قليلا من الأيام ، وقد فشلت الأقوام ، وحصل الانهزام ، بواسطة الخيانة من بعض اللئام ، وبث أنواع الدسائس ودس الوساوس ، فى قبائل العربان وعشائر البلدان ، وغالب الأمراء والأعيان ، لسابق الأمر المحتم ، والقضاء المبرم ، وقضت علينا حكمته الباهرة ، بدخول الجيوش الانجليزية القاهرة ، وفى مقدمتهم نائب الحضرة الخديوية ، وهو رئيس النواب فى البلاد المصرية) .

(وهو يعنى سلطان باشا) .

(وأول ما بدأ به من الأعمال فى هذه الحال ، الترخيص لهم بالحلول بالقلعة العلية ، والقشلاقات العسكرية ، مثل : قصر النيل والعباسية ، والامر بالقبض على من نسب الى هذه الحركة، كائنا من يكون ، ولو كان المعهود من عادته السكوت والسكون ، انا لله وانا اليه راجعون ، ما قدر الله لابد أن يكون) .

(فكنا ممن وقع الحجر والحجز عليهم ، بعد صدور الأوامر العالية فيهم ، فصار سجينا بمديرية المنياء من مديريات الصعيد — مع جم غفير ، وعدد كثير ، من الوجوه والاعيان ، ومشايخ العرب والبلدان ، لاتهامات يطول شرحها بغير طائل ، والغالب فيها الوشاية بالباطل) .

(فمن هؤلاء من نسب الى

التطوع ، ومنهم فى نسب الى التبرع ، ومنهم من اتهم بالتهييج للخاطر ، وتحريك الساكن من الخواطر ، ومنهم من ادعى عليه بالتشيع للجهادية ، وكثرة قراءة الجرائد المحلية ، وغير ذلك من الاسباب الخصوصية ، والبواعث العدوانية ، لدواعى العداوات الشخصية ، بدون مراعاة المصالح العمومية) .

(فكم قبض على برىء ، وأطلق سبيل مجترىء ، بمجرد الوشاية فيه من بعض أعاديه ، هكذا حصل فى أغلب المديريات ، سوى من قبض عليهم فى القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد من الذوات والبكوات والباشوات ، والعلماء والامراء ، وأولاد الفقراء (لعله يعنى المعنى اللفظى للكلمة.أو المعنى الاصطلاحى أنهم أتباع الطرق الصوفية فهم يلقبون بالفقراء) ، ومكثوا فى أقبح السجون ، بغاية الاحزان والشجون ، يكابدون عذاب الهون ، بأنواع لا تحصى ولا تحصر ، من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) .

(وأما أكبر المعذبين : فأهل الفضل والدين ، فقد وقع لهم من الحقارة والتنكيل ، والاستهانة والتخميل، والكربوالخطب الجليل، مالم تسمح به لهم أهل التوراة والانجيل ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ، يطاف بهم فى الاسواق والمحافل ، اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل ، وبعد أن مضت لهم على هذه الحالة أربعة من الشهور، كأنها أعوام ودهور ، ومثلوا بغاية المثلة ، على حال لم يروا مثله ، بين أيدى الكتبة أقباط النصارى ، وهم فى أمرهم تائهون حيارى ، وأشخصوا أمامهم لاجل الاستنطاق . ، بمالا يطاق ، ولا تضبطه الاوراق ، ولا يدخل حصره فى نطاق ، صدرت فيهم الارادة النفسية على غير ما يراد ، باجلائهم وخروجهم من البلاد ، وابعادهم عنها أى ابعاد) .

(فمنهم من نفى مؤبدا الى سيلان ، ومنهم من نفى بمدة الى السودان ، ومنهم الى خارج القطر وملحقاته ، بدون تعيين مواطنه وجهاته ، وكنا من هذا القسم

الأخير ، نحن وجم غفير ، فبودرنا بالاخراج من غير مهلة ولا تأخير ، فالحكم لله العلى القدير، نعم الولى ونعم النصير) ١٠ هـ •

ثم يذكر بعد ذلك ما سماه نكتة تاريخية : أن (غرائب عجـائب) بحساب الجمل موافق لسنة حادثة النفى المذكور ، وهذا صحيح فهى تساوى بالحساب المذكور ١٢٩٩ ، وهذا يوافق سنة الحرب والهزيمة، فقد كانت سـنة ١٢٩٩ • والنفى سنة ١٣٠٠ هـ •

ويعنينا من الكتاب المذكـور مالاقاه صاحبه من حفاوة وترحيب فى جميع مدن الشام ، سـواء فى بيروت أو صيـدا ، أو طرابلس الشام ، أو اللاذقيـة ، أو بيت المقدس ، أو الرملة ، أو نابلس ، أو دمشق ، وغيرها من مدن الشام، الذى مزقته السياسة الاوربية الى أربع وحدات : سـوريا ولبنان والاردن وفلسطين •

ووصف المدن المذكورة ، وطرق المواصلات لها ، والمشاهد والمزادات فيها ، وعادات أهليهـا ، وغـير ذلكمماتتناوله عادة كتب الرحلات•

ولكن يعنينا بصفة خاصة ماحفل به الكتاب ، من أسماء علماء الشام وأعيانه ، فقد تلقى الكثيرون منهم دروسهم بالازهر ، وعـادوا الى مواطنهم علماء ينقلون ما درسوه ، فكانوا يحفظون لصاحب الكتاب حق الزمالة ، أو واجب التلمذة عليه ، ويدل هذا على ما كان للازهر من فضل فى تثبيت وحدة فكرية ثقافية فى العالم العربى ، بل فى العـالم الاسلامى ، فقد رأينا أن أحمـد أفندى شريف والد شريف باشـا كان شيخا للاسلام فى الاسـتانة ، بعد أن تلقى علومه فى الازهر •

وبعد الاحتلال الانجليزى لمصر، مرت بالبلاد فترة هدوء ، أو بعبارة أدق فترة ذهول ساعد عليهـا استسلام الخـديوى : توفيق للانجليز استسلاما كاملا ، وأخـذ الانجليز يمكنون لانفسهم فى حكم البلاد •

ثم توفى توفيق سنة ١٨٩٢ م ، وتولى بعده ابنه : عبـاس حلمى الثانى ، وسنرى فى المقال التـالى باذن الله كيف تطورت الأمور •

محمد كمال السيد

التجارة الرابحة
حب الله ورسوله

للدكتور محمد عبد اللطيف الغرفور

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

بهذه الآية الكريمة استهل بحثى هذا ، وأنا أعلم أن هنا لك من الناس من أضل الحقيقة حين ذهب يزعم للناس أن المحبة لا تنعقد أبدا بين مخلوق وخالقه ، بل هى ان ذكرت فى التنزيل أو السنة فهى مجاز وليست حقيقة ، اذ يستبعد هؤلاء كيف يحب العبد الضعيف المحدث الفانى ربا قويا باقيا خالقا ؟ ! فأولوها بالاتباع وقالوا ، حيثما وردت المحبة فى النصوص التشريعية فهى الاتباع لا غير ...

وفات هؤلاء السطحيين فى التفكير غفر الله لى ولهم أن الآية الكريمة تنفى ذلك بمنطوقها ومفهومها ، وكذلك قواعد الاستنباط وصريح القرآن والسنة ، والا لصار معنى **هذه الآية (قل ان كنتم تتبعون الله فاتبعونى ...)** وعلى تقدير (رسول) مضافا محذوفا يكون المعنى **(قل ان كنتم تتبعون رسول الله وهو أنا فاتبعونى)** !! وكلا التأويلين باطل كما هو ظاهر لكل ذى نظر صحيح ... ثم من قواعد الاستنباط أنه لا يصار الى المجاز الا عند تعذر الحقيقة ، أو بعد تصورها ، فهل استحال أن يحب العبد ربه ؟ ولماذا ؟ وماهو دليل هذه الاستحالة ؟ ! هل انحصر الحب كله فى الحب الشهوى أو الجسدى أو فى ما يرى وما يحس وما يلمس حتى يصح كلامهم ؟!

ألا يحب المرء مكارم الأخلاق ؟ الا يحب الانسان المعانى السامية والمبادىء الرفيعة والمثل العليا ؟! أم الانسان مادى لا يشعر بالحب الا للمادة ولا يكيف قلبه مودة الا للكثائف ؟ ! شأنه شأن الأنعام ؟ ! من قال هذا ؟ !

ان العبد الصادق ليبلغ من قوة محبة الله ورسوله فى قلبه مايستطيع ان يقتحم به الجبال والمحيطات وهل دفع الصحابة رضوان الله عليهم الى الاتباع وحفزهم الى الجهاد وفتح لهم مشارق الأرض ومغاربها الى محبة الله ورسوله ؟ ! وهل كان فى قلبهم غير هذه المحبة يعتلج أوارها ، ويضطرم لهيبها ، حتى تصبح حمما يقذفونها على الباطل وأتباعه ، **(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون)** .

الحق أن المحبة شىء والاتباع شىء آخر ، لكنهما متلازمان تلازم الثمرة للشجرة والنتيجة للمقدمات، فالمحبة تثمر الاتباع وتنتجه اذا صدقت فى قلب صاحبها ، وصدق صاحبها بها ، ومن ذلك قول سيدنا على رضى الله عنه وكرم وجهه .

اللهم ارزقنى حبك وحب نبيك واجعل حبك وحبه فى قلبى أحب من الماء البارد على الظما .

وفى حديث الصحيحين **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ...**

الحديث وكذلك حديث البخارى

ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ومن احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا.

والله تبارك وتعالى يقول **ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية ٥٤ من سورة المائدة**

فالمحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد ، وأخبر عن محبتة للعبد ، قال القشيرى : **وأما محبة العبد لله فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبادة ، وقد تحمله لتلك الحالة على التعظيم له**

وايثـــار رضاه وقلة الصـبر عنه، والاهتيـاج اليه ، وعـدم القرار دونه ، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه .

أ هـ الرسالة القشيرية ح (٢) ص ٦١٢ .

وفسر القشيرى محبة الله لعبده (ارادته لأن يخصـه بالقـربة والأحوال العلية) ر ج ٢ ص ٦١١ وجعلهـا أخص من الرحمـة التى فسرها بأنها (ارادة الله تعالى لأن يوصل الى العبد الثواب والانعام) كما أن الرحمـة أخص من الارادة ر ج ٢ ص ٦١١ وما قبلها .

ومن أجمل ما قال العارفون فى المحبـة ما رواه أبو بكر الكتـانى قال : (جرت مسألة فى المحبة بمكة أيـام موسـم (الحـج) فتكلم الشـيوخ فيهـا ، وكان الجنيـد أصغرهم سنا فقـالوا له ، هـات ما عندك يا عراقى : فأطرق رأسـه ودمعت عيناه ثم قال : عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه ، قـائم بأداء حقوقه ، ناظر اليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوار هيبتـه ، وصـفا شربه من كأس وده ، وانكشـف له الجبارق من أستار غيبه ، فان تكلم فبالله ، وان نطق فبالله ، وان تحرك فبأمر الله ، وان سكن فمع الله ، فهو بالله ولله ومع الله ... فبكى الشيوخ وقالوا :

ماعلى هذا مزيـد ، جبرك الله ياتاج العارفين ...

ومن حكاياتهم ما رواه الحسين الأنصارى قال :

ـ رأيت فى النوم كأن القيـامة قد قامت وشـخص قائم تحت العرش فيقول الحق سـبحانه : يا ملائكتى من هذا ؟ فقـالوا الله أعلم . فقال : هذا معروف الكرخى سكر من حبى فلا يفيق الا بلقائى.

وفى رواية أخرى : هذا معروف خرج من الدنيا مشتاقا الى اللـه فأباح الله عز وجل النظر اليه .

والله تعـالى يقول : **(من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت)** الآية ٥ من سورة العنكبوت .

وهـكذا يكون المعيار الحقيقى الصادق للمحبة من العبد لربه شدة

الشوق اليه ، وحب لقائه مع حالة الاستقامة ، قال تعالى : **(وعجلت اليك رب لترضى)** أى شوقا اليك .

وكان من روائع دعائه صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى اخرجه النسائى عن عمار بن ياسر رضى الله عنه مرفوعا (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيرا لى وتوفنى ما علمت الوفاة خيرا لى ، اللهم انى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب وأسألك القصد فى الغنى والفقر ، وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، وأسألك النظر الى وجهك الكريم ، وشوقا الى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة . اللهم زينا بزينة الايمان ، اللهم اجعلنا هداة مهتدين وبعد .

فلابد لنا اليوم لكى يتحقق الاتباع الكامل لشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأخلاقه وشمائله لابد لنا من شحن القلوب بشحنة قوية من المحبة المحرقة المتوهجة لله ولرسوله صلوات الله عليه لا مندوحة لنا عن حب كحب الصحابة ، وشوق كشوقهم ، وتفان كتفانيهم ، والا فمادام الاسلام كلاما يقال وصحفا تكتب وحبرا على قرطاس فلا أمل لنا فى نهضة اسلامية ، ولا فى فتح مبين . ليست أزمتنا اليوم أزمة علم بقدر ما هى أزمة محبة لله وشوق اليه .

أجل ان هذا الحب وحده هو الذى هز العروش وقوض حضارات زائفة ، وأقام مكانها حضارات اسلامية راقية ، ان الحب وحده هوالذى دفع الصحابة الى التضحية والايثار والزهد فى الدنيا ومتاعها والركض خلف رضاء الله سبحانه أجل هو الذى دفع خالد بن الوليد — رضى الله عنه — يوم عزله عمر — رضى الله عنهما — كى لايفتن الناس فيه ، وكان عزله لصلحة الامة ، وقف خالد يقول

وماضرني ، كنت أقاتل أميرا

واليـــوم أقاتل جنـــديا

المحبة ذلك الوقود الاعظم الذى يحول الشخصيات القـــزمة الى عمـــلاقة ، ويصنع القيـــادات والبطولات •

لقد امتلأت الدنيا كتبا وعلمـــا وفقها ودرسا ومحاضرات ودروسا ولم يحرك ذلك ساكنا على أننـــا محتاجون للعلم لانه أمام العمل ، وهو تابعه ، ولكـــن ما قيمة العلـــم والقراطيس والكتب بدون أن تكون هناك النفوس الكبيرة التى تحملها فتحولها الى عظمات ••

أجل ••

ان التصوف الصافى المصـــفى السائر على هدى الكتاب والسـنة وعمل السالف الصالح والتصـــوف الذى يشحـــن النفوس بالمحبـــة الصادقة يثمر الاتباع الصحيح ، هذا التصوف على يد رجـــاله من العلمـــاء الذين زادوا على علومهم الكسبية علوما وهبية منحها اللـــه اياهم كما ورد فى الخبر « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » هذا التصوف اليوم هو سر انطلاق المسلمين ويقظتهم وزهدهم فى الدنيا ورغبتهم بما عند الله تعالى ؛ وهو التجارة الرابحة ، سمه ان شـــئت تصوفا أو احسانا ، أو تربية روحية أو تزكية فنحن لاتهمنا الاصطلاحات والاسماء بل يهمنا الجوهر ، وحين نقصد التصوف نقصـــد الاخلاقى منه والوجدانى ، ونترك مايسمونه بالتصوف الفلسفى ، فنحن مـــع تصوف المعاملة ، ونترك لاصحابه تصوف المشاهدة ندعه لهم ونسلم لهم حالهم فيه ولا نشتغل بـــه عن الاصول ، فالذى يهمنا اليوم هـــو انقاذ نفوسنـــا ومن حولنـــا من الشباب من بـــراثن الشـــهوات الموبقات وشـــياطين الانس والجن وذلك عن طريق هذه التجارة الرابحة ألا وهى حب الله ورسوله •

دكتور / محمد عبد اللطيف صالح الفرفور

اللغة والشعر والشعراء قديماً وحديثاً

للأستاذ محمد عايش عبيد

مما لا شك فيه أن العرب هم أهل الفصاحة والبلاغة .. ملكوا ناصية البيان ، فانقادت اللغة لهم، وأرخت عنانها طائعة مختارة ، فصاروا فرسان الكلمة على مختلف ألوانها : شعرا ونثرا وخطابة وبديعا ، فمن ثم بزوا كل الامم ممن حولهم فى هذا الميدان ؟؟

وما كان نزول القرآن الكريم بهذه اللغة الا تكريما لها من ناحية ، وتجانسا لحال القوم الذى وصلوا اليه ، فصاحة وبلاغة من ناحية أخرى .

ووجه ثالث لنزول القرآن الكريم باللغة العربية هو : أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، جاءت للعرب خاصة ، وللعالم عامة .. فمن ثم كان من الحتم أن يكون الكتاب المنزل على صاحب هذه الرسالة ، باللغة العربية ، وهى لغة القوم ، عملا بقوله تعالى : « **وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم .. الخ** » آية رقم ٤ سورة ابراهيم .

جاء القرآن الكريم فى الذروة من الفصاحة والبلاغة ، فلما سمعه العرب ، أدركوا معانيه ، وعرفوا مراميه ، وحاز اعجابهم ..

أما المخلصون منهم فبادروا بالدخول فى الاسلام طائعين .

وفريق آخر كابروا عنادا وغطرسة ، بيد أنهم كانوا يتسللون خفية فى جوف الليل فيجلسون حول بيت محمد صلى الله عليه وسلم ليسمعوا تلاوته ، كل واحد منهم لا يدرى عن الآخر ..

ما دفعهم الى هذا الا الاعجاب بلغة القرآن الكريم ، الذى تحداهم فى أخص خصائصهم ، بحيث أنه تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا !؟

ولا غرو : فالعرب هم الـــذين جعلوا لفن الكلمة سوقا ، اسمه : سوق عكاظ قرب مكة ، هذا السوق لا سلعة فيه أثمن من الكلمة .. يفد الناس اليه من أنحاء الجزيرة العربيـــة رجالا ونســـاء ، ممن يعشقون الكلمة على مختلف ألوانها، ولهم فيها ذوق رفيع وقدم راسخة، يستمر ذلك السوق شهرا من كل عام ، تعرض الكلمة فيه سلعـــة ليست للبيع ، وانما هى للتقييم .. يتبارى الخطباء والشـــعراء ، وقضاة يحكمون بين المتبارين بعد الاستماع لهم ، ثم يصـــدرون أحكامهم عن دراسة وفهم دقيق .

وينفض السوق بعد أن عرض فيه كل جديد من أساليب الكلمة ، ويعود رواده كل الى الجهة التى وفد منهـــا ، وقد ملأوا أرديتهم من أنفس ما عرض فى سوق عكاظ ، يقدمونه هدية ثمينة الى ذويهم !!

وهكذا،فقد كان للشعر والشعراء مكانة فى نفوس العرب ، لا تعد لها مكانة أخرى .. فالشاعر لســـان حال قبيلته ، يعدد مناقبها ويفخر بها ، مثل هذا الشاعر العربى الذى يفخر بقبيلته فيقول :

اذا بلغ الرضيع لنا فطامـــا
تخر له الجبابر ساجدينا !؟

وكما يفخر الشـــاعر بقبيلته ، فالقبيلة أيضا تفخر بشعرائهـــا وتعتز بهم كفخرها بالزعمـــاء والأبطال — ان لـــم يكـــن أكثر — والقبيلة التى يكثر شعراؤها تكون أكثر فخرا على غيرها من القبائل الاقل فى عدد شعرائها !؟

والشعر كان له وقع الســـحر فى نفس العـــربى ، سرعـــان ما يتناقله الناس ، فيحفظونه عـــن ظهر قلب ، يستعملونه سلاحا فعالا لمحاربة الأعداء ، لأنه أشد فتكا من ضربات السيوف وطعنات الرماح؟؟

وليس أدل على ذلك من أن بيتا واحدا من الشعر ، جعل احـــدى القبائل الكبرى فى الجزيرة العربية، كان بنوها مشـــهورين بالطـــول

وضخامة الأجسام .. هذا البيت جعلهم يتمنون أن لو كانوا أقزاما، بعد أن كانوا يفخرون على غيرهم بأجسامهم طولا وضخامة !؟

هذا البيت نظمه حسان بن ثابت الأنصارى ، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن قبل الاسلام كما قيل .. وهذا هو البيت :

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ
جسم البغال وأحلام العصافير

تردد هذ البيت على ألسنة الناس صغارهم وكبارهم ، فى البوادى والحضر ، بحيث أن كل عربى صار كلما وقع بصره على أى رجل ضخم الجسم طويل القامة ، هتف متمثلا بهذا البيت :

لا بأس بالقوم .. الخ .. ويسمعه آخر فيشاركه ، وثالث ورابع أيضا .. فلا يجد ذاك الرجل مفرا من أن يفر ويتوارى حياء من ضخامة جسمه وطوله ؟؟ لدرجة أن قبيلة بنى عبد المدان التى اشتهر بنوها بالطول والضخامة ، فكر بعض رجالها أن يقتلوا حسان بن ثابت قائل هذا البيت المشئوم؟؟ فاعترض العقلاء منهم على تلك الفكرة الخاطئة قائلين : لئن قتلتم الشاعر، فسوف يظل شعره أبد الدهر يتردد على ألسنة الناس .. ولكن الرأى الصواب هو : أن تذهبوا الى الشاعر بهدية قيمة تقدمونها اليه ، وتطلبون منه أن يقول شعرا آخر يمدحكم به ، فيبادر الناس الى حفظ الشعر الجديد ، وينسون القديم ! ؟

وفعلا ذهب وفد من عقلاء قبيلة بنى عبد المدان الى المدينة المنورة ــ يثرب ــ وقدموا لحسان ابن ثابت هدية ثمينة ، ورجوه أن يقول شعرا آخر يمدح به قبيلتهم التى آذاها ذاك البيت ؟

فقبل حسان هديتهم ، وقال : لاغرو لأصلحن ما أفسدته بشعرى .. فقال :

وقد كنا نقول اذا رأينا
لذى علم يعد وذى بيان
كأنك أيها المعطى بيانا
وجسما من بنى عبد المدان

سمع الناس بما نظمه حسان

ابن ثابت من الشعر ، فتناقلوه وحفظوه ، وصاروا يرددونه — صغارهم وكبارهم — فى البوادى والحضر .. فمن ثم صار الناس يستحسنون طول الاجسام بعد أن كانوا يسخرون منها ! ..

وهكذا يتبين لنا أن الشعر كان من أقوى الأسلحة فى محاربة الأعداء عند العرب .

ولا غرو فقد حورب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا السلاح: سلاح الشعر .. لقد كان أبو عزة الجمحى الشاعر ، يحرض مشركى مكة على رسول الله ، وعلى المسلمين بالشعر ، وكان أيضا يشبب بنساء المسلمين مما أوغر عليه صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان رسول الله قد من عليه بالعفو بين أسرى بدر ، بيد أنه اشترط عليه ألا يعود الى التحريض بالشعر ، أو التشبيب بالنساء المسلمات ، لكن أبا عزة منذ أن أطلق سراحه ، لم يتقيد بوعده لرسول الله ، فعاد الى التحريض والتشبيب معا !.

ويوم حمراء الأسد ، غداة غزوة أحد ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنين أسرى من المشركين ، فكان الشاعر أبو عزة واحدا منهما .. فلما مثل بين يدى رسول الله قال : يارسول الله أقلنى . فقال عليه الصلاة والسلام : « لا والله .. لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمدا مرتين ، اضرب عنقه يازبير . فضرب الزبير عنقه .

وقد فعل رسول الله أيضا مثل فعلهم ، فحارب أعداءه بنفس السلاح الذى حاربوه به ، فقد قال لشاعره حسان بن ثابت : « اهجهم ومعك روح القدس » يعنى مشركى مكة ، فكان وقع شعر حسان على قريش أشد من طعن الرماح وضرب السيوف !.

وقد كان العربى لشدة حبه للشعر ، واعتزازه به ، لا ينسى أن يتمثل به فى أفراحه وفى أحزانه ،فى كل أمر من أموره ، حتى عند لقائه بأعدائه فى ميدان القتال .. فهذا جعفر بن أبى طالب ثانى القادة للجيش فى غزوة مؤتة ، يتمثل

بالشعر وهـــو يرى الموت قاب قوسين أو أدنى منه ، فقـد قتل قبله بلحظات زيد بن حارثة القائد الأول ، أمام جحـافل الروم •• وهاهو ذا قد جاء دوره ليحمـل الراية ، فأخذها وهتف قائلا بعد أن عقر جواده ، وهو أول من عقر فى الاسلام كما قيل ، فقال :

يا حبـذا الجنـة واقترابها
طيبـــة وبارد شرابهـــا
والروم روم قد دنا عذابهـا
كافرة بعيـــدة أنسابهـــا
على أن لاقيتها ضرابها

ثم هجم على الأعـــداء بقلب مملوء ايمانا •• فقتل بعد أن أبلى بلاء الصابرين الأبطال •

ثم تقـدم بعـــده عبـد الله ابن رواحة الأنصـــارى ، ثالث القادة ، وكان قد رأى صاحبيه : زيدا وجعفرا قد قتلا ، اذن فهـو مقتول لا محالة ، فشعر فى أعماقه بشىء من التردد أمام هذا الموقف الرهيب ، ولا غرو فهـــو اللقاء بالموت ، فمـاذا فعـل ؟! لم يطع نفسه فى ترددها ، بل أقدم بقـــوة الايمان وهو يهتف متمثلا بأبيـات من الشعر يخاطب بها نفسه التى ترددت فيقول :

أقسـمت يا نفس لتنزلنــــه
لتنـــزلن أو لتكرهنـــــه
أن أجلب الناس وشدو الرنه
مالى أراك تكرهين الجنـــة
قد طال ما قـــد كنت مطمئنه
هل أنت ألا نطفة فى شـــنه ؟

وبعد لقد كان للشـــعر دولة ، وذلك حينما كان القـــوم يعنـون بلغتهم ، أما الآن فقد ذهبت دولة الشعر ، لأن القوم أهملوا لغتهم ، فصاروا أجهل الناس بها / لاسيما بالشعر / وصدق فيهم قول الشاعر العربى ينعى على القـــوم جهلهم باللغة وبالشعر فيقول :

زوامل للأشعار لا علم عندهم
بجيدها الا كعـلم الأباعــر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا
بأوثاقه أرواح ما فى الغرائر !!

وبعد : فهل من صحوة واعيـــة تعيد للغة العربية مكانتها فى نفوس بنيها ؟! أرجو وأتمنى •

محمد عايش عبيد

التعزير
بين الفقه الإسلامي والفقه الوضعي

للأستاذ عبد العليم شداد

التعزيز فى اللغـــة

أصل التعزيز مأخوذ من العزر ، بمعنى الرد والردع والمنع واللوم والادب والعقاب والتعظم ، فيــقال عزره يعزره عــزرا : رده وردعه ولامه ، وعاتبه ، وعظمه ، فهو من أسماء الاضداد ، ومنه قــوله تعالى : (فالذين آمنوا وعــزروهواتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) وقولــه تعــالى :« وتعزروه وتوقروه » ومعنى هذا : تنصروه وتعظموه (١) ٠

وفى الاصطلاح عقوبة مشروعة غير مقدرة على كل ذنب لم تضــع له الشريعة عقوبة محددة ٠ فولى الأمر مفوض شرعا بمعاقبة المذنب فى جميع أنواع الجرائم والاعمال الممنوعة من غير موجبات الحــدود والقصــاص بأى نوع من أنواع العقوبات ، وبأى مقــدار لا يقيد فى ذلك الا بقيد العدالة ، ومراعاة المصلحة المعتبرة شرعا (٢) ٠

(مبدأ المشروعية والنصـــــوص الواردة فيه)

ووقائع فى الشريعة الاسلامية فى الكتاب والسنة وعمل الصحابة تدل

لقد وردت نصوص وشـــواهد دلالة واضحة على شرعية التعزيز ٠

---

(١) القصاص والحدود فى الفقه الاسلامى دكتور فكرى عكاز ص ٧٦
(٢) المرجع السابق ص ٩٧ ٠

الكتاب الكريم :

قولـــه تعالى : (**فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا)** فأنت ترى أمره سبحانه وتعالى بضرب الزوجات تأديبا وتهذيبا لهن (١) .

الســنة النبــوية :

قال عليه السلام : « **لا ترفع عصاك عن أهلك** » وروى أنه عليه السلام : (عزر رجلا قال لغيره يا مخنث) وروى عنه أنه قال : (رحم الله امرأ علق سوطه حيث يراه أهله) وقوله : (واضربوهن على تركها لعشر) وروى عنه أنه : (حبس رجلا بالتهمة) وروى عنه عليه السلام مرفوعا وموقوفا أنه قال : (ان حد الساحر ضربة السيف) رواه الترمذى .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه) وفى رواية أخرى : (ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الامة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا ما كان) . الهنات الفتن .

وعن ديلم الحميرى قال : « **سألت رسول الله عليه السلام فقلت يارسول الله انا بأرض نعالج بها عملا شديدا وأنا نتخذ شرابا من القمح نتقوى به على أعمالنا ، وعلى** برد بلادنا : قال : وهل يسكر ؟ قلت نعم قال : فاجتنبوه . قلت : ان الناس غير تاركيه . قال : فان لم يتركوه فاقتلوهم »(٢) .

وقد جاءت أخبار كثيرة عن الرسول فى التعزيز بالعقوبات المالية ذكر ذلك بن القيم فى كتابه : (الطرق الحكيمة فى السياسة الشرعية) واليك طرفا منها : فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (سلب الذى يصطاد فى حرم المدينة لمن وجده) ومثل : أمره عليه السلام (بكسر الدنان لشارب

---

(١) المرجع السابق ص ٩٧ ، ٩٨ .
(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٣٦٢١٣٥ طبعة الشعب .

الخمر وشق ظروفها) ومثل : هدمه (مسجد الضرار) ومثل : تحريق مال الغال • ومثل : أمره لعبد الله ابن عمرو باحراق التوبين المعصفرين • ومثل: أمره يوم خيبر بكسر القدور لطبخهم فيها لحوم الحمر الانسية ، ثم بعد ذلك أباحها لهم بغسلها واستعمالها ، ومثل أمره للابس خاتم الذهب بطرحه ، فطرحه على الارض ، فلم يتعرض له أحد ومثل : قطعه نخيل اليهود اغاظة لهم (١) •

أما عمل الصحابة :

فقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه حرق المكان الذى يباع فيه الخمر ، وكذلك تحريق عمر قصر سعد بن أبى وقاص لما احتجب فيه عن الرعية ، ومن هذا القبيل أورد الامام ابن القيم طرفا كبيرا عن التعزيز بالعقوبات المالية، ورد على الذين يمنعون بأنهم لاسند لهم من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا عقل •

الاجماع :

لقد أجمع على جوازه الصحابة ومن بعدهم الى يومنا هذا ، ولم يوجد من أنكر مشروعيته (٢)•

العقل :

ان الزجر عن الافعال السيئة وارتكاب الجرائم الموبقات واجب، وذلك لكى لا تصير ملكات وعادات يتعود الناس عليها ، وتصبح عادة مألوفة فيفحش ويستدرج الى ماهو أقبح منها وأفحش ، ويضطرب أمن المجتمع ويختل نظامه ، وتصبح الحياة غير مطاقة ، لذا كان التعزيز ضروريا •

لدفع هذه الجرائم وازالتها من المجتمع الانسانى ، حتى تصير الحياة رخاء ويعم الأمن والسكينة ، ويأمن الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم •

التعزيز عقوبة تفويضية :

سلكت الشريعة الاسلامية فى اقامة الحدود حفاظا على أمن

---

(١) الطرق الحكيمة لابن القيم ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
(٢) فتح القدير ص ٢١٢ .

المجتمع وسعادته وأمنه وهناءته مسلكين : ـ

المسلك الاول :

عقوبة محددة ومقدرة معينة لا دخل لحاكم فيها ولا مشرع وهى : عقوبات الحدود والقصاص •

« المسلك الثانى :

عقوبة تفويضية : وهى عقوبة التعزير ، فهذه العقوبة متروك أمرها للحاكم وولى الامر والقاضى، يوقع منها ما يراه راجعا حسب ظروف الجريمة ، وحال المجرم والزمان والمكان ، وذلك تخفيفا وتشديدا حسب المصلحة العامة للمجتمع الانسانى (١) •

ومعنى التفويض : أى تركها : وترك تقعيدها ووضع نصوص لها الى ولى الامر •

أو هو : اعطاء الشريعة الاسلامية للحاكم أن يسن من الاحكام والقوانين والقواعد والنصوص ما يتلاءم مع ظروف المجتمع الاسلامى ، فكأن التعزير اشارة طيبة •• ولفت نظر لعلماء وفقهاء الاسلام بأن الشريعة الاسلامية حية متطورة مع المجتمعات الاسلامية الانسانية ، وكيف لا : وقد قال الحق سبحانه وتعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » الى آخر النصوص المتعددة الدالة على خصوبة الشريعة الاسلامية وملاءمتها لروح المجتمعات الانسانية ، وكيف لا !! والله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الخلق ويعلم مستقبلا ما ينفع خلقه وعبيده •

وانى أرجو من اساتذة القانون كما هرعوا الى الفقه الغربى ، وبحثوا ودرسوا ونقبوا فيه ، أن يهرعوا الى شريعتهم ، والى الفقه الاسلامى ، لينقبوا ويبحثوا فيه فسيجدوا بغيتهم ومأربهم وطلبتهم وضالتهم المنشودة •

من هو ولى الامر المفوض فى قانون التعزيز ؟

ولى الامر الذى تمنحه الشريعة الاسلامية هذا الحق ، ليس هو

---

(١) سلام مدكور بتصرف (المدخل للفقه الاسلامى) .

من يخلع عليه طائفته أو اقليمه أو نفر من الناس لقب : (الامام) بل هو الحاكم الذى يعرف فى صدر الاسلام بلقب الخليفة ، والذى حدد الكتاب والسنة مركزة فى الامة وهدفه فى الجماعة (١) •

العقوبات التعزيزية :

ان العقوبات التعزيزية كثيرة متنوعة منها : العقوبات التى تصيب البدن ، وأهمها : الاعدام والجلد • ومنها : العقوبات المقيدة للحرية ، وأهمها : الحبس والنفى ، ومنها : العقوبات المالية • وغير ذلك من العقوبات •

الاعدام :

قد أقرته الشريعة عقوبة تعزيزية ، كما أقرته كذلك عقوبة للقصاص ، فعند الأحناف يجوز الاعدام تعزيرا فى الجرائم التى شرع القتل فى جنسها اذا تكرر ارتكابها •

وعند المالكية والحنابلة يجوز الاعدام تعزيرا فى بعض الجرائم ، كجريمة التجسس للعدو على المسلمين والداعية الى البدعة ، لافساده فى الارض •

والوقوف بجريمة الاعدام عند بعض جرائم الحدود والعقاب لا يتمشى مع أغراض الشارع مع فريضة العقاب ، ولا يتفق مع المنطق والعقل ، فهناك جرائم تمس أمن المجتمع وكيانه وحياته ، وأمن الدولة وسلامتها ، فأى عقوبة توقع على هذه الجريمة ان لم يكن التعزيز • !!

القانون المصرى :

وفى القانون المصرى تعتبر عقوبة الاعدام عقوبة تعزيزية فى غير الاحوال التى تقررت فيها للقتل العمد أو للحرابة ، لانها فى حالة القتل العمد تعتبر قصاصا ، وفى أحوال الحرابة تعتبر حدا •

وهذه الاحوال الآتية هى التى أجاز فيها القانون الحكم بالاعدام:

أولا : بعض الجنايات المضرة بأمن الدولة من جهة الخارج • المادة

---

(١) شلتوت (عقيدة وشريعة) ص ٢٦٦ •

٧٧ وما بعدها وهى : ١ — اتيان فعل يؤدى الى المساس باستقلال البلد . (مادة ٧٧) .

٢ — الالتحاق بالقوات المسلحة لدولة فى حالة حرب مع مصر . مادة ٧٧ .

٣ — التخابر مع دولة أجنبية بأعمل عدائية ضد مصر مادة ٧٧ .

٤ — التخابر مع دولة أجنبية لمعاونتها فى عملياتها الحربية ، أو الاضرار بالعمليات الحربية المصرية مادة ٧٧ جـ .

٥ — التدخل لمصلحة العدو لاضعاف روح القوات المسلحة ، أو روح الشعب المعنوية . مادة ٧٨ .

٦ — تحريض الجند على الانخراط فى خدمة أى دولة أجنبية أو تسهيل ذلك لهم . مادة ٧٨ .

٧ — تسهيل دخول العدو فى البلاد . مادة ٧٨ .

٨ — اتلاف الاسلحة أو المؤن أو وسائل المواصلات فى زمن الحرب . مادة ٧٨ .

٩ — محاولة احتلال شىء من المبانى المخصصة للمصالح الحكومية ، أو المرافق العامة ، أو المؤسسات ذات النفع العامة اذا وقع من عصابة مسلحة . مادة ٩٠ مكرر .

ثانيا : بعض الجنايات المضرة بأمن الدولة من جهة الداخل طبقا للمادة ٨٦ وما بعدها وهى :

١ — الاعتداء على رئيس الجمهورية أو على حريته . (٨٦) .

٢ — فى جريمة الشروع بالقوة فى قلب دستور الدولة أو شكل الحكومة اذا وقعت من عصابة مسلحة ، يعاقب بالاعدام من ألف العصابة ، أو تولى زعامتها أو قيادتها . ٨٧ .

٣ — من ألف عصابة هاجمت طائفة من السكان ، أو قاومت بالاسلحة رجال السلطة العامة فى تنفيذ القوانين ٨٩ .

٤ — من تولى لغرض اجرامى قيادة فرقة من القوات المسلحة بغير تكليف من الحكومة ، أو سبب مشروع ، أو استمر رغم الامر الصادر من الحكومة فى قيادة عسكرية بعد صدور أمر الحكومة بتسريحها .

٥ — كل من قلد نفسه رئاسة

عصبة حاملة للسلاح ، بقصد اغتصاب الاموال المملوكة للحكومة أو لجماعة من الناس .

ثالثا : القتل العمد فى الاحوال الآتية :

١ ـ جناية تعريض وسائل النقل العام للخطر ، أو تعطيل سيرها عمدا اذا نشأ عنها الموت (١٦٧ ، ١٦٨) والعقوبة فى هذه الحالة الاعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة .

٢ ـ الحريق العمد اذا نشأ عنه الموت .

٣ ـ شهادة الزور التى يترتب عليها الحكم على متهم بالاعدام اذا نفذت العقوبة . مادة ٢٩٥ .

٤ ـ جناية تصدير أو جلب مخدرات أو انتاجها ، اذا كان قد سبق الحكم على المتهم فى احدى هذه الجرائم ، أو جريمة مخدرات مما نصت عنه المادة (٣٤) . أو اذا كان المتهم من الموظفين المنوط بهم مكافحة المواد المخدرة ، أو لهم بها اتصال من أى نوع كان . المادة ٣٣ من القانون ١٦٢ لسنة ١٩٦٠ م .

وعقوبة الاعدام فى جميع هذه الاحوال ليست قصاصا ، لانها لا تقابل قتل انسان عمدا ، وانما هى عقوبة تعزيزية، ولنا أن نعتبرها حدا فى الحالات التى تعتبر الجرائم المقررة لها تلك العقوبة من جرائم الحرابة فى كل مرة يصدق على الجريمة أنها سعى فى الارض بالفساد ، تكون عقوبة الاعدام المقررة لها من الحدود ، بشرط أن تتوفر للعقوبة بحل شرائط الحدود (١) .

الجلد :

الجلد عقوبة مشروعة فى بعض جرائم الحدود ، فهى فى الزنى والقذف مشروعة بالكتاب ، لقوله تعالى : **(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)** .

مشروعيته فى التعزيز :

فالجلد : تعزيز مشروع بالقرآن والسنة والاجماع .

أما القرآن فقوله تعالى : **(واللاتى تخافون نشوزهن**

---

(١) من الفقه الجنائى المقارن للمستشار موافى .

فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن) .

أما السنة :

فقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط الا فى حد من حدود الله » .

الاجماع :

اتفق الاجماع على ذلك ، سار الخلفاء الراشدين على ذلك .

بعض الامثلة على الجلد تعزيرا

قضاء عمر بالجلد على من زور كتابا لبيت المال ، ووقع عليه ببصمة خاتم اصطنعه على نقش خاتم بيت المال ، وقدمه لامين بيت المال فأخذ منه مالا . وفى هذه القضية بالمفهوم العصرى الحديث تزوير واستعمال الاوراق المزورة .

ومنها : وطء الرجل أمة زوجته زنا ووطء الجارية المشتركة ، وكل ما كان سببه الوطء كوطء جاريته المزوجة ، أو جارية ولده أو جارية أحد أبويه ، والمحرمة بالرضاع ، أو الميتة . فقد ورد أن كل هؤلاء يعزرون بمائة جلدة .

وكذلك الحال فى السرقة . فقد قيل بالجلد عقوبة فى كل سرقة لا حد فيها : كأن يسرق من غير حرز .

وكذلك من الجرائم التى قيل فيها بالضرب : افساد الاخلاق والجاسوسية ، (١) وذلك مع العقوبات الاخرى .

هذا عن الجرائم . أما عن الاشخاص فقد قال الفقهاء : بالضرب عقوبة لمن لا يردعهم عدا الضرب من شرار الناس وأساغلهم، وممن مردوا على الاجرام واعتادوه ولهم فى ذلك تقسيمات للناس ، وبيان للعقاب اللازم لكل قسم ، يقسمون الناس الى مراتب أربع :

١ ــ أشراف الاشراف .
٢ ــ والاشراف .
٣ ــ والاوساط .
٤ ــ والسفلة .

ولا يقولون بالتعزيز بالضرب الا بالنسبة للقسم الاخير ، وهو أدنى الناس (٢) .

---

(١) التعزير د . عبد العزيز عامر .
(٢) التعزيز فى الشريعة الاسلامية ــ دكتور عبد العزيز عامر .

الجلد فى التشريع المصرى :

لم يأخذ المشرع المصرى فى التشريع العقابى بالجلد ، وانما أقرها فى حالتين :

١ ــ فى قانون الاحكام العسكرية حيث ينص البند (١٧٠) على جزاءات توقع على الجنود • ومنها: العقاب البدنى بما لا يزيد على خمسين جلدة : وقد نص ذلك القانون على (الذنوب) التى يطبق فيها الجزاء البدنى فى بنود عديدة•

٢ ــ فى السجون : حيث تنص المادة ٦١ من لائحة السجون على العقوبات التأديبية التى توقع على المسجون لسوء السلوك ، أو فى مخالفة النظام • ومن هذه العقوبات : جلد المسجون الذى لا يجوز أن يزيد على ٣٦ جلدة • لمسجونى الليمانات ، ولا على ٢٤ جلدة لمسجونى السجون ، ولا يجوز أن يزيد على ١٢ جلدة لمن لم يبلغ سن سبع عشرة سنة •

وهناك حقائق وحسنات ، يجب أن تذكر لعقوبة الجلد وميزتها بين أنواع العقوبات وهى كالآتى :

١ ــ أنها تخيف الجناة •

٢ ــ وانها يمكن أن تكون ذات حدين •

٣ ــ وأن تطبيقها لا يثقل كاهل الدولة •

٤ ــ وأنه يظهر فيها مبدأ شخصية العقوبة ، لانها تلحق المحكوم عليه فقط ، ولا تلحق غيره ممن يتصلون به •

٥ ــ وانها لا تؤدى الى تعطيل الأيدى العاملة ، فلا يقف دولاب العمل •

٦ ــ وانها تحمى من نشر الحبس عند اختيار عقوبة الحبس، لأنه يعرض المحكوم عليهم للعدوى الخلقية من مخالطة المجرمين •

ولقد دافع عن عقوبة الجلد الدكتور : (القللى) عميد كلية حقوق القاهرة فقال : (ان عقوبة الجلد بلا مراء أقوى وأنجح وسيلة لردع بعض الطوائف المجرمة ، الذين لا يردعهم العقوبة المقيدة للحرية (١) •

ولقد نادى الدكتور « محمد نجيب الملاح » فى رسالته عن

---

(١) من الفقه الجنائي المقارن ص ٧٨ موافى •

الادمان فى المخدرات بعقوبة الجلد واعطاء القاضى تلك السلطة •

ولقد اقترح كذلك مكتب المخدرات فى تقرير عام ١٩٣١ م قائلا فى هذا الصدد : « ان الالم البدنى أنجح فى العلاج من السجن » •

عقوبة الحبس :

أما الحبس فى الشرع : فقد قال ابن القيم : أن المقصود بالحبس الشرعى ليس الحبس فى مكان ضيق ، ولكنه تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه ، سواء كان ذلك : فى بيت ، أم فى مسجد ، أم فى غيرهما • وان هذا كان هو الحبس على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، فلم يكن هناك محبس معد لحبس الخصوم، ولكن لما انتشرت الرعية واتسعت رقعة البلادالاسلامية فى أيام عمر، اشترى دارا لصفوان بن امية بأربعة آلاف درهم ، وجعلها حبسا والسجن معناه : الحبس ، لذلك يطلق الفقهاء كلا منهما بمعنى الآخر ، ويطلقون كذلك كلمة الحبس أو المحبس أو السجن ، على المكان الذي تنفذ فيه عقوبة الحبس أو السجن ويقصدون بالكل نفس المعنى •

مشروعيته :

اختلف الفقهاء فى الحبس ومشروعيته ، فقال قوم : ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر لم يكن لهما سجن ولم يسجنا أحدا •

وقال آخرون : بمشروعية الحبس ، وساقوا على ذلك حججا كثيرة منها :

ان النبى صلى الله عليه وسلم حكم بالحبس ، فقد ورد أنه سجن بالمدينة أناسا فى تهمة دم ، وأنه حبس رجلا فى تهمة ، ساعة من نهار ثم أخلى سبيلة ، وثبت عن عمر أنه حبس الحطيئة على هجوه ، وأن عثمان سجن صابىء بن الحارث ، وكان من لصوص بنى تميم وفتاكهم حتى مات فى السجن ، وأن عليا سجن بالكوفة ، وروى : أنه بنى سجنا من قصب ، وسماه نافعا ، فنقبته اللصوص ، وبنى آخر من مدر ، وسماه مخبأ ، وكذلك ابن الزبير سجن بمكة :

واحتجوا على مشروعية السجن بقوله تعالى : « **فأمسكوهن فى البيوت الآية** » •

والحبس مشروع بالـــــكتاب والسنة والاجماع •

١ ــ أما الكتاب فقوله تعالى : (**أو ينفعوا من الأرض**) وقالوا : ان المقصود بالنفى فى آية المحاربة: هو الحبس •

٢ ــ وأما السنة : فلأن الرسول حبس :

٣ ــ وأما الاجمـــاع : فــلأن الصحابة ومن بعدهم أجم وا عليه، وقد انعقد الاجماع على أن الحبس يصلح عقوبة فى التعزيز ، ووضعه الفقهاء بين العقوبات التعزيرية •

نوعا الحبس :

والحبس فى الشريعة الاسلامية نوعـــان :

١ ــ محدد المدة •

٢ ــ غير محدد المدة •

١ ــ الحبس محدد المدة :

ليس للحبس مـــدة محـــدودة ومقدرة ، سواء فى حده الأدنى أو فى حـــده الأقصى ، وهـــو يختلف باختـــلاف ظـــروف كل مجـــرم ، وباختلاف ظروف كـــل جـــريمة وكذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة :

والشرط فيه : أن يكون كافيا لزجر الجانى ، جاء فى كشاف القناع : ان من وجب عليه التعزير يعزر بمـــا يردعه ، لأن القصد من التعزير هو الردع والزجر •

وجاء فى شرح الكنز للزيلعى فى صدد الكلام عن حبس المدين : أن ما جاء مـــن تقدير مـــدة الحبس بشهرين أو ثلاثة أو أقل أو أكثر اتفاقى وليس يتحتم تقديرا ، وأن ليس للحبس مدة مقدرة ، ويترك الأمر فيه للقاضى ، وأن ذلك يختلف باختلاف الشخص والزمان والمكان والمال ، وأنه مفـــوض الى رأى الامام ، ويختلف باختلاف الجريمة والمجرم ، وقيل فى نهاية المحتاج : ان مدة الحبس للأحرار لا تصـــل الى سنة •

ومن الأقوال المختلفة للفقهاء : ان الحبس المقدر ليس له حد أقصى ، فهو مفوض الى الامام أو القاضى بما يراه مفيداً للزجر وناجعاله •

ما يقابل هذا النوع فى القانون المصرى :

يقابله الحبس المحدد المـــدة فى الشريعة الاســـلامية فى القـــانون

المصرى عقوبتى الحبس والسجن والأشغال الشاقة المؤقتة اذا الغى منها التشغيل الشاق ، والحد الأدنى للحبس : ٢٤ ساعة ، وحده الأقصى ثلاث سنين •

والسجن : حده الأدنى ثلاث سنين ، وحده الأقصى خمس عشرة سنة •

والأشغال الشاقة المؤقتة : وحدها الأدنى ثلاث سنوات ، وحدها الأقصى خمس عشرة سنة ، على ما هو مذكور فى مراجعه •

٢ ـ الحبس غير محدد المدة :

ويأخذ هذا النوع صورتين :

١ ـ الصورة الاولى : الحبس حتى الموت •

٢ ـ الصورة الثانية : الحبس حتى التوبة أو الموت •

مثال الاول : حبس سيدنا عثمان الصابى بن الحارث ، وكان من لصوص بنى تميم وفتاكهم ، حتى مات فى السجن •

ومثال الصورة الثانية : قول أبى حذيفة : يحبس الشخص العائد للسرقة للمرة الثانية حتى يتوب ، ويكون بظهور أماراتها ودلائلها وعلاماتها •

ما يقابل الصورتين فى القانون المصرى :

يقابل الصورة الأولى : الأشغال الشاقة المؤبدة فى القانون المادة ١٤ اذا الغى منها التشغيل الشاق ، ويقابل الصورة الثانية ما ينادى به الآن فلاسفة علم العقاب ، من ضرورة عدم تحديد مدة الحبس ، وترك التحديد للسلطة التى لها الافراج •

التعزير بأخذ المال :

اختلف الفقهاء فى مشروعية التعزير بأخذ المال ، فمنهم من يجيزه ، ومنهم من يمنعه :

فأبو حنيفة يمنعه ولا يجيزه •

وأبو يوسف قال : بالجواز •

وأما الشافعية ، فقالوا بالجواز مع شىء من التفصيل •

وكذلك الحنابلة : ولقد ذكرها ابن القيم فى كتابه : « الطرق الحكمية » •

والتعزير بأخذ المال يكون بصورتين : الصورة الأولى : التمليك :

ومثاله قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن سرق من التمر المعلق قبل أن يؤخذ الى الجرين بجلدات نكال وغرم ما أخذ مرتين .

وفيمن سرق من الماشية قبل أن تؤدى الى المراح بجلدات نكال وغرم ذلك مرتين .

ما يقابل هذه الصورة فى التشريع المصرى :

تقابل هذه الصورة عقوبة الغرامة فى التشريع المصرى . المادة ٢٢ .

بقولها : العقوبة بالغرامة هى : الزام المحكوم عليه بأن يدفع الى خزينة الحكومة المبلغ المعتمد فى الحكم .

وهى فى القانون العقوبة أصلية عادة ، بمعنى : أنها تكون الجزاء الأصيل المقرر للجريمة ، وقد تكون تكميلية فى بعض الاحيان . أى بالاضافة الى العقوبة الأصلية .

ويقررها القانون عادة فى الجامح والمخالفات ، وقد يترك للقاضى حرية الاختيار بينها وبين الحبس ، أو حرية الجمع بينهما أو الحكم بأحدهما فقط ، وقد يلزمه بالجمع بينهما ، وفى أحوال كثيرة تقرر بمفردها ، وقد حدد الشرع حدها الأدنى بخمسة قروش المادة ٢٢

ولم يبين لها حدا أقصى بصفة عامة الا فى المخالفات ، وهو : مائة قرش المادة ١٢ عقوبات . وان كان قد بين بصفة خاصة الحد الاقصى فى كل حال على حدة .

وفى بعض الأحوال ينص القانون على حد أدنى بغرامة تزيد على الخمسة قروش .

الصورة الثانية : الاتلاف :

مثل اتلاف المنكرات من الأعيان: كالأصنام ، والخمر وأوعيتها ، واللبن المخلوط بالماء للبيع ، والصكوك المزيفة . وليس اتلافه المحل متعينا فى جميع الحالات ، بل يجوز التصدق بالشىء اذا لم يكن بالشىء ضرر لمن يتناوله أو يستعمله ، كاللبن المخلوط بالماء ، والطعام المغشوش غير الفاسد . ويرى الدكتور عبد العزيز عامر ابقاء الشىء وأخذه على ملك الدولة وضمه اليها .

ويقابل الصورة الثانية من التشريع المصرى « المصادرة » •

ولقد نصت عليها المادة ٣٠ بقولها : (يجوز للقاضى اذا حكم بعقوبة لجناية أو لجنحة أن يحكم بمصادرة الأشياء المضبوطة التى تحصلت من الجريمة ، وكذلك الأسلحة والآلات المضبوطة التى استعملت ، أو التى من شأنها أن تستعمل فيها ، وهذا كله بدون اخلال بحقوق الغير الحسن النية ، واذا كانت الاشياء المذكورة من التى تعد صنعها أو استعمالها أو حيازتها أو بيعها أو عرضها للبيع جريمة وجب الحكم بالمصادرة فى جميع الاحوال ، ولو لم تكن تلك الأشياء ملكا للمتهم •

التوبيخ :

استدل الفقهاء على مشروعيته بالسنة فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبا ذر سب رجلا فعيره بأمه ، فقال الرسول : « أعيرته بأمه ، انك امرؤ فيك جاهلية » وقصة العبد مع عبد الرحمن بن عوف : فقد خاصم العبد عبد الرحمن بن عوف ، فغضب عبد الرحمن ، فسب العبد وقال له : يا بن السوداء فغضب الرسول وقال : « ليس لابن بيضاء على ابن سوداء سلطان الا بالحق » فخجل عبد الرحمن بن عوف واستخذى ، ووضع خده على التراب ثم قال (١) للعبد : طأ عليه حتى ترضى •

والمقابلة فى التشريع المصرى :

وأخذ التشريع المصرى بعقوبة التوبيخ فى المخالفات فقط ، بالنسبة للأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين سبع سنين واثنتى عشرة سنة (المادة ٦٥) •

العزل :

وهو حرمان الشخص من وظيفته ، قال ابن تيمية : ان التعزير قد يكون بالعزل من ولاية وان النبى عليه السلام وأصحابه كانوا يعزلون تعزيرا •

---

(١) الفقه الجنائى المقارن أحمد موافى ص ٨٤ — ٨٥ •

ما يقابل العـــزل فى التشريع المصرى :

عرفت (المـــادة ٢٦) العـــزل هو : الحرمان من الوظيفة نفسها ، ومن المرتبات المقررة له) .

واعتبر عقوبة تبعية كما جـــاء بالمادة ٢٥ لكل حكم بعقوبة جنائية بمعنى أن المتهم اذا حـــكم عليه بعقوبة جنائية : (أشـــغال شاقة مؤبدة أو مؤقتة أو السجن) وكان موظفا فانه يعزل من وظيفته دون حاجة الى النص عـــلى ذلـــك فى الحكم ، كما اعتبره فى (المـــادة ٢٧) عقوبة تكميلية : ينص عليها بالحكم اذا ارتكب الموظف جناية مما نص عليـــها فى الباب : الثالث والرابع والخامس والسادس عشر من الكتاب الثانى من العقوبات : (الرشوة واختـــلاس الأموال ، والاكراه ، وسوء معاملة الناس ، والتزوير) وعومل بالرأفة فحكم عليه بالحبس ، فانه يحـــكم عليه أيضا بالعزل لمدة لا تنقص عـــن ضعف مدة الحبس المحكوم بهـــا عليه ، وهذه الجرائم التى اختارها المشرع للحكم بعقوبة العزل شبيهة الى حد كبير بمـــا أورد ابن تيمية فى كتابة « الســـياسة الشرعية » ومثل أمثلة للجرائم التى يحـــاكم فيها بالعزل ، ومنها : ولاة أموال بيت المال اذا خانوا وهى تســـاوى (اختلاس الأموال الأميرية) ومن يقبل الهـــدية بســـبب العمل وهى تساوى (الرشوة) وولى الأمـــر الذى يقبل الرشـــوة أو الهدية ، وهى (الرشـــوة) بذاتهـــا ، ومن يعتدى على رعيته ، وهى تساوى (الاكـــراه وســـوء معـــاملة الناس) (٢) . والله الموفق .

عبد العليم شداد

---

(١) الفقه الجنـــائى المقارن لأحمد موافى ص ٨٤ ـــ ٨٥ .

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٥٦١ ويقولون : شاركه التجارة ، وشاركه الميراث ونحو ذلك ، وكل هذا ضلال بعيد ، لأنهم جعلوا الفعل متعديا بنفسه الى مفعولين ، وهو لا يتعدى بنفسه الا الى مفعول به واحد ، فيقال : شاركه فى التجارة ، وشاركه فى الميراث ، ويؤيد هذا الرأى قوله تعالى **« وشاركهم فى الأموال والأولاد »** ومثل هذا الفعل فى التعدى الى مفعول واحد فعلان : أحدهما : الثلاثى تقول : شركة فى البيع يشركه من باب تعب شركا وشركة وزان كلم وكلمة بفتح فكسر فيهما اذا صار له شريكا ، ثم خفف المصدر بكسر الشين وسكون الراء ، واستعمال المخفف أغلب ، فيقال : شرك وشركة كما يقال كلم وكلمة والاسم الشرك بالكسر ، جمعه أشراك كشبر وأشبار .

والفعل الآخر : المزيد بالهمزة ، تقول : أشرك فلان أخاه فى كل أموره ، ومن هذا قوله تعالى **«اشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى»** أى اجعله شريكى فى الأمر .

وجمع الشريك شركاء ، وأشراك ، كشريف وشرفاء وأشراف ، والمرأة شريكة وهن شرائك وهناك أشرك متعدد أيضا الى مفعول واحد ، بيد أنه لمعنى آخر ، تقول : أشرك فلان نعله اذا جعل لها شراكا بالكسر كشركها تشريكا ، والشراك هو سيرها الذى يكون على ظهر القدم ، جمعه شرك بضمتين ككتب تقول : أصلحوا شرك نعالكم .

وهناك أيضا أشرك غير متعد لمعنى آخر ، تقول أشرك الملحد بالله أى كفر وجعل لله شريكا فهو مشرك ومنه قوله سبحانه « **ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم** » وهم مشركون ومنه قوله تعالى « **انما المشركون نجس** » وهى مشركة وهن مشركات ومنه قوله « **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن** » ويقال : رجل مشرك بصيغة اسم المفعول اذا كان يحدث نفسه كالموسوس والمهموم ، وطريق مشترك أيضا ، والأصل مشترك فيه ، ومنه الأجير المشترك وهو الذى لا يخص أحدا بعمله بل يعمل لكل من يقصده للعمل .

٥٦٢ **ويقولون** : فلان ملاك بالفتح يعنون أنه متسم بكرم الأخلاق ، وهذا خطأ محض ، لأن للملاك معانى عدة لا صلة لأى منها بالمعنى الذى أرادوه ، فهو قوام الأمر الذى يملك به ، اذ يقال : القلب ملاك الجسد بفتح الميم وكسرها ، وهو اسم من ملكته الشىء تمليكا ، وهو التزوج أو العقد كما فى قولك : شهدنا ملاك فلان أى تزوجه أو عقد زواجه ، كما يقال شهدنا املاكه ، وهو التمالك كما فى قولك ليس لفلان ملاك أى لا يستطيع أن يتمالك أى يملك نفسه .

ويقال هذا المنزل ملك بميم مثلثه ، وملكه بميم مفتوحة ، والاملاك التزويج ، تقول أملكنا فلانا فلانة أى زوجناه اياها ، وهو أيضا التطليق تقول : أملكت المرأة أمرها بالبناء للمفعول اذا طلقت والملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبنة ، تقول : لفلان ملكوت العراق أى له ملكه وعزه ، وهو مليك وملك بزنة عدل ، وملك بزنة كتف ، ومالك ، وتقول : علاه أبو مالك أى الكبر والشيخوخة، قال :

أبا مالك ان الغوانى هجرتنى
أبا مالك انى أظنك دانيا

ويقال : فلان حسن الملكة بالتحريك أى حسن التصنيع الى مماليكه ، وفى الحديث لا يدخل

الجنة سيء الملكة والملك(١) بالتحريك من الملائكة واحد وجمع ، ويقال ملائكة وملائك بدون هاء .

٥٦٣ وتقول المرأة لابنها : أنت ضناى وتناديه فتقول : يا ضناى ، وهى بهذا تعنى أنها تحبه حبا ملك عليها لبها ، ومس شغاف قلبها .

وهذا غير سليم ، لأن الضنى معناه المرض الشديد ، تقول : ضنى فلان من باب تعب يضنى ضنى اذا مرض مرضا مخامرا كلما ظن أنه برىء نكس فهو ضن على النقص ، وامرأة ضنية وزان فرحة .

ويقال : تركته ضنى ، وضنيا أى مريضا ، وأضناه أى أثقله فهو مضنى بصيغة اسم المفعول ، وفلان بين سفر ينضبه ومرض يضنيه .

ويجوز الوصف بالمصدر فيقال: هو وهى وهم وهن ضنى ، والأصل هو ذوضنى وهى ذات ضنى ، وهم ذووضنى وهن ذوات ضنى .

والصواب أن يقال على سبيل التشبيه البليغ : أنت روحى ، أو قلبى ، أو كبدى أو انسان عينى ونحو ذلك .

وهذه المرأة لو قالت : أنت ضنوى بفتح الضاد وكسرها لكان قولها سليما لأن المعنى حينئذ يكون : أنت وكدى .

٥٦٤ ويقولون : تستعمل النظارة فى رؤيا الأشياء الصغيرة ، وفى هذا التعبير غلطتان احداهما كلمة النظارة ، والصواب أن يستبدل بها كلمة المنظار اسم آلة من النظر كالمفتاح فهو اسم آلة من الفتح ، والمنشار اسم آلة من النشر ، وللمنظار معنى آخر هو المرآة ، تقول رأيت خيالى فى المنظار ، وأنشد الفراء .

خود (٢) مهفهفه (٣) كأن جبينها
تحت الرصارص (٤) صفحة المنظار

---

(١) ـ من الجمع قوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفا صفا » اى بحسب منازلهم ومراتبهم .

(٢) ـ الخود : الحسنة الشابة او الناعمة .

(٣) ـ المهفهفة : ضامرة البطن .

(٤) ـ الرصارص براقع صغار تلبسها الجارية .

أما النظارة فهم القوم ينظرون الى سماء ، واحدهم ناظر كما رأى صاحب المصباح ، ورأى صاحب المختار أن الرجالة واحدهم راجل وهو خلاف الفارس ، ويجمع الراجل أيضا على رجال كما فى قوله سبحانه **فان خفتم فرجالا أو ركبانا »** ويجوز أن يكون واحد النظارة نظارا قياسا على ما قال صاحب الأساس : ان السيارة واحدهم سيار ، وقول أهل اللغة : ان الجمالة وهم أصحاب الجمال واحدهم جمال ، والحمارة وهم أصحاب الحمير واحدهم حمار والبغالة وهم أصحاب البغال وأحدهم بغال .

والغلطة الأخرى كلمة رؤيا ، والصواب أن يستبدل بها كلمة رؤية بالهاء لأن الرؤية هى الابصار بالعين تقول : رأيت الشيء رؤية اذا أبصرته بعينك ، جمعها رؤى ، كمدية ومدى .

أما الرؤيا فلا تكون الا فى النوم كما فى قوله تعالى **« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس»**

٥٦٥ ويقولون فى جمع الأمر بمعنييه أمور ، والحق أن الأمر قد يكون بمعنى الحال كما فى قوله تعالى : **« وما أمر فرعون برشيد »** وهذا جمعه أمور ومنه قوله سبحانه: **« والى الله عاقبة الأمور »** وقد يكون بمعنى الطلب أى ضد النهى كما فى قوله تعالى **« قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا »** وهذا جمعه أوامر ، ومن الأئمة من يقول فى تأويله ان الأمر مأمور به ثم حول المفعول الى فاعل كما قيل أمر عارف بمعنى معروف ، وبيت عامر بمعنى معمور ، وعيشة راضية بمعنى مرضية وكما قيل فى عكس ذلك مستور بمعنى ساتر فى قوله تعالى **« فاذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا »** أى حجابا ساترا .

ثم جمع فاعل على فواعل ككاهل وكواهل ، وصاهل وصواهل ، وشاهق وشواهق ، فأوامر جمع آمر الذى هو فى الحقيقة مأمور كما قلنا ذلك سابقا .

واذا أمرت من هذا الفعل ولم

يتقدمه حرف عطف حذفت الهمزة على غير قياس وقلت مره بكـذا ، ومنه قوله تعالى : « **وامـر أهلك بالصلاة** » والامر بكسر الهمـزة معناه معناه العجيب ومنـه قوله سبحانه « **لقد جئت شيئا امرا** » .

٥٦٦ **ويقولون** : اشتد المرض على فلان فأخـذ ينازع نزاعا مؤلما ، وهذا خطأ والصـواب أن يقال : فأخذ ينزع من باب ضرب نزعا أى أشرف على الموت ، وقولهم فلان فى النزع معناه فى قلع الحيـاة ، أو يقال : فأخذ يئن أنينا ، أو أخذ يتوجع توجعا أو أخذ يتأوه تأوها ونحو ذلك .

أما النزاع بالكسر فله معنيـان **أحـدهما** الخصـومة والمجاذبـة كما فى قولك : نازعت فلانا منازعة ونزاعا اذا جاذبته فى الخصومة .

والآخر الاشتياق كما فى قولك : نازعت النفس الى كذا نزاعا بكسر النون ، ونزوعا بضـمها أيضا اذا اشتاقت اليه .

ويقال : بين فلان وجاره نزاعة بفتح النون أى خصومة فى حق ، والتنازع التخاصـم ، ومنه قوله تعالى « **ولا تنازعوا فتفشلوا** » .

ومن الثلاثى يقال لمن أشـبه أخـواله أو أعمـامه : نزعهم ونزعوه ، أو نزع اليهم كما فى قول الفرزدق :

أشـبهت أمك يا جرير فانها
نزعتـك والأم اللئيمة تنـزع

ونزع فلان الشىء من مكانه من باب ضرب قلعه ومنه قوله تعالى : « **تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشـاء** » ونزع فلان من باب تعب نزعا اذا انحسر الشـعر عن جانبى جبهتـه فهو أنزع ، وهى زعراء ولا يقـال للانثى نزعاء من لفظـه .

٥٦٧ **ويقولون** لواحـدة الذباب ذبانة بكسر الذال وتشـديد الباء وزيادة نون قبل الهاء والعامـة يسـتبدلون بالذال دالا فيقولون دبانه .

والصـواب أن يقال لها ذبانه بضم الذال وتشديد الباء ، أو يقال لها ذبابة والجمـع ذباب بالضم ، ويجمع الذباب فى القلـة عـلى أذبة ، وفى الكثرة عـلى ذبـان

بالكسر كما **يقال** فى جمع غراب أغربة وغربان .

ويقال أرض مذبة بثلاث فتحات أو مذبوبة اذا كانت كثيرة الذباب ، والمذبه بكسر الميم وفتح الذال ما يذب به الذباب اسم آلة .

وللذباب معان كثيرة زيادة على المعنى المعروف ، فهو انسان العين ، نقول : فلان أعز على من ذباب العين ، وهو من السيف حده الذى يضرب به ، تقول ضربه بذباب سيفه وكذلك هو من الأذن ما حد من طرفها ، وهو الشر ، تقول : أصابنى ذباب شر مأذى وللذبابه أيضا معنى آخر غير معناها المعروف فهى بقية الشىء وجمعها ذبابات ، تقول : فلان ذبابه من دين منذبابات أى بقايا ، وبه ذبابه من جوع ، أو من عطش ، تقول : ما تركت فى الاناء صبابة وفى من العطش ذبة .

وتقول : ذبب النهار اذا مضى ولم يبق منه الا ذبابة .

ويقال ذب فلان عن حريمه من باب نصر ذبا اذا حماه ودافع عنه قال الطرماح :

أذب عن أحساب قحطان انني ... أنا ابن قحطانها حيث حلت

٥٦٨ وينكرون أن يقول القائل : صديقى يقبل عنى ما أقدم اليه من آراء ، ويصرون على أنه يجب أن يقال يقبل منى كذا ، مستأنسين بقوله تعالى : **« ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه »** .

والحق أن التعبير الذى أنكروه سليم لا غبار عليه .

وبيان ذلك أن الحرفين من وعن يترادفان : فعن تأتى مرادفة من كما فىقوله تعالى : **« وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات »** أى منهم .

كما تأتى من مرادفة عن فى قوله سبحانه : **« فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله »** **أى عن ذكر الله** وقوله : **« يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا »** أى عن هذا .

وكذلك تأتى عن مرادفة الباء لما فى قوله جل شأنه **« وما ينطق عن الهوى »** أى بالهوى وتأتى مرادفة بعد كما فى قوله **« عما قليل ليصبحن نادمين »** أى بعد قليل ،

وقوله : « **يحـــرفون الكلم عن مواضعه** » أي بعد مواضعه بدليل قوله فى مكان آخر « **يحرفون الكلم من بعد مواضعه** » وقوله « **لتركبن طبقا عن طبق** » أي حالة بعد حالة وتأتى من مرادفة فى كمـا فى قوله سبحانه « **اذا نودى للصـلاة من يوم الجمعة** » أى فى يوم الجمعة •

٥٦٩ وينكرون أن يقول القائل :

أعتد الرجل لضيفانه مأدبة شائقة بها كل ما لذ وطاب من طعام وشراب ، يعنى هيأها لهم تهيئة طيبة تملؤهم غبطـة وسرورا ويصرون على أنه كان يجب عليه أن يقول : أعـد الرجل مأدبة •

والحق أن التعبير الذى أنكروه سليم لاخطأ فيه ولا غبار عليه فقد ورد فى التنزيل قـوله تعـالى : « **وأعتدت لهن متكأ** » وقـوله : « **وأعتدنا لها رزقا كريما** » •

وهذا الفعل (عتـد) يتعـدى بالهمزة فيقال : أعتده اعتادا وزان أخرجه اخراجا اذا أعده وهيأه ، ويتعدى بالتضعيف أيضا لهـذا المعنى فيقـال : عتده تعتيدا وزان علمه تعليما فهو عتيـد أى حاضر مهيأ •

٥٧٠ ويقولون لقوس الله : قوس قزح ، وقزح وزان صرد خطـوط من صفر وخضرة وحمرة ، وهذا غير سليم •

والفصيح كما فى مراجع اللغـة — أن يقال له : قسطان ، قسطانى وقسطانية بضمهن ، وبتشديد الياء فى الآخيرين •

وقال علماء اللغة : والعامة تقول قوس قزح ، وقد نهى أن يقال •

وروى عن ابن عبـاس رضى الله عنه أنه قال : لا تقولوا قوس قزح ، فان قزح اسم شـيطان ، ولكن قولوا قوس الله •

وقال الدميرى فى المسـائل المنثورة : قولهـم قـوس قزح بالحاء خطأ ، والصـواب أن يقال قوس قزع بالعين وبالتحريك ، لأن القزع هـو السـحاب المتفـرق واحـدته قزعة بالهاء تقول فى التشبيه : كأنهم قزع السـحاب تعنى أنهم متفرقون ومختلفون فى ألوانهم وأشكالهم ، قال ذو الرمة :

ترى عصب (١) القطـا (٢) همـلا (٣) عليـه

كأن رعاله (٤) قزع الجهـام (٥)

وقيل قزح جبـل بالمزدلفة ، واسم ملك موكل بالسـحاب ، أو اسـم ملك من ملوك العجم أضيفت قوس الى أحدهما .

٥٧١ ويقولون : تتابعت النوائب على فلان فيخطئون ، والصواب أن يقال : تتايعت النوائب بالياء بدلا من الباء ، وذلك لأن التتابع يكون فى الصلاح والخير .

أما التتـايع فمختص بالشر والمنكر ، تقول : فلان يتتايـع فى الأمور اذا رمى نفسه فيها من غير تثبت ، وتتـايع النـاس فى الشر اذا تهافتوا فيه .

والأتيع هو المتتايع فى الحمـق ، والتيعان بتشـديد الياء وزان (البيعـان) وهو المتسرع الى الشر ، وفى الحـديث « ما يحملكم على أن تتايعـوا فى الكـذب كما يتتايع الفراش فى النار » .

وروى أنه لما كثر شرب الخمـر فى عهد عمر رضى الله عنه ، جمـع الصحابة وقال : انى أرى الناس قد تتايعوا فى شرب الخمـر واستهانوا بحدها .

٥٧٢ ويقولون : لقد وصينا الوزير على فلان ، وهـذا كتاب موصى عليه ، والفصيح أن يقال : وصينا الوزير بفلان ، وهذا كتاب موصى به ، لأن هذا الفعل لا تستعمل معه الا الباء سواء أكان رباعيا مضعفا كما ذكرنا ، وكما فى قوله تعالى : **« ووصينا الانسان بوالـديه »** وقوله **« ذلكم وصاكم به »** أم كان رباعيا مهموزا كما فى قولك لغيرك: « أوصـيك بتقوى الله » وقوله

---

١ ـ العصب بضم ففتح جمع عصبة وهى الجماعة من العشرين الى الاربعين .

٢ ـ القطا : نوع من الطير واحدته قطاة ، وتجمع القطاه ايضا على قطوان وربما قالوا قطيـات .

٣ ـ هملا : مهملة .

٤ ـ الرعال : جمع رعلة وهى النخلة الطويلة .

٥ ـ الجهام السحاب لا ماء فيه .

جل شأنه « **وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا** » وقوله «**من بعدوصية يوصىبها أو دين**»ويقال: تواصوا بالصدق ، ومن هذا قوله تعالى : « **وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** » .

٥٧٣ ويقولون : صار المريض فى زمن (النقاهة) وهذا المصدر عامى لا وجود له فى العربية والصواب أن يقال : نقه المريض نقهـا من باب طرب ، ونقوها أيضا بالضم اذا برىء وصح ولكن فيه ضعف وأثر من المرض ، فهو نقه كطرب وتعب وضجر ويقال أيضا نقه ينقه من باب نفع فهو ناقه ، جمعه نقه كراكع وركع قالوا : لفلان فى كل عام مرضة ونقهة بالفتح فى كل منهما لأنه اسم مرة ومن هذا قول عمران بن حطان :

أفى كل عام مرضة ثم نقهة
وتنعى ولاتنعى فكم ذا الىمتى؟

٥٧٤ وهم يخطئون حين يقولون: هذا الشاعر رقيق الوجدان بكسر الواو ، ووجه الكلام أن يوصف الشاعر بأنه رقيق الاحساس أو رقيق العاطفة ، صادق الشعور ، واسع الخيال ، صافى القريحة ، بارع التصوير ، قوى التأثير فى النفوس .

أما الوجدان فهو مصدر لقولك : وجد فلان ضالته يجدها وجدانا ، ووجد عليه بكسر الجيم فى الغضب موجدة ووجدانا ، ومن هذا قول صخر النعى :

كلانا رد صاحبه بيأس
وتأنيب ووجدان شديد

وقد يستعمل الوجدان بكسر الواو فى الوجد بضمها ، ومنه قول العرب : وجدان الرقين (١) يغطى أفن الأفين (٢) أى أن اليسار يغطى ما يبدو على صاحبه من ضعف فى عقله .

عباس أبو السعود

---

١ ــ الرقين : الدرهم
٢ ــ الافين منزوف العقل ، وكذلك هو من يتمدح بما ليس عنده تقول : فى عقل فلان أفن اى ضعف من أفنت الناقة اذا استنزف الحالب لبنها .

وفاء لإمام

للدكتور كمال جعفر

قيلت فى رثاء فضيلة الامام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وألقيت فى ١٩٧٨/١٠/٢٦ بالسودان .

أين راحت ـ حمامة الاسلام ـ ... وخلى جموعهم فى الظلام
واحة الانس ، راحة الايام ... وبكاه الشيوخ من كل فج
كيف ولى الهديل ساحر الالحـ ... ورثته شبيبة الاسلام
ن ونابت نوائح الآلام ... كان جم التقى ، نقى الطوايا
كيف تاه الدليل فى سائر الركب ... واسع العلم حاسم حكام
وزلت ثوابت الأقدام ... مطلق الكف فى سبيل المعالى
فيم هذا الذبول يا ربة الروض ... هادىء الطبع فى لجاج الخصام
وفيم الذهول فى الاحلام ؟ ... مشرق الروح فى خضم المآسى
رقرق الدمع فى المآقى حبيسا ... رابط الجأش فى مور العظام
والبرايا ضنينة بالكلام ... باسم الثغر لا يفل رضاه
مادها ، الصجت يا حبيبة قولى ؟ ... جاهل القوم ومرذول الطغام
ما عراهم بجنة فى الزحام ... ظل يذكى على المطامع حربا
فاجأ الخطب يا حبيبة قومى ... ويؤاخى زهادة بالسلام
ورماهم من قهره بالسهام ... بات سفيان يرتضيه خليلا
أطفأ الموت بالديار سراجا ... وسمات البصرى تحكى إمامى
وكساها بحالك الاقتام ... لاتراعى حمامتى ان قومى
غاب عبد الحليم عن أفق الناس ... أوفياء بعهده والذمام

لن يكلوا ولن تخـــور قواهم
بل سيمضون فى مضاء الحسام
لا تقــولى تهــدم الصرح حتى
عـــاد فيها بقية من ركـــام
لا تقولى قد غاض نبع الأمانى
واستبد الردى بختم الكــرام
ان ربى عطاؤه لا يبـــــارى
لن يزال المفيض بالاعــــلام
فاذا خر فى النضـال شـــهيد
سبقته الالطـاف بالانعـــام
دين ربى يصونه من عـــــواد
من غلاظ القلـوب والافهـــام
ويمد الجنود تلـــو الجنـود
فى طريق الهدى بخير الانـــام

رحمــة الله ما لها من نفـــاد
وهى تمضى بعنـاية الاحـكام
أرتجيهـــا لشيخنا فى ثـــراه
ومقـــام يحف بالاكــــرام
قادة الدين لا أراكم وقـــوفا
ويفوز الغـــريب بالاقــدام

ان دين الالـــه يطلب بـذلا
بعميم النفيس ، والاعـــلام
بنقاء الضمير من أجـــل ربى
وسراح الحظـوظ والاقسـام
فى دياجى الحيـاة كونوا هداة
ومن الأمجـاد بوءوا بالســنام
لا تذل الصـعاب الا لقـــوم
واصلوا العـزم بموفور الوئام
وأعــدوا بدينهم خــــير زاد
لصراع الحيـــــاة والايـــام
وأحالوا النصوص نبضا قـويا
ليريحوا النفــــوس من أسقام
انمـا الدين طاقــة وحيـــاة
فى حمـــاها معاقل الابـــرام
أم درمـان لاعدمت رجـــالا
هـم مناط العلا ونيل المــرام
منك كان الوفاء (بمحمود) سعى
يذكـر الفضل سابغا للامـــام
من بنى (مصر) للفقيد التيـاع

(وبســـودان) لاذع الآلام
هز وقع المصـاب فيها قلـوبا
جاوبتهـــا مــواطن الاسلام
أيها (النيل) كم حملت لمصر
من ســدان شـيق نســام
كم تدانت حنـاجر الحب حتى
أطربتنـــا بســاحر نغــام
رب سدد خطاهما فى كفـــاح
وتعهد فيهمـــا درب الســلام

الدكتور / كمال جعفر

دعاء الفجر

للأستاذ محمد الضمرانى أبو العلا

نـــامت الأعين الا أعينـــــا
تنشد الصفح وترجـو الفرجا
قلت ادعونى دعونا فاســتجب
نفد الصـــبر فهات المخرجـــا
كيف الوصـــول ؟
قلت كيف الوصول والليل داج
وظلام النفوس كالليـــل حـــالك
وطعـــام الانـــام يحتضن الشـ
ـر ويرمى بشره فى المســـالك
وعراك الحيـــاة يوردنا الصـعـ
ـب ويلقى بمثلنـــا فى المعـــارك
أنصد الجهول بالعفـــو دومـــا
فنرى الحتف والخنا والمهـــالك
قال‌هذى الحياة ـياصاح‌ـ دنيا
وسمو الســمو يـــوم القيـــامه
مزج القبح بالجمـــال وصارت
قيم الناس لا تساوى قـــلامه
فعظيم الرجال أغزر مـــالا
وفقـــير الرجال دون الكـــرامه
وأخـــو العـــلم فى سمو وطهر
عابه اللص واســـتخف مقامه
ثـــم مـــاذا ؟
فخذ بالعلم والمعالى ســـبيلا
ودع الخصم فى ضـــلال وغى
وأنشد الخير للبرايا جميعـــا
وابذل النصـــح عن ضمير نقى
وكن النخلة الســـخية تعطى
أطيب التمر للصبى الشـــقى
وأحمد الله أن حبـــاك فؤادا
ورث العـــــلم عن أحب نبى

محمد الضمرانى أبو العلا

حكم .. وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« من أصبح وليس همه الا الله »

اذا أصبح العبد وأمسى وليس همه الا الله وحده : تحمل الله سبحانه حوائجه كلها وحمل عنه كل ما أهمه ، وفرغ قلبه لمحبته ، ولسانه لذكره ، وجوارحه لطاعته ، وان أصبح وأمسى والدنيا همه ، حمله الله همومها وأنكادها ، ووكله الى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم ، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم ، فهو يكدح كدح الوحش فى خدمة غيره ، كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه فى نفع غيره ، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بلى بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته قال تعالى : **« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »** •

« شكاية صريحة »

قدم أمير المؤمنين ــ المنصور ــ حاجا ، فكان يخرج للطواف ليلا وبينما هو يطوفه اذ برجل يقول : اللهم انى أشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع •

فاستدعاه ــ المنصور ــ وسأله ، ما هذا الذى تقول ؟ لقد حشوت مسامعى بما أمرضنى وأقلقنى •

فأجابه الرجل ، انما عنيتك بقولى ، وقصدتك ، لا سواك •

قال المنصور : وكيف يدخلنى الطمع ؟ والصفراء والبيضاء فى يدى ، والحلو والحامض فى قبضتى ؟ !!

قال الرجل : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين ؟ ان الله تعالى — استرعاك أمور المسلمين وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا ، واتخذت لك أعوانا ووزراء ظلمة آثمين ، ان نسيت لم يذكروك ، وان ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم رعيتك ، وابتزاز أموالهم فلما رأتك حاشيتك هذه قد استخلصت أفرادها لنفسك ، وآثرتهم على أمتك ، قالوا: هذا قد خان الله فلماذا لا نخونه ؟ فأتمروا على ألا يصل اليك شىء من أخبار الناس ، الا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا الا أقصوه ، حتى امتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وأنت تنظر ولا تنكر ، وترى ولا تغير ، فماذا تقول اذا انتزع الملك الحق المبين الدنيا من يدك ، ودعاك الى الحساب ؟ هل يغنى عنك عنده شىء مما كنت فيه ؟ فبكى المنصور حتى نحب ، ثم زهد وتنسك واستبدل بحاشيته الأئمة الأعلام المرشدين فصلحت بهم الرعية ، واستقامت أمورهم .

« رأس المال »

سرق رجل جملا ، وذهب ليبيعه فى السوق ، فسرق منه ، فلما عاد قيل له بكم بعت جملك ؟ قال برأس المال .

« خير صاحب »

قال ابن المقفع : انى مخبرك عن صاحب لى ، كان أعظم الناس فى عينى ، وكان رأس ما أعظمه فى عينى ، صغر الدنيا فى عينه ، كان خارجا من سلطان بطنه ، فلا يشتهى ما لا يجد ، ولا يكثر اذا وجد ، وكان خارجا من سلطان لسانه ، فلا يقول ما لا يعلمه ، ولا ينازع فيما يعلمه ، وكان خارجا من سلطان الجهالة ، فلا يقدم أبدا الا على ثقة بمنفعة ، كان

أكثـــر دهـــــره صـــامتا فاذا نطق بز النـــاطقين كـــان يرى متضاعفا مستضعفا ، فاذا جاء الجد كان كالليث عـــاديا ، وكان لا يدخل فى دعوى ، ولا يشـــترك فى مراء ولا يدلى بحجة ، حتى يرى قاضيا عادلا ، وشهودا عدولا ، وكان لا يلوم أحدا على ما قد يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما اعتذاره ، وكان لا يشكو وجعا الا لمن يرجو عنده البرء ، وكان لا يستشير صاحبا الا من يرجو عنـــده النصـــيحة ، وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا يخص نفسه دون اخوانه بشىء من اهتمامه وحيلته وقوته ، فعليك بهذه الأخلاق ما استطعت ولن تستطيع ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع •

« دعه »

لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، خرج ليلة للحراسة فدخـــل المسجد ، وبينما هو يجوسه فى خلال الظلام ، عثرت رجله برجل نائم ، فرفع الرجل نصف رأسه ، وقال لعمر : أمجنون أنت ؟ !!

قال عمر : لا •

فهم به حارسه ، فقال له عمر : صه ودعه ، انما سألنى أمجنون أنت ؟

فقلت له لا !!

« فيك طبع الدواب »

مر بعض الملوك بسقراط الحكيم وهو نائم ، فركضه برجله وقال : قم ، فقام غير مرتاع منه ، ولا ملتف اليه فقال له الملك : أما تعرفنى ؟

قال : لا ، ولكن أرى فيك طبع الدواب ، فهى تركض بأرجلهـــا ، فغضـــب •

وقال : أتقول لى هذا وأنت عبدى •

قال له سقراط : بل أنت عبد عبدى ، •

قال : وكيف ذلك ؟

قال : لأن شهوتك قد ملكتك ، وأنا ملكت شهوتى .

قال : أنا الملك ابن السادة ، ، أملك من البلاد كـذا ، ومن الأموال كذا ، ومن الرجال كذا !!

فقال له سقراط : أراك تفخر على بما ليس من نفسـك ، وانما سبيلك أن تفخر على بنفسك ، ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعا ثوبا من ماء هذا النهر ، ونتكلم اذ يتبين الفاضل من المفضول .

فانصرف الملك خجلا .

« عظة شـعرية »

مر عابد براهب فى صومعة . فقال له : عظنى ، قال : أعظك ، وعليكم نزل القرآن ، ونبيكم محمد قريب العهد بكم ؟ !

قال العابد : نعم .

قال : فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبى العتاهية .

تجرد من الدنيا فـانك انمـا
وقعت الى الدنيـا وأنت مجـرد

« أربع آيات فيهن غنى وغناء »

عن المعلى بن زيـاد الفردوسى : أن عامر بن عبد القيس العنبرى كان يقول : أربع آيات من كتاب الله اذا قرأتهن مساء لم أبال عـلى ما أمسى ، واذا تلوتهن صباحا لم أبال على ما أصبح .

« ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فـلا مرسل له من بعده » .

« وأن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده » .

« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » .

« سيجعل الله بعد عسر يسرا » .

« فائدة العصا »

لقى الحجاج أعرابيا فقال : ما بيدك ؟

قال : هى عصاى أركزها لصلاتى ، وأعدها لعداتى وأسوق بها دابتى وأقوى بها على سفرى ، وأعتمد عليها فى مشيتى ليتسع خطوى ، وأعبر بها النهر ، وتبعدنى العثر ، وألقى عليها كسائى فيقينى الحر ، ويجنبنى القر وتدنى لى ما بعد ، وهى محل سفرتى وعلاقة أدواتى أقرع بها الأبواب ، وألقى بها عقور الكلاب ، وتنوب عن الرمح فى الطعان ، وعن السيف عند منازلة الأقران ورثتها عن أبى ، وسأورثها ابنى من بعدى ، وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى ٠٠

« ثلاث خصال »

قال عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ :

ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان :

حلم يردبه جهم الجاهل ٠

وورع يحجزه عن المحارم ٠

وخلق يدارى به الناس ٠

« تضرع بعد صلاة العيد »

وقف عمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ بعد صلاة العيد ، فقال : اللهم ، انك قلت ــ وقولك الحق ــ **« ان رحمة الله قريب من المحسنين »** فان كنت من المحسنين فارحمنى ، وان لم أكن من المحسنين فقد قلت : **« وكان بالمؤمنين رحيما »** فارحمنى !! وان لم أكن من المؤمنين فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة فاغفرلى ٠

وان لم أكن مستحقا لشىء من ذلك ، فأنا صاحب مصيبة وقد قلت : **« الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون »** اللهم فارحمنى ٠

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : ما حكم صوم ستة أيام من شوال ؟ وكيف يتم صومها ؟

جـ : جاء فى كتاب « الصيام — فضائله وأحكامه » لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح القاضى :

يندب صوم ستة من شوال لما روى أبو أيوب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر » رواه مسلم ، ورواه أبو داود بلفظ « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ستا من شوال أو بست من شوال » من غير هاء التأنيث فى آخره هذه لغة العرب الفصيحة المعروفة ، يقولون : صمنا ثلاثا وصمنا خمسا ، وصمنا عشرا ، بحذف الهاء وان كان المراد مذكرا وهو الأيام .. فما لم يصرحوا بذكر الأيام يحذفون الهاء جوازا ، لأن اسم العدد اذا لم يذكر مميزه يجوز فيه الوجهان : حذف الهاء واثباتها ، فاذا ذكروا المعدود المذكر أثبتوا الهاء فقالوا : صمنا ستة أيام وعشرة أيام وهكذا ... ومما جاء مثله فى القرآن العظيم : **« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا »** (١) والمراد عشرة

(١) آية ٢٢٤ من سورة البقرة .

أيام بلياليها ، ولا تنقضى العـدة حتى تغـرب الشمس مـن اليوم العاشر •

ومثله قوله تعالى : « **يتخافتون بينهم ان لبثتـم الا عشرا** » (١) أى عشرة أيام بدليل قوله تعالى : « **اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما** » (٢) •

قال أهل اللغة فى تعليل هـذا الباب : وانما كان كذلـك لتغليب الليالى على الايام ، وذلك لان أول الشهر الليالى : فلما كانت الليالى هى الأوائـل غلبت لأن الأوائل أقوى ، ومن هـذا قول العرب : خرجنا ليالى الفتنة وخفت ليـالى امارة الحجـــاج ، والمراد الايام بلياليها •

ويؤخذ من الحديث استحباب صـوم ستة أيام مـن شـوال ، ويستحب صومهـا متتابعة فى أول شوال ، بأن يبدأ فى صـــومها فى اليوم التالى من أيام عيد الفطر ، لأن صوم اليوم الاول منه حرام ، ولا ينعقد صومه •

فان لم يجعلها متتابعة بل فرقها أو أخرها عن اليوم الثانى مـــن شوال جاز وكان فاعلا لأصل هذه السنة ، لعموم الحديث واطلاقه ، وهذا مذهب الامامـين الشافعى وأحمـد •

وذهب أبو حنيفة ومالـك الى كراهة صومها •

قال مالك فى الموطأ : وصـوم ستة أيام من شوال لم أر أحدا من أهل العلم والفقه يصـومها ، ولم يبلغنى ذلك عن أحد من السلف ، وان أهل العلم كانوا يكرهون ذلك ويخافون بدعته • وأن يلحق أهل الجفاء والجهالة برمضـان ماليس منه لو رأوا فى ذلك رخصـة عنـد أهل العلم ، ورأوهم يعملون ذلـك انتهى من الموطأ •

وحجة الشـــافعى وأحمـد الحديث السابق ، ولا معارض له من الأحاديث مطلقا ، وأما قـول مالك : لم أر أحدا يصومها فليس

---

(١) آية ١٠٣ من سورة طه
(٢) ١٠٤ من سورة طه

حجة فى الكراهة ، لأن السنة ثبتت فى ذلك ، وعدم رؤيته من يصومها لا يعارض السنة .

قال علماء الشافعية : وتحصل السنة بصوم الايام المذكورة عن قضاء رمضان ، أو عن نذر ويفوت وقتها بفوات شوال ولكن يسن قضاؤها .

وعلل بعض العلماء تشبيه صوم الايام الستة بصوم الدهر فقال : لأن الحسنة بعشر أمثالها فرمضان بعشرة أشهر ، وست من شوال بشهرين .

س : سأل طالب جامعى متدين: كنت أصوم يوم الجمة نظرا لأنه يوم اجازة . ولكن البعض نصحنى بعدم صيامه . فأرجو توضيح ذاك وبيان وجه الحق فيه ؟

ج : الأصل فى مشروعية العبادات هو النقل من كتاب أو سنة« **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (١)** » والاتباع فيها خير من الابتداع .

وفى هذا المقام يحدثنا الامام ابن القيم فى كتابه زاد المعاد فيقول : وكان من هديه صلى الله عليه وسلم كراهة تخصيص يوم الجمعة بالصوم ـ فعلا منه وقولا .

فصح نهى النبى عن افراده بالصوم من حديث جابر بن عبد الله وأبى هريرة وجويرية بنت الحارث وعبد الله بن مسعود ، وجنادة الأزدى وغيرهم .

وشرب يوم الجمعة وهو على المنبر يريهم أنه لا يصوم يوم الجمعة . ذكره الامام أحمد ، وعلل المنع من صومه بأنه يوم عيد، فروى الامام أحمد من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم الا أن تصوموا قبله أو بعده » .

فان قيل يوم العيد لا يصام مع ما قبله ولا ما بعده . قيل لما كان

(١) آية ٧ منسورة الحشر

يوم الجمعة مشبها بالعيد أخذ من شبهه النهى عن تحرى صـــيامه فاذا صام ما قبله أو مابعده لم يكن قد تحراه • وكان حكمه حكم صوم الشهر ، أو العشر منه ، أو صوم يوم وفطر يوم ، أو صـــوم يوم عرفة أو عاشوراء • اذا وافق يوم جمعة : فانه لا يكــره فى شىء من ذلك •

فان قيل فما تصــنعون بحديث عبد الله بن مســـعود قــال : « ما رأيت رسول الله صــلى الله عليه وسلم يفطر فى يوم الجمعة » رواه أهل الســنة • قيل نقبله ان كان صــحيحا ويتعين حمله عــلى صومه مع ما قبله أو بعده ، ونرده ان لم يصــح فانه من الغرائب • قــال الترمذى : هــذا حــديث غريب • أ هـ

وعلى هــذا فيــكره تحريما أو تنزيها افراد يوم الجمعة بالصيام الا فى الحالات المذكورة ســابقا وينبغى لمن أراد صيامه أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده •

هذا وقد قال أبو حنيفة ومحمد ابن الحسن ومالك بن أنس لا يكره افراد يوم الجمعة وهم محجوجون بالأحـــاديث الصحيحة الواردة بالنهى عن صومه وحده •

س : هل فى القرآن ما يدل أو يشير الى أن الانســان يصل الى القمر ؟

ج : يجيب عن هذا الســـؤال الامام الأكبر الشـــيخ محمود شلتوت رحمــه اللــه فى كتــابه الفتاوى تحت عنوان : من شئون العقل البشرى :

الجواب أنه يكفينا فى مثل هذا ، أن القرآن الكريم ليس فيه ما يدل على عدم امكان الوصول الى القمر وهو من الشـــئون التى تركهــا القرآن للعقل البشرى عن طريق تفكيره فيما أودع الله فى خلقه من أسرار وسنن ، وعن طريق أن الله سخر لنا ما فى الأرض جميعا • كما سخر لنا الشمس والقمر ، والليل والنهار ، ومهد لنا طرق المعرفة لما يحيط بنــا من عجائب اللــه فى ملكوته •

وليس بلازم ــ ومهمة القرآن

هداية وارشاد — أن يصرح القرآن أو يشير الى هذه المخترعات البشرية أو الى غاية ما تصل اليه .

وليس من رأيى تحميل آيات القرآن هذه الاشارات ، وانما نأخذ القرآن بمعنى آياته الذى تعطيه ، بحسب سوقها ، وبحسب اللغة التى نزل بها وهى لغة العرب وكم من مخترعات جدت وليس فى القرآن مايشير اليها .

نعم القرآن أمر بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وتعرف سنن الله فى كونه والانتفاع بها .

وهذا على عمومه لا يعطى حكما من القرآن بامكان الوصول الى القمر أو بعدمه ... أ . هـ

هكذا وقد فسر العلماء لفظ « الكتاب » فى قوله تعالى : **« ما فرطنا فى الكتاب من شىء »** (١) أن المراد به هو اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى فى العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر حيوان أو جماد .

أو القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من أمر الدين مفصلا أو مجملا .

والله وأعلم

عبد الحميد شاهين

---

(١) من الآية (٣٨) من سورة الانعام

من أنباء العالم الإسلامى

اعداد الاستاذ فهمى عبد اللاه سيد على

المسلمون فى أمريكا لهم ٣ مشاكل : تعليم الأولاد ، زواج البنات ، التليفزيون (١) •

أكبر الهيئات الاسلامية فى أمريكا وأكثرها نشاطا هو (اتحاد الطلاب المسلمين) ومقره مدينة (انديا) التى تتوسط هذه البلاد الفسيحة ، وله زهاء ثلاثمائة فرع فى أنحاء الولايات المتحدة مما يدل على أن المسلمين قد انتشروا خلال السنوات الأخيرة فى جميع أرجائها •

ورغم أن هذه المنظمة تسمى اتحاد الطلاب الا أن نصف أعضائها تقريبا قد انتهوا من دراستهم ، وصاروا مهندسين وأطباء ، وأساتذة فى الكليات والمعاهد ، وعاملين فى كثير من فروع الحياة الامريكية ، ولهذا تفرعت عن الاتحاد جماعات مهنية عديدة ، فهناك اتحاد المهندسين المسلمين ، واتحاد الأطباء المسلمين وهكذا •

أنشأ هذا الاتحاد منذ عدة سنوات الدكتور عثمان أحمد استاذ مصرى فى علم الطبيعة •• وهو رجل ممتلىء حماسة وثقة •• وتفاؤلا بأن المسلمين فى أمريكا يستطيعون أنيحافظوا على

---

(١) من مقال للاستاذ عبد الحميد الكاتب فى يوميات الاخبار ١٩٨٠/٦/٢١ •

كيانهم رغم اندماجهم فى المجتمع الامريكى ، بل يستطيعون أن يصيروا قوة مؤثرة ولها نفوذ فيما يتصل بأمورهم فى أمريكا ، وفى علاقة أمريكا ببلادهم •

« موسوعات عن العالم الاسلامى »

تقوم الحكومة الباكستانية بتنظيم احتفالات بمناسبة مرور ١٤ قرنا على الهجرة النبوية الشريفة ، وأنها بصدد اعداد ثلاث موسوعات عن العالم الاسلامى هى :

١ ــ موسوعة بعنوان : (العالم الاسلامى اليوم) بالتعاون مع جميع الدول الاسلامية :

٢ ــ موسوعة بعنوان (الاسلام فى جنوب آسيا) بالتعاون مع دول جنوب آسيا •

٣ ــ أطلس للعالم الاسلامى ، بالتعاون مع جامعة الكويت •

والموضوعات المقترحة التى سيدور البحث حولها فى موسوعة (العالم الاسلامى اليوم) هى :

ظهور الاسلام وانتشاره ــ التأثير الاسلامى فى مختلف أنحاء العالم ــ نهضة العالم الاسلامى ــ الصحوة الاسلامية ــ اقتصاديات العالم الاسلامى ــ التنمية الصناعية والنمو الاقتصادى ــ القوانين والدساتير ــ الحكومات والسياسة فى الدول الاسلامية ــ الحياة الاجتماعية والتربية ــ عظماء الاسلام المعاصرين ــ الساسة والمحاربين من أجل الحرية

وترى سفارة جمهورية مصر العربية ــ فى اسلام اباد ــ ضرورة الاسهام فى هذا العمل لابراز دور مصر القيادى على مر التاريخ الاسلامى ، وكذا ابراز دور الأزهر الهام فى تعميق العقيدة الاسلامية •

« مركز اسلامى متعدد النشاط لخدمة ١٧٠٠ مسلم فى فنلندا » •

بعيدا هناك فى أقصى شمال الدنيا فى فنلندا يعيش حوالى ١٧٠٠ مسلم من بينهم ١٢٠٠ من أصل تتارى عاشوا فى هذه البلاد منذ أزمان طويلة ، واستقروا فيها بالاضافة الى ٥٠٠ جاءوا من دول أخرى واستقروا فى فنلندا سعيا وراء الرزق •

على أية حال فان هؤلاء

المسلمين يخشى عليهــم أن يذوبوا وسط مجتمع أوربى الطبــاع وله عادات تختلف كثــيرا عن عادات المســـلمين .

ولكن أيذوب المســـلمون كما يذوب جليد هلســتكى مع قــدوم الصيف !! لقد تحرك البعض وعلى رأســهم المهندس المصرى محمد عبد الحميد سليمان لانشاء مركز اسلامى يكون دوما راعيا للمسلمين ويربطهم بدينهم الحنيف .

وقد بدأ التخطيط لبنــاء هــذا المركز منذ عام ١٩٧٧ م ويســتمر العمل لمدة ٨ ســنوات ... وتم تشكيل مجلس للادارة من ٦ أفراد منهم شخصيات فنلندية مرموقه .

وهكذا المركز لم ينشـــأ من فراغ ، بل جاء امتدادا للجمعيــة الاسلامية فى تأميره والتى توقفت عن العمــل تقريبا بعد وفاة امام المســلمين بفنلندا حبيب الرحمن شاكر عام ١٩٧٦ م كنتيجة لبعض الظروف غير الملائمة للعمل.

يحدد القائمون على المركز آمالا عريضة فى مستقبل مشرق للأقلية المسلمة .. يأتى فى مقدمة الآمال بالطبع : رؤية المركز قائما يمارس نشاطه بعد التغلب على العقبــات التى تعترض طريق التنفيذ ، وبعد ما تمكن محمد سليمان من ادخال مادة التاريخ الاسلامى فى مناهج كلية الآداب بجامعة تأميره بعــد اقتنــاع هيئــة التدريس بوجهــة نظره ، فانه يسعى لدى المسئولين عن الاذاعة لبث أذان الصــلوات الخمس ، وتلاوة القرآن يوميــا فى رمضان .

كــل هــذه المحــاولات لربط المســلمين بدينهم ، واعادتهم الى ممارســة الشــعائر والعبادات الاسلامية من جديد ، تهدف الى تجميع المســلمين ، ومقــاومة انقراضــهم ، ولربطهم بالعــالم الاســلامى .

ويتمنى المســلمون هنــاك الحصول على الدعم الــلازم من الهيئات الاســلامية ، كالازهر ، ووزارة الاوقاف ، لارســال علماء وتخصــيص منح دراســية فى الأزهــر ، ولتدعيمهــم بالــكتب اللازمة .

« مجلس الشعب يبحث مشروع قانون لانشاء أول نقابة لقراء القرآن الكريم » .

قدم السيد محمد رشوان مشروع قانون جديد بانشاء نقابة لقراء القرآن الكريم .

وقد وافقت لجنة الاقتراحات والشكاوى بالمجلس على القانون من حيث الشكل ، واحالته الآن الى لجنة الشئون الدينية لاعداد تقرير عنه يعرض على مجلس الشعب .

ومن ابرز وسائل الحفاظ على القرآن الكريم من خلال هذا القانون يقول السيد محمد رشوان : ان القانون تضمن نصا صريحا بأنه لا يجوز لأحد تلاوة القرآن الكريم ، سواء فى جهة حكومية أو غير حكومية ، ما لم يكن عضوا عاما بالنقابة .

« انشاء أول جمعية للاقتصاد الاسلامى » .

فى أول يوليو الماضى تكونت ـ ولأول مرة ـ جمعية للاقتصاد الاسلامى برئاسة د . عبد العزيز حجازى نقيب التجاريين ورئيس الوزراء الأسبق ... أعضاء الجمعية من أساتذة الاقتصاد وخبراء البنوك الاسلامية ، ورجال الأعمال وعلماء الشريعة ، وتهدف الجمعية الجديدة الى نشر التراث الاقتصادى الاجتماعى الاسلامى والانسانى ، وتقديم أصول الاقتصاد الاسلامى بلغة العصر .

فهمى عبد اللاه سيد على

١٣٩٥

كتاب الشهر :

تراثنا فى دائرة الضوء

لطائف المنن

تأليف العارف بالله ابن عطاء الله السكندرى

تحقيق

الإمام الأكبر المرحوم الدكتور

عبد الحليم محمود

شيخ الأزهر السابق

عرض وتقديم

الدكتور محمود بن الشريف

للدعاة والهداة أتباع وأشياع . وللمفكرين وذوى الرأى حواريون يتتلمذون عليهم ، ويأخذون منهم ، وينقلون عنهم ، يسجلون تعاليمهم ويدونون آراءهم واتجاهاتهم ..

وللعلماء والأساتذة وأصحاب المذاهب الفكرية والمدارس التربوية كتب وتواليف يسطرون فيها ، ما أفاء الله عليهم من خواطر وأحاسيس ، وعلوم ومعارف ، والهامات وأشراقات .

الا أن هناك قلة من هؤلاء الذين وصلوا الى القمة ، وتسنموا الذروة فى مجاليهم ومجالاتهم لم يحبروا كتابا ولم يخطوا حرفا فى قرطاس .. يعقدون مجالس العلم يتصدرون اللقاءات والندوات ، ويطلقون الآراء والنظريات .. ويقوم بمهمة التدوين طلبتهم وتلاميذهم ..

من هذه القلة القليلة الامام العارف بالله أبو الحسن الشاذلى، وتلميذه الشيخ أبو العباس المرسى ..

يقول عن ذلك ابن عطاء الله السكندرى فى مقدمة كتابه (لطائف المنن) :

« وكان أصحاب الشيخ الامام القطب أبى الحسن الشاذلى قد أثبتوا جملا من كلامه ، وان كان هو — رضى الله عنه — لم يضع كتابا .. وقد بلغنى أنه قيل له : لم لاتضع الكتب فى الدلالة على الله ، وفى نشر علوم القوم (الصوفية) فقال رضى الله عنه : **كتبى أصحابى ..**

ثم يقول ابن عطاء : « وكذلك تلميذه شيخنا أبو العباس المرسى لم يضع فى هذا الشأن كتابا » ..

وفى المقدمة أيضا يتحدث الامام ابن عطاء الله عن الدافع له على تأليف هذا الكتاب الجليل فيقول : « لا أعلم أن أحدا من أصحاب شيخنا أبى العباس المرسى تصدى الى جمع كلامه ، وذكر مناقبه ، وأسرارا علومه وغرائبه ، فحدانى ذلك الى وضع هذا الكتاب بعد أن استخرت الله تعالى ، وطلبت منه المعونة وهو خير معين » ..

على أن المؤلف نفسه يعترف بأنه لم يضمن كتابه كل ما عرف عن شيخه أبى العباس المرسى .. يذكر ذلك فى المقدمة فيقول :

«وليس كل شىء سمعته من الشيخ رضى الله عنه استحضرته وقت وضعى لهذا الكتاب ، ولا كل شىء استحضرته يمكن اثباته .. وقصدت بذلك أن تنتفع به هذه الطائفة (أى الصوفية) خصوصا، وغيرهم عموما ، ليؤمن بأحوال هذه الطائفة من قسم الله له نصيبا من المنة ، وجعل فى قلبه نورا من الهداية ، وليرجع المكذب الى الاعتراف ، والمكابر الى الانصاف ، ولتستبين به – لمن أراد الله به الهدى – المحجة ، وتقوم – على من لم تنصره عناية الله – الحجة » ..

أما المؤلف ، فهو العارف ابن عطاء الله : الجذامى نسبا ، المالكى مذهبا ، الاسكندرى دارا ، القاهرى مزارا – توفى بالقاهرة سنة ٧٠٩ هـ .. وتتلمذ على يد الامام الكبير أبى العباس المرسى، وصلته بأستاذه أبى العباس يقصها فى هذا الكتاب فيقول :

« كنت لأمر الشيخ أبى العباس من المنكرين ، وعليه من المعترضين لا لشىء سمعته منه ، ولا لشىء صح نقله عنه ، ولكن جرت المخاصمة بينى وبين أصحابه فقلت فيهم قولا عظيما .. ثم قلت فى نفسى : « دعنى أذهب أنظر هذا الرجل ، فصاحب الحق له أمارات .. لايخفى شأنه .. فأتيت الى مجلسه ، فوجدته يتكلم فى الأنفاس ، ومسألة درجات السالكين الى الله ، ومدى معرفتهم به وقربهم منه ، فقال :

الأول اسلام : وهو درجة الانقياد والطاعة ، والقيام بمراسم الشريعة .. وثانيها الايمان : وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية .. وثالثها الاحسان : وهو مقام شهود الحق تعالى فى القلب ..

وان شئت قلت : الأول عبادة، والثانى عبودية ، والثالث عبودة..

وان شئت قلت : الأول شريعة ، والثانى حقيقة ، والثالث تحقق ..

فما زال يقول : وان شئت

قلت .. الى أن بهر عقلى وسلب لبى ، فعلمت أن الرجل يغترف من فيض بحر الهى ، ومدد ربانى ، فأذهب الله ما كان عندى ...

ثم ذهبت تلك الليلة الى المنزل، فلم أجد فى شيئا يقبل الاجتماع بالأهل على عادتى .. ووجدت معنى غريبا لا أدرى ما هو .. فانفردت فى مكان أنظر الى السماء وكواكبها .. وما خلق الله فيها من عجائب قدرته . فلمس قلبى أشياء لم أعرفها من قبل .. فحملنى ذلك على العودة اليه مرة أخرى .. فأتيت اليه ، فاستؤذن لى عليه ، فلما دخلت اليه قام قائما وتلقانى ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا .. واستصغرت نفسى أن أكون أهلا لذلك ، فكان أول ما قلت له :

ــ ياسيدى ، أنا والله أحبك ..

فقال :

ــ أحبك الله كما أحببتنى ..

ثم شكوت له ما أجده من هموم وأحزان ، فقال :

ــ أحوال العبد أربع لا خامسة لها : النعمة ، والبلية ، والطاعة ، والمعصية .. فان كنت فى النعمة ، فمقتضى الحق منك الشكر .. وان كنت فى البلية ، فمقتضى الحق منك الصبر .. وان كنت بالمعصية ، فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار .. وان كنت بالطاعة ، فمقتضى الحق منك شهود منته عليك ..

فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم ثوبا نزعته .. ثم سألنى بعد ذلك بمدة :

ــ كيف حالك ..

فقلت :

ــ أفتش عن الهم فما أجد ..

فقال :

ــ الزم ، فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا فى المذهبين : فى علوم الظاهر .. وحقائق الباطن ..

وأخذا ابن عطاء الله العهد على أبى العباس .. ولازمه ، وأخذ منه ، ونقل عنه ، وسجل ما سمع وما نقل فى « لطائف المنن » ..

فتاريخ حياة أبى العباس المرسى ، وتدوين ذلك التاريخ العريض المضىء .. بما يحمل من علم ونور وهداية ومعرفة ووصول

ــ انما يرجع الفضل فيه الى صاحب اللطائف والمنن ولى الله العارف بالله ابن عطاء الله الذى قال فى مقدمة اللطائف : (فانى قد قصدت فى هذا الكتاب أن أذكر جملا من فضائل سيدنا ومولانا الامام : قطب العارفين ، علم المهتدين ، حجة الصوفية ، مرشد السالكين الواصل الى الله الموصل اليه : شهاب الدين أبى العباس ابن عمر الانصارى المرسى •• وما نقله عن شيخه الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه) ••

والمؤلف فى مطلع كتابه يتحدث عن منهجه فى تأليف هذا الكتاب ، ويقول انه قسمه الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة ••

تناولت المقدمة اقامة الأدلة على أن أول المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم هو أفضل النبيين وأكمل الخلق أجمعين •• ثم أبرز بعد ذلك جوانب من هديه صلى الله عليه وسلم وارشاده •• وأنه كان مربيا حكيما ، اذ كان يعالج كل نفس بما يتفق مع أدوائها •• ليس هناك علاج واحد ، فما يصلح لنفس قد تتضرر به نفس أخرى ، لذا نراه صلوات الله وسلامه عليه تختلف وصاياه لأصحابه كل حسب اختلاف شخصيته ونفسيته ، فهو يقول لبلال : « أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا » •• بينما يقول لآخر : « أمسك عليك ما لك فانك تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس » •• وقال رجل له صلى الله عليه وسلم : أوصنى ــ فقال له الرسول عليه السلام : استح من الله ، وقال لآخر عندما قال له أوصنى ، قال له : لا تغضب••

وفى المقدمة بعد ذلك حديث مستفيض عن الأنبياء وورثتهم ، وحديث شاف دقيق عن الفرق بين الرسالة والنبوة والولاية ، وعن الأولياء ووجودهم فى كل وقت (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق •••) وأن فساد الوقت لا يحط من مكانتهم ، لأنهم مع المؤقت لا مع الأوقات ، ومن كان مع المؤقت لا يتغير بتغير الوقت ، ومن كان مع الوقت يتغير بتغيره ، ثم ساق النصوص القرآنية

والنبوية عن مكانة الأولياء عند الله ، كما تحدث عن ولاية الله لعباده ، وولاية العباد لله ، وعن الفرق بين ولاية الصادقين وولاية الصديقين ، وأثبت أن ظهور الولى ليس بارادة نفسه ، ولكن بارادة الله له ..

ولما تحدث عن كرامات الأولياء الحسية والمعنوية عرض الدلائل العقلية والنقلية على وجود الكرامات وأشبع القول فيها .. وعرض بمن عارضها وأنكرها ..

وبعد كل هذا الحديث المسهب المستفيض ... وبعد كل هذا التحليل والتحقيق والتحليق فى تلك الأجواء ، اذا بالمؤلف يشدنا فجأة من سبحاتنا فى هاتيك المقامات وتلك المجالات والتجليات عندما قال : (ان ذلك كله كان مقدمة ، وقد انبسط الكلام فى هذه المقدمة وما كان لنا باختيار) ..

ثم يدلف الى الدخول فى الباب الأول الذى خصصه للحديث عن ولى من أولياء الله . مولده : بالمغرب الأقصى بشاذلة واليها نسب : ذلكم هو العارف بالله الدال على الله أبو الحسن الشاذلى أستاذ أبى العباس المرسى ..

وأبواب الكتاب عشرة كلها دراسة تحليلية للامام أبى العباس المرسى شيخ المؤلف ورائده وامامه .. عرض فيها زهد أبى العباس وعلمه وجهاده وصبره وهمته ومنهج طريقه ومدى علمه بدقائق التفسير وغريب الحديث ، وخص الباب الخامس للحديث عن آيات قرآنية تناول شيخه أبو العباس شرحها وتبيان دقائقها ودلالاتها..

ولكل مؤلف ظلال من شخصيته ونفسيته وثقافته تسقط على كتاباته وتظهر فى تأليفه من أجل هذا ذخر الكتاب بزوايا ومناحى أظهرت بوضوح معالم شخصية المؤلف ، وأنه كان بجوار كونه علما من أعلام الصوفية والتصوف كان أديبا شاعرا ، كما كان مفسرا محدثا متمكنا فى كل هذه النواحى ..

فهو مفسر متمكن ينفذ الى الأعماق يدل على ذلك تفسيره لقول الله سبحانه : (ومن يتول الله

ورسوله والذين آمنوا فان حزب اللــه هم الغالبـــون) (١) ذلك التفسير الدقيق الذى استغرق صفحات عدة من كتابه أبان فيها أن الولاية ولايتان : ولاية تؤخذ من هذه الآية الشريفة ، وهى ولايــة العبد لله •• وولاية أخرى تؤخذ من قوله تعــالى **(وهــو يتــولى الصالحين)** وهى ولاية الله للعبد •• وعن الفرق بين هاتين الولايتين، وعن المراد من الصــلاح فى قوله تعالى (وهو يتولى الصــالحين) وعن حــديثه عقيب ذلك عن ولاية « الايمان » •• عن ذلك كله تحدث بعبـــارة مجلــوة ، وتعبير حى نابض ••

ثم هو « شــاعر » ففى ثنــايا حديثه أبيات شعرية ومقطــوعات وقصائد نظمها تعبر عن أحاسيسه ومواجيده وتدل على مدى مشاعره •• فعندما تحدث عن شمس النهار التى بها نشاهد الأنوار والآثار•• وتحــدث عن شــمس اليقين التى نشاهد بها آلاء المحبوب الموجد ، قــال :

هذه الشمس قابلتنا بنــور
ولشمس اليقين أبهر نــورا
فرأينــا بهذه النــور ، لكنا
بهاتيك قـــد رأينــا المنيرا

وللامام ابن عطـــاء اللـــه فى « اللطائف » تحليــلات رائعــــة وتعليلات بارعة ، من هذا القبيــل تعليله لتأخير عقوبة الذين يؤذون أولياء الله •• فقال ان عقوبة الحق تبــارك وتعــالى لمن آذى أولياءه لا تلزم أن تكون معجلة فى الدنيا ، لقصر مدة الدنيا عند اللـــه ، ولأن الله لم يرض الدنيا أهلا لعقــوبة أعدائه ، كما لم يرضها أهلا لاثابة أحبــابه ، فالجــزاء الأوفى فى دار الجزاء ••

وعندما تحـــدث أبو الحسن الشاذلى وقال ان من أطاع اللـــه فى كل شىء بهجــرانه لكل شىء ، يطيعه الله فى كل شىء ، بأن يتجلى له فى كل شىء ، حتى يراه أقرب اليه من كــل شىء ، نرى المــؤلف يتلقف هذا القول ويبسط الكــلام

---

(١) آية رقم : ٥٦ سورة المائدة •

فيه ويقيم الشــواهد والأدلة على ما أورد •• وفى النهاية قال :

« هناك : ولى يفنى عن كل شىء فلا يشهد مع الله شـيئا ، وولى يبقى فى كل شىء فيشهد الله فى كل شىء » ••

ثم علل قائلا : « وهــذا ــ أى الثانى » أتم ، لأن الله سبحانه لم يظهر المملكة الا كى يشاهد فيها ، فالكائنات مرايا الصــفات ، فمن غاب عن الكون غاب عن شــهوده الحق فيه ، فما نصــبت الكائنات لنراها •• ولكن لنرى فيها مولاها •• فمراد الحــق منك أن تراهــا بعين من لا يراهــا •• تراهــا من حيث ظهوره فيها ، ولا تراها من حيث كونيتها » ••

وهذا هو التفكر والتدبر والنظر فى ملكوت الله •• لنصــل به الى الله ••

وقد حقق هذا الســـفر القيم ووشاه ، فضـــيلة الامام الأكبر الدكتــور عبد الحليم محمود ــ شيخ الأزهر السابق ، رحمه الله •

ولفضيلته جهد محمود ظاهر فى اخراج هذا الكتــاب ، والتعريف بمؤلفه وايضاح ما خفى على بعض الأذهان من تعبيراته ، وما دق من اشاراته واصطلاحاته ، يؤيد هــذا ما حفل به الكتاب من هوامش كثيرة فيها تجلية •• وتحلية وفيها تذوق •• وفيهــا من وراء ذلك كلــه •• الهــام •• واشراق •• وفيض • ودلالات على تفهم لعلوم القــوم الظــاهرة ، وتذوق لــا خفى من اشــاراتهم وتعبيراتهم •••

فعند حديث المؤلف عن الأولياء وأنهم مظــاهر أنوار النبــوة وأن مددهم من « الحقيقــة المحمــدية » نرى فضيلة شيخ الأزهر المحقق يزيد الأمر تحقيقا وتبيانا فيقــول فى هامش ص ٣٩ : « يتحــــدث كثير من الناس عن هذه الحقيقة : ماهى •• وينكر بعض الناس هذه الكلمة ، أو على الأقــل يجــادل فيها •• ويمارى ••

والواقع أن الأمر أيسر من أن يثير نقاشا •• وأوضح من أن يكون مصدر مماراة أو انكار : فالحقيقة المحمدية هى : النبــوة ، ومحمــد صلى الله عليــه وسلم حقيقتــه نبوته ، وهذه النبوة فى علم اللــه

منذ الأزل •• قدرها الله سبحانه وتعالى بحكمته قبل خلق الكـــون وقبل وجود العالم ••

وعلى هذا الأســـاس يمكنك أن تقول : ان الحقيقة المحمدية أزلية أو قديمة •• وتقصد أنها كذلك فى علم الله ••

ويمكنك أن تقول : ان الحقيقة المحمدية حادثة ، وذلك يوم بعثته، أى : سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة عندما أشرق فجر الهداية الخاتمة، وبدأ النور يشرق مســتفتحا بـــ (اقرأ باسم ربك الذى خلق ••) والأمر على هذا الوضـــع لا يثير مماراة ولا انكارا ••

وعنـــد حـــديث المـؤلف عن الانتصـــار لله والانتصـــــار على النفس ، رأينا فضيلة الامام الأكبر قد أضاف اضافة جديدة فى هـــذا المجال عندما قرر أن الولى يقتدى برسول الله صلى اله عليـــه وسلم فى الانتصار لله ، وما جوهر حياة الولى الا الانتصـــار لله : ينتصر لله من نفســـه ، وينتصر للـــه فى أسرته ، وينتصر لله فى مجتمعه •• انه يقوم بالمبدأ الاسلامى الواجب وهو الأمر بالمعـــروف والنهى عن المنكر •••

ونرى لزاما علينا أن ننقل هنـــا تعليق فضيلة المحقق شيخ الأزهر عن موقف الدعاة والهداة حــــول اثبات وجود اللـــه والدلالة عـــلى وحدانيته •• اذ بين فى دقة دقيقة وعمق عميق أن هناك حدا دقيقـــا حول اثبات وجود الله •• واثبات وحدانيته ، وقال ان وجود اللـــه أمر بديهى لم يحتج من الدعاة الى اقـــامة الأدلـــة بعـــد أن ثبت أن الاعتـــراف بالربوبيـــة مركوز فى القلوب •• كل القلوب ••

أما مثـــار الاختــــلاف وتفرق البشر وتباين العقـــائد فهو حـــول « الوحـــدانية » عن ذلك يقـــول الامـــام الأكبر شـــيخ الأزهر فى « هامش ٩٦ » حين بـــدأ الرسول صلى الله عليـــه وســـلم الجهـــر بدعوته ، بعد ثلاث ســـنوات من الاسرار بها ، فانه صـــلوات الله عليه وسلم لم يبدأ باثبات وجـــود الله ، وانمـــا بدأ بالبرهنـــة عـــلى صــــدقه هو ؛ وتحـــدى العرب بصـــدقه ••

ومن قبـــل ذلك حين فاجأه الملك فى الغار ، ونزل الوحى لم يبـــدأ الملك أو لم يبدأ الوحى باثبـــات وجود الله ، وانما بدأ بالأمر بـــأن يقرأ الرسول صلوات الله وسلامه عليــه باسم ربه(**اقرأ باسم ربك الذى خلق**) ••

ومضى القرن الأول كله •• ولم يحاول انسان قط أن يتحـــدث حديثـــا عابرا أو مستفيضـــا ، عن اثبات وجود اله سبحانه وتعالى••

ومضى أكثر القـــرن الثـــانى ، والمسألة ــ فيمـــا يتعلق بوجـــود الله ــ لا توضع موضع البحث ، ذلك أن وجود الله انمـــا هـــو أمر بدهى لا ينبغى أن يتحـــدث فيـــه المؤمنون نفيا أو اثباتا ولا ســـلبا أو ايجابا ••

ان وجـــود الله من القضـــايا المسلمة التى لا توضع فى الأوساط الدينيـــة موضـــع البحث ، لأنهـــا فطرية :

وأن كل شخص يحاول وضعها موضع البحث انما هو شـــخص فى ايمانه دخل ، وفى دينه انحراف •• فما خفى الله قط حتى يحتاج الى أن يثبته البشر ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ••

ومن المعروف أن الدين الاسلامى لم يجىء لاثبات وجـــود الله •• وانما جاء لتوحيد الله ••

واذا تصـــــفحت القـــرآن أو التـــــوراة ــ حتى على وضعهـــا الحالى ــ أو الانجيـــل ــ حتى فى وضعه الراهن ــ فانك لا تجد أن مسألة وجود الله قد اتخذت فى أى سفر منها مكانة تجعلها هـــدفا من الأهـــداف الدينيـــة •• أو احتلت مكانا يشـــعر بأنهـــا من مقاصـــد الرســـالة الســـماوية •• والقرآن الكريم : يتحدث عن بداهة وجود الله حتى عنـــد ذوى العقـــــائد المنحرفة يقول ســـــبحانه (**ولئن ســـــألتهم من خلق الســـــموات والأرض ليقولن الله**) ••

انهم يقولون ان الخـــالق هـــو اللـــه ، مع أنهم مشركـــــون ، أو منحرفون بوجـــه من الوجـــوه فى ايمانهم بالله تعـــالى ، وما نزلت الأديان قط لاثبات وجود اللـــه ، وانما نزلت لتصـــحيح الاعتقـــاد

بالله ، أو لتصحيح طريق التوحيد ..

أما الآيات الكثيرة التى يظن بعض الناس أنها نزلت لاثبات الوجود : فليست من ذلك فى قليل ولا فى كثير ، انها تبين عظمة الله ، وجلاله ، وكبرياءه وهيمنته الكاملة على العالم ما عظم من أمره ومادق منه ، لا تفوت هيمنته كبيرة ولا صغيرة .. ولا يخرج عن سلطانه ما دق وما جل ..

وقد أتت على هذا الوضع لتقود الانسان الى اسلام وجهه لله اسلاما كاملا ، بحيث لا يصد ، ولا يرد الا باسمه سبحانه ولا يأتى ما يأتى أو يدع ما يدع الا فى سبيله تعالى ..

ومضى القرن الأول على ذلك ، ومضى القرن الثانى — أو أكثره — على الفطرة .. ثم كانت الفلسفة اليونانية .. والفلسفة اليونانية فلسفة وثنية ، لأنها تصدر عن العقل ، لا عن وحى ، وكل فكرة تصدر عن العقل لا عن الوحى فى عالم ما وراء الطبيعة أى فى عالم العقيدة انما هى فكرة وثنية ، أى أنها فكرة لا حق لها فى الوجود ، لأن عالم العقيدة انما هو من اختصاص الله ، يبينه على لسان رسله ، وكل تدخل من الانسان فى هذا العالم انما هو تدخل فيما ليس للانسان التدخل فيه ، لأنه اقتحام لساحة محرمة مقدسة ، لا ينبغى أن يدخلها الانسان الا دخول الساجد الخاشع ، الخاضع ، المسلم لما جاء به الوحى الالهى ..

ان الفلسفة اليونانية فى عالم العقيدة ، فلسفة وثنية ، انها وثنية حتى حين تثبت وجود الله ، ولا يخرجها اثباتها وجود الله عن أن تكون وثنية .. انها وثنية بالمبدأ الذى قامت عليه وهو مبدأ تأليه العقل البشرى ويستوى بعد ذلك أن تكون قد أثبتت وجود الله أو أنكرته ..

وهى حينما تثبت وجود الله عقليا ليس فى ذاك كبير فائدة .. ولا يبرر ذلك وجودها — ولا قيمة لما تثبته ، واثباتها والعدم سواء .. ذلك أن العقل الذى أثبت هو العقل الذى يمكنه أن ينكر .. وهو العقل الذى ينكر بالفعل ..

ولا لزوم – اذن – للطنطنة والتصفيق الذى نحيى به كل عبقرية فكرية فى الشرق أو فى الغرب تحاول فكريا اثبات وجود الله .. اننا لا نقيم عقيدتنا على فكر بشرى ، مهما كان هذا الفكر عبقريا ..

ويجب على المؤمن ألا يقيم وزنا – أى وزن – لأى نتاج فكرى فى عالم ما وراء الطبيعة – فسواء خالف معتقده أو وافقه ، انه فى معتقده يدين لله وحده ، وكفى بالله مصدرا .. وكفى بالله هاديا ، وكفى بالله مرشدا .. ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ..

ان كل ما عدا الهدى الالهى فى عالم الدين ، انما هو وثنية وضلال ..

كانت الفلسفة اليونانية فلسفة وثنية بشرية ، وقد أرادت أن تجد لجاما يعصمها من الخطأ فاخترعت فنا وثنيا آخر .. هو فن «المنطق» فما أجدى .. وما أغنى .. ولا تقدم بالفكر الوثنى فى عالم الصواب شروى نقير ..

وبقيت هذه الفلسفة الوثنية – عبر القرون – على ما هى عليه ، فيها كل سمات الوثنية من ضلال وخرافات ..

ولقد كانت الأمة اليونانية معذورة بعض العذر ، فما كان فى ربوعها دين منزل من السماء تلجأ اليه مهتدية مسترشدة ، وما كان مثلها فى ذلك الا كمثل العصر الجاهلى فى الجزيرة العربية .. فلجأت الى العقل وألهته ، وأخذت تثبت به وتنكر ، فضلت وأضلت .. وجاءت الديانة النصرانية مصححة للوضع .. فعزلت فكرة الألوهية من تدنيس الوثنية .. وسمت بالله جل جلاله عن أن تضع وجوده موضع البحث ، ثم تسللت اليها – كميكروب خبيث – وثنية اليونان .. فجعلت من وجود الله – مجرد وجود الله – بابا ضخما من أبواب البحث .. أو من أبواب اللاهوت الكنسى ، ونزلت بتلك الفكرة الدينية المقدسة عن الله الى مستوى الجو الوثنى البشرى، وجاء الاسلام تطهيرا للعقيدة وتزكية تامة للايمان .. وأعلن

بمجرد التسمية « الاسلام » الحرب على التدخل البشرى فى دين الله ورسالته ، فما جاء الاسلام الا للاستسلام المطلق لله سبحانه وتعالى .. انه الاسترسال مع الله على ما يرضيه، وهل للانسان غير هذا بالنسبة لله ؟ ، وهل للمؤمن أن يتصرف تصرفا آخر ؟ .. وهل اذا تصرف تصرفا آخر سمى مؤمنا ؟!

والاسلام توجيه ومبادىء ، ومن توجيه الاسلام : أن وجود الله لا ينبغى أن يوضع موضع البحث .. وكل من وضعه موضع البحث فانه بذلك يعدل عن توجيه الله تعالى .. الى توجيه بشرى .. انه يبتغى غير الاسلام توجها ... »

وكتاب اللطائف هذا يعلمك الحب : الحب لله ، والحب فى الله ، والحب لرسول الله ، وللدعاة ، وللهداة الى الله ..

فقد استفاض فى الحديث عن هذه العاطفة السامية النبيلة ، وأورد ما جاء فيها من نصوص قرآنية ونبوية وأقوال المحبين .. وأهل الهوى الالهى ، وفصلها وفسرها ، وأبان أمارات الحب ، وعلاماته ، ومن هو المحب الحقيقى ، وكيف يتمحض الحى ويخلص للمحبوب ، وعن كأس الحب وشرابه وساقيه .. وقد أفاض فى ذلك وأفاد وبخاصة عندما تعرض بالتفسير لقول الله سبحانه وتعالى فى شأن موسى عليه السلام : **(وألقيت عليك محبة منى)** ..

وعند حديث الحب ذاك ، وقف المحقق رحمه الله وقفة طويلة ، فيها تعليق وتعقيب واضافة استغرقت صفحات عدة شرح فيها أن المحبة صراط الأولياء .. وأن الناس فى العواطف درجات ، ثم كشف فى نهايتها عن علاقة المحبة بالعمل والايمان والاتباع .. كما تحدث عن أسباب الحب ، وثمرة المحبة ، وأجمل تعبيرات المحبين..

أقباس .. من اللطائف :

من أحاديث صاحب اللطائف عن الصوفية ، وحبهم لله ، وذكرهم له ، يقول : « هم فى معاقل عزه ، تحت سرادقات مجده .. يصونهم

من كل شىء الا من ذكره ، ويقطعهم عن كل شىء الا عن حبه ، ألسنتهم بذكره لهجة ، وقلوبهم بأنواره بهجة .. وطن لهم وطنا بين يديه ، فقلوبهم جاثمة فى حضرته .. وأسرارهم محققة بشهود أحديته » ..

وعن أعداء الصوفية يقول : « ان الله ابتلى هذه الطائفة (الصوفية) بالخلق ليرفع — بالصبر على أذاهم — مقدارهم — ولتكمل بذلك أنوارهم .. وليتحقق الميراث فيهم .. ليؤذوا كما أوذى من قبلهم فيصبروا كما صبروا ، ولو كان من أتى بهدى فأطبق الخلق على تصديقه لكان الأولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وقد صدقه قوم هداهم الله بفضله وحجب من ذلك آخرون حجبهم الحق عن ذلك .. فانقسم العباد فى هذه الطائفة الى معتقد ومنتقد ، ومصدق ومكذب ، وانما — يصدق بعلومهم من أراد الحق سبحانه أن يلحق بهم .. ومن أين للعباد أن يعلموا أسرار الحق فى أوليائه ، وشروق نوره فى قلوب أحبائه ، وسبب هلاك الهالك بهم أن من أظهره الله منهم لابد أن يظهره ببواهر المنن وطوارق العادات فتستغرب عقول العموم أن يعطى ذلك غير الأنبياء ، وأن تظهر الخوارق الا فى أهل العصمة .. وهؤلاء لم يعلموا أن كل كرامة لولى هى معجزة لذلك النبى ، الذى هذا الولى تابع له ، فظن هؤلاء أن جريان الكرامة على الولى مساهمة لمقام النبوة .. وحاشا لله أن يشترك النبى والولى فى مقام .. كيف وقد قال أبو يزيد : « جميع ما أخذ الأولياء مما هو للأنبياء كزق ملىء عسلا .. فرشحت منه رشاحة ، فما انطوى عليه الزق فهو مثل علوم الأنبياء .. وتلك الرشاحة هى حظ الأولياء منهم » ..

ومن مناجاة المؤلف لربه .. وهى نفحة الهية .. فيها سمو فى التعبير ، وبلاغة فى القول ، يزينها المنطق الأخاذ والحكمة الدقيقة العميقة ، فيها يقول : « الهى .. كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك ؟! أيكون لغيرك

من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهـر لك •• متى غبت حتى تحتاج الى دليـل يـدل عليك •• ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى الموصلة اليك ••

ومما يثلج الصـدر ، أن هـذا الكتـاب ــ وغيره كثير ــ قد رأى النور بفضل اسهام حضرة صاحب السمو ولى عهد امارة أبى ظبى ، وهذه يد تذكر ، فنشـكر لهؤلاء الولاة والحكام والمسئولين الذين دفعهم الـولاء لـدينهم والوفاء لتـراثهم الـروحى العتيـق لأن يسهموا فى نشر هذا التراث ، وأن ينفضوا الغبار الذى تراكم عـلى الكثير من كتبه بعد أن ظل قابعـا فى زوايا النسيان •• ولعل اللـه يوفق الجميع لأن يرصدوا جانبـا من امكاناتهم المادية والعلمية ومما أنعم الله به عليهم لاحيـاء هـذا التراث العربى الأصيل حتى يرى الضوء مجلوا فى أبهى ثوب وأنقى طبـع •• وأدق تحقيق •• والله ولى التوفيق ••

الدكتور / محمود بن الشريف

فهرس العدد

اسم الموضوع | صفحة

مطابع مؤسسة روزاليوسف



الجزء الثامن – السنة والخمسون – ذو القعدة سنة ١٤٠٠ هـ – أكتوبر – سنة ١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حول رأى العلامة ابن خلدون فى اقتداء المغلوب بالغالب

لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار

وكيل الأزهر

عسى أن يدرك العرب والمسلمون عوامل ضعفهم وتخلفهم فى هذا العصر الذى نعيش فيه ، ويفكروا بعقل وتبصرة فيما يحيط بهم من أخطار تهدد كيانهم ، وتكاد تعصف بهم ، ويعملوا بجد واخلاص على استرداد نهضتهم الغاربة لتشرق من جديد فى أفق العروبة والاسلام .

سنة الله فى خلقه ان ينجذب الصغير الى الكبير ليدور فى فلكه وأن يقتدى الضعيف بالقوى ويقتفى أثره ويتشبه به فى أخلاقه وعاداته وسائر حالاته ونجد ذلك واضحا فى الأبناء يحذون حذو الآباء فيما يقولون ويفعلون ، وفيما يأخذون ويذرون . ذلك بأن

الطفل الصغير يشعر بضالته أمام والديه ، فيرى فيهما مثله الأعلى وغايته المرجوة وينساق الى الاقتداء بهما فى كل شىء ولو لم يتلاءم مع طاقته وقدرته ويعجب بما يصدر عنهما من أفكار وآراء ولو كانت سقيمة باطلة وتنطبع بها نفسه ويصعب صرفه عنها بعد ذلك مهما وضح له ما فيها من زيف وفساد وقديما كان العرب فى جاهليتهم — وفيهم أفذاذ الرجال الذين صقلتهم التجارب والحوادث — يعكفون على أصنام لهم يلتمسون فيها الخير والبركة ، ويعتقدون أنها تشفع لهم عند الله بل يعبدونها من دون الله ويلجأون اليها فى الشدائد والكروب ولئن سألتهم : لم تعبدون مالا يسمع ولا يبصر ؟ فانهم يتشبثون بهذا المنطق الكليل وتلك الحجة الداحضة العمياء وهى الاقتداء بما كان يفعله الآباء ويقولون : وجدنا آباءنا لها عابدين •

ومن هذا المنطلق نرى المرءوسين يقلدون الرؤساء والرعية تقتفى أثر الراعى وتجىء الحكمة القائلة : « الناس على دين ملوكهم » والحكمة الاخرى : « المرء أشبه شىء بزمانه ، وصبغة كل زمان منتخبة من سجايا سلطانه » •

ونرى من واقع التاريخ مثلا كثيرة فى اقتداء الرعية بالراعى •• وكما يروى ان الوليد بن عبد الملك كان يحب العمارات والابنية فكان الناس فى زمنه اذا تلاقوا يتساءلون عن العمارات والأبنية ويتنافسون فى ذلك السبيل وكان سليمان بن عبد الملك يحب الطعام والنساء ، فكان الناس فى زمنه يهتمون كل الاهتمام بالتفنن فى ألوان الطعام ويكثرون من زواج النساء وكان عمر ابن عبد العزيز صاحب عبادة وتلاوة فكان الناس فى زمنه اذا تلاقوا يسأل بعضهم بعضا ما وردك الليلة ؟ وكم تقوم من الليل ؟ وكم تصوم من الشهر ؟ •

وتصل من ذلك الى نتيجة حتمية وهى ان المغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب والاقتداء به فى شعاره ودثاره أو بعبارة أخرى فى شكله

ومظهره واخلاقه وعاداته وسائر حالاته :

ولو مضينا مع ركب الانسانية منذ وجد التاريخ لرأينا كيف كانت المدنية والحضارة والعلوم والمعارف والعادات والتقاليد تزحف فى هذا العالم وراء زحف القوى المتغلبة وأن الشعوب المغلوبة تقتدى أبدا بالشعوب الغالبة ، وترى أن فى ذلك الخير والسعادة كما هو شأن الابناء مع الآباء والضعفاء مع الأقوياء . وخذوا لذلك مثلا من واقع تاريخنا الاسلامى فى عصر القوة والفتوح.

فحينما فتح المسلمون بلاد الفرس والروم كانت تلك البلاد تقف على درجة أعلى فى سلم المدنية والحضارة وفى سلم العلم والمعرفة ومع ذلك وجدنا تلك الشعوب تسارع الى الاقتداء بالمسلمين فانتشر الاسلام وانتشرت اللغة العربية وغلبت العادات والتقاليد العربية

وازدهرت العلوم الاسلامية فى كنف الموالى وهم المسلمون من غير العرب فنبغ فيهم العلماء الكثيرون الذين أسهموا فى بناء النهضة العلمية فى الاسلام بأوفى نصيب وتوزعوا فى الامصار الاسلامية المختلفة نجوما متألقة هادية .. **« فكان فى المدينة نافع مولى عبد الله بن عمر وكان ديلميا واصابه** عبد الله بن عمر فى احدى الغزوات وهو من كبار التابعين ... وروى عن عبد الله بن عمر وأبى سعيد الخدرى ، وروى عنه الزهرى وأيوب السجستانى ومالك بن أنس، وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ، وقال مالك كنت اذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالى الا أسمعه من أحد غيره .. وأهل الحديث يقولون رواية الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة وتوفى سنة ١٢٠ هـ (١) .

---

(١) راجع وفيات الاعيان لابن خلكان جـ ٣ ص ٥٠ ، ٥١ ط الوطن .

وكان فى المدينة كذلك **ربيعة الرأى** مولى آل المنكدر التميميين وهو شيخ الامام مالك بن أنس وكان فقيه المدينة فى وقته غير منازع حتى كان القاسم بن محمد يقول : لو تمنيت أحدا تلده أمى لتمنيت ربيعة وكان يجلس فى مسجد المدينة وحوله حلقة كبيرة من العلماء والأشراف يتلقون العلم عنه وقد اتفق العلماء من المحدثين وغيرهم على توثيقه وجلالته وعظم مرتبته فى العلم والفهم وكانت وفاته سنة ١٣٦ هـ (١) •

وكان من علماء مكة **مجاهد ابن جبر مولى قيس** المخزومى وكان فقيها عالما ثقة كثير الحديث وهو من اكبر رواة التفسير عن ابن عباس حتى كان يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة وتوفى سنة ١٠٢ هـ **وعكرمة مولى ابن عباس** وكانت له شهرة علمية فائقة حتى يروى عن معمر ابن أيوب أنه قال : قدم علينا عكرمة فاجتمع الناس عليه حتى اصعد فوق ظهر بيت وكان من اعلم الناس بالتفسير وقد توفى سنة ١٠٥ هـ هو وكثير عزة فى يوم واحد ، وصلى عليهما فى مكان واحد وقال الناس اذ ذاك : مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس (٢) •

واشتهر من علماء الكوفة **سعيد ابن جبير** مولى بنى والبة بن الحارث •

واشتهر من علماء البصرة **الحسن البصرى ومحمد بن سيرين** •

واشتهر فى مصر **يزيد بن حبيب مولى الأزد** وكان مفتى أهل مصر وعنه أخذ الليث بن سعد وعبد الله ابن لهيعة ، وكان يزيد بربرى الاصل وقال فيه الليث بن سعد : يزيد عالمنا وسيدنا وهو أحد ثلاثة عهد اليهم عمر بن عبد العزيز بالفتيا فى مصر ، وقد جمع ناحيتين كبيرتين من نواحى العلم احداهما الناحية التاريخية فيروى عنه الكثير فى حروب مصر وفتنها وفتوحها ، والثانية الناحية الفقهية •• فكان

---

(١) راجع تهذيب الاسماء واللغات للنووى ج ١ ص ١٨٩ •
(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢١٢ •

واسع العلم فى الحلال والحرام حتى قيل فيه ، انه أول من أظهر العلم فى مصر والمسائل فى الحلال والحرام ٠٠ وتوفى يزيد سنة ١٢٨ هـ (١) ٠

وهكذا اذا رجعنا الى كتب الطبقات والتراجم وجدنا الموالى وهم المسلمون من غير العرب لم يكتفوا فى اقتدائهم بالعرب بتعلم اللغة العربية بل نبغ الكثير منهم فى العلوم الاسلامية بل امتد نشاطهم الفكرى الى اللغة العربية نفسها على الرغم من رطانة ألسنة الموالى وبعدهم عن السليقة العربية ، حتى رأينا منهم علماء أجلاء يسهمون فى وضع قواعد للغة العرب وفى رواية الشعر العربى بل فى قرض الشعر العربى نفسه ، ومن هؤلاء **أبو بحر عبد الله بن اسحق** وهو من موالى بنى عبد شمس ، وكان اماما فى النحو واللغة (٢) وكان عيسى ابن عمر النحوى مولى خالد بن الوليد اماما فى النحو، وهو صاحب كتابى الاكمال والجامع اللذين قصدهما الشاعر بقوله :

ذهب النحو جميعا كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع وهما للناس شمس وقمر

وكان حماد الراوية ـ مولى بنى بكر بن وائل ـ من أعلم الناس بأخبار العرب وأنسابها وأيامها وأشعارها ولغاتها وكانت ملوك بنى أمية تقدمه وتؤثره وتستزيده فيفد عليهم وينال منهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ٠٠ وقال له الوليد بن يزيد الاموى يوما ـ وقد حضر مجلسه بم استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية ؟ قال : بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أوسمعت به ، ثم أروى لاكثر منهم ممن تعترف أنك لاتعرفه ولاسمعت به ، ثم لاينشدنى أحد شعرا قديما ولا محدثا الاميزت القديم من المحدث ٠٠ فقال له: فكم مقدار

---

(١) النجوم الزاهرة لابن المحاسن بن تغرى بردى جـ ١ ص١٤٣ و ٢٣٨ ، ٣٠٨ ٠

(٢) عقد الجمان للعينى جـ ١٢ ص ٦٢ ٠

ماتحفظ من الشعر قال : كثير ، ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال : سأمتحنك فى هذا ، ثم أمره بالانشاد فأنشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه فأنشد ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم (١) .

وقد نبغ فى الشعر العربى كثير من هؤلاء الموالى ، ولانود الاطالة بذكرهم فى هذا المجال المحدود ، ففى كتب الأدب العربى ما يحقق طلبة الباحث ورغبة المستزيد .

وبهذا يتبين لنا أن قوة العرب وغلبتهم على غيرهم من الأمم كانت من أقوى العوامل فى نشر ثقافتهم وعلومهم بين الأمم التى تغلبوا عليها ، فبدأت تلك الامم تقلدهم وتحاكيهم وتتأثر بهم الى حد كبير .. وقد عقد ابن خلدون فصلا فى مقدمته حول هذا المعنى وقد جعل عنوانه « فصل فى أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده » وقد ذكر السبب فى ذلك (أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه لماتراه — والله أعلم — من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولابقوة بأس وانما هو بما انتحله من العوائد والمذاهب ، أى بما اتصف به من عادات طيبة وأخلاق كريمة ... ولذلك نرى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب فى ملبسه وموكبه وصلاحه فى اتخاذها وأشكالها ، بل وفى سائر أحواله ، وانظر ذلك فى الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان فى

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٩٢ .

الأكثر لأنهم الغالبون لهم ، حتى أنه اذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير .. ونأمل فى هذا سر قولهم « **العامة على دين الملك** » فانه من بابه اذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الابناء بآبائهم والمتعلمين بمعلميهم) .

فعسى أن يدرك العرب والمسلمون عوامل ضعفهم وتخلفهم فى هذا العصر الذى نعيش فيه ويفكروا بعقل وتبصرة فيما يحيط بهم من أخطار تهدد كيانهم وتكاد تعصف بهم ، ويعملوا بجد واخلاص على استرداد نهضتهم الغاربة لتشرق من جديد فى أفق العروبة والاسلام ، ولن يكون لهم سبيل الى ذلك الا بالقوة . ولن تتحقق لهم القوة والغلبة الا بالتضامن الشامل والايمان الكامل وحينئذ لايتبددون ركاما تذروه الرياح وتدوسه الاقدام . بل يصبحون الامة الغالبة التى تقتدى بها الامم المغلوبة ، والتى تدفع قافلة المدنية والحضارة فى هذا العالم الى الامام .

هذا ، ومن الله العون وبه التوفيق .

دكتور / محمد الطيب النجار

قررت ادارة مجلة الأزهر أن تصدر عددا ممتازا فى غرة المحرم ١٤٠١ هـ وستكون موضوعاته موحدة تتناول هجرة الرسول (صلى الله عليه سلم) نرجو من السادة المفكرين الاسلاميين أن يوافونا بمقالاتهم حول الهجرةقبل منتصف شهر ذى القعدة حتى نتمكن من نشرها فى هذا العدد (وكل عام وأنتم بخير) والله الموفق .

أسرة المجلة

الروحانية فى الإسلام

للاستاذ محمد صابر البرديسى

الانسان يتركب من عنصرين أساسيين : عنصر مادى ، وعنصر روحى • ولكل عنصر من هذين العنصرين مظاهر خاصة :

فالجسم له رغائبه من الطعام والشراب ، وسائر الملذات •

وللروح مظاهرها : من العبادة • والاستقامة ، والثقة فى الله ، والخضوع لجلاله والاستغناء عما سواه •

وللروح أن تتدرج فى مدارج الكمال ، حسب مجاهدتها وتدريبها حتى تصل الى مرتبة من الصفاء ، وتكون فى مقام ليس بينها وبين الله حجاب •

والروح باتصالها بالجسد ، واختلاطها بالجسم ، يحدث بينهما صراع ، صراع بين رغائب الجسم ، ومظاهر الروح ، فاذا تغلبت الناحية المادية والميوله الشهوانية ، صار الانسان كالحيوان ، خلقه بهيمى ، وعمله شيطانى يحكمه الهوى ويقوده الجهل ، يسىء الى نفسه والى مجتمعه ، أضر على نفسه من النار ، وعلى الناس من الشيطان•

« واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد » (١) •

وللبيئة التى ينشأ فيها الانسان أثر كبير على ميوله ، وتحديد

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٥ •

اتجاهه ، وتحويل سـلوكه ، يولد الانســـان على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ٠

فاذا نشــأ فى بيئة دينيــة ، وترعرع فى وسط صالح ، وخالط أصحاب السلوك السوى ، والتفكير السـليم ، وتربى تربية دينيــة حسنة ، امتلأ قلبه بنور المعرفة ، وأشرقت شمس الايمان فى باطنه ، يعرف ربه ، ويسلك اليه طريقه ، وينعم بالقرب منه ، ويسـعد فى المثول بين يديه ، يعبد الله فى كل لحظة من حياته ، قد استقام أمره، وحسن حاله حتى وصل الى مرتبة الاحسان ، وهى كما قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : « أن تعبـد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » (١) ٠

وحين يصل الانســان الى هذه المرتبة ، فانه يفعل الطاعات كلها ، وينتهى عن المعاصى كلها ، ويراقب الله فى كل حال ، يصدق مع الله فى عبادته ، ويصـدق مع الناس فى معاملاته ، يرهب دائما من جلال الله وعظمته ، حتى ليكون فراغه وشهوته ابتغاء وجـه الله ، وفى طلب الأجر منه — عز وجـل — يظل موصولا بربه ، فـلا يحس بشىء يشتت عليه فكره ، ويقطع عنه صلته بربه ٠

أما اذا نشأ فى بيئة غير دينية ، وكان هدفها ماديا فان سلوكه يكون غير مرضى ، لا يهـوى شـيئا الا حصله ، ولا اشـتهى أمرا الا أتاه ، يدعوه الهوى فيضله عن سـبيل الله ، وتلعب به الحـاجة فيبيع آخرته بدنياه ٠

قال تعالى : « **فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هى المأوى** » (٢) ٠

فاذا تعرض للاختبار ، وأصابه لون من الابتلاء فانه لا يصبر على البلاء ، ولا يصمد أمام الاحداث ، ولا يثبت تجاه الشدائد ، وحينئذ يظهر خبث معدنه وكذب ما يدعيه من ايمان ٠

---

(١) فى الصحيحين من حديث الايمان ٠
(٢) سورة النازعات — اية ٣٧ ٠

قال تعالى « **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (١) •**

الاسلام فى معناه : انقياد وخشوع لله ، واتباع لمنهج الله ، وامتثال لما جاء به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — • ومبدؤه : النطق بالشهادتين • ثم يكمل اسلام المرء اذا ما صدقه العمل ، بأن يقيم الصلاة على أتم شروطها فى خشوع ، ويؤتى الزكاة حسب ما وضحته السنة ، ويلتزم بالصوم على أكمل واجباته ، ويحج مراعيا جميع مناسك الحج وأوامره •

والروحانية فى معناها الاسلامى : أن يكون المسلم هواه تبعا لما يحبه الله ، فمن أحب شيئا مما يكرهه الله ، أو كره شيئا مما يحبه الله لم يكمل اسلامه ، ويكون قد فقد محبة الله، وجانب الروحانية التى من أهم مميزاتها طاعة الله ، قال تعالى : **« ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم » (٢) •**

سئل ذو القرنين المصرى : « متى أحب ربى ؟ • قال : اذا كان ما يبغضه عندك أمر من الصبر » •

ومن الروحانية فى الاسلام ، أن يكون المسلم أشد حبا لله عن كل ما سواه ، وأن يرى النور الالهى قد أشرق على محياه ، فأكسبه المهابة والجلال ، والفيض الربانى قد ملأ قلبه ، فبعث فيه الأمن والطمأنينة •

لا يخاف من شىء ، وكيف يخاف وعنده الطمأنينة ؟

لا يضطرب من شىء ، وكيف يضطرب وعنده الاستقرار ؟

لا يخشى مخلوقا ، وكيف يخشى ومعه الله ؟

ولا يزال المسلم يرتقى فى

---

(١) سورة العنكبوت — آية ٢ ، ٣ •
(٢) سورة محمد — آية ٢٨ •

روحانيته حتى يحظى بمحبة الله ، ويصدق فيه قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى الحديث القدسى « ان الله — تبارك وتعالى — يقول : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبد بشىء أحب الى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ، وان سألنى أعطيته ، وأن استعاذنى أعذته » •

وبالانقياد لله ، والخضوع له ، وتطبيق منهجه ، والتوكل عليه حق توكله ، يحيا المسلم حياة طيبة لا يضل فيها ولا يشقى ، حياة سعيدة لها جدوى ، حياة فيها متعة دون أن تعقب ألما ، حياة يذوق فيها المسلم لذة القرب الى الله ، ويحظى بمقام الرضى منه ، والأنس به ويتناول من شراب القرب رحيق الحب ، ويكون الله كل مناه •

المسلم الروحانى : فقير الى الله من جهة العبادة له وفقير اليه من جهة توكله عليه ، مفتقر الى الله دائما من حيث هو المعبود ، ومفتقر اليه من حيث هو المستعان والمتوكل عليه ، ولا تتم العبودية والروحانية الا بهذين الأمرين •

والروحانية الحقة : أن يستسلم العبد لله ، وينقاد له وحده دون سواه ، يحقق لنفسه معنى قولة تعالى : **« اياك نعبد واياك نستعين »** (١) •

والاسلام فى روحانيته لا يميل الى الانزواء فى الكهوف ، والعكوف فى المساجد والصوامع ، ولا يريد الانطواء على النفس ، والعزلة عن المجتمع ، ولا يحب أن يكون المسلم انسانا ضيقا مجتمعا حول نفسه •

وانما روحانية الاسلام : أن يكون المسلم انسانا أخلاقيا ممتدا بمنافعه حول أمته كلها ، يعيش

---

(١) سورة الفاتحة — آية ٥

للناس ، ويحيا مع المجتمع ، شعاره الحب والايثار والتضحية ، يأخذ حظه من الدنيا بقــــدر ، ويتمتع بلذائذ الحيــاة فى حذر ، ينتفــع بالطيبــات من الرزق ، ويتجمــل بزينة الله التى أخرج لعبـــاده ، ويتزود بكل زاد حــلال به قــوام الأبدان ، وحياة الانســان ، طبقا لشريعــة اللــه ، وفى حــــدود الاعتدال .

قال تعالى : « **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مســجد وكــلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعبــاده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنــوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كــذلك نفصــــل الآيات لقــوم يعلمون** » (١) .

ويقــول تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحــل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون** » (٢) .

روى البخارى ومسلم فى حديث أوله : « مابال أقــوام » (وهم الامــام عــلى وعبد الله بن عمر وعثمان بن مظعون) رضى اللــه عنهم « قالوا كـــذا وكـــذا » ــ أى ذكروا عباداتهم ــ (وكأنهم تقــالوها) أى رأوهــا : قليــلة مع أنها كثيرة ــ قال صـــلى الله عليه وسلم : « لكنى أصلى وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن ســـنتى فــليس منى » .

واذا كان الاعتدال فى كل حال مطلوبا من الانســان ، وكــانت الروحانية المغــالية مجافية لروح الاسلام ، لقول الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » . فان من كمال المسلم مجانبة المادية المغالية ، والابتعاد عن الشــهوة الجامحة ، والبعد عن عمــل ما به

---

(١) سورة الاعراف ــ آية ٣١ ، ٣٢

(٢) سورة المائدة ٨٧ ، ٨٨

يطرد من رحمة الله ، فلا يجعل الدنيا همه تملك عليه قلبه فيسره ملك ما به يخلد فى النار ، أو يحرص عليها ، فينهج مناهج الطمع ، أو يسعى للوصول الى غرضه بكل أسباب الفساد ، وبأنواع النشاط المشبوهة ، والوسائل المقوتة ، دون نظر الى حلال أو حرام .

المسلم الروحانى المعتدل ، يرى أن اشباع رغبات النفس ، والاكثار من حطام الدنيا وزينتها ، يقعد عن طاعة الله ، وأن التعلق بالماديات ، والانغماس فى الشهوات ، يعوق الاتصال بالله ، ويقف حائلا دون رحمة الله ، وأن الجنة لا يبلغها الا من كان خفيفا من هذه التعلقات ، التى حلالها حساب ، وحرامها عقاب .

المسلم الروحانى ، يصاب بألوان الابتلاء ، فيصمد ويصبر على ما أصابه ، يصاب فى النفس والأموال والأولاد ، ونقص الثمرات فلا يشعر بأنه المرزأ المبتلى ، بل يرضى ، ويرى أن الابتلاء رحمة ، يلجأ المسلم فى فترة الاختبار الى الله ويرجع اليه فى صدق وايمان ، فيغفر له ، لأن المؤمن اذا ابتلى فصبر ، آجره الله وعوضه بكرمه ، وكان الابتلاء سبب قوة تدفعه الى التحمل ، ومضاعفة العمل ، والرضا بالقضاء والقدر ، وهذه هى روحانية الاسلام .

ومن لم يتمتع بقسط من هذه الروحانية فانه لا يصبر أمام الابتلاء ، بل يجأر بالشكوى ، ويكثر من الفزع ، وتهن عزيمته ويقعد عن العمل ، فلو كشف عنه البلاء ، ورفع عنه الضرر ، وسكنت آلامه وخفت أحزانه ، رجع الى سابق عهده ، وحرص على حطام الدنيا ، وطمع فى الزيادة منه ، وازداد فسادا فى الأرض ، وأمعن فى أذى الخلق ، ورتب ما يعمله فى الغد بما يعود عليه وعلى المجتمع بالضرر ، ويستمر على حاله حتى ينتهى أجله ، وتقوم قيامته فيلقى ربه فى أسوأ حال ، يحمل أثقالا تنوء عن حملها الجبال فيندم بعد فوات الاوان .

ورد فى صحيح بن حبان :

(موارد الظمآن) أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « ان الله اذا أراد بعبد خيرا عجل عقوبة ذنبه ، واذا أراد بعبد شرا أمسك ذنبه حتى يوافى يوم القيامة كأنه عاثر » .

الروحانية التى ندعو اليها : أن تكون مطابقة لكتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — موافقة لشريعة الاسلام فى الفرائض والسنن والآداب والفضائل .

الروحانية التى نريدها : تورع عن كل ما حرم الله ، وصبر على كل حرمان ، ورضى بكل ما يقضى به الله .

الروحانية التى نرجوها : أن يكون المسلم أكثر مراقبة لله ، وأشد شوقا اليه ، وأعمق شعورا بالقرب منه ، وأشغف حبا له وأتم اطمئنانا به ، وأصدق توكلا عليه ، وأسعد أنسا به .

سئل الجنيد — رحمه الله تعالى — : « بم يستعان على غض البصر ؟ قال : بعلمك أن نظر الله اليك أسبق من نظرك الى من تنظر » .

فلنسر فى طريق الروحانية الحقة ، القائمة على المنهج الالهى القويم ،يقينا منا أن التقدم والرقى ، والأمن والطمأنينة ، والرزق والخير ، والسعادة والنصر ، لن يكون الا عن هذا الطريق . وأن لا مخرج مما يموج فيه العالم اليوم ، من الخوف والاضطراب والشرور والآثام والقلق والانزعاج ، والحرب والاستغلال ، والفرقة والانقسام الا عن هذا الدين القويم ، والمنهج الاسلامى السليم ، فهو الغاية لكل من يرجو النجاة ، أفرادا وجماعات ، فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى : **« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » (١) .**

---

(١) سورة النور من الآية ٥٥

وقال تعالى : **« والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون »** (١) .

ولو أن المسلمين اليوم رجعوا الى ربهم ، وتمسكوا بكتاب الله وسنته ونبيه وطبقوا شريعة الله فى أرضه ، ونبذوا الخلاف وطرحوا العداوة التى تحكمت بينهم لسادوا الدنيا ، وحكموا العالم ، وأعلوا كلمة الله فى كل مكان .

وحينئذ : يتحقق وعد الله لهم بأن يمدهم بنصره ، ويعيد اليهم مجدهم وتصبح أرض الاسلام كلها جنة ، والمسلمون كلهم أحباب الله وجنوده : قال تعالى : **«وان جندنا لهم الغالبون »** (٢) .

وقال تعالى : **« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** (٣) .

ونهيب بالدعاة والمصلحين فى الأمة الاسلامية أن يبثوا فى المسلمين الروحية السامية ، ويوقظوا فى المسلمين الطاقات الهائلة ، وأن يحولوها الى حركة اصلاح نابضة ، تعمل فى صدق ووفاء ، واخلاص وصراحة الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، لأنه لا يصلح حال هذه الأمة الا على وحدة صف المسلمين ، وجمع شملهم ، وبث هذا المعنى بين جميع أبناء الأمة ، حتى يزول العداء ، وتتمحى الشحناء والبغضاء ، وتصبح أمة الاسلام أمة واحدة ، تخفق رايتها عالية فى كل مكان من بلاد الاسلام ، راية الوحدة والمحبة والاخاء .

هذه هى الروحية الحقة ، التى تتمثل فى بناء قواعد الأمة ، وتدعيم أركان المجتمع ، على أساس المنهج الاسلامى القويم ، والمثل العليا والقدوة الحسنة .

---

(١) سورة العنكبوت ـ آية ٧ .
(٢) سورة الصافات ـ آية ١٧٣ .
(٣) سورة الاعراف ـ آية ٩٦ .

على الدعاة والمصلحين وعلماء الازهر وطلابه فى أنحاء الدنيا أن يبصروا الشباب بمبادىء الاسلام، وأن يبينوا لهم منهجه فى وضوح ، ويشرحوا لهم أخلاقه وفضائله ، عليهم أن يفهموا الشباب دينهم فهما سليما ، بعيدا عن النزعات المغرضة ، والمبادىء الهدامة ، التى لا تمت الى الاسلام بأية صلة ، والتى تنسب أحيانا الى الاسلام ، والاسلام منها براء .

على هذا الأساس المتين ، وبهذا المنهج الاسلامى السليم ، تقام الوحدة وتتحد الأمة ، ويتحقق النصر ، وما النصر الا من عند الله، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

اللهم بصر قادة المسلمين بدينهم ، ووفقهم الى تطبيق منهجه تطبيقا كليا كاملا كما تحبه وترضاه .

اللهم طهر قلوب المسلمين من كل وصف يباعدهم عن مشاهدتك ومحبتك ووفقهم الى الخير ، وخذ بيدهم الى النصر ، فانه لا يعجزك شىء فى السماء والأرض ، وأنت وحدك سبحانك نعم المولى ونعم النصير ..

محمد صابر البرديسى

« رجاء الى كتاب مجلة الأزهر »

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة الكرام بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة (التربرايتر) ثم مراجعتها أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، والله الموفق .

أسرة المجلة

مكانة الحديث فى التشريع الإسلامى

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

وجاء عصر الصحابة : فكان تطبيقا عمليا لتلك التوجيهات النبوية • والحق أن جهود الصحابة فى مجال حفظ الدين بالدرس والعلم ورسم المناهج لاتقل أهمية عن جهودهم لحفظه بالسيف وبذل الارواح • لقد كان الوحى ينزل بما يحتاجون اليه ويكشف ما يخفى عليهم ، وكانت حلقة الاتصال بين السماء والارض موصولة حتى أن الخائن كان لا يأمن سره والمخطىء لا يخشى من خطئه والجاهل لا يخاف من جهله • قال تعالى : **« يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم »** • وكشف الوحى سر الخطاب الذى أرسله بعض الصحابة لتحذير أهل مكة ونزل قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء »** وكم نزل القرآن يوضح المشكل ويبين الصواب •

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر ما خفى وبرز ما استتر وأمن الخائف على نفسه وارتد كثير من العرب ومنع بعضهم الزكاة وحاولوا تشويه الدين بالكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم • ولكن أبا بكر وقف وقفة الحيطة والحذر ، فكما حد المرتدين وكسر شوكتهم وبدد شملهم كذلك سد الباب فى وجوه الكذابين بما وضعه من قوانين الرواية وتابعه عمر رضى الله عنه على ذلك • واحتياطا للدين وحرصا على السنة وتفرغا لمشاكل الحرب الساخنة المفروضة على المسلمين

كان الاتجاه الى تقليل الرواية والمبالغة فى الاحتياط والتثبت لارهاب الكاذبين ، وتخويف الماكرين . فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه - على كثرة سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقلل من رواية الحديث - وهذا عمران بن حصين - وهذا أبو عبيدة والعباس بن عبدالمطلب وغيرهم . كلهم يقلون الرواية ، حتى أن سعيد بن زيد أحدالعشرة المبشرين بالجنة لم يرو له الا حديثان أو ثلاثة . وهذا أبى بن عمارة لم يرو له الا حديث واحد فى المسح على الخفين .

وهذا أنس بن مالك قال : انه ليمنعنى أن احدثكم حديثا كثيرا ان رسول الله صلى اللهعليه وسلم قال: من تعمد على كذبا فليتبوأ مقعده من النار . وكان اذا ذكر حديثا ختمه بقوله « أو كما قال » حذرا من أن يغير لفظا منه . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمر الناس بتقليل الرواية وكان مهيبا عند جميع الصحابة وما كان كذاك الا ليتمكن من حصر مصادر الاخبار فى تلك الفترة الحاسمة . روى الشعبى عن قرظة بن كعب أنه قال: خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر الى صرار ، فتوضأ ، فغسل اثنتين ثم قال : أتدرون لم مشيت معكم ، قالوا نعم نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيت معنا فقال : انكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تصدوهم بالحديث فتشغلوهم . جودوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمضوا وأنا شريككم فلما قدم قرظة قالوا حدثنا قال : نهانا عمر بن الخطاب . وفى هذا الخبر ما يدل على ان عمر رضى الله عنه رأى أن العناية أولا ينبغى أن تكون مركزة على القرآن لأنه الأساس وأن حفظ القرآن سيجر حتما الى حفظ السنة والبحث عن كل ما يتعلق بها .

وسأل عبد الله بن الزبير أباه : انى لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان فقال له أما انى لم أفارقه ولكنى سمعته يقول :

« من كذب على فليتبوأ مقعده من النـــار » •

وقيل لزيد بن أرقم وقــد كبر سنه ووهن عظمه : حدثنا يازيـد فقال : كبرنا ونسينا والحديث عـن رسول الله صلى الله عليه وسـلم شديد •

ولم يقتصر الصحابة على ذلك ، سواء من أنفسهم أو بتوجيه الخلفاء وانما رســموا منهج التثبيت من رواية الحــديث ومن رواته فلم يقبلوا الا ما اطمأنت اليه نفوسهم ورضيته ضمائرهم •

وقد بين الذهبى فى تذكرته أن أبا بكر رضى الله عنه كان أول من احتاط فى قبول الأخبــار • وروى عن الزهرى عن قبيصة : أن الجدة جاءت الى أبى بكــر تلتمس أن تورث • قال : ما أجد لك فى كتاب الله شيئا ، وما علمت أن رســول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا ، ثم سأل الناس • فقــام المغيرة بن شعبة فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهــا السدس : فقال هل معك أحــد • فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه أبو بكر لها •

وروى عن عمر رضى الله عنــه بعد أن ذكر أنه الذى سن للمحدثين سنة التثبت فى النقل وربمــا كان يتوقف فى خبر الواحد اذا ارتاب ــ أن أبا موسى سلم عليه مـن وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن لـــه فرجع ، فأرسل عمر فى أثره فقال : لم رجعت ؟ قال : سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع » قال لتأتينى على ذلك بينة أو لأفعلن بك • فأخبر أبو موسى بعض الصحابة بذلك وسألهم هـل سمع أحد منكم هذا الحديث فقالوا نعم كلنا سمعه وأرسلوا معه رجلا منهم أخبره •• وقال لأبى بن كعب وقد روى له حديثا لتأتينى عـلى ما تقول ببينة فلما أحضر ما يؤيد قوله قال عمر رضى الله عنه : أما انى لم أتهمك ولكن أحببت أن أتثبت ــ ولعل عمر رضى الله عنه بذلك انما أراد أن يختبر حفظ الرواة من الصحابة مع ثقته التامة فى عدالتهم ونزاهتهم • وعن أسماء بن الحكم الفزارى أنه سمع عليا يقول : كنت

اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى به وكان اذاحدثنى غيره استحلفته فاذا حلف صدقته وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما من عبد مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له » •

وكان كثير من الصحابة يختبرون حفظ الرواة وينقدون الحديث نقدا ذاتيا داخليا بمقارنته بغيره مما ثبت وصح • فهذه عائشة رضى الله عنها ترد حديث رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج بظاهر قوله تعالى : **« لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار »** • وهذا اجتهاد منها عارضها فيه غيرها بأن معنى الآية **« لا تحيط به الابصار »** وبذلك لا تتنافى الآية مع الحديث ـ وفى هذا ما يدلنا على أن نقد الحديث على الأساس الداخلى يضر بالسنة أكثر مما يفيد لانه يفتح المجال أمام غير المتخصصين للطعن فى السنة بأدنى توهم ـ فاذا كانت عائشة وهى من هى قد أخطأت حينما استعملت مثل هذا المنهج فما بالك بغيرها ؟! ومن ذلك أيضا أن عائشة لما سمعت بوقوف النبى صلى الله عليه وسلم على قتلى بدر وقوله : **« هل وجدتم ما وعد ربكم حقا »** وأنه قال : انهم الآن يسمعون ما أقول ، قالت : انما قال النبى صلى الله عليه وسلم : انهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق ثم قرأت **« انك لا تسمع الموتى »** حتى قرأت الآية ، وخالفها غيرها فقال ان الآية فى سماع الاجابة وأن الموتى غير مكلفين ، وفى رواية أنها قرأت أيضا قوله تعالى : **« وما أنت بمسمع من فى القبور »** والمراد من الآيتين عدم تكليف الموتى ووجوب تبليغهم الرسالة لانقطاعهم عن دار التكليف •• وقد بينت الآية الاخيرة أن الله يسمع من يشاء • وغرضنا هو بيان فساد هذا المنهج فى الحكم على السنة والوقوف معه عند حد الضرورة •

وكما كان لها فى مجال النقد الداخلى شأنها فانها اختبرت الرواة

والمحدثين خاصة من اشتهر منهم بالرواية . ففى الصحيحين عنها : أنها قالت لعـروة بن الزبير يا ابن أختى بلغنى أن عبد الله ابن عمرو مار بنا الى الحج فالقه فأسأله فانه حمل عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرا قال : فلقيته فسألته عن أشياء يذكرها عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال عروة : فكان فيما ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعا ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم ويبقى فى الناس رءوس جهال يفتونهم بغـير علم فيضلون ويضلون . قال عروة فلما حـدثت عائشـة بذلـك أعظمته وأنكرته . قالت : أحدثك أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ قال عروة : نعم . حتى اذا كان عام قابل قالت لى : ان ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذى ذكره لك فى العلم . قال : فلقيته فسألته فذكر لى نحو ما حدثنى فى المرة الاولى . قال عروة : فلما أخبرتها بـذلك : قالت : ماأحسبه الا وقدصدق أراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص . لقد اختبرت حفظه أحلى اختبار وهو لا يشعر فنجح فى الاختبـار . وتبين لنا من ذلك أنها كانت حريصة على تنقية السنة من كل ما يمكن أن يكون فيه أدنى ريب أو عيب وكذلك كان أكثر الصحابة رضوان اللـه عليهم ولم يمنع هذا التدقيق من انتشار رواية الحديث وقبول خبر الواحد الثقة فقد قبل عمر خبـر الضحاك بن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه أن يورث امرأة أشيم الضبابى من ديته وخبر عبد الرحمن بن عوف فى الرجوع عن بلد الطاعون وعدم الدخول عليه وغير ذلك .

ولما أوشك عصر الصحابة عـلى الانتهاء فتحت الفتن أفواهها ولعبت دسـائس الكفـار والمنتفعين والمشتغلين أدوارهـا فتفـرق المسلمون وظهرت الأحـزاب وكان الشـيعة والخـوارج والأمويون والعلويون ونحو ذلك ، بدأ الوضع بصورة جدية فى الحديث ومحاولـة ادخال ما ليس منه فيه . روى ابن الجوزى فى مقدمة كتاب الموضوعات

عن ابن لهيعة أنه قال : سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول: ان هذه الاحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فانا كنا اذا هوينا أمرا صيرناه حديثا .

وقال عبد الرحمن بن مهدى فى حديث « اذا أتاكم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله فان وافق كتاب الله فأنا قلته » : « ان الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث » وابتدع الشيعة أحاديث كثيرة منها ما وضعوه فى الحط من شأن معاوية وبنى أمية . ومن ذلك :

« من مات وفى قلبه بغض لعلى ابن أبى طالب فليمت يهوديا أو نصرانيا » .

« ستكون فتنة فان أدركها أحد منكم فعليه بخصلتين : كتاب الله ، وعلى بن أبى طالب » .. الخ .

وهى أحاديث طافحة بالوضع بعيدة عن نور النبوة .

ولما خرج المختار بن أبى عبيد الثقفى على عبد الله بن الزبير قال لرجل من محترفى الحديث : ضع لى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كائن بعده خليفة يطالب له بترة ولده وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة مركوب وخادم فقال له الرجل : أما عن النبى صلى الله عليه وسلم فلا ولكن اختر من شئت من الصحابة وحط لى من الثمن ما شئت قال : عن النبى صلى الله عليه وسلم أوكدوا العذاب عليه أشد .

بل لقد حاول بعض الشيعة تركيب أحاديث موضوعة على أسانيد صحيحة فقابلهم أئمة الحديث من أصل الصحيح بعدم اعتماد احاديث على رضى الله عنه ولا فتاواه الا ما جاء عنه من طريق أهل بيته خاصة أو من طريق أصحاب عبد الله بن مسعود كعبيدة السلمانى وشريح وأبى وائل ونحوهم وهى طرق أطمأن الى سلامتها حذاق المحدثين .

وكان أعداء الشيعة يحاربونهم بأسلحتهم ، فوضعوا أحاديث مضادة لأحاديثهم : **«ان فى السماء الدنيا ثمانين ملك يستغفرون الله لمن أحب أبا بكر وعمر » الخ ..**

« اذا رأيتم معاوية يخطب على

منبرى فقبلوه فانه أمين مأمون » ومقابل اذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فأقتلوه والكل موضوع •

ولكن الله تعالى حفظا لـدينه وتحقيقا لقول رسوله : « يحمـل هذا العلم من كل خلف عـدوله » الخ • قيض للسنة حماتها وهيأ لها رجالها فرفضوا أحاديث أهل الفرق وحفظوا السنة من أهل الأهـواء وقصدوا القبول عـلى الأحاديث الصحيحة المنقولة عن رجـال مخلصين تجردوا عن التعصب ، لهم من دينهم ما يحفظ عليهم صدقهم ويردعهـم عن الكذب والاختلاق وزادوا فى الاحتيـاط ودققوا فى الانتقاء •

وقد ذكر الامام مسلم فى مقدمة صحيحه صـورة صـادقة للتحوط ودواعيه ، فروى عن أبى هـريرة رضى الله عنه أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قال : **« يكون فى آخر الزمان دجالون كـذابون يأتونكم مـن الأحاديث بمـا لـم تسمعوا ــ أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهـم ولا يضـلونكم ولا يفتنونكم »** •

وعن طاوس قال : جاء هذا الى ابن عباس ــ يعنى بشير بن كعب ــ فجعل يحدثه فقال له ابن عباس عد لحديث كذا وكذا فعاد له ثم حدثه فقال له عد لحديث كذا وكذا فعاد له فقال له : ما أدرى أعرفت حديثى كله وانكرت هذا أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا ؟ فقال له ابن عباس : انا كنا نحـدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن يكذب فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحـديث عنـه •

وعن مجاهد قال : جاء بشـير العدوى الى ابن عباس فجعـل يحدث ويقول : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم فجعـل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولاينظر اليه • فقال : يا ابن عباس لا أراك تسمع لحديثى • أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع لحديثى ؟ فقال ابن عباس : انا كنا مرة اذا سمعنا رجلا يقـول قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم ابتدرته أبصارنا وأصـغينا اليه

بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس الا ما نعرف .

وعن ابن أبى مليكة قال : كتبت الى ابن عباس أسأله أن يكتب لى كتابا ويخفى عنى . فقال ولد ناصح أنا أختار له الامور اختيارا وأخفى عنه . قال : فدعا بقضاء على فجعل يكتب منه أشياء ويمر به الشىء فيقول : والله ما قضى بهذا على الا أن يكون ضل .

وعن طاوس قال : أتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء على رضى الله عنه فسماه الاقدار . وأشار سفيان بن عيينة بذراعه .

ومن ذلك كله نتبين أن بعض الصحابة ومنهم ابن عباس واجهوا هذا التيار بحسم ورسموا المنهج الصحيح لمقاومته وربوا على ذلك الكثيرين من النبهاء .

وعن ابن سيرين قال : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم .

ولقد تفرق الصحابة فى البلاد المختلفة وكونوا فيها حلقات العلم وزرعوا بها مدارس الحديث وغرسوا هذا المنهج النبوى الحكيم فى الحث على السنة والتحذير من التهاون فى شأنها أو ادخال ما ليس منها فيها .

وحفظ التاريخ كثيرا من الصحابة واتباعهم بالأمصار المختلفة .

فبالمدينة كان أبو بكر وعمر وعلى قبل انتقاله الى الكوفة وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمرو وأبو سعيد الخدرى وزيد بن ثابت وقد تخرج على أيديهم أفاضل التابعين مثل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهرى وغيرهم من فقهاء المدينة وعلمائها الذين كانوا من المراجع الهامة فى السنة والذين انتفعت بعلومهم أمصار الاسلام فى مواسم الحج وغيرها .

وكان بمكة معاذ بن جبل وعبد الله بن عباس وعبد الله بن السائب المخزومى وخباب وخالد ابنا أسيد والحكم بن أبى العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم وتخرج

على أيديهم أفاضل التابعين مثل مجاهد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبى رباح وغيرهم .

وكان بالكوفة على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وخباب ابن الارت وعمار بن ياسر وأبو موسى الاشعرى والنعمان بن بشير والبراء بن عازب وغيرهم وتخرج على أيديهم كثيرون من أفاضل التابعين منهم مسروق بن الأجدح وعبدة بن عوف السلمانى وابراهيم بن يزيد النخعى وغيرهم .

وكان بالبصرة أنس بن مالك وعتبة بن غزوان وعمران بن الحصين ومعقل بن يسار وغيرهم وتخرج عليهم من التابعين الحسن البصرى ومطرف بن عبد الله بن الشخير وأبو بردة بن أبى موسى وغيرهم .

وكان بالشام معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وشرحبيل بن حسنة والفضل ابن العباس بن عبد المطلب وتخرج على أيديهم كثير من التابعين كأبى ادريس الخولانى وقبيعة بن ذؤيب ومكحول بن أبى مسلم وغيرهم .

وكان بمصر عبد الله بن عمرو ابن العاص وعقبة بن عامر الجهنى وخارجة بن حذافة وأبو بعرة الغفارى وغيرهم وتخرج على أيديهم كثير من التابعين كأبى الخير مرثد بن عبد الله اليزنى ويزيد بن أبى حبيب وغيرهما .

لقد امتد نور النبوة ممثلا فى الصحابة وما حملوه من علم الى كل أقطار الاسلام وحملت طائفة خيرة منهم من بعدهم وهكذا جيلا بعد جيل حتى وصلت السنة الى قمة ازدهارها على يد أئمة الحديث .

دكتور / الحسينى هاشم

دراسات قرآنية

الحـــج
وأهـدافه السـامية

لفضيلة الشيخ مصطفى الطير

قال تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل انك أنت السميع العليم • ربنا واجعلنامسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » الآيات من البقرة •

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » الآيات من الحج •

الحج وأهـــدافه الســامية

كان العرب فى أرض الحجـــاز الجرداء مشتتين ، يرحلون بابلهم وأغنامهم الى الوديان ، حيث مهابط الأمطار ، ومستقر السيول المنحدرة من الجبال والتلال فيرعون ماشيتهم فى الاعشاب الناشئة عنها ، ويأوون الى أكنان مصنوعة من أوبارهـا وأصوافها ، حتى اذا استوعبت خضراءها ، ارتحلوا عنهـــا الى سواها •

وكانت أفكارهم فى رب هذا البيت ساذجة الى أبعد حدود السذاجة ، فلهذا عبدوا الاوثان ، وأشركوهـا فى العبادة مع الواحد الديان •

وقد شـــاءت عناية الرحمن الرحيم ، أن يجمعهم بعد شتات ، وييسرلهم الارزاق بعد صعوبة ، ويفتح قلـوبهم وأرواحهم عـلى شواهد خالق الأكـــوان ، حتى يوحدوه ولا يشركوا به شـيئا ، ويجعل منهم أمة مسلمة لرب العالمين تحمل مشاعل الحق فى ليل الجهالة

والشبهات ، فتضيء للناس سبيل الهدى والرشاد .

فلهذا أمر الله نبيه ابراهيم عليه السلام ، أن يرحل بولده اسماعيل وأمه هاجر الى أرض الحجاز ، وأن ينزل بهما فى مكان معين منها ، شاءت العناية أن تنشأ فيه مكة المكرمة ، ليكون مشرق الهدى ومبعث الايمان والعرفان ، ففعل ابراهيم ما أمره الله به ، ولما أراد الانصراف دونهما سألته هاجر : الى من تكلنا ؟ قال ابراهيم عليه السلام : الى الله تعالى ، قالت هاجر : آلله أمرك بذلك ؟ قال نعم، قالت : اذن لا يضيعنا .

فلما انصرف أخرج الله لهما عين زمزم ، وأفاض الماء من حولها غزيرا ملأ البقاع ، فحومت الطيور فوق الماء ، فلما رأت قبيلة جرهم تلك الطيور تروح وتغدو ، أرسلوا رائدهم اليها ، فرأى ما لم يكن رآه من قبل ، رأى سيدة كريمة معها رضيعها ، والماء يستبحر من حولها، فسألها عن أمرها وأمر الماء الذى لم يعرف قبل نزولها ، فأخبرته بقصتها ، فعرف أنها من بيت كريم على الله تعالى ، وأن الماء الذى جرى حولها هو من بركات بيت النبوة الكريم ، وأن ذلك الحدث الجليل يخفى وراءه أسرارا ستظهرها عناية الله فى أوانها .

الرائد يزف البشرى الى قومه

زف الرائد البشرى الى قومه — قبيلة جرهم — فأقبلوا عليها فى فرحة غامرة يسألونها المقام حولها، ويلتمسون الانتفاع بالعين المباركة التى أكرمها الله بها، على أن يقوموا بخدمتها ورعايتها وطفلها ، وحتى يترعرع ويبلغ مبلغ الرجال ، فأذنت لهم .

بناء الكعبة :

كان ابراهيم يتعهد اسماعيل وأمه ويزورهما من آن لآخر حتى كبر اسماعيل ، فأمره الله أن يبنى كعبة يحج اليها الناس لعبادة الله رب العالمين فى هذه البقعة المباركة، ويتخلصون بذلك من عبادة الأوثان ، ويكون من وراء ذلك جلب الأرزاق لأهل هذا الوادى الذى لا زرع فيه ولا شجر ، فاستجاب لربه وبنى البيت الحرام ، وكان يقول هو وولده

اسماعيل ــ وهما يرفعان القواعد منه « **ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم** » (١) ٠

فالغرض الأول من بناء الكعبة هو انشاء أمة مجتمعة مسلمة لله وحده لا شريك له ، تنحدر من اسماعيل عليه السلام ، بعد تزوجه من قبيلة جرهم ٠

والغرض الثانى من بنائها أن تتجه هذه الأمة المسلمة اليها لتقيم الصلاة لرب العالمين وحده لا شريك له ٠

والغرض الثالث أن يحج الناس اليها من مختلف البقاع ، لأداء المناسك وحمل الأرزاق الى السكان حولها ، وفى ذلك يقول الله تعالى حكاية لدعوة ابراهيم عليه السلام التى حددت أهدافه « **ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » ٠

وتحقيقا لتلك الأغراض ، أمر الله ابراهيم عليه السلام ، أن يؤذن فى الناس بالحج ، وفى ذلك يقول الله تعالى « **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**» (٢)

أى يأتوك مشاة وركبانا على بعير مهزول من طول السفر على ابلهم آتية من كل طريق بعيد « **ليشهدوا منافع لهم** » عظيمة الخطر ، جليلة القدر فى الدنيا والآخرة ٠

روى ابن جرير والحاكم وصححه وغيرهما عن ابن عباس قال « لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال : رب قد فرغت ، قال : أذن فى الناس بالحج ، قال : يارب وما يبلغ صوتى ؟ قال : أذن وعلى البلاغ ، قال : رب كيف أقول ؟ قال : قل يأيها الناس كتب عليكم

---

(١) البقرة ــ الآية ١٢٨

(٢) ابراهيم من الآية ٣٧

الحج الى البيت العتيق ، فسمعه أهل السماء والأرض ، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى البلاد يلبون » ٠

وجاء فى رواية أخرى أنه عليه السلام صعد أبا قبيس ، فوضع أصبعيه فى أذنيه ثم نادى : « يأيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم ، فأجابوه بالتلبية فى أصلاب الرجال وأرحام النساء، وأول من أجاب أهل اليمن ، فليس حاج يحج من يومئذ الى أن تقوم الساعة الا من أجاب يومئذ ابراهيم » ٠

وقد استجاب الناس فى عهد ابراهيم واسماعيل الى دعوة التوحيد ، ونبذوا الاشراك وعبادة الأوثان ، الى عبادة الواحد الديان ، وكان طوافهم بالبيت تمجيدا لرب البيت ، لا لذات البيت ٠

تحويل كعبة التوحيد الى بيت للأصنام

بعد فترة من عصر اسماعيل عليه السلام ، نسى أهل هذه البقعة التوحيد فى حجهم وسائر عباداتهم ، ورجعوا الى عبادة الأوثان التى أبطلتها شريعة ابراهيم واسماعيل عليه السلام ، وكانوا يزعمون أنهم يتقربون بها الى الله ، مع أن الله أقرب اليهم من حبل الوريد ، وليسوا بحاجة الى أن يتقربوا بها اليه ، فهى تبعدهم عنه سبحانه ، فتراهم حولوا الكعبة من قبلة لعبادة الرحمن ومطاف يذكر حوله اسم الله ، الى بيت للأصنام ، ومطاف تذكر حوله أسماء الأوثان ٠

فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، كان أهم أغراض دينه القضاء على الشرك والوثنية وتوجيه البشر الى عبادة الواحد الصمد ٠

وقد استمر الرسول يجاهد فى سبيل ذلك حتى نصره على أهل مكة ، حماة الشرك فى الجزيرة العربية ، فى غزوة الفتح المبين ، سنة ثمان من الهجرة النبوية ٠

قضاء الاسلام على دولة الأوثان

ولما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة بعد أن دانت له ،

أمر أصحابه بتطهير الكعبة وما حولها من الأصنام ، فأخرجوها وحطموها ، وأخرجوا صورتين لابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وفى أيديهما الأزلام ، فقال صلى الله عليه وسلم : « قاتلهم الله . لقد علموا ما استقسما بهما قط » ونادى منادى الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما الا كسره ، وأرسل خالد بن الوليد الى شجرة العزى فقطعها وهدم بيتها ، وكانت معبودة قريش وبنى كنانة ، وكانت أعظم آلهتهم فى نظرهم ، ثم بعث عمرو ابن العاص فى سرية الى سواع فحطمه ، وكان معبود هذيل ، ثم بعث سعد بن زيد بن عبد الأشهل الى مناة معبودة الأوس والخزرج وغسان وغيرهم فهدمها ، الى غير ذلك .

وبالقضاء على عبادة الأوثان بمكة وما حولها ، سقطت دولة الشرك فى جميع البلاد العربية ، لأنها كانت معقل الوثنية فيها ، والمركز الأول لقداستها عندهم .

الكعبة أول بيت وضع للناس

كانت الكعبة أول مبنى أمر الله بانشائه ليتجه الناس اليه حين عبادتهم لله رب العالمين ، ولما زعمت اليهود أن بيت المقدس هو أول بيت أنشىء لذلك ، كذبهم الله فأنزل قوله تعالى **« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين »** ودلل على كونه أول بيت وضع للناس بأدلة ثلاثة ذكرها فى قوله **« فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »** .

فمقام ابراهيم هو المكان الذى كان يقوم فيه للصلاة ، وهو الآية الأولى على كون هذا البيت بناه ابراهيم عليه السلام ، فان الناس قد توارثوا هذه التسمية خلفا عن سلف ، وهى تدل على أن ابراهيم كان يقوم للصلاة فيه أثناء بنائه للكعبة أو أثناء زيارته لاسماعيل وأهله .

والآية الثانية أن من دخله كان آمنا ، وذلك من شرع ابراهيم ، توارثه العرب عنه جيلا بعد جيل ، فقد صار ملاذا للخائفين منذ انشائه وجعل هذا الحكم من سماته ، فاذا أقام خائف فى رحابه أمن على نفسه من أعدائه ، ولو كانت بينه وبينهم دماء وترات ، وفى ذلك يقول الله تعالى **« أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم »** •

والآية الثالثة أن الناس يحجون اليه استجابة لأذان ابراهيم ، فتلك آيات بينات على أن الكعبة أول بيت وضع للناس وليس بيت المقدس ، فانها شاهدة بأن منشئه هو ابراهيم عليه السلام ، وابراهيم لم يبن بيت المقدس ، بل أنشأه حفيده سليمان ، وبينهما زمن طويل •

حكمة استقبال الكعبة

قد يقول قائل ان استقبال قبلة معينة أثناء العبادة ، ربما يشعر أن المولى سبحانه مقيم فيها ، فلذا يتجه الناس اليها ، مع أنه تعالى مكون الأكوان ، فهو أجل وأعظم من أن يكون له مكان فكيف يحل فى هذا الحيز الصغير ، والحيز عليه محال **« ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »** وفى حديث « كان الله ولا شىء معه وكان عرشه على الماء » فالله موجود قبل خلقه المكان والأحياز ، فيستحيل عليه المكان ، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك •

وجواب هذا السؤال أن اتخاذ القبلة ليس المقصود منه أن يواجه المصلى ذات ربه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، بل المقصود منه توحيد مظهر العبادة من أهل الملة الواحدة ، فكما اتحدوا فى عقيدتهم وأقوالهم وأفعالهم أثناء عبادتهم ، يتحدون فى قبلتهم أثناء أدائها ، حتى يتميزوا عن سواهم من أهل الباطل ، وحتى تتميز عاداتهم عن عبادتهم •

ومن الامور المقررة فى الأديان السماوية قبل أن يلحقها التبديل والتحريف أن الله أجل وأعظم من

أن يحل فى مكان ، فانه ليس بحاجة الى مكان .

فعلى كل متدين حين يستقبل القبلة أن يشعر بهذا المبدأ وأن يجعله مسيطرا على عقيدته ، فلا ايمان بدون تنزيه الله عن الزمان وعن المكان ، وليعلم المؤمن أنه تعالى موجود بعلمه فى كل مكان يتجهون غيه اليه ، وهذا هو المعنى المقصود بقوله تعالى « **فأينما تولوا فثم وجه الله** » .

فضل الحج وأسراره

دعا الله تعالى عباده الى حج بيته الحرام ، وأعد لهم مائدة يختلفون اليها ، هى مائدة الغفران والرحمة ، والثواب الجزيل على ما بذلوا من جهد ومال ، فى سبيل تلبية هذه الدعوة المباركة .

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** » .

وبسندهما عن أبى هريرة أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » وأخرج البزار بسنده عن أبى هريرة أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأتوه ، وسألوه فأعطاهم » .

وبما أنه تعالى صاحب الضيافة وأنت لا تراه ، فلهذا تطوف ببيت ضيافته لك ، كما يفعل المحب الهائم ، حول المحبوب الذى يرى نعمه ولا يرى ذاته .

وأنت فى طوافك لا تعظم البيت تعظيم المشركين ، بل تعظيم رب البيت الذى لا تراه ، اذ تقول وأنت به تطوف : سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وتدعو الله بما شئت ، وبهذا تحول طواف الشرك وتقديس الأوثان ، الى طواف التوحيد وتقديس رب الأكوان .

وأنت حين تستلم الحجر الأسود وتقبله ، و لاتجعل منه شريكا لله تعالى ــ كما كان

المشركون يصنعون ، بل أنت تعبر بذاك عن أشواق القلب ، وعظيم الحب لله الذى لا تراه ، ولهذا تقول حين أستلامه : اللهم ايمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك ، وبهذا الذكر النظيف ، تحولت هذه المناسك وغيرها من الوثنية العارضة الى التوحيد النظيف الذى كانت عليه شريعة ابراهيم جد الأنبياء — عليه وعليهم السلام —

ولقد أكثر الله تعالى فى سورة الحج من التحذير من الشرك ، وحسبك قوله تعالى فيها ، « **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق** » .

ومن حكم الحج وأسراره أنه يجمع وفود أهل الأرض على توحيد الله تعالى ، وأن يكون موسما لتبادل الرأى فيما ينفع المسلمين فى دينهم ودنياهم ، ويقيهم شرور أعدائهم ويؤكد الوحدة الدينية والفكرية التى تجمعهم ، ويزيل أسباب الفرقة بينهم ، ولهذا ذكر الله تعالى من حكم تشريعه أن يشهدوا منافع لهم ، الى غير ذلك من الحكم والأسرار ولو أمكن استغلال الحج كما أراده الاسلام ، لكان سببا فى عزة المسلمين ومنعتهم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

مصطفى محمد الحديدى الطير

تعقيب ورد على التعقيب

الشعر المملوكي مرآة عصره

للأستاذ السيد حسن قرون

فى عدد رمضان سنة ١٤٠٠ هـ من مجلة الأزهر أثناء تفسير قوله تعالى «فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب» قال فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الطير فى دراساته القرآنية (وزعم بعض قدامى المفسرين فى تفسيره أن الماء الدافق يخرج من بين صلب الرجل — وهو عظام ظهره — وترائب المرأة — وهى عظام صدرها — ونسبوا هذا التأويل الى ابن عباس ، وهذا غير صحيح نقلا ولا موضوعا ..) الخ

تعقيب العقيد

وعقب على ذلك العقيد عبد الفتاح الزهيرى (بالمعاش) فقال : ان العلم والطب الحديث أثبت أن الغدة التناسلية فى الانسان بين الصلب والترائب ، أى بين عظام ظهره وعظام صدره، فقد رأى الأطباء بأجهزة الأشعة ، أن خصيتى الجنين موجودتان خلف الكليتين فى مكان يقع بين عظام السلسلة الفقرية للظهر ، والضلعين الحادى عشر والثانى عشر من عظام الصدر ، وذلك فى الشهر الثانى لوجود الجنين فى الرحم ، ثم تترك الغدة التناسلية هذا الموضع وتتدلى لتأخذ مكانها العادى فى الصفن — وهو جلد الخصيتين فى الشهر التاسع للحمل .. ثم قال : وكذلك توجد الغدة التناسلية (المبيضان) للمرأة فى هذا المكان عندما يكون

الجنين فى الشهر الثانى فى الرحم ، ثم تأخذ مكانها الطبيعى فى الشهر (التاسع ..) الى آخر ما قال .
(عقيد : عبد الفتاح الزهيرى)

رد فضيلة الشيخ مصطفى الطير :

لا شك أن السيد العقيد لم يتأن فى قراءة ما كتبناه فى هذا الموضوع الذى أخذ حقه من العناية الدقيقة علميا وطبيا ، ولذا كان كلامه فى واد ، وكلامنا فى واد آخر ، فنحن لم نتعرض لتكوين الغدة الجنسية وموضعها من الجنين فى رحم أمه ذكرا كان أو أنثى،سواء صح ماقاله العقيد بشأنها أم لم يصح ، وانما تعرضنا لقول القائلين ان المنى يخرج من بين صلب الرجل دون ترائبه وترائب المرأة دون صلبها وزعمهم أن ذلك رأى ابن عباس ، فقد قلنا ان ذلك لم يصح نقلا — لأنه عديم السند — ولم يصح موضوعا ، لأن القرآن الكريم لم يقل يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ، حتى يصح ماقالوا، بل قال « يخرج من بين الصلب والترائب » أى يخرج الماء الدافق من بين صلب الرجل وترائبه ، وكذا من بين صلب المرأة وترائبها أيضا ، ونقلنا رأى ابن عباس الذى رواه عنه مكى فى ص ١٠٦٥ من المجلة ، فى آخر العمود الأول منها ، وهو يخالف النقل السابق الذى رفضناه .. حيث قلنا : (وكأن ابن عباس كان يعيش بيننا فى عصر الحقائق العلمية ، حيث حمل الترائب على أطراف الانسان وعينيه — كما نقله عنه مكى — وروى الحسن عن قتادة:يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبها — وهذا المعنى هو الذى رأينا الأخذ به) هذا نص كلامنا فى الموضع المذكور .

وليس المقصود المعنى الحرفى للنص القرآنى ، فان الماء الدافق لا يخرج من بينهما حقيقة وانما يخرج من الخصيتين فى الرجل ، والمبيضين فى المرأة (١)،بل المقصود أنه يخرج من جميع أجزاء البدن فان النطفة سلالة من الدم انتهت الى الخصيتين والمبيضين أثناء

---

(١) وموضع كل منهما معروف

الانفعال الجنسى الذى يثير الجسد كله ، ولهذا يشبه الولد أبويه فى خصائصهما الجسدية والخلقية .

وفى هذا المعنى قلت فى العمود الأول من ص ١٠٦٥ (وقد عبر الله عن خروج المنى من الجسد كله بخروجه من بين الصلب والترائب على سبيل الكناية — كما قلنا — لأن الترائب أطراف البدن كما جاء فى القاموس ، والصلب موضع العصب النازل من الدماغ ، ومنه تتوزع الشعيرات العصبية على جميع الجسد ، وله دخل عظيم فى نقل ايحاءات المخ الى الدورة الدموية ، فهو الذى ينقل الاحساس بالشهوة اليها فيثيرها ، وتتنزل سلالة من الدم الثائر الى الأنثيين والمبيضين، فيتحول فيهما الى منى ..) الى آخر ما قلناه .

ثم ماشأن موضع الخصيتين أو المبيضين من الجنين فى الشهر الثانى ثم فى الشهر التاسع بالنسبة لشرح الآية الكريمة ، فهل الجنين يخرج منه ماء دافق من بين صلبه وترائبه فى بطن أمه،أم أن النص القرآنى خاص بالازدواج الجنسى للبالغين ، فماوجه تعرضك لموضوع خارج عن البحث ، لهذا أنصح الاخ الفاضل بأن يعود الى قراءة المقال ، فسيجد فيه ضالة الحق التى ينشدها المتريثون ، وأنى أشكر سيادته على ماجاء بخطابه من ثناء على ماأقدمه للقراء من بحوث أرجو أن يتقبلها الله ويرضى عنها ، والله الموفق .

أسرة المجلة

المقالات التى لا تنشر لا تلتزم ادارة المجلة بردها .

فقيد الأزهر
رجل العلم والدين
الدكتور أحمد الشرباصى ١٩١٩ - ١٩٨٠

للأستاذ السيد حسن قرون

فى صبيحة الجمعة وفى العاشرة والربع من اليوم الخامس من شوال ١٤٠٠ هـ الموافق الخامس عشر من أغسطس ١٩٨٠ م شيعت جنازة فضيلة الدكتور الشيخ أحمد الشرباصى من الجامع الازهر بعد الصلاة عليه فشيعنا بتشييعه علما من أعلام الأزهر ، ورائدا فى الفكر الاسلامى ، وكاتبا عبقريا ، وخطيبا بارعا ، ومتحدثا شائقا فى المجالس والأندية والاذاعة المرئية والمسموعة ، ومؤلفا له أسلوبه المتميز ومنهجه العلمى ، ووفاؤه للكلمة • عرفته مذ جاء من معهد الزقازيق ليكون طالبا مستجدا بكلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٩ وقد جاء يحمل مؤلفاته «بين عهدين » وكأنه جاء من مسقط رأسه « البجلات » من أعمال محافظة دمياط ليجعل من كل مكان فى الوطن العربى والعالم الاسلامى مسقطا لكلماته ومقالاته ومؤلفاته•

كان طموحا مشغوفا بطلب العلم مقبلا عليه راغبا فيه ، متحركا لا يهدأ ، منطلقا لا يستريح ، ان القاهرة المعزية على طولها وعرضها لم تشبع نهم الشيخ الصغير ، انه طموح جموح — ان صح التعبير ، فهو فى الدرس نجم الفصل يعب ما يلقى عبا ، دائم السؤال ان غم عليه شىء منه ، وفى خارج الفصل تراه فى مسالك المدينة يبتغى ندوة أو حفلا يشارك ويحاور ويخطب ، وفى المسجد تجده الشيخ الذى له مريدوه وسامعوه يتطلعون اليه ويلتفون حوله ، فاذا آوى الى

منزله عاش مع كتب العلم والأدب لا يترك شـاردة ولا واردة الا أمسكها وعانقها وجعلها دليله الى هـدفه .

وقد أتيح له النشر من صـغره فنشر فى السياسة الأسبوعية وغيرها حتى التقى بأستاذه الشيخ محمود خليفة ، وعن صلته به كتب فى مجلة « الاسـلام » الأسبوعية التى كان يصـدرها آل خليـفة : عبد الرحمن وعبد الفتاح ومحمود خليفة ، والأخير مهد له السـبيل ليعتلى المنابر ويخطب فى المساجد ، فكان ينيبه عنه ليخطب فى مسجد الشامية ، ومن هنا عرفته مساجد القـاهرة خطيبا لا يجـارى وكم سمعته يخطب فى مسجد الكخيـا والناس يعجبون به ويأخذون عنه، وقد حباه الله طلاقة لسان وقـوة حجة وبيان ، ينبعان من ايمـان راسـخ ، ويقـين لا يتزعـزع . وبجانب ذلك ينشر فصـولا فى الأدب فى الصحف والمجلات كـل هذا وما زال طالبا ، وطالبا متفوقا الأول فى جميع سـنوات الكلية ، وتخرج فى كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٥ وكان الأول ، والأول الذى يقام له حفل فى قصر رأس التين مع أوائل الجامعـات والأول على الأوائل لان الأزهر لقدمه يقـدم على الجامعات الأخرى .. وقـد تحدث عن هـذا اليوم فى هـلال أغسطس ١٩٧٦ قال : « معنى هذا أنى سأكون أول من يصافح الملك» وسأله شـيخه عميـد كلية اللغة العربية فى ذلك الوقت الشـيخ الجبالى : هل تعرف طريقة السلام على الملك؟ وهل هناك طريقة خاصة؟ ذهل الشيخ وهتف .. ياخبر أسود يجب أن تقبـل يـده . يقـول الشرباصى : لـكنى صرت مـن أصحاب الفضيلة فكيف أقبل يـد انسـان ؟ ولم تعجب الشـيخ فلسفته ، فأمره بتنفيذ ما أشار به اليه ، وطمأنه الشرباصى فهدأ قليلا ولكنه عاد يقول : لاتنسى تقبيل يد مولانا . ويروى فقيـدنا تمـام القصة على حسب ما جرى : «كان الواقف خلفى مـن طابور الأوائل الزميل محمـد السيد بكر ، وانتهز الزميل غفلة من الشيخ وهمس لى من خلفى ماذا ستصـنع ؟ وعاد

الشيخ يقول : لا تنس يد مولانا .

وجاءت الاشارة بالتقدم الى مصافحة الملك الذى كان يقف على مرتفع خشبى ، الى جانبه الشيخ المراغى وتقدم الشيخ الجبالى بثيابه الفضفاضة ونطق باسمى ودرجتى العلمية .

وببساطة تقدمت مرفوع الرأس وسلمت على الملك يدا بيد وقد غرق الشيخ فى ذهوله وقد أعجب الشيخ المراغى بموقفه فقال له : « أرجو أن تكون عالما عزيزا كما كنت طالبا موفقا . »

ولم يدر الشيخ أنه قد أهل نفسه ليكون أعلى درجة من تلك الدرجة التى دفعته الى مصافحة الملك فجد حتى نال الماجستير ثم الدكتوراه ، ولكن هذه المؤهلات العلمية والتفوق فيها ليست هى كل الشيخ الشرباصى ، فالرجل منذ حفظ القرآن وتأدب بآدابه جعل ينظر الى الاسلام وأهله نظرة المسئول عنه ، فكان أن تجرأ لنشر مفاهيم القرآن ، يكتب ويؤلف ويخطب ويذيع ، ألا تراه يقول : ان أستاذى الأول والأعلى هو القرآن الكريم . كان القرآن أول كتاب فى الوجود فتق لسانى وعلمه كيف ينطق الحرف الصحيح من مخرجه مضبوطا ، والكلمة الفصيحة محكمة .. وعلمنى الطريقة الى الحفظ . لقد حفظ القرآن قبل أن يبلغ الحادية عشرة من عمره ، لذا تراه ضنينا عليه ، يعاود حفظه ، ويتأمل معناه ، ويتخذ منه سبيله الى اللفظة النافعة والكلمة التى تمس القلوب .

وكنا نظنه من تلاميذ الدكتور زكى مبارك فى الأدب ، لأنه كان معنيا بأدبه ولا سيما كتاب «النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى » ثم تكشفت لنا الأمور عن انسان بعيد المرامى يقبل على كل أديب ، وينهل من كل كتاب ويمزج القديم بالحديث فيخرجه أدبا رائعا ، وبحثا كثير المعانى حلو الألفاظ ، ورأيناه يعنى بالأعلام ممن خدموا لغتهم ووقفوا أنفسهم على تعريف مميزات دينهم للناس . له مؤلفات عن خامس خلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز وعن أمير البيان شكيب

أرسلان ، وعـن رشيد رضـا ، وبجانب ذلك « موسوعة الفداء » ومنها : « الفداء فى الاسلام » ، « فدائيون فى تاريخ الاسلام » و « أبطال عقيدة وجهاد » و « بين الوفاء والفـداء » و « رجال صدقوا » وله كثير غير ما ذكرنا . وله مقالات فى مجلة الأزهر شائقة ورائقة .

وانك لتعجب لهذا الفاضل الذى له كل هذا النشاط فى التأليف كيف تسنى له القيـام بعمله أستاذا بكلية اللغة العربية ، وأمينا عاما لجمعيـات الشبان المسـلمين ، وعضـوا فى المجلس القـومى للخـدمات ؟

وقد فرح المسلمون حين تولى وظيفته بالشبان المسـلمين مع رئيسها العـام فضـيلة الشـيخ الباقـورى وأملوا خـيرا فى توجيهاتهما السديدة ، وترشـيد الرواد والقصاد للمعرفة الأصـيلة والأفكار الصـحيحة فى الافادة الدنيوية والأخروية .

وها هو ذا يسقط أحد الفرقدين وهـو الشـيخ الشرباصى ، فيعم الحزن ، ويعظم المصـاب ، وتكبر الفجيعة . أنا لا أرثيه ولا أبكيه فقد كان الفقيد يكره البكاء والرثاء فقد كان قوى الشعور بالحياة له فن فى ربط الدين بالحياة وربـط الحياة بالدين ليجعل المسلم راضيا بقضاء الله ، مدركا أن الحيـاة الأخرى خير وأبقى وفى هذا المجال أصـدر أكثر مـن كتاب مثـل : « الدين للحياة » و « بين الـدين والدنيا » و « يسألونك فى الدين والحياة » و « توجيهات الرسول للحياة والأحياء » .

ومقالاته لا تقل أثرا عن كتبه ، وانها لغزيرة المادة ، طيبة الأداء ، فحبذا لو جمعناها من مظانها لتكون مرجعا للكبار ونموذجا للشـباب ، ونبراسا للشداة .

نعم غاب نجمنا المفضـل ولكن آثاره وأخباره خليقة أن تجعله بيننا معلما ومرشـدا ورائدا فى الخـير والحب والجمال والوفاء . رحمه الله وأدخله فسيحات جناته بمقدار ما أدى وأسدى .

السيد حسن قرون

الشرباصى فى سطور

ولد أحمد الشرباصى بالبجلات عام ١٩١٩ حفظ القرآن وتعلم فى المدرسة الالزامية بالقرية

طلب العلم فى المرحلة الابتدائية بمعهد دمياط

وفى معهد الزقازيق الثانوى أمضى سنوات الدراسة به وكان كشافا يقوم بالرحلات الكشفية .

دخل كلية اللغة العربية عام ١٩٣٩ وتخرج فيها عام ١٩٤٥

آخر مؤهل دراسى الدكتوراه

قام بالتدريس بالمعاهد ثم فى كلية اللغة العربية

من المناصب العامة التى تولاها

الامين العام لجمعيات الشبان المسلمين .

من حبه للمعرفة تبرع بمكافأة الأولية للشهادة العالية عام ١٩٤٣ بمبلغ المكافأة وهو عشرون جنيها لانشاء مجلة كلية اللغة العربية .

توفى رحمه الله فى ١٤/أغسطس ودفن فى اليوم التالى ١٥/٨/١٩٨٠ م

أسرة المجلة تنعى فقيد الأزهر والاسلام وتسأل الله له الرحمة وأن يسكنه فسيح جناته انه سميع مجيب .

أهل الذمة وواجباتهم فى بلاد الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

أشرنا من قبل الى الواجب الأول : الواجبات المالية واليوم نتحدث عن الواجب الثانى .

التزام الذميين بأحكام القانون الاسلامى

لما كان الذميون بمقتضى عقد الذمة يحملون جنسية الدولة الاسلامية كان عليهم أن يتقيدوا بقوانينها التى لا تمس عقائدهم وحريتهم الدينية .

فليس عليهم أى تكليف من التكاليف التعبدية للمسلمين ، أو التى لها صبغة تعبدية ، أو دينية مثل الزكاة التى تجمع بين الضريبة والعبادة — ومثل الجهاد الذى هو خدمة عسكرية وفريضة اسلامية — — ومن أجل ذلك قرر الاسلام عليهم الجزية بدلا من الجهاد والزكاة — رعاية لشعورهم أن يفرض عليهم ما هو من عبادات الاسلام .

وفى أحوالهم الشخصية والاجتماعية لا يتعرض الاسلام لهم فيما يرونه مباحا فى ملتهم ، (وان كان قد حرمه الاسلام) كما فى الزواج والطلاق والميراث وأكل لحم الخنزير .

فاليهودى الذى يتزوج بنت أخيه ، والنصرانى الذى يأكل الخنزير ، والمجوسى الذى يتزوج

احدى محارمه ، لا يتدخل الاسلام فى شئونهم هذه ماداموا يعتقدون حلها ، لكن اذا طلبوا الاحتكام الى شرع المسلمين فى هذه الأمور حكمنا فيهم بحكم الاسلام تطبيقا لقوله تعالى : **(وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك)** سورة المائدة ٤٩ — ومن هنا كان لأهل الذمة محاكمهم الخاصة يحتكمون اليها وان شاءوا لجأوا الى القضاء الاسلامى ، وفى ذلك يقول المؤرخ النصرانى الغربى آدم ميتز فى كتابه : — (الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى) لما كان الشرع الاسلامى خاصا بالمسلمين فقد خلت الدولة الاسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم — وقد كانت محاكم كنسية ، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضا — وقد كتبوا كثيرا من كتب القانون ، ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج ، بل كانت تشمل الى جانب ذلك مسائل الميراث ، وأكثر المنازعات التى تخص المسيحيين وحدهم ، مما لا شأن للدولة الاسلامية به ، على أنه كان يجوز للذمى أن يلجأ الى المحاكم الاسلامية ، — ولم تكن الكنائس بطبيعة الحال تنظر الى ذلك بعين الرضا — أما فى بلاد الأندلس فكان النصارى يفصلون فى خصوماتهم بأنفسهم وأنهم لم يكونوا يلجأون للقاضى المسلم الا فى مسائل القتل ، هذا كله — يشير الى مدى سماحة الاسلام ، وتنازل المسلمين عن شىء من سلطة دولتهم القضائية على كافة رعاياها للمسيحيين وقتئذ ، لكن كقاعدة عامة فانه من المسلم به فيما عدا مسائل الأحوال الشخصية يلزم الذميون أن يتقيدوا بأحكام الشريعة الاسلامية فى الدماء ، والأموال والأعراض ، أى فى نواحى القوانين المدنية ، والتجارية والجنائية ، ونحوها شأنهم فى ذلك شأن المسلمين •

فكل ما جاز من بيوع المسلمين وعقودهم جاز من بيوع أهل الذمة

وعقودهم ، وما يفسد منها عند المسلمين يفسد عند الذميين ، خصوصا عقود الربا فلا يقرون عليها مهما كانت الأحوال .

أما بالنسبة للجرائم التى يرتكبها الذميون ، فان القانون الجنائى الاسلامى هو الواجب التطبيق عليهم — ومن هذه الجرائم جريمة قطع الطريق ، فيعاقبون عليها بالعقوبات المقررة لهذه الجريمة ، فيقتل الذمى أو يصلب اذا قتل وأخذ المال — ويقتل بلا صلب اذا قتل ولم يأخذ مالا وتقطع يده ورجله من خلاف اذا أخذ المال ولم يقتل — وينفى من الأرض اذا أخاف الناس فقط فلم يقتل ولم يأخذ مالا ، وان كان هناك خلاف قليل بين فقهاء الاسلام فى بعض جزئيات تلك العقوبات ، وهل ينتقض بهذه الجريمة عقد الذمة مع تفصيلات كثيرة يمكن الرجوع اليها فى كتب الفقهاء المختلفة عن هذه الجريمة ، وعن جريمة الزنا وكذا جرائم الاعتداء على النفس وجرائم الاعتداء على ما دون النفس ، كقطع اليد والرجل واتلاف السمع والبصر ، واحداث الجراحات فى الرأس والوجه أو احداثها فى سائر البدن ، وأيضا جرائم الاعتداء على الأموال .

أما جريمة شرب الخمر فان الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة يستثنون الذميين من عقوبة شرب الخمر ، لأنهم لا يؤمنون بحرمتها ، وذهب علماء الظاهر الى وجوب تطبيق عقوبة شرب الخمر على شاربيها مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، وعند الشيعة الامامية يحدون اذا تظاهروا بشرب الخمر ، وعند الزيدية يحدون اذا سكروا لتحريم السكر عليهم — ويرى الحسن بن زياد وهو من تلاميذ الامام أبى حنيفة أنهم يحدون اذا شربوا وسكروا لأجل السكر لا لأجل الشرب .

حكم مواريث الذميين فى الوقت الحاضر ببلادنا المصرية

تخضع مواريث جميع المصريين حاليا من مسلمين وغير مسلمين لقانون المواريث رقم ١٩٤٣/٧٧

أما تعيين الورثة وتحديد أنصبائهم فتسرى فى شأنها أحكام الشريعة الاسلامية ، وذلك طبقا لنص المادة ٨٧٥ من القانون المدنى والتى تنص على ان (تعيين الورثة وتحديد أنصبائهم فى الارث وانتقال أموال التركة اليهم تسرى فى شأنها أحكام الشريعة الاسلامية ، والقوانين الصادرة فى شأنها) وجاء فى المذكرة الايضاحية لهذه المادة أن المشرع حسم بهذا النص الخلاف القائم فى أمرين جوهريين فى الميراث — فقضى بأن الشريعة الاسلامية هى التى تطبق فى ميراث المصريين حتى ولو كانوا غير مسلمين ، حتى لو اتفقوا جميعا على تطبيق قانون ملتهم .

الواجب الثالث : احترام شعائر المسلمين ومشاعرهم

على الذميين وهم يعيشون فى حماية الدولة الاسلامية التى تظلهم بحمايتها ورعايتها أن يراعوا شعور المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم ، ولايحملوا على جرح مشاعرهم .

١ — فليس لهم أن يروجوا علنا من العقائد والأفكار ما ينافى عقيدة الدولة الاسلامية ودينها ، سواء بالطبع أو بالنشر أو ما شابه ذلك .

٢ — ولا يجوز لهم أن يسبوا الاسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يطعنوا فى القرآن الكريم جهرة .

٣ — ولا يجوز لهم أن يتظاهروا بشرب الخمور ، وأكل الخنازير — ونحو ذلك مما يحرم فى دين الاسلام — كما لا يجوز أن يبيعوها لأفراد المسلمين — لما فى ذلك من افساد للمجتمع الاسلامى .

٤ — وعليهم الا يظهروا الأكل والشرب فى نهار رمضان ، مراعاة لعواطف المسلمين .

٥ — وليس لهم أن يدقوا نواقيسهم بلا داع أو مبرر فى وقت أداء صلاة الجمعة عند المسلمين وأعيادهم أو غيرها من الصلوات الخمس .

٦ ــ وعليهم ألا يظهـــــروا الشماتة والفرح بنكبات المسلمين ؛ كما حدث من يهود المغرب بعـــد هزيمة العرب وســـــقوط مدينـــة القدس فى ٥ يونيه سنة ١٩٦٧ ؛ فلقد قام يهود المغرب باظهــــار فرحهم وتعليق الزينـــات والأنوار على منـــازلهم ومحـــال اعمـــالهم وتجارتهم •

٧ ــ وليس لهم أن يتصـــلوا بأعداء المسلمين والانضمام اليهم ، أو التخـــابر معهم أو مراســـلتهم لا فى وقت السلام ، ولا فى وقت الحرب كما حدث من نصارى بلاد الشام ، اذ انضموا الى التتار ضد مواطنيهم المسلمين •

٨ ــ وكل ما يراه الاســـــلام منكرا فى حق أبنائه ــ وهو مباح فى دينهم فعليهم ــ ان فعلوه ــ ألا يعلنوا به ولا يظهروا فى صورة المتحدى لجماهير المسلمين ، حتى تعيش عنـــاصر المجتمع كلهـــا فى سلام ووئام •

أورد الطبـــرانى فى مجمـــــع الزوائد عن عرفة بن الحـــارث ــ وكانت له صحبة مع النبى صلى صلى الله عليه وسلم ــ وقاتـــل مع عكرمة بن أبى جهل باليمن فى حروب الردة ، أنه دعا نصرانيـــا الى الاسلام فذكر النصرانى النبى صلى الله عليه وســـــلم فتنـــاوله (أى بسوء القول) فرفع ذلك الى عمرو بن العاص فقال عمرو قـــد اعطيناهم العهـــد ــ فقـــال عرفة معـــاذ الله أن نكـــون أعطينـــاهم العهـــود والمواثيـــــق على أن يؤذونا فى الله ورسوله ، انمـــــا أعطيناهم على أن نخلى بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم وألا نحملهم مالا طاقة لهم به ــ وأن نقاتل من ورائهم ــ وأن نخلى بينهم وبين أحكامهم الا أن يأتونا فنحكم بينهم بما أنزل الله فقـــال عمرو صدقت •

وبعـــد

فهـــذه هى حقـــــوق الذميين وواجباتهم فى بلاد الاســــــلام تقررت مـــن شريعة الاســـــلام الخالدة تلـــك الشريعة التى قامت عـــلى أســـاس القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وكلاهما

وحى من الله تعالى • هى شريعة عامة لجميع البشر شاملة لجميع شئونهم وأحوالهم ، خالدة خلود الزمان لا يلحقها نسخ ولا تبديل، لأنها خاتمة شرائع السماء ، وصالحة لكل زمان ومكان ، لأن الله تعالى حفظها بقيامها على دعائم ثابتة لا تميل الى باطل أو انحراف •

فمبادئها ربانية الأصول ، دينية الصبغة ، ولهذا وجدت من التبول والاستجابة السريعة بين البشر ما لم تجده أى شريعة أخرى ، هى لا تضيق بحاجات الناس ، وما يستجد من أمورهم وأحوالهم وغايتها ايصال الناس الى سعادتهم فى الدنيا والآخرة — وقد كان لأحكام الشريعة الاسلامية السيادة فى التطبيق قرونا فى الماضى عديدة فما وجد الناس فى ذلك الزمان حاجة الى استيراد تشريع بدلا منها ، ولا حتى ضيقا فى تطبيقها •

ولما أصاب المسلمين ما أصابهم من ضعف ، وصارت الكلمة عليهم للحاقدين والمستعمرين من أعداء الاسلام ، هجروا شريعة الاسلام هجرا غير جميل ، ودفعوا الى الأخذ والاستعاضة عنها بتشريعات وضعية غربية ، (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وفاتهم أنهم يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وأن فعلهم هذا لا يجوز فى شرع الاسلام لأن الله جلت كلماته حذر المسلمين من الالتجاء الى غير شريعته ، والاستعانة أو الاستعاضة بغير حكمه ، فيقول : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** سورة المائدة ٤٤ **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)** سورة المائدة ٤٥ **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)** سورة المائدة ٤٧ • لكن مع هذا كله فهناك آمال كبار فى رجعة المسلمين الى أحكام شريعتهم ، ونبذ كل ما يخالفها من قوانين ، لأن الحق لابد أن يعلو ، وأن المسلمين لابد وأن يستيقظوا ، ويدركوا مدى خسارتهم فى ترك شريعتهم ، ومدى تفريطهم فى عدم الالتفات اليها ، ومما يشجع على هذا الأمل ان لم يكن قد

تحقق فعلا ما حدث فى جمهوريتنا المصرية أخيرا من استفتاء بتاريخ ٧ رجب سنة ١٤٠٠ هـ ـــ ٢٢ مايو سنة ١٩٨٠ م ، فلقد وافق الشعب المصرى المسلم بأغلبية ساحقة بلغت ٩٦ ر ٩٨ ٪ وأعلنت الجماهير المسلمة على اتساع أرض مصر ترحيبها وسعادتها للشريعة الاسلامية باعتبارها المصدر الرئيسى للتشريع •

وأهل العلم وفقهاء الاسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ، وليس فى مصر وحدها ، مدعوون اليوم الى مضاعفة الجهد فى التأليف والانتاج ، واستنباط الحلول الاسلامية لكل مشكلة أو معضلة مما استحدثته الحياة فى زماننا المعاصر ، فهم بهذا يؤدون واجبا نحو الاسلام ، ويقدمون خدمة جليلة لا للمسلمين فحسب بل للبشرية جمعاء ، لأن شريعة الاسلام قامت على أساس وحى الله ، والله أعلم بما يصلح لعباده يقول الله تعالى : **(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** سورة الملك ١٤ •

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

الى السادة الراغبين فى الاشتراك بالمجلة الاتصال بتوزيع الأخبار فى بلادهم •

شاعر فى خدمة الإسلام
محمد إقبال منشئ باكستان

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

فى مقال سابق عرضت كتاب « روائع اقبال » للكاتب الاسلامى الكبير العلامة أبى الحسن الندوى ـ حفظه الله وأطال حياته ذخرا للاسلام ـ وقد احتوى هذا العرض قبسات من حياة الشاعر الاسلامى العظيم « محمد اقبال » الذى وقف فكره وشعره وحياته على خدمة الاسلام ، ولفظ أنفاسه الاخيرة وهو يهتف باسمه .

فكان من الحق له أن نقدمه للقراء الكرام فى هذه السطور ، وفاء له وتكريما لجهاده ، وشعلة مضيئة أمام كتابنا وأدبائنا وشعرائنا ، ليضعوا أقلامهم ومواهبهم فى خدمة هذا الدين العظيم ، الذى شرفنا الله به ، وهدانا اليه ، وجعلنا به من خير أمة أخرجت للناس ، ومرجعى فى هذا التقديم بعض المصادر من بينها : «الشعر فى موكب الدعوة» للدكتور صادق عبد الحليم وغيره من المراجع المشار اليها فى الموضوع .

مولده ونشأته :

ولد محمد اقبال فى « سيالكوت » بالهند فى فبراير سنة ١٨٧٣ م فى أسرة عريقة فى الاسلام ، واشتهرت بعمق الايمان، وكان أبوه صالحا تقيا ، تلقى ابنه على يديه مبادىء التعليم ، قبل أن يدخله مكتبا لتحفيظ القرآن الكريم وتعلمه ، وحين كبر قليلا اصطحبه الأب الى صديق له ضليع فى الادب الفارسى ، ومتقن للغة العربية ، وطلب اليه أن يعلمه

الدين الاسلامى ، ويعمقه فيه بدلا من أن يتعلمه فى المدرسة ، ذلك أن القسط الذى يتضمنه منهج المدرسة غير واف بالقصد فى نظر الاب الصالح ، وهو يريد لولده أن يوفى على الغاية فى دراسته •

وهكذا كان للأب أثر كبير فى توجيه دراسة ابنه ، بالاضافة الى سلوك هذا الاب القويم ، وايمانه العميق الذى ترك أثره العظيم الواضح فى الابن •

قال له حين رآه يكثر من قراءة القرآن الكريم : ان أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك • وهى كلمة لها معناها تدل على منزلة الرجل فى الفهم واليقين •

وقال مرة لابنه وقد رآه ينهر سائلا : انظر يابنى الى شيبتى واضطرابى وقلقى ولا تقس على أبيك ، ولا تفضحه أمام مولاه ، انك كم فى غصن المصطفى فكن وردة من نسيم ربيعه ، وخذ من ربيعه نصيبا من الريح واللون ، لابد لك أن تظفر من خلقه بنصيب •

ولقد كان لاقبال استعداد تام لقبول تعاليم والده ومعلمه ، ولقد أعجب به أستاذه حين رأى نجابته وذكاءه ، واقباله على التعليم بغير كلل أو ملل ، فعنى به عناية فائقة ، وأقبل على تعليمه اللغة العربية واللغة الفارسية وآدابهما ، الى جانب تعليمه الدين الاسلامى •

موهبته الشعرية

وظهرت موهبته الشعرية مبكرة، وكان ينظم شعره فى أول أمره باللغة البنجابية فنصحه أستاذه أن ينظمه باللغة الاوروبية ، وكانت هى لغة الادب والكتاب ، وكانت سنه حين أنهى الدراسة فى الكلية الأسكونية سنة ١٨٩٥ م اثنين وعشرين عاما ، انتقل بعدها الى لاهور حيث التحق بكلية الحكومة ، وظل يتزود من العلم ، والثقافة محققا نبوغا عظيما فى اللغتين العربية والانجليزية ، بل أصبح أستاذا فى الفلسفة حاصلا على جوائز التفوق والتقدير فى مختلف المجالات •

وأسند اليه التدريس لمادة التاريخ والفلسفة فى الكلية الشرقية

بلاهور ، كما اختير لتدريس الفلسفة واللغة الانجليزية بكلية الحكومة التى تخرج فيها ، وقام بعدة رحلات الى الخارج ساعدت فى مضاعفة أفكاره وتنمية مواهبه وزيادة معلوماته ، وأسندت اليه مناصب مرموقة نجح فى أدائها كل النجاح .

قدومه الى مصر :

وزار الشاعر اقبال مصر سنة ١٩٣١ وهو فى طريقه الى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى المسجد الأقصى ، وقد احتفلت به جمعية الشبان المسلمين احتفالا مشهودا ، وكان لحفاوة اللقاء به أثر عظيم فى نفسه ، وثارت أحاسيس الوحدة الاسلامية التى كان يدعو اليها فى قلبه ، تلك الوحدة التى تربط بين المسلمين فى مختلف الأقطار على أختلاف جنسياتهم ولغاتهم برباط المحبة والوئام ، وأشعره مقامه فى القاهرة بأنه ليس غريبا فيها ، فالقاهرة وطن كل مسلم حيث تعمر بالقباب والمآذن التى تنطلق من فوقها صيحة الله أكبر فتتجاوب معها مشاعر المسلمين ، وتهتز لها جوانحهم لا فرق فى ذلك بين لسان ولسان .

لقد أحبت مصر بكل وجدانها هذا المفكر والشاعر الاسلامى العظيم ، حتى لقد حزنت لوفاته فى ابريل عام ١٩٣٨ حزنا شديدا ، وأقامت له حفل تأبين تناوب فيه الخطباء والشعراء الكلام يثنون فيه على جهوده ، ويمجدون كفاحه وجهاده، وكان مما قاله فيه الاستاذ عبد الوهاب عزام صديقه ومترجم بيانه « وقف قلب كبير كان يحاول أن يصوغ الامة الاسلامية من كل مأوعى التاريخ من مآثر الابطال وأعمال العظماء ، مات محمد اقبال الذى وهب عقله وقلبه للمسلمين والبشر أجمعين » .

اقبال والجامعة الاسلامية :

لقد كان اقبال عميق الايمان بحضارة الاسلام ، ظهر ذلك فى آرائه وأشعاره ، وتتجلى مثالية الاسلام عنده فى عصر الخلفاء الراشدين ــ رضوان الله عليهم ــ حيث ظهرت الديموقراطية الحقيقية

فى صورتها المثالية ، بعيدة عن المظاهر والشكليات ، ولذلك ازداد حماسه للدعوة للجامعة الاسلامية ، لأن تفكك المسلمين فى العصر الحاضر يحول دون تقدمهم ، ويعوقهم عن الوصول الى المثالية التى يدعو اليها الاسلام ، ويجعلهم فريسة لاحول لها فى براثن الاستعمار .

كما كان ينزع الى قيام دولة مستقلة فى الهند — هى التى ظهرت بسبب دعوته فى دولة باكستان — ولو أدى ذلك الى معارضة الهندوس والانجليز ، حيث كانت الهند فى ذلك الوقت تحت التاج البريطانى .

ولقد انتخب بالاجماع فى الجمعية التشريعية فى بنجاب، وكان لرئاسته للرابطة الاسلامية أثر كبير فى اذاعة آرائه التى صدرت عن شعور منه بالتبعة التى يحملها ، كما كانت أحوال المسلمين آنذاك فى الهند وما جاورها سيئة تثير مشاعر المؤمنين الغيورين على دينهم ، وفى مقدمة هؤلاء اقبال .

ولا حل فى نظره لمشاكل المسلمين الا الوحدة والترابط ، والاتحاد فى جامعة اسلامية متعاونة ، تقضى على روح التنافس والتباغض الذى تثيره العصبيات ، والجمعيات الكثيرة المتناحرة . كان ينظر الى الامور نظرة واقعية ، ويدرك بثاقب فكره أنه لا أمل فى وحدة كاملة بين المسلمين الا عن طريق التعاون أولا بين تلك الجمعيات ، الذى يكلل فى النهاية بالوحدة الكاملة ، ومن مأثوراته فى ذلك . « ان الفرق الاجتماعية والجماعات الدينية فى الهند لا تقبل التغاضى عن أشخاصها من أجل الوحدة الهندية حتى ينشأ لديها الشعور بوحدتها » .

آراء اقبال وفلسفته :

يقول صاحبا كتاب باكستان المعاصرة عن فلسفة اقبال : انها فلسفة كاملة مشرقة باسمه متفائلة، مستمدة من الاسلام . فلسفة كلها عمل وجهد وبناء ، تجمع بين وجود الذات وايمان القلب ، أولها الفرد وآخرها الجماعة ، وطريقها الجهد والحب ، وغايتها الدين .

ان هذه الفلسفة هى التى ينشدها

الاسلام ويعمل لها ، والقـــرآن الكريم يدعو المسلمين جميعا الى العمل ويحذرهم من الكسل ، قال تعالى : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » وفى ذلك احترام لفطرة الانسان ، وحسن استغلال لقدراته الممنوحة لـــه ، وطاقاته التى وهبها الله له ، ان الله ــ جلت قدرته ــ يمنـــح النصر للمجاهد والنجاح للمكافح المجد ، والثمار للمجتهد ، لقـــد خاض الاسلام ــ كما يقول صاحب كتاب واقعية المنهج القرآنى ــ معارك منتصرة لأن جنودها بذلوا أقصى جهودهم ، وخاض معـارك دون ذلك ، لان جنودها لم يحققوا شرط النصر فى أنفسهم .

ان فلسفة اقبال التى كان يدعولها ويتحدث عنها دائما فى أشعاره ، وخطبه وآرائه ، تقوم على عاملين هامين هما : بعث الايمان فى الفرد ليؤمن بذاته ،ووجوب تنشئته نشأة صالحة ليحقق الكمال فى المجتمع ، ثم العمل الجاد المثمر الذى يقضى على داء التواكل الذى ينخـــر فى جسم الامة الاسلامية ، كما يقضى على اليأس القاتل المميت ، الذى يسلم الى السلبية والنكوص ، ومن شعره فى ذلك الذى استشـــهد به مؤلفا كتاب باكستان المعاصرة وهما الاســـتاذان حمدى حافظ ومحمود الشرقاوى :

عش ســـاعة فى لجج البحـــار
ومت شـــهيد الموج والتيـــار
ولا تعش دهرك عيش الخامل
مقيدا بين صخور الســـــاحل

واقبال : يحق له أن يحتفـــل بهذه الدعوة ، لان الشرق بعامة اجتاحته فى القرون المتأخرة هـــذه الافة ، آفة التواكل والكســـل ، فأصابته فى الصميم ، وأقعدته عن التلفت الى تراثه القديم ، الذى يجب أن يستمد منه مقومات النهضة واليقظة ، التى تكفل له التقدم فى الحياة ، لقد غفل المسلمون عـــن حقائق دينهم ، وانساق بعضـــهم وراء الافهام الخاطئة ، ومن بينها أن التوكل معناه ترك العمـــل ، والعقود عـــن طلب الرزق ، حتى أصبح شغل المصلحين الشـــاغل تصحيح هذه المفهومات . ومن بين هؤلاء اقبال الذى نعى على بعض

الناس احترافهم التسول ، معطلين بذلك قدراتهم التى وهبها الله لهم، وقال فى ذلك :

أيها الجانى من الليث الخراج
صرت كالثعلب خبا باحتياج
ذلك الاعواز أصل العلك
كل أدوائك من ذا المعضل
من كنوز الدهر أخرج ما تريد
وخذ الصهباء من دن الوجود

فهو يدعو الى القوة والكفاح ، وينفر من وسائل الاحتيال التى يلجأ اليها المتسولون ، ان التسول فى رأيه مرض يسلب الافكار السامية ، ويطفىء الخيال الشريف، وبالسؤال يصبح الفقر أشد حقارة والفقير أشد فقرا ، انه يقول « مهما كنت فقيرا وبائسا وغارقا فى المحن ، فلا تطلب خبز يومك من احسان الناس ، اسأل الله الشجاعة وصارع القدر ، تعسا لمن يقبل منح الآخرين ، ويحنى رقبته للعطايا ، لقد باع شرفه بدرهم بخس، وسعدا للرجل الذى يقتله العطش فى الشمس ، ولايتوق للاكسير فى كوب ماء انه مازال رجلا وليس قطعة من طين .

فى الحب والتصوف :

واذا كان هذا هو رأى اقبال فى تحقيق ذاتية الانسان ، ودعوته الى العمل ليكمل نفسه ، فان رأيه فى الحب أنه هو الذى يطهره من الشهوة والانانية ، ويقوى هذه الذاتية ويدفعها الى الكمال . ويقول فى ذلك :

« كان وجودى تمثالا ناقصا لا قيمة له ولا ترتاح له العين
فأعمل الحب ازميله فيه فصرت رجلا
وكسبت المعرفة الحقة لطبيعة الكون والوجود ...
النقطة المثيرة التى تسمى الذات ، هى شرارة الحياة تحت التراب
جعلها الحب خالدة وأكثر حيوية واحتراما ووهجا
ومن الحب بدأ شعاع وجودها ، ونمو قدرتها المجهولة
وشرارة الحب المقدس تجعل القلب العذب شعلة من نور ، والقلب من حجر الصبابة .
يزدهى خصبا ، وينبت فيه نخل الطور . »

وما أشبه هـــذا الحب بحب الصوفية الذى يصهر أرواحهم فى بوتقته ، فينقى أرواحهم ويطهـر نفوسهم ، ويبرز حقيقتهـــم ، فتنكشف أمامهم حقائق الاشياء ، ويبصرون مالاعين رأت ، ويدركون مالا أذن سمعت ولا خطر عــلى قلب بشر •

لقد كان اقبال صوفيا •ورث ذلك عن أبيه ،واكتسبه من روحه الشفاف ولا شك أن يكون لذلك أثره الذى يحقق — كما يقول اقبال — معنى خلافة الانسان للـه فى الارض ، تحقيقا لقوله تعالى : **« انى جاعل فى الارض خليفة »** ولا يتـم ذلك الا اذا ربى الانســان ذاتــه عن طريق التمرس بقــوانين الدين ، والسير على تعاليمه واحياء الضمير، والوازع الدينى الذى يحيى ميزان المراقبة فى نفسه ، فبذلك يصــبح الانسان سيد الكائنات •

أثر اقبال :

لقد أثر اقبال بأفكاره هــذه فى نفوس المسلمين ، التى التقت مع ما يتوقون اليه ، من سمو ورفعة هم بها جديرون ، لان دينهم هـو مصدر السمو والرفعة ، ومنبـــع المجد والعظمة ، وقــد ألفت كتب كثيرة بالأردية والانجليـــزية فى سيرته وفلسفته ، وكتبت مقالات لا حصر لها فى فضله وأثره ، وأمـا آثاره فهى كثيرة ، تظهر فى دواوينه المتعددة ، التى كتبها باللغة الأردية والفارســية ، والتى عرض العلامة الندوى بعضها فى كتابه الذى سبق أن عرضته فى المقال السابق بعنوان « روائع اقبال » • وأشعاره تتضمن أفكاره وآراءه ، وقد صــاغها فى أساليب متعـــددة ، من بينها : الاسلوب القصــصى والتعليمى ، ومن بينها : الوصف والشعر الغنائى والوجدانى •

يقول فى قصيدة له يخاطب أمــة العرب ، وينعى عليها تصرفها مـع أنها أول أمة جاوزت حدود النسب والوطن ، وآخت بين النـــاس ، وهجرت كل غوى يتبع أبا لهب :

هل يسعد الكافر الهندى منطقه

مسائلا أمراء العــرب فى أدب من أمة قبل كل الناس قد أخذت

بحكمة فأعانتها على النـــوب
أخـــاء كل تقى دون تفرقـــة
وهجر كل غـــوى من أبى لهب
ما من حدود وأرض كان منشؤها
من أحمد العرب كانت أمة العرب

الشخصيات الاسلامية فى شعره :

ومن المعانى التى صاغ اقبـال حولها أشعاره الاسلامية ، غــير تلك المعانى التى أشرنا اليها ، تمجيد الشخصيات الاسلامية ، ومن ذلك قصيدته فى السيدة فاطمة الزهراء — رضى الله عنها — التى يقــول فيها :

نسب المسيح بنى لمريم ســيرة
بقيت على طـول المـدى ذكراها
والمجد يشرق من ثلاث مطالـع
فى مهد فاطمة فما أعلاهـــا
هى بنت من هى زوج من هى أم
من • من ذايدانى فى الفخار أباها ؟
هى ومضـــة من نور عين المصطفى
هادى الشعوب اذا تروم هواها

وفيها يقول :

لولا وقوف عند أمر المصــطفى
وحدود شرعته ونحن فداهـــا
لمضيت للتطواف حول ضريحهـــا
وغمرت بالقبلات طيب ثراها ••

ولعله من حسن الختام أن نعرض نموذجا آخر حول مطلع النور ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيه مترجما بقلم الشيخ صــاوى شعلان مترجم القصيدة السابقة :

« يا ثروة وجودنا وكنز أمانينا • سل ربك أن ينقذ حياتنا من الحرص على الحياة ، فان الخوف عـــلى ضياعها هو الموت قبل الممات •

« يا من هدمت أصــنام اللات والعزى ومناة ، وألقيت بها جذاذا على الثرى وجددت حياة الكائنات بعد البلى •

« فى طريق الذكر والفكر معــا
فى جميع الخلق من انس وجان
« أشرق النور فكنت المطلعـــا
ياصلاة الصبح يا صوت الأذان

« لقد وجدنا صفة الاحتراق ونعيم الأشواق من جذوة لا اله الا الله وانقشع ظلام لياليننا بنورها •

« لقد حررتنا بالسجود لله مــن السجود لمن عداه ، رأس مالنــا ذكراك التى حفظت لهذه الامة على رغم فقرها ثروة العزة والكرامة •

« أنت العلم الذى يهدى السالكين الى مقامات الصدق والمنار الذى يمد كل ركب فى طريق الحق ، ولكن معذرة اذا بدت قيثارتى خافتة الرنين ، فقد ثقل العزف على أوتارها ، وحتى لو انطلق منها النغم فلم تعد تجد سامعا أو مستجيبا ٠

« لو أن هذا المسلم تنبه الى قيمة نفسه لاستطاع أن يخلق فى هذا العالم دنيا جديدة يتبوأ منها حيث يشاء ٠

« يا صاحب الرسالة أيقظ هذا النائم ، وقل له : قم باذن الله لتبعث فى كيانه مرة أخرى روح الحياة » ٠

رحم الله الشاعر العظيم اقبال الذى طوف بشعره حول كثير من المعانى ، وكانت له أراؤه فى مختلف مناحى الحياة ، وتوجيهاته التربوية السليمة السديدة ، التى ظهر بعضها فى العرض السابق ، والتى كان لها أثرها المشرق العظيم ٠

لقد كان مسلما حقا ، يشهد بذلك أثره الخالد ، وذكراه العاطرة، وتاريخه المشرق ، لقد كانت آخر كلماته وهو يجود بنفسه ، « أنا لا أرهب الموت ٠ أنا مسلم أستقبل الموت راضيا مسرورا » ٠

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

أهداف سورة محمد صلى الله عليه وسلم

للدكتور عبد الله محمود شحاته

سورة محمد سورة مدنية وآياتها ٣٧ آية ، نزلت بعد سورة الحديد ولها اسمان : سورة محمد، وسورة القتال •

والقتال عنصر بارز فى السورة ، بل هو موضوعها الرئيسى ، فقد نزلت بعد غزوة بدر وقبل غزوة الاحزاب • أى فى الفترة الاولى من حياة المسلمين بالمدينة ، حيث كان المؤمنون يتعرضون لعنت المشركين ، وكيد المنافقين ، ودسائس اليهود •

عناصر السورة

يمكن ان نقسم سورة محمد الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : يحرض على قتال المشركين ويحث عليه ،ويشمل الآيات من ١ — ١٥ •

القسم الثانى يفضح المنافقين ويكشف نفاقهم ، ويشمل الايات من ١٦ — ٣٠ •

القسم الثالث : دعوة المسلمين الى مواصلة الجهاد بالنفس والمال من الآية ٣١ — ٣٨ •

١ — التحريض على قتال المشركين

تبدأ السورة بالهجوم على المشركين وتبين هلاكهم وضياعهم وضلالهم ، لقد سلب الله عنهم الهدى والتوفيق ، فاتبعوا الباطل وانحرفوا الى الضلال اما المؤمنون فقد آمنوا بالله وبرسوله فكفر الله ذنوبهم ورزقهم صلاح

البال وهدوء النفس ونعمة الرضا واليقين .

وشتان بين مؤمن راسخ الايمان صادق اليقين معتمد على رب كريم حليم وبين كافر ضال يبيع الحق ويشترى الباطل ويفرط فى الايمان والهدى ، ويتبع الشرك والضلال.

ثم تحث السورة المسلمين على قتال المشركين ، وقطع شوكتهم وهدم جبروتهم ، وازالة قوتهم عن طريق المسلمين . **(فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب)** وهذا الضرب بعد عرض الاسلام عليهم وابائهم له ، **(حتى اذ أثخنتموهم فشدوا الوثاق)** والاثخان شدة التقتيل حتى تتحطم قوة العدو وتتهاوى فلا تعود به قدرة على هجوم أو دفاع وعندئذ يؤسر من استأسر ويشد وثاقه **(فاما منا بعد واما فداء)** أى اما أن يطلق سراحهم بعد ذلك بلا مقابل واما ان يطلق سراحهم مقابل فدية من مال أو عمل أو فى نظير اطلاق سراح المسلمين المأسورين . **(حتى تضع الحرب أوزارها)** حتى تنتهى الحرب بين الاسلام وأعدائه المناوئين له .

ولو شاء الله لانتقم من المشركين وأهلكهم كما اهلك من سبقهم بالطوفان والصيحة والريح العقيم ، ولكن الله اراد ان يختبر قوة المؤمنين وأن يجعلهم سبيلا لاعزاز الدين واهلاك الكافرين ، والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضيع اعمالهم فهم شهداء عند الله يتمتعون بجنات خالدة ونعيم مقيم وأرواحهم فى حواصل طير خضر تسبح حول الجنة وتأكل من ثمارها وتقيم فى الوان النعيم . وقد وعد الله الشهداء بحسن المثوبة والكرامة والهداية وصلاح البال ودخول الجنة لانهم نصروا دين الله فسينصرهم الله ويثبت اقدامهم ، كما توعد الكافرين بالتعاسة والضلال والهلاك جزاء كفرهم وعنادهم .

وتسوق السورة الوانا من التهديد للمشركين فتأمرهم أن يسيروا فى الارض فينظروا ماذا أصاب المكذبين من الهلاك والدمار ثم تمضى السورة فى ألوان من

الحديث حول الكفر والايمان فتصف المؤمنين بأنهم فى ولاية الله ورعايته والكفار محرومون من هذه الولاية .

وتفرق السورة بين متاع المؤمن بالطيبات ، وتمتع الكافرين بلذائذ الارض ، كالحيوانات (**ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار ، والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**) محمد/١٢ .

ان الفارق الرئيسى بين الانسان والحيوان ان للانسان ارادة وهدفا وتصورا خاصا للحياة يقوم على أصولها الصحيحة المتلقاة من الله خالق الحياة . فاذا فقد هذا فقد أهم خصائص الانسان المميزة لجنسه ، وأهم المزايا التى من أجلها كرمه الله .

ثم تمضى السورة فى سلسلة من الموازنات بين المؤمن المتيقن والكافر الذى اتبع هواه وشيطانه وزين له سوء العمل (**أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم**) .

كما تصف الايات متاع المؤمنين فى الجنة بشتى الاشربة الشهية ، من ماء غير آسن ، ولبن لم يتغير طعمه ، وخمر لذة للشاربين وعسل مصفى ، فى وفر وفيض .. فى صورة أنهار جارية .. ذلك مع شتى الثمرات ومع المغفرة والرضوان ثم سؤال : أهؤلاء المتمتعين بالجنة والرضوان « **كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ؟** » .

٢ ــ خصال المنافقين

تشمل الايات من ١٦ ــ ٣٠ المقطع الثانى من سورة محمد . وفيها حديث عن المنافقين وصفاتهم وحركة النفاق حركة مدنية لم يكن لها وجود فى مكة نظرا لضعف المسلمين فى مكة وتفوق أعدائهم . فلما هاجر المسلمون الى المدينة وبدأ شأن الاسلام فى الظهور والاستعلاء ، بدأت حركة النفاق فى الظهور والنمو وساعدها على

الظهور وجود اليهود فى المدينة ولهم قوة مادية وفكرية ، وكراهيتهم للدين الجديد ، وسرعان ما اجتمع اليهود مع المنافقين على هدف واحد ، ودبروا أمرهم بليل، فأخذ المنافقون فى حبك المؤامرات ودس الدسائس فى كل مناسبة تعرض ، فان كان المسلمون فى شدة ظهروا بعدائهم وجهروا ببغضائهم ، واذا كانوا فى رخاء ظلت الدسائس سرية والمكايد فى الظلام ، وكانوا الى منتصف العهد المدنى يؤلفون خطرا حقيقيا على الاسلام والمسلمين • وقد تواتر ذكر المنافقين ووصف دسائسهم والتنديد بمؤامراتهم وأخلاقهم فى السور المدنية ، كما تكرر ذكر اتصالهم باليهود وتلقيهم عنهم ، واشتراكهم معهم فى بعض المؤامرات المحبوكة •

والحديث عن المنافقين فى سورة محمد يحمل فكرتها ويصور شدتها فى مواجهة المشركين والمنافقين • بل ان المنافقين هم فرع من الكافرين ، أظهروا الملاينة وأبطنوا الكفر والخداع • أو هم فرع من اليهود يعمل بأمرهم ، وينفذ كيدهم ومكرهم ، فمن هؤلاء المنافقين من يستمع الى النبى بأذنه ويغيب عنه بوعيه وقلبه ، فاذا خرج من مجلس النبى تظاهر بالحرص على الدين ، فسأل الصحابة عما قاله النبى سؤال سخرية واستهزاء أو سؤال تظاهر ورياء •

أولئك المنافقون قد طمس الله على افئدتهم فلا تفقه ، وقد اتبعوا أهواءهم فقادهم الهوى الى الهلاك •

بينما المتقون المهتدون يزيدهم الله هدى ويمنحهم التقوى والرشاد ، ثم يتهدد القرآن المنافقين بالساعة ، فاذا جاءت فلا يملكون الهداية ولا تنفعهم الندامة •

(فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) محمد /١٨ •

ثم تصور الايات جبن المنافقين وهلعهم وتهافتهم اذا ووجهوا بالقرآن يكلفهم بالقتال ، فهم

يتظاهرون بالايمان ، فاذا انزلت سورة لاتشابه فيها وذكر فيها الجهاد رأيت المنافقين ينظرون اليك يا محمد نظرا كنظر من هو فى النزع الأخير ، تشخص أبصارهم ، لذلك كانوا جديرين بأن يهددهم الله بالويل والهلاك .

وتحثهم الايات على الطاعة والصدق والثبات **(فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم)** محمد/٢١ .

وبذلك يفتح القرآن الباب لمن يريد الطهارة الحسية والنفسية من المنافقين ومن جميع المخاطبين .

ثم يحثهم على تدبر القرآن وتأمله فان القرآن يحرك المشاعر ويستجيش القلوب ويخلص الضمير .

وتمضى الآيات فى تصوير حال المنافقين ، وبيان سبب توليهم عن الايمان بعد اذ شارفوه ، فيتبين أنه تآمرهم مع اليهود ، ووعدهم لهم بالطاعة فيما يدبرون .

لقد كره اليهود الاسلام وتألبوا عليه ، فلما هاجر النبى الى المدينة شنوا عليه حرب الدس والمكر والكيد ، وانضم المنافقون لليهود يقولون لهم سرا : **(سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم اسرارهم)** .

ثم يتهدد القرآن المنافقين ، بملائكة العذاب لانهم تركوا طريق الاسلام ، وانضموا الى دسائس الحاقدين عليه .

وفى نهاية المقطع يتهددهم بكشف أمرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين الذين يعيشون بينهم متخفين ، لان مافيك يظهر على فيك :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم .

قال تعالى : **(أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ؟ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم)** محمد/٢٩ و ٣٠ .

٣ ــ حديث عن المشركين والمؤمنين

المقطع الاخير من السورة يشمل الآيات ٣٢ ــ ٣٨ ، وقد تحدث فى

بدايته عن المشركين وبين أنهم منعوا الناس عن الايمان بالله ، وأعلنوا الشقاق والعداوة لرسول الله ، وهؤلاء لن يضروا الله بكفرهم ، وسيحبط الله أعمالهم •

وتتجه الآيات الى المؤمنين فتأمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول وتأمرهم بالثبات على الحق حتى يأتى نصر الله •

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) محمد/٣٣ •

وهذا التوجيه يوحى بانه كان فى الجماعة المسلمة يومئذ من لايتحرى الطاعة الكاملة ، أو من تثقل عليه بعض التكاليف ، وتشق عليه بعض التضحيات التى يقتضيها جهاد هذه الطوائف القوية المختلفة التى تقف للاسلام ، وتناوشه من كل جانب ، والتى تربطها بالمسلمين مصالح ووشائج قربى يصعب فصمها والتخلى عنها نهائيا كما تقتضى العقيدة ذلك •

ولقد كان وقع هذا التوجيه عنيفا عميقا فى نفوس المسلمين الصادقين فارتعشت له قلوبهم وخافوا أن يقع منهم ما يبطل أعمالهم ويذهب بحسناتهم •

وتستمر الآيات فى خطاب المؤمنين ، تدعوهم الى مواصلة الجهاد بالنفس والمال دون تراخ أو دعوة الى مهادنة الكفر المعتدى الظالم ، تحت أى مؤشر من ضعف أو مراعاة قرابة أو رعاية مصلحة ودون بخل بالمال الذى لا يكلفهم الله أن ينفقوا منه الا فى حدود مستطاعة • مراعيا الشح الفطرى فى النفوس • واذا لم ينهضوا بتكاليف هذه الدعوة فان الله يحرمهم كرامة حملها والانتداب لها ويستبدل بهم قوما غيرهم ، ينهضون بتكاليفها ، ويعرفون قدرها ، وهو تهديد عنيف مخيف يناسب جو السورة كما يشير بأنه كان علاجا لحالات نفسية قائمة فى صفوف المسلمين اذ ذاك — من غير المنافقين — وذلك الى جانب حالات التفانى والتجرد والشجاعة والفداء التى اشتهرت بها الروايات ، فقد كان فى الجماعة المسلمة هؤلاء

وهؤلاء .. وكان القرآن يعالج ويربى لينهض بالمتخلفين الى المستوى العالى الكريم .

مقصود السورة اجمالا

قال الفيروزبادى : معظم مقصود سورة محمد :

« الشكاية من الكفار فى اعراضهم عن الحق ، وذكر آداب الحرب والاسرى وحكمهم ، والأمر بالنصرة والايمان ، وابتلاء الكفار فى العذاب ، وذكر انهار الجنة : من ماء ولبن وخمر وعسل ، وذكر طعام الكفار وشرابهم ، وظهور علامة القيامة ، والشكاية من المنافقين ، وتفصيل ذميمات خصالهم ، وأمر المؤمنين بالطاعة والاحسان وذم البخلاء فى الانفاق وبيان استغناء الحق تعالى وفقر الخلق فى قوله تعالى **(والله الغنى وأنتم الفقراء)** » (١) .

د : عبد الله محمود شحاته

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ١/٤٣٠ تحقيق النجار ، نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية . مطابع شركة الاعلانات الشرقية ١٩٦٤ م .

التنميـــة

أحد ضوابط منهج الاستثمار في الاقتصاد الإسلامى

للدكتور رفعت العوضى

تحقيق التنمية هو احد ضوابط المنهج الاسلامى فى الاستثمار . ويعالج هذا الضـــابط ما يتعلق بالتنمية . ونتســـاءل فى البداية ماذا يعنى الضابط ؟

ان المقصود بهذا الضابط هو أن الاســلام يســتهدف فى منهجــه للاستثمار تحقيق التنمية ولا أريد أن أدخل فى المناقشة التى تثــار دائما عــن الفرق بــين التنميــة والنمو ، وان كنت أشــير الى أننى استخدمت مصــطلح التنمية ولم أســتخدم مصــطلح النمو ، كأحد ضوابط المنهج الاسلامى فى الاستثمار ، لان التنمية المقصودة اسلاميا هى أكبر من مجرد زيادة دخل الفرد فى المتوســـط ، وهو المعنى الذىيفسر به عادة مصطلح النمو .

نتساءل مرة أخرى عن الأدوات التى يستخدمها الاسلام فى منهجه للاستثمار لتحقيق التنمية ؟

للاجابة على هذا التساءل ، سوف أناقش أربعــة عنــاصر أو أربع أدوات أعتقد أنهــا تمثل أدوات استخدمها الاســـلام لتحقيــق التنمية فى منهجه لاستثمار رأس المـــال : هى :

١ ــ الالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال .

٢ ــ الالـــزام بـــأن يغطى الاستثمار الأنشطة الاقتصـــادية الضرورية للمجتمع .

٣ ــ الالزام بأن يكون أسلوب

مشاركة رأس المال كأحد عوامل الانتاج الأخرى يستهدف الانتاج وليس مجرد الحصول على دخل •

٤ — الالزام بأن يستهدف استثمار رأس المال تنمية العنصر البشرى •

هذه هى العناصر الأربعة ، أو بمعنى آخر الأدوات الأربع التى اعتقد أن الاسلام يستهدف بها تحقيق التنمية من خلال منهجه لاستثمار رأس المال •

أود أن أشير قبل عرض هذه الأدوات الى أن الادوات التى يستخدمها الاسلام لتحقيق التنمية فى منهج للاستثمار ، لا يقتصر على هذه الأدوات الأربع وحدها. وانما هناك أدوات أخرى كثيرة غير هذه الأدوات الأربع تستخدم لتحقيق التنمية وفق المنهج الاسلامى ، من هذه الادوات الملكية ، ذلك أن دراسة التنظيم الاسلامى للملكية تكشف عن أن الاسلام يستهدف بهذا الشكل أن يكون هذا التنظيم يعمل كأداة لتحقيق التنمية (١) •

ويعد أيضا من هذه الأدوات توزيع المنهج الاسلامى ، لذلك أن للاسلام منهج متميز فى التوزيع ، وتكشف الدراسة أن هذا المنهج بهذا الشكل يستهدف ضمن ما يستهدف تحقيق التنمية (٢) •

وبسبب أن دراستنا هنا تتجه الى الكشف عن المنهج الاسلامى للاستثمار ، واذن فان الدراسة الكاملة لأدوات تحقيق التنمية فى المنهج الاسلامى لا تكون موضوعنا المستهدف •

لذلك لن أعرض لكل هذه الأدوات ، وانما سوف تقتصر الدراسة على عرض أدوات تحقيق التنمية فى المنهج الاسلامى التى تدخل فى دراسة المنهج

---

(١) يمكن الرجوع فى هذا الموضوع الى رسالتى للماجستير السابق الاشارة اليها والمنشورة تحت عنوان : نظرية التوزيع فى الاقتصاد الاسلامى ، مجمع البحوث الاسلامية الفصل الثامن ، ص ٢٩٧ — ٣٢٢ •

(٢) يرجع الى رسالتى للماجستير السابق الاشارة اليها •

الاســـــلامى للاستثمار . وهى الادوات الأربـــع التى ســـــبق تحديدهـــا ، والتى نتناولها الآن بالمناقشة .

الأداة الأولى الالزام بالتشـــغيل الكامل لرأس المال

أعنى بالتشغيل الكامل لرأس المال فى هذا الصدد أن الاسلام يلزم ضمن منهجه لاستثمار رأس المال أن يوجه الى الانتاج ، وأن يوضع فى خدمة المجتمع الاسلامى جميع وحدات رأس المال ، ويتضـــمن هذا الا تكون أيه وحدة من وحدات رأس المال عاطلة ، أى لا تعمل فى دائرة النشــــاط الاقتصـــــادى المشروع . والدليل الذى استند اليـــه فى هذا هو قـــوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أمــوال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بهـــا جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون»** سورة التوبة الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

أريد أن أجذب الانتباه فى هذا الدليل الى السياق الذى وضع فيه تأثيم الاكتناز من حيث أنه قـــرن بالصد عن سبيل الله وأكل أموال الناس بالباطل ، وما يشـــير اليه بصفة خاصة قرن تأثيم الاكتناز بأكل أموال الناس بالباطـــل وما يتضمنه من حقوق للجماعة عـــلى المال الخاص بحيث أن كنزه يقرن بأكل أموال الناس بالباطل والمعنى الذى أريد أن أقف عنده أكثر هو المعنى الذى يســـتنتج من تأثيم الاســـــلام للاكتناز فى عـــلاقته بالتشغيل الكامل لرأس المـــال . ان الاكتناز هو جزء الادخار الذى لم يوجه الى الاســـتثمار . واذا التزم المســـلم التزاما اســـلاميا صـــحيحا بالمنهـــج الاســـلامى ، ومـــن هـــذا المنهـــج تأثيـــم الاكتناز ، فســـــوف يوجـــه كل ادخاراته التى هى جزء الدخـــل الذى يفيض عن الاستهلاك ، سوف يوجهه الى الاستثمار . معنى ذلك

أنه وفق المنهج الاسلامى لا توجد رؤوس أمواله مكتنزه ، أى عاطلة.

هناك دليل آخر يستدل به على الالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال وهذا الدليل يتعلق بالزكاة . ان الزكاة يمكن أن ينظر اليها من أن توجه كل رؤوس الاموال الى التشغيل ، والا تبقى عاطلة . وتستند وجهة النظر هذه الى تحليل طبيعة الزكاة والتى يشير اليها القول المأثور (اتجروا بمال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة) . يعنى هذا أن بقاء رأس المال عاطلا وعدم تشغيله فى النشاط الانتاجى مع استمرار فرض الزكاة عليه يجعل رأس المال ينفذ وأريد أن أوضح رأيى فى علاقة الزكاة بالالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال ، ذلك أنه وان كنت أرى أنه يمكن استنتاج علاقة بين فرض الزكاة والالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال الا أنه تكملة لرأيى ، لا أعتقد أن هذه العلاقة هى أحد الاهداف الرئيسية للزكاة . اذ أن للزكاة أهدافا اقتصادية أخرى أقوى وأوضح من هذه الاهداف : استخدام حصيلة الزكاة فى تنمية العنصر البشرى فى المجتمع وذلك بتوفيرها حدا أدنى من الدخل لصاحب الحاجة .

ومن هذه الاهداف أيضا تقليل حدة التفاوت الداخلى بين أفراد المجتمع الاسلامى . وبمعنى آخر أن الزكاة تمثل أحد الأدوات المستخدمة فى اعادة التوزيع فى النظرية الاقتصادية الاسلامية . وهناك اهداف أخرى كثيرة للزكاة يمكن البحث عنها والرجوع اليهافى الكتب المخصصة لدراسة الزكاة . كما أن الزكاة تستهدف أيضا هدفا معنويا له أهميته فى المجتمع هذا الهدف هو خلق نوع من الترابط والتماسك والاحساس الجماعى المشترك ، ماديا ومعنويا بين أفراد الجماعة الاسلامية . هذه هى بعض الاهداف الرئيسية للزكاة ، أما علاقة فريضة الزكاة بالالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال فهى نوع من أنواع الاستلزام ، أى الأمر الذى يترتب بالضرورة على أمر آخر .

اذا قارنا بين المنهج الاسلامى للاستثمار وبين المناهج الاقتصادية الوضـــعية فما يتعـــلق بالالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال نجد أن للمنهج الاسلامى تمييزه وذاتيته المستقلة فى هذا الصدد • وذلك أننا نعرف كاقتصـــاديين أن ضرورة المساواة بين الادخار والاستثمار، وهى الفـــكرة ذات الاهميـــة الاقتصـــادية ، هى فكرة يربطها الاقتصاديون بالدورة التجارية • ومصـــطلح الدورة التجـــارية هو ما سبق ان قربناه للقارىء العادى غير المتخصـــص فى الاقتصـــاد بمصطلح الأزمة الاقتصـــادية • وهكذا يكون التشـــغيل الكامل لرأس المال وان اســـتهدف فى المناهج الاقتصادية الوضـــعية الا أنه لا يستهدف كأداة فى المنهـــج الاستثمارى بقصد تحقيق التنمية فى المقابل ، ان الاقتصاد الاسلامى وهو يفرض ويلزم بالتشـــغيل الكامل لرأس المـــال بربط هـــذا الالزام بهـــدف التنمية • وقـــول الرسول (ص) : الامن ولى يتيما فليتجر بماله حتى لا تأكله الصدقة هو واضح فى هذا الربط • ذلك أن المقابل لتعطيل المـــال حسب هـــذا النص الاتجار به • والاتجار هو مصطلح يكتى به عن تشغيل رأس المال فى النشاط الانتاجى • سواء أكان انتـــاجا مـــاديا أم انتاجـــا خدميا •

ونربط كذلك الآية التى ســـبق الاســـتدلال بها وهى آية تحريم وتـــأثيم الاكتنـــاز بين الالـــزام بتشغيل رأس المال وبين التنمية ، ذلك أنها تربط بين اكتناز الأموال وبين منع انفاقها فى سبيل الله • ويمثل الانفاق فى سبيل استثمار فى تنمية العنصر البشرى ، أو ما تسمى اقتصاديا بالموارد البشرية•

كنتيجة ان الاسلام يجعل ضمن

يمثل الالزام بأن يغطى الاســـتثمار الأنشـــطة الاقتصادية الضرورية للمجتمع الاداة الثانية التى استخدمها الاسلام لتحقيق التنمية كأحد ضوابط المنهج الاسلامى فى الاستثمار • ويمكن الاستدلال على هذا النوع من الأدوات بالحكم الاسلامى •

ضوابطه لاستثمار رأس المال التنمية • ومن الادوات التى يستخدمها لتحقيق ذلك : الالزام بالتشغيل الكامل لرأس المال •

الأداة الثانية : الالزام بأن يغطى الاستثمار الأنشطة الاقتصادية الضرورية للمجتمع المعروف : فرض الكفاية • ويعنى هذا المصطلح أن القيام بما يلزم للجماعة الاسلامية يكون فرض كفاية : اذا قام به البعض سقط الاثم عن الباقين • وبتطبيق هذا النوع من الاحكام على النشاط الاقتصادى نستنتج أنه اذا كان هناك نشاط اقتصادى مشروع يلزم للجماعة الاسلامية كضرورة يكون القيام به أى تنفيذه وتوجيه الاستثمارات اليه فرض كفاية على جميع المسلمين ككل • اذا قام بهذا الاستثمار بعض أفراد المجتمع الاسلامى ، فان هذا يكفى وتسقط المسئولية عن باقى أفراد الجماعة الاسلامية • وفى المقابل ، اذا لم يقم أحد بهذا الاستثمار ، مع وجود القادرين عليه ، فان المسئولية تظل واقعة على جميع المسلمين • واعتقد أن الشيخ محمود شلتوت قد استند الى هذا حين قال : (اذ كان من قضايا العقل والدين أن مالا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وكانت عزة الجماعة الاسلامية أول ما يوجبه الاسلام على أهله ، وكانت متوقفة على العمد الثلاثة : الزراعة والصناعة والتجارة ، كانت هذه العمد واجبه ، وكان تنسيقها على الوجه الذى يحقق خير الأمة واجبا (١) •

أريد أن أشير الى أهمية هذا النوع الفريد من الاحكام فى الاسلام وهو فرض الكفاية • وأكاد أعتقد أنه حكم قصد به مواجهة ضروريات سوف تواجه المجتمع الاسلامى • كما أريد أن أشير أيضا الى أننا تعلقنا بهذا الحكم طويلا من خلال تطبيقاته

---

(١) نقلا عن د . محمد عبد الله العربى « استثمار الاموال فى الاسلام » المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية ، ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ ، ص ١٣٠ •

فى العبادات ، كما انه ارتبط بفكرنا من حيث ربطه بحـــالات مــن الجهاد • والآن وأمــام تحديات كثــيرة ومعقدة تواجــه العــالم الاســـلامى ، هى فى غالبيتهــا اقتصادية ، يجب أن نربط هــذا الحكم الهام بمثل هذا النشاط • ان فرض الكفاية كأحد الاحـكام الاسلامية هو فرض ليس له نظر فى التشريعات الوضعية ، ســواء منها ما تعلق بالاقتصاد أم بغــير الاقتصاد • وهو فرض فريد من حيث تكييفه القانونى •

ماذا تعنى هــذه الاداة ، أى الالزام بتغطية كل الانشــطة الاقتصــادية اللازمة للمجتمع من وجهة النظر الاقتصــادية ؟ يعنى هذا ببســاطة أن الاســتثمارات ســـوف توجه الى الأنشـــطة الضرورية للمجتمع الاســلامى ، ولن ترتبط بمعيار الربح بمعنــاه المادى والأنانى فى الاقتصاد الذى يعرف الربح بأنه العائد النقدى من الاستثمار • ويكون الاستثمار أعلا ربحية حين يحقق أكبر عائد نقدى • لكن من وجهــة النظــر الاسلامية يكون الاســتثمار أعلا ربحيه حين يوجه الى النشـــاط الاقتصــادى الأكثر ضرورية من وجهة النظر الاسلامية • واذا كنا كاقتصاديين ننتقد باستمرار توجيه الاستثمارات فى البلاد الاسلامية الى انتاج الســلع للترفيه مثــل الســيارات ودور اللهو والســلع المشابهة واهمال انتاج الســـلع الضرورية ، ونذكره على أنه أحد أســباب اســتمرار تخلف هــذه المجموعة من البلاد ، فأن الالزام بهذه الأداة الاســـلامية ، التى تعنى ضرورة توجيه الاستثمارات الى أوجه النشاط الاقتصـــادى الضرورية والــلازمة للمجتمــع ، ســـوف يقضى عــلى التخلف الاقتصادى المسبب عن هذا الخلل التوجيهى للاستثمارات • وأيضا يعنى ذلك أن الاستثمارات سوف تغطى كــل ما يلزم للجمـــاعة الاسلامية •

ومرة أخرى ، ماذا يعنى هــذا اقتصـــاديا ؟ يعنى ذلــك أننــا كاقتصاديين ننتقد دائما فى البلاد المتخلفة ما نســـميه بتضــخم

الاستثمارات أو بطنة الاستثمارات فى بعض الأنشطة الاقتصادية أو بعض المناطق الاقتصادية ، بينما يكون هناك فى المقابل الجوع للاستثمارات وشدة الحاجة اليها فى أنشطة أخرى أو مناطق أخرى. ويمكن أن نعطى كثيرا من الأمثلة: تركيز الاستثمارات فى كل عواصم البلاد الاسلامية هى ظاهرة منتشرة يقابل ذلك اهمال خطير للمناطق الأخرى البعيدة عن العواصم ، كما أنه على مستوى العالم الاسلامى المتحد ، وحيث نتعلق بهذه الوحدة ، هناك سوء توزيع استثمارات . وهكذا ، اذا وضعنا موضع التطبيق هذه الاداة الاسلامية فى الاستثمارات وهى تغطية كل أوجه النشاط الاقتصادى الضرورى للمجتمع الاسلامى ، فاننا بهذا نقضى على سبب تخلف العالم الاسلامى الناتج عن اهمال ذلك .

نستنتج أن الالزام بأن يغطى الاستثمارات كل الأنشطة الضرورية للمجتمع الاسلامى على مستوى العالم الاسلامى ككل ، يمثل هذا الالزام أحد أبعاد التنمية بمفهومها الحديث فى الاقتصاد . وهكذا ، يكون هذا الالزام هو أحد الأدوات الاسلامية المستخدمة لتحقيق التنمية . والتنمية بدورها وفق التصنيف الذى اقترحته هى أحد ضوابط المنهج الاسلامى للاستثمار .

دكتور رفعت العوضى

فلسفة الحضارة الإسلامية

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

لم يخلق الله ، سبحانه وتعالى ، الانسان ، فى هذا الكون •• ليعبث أو يلهو ، أو يلعب •• أو ليطغى بقوته وجبروته ، أو ليعيش فى أحضان الجهل والاتكالية ، والاستجداء ••

قال تعالى فى سورة « المؤمنون » : **أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون (١)** » •• وقال تعالى فى سورة الملك : « **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور** »•

وانما خلق الله سبحانه وتعالى ، الانسان ، وركب فيه ماركب ، من قوى الادراك والعمل ، لحكم سامية •• منها : ليكون خليفة فى الأرض ، يعمل على اصلاحها ، واتساع عمرانها ، واظهار أسرار خالق الكون فيها ، وتدعيم أواصر الخير ، واقرار السعادة ، فى جميع أرجائها •

وقد أرشد الى هذه الحكمة كثير من آيات القرآن •• منها قوله تعالى ، فى سورة البقرة ، وهو يحدث عن مبدأ خلق الانسان : « **واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا : أتجعل**

---

(١) آية ١١٥

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : انى أعلم ما لا تعلمون • وعلم أدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم • قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم • فلما أنباهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم : انى اعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » (١)•

فهذه الآيات توحى بأن العلم أساس الحياة ، وسر النجاح ، فالخلافة فى الأرض والسيطرة عليها ، وتسخير ما فيها ، واستغلال خيراتها ، وثمراتها وطيباتها أساس ذلك كله العلم لا غيره ••

واذا كانت هذه هى مهمة الانسان فى الحياة ، وهى حكمة خلقه ، وحكمة الانعام عليه ، بقوى العلم والعمل ، وحكمة تسخير الكون واخضاعه له فى التفكير والتصريف • فلا سبيل الى قيام الانسان بهذه المهمة ، وتحقيق تلك الحكم الا بالعلم والمعرفة والعمل •

ولم يكتف الاسلام **بهذا •• بل** فتح مجال العلم ، للعقل الانسانى ، وتعدى به أسوار الطبيعة وتغلغل به فى أسرار الحياة •• قال تعالى فى سورة عبس « **فلينظر الانسان الى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فانبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم** » (٢) •

وقال تعالى : فى سورة الطارق : « **فلينظر الانسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق • يخرج من بين الصلب والترائب** » •• وقال تعالى فى سورة الحجر : « **وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين** » •

---

(١) البقرة : ٣٠ ــ ٣٣

(٢) آية ٢٢

هذه الآيات وما جرى مجراها ، قد فتحت للعقل الانسانى ، آفاق ، الكون وبينت له طـــريق التأمل والمشـــاهدة والتفكير ، فى ملكوت السموات والارض ، لاســـتنباط الحقـــائق ، وما يفيد المجتمـــع الانسانى ويعود عليه بالنفع والأمن ٠٠ وتلك دعوة صريحة الى العلم ، حظيت بها الانسانية ، منذ أربعـــة عشر قرنا من الزمان ، دعوة صريحة صادقة الى اتباع الاســـلوب العلمى والمنهج القائم على التكامل والصدق والاخلاص ٠٠

والاســـلام قد وثب بالمسلمين وثبة هائلة ٠ وهـــذه الوثبة الهائلة كانت عـــلى أثر اشعاع القـــرآن الكريم ، فى جنبـــات الدنيـــا والانســـانية فأنارهما بعد ظلمة ، وهدى الانســـانية بعد حيرة ، ونظمها بعد اضـــطراب ، وفتق أذهان أبنائها بعد ارتقاق ، وأزال الأصفاد والقيود التى كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر ٠

وكان من ذلك أن نبه على وجوب النظر فى الكون العام ، وفى النفس الانسانية وفى الأسباب والمسببات، والمقـــدمات والنتائج ، والعلة والمعلول ٠

فكان بهذا مصباحا أضاء الدنيـــا وأنار أفق الانســـانية ، وأشرق بالمعرفة الصحيحة ٠

والبـــاحث المنصـــف يرى أن الاسلام فى وثبته : تلك ، قد وضع أسس المعرفة التى تهدى الانسان الى الخير ٠٠

والمعرفة فى الاسلام ، لا تقوم على نظرية تحتاج الى دراســـة وتأمل وانما على اســـاس التعادل بين الكم والكيف ، وبين المـــادة والروح ، وبين الغاية والســـبب ، وبين الدنيا والآخرة ٠٠ فلا افراط ولا تفريط ، لقد ربط الاسلام بين الحواس المرهفة ، وبين العقـــل الباحث المنظم والوجدان النقى ، وكل ما جاء فى القرآن فى الحث على التفكر ، دليل على مكانة العقل ، والعلم ، والمعرفة فى نظر الاسلام٠

اذ العقـــل آلة التفكير ، والعلم ثمـــرة التفكير ٠ فكـــل ما ورد فى

القــرآن ، حثا على التفكير ، وهو اعلان عن فضل العقل ، وايحـــاء بالعمل على تربيته وتقويته ، وهو فى الوقت ذاته تسجيل لفضل العلم •• حتى يتمكن الانســـــان من الحقائق ، وتزول عنه غشـــــاوة الجهل ، ويتحرر من رق الاوهام ، والخرافات والاساطير التى لا صلة لها بواقع الحياة •

وبهذا كان الاسلام دين الفكر ، والعقل ، والعلم •• وقد ارتفـــع القرآن بالعقل وقدره حق التقدير ، وجعله ميزة الانسان • قال تعالى : « أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بهـــا أو آذان يسمعون بها » (*)

وبناء على التوجيهات القرآنية ، للناس بالنظر والدراسة •• انطلق المسلمون يدرســـون ويبحثون ، ويقارنون ، ويغربلون ، ويقعدون القواعد ، ويؤصلون الاصول •

ولقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية ، على أصـــول ومبادىء عامة صلحت لان تكون منهجا فكريا سليما ، حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة •

واستطاعت هذه التوجيهات أن تمكن المسلمين ، من الاستفادة ، من تلك الدرة الالهية ، التى منحها الله للانســـان ، وهى العقل • فنمته ، وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التى خلق من أجلهـــا • حتى كانت للمســـلمين حضـــــارة وعلوم ومخترعات حضارية عالمية لن ينسى التاريخ دورها فى تحـــويل مجرى الانسانية ، ولن تنسى الانســـانية دور المسلمين فى بناء الحضـــارة ، بأصالة وعمق وفاعلية ••

كانت هناك تشريعات ، وفلسفة ، وقوانين ، وطب ، وفلك ، وأدب ، واجتماع ، ورياضيات ، وتاريخ ، وجغرافيا ، وفنون جميلة ، وآداب للسلوك والاجتماع ••

وكان لكل هـــــذه العلـــــوم والفلسفات ، أســـــاتذة عباقرة ، كأئمة الحديث ، ورجال الفقه الذين ضبطوا أســـــاليب النقد ، وقعدوا قواعد التشريع ••

وفوق هــذا وذاك •• فقد كان المسلمون هم واضعو طرق البحث العلمى التجريبى الذى كان أساسا للحضارة الأوربية الحديثة ، ويكفى

فى هذا أن نستشهد باعتراف العلامة (بريفولت) : « ان الاوربيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمى التجريبى وانه لم يسبقهم اليها باحث أو مفكر » .

تلقى المسلمون هذه الينابيع من مصادرها الأصيلة ، واستقرت دعائمها فى نفوسهم ، فكانت الرائد الامين للعقول والافهام ، والغذاء الروحى للغرائز والمواهب . وهذه الينابيع طبعت الناس على استقلال الارادة ، وحرية الفكر ، كما كرهت اليهم التقليد والتبعية العمياء ، ووجهت العقول للبحث والانتاج .. وفتحت لهم ميادين العلوم والفنون .. فأقبلوا عليها سراعا .. ودخلوها من كل باب . وبهذه النهضة العلمية الجبارة استطاع المسلمون فى سرعة لم يعرف التاريخ لها مثيلا . أن ينتقلوا الى القيادة الفكرية العالمية ويصبحوا أساتذة الدنيا ، وعباقرة العلوم .. وكان وأصبح هناك قادة وحكام ، ومدن وعواصم ومعاهد وجامعات ودول وممالك لم يشهد التاريخ لها مثيلا .

كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية التى غرسها الاسلام ، والتى أدت الى تنمية القوى العقلية الكامنة فى الانسان ، والتى جعلت من المسلمين أساتذة للعلوم وكانت بعوث الأمم ، تفد على العواصم الاسلامية من كل ناحية فيأخذون عن علمائها ماشاءوا من أفانين العلوم . وألوان المعرفة ثم يعودون الى بلادهم حاملين اليها مشاعل هذه العلوم التى نفخت فيهم روح الحياة ، وفتحت لهم طريق الانتفاع بأصلين عظيمين من أصول الاصلاح الاسلامى . وهما :

حرية الفكر .. واستقلال الادارة .. فلم تنهض العقول للبحث ، ولم تتحرك النفوس للعمل .. الا بعد أن عرفت أن لها حقا فى طلب الحقائق .

ولقد تلمست أوربا حضارة المسلمين العلمية .. فاستقت من روافدها المعرفة ، والفلك والجبر والهندسة ، والكيمياء ، والطب ، والفلسفة ، وعلوم النبات ،

والحيوان وسائر أنواع الفنون الحضارية .

وبنى رجال أوربا ، بما تعلموه فى معاهد المسلمين بالاندلس ، وربما نقلوه من علوم .. أسس النهضة الحديثة ، التى ظهر نجمها فى القرن الثامن عشر . وازدهر فى القرن التاسع عشر ، وتألق فى القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذى خرج جهابذة الفكر ، ورجال الحضارة أمثال ابن الهيثم ، وابن البيطار ، وابن سينا ، وابن النفيس ، وابن زهر وابن بطوطه ، والكندى ، والفارابى ، والبيرونى ، والطوسى، والدينورى، والبغدادى والفيروزا بادى ، والامام الغزالى ، والطبرى والرازى ، والانطاكى ، والخوارزمى ، والادريسى ، والمسعودى ، وجابر والجاحظ ، وغيرهم ممن أفادوا الانسانية .

وهذا ابن الهيثم يبحث فى السهل والأودية ، ويجول فيها طولا وعرضا حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجيلى فيسهر على قمم الجبال العالية ، يحدق فى الكواكب والنجوم ليحد أفلاكها ، ويعرف أبعادها ، ويقيس محيط الكرة الارضية ، وعبد الله الخوارزمى العالم المسلم الذى ولد فى اقليم خوارزم (١) أول رجل فى العالم يضع أصول علم الجبر وفى كتابه « الجبر والمقابلة » يقسم العلماء الى ثلاثة : « فمنهم المخترع المبتكر الذى لم يسبق اليه ، ومنهم الذى يتناول أراء العلماء قبله بالشرح والتفصيل والتوضيح ، ومنهم المخترع المبتكر الذى لم يسبق اليه ، ومنهم الذى يتناول أراء العلماء قبله بالشرح والتفصيل والتوضيح ، ومنهم الذى لم يكلف نفسه أكثر من جمع المتفرق » ..

وأبو الريحان محمد البيرونى الذى ولد فى بيرون ، وهى مدينة

---

(١) اقليم خوارزم هذا من الاقاليم الاسلامية التى كانت عامرة بالعلم والعلماء وهو الآن تحت الاستعمار الشيوعى الروسى .

صغيرة تتبع مدينة خوارزم. يساهم فى الفلك والرياضيات ، بمساهمات فعالة .

وابن النفيس العالم الدمشقى ، يجرى التجارب والاختبارات ، حتى يثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا فى الاوردة والشرايين . بل هو سائل متحرك يدور فى جميع أجزاء الجسم، وذلك قبل ان يكشف العالم البرتغالى (هارفى) الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مسكويه ذلك المفكر الاسلامى الكبير الذى طرق الدراسات الاخلاقية والنفسية يسبق فلاسفة أوربا ، وعلمائها بثمانية قرون فى علوم الاخلاق والفلسفة والتهذيب والنفس ..

وجابر بن حيان يحلل عناصر الطبيعة ، وتفاعل المواد المختلطة ، حتى يضع أصول علم الكيمياء ..

وابن يونس يسبق العلماء فى اختراع بندول الساعة «الرقاص».

هذا كله فى الوقت الذى كانت فيه أوربا ، تعيش فى ظلمات الجهل والفوضوية والامية والهمجية والتأخر ، ولم ينقذ أوربا من ورطتها التى كانت واقعة فيها الاحضارة المسلمين ومازالت أسماء العلوم والمصطلحات التى أعطاها هؤلاء العلماء المسلمون ، لغرائب المخترعات ، مازالت حية نابضة ، فى جميع اللغات ، رغم مانالها من تحريف وتغيير .

ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة الاسلامية ، وشهد بها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه ، الذين لا يبغون من بحوثهم ودراساتهم ، الا مرضاة العلم فى ذاته .

تقول الكاتبة الالمانية الدكتورة سيجريدهونكة : « ان أوربا تدين للعرب ، وللحضارة العربية ، وان الدين الذى فى عنق أوربا وسائر القارات ، للعرب كبير جدا » ..

وقال العلامة ، دريبر « المدرس فى جامعة (هارفارد) بامريكا . فى كتابه « المنازعة بين العلم والدين » : « ان نتائج هذه الحركة العلمية ، تظهر جليا بالتقدم الباهر الذى نالته الصناعات فى عصرهم ، فقد استفادت منها فنون الزراعة

فى أساليب الرى والتسميد وتربية الحيوانات ، وسنن النظم الزراعية الحكيمة ، وادخال زراعة الارز وقصب السكر والبن•• وقد انشرت معاملهم ومصنوعاتهم لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن • وكانوا يذيبون المعادن ، ويجودون فى عملها على ما حسنوه وهذبوه ، من سبكها وصنعها ، واننا لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ، ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر •• وان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك أوربا وأمراؤها ، يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها » •

ان هذه الاقوال التى جاءت على لسان علماء أفذاذ لرضاة العلم فى ذاته تشهد صراحة وضمنا ، وجملة وتفصيلا ، لحضارة المسلمين ، ومدى فاعلية هذه الحضارة الاسلامية الانسانية •

وان الامة الاسلامية يمكن أن تعود الى بناء حضارتها المتميزة وشخصيتها الاسلامية الفريدة •

وقبل أن نقرر امكانية عودة الحضارة الاسلامية نضع الحقائق التالية :

أولا : العالم الاسلامى حباه الله بأعظم النعم ، اذ يتربع على كنوز ثمينة ويربض على ثروات معدنية هائلة ، ويملك من حقول البترول أجداها نفعا ، وأكثرها سخاء وثراء ، وأقواها تدفقا وعطاء •

ثانيا : ــ يملك العالم الاسلامى من شواطىء البحار والانهار ، والممرات ، والطرق البرية ، والبحرية ، والجوية ، مما يجعله فى مركز القيادة ، ويمكنه من المساهمة والاشراف والتحرك الفعال •

ثالثا : ــ مناطق الثقل فى العالم الاسلامى بعيدة عن القطبين ومصونة من الاعاصير والطوفانات ، والثلوج ، والمد والجزر ، وسالمة من البراكين

والزلازل، وهذا يتيح لها ماتستطيع به العمل والتقدم ..

رابعا : ــ العالم الاسلامى غنى بالمحاصيل الزراعيـــة ، والانتاج الحيوانى ، مما يمكن من قيـــام صناعات متقدمة ومتطورة .

خامسا : ــ يعيش العـــالم الاسلامى اليوم فى يقظة واعية ، وصحوة صحيـــة ، فاذا أحســن توجيهها ، أثمـــرت وأفـــادت الانسانية ..

سادسا : ــ يشـغل الامـــة الاسلامية من خريطته العـــالم الانسانى حيزا جغرافيا عظيما مما يمكن المسلمين من التأثير والفاعلية القادرة على الانطلاق » .

تلك وغيرها أمور تجعل الامـــة الاسلامية ، قوة ايجابية ، مهيأة للاسهام فى انقاذ الانسانية مـــن وهدة الضياع والفوضوية والجهل، والالحاد ، والمذاهب الهدامة .

ولقد وصف المستشرق السويدى « فرناو » العالم الاسلامى بأنه يمثل بموقعه فى قلب قارات ثلاث « قارة وسطى » .

وهذا تعبير قد لا يرضى عنـــه علماء الجغرافيا . ومع هذا فهـــو تعبير محمل بالمعانى .. وصادق على جغرافية المســلمين ، وملىء بالتفاؤل ..

يقول الدكتور جورج سارطون : « ان المسلمين يمكن ان يعـــودوا الى عظمتهم الماضية اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة فى الاســـلام والعلوم التى حث الاسلام عـــلى الاخذ بها » .

وقال الدكتـــور فيلب حتى : « ان الشرق الاسلامى هو اليوم فى مطلع دور جديد فى حيـــاته العلمية ، كما أنه فى فجر جديد فى حياته السياسية ، وهو دور جديـــد يمكن أن نسميه دور الابـــداع والابتكار ، ضمن اطـــار الميراث الخالد ، من القيم الدينية والأدبية.

والحقيقة التى لا يستســـاغ انكارها ان تقدم المسلمين علميـــا وحضـــاريا رهين بعودتهم الى الاســـلام .

أحمد عبد الرحيم السايح

فقيد العلم والإسلام
عالم الأزهر

المرحوم الدكتور الشيخ محمد الفحام
شيخ الأزهر الأسبق

فقدت مصر والعالم الاسلامى علما من أعلام الدين والدعوة يوم ١٩٨٠/٨/٣٠ م هو الدكتور الشيخ محمد محمد الفحام شيخ الأزهر الأسبق عن ٨٤ عاما قضى الشيخ الفحام ٦٠ عاما فى العمل من أجل نشر الدعوة الاسلامية .

ولد الشيخ الفحام بالاسكندرية فى ١٨ سبتمبر عام ١٨٩٤ م . وتلقى بعض علومه الدينية فى مسجد العباس المرسى والتحق بالأزهر حتى تخرج منه ثم تولى التدريس بمعهد الاسكندرية الدينى ثم عين مدرسا بكلية الشريعة .

سافر الشيخ الفحام فى بعثة دراسية الى فرنسا حيث قضى عدة سنوات حصل خلالها على دبلومات عليا فى اللغات اللاتينية واليونانية والأسبانية كما حصل على الدكتوراه فى الآداب من جامعة السربون بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٩٤٩ وعاد الى مصر .

قام بتدريس الأدب المقارن بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف وكلية الآداب جامعة الاسكندرية .

عين عميدا لكلية اللغة العربية عام ١٩٥٩ .

عين شيخا للأزهر عام ١٩٦٩ فى ١٦ سبتمبر وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٧٣ .

انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية فى ديسمبر ١٩٧١ .

منح وسام الجمهورية من الطبقة الأولى فى مايو ١٩٧٣ م .

وقد شارك الدكتور محمد الفحام فى عدة مؤتمرات اسلامية أولها فى لبنان عام ١٩٤٨ وتوجه الى نيجريا فى عام ١٩٥١ فى مهمة لدراسة أحوال المسلمين وأمضى خمسة أشهر فى هذه المهمة وشارك أيضا فى مؤتمرات اسلامية فى باكستان وأندونيسيا وماليزيا وقام بدراسة أحوال المسلمين فى موريتانيا بعد احالته للمعاش وزار السودان وليبيا والجزائر وأسبانيا والعراق واليابان والسعودية وكذا ايران والجمهورية الاسلامية بالاتحاد السوفيتى وكان هو شيخ الأزهر الوحيد الذى زار هذين البلدين وللشيخ الفحام خمسة أبناء يشغلون مواقع عمل مختلفة .

والأزهر اذ ينعى الأمة الاسلامية فقد شيخا من شيوخه وعالما جليلا من علمائه يرجو للفقيد الرحمة ولأسرته العزاء ..

أسرة المجلة

مشكلات الشباب وحلولها في ضوء الكتاب والسنة

للأستاذ على القاضى

تمهيــــد :

عنى الاسلام بتربية الشــباب عناية واضـــحة ذلــك لأن فترة الشباب هى فترة القوة والحيوية والنشاط وفترة امتصاص الأفكار واعتناق المبادىء والحماسة لهـا والدفاع عنهـا ومحـاولة نشرها والبـــذل فى ســبيلها بكل شىء بالصحة والمال والوقت بل والنفس فى كثير من الأحيان .

ومن هنـا رأينـا الصراعـات المختلفة حــول الشباب ومحاولة اجتذابهم حــول الفكرة التى يعمل فيها كل منهم .. وقد وجدنا عناية الاسلام بالشباب تلك العنــاية الرائعة التى جعلته يعطيه الامكانات التى تكفل انطلاقه وتسلحه بكافة الأسلحة التى تعينه عــلى أداء رسالته فى هذه الحياة .

عناية سابقة على وجوده :

وعناية الاسلام بالشباب تبدأ من قبل أن يولد .. تبدأ بتكوين الاسرة التى تحقق البيئة الصالحة له فهو يرى أن تكوين الاسرة له أسس تحقق الاطمئنان والسـكن والتربية الكاملة المتكاملة : (**خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمـــة**) الروم / ٢١ — ولذلك فقد طلب من الرجل أن يختار المرأة الصالحة التى تحقق التربية المثالية وتعطى للطفل كــل حاجـــاته — ويعبر الرسول الكريم عن ذلك بقــوله : (فاظفر بذات الدين تربت يداك) البخارى — ومثل ذلك فى اختيار الرجل : (اذا جاءكم من ترضون

خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) ابن ماجه — وصفات الوراثة تظهر فى الأبناء فان الاسلام يعطى لأبنائه مؤشرات تساعده فى اختيار العناصر الصالحة فى تكوين الاسرة فهو يقول : (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) البخارى ،ويقول (اياكم وخضراء الدمن) ويفسر الرسول الكريم خضراء الدمن بأنها (المرأة الحسناء فى المنبت السيىء) •

وبهذا التخطيط يضمن الأساس السليم للبيئة المتكاملة التى ينشأ فيها الطفل المسلم ثم هو يحاول أن يضمن له الاستقرار الدائم فى كنف الاسرة فيجعل الطلاق أبغض الحلال الى الله كما يقول الرسول الكريم — ويجعل أساس البيوت الوفاء كما يقول عمر بن الخطاب — ثم يجعل الأسرة مسئولة مسئولية كاملة عن تربية الأبناء يقول الرسول الكريم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) — البخارى •

وظيفة الشباب فى الاسلام :

ووظيفة الشباب فى الاسلام هى وظيفة المسلم بعامة ، ولكن الشباب أقدر من غيرهم على حملها بما لهم من حماسة وحيوية ونشاط واستعداد للتضحية — فهو جزء من هذا الكون • والكون ساحة لنشاطه وميدان لحضارته يدين بالعبودية لله ويتحرر من عبادة ما سواه من استذلال النظم والقوانين والأشخاص والشهوات والشيطان •

انه سيد الكون وليس عبدا الا لله الذى خلقه وخلق الكون ثم ان الكون كله مصدر رائع للمعارف والعلوم ومنبع لسكينة الانسان وهدوئه ومشاعره — وبذلك يرفع الاسلام من اهتمامات المسلمين بقدر ما يرفع تصورهم للوجود كله — وبقدر ما يكشف أيضا عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره — والمسلم يحس بقيمته حين يعلم أن الله خلقه فى احسن تقويم وسواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل الملائكة تسجد له وجعله خليفة له فى الأرض •

والاسلام بهذا يرسى القواعد الاساسية التى لا تتغير ولا تؤثر فيها تطورات الحيــاة كما لا يؤثر فيها اختــلاف النظم ولا تمــدد المذاهب ولا تنــوع البيئات فمن أداها كاملة فقــد أدى وظيفته ــ ومن قصر فيها أو نكل عنها فقــد أصبح بلا وظيفة فى هذه الحياة ــ وأصبحت حياته خاوية من معناها الأصــيل الذى تستمد منها قيمتها الأولى ــ ثم اذا به يســـير الى الضياع الذى يصيب كل من يتخلى عن وظيفته والاســـلام يوجه طاقة الشباب الى العمل المنتــج المفيد الذى هو ثمرة الايمـــان بالله ــ والقــرآن الكريم يؤكــد تأكيدا شديدا على العمل الصالح فى عشرات الآيات : (**فمن كــان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**) آخر الكهف ــ والعمل الصالح يشــمل كل ما يقوم به المســلم نحو ربه ونحو نفسه ونحو اسرته ونحــو مجتمعه الاســلامى بل والمجتمع الانسانى كله •

والشــباب المسلم يستطيع أن يقوم برسالته كاملة مادام خاليــا من المشكلات ــ ولكن اذا وجدت المشكلات فى حياته فان ذلك يعوقه عن أداء هذه الرسالة •

ولما كان الاســلام حريصا على الشباب وعلى أن يؤدى رســالته كاملة فانه يعمل على ازالة العقبات من طريقه وعلى تقوية شــخصيته بحيث يســتطيع أن يقــاوم هذه المشكلات فاذا ما جاءت المشكلات بعد ذلك حاول علاجها بالاسلوب الذى يفيد ويريح وينتج •

الاســلام يزيل العقبــات أمام الشباب :

من طبيعة الشــباب الحركة والحيوية والنشاط ، وقد يستتبع هذا الخطأ فى جانب من الجوانب والله سبحانه وتعــالى يفتح بابه للتائبين دون وســـاطة ويقول : (**قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللــه ان الله يغفر الــذنوب جميعــا**) الزمر / ٥٣ ويقـــول : (**واذا ســـالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الــداع اذا دعــان**) البقرة / ١٨٦ ، وجعل من السجعة

الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله (**شاب نشأ فى عبادة الله**) البخارى ويبين للشباب أن الخطأ طبعى والمهم أن يتوب الشاب . والنبى الكريم يقول : (عجب ربك من شاب ليس له صبوة) . والمهم ألا يتمادى الشاب فى أخطائه ولا يجاهر بها يقول الرسول عليه السلام : (كل أمتى معافى الا المجاهرين وان من المجانة أن يعمل الرجل عملا بالليل فيصبح وقد ستره الله يكشف ستر الله عليه) البخارى ، والاسلام يزيل العقبات الداخلية حين يربى المسلم على صفاء القلوب يقول النبى عليه السلام لأنس (يابنى ان قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك بغض لأحد فافعل — ثم قال : يابنى وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى دخل الجنة) الترمذى ، وقال عليه السلام عن رجل من الانصار : انه من أهل الجنة .. وحين لحظ عبد الله بن عمر أن الرجل لا يمتاز بشىء غير عادى وصارح الرجل بذلك فقال الرجل : يابنى لا أعلم شيئا عندى الا أنى لا أبيت وفى نفسى حقد لانسان وهو يبعد عن الشاب المسلم الحقد والحسد لأنه يقطع الروابط ويزيد المشكلات الاجتماعية — ويجعل الاوقات تضيع فيما يعود على الناس بالضرر — كما أنه يعلم الشباب الصبر عند الغضب حين يطلب من الغاضب أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فاذا بالغضب يذهب عنه — كما يطلب من الغاضب أن يغير من وضعه فيكسر هذا من حدة الغضب ويصبح الانسان أكثر هدوءا . ويقول الرسول عليه السلام : (اذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعد فاذا ذهب عنه والا فليضطجع) ثم هو من الناحية الايجابية يبين للشباب قوة المجتمع المتكامل فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب

يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه بل ان الرسول الكريم يقول : (من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) مسلم ، وبهذا يزيل الاسلام العقبات أمام الشباب .

الناحية الانشائية فى الاسلام :

الاسلام عنى بالناحية الانشائية للشاب حتى يخرج الى الحياة سليم النفس قوى الجسم فقد عمل على تهيئة الجو الملائم الذى يتربى فيه بحيث يخرج الى الحياة مسلما قائما بواجبه نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه — وقد حدد الاسلام واجبات الوالدين فى معاملة الابناء من ناحية الرضاعة والعناية بالنواحى الجسمية والنفسية والعقلية — فالبيت الأمثل صلة روحية ورحمة ومودة بين ساكنيه — فيه تنبعث عواطف المحبة والتضحية والتعاون — وخير العواطف أسسها بحياة المجتمع وعواطف الصداقة

والاحترام — احترام الطفل لأبويه الذى هو أساس احترامه لنفسه .. وكل سلطة زمنية أو روحية فيما بعد — فيه يتعلم الطفل معنى الضبط وقيمته يتقبله طوعا من والديه فقد عرف أن فيه خيره وسعادته .. فى هذا البيت يخرج الطفل الى الحياة مزودا بطائفة من العواطف الحميدة تكون فى يده سلاحا للكفاح كما تكون أمانا من العلة النفسية فى مستقبل حياته — والشاب الذى ينشأ فى البيت المسلم ينشأ على صلة قوية بالله فيحس بأنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها فيكون فى مأمن من الأمراض النفسية لأن الايمان بالله خالق الانسان ومدبر الكون يجعل الانسان يحس بأن له سندا قويا فى هذه الحياة — والمؤمن متصل بالقرآن الذى أنزله الله ليكون شفاء ورحمة للمؤمنين — ذلك لأن الايمان نور يشرق فى القلب فتشرق به النفس — فيرى الانسان الطريق أمامه واضحا فلا يصيبه اضطراب ولا قلق — وعقيدة الاسلام حين تتغلغل فى

النفس تدفعها الى السلوك الايجابى السليم الذى يجعل المؤمن مطمئنا ثابتا **(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة)** ابراهيم / ٢٧ .

والاسلام يهيىء نفس المسلم لتحمل صعوبات الحياة : **(ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات)** البقرة ١٥٥ وبمقدار صبر الانسان على ما يلقى بمقدار ثواب الله له : **(انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب)** الزمر / ١٠ .

وليس من المقبول مثلا أن يقول الانسان : انى مسلم ثم لا يتحمل شيئا فى سبيل عقيدته : **(احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)** ٢/٣ العنكبوت — وفى المعارك الاسلامية التى تقوم لتحقيق العدالة فى الارض يطلب من المسلمين أن يصبروا وأن يصابروا وأن يرابطوا فى سبيل الله فاذا ما أصابهم ضر فى المعركة فهذا أمر طبيعى — والضرر متبادل : **(ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون)** النساء / ١٠٤ ، وفى مسألة الموت والحياة يبين للمسلمين أن كل نفس ذائقة الموت وخاطب نبيه الكريم فقال : **(انك ميت وانهم ميتون)** الزمر /٣٠ ، وعلى الانسان أن يمتثل لأمر الله وأن يصبر على ما أصابه واذا خاف من ضيق الرزق فالله سبحانه وتعالى يطمئنه : **(وفى السماء رزقكم وما توعدون)** الذاريات /٢٢ — فالمسلم يتطلع الى السماء والى الله الخالق ، أما الارض وما فيها من أسباب ظاهرية للرزق فلا يدعها تحول بينه وبين التطلع الى المصدر الأول الذى أنشأ هذه الأسباب — وليس معنى هذا اهمال الأرض — فالانسان مكلف بعمارتها — ولكن المقصود ألا يعلق نفسه بها ، وألا يغفل عن أنه فى عمارتها فهو يعمر فى الأرض آخذا بأسباب السماء متطلعا اليها وهو مستيقن بأن

ما وعد الله تعالى لابد وأن يكون — وبذلك يعيش قلبه موصولا بالسماء وقدماه ثابتتان فى الارض — والشاب اذا وصل الى هذه الدرجة فهو فى الحالة التى أنشأه الله عليها قبل أن يتناولها الانحراف : (فطرة الله التى فطر الناس عليها) الروم / ٣٠ — وعلى الانسان ألا يتطلع الى ما فى يد غيره أو الى أن يكتسب أشياء فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية وبخاصة وأن ما فى يد غيره قد يكون مقصودا به الفتنة وقد عافاه الله منها : (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) طه / ١٣١ .

والانسان قد يخاف من المرض والانسان اذا اصابه المرض بعد أن اعتنى بنفسه وبعد أن أصبح جسمه قويا ونفسه قوية فعليه أن يلتمس العلاج من مظانه ثم ان الاسلام يرشده الى أن ما يصيب المسلم له ثواب عليه حتى الشوكة يشاكها — والمسلم بخير على كل حال ان أصابته ضراء فصبر كان خيرا له وان أصابته سراء فشكر كان خيرا له — وقد يخاف من ضغوط الحياة عليه لسبب من الأسباب — والشاب المؤمن موصول القلب بالله وهذا يجعله أكثر تحملا والا فعليه أن يعيد النظر فى قوة صلته بالله ولا يهمه الناس لأن الناس لا يملكون له نفعا ولا ضراوهم لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشىء لم ينفعوه الا بشىء قد كتبه الله له ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه الا بشىء قد كتبه الله عليه .

والاسلام يربى أبناءه على الامل والبعد عن اليأس ذلك لأن اليأس والايمان لا يجتمعان فى قلبمؤمن والقرآن الكريم يقول : (ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) — « يوسف ٨٧ » — ذلك لأن اليأس يؤدى الىانقباض الكرتزون فى الدم والغضب يؤدى الى ارتفاع الادرالين والتروكسين فىالدم .. واذا استسلم الانسان لدوافع الغضب واليأس أصبح

فريسة سهلة لقرحة المعدةوالسكر وتقلص القولون وأمراض الغـدد الدرقية والذبحة ، وهى أمراض لا علاج لها الا المحبة والتفاؤل والتسامح لأنها فى حقيقتها أمراض نفسية — ومن هنا ندرك أهميـة وصية النبى للصحابى الذى جـاء يطلب نصيحة بقوله : أوصـنى فقال له عليه السلام (لاتغضب) وكررها ثلاثا — البخارى — كما ندرك أهمية قوله صلى الله عليـه وسلم : (ليس الشـديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسـه عند الغضب) متفـق عليـه — ومقاومة الأجسام للأمراض تكون على أعلى مستوى من الكفاءة اذا كان هناك انسجام بين كل الخلايا والغدد والأعصاب وهى حالة ترتد فى النهاية الى صورة من صـور الائتلاف الكامـل بين النفس والجسد .. ولهذا يرى الأطبـاء أن الانفلونزا تعود الانسان بكثرة لأسباب نفسية حقيقة انه لابد من وجود أسباب — ولكن لابد مـن وجود قابلية للعدوى أيضـا — والقابلية حالة نفسية كما أنها حالة جسمية .

وقد بدأ الأطباء يتجهون الى أن مرض السل قد يكون سـببه نفسيا — ومن الأشياء التى تلفت النظر أن بعض الأمراض كالأكزيما أمكن احداثها بواسطة الايحـاء أثنـاء التنويم المغناطيسى — كما أن الحالة النفسية قد تكون سببا فى الحمى والصداع والضـغط والسكر والروماتزم والسرطان .

ومن هنا فاننا نجد أن المؤمنين الصادقين الذين سلمت نفوسـهم وصفت قلوبهم بأخلص الايمـان لم يتعرضوا مطلقـا للامراض النفسية التى تجر وراءها الأمراض البدنية — ذلك لأن هذه الأمراض بنوعيها لا تظهر الا مـع ضـعف الايمان أو مع فقدانه حين تتسرب الوساوس الى النفس فتنشأ العقد وتكثر الحاجة الى الأدوية المنشطة والمهدئة والمخدرة التى لا يعتـدل بها ما اعـوج من النفـوس — وسيظل الصراع قائمـا فى زوايا النفس التى ضعف ايمانهـا .

مشـــكلات الشباب

وللشباب مشكلات تعـوقه عن أداء رسالته فى هذه الحياة وتأخذ من وقته وجهـــده ما يصرفه عن الطريق السليم ان لم تحل عــلى أساس سليم ــ بل انه قد يكون عبئا على المجتمع الذى يعيش فيه وأداة من أدوات الهدم ــ كما نرى فى المجتمعات الغربيـــة فى عصرنا الحاضر •

وبعض هذه المشكلات متجـدد أى أنه كان موجــودا فى الأزمان الماضية وهو موجــود فى الزمــن الحاضر وبعض هذه المشكلات نشر فى العصر الحديث بعد ظهور الآلات التى قلبت موازين الأفكار ــ وبعد ظهور الفلسفات المختلفـــة التى غيرت من مفاهيم القيــم والأفكار وسنتناول أولا المشكلات القديمة الجديدة أى المتجددة ثم نتنـاول المشكلات الحديثة لنرى حلولهـا على ضوء الاسلام •

المشكلات المتجددة

مشكلات الغريزة الجنسية :

الغريزة الجنسيـــة من غرائز الانسان المهمة التى أوجدها اللــه تعالى لحفظ النــوع البشرى ــ لكن فرويد اشتط فى أهميتها حين فسر السلوك البشرى كله علـــى أساسها فنزل بالانسان الى مستوى الحيوان وجعل الدوافع كلهـــا مصدرها الجنس حتى العبادة ــ وقد رتب على هذا دمار الانسان اذا لم يشبع هذه الغريزة ــ مـع أن سلوك الانسان الجنسى يختلف عــن سلوك الحيــوان ذلــك لأن الانسان فيه عقــل وروح ونفس ثم هو يقوم بضروراته الجنسيـــة على طريقـــة الانســـان لا على طريقـــة الحيـــوان ــ وفرويد كان يهوديا واقعـــا تحت تأثير البيئة التى كانت تسود فيهـــا بعض المفاهيم الدينية المنحـرفة التى كانت تعيشهـــا أوربا والتى كانت تدعو الى كراهية العلاقة بين الرجل والمرأة وتحث على الرهبنة ــ ومع أن تلاميذه أثبتوا أن هذا الرأى غير صحيح وأثبتوا أن عدم الاشباع لا يؤدى الى الدمار ــ بل وليس هناك ضرر جســمى أو عقــلى ينتج عن الامتنـــاع عن

الجنس – ومع أنهم بذلك أعادوا الكرامة الى الجنس البشرى الا أن آراء فرويد تلقفتها أيدى التجار وساعدهم على ذلك أجهزة الاعلام فعملوا على نشر آراء فرويد من الناحية النظرية وأوجدوا كل الأساليب لتطبيقها من الناحية العملية حتى شملت آثارها الكبير والصغير فى المجتمعات الغربية وسار على نهجها الى حد كبير أو صغير فى البلاد الاسلامية – واكتوى الجميع بنارها .. ولا يزالون يكتوون – لأن آراء فرويد – وان ثبت فشلها من الناحية النظرية وخطرها من الناحية العملية – الا أن التجار وأجهزة الاعلام ما زالت تسير فى الطريق الذى يثير الغرائز ويلهبها وبذلك فان المشكلة مستمرة وآثارها مدمرة وقد طغت هذه الناحية فى العصر الحديث على الفكر المسيحى المعادى للزواج ، والذى يرى أن الغريزة الجنسية ينبغى أن تكبت فاتجه الى الرهبانية يدعو لها ويشجع عليها ويفتح الأديرة ويضع لها أنظمتها – وعلى مدى التاريخ الطويل الذى انتشرت فيه الأديرة فشلت فى أداء رسالتها لأنها معادية للطبيعة البشرية .

الغريزة الجنسية فى الاسلام :

يقف الاسلام وسطا بين هذين الفكرين فهو يعترف بالغريزة الجنسية وأهميتها ولكنه يضعها فى اطارها الصحيح فهو لا يرى رأى فرويد فى سيطرتها التى لا تدفع – ولا يرى رأى من يكبتها عن طريق الرهبنة – لكنه ينظمها ويضبطها ، ويرى أنها من مميزات الجنس البشرى فهى سبب بقائه وسبب انجاب الذرية التى تحقق رسالة الانسان فى هذه الحياة .

وقد أزال الاسلام بذلك الفكر المعادى للزواج الذى ساد العالم المسيحى وحرم الرهبانية وقالها نبى الاسلام صريحة : (النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى) – البخارى .

ووصل المتعة بالدين بهدف بقاء الجنس البشرى وأداء رسالته فى هذه الحياة يجعل التناقض غير موجود فى ضمير الشباب المؤمن بين قوانين الحياة التى يمارسها – وبين تعاليم الدين التى يجب

احترامها — والجنس طاقة بشرية طبعية تحتاج الى اشباع — ولكن الاستغراق الذى يجاوز حدود المعقول هو الأمر المستنكر فى الاسلام لأنه يضخم أحد جوانب الانسان على بقية الجوانب الأخرى .

والأعضاء التناسلية ليست مقززة فى التربية الاسلامية — فالطفل يعود الطهارة من صغره لاتصاله بالصلاة — وفى كتب الفقه تفصيلات كثيرة يدرسها الاطفال والشباب ليتطهروا ويستعدوا للصلاة التى هى أهم ركن فى الاسلام .

والاسلام لا يثير الغريزة ، بل يمنع الاثارة فى أية صورة من الصور وذلك منذ الصغر ، فهو يوصى بألا تترك الفرصة للصغار للاطلاع على العورات ، قال تعالى :

(يايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء) النور / ٥٨ — فهذا أدب يغفله الكثيرون فى حياتهم المنزلية مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية ظانين أن الصغار لا تمتد أعينهم — قبل البلوغ الى هذه المناظر بينما يقرر النفسيون أن المشاهد التى تقع عليها أعين الاطفال هى التى تؤثر فى حياتهم المقبلة — والله سبحانه وتعالى يؤدب المؤمنين بهذه الآداب وهو يريد أن يبنى أمة سليمة الاعصاب طاهرة القلوب نظيفة التصورات .

ثم ان الاسلام — لذلك — لا يبيح الاختلاط المثير ولا يبيح الخلوة ولا يبيح الملابس المثيرة لما لها من خطورة فهو يمنع ابداء الزينة الا للزوج والمحارم : **(ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها)** ثم يقول : **(ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن)** الآية/٣١ النور — وينهى المؤمنات عن الحركات التى تعلن الزينة المستترة وتهيج الشهوات الكامنة وتوقظ المشاعر

الهادئة : (**ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**) النور / ٣١ ، ومن ذلك الاثارة عن طريق أجهزة الدعاية والاعلام ومن واجب المسلمين أن يطلبوا منع هذا .. ومن واجب ولى الأمر أن يمنع فهو مسئول أمام الله وأمام الناس — والمسلم مطلوب منه أن يتعفف حتى عن النظر الى المرأة فليس له الا النظرة الاولى العفوية أما الثانية فهى عليه .

والاسلام بذلك يريد بذلك حماية المسلم من الأخطار النفسية التى يتعرض لها نتيجة لما يحدث فى المجتمعات التى تظهر زينة المرأة فتثير الشهوات وتحدث الصراعات داخل النفس وتكون سببا من أسباب الكوارث عليها .

أ — الزواج :

والزواج هو الطريق الطبيعى لاستجابة الغريزة — وذلك يتم فى ظل الرعاية الالهية وقد جعله الله تعالى للبشرية ليكون سكينة وألفة ومودة — وبالزواج تتوحد القلوب تحت ظل العقيدة وهى أعمق ما يؤثر فى النفوس — ومن هنا فقد حرم الاسلام الزواج بين المسلم والمشركة لأنهما لا يجتمعان على عقيدة واحدة — والله سبحانه وتعالى يريد ألا تكون هذه الصلة ميلا حيوانيا — بل يرفعها حتى يصلها بالله تعالى ويربط بينها وبين مشيئته فى نمو الحياة ، ورضى بزواج المسلم من الكتابية لأنها تؤمن بأصل العقيدة وقد تهتدى الى الدين الحق .

والزواج يعصم الانسان الى حد كبير لانه أغض للبصر وأحصن للفرج — بل ان فى اشباع الغريزة عن طريق الزواج أجر كما قال عليه السلام : (وفى بضع أحدكم صدقة فقالوا يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له أجر ؟ فقال عليه السلام أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر فكذلك اذا وضعها فى حلال كان له أجر) مسلم .

والاسلام لا يعتبر الحديث عن الغريزة عارا . لأنه يصلها بأهداف علوية وهو لذلك يتحدث عنها فى

القرآن مبينا كثيرا من الجوانب التى يحتاج اليها الانسان فى بيان الأحكام فهو يتحدث عن حل المعاشرة الزوجية ليلة الصيام : **(أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم)** البقرة / ١٨٧ ، وحرمتها لمن نوى الاعتكاف ولذلك فانه يقول فى نفس الآية : **(ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد)** ، وحرم اتصال المسلم بزوجته أثناء المحيض : **(يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)** ، ثم يقول : **(فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله)** ومعنى ذلك الاتيان من منبت الاخصاب دون سواه — فليس الهدف هو حصول اللذة — انما هو امتداد الحياة ابتغاء رضوان الله ، ولذلك فانه يقول فى نهاية الآية : **(ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)** البقرة / ٢٢٢، يتحدث عن ذلك أثناء الحديث عن أحكام الزواج والطلاق والعدة ويرفع هذه العلاقة عن أن تكون مجرد متعة جسد .

ب — الصيام :

فاذا لم يستطع الشاب الزواج لسبب من الأسباب فعليه أن يلجأ الى الصوم فانه له وقاية والرسول الكريم يقول فى ذلك : **(من استطاع منكم الباءة — تكاليف الزواج — فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء — وقاء)** البخارى ، فالصيام وسيلة ضبط قوية فعالة ذلك لأن الانسان يمتنع مختارا عن كثير من لذائذ الحياة المباحة ويحقق كيانه بذلك .

جـ — ضبط الغريزة :

والاسلام يضبط الغريزة ويوجهها — والضبط يأتى أولا من ربط القلب البشرى بالله ومراقبته فى كل عمل ومن ربط المسلم باليوم الآخر — فالانسان يتلهف على لذائذ الحياة حين يحس بأن فرصته فى الدنيا هى الفرصة الوحيدة فهو ينتهزها قبل أن تفوت — لكن المسلم يؤمن بأن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير لمن اتقى ..

والاسلام يعرض الى جانب اللذة الجنسية ألوانا من لذائذ الحس والنفس ينالها من يحاولون ضبط أنفسهم فى هذه الحياة عن الاستغراق فى لذائذها المحببة لتبقى لهم انسانيتهم الرفيعة ومن هنا فان القرآن الكريم يجمع فى آية واحدة أحب شهوات الأرض الى نفس الانسان : **(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث)** آل عمران/١٤ ثم يبين للناس أن هذا كله متاع الحياة الدنيا ، ولكن هناك لذائذ أخرى وهى ما ذكرت فى الآية الأخرى : **(قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله)** آل عمران / ١٥ — كما ان لهفة الانسان على المتعة الجنسية تضبط حين يعرف المرء فى هذه المتعة وسائل لانتشار النوع ويربط بين نزوة الجسد العارضة وغايات الانسانية الدائمة ورفرفة الوجدان الدينى ويمزج بينهما فى لحظة واحدة وحركة واحدة واتجاه واحد ذلك المزج القائم فى كيان الانسان وأنه خليفة الله فى أرضه المستحق لهذه الخلافة بما ركب فى طبيعته من قوى وبما أودع فى كيانه من طاقات .

والاسلام مع هذا يستنفد طاقات الانسان النفسية فى اتجاهات عليا لا تلجأ الى المتاع الحسى وحده — كما يستنفد هذه الطاقات فى اتجاهات عليا بقصد تحويل الفائض منها عن أن يستغرق فى متاع الحس فهو لذلك حث — عن طريق الاعلاء — على الفروسية لأنها رياضة ترفع النفس عن محيط الحس وتوجه الطاقة الى منصرف نبيل — وهو يقيم نظام المجتمع كله بصورة لا تحصر الدوافع الفطرية ولكنها تمنع الاسراف فى كل شىء والله لا يحب المسرفين .

من هنا فان الشاب المسلم لا تظهر عنده العقد النفسية لأنه لا يوضع بين ضغطين متعارضين

ضغط من ضميره الذى كونه من الدين والعرف لا يجوز وجودها — وان وجدت أخمدت ، وضغط غريزته عندئذ تتكون العقد النفسية — أما الاسلام فقد ضمن سلامة الانسان من هذا الصراع بين شطرى النفس البشرية من نوازع الشهوة واللذة ، وحب الارتفاع والتسامى ولكل نشاطه المستمر فى حدود التوسط والاعتدال •

الحب :

ويأخذ الحب كثيرا من التفكير والوقت فى العصر الحديث ، وما أكثر مشكلاته وما أكثر الأمراض النفسية التى تنجم عنه ، ولعل أغرب تجارة كسب منها التجار ألوف الملايين هى تجارة الحب وصناعة السينما ونحوها ، ولقد ساعد ذلك على افساد عواطف الشباب فى هذا الجيل الذى ولد بعد الحرب وقالوا له : ان الحب جميل وساحر ، وأصبحت كلمة الحب صورة خيالية لا يستطيع الانسان أن يصل اليها فيعجز الشاب عن ممارسة الحب وعن الرضا العاطفى ، وبذلك يختلف الانسان عن أفكاره لأن الواقع يصدمها ، ولذلك فلابد وأن يعرف المجتمع الانسانى صاحب الثقافة الغربية حقائق الحياة جيدا وأن يقنع الانسان بأن يتعامل مع الحب كعاطفة انسانية لا كشىء مدمر فتاك يطلب الولاء والتقديس ، ولابد من منع وسائل الدعاية من نشر المفاهيم الخطيرة حول هذا الموضوع حتى نحفظ الشباب من الدمار الذى ينتظره •

والاسلام يبدأ فى علاج هذه المشكلة مع الشباب بايجاد الصلة القوية بالله فهو نعم المعين لعبده فى كل وقت وقد فتح الباب أمام الجميع : (**واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان**) البقرة ١٨٦ — وهو يناقش المشكلة مناقشة هادئة حتى يصل الى الاقناع الى قلب الشاب فيساعده بذلك على التغلب على مشكلته — جاء شاب الى النبى صلوات الله عليه وطلب منه أن يصرح له بالزنا لأنه تمكن منه فلا يستطيع التخلى عنه — وبدأ

النبى عليه السلام يناقشه فى **هذه** المسألة قائلا له : أترضاه لأمك ؟ قال الشاب : لا قال النبى الكريم: وكذلك النـــاس لا يرضـــــونه لأمهاتهم ثم قال له : **هل ترضاه** لأختك ؟ قال الشاب : لا قال النبى الكريم : وكذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم ثم قال النبى الكريم : هل ترضاه لابنتك ؟ **قال الشاب** : لا قال النبى الكريم وكذلك الناس لا يرضونه لبناتهم ، فاقتنع الشاب بهذا المنطق وطلب من النبى الكريم أن يدعو له بعد أن عزم فىنفسهعلى الاقلاع عنه فدعا له النبى عليـــه السلام ومسح على قلبه وشـــفى الشاب من هذه المشـــكلة ــ رواه أحمـــــــد •

وتذكر الانســـان لله تعالى فى أشد الأقات يحميه من الوقوع فى الخطأ ، وهذا ما حـــدث مع النبى يوسف عليه الســـلام ــ فمع أنه كان غلاما فى بيت وزير يعيش فى مظاهر النعمـــة ، ومـــع أن التى راودته عن نفسها هى سيدته الا أنه رفض الفاحشة فى اصرار رائع قائلا : **(انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون)** يوسف / ٢٣ •

والتاريخ الاسلامى يحدثنا أن الشاب المسلم عبد الله الذى لقب بالقس لكثرة عبادته وورعه أحب سلامة المغنية حبا ملك عليه فؤاده وجعل الناس يطلقون عليها : سلامة القس ــ وقد اســـتعملت معه كل وسائل الاغراء فلم تفلح فى جذبه الى ما تريد وأخيرا صرحت له بما تريد وقالت له : انى أحبك فقال : وأنا والله الذى لا اله الا هو ــ فقالت وأشتهى أن أضع فمى على فمك فقال : وأنا والله الذى لا اله الا هـــو قالت : فما يمنعك فوالله ان المكان لخال فقال يمنعنى قوله تعالى : **(الأخلاء يومئذ بعضـــهم لبعض عدو الا المتقين)** الزخرف / ٦٧ ــ ثم خرج ولم يعد اليها بعد ذلك أبدا •

على القاضى

دراسات قرآنية :

فى ملكوت السموات والارض

للاستاذ على عبد العظيم

أولا :

لهج المسلمون بالقرآن الكريم منذ نزوله تلاوة وحفظا وتدبرا ، وعملا بما فيه من توجيهات رشيدة، وتفرغ كبار العلماء قديما وحديثا لتفسير القرآن الكريم ليتيحوا للمسلمين فهمه وفقهه والعمل بما فيه ، امتثالا لقوله تعالى : **« أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين »** ٦٨ المؤمنون وقوله سبحانه **« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها »** محمد ٢٤ .

وتنوعت مصنفات العلماء فى التفسير تنوعا فمنهم من جنح الى التفسير بالمأثور كما فعل الطبرى فى تفسيره « جامع البيان » والثعالبى فى تفسيره « الجواهر الحسان » والسيوطى فى تفسيره « الدر المنثور » وجنح بعضهم فى تفسيره بالرأى كما فعل الفخر الرازى فى « مفاتيح الغيب » والبيضاوى فى « أنوار التنزيل » والآلوسى فى « روح المعانى » وجنح بعضهم الى التفسير البلاغى مثل الزمخشرى فى « الكشاف » أو التفسير النحوى مثل ابن حيان فى « البحر المحيط » أو التفسير الفقهى مثل القرطبى فى « الجامع لأحكام القرآن » أو التفسير الصوفى كالسلمى فى « حقائق التفسير » وأخيرا ظهرت أنواع من التفسير العلمى للقرآن بذل أصحابها جهودا جبارة فى جمع الاشارات العلمية فى القرآن

الكريم والتوفيق بينها وبين ما كشف عنه العلم الحديث لاظهار أنه لا تناقض بين العلم والدين ولابراز اعجاز القرآن الكريم فيما أشار اليه من حقائق علمية لم يكشفها العلماء الا في العصر الحديث ، وذلك مثل تفسير « الجواهر الحسان » للشيخ طنطاى جوهرى ومثل « التفسير العلمى للآيات الكونية في القرآن » للأستاذ حنفى أحمد ، ومثل « الاسلام في عصر العلم » للدكتور محمد أحمد الغمراوى ، هذا الى ما يكتبه بعض الباحثين المعاصرين من أبحاث ومقالات أو مايصدرونه من مصنفات .

وقد ظهر الى جانب التفسير العلمى للقرآن الكريم تيار مضاد له ينكر وجود اشارات علمية في القرآن الكريم ويقرر أنه كتاب دين لا كتاب فلك أو طبيعة أو طب ... ويدعو الى فهم القرآن الكريم فهما مطلقا لمدلول كلماته كما فهمه العرب في صدر الاسلام ويشفق من اندفاع العلماء في تأويل آيات القرآن الكريم تأويلا يصرفها عن معانيها الحقيقية وليها ليا عنيفا لتطابق ما اهتدى اليه العلم الحديث من كشوف عملية وقد تزعم هذا التيار المرحوم أمين الخولى وتزعمه من بعده زوجته الدكتورة / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) .

والحقيقة أن كلا الطرفين مبالغ فيما ذهب اليه :

فأما الجانحون للتفسير العلمى . فاننا نقول لهم أن الكشوف العلمية تتغير من جيل الى جيل فان العلم ينقض اليوم ما أبرمه بالأمس ، وينقض غدا ما أبرمه اليوم ، والقرآن الكريم ثابت لا يتغيرلأنه: « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ومن الخطأ أن نخضع القرآن الكريم للمعارف البشرية التى تتغير وتتبدل من جيل الى جيل وحسبنا أن نقرر أن نظرية النسبية للعلامة « آينشتاين » جاءت حديثا فغيرت مفاهيمنا عن الكون وغيرت كثيرا من الآراء العلمية التى كنا نؤمن بها كل الايمان .

ولهذا يلاحظ على الشيخ

طنطاوى جوهرى ـ رحمه الله ـ أنه أخذ ببعض الآراء العلمية فى تفسيره ولكنهاتغيرت الآن وتحولت من النقيض الى النقيض وهنا مكمن الخطر فى التفسير العلمى للقرآن •

أما الفريق الثانى فهو مخطىء كل الخطأ فى انكار ما ورد فى القرآن الكريم من اشارات علمية لأن القرآن الكريم حافل بالاشارات العلمية التى تدل على عظمة الله وعلى قدرته وابداعه ـ وسنتناولها بالتفصيل فيما بعد ـ كما أنه حافل بدعوتنا الى استعمال العقل والى التدبر فى ملكوت السموات والأرض ، أما الدعوة الى استعمال العقل فقد حثنا القرآن الكريم على استعمال عقولنا فى نحو خمسين آية مثل قوله تعالى « **ويريكم آياته لعلكم تعقلون** » ٧٣ البقرة « **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون** » ٢٤٢ البقرة « **قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون** » ١١٨ آل عمران « **انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** » ٢ يوسف « **وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون** » ٨٠ المؤمنون « **أن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** » ١٦٤ البقرة •

كما وردت فى القرآن الكريم عبارات الدعوة الى التدبر والتفكر والنظر فى ملكوت السموات والأرض والاشارة الى العقول والالباب والافئدة مئات المرات ، وما من كتاب سماوى أشار مئات المرات الى العقل أو التدبر أو التأمل أو النظر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء كما أشار القرآن الكريم•

وقد وعدنا الله سبحانه وتعالى بأنه سيرينا من آياته العلمية مايردنا الى الايمان به ، قال سبحانه : « **وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها** » ٩٣ النمل وقال عز من قائل : « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم**

أنه الحق » من آية ٥٣ فصلت ٠

والقرآن الكريم يلفت أنظارنا الى آيات الله المتلوة فى كتابه الكريم فيقول : « **كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » ٢٩ ص** كما يلفت أنظارنا الى آياته الكريمة المنبثة فى أرجاء الأرض والسموات « **أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » ٦ ، ٧ ق ،** « **أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت»** فالقرآن كلمات الله المتلوة والكون كلمات الله المجلوة فلو كان القرآن عوالم حسية لكان هو الكون العجيب « **ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى» ٣١ الرعد أى لكان هو هذا** الكتاب المنزل الحكيم ٠

ولو كان الكون كتابا متلوا لكان هو القرآن الكريم فكلاهما كتاب الله وكلماته البينات وآياته الخالدات قال تعالى : « **ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله » ٠** ٢٧ لقمان وقال سبحانه : « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مددا » ٠** ١٠٩ الكهف

والمسلمون مطالبون بالتدبر فى آيات الله المتلوة ليفوزوا برحمة الله « **واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » ٠ ٢٠٤ الاعراف** ومن علامات الايمان أن تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله قال تعالى : « **انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون » ٠** ٢ الانفال

كما أن المسلمين مطالبون بالتأمل فى آيات الله الكونية وقد عاب الله على الغافلين أنهم يمرون بآياته الكونية دون تدبر أو تفكر قال تعالى « **وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها**

معرضـــون » • ١٠٥ يوسف وقال سـبحانه : **« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء »** • ١٨٥ الاعـراف

والقرآن الكريم معجزة تقاصرت أعناق البلغاء عن أن يأتوا بسورة من مثله كما عجـزت عقول الجن والانس جميعا عن أن تأتى بمثلـه **« ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »** ٨٨ الاسراء •

كما أن آيات الله الكونية معجزة أيضا فان الجن والانس عاجـزان عن تكوين خلية حية واحـدة من خلايا الذبابة **« ان الذين تدعـون من دون الله لن يخلقـوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسـلبهم الـذباب شيئا لا يستنقذوه منه »** من ٧٣ الحج • **« فبأى حـديث بعد اللـه وآياته يؤمنون »** من ٦ الجاثية •

أما زعمهـم أن القـرآن نزل ليفهمه العرب فى الصدر الأول من الاسـلام وأن علينا أن نحذو حـذوهم فيما فهموه من آياته البينات بحسب مدلولات ألفاظـه المفهومـة لديهم لأنهم عرب أدرى بلغتهم وأقـدر عـلى فهم معانى كلماتها منا فهو رأى بعيد كل البعد عن الصواب ، لأن القرآن الكريم لم ينزل لعصر واحد ، ولا لجيـل واحد ، ولا لأمة واحدة وانما نزل للبشرية جمعاء وهو يخاطب العقول فى كل زمان ومكان الى أن يرث الله الأرض ومن عليهـا وما عليهـا من كائنات •

والقرآن الكريم يخاطب العقول على اختـلاف المواهب والثقافة والتدبر والتفكر وكل عقل يأخذ منه ما يطيقـه وما ينتفع به ، فاذا عجـزت بعض العقول عن ادراك بعض معانى آياته وجب عليهـا أن تستعين بكبار العلماء الباحثين فان الله تبـارك وتعـالى يقول : **« فاسـألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعـلمون »** من ٤٣ آية النحـل ويقول سبحانه : **« وتلك الأمثـال نضربهـا للناس وما يعقلهـا الا العالمون »** ٤٣ العنكبـوت ، ويقول عز من قائل : **« وما يذكـر الا أولوا الالبـاب »** ٧ آل عمران وكم اسـتنبط العلماء والفقهاء والباحثون من آيات القرآن الكريم

معـــانى وأحكاما لم يعرفهـــا السابقون .

فالقرآن الكريم ــ كما قال فيه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ « حبـــل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهـــواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشـــبع منه العلمـــاء ، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه » والدارس للقرآن الكريم يأخذ منه بمقـــدار موهبته الفكرية وايمانه القـــوى وثقافته العلمية ومعارفه العـــديدة وتفكيره العميق وكلما نما العقـــل البشرى واتسعت مداركه وتنوعت ثقافته وتعـــددت تجاربه وغزرت معـــارفه أدرك من معانى القـــرآن الكريم ما لم يدركه ســـواه ، وقد يدرك بالتأمل العميـــق مالم يكـــن يدركه من قبل .

وسنوضـــح هذا بالأدلة العقلية والشـــــواهد المنطقية والأمثلة الواقعية فى الفصل التالى ان شاء اللـــــه .

ثانيـــا :

ان الدارس لأســـاليب القرآن الكريم يلاحظ أنه يتحـــــدث عن الحـــــدود أو الأحكام فانه يذكر أصـــــولها فى تحديد دقيق ويترك التفصـــــيلات الفرعية للحديث الشريف وذلك مثل الآيات الكريمة التى تناولت القصـــاص والمواريث وما حرمه الله من الطعام .

وكثيرا ما ينبهنا الله الى مراعاة حدوده ويحذرنا من تجاوزها مثل قوله تعـــــالى : « **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها** » ١٤ النساء وقـــــوله سبحانه « **ومن يتعد حدود اللـــه فاولئك هم الظـــالمون** »من الآية ٢٤٩البقرة وقوله عز وجل « **وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** » من الآيـــة ٢٣٠ البقـــرة وقـــوله تباركت آلاؤه « **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفســـه** » من الآية الاولى سورة الطلاق .

ولكن القرآن الكريم حينمـــــا يتناول القضـــــــايا الاجتماعية أو المشكلات الفلسفية أو الدراسات

العلمية فانه يصوغها فى عبارات تسع أفكارا عديدة يأخذ منها كل باحث ما يناسب ثقافته ودراساته ومواهبه وما يتفق مع ما وصلت اليه المعارف البشرية من تقدم وازدهار •

وهنا يعطينا القرآن الكريم أكثر من معنى فى العبارة الواحدة وهذا لون من ألوان الاعجاز القرآنى لم يوله الباحثون ما يستحقه من عناية واهتمام ، بل اننا نجد أحيانا عبارة واحدة تعطينا معنى خاصا وفى الوقت نفسه تعطينا ما يبدو مضادا لهذا المعنى وذلك مثل قوله تعالى : « **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون** » « ٣٣ ــ ٣٥ يس » فان الآية الأخيرة تعطينا معنى أن الله سبحانه خلق لنا الثمر لنأكل منه ونبهنا الى أنه من صنع الله لا من صنع البشر فما عملته أيدينا بل الله سبحانه هو الذى خلقه ويسره كما قال سبحانه فى موضع آخر « **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** » ٦٣ ، ٦٤ الواقعة على أساس أن أن (ما) حرف نفى •

ولكن الآية تعطينا معنى آخر الى جانب المعنى الأول ، وهو أن الله خلق الثمرات لنأكل منها طازجة ولنأكل مما صنعته أيدينا من هذه الثمرات بالطهى أو العصير أو التمليح أو التسكير أو التجفيف أو التقديد ••• أى لنأكل منها طازجة ومما صنعته أيدينا منها بالوسائل الصناعية على أساس أن (ما) هنا موصولة • والمعنيان كلاهما صحيح وان كان ظاهرهما يشعر أنهما متضادان ولكن النظر الدقيق يمنع التضاد فكلا المعنيين صحيح ومقصود •

وشبيه بهذا قوله تعالى : « **وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال** » فان الآية الكريمة تعطينا معنى أن مكرهم عظيموأن كيدهم متين حتى تكاد تزول منه الجبال وتكون (إن) هنا مخففة من (ان المشددة) وهى اذا تأكيد وقد وصف الله

الانسان المنحرف بأنه كان ظلوما جهولا » وأنه « لربه لكنود » ولكن الآية اذا نظرنا لمعناها من حيث نتيجة الكيد فانها تعطينا معنى مخالفا للمعنى الأول وهو : وماكان مكرهم لتزول منه الجبال والمعنى أنهم مهما بلغوا فى الكيد والمكر فان نتيجة مكرهم فاشلة وغاية كيدهم خاسرة « **انه لا يفلح الظالمون** » • من الآية ٢٣ يوسف

وكلا المعنيين صحيح ولا تعارض بينهما فالمعنى الأول يؤكد أنهم يلحون ويلجون فى الكيد والمكر لجاجا شديدا والمعنى الثانى أن نتيجة مكرهم وكيدهم فاشلة وان بالغوا فى التدبير والتصميم •

وهناك آيات عديدة تعطينا معانى عديدة يظهر بعضها فى زمن ويظهر باقيها فى أزمان متوالية تبعا لازدياد فنون الثقافة والكشوف العلمية بعض ومن الخير أن نعطى بعض الأمثلة التوضيحية فى هذا المقام مثل قوله تعالى « **وأرسلنا الرياح لواقح** » من الآية ٢٢ الحجر فاننا نستطيع أن نفهم من العبارة القرآنية أن الله يرسل الرياح حاملة المطر الذى يلمس الأرض فتهتز وتؤتى أطيب الثمرات كما يلمس الذكر الأنثى بمائه فتنجب ويزكى هذا المعنى قوله سبحانه بعد هذا « **فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه** » من الآية ٢٢ الحجر ، ويذكر الزمخشرى أن الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتى لا تأتى ريح عقيم •

وهناك معنى آخر هو أن تحمل حبوب التلقيح من النبات الذكر الى أعضاء التأنيث فى النبات الأنثى وهنا يتم الاخصاب وقد تحمل الريح الحشرات وتتيح لها الانتقال حاملة حبوب التلقيح من نبات ذكر الى نبات أنثى وهناك معنى ثالث هو أن الرياح تمد التربة الارضية ببعض من عناصر الهواء لتزيد خصوبة الأرض وتجلعها صالحة للانتاج ونحن نستمد الآن عنصر الآزوت من الهواء بطريقة صناعية كيماوية لنمزجه بالتربة الارضية فيزيدها خصبا على خصب وتجعلها صالحة للاثمار • ومن الأمثلة القرآنية

التوضيحية قوله تعالى : « **ان كل نفس لما عليها حافظ** » ٤ الطارق .

فانها تعطينا معانى عديدة بعضها قديم وبعضها عرفناه أخيرا عن طريق الكشوف العلمية الحديثة فمن المعانى القديمة :

أولا : أن الله سبحانه يحفظنا من كثير من الأخطار المحدقة بنا لأنه سبحانه « **خير حافظا وهو أرحم الراحمين** » ٦٤ يوسف .

وهذا ما لاحظه الشاعر العربى القديم حيث يقول :

لعمرك ما يدرى امرؤ كيف يتقى

اذا هو لم يجعل له الله واقيا

ولاحظ شاعر آخر أن الله يحفظنا من أخطار نعرفها فيلهمنا تجنبها كما يحفظنا دون أن ندرى من أخطار لا ندركها فقال :

نرى الشىء مما يتقى فنهابه

وما لانرى مما يقى الله أعظم

ثانيا : أن الله سخر بعض ملائكته لتسجل علينا أقوالنا وأفعالنا ليجازينا عنها بما نستحقه من جزاء كما قال سبحانه « **وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون** » ١٠ — ١٤ الانفطار .

وكما قال تعالى : « **ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد** » ١٨ ق .

ثالثا : ان على كل منا رقيبا يحفظه من أن يدمر الآخرين أو أن يعبث فى الأرض فسادا الا حين يشاء الله أن يجعل بعض الناس فتنة للبعض الآخر كما قال تعالى : « **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة** » من الآية ٢٠ (الفرقان) والانسان لايملك أن يفعل الا ما أراده الله سبحانه لأن الله سبحانه يصده عن فعل مالا يريده « **وما تشاءون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما** » .

ومن المعانى الحديثة :

أولا : أن الله أودع فى دم الانسان ما يسميه الأطباء (كرات الدم البيضاء) وكل مليمتر مكعب من الدم يضم ثمانية آلاف كرة بيضاء . مهمتها الدفاع عن الجسم اذا تسللت اليه جراثيم الأمراض فاذا اقتحمت الميكروبات الجسم البشرى صدرت اشارة من المخ الى فصيلة من فصائل كرات الدم البيضاء بملاقاة العدو والالتحام به للقضاء عليه ، وقد فطن الأطباء الى هذه الخاصية فاذا انتشر وباء

مثل الكوليرا أو الجــدرى بادر الأطباء بتطعيم الأصحاء بجراثيم ضعيفة من هذا الوباء لتتـــدرب كرات الدم البيضاء على ملاقاة هذا العدو تدريبا كافيا حتى اذا تعرض الجسم للعدوى بعـــد ذلك كانت لديها حصانة كافية وقدرة تامة على ابادة هذه الجراثيم .

والقوانين الدولية تحتم عــلى المسافرين من دولة الى أخـــرى أن يحصنوا أنفسهم بالتطعيم ضد الأمراض المنتشرة .

أليست كرات الـــدم البيضـــاء جيشا معدا لحفظ الجســـم من جراثيم الأمراض الفتاكة **« ان كل نفس لما عليها حافظ »** ٤ (الطارق).

ثانيا : ويرى الأطباء تفســيرا جديدا آخر للآية فان الجراثيم اذا تسللت الى الجسم البشرى عــن طريق الأنف مثلا وجدت ثـــلاثة خطوط دفاعية حافظة للجســـم ، الأول منها شعرات الأنف الموجودة فى داخله فهى تعمل على تنقيـــة الهواء من هذه الجراثيم وأمثالها ، والخط الثانى عدد المخاط فانهـــا تفرز افرازات عديدة تطرد هــذه الأجسام الدخيلة ، والخط الثالث هو الخياشيم التى تنقى الهــواء تنقية تامة وتدفئه حتى تكـــون حرارته مناسبة لحرارة الجســـم حتى لايصاب المستنشـــق بنزلة شعبية أو التهاب رئوى حاد .

وهكذا جميع أعضاء الجسم كل منها مزود بجهاز حافظ وواق مــن الأخطار .

ثالثا : أما علماء النفس فيفهمون الآية الكريمة فهما جديدا فكـــل جسم بشرى أمده الله بحافظ ينبهه الى ما يصيبه ويحميه من ارتكـــاب الآثام التى تدمره تدميرا ويطلقون على هذا الحافظ اسم « الرقيب » ويمكن أن نسميه بالضمير الـــذى ينبه صاحبه الى اجتناب ما يخالف القانون أو الأخلاق الكريمـــة أو الشرائع السماوية وقـــد يقـــع الانسان فى خطأ ما فينبهه ضميره الى المبادرة باصلاح ما أخطأ فيه .

على أن خير ما نسمى به هـــذا الحافظ هو التســمية القرآنيـــة **« النفس اللوامــة »** التى تلـــوم صاحبها اذا قصر أو أهمل أو أخطأ فترده الى الصواب . فليستمع الى

صوت نفسه اللوامه وليستجب لها ليعود الى فطرته الطبيعية النقية التى فطر الله عليها الناس، والى هذا يشير الحديث الشريف « استفت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك » .

رابعا : يرى علماء الأحياء رأيا آخر وهو أن الله زود كل كائن حى بما يحفظه ويحميه فى ميادين الصراع القائمة بين الأحياء ، فقد زود الله الانسان بالعقل ليحميه من فتك الحيوانات المفترسة به كما زود السلحفاة بالدرع الحجرى الذى يحفظها وزود الثعابين بالسم الواقى ، والقنافذ بالأشواك والأبقار بالقرون ، والأسود بالمخالب والأنياب والغزلان بالخفة والسرعة الفائقة .... حتى بعض النباتات الضعيفة زودها الله بالأشواك .... **« أن كل نفس لما عليها حافظ »** ٤ الطارق .

ومن هذا المثل رأينا أن الآية الكريمة زودتنا بمعانى عديدة قديمة وحديثة وقد تعطينا معانى جديدة أخرى فى مستقبل الأيام وكل هذه المعانى صحيحة ومقصودة ولو ذكر القرآن الكريم كل معنى على حدة فى آية مستقلة لتضاعف حجمه أضعافا مضاعفة ولباغت بعض الأجيال بما لاتستطيع فهمه قبل أن تتضج ثقافتها العلمية .

ان الله هدى الانسان لاختراع الصاروخ صاحب الرءوس المتعددة التى تنطلق منه فيصيب كل منها هدفا مستقلا مقصودا .

أما أن تصيب الجملة الكلامية عدة أهداف مقصودة فى وقت واحد فهذا اعجاز انفرد به القرآن الكريم ليأخذ كل انسان منه مايتفق وثقافته وتفكيره وتقواه ، ويستطيع كل عصر أن يضيف جديدا فى فهم هذا الكتاب الكريم الذى « لا يخلق على كثرة الرد ولاتنقضى عجائبه » كما ورد فى الحديث الشريف ، أما مناهج التفسير العلمى لهذا الكتاب المبين فموعدنا بها البحث القادم ان شاء الله .

على عبد العظيم

حول إعلام إسلامى رشيد

الوعظ الدينى

للدكتور محمد رجب البيومى

— ١ —

تصادف كلمة الوعظ ثقلا لدى بعض الناس ، اذ توحى اليهم بادىء ذى بدء بأنها لا تخرج عن سيل من النصائح العامة التى يعرفها السامع مقدما ، قبل أن ينطق بها المتكلم ، حتى أصبح من المألوف المشاهد أن تستمع من انسان تنصحه بما ترى فى اتباعه الخير ، صيحة متبرمة يلخصها فى قوله : كفى كفى ، لا أريد وعظا !

والوعظ الذى نعنيه بمقال اليوم هو الوعظ الدينى الذى يهدى الى الصلاح دينا ودنيا وهو شىء آخر غير العلوم الدينية وان اتفق معها فى نتيجته المثمرة ، فالشيخ الذى يشرح للعامة فى المساجد مسائل الفقه والعقيدة ليس واعظا بالمعنى الذى نقصده ، بل معلم مثقف ، ولكن هذا الشيخ اذا حث سامعيه على الفضائل والآداب الاسلامية وحضهم على التمسك بالمثل العليا مستشهدا بكتاب الله وسنة رسوله ووقائع السلف الصالح من صدور هذه الأمة ، فهو داعية واعظ ، وهو من نعنيه بهذا التوجيه .

ونحن نعلم أن الوعظ الدينى فى مطلع هذا القرن لم يكن وظيفة رسمية لها دعاتها المعينون من قبل الدولة ، وانما كان عملا اختياريا يقوم به نفر ممن يعلمون واجب المسلم المثقف فى هداية النفوس

والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر كما يقوم اليوم بعض المتبرعين بالهداية ممن لا يحملون الصبغة الرسمية تعيينا وتحديدا للزمان والمكان ، ولكن الاحتلال الانجليزى قد عمل منذ هزيمة الثورة العرابية على تنشيط التبشير بالمسيحية فى بعض البلاد المصرية وبخاصة مدن الصعيد ، فأحس علماء الاسلام بخطر هذا النشاط ، وهبوا تلقائيا يذودون عن معتقدهم الاسلامى وألفت جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية حينئذ لتقوم بالرد على ما يأفكه المبشرون ، وقد اشتهر من العلماء طائفة مخلصة جعلت قيادها الى المرحوم الشيخ زكى الدين سند رئيس الجماعة ، ومعه زملاء مخلصون من أمثال عبد الوهاب النجار ومحمود محمود ومحمد عبد العزيز الخولى وعلى الجربى وطائفة أخرى من تلاميذ الاستاذ الامام محمد عبده ، ثم رأى السيد رشيد رضا أن ينشىء مدرسة للارشاد الدينى تخرج الدعاة على أحسن ما يرجى من فهم روح العصر ، ونفسيات أبنائه وظروف مجتمعه ، ليكون الداعية المسلم واعيا بما يجب أن يقول اذ أن لكل مقام مقالا ، ولكن قيام الحرب العالمية الاولى حال دون أن تستكمل رسالتها ، وكان اتجاه الدعاة جميعا الى العامة ، حيث كانوا مظنة الوقوع فى حبال المبشرين ، فأخذت خطب الجمعة ودروس المساجد ، ومحاضرات الجمعيات تصاغ على نمط سهل ميسر ، وقارىء الدواوين المنبرية لذلك العهد يلمس روح الاخلاص دون شك ، ولكنه يلمس فى الجهة المقابلة سيولة فى القول لا تعرف الحصر الدقيق اذ يتشعب الحديث دون أن يتركز فى نقطة واحدة ، كما نرى فى خطب الشيخ الصالح محمد الجنبيهى — وله عدة دواوين كانت ذات انتشار ممتد فى عهده — مع مجموعات أخرى من الخطب الدينية ألفها زكى الدين والشرنوبى والحمامى ، ولا ننكر على هؤلاء الافاضل جهودهم المشكورة اذ بذلوا قصارى ما يستطيعون قبل أن يتقدم الاسلوب المنبرى تفكيرا وتعبيرا وتصويرا واستشهادا ، وقبل أن

تخرج المطبعة فيضا من الدراسات الدينية كما نرى الآن .

ثم أنشىء قسم الوعظ والارشاد بالأزهر ، وقام على توجيهه نفر من كبار العلماء نذكر منهم الأساتذة الكبار على محفوظ، ومحمد أحمد العدوى وعبد ربه مفتاح ، وكان مدعاة انشائه أن يخرج من أكفاء الوعاظ من يقومون بهداية الشعب خلقيا واصلاحيا لأن حوادث الثأر ببعض الأقاليم ، وشيوع السرقة والتنافس العائلى على الرياسات المحلية فى تحرش بالخصوم ، واستهانة بالأرواح مما دعا وزارة الداخلية المصرية أن تجند نفرا من رجال الأزهر لمكافحة الجريمة ، والدعوة الى أخلاق الاسلام ، فتغلغلت الطائفة الأولى من الوعاظ بين الكفور القاصية والنجوع النائية ، لتهدى الضالين بالحكمة والموعظة الحسنة ، ووفقا لمقتضى الحال أخذ هؤلاء الدعاة يصوغون أحاديثهم فى نهج يناسب من يستمعون من العامة ، فيكثرون من أحاديث الترغيب ، ولا يجدون حرجا من تعدد الموضوعات فى الموعظة الواحدة ، وهو ما نزال نشكو منه الى اليوم لدى قلة من الدعاة ، لم تفطن الى ارتفاع المستوى الثقافى وفقا لتطور الزمن ، أما الكثرة فقد أخذت بأسباب التركيز والتحديد ، وهو ما ينبغى أن يكون منهجا عاما لجميع الداعين .

— ٢ —

أردت بهذه المقدمة التاريخية الموجزة أن أبين أسباب الانخفاض الملموس فى المستوى العلمى ، والمنحى الفكرى اللذين شاعا بوضوح لدى نفر من واعظى الأمس ، اذ كانت العامة وحدهم هدف المتحدث فكان مضطرا الى أن يقدم لهم من الغذاء ما يقدرون على هضمه وتمثيله ، وكان ذلك مقبولا بعض الشىء فى زمنه الماضى ، اذ كان المثقفون — أو أكثرهم مع الأسف — لا يجدون استجابة نشيطة من نفوسهم لدعاة الفضيلة ، لأن بريق أوربا — فيما قبل الحرب العالمية الثانية — كان

يجذبهم الى ثقافة الغرب وحدها والاكتفاء بها اذا قوبلت بغيرها ، اذ هى فى رأيهم ثقافة الحضـــارة المزدهرة ، والمدنية الشـــامخة بمخترعاتها العلميـــة ، وتقدمهـــا الصـــناعى والفكرى والاجتماعى فكيف يتركونهـــا الى مواعـــظ المســاجد ، وخطب الجمعيـــات الدينية ؟ ! ولكن دمار أوربا بعــد هذه الحرب قد فتح العيون النائمة فى بلاد الاســـلام على ما جهلوه من خطر التمدن الأوربى الخادع، وتقهقر الخلق الانسانى هناك الى مســتوى الوحوش المتصــارعة فى الغـــابات والنمـــور الهـــائجة فى الأدغال ، فاتجهت النفـــوس الى الاسلام تلتمس فى نوره الهداية ، ومـــن معينه الارتواء ، وكان الظن برجال الارشاد الدينى أن يعدوا للموقف عدته ، فيخاطبوا العائدين الى حظـــيرة الايمان خطاب المثقف المســتنير ، ولا أكذب الله حـــين أقول ان من بين هؤلاء الأفاضـــل من برع فى أداء رسالته ، وأبدع فى توجيهه بما وعى من ثقـــافة ، ودرس من مـــذاهب ، وخبر من نفوس ، والتزم من منطق فكان ذا اسم ذائع ، ولواء مرفوع ، عـــلى حين ظل نفر آخر يخاطب الخاصة خطاب العامة ، ويدعى للمنـــابر العـــامة الجهيرة فى الصـــحافة والاذاعة والتليفزيون فيقول لديها ما يقوله فى قرى الريف ونجـــوع الصعيد ، دون أن يقدر موقفـــه التوجيهى فى عصر متعدد المذاهب، متباين التيارات ، متضارب الميول والنزعات .

ولا أكذب الحق ــ مرة ثانية ــ حين أقول ان دراسات متخصصة ، قد أعدت لتكوين هـــؤلاء الدعاة ، والمامهم بمسائل جديدة فى علوم التربية والنفس والاجتماع ، وان كتبا خاصـــة بالدعوة والدعاة قد كتبت لهم على منـــوال معاصر ، يكشف عن طبيعة عملهم ، ويغوص الى أعماقه ، ويطير فى آفاقه هـــذا حق لامرية فيه ، ولكن قليـــــلا من هؤلاء من انتفع بدراســـته العليـــا وبثقافته المتطورة ، فكان واعظ عصره ، وداعية زمنه ، وغير القليل لم ينتفع لأن الدراســـات العليا وما يحذو حذوها من الكتب

الموجهة لم تصادف من عقله دراسات سابقة تمهد لقبول هذه الأفانين ، وحسبك أن تعلم مثلا ان علم الكلام القديم هو حصيلته العقلية فى مجال الدعوة للعقيدة فى عصر تنتشر فيه الوجودية والشيوعية والمادية وما ينحو نحوها مما يهدم أصول العقيدة الاسلامية اذا سكت عن دفعه بالبرهان الصريح ، وقد أصبحنا فى عصر مفتوح النوافذ للاذاعات المغرضة تقذف سمومها كما تشاء ، ولن يستطيع المسلم تحصين نفسه من هذه السموم دون ارشاد هاد ووعظ مستنير ! ولا أجد حرجا من أن أقول ان بعض دعاة المسيحية فى أوربا أكثر الماما بتيارات عصره ، ومنحرفاته الملتوية ، فهو على التوجيه أقدر . ولعلى أبرهن على ذلك بالمثال .

— ٣ —

كتب الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد مقالا جيدا تحت عنوان (كيف يعظون) تحدث فيه عن واعظ أوربى أعجبته ألمعيته المتوقدة فى النقاش ، وحسن تأتيه فى الجدال ، وادراكه الواعى لطبيعة من حوله من الناس ، فقال الكاتب الكبير ما ملخصه :

فى أثناء الحرب العالمية المدمرة، وقف بعض الواعظين يتحدث فى مصنع أوربى فصاح به أحد العمال فى تبرم : ما هذه الجرأة على الوعظ باسم اله المحبة والرحمة ، وهذه الحرب تطحن الناس ؟

فأجاب الواعظ فى هدوء صابر : انك يا أخى لقاس على الأقدار ، فهبك فى مكان القدر ، فما عساك تصنع بالدنيا ؟ لا أحسبك كنت تخليها من الخطيئة ، لأن النفس مريدة وحرة ولابد أن تخطىء وتصيب ، والا كانت مجبورة مسيرة ، أنت اذا أردت لها شيئا ملزما ، هدمت تكوينها النفسى باعتبارها نفسا مكلفة ذات حرية وتقدير ، فان لم تصنع هذا فما أنت صانع ؟

فقال العامل — وكان على نصيب من الادراك الثقافى — على أى حال لا أدع انسانا فى الحياة ،

يألم لجرأة غيره ، ويصلى بحـزاء ذنب لم يرتكبه ؟

فعاجله الواعظ يقول : يالها من حياة سـخيفة تلك التى تريدها ، فما ذا تنوى أن تصنع بالأمهـات مثلا ؟ أتريد لأم أن يذهب ابنهـا للمـوت أو ابنتهـا للعـار ، ثم نضـحك بعـد ذلـك لاهية ، لأنها لا تحس الألـم فى ذاتهـا الشـخصية ، لأنه ــ حينئـذ ــ موجـه الى الابن أو البنت فقط ! أتريدلها أن تقول : ان الذنب ذنب غيرى فلا أكترث به ! ان الدنيـا حينئذ تخلو من أنبل العـواطف ، وأرق المشاعر ، اذ تكون خلوا من فضائل الأمهات والآباء وتعـاطف الأوداء والأحباب !

هذا مثل جيـد لواعظ بصير ، وآية الجودة فيه أنه يخاطب العقل المدرك فى نفس المسـتمع ، ويقدر الأحوال المحيطة به قبل أن يأتى ببرهانه ايجيىء رده مطفئـا كل مايعتلج بالنفـوس من حـزازة الشك ، ولن يصل الى ذلك غـير داعية مرن تثقف بثقافة عصره ، وكشـف عن الأعماق من نفوس مخاطبيه ، ونحن فى زمن لا يكاد ينجح فيه الواعظ المسلم نجاحا ذا تأثير مأمول اذا اقتصر على سوق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مجردة من حرارة القائل ، وصدق تفسـيره ، ولطف مدخله ، وطول أناته ، لأن العقول فى زماننا هـذا حائرة قلقة وتريد لمن يصـف لها العلاج من كتاب الله أن يقدر على اظهار حقائقه الربانية ، فالواعظ اذن مسـئول عن موضـع الاستشـهاد ، ومناسبته ، وبراعة توجيهه ، والتأكد من انطباقه على ما يتحـدث عنـه دون تمحل أو افتعال ، حيث يكون الربط واضحا فى غير اعتساف ، وتلك ناحية عقلية لابـد أن تتـآخى مـع ناحيـة خلقيـة ، اذ يكـون الداعيـة موضـع القـدوة المثالية فهو الأنموذج المحتذى لأنه ملتزم بما يقول قبل أن يطالب به سـامعيه ، وقد يبلغ العمل الواحد من التأثير النفسى ما لا تبلغه آلاف الأقوال، وأنا أعرف من كبار الدعاة من كانوا يؤثرن بالسلوك وحـده دون أن يعلوا منصات المنابر الا فى النادر

القليل ، فاذا تكلموا كان حديثهم تطبيقا عمليا لما يريدون .

على أن ثقافة العصر بمدارسه ومعاهده وجامعاته وكتبه واذاعاته تحتم علـى الواعظ المستنير أن يلمس عيوب الواعظ القديم ليتركها دون رجعة ، ولكن الواقع غير ذلك فأنت لا تزال تسـمع نفرا من الواعظـين يغمرون الأسـماع بالقصـص الخرافية ، والروايات المصـنوعة ، ويحشـدون من الاسرائيليات وأشباهها ما يغرق السامعين فى لجب صاخب لاخير فيه، ونحن لا ننكر أن الحرص عـلى التشـويق وجـذب الأسماع الى المواعـظ شىء مطلوب ، ولكننـا نريد بالتشـويق المؤثر أن يتم فى ميـدانه الطبيعى ، حين يرتفـع الواعظ عن التسلية السطحية الى التثقيف الموجه ، فهو ذو مصـباح لابد أن يبدد ظـلام الشـبهات ، وغياهب النفوس فاذا لم تسـتطع أشـعة وعظه أن تهـدى النفوس بغير الملفق من الأقاصيص ، فقـد حاد عن الطريق ، واذا كان المدرس فى حقل التربية والتعليم يتخذ من وسائل الايضاح فى درسه ما يمهد به سبيل المعرفة الى عقول التلاميذ، فالواعظ مدرس أيضـا فى هديه ، وعليه أن يهتم بوسائل الايضـاح المجدية ليصـل الى النفوس دون عنـاء .

هذا ، والايجاز ـ لدى ـ أبلغ من الاسـهاب ، اذ ألف نفر من الواعظـين أن يظلوا السـاعة والساعتين صائحين متكلمين ، وكأن امتداد الزمـن وحـده مقيـاس الجـدوى ، مـع أنه داعيـة الى الاستطراد من القائل ، والملل من السـامع ، والسـامعون ـ لا محـالة ـ طبقـات ، منهم من يثابر على الفهـم ، ومنهـم من ينصرف الى أحلامه الخاصه فيرى مستمعا بجسمه دون فكره ، واذا كان الاطناب مع الجودة والاصابة مملا ، فكيف به مع التفاهة والحشو والاستطراد والتكرار !

لقد كان الحسن البصرى رضى الله عنه أبلغ الدعـاة فى عصره . وكان يقـابل خطب الحجـاج ابن يوسـف الثقفى بعبـارات

موجزة ، تحير الحجاج وتدهشه ، وتوقعه موقع القلق والاضطراب ، فلا يســتطيع أن يرد ، وما كان الحسن رحمه الله يزيد فى وعظــه البليغ على فقرات يســيرة ، تهب على المؤمنين روحــا وريحــانا ، وتصب على العصاة شواظــا من لهب •

عاد الحسن البصرى ذات صباح مع العائدين من تشييع جنازة لأحد كبــراء البصرة ، فالتفــت الى أصحابه ، ونظر طويلا ، فشخصوا اليه منتبهين ، ثم سألهم فى تؤدة :

ترى لو رجع هذا الميت ثانيــة الى الحياة الدنيا أكان يحرص على الطاعات ؟

فقال السامعون جميعا : نعم • فحــدق فيهم الحسن متفرســا ثم قال فى تمهــل : أمــا نحن فقــد رجعنا ، وعلينا أن نحرص •!

ان السؤال الوجيز الذى وجهه الداعية الكبير ، والرد الموجز الذى تلقاه ، ثم ما شفعه به من التعقيب كل ذلك لم يستغرق دقيقة واحدة • ولكنه ترك فى النفس أبلغ ما يتركه واعظ كبير يتحدث عن الموت ساعة كاملة دون انقطاع ، ومــا ذلك الا لحرص الحسن على انتهاز الفرصة المواتية ، فسقط حديثه كما يسقط الغيث على المرعى الجديب ، وليس الحسن البصرى وحده فريدا فى بابه بل يشاركه أعــلام بارزون مــن طرازه • وأذكر أن الجاحظ قــال « ما تحدث عمرو بن ذر الهمذانى فى مجلس وعظه الا حسبت أن قد نفخ فى الصور وقام النــاس لرب العالمين » •

كيف ارتقى الحسن فى اقناعه ؟ وكيف اهتدى ابن ذر فى ابداعــه ؟ سؤالان ، جوابهما القدرة عــنى انتهاز الموقف بالقول الصائب ! أما العلم وحده فما أكثره • وما أقــل مايجدى دون التفات الى مقتضيات الأحــوال •

د • محمد رجب البيومى

من شعراء الأزهر

الشاعر الدكتور كيلانى حسن سند

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

بعد ألف عام وعام :

ســـوف تحتفى الأجيال بذكرى شاعر كبير ، عــاش هنا ، ومــات هنــا ، دون أن يعرفـــه عصره ومجتمعه ، ودون أن يفيه زمنــه وبيئته حق قدره ، وحق ما يجب له من تكريم ووفاء •

ولسوف تقول الأجيال القادمة عنه : لقد كان شاعرا مبدعا موهوبا أدى للعبقرية وللفن أرع ما يؤديه شاعر ، عاش يبنى المجد والحياة لأمته ووطنه ، ولجماهير شعبه ، وهو يردد أغانيه للحيــاة وللحب وللحرية ولانتصار الانسان •

وعجبت والله : كيف لم تهتــز الدنيا لموت هذا الشاعر العملاق ، الذى لا أعرف له نظيرا فى حلاوة موسيقاه ، ولا فى رعشات صوره ، ولا فى وهج فنه ، وجمال الهامه ، وبلاغة صياغته مات شاعر، كان حقا سيصبح مفخرة للوطن وللعــروبة وللانسانية •

مات الشاعر د • كيلانى حسن ســـند وفقدنا بموته الالهــام الشـــعرى الرفيع ، والموهبــة الساحرة الغنية المعطاء ، والابداع الشـــعرى الذى لا نهاية لعذوبته وجماله وسحره •

وهــل يمكن أن يجود الــزمن بمثل عبقرية هذا الانسان ، هذا الشاعر ، هذا الفنان المبدع حقا •

وأشهد أنى لم أقرأ شــعرا له

الا وملكتنى هزة الاعجاب ، بهذا النعم الشعرى النشوان ، وبهذا العطاء السحرى الفينان ، وبتلك الروعة والطاقة الابداعية الصراحة ، بل بذلك المنجم الماس الثرى ، الذى طالما نفحنا ثراء وعطاء وجمالا دون حدود .

وكنت أقول ما لأسيوط والأسايطة وما للشعر ؟؟ ..

وكذبت مقولتى هذه أشعار الكيلانى حسن سند أولا .. وكذبتها أشعار محمود حسن اسماعيل ، وفوزى العنتيل ، وبكر موسى أخيرا .. والثلاثة ممن أعرفهم ، وممن نشأوا فى القرية ، وعاشوا فى المدينة ، وممن تلقوا ثقافتهم الأولى فى المعهد الدينى فى أسيوط ، وممن كانت موسيقاهم مع اختلاف درجاتها حلوة وجميلة ..

كتبت منذ أكثر من عام مقالا لمجلة شهرية أرشح فيها للمجد ثلاثة شعراء ، كان أولهم شاعرنا الخالد د . كيلانى حسن سند — رحمه الله — ولم ينشر المقال بعد .. وأظن أن عدم نشره حتى اليوم يرجع الى أن المحرر المسئول له رأى خلاف رأيى .. وقد ينشر المقال بعد حين ، ولكن نشره لن يبعد عن وجدانى روح الأسف لأن الشاعر كيلانى سند لم يقرأه فى حياته منشورا ، ولم يعرف رأيى فى شاعريته الحلوة الساحرة الغنية المعطاء ، التى خلفت لنا دواوين أربعة مطبوعة :

— قصائد فى القنال وقد صدر عام ١٩٥٧ .

— فى العاصفة الذى صدر عام ١٩٦٢ .

— قبل ما تسقط الأمطار وقد صدر عام ١٩٦٨ .

— فى انتظار المطر الصادر عام ١٩٧٧ .

وهناك ديوان خامس مخطوط ، نعله يرى النور فى القريب .

ولا أريد هنا ذكر كتب أصدرها الشاعر ، ومنها :

– تجارب شعرية .

– ذو الرمة ، الذى صدر فى سلسلة أعلام العرب ، ولا ذكر رسالته المخطوطة للدكتوراه ، وموضوعها « حازم القرطاجنى شاعرا » .

ولأذكر كتب جامعية ، كتبها لطلابه فى كلية التربية بالفيوم .

ولقد حصل على الدكتوراه فى الأدب والنقد من كلية اللغة عام ١٩٧٤ بمرتبة الشرف الأولى .

وحسبى هنا أن أتحدث عن شعره وشاعريته ، وتجاربه الشعرية الانسانية العالية .

– ٢ –

ولنقرأ للشاعر قصيدته الأولى فى ديوانه الثالث ، « قبل ماتسقط الأمطار » وعنوانها « الكلمات » ، وفيها يقول :

يا كلماتى

ياكلمات سنينى العجفاء

أقسم أنى ما قصرت

سرت ، جريت ، مشيت على الشوك

مشيت ماقصرت

ما وفرت ضياء العينين

ماوفرت

لكن الطرقات المكتظة بالأحجار

ماتركت لى أن أختار

وأنا قلبى كالعصفور ، وزندى

لايصمد وسط التيار

مع الاشرار

ماذا يصنع من لايصعد غير جبال

النار

اذا ماانهار أمام الشوك أو الأحجار

يطأطىء حين تهب الريح ، ويصمد

فى وجه الاعصار

يا كلماتى ، ياخيمات تحمينى من

وهج الصيف أو الأمطار

مما يرفع رأسى زهوا

أنى ماسطرت الأحرف لغوا

مادنست طريق الشعب

ماطرزتك حول وشاح كى يتقلده

جبار

يقهقه حين يشاهد روما وسط النار

كنت أريدك بستانا ان جاء المتعب

يأكل ، يشرب ، يغفو ، ينسى أحلام الغرباء
خبزا للجوعى ، ودواء للمرضى ،
وغطاء للمقرور ، ومسندة من ريش نعام
للأيتام
كنت أريدك..لو كانت تتحقق لو !
ولكن مما سيعزى القلب ـ:
خطأ ؟ الأحباب ، خطا من يسلك هذا الدرب

أرأيت السحر والنشوة ، والموسيقى والأحلام ، والانسانية كيف تتدفق من ألحان هذه القصيدة الجميلة ، المعبرة عن فكر ثرى ، ومضمون غنى ، وبألوان من الصياغة الفريدة الجديدة ؟.

القصيدة تلخص فكر الشاعر ورؤاه ، وحرصه الدائب على شرف القلم ، وصدق الكلمة .

وليس هذا المضمون بجديد على الشاعر اننا سنلمسه فى ديوانه الأول قصائد فى القتال ، وهو يعبر عن نضال المصرى الذى سخره المستعمرون لحفر القنال ، تعبيرا لم يكن يملك فيه ذاتية الصياغة ، ولا حرية النغم ، حتى لنجد له مثل قوله :

سيبكى العيال
فتصرخ أمهم فى انفعال :
ابوكم ، وخبزكم ، والادام ، وكل الرجال ..
مضوا مرغمين لحفر القنال

ونلمسه فى ديوانه الثانى « فى العاصفة » فى مثل قصيدته الاولى « الطريق الشائك » ، التى يقول فيها :

بأكم عبرنا قنطرة
وأبحرا رهيبة أمواجها مزمجرة
وكم صعدنا قمة عالية ، مسورة
نبحث عن أغنية صغيرة ، عن جوهرة
وزادنا على الطريق ورق ومحبرة
وأسيات فى الصدور غضة مخضوضرة

يا اخوة سيقبلون والليالى مقمرة
ويسلكون دربنا مواكبا مستبشرة
طريقهم ممهد وأرضهم محررة
فلم يروا أنا غرسنا واحة معطرة
سوى بذور لم تزل نائمة مخدرة

وبعض نجمات صغار في الطريق نيرة
فاتذكروا أنا عبرنا ألف قنطـــرة
وقنطـرة

ونلمسه فى ديوانه الأخير « فى انتظار المطر »

يقول من قصيدته « أغنية » :
ان تدر طرفك تبصر من حوالينـــا
حيـــارى

وردوا النهر وعادوا منه بالهـــم
ســـكارى
آه لو نجعل يوما لهم الحب منارا
ونغنى ، فالـــربا الخضراء لاتبقى
صـــحارى

ربما نصنع شيئا قبل ما أن نتوارى
وفى قصيدته «الخريف والحب»
يقـــــول :

لقد غنيت للشـــــاكى ، وللباكى ،
وللمقهوركى يقــوى
ومن يشقى بلاجدوى
وقلت لهم اذا ما جاء عيدهم الذى
أهــوى
سأسكرهم بقيثارى
وأتركه لهم ذكرى لكى يرثوه مـــن
بعـــدى

لكى أذكـــر
أنا أعرف لا أنكر

ذلك النغم الشعرى الانســـانى الرفيع هو فكر الشاعر طول حياته من بدئها لختامها لقد حمل قلمه فى يديه ، وسار طول عمره فى هجـــير الحياة يغنى .. للحرية ، للانسان، للوطن ، للشعب .

يقول فى ديوانه (فى العاصفة) من قصيدته (يارياح الخريف) :
تتوالى الهموم من كل فج
مشرعات على حر السلاح
وأنا أغزل الكآبة شعرا
هو شكوى مواجعى وجراحى
أتغنى به فيخضر نبت
من حوالى تشب أقاحى
وأرانى نفضت عنى غبارى
ثم واصلت رحلتى وكفاحى
ياطريق الحياة لا الشوك يثنينى
لا ولا الصخر سوف يثنى طماحى
سوف أشدو فيملأ النور قلبى
ثم أمشى على رنين صداحى
انى السابق المبشر بالفجـــر
فمن يستطيع وأد صياحى ؟

— ٣ —

والحب هو الشعار الأبدى الذى

رفعه الشاعر أمامه ، وهو يغنى للحياة وللحرية ..

يقول فى ديوانه « فى العاصفة » من قصيدته « العودة » :

أحبابى غابوا ، أحبابى من سنة
ما طرقوا بابى
غابوا ، مامروا ، ما سألوا ، ماتركوا
لى أى جواب
كانوا كنجوم من حولى لفتهم أردية
سحاب
أحبابى غابوا ، أحبابى ، فكسانى
الليل بجلباب
وطريقى ممتلىء شوكا ، وصخورا
تنهش أعصابى
حتى وكرمتنا قديست ، قد صارت
حزمة أحطاب
أترى سنعود كما كنا نتساقى
الفرح بأكواب
نمشى فالنخضرة تكتفنا ، آلاف
حقول وروابى
وأعود فأسمع دقات ، دقات
أصابع بالباب
فكأن جداول من طل رشت بالفرحة
أعشابى

وفى ديوانه الاخير يقول من قصيدة « عصفور الحب » :

عصفور الحب الثرثار
أرهقنى ، أتعبنى ، شتت من ذهنى
الأفكار
ارجعنى طفلا يتأرجح بين غصون
الأشجار
أنسانى عمرى ، تجربتى ، أنسانى
معنى أن أختار
أقسم بالحب وبالموسيقى ، بالأشعار
أقسم بالماء الجارى ، كالفضة فى
الأنهار
أقسم لن يرجع بعد اليوم ، فقلت
له : يامكار
ستعود اذا خلع الورد القمصان ،
وفك عن العطر الأزرار
ستعود مع الأطيار
مع النسمة حين توشوش آذان
الأزهار

حين يعود الناس اثنين ، اثنين ،
وكل حديثهما أشـــعار
لكنى سأقص الريش ، أعريك
وألقيك أمام الريح ، وتحت الامطار
فتبسم منطلقا يتحدى
سأعود ولو تلقينى فى النار

ان هذا الجمال الفنى فى الحوار فى الصور ، فى الصياغة ، فى الرقة والعذوبة ، فى الانسانية ، فى الحب لا تجده الا عند شاعرنا الخالـــد

وانظروا اليه يقول من قصيدته (دعـــوة) فى الديوان نفسه :

سأدعو عليك

يحج الفراش الى وجنتيك .
وحين يمر به النحل يحكى لــه
عنك عما رآه لديك فيأتيك فى لهفة
العاشقين ليرتشف الشــهد مـــن
شفتيك .

سأدعو عليك
اذا النوم عشش فى مقلتيك .
ترين المحبين قــد قبلوا يديك ،
وقد قبلوا قدميك وقالوا : دمـــانا
التى قد سفكت على وجنتيك وفى
راحتيك
سأدعو عليك
يهب النسيم الشـــقى يبعثر
شعرك عن كتفيك

سأدعو عليك

اذا العيد جاء ولم تأتنى ، سوف
أدعو عليك بأن تمرحى فى ربيـــع
الشباب ، وقلبى يمرح بين يديك

أرأيتم أحلى أو أجمل من هذه الدعوة ، التى يدعو بهـــا الشاعر عـــلى حبيبته ، انها دعـــوة الحب والحنان ، والقلب الذى ناء بأحلام الجمال .

— ٤ —

ولا يقف الشاعر شعره عـــلى الحرية ، والوطنية وحدهما ، ولا على الحب والاحباب وحـــدهما ، بل تراه يطيل الحديث فى دواوينه عن : نفسه ، وذاته وحياته .

ماتت أمه ، ولفـــه أبوه بعطفه وتحت جناحه ، ثم طوى أبوه عنه ظله ، وصور الشاعر ذلك كله ، فى قصيدته الجميلة « الطير الغريب » فى ديوانه « فى العاصفة » .. وقد وازنت بينها وبين قصـــيدة لنزار

قبانى فى وفاة أبيه وذلك فى كتابى (١) « الشعر الحديث ومدارسه » .

ولكن كيف يطوى الأب ظله عن ابنه الصغير .. ذلك ماشرحه الشاعر فى قصيدته الأخرى «جنة الحب » فى الديوان نفسه ، التى يقول منها :

قد كان أبى ملكى وحدى
وأنا قد كنت له وحده
سنوات مرت كثوان واذا بالجنة مسودة

لفتها نار ، تنين ، قد أفرغ فى الجنة حقده كالفرخ الازغب مرتاعا ، فى العش وقد أصبح وحده قد صرت، فاحساس يتيم ، احساس بالغربة بعده ويغاضب الشاعر الحياة فى القرية ، ويودع أباه ، ويتركه الى القاهرة .. ويذكر ذلك فى قصيدته (وداعا يا أبى) من ديوانه الأخير « فى انتظار المطر » .

وبعد سنوات يرحل أبوه عن الدنيا ، فيرثيه بقصيدته « ثم افترقنا » من الديوان الثانى « فى العاصفة » ... وفيها يقول :

أبتى ودموعى فى خدى
وجراحك مازالت عندى
فى الحلم أراك تخاصمنى
تتركنى فى الغربة وحدى
فأحس الشوك بأعماقى
وبكى النار على جلدى
أبتى .. مازلت أرددها
فأحس لها طعم الشهد
أتراك ستغفر لى أنى
بالأمس فصمت عرى الود
وهجرتك اذ أمى ماتت
وشعرت بآلام الفقد
فبدت بسمائى أجنحة
سود ، أجنحة من حقد
صبغت دنياى فلم أبصر
فى الورد سوى شوك الورد
قد تعتبر ورق أيامى
كى يقلع فى بحر الصد
قد مات وأصبح جثمانا
سيوارى بتراب اللحد
فشعرت ببركان الذكرى
يتمدد وحشا فى قيد
وهوت فى صدرى زهرات

---

(١) ج ٢ ص ٨٠ الشعر الحديث ومدارسه

قد كانت أغلى ما عنـــــــدى
وتمضى المحنة .. وتبتســـم الحيـــاة للشاعر ، ويعيش يغنى لآماله وأحلام صــباه .. واذا هـــو فى محنـــة جديــــدة ، محنة يرى نفسه فيها وحيدا بعد ما كان قد ركن الى ظل يأوى اليه فى الحياة .. وتحدث عــن ذلــك طويلا فى العديد من قصائده ، فى ديوانه الثالث « قبل ما تســقط الأمطـــار » .. ومنها قصــيدته « فلتبعدى عنى » .

وفى ديوانه الاخير قصـــيدة بعنوان « مرثيةفى ساعة الضعف » يرثى فيها الشاعر نفسه ، لمــا رأى صفحات كفاحه الطويل لم يقرأها أحد ، وأحلامه بعد هذا الكفاح لم تصل به الى غاية .

*

ثم حالف الشــــاعر المرض فى أخريات حياته ، حتى جاءه أجله ، وانتهت صـــفحة حياته ، فغادر الدنيا الى غــير عودة .. وذلك فى اليوم الاول من نوفمبر عام١٩٧٩م ــ الحــادى عشر من ذى الحجــة عــام ١٣٩٩ هـ ــ عــن أربعــة وخمســين عاما ميلاديا ، واذ كان ميلاده عــام ١٩٢٥ م فى قرية أبو محمد مركز أبو تيج ــ ولربما يكون الشاعر قد صور هذه المرحلة الاخيرة من حياته ، مــع المرض ، الذى استمر عامين ، فى ديوانــه الــذى لم ينشر بعــد ، والــذى سيكون ضوءا جــــديدا لجوانب مجهولة من حياة الشاعر الاخيرة .

ولنترك ذلك كله الى قصيدته : « انسان بلا أسطورة » من ديوانه « فى العاصفة » ، حيث صـــور الشاعر حياته فيها بلا مبالغة ، بل بصدق وبساطة وجمال .. يقــول الشاعر لفتاته :

بين البيوت بيتنا هناك حيث أنظر
جدرانه طينية،والطوب فيها أخضر
وبابه جميزة ، كانت هناك ، لاتثمر
البدر من عشاق ذاك الصــــبى الأشقر
وان دخلت بيتنا لن تجدى مايبهر
لكنما أفراحنا كثيرة لا تحصر
الليل لا ننامه نظل فيه نسهر

وكلمة بسيطة تجعلنا نكركر
ومثل كل المتعبين فى غد نفكر
صديقتى أما أنا فآدمى خير
عار ، بلا أسطورة وهمية تحير
حينا أحس أننى من الحياة أكبر
وبعض حين ذرة ضئيلة أو أصغر
صديقتى الوداع انى هاهنا أنتظر
تلك التى من طينتى لا شىء فيها
أنكر .

وطيلة حياته كان طموح الشاعر أكثر مما تحتمله قواه .. كان يسعى الى المجد ، وكان يظن أن المجد بعيد عنه ، وما علم أنه حين احترق بنار الحرمان ، سعى اليه المجد من كل مكان مجد الشعر ، لا مجد السلطان .. يقول لحبيبته من قصيدته (اليها) من ديوانه فى العاصفة .

اليك يا سر قلبى كل أغنية
عصرتها من دمى المشبوب كالنار
اليك دفعة قلب ليس يشغله
عنك التقرب من دار الى دار
يلاحق الخطو خلف المجد يطلبه
ودونه الدهر ، ليث الغابة الضارى
وكل ما يتمنى منك بارقة
من الرجاء تنير الليل للسارى

— ٥ —

وفى شعر الشاعر روائع من الشعر الانسانى الساحر ، الذى لا نجد له مثيلا عند الشعراء المعاصرين ، كقصيدة « صباح » فى ديوانه الأخير ، وصباح هى الطفلة الصغيرة التى تفرح بفرح الشاعر وابتسامته للحياة ، ويضيق النطاق عن الاستشهاد بها ، وبكثير من القصائد التى أشرنا اليها ، وتبدو كذلك انسانية الشاعر فى قصائد كثيرة ، غنى فيها للحياة وللانسان وللفلاح وللعامل ، وللطفل وللمحروم ، وللشعب .. كما تبدو فى قصيدته (الحب) من ديوانه الثانى ه فى العاصفة ، وفيها يقول :

كن مثلما شاء الندى
مثل الصباح الاشقر
كالطير فى أفراحه
غنى لكل البشر
غن لهم ، ارث لهم
قلوبهم من حجر

وافتــــح لهـم نافـــذة ــ
في قلبـك المخضـــــوضر

فــالحـــب أى منجــــم
في قلب انســـــان ثــرى
لــون الضــحى من لونــه
والعطـــر بـين الـــزهــر
أخى الحيــــاة غنـــــوة
بالحـب ، حـب البشـــر

هذا الى شعر الشاعر في الوطن والوطنية ، وهو كثير ، كقصيدته « العبور » في ديوانه الاخـير ، وقصـيدته « مرثية لبطـل » في الديوان نفسه .

وما أروع « الشاعر كيـلانى حسن سند » في موســـيقاه ، في صوره ، في أخيلته ، في صياغته ، في مضمونه .

يخال الفجر صبيا فيقـــول في ديوانه الثالث :

وجاء الفجر صبيا أشــــــقر ، طافيا ، يدق على الابواب ويجعل الربيـــع كذلك صبيا فيقــول في ديوانه الثانى :

وفجاءة قد مــر ظل فالتفت اذا صبى ورد الربيع بوجنته ، وشعره الذهب النقى .

وهو يستعمل الكثير من الكلمات والاساليب الدارجة الفصيحة ــ في في خفة روح ، وحـــلاوة تعبير ، ومهارة صانع فنان .. يقول :

من كل جرىء عملاق ، ممشوق ، كعمود الزان (١) ويقول :

أسقيه اذا جـــاع دمـــائى
أطعمه من حبيــــة عينى (٢)

وقد رأينا كيف استعمل الشاعر كلمة (مكار) في شعره .. في لطف وجمال لاحد لهما !؟

وظاهرة فنية أخرى واضــــحة في شعر الشاعر « كيلانى حســـن سند » رحمه الله ، وهى بلاغــــة التكرار في شعره ، الذى يجعل منه في القصيدة مثل القفلة في الموشحة .

---

(١) ١٥ في العاصفة .
(٢) ١٧ في العاصفة .

ويبدو ذلك فى قصيدته (دعوة) التى سبق أن ذكرناها ، وكذلك فى قصـــائده :

ـــ الخريف والحب (ص ٤٠ من الديوان الاخير) .

ـــ مرثية حب (ص ٧٨ الديوان نفسه) .

ـــ أمل (ص ٣٠ فى العاصفة) .

ولقد كتب من قبل عـــن ديوانه فى العاصفة مقالا نشر فى مجلـــة الازهر حيث ذكر أن فلسفة الشاعر فى هذا الديوان تدور حول أمـــور ثلاثة :

١ ـــ الشعور الكامل بدور الفن فى الحياة ، وأثره فى مســـــتقبل البشر .

٢ ـــ الايمان بالخير وبالحب ، حب الحياة ، وحب البشر ، وحب الانسانية .

٣ ـــ التفاؤل والابتسام للحياة .

وقلت ان فن الشــــاعر يتميـــز بخصائص عدة :

١ ـــ حلاوة موسيقى الشاعر .

٢ ـــ كثرة الصور فى شعره .

٣ ـــ بلاغة التكرار فى شعره .

٤ ـــ بعده عن التقرير والخطابية فى شعره .

٥ ـــ بساطة الاسلوب والتعبير .

وبعد .. فماذا نقول عن الشاعر « الدكتور كيلانى حسن ســـند » الذى كان يملك موهبة فنية ساحرة، وموسيقى عـــزبة نادرة ، والذى امتزج الفن والشعر بأعماق نفسه وطوايا جوانحه .. والذى صـــار حديثا وذكرى وقصة ســـوف تتلى على مدى الايام ، ذكرى الشـــاعر العظيم ، وحديث الشعر الرفيـــع الذى يقول عنه من قصـــــيدته (يا شـــعر) مـــن ديوانه الثانى (فى العاصفة) !

يا شعر ، يا لحن القلوب ، ويا نشيد الحائرين ، يا غنوة طفحت بها كأس الصـــبابة والحنـــين ، يارعشة القلب الجريح ، وياصدى الروح الحزين ، يا موجة غســـلت

جرحات الفـؤاد من الأنـين ،
ويا وحى ليلى والحياة يلفها حولى
السكون يادفعة الشـوق الحبيس
وصرخة الامل السجين ، يا مشعلا
بيدى يضىء لى الطريق فيستبين ،
لولاك يا شعرى للذت من المواجع
بالمنـون .

وفى قصـيدته (زوابع) من
ديوانه الثالث يقـول :

ياشـعر ما أنت الا ذوابع فى
دمائى ، أهتز منها كأنى دوامة فى
هواء .

ليلى غلاف صفيق مطرز بالشتاء
غرد لنمشى ونمشى الى مـروج
وماء ، وتطلق الفجر نهرا يزيل ليل
الشتاء .

ومضى الشاعر وودع الشـعر
والحياة ، بعد أن ترك منجما ذهبيا
من القصيد ، تثرى به الاجيال .

مضى وخلف شعره يضىء للناس
طريقهم فى الحياة ، فيسـعد
المحرومون ، وينعم المعـذبون ،
ويفرح البائسون .

وقبل أن يرحل الشاعر عنا بأكثر
من عشر سنوات كانت له أمنيـة ،
أن يرقد رقدته الأخيرة فى واد بعيد
فى ظلال الصمت والعـزلة ، حتى
انقرأ له وهو يقول من قصـيدته
(أمنية) فى ديوانه الثالث :

طويت شراعى المكدود من سعيى
وترحالى ، وهأنذا أود أنام ، ألن
ألقى بأحمالى بواد منزو فى الصمت
واد بين أدغال سوى عصفورة ثكلى
تئن بعشها الخالى ، وغـير الريح
حين تهب تكسونى بسربال .

وكان ما تمنـاه الشـاعر ،
فدفن فى واد منزو بين الصـمت
والسـكون والادغـال والريح
التى تثير التراب ، والعصـفورة
الثكلى التى تذوب أنينا فى عشـها
الخالى .

ومشى الناس يقولون : هنـا
دفن شـاعر ..

د . محمد عبد المنعم خفاجى

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٥٧٥ ويقول : لهذا التاجر كثير من الزبائن ، وهذا التعبير فاسد لأن كلمة الزبائن بمعنى المشترين لم يستعملها الا المحدثون ، محتجين بأن الزبن معناه الدفع ، اذ يقال : أراد فلان حاجته فزبنه عنها رجل آخر ، والمشترين يزبن بعضهم بعضا •

والحق : أنه لا يجوز استعمالها بهذا المعنى ، لأنها لم ترد عن العرب ، ولأن فعائل لايطرد الا فى رباعى مؤنث ثالثه مدة كرسالة ورسائل ، وصحيفة وصحائف ، وعجوز للمؤنث وعجائز ، فاذا كان العجوز ذكرا قيل : رجل عجوز ، ورجال عجز بضمتين • ومثل ذلك : قولهم امرأة عروس ونسوة عرائس ، ورجل عروس ورجال عروس • وكلمة زبون تكون صفة للمؤنث كما تكون صفة للمذكر •

فمن الأولى : قولك الناقة زبون لأنها تزبن ولدها ، أى : تدفعه عن ضرعها ، كما أنها تزبن حالبها • فيقال فى الجمع النوق زبائن وكذلك الحرب زبون ، أى : صعبة كالناقة الزبون ، والحروب زبائن•

ومن الثانية : قولك لمن يزبن كثيرا ويغبن : رجل زبون ، ورجال زبن بضمتين •

والصواب : أن يقال بدلا من الزبائن حرفاء جمع : حريف كشريف وشرفاء ، تقول : حرف الرجل لعياله من ههنا وههنا يحرف ، اذ كسب لهم ما يقتاتون به ، والاسم : الحرفة • بكسر الحاء •

أو يقال لهم : المبتاعون • جمع : مبتاع ، أو المشترون جمع : مشتر أو الشراة جمع شار •

٥٧٦ ويقولون : لنا جيران أوفياء جيرتهم طيبة • وهذا التعبير فاسد لاشتماله على كلمة جيرة التى لا تحمل سوى معنيين كلاهما لا يؤدى ما يقصدون اليه•

أحدهما : أنها اسم هيئة من الجور ، وهو الظلم والميل عن القصد ، وعلى هذا لا يجوز أن توصف بكلمة طيبة •

والآخر : أنها جمع لجار كجيران ، تقول : هؤلاء جيرة يتمتعون بكريم الأخلاق •

ومثل ذلك من الجمع : قيعة بكسر القاف فهو جمع لقاع • ومعناه : المستوى من الأرض ومنه قوله تعالى : « **كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء** » •

وكذا : نيرة بكسر النون ، فهو جمع : لنار كنيران ، وهذه الجموع سماعية •

قال ابن مالك :

وفعله جمعا بنقلى يدرى

ولاصلاح تعبيرهم ينبغى أن يستبدل بكلمة جيرة احدى كلمتين جوار بكسر الجيم أو ضمها ، ومجاورة فيقال : جيران جوارهم طيب ، أو مجاورتهم طيبة •

٥٧٧ ويقولون صرح الرئيس لفلان بالسفر وأعطاه تصريحا بذلك ، يعنون أنه أتاحه له ، والصواب أن يقال : أذن له فى السفر ومنحه اذنا به ، أما التصريح فهو تبيين الأمر ، تقول: صرح فلان بما فى نفسه تصريحا اذا بينه وأظهره ، وصرح النهار اذا انكشف سحابة وأضاءت شمسه ، وصرح الحق عن محضه أى عن خالصه ، وذلك اذا انكشف بعد خفائه ، وصرحت الخمر اذا ذهب زبدها ومن هذا قولهم : لبن صريح أى خالص ذهبت رغوته •

٥٧٨ ويقولون : فلان يتفانى فى أداء واجبه ، كما يتفانى فى حب وطنه باسناد يتفانى الى المفرد ، يريدون أنه لا يعنيه أمر نفسه بقدر ما يعنيه أداء الواجب وحب الوطن وهذا خطأ والواجب أن يسند هذا الفعل الى اثنين فصاعدا فيقال تفانى المحاربان ويتفانى المقاتلون

قال الزمخشرى : وتفاعل لما يكون من اثنين فأكثر ، ولا يخلو من أن يكون من فاعل المتعدى الى مفعول واحد أو فاعل المتعدى الى مفعول كان من الاول كضارب لم تيعد ، وان كان من الثانى نحو نازعته الحديث ، وجاذبته الثوب تعدى الى مفعول واحد تقول تنازعنا الحديث وتجاذبنا الثوب ، وتناسينا العداوة والبغضاء .

وقال ابن منظور والجوهرى : وتفانى القوم قتلا أفنى بعضهم بعضا ، فليس للتفانى معنى غير هذا ، ولا يمكن أن يحمل التفاعل على غير بابه بأن يرادبه الفناء ، لأن ذلك سماعى كما فى قولك تغافلت ، وتجاهلت ، وتعاميت ، وتوانيت أى أوعيت لنفسى الغفلة والجهل ، والعمى ، والونى ولست متصفا بها .

٥٧٩ ويقولون للقائم اجلس كما يفعل المدرسون مع طلابهم .

والاختيار — على ما حكاه الخليل بن أحمد أن يقال لمن كان قائما اقعد ، ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس .

ويعلل بعضهم لذلك بأن القعود هو الانتقال من علو الى أسفل ، ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد، وأن الجلوس هو الانتقال من سفل الى علو ومنه سميت نجد جلسا لارتفاعها ، وقيل لمن أتاها جالس وقد جلس ، ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز للفرزدق .

قل للفرزدق وللسفاهة كاسمها
ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس
يريد فاقصد نجدا

٥٨٠ ويقولون هؤلاء عشرون نفرا ، فأولئك ثلاثون نفرا . وهذا خطأ من جهتين أولاهما أن تمييز العشرين . وأخواتها لابد أن يكون مفردا منصوبا ، مفردا لأنه يذكر لبيان حقيقة المعدود وهو يحصل بالمفرد النكرة التى هى الأصل ، أشيب ، ويجوز شائب على الأصل ومنصوبا لتعذر الاضافة مع النون التى هى فى صورة نون الجمع ، قال ابن مالك

وميز العشرين للتسعينة
بواحد كأربعين حينا

وكلمة النفر اسم جمع لا مفردة قال أبو العباس النفر والرهط

والقوم معناها الجمع ولا واحد لها من ألفاظها وفى أمهات اللغة أن النفر جماعة الرجال من ثلاثة الى عشرة ، وأنه لا يقال فيما زاد على العشرة ومما يبرهن على أن النفر جمع اعادة الضمير عليه بواو الجماعة فى قوله تعالى « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن » وقوله « قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا »

فكما لا يجوز أن يقال هؤلاء عشرون رجالا لا يجوز أن يقال هؤلاء عشرون نفرا

والجهة الاخرى أنهم دلوا بقولهم هؤلاء عشرون نفرا على أن النفر يقع على العشرين وأخواتها من ألفاظ العقود ، والواقع أنه لم يسمع عن العرب استعمال النفر فيما زاد على عشرة كما فى قول صاحب المصباح .

٥٨١ ويقولون : بقاء الامة رهن ببقاء أخلاقها ، وهذا غير سليم لأنهم جعلوا الأمة شيئا واحدا هو الأخلاق فان بقيت بقيت الامة وأن فنيت فنيت الامة على أثرها والحق أن الأمة بحاجة ملحة الى مقومات أخرى كثيرة لابد منها ولاغناء ببعضها عن بعضها الآخر ، منها العلم ، والصحة ، والمال والصناعة ، وقوة الجيش وغير ذلك أما أن يقصروا حديثهم على الأخلاق ، ويعطوها وحدها كل الفضل فنقص وقصور وكان عليهم أن يستبدوا بكل المقومات ، ثم يختصوا الاخلاق — اذا شاءوا — بما هى أهل له من ايثار ، ولذا عيب على شوقى قوله :

وانما الامم الاخلاق مابقيت
فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فهذا البيت على الرغم من شيوعه على ألسنة الناس ، وسيره مسير الامثال ونيله كل هذا الحظ من الاستدلال به عليه كثير من المآخذ منها ماذكرناه آنفا ومنها أنهأراد بالأخلاق الفضائل ، مع أن اللغة تستعملها بمعنى السجايا والطباع وقد تكون السجايا حميدة ، وقد تكون ذميمة ، ولذا قال الشاعر:

تزين الفتى أخلاقه وتشينه
وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدرى

وقد وصف الله سبحانه الخلق بالعظم فى قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« **وانك لعلى خلق عظيم** »

ووصفه الرسول بالحسن فى قوله « ليس أثقل فى الميزان من حسن الخلق » •

٥٨٢ ويقولون : ولع الخادم المصباح توليعا ، يعنون أنه أناره •• فهو مصباح مولع وهذا خطأ ، لأن التوليع معناه استطالة البلق بالتحريك ، اذ يقال : هذا ثور مولع اذا كان به سواد وبياض وارتفاع فى التحجيل الى الفخذين ، تقول بلق الثور فهو ثور أبلق ، والبقرة بلقاء كأحمر وحمراء •

ويقال : فرس مولع وفى لونه توليع أى بلق ، ورجل مولع أى به لمع من برص ، وولع الله وجه فلان أى برصه قال رؤبة :

كأنه فى الجلد توليع البهق

والبهق بالتحريك شبيه بالبلق فهو بياض رقيق بظاهر البشرة يحدث لسوء مزاج العضو ، وهو أيضا غلبة البلغم على الدم

ويقال : تولع الرجل بخادمه اذا أخذ يزمه ويشتمه ويوجه اليه كثيرا من اللوم فهو رجل متولع بعرضه يدق فيه •

ولاصلاح تعبيرهم ليؤدى المعنى الذى يبتغونه ينبغى أن يقال : أشعل الخادم المصباح اشعالا ، أو أوقدره ايقادا ، أو استوقده استيقادا ، أو أضاءه اضاءة ، أو أناره انارة ، أو نوره تنويرا ، ويقال صلى الفجر فى التنوير •

٥٨٣ ويقولون : انصاع الولد لرأى أبيه ، والخادم ينصاع دائما لامر مخدومه ، وهذا خطأ والصواب أن يؤدى هذا المعنى بأحد التعبيرات التالية •

١ ــ انقاد الولد لرأى أبيه •
والخادم ينقاد دائما لأمر مخدومه

٢ ــ خضع الولد لرأى أبيه ، والخادم يخضع دائما لأمر مخدومه •

٣ ــ أطاع الولد رأى أبيه ، والخادم يطيع دائما أمر مخدومه •

أما الانصياع فلا علاقة له بالمعانى الثلاثة السابقة ولا بأمثالها •• وانما معناه الانصراف والتفرق وهذا المعنى مأخوذ من قولك :

صعت الحارس ، أصبعه من باب باع (١) اذا صرفته وفرقته عنك فانصاع أى انصرف عنك ، وانفتل راجعا مسرعا ، ومنه قول العجاج :
فانصاع مذعورا وما تصدفا (٢) ٠
كالبرق يحتاز أميلا (٣) أعرفا

٥٨٤ : ويقولون صعد الخطيب على المنبر ، وصعد الولد على السطح ، فيعدون الفعل خطأ بعلى والصحيح تعديته اما بنفسه واما بالى ، فيقال صعد الخطيب المنبر أو الى المنبر ، وصعد الولد السطح أو الى السطح ، ومما تعدى بالى ماجاء فى قوله جل شأنه « **اليه يصعد الكلم الطيب** »٠ وقد يتعدى بفى كما فى قولك : صعدت فى السلم وفى الدرج أصعد صعودا ٠

وأما صعد المضعف فانه يتعدى بفى ، وبعلى فيقال : صعد الصياد فى الجبل أو على الجبل تصعيدا اذ رقيه وعلاه ومن هذا قوله تعالى : « **ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء** » ٠

وأما أصعد المزيد بالهمز فلا يتعدى الا بفى ، تقول أصعد الفلاح فى الأرض اذا مضى وسار ، أو ذهب يستقبل أرضا أرفع من الأخرى ، وأصعد فى الوادى اذا انحدر تصعد المضعف وقد يكون لازما كما فى قوله سبحانه « **اذ تصعدون ولاتلوون على أحد** » ٠

والتصعد والتصاعد يتعدى فعل كل منهما بنفسه تقول تصعدنى العمل وتصاعدنى اذا شق عليك والصعيد التراب الطاهر ومنه قوله تعالى « **فتيمموا صعيدا طيبا** » وكذلك هو وجه الأرض لقوله « **ويرسل عليها حسبانا (٤) من السماء فتصبح صعيدا زلقا** » ، والصعيد أيضا الطريق جمعه صعد وصعدات بضمتين فى كل منهما ، وفى الحديث « اياكم والجلوس بالصعدات ، والصعود بفتح الصاد

---

١ ــ من باب باع : ومن باب قال ، لان الفعل يائى واوى ٠
٢ ــ تصدق : أعرض ٠
٣ ــ الأميل : حبل من الرمل مرتفع جمعه أمل ككتب ٠
٤ ــ الحسبان بالضم : العذاب والبلاء والشر ، واحدته حسبانه بالهاء

العقبة الكئود (١) والمشقة فى الامر ومنه قوله سبحانه «**سأرهقه صعودا**» والصعد بفتحتين العذاب الشديد ومنه قوله تعالى «**ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا**» .

٥٨٥ ويعتقدون — خطأ — أن الطرب خاص بالفرح والسرور ، والأمر ليس كذلك ففى كل مراجع اللغة : الطرب الفرح والحزن ، أو هو خفة تلحقك تسرك أو تحزنك وتخصيصه بالفرح وهم ، قال النابغة الجعدى .

وأرانى طربا فى اثرهم
طرب الواله أو كالمختبل

وقال آخر : يقولون لقد بكيت فقلت كلا وهل يبكى من الطرب الجليد ؟

ويقال لمن كان فرحا أو حزينا مطراب ، ومطرابة بكسرهما ، وطروب بفتح الطاء ، وطرب بفتح فكسر ، وقوم طراب بكسر الطاء ومطاريب أيضا .

٥٨٦ ويجمعون المساءة وهى ضد المسرة على مساوىء بالهمزة فى الآخر ، والمساءة أصلها مسوأة وزان مرحمة ، قلبت الواو المفتوحة ألفا ، ولهذا ترد الواو فى الجمع وعلى الرغم من أن هذا هو الجمع القياسى فلم تنطق به العرب مهموزا ، وانما استعملته مخففا فقالت : بدت مساوى فلان أى ظهرت عيوبه ونقائصه ، والخيل تجرى على مساويها أى وان كان بها عيوب فان كرمها يحملها على السيرالسريع كما يجمعون المساء وهو ضد الصباح على أمسية بفتح الهمزة وتخفيف الياء محتجين بأن ذلك هو القياس، اذ أن أفعلة يطرد فى كل اسم مذكر رباعى قبل آخره مد كبناء وأبنية ، وقباء وأقبية ، ورداء وأردية .

ولكن العرب لم تجمعه الا على أمسية بضم الهمزة وتشديد الياء. تقول : أزور صديقى أمسية كل يوم ، واجتمع الباحثون فى الشئون الأدبية أمسية الأيام الخمسة الماضية .

---

(١) الكئود الصعبة كالكأداء .

٥٨٧ الأصل فى اسم الفاعل من الثلاثى أن يكون بزنة فاعل كراكب، وشاكر ، وأن يكون بزنة تفعل اذا كان من أفعل الرباعى كمحسن ، ومخرج .

وقد يأتى اسم الفاعل من أفعل الرباعى على فعول بفتح الفاء ، أو على فعل بضمتين أو على أفعل كحال فعله .

فمن الأول قولك أنتجت الفرس اذا حان وقت نتاجها ، أو استبان حملها فهى نتوج بالفتح ولايقال منتجة .

ومن الثانى قولك أجنب الرجل من الجنابة المعروفة فهو جنب بضمتين ولا يقال مجنب ، وكلمة جنبتصلح للمؤنث والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا ، فيقال : هو وهى وهما ، وهم ، وهن جنب ، وقد يقال : هما جنبان ، وهم وهن أجناب ، ولكنه لايقال : هى جنبة .

ومن الثالث قولك أرمل الرجل اذا نفد زاده وافتقر ، وكنا اذا لم يكن له زوج فهو أرمل ، ويقال أرملت المرأة اذا كانت فقيرة وليس لها زوج فهى أرملة والجمع لهما أرامل وشاب الرجل اذا ابيض شعره فهو أشيب قليلا ، ولا يقال للانثى شيباء .

عباس أبو السعود

قصيدة شعر

بالجسم.. والروح

للأستاذ الربيع الغزالى

عـــلى جناح الهـوى قيسى وليـــلاه
ما كـان الا الهـــوى أنسى ومعنـــاه
أنـــا المحب .. وحبى ليس يبلغــه
الا الأولى نهلـــوا من عـــذب ســـقياه
أنـــا المحب .. وروحى فيك هائمـــة
تـــرقى اليك عـــلى الآمـــال دنيـــاه
حبى هو الحب .. فـــوق الشمس منبعـه
وعنـــد عـــرش مليك الحب مرقـــاه
أهـــواه .. لا الوصـــل دان لى فأطلبه
ولا الصـــدود مليك الحب يرضـــاه
قلبى هـــو الـــكون .. ما دام الغـــرام به
هـــو الحيـــاة على نهـــج ســـلكناه
لقـــد رقيت بـــه .. حتى تجـــرد بى
عن كل معنى من الأوهـــــام آبـــاه
قد أشرق الحب فى قلبى .. فصار ضـحى
وأشرق الحـــق فى عقلى .. فأحيـــاه
وللحيـــاة وللنـــور الـــذى انبثقت
عنـــه الحيـــاة بسر شـــاءه اللـــه

معنى من الحب يسرى فى جوانحنـــــــــا
نـــرقى الســـماء به امــــا وعينـــاه
بالحب قـــد كانت الأكـــوان أجمعهـــا
للكاف والنـــــون سر فى طوايـــــــاه
فى قطـــــرة النـــور أسرار قـــد اتحدت
فكـــان للمـــــاء منـــــه سر محيــــاه
ومنــــه ما كان من حى ومن جمـــــد
ومن أثــــير ... وقـــــد كانت برايـــــاه
الكهـــــرباء لهـــــا سر .. نصرفــــه
بالعلــم .. فيمــا نرى .. لكن جهلنــاه
فــــــأى سر وراء السر ندركـــــــه
اذا جهلنــــــا معــــــانى ما عــــرفناه

يا للظـــــواهر .. فى أسرارهـــــا عجب
أمـــــر من الأمـــر .. لا ندرى خفــاياه
والــــروح .. ما سرها .. نحيا بهــا عمرا
ولا نــــرى سرهـــا فينــــــا ... ومغزاه
والعقل .. ما العقل .. سر ليس تدركـــه
احاطـــة العقـــل .. ضـــل العقل فحـــواه
ما وقـــدة الفكر .. ما التفكير .. ما شـــعل
يضىء فيهــــا .. ومن بالنـــــور أذكـــاه
والعــــين .. ما مقلة فيها .. وما عصب
بــــــه نـــرى مـــا نـــــراه فى مرايــــاه
والقلب .. والدم .. والاحشاء .. أجهزة
تصرف الامــــر فينــــا .. مـــــا أدرناه
ومــــا الحيــاة التى فينـــا تدور .. ترى
أنحن نملك منهــــــــــا ما ملكنــــــاه

والنفس •• وهى مدار الأمر •• تملكنـــا
أم نحن نملكهــــا •• والمــالك اللــه
النفس •• وهى مدار الأمر •• أين نــرى
مكانهـــا •• وهى شىء ما رأينـــــاه
وما الجــزىء •• ومــا ذراتــه اتخــذت
الى الوجــــود ســـبيلا ما درينـــاه
وما الزمان •• وما هذا المكان •• ومـــا
ذاك الفضـــاء مداه قـــد ضـــللناه
وما النواميس •• من قــد شـــاءها أزلا
ومن اذا قال : كن •• للشىء •• ســـواه

ومن اذا قالهـــا صـــارت الى عـــدم
ومـــن يصرفهـا مـــا شـــاء الاه
اللــــه سبحانه •• اللـــــه •• اللـــه
اللــــه ســبحانه •• اللـــه •• اللـــه
واللــــه ان شــاء للنـــاموس خـــارقة
أو شـــاء تعطيـــله •• أصـــغت براياه
آيـــاته •• هــو يمحــوها •• ويبدعهـا
ولا معقب فيمـــــا شـــاءه اللــــه
هل كان ما كـــان فى الاسراء يعجـــزه
أو كان ما كان فى المعــــراج •• حاشاه
ما للفضـــــاء عـــلى أبعـــاده أثـــر
ولا الزمـــــان •• له حــد وبعــــداه
ولا المــــكان عـــلى آمـــاد فسـحته
ولا مـــدارك عقـــل ضـل مأتـــاه
وقطـــرة النـــور •• لو شفت لمـــا جمدت
ولا اســـتحالت عـــلى أمـــر تلقـــاه

فكيف بالنـــور فى جســـم امرىء كتبت
لــه العنـــاية أمـــرا جـــل معناه
محمـــد .. وهـــو نـــور اللـــه صوره
وشـــق مـــن نـــوره أنـــوار دنيـــاه
قـــد شف نور رســـول الله حين سرى
وحـــين أصـــعده للعرش مـــولاه
شـــق البـــراق به الآفاق منطلقـــا
فى ومضـــة البرق .. عين اللـــه ترعاه
وجـــاء للمســـجد الاقصى .. فباركـــه
وبـــارك اللـــه فى الآفـــاق مسراه
الأنبيـــاء بـــه جمـــع .. يؤمهمـــو
محمـــد .. ولجمـــع الصـــف مغـــزاه
الكـــل تحت لـــواء واحـــد شـــهدوا
فى وحـــدة الدين أن الواحـــد اللـــه
وفى الســـماء علا معراجـــه صـــعدا
وللنـــواميس اذعـــان لمرقـــاه
بالجسم والروح قد أسرى به ... ومضى
بـــه اليه .. على معراجـــه .. اللـــه
فى سرعة الضوء .. أو أضعافها .. انطلقت
بطـــاقة النـــور فيـــه روح مولاه
وســـدرة المنتهى .. والآى .. كاشـــفة
أسرارهـــا .. رؤيـــة فى سر رؤيـــاه
واللـــه يمنحـــه ما شـــاء من كـــرم
واللـــه ما شـــاء يعطيـــه ويرعـــاه
اللـــه حيـــا الذى من نـــوره انبثقت
عنـــاصر الخلق فيـــه حـــين ســـواه

وعنـــه قــد كان هــذا الخلق أجمعــه
نــورا تجســـد خلقـــا فى هيولاه
وعنــه ســوف يــكون النــور عارفــة
من الهـــداية للأيـــام تلقـــاه
دين هــو الدين •• يهـــدى من يشاء به
ومن يضـــل •• فمـــا فى النور أعماه
اللــه حيــا رســـول الله حـــين سرى
وحـــين صـــار اليــه بعـــد مسراه
ضـيفا عــلى اللــه •• مدعــوا لسـدته
اللـــه كرمـــه ضــــيفا •• وحيـــاه
ويـــاله شرفـــا ••• ما بعــده شرف
للعبـــد يـــدنو الى ســـاحات مولاه
صـــلى عليــه •• فصـــلى وهو مبتهل
للـــه •• فى غمـــرة الأنـــوار مجـــلاه
ألقى اليـــه اله العـــــرش منحتــه
هـــذى الصـــلاة •• على أمر تلقـــاه
وعـــاد للأرض •• يهـــدى الأرض شرعته
فريضـــــة اللـــه •• فى يمنـــاه يمناه
ما كلف اللـــــه جبريل الأمــين بهـــا
وحيـــا •• على ما ســـــواها قد عهدناه
هـــــدية اللـــــه للدنيـــا •• بها صـلة
اليــــه •• حين تناجيــه وترعـــــاه
اللــــه أكبر •• فيهـــــا •• عز قائلها
عـــلى تقـــاة •• لــــرب الناس تقواه
هى الصــلاة •• بهـــا نرقى لســـدته
قلبا وروحــــا •• ومعراجـــا رقينـــاه

في هـــذه الليلـة الغـراء .. نذكرهـا
عيـــد الصـــلاة بها .. انا بلغنـاه
يا ليتنـــا .. ليتنـــا يـــارب نفهمها
ونلتقي بـــك فيهـــا عنـد لقيـــاه
عيـــد النبي .. وقـد أكرمتـه كرمـا
ما ان يـــدانيه لا ملك ولا جــــاه
هــذا اللقـــاء الــذي ما نالـــه رسـل
ولا ملائكـــة .. قـد جـل معنـــاه
هي الصـــلاة الهي .. قربة .. وعـلا
وصـــلة بك .. عبـــدا جـاء مولاه
منك الصـــلاة الهي .. والثناء .. على
من أنت بالوصــــل قد أكرمت مثـــواه
محمـــــد .. وهـــو نور الله . أرسـله
رب البـــرية نـــورا .. في بـــرايـاه
يارب ... انـــا عـــلى عهد .. نقيم به
اليك أوجهنـــــا .. في الــدين .. رباه
يا رب .. انا عـــلى الاسـلام قد خشعت
منـــا الوجوه .. على ما أنت ترضـــاه
المســـلم الحـق من بالدين عـــز على
كل الـــورى .. وتعـــالى عن دنايـــاه
ومن يلين جنـــــاحا .. وهـــو ذو غلب
للمســـلمين .. وأعـــلى شـــأنه الله

الربيـــع الغزالي

حكم .. وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« عباد الرحمن »

سئل الجنيد — رضى الله عنه — عن عباد الرحمن من هم ؟

فقال : هم الذين طاعة الله حلاوتهم ، والفقر كرامتهم ، وترك الدنيا لذتهم ، والى الله حاجتهم ، والتقوى زادهم ، ومع الله تجارتهم ، وعليه اعتمادهم ، وبه أنسهم ، وعليه توكلهم ، والجوع طعامهم ، وحسن الخلق لباسهم ، والسخاء حرفتهم ، والعلم قائدهم والصبر سائقهم ، والهدى مركبهم والقرآن حديثهم ، والشكر زينتهم ، والذكر همتهم ، والرضا راحتهم ، والقناعة مالهم ، والعبادة كسبهم ، والحياء قميصهم ، والخوف سجيتهم ، والنهار عبرتهم ، والليل فكرتهم ، والحكمة سيفهم ، والحق حارسهم ، والحياة مرحلتهم ، والموت منزلتهم — والنظر الى الله — تعالى — منيتهم — فهؤلاء عباد الرحمن ! •

« حقق له أمنيته »

وقف اللص أمام القاضى قائلا : ان الذنب ليس ذنبى ، لقد كنت بدون طعام أو أصدقاء أو مأوى •!

فقال القاضى : انك تثير فى الشفقة الى حد بعيد ، وعلى هذا فستجد الطعام والمأوى والرفاق طوال الأشهر التسعة القادمة !

« الصاحب يخزى نماما »

دفع رجل رقعة الى الصاحب ابن عباد ، يقول فيها : ان فلانا قد مات ، وخلف مالا كثيرا ، وليس له من عقب الا يتيم •

فوقع الصاحب على ظهر الرقعة : ان النميمة قبيحة ، وان كانت نصيحة ، أما الميت فرحمه الله !! وأما اليتيم فجبره الله !! وأما المال فثمره الله !! وأما الساعى فلعنه الله .

« ليس بحكيم »

حاول أحمق اغتيال سقراط ، فغضب له أحد أنصاره ، وقال له : أيأذن لى سقراط أن أفتك به فقال سقراط : اذا فتكت به ، قالوا : أحمق فتك بأحمق ، وحاشا لى أن آمرك بضربه ، لأنه ليس بحكيم من يأمر بالشر .

« الصدق ينجيك »

أبو يزيد البسطامى أراد الذهاب الى بغداد لطلب العلم ، فأعطته أمه أربعين دينارا هى ميراثه من أبيه ، وقالت له : ضع يدك فى يدى وعاهدنى على التزام الصدق فلا تكذب أبدا ، فعاهدها على ذلك ، وخرج مع قافلة يريد بغداد ، وفى أثناء الطريق ، خرج اللصوص ونهبوا كل مافى القافلة ورأوا البسطامى رث الثياب ، فقالوا له : هل معك شىء ؟ قال : معى أربعون دينارا ، فسخروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه ورجعوا الى كهف كان به كبير اللصوص ينتظر ما يأتون به ، فلما رآهم قال : هل أخذتم كل مافى القافلة ؟ ، قالوا : نعم ، الا رجلا سألناه عما معه ، فقال : معى أربعون دينارا فتركناه احتقارا لشأنه ، ونظن أن به خبلا فى عقله، فقال : على به ، فلما حضر بين يديه ، قال هل معك شىء ؟ قال : نعم معى أربعون دينارا ، قال : أين هى ؟ فأخرجها وسلمها له ، فقال كبير اللصوص : أمجنون أنت يارجل ؟ كيف ترشد عن نقودك وتسلمها باختيارك ؟ فقال له : لما أردت الخروج من بلدى عاهدت أمى على الصدق ، فأنا لا انقض عهد أمى ، فقال كبير اللصوص : لاحول ولاقوة الا بالله انت تخاف عهد أمك ، ونحن لانخاف أن نخون عهد الله ، ثم أمر برد جميع ما أخذ من القافلة ، وقال : أنا تائب على يديك يارجل ، فقال : من معه : أنت كبيرنا فى قطع الطريق ، واليوم أنت كبيرنا فى

التوبة ، تبنا جميعا الى الله ، وتابوا وحسنت توبتهم •

« لكل فضل زكاة »

ان لكل فضل زكاة •
فزكاة المال الصدقة على الفقير •
وزكاة القوة المدافعة عن الضعيف المظلوم •

وزكاة البلاغة القيام بحجة من عجز عن حجته •

وزكاة الجاه أن يعاد به على من لاجاه له •

وزكاة العلم تعليم من قصر علمه •

« أكرم منى »

قيل لحاتم الطائى ••• هل رأيت من هو أعلى منك همة ؟ •

قال : نعم ، ذات يوم ذبحت أربعين جملا ودعوت أمراء العرب ، ثم مضيت الى الصحراء ، فلقيت رجلا حطابا فى طريقه الى المدينة •

فقلت له : لماذا لا تذهب الى حاتم ، وقد اجتمع الناس حول موائده •

قال الحطاب : مادمت أعمل وأعيش من عملى ، فأنا لا أنتظر منة من حاتم الطائى !!

فأكبرته ووجدته أعلى منى همة وكرما •

« رداء العقل »

عن سليمان — عليه السلام — : « ما ارتدى العبد برداء أفضل وأجمل من رداء العقل » : ان انكسر جبره ، وان صرع نعشه ، وان زل عمده ، وان ذل أعزه ، وان اعوج أقامه ، وان عثر رفعه ، وان افتقر أغناه ، وان انكشف ستره ، وان أقام عند قوم اغتبطوا به ، وان غاب اشتاقوا اليه ، وان نطق قالوا : بليغ ، وان سكت قالوا : لبيب ، وان أنفق قالوا : جواد ، وان أمسك قالوا : مقتصد ، وان وعظ قالوا : ناصح ، وان سكت قالوا : شفيق ، وان أفطر قالوا : معذور ، وان صام قالوا : مجتهد •

« حضانة الولد »

تخاصم أبو الأسود الدؤلى ـ واضع علم النحو ـ مع زوجته على غلام لهما من أحق بحضانته ؟

فقالت الزوجة : للقاضى أنا أحق بها لأننى حملته تسعة أشهر ، ثم وضعته ، ثم أرضعته الى أن ترعرع بين أحضانى .

فقال أبو الاسود : أيها القاضى حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه ، فان كان لها بعض الحق فيه فلى الحق كله أو جله .

فقـال القاضى : أجيبى أيتها الزوجة على دفاع زوجك .

فقالت : لئن حمله خفا ، فقد حملته ثقلا ، ولئن وضعه شهوة فقد وضعته كرها .

فنظر القاضى الى أبى الأسود الدؤلى وقال له : ادفع الى الزوجة غلامها ودعنى من سجعك فهى أحق بالحضانة .

« أوحش المواطن »

أوحش ما يكون ابن آدم فى ثلاثة مواطن :

يوم ولادته ، ويوم موته ، ويوم بعثه .

لذلك قال الله تعالى ـ فى حق سيدنا يحيى ـ عليه السلام ـ **«وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا »**

« الذكـر الحسن »

قال الشاعر :

وما من كاتب الا سيفنى
ويبقى الدهـر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شىء
يسرك فى القيامة أن تراه

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفتاوى

للأستاذ عبد الحميد شاكر

س : شاهد الناس فى مصر وسمعوا عن طريق التليفزيون والراديو صلاة الجنازة على شاه ايران السابق بصورة لم يألفوها ، فنرجو القاء الضوء على كيفية صلاة الجنازة .

ج : نود أن نوضح أولا أن صلاة الجنازة تختلف عن الصلاة المعروفة بأنها تكبيرات وأدعية من قيام .. ثم سلام ..

« وقد اختلفت الروايات فى عدد تكبيرات الجنازة . فأخرج البيهقى عن سعيد بن المسيب أن عمر قال : « كل ذلك قد كان أربعا وخمسا فاجتمعنا على أربع » ورواه المنذرى من وجه آخر عن سعيد ، ورواه البيهقى أيضا عن أبى وائل قال : « كانوا يكبرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعا وخمسا وستا وسبعا ، فجمع عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر كل بما رأى فجمعهم عمر على أربع تكبيرات » وروى ابن عبد البر فى الاستذكار باسناده « كان النبى صلى الله عليه وسلم يكبر على الجنائز أربعا وخمسا وستا وسبعا وثمانيا حتى جاء موت النجاشى فخرج الى المصلى وصف ، وزاد : وكبر عليه أربعا ثم ثبت النبى صلى الله عليه وسلم على أربع حتى توفاه الله » فان صح هذا فكان عمر ومن معه لم يعرفوا استقرار الأمر على

الأربـــع حتـــى جمعهـــم وتشاوروا » (١) ٠

وذكر ابن القيم فى كتـابه زاد المعاد (٢) « وكان صلى الله عليـه وسلم : « يأمر باخـلاص الدعـاء للميت ، وكان يكبر أربع تكبيرات ، وصح عنه أنه كبر خمسـا ، وكان الصـحابة بعده يكبـرون أربعـا وخمسا وستا ، فكبر زيد بن أرقم خمسا وذكر أن النبى صلى اللـه عليه وسلم كبرها ذكره مسـلم ، وكبر الامـام على بن أبى طـالب على سهل بن حنيف سـتا ، وكان يكبر على أهل بدر ستا وعلى غيرهم من أصحابه خمسـا وعلى سـائر الناس أربعا ٠٠ ذكره الدارقطنى ذكره سعيدبن منصور عن ابن الحكم عن ابن عيينة أنه قـال : كـانوا يكبرون على أهل بدر خمسا وستا وسبعا ، وهذه آثار صحيحة فـلا موجب للمنع منها ٠ والنبى صـلى الله عليه وسلم لم يمنع ممـا زاد على الأربع بل فعله هو وأصـحابه من بعده ٠٠ » أ هـ ٠

من أجل هذا فقد اختلفـوا فى عدد تكبيرات الجنازة ، فذهب الى أنها أربع لا غير جمهور من السلف والخلف منهم الفقهاء الأربعـة ٠ وروايـة عن زيد بن عـلى عليـه السـلام ، وذهب أكثر الهادوية الى أنه يكبر خمس تكبيرات (٣) ٠

من هـذا يظهر أن جمـاعة من الشيعة يذهبـون الى أن عـدد تكبيرات صـلاة الجنـازة خمس تكبيرات وقد تأولوا رواية الأربع بأن المراد بهـا ما عـدا تكبـيرة الاحرام وهو تأويل بعيد ولما كانت الصلاة التى رأيناها على شـاه ايران قـد أقيمت على المـذهب الشيعى ٠

فقـد رجعت الى كتـاب المختصر (٤) النـافع فى فقـه

---

(١) كتاب سبل السلام ص (١٠٣) الجزء الثانى ٠

(٢) فصل ومقصود الصـلاة على الميت الدعاء ص (١٣٩) الجزء الأول ٠

(٣) ص (١٠٣) الجزء الثانى من سبل السلام ٠

(٤) طبعة ادارة الثقافة بوزارة الأوقاف المصرية ص (٦٤ ، ٦٥) الطبعة الثانية ٠

الامامية (١) باب «صلاة الجنائز» فاقتطفت منه من أحكامها مايأتى :

« وهى خمس تكبيرات ، بينها أربعة أدعية ، ولا يتعين ، وأفضله أن يكبر ويتشهد الشهادتين ، ثم يكبر ويصلى على النبى وآله ، ثم يكبر ويدعو للمؤمنين •

وفى الرابعة يدعو للميت ، وينصرف بالخامسة مستغفرا •

وليست الطهارة من شرطها ، وهى من فضلها • ولا يتبا عدعن الجنازة بما يخرج عن العادة ، ولا يصلى على الميت الا بعد تغسيله وتكفينه ، ولو كان عاريا جعل فى القبر وسترت عورته ثم يصلى عليه •

ومن سننها : وقوف الامام عند وسط الرجل وصدر المرأة ، وأن يكون المصلى متطهرا ، حافيا ، رافعا يديه بالتكبير كله •

داعيا للميت فى الرابعة ان كان مؤمنا ، وعليه ان كان منافقا ، وبدعاء المستضعفين مستضعفا ، وأن يحشره مع من يتولاه ان جهل حاله • » انتهى •

أما صلاة الجنازة عند الفقهاء الأربعة رضى الله عنهم فهى أربع تكبيرات :

يرفع يديه فى الأولى ولا يرفع بعدها • ويحمدالله تعالى بعد الأولى أو يستفتح ، ويصلى على النبى عليه الصلاة والسلام بعد الثانية ، ويدعو لنفسه وللميت وللمؤمنين بعد الثالثة ، ويسلم بعد الرابعة •

ويقول فى الصبى بعد الثالثة : اللهم اجعله لنا فرطا وذخرا ، شافعا مشفعا •• ولا قراءة فيها ، لقول ابن مسعود : لم يوقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة الجنازة قراءة ، لا فعلا ولا قولا ، كبر ما كبر الامام ، واختر من أطيب الكلام ما شئت • ولو قرأ الفاتحة بنية الدعاء لا بأس به ، أما بنية التلاوة فمكروه •

وهذا عند أبى حنيفة ويوافقه مالك فى عدم القراءة •

أما عند الشافعى : فيقرأ

---

(١) وهى جماعة من الشيعة المعتدلة •

الفاتحة بعد الأولى ويصلى عـلى النبى صلى الله عليه وسلم بعـد الثانية ويدعو للميت بعد الثالثـة فيقول : اللهم ان هـذا عبدك .. الخ الدعاء ويقول فى الرابعة اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنـا بعـده واغفر لنـا ولـه . ويسـلم .. ويوافقه فى وجوب قراءة الفاتحـة أحمد ويتحملها الأمـام عن المأموم عنده ، .. ورجح النووى انهـا تجزىء قراءتها فى غير الأولى من الثانيـة والثـالثة والرابعـة وفى المجموع ويجـوز أن يجمـع فى التكبـيرة الثـانية بين القـراءة والصلاة على النبى وفى الثالثة بين القراءة والـدعاء للميت ويجـوز اخلاء التكبيرة الأولى من القراءة.

ومن هـذا العـرض المـوجز للكيفيات الثلاث لصلاة الجنـازة والأحاديث الواردة بشأنها وأقوال الصحابة وما ذهب اليـه الفقهـاء نرى أنه ليس هناك خـلاف كبير بينها — وأنها كلها لهـا سـند من السـنة أو أقـوال الصـحابة وأعمالهم .

ورغم أنه يجـوز الـدعاء بأى صيغة كانت فى صلاة الجنازة فاننا نثبت هنا بعد ما صـح وحفظ عن النبى صلى الله عليه وسـلم من دعاء فى صلاة الجنازة :

« اللهم اغفر لحينـا وميتنـا ، وشـاهدنا وغائبنـا ، وصـغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثـانا ، أنت تعلم منقلبنا ومثوانا وأنت على كل شىء قدير ، اللهم من أحييته منـا فأحيه على الاسـلام والسـنة ومـن توفيته منا فتوفه عليها » رواه أحمد والترمذى وابن ماجـه من حديث أبى هريرة وزاد منـه الموفق وأنت على كـل شىء قدير ولفظ السنة « اللهم اغفـر لـه وارحمه وعافه واعف عنه وأكـرم نزله ، وأوسع مدخله ، واغسـله بالماء والثلج والبـرد ، ونقـه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره ، وزوجا خـيرا من زوجه ، وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر وعذاب النـار ، رواه مسلم عن عون مالك أنه سـمع النبى يقول ذلك على جنـازة حتى تمنى أن يكون ذلك الميت ، وفيـه

وأبدله أهلا خيرا من أهله وأدخله الجنة « وافسح له فى قبره ونور له فيه » (١) .

وللشافعى رحمه الله وقد جمعه من الأخبار واستحسنه أصحابه « اللهم ان هذا عبدك وابن عبديك، خرج من روح الدنيا وسعتها ، ومحبوبه وأحباؤه فيها الى ظلمة القبر وما هو لاقيه ، كان يشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدا (صلى الله عليه وسلم) عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به ، اللهم انه نزل بك وأنت خير منزول به ، وأصبح فقيرا الى رحمتك وأنت غنى عن عذابه ، وقد جئناك راغبين اليك شفعاء له، اللهم ان كان محسنا فزد فى احسانه ، وان كان مسيئا فتجاوز عنه ، ولقه برحمتك رضاك ، وقه فتنة القبر وعذابه ، وافسح له فى قبره ، وجاف الأرض عن جنبيه ، ولقه برحمتك الأمن من عذابك حتى تبعثه آمنا الى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين » (٢). وفى الباب أدعية أخرى .

والله أعلم ..

عبد الحميد شاهين

(أكثروا ذكر هادم اللذات الموت ، فانكم لا تذكرونه فى كثير الا قلله ولا قليل الا كثره)

حديث صحيح

---

(١) من كتاب الروض المربع ـ شرح زاد المستقنع ـ مختصر المقنع ـ فى فقه امام السنة احمد بن حنبل .

(٢) من كتاب الاقناع ، فى حل الفاظ ابى شجاع .

من أنباء العالم الإسلامى

اعداد الاستاذ فهمى عبد اللاه سيد على

ان وضع الاسلام والمسلمين فى جنوب الفليبين (١) خطيرا جدا ، ومع ذلك فهناك أمل كبير فى أن تكون هذه المحنة التى نزلت بأرض الجنوب الاسلامى ، نقطة انطلاق لانتصار الاسلام انتصارا حقيقيا فى المنطقة ، لأن الحرب القائمة الآن وعمليات الابادة الواقعة على المسلمين ، قد هيأت جوا ملائما وأرضا خصبة للدعوة الاسلامية فقد تنبه المسلمون الى الخطر المحيط بمجتمعهم ، وأدركوا وجود المخططات التى تهدف الى محو هويتهم الاسلامية على أرض بانجسا مورو ، وعلموا ان لا ملجأ الا الى الله ، وأنه لاسبيل للخلاص الا بالاسلام .

أخى المسلم : اخوانك المجاهدون فى جنوب الفليبين يدعونك للاسهام فى الجهاد القائم هناك بالتبرع لمجاهدى الفليبين ، وعلى الهيئات الاسلامية تنظيم هذه التبرعات .

« المسجد الجامع ببروكسل أحد معالم الهندسة الاسلامية فى قلب العاصمة البلجيكية » .

عدد المسلمين فى بلجيكا يقدر الآن بحوالى ٢٢٠ ألف مسلم ..

(١) عن صحيفة جبهة تحرير مورو الوطنية .

أى ما يوازى ١./٠ من عدد السكان هناك .. خلال السنوات الخمس الاخيرة ... صدر فى بلجيكا مرسومان ملكيان ... أصدرها الملك (بوروان) ملك بلجيكا .

اعترف المرسوم الاول بالاسلام دينا رسميا الى جانب الكاثوليكية . ونص المرسوم الثانى على ادخال الاسلام والتربية الاسلامية ضمن البرامج الدراسية التى تدرس فى المدارس الثانوية .. وقد جاءهذان المرسومان بعد موافقة الشعب البلجيكى .. ممثلا فى مجلس النواب والشيوخ .. وبالاجماع . فحتى نهاية الحرب العالمية الثانية لم يكن لبلجيكا أى علاقات هامة مع العالم الاسلامى .

وبعد التطور الاقتصادى الذى عرفته بلجيكا فى الفترة الاخيرة وفد اليها آلاف من العمال المسلمين فرارا من الحكم الشيوعى .. حتى بلغ عدد الجالية المسلمة فى بلجيكا الآن ما يقرب من ٢٢٠ ألف مسلم بين عمال وتجار وطلبة وموظفين ، مسلمين من مختلف الجنسيات ومن هنا بدأ التفكير فى انشاء المركز الاسلامى فى بروكسل ليكون مقرا يربط بين هذه الاعداد وبخاصة الجيل الجديد من الاطفال المسلمين .. ولاقامة الشعائر الدينية والتعريف بالاسلام ونشر تعاليمه فى بلجيكا .

ويحتل المركز الاسلامى فى « بروكسل » موقعا ممتازا فى قلب العاصمة البلجيكية على مقربة من المراكز والمصالح والبنوك والمتاحف فى مكان يسوده الهدوء تحيط به حديقة فسيحة .. ويعتبر أحد المعالم الهندسية المعمارية يجمع بين الطراز الاسلامى ومتطلبات الأنظمة المعمارية المعمول بها فى بلجيكا . وقد تكلفت انشاءاته خمسة ملايين دولار .. قدم الجزء الاكبر منها المغفور له المرحوم الملك فيصل ابن عبد العزيز بمناسبة زيارته بروكسل فى مايو عام ١٩٦٧ م .

ويتألف المبنى من (أربعة)

أدوار واسعة الارجاء .. وتضم الى جانب المسجد الجامع الذى خصص له الطابق الاعلى ويتسع لأكثر من ثلاثة آلاف مصل بالاضافة الى مصلى خاص بالسيدات المسلمات .

ويضم الطابق الأول خمس قاعات للمحاضرات يدعى الى القائها رجال الفكر والدعوة الاسلامية لتكون فى المستقبل نواة لمعهد الدراسات الاسلامية العالية .. وتستعمل هذه القاعات الآن لتنظيم محاضرات باللغة الفرنسية لتعرف البلجيكيين والأوربيين بالوجه الصحيح للاسلام ولاتاحة الفرصة لهم للوقوف على سمو تعاليم الاسلام وروعة مبادئه ، ولازالة ما قد علق بأذهانهم من جهالة بالدين الاسلامى .. وسوء معرفة لتعاليمه وأصوله ..

ويضم معملا لغويا لتعليم اللغات بالطرق السمعية والبصرية وفق أحدث الاساليب،ومكتبة كبرى تضم أكثر من ٤٠ ألف مجلد من أمهات الكتب فى أنواع الثقافة الاسلامية فى الحديث والفقه والتشريع والقصائد باللغات العربية والتركية والفارسية والأردية والألبانية لتكون عونا للدارسين والباحثين فى العلوم والفنون الاسلامية . أما الطابق الأرضى فيضم مسجدا للصلوات الخمس ومدرسة اسلامية ذات مرحلتين ابتدائية وثانوية .. تستوعب حوالى ٥٠٠ طفل من أبناء الجالية المسلمة يتلقون فيها دروس اللغة العربية والثقافة الاسلامية وتحفيظ القرآن الكريم .. يقوم بهذه الدروس أساتذة من المسلمين المقيمين فى بلجيكا .. وقاعة فخمة للأفراح تجرى فيها عقود الزواج طبقا للشريعة الاسلامية للراغبين من المسلمين الذين ليست لهم متطلبات فى بلجيكا .

ويضم المسجد الجامع فى بروكسل ناديين أحدهما للشباب المسلم والآخر خاص بالسيدات المسلمات تتوافر فيهما الوسائل

النرويجية مما يساعد على ربط الجميع بالمسجد وتقوية علاقة الاخوة والود بينهم .

ويضم المكتب التنفيذى للمركز الاسلامى فى بروكسل والذى ينتخب أعضاؤه كل عامين .. عضوا بلجيكيا مسلما هو : عبد العزيز مانجوتر وكان اسمه (لوسيان مانجوتر) قبل اسلامه وهو واحد من ٢٠٠ بلجيكى شهروا اسلامهم على يدى امام المسجد الجامع الشيخ (محمد العلوينى) خريج جامعة الزيتونة بتونس .. خلال العامين الأخيرين .

« تحفيظ القرآن وشرح تعاليم الدين بمساجد كينيا » .

انتشر الدين الاسلامى فى كينيا فى بداية الاسلام ومع عصر الخلافة الأموية وخاصة فى عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان بدأ كثير من المسلمين فى الهجرة من سوريا الى مقاطعة لامو التى تقع بمنطقة الساحل ولاتزال بعض آثارهم موجودة حتى الآن .

ولعل فى كتاب ابن بطوطة مايثبت ذلك حيث انه ذكر الكثيرمن مقابلاته مع بعض المسلمين هناك .

ونص دستور كينيا الصادر فى عام ١٩٦٣ م على أن حرية الاديان مكفولة لجميع المواطنين ، وبعد حصولها على الاستقلال وافقت الحكومة على انشاء بعض المحاكم الشرعية التى تنظر فى مسائل الزواج والطلاق ، بل وافقت على أن يكون عيد الفطر عطلة رسمية فى جميع أنحاء البلاد ، وأن تقتصر أيام العطلات فى بقية الاعياد الاسلامية على المسلمين فقط .

وبدأت المساجد تنتشر انتشارا كبيرا داخل جميع المدن والقرى الكينية .. وبعض هذه المساجد الحقت بها دور لتحفيظ القرآن الكريم وشرح تعاليم الدين الاسلامى ثم أنشىء بعد ذلك العديد من المدارس والمعاهد الاسلامية ومنها معهد مدينة ماجوكوس والمدرسة الاسلامية فى محباسا .

وبعد حصول كينيا على الاستقلال انتشرت الدعوة لاقامة هيئة اسلامية تتولى الدفاع عن المسلمين هناك الأمر الذى ترتب عليه فى النهاية الموافقة على انشاء المجلس الأعلى للمسلمين .

« مؤتمر المساجد بالولايات المتحدة الامريكية (١) »

خلال المؤتمر الذى عقده مجلس المساجد بالولايات المتحدة الامريكية مع مطلع العام الحالى تم التوصل الى القرارات التالية :

١ ــ دعوة جميع البلاد الاسلامية المنتشرة فى بلاد العالم الى اعتبار تحرير مدينة القدس وفلسطين المحتلة واجب دينى مقدس ، يقع على عاتق المسلمين .

٢ ــ استنكار العدوان الذى قام به الاتحاد السوفيتى على جمهورية أفغانستان ، واعتبار الغزو السوفيتى بمثابة اعلان الحرب على كل البلاد الاسلامية ، كما دعا مجلس المساجد كل البلاد الاسلامية والجاليات الاسلامية فى امريكا الشمالية ، وفى العالم أجمع للتبرع بسخاء فى سبيل دعم المجاهدين المسلمين الأفغان .

٣ ــ ولقد أكد مجلس المساجد بالولايات المتحدة أهمية الصلاة بالنسبة للمسلمين ، ومدى حقهم بالتمتع بالحرية الدينية ، وناشد البلاد الاسلامية فى العالم لتخصيص منح دراسية للطلاب المسلمين فى أمريكا ، لدراسة الدين الاسلامى فى المعاهد والجامعات الدينية الاسلامية ، بحيث يرجعوا الى قومهم مزودين بالثقافة الاسلامية والتربية الدينية ، فيؤدوا واجبهم تجاه الجاليات الاسلامية فى امريكا **(وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفرمن**

---

(١) من النشرة ٨٤ للمركز الثقافى الاسلامى بايطاليا .

كل فرقة منهم طـائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) .

« رؤساء البعثات الدبلوماسـية العربية فى اليونان يبحثون اقامـة مركزاسلامى فىأثينا ــ اليونان» .

ان رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية ، فى اثينا ، اليونان ، قـد عقدوا اجتماعا تدارسـوا فيه موضوع انشاء المركز الاسـلامى والجامع الاسلامى فى أثينا .

كما أنه عقد اجتماع آخر مماثل فى هولندا لدراسة مشروع مماثل ، وقد رحبت الحكومة اليونانية بهذه الخطوة .

فهمى عبد اللاه سيد على

كتاب الشهر :

تحديد النسل
والتنمية الاقتصادية

للدكتور رءوف شلبي

*** «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون**

*** وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين**

*** وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم» .**

١٩ — ٢١ الحجر

تجتاح الأمة العربية والأمة الاسلامية موجة «عارمة» من الدعاية لتحديد النسل وقد تتطور هذه الموجة من دعوة للاصلاح الى واجب قومى يجعل فى مستوى رفيع من مستويات أهداف الدولة العليا ، ومن يدرى لعل هذا التطور ربما يصل الى درجة التجريم أو الخيانة العظمى ، فقد خرجت أصوات تنادى بعقاب من يزيد فى نسله عن ثلاثة كحد أعلى .

ولقد انجرف فى هذا التيار جماعة من بعض العلماء وشقشقوا ألفاظهم جريا وراء براعة عليا فى صياغة الفتوى ، أو مظنة أنهم يحاولون الهرب من المسئولية الدينية التى استقرت فى سويداء قلوبهم كعلماء مسئولين عن الحق والعدل الدينى فقالوا انه تنظيم للنسل وليس تحديدا ... !!

ومن المعلوم والمعروف أن دعوة تحديد النسل أو تنظيم النسل مرض خبيث نقل من الفكر الاوربى الذى يسيطر عليه : الدهاء الصهيونى ، والحقد الصليبى وأصبح الوطن العربى والاسلامى مريضا بهذا الداء الوبيل الذى غلف فى ثوب اقتصادى مستغلا الظروف الاستثنائية فى الوطن العربى والاسلامى ، والتى هى من أفعاله ومكره واستعماره الطويل وكراهيته للعرب والاسلام

ومادام الغرب الصهيونى الصليبى يحتمى خلف ساتر اقتصادى فى نشر ميكروب تحديد النسل فانه لمن أيسر السبل وأقصر الطرق أن نعالج قضية ارتباط التنمية الاقتصادية : صناعة أو زراعة أو تجارة بالقوى البشرية زيادة أو نقصا من خلال الظواهر

التاريخية التى يحتفظ بهـا تاريخ أوربا الاقتصادى ٠

ثم نوضـح فى ايجـاز موجز عوامل الفقر فى العـالم العـربى والاسـلامى ٠

ثم نقرر الحـكم الشرعى فى قضية تحديد النسل أو تنظيمه من خلال النصوص الرئيسية للشريعة وهى : القـرآن الكـريم والسنة المطهرة ٠

أولا : حاجة التنمية الى الايدى العاملة ٠

* فى حـكاية تاريـخ أوربا الاقتصادى ظواهر واضحة تـدلل على أن الايدى العاملة هى عصب التنمية الاقتصادية ٠ فعندما قسم العلماء مراحل التطور الاقتصادى الاوربى فى العصور الوسطى قالوا :

يمكن تقسيم التطور الاقتصادى فى العصور الوسطى الاوربية الى أربع مراحل :

المرحلـة الاولى : بين القرنين الخامس والسابع الميـلادى حيث شـاهدت أوربا هجـرة واسـعة استفادت البـلاد منها اقتصـاديا حيث استغلت الأراضى فى الزراعة ونشطت الصناعة فلولا زيادة عدد السكان عن طريق الهجـرة ما تم لأوربا استغلال أراضـيها المعطلة بدليل أن :

المرحلة الثـانية : كانت مرحلة توقف فى العمل الاقتصادى بسبب الاضطرابات التى اجتاحت أوربا من جراء الحروب الاسـلامية فى القرن السابع الميلادى التى وجهت الى بلاد أوربا فراحوا يدافعـون عن بلادهم أو يهربون من مواطنهم خوفا من الحرب ٠

المرحلـة الثالثة : فلمـا ضعف المسلمون وصار أمرهم فى القـرن الحادى عشر الى الرابع عشر تحت سيطرة الحروب الصليبية تقـدم الاقتصادى الاوربى فاستصلحت مساحات واسـعة مـن الاراضى البور ،واتسعت التجارة، حتى بلغ ذروته فى الفترة من ١١٥٠ م الى ١٣٥٠ م ٠

المرحلة الرابعة : لكن لما قلت الأيدى العاملة بسبب انتشار وباء الطاعون الأسود ، وكثرت الحروب أواخر القرن الرابع عشر انكمشت التنمية وارتفعت الأجـور وكثرت الضرائب ، ففشت المجاعات .

فالاقتصـاديون فى تأريخهم لاقتصاد أوربا فى مرحلة القـرون الوسـطى يعلنون ظاهرة بينة فى التنمية الاقتصـادية هى : أن الأيـدى العـاملة هى العصـب الأصيل فى النمو الاقتصادى طردا وعكسا .

* ولم تتغير هذه الظاهرة فى مرحلتى التطور الاقتصادى وأعنى بهما :

ــ مرحلة التجهيـز ١٤٥٠ ــ ١٧٥٠ م

ــ مرحلة التقدم ١٧٥٠ ــ الى اليوم .

وتتميز مرحلة التجهيز الاوربى بكفاح الجماعة الأوربية للكشف عن أسرار الطبيعـة والبحث عـن الوسائل التى تكفل الافادة منها ، ومن هنا نتج مايسمى بكفاح الفرد وكفاح الدولة ضـد الاقطـاع والكنيسة وحكومة المدينة ، فاندفع النشاط الاقتصادى فى أوربا قدما الى الامام بفضل نشـاط الأفراد وحماية الدولة وبفضل :

ا ــ زيادة عدد السكان .

ب ــ الكشوف الجغرافية التى فتحت آفاقا جديدة للتجارة والعمل .

جـ ــ والتوسع الاسـتعمارى الذى أضاف وسائل للانتاج .

د ــ قيام الـدولة القومية التى تنافسـت فى مجـال الكشـوف الجغرافية لمزيد من الاتسـاع فى رقعة العمل الاقتصادى ومزيد من الاستعمار لبلاد اسلامية .

ولهـذا يقـول الاقتصـاديون المؤرخون لهذه المرحلة :

حقا لقد استمرت الزراعة حتى القرن التاسع عشر هى الاسـاس الذى يقوم عليه الاقتصاد الأوربى

ولكن الصناعة قد تنوعت وازدهرت ولبت مقتضيات الحياة الجديدة ، وسدت حاجة الأسواق النامية فى أوربا ، وكسبت لها أسواقا جديدة فى خارج أوربا : فى آسيا وفى أمريكا حاملة منها فى الوقت نفسه ما تحتاج اليه من المواد الأولية وعلى هذا النحو ازدهرت التجارة واتسع نطاقها فكان ذلك من أهم مظاهر التطور الاقتصادى الحديث فى أوربا .

وخرجت أوربا من عزلتها وتسابق الأوربيون لامتلاك المستعمرات وتكوين الامبراطوريات وحرصت دول أوربا على أن تهيمن على هذا النشاط الاقتصادى لتتخذه وسيلة لتزويدها بالقوة المادية التى تكفل لها التغلب على الدول الاخرى فقد كان العصر عصر منافسة وصراع بين الدول .

ولهذا نجد أوربا تتجه الى بناء الدولة القومية لمواكبة النهضة الاقتصادية فتحولت انجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وهولندا من نظام الاقطاع الى دول يحكمها ملك يوجه سياسة الدولة واقتصادياتها ، وكان ذلك التحول حسب الظروف التى تعيشها كل دولة ، ولقد كانت انجلترا أسبق الدول فى تأسيس الدولة القومية ، ولذلك كانت أكثر انتشارا فى المستعمرات ولهذا الاتجاه : اتجاه تأسيس الدولة القومية التى تسعى الى تحقيق القوى المادية بتوفير الثروة عن طريق السياسة التجارية **فانها لم تجد لذلك سبيلا الا بالعمل على زيادة السكان .**

يقول الكاتبون فى اقتصاد أوربا:

تطلعت الدولة القومية الحديثة لتحقيق سيادتها الى زيادة القوى المادية ، والقوى البشرية :

* فالقوى المادية أرادت أن تحققها بتوفير الثروة عن طريق السياسة التجارية .

* **أما زيادة القوى البشرية فيكون بتشجيع زيادة السكان بالزواج المبكر ومنح الاعانات لتكثير النسل** حتى تتوافر الأيدى العاملة فيزداد الانتاج ويجند العدد اللازم للجيش .

ويقول الكاتبون فى اقتصاد أوربا كتعليق على نتائج هذه المرحلة : « وقد قابل ازدياد السكان ، واتساع الاسواق التجارية وكشف بقاع جديدة بها مصادر متنوعة للثروة الطبيعية فتطلع هؤلاء — فى ظل الأحداث الجديدة — الى الهجرة الى ما وراء البحار سعيا وراء العمل والانتاج **وكان هؤلاء المهاجرون عونا لدولهم من الناحيتين السياسية والاقتصادية** •

❋ ونقول : ان مرحلة الاقتصاد الأوربى فى دور التجهيز احتاجت الى الايدى العاملة مثل بدء الاقتصاد الاوربى فى مرحلة ماقبل القرون الوسطى من أجل :

أ — استغلال الأراضى •

ب — اكتشاف الموارد الطبيعية

جـ — بناء الدولة القومية الحديثة •

د — تطور الصناعات •

هـ — الكشوف الجغرافية •

يقول الاقتصاديون فى ايجازهم لمقومات مرحلة التجهيز الأوربى :

ان أهم مقومات التجهيز الاوربى لبناء الدولة القومية عدة عوامل منها :

ا — التوسع الاوربى عن طريق الحروب الصليبية ، والكشوف الجغرافية •

ب السياسة التجارية التى تنظم أراضى الدولة كلها تحت حكم ملك واحد ، والعمل على زيادة ايرادات الدولة بتدخلها فى أمور التجارة لتحتفظ لها بنصيب من أرباح الذهب والفضة •

جـ — الاكتفاء الذاتى •

ء — الصناعة •

هـ — المناجم •

و — الزراعة •

ز — التجارة •

ح — القوة البحرية •

ط — المستعمرات •

ى — زيادة السكان •

فقد رأى الاقتصاديون أن كل المقومات فى حاجة الى عدد كبير من السكان فالفرد عدة العمل فى الحقل وفى المنجم وفى المصنع وفى الباخرة

وفى القطار فلن تستقيم سياسة انتاجية فى الزراعة أو الصناعة أو التعدين الا بوفرة السكان وتنظيم جهودهم والأمة تحتاج اليهم فى تكوين الجيوش وبناء الأساطيل وتعمير المستعمرات ولهذا تحرص الدولة على زيادة **عدد سكانها بالتشجيع على زيادة النسل برصد الاعانات والمكافآت حتى يتوافر** للدولة مزيد من سواعد أبنائها وينخفض أجر العمل **فتقل** تكاليف الانتاج ويستطيع العامل أن يحظى بحاجته من الغذاء والكساء بأسعار رخيصة تتناسب وأجره ويستطيع الصانع أن يشترى المواد الأولية اللازمة لصناعته **بأسعار** معتدلة **فيقل** سعر التكلفة ويمكن تصديرها الى الاسواق الخارجية بأثمان معتدلة تمكنها **من منافسة** مثيلاتها من السلع الاجنبية **أما قلة عدد السكان فيصحبه — فى رأى التجاريين — ارتفاع اثمان الحاجات وانكماش التجارة وقلة** حصيلة الدولة من المعادن النفيسة وهبوط الدخل القومى .

ولهذا السبب لم تعد الدولة القومية تثق فى الأجانب كقوى مساعدة للتنمية فقد شاع الاعتقاد أن الأجانب دائما يعملون لمصلحة بلادهم وأنهم لا يمارسون نشاطهم داخل البلاد التى يقيمون فيها الاريثما يجمعون المال ، ثم يعودون الى وطنهم ومعهم الذى جمعوه مما يؤدى الى تسرب النقد الى الخارج .

*** ولا يقل الفيزيوقراط :** الطبيعيون فى الدعوة الى كثرة النسل عن خصومهم التجاريين لأنهم يدعون الى حرية العمل والانتاج والاستهلاك والغاء الضرائب الجمركية .

وبهذا يبدأ فى تاريخ الاقتصاد الأوربى مراحل جديدة للتطور الاقتصادى :

الأولى : من ١٧٧٩ — ١٨٤٨ م برز فيها مبدأ الاقتصاد الحر بفضل الثورة الصناعية والسياسية .

والثانية : من ١٨٤٨ — ١٨٧٠م برز فيها انتشار القومية والنظم البرلمانية .

والثالثة : من ١٨٧٠ ــ ١٩١٤ م تأسست الامبراطورية الألمانية التى صارت قدوة فى الاقتصاد لباقى دول أوربا •

ولا ينفك عامل زيادة السكان عن ارتباطه بالتنمية الاقتصادية طردا وعكسا ومن أمثلة ذلك :

أ ــ فى الزراعة :

كانت الزراعة هى العنصر الأساسى الذى قامت عليه اقتصاديات أوربا قديما ، وكان أكثر الأوربيين يقيمون فى القرى ويعملون فى الزراعة فقد كان ٩٠٪ من سكان انجلترا يعملون فى الزراعة أو الرعى أو الصيد مما يدل على تحكم الريف فى ثروة البلاد القومية ، لكن الزراعة التى تعتمد على زيادة السكان قد انهارت بسبب الحروب الأهلية فى انجلترا التى عرفت بحرب الوردتين فى القرن الثانى عشر ، ومثل الحروب بين انجلترا وفرنسا التى سميت بحرب المائة عام من ١٣٣٧ ــ الى ١٤٥٣ وبسبب قلة السكان التى كانت نتيجة الحروب وكذلك كانت نتيجة انتشار الطاعون الذى قضى على ثلث سكان أوربا ما بين عام ١٣٦٠ ــ ١٤٠٠ م

وهذا كله أدى الى نقص الأيدى العاملة فى الزراعة :

ولذا فان كتاب التاريخ الاقتصادى الاوربى عندما يتحدثون عن الثورة الزراعية يدرسون من عواملها : مشكلة المحافظة على خصوبة الأرض ومشكلة الصرف ثم مشكلة الأيدى العاملة فيقولون فيها :

ومن المشكلات التى واجهتها الأرض والزراعة فى أوربا مشكلة الأيدى العاملة المشتغلة بالفلاحة ، فان نمو الصناعة واتساع المدن ومغرياتها وزيادة أجور عمال الصناعة على أجور عمال الزراعة كل هذا قد أغرى عددا كبيرا من أهل الريف على الهجرة الى المدن فكان لزاما على أصحاب الأراضى أن يواجهوا النقص الكبير فى الأيدى العاملة فى الريف باستخدام آلات للحرث والرى •

وعلى العكس من ذلك يتحدث

كاتبوا الاقتصـاد الاوربى عـن الزراعة فى بريطانيا فيقولون :

أصـاب الاقتصـاد البريطانى انتعاش كبير فى الفترة السـابقة التى دعوناها فترة التجهيز الاوربى ١٤٥٠ ـ ١٧٥٠م فقد تضـاعف عدد السكان وانتشرت المحصولات الزراعية التى تسـتخدم للتجارة فأصبح لدى انجلترا فائض مـن القمح تصدره الى أوربا .

والنتيجة لهذه الظاهرة :

أن الزراعة تتأثر طردا وعكسا بالقـوى العـاملة فاذا ما توفرت الأيـدى العاملة انتعشت الزراعة ودرت خـيرا كثـيرا واذا ماقلت الأيدى العـاملة تعطلت الأرض وفسـدت وقل المحصـول وعمت المجاعات .

وبصورة جليلة عن الزراعـة فى بريطانيا فى الفتـرة من ١٧٥٠ ـ ١٩٥٠ ـ يقـول الكاتبـون :

ان الاطراد فى زيادة السـكان كان المخفف مـن ضـيق اهمـال الأراضى وتركها نتيجة الحـرب وهبـوط ثمن البوشـل من القمح المحلى عـن ١٠ شـلن فلم يـكن ازدياد عدد السكان عبئا وانما كان عامل تخفيف للورطة التى أصابت انجلترا عام ١٨١٥ . ولم تضطر انجلترا لكثرة سـكانها الى جلب عمال من الخارج مثلما فعلت فرنسا عـام ١٩١٣ حيث كان النقص فى الأيدى العاملة سيئا فاسـتوردت عمالا من جنسـيات مختلفة ففى عام ١٩٢٩ م كان من بين كل ٢٠ من الأيدى العاملة فى الزراعة واحـد من جنسية أجنبية .

ب ـ فى الصناعة :

اذا كانت الظواهر الاقتصاديةفى عالم الزراعة تعطينا فكرة أساسية عـن ارتباط التنمية بزيادة السكان طردا وعكسا ، فان هـذا المفهوم يكاد يكون مقلوبا الى حـد ما فى عالم الصناعة ذلك أن الصناعة فى أوربا أول فجـرها كانت تكفى حاجات الانسـان ولا تزيـد الا بمقدار ضئيل .

فلما كانت الكشوف الجغرافية ، والحـروب الصليبية واتسـعت رقعة المستعمرات فى آسيا وأفريقيا وامريكا ، اتسع تبعا لذلـك نطاق السوق الشرائية لا سيما بعد أن

أقبل الناس على المنتجات الصناعية من الأقمشة والمنسوجات القطنية والحريرية مما ساعد على التفكير فى تطوير آلات الصناعة لتواجه تزايد الطلب من الاسواق الجمة وراء البحار فكانت الثورة الصناعية على نحو ما يصفه علماء الاقتصاد وكان من جراء ذلك ظهور طبقة من العمال لا عمل لها بعد أن فقدت المصانع اليدوية فاعليتها فى مواجهة الصناعات الحديثة ، كما جنح أصحاب العمل الى استخدام الاطفال والنساء بأجر أقل واستغل العامل طوال ساعات اليوم وأسىء له فى حياته ومعاملته حتى ظهر ما يسمى بالمشكلة العمالية (١) .

وكان من أول من تصدى لحلها (سيرروبرت بيل) صاحب مصنع للقطن وسياسى بريطانى محنك فعمل على حل جزء المشكلة عام ١٨٠٢ فحدد عمل الصبية باثنتى عشرة ساعة فقط وعين مفتشين : أحدهما قاض والآخر قسيس للاشراف على تنفيذ القانون فى المصانع ، ثم صدر عام ١٨١٩ م قانون يحرم استخدام الاطفال فى المصانع ، وحرم أن يشتغل العامل أكثر من ١٢ ساعة فى اليوم ، ولم يقبل اصحاب المصانع بهذه القوانين فحدثت مشكلات أدت الى البطالة بين العمال وتضخمت المسائل حتى عجت حلبة الاصلاح الاجتماعى بنظريات كثيرة خاصة بالعمال وكان من بين هذه النظريات تحديد النسل .

فقضية تحديد النسل ظهرت فى جو الصناعة وتطورها وتطور آلاتها والاستغناء عن بعض العمال بفضل الآلات الحديثة .

رأى قدامى الفلاسفة

لقد كانت نظرة الفلاسفة قديما الى زيادة السكان نظرة عادية لا يرون فيها بأسا ولا خرابا الى ذلك يذهب الفيلسوف Bvffodn

---

١ ــ لو كان لدى أوربا فقه سليم بقيمة الانسان وكرامته على نحو ما هو مقرر فى الاسلام لوضعت خطة صناعية لاستيعاب كل العاملين فى حقل الصناعة : احتراما لانسانيتهم ، ونشرا للرخاء ، ولكن المسألة كانت على خلاف ذلك .

والفيلسوف مونتسكيو Montesguieu فقد كانا يريان أن الزيادة فى السكان مفيدة ونافعة للبلاد ولا خوف منها ، لأن تعداد السكان منظم بطبيعته حسب طرق المعيشة، وهو نفس الاعتقاد الذى كان يذهب اليه المركيز ميرابو Mirabeau

ولكن الذى أفسد هذه النظرة العادية جودون GODWIN عندما ذكر فى كتابه « العدل السياسى سنة ١٧٩٣ م أنه شك فى أن نسبة المحصولات قد لا تزداد بنسبة تتلاءم مع عدد السكان »

مالتوس الانجليزى : ١٧٦٦م

* وهنا برز فى حلبة التشكيك قسيس اقتصادى هو مالتوس الانجليزى الذى وضع كتابه المشهور :

رسالة عن تعداد السكان عام ١٧٩٨ م ثم اعاده عام ١٨٠٣ م

وفيه يقول :

ان تعداد السكان يزداد طبقا لنظام متواليات هندسية •

١ — ٢ — ٤ — ٨ — ١٦ — ٣٢ — ٦٤ — ١٢٨ • وهكذا بينما لا تزداد حاجات المعيشة — الانتاج — الا حسب متواليات حسابية :

١ — ٢ — ٣ — ٤ — ٥ — ٦ — ٧ — ٨ — ٩ — ١٠ — ١١ — وإذن:

فتكون نسبة السكان الى الانتاج بعد جيلين كنسبة ٢٥٦ الى ٩ وبعد ثلاثة أجيال كنسبة ٤٠٦٩ الى نسبة ١٣ وسيكون الفرق خارقا لحد التصور بعد آلاف السنين •

لكن مالتوس لم يتعصب لهذا الرأى بل قال انه افتراض •

وقد تكون الأمور المفروضة غير صحيحة أحيانا ، وقال : ربما صار حظ الانسان فى المستقبل أسعد مما هو عليه الآن اذا استبدلت طرق القمع بوسائل الوقاية أى اذا استبدل بالحرب تنظيم أمور الزواج ... الخ •

ومع ذلك فان رأى مالتوس مع أنه ظهر فى بيئة عمالية عاطلة وكانت ظروف الحياة فى القرن الثامن عشر سيئة للغاية الا أن رأى مالتوس علق بأذهان كثير من الاقتصاديين حتى جر هذا الوبال على شرقنا العربى والاسلامى •

يقول المستر جروف ساموبل فى

فى نقد رأى مالتوس :

ــ ان مالتوس لم يستطع أن يتنبأ بمخترعات العصور الحديثة تلك التى زادت مقادير المواد الغذائية ، وكذلك أساليب الزراعة فان التقدم فى هذه الآلات قد ساير ازدياد عدد السكان وأربى عليه .

ــ كذلك مالتوس لم يدخل فى حسابه قدرة الانسان على التعاون والحصول على مزايا تعظم كلما ازداد عدد السكان وازدحموا ،ذلك أنه كلما زاد عدد السكان استطاع الانسان أن يوزع العمل بأساليب اقتصادية أبلغ من سواها ، واستعمل فى تصريف العمل طرقا تفضل غيرها كثيرا وبفضل المخترعات والمستكشفات الحديثة تمكن الانسان من زيادة الانتاج .

ويقول جروف :

من ذلك يرى أن الانسان يستطيع دائما أن يجعل مقدار انتاجه أكثر فى مدة من الوقت أقصر (١) .

يقول جروف :

ان مجرد الارتفاع فى عدد المواليد لا يفيد فى زيادة عدد السكان فالجدير بالاعتبار هو الناتج الختامى : أى رجحان المواليد على الوفيات ، ولابد كذلك من تقدير العوامل الأخرى كالهجرة ، والحروب ، والامراض والكوارث الطبيعية .

*** ريكاردو الهولندى ١٧٧٢ م :**

وعلى غرار مالتوس كان ريكاردو ١٧٧٢ م فقد ذهب الى أن مستقبل العمال مظلم لأنه كلما ازداد السكان كثر عدد العمال ومتى كثر عدد العمال قلت أجورهم ، واذا قلت مساحة الأراضى الزراعية قل المحصول ، واذا قل المحصول ارتفع ثمنه ، ففى كلتا الحالتين مستقبل العمال فى خطر ومنعامن وقوع هذا الخطر يجب رفع أجورهم بنسبة ارتفاع لوازمهم ، وعلى فرض امكان حصولهم على هذه الزيادة فلن

---

١ ــ المجتمع ومشاكله ص ٤٧ .

يكونوا سعداء لأن ثمن القمح وغيره يزداد أيضا وانما الحل الوحيد لسعادة العمال هو ألا يكون لهم أولاد الا بنسبة مكاسبهم وأن يحدد لكل صناعة عدد معين من العمال ٠

يقول الدكتور حسين على الرفاعى : لا شك أن هذه النظرية اندثرت ولن تجد فى حياتنا الاجتماعية الحالية مجالا للنجاح ولقد أصبحت فى عداد النظريات العتيقة فان حالة التقدم الصناعى الهائلة التى يعيشها العالم اليوم لا تجد لمثل هذه الأفكار بيئة وسط العاملين والمستثمرين ٠

والخلاصة :

أن قضية تحديد النسل نشأت وسط مجتمع صناعى بدائى تحيط به عناكب اليأس والأسى ، عندما كانت أوربا تتيه فى بحر من الفقر والجوع والحرب والدمار ٠

وكان التشاؤم هو السمة السائدة على الفكر العلمى الذى لم يستطع أن يتنبأ بتقدم صناعى هائل يغطى حاجات الانسان ولم يجد الفكر الأوربى له من الدين الذى يعتنقه مساعدا له على تفهم قضية الرزق والعمل ٠

(انظر حولك)

ولننظر الآن من حولنا لنرى رد الفعل للدول التى أخذت قديما بنظام تحديد النسل فماذا نرى٠٠؟

(ا) فى انجلترا :

* فى الحرب العالمية الاولى ١٩١٦ م ألفت فى انجلترا لجنة لاستعراض نسبة المواليد وكانت تتألف من ٣٣ عضوا كلهم من رجال الطب والاقتصاد والعلوم التجريبية والخبراء بفن الاحصاء والعلوم الدينية كما اشترك معهم ممثل عن الحكومة هو الدكتور استفنسون Stevenson ـ المسئول عن الاحصائيات ، والسير آرثر نيوزهوم AURTHER NEWSHONE ـ وهو الرئيس الاعلى للشئون الطبية ـ ووضعت هذه اللجنة تقريرا جاء فيه :

على بريطانيا أن تراقب بغاية من الحذر والاضطراب النقص المتزايد فى هبوط نسبة الولادة

القومية وعليها مواجهة هذا النقص وتغييره بالزيادة الى حد امكان ان تتخذ كل مايأتى فى دائرة قدرتها من التدابير الفعالة ، وتكررت هذه النصيحة فى عام ١٩٤٣ ابان الحرب العالمية الثانية فقد قال المستر هربرت مارسين وزير الداخلية :

ان بريطانيا اذا كانت تحب المحافظة على مستواها والتقدم فى سبيل الرقى والازدهار فى المستقبل فمن اللازم أن يتزايد فيها عدد كل أسرة بنسبة ٢٥٪ على الأقل وفى عام ١٩٤٤ م شكلت لجنة من الحكومة لدراسة المشكلة من كل نواحيها وقد صدر عنها توصيات أهمها :

* تعديل قانون الضرائب بحيث تخفف عن المتزوجين الذين لهم عدة أطفال .

* أن تمنح كل أسرة مكافأة مالية على قدر مايكون لديها من الاطفال .

* والآن فى انجلترا يمنح الاطفال مكافآت مالية وتمنح النساء أجازة ولادة مع مكافأة مالية خاصة .

ب — وفى فرنسا :

أصدرت الحكومة قانونا يجرم تعليم منع الحمل ونشر المعلومات عن طرقه ووسائله .

وان الاسر ذات الاطفال تمنح مكافآت مالية وتعفى من بعض أنواع الضرائب .

ونتيجة لذلك ازداد عدد سكان فرنسا بنسبة ٢٦٪ فى السنوات بين ١٩٣٨ م الى ١٩٥٤ م .

د — وفى السويد :

قال الوزير تراى جر TRYGGAR ان الشعب السويدى اذا كان لا يريد لنفسه الانتحار فعليه أن يتخذ التدابير المؤثرة لمقاومة انخفاض نسبة المواليد فى وطنه .

لقد أصبح انخفاض نسبة المواليد خطرا للغاية ينذر بالويل منذ سنة ١٩٢١ م ا هـ .

وكان من تأثير هذا التنبيه الذى ألقاه الوزير فى المجلس النيابى أن الحكومة ألفت لجنة خاصة فى مايو ١٩٣٥م لدراسة المشكلة وانتهت اللجنة الى :

١ — الرقابة على بيع أدوية منع الحمل .

٢ ــ تخفيف الضرائب عــن الوالدين اذا كان لهما اطفال أقــل من ١٨ سنة ٠

٣ ــ المحافظة على الصــحة واعداد الادوية المجانية للاطفال ٠

رأى الطب

وتقول الدكتورة ميرى شارليب Dr : Mary Scharlieb

ان وسائل تحديد النسل سواء كانت هى اللــولبيات المعدنيــة أو الأقراص أو العقــاقير القاتلة للحيــوانات المنــوية أو حــواجز المطاط وغــيرها ، واذا كانت المرأة لا تتعرض باســتخدامها لضرر فورى ظاهرى ، ولكنهــا اذا ظلت تستخدمها لمدة من الزمان فلابد أن يصــيبها انهيــار عصــبى قبل ان تبلغ سن الكهولة ٠

ومن النتائج اللازمة لاستخدام هذه الوسائل ــ التبرم ــ والتذمر ــ والقلــق ــ وضــعف القلب والتشويش والهموم ونقص الدورة الدموية وشلل اليدين واضــطراب العادة الشهرية ٠

ويقول الدكتور رينيل ديوكس : ان المرأة عندما تتناول هــذه الحبوب لمنع الحمل فهى لاتتعرض للصداع والآلام العصبية فحسب بل لا تأمن على نفسها أن يصيبها مرض عضال كالسرطان ٠

الأثر الأخــلاقى

أما الأثر الأخــلاقى فانه يفتح بابا للفســوق لا حــد له مادامت عواقب الانحراف مأمونة ومــادام الخط الاقتصادى لا يسعف عــلى بناء بيوت للزوجية فلتأخــذ الابليسية حظها فى فكر الشــابات قبل الشبان ٠

فهل التنمية الاقتصــادية فى مجال : الزراعــة ، والصناعــة والتجارة فى حاجة الى مثل هــذه العاهات والامراض ؟

أو أنها فى حاجة الى أيد تعمــل وتبنى وتشيد ؟

ولله در المرحــوم العلامــة الاستاذ الدكتور أحمد زكى حــين هتف بالامة العربية : تناســلوا تكاثروا حتى تملئــوا البحر والبر عربا ٠

ومن جهة أخرى :

فان الاستعدادات العسكرية التى يتسابق عليها الشرق الشيوعى والغرب الامبريالى وكلاهما مستعمر غاشم قد جعلت قضية الأخلاق فى الشرق العربى والاسلامى قضية فى حرج شديد اذ بهذا التسابق يتأرجح العرب والمسلمون فى حيرة بين جاذبية كلتا القوتين ، وعندئذ لا توجد شخصية أخلاقية للعرب والمسلمين ، ويبقى فى تفكير العرب الى أى القوتين تضمن لهم السلامة ، ولا سلامة الا فى الاعتصام بحبل الله المتين ويوم أن تفقد الشعوب شخصيتها الاخلاقية تنهار وتندك حصونها وتذهب شعوبها بددا فى صحراء التيه والضياع .

ثانيا : عوامل الفقر فى العالم العربى والاسلامى

ان الثروة التى يملكها العالم العربى والاسلامى هائلة جدا ففى مجال الزراعة يملك ملايين الافدنة الصالحة للزراعة والتى تكتنفها الانهار والامطار على امتداد الوطن العربى .

ففى السودان مائتا مليون من الافدنة يجرى من حواليها النيل الابيض والازرق وهما حزينان لأنهما يمران مر الكرام وسط هذه الملايين دون أن تشرب مائة مليون منها شربة من ماء النيل .

وفى العراق ثلاثون مليونا تهطل عليها الامطار وتجوس خلالها مياه دجلة والفرات .

وفى سوريا وفى فلسطين وفى مصر ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة والكافية لسد حاجات مئات الملايين من الانس خارج الوطن العربى .. ولكنها لا تجد يدا عاملة ولا مالا يساند فى فلاحتها والمناجم وآبار البترول والغاز الطبيعى ، والمحاصيل الزراعية التى تصدر الى الخارج كلها ثروات تغطى حاجات العالم العربى والاسلامى ولكن الفقر هو سمة غالبية هذه الشعوب فلم . ؟

ان الاجابة اركزها فى هذه النقاط :

أولا : الابتعاد عن ذاتيتنا الاسلامية الى أيديولوجيات شرقية أو غربية لفت الأمة العربية

فى أثواب خلقة من السياسة الاستعمارية التى انهكتكل قواها.

ثانيا : تلك الصراعات العربية التى لم تعرف لها نهاية ولم تجد لها من يلم شملها .

ثالثا : تلك الحروب التى طحنت الامة العربية دون أن تدرك لم حاربت ومن حاربت ، واعتمادات عسكرية باهظة لم تحقق للقضية القومية شيئا .

رابعا : بعثرة الامكانات الاقتصادية والاحجام عن استخدام المال العربى فى ازدهار الأوطان العربية وهى حقل التنمية المرغوبة .

خامسا : تيه الاقتصاد العربى والاسلامى وسط جاذبية الاقتصاد العالمى .

سادسا : التبذير والاسراف فى النفقات السرية والاعلامية والترف المعيشى الخاص بالمظاهر الفضفاضة التى تضيع فى الهواء .

ومن هنا فرضت هذه المشكلات أسباب الفقر فمالت الأذن العربية الى وسوسة الغرب الصهيونى الصليبى وسمعت همسه : أن حل المشكلة فى تحديد النسل ، وهم كاذبون آثمون .

رأى العلامة ابن خلدون :

والعلامة ابن خلدون يربط التقدم الحضارى والرخاء الاقتصادى بزيادة السكان لأن هذه الزيادة تدفع الى التعاون على العمل الذى هو أساس التقدم الحضارى فيقول :

ثم اذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة ، وتعاونوا فى الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر ثم تزيد أحوال الرفه والدعة فتجىء عوائد الترف البالغة مبالغها فى التأنق فى علاج القوت واستجادة المطابخ ، وانتقاء الملابس الفاخرة .. ومعالات البيوت والصروح .. الخ .

فنظرية ابن خلدون وهو سيد

أهل علم الاجتماع : أن الحضارة تحتاج الى عنصر الوفرة فى الأيدى العاملة التى تقوم بأعباء أنواع حاجات الحضارة فالبدو ينتج ما يكفيه أما الرجل الحضرى فهو دائما يتطلع الى العلا وحاجاته مرتبطة بكثير من الفنون وشئون الصناعة وذلك لا يتأتى الا عن طريق الزيادة فى السكان .

يقول ابن خلدون :

ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل فى معاشه الصنائع ، ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة على الضرورى ومعاشهم على نسبة وجدهم .. فقد تبين أن أجيال البدو والحضر طبيعة لابد منها .

والامة العربية وهى الامة التى برز فيها عالم الاجتماع العربى ابن خلدون فيها من الامكانات ما يحقق نظرة اكثار النسل ثم هو أولى أن تميل فى اجتماعياتها الى نظرية ابن خلدون لا مالتوس ولا ريكاردو ..

ثالثا : الرأى الاسلامى فى تحديد النسل

تنشأ فكرة تحديد النسل كآثار لقضية أثارها الاقتصاد الفيزيوقراطى الذى يدعى أن موارد الطبيعة لا تكفى لتمويل البشر اذا زادوا فى المستقبل . وهى قضية عقدية قبل أن تكون اقتصادية ، فهل حقا الموارد الطبيعية غير قادرة على كفاية البشر .. ؟

ان الله تعالى يقول :

« والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون .

وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين »

١٩ ـ ٢٠ الحجر

« وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين »

١٠ ـ فصلت

« وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم »

٢١ ـ الحجر

« ذلكم الله ربكم لا اله الا هو

خالق كل شىء فاعبـــدوه وهو على كل شىء وكيل » •

١٠٢ ــ الانعام

« له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشـــاء ويقدر انه بكل شىء عليم »

١٢ ــ الشورى

« ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين »

٥٨ ــ الذريات

فهذه النصوص ترفض الادعاء الاوربى القائل بأن الموارد الطبيعية غير قادرة على كفاية البشر اذا زاد عدد السكان والنبى صلى الله عليه وسلم يحذر الأمة من تحديد النسل فيقول :

*** « اذا أراد الله خلق شىء لم يمنعه شىء »**

(رواه مسلم)

* اصـــنعوا مابدالكم فماقضى الله تعالى فهو كائن وليس من كل من الماء يكون الولد •

(رواه مسلم)

* لو أن الماء الذى يكون منـــه الولد أهرقته على صـــخرة لأخرج الله منها ولدا وليخلقن الله تعالى نفسا هو خالقها •

(رواه احمد)

* اعزل عنها ماشـــئت فانها سيأتيها ما قدر لها •

(رواه مسلم)

* اعزلوا أو لا تعزلوا ما كتب الله تعالى من نسمة هى كائنة الى يوم القيامة الا وهى كائنة •

(رواه الطبرانى)

* ما قدر فى الرحم سيكون

(رواه احمد والطبرانى)

* ما قدر الله لنفس أن يخلقها الا هى كائنة

(رواه احمد)

* ما عليكم أن لا تعـــزلوا فان اللـــه قدر ما هو خالق الى يوم القيامة

(رواه النسائى)

* لا عليكم ان لا تفعلوا ذلكم فانها ليســـت نســـمة كتب الله أن تخرج الا هى خارجة

(رواه البخارى)

* كتب الله مقادير الخـــلائق قبل أن يخلق الســـموات والارض

بخمسين ألف سنة وعرشـــه على المـاء

(رواه مسلم)

ولا أدل على رغبة الاسـلام فى زيادة النسل من دعوة النبى صلى الله عليه وسـلم الى الزواج من المرأة الولود الودود •

* ألا أخبركم بنسـائكم من أهل الجنة :

الودود الولود العوود التى اذا ظلمت قالت هـذه يدى فى يدك لا أذوق غمضا حتى ترضى •

(رواه الطبرانى)

* تزوجـوا فانى مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبـانية النصـارى •

(رواه البيهقى)

* تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم •

(ابو داود والنسائى)

* تزوجوا الولود تناسلوا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة •

(رواه البخارى ومسلم)

* انكحوا أمهات الاولاد فانى اباهى بكم يوم القيامة •

(رواه احمد)

وبعد :

فان القدماء المصريين كانوا أكثر ذكاء فى تصورهم للذرية من أغلبية كثيرين من دعاة تحديد النسل •

فقـد ورث التاريخ عن قدماء المصريين انهم كانوا يحبون الاطفال لدنياهم ولآخرتهم • وساعدتهم طبيعـة أرضـهم وأوضـاعهم الاجتمـاعية والدينيـة عـلى أن يسـتزيدوا من العيـال دون ان يتوقعوا عنتا كبيرا واملاقا (١) •

وأخـيرا ••

رأى مجمع البحوث الاسلامية

فى المحرم عام ١٣٨٥ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥ انعقـدت الدورة الثانية لعلماء المسـلمين فى رحاب الازهر ومجمع البحوث الاسلامية وفى هذا المؤتمر الثانى صـدرت قرارات تتعلق بتحديد النسـل قالوا فيها :

يقرر المؤتمر ما يلى :

١ ـ أن الاسلام رغب فى زيادة

---

١ ـ الاسرة فى المجتمع المصرى القديم دكتور عبد المعيز صالح ص٣٤

النســـل وتكثيره لأن كثرة النســـل تقوى الأمة الاســـلامية اجتماعيا واقتصـــاديا وحربيا وتزيدها عزة ومنعة ٠

٢ ــ اذا كانت هنـــاك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النســـــل فللزوجين أن يتصرفا طبقـــــا لما تقتضيه الضرورة وتقدير هـــذه الضرورة متروك لضـــمير الفرد وتدينه ٠

٣ ــ لا يصح شرعا وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النســـل بأى وجه من الوجوه ٠

٤ ــ أن الاجهاض بقصد تحديد النسل أو استعمال الوســـائل التى تؤدى الى العقم لهذا الغرض أمر لا تجوز ممارســـته شرعا للزوجين أو لغيرهما ٠

ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين وتقديم المعونة لهم فى كل ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل ٠

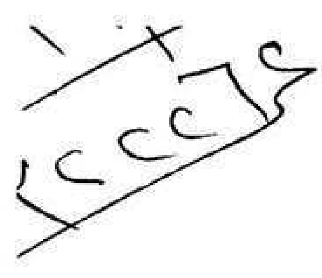
ان تحديد النسل : مجافاة للفطرة
ومجافاة للطبيعة العربية
وهو خرافة
لأن الله فعال لما يريد
ولأن الله غالب على أمره
فهل من مستجيب ؟
هذا
وبالله التوفيق ٠

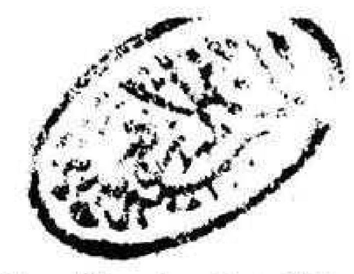
دكتور رءوف شلبى
عميد كلية أصول الدين
بالمنصـورة

فهرس العدد

اسم الموضوع	صفحة

طبع بمطابع مؤسسة روزاليوسف





مدير المجلة
محمد صابر البرديسي

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٩٩٢٢ - ٩٠٥٥٠٦

الجزء التاسع ـ السنة الثانية والخمسون ـ ذو الحجة سنة ١٤٠٠ هـ ـ نوفمبر سنة ١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

منابع التاريخ الإسلامى وبدء الكتابة فيه

فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

تدل كلمة « التاريخ » على الاعلام بالوقت ، مضافا اليه ما وقع فى ذلك الوقت من : حوادث ، وأخبار ، والتاريخ : بهذا المعنى اللغوى : قديم تمتد جذوره الى الأسرة الأولى من البشر ، فحينما هبط آدم وحواء ، على ظهر هذا الكوكب ، وأصبح لهما أولاد وذرية ، أخذ آدم يقص على أبنائه مما علمه الله ، ويروى لهم من الأنباء ما علمه ورآه ، وأخذ هؤلاء يحتفظون بهذه الأخبار فى ذاكرتهم ، لينقلوها الى أبنائهم ، وأحفادهم ، جيلا بعد جيل ، وقبيلا فى اثر قبيل ..

ثم توالت الأزمان ، وانبثق فجر الحضارة ، وبدأ الانسان يتعلم الكتابة ، ويسجل ما يسمعه ويراه ، وما يحتفظ به في ذاكرته ، على الحوائط والجدران . وفي العظام ، والجلود والألواح ، فبدأت الانسانية عهدا جديدا يسمى « مبدأ التاريخ » وأما العصور التي سبقت هذا العهد ، فتسمى « عصور ما قبل التاريخ » .

فالعصور التاريخية اذن تبدأ منذ تعلم الانسان الكتابة . وهذا هو ما اصطلح عليه المؤرخون ، وكأنما أرادوا أن يسدلوا الستار على تلك الأزمنة المتوغلة في القدم ، والتي لم تسجل فيها أخبار الشعوب والأمم ، لأنها — حينئذ — أنباء يحيط بها الغموض ، ولا تستند الى أساس سليم ، بل يشوبها الحدس والتخمين . وتفتح الباب على مصراعيه ، للأوهام والأباطيل ..

والآن سوف نعبر القرون ، منذ بدأت كتابة التاريخ عند الاغريق ، وعند الرومان ، وعند المصريين القدماء ، وقد كان ذلك قبل الميلاد المسيحي ، بآلاف السنين ، سوف نتجاوز هذه الأزمنة ، وتلك الأمكنة ، الى القرن السابع الميلادى ، والى الجزيرة العربية بصفة خاصة ، لكي نتتبع كتابة التاريخ الاسلامي ، منذ بدأت في هذه الجزيرة :

وأول المنابع الأصيلة لهذا التاريخ ، هو كتاب الله ، المنزل على رسوله محمد بن عبد الله ، ثم يلي ذلك في الأهمية السنة النبوية .. ففيها مبادىء الدين الاسلامي الحنيف وآدابه ، وفيهما سيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وبيان لأحوال المجتمع الذي كان يعيش فيه الرسول ، وأصحابه ، وتصوير صادق لما مر بهم من الآمال والآلام ، والاحداث الكبار والجسام .

وقد كان العرب قوما أميين . وكانت الكتابة فيهم نادرة ، حتى ليذكر المؤرخون ان الاسلام حينما ظهر في مكة ، لم يكن فيها من يعرف الكتابة ، سوى نفر ضئيل يقلون عن العشرين ، وكان منهم

عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، ويزيد بن أبى سفيان ، وأخوه معاوية بن أبى سفيان ، وأبوهما : أبو سفيان بن حرب •• أما المدينة فكانت الكتابة بين الأوس والخزرج قليلة — كذلك — وكان ممن يعرفها منهم سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، وزيد بن ثابت •

وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — يهتم كثيرا بالكتابة ويوجه المسلمين الى العناية بها حتى لقد جعل فداء الأسرى فى غزوة بدر ممن كانوا يعرفون القراءة والكتابة أن يعلم الواحد منهم عشرة من أبناء المسلمين بالمدينة •

وقد استعمل الرسول — صلى الله عليه وسلم — الكتابة فى تدوين ما ينزل من القرآن ، وفى ارسال الرسائل ، الى الملوك والحكام ، يدعوهم فيها الى الاسلام ، وكان أول من كتب له بمكة عبد الله بن سعد بن أبى السرح ، وأول من كتب له بالمدينة أبى بن كعب ، وزيد ابن ثابت • ولما فتحت مكة ، وأسلم معاوية بن أبى سفيان ، انضم الى كتبة الوحى من أصحاب الرسول — صلى الله عليه وسلم — ولم يكن الورق — المعروف الآن — قد وجد عند العرب ، ولذا كانت الصحف التى يكتبون فيها هى : القماش ، والجلد ، والعظام العريضة ، والحجارة الرقيقة ، والأطراف العريضة من الجريد •

وكان أصحاب الرسول — صلى الله عليه وسلم — أحرص الناس على الاقتداء به ، وترسم آثاره ، فكان من يستطيع الكتابة منهم يسجل عن الرسول ، ما يسمعه ، أو يراه •

ولكن الرسول — صلى الله عليه وسلم — نهاهم عن ذلك ، حتى تكون عنايتهم كاملة بالقرآن الكريم ، وحتى لا يؤدى ذلك ان تختلط بعض أقواله ، ببعض آيات من القرآن ولم يكن يبيح الرسول كتابة السنة الا فى احوال نادرة ، ولظروف خاصة •

وقد كان نتيجة لذلك : أن الصحابة رضوان الله عليهم ، وهم

أحرص الناس على القدوة برسول الله — صلى الله عليه وسلم — والاقتداء بهديه ، جعلوا من قلوبهم وصدورهم صحفا ، يسجلون فيها ما يسمعونه من الرسول — صلى الله عليه وسلم — وما يعلمونه عنه ، ويتنافسون فى ذلك ، حتى بلغوا أقصى الغايات ، ولم يكن للرسول — صلى الله عليه وسلم — مكان خاص دائم يجلس فيه ، ليتلقى عنه أصحابه ، وانما كان يغدو ويروح ، ويسافر ويقيم ، وأصحابه يحيطون به ، ليأخذوا عنه ما يشفى غلتهم ويحيى قلوبهم ، وكان من أصحاب الرسول من يلازمه فى ظعنه واقامته ، وفى حله وترحاله ، كأبى هريرة ، وأبى بكر رضى الله عنهما ، وكان منهم من تدعوه الضرورة الى ان يتخلف بعض الوقت لقضاء مصالحه ، ومن هؤلاء من كان يعهد الى جاره ، أو صاحبه ان ينقل اليه ما يقوله الرسول ، أو يفعله فى فترة تخلفه حتى اذا حضر أخبره به ، ليبقيه هو الآخر فى صدره ثم يخبر به الآخرين فى دقة وفهم وحرص وأمانة ، أما من بعدت عليهم الشقة ، ونأت بهم الديار ، فكانوا اذا اعترضتهم مشكلة وعجزوا عن حلها ، توجهوا من فورهم الى مدينة الرسول — صلى الله عليه وسلم — مهما بذلوا من التضحية، ومهما تحملوا من المتاعب المضنية، ليستضيئوا بنور النبوة ، وليتبين لهم الخير من الشر ، والحلال من الحرام .

وبعد أن لحق الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالرفيق الأعلى، وجاء عصر الخلفاء الراشدين،تركز اهتمامهم فى جمع القرآن الكريم، وتدوينه فى مصحف واحد ، وتوزيعه على جميع الأمصار الاسلامية .

التدوين العام للسنة :

وعلى الرغم من أن الصحابة والتابعين فى القرن الأول الهجرى، كانوا يتدارسون الحديث النبوى بعناية الا أنهم لم يكتبوه فى صحف خاصة به كما تقدم ذلك .. وقد مضى القرن الأول الهجرى على هذا النحو ، ولما كانت نهاية هذا القرن كانت الظروف كلها تحتم

كتـابة الحديث ، فالخصـومات السياسية ، والخلافات المذهبية ــ وما ترتب على ذلك من الفتن ــ لا تزال ناشبة • والأهواء مصطرعة ، وأعداء الاسـلام يتربصـون به الدوائر ، ويتخذون كل سـبيل لتشويه معالمه ، ولو تركت السـنة دون تدوين لتعرضـت للضـياع بموت العلماء ، والأمناء والحفاظ الثقـات ، وتعرضـت ــ كذلك للتحريف والتغيير بما يدسه فيهـا أصـحاب الهـوى والغرض من الوضـاعين الكـذابين ، الـذين اتخذوا الدين ستارا ، ينفذون من ورائه الى أغراضـهم ومطامعهم •

وكان من توفيق الله ورحمتـه بالمسلمين أن يتولى الخلافة فى ذلك الوقت عمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ وهـو الحاكم المخلص الحريص على دينه • فنهض لاعلاء كلمة الدين ؛ واحياء سنة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتجلى ذلك فى كتـأبه الذى أرسـله الى الولاة ، والعمـال فى الأمصـار الاسـلامية ، والذى يخاطب فيه عامةالمسلمين فيقول :«••وفى الذى علمكم الله من كتابه • والذى سن رسول الله ــ صلى اللـه عليـه وسلم ــ من السنن التى لم تدع شيئا من دينكم ولا دنيـاكم ، فى ذلك كله نعمة عظيمة وحق واجب هو شكر الله كما هداكم ، وكمـا علمكم ما لم تكـونوا تعلمـون ، فليس لأحد فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسوله رأى ، وهما حجتى فى الدنيا • وبغيتى فيما بعد الموت ، فلا تلبسوا ذلك بغيره » •

ثم اتبع هذا القول الذى يفيض بالاخلاص لكتاب الله ، ولسـنة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعمـل ايجـابى عظيم فكتب الى عامله وقاضيه على المدينة ، ابى بكـر بن حـزم ، يأمره بجمـع السنة وتدوينهـا ، ويقـول له : « أنظر ما كان من حديث رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم، وذهاب العلماء » •

وكذلك كتب الى عماله فى أمهات المدن الاسلامية ، يأمرهم بجمـع السـنة وتدوينها فاسـتجابوا لأمره •

يقول الحافظ بن حجر : « .. ولما قصرت الهمم وخشى الأئمة ضياع العلم دونوه ، وأول من دون الحديث .. ابن شهاب الزهرى على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز .. ثم كثر التدوين ، وحصل بذلك خير كثير ، والحمد لله » .

وكانت طريقتهم فى التدوين فى ذلك الوقت أن يتبعوا وحدة الموضوع . فهم يجمعون فى المؤلف الواحد الأحاديث التى تدور حول موضوع واحد . فالصلاة مثلا تختص بمؤلف ، وتجمع فيه كل الأحاديث الواردة فى الصلاة ، وهكذا فى الزكاة ، والصوم ، والحج الى غير ذلك من سائر الموضوعات .

والمعروف أن هذه الكتب التى دونت فى تلك العصور ليس لها الآن وجود مستقل فقد أدمجت فى المصنفات الكبيرة التى كتبت بعد ذلك .

تدوين السيرة النبوية :

ولا شك أن السيرة النبوية لا تخرج كثيرا عن السنة النبوية ، لأن السنة النبوية هى : أقوال النبى — صلى الله عليه وسلم — وأفعاله وتقريراته ، فكل الأخبار التى وردت عن النبى — صلى الله عليه وسلم — بعد بعثته : هى سنة ، وحديث ، وهى فى نفس الوقت : سيرة ، وتاريخ .

وأما ما ورد عن الرسول — صلى الله عليه وسلم — من أخبار قبل بعثته ، فبعضه يدخل فى نطاق السنة ، وهو ما أخبر عنه الرسول بعد البعثة ، وهو يسترجع الذكريات الماضية ، عن العصر الجاهلى ومن ذلك ما ذكره عن حرب الفجار وما ذكره عن حلف الفضول ، وما ذكره عن حادث شق الصدر أيام طفولته الى غير ذلك .

أما ما عدا ذلك من أخبار تتعلق به ، ولم ترد فى كتب السنة فقد تناقلها الناس على توالى الأجيال ، الى أن دونت بعد ذلك فى كتب التاريخ والسير .

وقد كتب المحدثون تاريخ النبى — صلى الله عليه وسلم — فى أحاديث متفرقة ، ومن غير ترتيب

للأحداث ، ولا جمع للموضوعات .. فلما رتبت الأحاديث فى أبواب ، وجمع منها ما يتعلق بكل باب على حدة ، كالصلاة والصيام، والزكاة والحج ، والجهاد،الى غير ذلك : جمعت السيرة فى أبواب مستقلة ، وكان من أشهرها باب يسمى « باب المغازى والسير » .

ثم انفصلت هذه الأبواب عن الحديث ، وألفت فيها الكتب الخاصة ، ولكن ظل المحدثون يدخلونها ضمن الأبواب الواردة فى كتبهم ، وتستطيع أن تلاحظ ذلك فى صحيح البخارى ، حيث خصص بابا سماه «كتاب المغازى» وكذا فى صحيح مسلم حيث جعل للجهاد بابا سماه ، « كتاب الجهاد والسير » وكذا ما جاء فى مسند أحمد من « كتاب المغازى » الى غير ذلك من سائر الأبواب المتعلقة بسيرة الرسول .

واذا كان ابن شهاب الزهرى قد قام بتدوين السنة النبوية فى عهد عمر بن عبد العزيز ، فقد أخذ عنه عالمان جليلان هما — فى الحق — أشهر وأوثق من كتب فى سيرة الرسول . وهما محمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥٣ هـ ومحمد بن عمر الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

وسوف نذكر ترجمة موجزة لكل من هذين العالمين :

١ — محمد بن اسحق :

هو محمد بن اسحق بن يسار كان من الموالى يرجع فى نسبه الى أصل فارسى ، وقد ولد سنة ٨٥ هـ ونشأ فى المدينة وكان بها — حينئذ — طائفة كبيرة من أجلاء العلماء فسمع منهم وأخذ عنهم ، ومنهم محمد بن أبى بكر ، وأبان ابن عثمان ، ومحمد بن على ابن الحسين ابن على بن أبى طالب ، ونافع مولى عبد الله بن عمر ، وابن شهاب الزهرى .. ثم رحل الى مصر سنة ١١٥ هـ ، وسمع من يزيد بن أبى حبيب .

ثم عاد بعد ذلك الى المدينة ، وكان يجمع الأحاديث وخاصة ما يتصل منها بالمغازى حتى اشتهربها وحتى كان الامام الشافعى يقول : « من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق ».

وقد ألف ابن اسحق كتابه

« المغازى » من مجموع الأحاديث التى سمعها من شيوخه فى المدينة ومصر • وهذا الكتاب لم يصلنا كاملا وانما وصل الينا مختصرا فى سيرة ابن هشام • ونستطيع اذا استخلصنا الروايات المنقولة فى سيرة ابن هشام ، عن ابن اسحق ان نظفر بسيرة ابن اسحق مختصرة ، وقد نص ابن هشام على ذلك فى مقدمة سيرته فقال :

وأنا ان شاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكر اسماعيل بن ابراهيم، ومن ولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من ولده وأولادهم لأصلابهم • الأول فالأول من اسماعيل الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل — للاختصار — • وتارك بعض ما ذكره ابن اسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شىء • وتارك — كذلك — أشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل الشعر يعرفها ، ومستقص ان شاء الله — ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به • وقد بقيت بعض الأخبار التى حذفها ابن هشام ، فى تاريخ الطبرى ، منسوبة الى ابن اسحق ، ومعنى ذلك اننا لو جمعنا كل ما نسب الى ابن اسحق فى سيرة ابن هشام ، وفى تاريخ الطبرى أستطعنا أن نظفر بالغالبية العظمى من سيرة ابن اسحق ، وقد مات ببغداد سنة ١٥٣ هـ •

٢ — الواقدى :

هو محمد بن عمر بن واقد ، الواقدى وهو من الموالى — كذلك — وقد عاصر ابن اسحق ، وكان أصغر منه سنا ، وهو يعتبر فى الدرجة التى تليه،ومن اشهرشيوخه فى التاريخ : أبو معشر السندى، وكان ابو معشر هذا واسع العلم بالمغازى ، وألف فيها كتابا اقتبس منه ابن سعد فى كتابه الطبقات الكبرى عند الكلام فى السيرة ، وكذلك اقتبس منه ابن جرير الطبرى فى كتابه « تاريخ الأمم والملوك » •

وقد ولد الواقدى بالمدينة سنة

١٣٠ هـ ، وعنى بالمغازى والسير ، والتاريخ الاسلامى عامة ، ونبغ فى ذلك . وقد وردت له ترجمة فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى وفيها يقول عن الواقدى : « وهو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره ، ولم يخف على أحد عرف أخبار الناس أمره ، وسارت الركبان بكتبه فى فنون العلم من المغازى ، والسير والطبقات وأخبار النبى — صلى الله عليه وسلم — والأحداث التى كانت فى وقته ، وبعد وفاته .. وغير ذلك» .

ومما يروى عنه انه كان يذهب بنفسه الى أمكنة الغزوات ، ومواطن قتل الشهداء من أصحاب الرسول — صلى الله عليه وسلم — وكان يقول عن نفسه : « ما علمت غزاة الا مضيت الى الموضع حتى أعاينه » .

وكان الواقدى كثير التأليف ، وله كتاب اسمه « التاريخ الكبير » مرتب على حسب السنين ، وقد اقتبس منه الطبرى فى تاريخه ، وآخر ما اقتبس منه ما ذكره من حوادث سنة ١٧٩ هـ ، وله — كذلك — كتاب الطبقات ، وقد ذكر فيه الصحابة والتابعين مرتبين حسب طبقاتهم .

وقد سلك كاتبه ، وتلميذه : ابن سعد هذا المنهج فى كتابه «الطبقات الكبرى » .

وهكذا كان الواقدى من أوسع الناس علما فى المغازى والسير ، وقد عول عليه الطبرى كثيرا ، وكان من أكبر المصادر ، التى اعتمد عليها فى تاريخه .

***

وهذان مثالان لعالمين جليلين من الرواد الأوائل فى التاريخ الاسلامى .

وهؤلاء العلماء لهم — بلا شك — فضل السبق اذ هم الذين وضعوا الأساس لمن جاء بعدهم . ولكن لم يكن تأليفهم مرتبا ، ولا عملهم منظما . انما كثر الترتيب والتنظيم فى الطبقة ، التى أتت بعدهم ، ونلمح ذلك فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى » ، و «تاريخ الأمم والملوك للطبرى» . الى غير ذلك من سائر الكتب التاريخية ، التى كتبت فى ذلك

الحين .

وهكذا يتبين لنا أن أساس الحركة العلمية فى العصر الاسلامى الأول ، كان هو الدين ، الذى يتمثل فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية . فأساس الفقه هو ما ورد من آيات قرآنية ، أو أحاديث عن النبى — صلى الله عليه وسلم — تتعلق بالعبادات ، والمعاملات ، والتاريخ الاسلامى ، مستمد من سيرة النبى وغزواته ، وبحث العلماء يتركز ويدور حول هذا الغرض .

ولذا فقد كان الفقه ، والتفسير، والحديث ، والتاريخ ، علما واحدا فى أوائل الاسلام ، ثم أخذت هذه العلوم يستقل بعضها عن بعض ، عملا بناموس الارتقاء ، ولكن استقلال العلوم وتميزها ، ظل غير ملحوظ طيلة العصر الأموى على وجه التقريب ، ففى كتب التراجم عن علماء هذا العصر ما يفيد : انهم كانوا يأخذون من كل علم بنصيبوافر ، وأن العلوم التى استقلت فيما بعد لم تكن اذ ذاك مستقلة فى نظرهم .

فالحسن البصرى مثلا يجلس فى درسه ، فيتكلم فى الفقه والتفسير، والحديث والتاريخ ، دون ان يلاحظ أنه انتقل من علم الى علم ، وتلامذته يستمعون اليه ، ولا يفكرون أنه قد انتقل بهم الى مجموعة من العلوم ، وانما يفهمون أنهم حضروا درسا من العلم الدينى ، ولم يكتمل نضج العلوم وتميزها ، الا فى العصر العباسى ، فظهر الفقهاء والمفسرون ، والمحدثون ، والمؤرخون ، وألفوا الكتب الكثيرة فى هذه النواحى المختلفة ، فأصبح لكل علم منها مجاله ، واستقلاله ، وبالتالى أصبح للتاريخ رجاله ، وهم المؤرخون السابقون ، ومن جاء بعدهم على توالى الأزمنة والقرون .

هذا . ومن الله العون ، وبه التوفيق ..

د/ محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

الرحلة فى طلب الحديث

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

لقد رحل الصحابة وأتباعهم الى شتى الأقطار والبلاد حتى أن الفرد منهم ليتميز بكثرة رحلاته وانتسابه الى أكثر من بلد •

ولقد حفظت لنا كتب السيرة وفود العرب الى الرسول صلى الله عليه وسلم وبعثات الرسول الى البلاد المختلفة لنشر العلم وتعليم السنة •

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حافظ الصحابة على تلك السنة الكريمة ، ومن أبرز الرحلات فى سبيل العلم وطلبه • ما روى عن أبى أيوب الأنصارى أنه رحل من المدينة الى مصر لمقابلة عقبة بن عامر وسؤاله عن حديث سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم فلما قدم الى منزل مسلمة ابن مخلد الأنصارى أمير مصر خرج اليه وعانقه ثم قال له ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ قال : حديث سمعته من النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق أحد سمعه منه غيرى وغير عقبة فابعث من يدلنى على منزله • فبعث معه من يدله على ذلك فخرج اليه عقبة وسأله عن سبب مجيئه فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه منه غيرى وغيرك فى ستر المؤمن قال عقبة : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من ستر مؤمنا فى الدنيا على خزيه ستره الله يوم القيامة » فقال أبو أيوب صدقت ثم انصرف أبو أيوب الى راحلته فركبها

راجعا الى المدينة وما حل رحله فما أدركته حائزة مسلمة بن مخلد الا بعريش مصر •

وروى أن عمرو بن أبى سلمة قال للأوزاعى : يا أبا عمرو أنا الزمك منذ أربعة أيام ولم أسمع منك الا ثلاثين حديثا — قال : وتستقل ثلاثين حديثا فى أربعة أيام ؟ لقد سار جابر بن عبد الله الى مصر واشترى راحلة فركبها حتى سأل عن حديث واحد وعاد الى المدينة وأنت تستقل ثلاثين حديثا فى أربعة أيام •

وهذا سعيد بن المسيب من كبار التابعين يقول : انى كنت لأسافر مسيرة الأيام والليالى فى الحديث الواحد •

وروى الشعبى حديثا ثم قال للسامع خذها — أى الرواية — بغير شىء فقد كان الرجل يرحل فيما دونها الى المدينة •

وعن جابر بن عبد الله قال : بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلى ثم سرت اليه شهرا حتى قدمت الشام فاذا بعبد الله بن أنيس الأنصارى • فأتيت منزله وأرسلت اليه جابرا على الباب ، فرجع الى الرسول فقال : جابر بن عبد الله فقلت نعم • فخرج الى فاعتنقته واعتنقنى قال : فقلت : بلغنى عنك أنك سمعت حديثا فى المظالم من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمعه أنا منه فروى له الحديث •

وعن عبد الله بن عباس أنه كان يذهب الى الرجل من الصحابة عنده الحديث ولو أرسل اليه لجاءه •

وعن أبى العالية قال : كنا نسمع عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نرضى حتى خرجنا اليهم فسمعنا منهم •

لقد كانت الرحلة سبيلا الى جمع العلم وسبيلا الى التثبيت من العلم وسبيلا الى التعرف على الجو العلمى فى أقطار العالم الاسلامى وتدعيما لوحدة المسلمين • وتنافس الجميع فى الاكثار منها والحرص عليها تنافسهم الشريف فى تحصيل العلم والاكثار منه ولم يبالوا فى سبيل

ذلك بتعب مادى أو مالى • وسنرى عند الحديث على أئمة الحديث أن الأكثر منهم رحلوا الى شـــــتى الأقطار ومن لم يرحل استفاد من علم الأقطار لمركزه الحيوى فى نظره وتوافق الناس عليه •

أولا : أئمة الحديث النبوى من الصــحابة •

الصحابة المكثرون لرواية الحديث

اشتهر برواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ســـبعة من الصحابة شاء الله أن يكون حفظهم فى كثرة رواية الحديث عن النبى صلى الله عليه وســـــلم أكثر من غيرهم ، فتألقت أسماؤهم فى سماء رواية الحديث ، واصطلح العلماء عـــــلى أن من روى أكثر من ألف حديث عد مكثرا •

وذكروا هؤلاء السبعة المكثرين للحـــــديث على حسب ترتيبهم فى كثرة الرواية وهم :

أبو هريرة ـــ عبد الله بن عمر ـــ أنس بن مالك ـــ السيدة عائشة ـــ عبـــد الله بن عبـــاس ـــ جابر بن عبد الله ـــ أبو سعيد الخدرى ••

واليك ترجماتهم على حسب هذا الترتيب •

أبو هريرة

صـــحابة رسول الله صلى الله عليه وســـــلم هم نجوم الهدى ، والمقتبســـــون من أنوار النبوة ، الناقلون الينا علم الاسلام قرآنا وسنة ، ومن هؤلاء الصـــــفوة من الصحابة أبو هريرة راوية الاسلام أول المكثرين لرواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

كان اســــــمه فى الجاهليـــة عبد شمس بن صـــخر ولما أســـلم سماه رســـول الله صلى الله عليه وسلم • عبد الرحمن دوس احدى قبائل اليمن العريقة فى عروبتها •

وكان يرعى الغنم ومعـــــه هرة صغيرة يعطف عليها ويضـــــعها فى الليل فى الشجر ويصحبها فى النهار فكناه القوم أبا هريرة •

أسلم رضى الله عنه فى الســـنة السابعة من الهجرة عام خيبر وكان عمره حينذاك نحوا من الثـــلاثين سنة وقدم المدينة على النبى صلى الله عليه وسلم حين رجع من خيبر وسكن صفة مسجد الرسول صلى

الله عليه وسلم وأصبح عريف أهل الصفة . أهل العلم والعبادة ، أضياف الاسلام وعباد الله المتمتعون برضوانه تعالى .

أصحاب جامعة عريقة قوامها كتاب الله وسنة نبيه صابرون فى البأساء والضراء لأنسهم بالله .

يقول أبو هريرة : ان كنت لأعتمد على الأرض من الجوع وان كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع . ولقد قعدت على طريقهم فمر بى أبو بكر فسألته عن آية فى كتاب الله ما أسأله الا ليستتبعنى فمر ولم يفعل ، فمر عمر فكذلك حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف فى وجهى من الجوع . فقال الرسول أقبل أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : لبيك يا رسول الله ، فدخلت معه البيت فوجد زيتا فى قدح فقال : من أين لكم هذا ؟ قيل أرسل به الينا فلان .

فقال يا أبا هريرة : فانطلق الى أهل الصفة فادعهم ، وكان أهل الصفة أضياف الاسلام لا أهل ولا مال ، اذا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة أرسل بها اليهم ولم يصب منها شيئا ، واذا جاءته هدية أصاب منها وأشركهم فيها ، فأقبلوا مجتمعين فلما جلسوا قال : خذ يا أبا هريرة فأعطهم فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يروى حتى اذا أتيت على جميعهم ناولته رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه لى مبتسما وقال : اشرب فشربت ، فقال اشرب فشربت فمازال يقول اشرب فأشرب حتى قلت : والذى بعثك بالحق ما أجد مساغا فأخذ فشربه من الفضلة .

ولقد حبب الله لأبى هريرة صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ أحاديثه فكان أكثر رواة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظ للمسلمين ثروة طائلة من السنة النبوية ، وقد اختاره الله لهذه المهمة الجليلة فوهبه ذاكرة قوية محققا دعوة خير البرية .

وروى الشيخان : أن أبا هريرة قال : انكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، انى كنت امرءا

مسكينا صحبت النبى صلى الله عليه وسلم على بطنى ، وكان المهاجرون تشغلهم التجارة فى الأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على جمع أموالهم .

فحضرت من النبى صلى الله عليه وسلم مجلسا ، فقال . من بسط رداءه حتى أقضى مقالتى ثم يقبضه اليه فلن ينسى شيئا سمعه منى ، فبسطت ردائى على حتى قضى حديثه ثم قبضتها الى ، فو الذى نفسى بيده لم أنس شيئا سمعته منه صلى الله عليه وسلم .

ولذا كان مرجع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى النسائى : فى باب العلم من سننه « أن رجلا جاء الى زيد ابن ثابت فسأله عن شىء فقال : عليك بأبى هريرة ، فانى بينما أنا جالس وأبو هريرة وفلان فى المسجد ذات يوم ندعو الله ونذكره اذ خرج علينا النبى صلى الله عليه وسلم حتى حضر الينا مسكنا فقال : عودوا للذى كنتم فيه . قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى قبل أبى هريرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا ، ثم دعا أبو هريرة ، فقال اللهم انى أسألك ما سألك صاحباى وأسألك علما لا ينسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن ، فقلنا : يا رسول الله نحن نسأل الله علما لا ينسى فقال بها الغلام الدوسى . وهذا يدل على مدى شغل أبى هريرة وتلهفه على تحصيل العلم النبوى فكان شغله الشاغل ، يحرص على الحديث من كتاب العلم عن أبى هريرة أنه قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ظننت يا أبا هريرة أنه لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا قلبه .

وأبو هريرة العالم العابد المتصوف المجاهد فى ميدان الجهاد ولاعلاء كلمة الله شهد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم موقعة اليرموك ، وبعد وفاته فى حرب الردة قاتل مع أبى بكر الصديق

ضد المرتدين ، وأشار بذلك ، أخرج الامام أحمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى ، قال فلما كانت الردة قال عمر : لأبى بكر تقاتلهم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كذا وكذا ؟ فقال أبو بكر : والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة ولأقاتلن من فرق بينهما ، قال أبو هريرة فقاتلت معه .

أما عن كرم أبى هريرة : فقد نقل عن أبى نضرة عن رجل من قال : نزلت على أبى هريرة ولم أدرك من الصحابة رجلا أشد تشميرا ولا أقوم على ضيف منه .

وأخرج أحمد عن أبى عثمان النهدى قال : تضيفت أبا هريرة فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل أثلاثا ، يصلى هذا ثم يوقظ هذا .

وطال عمر أبى هريرة عاش بعد الرسول سبعة وأربعين عاما ينشر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان مرجع المسلمين فى رواية الحديث حتى أن عبد الله بن عمر كان يترحم عليه فى جنازته ويقول : وكان يحفظ على المسلمين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وقد روى عن أبى هريرة نحو من ثمانمائة رجل من أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم ، وروى عنه أصحاب الكتب الستة والامام مالك فى موطئه ، والامام أحمد بن حنبل فى مسنده ، وقد جمع أبو اسحاق ابراهيم بن حرب العسكرى المتوفى سنة ٢٨٢ هجرية مسند أبى هريرة وتوجد نسخة منه فى خزانة كوبرولس بتركيا كما ذكر صاحب الأدب العربى .

نضر الله وجه أبى هريرة ، فقد حفظ على المسلمين حديث رسول الله ، وسمع مقالة الرسول فأداها كما سمعها .

دخل مروان عليه فى مرضه الذى مات فيه فقال شفاك الله .

فقال أبو هريرة : اللهم انى

أحب لقاءك فأحب لقائى ثم حرج مروان فما بلغ وسط السوق حتى مات .

انه من خيرة صحابة الرسول الذين قال فيهم الرسول : (خيركم من رآنى وآمن بى) وهو من القرن الأول الذين قال فيهم : (خير القرون قرنى) وهو القائل : (الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم) .

وتوفى بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة عن ثمانية وسبعين عاما قضاها فى خدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عبد الله بن عمر بن الخطاب

نسبه : عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى وأمه زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحى أخت عثمان بن مظعون .

ولد فى السنة الثانية أو الثالثة من المبعث وأسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم .

مشاهده

عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة فى أحد فلم يجزه وعرض عليه فى الخندق فأجازه وهو أول مشهد شهده ـ وشهد غزوة مؤته واليرموك وفتح مصر وأفريقية وقدم الى فارس غازيا وهكذا نرى أن نشاطه الحربى كان موفورا حيث خاض أعنف المعارك وأبلغها فى حياة الاسلام والمسلمين ولا غرو أن اضافت تلك الأمجاد الحربية اليه مكانة فى النفوس وخاصة نفوس أهل الشام حيث كان الوحيد الذى يمكنه أن يقاسم معاوية فيها الولاء لو أراد ولكنه آثر الآخرة كما يأتى :

علمه

كان من النجباء الفاهمين اغترف من فيوض النبوة واستفاد من جو الرسالة وحضر كثيرا من المجالس النبوية الشريفة وفى أحد المجالس قال النبى صلى الله عليه وسلم (ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثونى ما هى قال عبد الله فوقع فى نفسى أنها النخلة ـ ووقع الناس فى

شجرة البوادى . ثم قالوا ما هى يا رسول الله ؟ قال ـ النخلة ـ فلما عرف عمر استحياءه عن الاجابة لصغره قال له : (وددت لو قلتها ولا أملك كذا وكذا تشجيعا له ـ وكان كثير المسائلة دقيق العلم خالص الورع محافظا على السنة روى مالك فى الموطأ عن نافع وعبد الله بن دينار أنهما أخبراه أن عبد الله بن عمر قدم الكوفة على سعد بن أبى وقاص وهو أميرها فرآه عبد الله بن عمر يمسح على الخفين فأنكر ذلك عليه فقال أسألت أباك ؟ فقال لا فسأله عبد الله ـ فقال عمر : اذا أدخلت رجليك فى الخفين وهما طاهرتان فامسح عليهما ـ قال عبد الله وان جاء أحدنا من الغائط قال عمر : نعم وان جاء أحدكم من الغائط ـ ومناقشته مع الصحابة للتعلم أو التعليم كثيرة مشهورة .

شجاعته فى الحق

لما فرض عمر لأسامة بن يزيد ثلاثة آلاف وفرض لابنه عبد الله ألفين وخمسمائة قال له يا أبت : لم تفرض لأسامة ثلاثة آلاف ولى ألفين وخمسمائة والله ما شهد أسامة مشهدا غبت عنه ولا شهد أبوه مشهدا غاب عنه أبى قال : صدقت يا بنى ولكن أشهد لأبوه كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ولهو أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك . وعاق الحاكم على ذلك بقوله : فشهد له عمر بأنه لا ينام من الليل الا قليلا .

عبادته وورعه

عن نافع عن ابن عمر أنه كان يحيى الليل صلاة ثم يقول : يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول نعم فيقعد فيستغفر ويدعو حتى يصبح . وكان شديد الاحتياط والتوقى لدينه اشتهر بذلك بين الصحابة فعن جابر رضى الله عنه قال . مامنا أحد أدرك الدنيا الا قد مالت به ومال بها الا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وعنه أيضا قال . اذا سركم أن تنظروا الى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين لم يغيروا ولم يبدلوا فانظروا الى ابن عمر .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت أحدا الزم للأمر الأول من ابن عمر وعن نافع قال ان كان ابن عمر ليقسم فى المجلس ثلاثين ألفا ثم يأتى عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم فسئل نافع هل كان يأكل اللحم ؟ قال : كان اذا صام أو سافر فانه أكثر طعامه . وكان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الحج والتصدق حتى استغل رقيقه حبه الانفاق فكان أحدهم ربما لازم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه فيقال له : انهم يخدعونك فيقول من خدعنا بالله انخدعنا له وكان اذا قرأ هذه الآية : « **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** » بكى حتى يغلبه البكاء .. وكان اذا ذكر أمامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى واذا مر على ربعهم أغمض عينيه .. وسئل عنه نافع : ما كان يصنع فى منزله قال : الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما .. فلا غرو اذا عقدت المقارنة بينه وبين أبيه واذا قيل : كان عمر فى زمانه من يشبهه وتوفى عبد الله بن عمر وما فى زمانه من يشبهه وعنه : أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بمنكبى وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل . وكان يقول : اذا أصبحت فلا تنتظر المساء واذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : ما حق امرىء سلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده وفى رواية ثلاث ليال ثم قال : ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندى وصيتى .. فيالله لتلك النفوس الطاهرة التى باعت الدنيا بالآخرة وحرصت على العمل أكثر من حرصها على العلم فكتبت لهم السيادة وتحققت لهم العزة فى الدنيا والفوز فى الآخرة .

ابن عمر راويا وفقيها

كان متشددا فى الرواية حريصا على آداء ما سمع كما سمع بلا زيادة ولا نقص فعن أبى جعفر قال : لم يكن أحد من أصحاب

النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أحذر أن لا يزيد فيه ولا ينقص من ابن عمر .. وعن مالك : قال لى ابن شهاب : لا تعدلن عن رأى ابن عمر فانه أقام بعد رسول الله سنة فلم يخف عليه شىء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من أمر أصحابه . وقد نقل صاحب الفتح الربانى بترتيب سند الامام أحمد نماذج من فتاواه اخترنا منها ما روى عن عبيد بن جريج أنه قال لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما . يا أبا عبد الرحمن رأيتك تصنع أربعا لم أر من أصحابك من يصنعها : قال ما هن يا ابن جريج ؟ قال : رأيتك لا تمس من الأركان الا اليمانيين ورأيتك تلبس النعال السبتية ورأيتك تصبغ بالصفرة ورأيتك اذا كنت بمكة أهل الناس اذا رأوا الهلال ولم تهل أنت حتى يكون يوم التروية .. فقال عبد الله : أما الأركان فانى لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس الا اليمانيين وأما النعال السبتية فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن أكسيها .. وأما الصفرة فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها وأما الاهلال فانى لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها حتى تنبعث به ناقته .. والناظر فى كتب السنة يجدها مشحونة برواياته وآرائه وفتاويه ومواقفه المحمودة حتى أنه كان كثيرا ما يقول لا أدرى اذا سئل خوفا من أن يقول فى الدين بالرأى أو تجره الأسئلة الى القول بغير علم .

وفاته

حكى مولى له قال : انه أنكر على الحجاج بن يوسف أفاعيله فى قتل الزبير وقام اليه فأسمعه فقال الحجاج اسكت يا شيخا قد خرفت فلما تفرقوا أمر الحجاج رجلا من أهل الشام فضربه بحربة فى رجله ثم دخل عليه الحجاج يعوده فقال : لو أعلم الذى أصابك لضربت عنقه فقال : أنت الذى أصبتنى . قال

كيف ؟ قال : يوم أدخلت حرم الله السلاح ووصى ابنه سالم أن يدفنه خارجا من الحــرم فلم يقدر فدفن بالحــرم بفتح فى مقبرة المهاجرين وكان ذلك فى سنة أربع وسبعين من الهجرة وهو يوم مات ابن أربــع وثمانين سنة •

آثاره ورواياته

روى عن النبى صــلى الله عليه وســلم فأكثر وعن أبى بكر وعمر وعثمان وأبى ذر ومعاذ بن جبــل ورافــع بن خــديج وأبى هريرة وعائشـــة •

وروى عنه ابن عباس وجــابر والأغر المزنى من الصــحابة ومن التابعين بنوه ســالم وعبد الله وحمـــزة وبلال وزيد وعبد الله ومصــعب بن ســعد وســعيد بن المسيب وأســلم مولى عمر ونافع مولاه وخلق كثير وعده ابن حزم من أكثر الصحابة فتيا مطلقا وممن يمكن أن يجمع فتيا كل واحد منهم مجلد ضخم • وعدوه من المكثرين فى الحــديث فقد روى عنه ألفى حديث وستمائة وثلاثين حديثــا • ومن أصــح الأسانيد اليه بل لقد عدها بعض العلماء أصح الأسانيد على الاطلاق مالك عن نافع عن ابن عمر وقيل الزهرى عن ســالم عن أبيه عبد الله بن عمر •

ثنـــاء العلماء عليه

عن حذيفة قال : لقد تركنـــا رســول الله صلى الله عليه وسلم يوم توفى وما منا أحــد الا وتغير عما كان عليه الا عمر وعبد الله ابن عمر رضى الله عنهما •

وعن ســعيد بن المسيب قال : لو شـــهدت على أحد أنه من أهل الجنة لشــهدت على ابن عمر وعنه أيضا : كان ابن عمر حين مات خير من بقى وعن طاوس ما رأيت رجلا أورع من ابن عمر بل قال عبد الله ابن مسعود : ان أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر •

رحم الله بن عمر علما من أعلام الاســـلام فى السلم والحرب فى مواقف الجــد وفى مواقف الحزم وفى مواقف الورع ووفقنـــا الى الاقتداء به وأمثاله والســير على نهجهم الى يوم الدين •

دكتور الحسينى هاشم

لمحات من أسرار الحج

للأستاذ محمد صابر البرديسي

زيارة بيت الله الحرام بمكة من الشئون الدينية التى كانت معروفة من لدن أقدم العصور عند أكثر الأمم .

وكان العرب قبل الاسلام يحجون الى بيت الله الحرام ، يطوفون بالبيت عراة الاجساد ، مشبكين بين أصابعهم يصفرون ويصفقون .

فلما جاء الاسلام أقر الحج ، ولكنه نقى أعماله مما شابها من ضلالات الوثنية ، ولم يدعها على ما كانت عليه فى عهد الجاهلية بل أنكر الاسلام هذه الضلالات قال تعالى : **(وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء (١) وتصدية (٢)(٣) »** .

والحج فى الاسلام يختلف كل الاختلاف عن الحج فى سائر الأديان ، فهو فى بقية الأديان : عبارة عن التبرك بقبور القديسين، وما تركوه من آثار ومبان ، وتقديس وعبادة للأوثان .

أما فى الاسلام فهو تحطيم للأصنام ، وتقديس للواحد الديان ، مع سمو بالروح وسماحة ويسر فى كل الأعمال ، قال تعالى : **« وما جعل عليكم فى الدين من حرج »** (٤) .

---

١ ــ المكاء = الصفير .
٢ ــ التصدية = التصفيق .
٣ ــ سورة الانفال آية ٣٥ .
٤ ــ سورة الحج ٧٨ .

فليس من الـــدين أن يرهق الحاج نفسه ، بأن يتحمل فــوق طاقته ويعرض نفســه للتهلكة ولو كان قصــده المزيد من الأجــر ، والرغبة فى الوفير من الثــواب ، ولهذا جعل الله الحج للمســتطيع **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا (١) »** .

« روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا ماشيا يتهــادى بين ولدين له يريد الحج فســأل عن شأنه ، فقيل يارســول الله : انه نذر أن يزور البيت ماشــيا ، فقــال : كلا : ان اللــه غنى عن تعذيب هذا نفسه ، احملوه » أى على بعير .

سر عجيب يدفع المسلمين لزيارة الكعبة ، وأمر غريب يحفز الناس للذهاب الى مكة ، تهفو القلــوب الى الأرض المقدســـة ، وتنهمر عبرات لتلقى بالناس فى أحضــان بيت الله الحرام .

سر عجيب أودعه اللــه فى أم القرى ، لقد خصها الله وحــدها بخصائص لا تدرك الا بالروح ، ولا تتــذوق الا بالوجــدان يقول الرسول عليه الصلاة والسلام عن مكة : وقــد امتلأ قلبه حبا لها : « والله انك لخــير أرض وأحب أرض الى الله تعالى » .

ويقول : « ما أطيبك وأحبك الى »

قل لى بربك ، أى شىء فى هذه الجبال الصماء ، والرمال الصفراء شديدة الحر ، وشــديدة البرد ؟ ليس فيها ما يقصــده المتنزهون ، أو يطلبه المترفون .

ما الذى يدفع بهذه الملايين من المسلمين على اختــلاف ألسنتهم وألوانهم رفقـــا اليهــا ، رغم الصعوبات والعقبات والمشقات .

انهــا دعــوة ابراهيم عليـــه السلام ، اذ قال فى ضراعة لمولاه : **(ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عنــد بيتك المحرم ،**

---

١ ــ بعض آية من سورة آل عمران ــ آية ٩٧ .

ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (١) ٠

وقال تعالى : « **واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا** » ٠

دعا ابراهيم عليه السلام ربه لمكة بأن تكون مهوى الأفئدة تهوى اليها الناس ، لما يكمن فى جبالها وشعابها من الوحشة والقلق والخوف ، ودعا لأهلها بالرزق ، لأن الوادى كان مجدبا فاستجاب الله دعاءه ، وجعلها المتاع الروحى للمسلمين ؛ وأغدق عليها من الرزق بما لم يكن فى حسبان العالمين ، وجعلها ملاذا للخائفين ، وملجأ للمحتاجين ، لأن رب البيت ، هو الذى يحمى من يلتجىء اليه ويعوذ به ، « **أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم** » ٠

وأثر مكة فى نفوس الناس واضح ، فهى محل اجلال من جميع المسلمين وقد صانها الله من أن تراق فيها الدماء ، وجعلها حرما آمنا يحرم فيها القتال ، ليتفرغ المسلمون للعمل والانتاج ، ويعيش الناس فى أمن وطمأنينة وسعادة وسلام ٠

والحاج حين يخرج من بيته ومعه قليل من الزاد والعتاد يعينه على التقلب بين الوديان والجبال، والتنقل بين الصحراء والرمال ، ويمكنه من البقاء فى هذه البطحاء فان هذا يذكره بخروجه من الدنيا وانتقاله منها الى الدار الآخرة حيث لا ينفعه الا ما صحبه من العمل الصالح (**يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم**) ٠

قال الامام على «رضى الله عنه وكرم وجهه » :

(ألا ترون أن الله سبحانه وتعالى اختبر الأولين من لدن آدم « صلوات الله عليه » الى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر

١ ــ سورة العنكبوت آية ٦٧ ٠

ولا تنفع ، ولا تسمع ولا تبصر ، فجعلها بيته الحرام الذى جعله للناس قياما ، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجرا ، ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ، ومشاعره العظام ، بين جنات وأنهار لكان له ذلك ويكون قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء ، لأن الجزاء على قدر المشقة ، لأن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ، ويتعبدهم بأنواع المجاهد ، ويبتليهم بضروب المكاره ، اخراجا للتكبر من قلوبهم وليكون ذلك متمما لفضله ، وأسبابا لعفوه ومغفرته وفى الحج أمور ، لا يصل الانسان بعقله الى كنهها ، والجزم بحكمتها ، لذلك كان الامتثال بشأنها ، أمر واجب ، ويكون أداؤها فى تواضع وخشوع لله رب العالمين منتهى العبودية لله .

لهذا وجب علينا أن نمتثل أمر الله فى كل أمر ظهرت حكمته ، أو لم تظهر ، وهذا مقياس لايمان المؤمن ، واختيار لمدى يقينه فى الله . فتقبيل الحجر الأسود سنة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو أثر من عهد ابراهيم الخليل ، والمسلمون اذ يقبلون الحجر الأسود يعتقدون فى قرارة أفئدتهم أنه حجر لا يضر ولا ينفع ويقبلونه امتثالا لأمر رسول الله ، واقتداء بما فعله (صلى الله عليه وسلم) وأنه شعار لما خلفه ابراهيم عليه السلام ، ولا يقبل تقديسا لذاته وعبادة له ، لأن الاسلام يحرم الوثنية وينكر عبادة الأصنام والأحجار .

وهذا يبطل اتهام المغرضين بأن الاسلام قد احتفظ ببقايا أوثان الجاهلية .

وهذا هو عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — حينما جاء الى الحجر الأسود وقبله قال : (انى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقبلك ما قبلتك) .

على أن الكعبة والحجر الأسود هما الشيئان الوحيدان اللذان لم يتخذهما العرب فى الجاهلية ضمن

آلهة ، فكيف يقال ان الاسلام احتفظ ببقايا أوثان الجاهلية ؟

وقصد زيارة بيت الله ، قصد لزيارة الله ، فالبيت بيته ، وقد أضافه لنفسه حيث قال : « **وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود** » (١) .

فالمسلم اذ يستجيب لنداء الله لزيارة بيته « **ولله على الناس حج البيت** .. » فانه يرجو اكرام الله له لأنه فى بيته ، وعلى المسلم أن يكون أهلا لهذه الضيافة بالتوجه اليه والاقبال عليه والاخلاص له .

والصفا والمروة من شعائر الله، ولكن بعض المسلمين تحرجوا من السعى بين الصفا والمروة فى الحج والعمرة بسبب أنهم كانوا يسعون بين هذين الجبلين فى الجاهلية ، وكان فوقهما صنمان هما (أساف ، ونائلة) فكره المسلمون أن يطوفوا كما كانوا يطوفون فى الجاهلية .

عن عاصم بن سليمان قال : سألت أنسا عن الصفا والمروة قال: « كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية ، فلما جاء الاسلام أمسكنا عنهما ، فأنزل الله عز وجل « **ان الصفا والمروة من شعائر الله** » فتحرج المسلمون كان ثمرة الايمان الصحيح فهذا الايمان جعلهم يتحرزون من كل أمر كانوا يزاولونه فى الجاهلية ، وأصبحت نفوسهم من الحساسية بحيث تفزع من كل ما كان فى الجاهلية ، وتخاف أن يكون منهيا عنه فى الاسلام .

لقد غير الاسلام نفوس المسلمين تغييرا كاملا ، فان الاسلام اذا دخل قلب مسلم هز مشاعره ، وسيطر على وجدانه فينسلخ المسلم عن ماضيه انسلاخا كاملا ، ويخلص قلبه للتصور الجديد بكل مايقتضيه ، فحين يكلف المسلم بعمل مما كان يفعله فى الجاهلية فلايفعله لانه كان يأتيه فى الجاهلية وانما يفعله على أنه شعيرة من شعائر الاسلام ، ومن هنا لايكون فى نفس المؤمن حرج فيما يقضيه،

---

١ ـ الحج من اية ٢٦ .

لأن الامر غير الامر ، والاتجاه غير الاتجاه . فالشعائر التى أقرها الاسلام نقاها من أوثان الجاهلية وأقرها بالتصور الاسلامى الجديد .

فالسعى شعيرة من شعائر ابراهيم عليه السلام علمها له الله، وهو ذكرى لحادثة تاريخية لما فعلته السيدة أم اسماعيل زوجة سيدنا ابراهيم عليه السلام ، فانها أول من سعت بين الصفا والمروة بحثا عن ماء لتسقى به طفلها اسماعيل عليه السلام .

وقد احتفظ الجاهليون بهذه العبادة الا أنهم وضعوا على كل من الرابيتين (الصفا والمروة) صنما فلما جاء الاسلام حطم جميع الاصنام ، وأبقى السعى بين الصفا والمروة نقيا من شوائب الشرك والوثنية ، ومن الحكم التى تلمسها العلماء فى السعى أنها تبث النشاط فى الاجسام وهى أشبه بالتمارين الرياضية فى هذا الزمان.

والوقوف بعرفة ركن من أركان الحج لقوله عليه الصلاة والسلام (الحج عرفة) ، ومزايا هذا انوقوف لا تعد ولا تحصى ، فهو المؤتمر العام لجميع المسلمين فى أنحاء الدنيا من كل جنس ولون يقف الجميع فى صعيد واحد يدعون الله ويرجون رحمته ، وهذا الموقف تظهر فيه المساواة بين الناس .

وفى حكمة الوقوف بعرفة ، يقول الامام الغزالى : ان حال الواقفين بعرفات ـ ، وقد تبعوا أئمتهم فى أحكام المناسك ـ بحال الواقفين فى فسيح القيامة ، وقد تبعت كل أمة نبيها ، وكل يرجو النجاة ، فعلى كل حاج أن يضرع الى الله ، ويلجأ اليه فى المغفرة .

وفى عرفات تقف كثرة كثيرة من صالحى المؤمنين ، ولن يخيب الله رجاء السائلين فى هذا اليوم ، فقد ورد (ان من أعظم الذنوب أن يحضر الحاج عرفات ، ويظن أن الله لم يغفر له) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) .

ان المسلمين حين يجتمعون فى

عرفات من كل جنس ولـــون فى صورة مشرقة كريمة يجتمعـــون للتعاون والتعـــارف والاخـــاء فى منطقة كلها أمان واطمئنان وراحة وسلام ، يتآلف المســلمون ايمانا وعقيدة وعملا •

ان يوم وقوف عرفة يوم يباهى الله فيه ملائكته فينبغى للمسلمين أن يروا الله من أنفسهم خــيرا ، وأن يهينــوا عدوهم الشــيطان ويحزنوه بكثرة الذكـــر والدعـــاء وملازمة التوبة والاســـتغفار ، ويستمروا على ذلك حتى تغـــرب الشمس من يوم عرفة ثم ينصرفوا الى مزدلفة بسكينة ووقار وينبغى الاكثار من التلبية ، والاسراع فى المتسع لفعل النبى (صلى الله عليه وسلم) •

والمأثور من الأدعية عشية يوم عرفة ، ماروى عن على كرم اللـــه وجهه قال : قال رسول الله « صلى الله عليـــه وسلم » : أكثر دعـــاء الأنبياء قبلى ، ودعائى عشـــية يوم عرفة (لا اله الا الله وحـــده لا شريك له ، له الملك وله الحمـــد يحيى ويميت ، وهـــو عـــلى شىء قدير) •

فعلى المســـلم فى هذه الظروف الخيرة الاكثار من العبـــادة التى تهدى الى صراط الله ، ومن ساحة عرفة المباركة يكون الانطلاق الى رحمة الله ، والتعامل بالحســـنى ونشر مبادىء الاسلام •

والحقيقة أن المسلم منذ بداية رحلـــة الحج قد أعلن ميثـــاقه مع الله ، وأكد ما عزم عليه بقلبه من الاحرام بالحج ، ثم اعلانه بلسانه التلبية ، وهى تؤكد أنه اســـتجاب لأمر الله الذى أعلنه ابراهيم عليه السلام ، وأعلنه خـــاتم الأنبيـــاء محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فحين يلبى الحاج يعلن بقلبه ولسانه التوحيد لله لا شريك له شـــاكرا لأنعمه ، حامدا اللـــه مانح العطاء وصـــاحب المـــلك لا شريك له •

ومـــن أكثـــر من التلبيـــة فى اخلاص ، وصلى على النبى (صلى الله عليه وسلم) وســـأل اللـــه رضوانه والجنة ، واستعاذ برحمته

من سـخطه ، فان الله يحقق له رجاءه ويستجيب دعاءه ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من لبى حتى تغرب الشمس (أى شمس يوم عرفه) فقد أمسى مغفورا له) ..

روى بن حيان فى صحيحه فى حديث طويل أقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الأنصارى فقال : (ان شئت أخبرتك عما جئت تسألنى) ، فقال : يانبى الله ، أخبرنى بما جئت أسألك ، قال : جئت تسألنى عن الحاج ، ماله حين خرج من بيته ؟ وماله حين يقول بعرفات ؟ وماله حين يرمى الجمرات ، وماله حين يحلق رأسه ؟ وماله حين يقضى آخر طواف بالبيت ؟ فقال : يانبى الله ، والذى بعثك بالحق ما أخطأت مما كان فى نفسى شيئا ،

قال : « فان الحاج حين يخرج من بيته ، ان راحلته لا تخطو خطوة الا كتب الله له بها حسنة ، وحط عنه بها خطيئة ، فاذا وقف بعرفات ، فان الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا فيقول ، انظروا الى عبادى شعثا غبرا ، اشهدوا أنى قد غفرت لهم ذنوبهم ، وان كانت عدد مطر السماء ، ورمل عالج ، واذا رمى الجمار لا يدرى أحد ماله ، حتى يتوفاه الله يوم القيامة ، واذا قضى آخر طواف بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (١) .

ويستحب للحاج زيارة حرم المدينة المنورة (المسجد النبوى) فاذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده فانه يأتى مسجد النبى « صلى الله عليه وسلم » ويصلى فيه ركعتين ، والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ولا تشد الرحال الا اليه ، والى المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى .

عن ابن عمر أن النبى « صلى الله عليه وسلم » قال : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف

---

(١) رواه البزاز والطبرانى وابن حبان فى صحيحه ، واللفظ له .

صلاة فيما سواه الا المسـجد الحرام » (١) •

ويستحب صـلاة ركعتـين فى الروضة فى مسجده « عليه الصلاة والسلام » لأنها روضة من رياض الجنة ، فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله « صـلى الله عليه وسلم » قال : « ما بين بيتى ومنبرى روضـة من رياض الجنة » (٢) •

اللهم وفقنـا لزيـارة بيتك ، ومسجد رسولك ومشاهدة قبر نبيك اللهم طهر قلوبنـا من كل وصـف يباعدنا عن مشـاهدتك ومحبتك ، واجعل حبنا لك ، موصـولا بحب رسولك •

اللهم ان منهجك هـو المنهـج الحق ، وفيه صلاح الأمة وفلاحها فوفق أولى الأمـر الى تطبيـق منهجك والعمـل بكتـابك لتعيش الأمة فى طمأنينة وأمن وسـلام ، والله الهادى الى سواء السبيل •

محمد صابر البرديسى

مدير المجلة

---

١ ـ رواه مسلم •
٢ ـ رواه البخارى •

أخلاقيات البيع والشراء في الإسلام

للدكتور رءوف شلبي

ان : الأخلاقيات الاقتصادية فى نظر الاسلام هى غايتنا من هـذا البحث ليتعرف المسلمون عـلى أسلوب الحياة الاسـلامية التى يريدها القرآن الكـريم وذلك لأن الحياة فى أى مجتمع تقوم عـلى أساس تبادل المنافع بين النـاس فيه لأن القـاعدة التى تتبـع من ظاهرة التحرك اليومى للعلاقـات الانسانية فى المجتمـع هى : (أن الانسـان لايمكـن أن يعيش وحده) (١) .

ـ والتبادل للمنافع فى نظـر الاسلام لايمكن أن يخضع للمنفعة فقط من حيث هى منفعة ، لأنها قد ترتبط بالمعصية ومن ألوانها سلوك القائلين بأن الغاية تبرر الوسيلة .

ـ وقد ترتبط بالأنانية ، ومن ألوانها ايثار الذات على مصـلحة الجماعة ..

وقد تجر كثيرا من المفاسـد اذا كانت المنفعة هى الحيثيـة التى يتبادل الناس عـلى أساسـها مصالحهم فى علاقاتهم الاجتماعية، فتبتعد الانسانية بذلك كثيرا عـن مميزات كرامتها .

ـ ولذا تبادل المنافع فى نظـر الاسلام مرتبط طردا وعكسـا بالقانون الاسلامى الذى يعتبـر النية أساسـا فى تقبل الأعمـال

---

(١) ـ نرجو أن يرجع القارىء الى بحثنا عن (المشكلة الاقتصادية فى ضوء الاسلام الحنيف) فى الأعداد الخمسة السابقة عـلى هـذا العدد مـن مجلة الأزهر .

الصالحة عند الله ، والذى حدد ألوانا من التعامل كسلوك مرغوب فيه ، وحرم أشياء كممنوعات يعاقب كل من انتحاها فى سلوكه !؟

ــ القانون الاسلامى قانون سلوك ، لاقانون عقوبات ، فهو يرسم للفرد وللجماعة كل خطوة فى الحياة ويترك التنفيذ لوازع الدين فى نفس كل مسلم (اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) •

انه لايركن الى رهبة المجتمع من الحاكم ، انما يركن الى حب الله ورسوله ، وجماعة المؤمنين •

(لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) رواه البخارى •

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) رواه البخارى

ــ **(انما المؤمنون اخوة)** الحجرات •

ــ **أما القانون الوضعى** : فهو صورة ارهاب ، لأنه لايتحدث الا عن المخالفات ، ولا يضع فى اعتباره أنه سلوك ولا توبة فيه ، ولا عفو عنده للجاهل !؟

ــ ولهذا :فان القانون الاسلامى يعتبر الاخلاق عنصرا أساسيا عند التشريع :

« انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (١) •

(ادرءوا الحدود بالشبهات) (٢) •

ــ أما القانون الوضعى:فانه يأخذ بالشبهة وأكثر مايدعيه أنه لحماية الاخلاق ولكن الذى سنه فى هذا الصدد هو عقوبات للمتحرفين •

***

ــ واذا سلطنا الضوء على الجانب التجارى : البيع ، والشراء •• وجدنا أن القانون الاسلامى يحدد عدة قضايا ، منها :

الأولى : السعى الى طلب الرزق:

ــ فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « باكروا

---

(١) رواه الحاكم ، والبيهقى فى شعب الايمان ، والبخارى فى الأدب حديث حسن .

(٢) ــ رواه ابن عدى فى الكامل .

طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح » (١) .

ويقـــول :

« اذا صليتم الصبح فلا تناموا عـن طلب أرزاقكم ، فـان نـوم الصبح يمنع الرزق » (٢) .

— وقد اتخذت هذه القاعدة الى التنفيذ أجل طـريق فيمـا يرويه سيدنا أنس رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخـل على فاطمة رضى الله عنها بعـــد صلاة الصبح فوجدها مضطجعة ، فحركها ، ثم قال : يابنية قـــومى فاشهدى رزق ربك ولا تكونى مـن الغافلين ، فان الله يقســم أرزاق الناس مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس » .

— ويوجهنا النبى صلى اللـــه عليه وسلم الى هذا فى دعائه لنـــا : «اللهم بارك لأمتى فى البكور»(٣).

الثــانية : أن التجــارة خــدمة اجتماعية للمجتمع الاســـلامى ، وليست وظيفة مالية مهمتها انمــاء الثروة الاقتصـــادية فحسب . يقول الله تعــالى : « **يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكـــم بالباطل الا أن تكون تجارة عـــن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما** » (النساء)

— فليست التجــارة فى نظـــر الاسلام وظيفة ماليــة بالدرجـــة الاولى ، وانما هى خدمة اجتماعية لمصالح المجتمع الاسلامى بالدرجة الأولى والأولية .

— وعلى هـــذا تتبنى عـــدة أخلاقيات :

الأولى : أنه لاغش :

— يقول النبى صلى الله عليــه وسلم «من غشنا فليس منا» (٤) .

ويقول : « من غشنا فليس منا ، والمكر والخداع فى النار » (٥) .

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وابن عدى فى الكامل .
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) رواه أحمد ، وابن حبان ، وأصحاب السنن .
(٤) رواه الترمذى .
(٥) الطبرانى ، وأبو نعيم فى الحلية .

ويرسم النبى صلى الله عليه وسلم صورة نفسية للتاجر الغاش فيقول : « من باع شيئا فيه عيب لم يبينه لم يزل فى مقت الله ، ولم تزل الملائكة تلعنه » (١) .

ـ فأى مغامر هذا الذى عنده من الجرأة ما يجابه رب العزة ، مقسم الأرزاق ، ومالك الملك ؟

ـ ومن ذا الذى يستطيع أن يتحمل مقت الله ويطيق لعنة الملائكة ؟

تلك صورة النفس التى يتاجر صاحبها فى غضب الله على المسلمين بالغش والخديعة . والنبى صلى الله عليه وسلم يعظ معاشر التجار فيقول : « التجار يبعثون يوم القيامة فجارا ، الا من اتقى وبر وصدق » .

فيرسم النبى صلى الله عليه وسلم بطريق هز المشاعر فيهم ، وبعث حرصهم على مستقبلهم يوم القيامة ، أمثل الطرق التى تؤدى بها التجارة وظيفتها كخدمة اجتماعية للمجتمع المسلم .

ـ ويحدد النبى صلى الله عليه وسلم أسلوب التعامل فى البيع ، والاعلان فيقول : « ان صدق انبيعان ، وبينا ، بورك لهما فى بيعهما وان كتما وكذبا فعسى أن يربحا ربحا ما ، ويمحق بركة بيعهما » .

ـ وقدم النبى صلى الله عليه وسلم على رجل يبيع طعاما فأدخل يده فيه فاذا هو مبلول ، فقال : « من غشنا فليس منا » (٢) .

وقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يتعوذ من التاجر فيقول : « اللهم لاتطمع فينا تاجرا ، فان التاجر يحب الغلاء » .

الثانية : أنه لا احتكار ..

ـ يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يحتكر الا خاطىء » .

ويقول : من احتكر على المسلمين طعامهم ، ضربه الله بالجذام والافلاس (٣) .

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) ابن ماجه ، حديث حسن .
(٣) أحمد ، وابن ماجه ، ورواه بلفظ آخر الحاكم ، وأحمد بن حنبل ، حديث حسن .

ــ ويقول : « من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان على الله أن يقعده بمعظم من النار » .

الثالثة : أنه لا حلف .. من أجل ترويج السلعة .

ــ يقول النبى صلى الله عليه وسلم « الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة » (١) .

ولم تبلغ التجارة فى مجتمعنا الاسلامى المعاصر مستواها المعهود اليوم الا لأنها تخلصت من ربقة النظام الاسلامى وتجافت مع أخلاقياته :

ــ أنه لا غش .

ــ أنه لا احتكار .

ــ أنه لا حلف .

ــ ومن جليل ما يشرعه الاسلام .. كسلوك أخلاقى بين البائع والمشترى :

١ ــ السماح : يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« رحم الله عبدا سمحا ، اذا باع واذا اشترى ، واذا اقتضى » (٢) .

ويرسم النبى صلى الله عليه وسلم صورة رائعة للمتسامحين المتساهلين فى تبادل منافعهم بالبيع والشراء فيقول :

« ألا أخبركم بمن حرم على النار وتحرم عليه النار ؟ كل قريب هين ، سهل اذا باع ، سهل اذا اشترى ، سهل اذا اقتضى ، يقول الله تعالى يوم القيامة له : أنا أحق بذلك منك ، سامحوا عبدى ، وتجاوزوا عنه كما كان يسامح فى دار الدنيا » .

٢ ــ الوزن بالقسط : يقول الله تعالى « **وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان** » .

ــ وقد هدد الله المطففين فى الكيل .

ــ « **ويل للمطففين : الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا**

---

(١) ــ رواه الشيخان ، وابو داود ، والنسائى .
(٢) ــ البخارى ، وابن ماجه .

كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم » سورة المطففين .

٣ ــ تحريم الربا : يقول الله تعالى :

ــ « **يمحق الله الربا ويربى الصدقات** » سورة البقرة .

ويقول : « **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله .. وذروا مابقى من الربا** » سورة البقرة .

ــ ان الربا يصور جريمة بشعة فى نظر الأخلاق التى يحرص الاسلام على نقائها وتنقيتها ، ولهذا فالربا هو الذنب الوحيد الذى لم يقترن بالتوبة مثل سائر الذنوب ، بل على العكس ، فقد اقترن الربا بالتهديد والوعيد بالحرب من الله ورسوله « **فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** » سورة البقرة .

ولهذه العلة ــ ذاتها ــ وضعت آية تحريم الربا فى سورة آل عمران وسط مجموعة الآيات العسكرية التى تصور معركتى بدر وأحد ، ايذانا بأن الربا خلقية انحرافية لايشفى منها المجتمع الا بمثل هذا الأسلوب .

أسلوب الحرب الذى توسطته آية « **يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة** » .

وأسلوب الحرب الذى توعد الله به آكل الربا « **فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** » سورة البقرة .

ــ ان التجارة وظيفة اجتماعية من ثلاث نواح :

الأولى : أنها خدمة المجتمع فى تيسير الحاجات ، وقضاء المصالح ، وتسهيل تبادل المنافع بين الناس .

الثانية : أنها نبض للدورة الاقتصادية ، ولذلك حارب الاسلام كنز المال ، لأنه معطل لها يقول الله تعالى :

« **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ماكنتم تكنزون** » (التوبة) .

الثالثة : أنها رفد للزكاة يخرج منها قدر محدود بالقانون الاسلامى

لتحقيق جانبمن الرعاية الاجتماعية التى ينفذها المجتمع الاسلامى •• حسبة ، وعبادة ، ورعاية لحقوق الله واخوانه المسلمين فى المجتمع •

هذه النواحى الثلاث ، مضاف اليها جانب الفرد نفسه (جانب التاجر) غانها تدر عليه ربحا — وهو حلال اذا استعمل المنهج الاسلامى وأخلاقياته فى البيع والشراء — فتكفيه مؤنة العيش ، وتدفع عنه مذلة الحاجة ، بل انها تقوية على أداء حقوق أسرته ••

— وقد شرف الله تعالى التجارة فكانت عمل ثلة من الأنبياء الاكرمين •• ومشهور أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتاجر للسيدة خديجة أم المؤمنين الأولى رضى الله تعالى عنها ، وقد كان الربح الذى در عليه من عند الله •• واحد من ارهاصات النبوة ، كما هو محفوظ فى كتب التاريخ والسيرة ؟

— ولهذا فان التشريع التجارى فى الاسلام — بالاضافة الى أنه وحى من عند الله — فقد صدر عن أخصائى كبير ، وخبير أمين مارس التجارة ، وخبر مدارك التجارة ، وعرف سيكلوجية المشترى !؟

وقد ذخر التشريع الاسلامى بعدة قضايا •• هى حصيلة خبرة زائدة ، وقمة تشريع معصوم •

الأولى : أحل الله البيع وحرم الربا •

الثانية : لا محاقلة — بيع الزرع فى سنبله —

الثالثة :لا مخاضرة — بيع الثمار والحبوب قبل أن ضم صلاحها •

الرابعة :لا ملامسة — أن يقول البائع للمشترى : اذا لمست الشىء فقد اشتريته دون خيار —

الخامسة : لا منابذة — جعل طرح الشىء ونبذه •• بيعا —

السادسة : لا مزابنة — بيع الرطب بالتمر ، وبيع العنب بالزبيب •

السابعة : لاتتلقوا الركبان : وهو عبارة عن : مقاطعة طريق التجار قبل التعرف على سعر السوق •

الثامنة : لا يبيع حاضر لباد (لا سمسرة) •

التاسعة : لا يبيع الرجل على بيع أخيه !؟

***

تلك هى موازين البيع والشراء كسلوك سوى فى العمل التجارى انحلال .

وهى تتضمن :

الحفاظ : على تبادل المنافع التى يحتاج اليها المجتمع على مستوى فاضل يحقق الأخلاق الفاضلة وهى فى أدق مفهومها عند المسلم أنها عبادة لله بامتثال هذا القانون .

والحفاظ .. على استمرار الدورة الاقتصادية دون شره أو طمع أو غش ، ودون تضخم فى الميزان التجارى ، ودون ارهاق بأسلوب العرض والطلب للقوة الشرائية .

والحفاظ .. على جانب من حصيلة الرعاية الاجتماعية — الزكاة التى يقدمها المجتمع عن طيب خاطر وقاية للضعفاء وابتغاء مرضاة الله .

***

— فهل هناك بعد هذا من تشريع؟؟

— فمن أصدق من الله حديثا ؟؟

— فهل يفيق المسلمون ؟؟

ومتى ؟ ؟

— لعلهم يستيقظون — ان شاء الله .

دكتور

رعوف شلبى

« الاسلام »

الاسلام دين ودولة عقيدة وشريعة خلق وسلوك ، قانون وتشريع ، مصحف وجهاد ، ثقافة وحضارة ، وفى ايجاز منهاج كامل للحياة فى كل ناحية من نواحيها .

« صالح عشماوى »

المهدى والخومينى فى نظر الاسلام

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

بعث الأستاذ أحمد زكى موسى هيكل عضو نقابة التجاريين ، وصاحب مكتب الغربية للحسابات والضرائب — بعث — برسالة الى فضيلة الأستاذ محمد صابر البرديسى مدير مجلة الأزهر ، يطلب فيها رأى الدين فى المهدى والخومينى اللذين اختلف الناس فى شأنهما ، فأطلعنى عليها وطلب الى أن أجيب عن أسئلة صاحبها فى مجلة الأزهر ، ليشترك مع السائل غيره من القراء فى معرفة الحق فى أمر المهدى والخومينى ، حسما لموضوع اختلف فيه الكاتبون والقارئون .

وقد رأيت أن أعرض فقرات من رسالة السائل ، ليتعرف القراء على أفكاره وأسلوبه فى فهم الاسلام وفى كتب الأولين ، وفيمن يخالف رأيه فى الأمرين جميعا ، وفى مشروع الدين الجديد الذى يعرضه فى رسالته ، وبعد الانتهاء من عرض كل فقرة نبين وجه الحق فيها ، حتى يكون الحكم عليها جليا لا خفاء فيه ، واضحا لا لبس فيه ، عادلا لا حيف فيه ، ولكى يستقيم فكر المؤمن على الجادة الرشيدة ، وهو مطمئن الى الغاية الآمنة فى دينه وسلوكه ، ونسأل الله التوفيق فيما أردناه وهدفنا اليه .

يقول صاحب الرسالة :

١ — بعد التحية أقرأ مجلة الأزهر برغم أننى لست من رجال الدين ولا من المتزمتين فى القراءات فأنا شخصيا لا أحب

كتب المتزمتين (وما يسمى بالكتب الصفراء) هكذا قال صاحب الرسالة .

ونقول ردا على ذلك ما يلى :

ان مجلة الأزهر ليست قاصرة على رجال الدين ، ولا حكرا على ما تسميهم أنت بالمتزمتين الذين يقرءون الكتب الصفراء — غفر الله لك — فهى لكل قارىء على أية درجة كانت ثقافته ، لأنها لسان الحق ، وبيان الصدق ، وسبيل الرشاد ، ولم تكتب بأسلوب يصعب فهمه على القارىء ، بل كتبت بأسلوب سهل مشوق ، يقرب البعيد ، ويسهل الصعب ، ويكشف الضباب عن وجه الحق .

ولقد أخطأ الكاتب فى التنفير من كتب الأولين ، بوصفها بالكتب الصفراء ، وبأنها كتب المتزمتين ، فلولا هذه الكتب الجليلة ، لكان الناس فى ظلام دامس ، وجهل طامس ، وبعد سحيق عن الهدى والرشاد ، فعنها أخذ المسلمون دينهم وعلومهم ، ولا توجد مكتبة عامة فى العالم الغربى خالية منها — أصلا أو تصويرا .

وكما انتفع المسلمون بعلوم تلك الكتب ومعارفها ، انتفع بها الغربيون فى شتى العلوم والفنون ، فقد ترجموها الى لغاتهم بعد أن عرفوا فضلها ، وتتلمذوا عليها فى جميع الثقافات ، ولهذا لا ينكرون فضلها وفضل مؤلفيها الذى جحده صاحب هذه الرسالة حيث سماها الكتب الصفراء ، وسمى قارئيها بالمتزمتين .

ويقول صاحب الرسالة فى شأن المهدى .

٢ — (هناك موضوع يثور فيه الجدل هذه الأيام وهو موضوع المهدى المنتظر ، هذا الموضوع اختلفت الآراء فيه ما بين مؤيد وغير مؤيد ، وبصراحة تامة . أنا أشك فيمن لا يؤيدون هذا الموضوع ، لأسباب أهمها كراهتهم للامام الخومينى ، وثانيا لأن مجىء المهدى معناه انتهاء عصر الضلال وعصر المسيخ الدجال ،

وسوف يقام الحساب لكل انسان على ما قدمت يداه) وردا على قوله هذا نقول :

لماذا تشك فيمن لا يؤيد مجيئه وتتهمه بالضلال وهو يقيم الحجة على ما يرى ، أليست المسألة مسألة رأى تقام الحجة عليه ، أم هى نزعة تعصب لا شأن لها بالدليل ، لماذا لا تحترم رأى من يخالف رأيك ؟ — وان كان مخطئا فى نظرك — أليست مسألة المهدى من مسائل الفروع التى لا تزال تجرى الدراسة لها ، والخلاف بشأنها قديم ؟ أما رفعها الى مستوى العقائد المقطوع بها فناشىء عن هبوط المستوى العلمى عند رافعيها ، انها مروية بأحاديث آحادية متكلم فى شأن صحتها — كما سنبينه بعد — فلا تتعجل بالشك فى غيرك ورميه بمختلف الاتهامات ، فأنت مسئول عن سوء ظنك فى أخيك المسلم ، ألم تقرأ قوله تعالى « **يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم** » •

وكيف تجعل كراهة الباحث للخومينى سببا فى التشكيك فى موضوع المهدى المنتظر ، فهل الخومينى أهم عند الباحث من موضوع المهدى المنتظر ؟ كلا • فان العكس هو الصحيح ، على أن الجدل فى شأن المهدى أقدم من الخومينى بقرون عديدة ، فلا وجه لتسببه فيه ، ولكنه فى الحقيقة سبب فى اظهاره والتنبيه اليه ، بما أقدم عليه من تصريحات خطيرة رفعت المهدى الى مرتبة فوق مرتبة خاتم المرسلين ، وهو ما لا يقول به مسلم •

البوذية والمسيحية والمهدية

٣ — ذكر صاحب الرسالة الكلام الخطير الآتى (وقد اهتممت بهذا الموضوع من سنة ١٩٦٢ ، وقرأت عنه الكثير ، فوجدت أنه مشار اليه فى التعاليم البوذية والزرادشتية ، واليهودية والمسيحية والاسلام ، لم يختلف أحد منهم فى انتظار ظهور المسيح أوالمنقذ أو المخلص) •

ونحن نقول لصاحب الرسالة :

انك بهذا الكلام فتحت على نفسك وعلى من يقطعون بظهور المهدى آخر الزمــان ــ فتحت عليـكم جميعا ــ بابا واسعا من الشك فى أن المهدية ليســت أصــيلة فى الاسلام ، بل وصــلت اليــه من التعاليم البوذية والزرادشــتية فى الهنــد ، مارة فى ســبيلها اليــه باليهودية والمسيحية ، ومن قبــل قالوا فى بوذا انه هو الابن الوحيد لله ــ تعالى الله عن ذلك ــ وان هذا الابن الوحيــد ولد للــه من العذراء (مايا) بغير مضــاجعة ، وانه تجسد فى ناسوته ، وقد جعل نفسه ضحية لقاتليه تكفيرا لذنوب البشر ، وانه لذلك سمى المســيح والمخلص والابن ، ثم قالوا : ان المســيحية ــ نقلت عنهــم ذلك

بقولها ان الابن يسوع هو الكلمة تجسدت فى ناسوته ، بسبب التقاء روح القدس بمريم العذراء وانه أسلم نفســه لصــالبيه وقاتليه ، تكفيرا لخطيئة آدم وذريته ، لذلك سمى المسيح والمخلص وابن الله ، فهل يرضيك فى المهدية أن تكــون فى الاســلام نابعة من البــوذية والزرادشتيه كما أدى اليه كلامك، وكما قال اليهــود والمســـيحون فى مسيا (المخلص) تأثرا بما جاء عنه فى البوذية والزرادشــتية ــ حسبما أشار اليه بعض الباحثين الغربيين ؟ •

ومن عجب : أنك فى عبــارتك خلطت (المخلص) عنــد البوذية والزرداشتية واليهودية والمسيحية وبــين المخلص فى الاســلام ، فالمخلص عند الطوائف الأربعــة الأولى يقال له المسيح ومســيا ، والمخلص فى الاســـلام يقال له المهدى المنتظر عند من يقولون به، ولا يسمونه المسيح ولا مســيا ، لكنك يا صاحب الرســالة لم تفطن الى ذلك •

الكتاب المحايدون فى مجلة الأزهر

٤ ــ ثم يقول صاحب الرسالة (وطبعا مجلة الأزهر بها الامكانات الكثيرة والكتـــاب المحتــرمون المحايدون ، الذين لا يخشـــون الا وجـــه الحــق ، فنرجـــوا أن يكتب أحد الســادة المحايدين المثقفين ــ دينيا ودنيويا ــ بحثــا

فى هذا الموضوع ، حتى نستريح ونعرف الحقيقة ، فالناس فى حيرة من أمرهم فهم ما بين مصدق ومكذب) .

وتعليقا على هذا الكلام نقول لصاحب الرسالة : انك اتجهت بكلامك هذا الى الطريق السليم ، وهو اللجوء الى مجلة عرف الكاتبون فيها بأمانتهم العلمية ، ليكشف أحدهم النقاب عن موضوع المهدى لتعرف الحقيقة فى شأنه وتزول حيرة الناس فيه ، وهذا ما سنعرض له بعد فراغنا من مناقشة باقى هذه الرسالة .

الخومينى مرة أخرى

٥ — ويقول صاحب الرسالة عقب ما تقدم (نعود الى موضوع الخومينى — هل هو خارج عن الاسلام والملة ، أبدا : انه رجل يشنق السفاحين ، وتجار المخدرات والخمور ، والعواهر وناهبى الأموال ، فهل الاسلام يمنع هذا ؟ انه ينفذ شريعة الله فى الأرض ، فما هو الضرر فى هذا ، ولماذا يتحاملون عليه ويشتمونه ؟) .

وردنا على هذا أن العالم الاسلامى كان فرحا مغتبطا بنجاح ثورته ، ولكنه سلك بها طريقا وعرا ، يخشى عليه وعلى العالم الاسلامى من سلوكه فيه ، فانه أمعن القتل فى الناس مسيئهم ومحسنهم : بمجرد الاشتباه أو الوشاية ، أو الانتماء الى جيش الشاه أو خاصة الشاة (أو فرقة السافاك) .

ولقد سأل بعض الصحفيين رئيس محكمة الثورة عنده ، هل كل من حكمتم عليهم بالاعدام يستحقونه ، أفلا يوجد بينهم برآء ؟ فاعترف بأنه كان منهم برآء ، وأنهم سيدفعون لأسرهم تعويضات عن قتلهم ، فهل هذه التعويضات تعفيهم من عقاب الله تعالى ؟ .

لقد كان على الخومينى ورجاله أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى العفو عن المسىء ، توحيدا لصفوف الأمة الايرانية ، ومنعا لتغلغل الأحقاد فيها بسبب البطش الغاشم الذى لا يفرق بين

محسن ومسىء ، ألم يبطش أهل مكة بالمسلمين منهم ، ويحملوهم على الهجرة من ديارهم الى الحبشة مرتين ، ثم الى المدينة المنورة ؟ فلما فتح الرسول مكة عفا عنهم وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء : فآمنوا جميعا ودخلوا هم وغيرهم فى دين الله أفواجا ، بسبب تلك السماحة التى رأوها فى الاسلام ورسوله ، فماذا على الخومينى لو تأسى بالرسول فى العفو عن المسىء من أتباع الشاة ، فانهم كانوا مجبورين على ما فعلوا ، منفذين لما أمروا به ؟ .

أفلا يخشى هؤلاء الذين يدعون آيات الله ، أن يفعل بهم غدا ما فعلوه بغيرهم ، فيتهموا بالقتل وسفك الدماء ، وتفريق شمل الأمة وزرع الأحقاد فيها ، وغير ذلك مما قد يكون خفيا على الناس ، وعندئذ لا يكون هناك أحد يدعى آية الله ، من الخومينى الى قلقلى وخلخلى ندلى وحلنجلى ، بل يكونون يومئذ آيات الشيطان الرجيم ؟ .

وما معنى أن ينتقل أمر الدولة الى طلبة العلم ، حتى يصل أمرهم الى حبس خمسين من السفارة الأمريكية ، ولا يستطيع رئيس الدولة ولا وزراؤها أن يطلقوا سراحهم ، وأن يعيدوا الطلبة الى معاهدهم وكلياتهم التى هى أولى بهم من الاشتغال بما هو حق لغيرهم ؟ ألم ير هؤلاء الغافلون أن حبسهم لهؤلاء (الدبلوماسيين) ترتب عليه امعان الشيوعيين فى الدسائس ، وتوسيعهم الشقة بين الايرانيين والأمريكيين ، وشغل الطرفين بعضهما ببعض ، ليستطيع البلاشقة أن يضربوا ضربتهم القاضية فى أفغانستان ، ليكونوا على مشارف الخليج العربى ، ليستولوا على بتروله ودويلاته ؟ .

فماذا كسبت ايران بهذا التصرف الأحمق من طلابها سوى زرع المتاعب للعالم الاسلامى ، واحتلال بعض دولة وتهديد بعض آخر منها ؟ .

وماذا على الخومينى لو رتب بيته ونظم أمته ، وسالم الدول الكبرى التى لا قبل له بها ، ولا يستطيع الصمود لكيدها ومختلف

الفتن التى برعت فيها أجهزتها ؟ .

وماذا عليه لو سالم كل العالم ، ومضى قدما لتثبيت دعائم الثورة داخليا ، بتوفير الأمن والأمان والرخاء داخليا ، وحسم المشكلات بحكمة ، وأهمها مشكلة الأكراد وعربستان الذين يطالبون بالاستقلال ، فليشركهم فى حكم البلاد ، وليخالف بذلك ما كان عليه حكام ايران السابقون ، من الاساءة اليهم وعدم الاهتمام بهم ؟ .

ونحن فى هذا المقال لا نريد التوسع فى اثارة المسائل المتعلقة بالعقيدة عندهم ، ولكننا نكتفى بأن نذكر لكاتب الرسالة والقراء ، أنهم يكفرون الصحابة لايثارهم أبا بكر ثم عمر بالبيعة بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أن عليا فى نظرهم كان أولى بالخلافة منهما ، ولهذا فهم يكفرونهما ومن بايعهما ولا يوجد من الشيعة فى ميزان الاعتدال سوى قليل منهم كالزيدية .

ومع اجلال كل مسلم لعلى كرم الله وجهه فى دينه وجهاده ونسبه، فان احترام رأى الأغلبية الساحقة حق على كل مسلم ، حفاظا على وحدة المسلمين ، ولولا أبو بكر لضاع الاسلام فى غمار الثورة الهمجية التى أحدثها المستجدون فى الاسلام بالارتداد ومنع الزكاة، فلقد وقف وقفته الخالدة ضدهم وسحقهم بجيوشه ، ثم قام من بعده عمر بتوسيع رقعة الاسلام ، حيث قضى على دولة الفرس ، وضم بلادهم الى بلاده ، ونشر الاسلام بينهم ، ولولاه لما نشأ الخومينى وجيله والأجيال التى قبله والتى بعده على الاسلام ، فلماذا يكرهونه ويكفرون جميع المسلمين سواهم ؟ ولهذا لا يصلون خلف أئمتهم من أهل السنة ، ويرون أنها لا تصح ، ولعل القراء يعرفون أن الذى صلى على شاه ايران عالم شيعى ، ولو كان سواه لكان حدثا كبيرا هائلا عندهم .

ثم ماذا فعل العلويون لعلى كرم الله وجهه بعد بيعته بالخلافة فى بغداد ؟ لقد خذلوه حتى قتل ، وخذلوا بعده الامام الحسين — رضى الله عنه — حتى قتل ، وكل

الذى يصنعونه تكفيرا للتخلى عنه، هو تلك المناحات التى يقيمونها سنويا فى ذكرى مقتله فى عاشوراء، أليسوا هم الذين فوتوا عليه وعلى ذريته الخلافة بتراخيهم فى نصرته ، فماذا تجديه تلك المناحات من بعده ؟ .

المهدى والمسيح فى القرآن

٦ ــ يقول صاحب الرسالة (فى القرآن ما يشير صراحة الى المهدى فى سورة الزخرف ، ونص الآية « **وانه لعلم للساعة فلاتمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم** » وفى الحديث عن سيد البشر (**وانه ليوشك أن ينزل فيكم المسيح بن مريم فيكسر الصليب ويقتل المسيخ ويفرض الجزية** (١) ــ **كذا قال ــ ويفيض المال عن حاجة الناس فلا يقبلونه**) .

وردنا على هذا أنه واضح من كلامه أنه لا يفرق بين المسيح والمهدى ، مع أنهما شخصيتان مستقلتان ، لكل منهما دوره فى زمنه عند من يقول بمجىء المهدى، فأما قوله تعالى « **وانه لعلم للساعة** » فقد اختلفوا فى المراد من الضمير فيه ، فقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير انه القرآن الكريم ، فانه يدل على قرب الساعة ، وبه تعلم أهوالها وأحوالها .

وقال ابن عباس وغيره : انه المسيح عيسى بن مريم ، ففى حديث مسلم وابن ماجة عن أبى هريرة : (لينزلن عيسى بن مريم حكما عادلا ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية) أى يبطلها . ثم قال (وليدعون الى المال فلا يقبله أحد) .

ومن العلماء من أرجع الضمير فى (وانه لعلم للساعة) الى النبى صلى الله عليه وسلم ، بدليل قوله (**بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى**) أخرجه

---

(١) والصواب : ويقتل المسيح ويضع الجزية ــ أى يرفعها كما سيجىء فى النص الصحيح .

البخارى ومسلم ، وقال الحسن : أول أشراطها محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن هذا يعلم أنه لم يرجع الضمير أحد الى المهدى سواك يا أستاذ أحمد موسى ياصاحب الرسالة .

رجل لا يعرف خطورة ما يقول

٧ ــ وأخيرا يقول صاحب الرسالة (اننى أعتقد أن كل من يكتبون ضد فكرة المهدى هم كفرة مأجورون ، فهم يكذبون القرآن الكريم ، وحديث النبى صلى الله عليه وسلم : ان العالم كله فى انتظار المهدى أو المسيح) وقد ورط الكاتب نفسه ورطة لا خلاص له منها ، حيث زعم أن من أنكر ظهور المهدى فهو كافر مأجور ، وأنه يكذب القرآن والحديث ، فى حين أنه لا يحل تكفير مسلم الا بانكاره أمرا معلوما من الدين بالضرورة ومجمعا عليه ، والمهدى ليس من هذا القبيل ، فأحاديثه موضوع خلاف كما سنبينه ، أما قوله تعالى (وانه لعلم للساعة) فلم يفسره أحد بالمهدى كما زعم الكاتب ، وقد بينا فيما تقدم أنه القرآن أو المسيح أو محمد عليهما السلام .

أما حديث المسيح (لينزلن عيسى بن مريم) فواضح من لفظه أنه ليس فى المهدى الذى جاء فى رواياته أنه من أهل البيت وليس من بنى اسرائيل ، فان المسيح من بنى اسرائيل .

الدين الجديد
تصريح خطير للكاتب

٨ ــ ان صاحب الرسالة الأستاذ أحمد موسى هيكل بحاجة الى الرثاء والدعاء له باللطف والهدى ، فانه لم يكتف بتكفير غيره ، بل زعم أن المهدى صاحب دين جديد ، فقد جاء فى الصفحة السادسة من رسالته ما يلى ــ عقب مزاعمه فى المهدى فى الصفحة التى قبلها .

مبادىء الدين الجديد :

١ ــ براءة اليهود من دم

المسيح ، وكسر الصليب وقتل المسيخ .

٢ ــ تطهير الأرض من الأنجاس والخونة والمرتشين والمستغلين .

٣ ــ توحيد الأديان البوذية واليهودية والمسيحية فى دين الاسلام .

٤ ــ اعادة اللاجئين الى فلسطين .

٥ ــ اقامة الحكومة العالمية .

ــ هكذا قال المسكين لطف الله به . وردنا على هذا المسكين ، أن دين الاسلام خالد وباق الى قيام الساعة ، وليس هناك دين جديد يحل محله وأن عيسى حين ينزل يعمل بدين الاسلام ، ويأتم بامام من المسلمين ، ويبرىء أمه من فرية اليهود عليها ويبرىء نفسه من القتل والصلب اللذين زعمتهما اليهودية والمسيحية ، وينصر دين الاسلام ويحمل الناس عليه ، قال تعالى فى حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »** وقال صلى الله عليه وسلم « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة » فتبين بالآية الكريمة أن لا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وتبين بالحديث الشريف أن أمته باقية بدينها مستقيمة عليه حتى تقوم الساعة ، تلك هى عقيدة المسلمين وسبيلهم الى ربهم **« ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »** .

ماجاء فى المهدى من الأحاديث وبيان حاله

أمسك البخارى ومسلم عن ايراد شىء من أحاديث المهدى فى صحيحيهما ، لأنها ليست على شروطهما ، ولكن غيرهما من كتب السنة أوردتها ، ولم يسلم أى حديث منها من نقد بعض رجاله بما ينقله من الصحة الى الضعف فى متنه تبعا للضعف الذى أصاب سند بتوهين بعض رواته . فان القاعدة : أن الضعف اذا مس السند ، أصاب المتن ، لأنه لم يثبت الا به .

وقبل ذكر شيء من أحاديثه نذكر خلاصة ما جاء فيها بصفة عامة ، ليعرف القارىء موضوعه مجملا ، قبل ذكرها وبيان حالها ، فنقول وبالله التوفيق .

أفادت تلك الأحاديث فى مجملها أنه سيظهر فى آخر الزمان رجل من أهل البيت يؤيد الاسلام ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ويستولى على المالك الاسلامية ، وبعد ظهوره يخرج المسيح الدجال وما بعده من أشراط الساعة المضيقة ، وأن عيسى عليه السلام ينزل بعده، فيقتل الدجال ، وفى بعض الروايات أنه ينزل فى عهد المهدى فيساعده فى قتله ، ويأتم عيسى بالمهدى فى صلاته — تلك هى خلاصة قصته فى مختلف الأحاديث .

وقد جاءت أحاديثه فى الترمذى وأبى داود وابن ماجه والحاكم وغيرهم عن جماعة من الصحابة ، منهم على وابن عباس وابن عمرو وجابر وغيرهم .

ولم يسلم حديث من أحاديثه من اعتراض وتوهين لبعض رواته فى أثناء السند ، ومن أغربها اسنادا ما ذكره أبو بكر الاسكاف فى فوائد الأخبار مسندا الى مالك ابن أنس عن محمد بن المنذر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كذب بالمهدى فقد كفر .. الخ . » قال ابن خلدون تعليقا على الحديث : حسبك هذا غلوا — ثم قال — على أن أبا بكر الاسكاف متهم وضاع عند أهل الحديث — يعنى أنه لا يعول على حديثه ولا يعمل به ، لأنه كذاب كثير الوضع للأحاديث .

وعند الترمذى وأبى داود بسنديهما الى ابن عباس وابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :« لو لم يبق من الدنيا الا يوم تطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى — أو من أهل بيتى — يواطىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى » هذا لفظ أبى داود وسكت عليه . أما لفظ الترمذى فهو (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى)

ويقول محمد بن سعد فى عاصم

أحد رواته : كان ثقة ، الا أنه كان كثير الخطأ فى حديثه ، وقال فيه يعقوب بن سفيان : فى حديثه اضطراب ، وقال فيه العقيلى كان سيىء الحفظ ، وقال العجلى فى شأن عاصم هذا : كان يختلف عليه فى أبى ذر وأبى وائل ، يشير بذلك الى ضعف روايته عنهما : وقد روى هذا الحديث من طريقهما •

وروى أبو داود عن على رضى الله عنه — من رواية قطن بن خليفة — عن القاسم بن أبى مرة عن أبى الطفيل عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جورا » وقطن بن خليفة أحد رواته وان وثقه أحمد ويحيى ابن القطان وغيرهما ، فقد جرحه غيرهم فوصفوه بالتشيع ، وقال فيه أحمد بن عبد الله بن يونس : كنا نمر على قطن وهو مطروح لا تكتب عنه ، وقال فيه مرة أخرى : كنت أمر به وأدعه مثل الكلب ، وقال الدارقطنى : لا يحتج به •

وأخرج أبو داود عن هرون بن المغيرة قال : حدثنا عمر بن أبى قبيس ، عن مطرف بن طريف ، عن أبى الحسن عن هلال بن عمر قال: سمعت عليا يقول : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث ، على مقدمته رجل يقال له منصور ، يوطىء — أو يمكن لآل محمد ، كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجب على كل مؤمن نصره — أو قال اجابته —) سكت أبو داود عليه ، وقال فى موضع آخر فى هرون بن المغيرة : هو من ولد الشيعة ، وقال السليمانى فيه نظر ، وقال أبو داود فى عمر بن أبى قبيس فى حديثه خطأ ، وقال الذهبى : صدوق له أوهام •

ويلاحظ أن هرون ليس شيخا لداود ، فروايته عنه منقطعة ، وأن أبا الحسن وهلالا مجهولان • تلك نماذج لبعض أحاديث المهدى وبعض ما قيل فيها ، ولو أردنا استيعابها واستيعاب ما قيل فى بعض رواتها لاحتجنا الى عدة مقالات •

وبالجملة : فما من حديث من أحاديثه الا وجه الى بعض رواته ما يضعف روايته •

وبما أن علماء السنة يقدمون الجرح على التعديل ، فلهذا لا نستطيع الجزم بظهور المهدى فهو على أحسن الفروض أمر مظنون لاجتماع تلك الروايات مع احتمال الوضع من الشيعة والوضاعين الذين يظاهرونهم ، تأييدا لأملهم فى عودة الخلافة للفاطميين وتسلية لهم وتقوية لصفوفهم ، حتى يظلوا مترابطين متعاونين فى سبيل الأمل المنشود •

ومن هنا : نشأت قصة المهدى المنتظر ، على اختلاف وجهات نظر الشيعة فيه ، ومنهم الاثنا عشرية الذين يزعمون أن الأئمة اثنا عشر اماما ، وأن الثانى عشر من أئمتهم هو محمد بن الحسن العسكرى ، ويلقبونه بالمهدى ، ويزعمون أنه دخل فى سرداب بدارهم بالحلة ، وأنه يخرج من هذا السرداب فى آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا ، وهم ينتظرونه كل ليلة بعد صلاة المغرب عند باب السرداب ، ومعهم مركب أعدوه ليركبه ، ويظلون ينتظرونه الى فترة طويلة من الليل ، فينصرفون ثم يعودون الى مثل ذلك فى الليلة المقبلة ، وهؤلاء يسمون الواقفية والمنتظرين ، والامام الثانى عشر يسمى عندهم المهدى المنتظر ، كما نقله ابن خلدون عنهم •

والحق : أن هذه أوهام مبنية على عقائد فاسدة ، فمحمد بن الحسن العسكرى ليس من أهل الخلود حتى يبقى الى يومنا هذا ، واذا كان قد مات فادعاء عودته أدعاء للبعث قبل يوم القيامة وهو ظاهر الفساد ، ولا يوجد نص يؤيده ، وقياسه على أهل الكهف قياس فاسد يفتح الطريق لأهل البدع والفساد ، وكما ادعى المهدية الاثنا عشرية ادعاها غيرهم فى أماكن متفرقة فى بلاد الاسلام وظهر بطلانها ، وأريقت بسببها دماء المسلمين •

وحيث كان أمرها ما تقدم فلا ينبغى أن ترقى الى قمة العقيدة ، وحسبنا كتاب الله تعالى فهو

هادينا الى سواء السبيل ، فمن دعا بدعوته على سنة نبيه ظاهرناه وأيدناه واقتدينا به ، سواء أكان من أهل البيت أو من سواهم ، على ألا يسب أحدا من أصحاب رسول الله وأئمتهم — كما يفعل غلاة الشيعة ولقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى قلوبنا الطمأنينة على مستقبل الاسلام بقوله « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة » وبقوله « يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » أو كما قال .

ولندع أمر المهدية لله تعالى ، فقد خلقت فى الأمة الاسلامية متاعب وخلافات ، وأريقت بسببها دماء ، وتفرقت بسببها شيعا وأحزابا ، ولنتمسك بكتاب الله الذى وصفه الرسول بقوله « فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، وهو حبل الله المتين ، وهو الصراط المستقيم ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا **« انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به »** من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

« العلم »

ما كرم الاسلام أحدا تكريمه لطالب العلم ، ولاحث الاسلام على شيىء حثه على نشر العلم وتيسير السبيل اليه .

مناسك الحج .. والرمزية

للدكتور محمود بن الشريف

فى شريعة الاسلام أمور تعبدية فرضها الشارع الحكيم ، تخفى حكمتها على المؤمن الباحث المتعمق وهذه الامور التعبدية مقياس لايمان المؤمن ، ومختبر لمدى يقينه وعمق ايمانه .

ولا يسع عقل المؤمن حيالها — بعد أن عجز عن الوصول الى كنه سرها ، وحكمة تشريعها — لايسعه الا أن يذعن للنص الالهى فى يقين لا يخالطه ريب ، ويؤمن به فى عمق لا يخالجه شك .

ويحاول البعض — بعد أن أجهد عقله ، أن يوجد لهذه الأمور التعبدية أسرارا تشريعية ، ولكنها فى واقع الأمر محاولة .. ومحاولة فحسب ، فمتى كان للعقل القاصر أن يصل الى الهدف الالهى ؟! ومتى كان للطين بقتامته وعتمته وظلامه أن ينفذ فيعرف الحكمة الالهية ، أو يستشف الغرض الالهى ، والمرمى الربانى ؟!

وستظل هذه الأمور التعبدية بلطائفها ودقائقها ، ستظل دليلا شامخا على تصور العقول البشرية وأنه « ليس للعقل فى النهاية الا أن يذعن للوحى الالهى ، وهو : اذعان ليس بتعسفى أو تحكمى ، انما هو مصدره الايمان اليقينى بأن هذا من عند الله ، وما دام من عند الله فانه لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه » ان سلفنا الصالح كانوا ينزعون هذه النزعة .. نزعة

الخضوع المطلق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ..

لقد كانوا يذعنون للنقى ، يذعنون له بجوارهم ، وقلوبهم ، وأرواحهم وعقولهم ، لقد كانوا يخضعون عقولهم للنص ، ويجعلونه القائد الحاكم المهيمن ، وكانوا يعرفون أن ادخال شخصيتهم فى النص انما هو انحراف يعظم أو يقل حسب مدى التدخل البشرى فى النص ، وكانوا يعرفون أن الوحى انما جاء هاديا للعقل وقائدا له فى الامور التى لا يتأتى للعقل أن يلج ميادينها ، أو يقتحم حماها » (١) .

والحج هو أكثر العبادات الاسلامية اشتمالا على الأمور التعبدية التى لا تعرف حكمتها معرفة مفصلة أكيدة .

وهو : فريضة الهية .. وأساس من أسس الدين الذى قام عليه بناء العقيدة الاسلامية .. وهو مؤتمر اسلامى سنوى عالمى ، يضم المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولهجاتهم .يجتمعون جميعا فى الشهر الحرام فى البلد الحرام ، فى البيت الحرام . يستعرضون ماجابههم من مشكلات وأزمات ، وما حل بمجتمعاتهم من حوادث وأحداث تستدعى المشورة : وتتطلب تبادل الآراء ، للوصول الى الحل الحاسم ، الذى به تتحدد الاتجاهات ، وتتوحد المقاصد ، وتتحقق الآمال الموصلة الى الغايات والأهداف .

ولما كانت بعض أعمال الحج لها جذور من أيام الجاهلية جاء الاسلام فنقاها مما شابها من ضلالات الوثنية ، ومما شانها من أدران الجاهلية ، وجعلها أعمالا خالصة لله تبارك وتعالى .

وتعليقا على هذا وتعقيبا ، يقول الامام الشهيد الشيخ حسن البنا — من مقال له فى العدد الثالث من مجلة الشهاب — يقول : « ينتهز بعض الذين لا يعلمون الحكمة

---

(١) من كتاب «الاسلام والعقل» للامام الراحل الدكتور عبدالحليم محمود ص ١٠٢ .

البالغة فى هذا التشريع الحكيم : متشريع الحج ، ينتهزون هذه الفرصة فيغمزون الاسلام بأنه مازال متأثرا ببقية من وثنية العرب ، وأن الكعبة والطواف من حولها ، والحجر الأسود واستلامه وما يحيط بذلك من معانى التقديس والتكريم ، ان هو الا مظهر من مظاهر هذا التأثر ..

وهذا القول بعيد عن الصحة ، عار عن الصواب ، فالمسلم الذى يطوف بالكعبة أو يستلم الحجر الأسود يعتقد اعتقادا جازما أنها جميعا أحجار لا تضر ولا تنفع ، ولكنه انما يقدس فيها هذا المعنى الرمزى البديع : معنى الأخوة الانسانية الشاملة ، والوحدة العالمية الجامعة ، ويذكر فى ذلك قول الله العلى القدير : **(جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس)** .

من سورة المائدة : آية ٩٧

والرمزية : هى اللغة الوحيدة لتمثيل المعانى الدقيقة ، والمشاعر النبيلة التى لا يمكن أن تصورها الالفاظ ، أو تجلوها العبارات ، والذى يعظم علم وطنه يعلم أنه فى ذاته قطعة نسيج لا قيمة لها ما ديا ، ولكنه يشعر كذلك أنها ترمز الى كل معانى المجد والسمو التى يعتز بها وطنه ، وأنها تصور أدق المشاعر فى وطنيته ، فهو يحيى هذا العلم ، ويعظمه ، ويحترمه ، ويكرمه لهذه المعانى التى تجمعت جميعا وتمثلت فيه ..

والكعبة المشرفة : علم الله المركوز فى أرضه ، ليمثل به للناس أوضح معانى أخوتهم ، وليرمز به الى أقدس مظاهر وحدتهم ، وانما كانت بناء ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ... ومن أجمل الجميل أن يقدم على رفع هذا البناء ابراهيم الخليل أبو الأنبياء .

وما الحجر الأسود الا موضع الابتداء ، ونقطة التمييز فى هذا البناء ، وعنده تكون البيعة لرب الأرض والسماء على الايمان والتصديق والعمل والوفاء :

اللهم ايمانا بك ــ لا بالحجر ــ وتصديقا بك ــ لا بالحجر

ولا بالخرافة ــ ووفاء بعهدك : وهو التوحيد الخالص ــ لا الشرك ــ واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، محطم الأصنام.

فأين هذه المعانى الرمزية العلوية من تلك المظاهر الوثنية الخرافية ؟! .

ان الكعبة المشرفة رمز قائم خالد .. ركز الاسلام من حوله أخلد وأقدس وأسمى معانى الانسانية العالمية ، والأخوة بين البشر . **(واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا)** .

وفى الحج أمور تعبدية خفى على الأفهام سرها ، ودقت على المدارك حكمتها ، ولم تفطن العقول ولن تفطن الى معرفة حكمتها معرفة تفصيلية دقيقة على وجه القطع والتأكيد .

وعلى الرغم من ذلك : فان هناك محاولات للعلماء قاموا فيها ــ حسب وسعهم ــ بالتحليل والتعليل وتبيان ما اشتمل عليه الحج من أسرار و « رمزية » .

وعن هذه الرمزية يقول المغفور له الامام : محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق : « ما الاحرام فى حقيقته ــ وهو أول مناسك الحج ــ الا التجرد من شهوات النفس والهوى ، وحبسها عن كل ماسوى الله . وعلى التفكير فى جلاله . وما التلبية الا شهادة على النفس بهذا التجرد ، وبالتزام الطاعة والامتثال .

وما الطواف بعد التجرد : الا دوران القلب حول قدسية الله . صنع المحب الهائم مع المحبوب المنعم الذى ترى نعمه ولا ترى ذاته .

وما السعى بعد هذا الطواف : الا التردد بين علمى الرحمة التماسا للمغفرة والرضوان .

وما الوقوف بعد السعى : الا بذل المهج فى الضراعة بقلوب مملوءة بالخشية ، وأيد مرفوعة بالرجاء ، وألسنة مشغولة بالدعاء وآمال صادقة فى أرحم الراحمين.

وما الرمى بعد هذه الخطوات التى تشرق بها على القلوب أنوار

ربها : الا رمز مقت واحتقار لعوامل الشر ونزعات النفس ، والا رمز مادى لصدق العزيمة فى طرد الهوى المفسد للافراد والجماعات .

وما الذبح ــ وهو الخاتمة فى درج الترقى الى مكانة الطهر والصفاء ــ ما هو الا اراقة دم الرذيلة بيد اشتد ساعدها فى بناء الفضيلة ، ورمز للتضحية والفداء على مشهد من جند الله الابرار »(١)

الرمى .. والرمز :

والجمرات حجارة صغيرة ، يحصب بها شخوص حجرية ترمز الى الشياطين .. ورمى الجمرات ليس عملية آلية ، بل هى عملية رمزية هادفة ، تومىء الى أن يرجم المؤمن شيطان نفسه ، المستقر فى أعماقه ، الكامن فى دخيلته ، الذى يزين له كل شر وضر ، ويغريه بكل اثم ومنكر . وان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم .. ان هذا الشيطان ومعه النفسية السوداء ، والرغبات الجامحة الجانحة ، والروح الشريرة .. كل هذا هو الذى يجب أن يحاربه المؤمن ، وأن يشهر عليه سيف الايمان ، ويطارده بالابتعاد عنه ، والتغلب على فحيحه ووساوسه .

انه بذلك الرجم يكون قد تحرر من همزات الشياطين ، وتحلل مما تدفع اليه من كبائر ومناكر ومجترحات .

ان الحاج الذى يرمى هذه الجمرات يكون قد أخذ على نفسه عهدا عمليا بأن يتغلب على وسوسة الشيطان كما تغلب عليها بهذا الرمى ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام ، حينما طاردهما الشيطان ولاحقهما ، وهم فى هذه المواضع الثلاث من « منى » عندما كان ابراهيم ينفذ أمر ربه بذبح ولده .

وكان الوالد والولد .. كان كل منهما فى سبيل أداء عبادة ، وهل

(١) ص ١٢١ من كتاب : « الاسلام عقيدة وشريعة » للشيخ محمود شلتوت .

العبادة الا تنفيذ أوأمر الاله ، حتى ولو كانت تبدو فى ظاهر الأمر على خلاف العادة .

ومع ذلك ، ومع عدم فقه الكنه وفهم السر الا أن كلا منهما استعد لتنفيذ الأمر ، بل واتخذ الخطوات الايجابية نحو التنفيـذ .. وقام الشـيطان يغالب ، ويوسـوس ، ويهمس ، محاولا أن يدفـع الولد والوالد الى العصيان والى التمرد .. وتحلل ابراهيم واسماعيل من وسوسة الشيطان ، بعد أن ألقيا فى وجهه حصى الأرض حتى لايعود الى مغالبتهما .. وعنـد ذاك تمت لهما الغلبـة .. وكان لهما النصر والفداء بعد التضحية والاذعان .

ويسوق فضيلة الشيخ : حسن المشاط فى كتابه : (اسعاف أهـل الاسلام بوظائف الحـج الى بيت الله الحرام) يسـوق تعليـلات وأسرارا ورموزا للعديد من الأمور التعبدية التى تضمنها هذا الركن الاسلامى العظيم ، قال : « ان العلامة : « خليل المالكى » ذكر فى مناسـكه كلاما عجيبـا فى سر ما اشتملت عليه صـفة الحـج مـن الاقوال والافعال :

ان الحج محتو على حكم عديدة ــ وقل مـن يتعرض لهـا مـن المؤلفين والمصنفين ــ فأولها : أن الله تعـالى شرف عبيـده بأن استدعاهم لمحل كرامته والوصول الى بيته ، ولما كان الله منزها عن الحلول فى محـل : (ليس كمثلـه شىء وهو السميع البصير) أقـام البيت الحرام مقام بيت الملك ، لان الملك فى الدنيا اذا شرف أحـدا دعاه لحضرته ، ومكنه مـن تقبيل يده ، وأمره باللياذ به ، وجـدير به حينئذ أن يقضى حوائجه ..

وكذلك المولى ــ سبحانه وتعالى ــ استدعى عبيده لبيته الحرام ، وأمرهم باللياذ به ، وأقام الحجر الأسود مقام يد الملـك ، فأمرهم بتقبيـله .. وأمـــرهم بطلب حوائجهم ..

واذا كان اللائق بملوك الدنيا قضاء الحوائج فى هـذه الحالة ، فكيف بملك الملوك المعطى بغـير

سـؤال ؟

وشرع الغسل عند الاحـــرام : اشارة الى أن من استدعاه الملـك ينبغى أن يكون على أكمل الحالات طهارة قلب ولسان ٠

وشرع خلع الثياب : اشـعارا بحالة الموت ، ليتخلى عن الدنيا ، ويقبل على باب ربه وعبادته ، لان نزع ثيابه كنزع ثياب الميت على المغتسل ، ولبس ثياب الاحـرام كلبس الاكفان ، وتشـبيها بنبيه « موسى » عليه السلام ٠ فانه لما قدم الى المناجاة قيل له : **(اخلـع نعليك انك بالوادى المقدس طوى)** والحاج قادم على الأرض المباركة المقدسة ، وقصـدا لمخالفته حالته المعتادة ليتنبه لعظيم ما هو فيه ، فلا يوقع خللا ينافيه ٠

وأمر عبيـده بترك الرفاهية ، والقاء التفث : اشـارة الى ترك حظوظ النفس ، وأن العبد اذا قدم الى مولاه لا يأتيه الا خاضعا ذليلا ولا يشتغل بغير الله تعالى ٠

ونهى العبد عن قتل الصـيد : اشارة الى أن من دخل الحرم فهو آمن ، وليطمع العبد آنئذ فى تأمين مولاه له ٠٠

وشرع عند دخوله مكة الغسل : اشارة الى تطهير قلبه مما عساه أن يكون قـد اكتسبه مـن أول احرامه الى حين وقت الدخول فى محل الملك ٠ وأنه لا ينبغى له أن يدخل الا بعد تصفيته مـن جميع الأكـدار ٠

وشرع طواف القدوم : اشارة الى تعجيل اكرامه ، لأن الضـيف ينبغى أن يقدم اليه ما حضر ، ثم يهيأ له ما يليق ٠

وكان سبعة أشواط ، لأن أبواب جهنم سبعة أبواب ، فكل شـوط يغلق بابا ٠

ثم يركع بعد الطواف ٠ زيادة فى القرب والتدانى ، لأن أقـرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد٠

وأمره بعـد ذلـك بالسـعى ، والبداءة بالصفا : اشارة الى أن العبـد اذا أطاع مولاه أوصـلته

طاعته الى محل الصفا وصفاء القلوب •

ثم أمره بالنزول والمسير الى المروة : اشارة الى أن العبد ينبغى له أن يتردد فى طاعة ربه بين صفاء القلب بخلوه مما سوى ربه ، وبين المروءة بالسمت الحسن وترك المجانة • وأمره أن يفعل ذلك سبعا : اما للمبالغة فى الابعاد عن جهنم — واما لما فى السبع من الحكم التى لا يحيط بكنهها الا رب الأرباب : جعل الأيام سبعا ، والأقاليم سبعا ، والأفلاك سبعا ، وتطور الانسان سبعا ، وطباق العين سبعا ، وأمره أن يسجد على سبع ، وجعل السموات سبعا ، والأرضين سبعا ، وجعل أرزاق الناس سبعا اشارة الى قوله تعالى : **(فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا)** فالحب والعنب •• الى آخره للانسان ، والأب للانعام •

ثم أمره بالخروج الى « منى » : اشارة الى بلوغ المنى •

ثم أمره بالمسير الى عرفات : لأنها محل المعرفة والمناجاة ••

وأمره بالدعاء : لأنه ينور القلب ويوجب انكساره وتذلله •

وأباح الجمع والقصر رفقا بهم ثم أمرهم بطلب الحوائج ، ولهذا استحب لهم الوقوف بعرفة ليكون أبلغ فى التضرع ، ثم ان وقوفهم فى هذا اليوم شبيه بوقوفهم فى المحشر ••

ثم أمرهم بحلق رءوسهم ، ليزول ما فى الشعر من الدرن والعفن ، وفيه اشارة الى منع تبذير المال ، لأن الشعر يقى الدماغ من البرد ، كما أن المال يقى الانسان من الفقر ، ولذلك قال المعبرون : « من رأى شعر رأسه قد ذهب ، فهو ذهاب ماله » •

الدكتور محمود بن الشريف

حول إعلام إسلامي رشيد
خطبة الجمعة

للدكتور محمد رجب البيومي

يخيل الى أن لقاء الجمعة الأسبوعى ، يجرى على غير وجهه التام ، فى كثير من بلاد الاسلام ، فقد أصبح فى أكثر أحواله أمرا آليا ، يؤدى كما يؤدى أى عمل تقليدى ، دون أن يثمر فائدته المنتظرة ، التى هدف اليها التشريع ، فكل المسلمين يعلمون أن صلاة الجمعة فرض عين ، على من توفرت فيه الشروط ، بحيث لا يغنى أحد عن أحد ، ومفهوم هذه الفريضة عند الأكثرية الكاثرة : أن يحين وقت الصلاة فيسرع المسلمون الى المسجد كى يستمعوا الى كلمات تقال ، ثم تقام الصلاة، فاذا فرغ المصلون هبوا ينتشرون فى الأرض ، وكأنهم تخلصوا من عبء ، بل ان بعض الناس يستمع الى المؤذن فى تقاعس ، ويظل رهن متجره أو منزله ، حتى يمر وقت يخيل اليه معه أن الخطيب قد فرغ من الخطبة الأولى ، وانتقل الى الخطبة الثانية ، فيسرع الى الوضوء ليدخل المسجد وقد كبر الامام وبدأ يقرأ الفاتحة .

وهذا بعض ما يحدث دون مبالغة !!

أفكان ذلك كل ما عناه الشارع الحكيم ، حين فرض على المسلمين هذا اللقاءالأسبوعى الهام ؟!

أم أننا نغفل روح الفريضة مكتفين بشكل ظاهرى نحسبه كل شىء ! وما هو الا تكليف نؤديه فى غير نشاط .

أعتقد أن لقاء الجمعة — فى هدفه الأصيل — مؤتمر أسبوعى يحتمه الاسلام بين أهل القرية أو الحى فى المدينة ، ليتلاقوا جميعا على حالة يتضح فيها الالتئام المتماسك فتتصافح الأكف ، وتتعارف الوجوه ، ويسأل الحاضر عن الغائب لم تأخر ؟ أمسافر فيعذر ؟ أم مريض فيزار ؟ أم مأزوم فيسارع اخوانه الى فك ضيقه؟ فاذا أكتمل الجمع ، وأزف الموعد المحدد ، نهض الخطيب المتفتح فحدث القوم بما يشعرون به من احساس فورى اذ يبسط مشكلات الساعة فى ضوء القرآن الكريم ، والسنة المحمدية .

وقد يكون الحديث محليا اذا اتجه الى مشكلة تخص القرية أو الحى وحدهما ، كانتشار مرض ، أو اختفاء سلعة أو ترويج اشاعة كاذبة لا أساس لها ، أو دعوة لانقاذ محصول زراعى ، أو اسهام فى مشروع حيوى .

وقد يكون الحديث وطنيا اذا اتجه الى أمر يشغل الرأى العام ، وتتلمس فيه أوجه الهداية والارشاد .

وقد يكون الحديث فى غير ذلك كله ، مما يجذب أذهان السامعين ، ويدعوهم الى التدبر البصير .

فاذا انتهت الخطبة ، وفرغت الصلاة ، نهض المصلون ليتعاونوا على البر والتقوى ، وليبدوا الرأى فيما سمعوه ، باذلين أقصى الجهود فى تذليل العقبات وتيسير الصعاب ، ومترقبين أن يكون لقاء الجمعة القادم تحقيقا لأمل يرجى ، وارتغابا لخير يتاح بما سيقوم به القادرون من تنفيذ واحكام .

هكذا كان لقاء الجمعة الأسبوعى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى الصدر الأول من الاسلام ، اذ يقوم صاحب الأمر فيخطب القوم فيما يشغلهم من الأحداث ، ويتعاون السامعون على الطاعة فى الخير ، ويتدارس القوم معضلات الفتوح والغزو ، ويشيرون بما يرون من حلول .

لقد كانت خطوات الفتح

الاسلامى تذاع خطوة خطوة من منبر الجمعة على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، كان الخليفة الراشد يصعد الى المنبر ليذيع الوقائع بنفسه ، فاذا ما انتهت الخطبة وقامت الصلاة ، وجد عشرات السامعين يلتفون حوله ليشيروا بالرأى ، وقد تمتد المشورة حتى تحين صلاة العصر ، فيكون يوم الجمعة فى صميمه مؤتمرا اسلاميا تناقش فيه المعضلات سافرة دون نقاب !

ثم اتسع ظل الاسلام فأصبح فى كل قرية من ملايين القرى الاسلامية مسجد ، وفى كل مسجد منبر وخطيب ، ولكن الاجتماع يؤدى فى أكثر أحواله أداء آليا ، ويخرج المجتمعون مسرعين ، وكأنهم تخلصوا من حمل مفروض •

واذا كان لكل عصر ملابساته وظروفه ، فليس من المنتظر الآن أن تكون المساجد محافل سياسة ، ومجامع ادارة ، كما كان المسجد النبوى بالمدينة ، ولكن الذى يجب أن يكون فى موضع الاعتبار هو مانريده من تحقيق الجدوى التامة لهذا الاجتماع الأسبوعى ، حيث يصير مؤكدا لصلات المجتمع ، وداعيا الى ترابط العامة والخاصة ترابطا ملتحما ، فيسأل الحاضر عن الغائب ، ويزار المريض ، ويسعف المحتاج ، مع الاهتمام بتدبر كل ما جاء فى الخطبة من توجيه سلوكى الى الطريق القويم •

هذا من الناحية الاجتماعية !

أما الناحية العلمية ، فلابد أن يكون لها مكانها الجهير ، لأن الخطيب يتحدث بلسان الدين ، ويلقى هديه فى ظلال ما يختار من آيات القرآن وأحاديث الرسول ، وسير السلف الصالح ، فكل مشكلات المجتمع ، وأدواء الزمن ، تعالج تحت مصباح القرآن ، وترصد فى مجهر شريعة الاسلام •

وقد فرض الاسلام خطبة الجمعة أسبوعيا لغرض ثقافى هادف •

فالمسلم العاقل المدرك اذا بدأ الصلاة فى الخامسة عشرة من عمره مثلا ، فانه سيستمع فى كل عام الى خمسين خطبة دينية بعدد أسابيع السنة ، فاذا قضى عشر سنوات تالية ، فلن يبلغ سن الخامسة والعشرين من عمره حتى يكون قد أصغى الى خمسمائة خطبة ، هذا غير ما لا يدخل فى الاحصله من خطب العيد ومجالس الوعظ الطارئة ، ودروس العشاء وهى مما تحرص عليه وزارة الأوقاف ، وتلزم الأئمة باتقانها ، فأين أثر ذلك كله !!

بل أين أثر خمسمائة خطبة فقط !!

اذا افترضنا أن المسلم مشغول بأعبائه عما سواها من العظات المسنونة !!

أين أثر ذلك فيمن بلغ الخامسة والعشرين بعد سماع خمسمائة عظة !!

لقد كان المنتظر أن يصبح السامع ملما بروح الشريعة الاسلامية ، فاهما منازع دينه القويم ، لأن الاسلام فى بساطته وجنوحه الى الفطرة الخالصة بحيث تتقبله الصدور بانشراح فى مدى يسير •

ولقد كان المشرك الكافر يجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بين يدى أصحابه ساعة من الزمن ، يستمع فيها الى أهداف دينه ، فيطمئن قلبه تلقائيا لما يسمع من قول يساير فطرته السليمة ، وينطق بالشهادتين فى فرح غامر ، ويصير بما سمع فى مجلس واحد داعية للاسلام فى قومه ، وكانت الآيات المعدودة من كتاب الله زادا كافيا لاطمئنانه ، يرددها بين ذويه معتزا مباهيا ، فيأسر بها قومه ، ويكسب للدعوة ملا جديدا !

فكيف أصبحنا نرى المسلم يقضى من عمره خمسين عاما وأكثر من خمسين عاما يستمع فيها الى آلاف الخطب الدينية فى الجمعات

المتوالية ، ثم نراه بعد هذا الأمد الطويل لا يلم بروح الاسلام ، ولا يستطيع أن يدرك أهدافه الواضحة فى أخريات حياته : أين أثر هذه الخطب المتكررة ! وما الذى جعلها مظهرا لا روح فيه ؟! كيف ضعف تأثير الوعظ المنبرى ، والبيان الدينى فى أكثر ما نسمع الآن ؟

اننا نرجع السبب الرئيسى فى ذلك الى عاملين متعارضين : عامل العى المفرط لدى متكلم مقتضب مخل ، وعامل الثرثرة السطحية لدى متكلم يفيض فيما يعن له من قول دون تحديد .

فالخطيب الأول يلجأ دائما الى خطب موسمية يكاد يحفظها عن ظهر قلب ، ثم يلقيها القاء آليا لاروح فيه فيطفىء ما يشع فيها من بريق الذكر الحكيم ، وايماض الحديث الشريف ، ثم لا يحاول أن يجدد نفسه فى شىء بل يكرر ما يقول عاما وراء عام ، دون أن يقدر تبعته الارشادية أمام جمهوره المنتظم ، بحيث أصبح المؤذن العامى ينوب عنه اذا غاب ، فلا يكاد السامعون يحسون فرقا بين الأمى والمتعلم ، لأن الرجلين معا ينقلان من كتاب معلوم .

هذا هو الخطيب العيى ، ولا يظن أحد أن تقدم التعليم وانتشار المعاهد والمدارس وذيوع الصحف والكتب على نحو مستفيض قد قضى عليه . أو حوره الى شىء آخر ، فنحن لا نزال نصدم بأمثاله فى كثير من المناسبات حتى لأسائل نفسى ألا يستمع هذا الى حديث دينى فى مذياع ليعرف كيف انتقل الناس من حال الى حال .

أما الخطيب الثرثار فأمره أعجب ، فقد وقر فى نفسه أن جلجلة الصوت وانطلاق اللسان ، وامتداد الزمن هى كل وسائل الاجادة . فتراه يهدر بالكلام المسهب فى شتى الموضوعات دون تحديد ، اذ ينتقل فى الخطبة الواحدة من الصلاة الى الزكاة الى الصوم الى الحج .

ثم يترك العبادات ليكر على

الزنا والربا والغيبة والنميمة فى تدفق لا يعرف الانضباط ، وكأن ارتفاع الحنجرة وحدها هو دليل الاصابة والسداد ! السامع المدرك الناقد ضائق بما يسمع أما السامع الغافل فيرى لخطبته أمرا ضروريا لابد منه ، فعليه أن يصبر هادئا وان لم يستفد حتى يفرغ القائل فينهض للصلاة ويمضى ، وبين الخطيب العيى والخطيب الثرثار ، ضاعت فائدة الخطبة الأسبوعية ، وأصبحنا نجد الأمية الدينية صارخة لدى أكثر المستمعين ، وفيهم من سمع ألف خطبة دون أن يجد فيها ما يبدله من فكر الى فكر ! وتلك مأساة .

كنت أستمع ذات مرة الى خطيب جهير السمعة ، طنان الدوى فى بعض مساجد القاهرة الكبرى ، وكان المذياع قد أعد لينقل عنه ما سيقول ، فتوقعت بادىء ذى بدء أن أجد فيه المثال المنشود للخطيب المرجو ، والأنموذج الصالح لمن يسوق الوعظ الهادف ، والخطبة المركزة ، ولكنى وجدته قد بدأ بحمد الله ، وثنى بالصلاة على رسوله ، فاذا انتهى الى القولة الذائعة ــ أما بعد ــ تلا قول الله عز وجل (١) .

(قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ، ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه

---

(١) سورة (المؤمنون) الايات الاولى من (١ ــ ١٤) .

خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) .

ثم بدأ فأخذ يفسر اجماليا معنى فلاح المؤمنين وكيف يخشعون فى الصلاة ، وانتقل الى الاعراض عن اللغو انتقالا سريعا فلم يتحدث عنه بما يركز معناه ويوضحه بالمثال :

وكر على الزكاة فى غير تحديد وانتقل ــ وفقا لتتابع الآيات الكريمة ــ الى صيانة الفروج ومحاربة الزنا ، والى حفظ الامانة وذم الخيانة ــ دون تمثيل كاشف أيضا .

وأعاد الكلام ثانية فى الصلاة حين وصل به القول الى النص القرآنى ، (**والذين هم على صلواتهم يحافظون**) فكرر ما قال من قبل ، والموقف واحد زمانا ومكانا .

وجاءت آية الجنة ، فتحدث عن نعيمها ، وعن ميراث الفردوس ثم انتهى الى خلق الانسان من نطفة بعد السلالة ، ثم مصيره الى علقة فمضغة فعظام فلحم فخلق آخر !!

فيا لله كم طرق من الموضوعات حين ألم بذلك كله كمن يدون عناصر موضوع انشائى على سبورة !

ثم ماذا يستفيد السامع من دقيقة يتحدث فيها الخطيب عن الصلاة ، تتلوها دقيقة أخرى للحديث عن الزكاة ، وهكذا حتى يفرغ من النص !

أنا لا أمنع أن يفسر الخطيب آية كريمة على منبر الجمعة تفسيرا هادفا موجها ، ولكن أوجب أن تكون الآية المختارة مستقلة بغرض واحد ، ليتسع المجال الى شرح معناها ، واظهار دلائلها ، وكشف أهدافها ، والاستضاءة بنورها ، اذ يجب على الخطيب أن يحصر قوله فى مجال حيوى مركز ليجد من الوقت ما يسمح له بالتحليل المقنع ، والتوجيه اللافت ، فيروى ظمأ ، وينقع غليلا ! أما أن يمتد به القول الى أمثال متفرقة من المعانى

دون ايضاح كاشف فهذا ما لا يأتى بطـائل •

لا أنكر أن تقدم الزمن قد هيأ السبيل لانشاء كليات متخصصة فى الدعوة ، بحيث استطاعت أن تخرج نماذج مرجوة ان شاء الله! وقد حقق بعض هؤلاء نجاحا ملحوظا نخالف الحق لو أنكرناه •

ولكن فريقا آخر قد دفع الى الكليات الداعية دون رغبة من ناحية ، ودون رصيد قوى من علوم القرآن والحديث والفقه من ناحية ثانية ، ثم تخرج ليأخذ مكانه ، فآثر الراحة ، واكتفى بما يحفظ من كلام سواه ، دون أن يتيح لسامعه من حرارة الانفعال ما يجعله موصلا جيدا •

واذا استطاعت كليات الدعوة الاسلامية أن تمنح الشهادة ، على التحصيل الجيد ، والحفظ المستوعب فلن تستطيع أن تعطى الدرجة على الايمان الحافز ، والغيرة الملتهبة ، فذلك من صنع الله وحده •

ولنا — بعد — رجاء وطيد فى كل عالم دينى أن يقدر التبعة الباهظة أمام نفسه ووطنه ! وهو بعون الله مرجو مأمول •

د • محمد رجب البيومى

المقالات التى لا تنشر لا تلتزم ادارة المجلة بردها •

ادارة المجلة

الشعر المملوكى مرآة عصره

بقلم السيد حسن قرون

كان المماليك فى مصر نتيجة طبيعية ولدتها تطورات الحكم فى العالم الاسلامى ، فمنذ أسس المعتصم حامية : (سر من رأى) من الترك والأمور تتوالى تلقائيا فى غيبة الوعى ، وكان المعتصم يريد ضرب عنصرى العرب والفرس معا ليتخلص من تنازع السلطة ، ذلك الصراع الذى أدى الى تقاتل الأخوين : « الأمين والمأمون » ، فهو بما فكر ونفذ يريد أن يستريح ويريح ، ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ، فقد عرض سفينة الحكم لرياح هوج ، فلقى أبناؤه وخلفاؤه بعده ما لم يخطر على باله ، من : قتل وسمل للعيون ، وتقسمت الدولة الى دويلات ، وقام بنو بويه ليقضوا على جند : (سر من رأى) وجاء السلاجقة بعدهم ، فكانوا حماة الخلافة العباسية ، وملوك الدولة الاسلامية من شرقها ، وانبثق من السلاجقة تبعا للتوالد « آل عثمان » فى آسيا الصغرى ، « وآل زنكى » فى الشام ، ومنهم ورث « صلاح الدين » حكم مصر والشام واليمن باسقاط الخلافة الفاطمية فى مصر ، وأنشأ الملك « الصالح الأيوبى » مؤسسة المماليك البحرية ، وأنشأ المماليك مماليك من الجراكسة ، فنقلوا السلطة اليهم .

وهكذا : كان تطور الحكم فى تلك الأحقاب والعهود .

وهؤلاء المماليك الذين كانوا جند مصر أظهروا بطولات فى صد

التتار والقضاء على بقايا الصليبيين ، فاعتز بهم المصريون ، وأولوهم الثقة ، وبمرور الايام انقلب الوضع ، فكان المماليك (العبيد) سادة ، والمصريون السادة عبيدا ، « ولم يغلبك مثل مغلب » كما يقول الشاعر القديم ، وكان حكم المماليك على عهديه ظالما غاشما ، لا تظهر فيه العدالة الا الفينة بين الفينة ، لا يردعه دين ولا خلق ، ومن أين لمشرد أن يصون عرضا ، أو يكرم شريفا ؟

وقد انصب ايمانهم على بناء المساجد والمدارس الملحقة بها ، ظنا منهم أنها تقيهم عذاب السعير فى الآخرة « **وما ربك بغافل عما يعملون** » (١) وكانت الحروب بين المماليك من سياسة الحكم ، فما ان يتسلطن أحدهم حتى يتربصوا به الدوائر ، والدوائر فى صليل سيوفهم ، وصهيل خيولهم ، وما هى الا جولة بعد جولة حتى يسقط السلطان أو يقتل الأتابكى ، ويدور النهب والسلب فى بيوت المهزومين ، ويشاركهم الشعب فى النهب والتخريب ، بل هم يشجعون العوام على اقتراف الآثام .

ومن الغريب : أنهم يتلقون شرعية الحكم من الخليفة العباسى ، وهو لا يملك ردعا ولا رأيا ، وكثيرا ما يتعرض الخليفة للسجن أو النفى أو الخلع ، وصار الخليفة اذا كان شاعرا أن يمدح الملوك الحاكم ، أمور عجيبة !!

وحين تقرأ الشعر الذى قيل فى هذا العصر تبتسم وتقطب فى وقت واحد ، فهو شعر يهزأ بأعظم النكبات ، وينزوى عند الطموح ، ومن ثم : كان وقعه هينا على الحاكم والأمير ، وشديدا على القضاة ومن اليهم ممن يتولون الشئون المدنية .

والشعراء الوافدون مثل : « صفى الدين الحلى » يجدون للقول مجالا ، فهم جاءوا ليمدحوا ، وهنا يجدون جزاء مدحهم . أما

---

(١) الآية ١٣٢ سورة الانعام .

الشعراء المحليون مواليد مصر : فكانوا منبوذين ، يكدون ليحصلوا على ما يحفظ حياتهم باتخاذ الحرف سبيلا الى كسب الرزق ، فكان منهم : الحمامى ، والكحال ، والدهان . الى آخر حرف هذا الزمان ، وكانت لهم شاعرية ومذاهب تأبى الا أن تقول ، وما تقوله مرآة لما كان يحدث ، يعبرون عن أنفسهم والمشكلات التى تخيم على وطنهم ، ويتخذون الفكاهة طريقا الى التنفيس عما يجول بخواطرهم .

وفى هذا المقال : أقدم لك نماذج من ذلك الشعر ، وهو ان لم يرضك ابتكارا وجمالا أرضاك دعابة وتفكها ، وكان شعراء الشام يسلكون مسلكهم ، بيد أن الوصف غلب على أساليبهم لتنوع المناظر الخلابة فى بلادهم ، لكن المنهج العام يشملهم ، فيأخذ بعضهم من بعض الى درجة الاتهام بالسرقة ، كما جرى من ابن نباتة الشاعر المصرى ، فقد اتهم صلاح الدين الصفدى (شامى) بالسرقة ، ومن كلامه عن الصفدى : « فلما طال على الأمر فى ذلك ، جمعت كتابا فيما قلته وسرقه منى ونسبه الى نفسه ، وسميت هذا الكتاب : « خبز الشعير » لأنه مأكول مذموم ، وأورد شعرا قاله ، وشعرا قاله الصفدى مقلدا له وزنا وقافية ومعنى أيضا .

ولم يكن الشعر بعيدا عن الحياة فهو منغمس فيها ، ولكنه غير متحمس لها ، تحس فيه الفتور والقصور فى أعظم المواقف .

انظر معى الى الشعر الذى قيل فى انتصار جيش مصر بقيادة الملك الناصر محمد بن قلاوون على التتار ، وكان قائد الجيش التترى : (غازان بن القان) حفيد هولاكو ، حتى أشيع مقتله فى المعركة ثم جاء الخبر بموته ، قالوا : انه مات مسموما ، سمته زوجته ، وكان يريد الثأر لهزيمته ، فقال الشاعر : (علاء الدين الوداعى) :

قد مات غازان بلا علة
ولم يمت فى السنة الماضية
بل شنعوا فى موته
حياء ، ولكن هذه القاضيه

والشاعر هنا ينكت ومسرور بكلمتى « الماضية والقاضية » لما فيهما من جناس ، وهو شاعر قاصر عن تصوير الأحداث وانتصار المصريين سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) ، وكان الشاعر يمكنه أن ينتهز وفاة غازان فيصف المعارك وصفا فيه حرارة وقوة وأصالة ، ويبين البطولات والأساليب العسكرية التى ظهرت حينذاك ، ولكنه اكتفى بتسجيل وفاة غازان سنة ١٣٠٣ م ، وكان الخيال يجعل موته كمدا ، ومن نتائج المعركة دخول هؤلاء التتار فى الاسلام أفواجا . ويسجل « ابن اياس » فى كتابه : « بدائع الزهور » شعرا للعالم الجليل شيخ الاسلام : « تقى الدين بن دقيق العيد » بمناسبة وفاته (١٣٠٤ م) ويختار له ما أبدع فيه من « نوع الجناس التام » قال الشيخ :

تهيم نفسى طربا عندما
استملح البرق الحجازيا

ويستخف الوجد عقلى وقد
لبست أثواب الحجا زيا

ياهل ترى أقضى منى من منى
وأنحر البدن المهاريا ؟

وأرتوى من زمزم فهى لى
ألذ من ريق المها ريا ؟

وشيخنا يتشوق الى الحجاز ليزور الاماكن المقدسة فى مكة والمدينة ، ولكنه فى المقام الأول يعنيه التجنيس فى البيتين الأول والثانى « الحجازيا والحجازيا » والحجازيا فى البيت الأول وصف للبرق وهى كلمة واحدة ، أما الحجازيا فى البيت الثانى فهى كلمتان الأولى الحجا ومعناه : العقل ، وزيا وهو : الهيئة ، وعلى هذا جاء الجناس تاما ومثل هذا يقال فى البيت الثالث والرابع ، فالمهاريا : وصف للبدن ، والمهاريا الأخيرة من كلمتين « المها » : بقر الوحش ، ويعنى : الجميلات العيون من النساء ، « وريا » : سقيا ، وقد تم له جناس تام أيضا ، وهل تشعر بالشوق حقا فى هذا النظم ؟ لو ترك الشيخ نفسه على سجيتها ولم يقيدها بالجناس لأتى بما يطرب ويسلب ، كما فعل شوقى فى قصيدته التى تغنى ، وشتان بين عاطفة وعاطفة ،، وتصوير

وتصوير ، ليس هناك شىء يقيد الشعر مثل رصد كلمة للتجنيس أو التورية ، فهو ذهنى محض ، وان بدا لك شعرا له وزن وقافية •

وفى سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) توقف النيل عن الزيادة فى ميعاده المنتظر ، فرسم السلطان : « الجاشنكير » وكان قد تغلب على آل قلاوون ، فرسم بجمع الضرائب ، والناس فى مثل هذه الحال يصطنعون الغلاء ، فضج الشعب وثار ، وسجل (نصير الدين الحمامى) ما جرى شعرا فقال :

ان عجل النوروز قبل الوفا
عجل للعالم بصفع القفا
فقد كفى من دمعهم ما جرى
وما جرى من نيلهم ما كفى

فى هذا الشعر نكتة تدعوك الى البسمة ، فهو يذكر تعجيل النيروز قبل وفاء النيل ، ويعقب ذلك صفع قفا المصريين وجعلهم عالما بذاته ، ودمعهم كفى والنيل ما كفى ، ألا ترى أنك تبتسم وتحزن معا ؟ وفات الشاعر وهو قادر أن يصنع صنيع العامة ، فيأخذ معنى ما قالوا ويثيرها حربا شعواء على هذا المتغلب ، وماذا قال العامة ؟ قالوا :

سلطاننا ركين
ونائبه دقين يجينا الماء من اين
هاتوا لنا الأعرج
يجى الماء يدحرج •••

وركين هو : السلطان ، ودقين : نائبه (سلار) وكان أجرد فى ذقنه بعض شعرات ، وكان من التتار ، فسماه العوام : « دقين » • أما الأعرج فهو : الملك : الناصر محمد بن قلاوون ، وهو حسن المعاملة مع الشعب ، ولذا هتفوا به ليعود وقد عاد •

ركب السلطان رأسه فقبض على زهاء ثلاثمائة ، ولم تسكن الثورة حتى عاد الأعرج •

وابن نباتة نفسه ، وهو أكبر شاعر ، وله نفس طويل فى الشعر أصابه تقليد العصر ، واقرأ معى قوله يمدح كاتب السر القاضى : « محيى الدين بن فضل الله العمرى » (من سلالة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه) حين

حضر من الشام باستدعاء السلطان له ليتولى منصبه . قال ابن نباته :

يا سائلى عن كاتب السر الذى
يعزى علاه الى أب أواه
هذاك غيث الله محيى الأرض من
بعد الممات ، وذاك فضل الله

كل التعب لأجل التورية فى « فضل الله » والأب الأواه ، هو : عمر بن الخطاب . وهو الغيث . وقد مهد به للوصول الى فضل الله، وماذا على الشاعر لو استقبل الكاتب بما يستحقه ووصف عمله فى الدولة والطريقة التى تناول بها الأحداث فى رسائله ، وابن فضل الله يسره ما قاله الشاعر ، لأنه يحب التورية والجناس ، ونثره يشهد على ذلك ..

نقاد العصر أضاعوا صناعة الشعر والنثر .

ان شعراء العصر المملوكى قادرون ولا شك على انشاء القصائد الطوال لو وجدوا الحافز على ذلك ، ولنا من « البوصيرى » ما يؤيد ما نقول ، فحبه للرسول ـ صلوات الله عليه ـ دفعه الى انشاء القصائد الطوال ، ومنها : « البردة » و « الهمزية » و « ذخر المعاد » ، وقد وقع للشاعر : « ابن الوردى » ما دفعه الى أن ينظم قصيدة فى مبايعة .. كان ابن الوردى عالما فقيها على مذهب الامام الشافعى ، وله مؤلفات منها : « كتاب البهجة » وكان له نظم ونثر . كتب عنه « ابن كثير » فى تاريخه أنه دخل الشام فى هيئة رثة ، وتصادف أن حضر مجلس القاضى ، فكان من جملة شهود مبايعة جرت فى ذلك المجلس ، فقال أحد الحاضرين يسخر منه : أعطوا الشيخ يكتب هذه المبايعة ، فتحداهم ابن الوردى قائلا : نظما أكتب لكم أم نثرا ؟ فزادوا فى السخرية ، وقالوا : بل نظما . فأخذ ورقة وقلما ، وكتب المبايعة شعرا وهذا بعضها :

باسم اله الخلق هذا ما اشترى
محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الأزرق
كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه

بكـورة الغوطـة وهى جامعـة وأشـــهدا عليـــهما بـــذاك فى

بشـــــجر مختلف الأجناس
والأرض فى البيـع مع الغراس
وذرع هـذى الأرض بالذراع
عشرون فى الطـــول بلا نزاع
وحـــدها من قبـله ملك التقى
وجـابر الــرومى حـد المشرق
ومن شـــــمال ملك أولاد على
والغرب ملك عامر بن جهـــل
وهـــــذه تعـرف من قـديم
بأنهـــا قطعـــة بيت الرومى
بيعـا صـحيحا ماضـيا شرعيا

تـم شراء قاطعـــا مرعيـــا
بثمن مبلغـــه من فضـــــه

وازنة جيـــــده مبيضـــــه
جـارية للنـــاس فى المعامله
ألفان منهـا النصـف ألف كامله
وسلم الأرض الى من اشـترى
فقبض القطعـــة منه وجـرى
بينهمـــا بالبـــدن التفـرق

طـوعا ، فما لأحـــد تعلـق
الى أن قال :

رابع عشر رمضـــان الأشرف
من عـام ســــبعمائة وعشره
من بعد خمســـة تليها الهجره
والحمـــد للــه وصـلى ربى
عـلى النبى وآلـه والصـحب
يشـهد بالمضمون من هذا عمر
بن المظفـر المعـرى اذ حضر

وعمر بن المظفر المعرى ــ اسمه ونسبه ــ وان كانت الشهرة : ابن الوردى ، وعجب الحـاضرون من بديهتـــه وحسن ارتجاله ، ومن الطريف أن أحد الشهود واسمه : (أحمد بن رســـول) قال : أنا لا أحسن النظم لأوقـع به ، فكتب عنـه :

قد حضر العقد الصحيح أحمـد
بن رســـول وبذلك يشـــهد

وان كنا لا نعد هذا شعرا لخلوه من عنصر الشعور ، وهو أقرب الى نظم العلوم مـن خيال المنظوم ، الا أننا نأخذه دليلا على المقـدرة الفائقة والشـاعرية المنطلقة التى

تستطيع أن تفيض وتأتى بالسائغ المقبول ، وتظهر قدرة الشـاعر فى ايراد التوثيق الشرعى من تسجيل المتبايعين ، وتحديد قطعة الأرض والثمن ، وشروط تمام المبايعـــة « البائعان بالخيار ما لم يتفرقا » ثم الاشـــهار والتاريخ ، واللغة مطـاوعة له لا ترى نبوا فى اللفظ أو اضطرابا فى القافية .

وهذا الشـعر يحتاج الى عودة ودراسة ، أرجو أن أوفق فى بعثها من مرقدها ، تقديرا للشعر ووفاء لشعراء عصره ، وكشـــفا للجمال فيـه .

السيد حسن قرون

اسرائيل تخشى المد الاسـلامى

فى ندوة عقدت مؤخرا بتل أبيب دعا اليها المركز الثقـافى الأمريكى ومعهد شـيلواح الاسرائيلى وحضرها عشرات من الأساتذة اليهود والأمريكيين لبحث أوضاع المنطقة قال أهارون ياريف رئيس المعهد « ان اسرائيل ستجد نفسـها فى حالة عجز استراتيجى مع تصـاعد المد الاسـلامى الذى بدأ ينتشر فى جميع أنحاء المنطقة » .

الدعوة عدد ٥٣ السنة الثلاثون

التربية الصوفية

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

للصوفية أذواقهم ومناهجهم التربوية نجحوا بها فى تربية الأفراد والمجتمعات ، ولعلهم من أسبق الناس فى معرفة أصول التربية والتعليم . تلك الأصول التى تعود الى الاسلام فى منابعه الأصيلة الثرة ، فهم لم يبتدعوا شيئا ولكنهم ردوا الأشياء الى أصولها واستمروا فى الحفاظ عليها ، فى الوقت الذى غرب الناس وشرقوا يأخذون من هذا ويقبسون من ذاك نظما ومناهج ان صح بعضها فان الكثير منها لا يتناسب وشرقنا العربى وديننا الاسلامى الحنيف الذى ألزمنا بمناهج قويمة ومبادىء كريمة لو اتبعناها لسعدنا ولو تركناها لشقينا . وقد مر بنا قول شاعر الاسلام « محمد اقبال » رحمه الله عن أثر التربية الحديثة فى نفوس الشباب : « ان الشباب المثقف فارغ الأكواب ظمآن الشفتين ، مصقول الوجه مظلم الروح ، مستنير العقل كليل البصر ضعيف اليقين كثير اليأس ... »

الى آخر ما جاء فى مقال سبق عرضه عن روائع أقبال .

علم النفس والتصوف :

وضع الصوفية قواعد لا تزال تعتبر مقياسا سليما من مقاييس التهذيب والسلوك وعلم النفس الذى يعتمد علماؤه المحدثون على النظريات المبنية على التجربة والمشاهدة والتخمين — كان أساتذته الأول هم الصوفية الذين حذقوا هذا العلم

لا بناء على التجربة التى تخطىء وتصيب ، ولكن بناء على الفراسة الصادقة التى ورد فيها أثر كريم يقول « اتقوا فراسة المؤمن فانه يرى بنور الله » وعلى الالهام الصادق والكشف الالهى الذى يمنحه الله لمن يشاء من عباده المتقين .

والفراسة — كما يقول الدكتور أبو الوفا التفتازانى فى كتابه عن ابن عطاء الله السكندرى — « ادراك خاص يهبه الله لمن صفا قلبه من الشواغل والشوائب ، ولا يحيل هذا الادراك من يعرف الصوفى حق المعرفة ، لأن الصوفى اذا جاهد نفسه وقهر شهواته ولازم الذكر فارتقت روحيا الى آفاق جديدة اكتسب قوة ادراكية من نوع غير عادى ، وهذا الادراك هو المسمى اصطلاحا بالفراسة ، وهو عند الصوفية اطلاع مكاشفة ومعاينة القلب للغيوب بنور الله مصداقا للحديث النبوى : اتقوا فراسة المؤمن فانه يرى بنور الله»

ويستشهد على ذلك بقول الشيخ زروق فى كتابه قواعد التصوف « الفراسة الشرعية نور ايمانى ينبسط على القلب حتى يتميز فى نظر صاحبه حالة المتطور فيه من غيره ، بل يميز أحواله فى النظر اليه بحسب أوقاته ولكل مؤمن منها نصيب ولكن لا يهتدى لحقيقتها الا من صفا قلبه من الشواغل والشوائب » .

فليس كالصوفية أحد تمكن من معرفة دقائق النفس وخفاياها ومكامن خيرها وشرها وطرق رغباتها ودسائسها وأسرار نزعاتها ودوافعها حتى لقد وصفوا ذلك وصفا دقيقا يدل على قوة ادراك وسعة عقل ، وألقوا فى ذلك الأبحاث والمطولات ، ونبهوا على ضرورة تهذيب النفس واعتنوا بذلك وأوصوا الانسان بملاحظته فى نفسه وأهله وولده ومريديه ، مشيرين الى واجب كل راع ومسئوليته عن رعيته .

ولقد نبهوا الى ضرورة عناية الأب بأولاده ورعايتهم حتى قبل ولادتهم ، وذلك عن طريق الرعاية للأم والخادم والمخالطين والمعاشرين وأداء كل حق خاص

بهؤلاء • ويشمل هذا الحق بالنسبة للولد حق التسمية وحق التربية وحق القدوة وحق الاسكان والاطعام والانفاق وغير ذلك من أنواع الحقوق والواجبات •

وفى كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى غنية لمن أراد ، وفيه دلالة كافية على مدى ما وصل اليه الصوفية من علم غزير بالنفس الانسانية وما يتصل بها من عقل وروح وطرق تربيتها على أسس سليمة ، ومن ذلك — على سبيل المثال — ما أورده تحت عنوان : بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم : « اعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبى أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله عز وجل : « **يأيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا ٦٦ : ٦** » •

« وصيانته بأن يؤذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعود التنعم ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره فى طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الأبد •• ينبغى أن يراقبه فى أول أمره فلا يستعمل فى حضانته وارضاعه الا أمرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذاوقع عليه نشو الصبى انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ••

« وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغى أن يؤدب فيه مثل الا يأخذ الطعام الا بيمينه وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وألا يبادر الى الطعام قبل غيره وألا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل وألا يسرع فى الأكل وألا يوالى

بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه... الخ » .

وفى مختلف كتب التصوف أبواب وافية تدور حول هذه المعانى وغيرها مما يتصل بالنفس وسياستها ووضع علماء الصوفية مناهج لسياسة النفس وتهذيبها وطرق جهادها ، نقرأ ماكتبه الشيخ حسن رضوان فى كتابه روض القلوب المستطاب فنجده قد تحدث عن النفس والروح ومقام خلافة الروح وما يلزمه من الجند والأعوان ورئيسهم فى ذلك العقل .

ثم تحدث عن سر ايجاد النفس وأنها علوية الأصل ، وسر ايجاد الهوى وجنده والشهوات المغذية للنفس والمدة لها وأن هناك معركة دائرة فى داخل الانسان بين الهوى والروح وميل النفس مع الهوى ، ورسم الطرق التى تتغلب بها الروح فى معركتها المستمرة مع النفس وشهواتها ، ثم يتعرض لمراتب النفس وألوان جهادها فى كل مرتبة حتى تصل الى كمالها المنشود .

ولا نتعرض لرأى المؤلف بقدر ما نتعرض لاثبات قدرة الصوفية على ادراك أسرار النفس ادراكا مبنيا على الكشف والالهام الذى لا يخطىء بهما واحد منهما لأنه مستمد من نور الله جل وعلا .

النزاع بين الروح والنفس :

يقول السيد محمود أبو الفيض المنوفى فى كتابه المدخل الى التصوف الاسلامى : اعلم ـ علمك الله من علمه وأمدك بهدايته ـ أن النفس والقلب والروح خط واحد يمكنك تصوره خطا رأسيا يبدأ بنقطة هى الروح ويتوسط بنقطة هى القلب وينتهى بنقطة هى النفس . على أن تتصور أن النقطة الأولى المبدئية تتجه ناحية الألوهية والنقطة السفلى تتجه ناحية الجسم بغرائزه وما جبل عليه من الصفات الأرضية ؛ وقد أراد الله عز وجل للنفس رعاية تلك الصفات لحفظ الحياة ، فان بالغت فى ذلك وانسجمت مع صفات الجسم كان أعظم مبتغاها الدنيا لا الآخرة وأنانيتها المرتبطة بالجسم وليس الله ولا طاعته ولا

شكره ــ أما القلب ففى درجة بين حالتين : حالة سماوية روحية وحالة أرضية بهيمية ، ولذلك كان القلب محل النزاع بين النزعات الروحية ــ التى تتجه بها الروح الى أعلى ــ وحالة أرضية بهيمية ــ التى تتجه بها النفس الى أسفل ــ ولذلك كان القلب محل النزاع بين الروح والنفس •
وفى مثل هذا الموقف يعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم أدب الدعاء قائلا : يا مقلب القلوب والأحوال حول قلبى الى أحسن حال • وفى حالة سمو القلب وصلاح حاله مع الروح يرتفع صاحبه الى أعلى عليين ويستحق بذلك نظر الله اليه مصداقا للأثر القدسى : ما وسعنى أرضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن •

ويمكن أن نعبر عن القلب بأنه العرش الذى صوره الشيخ حسن رضوان فى كتابه السابق ، وهو فى المملكة التى يتنازع عليها سلطان الروح وسلطان النفس • والروح ــ فى رأيه ــ هو خليفة الله فى أرضه وأقام له مدينة هى الجسم الانسانى وجعل فيها مسكنا للروح وعرشا هو القلب ، ووظف له جنودا تعينه على القيام بشئونه كالعقل وأيده بالفكر والحواس والحفظ والادراك وغير ذلك مما يحتاج اليه ، فالاحساس ينقل عن عالم المثال الى الخيال ، والخيال ما ينقله عن الاحساس الى المفكرة ، والمفكرة بدورها تلقن ما تنقله الى القوة المذكرة ، فينظر الفكر السليم فيما تنقله هذه القوة وينقيه من الأوهام العالقة به ويلقيه الى الادراك ، والادراك ينقله للحافظة فيستقبله العقل بعد ذلك محرضا الروح على استعماله والانتفاع به •

ولكى يؤدى الروح وظيفته فى هذه المدينة الجسمية لابد من أن تكون غير معرضة للضياع ، فلذلك أوجد الله فى الجسم نفسا تطلب اللباس والطعام والشراب والزينة وأوجد لها أعوانا تعينها على ذلك كالهوى وخصه بالشهوة القوية التى لها امتزاج بالعروق والدم ، وأمدها بقوة نارية هى الغضب ، ومن هنا نشأ الصراع بين الروح

والنفس لتفاوت أهدافهماواختلاف أغراضهما ؛ فالروح علوية تطلب العلو والنفس سفلية تطلب الهبوط ، وكل منهما استعان بجنوده للتغلب عن الآخر ، فأيهما غلب استولى على عرش المدينة وهو القلب وسخره فى خدمة أعراضه كما استولى على كافة ما يعين الآخر واستخدمه أيضا فى تحقيق أهدافه ، فاذا غلبت النفس استولت على العقل والقلب وأصبح الانسان بذلك نفسيا شهوانيا مسخرا كافة امكانياته فى خدمة لذاته وشهواته وانحط بذلك الى أدنى درجة من الحيوان « ان هم الا كالأنعام بل هم أضل » ونشأ عن ذلك جميع الصفات المذمومة التى يصير بها الانسان غير جدير بنظر الله اليه .

أما اذا غلب الروح فان النفس تنقاد له وبذلك يغلب الانسان هواه ويتحكم فى شهواته وملذاته ، « **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى** » وفى هذه المرحلة يصدق الأثر الشريف « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » انه بذلك يصبح انسانا علويا ربما ارتفع عن درجة بعض الملائكة .

ربما كانت بعض هذه المعانى غير قاصرة على الصوفية فقد فكر فيها غيرهم — كما يقول الدكتور عبد الحكيم حسان فى كتابه التصوف فى الشعر العربى حيث أورد عن الفرزدق الشاعر العربى وهو ليس صوفيا قولا يدور حول أن الانسان له نفسان احداهما خيرة والآخرة شريرة ، وجعل النفس الخيرة مصدر كل خلق حسن ، والشريرة أساس كل خلق سيىء ، وشعره فى ذلك :

لكل امرىء نفسان : نفس كريمة
وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسيك تشفع للندى
اذا قل من أحرارهن شفيعها

ولعل الفرزوق أتى بهذا المعنى من بعض الآثار الدينية فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : فى الانسان نفس وروح بينهما شعاع كشعاع الشمس .

يؤيد ما قلت فيما تقدم من أن الصوفية لهم معرفتهم بأحوال

النفس ومراتبها وطرق سياستها وتهذيبها وأن الروح والنفس يتنازعان ما أورده السلمى فى طبقاته عن أبى بكر الحسين ابن على بن بزدانيار من قوله « الروح مزرعة الخير لأنها معدن الخير ، والنفس والجسد مزرعة الشر لأنها معدن الشهوة ، والروح مطبوعة بارادة الخير والنفس مطبوعة بارادة الشر ، والهوى مدبر الجسد والعقل مدبر الروح ، والمعرفة حاضرة فيما بين العقل والهوى ، والمعرفة فى القلب ، والهوى والعقل يتنازعان ويتحاربان ، والهوى صاحب جيش النفس والعقل صاحب جيش القلب ، والتوفيق مدد العقل والخذلان مدد الهوى والظفر لمن أراد الله سعادته والخذلان لمن أراد شقاوته » •

وعلى هذا فسر صاحب كتاب التعرف على مذهب أهل التصوف الروح بأنه نسيم طيب يكون به الحياة والنفس بأنها ريح حارة تكون بها الحركات والسكنات والشهوات •

واجب العاقل : والانسان العاقل مطلوب منه على أى حال أن يظل فى وعى تام لما يدور داخل نفسه ، وعليه أن يستمر فى جهاد شهواته والتغلب على وساوسه حتى يصبح مثاليا جديرا بأنه فى معية الله مع المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر بعد أن ينعم فى دنياه بجنة الرضا التى تذوقها بعض العارفين من قوله تعالى « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** » قالوا الحياة الطيبة هى الرضا • وحقا فما أطيب الحياة فى نعيم الرضا عند الله وبالله « رضى الله عنهم ورضوا عنه » •

مراتب النفس : يقول الصوفية: ان المريد فى جهاده نفسه ينتقل من مرحلة الى مرحلة ، وهذه المراحل هى مراتب النفس • وأولها : مرتبة النفس الأمارة بالسوء وهى التى جاء فيها على لسان امرأة العزيز أو يوسف عليه السلام « **وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا مارحم ربى أن ربى غفور رحيم** » •

وهذه المرتبة يتدرج تحتها عامة البشر ، وتظل النفس فيها موسوسة لصاحبها بالشر مرغبة له فى الباطل حتى يوفقه الله الى الانتباه واليقظة ويدله على من يرشده الى سواء السبيل فيلجأ الى التوبة ويأخذ نفسه بالاستغفار والطاعات حتى تقوى بواعث الخير فيه ويشتد اقباله على الله .

وتأتى بعد ذلك **المرتبة الثانية** : وهى مرتبة النفس اللوامة ، وهى التى يقسم الله بها فى قوله تعالى **« لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة »** وهى نتيجة للمرتبة الأولى التى تثمر الزواجر النفسية التى تحذره من الاقتراب من الشر والابتعاد عن السوء ، ويظل الانسان فى تأنيب لنفسه وندم على ما فاته من طاعات . كما يظل فى مراقبة دائمة ومحاسبة ملازمة ويقظة لدوافع النفس ووساوسها حتى يصبح طيعا لفعل الحسن مستجيبا لعمل الصالحات تلقائيا فى مقاومة الذنوب والمعاصى .

وتثمر هذه المرحلة **مرحلة النفس الملهمة** التى يصبح الانسان فيها قادرا على تلقى الفيوضات الالهية قادرا تماما على التمييز بين الخير والشر صادق الفراسة فى معرفة ما يلتبس من الطرق ويشكل من الأمور

لقد أصبح الالهام الصادق دليل المريد فى هذه المرحلة بحيث يمكنه التقدم فى طريقه دون أن يخشى وساوس النفس والشيطان .

ويلى ذلك مرتبة **النفس المطمئنة** التى يخاطبها المولى عز وجل **« يأيتها النفس المطمئنة »** وهى مرتبة تؤهل صاحبها للارتفاع عن مواطن الغرور والانخداع بما يراه من اكرامات تحيط به وعن مواقع الانقباض حين يتعرض للشدائد والنوازل التى تلم به ، ان أنسه فى هذه المرحلة بربه واطمئنانه الروحى يعينه فى كل موقف يتعرض له .

وتأتى **النفس الراضية** كثمرة للاطمئنان القلبى ، حيث تقبل النفس على مقام الرضا الذى تنكشف فيه الحجب وتنبعث

الأنوار ، ويفيض الله على صاحب هذه النفس علما وسعادة بكل مايلقاه ، فى هذه المرتبة — يقول القائل : ليست الكرامة أن تمشى على الماء أو تتربع فى الهواء ولكن الكرامة أن تدخل يدك فى جيبك وقد تعودت أن تجد فيه ماتريد فتخرجها وليس فيها شىء فلاتتأثر ، وفى هذه المنزلة يقول ابن خفيف « الرضا سكون القلب الى أحكامه وموافقة القلب بما رضى الله به واختاره » وفيها تقول رابعة العدوية حين سئلت متى يكون العبد راضيا ؟ : اذا سرته المصيبة كما تسره النعمة — انها حالة أحد الصوفية الذى يقول « أحببت الله حبا هون على كل مصيبة ورضائى بكل بلية » .

والمرتبة السادسة **هى النفس المرضية** وهى التى يقول الله فيها وفيما قبلها « رضى الله عنهم ورضوا عنه » وهى وما قبلها متداخلتان مترتبتان على الاطمئنان القلبى والسموالروحى ، ألا ترى الله جل وعلا يخاطب أصحاب المراتب الثلاث : **يأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ؟**

وهذه المرتبة السادسة من أعلى درجات السلوك ، ويستحق المريد أن يكون فيها خليفة الله فى أرضه لأنه وصل الى الكمال الذاتى . حيث يتحقق بعدها **بالمرتبة السابعة وهى مرتبة النفس الكاملة وهى** درجة الأنبياء ومن على قدمهم من أفراد يختارهم الله ويوفقهم للجهاد الصادق حتى يصلوا الى أقصى درجات الكمال . ان توصيف هذه المراتب دليل على علو كعب هؤلاء الصوفية فى مجال التربية ورغبتهم الصادقة فى الأخذ بيد أبنائهم ومريديهم الى أعظم الغايات ، ويتحقق ذلك بالسمو الأخلاقى والجهاد النفسى .

اختلاف الأذواق فى التربية :

ولكل مرتبة من هذه المراتب ألوان خاصة من المجاهدات والارشادات يتمكن بواسطتها المريد من الانتقال من مرحلة الى أخرى .

الصوفية هم أدرى الناس بما يناسب كل حالة من هذه الحالات ، فلكل انسان ذوقه الخاص وشخصيته المستقاة وخصائصه التى قد تختلف عن غيره قليلا أو كثيرا ، فما يصلح لشخص من المجاهدات قد لايصلح الآخر وما يتناسب مع مرحلة قد لا يتناسب مع أخرى ، وارشاد الشيوخ فى هذه الحالات مبنى على الالهام والمدد الروحى والفراسة الصادقة التى قلما تخطىء • وهذا الارشاد هو الذى يوجه المريد ويأخذ بيده ويضع له الفهم الذى يلائمه •

والصوفية حين يوجهون أنظارهم فى التربية الى النفس انما هو اتيان للبيوت من أبوابها ، فالمفروض أن النفس مصدر كل شر ، وهم لذلك – كما يقول صاحب كتاب التصوف فى الشعر العربى – أقاموا جانبا ضخما من حياتهم الروحية العملية على مجاهدة النفس ومحاربة رغباتها ، وجملة وصف النفس عندهم معنيان : الطيش والشره ، فالطيش عن الجهل والشره عن الحرص ، وهما فطرة النفس ، فمثلها فى الطيش كمثل كرة أو جوزة فى مكان أملس مصوب سكونها بالمنة ، فان أشرت اليها أو حركتها أدنى حركة تحركت بوصفها وهو خفتها واستدارتها ، وصورتها فى الشره المتولد من الحرص أنها على صورة الفراشة التى تقع فى النار جاهلة شرهة وتطلب بجهلها الضوء وفيه هلاكها ، فاذا وصلت الى شىء منه لم تقتنع بيسيره لشرهها فتحرص على الغاية منه وتطلب عين الضوء وجملته وهو نفس المصباح فتحرق •

ومن هنا ارتكزت فلسفة الصوفية فى الأخلاق على محاربة النفس ورغباتها حتى ترتاض وتسكن الى مايغمرها به القلب من نفحات الخير ، وقد بالغوا فى ذلك حتى رأوا تقابلا بين قوة النفس والجسد من ناحية ، وقوة القلب والروح من ناحية أخرى ، وأن أى زيادة فى ناحية منهما تستتبع نقصا فى الناحية المقابلة •

لقد أصبحت المشقة شيئا مقصورا لدى الصوفية فلا وصول

الى درجة الكمال الا بالجهـــاد .
والشاعر الصوفى عمر بن الفارض رضى الله عنه يصور لنا مجاهداته فى قصيدته « نظم السلوك » وكيف تحول بنفسه من مرتبة الى مرتبة ويحض غيره على مجاهدة النفس وتنقيتها فيقول :

ولا تتبع من ســـولت نفســه له
فصـــارت له أمارة واســـــتمرت
ودع ما عداها وأعد نفسك فهى من
عداها وعذ منهــا بأحصن جنــة
فنفسى كانت قبل « لوامة » متى
أطعها عصت أو أعصى كانت مطيعتى
فأوردتها ما الموت أيسر بعضــــه
وأتعبتهـــا كيمـــا تكـــون مريحتى
فعادت ومهما حملته تحملته منى
وان خففت عنها تأذن !؟

ولأن اجتياز هذه المراحل لايمكن أن يتم بدون موجه : اشـــترط الصوفية وجود المرشد والدليل .

يتبع بتوفيق الله .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

« السنة مصدر التشريع »

يرى الفقيه ابن حزم أن قوله تعالى :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » لا يقتصر الحفظ على الكتاب وحده بل يسرى الحكم على الســـنة أيضـــا .

العقلية العلمية في الإسلام

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

العقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم ، وسمى العقل عقلا لانه يعقل صاحبه عما لا يحسن • والعقل فى اللغة : ضد الحمق • ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان عن طريق الملكات الادراكية : العقل • قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين
فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس
وضوء العين ممنوع

والى العقل الفطرى المطبوع ، يشير ماروى الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل » • وكذا ما جاء من ان : « أول ما خلق الله العقل » ••

والى العقل المكتسب يشير ماروى :«ماكسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه الى هدى ، أو يرده عن ردىء » •

ومن أوضح سمات القرآن الكريم التى أثارت انتباه الدارسين من رجال الفكر والباحثين من العلماء هى الاشادة بالعقل ، وتوجيه النظر الى استخدامه،للوصول الى مايفيد الانسانية فى مسيرتها عبر الحياة ••

ويشير القرآن الكريم ، الى العقل ومشتقاته ومترادفاته ومعانية المختلفة فى أكثر من ثلاثمائة وخمسين آية • مستخدما لذلك كل الالفاظ التى تدل عليه أو ترشد

وتشير اليه من قريب أو من بعيد من التفكر والتدبر ، والتذكر ، والحكمة واللب ، والنظر ، والرشد والرأى ، والعلم ، والفقه ، والقلب والفؤاد الى غير ذلك من الكلمات والالفاظ التى تدور حول الوظائف العقلية ، على اختلاف معانيها وخصائها . مما يعتبر ايحاءات قوية بدور العقل ، وأهميته بالنسبة للانسان .

والقرآن الكريم كتاب تبليغ واقناع ، وهداية وارشاد ، يوقظ القلوب ، ويصلح العيوب ويشرح الصدور .. وليس أتم من التوافق بين تميز الانسان بالتكليف وبين خطاب العقل فى القرآن الكريم ، بكل وصف من أوصاف العقل ، وكل وظيفة من وظائفه فى الحياة الانسانية .

يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : « ان الكتاب الذى ميز الانسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذى امتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته وكل وظيفة ، عرفها له العقلاء والمتعقلون . قبل أن يصبح العقل درسا يتقصاه الدارسون كنها وعملا ، واثرا فى داخله ، وفيما خرج منه ، وفيما يصدر منه وما يئول اليه .

العقل وازع يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف ..

العقل فهم وفكر يتقلب فى وجوه الاشياء ، وفى بواطن الامور ..

العقل رشد يميز بين الهداية والضلال .. العقل روية وتدبير .. العقل بصيرة تنفذ وراء الابصار .. العقل ذكرى تأخذ من الماضى للحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لما يكون ، وتحفظ وتعى ، وتبدىء وتعيد . والعقل بكل هذه المعانى موصول بكل حجة من حجج التكليف وكل أمر بمعروف ، وكل نهى عن محظور . أفلا يعقلون ؟ أفلا يتفكرون ؟ أفلا يبصرون ؟ أفلا يتدبرون ؟ أليس منكم رجل رشيد؟ أفلا تتذكرون ؟

ان هذا العقل بكل عمل من أعماله يناط به التكليف ، حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر أنفسهم ، ومن أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء » .

والاشارة الى العقل لا تأتى فى القرآن الكريم عارضة ، ولا مقتضبة فى سياق آية ، بل هى تأتى فى كل موضع ، مؤكدة باللفظ والدلالة .

وتتكرر الاشارة الى العقل فى كل معرض من معارض الأمر والنهى التى يحث فيها الانسان على تحكيم عقله ، أو يلام فيها الفكر على اهمال عقله ولا يأتى تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التى يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة . بل هى تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها .

فلا ينحصر خطاب العقل فى العقل الوازع ، ولا فى العقل المدرك ولا فى العقل الذى يناط به التأمل الصادق، والحكم الصحيح ، بل يعم الخطاب فى الآيات القرآنية ، كل ما يتسع له الذهن الانسانى من خاصة أو وظيفة ..

فالعقل فى مدلول لفظه العام : ملكة يناط بها الوازع الاخلاقى أو المنع من المحظور والمنكر ..

ومن خصائص العقل الانسانى التى تميز بها :

أولا : أنه ملكة الادراك التى يناط بها الفهم والتصور . وهذه الملكة على كونها لازمة لادراك الوازع الاخلاقى ، وادراك أسبابه وعواقبه تستقل احيانا بادراك الأمور فيما ليس له علاقة بالأوامر والنواهى ..

ثانيا : ان العقل يتأمل الأمر ، يدركه ويقلبه على وجوهه ، ويستخرج منه بواطنه وأسراره ، ويبنى عليها نتائجه وأحكامه ..

ثالثا : ومن أعلى خصائص العقل « الرشد » . ووظيفة الرشد فوق وظيفة العقل .

الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم . لأن الرشد استيفاء لجميع هذه الوظائف ، وعليها مزيد من النضج والتمام والتمييز ..

والعقل الذى يخاطبه الاسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ويميز بين الأشياء ، ويوازن بين الأضداد ، ويتبصر العواقب والنتائج ، ويتدبر ويحسن الادكار والرواية .

ومن هذا المنطلق الاسلامى ، تعمق العلماء المسلمون فى علوم الحياة والحضارة الانسانية ، بعقلية عملية ، فكان منهم نوابغ الأطباء والفلكيين والرياضيين والكيمائيين ، وأوائل من اكتشفوا حقائق علمية فى مجالات كانت أول المعالم على طريق الباحثين والدارسين •• وكان العلماء المسلمون ينظرون الى الكون وما فيه : على أنه أمور موضوعة للدراسة والبحث والانتفاع •• ومن الحوادث الدالة على العقلية العلمية الموضوعة فى الفكر الاسلامى ، ما حدث مصادفة أن كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال قوم : ان الشمس كسفت لموت ابراهيم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته » •

وهكذا يقرر الرسول الصادق الأمين ، مبدأ علميا ، ظل أبد الدهر ، هاديا الى طريق الرشاد •

وفى حادثة فيضان النيل بالاقليم المصرى ، موضوعه علمية ، تدل على نظافة الفكر الاسلامى ، وطهارته • وذلك أنه كان الاعتقاد السائد فى مصر قبل الفتح الاسلامى : أن النيل لا يفيض بمائه الا اذا القيت فيه فتاة حسناء لتموت فيه غرقا • فلما حان وقت ذاك • كتب الوالى عمرو ابن العاص الى خليفة المسلمين عمر ابن الخطاب ، فى المدينة المنورة، عاصمة الخلافة الاسلامية يخبره ويستشيره فيما تعود عليه المصريون • فأجابه عمر ، بارسال رسالة يلقيها فى النيل ، وكان فى الرسالة : « من عمر أمير المؤمنين الى النيل • ان كنت تجرى من عندك فلا حاجة لنا بك • وان كنت تجرى بفضل الله ، فاللهم بارك لنا » •

وبهذا قضى المسلمون على اسطورة ليس لها واقع علمى أو عقلى فى الحياة •••

وبالعقلية العلمية ، كانت علوم المسلمين ، هى أساس الحضارة فى

العصر الأول وأخذت الحـركة العلمية تتدرج فى أطوار مختلفة ، حتى فتح المسلمون نافذة واسعة أطلوا منها على حضارات العالم •
وكان المسلمون يعرفون المنهج الاستقرائى حق المعرفة ، وينتقلون من المعلوم الى المجهول ويقومون بدراسة الظواهر ، دراسة دقيقة ، بقصد الانتقال من المعلول الى العلة ••

ولما كان العقل فى الاسلام له هذه العناية الفائقة من التقدير ، فقد اتخذ له الاسلام منهجا فريدا ، فى تحريره ليظل العقل عاقلا ، والفكر راشدا •• وهذا المنهج الاسلامى يقوم على دعائم أساسية من شأنها حراسة العقل حتى لا يضل فى المتاهات الفلسفية ••

ومن شأنها أيضا ترشيد الفكر ، حتى يعمل فى ميادين الخير ، وما يفيد المجتمع الاسلامى والانسانى •

وأول دعامة فى المنهج الاسلامى فى تحرير العقل والفكر هى تحرير الانسان من أصفاد الجهل وظلمته •• لان الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ، ويطفىء نور القلوب ، ويعمى البصائر ، ويميت عناصر الحياة والقوة فى الأفراد والجماعات والأمم •• ويفسد على الناس مناهج الاستقامة ، والسلوك المستقيم •• والجهل هو الذى يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف والبدع والأهواء والخرافات والأساطير ••

والدعامة الثانية فى المنهج الاسلامى •• هى تحرير الانسان من اغلال الحجر العقلى ، وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته تربية اسلامية ، تقوم على حرية الفكر ، واستقلال الارادة • ليكمل بذلك العقل ، ويستقيم التفكير ، وتكمل الشخصية الانسانية •• لان كمال العقل ، واستقامة التفكير ، أساس فى صحة العقيدة وكمال التدين ومعرفة الحق الذى يجب أن يتبع ومعرفة الباطل الذى يجب أن يجتنب •

وقد عنى الاسلام ببناء تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلى

عناية كبرى فجعل البرهان أساس الايمان الصحيح • وبين أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود ، وانذر الذين يجادلون فى الله بغير علم ولا كتاب ، قال تعالى فى سورة الحج •

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » • الآيتان ٨ ، ٩

والدعامة الثالثة فى المنهج الاسلامى •• تحرير الانسان من طاعة الأهواء والانقياد الاعمى لمغرياتها •• لان طاعة الاهواء من أقوى عوامل انحراف الانسان فى سلوكه والتوائه فى نظره وتفكيره ، وهؤلاء الذين يطيعون الاهواء لا يستقيم لهم رأى ، ولا تعتدل لديهم موازين ، ولا يخضعون لحق ليس فى جانبهم ••

ولهذا عنى الاسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى ، ونعى عليهم ضلالهم وانحرافهم ، فقال تعالى فى سورة القصص : **« فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين »** الآيه ٥٠

وعن عبد الله بن عمر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ••

قال الحافظ الأمام ابن حجر : ان الانسان لا يكون مؤمنا كل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهى وغيرها فيحب ما أمر به ، ويكره ما نهى عنه ••

واذا كان من شأن هذا المنهج الاسلامى أن يطهر العقل ، ويقوم الفكر ويسير به فى الطريق المستقيم •• فان الاسلام اتبع ذلك بمبادىء قيمة ، من شأنها أن تصل بالناس الى طريق الحق والهدى والخير والسلام ••

أولا : ان الناس فى الفهم والتفكير وادراك حقائق الأشياء

لن يكونوا متماثلين . ولا متشابهين .. لان الناس علـى درجـات مختلفة ، ومراتب متباينة .. فهناك فـريق من الناس قد لا تهيء له حالاته والظـروف المحيطـة به الا شذرات من المعرفة .. وثمـة فريق آخر لم تعـده وراثتـه الا للسطحى من الأشـياء وكم من الناس من قصرته البيئـة على القشـور من الحقائق ، وكم من الناس من حصرته التربية فى دائرة ضـيقة من المرئيات .. وهناك من سجنته الخرافات والأسـاطير .. ومن الناس من جرفه تيار المادة ، فلم يعد يرى الأشـياء الا بمنظار مادى .. لهذا طالب الاسـلام مختلف المستويات الانسانية بالنظر والتأمل والتفكير فى ملكـوت السموات والأرض ..

قال تعالى فى سورة الغاشـية : **« أفلا ينظـرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الارض كيف سطحت »** .

الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

وقال تعالى فى سورة ق : **« أفلم ينظروا الى السـماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مـددناها وألقينا فيهـا رواسى وأنبتنا فيهـا من كل زوج بهيج . تبصرة وذكـرى لكل عبد منيب »** .

الآيات ٦ ، ٧ ، ٨

وهنـاك كثير من الآيات التى تدعـو الى التفكير والنظـر فى السـموات والأرض وما خلق الله فيهما .. ليصل الانسـان الى الايمان بالله ، فيرتقى الى السمو والكمـال ..

والانسـان بدون ايمان بالله لا قيمة له ولا اعتبار .. ولهـذا نرى المجتمعات المادية والالحادية ، تساق كما تساق السائمة ..

ويسـوقها قطيع من الذئاب البشرية . وقـد حـرمت هـذه المجتمعات من التفكير والنظر ، ولم يعد لأفرادها أى شأن ..

ثانيا : لم يكتف الاسلام بتوجيه الناس الى النظر والتفكر والتدبر . بل اسـتنهض العقول ووجه

الافهام ، وأيقظ الحواس ، ونبه المشاعر ، وذلك بالتعقب على بيان الآيات الكونية والتشريعية والاجتماعية بمثل قوله تعالى فى سورة الرعد : **« ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »** .

ختام الآية ٤

وقوله تعالى فى سورة الرعد الآية ٣ وسورة الزمر الآية ٤٢ وسورة الجاثية الآية ١٣ **« ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** .

وقوله تعالى فى سورة طه : **« ان فى ذلك لآيات لأولى النهى »**

ختام لآيه ٥٤

وقوله تعالى فى سورة يونس : **« ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون »** الآيه ٦٧

وقوله تعالى فى سورة الرعد : **« انما يتذكر أولوا الالباب »** .

الآيه ١٩

ثالثا : بشر الاسلام الذين يستمعون القول فينظرون اليه نظر البصير ، ويتبعون منه ما يدل على الحق ، ويهدى الى الرشد .. كما قال تعالى فى سورة الزمر : **« فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب »** ..

ختام الآيه ١٧ والآيه ١٨

وهكذا نرى أن الاسلام قد عمل على تطهير النفوس من الاغراض الخفية والأهواء الدفينة .. لان ذلك من أكبر العوامل فى اعتدال النظر واستقامة التفكير . ومن هنا كانت حملة الاسلام شديدة على الذين لا يستعملون عقولهم ، وما وهب الله لهم من قدرات ذهنية .. ضاربين فى بيداء الضلال، ومنقادين وراء سراب كل ابدع والاهواء .

واذا كان الاسلام يدعو الى تحرير الانسان من أصفاد الجهل واغلال الحجر العقلى وسيطرة التبعية العمياء ــ كما عرفنا فى دعائم المنهج الاسلامى فى تحرير العقل ــ فان ذلك يعنى أن التقليد الذى ذمه الاسلام . هو التقليد الذى لا يميز بين الخير والشر وتقليد أهل الغواية والضلال .

أما تقليد أهل الحق من الأئمة

والدعاة الذين استمدوا علومهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة .. فهو من قبيل القدوة الواعية .

وحرية الفكر التى دعا اليها الاسلام هى الحرية التى تطلق العقول والافهام من اغلال الحجر العقلى ، والكبت الفكرى ، وتجلى معالم الحقائق ، وتجعل قيادة التوجيه . قيادة بناء واصلاح وارشاد .. تستمد مقوماتها من هدى الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته .

وطريق الفكر قد حدده الاسلام بالقرآن والسنة فيما يتعلق بالقضايا الاساسية والاعتقادية فى حياة الناس .. أما ما سوى ذاك فانه يمكن أن يؤخذ عن طريق الحواس والتجربة والعقل الذى يزن كل معطيات الحواس .. ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطريق بقوله تعالى فى سورة الاسراء :

« ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » الآية ٣٦ .

وهذه الاية تنهى عن اتباع مالم يقم به علم يستند الى حجة سمعية ، أو رؤية بصرية ، أو براهين عقلية ، وهى طرق الاستدلال التى تنحصر فى العقليات والسمعيات والمحسوسات .

لهذا كله أقبل المسلمون على العلم ينشدونه فى مظانه ، ووجهوا عزائمهم على الفكر الاصيل، القائم على توجيهات الاسلام .

واننا نجدهم اهتموا بشىء واحد وعرفوا شيئا واحدا ، هو الاسلام والفكر الاسلامى .. فانتبهوا الى آيات الله التشريعية ، وآيات الله الكونية .. وآيات الله الاجتماعية وآيات الله العلمية والعقلية والحضارية .. ولم يشغلهم عن ذلك ترف الحضارة ، ولم يثن عزائمهم بأساء الحياة .. وأقاموا الحضارة الاسلامية التى تخطت مراحل النهوض فى تاريخ النهوض والامم .

واستطاعوا فى سرعة لم يعهد لها مثيل فى التاريخ أن ينتقلوا من أمة الامية الى أمة العلم والقيادة الفكرية وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم ، وقادة الفكر والرأى ،، ورواد المعرفة والحضارة .

وبحثوا ، ودرسوا ، وأضافوا وجددوا ، وابتكروا ، فكان ذلك النتاج الحضارى الاصيل ، وقد حققوا ذلك على الرغم من الاحداث الماتية التى حملوا أعباءها والحروب الطاحنة التى خاضوا غمارها .

لان الاحداث والخطوب ، وان بلغت ما بغلت ، لاتستطيع أن تقف فى طريق العقائد التى انطوت عليها القلوب ، ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول الى أغراضها وأهدافها .. ولعلنا لا نكون مجانبين للصواب أن نقول انه لاول مرة فى تاريخ الانسانية ترى الدنيا هذه الخطوة الجبارة .

وقد تميزت الحضارة الاسلامية بخصائص ،جعلتها فريدة فى التاريخ وفريدة فى تحقيق ما يسعد الانسانية .. وهذى الخصائص والميزات نجملها فى النقاط التالية :

أولا : الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وافراده بالعبادة والتعظيم والايمان بالله هو الدافع الاساسى للقيم الحضارية ، قال تعالى فى سورة الرعد : « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » الآية ٢٨ والايمان بالله قوة دافعة ، تسند الضعيف أن يسقط ، وتمسك القوى أن يجمح ، وتعصم الغالب أن يطغى ويفجر ، وتمنع المغلوب أن ييأس . وهو يملأ النفوس بالفضائل ويزكيها ويقوم الضمائر ، ويسدد العزائم ، وعماده الرضا والقناعة ، ونور الامل فى الصدور .

ولهذا كرر رب العزة ، النداء فى القرآن الكريم بصيغة « **ياأيها الذين آمنوا** » وخطاب المؤمنين بالذين آمنوا هو أمثل أنواع الخطاب ، ابانة لحقيقتهم هذا الى ما ينطوى عليه من الدلالة على سموهم وفضلهم .

وفى النداء يا أيها الذين آمنوا زيادة ايناس وتكريم ، لان أحب شىء الى الانسان هو أن تناديه بما يدل على سموه ، والله سبحانه وتعالى بهذا النداء ، يشعر المؤمنين بأنه يخاطب أقرب الاشياء منهم اليه . وما فى الانسان شىء أقرب الى الله من الايمان به .

والله حينما يتوجه الى المؤمنين من خلال ايمانهم ، فسيكون التالى تعليما بموجبات هذا الايمان ، وحثا على القيام بها ، فى أى شأن من الشئون ، وفى أى درب من دروب الحياة .. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين فى القرآن الكريم بهذا النداء « **يأأيها الذين آمنوا** .. » فى ثلاثة وثمانين موضعا .. والآيات الثلاث والثمانون فى جملتها ، تبين أن الاسلام قد انطوى على طاقة روحية فعالة ، جعلت منه قوة هائلة .

بل ان فاعلية الاسلام شملت حياة المسلمين فى جميع جوانب الحياة .. وهذه الايات كانت ومازالت أصلا جذريا يمس أساس الاوضاع فى حياة الناس .. والاسلام فيها يراعى حاجة الانسانية ومصالحها الحيوية ، فى حدود الحق والفضيلة والعدل .. والاسلام فيها وليد العقيدة التى تطهر النفس ، وتذكى القلب ، وتربى الخلق وتغذى العقل ، وتوقف الغريزة عند حدها .. وتعطى كل مطمح من مطامح الانسان معناه الذاتى وسيره الطبيعى .

والاسلام فيها : عقيدة استعلاء يبعث فى روح المؤمن الاحساس بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة فى غير اغترار ، والشعور بالاطمئنان من غير تواكل » .

وأثر الايمان يبرز بوضوح فى الحضارة الاسلامية التى غيرت وجه التاريخ .

ثانيا :

ومن الخصائص البارزةللحضارة الاسلامية ، انها تقوم على خلوص النية ، ونقاء الضمير ، والتمسك بقيم الخير والحق ، والتزام الآداب الفردية والاجتماعية .

ومن هذا المنطلق كانت الاخلاق هى الارادة المنفذة ، والضمير الموجه . وجملة ما يراد أن يقال أن الاخلاق التى جاء بها القرآن شملت الحياة كلها من التعاون ، والمودة ، والعفة ، والرحمة ، والاحساس ، والصدق ، والاخلاص ، والاستقامة والنظافة ، والنظام ، والاصلاح ،

والاخاء ، والعفو ، والصبر ، والثبات ، والشجاعة ، وحسن الضيافة ، والتضامن ، والتكامل ، والطهر ، والعفو ، والحب ، والشكر ، والتسامح ، والسلام .

ولم يكتف القرآن بهذا بل تأكيدا لتهذيب الاخلاق وضبط السلوك نهى عن : الاعتداء والعدوان ، والبهتان ، والظلم ، والاختيال ، والبخل والغضب واللمز ، والاثرة والحسد ، والنفاق ، والخداع ، والاسراف ، والمسافحة ، والغش وقتل النفس ، ولغو الحديث ، والكذب وشهادة الزور ، والبطر ، والجبن والخلاعة ، والميوعة ، والابتذال ، والارتخاس ، والنميمة والسرقة ، والخمر والميسر ، والخيانة ، والخصومة ، والسخرية والتنابز بالالقاب ، والتدابر ، والتباغض ، فرسالة الاخلاق فى الاسلام اعلاء كلمة الحق ، واقامة ميزان العدل فى الخلق .

ثالثا :

وفى الاقتصاد تقوم الحضارة الاسلامية على تبادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية ، وفلسفة الاقتصاد الاسلامى ، تستهدف مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة والموازنة والمواءمة بينهما ، وتحدد أهداف النشاط الاقتصادى وفقا لمبادىء الاسلام ، وتقرر فى وضوح أن الانسان خليفة الله فى الارض وبمقتضى هذه الخلافة صار مسئولا عن المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه ومن هذا المنطلق الاسلامى كان الاقتصاد فى الاسلام متميزا عما عداه من المذاهب الاقتصادية بسياسة لا ترتكز على الفرد شأن الاقتصاد الرأسمالى ، ولا على المجتمع شأن الاقتصاد الاشتراكى فان الاقتصاد الرأسمالى يقوم على المنافسة الدنيئة ، والمزاحمة ، والمصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية والحرية المطلقة ... والاقتصاد الاشتراكى يقوم على حيوانية الانسان ، وقتل غريزة التملك ، ووأد كل القيم والفضائل الانسانية أما الاقتصاد الاسلامى فيقوم على رعاية الفرد ، ورعاية المجتمع ، وتضم هذه الفلسفة المتميزة فى اطارها مطالب المادة ، ومشاعر

الروح ، ومكارم الاخلاق •• وفى سبيل هذا الاطار الاقتصادى المتميز حرم الله الربا ، والغش ، والسرقة ، وأكل أموال الناس بالباطل •

وقد أثبت التاريخ أن الذين تربوا فى مدارس القرآن ، هم وحدهم الذين صلحت بهم الحياة واعتدل فى أيديهم ميزان الحق ، والعدل •

ولقد كانت الامة الاسلامية تزدهر بالعلم والحضارة شرقا وغربا ، وتنتشر فيها أرقى الصناعات على اختلافها ، وماتركه المسلمون من تراث علمى ، لاكبر شاهد على ذلك •

أحمد عبد الرحيم السايح

(رجاء الى كتاب مجلة الأزهر)

تسهيلا لعمليات المراجعة : يرجى من السادة كتاب المجلة : التكرم بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة (الترابرايتر) ثم مراجعتها ــ أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية ، وتخريج الأحاديث النبوية ــ والله الموفق •

من سماحة الاسلام في معاملة غير المسلمين

للمستشار محمد عزت الطهطاوي

من المؤسف حقا أن شرذمة من أعداء الاسلام وصمت المسلمين بالتعصب دون برهان أو دليل بل تجنيا وجهالة وكيدا وحقدا منهم على الاسلام وأتباعه من المسلمين •

وما من شك فى أن الاسلام ونحن ندين به يقتضينا أن نرد عنه كيد هؤلاء الحاقدين فنكشف ولو عن شىء من سماحته وكرمه مع المخالفين له فى العقيدة والدين وقبل أن نبين كيف كانت سماحة الاسلام نشير الى شىء من أحوال الأمم التى سبقته من اليهود والرومان مع مخالفيهم فى الدين والعقيدة •

كيف كانت علاقة اليهود مع خصومهم فى العقيدة ؟

لم تعرف اليهودية السماحة فى معاملة خصومها فى العقيدة ويشير الى ذلك العهد القديم من الكتاب المقدس (وهو كتاب اليهود الأول) طبقا لما يلى :

١ — ورد بسفر التثنية فى الاصحاح العشرين من عدد ١٠ — ١٤ قوله (حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها الى الصلح فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك — وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها — واذا دفعها الرب الهك الى يدك فأضرب ذكورها بحد السيف — وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ماف المدينة كل غنيمتها فتلغتنمها لنفسك وتأكل

غنيمة أعدائك التى أعطاك الـــرب الهك ــ هكذا تفعل بجميع المـــدن البعيدة منك جدا التى ليســـت من مدن هؤلاء الأمم هنا .

وأما مدن هؤلاء الشـــــعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ..) .

٢ ــ وقد قتل سبط لاوى أحد شعوب اسرائيل بعضــــا من بنى عمومتهم قدر بنحـــو ثلاثة آلاف رجل يشير الى ذلك سفر الخروج فى الاصحاح ٣٢ عدد ٢٦ ــ ٢٨. فى قوله (وقف موسى فى باب المحلة وقال من الرب فالى فاجتمع اليه جميع بنى لاوى فقال لهم هكـــــذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كـــل واحد ســـيفه على فخـــذه ومروا وارجعـــوا من باب الى بـــاب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحـــد قريبه ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى ووقع من الشعب فى ذلك اليـــوم نحو ثلاثة آلاف رجل) .

٣ ــ وينسبون الى موسى عليه السلام أنه أرسل اثنى عشر ألف رجل من اليهود لمحاربة أهل مدين فلما انتصر اليهود عليهم قتلوا كل ذكر منهم وكذا خمسة ملوك وسبوا نساءهم وأطفالهم ونهبوا جميـــع بهائمهم وجميـــع مواشـــيهم وكل أملاكهم وأحـــرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار ــ وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من النـــاس والبهـــائم وأتوا الى موسى عليه السلام لكنه على حد زعمهم ســـخط منهم لأنهم أبقوا الاناث الثيبات والأطفـــال الذكور ثم أمرهم بقتل كل طفل ذكر وكل امرأة سبق لها الزواج ــ وأن يبقوا فقط على البنات الأبكار وكل ذلك مسطور بتفصيله فى الاصـــــحاح الحادى والثلاثين من سفر العدد من ١ الى ١٩ .

٤ ــ ويذكرون عن داود عليـــه الســـــلام أنه عند حربه لأعدائه لم يستبق منهم رجـــلا ولا امرأة واســـتولى على غنمهم وأبقارهم وحميرهم وجمالهم وثيابهم وقـــد ورد ذلك فى الاصحـــاح الســـابع

والعشرين من سفر صموئيل الأول عدد ٩ .

٥ ـ كما ينسبون الى داود أيضا أنه كان يمثل بمن يحاربهم تمثيلا شنيعا ففى احدى مدن فلسطين وكانت تدعى فى الماضى مدينة رية (أخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفئوس حديد وأمرهم فى أتون الاجر ـ أى أحرقهم ـ وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون ـ وقد وردت هذه الواقعة فى الاصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى عدد٣١ .

كيف كانت علاقة الدولة الرومانية مع المخالفين لها فى العقيدة والمذهب ؟

لما كانت الدولة الرومانية تدين بالوثنية استعملت شتى صنوف العسف والاضطهاد للمخالفين لهافى العقيدة من رعاياها الذين تحتل أرضهم وبلادهم طبقا لما يلى ـ :

١ ـ دأب أباطرة الرومان على التنكيل باليهود خصوصا عند تحركهم للاستقلال فقد أحرقوا هيكل عبادتهم المنسوب الى نبى الله سليمان عليه السلام ودمروا مدينة أورشليم (القدس) على من فيها من اليهود سنة ٧٠ م على يد الامبراطور تيطس الرومانى .

٢ ـ وفى سنة ١٣٥ ميلادية قام الامبراطور الرومانى آوريانوس بازالة معالم مدينة أورشليم (القدس) كما أزال معالم هيكل عبادتهم تماما اذ حرث الأرض وسواها وزرعها وطارد اليهود فى تلك المدينة ما بين قتل وتشريد فلم يبق بها يهودى واحد ورحل من استطاع الهرب منهم الى مصر وشمالى أفريقيا وأسبانيا وأوربا . وأقام ذلك الامبراطور الرومانى مكان الهيكل اليهودى هيكلا وثنيا باسم (جوبيتار) رب الآلهة عند الرومان وأكره ـ من بقى من اليهود على عبادة الامبراطور

٣ ـ ولما اعتنقت الدولة الرومانية ملة النصرانية عملت على فرض النصرانية على اليهود وفى

عهد الامبراطور فوقاس (سنة ٦٠٢ — سنة ٦١٠) طردهم من وظائف الدولة بالاسكندرية وأمر بتعميدهم كرها وقتل من يرفض التعميد منهم ٠

٤ — وفى عهد الامبراطور هرقل (سنة ٦١٠ — سنة ٦٤١) أسهم اليهود فى نصره على سلفه الامبراطور فوقاس وترقبوا أن يكافئهم بتركهم أحرارا فى عقيدتهم فاذا هو أنكى وأقسى عليهم فقد نكث بعهده الذى أعطاه لليهود وقتل منهم عددا كبيرا جدا بمصر وبلاد الشام حتى لم يبق منهم الا من ساعده الحظ بالفرار أو الاختفاء ٠

٥ — ولم يسلم النصارى من ظلم وعسف حكام الدولة الرومانية وكان من هؤلاء بعض المصريين فنكلت بهم سلطات الدولة حتى لقد سالت دماء هؤلاء المصريين بشوارع الاسكندرية سنة ٢٠٢ م ونفت الدولة كثيرا منهم وقتلت آخرين بالسيف أو أحرقتهم بالنار أو الذبح قربانا لآلهة الوثنية سنة ٢٥٠ م ٠

٦ — ولما تولى الامبراطور دقلديانوس عرش الدولة نكل ذلك الامبراطور بأقباط مصر سنة ٣٠٤ م فنفى بعضا منهم وألقى بعضهم للوحوش الضارية فى حلقة الألعاب على مشهد من النظارة الوثنيين — وطوح فى السجون بالآلاف منهم — وهدم كنائسهم ولقد بلغ عدد الذين قتلوا فى عهده نحو (١٤٠) مائة وأربعون ألفا أكثرهم من أقباط مصر — ومازال الأقباط المصريون يذكرون هذا العهد الأسود ويسمونه عصر الشهداء ويتخذونه مبدأ للتقويم القبطى — ويبدءونه بحكم الامبراطور دقلديانوس سنة ٢٨٤١ ميلادية ٠

٧ — وحتى لما دانت الدولة الرومانية بملة النصرانية لم يسلم أقباط مصر من ظلمهم واعناتهم الوحشى لكنهم اصطلوا فى العهد النصرانى للدولة بمثل ما كانوا يصلونه فى عهدها الوثنى ذلك أن كنيسة بيزنطة اعتنقت المذهب

الملكى الذى يقوم على أن للمسيح طبيعتين الهية وبشرية بينما كانت كنيسة الاسكندرية تعتنق مذهب الطبيعة الواحدة أى أن المسيح له طبيعة واحدة .

ولقد حاولت سلطات الدولة الرسمية فرض مذهبها الملكى على أقباط مصر لكنهم رفضوا وأصروا على الاستمساك بمذهبهم فنكلت بهم الدولة وسامتهم صنوف القسوة والعذاب .

٨ ــ لما تولى الامبراطور فوقاس (سنة ٦٠٢ ــ سنة ٦١٠م) أمر بعزل الأقباط من دواوين الحكومة وأن يجبروا على طاعة كنيسة القسطنطينية .

٩ ــ ولما خلفه الامبراطور هرقل (٦١٠ ــ ٦٤١ م) اشتد نزاع الأقباط مع سلطات الدولة ورمى كل فريق خصمه بتهمة الكفر والخيانة فزادت الدولة من غلوائها فى اضطهاد الأقباط حتى لقد خشى بنيامين بطريرك الاسكندرية على نفسه فاختفى عن عيون الدولة مدة عشر سنين ولم يخرج من المكان الذى اختفى فيه الا عندما جاء العرب بقيادة عمرو بن العاص وطردوا الرومان من مصر فرحب به وأعاده الى كرسيه فى بطريركية الاسكندرية آمنا على نفسه وأتباعه من الأقباط .

١٠ ــ والطوائف النصرانية فى مصر كانت تتقاتل فيما بينها قبل الفتح العربى وبعده ذلك أن البطريرك (نيودوسيوس) الملكانى المذهب والذى كان رئيسا لطائفة « الأروام » الحلقورينيين بمصر كان شديد الكراهية للأنبا (أغاثوا) بطريرك الأقباط الارثوذكس لأن الأول كان يريد أن يحتل مكانه على نصارى مصر جميعا فلما عجز عن تحقيق ما يريد حصل على اذن من يزيد بن معاوية بالولاية على نصارى الاسكندرية ومريوط ــ وبلغ من كراهيته للأقباط ولبطريقهم (أغاثوا) أن أمر أتباعه بأن يرجموا الأنبا أغاثوا بالحجارة حتى يقتلوه وتعهد لهم بأنه هو الذى يجيب عنهم فى يوم الدينونة .

١١ — ولقد لقى سكان الامبراطورية البيزنطية مثل مالقى سكان مصر من ظلم وعسف الامبراطور جستنيان الأول — فقد كان شديد القسوة فى معاملة من يدينون بمذهب مغاير لمذهب الكنيسة الملكانية وتوجز آراؤه عن الحكومة فى عبارة موجزة هى (حكومة واحدة وقانون واحد وكنيسة واحدة) ويذكر التاريخ أنه قتل من أقباط مصر فى مدينة الاسكندرية وحدها نحو مائتى ألف ، مما اضطر كثيرين منهم الى الالتجاء الى الصحراء •

وعلى الرغم من أن مخالفى مذهب الكنيسة الرسمية كانوا من رعية الدولة — وكانوا يؤدون ما يؤديه المواطنون من ضرائب وواجبات فقد حرم عليهم التمتع بالحقوق التى يتمتع بها أتباع الكنيسة الرسمية فحرم عليهم الاشتغال بالمهن الحرة — وأمر بهدم كنائسهم — وحظر عليهم الاجتماعات العامة — وأمر بألا تقبل شهادتهم القانونية وبأن تصير وصاياهم باطلة وألا يرثوا ولو كان الميراث بوصية اختيارية أو بغير وصية •

وبهذا أصبح المخالف للكنيسة الرسمية منبوذا من المجتمع واستحال النظام الكنسى الى عسف ثقيل وظلم كبير وكان من نتيجة ذلك أن انفجرت الثورة ضد الدولة وضد الكنيسة معا ولم تنته حتى قدمت من الضحايا عددا قدر بخمسة وثلاثين ألفا من القتلى •

وبسبب هذا الظلم وتلك القسوة المتناهية صاغ جماعة المتذمرين احتجاجا قويا أعلنوه قائلين (لقد فقد العدل من الدنيا ولن يعود — أما نحن فسنعود بل سوف نعود الى الوثنية الاغريقية) •

كيف عامل المسلمون خصومهم فى العقيدة والدين :

بادىء ذى بدء فان المسلمين يدينون بما قضى به الله سبحانه وتعالى لحكمة يعلمها بأن يكون الناس مختلفين فى عقائدهم وأهدافهم وقدرهم العقلية فالذى يريد الناس على الاتفاق فى كل

شيء مناهض لقضاء الخالق سبحانه — يقول جلت كلماته :

١ — **(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ، الا من رحم ربك ولذلك خلقهم)** سورة هود ١١٨ ، ١١٩
ويقول سبحانه :

٢ — **(ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** سورة يونس ٩٩ .

كما يدين المسلمون بأن السعيد هو من شرح الله صدره للاسلام واذا فمن غير المستساغ أن يقوم المسلمون باكراه مخالفيهم على اعتناق الاسلام .. قال تعالى :

١ — **(انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء)** سورة الانعام ١٢٥ .

٢ — **(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام — ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء)** سورة الانعام ١٢٥ .

ومن أجل ذلك أمر الله سبحانه المسلمين بالدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وبالجدل الذى لا يعقب فرقه ولا خصومة.. قال تعالى :

١ — **(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** سورة الكهف ٢٩ .

٢ — **(لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)** سورة البقرة ٢٥٦ .

٣ — **(ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن)** سورة العنكبوت ٤٦ .

ولقد صدع المسلمون بما أمرهم ربهم فلم يسلكوا ما سلكه غيرهم من أتباع الديانات الأخرى باكراه مخالفيهم فى دينهم على عقيدتهم أو اضطهادهم فى أوطانهم وحرياتهم وأرازاقهم بل بالدعوة الى الله بالحسنى والرفق وفى ذلك يقول الله تعالى :

١ — **(أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم**

بالتى هى أحسن) سورة النحل ١٢٥ .

٢ ـ **(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين)** سورة فصلت ٣٣ .

٣ ـ **(فذكر انما أنت مذكر ـ لست عليهم بمصيطر)** سورة الغاشية ٢١ ـ ٢٢ .

لذلك راعى المسلمون روح السماحة التى تبدو فى حسن المعاشرة ولطف المعاملة ورعاية الجوار وسعة المشاعر الانسانية من البر والرحمة والاحسان وهى الأمور التى تحتاج اليها الحياة اليومية ولا يغنى فيها قانون ولا قضاء وهذه الروح لا تكاد توجد فى غير المجتمع الاسلامى .

تتجلى هذه السماحة فى تلك المثل العالية التى ذكرها القرآن الكريم طبقا لما يلى :

١ ـ رغب القرآن الكريم فى مصاحبة الوالدين بالرفق حتى والاحسان ولو كانا مشركين يقول تعالى **(ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير ـ وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا)** سورة لقمان ١٤ ، ١٥ .

٢ ـ كما رغب القرآن فى البر والاقساط الى المخالفين الذين لم يقاتلوا المسلمين فى الدين **(لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)** سورة **الممتحنة ٨ .**

٣ ـ ويصف القرآن الأبرار من عباد الله فيقول **(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)** سورة الانسان ٨ ولم يكن الأسير حين نزلت هذه الآية من المسلمين بل كان من المشركين .

كيف كانت سماحة النبى صلى

الله عليه وسلم فى معاملة غير المسلمين :

١ ـ أمر الله سبحانه رسوله أن يجير المشرك اذا لجأ اليه واحتمى بجواره يقول جلت كلماته **(وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)** سورة التوبة ٦ .

٢ ـ أمر الله النبى والمسلمين بأن يفوا بعهودهم لمن عاهدوهم سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من المشركين يقول تعالى **(وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا)** سورة الاسراء ٣٤ ويقول **(الا الذين عاهدتهم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين)** سورة التوبة ٤ .

٣ ـ عامل الرسول صلى الله عليه وسلم أسرى بدر معاملة حسنة ذلك أنه وزع الأسارى السبعين على أصحابه وأمرهم أن يحسنوا اليهم فكانوا يفضلونهم على أنفسهم فى طعامهم .

ثم استشار أصحابه فى شأنهم فأشير عليه بقتلهم وأشار عليه آخرون بفدائهم فوافق على الفداء ـ وجعل فداء الذين يكتبون أن أن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة .

٤ ـ وأشير عليه أن يمثل بسهيل بن عمرو أحد المحرضين على محاربة المسلمين بأن ينزع ثنيتيه السفلتين فلا يستطيع الخطابة فرفض النبى صلى الله عليه وسلم وقال (لا أمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا) .

٥ ـ ولما فتح مكة قال لقريش (ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لى ولكم).

٦ ـ وفى غزوة بنى المصطلق أطلق سراح أسراهم بعد أن نصره الله عليهم .

٧ ــ وفى غزوة خيبر حيث استعمرتها بعض قبائل من اليهود نكثوا عهدهم مع المسلمين وحرضوا المشركين العرب على حرب النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين بل وانضموا الى المشركين فى حربهم ــ ومع ذلك فبعد انتصار المسلمين عليهم منعهم من أن يدخلوا بيتا من بيوت اليهود الا باذنه ونهاهم أن يضربوا نساء اليهود أو يعتدوا على أثمارهم .

٨ ــ وقد روى محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الى أهل مكة مالا لما قحطوا ليوزع على فقرائهم على الرغم مما قاساه هو وأصحابه من أهل مكة من أذى قبل الهجرة وحرب منهم بعدها .

٩ ــ ولقد خص النبى صلى الله عليه وسلم على التسامح وحببه الى المسلمين للمخالفين لهم فى العقيدة بقوله وبفعله .

(أ) يقول عليه الصلاة والسلام (من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) رواه الدارمى .

(ب) أمر الا يجبر أحد من النصارى أو اليهود على ترك دينه فقد كتب الى عامل له فى اليمن (من كان على يهودية أو نصرانية فلا يفتتن عنها) .

١٠ ــ عقد النبى صلى الله عليه وسلم معاهدة مع قبيلة تغلب سنة ٩ هجرية وكان الاسلام قد قوى ودانت جزيرة العرب أباح لهم فيها البقاء على نصرانيتهم .

١١ ــ صالح نصارى نجران وتركهم أحرارا فى محافظتهم على دينهم .

١٢ ــ وجه عماله الى اليمن لأخذ الجزية ممن أقام على نصرانيته .

١٣ ــ كان المجوس منبثين فى بقاع شتى من جزيرة العرب ــ منهم مجوس نجران وهجر وعمان والبحرين وهؤلاء جميعا بقوا على دينهم ودفعوا الجزية كما دفع

الجزية من بقى من اليهـــود على دينه فى الجزيرة العربية ٠

١٤ ــ وكان عليه الصـــلاة والسلام يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم ويواســيهم فى مصـــائبهم ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التى يتبادلها أهل المجتمع الواحد الذين يشـــغلون مكانا مشتركا ــ كما كان يعود مرضاهم ٠

١٥ ــ كما روى أبو عبيـــد فى الأموال عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصـــدق بصدقة على أهل بيت من اليهود فهى تجرى عليهم ٠

صور من سماحة الصديق أبى بكـر زمن خلافتـه :

١ ــ لما أنفذ أبو بكر الصديق رضى الله عنه جيش أسامة بن زيد الى بلاد الشـــام بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وأثر توليه الخلافة أوصاه بالوفاء لمن يعاهدهم وبالرحمة فى الحرب ــ وبالمحافظة على أمـــوال الناس ــ وأن يترك الرهبـــان أحـــرارا فى ديارهم وصـــوامعهم وقال له (لا تخونوا ولا تغـــدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شـــيخا ولا امرأة ولاتعقروا نخلا وتحرقوه ولا تقطعوا شـــجرة مثمرة ــ ولا تذبحوا شاة ولا بعيرا الا للأكل ــ واذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم فى الصـــوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له) ٠

٢ ــ وفى زمن خلافته عاهـــد خالد بن الوليد أهل الحيرة عـــلى الا يهدم لهم بيعة ولا كنيســـة ولا قصرا يتحصنون فيه ــ وعلى الا يمنعوا من ضرب نواقيســـهم أو اخراج الصلبان فى يوم عيدهم ــ على ألا يعينوا كافرا على مسلم ــ وألا يتجســـوا للكفار على المسلمين ــ ونص فى هذه المعاهدة على أن الجزية يعفى منها الشيخ الذى عجز عن العمل أو أصـــابته عاهة أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصـــدقون عليه وليس ذلك فحسب بل يعـــال هو وأولاده من بيت مال المســـلمين ما أقام بدار الاسلام ٠

صور من سماحة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب :

١ ـ كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه على شدته مع المسلمين ـ رفيقا بأهل الكتاب فقد نصح سعد بن أبى وقاص لما أرسله الى حرب الفرس بأن يبعد معسكره عن قرى أهل الصلح والذمة حتى لا يصابوا بشرور الحرب وألا يسمح لأحد من أصحابه بدخولها الا اذا كان على ثقة من دينه وحسن خلقه وأوصاه ألا يأخذ من أهلها شيئا لأن لهم حرمة وذمة يجب على المسلمين الوفاء بها ـ وحذره من أن تضطره حرب أعدائه الى ظلم الذين صالحوه .

٢ ـ أوصى أبا عبيدة بن الجراح بقوله (وامنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحقها ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم) فحقق أبو عبيدة ما أراد عمر وعاهد أهل الشام معاهدة سمحة .

٣ ـ وأعطى عمر رضى الله عنه أهل ايلياء أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وألا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها وأنهم لا يضطهدون بسبب نصرانيتهم ـ ولا يضار أحد منهم ولا يكرهون على دينهم ولا يسكن بايلياء أحد معهم من اليهود وعلى أن أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ـ وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا أمانهم ومن أقام منهم آمن ـ وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء أن يسيروا بأنفسهم وأموالهم الى الروم ويخلوا بيعهم وصلبانهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم .

٤ ـ وكتب عمر رضى الله عنه لأهل اللد أمانا مثل الامان السابق بيانه .

٥ ـ ولما حانت الصلاة وهو فى كنيسة القيامة عندما كان ببلاد

الشام طلب البطريق من عمر ـ أن يصلى بها لكنه اعتذر بأنه يخشى أن يصلى بالكنيسة فيدعى المسلمون فيما بعد أنها مسجد لهم فيأخذوها من النصارى وصلى على درجة خارج الكنيسة وكتب للمسلمين كتابا يوصيهم فيه بألا يصلوا على الدرجة التى صلى عليها الا واحدا واحدا غير مؤذنين للصلاة وغير مجتمعين .

٦ ـ وفى زمن خلافته عاهد خالد ابن الوليد أهل دمشق على الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم ولا يعرض لهم الا بخير اذا أعطوا الجزية ـ لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء والمؤمنين .

٧ ـ ولما فتح عمرو بن العاص والمسلمون مصر أبقوا العمال النصارى فى وظائفهم ولما أتم فتح مدينة الاسكندرية صالح حاكمها على تقديم الجزية الى المسلمين وأن يخير الأسرى بين الاسلام والبقاء على دينهم فمن اختار منهم الاسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ـ ومن اختار دين قومه وضع عليه الجزية ما يوضع على أهل دينه .

٨ ـ ولما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب اثر طعنة بمعرفة المجوسى أبى لؤلؤة أوصى الخليفة من بعده وهو يجود بروحه برعاية أهل الكتاب وأن يفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يجعل ديارهم ميدانا للحرب وألا يكلفهم فوق طاقتهم رغم أن القاتل له كان من أهل الذمة .

٩ ـ ولما فتح المسلمون بلاد أذربيجان سلكوا مع أهلها مسلك السماحة لذلك فقد نص فى الصلح معهم على الا يقتل المسلمون أحدا من أهلها ولا يأسروه ولا يهدموا بيتا من بيوت النار .

١٠ ـ وفى عهد الامويين توسع معاوية فى الحاق النصارى بخدمته فكان له طبيب نصرانى هو ابن آثال ـ وقد كافأه معاوية بوضع

الخراج عنه بل وولاه خراج حمص وكان الاخطل الشاعر النصرانى شاعر البلاط كما كان يوحنا الدمشقى مستشارا لعبد الملك بن مروان واختار عالما نصرانيا من مدينة الرها يدعى اثناس مؤدبا لأخيه عبد العزيز بن مروان ولما عين عبد العزيز واليا على مصر رافقه أستاذه النصرانى وجمع من مصر ثروة عظيمة جدا .

١١ — وفى عهد سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموى عهد بالاشراف والنفقة على بناء مسجد الجماعة فى بلده الرملة فى فلسطين الى كاتب نصرانى يقال له (البطريق ابن النقا) .

١٢ — وكان من هؤلاء الذميين من يدعى (اثنا سيوس) شغل بعض المناصب الحكومية فى مصر زمن الأمويين حتى بلغ مرتبة الرئاسة فى دواوين الاسكندرية .

١٣ — وفى عهد الدولة العباسية استعمل الخليفة أبو جعفر المنصور يهوديا اسمه (موسى) كان أحد اثنين فى جباية الخراج .

١٤ — كما عين الخليفة العباسى عبد الله المأمون أحد نصارى مدينة يقال لها (بورة) من مدن مصر وقتئذ وكان يدعى (بكام) رئيسا لبلدتها واقليمها .

١٥ — وقد تولى الوزارة فى زمن العباسيين بعض النصارى أكثر من مرة منهم نصر بن هارون ويسوع ابن نسطوروس النصرانى .

١٦ — وجرت الدولة العثمانية على سنن الدول الاسلامية التى سبقتها فكانت تسند الوظائف المختلفة الى كثير من الذميين حتى لقد كان أكثر سفرائها فى بلاد الاجانب من النصارى ولكثرة اسناد الوظائف العامة الى الذميين فى الدولة الاسلامية قال آدم متز أحد مؤرخى الغرب : (من الامور التى تعجب بها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين فى الدولة الاسلامية) .

كيف فقه علماء المسلمين سماحة الاسلام فى أحكامهم على أهـــل الذمة :

١ – روى ابن أبى شسيبه عن جابر بن زيد أنه سئل عن الصدقة فيمن توضع فقال فى أهل ملتكم من المسلمين وأهل ذمتهم وقد ذكـر ذلك الامام ابن حزم فى كتـــابه المحلى .

٢ – ويذكر الامام شهاب الدين القراف شيئا من معنى البر الــذى أمر الله به المسلمين فى شــــأنهم فيقول (الرفق بضعيفهم – وسد خلة فقيرهم واطعام جائعهم وكساء عاريهم ولين القول لهـم – دون خوف أو ذلة – واحتمال اذايتهم فى الجوار لطفا منا بهم لا خـوفا ولا تطيعا – والدعاء لهم بالهداية – وأن يجعلوا من أهل السعادة – ونصيحتهم فى جميع أمـورهم فى دينهم ودنياهم وحفظ غيبتهم اذا تعرض أحد لأذيتهم – وصـون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم – وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم) .

أساس نظرة التسامح التى تسود المسلمين فى معاملة مخـالفيهم فى الدين :

ان أساس هذه النظرة يرجـع الى الافكار والحقائق التى غرسها الاسلام فى عقول المسلمين وقلوبهم وأهمها :

أولا : اعتقاد كل مسلم بكـرامة الانسان أيا كان دينه أو جنســـه أو لونه يقول جلت كلماته (**ولقـد كرمنا بنى آدم**) سورة الاسراء ٧٠ وهذه الكرامة توجب لكل انســان حق الاحترام والرعاية .

ثانيا : اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس فى الدين واقع بمشيئة الله تعالى فقد منحهم حرية الاختيـار فيما يعتقدون يقول تعالى :

(أ) (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) سورة الكهف ٢٩ .

(ب) (**ولو شاء ربك لجعـل الناس أمة واحـدة ولا يزالون مختلفين**) سورة هود ١١٨ .

ثالثا : ليس المسلم مكلفـــا أن

يحاسب الكافرين على كفرهم أو يعاقب الضالين على ضلالهم فهذا ليس اليه وليس موعده هذه الدنيا انما حسابهم الى الله فى يوم القيامة وجزاؤهم متروك اليه فى يوم الدين يقول سبحانه وتعالى :

(فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ــ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ــ وأمرت لأعدل بينكم ــ الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم ــ الله يجمع بيننا واليه المصير) سورة الشورى ١٥

رابعا : ايمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل ويحب القسط ويدعو الى مكارم الاخلاق ولو مع المشركين ويكره الظلم ويعاقب الظالمين ولو كان الظلم من مسلم لكافر قال تعالى **(ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)** سورة المائدة ٨

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح أبواب السماء ويقول الرب وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين) رواه الترمذى بسند حسن (١) .

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

---

(١) هو جزء من الحديث الذى رواه الترمذى ونصبه : (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لاترد دعواتهم: الصائم حتى يفطر ــ والامام العادل ــ ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين) .

دراسات قرآنية :

فى ملكوت السموات والارض

للاستاذ على عبد العظيم

« أو لــم ينظروا فى ملــكوت السموات والارض ومــا خلق الله مــن شىء »

(صدق الله العظيم)

ذكرنا ــ فيــما ســبق ــ أن القرآن الكريم يضم اشارات علمية عديدة ، وأن أسلوبه البلاغى يعطى معــانى عــديدة متنوعة للجمــلة الواحدة ، ونستطيع أن نسوق مثلا آخر لجملة واحدة تعددت فيهــا المعانى التى يحمل بعضها الطابع القديم ، وبعضها الطابع الحديث .

ونرى هــذا واضــحا فى قوله تعالى : **« هو الــذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا ، وما يتذكر الامن ينيب »** سورة غافر آية ١٣ فاللــه سبحانه يرينا آيــاته حينا بعد حين ، وجيلا بعد جيل ، وينزل لنا مــن السماء رزقا ، ولا يعرف آيات الله العديدة ، ونعمه الجزيلة ، ولا يتذكرها الا من آمن بالله ، ورجع اليه بالانابة والمتاب فما هو الرزق المنزل من السماء ؟

يقول المفسرون القــدماء : أنه ماء المطر ، وهو رزق لا شك فيه ، لأنه يحفظ علينا حياتنا ، كما يحفظ حياة عالم الحيوان وعالم النبات ،

ونستطيع أن نضيف معــــانى عديدة توضح هذا الرزق .. منها الأشعة الحرارية التى تصلنــــا باعتدال من الشمس ، فلو انقطعت عنا لمات جميع الأحياء من البرودة، ولتجمدت ميــاه المحيطات والبحار والأنهار .. ولو زاد مقدارها عما هو عليه الآن لتبخرت المياه جميعا،

ولهلكت جميع الكائنات التى تنعم الآن بالحياة !؟

— ومن الرزق المنزل علينا من السماء .. الأشعة الضوئية التى يتوقف عليها بقاء عالم النبات عن طريق التمثيل الضوئى « الكلوروفلى » والأشعة الضوئية هى التى تضىء لنا فجاج الأرض نهارا ، وتتيح لنا السعى فى مناكبها طلبا للرزق ، ومحافظة على الحياة !؟

— ومن الرزق المنزل من السماء رماد الشهب التى تتساقط على الأرض وتبلغ أعدادها عشرات الملايين فى كل يوم فتحترق حين ملامستها للغلاف الجوى ويسقط رمادها على الارض ، فيزيد التربة خصبا وصلاحية للانتاج والاثمار!؟

— ومن الرزق المنزل من السماء غاز ثانى أوكسيد الكربون الموجود فى الغلاف الجوى ، والذى تتوقف عليه حياة النبات ، وكذلك غاز الأوكسجين الذى تتوقف عليه حياة الانسان ، والحيوان ، والنبات !؟

— ومن الرزق المنزل من السماء غاز النتروجين (الأزوت) الذى يهبط من الجو على الأرض فيزيدها خصبا ، ونحن الآن نستخلصه كيماويا من الهواء ونحوله الى سماد صناعى ينتج لنا أطيب الثمرات !؟

— ومن الرزق المنزل من السماء : رزق روحى معنوى : هو الكتب المنزلة على الرسل الكرام ، لهداية البشر ، واخراجهم من الظلمات ، ظلمات الجهالة .. الى نور الهداية والرشاد والعرفان !؟

— ومن الرزق المعنوى الروحى : أن الله يحفنا برضوانه ، وينشر علينا رحماته فيحفظنا من الشدائد وينقذنا من الأزمات « **وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ، وهو الولى الحميد** » سورة الشورى آية ٢٨ .

— ولهذا وجهتنا الآية الكريمة الى أن نفزع الى الله مخلصين له الدين « **فادعوا الله مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون** » .

— والنتيجة أن القرآن الكريم لا يفسره عالم واحد ، ولا جيل واحد ، وكلما اتسعت فنون الثقافة العلمية كشفت لنا من آيات الله

البينات ما لا يخطر لنا على بال !؟

« **وقل : الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها** » سورة النحل آية٩٣ •

« **سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** » سورة فصلت آية ٥٣ •

ــ ومن كل ما سبق يتضح لنا أن القرآن الكريم حافل بالاشارات العلمية العديدة ، التى تلفت أنظارنا الى آيات الله الكونية المتجلية فى أرجاء الأرض وآفاق السموات •• وأن الاستعانة بالدراسات العلمية تعيننا على التعمق فى فهم آيات القرآن الكريم !؟

ــ ولكن التفسير العلمى للقرآن ينبغى أن تكون له ضوابط دقيقة ، ومناهج قويمة سليمة ، تلتزمها فى كتابة هذا التفسير ، حتى لا نضل السبيل فنضيف الى القرآن الكريم مالا تحتمله كلماته من معان تأباها العربية كل الاباء •• ويمكن ايجاز هذا المنهج فيما يلى ــ :

أولا : علينا أن نتثبت بكل وسائل التثبت ، من حقيقة الكشوف العلمية قبل أن نقحمها اقحاما على القرآن الكريم •• بمناسبة أو غير مناسبة •• فلا نأخذ الا بالحقائق العلمية الثابتة ، لا بالنظريات ولا بالآراء ، ولا بالفروض العلمية !؟

ــ ولتوضيح هذا : نذكر أن هناك حقائق علمية ثابتة يؤمن بها جميع العلماء ، مثل القوانين العلمية المعروفة ، ومنها •• أن المعادن تتمدد بالحرارة ، وتنكمش بالبرودة •• وأن الماء تحت الضغط الجوى العادى يتبخر فى درجة مائة سنتيجراد ، ويتجمد فى درجة صفر •• وأن الأجرام الفلكية ، ومنها •• الأرض تدور حول محورها !؟

ــ أما النظريات العلمية فانها تتكون من عدة حقائق ، اذا جمعناها ونسقنا بينها ــ فاننا نخرج منها بنظرية علمية عامة ، مثل « نظرية النشوء والارتقاء » ولكننا قد نكتشف بعد حين أننا أخطأنا فى عملية التنسيق والتركيب كما يخطىء صانع الساعات ، والراديو ، والتليفزيون ــ فى

تركيب أجزاء الآلة فـلا تدور .. وهنـا تنهـار النظريات العلمية ، وتتبدل من جيل الى جيل !؟

ـ ان نظرية التطور ، أو أصل الأنواع فيها .. فجوات عديدة ، وحلقات مفقودة ، وفيها .. طفرات لانستطيع تعليلها ـ وقد نعود الى مناقشة هذه النظرية بالتفصيل ـ ولهذا كان من الواجب علينـا ألا نأخذ بالنظريات العلمية فى تفسير القرآن الكريم ، واذا استعنا بهـا فلمجرد الاستئناس ، لا التقرير ؟

ـ أما الآراء العلمـية ، فهى : وجهـات نظر ، تختلف باختـلاف العلماء ـ وأما الفروض العلمية ، فهى : ظنون ، نحاول بها تفسـير بعض الظـواهر التى نعجز عـن تعليلهـا ـ والآراء والفـروض العلمية ، هى : أفكار مجـردة لا تقوم على أساس علمى متين !؟

***

ثانيا : علينا أن نراعى مدلول الكلمات القرآنية ، فلا نضيف اليها معانى جديدة ـ لم نعرفها من قبل ـ فان القـرآن الكـريم نزل «.. **بلسان عربى مبين**» ٢٦ : ١٩٥ « **انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم** » سورة الزخرف آية ٣ ، ٤ .

ـ وعلينا أن نعود فى تحـديد الكلمات القـرآنية الى المعـاجم اللغوية العديدة ، وقد نرى للكلمة معنيين أخذ القدماء بأحدهما ، ولا مانع أن نأخذ نحن بالمعنى الثـانى اذا نصت عليه المعاجم المعتمدة .

ونستطيع أن نضرب لهذا مثالا توضـيحيا .. فان الله تبـارك وتعالى يقول : « **والأرض بعد ذلك دحاها** » سـورة النازعات آيـة ٣٠ . فـاذا رجعنـا الى المعاجم اللغوية وجدنا (الدحو) بمعنى : البسط وبهذا أخذ القدماء ـ ويزكيهم فى هذا قوله تعـالى « **والله جعل لكم الأرض بسـاطا لتسـلكوا منهـا سـبلا فجاجا** » سـورة نوح آية ١٩ ، ٢٠ . أى جعـلها صـالحة للسـير عليها والانتقال فى أرجائها : سواء فى البحار والمحيطات عـن طريق السفن ، أم فى السهول والصحارى عن طريق الخيل والبغال والحمير

والجمال ـ ثم عن طريق السيارات والقطارات ، أم فى الهواء عن طريق الطائرات ـ وبهذا تميزت الأرض عن القمر ، فانه من العسير السير عليه ، لكثرة الفوهات البركانية فيه والجبال الشاهقة الارتفاع ، والوديان البعيدة الأعماق ـ **وبهذا الانبساط فى** الأرض أتاح الله لنا أن نسلك فيها سبلا فجاجا •• وأن نمشى فى مناكبها ابتغاء لفضل الله !؟

***

ـ وليس معنى انبساط الأرض أنها غير كروية ، فان القرآن الكريم يقرر فى موضع آخر كرويتها ، بما لا يحتمل أى شك أو ارتياب •• وذلك فى قوله تعالى **« يكور الليل على النهار ، ويكور النهار على الليل »** سورة الزمر من الآية ٥ •

ـ وقد نعود الى شرح هذه الآية فى مقال تال ان شاء الله !؟

***

ـ **وللدحو** •• معنى آخر ذكرته كتب اللغة ، وهو الدفع والرمى ـ يقال : دحا الصبى الكرة : رماها ـ ودحا بيده الماشية : دفعها وساقها أمامه •

والمدحاة : خشبة يدفعها الصبى فتندفع على سطح الأرض •• لا تأتى على شىء الا دفعته •

والمدحاة لعبة يلعب بها أهل مكة ، وهى أحجار كالأقراص ، تحفر حفر بقدرها ، ثم يدفعونها لتقع فى الحفر المعدة لها •• فاذا نجح الدافع فى ذلك كسب اللعبة • (وهى تشبه لعبة الجولف الآن)

وبهذا المعنى اللغوى نأخذ نحن فى التفسير العلمى الحديث ، فنقول فى معنى : **« والأرض بعد ذلك دحاها »** • أى دفعها فى مدارها حول الشمس •

ـ وكلا المعنيين : القديم والحديث صحيح ، على أن بعض الكلمات اللغوية تحمل أكثر من معنيين •• ولنا أن نختار من المعانى ما يناسب السياق القرآنى دون تكلف أو افتعال •

ـ ومن خير المعاجم اللغوية « لسان العرب لابن منظور المصرى » و « تاج العروس فى شرح القاموس للزبيدى » •

ومن المعاجم المهمة فى هـــذا المجال •• معجم خاص بالقــرآن الكريم ألفه العــالم ، اللغــوى ، الكبير ، مجد الدين الفيروز ابادى وسماه « بصــائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز » وقد طبعه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة فى ستة مجلدات ضخمة ، بتحقيق الشيخ محمد على النجار•

ــ كما أصــدر مجمــع اللغــة العربية بالقاهرة : كتاب « معجم ألفــاظ القــرآن الكريم » فى ستة أجزاء •

ــ وينبغى أن نأخذ فى الاعتبار: أن الكلمة العربية قد يكون لهــا معنى حقيقى ، كما يكون لها معنى اصطلاحى ، وقد يكون لهــا معنى مجازى ــ وعلى الباحث أن يرجع فى الأخــذ بالمعانى المجــازية الى معجم كتاب « أســاس البــلاغة للزمخشرى » وقد طبع فى القاهرة، فى جزءين كبيرين ، فى أكثر مــن ألف صفحة ، وقد عقب عليه العلامة (ابن حجر العسقلانى فى معجمة : « غراس الأســـاس » ولا يزال مخطوطا ــ حتى الآن ــ على أننا لا نأخذ بالمعنى الاصطلاحى ، أو المجازى ، الا اذا تعذر علينا الأخذ بالمعنى الحقيقى للكلمات !؟

***

ثالثا : بعض الباحثين تحمـــله حماسته للبحث العلمى عــلى أن يقحم كل كشف علمى فى تفسيره للقرآن الكريم ، وهذا خطأ كبير ، فان القــرآن الــكريم ليس دائرة معارف علمية ، وانما يلفت نظرنا الى بعض الحقائق العلمية ، التى تدلنا على قدرة الله ، وعلى عظمته وعلى ابداعه •

وعــلى أنه « **خلق فســوى** » سورة الأعلى من ٢ •

« **وأنه أعطى كل شىء خلقه ثــم هدى** » •

وأنه « **أحسن كل شىء خلقه** »

وينبغى لنــا أن نعـــرف أن معلومات الانسان ومعارفه لـــم تتناول الا قليلا جدا مما خلق الله•

« **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » سورة الاسراء من الآية ٨٥ •

و « **فوق كل ذى علم عليــم** »

ــ ولهذا كان علينا أن نقف عند حدود ما نعلمه مما علمنا الله اياه ،

وكان علينا الا نقحم عقولنا فيما لا تستطيع عقولنا أن تدركه ، وأن نسلم الأمر لله ، الذى أحاط بكل شىء علما « **انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما** » سورة طه آية ٩٨ .

ــ ونحن لا نزال نجهل كل شىء عن الروح ، كما أننا نجهل الكثير عن عقولنا ، وعن أنفسنا ، ونجهل الكثير عن جوف الكرة الأرضية ، التى نعيش عليها ، وعن الغلاف الجوى المحيط بنا ، فما بالك بملايين الملايين من الشموس ، والكواكب ، والمذنبات ، والأجرام السماوية !؟

ــ اذا كنا نجهل هذا كله .. فمن العبث أن نقحم عقولنا فى العوالم الغيبية ، التى لا مجال أمام البشرية لمعرفتها ، مثل : « **العرش العظيم** » سورة النحل آية ٢٦ .

وحملة العرش « **الذين يحملون العرش ومن حوله** » سورة غافر آية : ٧ .

و « **أم الكتاب** » .

و اللوح المحفوظ « **بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ** » سورة البروج آية : ٢١ .

« **وسدرة المنتهى** » .

***

ــ فالعالم الكبير المتمكن .. هو الذى يقف عند حدود ما يعلمه

ــ ونختم حديثنا بما قرره آينشتاين أكبر علماء العصر الحديث ، حيث يقول :

« ان أعظم جائشة من جائشات النفس وأجملها .. تلك التى تستشعرها النفس عند الوقوف فى روعة أمام هذا الخفاء الكونى ، ان الذى لا تجيش نفسه لهذا ولا تتحرك عاطفته .. حى كميت ، انه خفاء لا نستطيع أن نشق حجبه ، واظلام لا نستطيع أن نطلع فجره ، ومع هذا فنحن ندرك أن وراءه شيئا .. هو الحكمة أحكم ما تكون ويحسن أن وراءه شيئا هو الجمال أجمل ما يكون .

وهى حكمة ، وهو جمال لا نستطيع أن تدركهما عقولنا القاصرة ، الا فى صور بدائية أولية : وهذا الادراك للحكمة ، وهذا الاحساس بالجمال ــ

فى روعة ــ هو جوهر التعبد عند الخلائق !!؟

ان الشـــعور الدينى الــذى يستشــعره الباحث فى الكون .. هو أقوى وأنبل حافز على البحث العلمى !!؟

ان دينى هو : اعجابى بتلــك الروح السامية التى لا حد لها .. تلــك التى تتجلى فى التفصــيلات الصــغيرة التى تســتطيع ادراكها عقولنا الضعيفة ، العاجزة ، وهــو ايمانى العاطفى العميق .. بوجود قدرة عاقلــة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا فى هذا الكون المعجز للافهام؟ **ان هذا الايمان يؤلف عندى معنى الله** » وفى ضوء ما ذكرنا سنتناول نماذج من التفسير العلمى للقرآن الكريم ، مســـــتعينين بالله ، مستمدين منه الهداية والتوفيق .. وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الأيــــام الستة

(ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب) سورة ق آية : ٣٨ .

تحدث القرآن الكريم فى كثــير مــن آياته البينات .. عن الكون الذى نعيش فيه ، وعــن أطــوار ومراحل تكوينه ، ليفتح أمام الفكر البشرى مجال البحث والدراسة ، ليدرك عن طريقهما ما يســتطيع ادراكه مــن قــدرة الله وعظمته ، وابداعه العظيم فى التكوين ، وفى التدبير « **ألا لــه الخلق والأمر ، تبــارك الله رب العــالمين** » سورة الأعراف آخر أية ٥٤ .

وقد ذكر القرآن الكريم فى كثير من آياته المحكمة .. أن الله تعالى خلق « **الســموات والأرض ومــا بينهما فى ستة أيام** » .

ــ وكلمة (اليــــوم) تأتى فى القرآن الكريم بعدة معان .

منها : (النهار) وذلك فى قوله تعالى فى اهلاك قــوم عاد بالريح العاتية « **سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما** » ٧ الحاقة .

ــ ومثل قوله تعالى فى كفــارة اليمين « **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلــك كفارة أيمــانكم اذا حلفتم** » سورة المائدة من الآية ٨٩

وتأتى بمعنى : طور من أطوار الخلق ، والتكوين ، والتدبير .

مثل قوله تعالى « **وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعـــدون** » ٥ السجدة .

وقوله سبحانه وتعالى « **يدبر الأمر من الســماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** » سورة السجده آية ٥ .

وقوله عز وجل فى وصف أهوال يوم القيـــامة « **تعــرج المــلائكة والروح اليه فى يوم كان مقــداره خمسين ألف سنة فاصبر صــبرا جميـــلا انهم يرونه بعيــدا ونراه قريبا** » ٥ المعارج .

ــ فاليوم : طور من الأطوار قد يمتد عشرات الآلاف من السنين أو أكثر ، وقد يكون لحظــة عابرة ، ولكن كتاب التوراة فهموا اليوم فى أطوار الخليقة فهما خاطئا ، حيث تصـــوروا أن اليوم مــدته أربع وعشرون ساعة على حسب فهمنا فى الكوكب الأرض .

وأن الأسبوع يتكون من سبعة أيام ، ولهذا ذكروا فى سفر التكوين أن الله ــ سبحانة وتعالى ــ خلق السموات والارض والنور والظلمة فى اليوم الأول من أيام الأسبوع **ــ وهو عندهم يوم الأحد ــ**

ثم خلق الله المــاء والجــلد ، وجعل من الجلد ســماء فى اليوم الثانى .

ثم أظهر الله اليابسة والبحار ، وأنبت العشــب والبقل فى اليوم الثالث .

وخلق الليل والنهار فى اليـــوم الرابع .

وخلق الزواحف ، والطيـــور ، فى اليوم الخامس .

ثم خلق البهائم ، والوحوش ، والانسان فى اليوم السادس .

أما فى اليوم السابع .. فقد لجأ الله فيه الى الراحة (راجـــع الاصحاح الأول والثانى من سفر التكوين) .

ــ وهنا يقف العلماء والباحثون ســاخرين مــن هــذا الخيـــال الأسطورى .

ــ ومــن هــذه الأوهــام ــ المخبولة ــ وبخاصة ما نسب الى الله سبحانة وتعالى مــن التعب ، والحاجة الى الراحة بعد ما بذله من

جهود — تعالى عن ذلك الله علوا كبيرا .

وفى أطوار الخلق والتكوين لم يكن التقدير القائم على أن الاسبوع سبعة أيام ، ولا أن الشهر ثلاثون يوما ، وأن اليوم أربع وعشرون ساعة .

وهذه الاصطلاحات من صنع البشر — بعد تقدمهم ورقيهم — اذ من المعروف أن البشر هم آخر الكائنات الحية ظهورا على سطح الارض بعد تكوينها ، وجعلها صالحة للحياة — بمئات الملايين من السنين .

ولهذا أنكر نقاد وعلماء الحديث ما رواه مسلم ، وأحمد عن أبى هريرة .. من أن الله خلق التربة يوم السبت ، وخلق الشجر يوم الاثنين .

وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الاربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس .

وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق ، فى آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر والليل .

— وسبب انكارهم : أن نص الحديث يناقض النصوص القرآنية العديدة ، التى قررت .. أن الله خلق السموات والارض فى ستة أيام — هذا الى جانب أن تسمية الايام لم تكن معروفة فى بدء التكوين .

وكلمة الساعة ، والعصر ، والليل .. كلها اصطلاحات مستحدثة ، فضلا عن النور — أى — أن النبات لا يمكن أن يحيا الا اذا توافر له (الضوء) الكافى لعملية التمثيل الضوئى ، كما هو مقرر ثابت لدى علماء النبات ، فكيف يتم خلق النبات قبل أن يتم خلق النور ؟

— وقد أثبت البصيرون بعلوم الحديث : أن أبا هريرة كان يحكى ما سمعه من كعب الأحبار ، فظن السامعون أنه يتحدث ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— ومن المعروف أن يوم الأرض عند خط الاستواء .. يعادل أربعا وعشرين ساعة ، نصفها نهار ، ونصفها ليل — ولكنه عند القطبين

يعادل سنة كاملة ، منها ستة أشهر نهار ، ومنها ستة أشهر ليل •

ويوم القمر يعادل تسـعة وعشرين يوما — تقريبا — من أيام الأرض •

وهكذا تختلف الايام من كوكب الى كوكب •• طبقا لتقدير وتدبير العزيز الحميد الحكيم •

***

تفصيل علمى دقيق :

— والقرآن الكريم حين تحدث عن الايام ، أو الاطوار الستة •• فصل الحديث عنها تفصيلا علميا دقيقا •• هو أحدث ما وصل اليه علم الفلك من حقائق مقررة •

ومن الخـير أن نلخص ما قرره العلماء ، ثم نذكر بعد ذلك ما أورده القرآن الكريم الذى « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد** » • سورة الشورى آية ٤٢ •

— قرر علماء الفلك أن اللبنة الأولى فى بناء الكون •• هى عنصر (الايـدروجين) وذرته •• هى أبسط وأقل أنواع الذرات ، فانها تتكون من نواة واحدة (بروتون) وكويكب واحد (الكترون) يدور حول النواة — والنواة •• كهرباء موجبة — والكويكب •• كهرباء سـالبة — وذرة الايدروجين •• متناهية فى الصـغر ، لدرجة أن بضـعة ملايين منها لا تبلغ حجم رأس الدبوس !؟

— هذه الذرات •• خلقها الله سبحانه وبثها فى الفضاء ، الشاسع المترامى الاطراف ، الذى لا يكاد يتناهى •

ثم أودع فى هذه الذرات خاصية التجـاذب والترابط (قانون الجاذبية)فتجاذبت هـذه الذرات حتى أصبحت كتلة ضـخمة من السديم ، وكل ذراتها تندفع نحو مركز هـذه الكتلة العظيمة بقوة الجاذبية ، فتصـادمت وارتفعت درجة حرارتها ارتفاعا كبيرا حول بعض هـذه الذرات ، الى عنصر الهيليوم ، وهو يلى الايدروجين ، لأن نواته مزدوجة ، ولأن لكل نواة كويكبين يدوران حولها •

وهـذه الكتلة الضـخمة من

السديم .. هى التى أطلق عليها القرآن الكريم اسم (الدخان) .

ولما ارتفعت درجة الحرارة دار السديم حول نفسه فى حركة محورية سريعة ، فبدأت أطرافه تنفصل منه مندفعة فى الفضاء وهذه الظاهرة .. هى ما يسميها القرآن الكريم بعملية (الفتق) .
وهذه الاجزاء المنفصلة ، اندفعت بسرعة هائلة .. فوقعت بين قوتين — قوة الدفع ، وقوة الجذب — فاحتفظت بموقعها فى الفضاء بين القوتين ، المتعادلتين .. قوة الدفع ، وقوة الجذب .

والقرآن يسمى هاتين القوتين (قوة الرجع — وهى الجاذبية — وقوة الصدع .. وهى الدفع) (١)

ونحن نستغل هاتين القوتين الان فى اطلاق الصواريخ ، فاذا أردنا اطلاق صاروخ يدور حول الارض ، دفعناه بقوة تفوق جاذبية الارض بمقدار محدود ، ثم تتناقص هذه القوة حتى تساوى جاذبية الارض على مدى مقدر ، وحينئذ يقع الصاروخ بين قوتين متعادلتين .. هما قوة الدفع ، وقوة الجذب .. فيأخذ مداره حول الأرض آليا دون محرك يدفعه ، فاذا ألقى ركاب الصاروخ منه شيئا دار هو أيضا دون محرك ، ولو خرج منه انسان وألقى بنفسه فى الفضاء ، دار هو أيضا فى الفضاء ، ولهذا كان بعض ركاب المركبات الفضائية الدائرة حول الارض ، يغادرون المركبة بعد أن يربطوا أنفسهم بحبل يمكنهم من العودة اليها ، حيث يجدون فيها وسائل الراحة ومقومات الحياة !؟

* * *

— ونعود الى الاجزاء المنفصلة من كتلة السديم ، وهى كتلة بالغة الحد فى الضخامة ، أخذت تدور حول الكتلة العظمى — ثم تكررت فيها عملية الفتق آلاف المرات ، فنشأ عنها ما نسميه الآن بـ (نظام المجرات) .

ثم انقسمت المجرات الى كتل

(١) وهو ما يسميه العلماء الآن قوة الطرد المركزية .

ضخمة شديدة الانصهار ، تكونت منها الشموس ، التى يطلق عليها علماء الفلك اسم (النجوم) •

ومن الشموس انفصلت المذنبات ثم الكواكب •

ومن الكواكب انفصلت الاقمار ، وكل منها يدور حول الاصل ، الذى انفصل منه بفعل قوة الجذب ، وقوة الرجع !؟

ــ وقد انفصلت أرضنا (الكوكب) من شمسنا ، حيث انشطرت كتلة من الشمس ، أو انصدعت منها ، واندفعت فى الفضاء ، وحاولت الشمس ارجاعها اليها بقوة الجذب ، ولكن قوة الطرد عادلت قوة الجذب ، فأخذت الارض مدارها حول الشمس فى فلكها المرسوم ، الذى تقطعه حول الشمس فى مدى عام •• وانفصل القمر عن الارض بقوة الصدع ، وجذبته اليها بقوة الرجع ، فدار حول الارض فى فلكه المرسوم ، ودار حول نفسه فى كل شهر قمرى مرة •

« يتبع »

على عبد العظيم

« دعوة الى الاخلاق »

قال الأشعث بن قيس يوما لقومه : انما أنا رجل منكم ليس لى فضل عليكم • لكننى ابسط لكم وجهى • وأبذل لكم مالى ، وأقضى حقوقكم •• وأحوط حريمكم •• فمن فعل مثلى فهو مثلى •• ومن زاد على فهو خير منى ومن زدت عليه فأنا خير منه •

قيل له يا أبا أحمد : ما يدعوك الى هذا الكلام ؟

قال : حضهم على مكارم الأخلاق •

غربة الإسلام

للأستاذ موسى محمد على

يقول الله تعالى :

« فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم » سورة هود آية ١١٦ •

ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى المجتمع ، هم الذين شقوا ففى النار خالدين فيها •

والذين يمرحون فى الفجور فى المعاصى ، هم الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا •

والذين ينكبون عن صراط الجادة والحق والصواب ، هم التعساء الذين لاحظ لهم فى الآخرة •

أما الذين استجابوا الله وللرسول اذا دعاهم لما يحييهم فهم الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها •

ولهذا الكلام دقيقة هامة ، ناسب أن نوجه القول اليها •

فلا يخفى على من به مسحة من ايمان ، أن لربنا فى أيام دهرنا نفحات ، نتعرض لها خاصة ونحن قد فرغنا من قيام وصيام شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، شهر الصدقة والزكاة ، شهر البر والاحسان ، شهر القرب والعرفان ، شهر الصلة والمودة ، شهر التوبة والرحمة ، شهر خصنا الله به ، منذ أن اختارنا خير أمة أخرجت للناس ، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار •

فهل نحن تلمسنا نفحات هذا

الشهر المبارك ، وتعرضنا له بالجد فى الطاعة ، والاجتهاد فى العبادة ، كما أمرنا ربنا حتى نكون من الذين سعدوا ؟

أم أننا ضللنا الطريق ، وتنكبنا الصراط حتى ضل سعينا ونحن نحسب أننا نحسن صنعا ؟

ان لكل شىء حقيقة ، وحقيقة الايمان الذى أمرنا الله تعالى به ، العمل الجاد الذى هو فرع عن تصوره ، بيد أن الذى يعايش مجتمعنا اليوم ، ويتفقد أحواله ، ويمارس بالتجربة واقعه الملموس، يجدبحق لاشك فيه أننا فى بعد تام ، وانحراف منحرف ، وانسلاخ عن لب الدين ، وتعاليم الاسلام ، حتى صار الاسلام ، وأهله فى غربة غريبة ، وكأن المجتمع فى جهالة عن فهم حقيقته ، لا يرقب فى دينه الا ، ولا يرعى له ذمة .

فكيف بنا لو تفرسنا أحوال مجتمعنا ، وما هو عليه من فجور فاجر فى الملاهى ، وجشع قاتل فى المناصب ، وطمع مجحف فى حطام الدنيا ، وتكالب على الأموال والأعراض ، وحب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، ومتع الحياة الدنيا .

والاستشهاد بهذه الآية التى بدأنا بها : يدلنا على الرسوخ فى العلم والمعرفة ويربطنا بفهم القرآن الكريم ، فان الغرباء فى هذا العالم : هم أهل هذه الصفة المذكورة فى هذه الآية ، وهم الذين أشار اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » . قيل: ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال : «الذينيصلحون اذا فسد الناس» .

وفى رواية للامام أحمد رضى الله عنه :

ومن الغرباء يارسول الله ؟ .

قال : «الذين يزيدون اذا نقص الناس » .

ومعناه : الذين يزيدون خيرا وايمانا وتقى اذا نقص الناس من ذلك .

وفى رواية الأعمش عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال :

قيل : ومن الغرباء يارسول الله ؟قال :«النزاع من القبائل »•

وفى رواية عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال •• قيل : ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال :«ناس صالحون قليل فى ناس كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم » •

وقال نافع عن مالك رضى الله عنهما :

دخل عمر بن الخطاب المسجد ، فوجد معاذ بن جبل جالسا الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يبكى ، فقال له عمر : ما يبكيك ، يا أبا عبد الرحمن ؟ هلك أخوك ؟ قال : لا ولكن حديثا حدثنيه حبيبى صلى الله عليه وسلم ، وأنا فى هذا المسجد ، فقال : ما هو ؟ قال :

«ان الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء ، الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة » •

فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبطون ، ولقلتهم فى الناس جدا ، سموا « غرباء » •

وأكثر الناس على غير هذه الصفات : فأهل الاسلام فى الناس غرباء ، والمؤمنون فى أهل الاسلام غرباء ، وأهل العلم فى المؤمنين غرباء ، وأهل السنة ، الذين يميزونها من الأهواء والبدع ، غرباء ، والداعون ، اليها ، الصابرون على أذى المخالفين : هم أشد هؤلاء غربة ، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقا ، فلا غربة عليهم، وانما غربتهم بين الأكثرين ، الذين قال الله عز وجل فيهم :

« وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » الانعام ١١٦ •

فألئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه ، وغربتهم هى الغربة الموحشة ، وان كانوا هم المعروفين المشار اليهم •

وسيدنا موسى عليه السلام لما خرج من قوم فرعون انتهى الى مدين ، على الحال التى ذكر هاالله

تعالى ، وهو وحيد غريب خائف جائع ، قال : « يارب وحيد مريض غريب » ، فقيل له : ياموسى .
الوحيد : « من ليس له مثلى أنيس ، والمريض : من ليس له مثلى طبيب ، والغريب : من ليس بينى وبينه معاملة » .

فالغربة أنواع : غربة أهل الله تعالى ، وأهل سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بين هذا الخلق ، وهى الغربة التى مدح رسول الله صلى عليه وسلم ، أهلها ، وأخبر عن الدين الذى جاء به ، أنه : « بدأ غريبا » وأنه « سيعود غريبا كما بدأ » وأن « أهله يصيرون غرباء » .

وهذه الغربة قد تكون فى مكان دون مكان ، ووقت دون وقت ، بين قوم دون قوم ، ولكن أهل هذه « الغربة » هم أهل الله حقا ، فانهم لم يأووا الى غير الله تعالى ، ولم ينتسبوا الى غير رسوله صلى الله عليه وسلم ،ولم يدعوا الى غير ما جاء به ، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ماكانوا اليهم .

فهذه « الغربة » لا وحشة على صاحبها ، بل هو آنس ما يكون اذا استوحش الناس ، وأشد ما تكون وحشته اذا استأنسوا ، فوليه الله ورسوله والذين آمنوا ، وان عاداه أكثر الناس وجفوه .

وفى حديث القاسم عن أبى امامة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال عن الله تعالى :

« ان أغبط أوليائى عندى : لمؤمن خفيف الحاذ(١)،ذو حظ من صلاته أحسن عبادة ربه وكان رزقه كفافا ، وكان مع ذلك غامضا فى الناس ، لا يشار اليه بالاصابع ، وصبر على ذلك حتى لقى الله ، ثم حلت منيته ، وقل تراثه ، وقلت بواكيه » .

ومن هؤلاء الغرباء : من ذكرهم

---

(١) استعمال مجازى المراد منه خفيف الظهر . كذا فى القاموس المحيط والمعنى خفيف الاحمال والتبعات .

أنس فى حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم :

« رب أشعث أغبر ،ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » •

وفى حديث أبى ادريس الخولانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ألا أخبركم عن ملوك أهل الجنة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : كل ضعيف أغبر ، ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » •

وقال الحسن رضى الله عنه : المؤمن فى الدنيا كالغريب ، لا يجزع من ذلها ، ولا ينافس فى عزها ، للناس حال ، وله حال ، الناس منه فى راحة ، وهو من نفسه فى تعب •

ومن صفات هؤلاء الغرباء ، الذين غبطهم النبى صلى الله عليه وسلم :

التمسك بالسنة ، اذا رغب عنها الناس ، وترك ما أحدثوه ، وان كان هو المعروف عندهم • وتجريد التوحيد ، وان أنكر ذلك أكثر الناس •

وترك الانتساب الى أحد غير الله ورسوله ، بل هؤلاء الغرباء منتسبون الى الله بالعبودية له وحده ، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقا •

وأكثر الناس ، بل كلهم لائم لهم ، فلغربتهم بين هذا الخلق : يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ، ومفارقة للسواد الاعظم •

ومعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « هم النزاع من القبائل » ان الله سبحانه وتعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم وأهل الارض على أديان مختلفة ، فهم بين عباد أوثان ونيران ، وعباد صور وصلبان ، ويهود وصائبة وفلاسفة ، وكان الاسلام فى أول ظهوره غريبا ، وكان من أسلم منهم ، واستجاب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم : غريبا فى قبيلته وأهله وعشيرته •

فكان المستجيبون لدعوة الاسلام نزاعا من القبائل ، بل آحادا منهم ، تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم ، ودخلوا فى الاسلام ،

فكانوا هم الغرباء حقا ، حتى ظهر الاسلام ، وانتشرت دعوته ودخل الناس فيـــه أفواجا ، فزالت تلك الغربة عنهم ، ثم أخذ فى الاغتراب والترحل ، حتى عاد غريبا كما بدأ .

بل ان الاســـلام الحق ، الذى كان عليه سيدنا رســـول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هو اليوم أشد غربة منه فى أول ظهوره ، وان كانت أعلامه ورســـومه الظاهرة مشهورة معروفة ، فالاســـــلام الحقيقى غريب جدا ، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس .

وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدا ، غريبة بين فرق متعددة ذات أتبـــاع ورئاســـات ، ومناصب وولايات ، ولا هم لهم الا مخالفة ما جاء به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فما جاء به صـــلوات الله وسلامة عليه : يضـــاد أهواءهم ولذاتهم ، ويغاير ما هم عليـــه من الشـــبهات والبدع التى هى منتهى فضيلتهم وعملهم ، والشهوات التى هى غايات مقاصدهم واراداتهم ؟

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتمعين وأنا أعرف الحزن فى وجهه فقال: «انا لله وانا اليه راجعون » .

قلت : يا رسول : « انا لله وانا اليه راجعون » ماذا قال ربنا ؟

قال:«أتانى جبريل آنفا فقال»: « انا لله وانا اليه راجعون » .

قلت : أجل ، « انا لله وانا اليه راجعون ، فمم ذلك ياجبريل ؟ »

قال « ان أمتك مفتتـــة بعـــدك بقليل من الدهر غير كثير ؟ » .

فقلت : « فتنة كفر ، أو فتنـــة ضـــلالة ؟ » .

قال: «كل ذلك سيكون» ، قلت: « ومن أين يأتيهم ذلك وانا تارك فيهم كتاب الله ؟ »

قال «بكتاب الله يضلون ، وأول ذلك من قبـــل قرائهم وأمرائهم ، يمنـــــع الأمراء الناس حقـــوقهم فلا يعطونها فيقتتلون ، ويتبع القراء أهواء الامراء فيبدون فى الغى ثم لا يقصرون .

قلت : ياجبريل ، «فيم سلم من سلم منهم ؟ قال : بالكف والصبر ،

ان أعطوا الذى لهم أخـذوه وان منعوه تركوه •

فالمؤمن السائر الى الله تعـالى على طريق المتابعـة كيف لا يكون غريبا بين هؤلاء الذين قد اتبعـوا أهواءهم ، وأطاعوا شـحهم ، وأعجب كل منهم برأيه ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مروا بالمعروف ، وانهـوا عن المنكر ، حتى اذا رأيتم شـحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيـا مؤثرة ، واعجـاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصـة نفسـك ، واياك وعـوامهم ، فان وراءكم أياما ، صبر الصابر فيهن كالقابض على الجمر » •

لهذا جعل الله سـبحانه وتعالى للمسلم الصـادق فى هذا الوقت ، اذا تمسـك بدينه أجر خمسين من الصـحابة ، ففى سنن أبى داود والترمذى ، من حديث أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه قال :

سألت رسول الله صلى اللـه عليه وسلم عن هذه الآية :

« يا أيها الذين آمنوا عليـكم أنفسكم ، لايضركم من ضـل اذا اهتديتم » فقال :

بـك ائتمـروا بالمعـروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ودنيـا مؤثرة ، واعجاب كـل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام ، فان من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن مثـل قبض على الجمر ، للعامل فيهن أجـر خمسين رجلا يعملون مثل عمله » •

قلت : يارسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال: «أجر خمسين منكم» •

ويعلق ابن القيم على هـذا الحديث فيقول :

وهذا الاجر العظيم انما هـو لغربته بين الناس ، والتمسـك بالسنة بين ظلمـات أهوائهـم وآرائهم » أ هـ •

فاذا أراد المؤمن ، الذى قـد رزقه الله بصيرة فى دينه ، وفقها فى سنة رسوله ، صلى الله عليـه وسلم ، وفهما فى كتـابه ، وأراه ماالناس فيه : من الأهواء والبدع ، والضلال ، وتنكبهم عـن انصراط المستقيم ، الذى كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

اذا أراد أن يسلك هذا الصراط : فليوطن نفسه على قدح الجهال ، وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه وازرائهم به ، وتنفير الناس عنه وتحذيرهم منه •

فأما ان دعاهم الى ذلك ، وقدح فيما هم عليه : فهناك تقوم قيامتهم ويبغون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، ويجلبون عليه بخيلهم ورجلهم •

فهو غريب فى دينه لفساد أديانهم ، غريب فى تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدع ، غريب فى اعتقاده لفساد عقائدهم ، غريب فى طريقه لضلال طرقهم ، غريب فى معاشرته لهم ، لانه يعاشرهم على مالا تهوى أنفسهم •

وبالجملة : فهو غريب فى أمور دنياه وآخرته ، لا يجد من عامتهم مساعدا ولا معينا ، فهو عالم بين جهال ، صاحب سنة بين أهل بدع، داع الى الله ورسوله بين دعاة الى الأهواء والاغراض ، آمر بالمعروف ناه عن المنكر بين قوم المعروف لديهم منكرا والمنكر معروفا •

عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كيف أنتم اذا طغى نساؤكم ، وفسق شبابكم ، وتركتم جهادكم »؟

قالوا : أكائن ذلك يارسول الله ؟

قال « نعم ، والذى نفسى بيده، وأشد منه سيكون » ، قالوا : وما أشد منه ؟

قال : « كيف أنتم اذا رأيتم المعروف منكرا ، والمنكر معروفا »؟

قالوا : أكائن ذلك يارسول الله ؟

قال : « نعم والذى نفسى بيده ، وأشد منه سيكون » يقول الله تعالى :

« بى حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيرانا » •

ويتفاعل الامام على رضى الله عنه تفاعل المستغيث بربه فيقول :

« انه سيأتى عليكم من بعدى زمان ليس فيه شىء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله ، وليس عند أهل ذلك الزمان، سلعة أشد بورا من الكتاب اذا تلى حق تلاوته ، ولا أنفق منه اذا حرف عن مواضعه ،

ولا فى البلاد شىء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر •

فقد نبذ الكتاب حملته ، وتناساه حفظته ، فالكتاب يومئــــذ وأهله طريدان منفيان ، وصاحبـــــان مصطحبان ، فى طريق واحـــــد لايؤويهما موئل •

فالكتاب وأهله فى ذلك الزمان فى الناس وليسا فيهم ، ومعهم وليسا معهم ، لأن الضلالة لا توافـــق الهدى وان اجتمعا » أ • هـ

وبعد فيقول الله تعالى :

« وما كان ربك ليهلك القـــرى بظلم وأهلها مصلحون » ســورة هود آية ١١٧ •

« ربنا آتنا من لدنك رحمـــة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » • سورة الكهف آية ١٠ •

وباللـــه التوفيـــق ••

موسى محمد عـــلى

« أزمــة الفــكر الاســـلامى »

تكتسب أزمة الفكر الدينى أهمية قصـــوى •• ليس بسبب ما يعانيه ذلك الفكر من الجمود والتوقف عن التطور فقط •

ولكن •• لأن استمرارية هذا الجمــود يأتى ملازما لظاهرة الاحياء الاسلامى • فعندما تطفــو على ســطح المجتمع الاسلامى عمليات الاحياء •• متلفعــة فى ثــوب من الجمــود والتخلف يكـــون الموقف عند ذلك أكثر من خطير •• بل ومريب للغاية •• لأنه يقطــع الطريق عـــلى الشعوب الاسلامية •• فى عمليات التحـــديث والتطـــور الحضـــارى •

الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس

للأستاذ محمد نعيم عكاشة

جموع حاشدة من المسلمين تقف هـذه الايام فى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج ، وشهود أكبر مؤتمر اسلامى يعقد على صعيد واحد ، وحول بيت واحد ٠٠

حضـوره عبادة ٠٠ وطـوافه عبادة ٠٠ وأعماله كلهـا عبادة ٠٠ وأيضا فيه منافع للناس ٠٠

ــ والكعبة المشرفة التى يطوف حولها الحجيج تسمى ــ أيضـا ــ البيت ٠٠ قال تعالى : **(واذ جعلنا البيت مثابة للناس وآمنا)** ٠٠

كما تسمى البيت العتيق ٠ قال تعـالى : **(وليـوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق)** ٠٠

وتسمى كذلك : البيت الحرام ٠ قال تعالى : **(جعل الله الكعبـة البيت الحرام قياما للناس)** ٠٠

ــ وهى قبلة المسلمين فى الصلاة حيثما وجـدوا وأينما كانوا ٠٠ ولكونها فى وسط المسـجد الحرام فكل من ولى وجهه شطر المسـجد الحرام فقد ولى وجهه شطرها ٠

وقد أضافها الله سبحانه وتعالى الى نفسه فى قوله لرسوله ابراهيم عليه السلام :

(وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) ٠٠

والمراد بقـوله تعـالى : **« ان أول بيت وضـع للنـاس »** ، انه أول بيت جعله سبحانه فى الأرض متعبدا للناس ، ففرض حجه على الناس عبادة ، وطوافهم حـوله عبادة ٠٠ ولا يوجد بيت غير الكعبة تعظيمه عبادة لله ، والطواف حوله عبادة لله ٠

قال ابن جرير الطبرى فى تفسيره : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم تأويله **(ان أول بيت وضع للناس)** يعبد الله فيه ، مباركا وهدى للعالمين . للذى ببكه ، وليس هو أول بيت وضع فى الأرض ، لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة ، وأسند هذا القول الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بقوله : قال خالد بن عروة : قام رجل الى عمر فقال : الا تخبرنى عن البيت : أهو أول بيت وضع فى الأرض ؟ قال : لا ولكنه أول بيت وضع فى البركة مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا .

وروى عن الحسن البصرى أنه قال : هو أول مسجد عبد الله فيه فى الأرض .

وقد ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة » .. ويدل الحديث على قدم حرمته من يوم خلق السموات والارض .. ولا يدل عن ان البيت خلق قبل خلق السموات والارض كما ذكرت بعض الروايات .. وقوله تعالى : (أول بيت) فى الآية ، يدل على ان المراد به الكعبة وقوله تعالى : **(ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين)** ـ يدل على ان الكعبة هى أول بيت بنى لعبادة الله تعالى ، وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين والمحدثين والمؤرخين ، وانما اختلفت الروايات فى أول من بنى الكعبة.. وكم مرة بنيت ..

قال النووى فى شرح مسلم .. قال العلماء بنى البيت خمس مرات : بنته الملائكة ، ثم ابراهيم عليه السلام ، ثم قريش فى الجاهلية ، وحضر النبى عليه الصلاة والسلام هذا البناء وله خمس وثلاثون سنة ، وقيل خمس وعشرون سنة ، ثم بناه ابن الزبير، ثم الحجاج بن يوسف .. وقيل بنى مرتين أخريين أو ثلاثا ..

وقد رتبت بعض الروايات بناء الكعبة على هذا النحو :

* بناء الملائكة .
* بناء آدم .
* بناء شيث ابن آدم .
* بناء ابراهيم .
* بناء العمالقة .
* بناء جرهم .
* بناء قصى .
* بناء عبد المطلب .
* بناء قريش .
* بناء عبد الله بن الزبير .
* بناء الحجاج بن يوسف .
* بناء السلطان مراد خان العثمانى

وأما تسمية البيت المعظم « بالكعبة » فقد ورد فى ذلك عدة روايات منها ماذكره الحافظ البغوى فى تفسيره عن مجاهد أنه قال : سميت كعبة لتربيعها ، والعرب تسمى كل بيت مربع كعبة ، وقال مقاتل سميت كعبة لانفرادها من البناء ، وقيل : سميت كعبة لارتفاعها من الارض . وأصلها من الخروج والارتفاع .

ابراهيم وبناء الكعبة :

وقد أشار القرآن الكريم .. والسنة النبوية المطهرة الى بناء ابراهيم مع ابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام للكعبة المعظمة .. فجاء فى سورة البقرة : « **واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود**) . (**واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر . قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير .واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم**) .

البقرة (١٢٥ ــ ١٢٧)

وورد فى كتب السنة نقلا عن السلف ما ذكره البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : أول ما أتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل ، وذكر قصة مجىء

ابراهيم بهاجر وابنها اسماعيل الى مكة الى أن قال : وكان البيت مرتفعا عن الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عاكفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى ومافيه ماء ، فأرسلوا جريا أو جريين – رسولا – فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا ، قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم ، ولكن لاحق لكم فى الماء • قالوا نعم ، قال ابن عباس •• قال النبى صلى الله عليه وسلم : (فألقى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الانس) ، فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام – اسماعيل – وتعلم العربية منهم أنفسهم ، وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ••

وجاء ابراهيم بعد ذلك الى ابنه اسماعيل فقال له : يا اسماعيل ان الله أمرنى بأمر •• قال فاصنع ما أمر ربك ، قال وتعينني ؟ قال وأعينك ، قال : فان الله أمرنى أن أبنى هنا بيتا ، واشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال : فعند ذلك رفع القواعد من البيت ، فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : **(ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم)** • قال فجعلا يبنيان ويدوران حول البيت وهما يقولان : **(ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم)** ••

هذا ماروا البخارى فى صحيحه من حيث بناء ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام للكعبة المعظمة ، قال الحافظ بن حجر فى فتح البارى : وفى رواية ابراهيم بن نافع فى البخارى : حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ فى نقل الحجارة فقام على حجر المقام : زاد فى حديث عثمان : ونزل عليه الركن والمقام فكان ابراهيم يقوم على

المقام يبنى عليه ويرفعه له اسماعيل ، فلما بلغ الموضع الذى فيه الركن وضعه يومئذ موضعه وأخذ المقام فجعله لاصقا بالبيت .

ووردت أقاويل كثيرة تؤيد جواز أن يكون لقواعد البيت وجود قبل بناء ابراهيم مما تقدم ذكره فى بناء الملائكة . وآدم ، وشيث .. وقد جاء فى فتح البارى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : القواعد التى رفعها ابراهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك ..

الشيوعيون وأصحاب المذاهب المادية يشككون :

وقد دأب الشيوعيون وأصحاب المذاهب المادية على التشكيك فى جدوى الطواف بالكعبة وتقبيل الحجر الاسود .. وقالوا فى اتهاماتهم للاسلام بأنه قد احتفظ ببقايا من الوثنية الجاهلية ، بل زاد بعضهم وقال ان الطواف بالكعبة انما هى عادة وثنية .

ولمحة سريعة الى الحقائق كافية لأن ترينا سخافة هذا الرأى وباطله .. فقبل مجىء الاسلام كانت الكعبة وكرا للاصنام فكان يوجد فيها ٣٦٠ صنما .. ولم ينظر عرب الجاهلية قط للحجر الاسود على أنه صنم من الاصنام التى بين جدران الكعبة .

ومن المعروف الثابت أن عرب الجاهلية اتخذوا آلهتهم من أشياء لاتحصى ، ومع ذلك فان الكعبة والحجر الاسود هما الشيئان الوحيدان اللذان استمرا بعيدين عن اتخاذهما ضمن تلك الآلهة مع مالهما من التمجيد الذى كان يكنه العرب لهما قبل الاسلام .

وكان المسلمون معادين للوثنية ، حتى انهم عندما رأوا على الصفا والمروة صنمين هما : أساف ونائلة .. رفضوا أن يسعوا بين هذين الجبلين ، حتى نزلت الآية : « **ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** » البقرة (١٥٨) .

محمد نعيم عكاشة

دمعة وفاء
على المرحوم الدكتور أحمد الشرباصي

للأستاذ الفقير

مضى الى رحمة مولاه الله الواحد الأحد الدكتور / أحمد الشرباصي طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه حين وافاه الاجل عصر الخميس ٤ شوال عام ١٤٠٠ هـ الموافق ١٤ أغسطس ١٩٨٠ م . وكان المرحوم قد وقف حياته كلها فى العمل الخالص الدائب من أجل الدعوة الاسلامية فى كل مكان وبكل وسيلة للاعلام وقد لخص وزير الدولة والاوقاف بجمهورية مصر الدكتور زكريا البرى موجزا لحياة الراحل الكريم فى بيانه والذى نشرته الصحف وقد جاء فيه :

نبذة عن الداعية المرحوم :

وقد تقدمنا الى شقيق المرحوم الذى رافق مسيرته من البداية الى الخاتمة الاستاذ السعيد الشرباصى الذى يعمل مدرسا بكلية الشريعة بجامعة الامام محمد ابن سعود ليعطينا نبذة مختصرة عن حياته فقال .

ليس بنا حاجة الى المبالغة وقد مضى الراحل الى الحق ، وأنا فى أثره فى الطريق الى الحق بغير زاد ولا حقائب ولهذا أذكر بعض الحقائق فى اختصار .

١ ــ ولد عبد الله (أحمد ابن جمعة الشرباصى) فى جمهورية مصر العربية بمحافظة الدقهلية فى قرية البجلات . وكان مولده فى عام ١٩١٨ م . وكان الابن الثالث فى الاسرة . وكنت الابن الرابع فترافقنا رحلة الطفولة والدراسة

والحياة كلها . فكانت القراءة والكتابة طعامه وشرابه .

٢ ـ وقد بدأ نبوغ المرحوم منذ الصغر . فمن الخطوة الاولى له وهو فى معهد دمياط الدينى بعد حفظه للقرآن فى كتاب القرية عاد الى القرية ليتولى عن امام المسجد مهمته . وكانت فرحة الامام وفرحة الاهل بمواعظه لا تقدر حتى صار المسجد يغص بالمصلين للاستماع الى الصبى الواعظ .

٣ ـ وكما ظهر نبوغه الخطابى المبكر ظهر كذلك فى التأليف حيث قدم للمكتبة الاسلامية كتابين وهو مازال طالبا بالثانوى . ثم تتابعت مؤلفاته حتى وصلت الى حوالى مائة كتاب كلها تدور فى فلك الدعوة الاسلامية .

٤ ـ أما عن تفوقه الدراسى فقد اجتمع له ما لم يجتمع لأحد قبله ولا بعده حيث كان الاول فى الشهادة العالية من كلية اللغة بالازهر . ثم كان الاول فى شهادة التخصص كما كان الاول فى جميع سنوات الكلية . كما كان تقديره فى الماجستير والدكتوراه الامتياز .

٥ ـ وبمجرد تخرجه رشحته وزارة المعارف بمصر للتدريس باحدى مدارسها الممتازة بالقاهرة ولكنه تركها رغبة فى أن يبقى من جنود الاسلام داخل الازهر . فاشتغل بالتدريس فيه الى أن حصل على درجة الدكتوراه ليعين مدرسا بكلية اللغة العربية .

٦ ـ أما عن اتجاهه الوظيفى فقد كان يعشق الازهر كفكرة لا كأشخاص . وكان دائم الدفاع عنه باعتباره معهدا اسلاميا أصيلا كما كان دائم الدفاع عن كليته التى تخرج منها وكانت الفرص تتاح له للعمل فى أماكن أكثر بريقا ولمعانا ومكانة ولكنه كان يرفض دائما وكان يقول لاهله عندما يلومونه على ترك الفرص العظيمة المغرية التى تعرض عليه : لان أكون ساعيا فى الازهر خير من أن أكون وزيرا خارج الازهر .

٧ ـ أما عن اتجاهه العام فقد كان مستقل الرأى والفكر . يؤيد الحق فى أى مكان ومع أى هيئة ، ويعارض الباطل أيا كان . وعلى

سبيل المثال له أراء فى تصرفات البعض من جماعة الاخوان المسلمين ولكنها عندما حلت فى عهد فاروق • ولم يكن عضوا فيها • انبرى للدفاع عنها فى قوة جيش ثائر حتى تحول مسجد المنيرة الذى كان يخطب فيه الى مركز جديد للاخوان المسلمين الذى أغلقته الحكومة وتجمع الاخوان حوله كلهم كلسان حق • وتطور أمر المسجد الى حد هدد الحكومة• فأرسلت وسائلها من كل لون لتعرض عليه المناصب ، وتغريه بالسفر كرئيس لبعض البعثات وهو مازال فى بداية الطريق — ولكنه كان يرفض ويرفض •

ومع أن الحكومة حينذاك تعلم أنه ليس من الاخوان فقد اعتقلته وأرسلته الى معتقل الهاكستب •• وكما دخل المعتقل من أجل الحق خرج منه وهو لم يغير خطته ولم يتلون بمذهب خاص غير مذهب الحق والدعوة المجردة لله وحده •

وأحب أن أسجل للتاريخ وللتصحيح — وأنا صادق — أن فكرة الاستقلال والدفاع عن الحق حيث كان ، كانت تعرضه لبعض النقد من قصار النظر لان الحق دائما ليس كله مع جماعة واحدة والذين ينشدون الحق حيث كان يجدون أنفسهم لا يتعصبون لمذهب ولا لجماعة خاصة •

٨ — أما عن مؤلفاته فقد وصلت قرابة مائة كتاب بين الطويل والقصير ونشير الى اهتمامه بمعالجة بعض القضايا العامة ومن كتبه على سبيل المثال : يسألونك خمسة أجزاء وفى عالم المكفوفين جزئين وأخلاق القرآن عدة أجزاء • أما كتبه عن الفدائيين والشهداء فقد صنعت صرحا اسلاميا لم يسبقه اليه أحد •

نسأل الله تعالى أن يكتب للراحل القبول والرحمة وأن يتجاوز عن خطاياه وأن يزيد فى حسناته وأن يبعثه مع النبيين والصديقين والشهداء •

ومؤلفات المرحوم بلغت حوالى ٧٥ كتابا وتولى وظائف علمية متعددة •

كلمة وفاء من تلاميذ الفقيد

مشـكلات الشباب المعاصر وحلولها
فى ضـوء الكتاب والسـنة

للأستاذ على القاضى

جاء العصر الحـديث ليغرق الشباب بمشكلات متعددة ، وكانت هذه المشكلات خطيرة ومتشـابكة ذلك لان الغرب قد تقدم صناعيا ، واستعمر البلاد الاسـلامية كلهـا تقريبا ، وقام بنشر أفكاره بيـن الشباب وهو فى مركـز القـوة والتوجيه ، وربى مجموعات كبيرة من الشباب المسلم على مفاهيمـه الجديدة ، وملكهم قيادة الحكـم والتوجيه والتربية ووجد الشـباب نفسه فى حيرة لا يدرى كيف يخرج منها ، وأحس بالمشكلات تحيط به وتملك عليه نفسه .

حول الطبيعة البشرية :

وكان من أهم هذه المشـكلات الحديث حول الطبيعة البشرية ،هل الانسان أصله حيوان سـار فى طريق التطور أم أنه مخلوق متميز؟ .. ولهذه النظرة الى الانسـان آثارها العميقة فى نفس كل شـاب بل ، آثارها المدمرة حين يحس بأن أصله حيوان كبقية الحيوانات فى هذه الدنيا .

وفى عـام ١٩٧٨ م أصـدر البروفسور ادوارد نلسون أحـد مؤسسى علم الأحيـاء الاجتماعى (وهو محاولة لدمـج العلوم الاجتماعية بعلم الاحياء) والاستاذ بجامعة بيركلى ثم هارفارد كتـابا بعنوان : « حول الطبيعة البشرية » يقول فيه الكاتب عن علمـاء البيولوجيا : أن علماء القرن الماضى كانوا يعتقدون بأن الانسـان لايتميز عن بقية الثدييات بيولوجيا الا ببعض الصفات الفسيولوجيـة

التى اكتسبها من خـــلال تطوره وارتقائه ، كانتصاب القامة وتطور تركيب الاطراف الأمامية ، واتساع الجمجمة الذى بدأ يسمح بنمـو ومقدرة المخ .. الخ .

وجاء علم القرن العشرين لكـى يكتشف أن الانسان نوع متميـز منذ بدء الخليقة ، وأن امتيـازه متطور فى خلاياه التى تتضـمن صفات خاصة به وحده ينقلها الى أبنائه وأجياله وتتطور هذه الخلايا حاملـة خصائصـه الوراثية (الجينات) تطورا خاصا رغـم تأثره بما يكتسبه الانسـان مـن معلومات وقدرات جديدة فى صراعه ضد الطبيعة ، وقال الكاتب عـن علمـاء الاجتمـاع الوضعيين والتاريخيين كالماركسيين : انهـم كانوا يعتقدون بأن الانسان توقف غالبا عن التطـور البيولوجى والفسيولوجى ، وأن تطوره انتقل الى مجال المخ والجهـاز العصبى نتيجة دخوله فى مرحلة تكـوين المجتمعات ، أى أن تاريخ الانسان أصبح تاريخا اجتماعيا فقـط ، وليس تاريخا بيولوجيا ــ وأن مخ الانسان وقدرته العصبية وحدهـا هى التى تتغير مع مكتسبات العلوم والتكنولوجيا ، وأدوات الانتـاج وأساليبها ، ومع تسليمهم بأنـه ليس للانسان أى تميز بيولوجيـا يفصله عن عالم الثدييات الحيوانى الا ببعض الصفات الفسيولوجيه تتجسد فى بعض المهـارات التى تمارسها أعضاؤه ، والتناسـق المتطور لجهازه العصبى ومركـزه فى المخ .

وجاء العلم الحديث لكى يكتشف أن للانسان صفات ثابته لا يلحقها أى تغيير لانها صفات تحمل خلاياه الوراثية كأنها أصابع شخص واحد لا يتغير طوال عمـره ــ وأن المكتشفات الجديدة تضـاف الى الصفات الثابته ولا تمحوها .

وقـال الكاتب عن علمـاء الأنثروبولوجى : ان أصحاب هذا العلم الجديد نسبيا كانوا يحاولون تفسير الوجـود الاجتمـاعى والتاريخى للانسان عن طـريق تركيبة نظرية تجمع بين علمـاء الآثار وتاريخ التكنولوجيا وتاريخ العلم وتاريخ العقائد والفنـون ،

يربط بينهما تصور فسيولوجى اجتماعى ، وأنهم كانوا يفسرون « التغيرات » والاختلافات التى شهدها تاريخ البشرية على أساس تبادل التأثير بين تطور استخدام الانسان لاعضائه ومهاراته ومعارفه بين التحولات الاجتماعية المختلفة صغيرة أو كبيرة ، فكانوا قادرين على الاحساس بالتمايزات بين الثقافات المختلفة ، ولكنهم لم يضعوا فى اعتبارهم الخصائص الواحدة التى تكررت فى كل أنواع السلوك البشرى ، واللغات والثقافات ولدى كل الأمم والحضارات والتى تكاد تكون من السمات التى يتميز بها النوع الانسانى ، ويظل يتميز بها أفرادا أو جماعات وأمما ، لكى تفصله بشكل عام عن عالم الحيوان — وتنتج له الوضع المناسب للخروج من سجن الطبيعة وحدودها الى رحاب الحرية التى انتزعها اعتمادا على هذه الصفات الخاصة به وحده والتى تشترك فيها كل فضائله وأنواعه — أى كل الأمم والحضارات والقوميات ، ويقول ويلسون : ان نظرية التطور الداروينية نسبة الى دارون — من أكثر علوم القرن الماضى تأثرا بالنظرية الجديدة — انها على ضوء هذه النظرية لم تعد قادرة على تفسير سلوك الافراد رغم احتمال صلاحيتها لتفسير جانب من السلوك الخاص بالجنس البشرى ككل — فالقول بأن صراع البقاء يؤدى الى بقاء الأصلح قد ينطبق على الأجناس بوجه عام ، ولكنه على المستوى الفردى كان يقضى بأن تختفى القيم الأخلاقية تماما ، والتى يقوم عليها جزء من أسس أى مجتمع .

وهذه النظرة الجديدة حول الطبيعة البشرية تؤيد نظرة الاسلام الى الانسان ، وفى الوقت نفسه تفيدنا فى علاج هذه المشكلة، لأنها تأتى من الغرب الذى أوجد هذه المشكلة .

الانسان فى نظر الاسلام :

الانسان فى نظر الاسلام مخلوق متميز خلقه من تراب ، ونفخ فيه من روحه ، وطلب من الملائكة أن يسجدوا له ، وعلمه الأسماء كلها

ولم يعلمها الملائكة ، ووكل اليه خلافته فى الأرض يقوم بعمارتها ويحقق العدل فيها ، وجعله قريبا منه يجيبه اذا دعاه ، وينصره اذا استنصره ، ويوضح الحديث القدسى الذى رواه البخارى مقدار اهتمام خالق الانسان بالانسان وذلك حين يقول : **(أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة)** هكذا يكون الانسان قريبا من خالقه يعامله بلون من ألوان الرعاية والتدليل وذلك حين يتجه الانسان الى خالقه ، وفى حديث آخر يخاطب رب العزة الانسان فيبين له من هو ، ويوجهه التوجيهات التى تفيده فى حياته ، وذلك حين يقول له : (ابن آدم خلقتك لنفسى وخلقت كل شىء لك فبحقى عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له ، ابن آدم خلقتك لنفسى فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب ابن آدم اطلبنى تجدنى فان وجدتنى وجدت كل شىء وان فتنى فاتك كل شىء ، وأنا أحب اليك من كل شىء) .

والموت فى الاسلام ليس نهاية الانسان – بل أنه محطة انتقال الى الأبد الذى لا نهاية له ، الى دار الخلود ، الى حيث يقال للمؤمنين : **(سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)** الزمر/٧٣ ، ويرون ماهم فيه من نعيم وتكريم فيقولون : **(الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين)** الزمر/٧٤ ، فالانسان فى الاسلام مزدوج الطبيعة – وهو لذلك متوازن لأن الاسلام يتعامل مع النفس البشرية بضعفها وقوتها ، فلا تطغى ، لانه من صانع الوجود والانسان .

والمسلم متميز على غيره من بنى الانسان ، بأنه غير متورط فى عالم المادية ، بينما الانسان فى الغرب تورط فى الماديات تورطا لايسوغ له القيام بمهمة تخليص الانسانية من ورطتها فى المادية –

والاسلام يرى أن المال وسيلة لا غاية ، وصاحب المال له قيمة بمقدار ما ينفق فى أوجه الخير ، لا بما يكنز أو يستغل أى نوع من أنواع الاستغلال ، وهناك أمور أسمى من المال ولها أثرها فى تحقيق السعادة للفرد والمجتمع كالعقيدة والاخلاق والعلم والشعور بالمسئولية وتحقيق انسانية الانسان •

ولابد من الاهتمام بالفضائل والاخلاق والأعمال الصالحة بالنسبة للفرد مع ربه ومع نفسه ومع مجتمعه — وبالنسبة للمجتمع مع خالقه ومع أفراده ومع المجتمعات الاخرى وما ذكر الايمان فى القرآن الا وذكر معه العمل الصالح والعمل الصالح يشمل كل شىء فى هذه الحياة يساعد المسلم على تحقيق رسالته سلبا أو ايجابا مع النفس أو مع الافراد أو مع المجتمعات الأخرى — بل ان الايمان يغيب عن المسلم حينما يرتكب رذيلة ، وفى الحديث الشريف : (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) البخارى •

والى جانب هذا كله فان الانسان « من المسلم » فى نظر الاسلام مخلوق متميز عن غيره من بنى البشر لأنه يحمل رسالة سامية هى تحقيق خلافة الله فى الارض ، وهذا التميز يأخذ طابع الشكل كما يأخذ طابع المضمون •

التميز فى الشكل :

يتميز الانسان المسلم بالرجولة والخشونة ومن هنا فان الاسلام يحرم كل ما يحد من هذه الرجولة أو يؤثر عليها — ومن ذلك أنه حرم على الرجال الاشياء التى تتحلى بها النساء كالذهب والحرير ، ذلك لأن الاسلام دين الجهاد والقوة ، وهو لذلك يريد أن يصون رجولة الرجل من مظاهر الضعف والتكسر والانحلال ، ولذلك فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس المعصفر ، يروى مسلم عن على رضى الله عنه قال : نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التختم بالذهب وعن لبس القسى (نوع من الحرير) وعن لباس

المعصفر ، وعن ابن عمر قال : (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال: (ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها) رواه مسلم — وقد روى الشيخان عن عمر — رضى الله عنه — قال : (لا تلبسوا الحرير فان من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة) ورأى النبى صلوات الله عليه خاتما من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه وقال : (يعمد أحدكم الى جمرة من نار فيحملها فى يده) فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ خاتمك فانتفع به فقال : (لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم) البخارى ، ويروى ابن ماجه عن على — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فحمله فى يمينه وأخذ ذهبا فحمله فى شماله ثم قال : (ان هذين حرام على ذكور أمتى حل لاناثهم) وأخرج مسلم فى صحيحة ونحن بأذربيجان : يا عتبة ابن فرقد انه ليس من كدك ولا كد أبيك ولا كد أمك فاشبع المسلمين فى رحالهم مما تشبع منه فى رحلك واياكم والتنعيم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير .

وكما يحافظ الاسلام على رجولة الرجل فانه يحافظ على أنوثة الأنثى حتى يتفرغ كل منهما لرسالته وحتى يبقى لكل نوع منهما خصائصه التى يستطيع بها ذلك — وهو يحرم على كل نوع منهما أن يتشبه بالآخر ، لأن فى ذلك افسادا للمجتمع الاسلامى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) البخارى ، والتشبه يكون فى الكلام وفى الحركة وفى المشى وفى الملبس ، وقد روى الطبرانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ممن لعنوا فى الدنيا وأمنت الملائكة على لعنهم رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأةجعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال) ، كما روى أبو داود عن

أبى هريرة قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل) وروى البخارى عن ابن عباس قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء) .

والى جانب هذا فان الاسلام يحارب الترف الذى يهدد الأمم بهلاكها — والترف مظهر !!ظلم الاجتماعى وفيه يقول الله تعالى : **(واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)** الاسراء /١٦ — ولذلك فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استعمال آنية الذهب والفضة لأنهما من الرصيد العالمى للنقد فلا ينبغى استخدامهما الا فى الحدود المرسومة لهما قال عليه السلام : (ان الذى يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم) مسلم .

وفى تناول الطعام لابد وأن يتميز المسلم فيأكل بيده اليمنى ، ويروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تأكلوا بالشمال فان الشيطان يأكل ويشرب بشماله) وجلوس المسلم لابد وأن يكون مغايرا لجلوس غيره يروى أبو داود عن الشريك بن سويد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كنت جالسا هكذا — وقد وضعت يدى اليسرى خلف ظهرى واتكأت على الية يدى (اللحمة التى فى أصل الابهام) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتقعد قعدة المغضوب عليهم ؟) والرسول الكريم يبعد المسلم عن أن يجلس جلسة الكفار الذين غضب الله عليهم .

واليهود والنصارى لايصبغون شعورهم — والتميز يقتضى أن يصبغوا ، يروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) والمشركون يحلقون لحاهم ويبقون شواربهم وقد طلب النبى الكريم تميز المسلمين عن المشركين فى ذلك يروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خالفوا

المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب) رواه مسلم •

والاسلام يحب نظافة الجسم والثوب والجسم والشارع وكل شيء — ومن هنا كان الوضوء والاغتسال وأخذ الزينة عند كل مسجد — ومع ذلك فهو ينفر المسلمين من أن يكونوا كاليهود فى الاعتناء بأفنيتهم يروى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولاتشبهوا باليهود) الترمذى •

وبيوت الكفار عادة تكون فيها الصور والتماثيل اعجابا أو تقديرا أو زينة — وقد ينقلب هذا فى يوم من الايام الى عبادة أو ما يشبهها — ولذلك فان النبى الكريم يقول : (ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل) مسلم ثم يشدد على ذلك تشديدا واضحا حين يقول : (ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور) متفق عليه •

وقد درج غير المسلمين على أن يقوموا تحية للقادم وتعظيما له فقال النبى عليه السلام : (لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا) رواه أبو داود ،كما تعودوا من الاكثار فى الثناء عليه فنبههم النبى الكريم الى أن المجتمع الاسلامى ينبغى أن يكون متميزا عن غيره من المجتمعات ، وأن يكون مقلدا لا مقلدا يقول الرسول الكريم فى الحديث الذى رواه البخارى : (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله) •

وصام رسول الله عليه السلام يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه فقال الصحابة : يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود فقال عليه السلام : (فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم) الموطأ •

وقد جعل الاسلام أعياد المسلمين مرتبطة بالشعائر الاسلامية — وحين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

ووجد الانصار يلعبون فى يومين قال : ما هذان اليومان قالوا يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال عليه السلام : (قد أبدلكم الله خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) الترمذى .

وهكذا يحرص الاسلام على تميز المسلم فى كل شىء ، فان المشابهة فى الظاهر سبب للمشابهة فى الأخلاق ، وقد تصل الى المشابهة فى المعتقدات .

التميز فى المضمون :

والانسان المسلم كما يتميز فى الشكل فانه يتميز فى المضمون أيضا — فالمسلم يحس بكرامته على الله تعالى وبمكانته فى الملأ الأعلى وبمركزه القيادى فى هذا الكون — وهذا كله يجعله معتزا بذاته لأنه يشعر بانتسابه الى الله تعالى وارتباطه بكل ما فى الوجود — فالعقيدة الاسلامية تجعل المسلم انسانا كاملا وتعطى للحياة معنى .

والاسلام وجه عناية بالغة الى الجانب الانسانى فى هذه الحياة ذلك لأن الشعائر — وهى الصلاة والزكاة والصيام والحج — لا تأخذ الا جانبا قليلا من القرآن والسنة ومن كتب الفقه — وأطول آية فى القرآن الكريم هى آية الدين فى سورة البقرة — والتداين جانب هام من جوانب التعامل الانسانى — ومع ذلك فالشعائر فيها جوانب انسانية — فالصلاة تحقق المساواة بين الناس جميعا فى وقوفهم صفوفا متراصة كما تمثل تعليم الطاعة للقائد فى صلاة الجماعة وفى تنفيذ الديمقراطية حين يستفتح الامام على المأموم عند الخطأ — ثم ان الصلاة عون للانسان فى هذه الحياة والقرآن الكريم يقول : **(يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) البقرة /١٥٣**

والزكاة تؤخذ من الغنى لترد على الفقير — وهى لنفس الغنى تزكية وتطهير وللفقير اغناء وتحرير — والصوم تربية لارادة الانسان على الصبر فى مواجهة صعوبات الحياة وتربية لمشاعره على الاحساس بآلام غيره فيسعى الى مواساته — والحج مؤتمر فيه منافع للناس من أوجه مختلفة ففيه تتحقق المساواة

وفيه التجارة وفيه الانسلاخ من الدنيا والتقرب الى الله تعالى .

وكل عمل يعمله الانسان يبتغى فيه وجه الله تعالى فهو عبادة وبخاصة تلك التى تبنى المجتمع يقول الرسول الكريم : (أحب الأعمال الى الله سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضى عنه دينا أو تطرد عنه جوعا — ولأن تمشى مع أخ فى حاجة أحب من أن تعتكف فى هذا المسجد (مسجد المدينة) شهرا — ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه — ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا ، ومن مشى مع أخيه فى حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الاقدام) البخارى ، فالمجتمع الاسلامى هو مجتمع الحب والتعاون والتآلف وهو بعيد عن الحقد والحسد سواء أكان ذلك بالنسبة للأفراد أم بالنسبة للجماعات .

والحب فى المجتمع الاسلامى أساسى ولن يؤمن المسلم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكرهه لها .

والمسلم يحس بأنه عضو هام فى المجتمع وهو فيه راع ومسئول عن رعيته — والمسئولية عامة لكل فرد من أفراد المجتمع — وشعور المسلم بهذه المسئولية يريحه ويجعله يحس بكيانه وبأهميته فى مجتمعه .

والاسلام جعل للانسانية مبادىء تسير عليها ، فالناس جميعا أخوة من أب واحد وأم واحدة : (**يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة**) النساء /١ — والأخوة شاملة للبشرية جميعا ، والمساواة بين الناس مبدأ انسانى اسلامى ، فلا تفرقة بين عنصر وعنصر أو لون ولون أو جنس وجنس : (**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير**) الحجرات /١٣ . فالقيمة الانسانية للجميع واحدة ، ولا فضل لواحد على الآخر الا بالتقوى ، والنبى الكريم يقولها واضحة : (يا فاطمة بنت محمد

اعملى صالحا لا أغنى عنك من الله شيئا) البخارى .

ومن أهم خصائص انسانية الاسلام أن يعمر المسلم الارض بالاسلوب الذى رسمه الله — تعالى — ونشر العدالة الكاملة فيها تحت أى ظرف من الظروف وفى أى مكان — ومع جميع الناس بل حتى ومع النفس ، لأن الله ، — تعالى — سيحاسب على ذلك كله : (**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا**) النساء/١٣٥ .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من خصائص الانسان المسلم — وقد اختار الله — تعالى — الأمة الاسلامية لتحقيق هذه الخصيصة وجعلها خير أمة اخرجت للناس : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران ١١٠ .

ومن خصائص انسانية الانسان فى الاسلام — العلم — ذلك لأن المعرفة سلاح — وكلما أوغل الانسان فيها اكتشف من أسرار الكون ما يزيده تعرفا على انسانيته — والعلم للفرد والمجتمع امكان على تحقيق الرسالة ، ولذلك فان الله — تعالى — يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات .

وشخصية المسلم شخصية مستقلة ، لاتتأثر بالرأى العام اذا كان مخطئا ، ذلك لأنها ترى بعين الله ، وفى الحديث الشريف : (لايكن احدكم امعة يقول : أنا مع الناس ان أحسن الناس أحسنت وان اساءوا أسأت — ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا أن تتجنبوا اساءتهم) — ومن هنا كان أفضل الجهاد عند الله كلمة حق عند أمام جائر .

والمسلم فى هذه الحياة يدافع عن الحق ويحمى أماكن العبادةكلها سواء أكانت اسلامية أم يهودية أم مسيحية — ويوضح ذلك القرآن الكريم فى قوله : (**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على**

نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) الحج/٣٩/ ٤٠ — ويلاحظ فى هذه الآيات أنه قدم الصلوات والبيع على المساجد — ذلك لأن المسلم بطبيعة عقيدته سيدافع عن اماكن عبادته ، ولكنه قد لا يدافع عن بقية اماكن العبادة ولذلك فان الآية الكريمة قدمت الصوامع ، حتى يحس المسلم بأن الدفاع عنها من تمام رسالته .

واذا كان الانسان فى كل المجتمعات قديمها وحديثها يقاتل لتوسيع رقعة الأرض ، أو لارضاء كبرياء مجتمعه ، أو لا ستعباد الآخرين وقهرهم ، ونهب خيراتهم أو لتحقيق المصالح الخاصة ، والتكالب على متاع الدنيا — ويستخدم الطاقات فى خدمة الصراع الذى يحدث بين الافراد والجماعات ، والدول والشعوب التى تتصارع على الارض كلها — ويسعى بعضها الى سحق بعض وتكون القوى الانسانية كلها فى خدمة الشيطان — اذا كان الامر كذلك — فان الاسلام شرع الجهاد ليحارب كل هذه الأشياء — يقابل الطغاة الذين يسخرون شعوبهم من أجل حريتها ، ويحرر تلك الشعوب من استعباد الطغاة لها — وذلك بدعوتهم الى عبادة الله الواحد فى جميع الاتجاهات كما يتحررون من القيم الزائفة ، ومن العبودية لغير الله — وهذا يحقق معنى الآية الكريمة : **(الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت)** النساء/٧٦ .

كما أن من مهمة المجتمع الاسلامى أن يقاتل ليحرر المستضعفين فى هذه الأرض : **(وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا . الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا**

يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا) النساء ٧٥/٧٦ .

وحتى فى الهزيمة يتميز المسلمون عن أعدائهم فلا وهن ولا ضعف ، وهم الأعلون وفى مكان القيادة : **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ، ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء)** آل عمران ١٣٩/١٤٠ .

ومعنى النجاح فى الاسلام يتغير عن معناه عند سائر الأمم — فهو فى الاسلام يكون بأداء الواجب على أكمل وجه وبالنية — والله — سبحانه وتعالى — يجازى الانسان على ذلك لا على النتائج والمسلم الحقيقى هو النموذج الحي للأمن والاستقرار — الأمن من العوارض المادية والآفات والكوارث الواقعة بأن يأمن على نفسه وعلى عقيدته ، وعلى ماله وعلى عرضه وعلى حريته — ثم الأمن فى الآخرة من عذاب الله — تعالى — والآية الكريمة الآتية توضح كيف يكون الانسان المسلم مع ايمانه بالله وأدائه لرسالته فى أمن فى الدنيا والآخرة : **(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون ، نزلا من غفور رحيم)** فصلت ٣٠/٣٢ .

والاسلام حريص على المسلم — حريص على مواهبه واستعداداته واتجاهاته يربيها وينميها ، وفى الوقت نفسه لا يكبتها ولا يتركها تتبدد هنا وهناك من غير فائدة — كما يحدث فى المجتمعات المعاصرة — الاسلام لا يكبت الطاقات لأنها موهبة من الله خالق البشر — وكل ما وهبه الله للانسان هو خير ينبغى أن ينميه ، ويستغله فى الخير ويشكر فضل الله عليه — والمسلم لا يبدد هذه الطاقات لأنها نعمة فهى تنفق فى المصلحة الخاصة والعامة وفى

تحقيق الرسالة ـ المسلم يوجه هذه الطاقات للخير وفى الخير ـ للفرد والأمة وتكون الفائدة فى الدنيا والآخرة .

والانسان غير المسلم يحس بأنه يعيش فى ضياع ـ لا يعرف لماذا جاء ولا الى أين ينتهى ؟ وينشد :

جئت لا أعلم من أين ولكنى أتيت
ولقد أبصرت أمامى طريقا فمشيت
وسأبقى هائما ان شئت هذا أم أبيت
كيف جئت كيف أبصرت طريقى
لست أدرى ؟

لكن الانسان المسلم يعرف الاجابة عن كل هذه الاسئلة لأنه انسان صاحب رسالة لنفسه ولدينه ولمجتمعه ، كما حدد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا عكس الفلسفات البشرية فهى متأثرة بقصور الانسان وملابسات حياته ، فهى لذلك تقصر عن الاحاطة بجميع الاحتمالات فى الوقت الواحد ـ وقد يعالج ظاهرة فريدة أو اجتماعية بدواء يؤدى بدوره الى بروز ظاهرة أخرى تحتاج الى علاج جديد ، لأن الفلسفات البشرية تقصر عن الاحاطة بالنفس البشرية ، وكل أطوارها وأحوالها

على القاضى

الى السادة القراء :

بصدور هذا العدد تختم المجلة عامها الهجرى سنة ١٤٠٠ هـ الموافق سنة ١٩٨٠ م .

وكل عام وأنتم بخير

جمع الصحيحين

للأستاذ محمد أحمد بدوى

جمع الصحيحين

لقد حظى « الصحيحان » منذ تأليفهما بمكانة سامية فى نفوس المسلمين ، وحياتهم على اختلاف مذاهبهم لم تدانها مكانة أى كتاب بعد القرآن الكريم ، واعترف الكافة بأن مناهج الامامين : البخارى ومسلم أكمل المناهج فى اختيار الرواة ، واشتراط الضبط والعدالة فيهم ، وتعاصرهم مع امكان اللقاء (عند الامامين) بل واللقاء الفعلى (عند البخارى) .
قال الحافظ : أبو عبد الله بن يعقوب الاخرم ، وهو شيخ الحاكم صاحب المستدرك : نقل ما فات البخارى ومسلما من الاحاديث الصحيحة .

وقد عكف العلماء على الصحيحين بالاستدراك والاخراج عليهما ، واختصارهما وجمعهما وشرحهما .

المستدركات

أما الاستدراك : فهو العثور على أحاديث بأسانيد رجالها على شروط أحد الشيخين ، ولم يخرجها وممن استدرك على الشيخين الحاكم ، ولكنه استدرك بأحاديث لا يلزمهما اخراجها لضعف رواتها عندهما ضعفا مستديما ، أو ضعفا باعتبار لدى الشيخين ، كأن يكون الراوى ضعيفا فى روايته عن راو بعينه أو يكون ضعيفا عند الكبر .

المستخرجات

وموضوع المستخرج كما قال العراقى ، أن يأتى المصنف الى

الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه عن غير طريق صاحب الكتاب ، فيجمع معه فى شيخه أو من فوقه ، وربما أسقط المستخرج أحاديث وصلت اليه بسند لا يرتضيه ، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب . ولم يلتزم المستخرجون موافقة الاصل فى الالفاظ ، اذ قد تصل اليهم بتفاوت فى اللفظ والمعنى .

ومنها صحيح أبى عوانة المسمى : المسند المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج لابى عوانة يعقوب بن اسحق الاسفرايينى، ومنها صحيح أبى بكر البرقانى وهو المسند ملخص لصحيح البخارى ومسلم (سيزجن) .

المختصرات

أما الاختصار والتجريد فيتم بحذف الاسانيد ، والاقتصار على الصحابى ، وبحذف المكرر من الاحاديث وحذف التراجم بما فيها من آثار وآيات كريمة وتعليقات ، وحذف كل ذلك من البخارى يفقده ميزة كبرى من مميزات كتابه . قال ابن حجر فى التراجم : حيرت الافكار ، وادهشت العقول والابصار ، وبها وبغيرها عد من المجتهدين ، كما أن المكرر — فى نظرنا — يشتمل على كثير من الالفاظ والمعانى غير الموجودة فى الاصول التى يذكرها ، وحسبك أن تعلم أن المكرر فى البخارى يزيد على أصوله التى تكررت والتى لم تتكرر ، وحسبك أن تعلم أن الزبيدى وهو أشهر من اختصر البخارى وجرده قد اقتصر فى كتاب التوحيد على عشرة أحاديث من مائة وتسعين حديثا ، وعلى ذكر ستة أبواب من ثمانية وخمسين بابا ولم يكن البخارى عابثا فى ذكر كل هذه الابواب وتكرير هذه الاحاديث ، فضلا عن أنه قال كما حكى هدى السارى : لم أدخل فيه معادا فهو لم يكرر الا لغرض وفائدة . وممن اختصر البخارى أيضا ابن أبى جمرة . وممن اختصر صحيح مسلم الحافظ المنذرى . ويلتزم المختصرون ألفاظ الصحيحين .

الجمع

كثرت الاعمال التى توصف فى

فهارس المخطوطات بالجمع بين الصحيحين ، وهى متناثرة الان فى مكتبات الشرق والغرب ، وتذكر فى الفهارس تحت عناوين الجمع والاطراف .

وقد اطلعت على معظمها ، وعلى التعريف بما ذكر منها فى مكتبات الازهر ، ودار الكتب المصرية ، ومعهد المخطوطات بالجامعة العربية وبمكتبة الحرم المكى ، ومكتبات المدينة والرياض ، واطلعت على فهارس بروكلمان وسيزجن وسركيس ، وطلس والمكتبة الظاهرية . بدمشق ، وفهارس مخطوطات وزارة الاوقاف فى العراق ، ولم يفتنى الا ما لم يفهرس من هذه المخطوطات . وأمكننى أن أصنفها فى الانواع الآتية :

أولا : الكتب التى تجمع أحاديث الصحيحين كاملة المتون ، وتبعا لنظام المسانيد ، وهى تجمع كل ما روى كل صحابى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأودعه الشيخان صحيحهما . وأشهرها جوامع الحميدى (٤٤٨ هـ) والفراء البغوى (٥١٦ هـ) . وأبو جعفر القرطبى المعروف بابن حجة (٦٤٢ هـ) . وابن الفرات السرخسى (٤١٤ هـ) وهذه المسانيد لا تذكر من السند الا الصحابى ، وقد تذكر من قبل الصحابى وهى تستقصى أحاديث الصحيحين مجمعة تحت أسماء رواتها من الصحابة .

ثانيا : كتب الاطراف . وهى تجمع أحاديث الصحيحين وحدهما ، أو مع غيرهما ، على نظام المسانيد غير أنها تقتصر على طرف من الحديث ، وتستقصى رجال السند ذكرا ، ومنها :

١ ـ أطراف الواسطى (٤٠١ هـ) وتجمع أطراف الصحيحين .

٢ ـ أطراف أبى مسعود الدمشقى وتجمع أطراف الصحيحين .

٣ ـ أطراف ابن الخراط للكتب الستة .

٤ ـ الكشاف بمعرفة الاطراف للحسينى الدمشقى (٧٦٥ هـ) للكتب الستة أيضا .

وتمتاز كتب الاطـــــراف ككتب المســانيد بأنها تستقصى الاطراف ورجال السند ذكرا •

ثالثا : الكتب التى تصنف فيهـا الاحاديث تامة النصـــوص تحت رءوس موضـــوعات ، وهذه اما أن تكون موضوعات مســلم أو أبوابه (كالاشـــــبيلى) واما أن تكون موضـــوعات أو أبوابا من صنعهم تختلف كثيرا أو قليـلا عن أبواب البخارى أو مسلم ، ولم يجمع أحد أحاديث الصــــحيحين بترتيب البخـارى وتراجمــه الى الان ، كما لم يستقص أحـد الصحيحين كما سيبين فى موضــــعه من هذه الدراسة •

رابعا : الكتب التى تضم المتفق عليه من الاحاديث فى الصحيحين • وقد جـاءت فى الفهـــارس تحت عنوان الجمـــع بين الصـحيحين أيضا • ومنهــا ما يذكر الاحاديث تبعـــا للترتيب الالفبائى لأوائل الاحــاديث القولية ، وأغلبهــا فى المتفق بين البخــارى ومســلم ، والقليل فى المتفــق فيهمـــا وفى غيرهما • ومنها ما يذكر الاحاديث تحت رءوس موضوعات •

وسنذكر بشىء من التفصــــيل بعض هــذه المخطوطات كنماذج ، لنرى مدى انطباق مســمياتها على الاســــماء التى أطلقت عايها فى فهارس المخطوطات •

أولا ــ نظام المسانيد

أشـــــهرها الحميدى ، وجاء التعــريف به فى كثير من فهــارس المخطـــوطات ، فقد جاء عنه فى كشــف الظنــون : الجمـــع بين الصحيحين للحافظ •• الحميــدى الاندلسى توفى ســنة ٤٨٨ هـ رتب الاحاديث على الصـــحابة حسب فضـــلهم ، فقدم أحاديث أبى بكر وباقى الاربعة ، ثم باقى العشرة • قال السيرافى فى شرح الالفية له : ان الحميــدى زاد فى جمعه ألفاظا وتتمات ليست فى واحد منهمـا من غير تمييز ، وهذا ما أنكر عليه لأنه جمــع بين كتــابين فمن أين أتت الزيادة ؟ من كشف الظنون •

وقــد اطلعــت فى دار الكتـــب المصرية على نســخة فى مجلدين ، الأول برقم ٣١٢ حــديث والثانى

برقم ٢٠٠ (حديث) وعلى نسخة أخرى من أربعة مجلدات برقم ٦٥٨ ثم اطلعت على الثالث والرابع منها فى مكتبة الحرم المكى • واطلعت على النسخة نفسها ذات المجلدين بخط آخر فى المكتبة المحمودية بالمدينة تحت رقم ٢٩ و ٣٠ •

ويذكر الحميدى الحديث المتفق بلفظ أحد الصحيحين ، وجاء عن ذلك فى مقدمته ؟ وربما أوردنا المتن بلفظ أحدهما • فان اختلفا فى اللفظ واتفقا فى المعنى أوردناه باللفظ الاتم • ولا يذكر الاحاديث المكررة الا فى ظروف خاصة قال عنها فى المقدمة : ولم أذكر من المعاد الا ما تدعو الضرورة اليه لزيادة بيان أو معنى يتصل بما لا يقع الفهم الا بايراده ، ومن هنا يأتى النقص فى انطباق المسمى على الاسم فى جامع الحميدى • ويبدأ بالمتفق من الاحاديث ، ثم بما انفرد به البخارى ، ثم بما انفرد به مسلم ، وقال فى ذلك : وجعلنا حديث كل صاحب على حدة ، وبينا المتفق عليه من كل مسند ، وبما انفرد به واحدا منهما **والاقتصار عن التكرار** • وانى أتجاوز هنا الكلام عن ضرر حذف المكرر مكتفيا فقط بالاشارة اليه •

ثانيا ــ كتب الأطراف

١ ــ **أطراف الواسطى** : قد اطلعت فى دار الكتب المصرية على نسخة مخطوطة فى أربعة مجلدات تحت رقم ٣١ حديث و ••• الخ • وعلى نسخة أخرى فى ثلاث مجلدات تحت رقم ٣٢ حديث ، والنسخة ذات المجلدات الاربعة مصورة فى معهد مخطوطات الجامعة العربية فى فيلمين • وقد ذكر الواسطى مسانيد الصحابة مرتبين على حروف المعجم ، ويذكر طرفا مختصرا جدا من الحديث ، وقد يذكر موضوع الحديث فى كلمة ، ويشير الى المتفق ، ثم روايات البخارى ثم روايات مسلم بذكر اسم الكتاب ، ولا يذكر ما تختلف به الروايات بعضها عن بعض •

٢ ــ **تحفة الاشراف بمعرفة الاطراف للمزى** : جمع فيه مسانيد الصحابة التى فى الكتب الستة

(الصـــحيحان وسنن أبى داود وجامــع الترمذى وسنن ابن ماجة وسنن النسائى) ، ويوجد بمكتبة الازهر الجزء الخامس من نســخة ذات ثمانية مجلدات ، ويوجد مثله فى دار الكتب برقم ٧٢٦ ، وتوجد النسخة كاملة فى المكتبة الظاهرية بدمشـــــق • وقد قام الدكتور عبد الصـمد شرف الدين باخراج الكتاب اخراجا جيدا جدا بالهند • ورتب المزى أطرافه تبعــا لنظام المســانيد مرتبا الصحابة ترتيبا القبائيا ويتتبع أســانيد كل حديث باستيعاب جيد •

ثالثا ــ الكتب المرتبـــة على الابواب •

جاءت فى فهارس المخطوطات تحت اسم الجمع بين الصحيحين ، وهى تذكر أحاديث من الصحيحين بمتونهـــــا تامة وتحت رءوس موضــوعات ، ولم يطبع منها شىء الى الان • ومنها :

١ ــ الاشبيلى : ونفصــل فيه القول اذ هو أشــــهرها ، وجــاء التعريف به فى كثير من فهــارس المخطوطات ، فهو فى فهــارس دار الكتب المصرية ، ومكتبات الأزهر والجامعة العربية ، والحــرم المكى والمدنى والرياض وقد اطلعت عليها جميعا •

ففى فهارس دار الكتب المصرية ما نصه : الجمع بين الصــحيحين للـــ ••• الاشبيلى المعروف بابن الخراط فى مجلدين مخطوطين برقم ١٨٥ الأول الى أول الجهـــــاد ، والثانى من الجهاد الى الآخــر ، كما توجد نسخة أخــرى فى أربع مجلــدات برقم ١٨٦ ، ونســخة أخـــــرى فى مجلدين برقم ٧١٣ ، وقد اطلعت على هذه النسخ ، كما اطلعت فى معهــد المخطـــوطات بالجامعة العربية على نســخة من مجلدين ، الاول مرقوم ٧٦٩ نـــور عثمانية والثانى مرقوم ٧٧٠ نـــور عثمانية ، واطلعت على النســخة المصورة منهما فى الحرم المكــى ، واطلعت عــلى المجلــد الاول من نســـخة مختلفــة تحت رقم ٣٠ بالمكتبــة المحمــودية بالمدينــة ، واطلعت بمكتبــة دار الشــــفاء بالمدينة على نسخة مكونة من ثلاثة

مجلدات ، الاول ينتهي قبل الحج، والثانى قبل المناقب ، والثالث للآخر ، وفى آخره حوالى ٦٠ ورقة لتعليقات البخارى ، هكذا مجمعة ومبتورة من أماكنها التى تفيدها وتفيد منها •

وقد اتبع الاشبيلى ترتيب مسلم مبتدئا من أوله الى منتهاه حديثا حديثا يذكر الحديث بنصه من مسلم ، ويذكر من البخارى من أى موضع فيه ما يتصل بهذا الحديث زائدا عنه ، ويذكر موضعه بذكر اسم الباب والكتاب•

وقد اختصر الاشبيلى كتاب مسلم ، وقال فى مقدمته : ذهبت فى هذا الكتاب الى اختصار كتاب الامام مسلم بن الحجاج ، فحذفت اسناده ، وأسقطت تكراره ، واقتصرت من ذكر السند على اسم الصاحب الا لضرورة • كما لم يتعرض فى البخارى الى ما لم يتعرض له فى مسلم • من معان ، وقال فى المقدمة : وليعلم الناظر فيه أنى لم أخرج فى هذا الكتاب من حديث البخارى الا ماكان زائدا على ماف كتاب مسلم فلا تستريب من ذلك •

وفى دراسة عن حديث ابن عباس عن صلاة النبى صلى الله عليه وسلم العيد ، ووعظه للنساء تبين أنه قد ورد منه فى مسلم ثلاث روايات فى كتاب العيدين ، لم يكرر منها شيء فى مواضع أخرى غير العيدين ، وورد منه فى البخارى ١٥ رواية موزعة فى العيدين ، والزكاة والتفسير والنكاح واللباس والاعتصام • وأشار الاشبيلى الى الروايات الثلاثة من مسلم بأنها متفقة مع مثيلاتها فى البخارى ، وأشار الى وجود كلمة زائدة فى البخارى فى روايتين أخريين ، ولم يشر الى الروايات العشرة الباقية فى البخارى •

تبين هذه الدراسة وغيرها أن الكتاب أقرب الى أن يكون كتابا مستقصيا فى المتفق ، لا كتابا فى الجمع بين الصحيحين •

٢ ــ جمع الصحيحين لعمر بن بدر الموصلى ، وجاء التعريف به فى معجم سركيس وبروكلمان

الجمع بين الصحيحين لعمر بن بدر الموصلى المتوفى سنة ٦٢٥ هـ ، ويستفاد من بروكلمان أنه لا يوجد الا فى متحف لندن ، وقد تفضل بعض الاصدقاء الفضلاء فأحضر لى فيلما من بضع وثلاثين صفحة شملت الفهرست وبعض الأبواب من أوله الى آخره ، وجاء فى مقدمته : جمعت كتابى هذا وحذفت من الاسانيد **والمكرر** من المتون الا ما كان يحتمل ادخاله فى ابواب متعددة ، فانا اضطررنا الى اعادته لئلا يخلو انباب منه ، وسميته الجمع بين الصحيحين مع حذف **السند والمكرر** من المتون هـ .

والموضوعات التى وضعت تحتها الأحاديث من وضع المؤلف ، ويشتمل المصنف على مائة وتسعة كتب مقسمة الى ١٨٢ بابا و ٢١ فصلا و ٩٤ موضوعا متفرقا . والكتاب أشبه برياض الصالحين بملاحظة اقتصاره على أحاديث من الصحيحين .

٣ ــ جامع أبى نعيم الحداد ، وجاء التعريف به فى دار الكتب باسم جامع الصحيحين ، بحذف المعاد والطرق أملاه أبو نعيم الحداد الأصبهانى المتوفى سنة ٥١٧ هـ ، وفى سيزجن جاء ذكره تحت كتب تجمع بين الصحيحين برواياتهما المشتركة وتكملتهما على طريقتهما ، وقد اطلعت عليه فى دار الكتب وفى الجامعة العربية، وهو مماثل لسابقه ، اذ هو عبارة عن تجميع أحاديث من الصحيحين تحت أبواب من صنعه ، ليست على ترتيب أى من الصحيحين ، ويسوق الحديث باسناده الخاص به ، وقد تختلف ألفاظ بعض أحاديثه عن ألفاظ حديث أى من الصحيحين : فهو مستخرج على الصحيحين لا جمع للصحيحين .

٤ ــ الجوزقى ، ويشار اليه فى المصنفات أحيانا انه فى المتفق ، وأحيانا فى الجمع ، وفعل ذلك ابن حجر . فمثلا رواية خالد بن مخلد للحديث الثانى فى باب ــ تعرج الملائكة من كتاب التوحيد (٢٣ / ٩٧) قال عنها ابن حجر فى هدى السارى : وصلها الجوزقى فى المتفق ، وقال عنها فى الفتح وصلها

الجوزقى فى الجمع بين الصحيحين •

ويغنى عن جميع الدراسات التى أجريتها عليه فى كتب الايمان والجمعة والعيدين ، وتبين منها انه ليس جمعا كاملا فى المتفق ،بله أن يكون جمعا للصحيحين ، أنه يقع فى اثنتين وثمانين ورقة من القطع المتوسط فى دار الكتب المصرية ، وبما انه يسوق الأحاديث بأسانيده ، وتختلف ألفاظه أحيانا عن ألفاظ أى من الصحيحين ، فأصدق ما يوصف به أنه مستخرج على مختصر من الصحيحين •

نتيجة الدراسة

١ ــ كتب المسانيد ومعها كتب الاطراف : لا تفيد القارىء العادى ، لأنها تجمع أحاديث كل صحابى فى مختلف الموضوعات اما بنصوصها كاملة ، وأما بأطرافها ، والقارىء الحديث يريد أن يكون بين يديه جميع ما ورد فى الصحيحين فى الموضوع الواحد فى مكان واحد •

٢ ــ كتب المتفق الألفبائى أو على حسب الموضوعات ليست جمعا للصحيحين •

٣ ــ الكتب التى وصفت فى الفهارس بالجوامع تحت رءوس موضوعات لم تستقص أحاديث الصحيحين ولم تجمع أحاديثهما تحت رءوس موضوعات ، أى من الصحيحين ، كما انها تخلو من ترجمات البخارى التى هى شروحه على صحيحه بما تتضمن من تعاليق وآثار وآيات قرانية •

ان الصحيحين لم يجمعا جمعا كاملا الى الآن ، وهما لا يزالان بحاجة الى جمع كامل مستقص بمنهج حديث يحقق الاستفادة الكاملة من أثمن كنوز السنة •

منهج مقترح لجمع الصحيحين

نعرض لتبادل الرأى مع المشتغلين بالسنة الشريفة الخطوط العريضة للمنهج الذى يجب أن يتبع فى الجمع بين الصحيحين لتوسيع قاعدة الاستفادة من أثمن كنوز السنة •

أولا ــ يرتب الجامع على أبواب البخارى لأنها أوسع تبويب للسنة وللأغراض التى تطلب لها

الأحاديث وتبلغ صياغتها من الدقة والأصالة والعمق والشكلية والتنوع الى أن تصل بالبخارى مع مؤهلات أخرى الى مرتبة الاجتهاد . فهى تتناول الاخلاق والاجتماع والسياسة وأنماط الحياة ، وأنواع السلوك ولذلك سمى كتابه « الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه » ، فهو يصف حياة الرسول والصحابة أحسن وصف وأدقه ، فوق اشباعه النواحى التقليدية التعبدية ، بينما أبواب مسلم يغلب عليها الطابع الفقهى التقليدى بما أضيف اليها من تقييدات الشافعية .

والزعم بأن ترتيب مسلم أحسن من ترتيب البخارى لسهولة الوصول الى الحديث فيه يرجع الى تجميع مسلم للأحاديث المختلفة الصيغ المتعددة المعانى تحت ما توحى به المناسبة التعبدية التقليدية ، والرد عليه أن البخارى لم يذكر حديثا تحت باب تتصف صياغته بالاصالة والابتكار الذى يوافق الاهتمامات المعاصرة الا وأودع رواية منه بابا تقليديا متبادرا الى الذهن ، وقد سبق البخارى بصنيعه هذا أحدث مناهج الفهرسة التى تهدى الباحث الى مطلوبه اذا كان متذكرا لأى عنصر من عناصره .

ثانيا — ترتب أحاديث الجامع فى كل باب بحسب درجتها المصطلح عليها من الصحة ، فيبدأ بالمتفق عليه بين البخارى ومسلم بحسب ترتيبه فى الباب ويذكر بصيغة البخارى ، ويعقب الحديث بما يكون فى رواية مسلم من اختلاف عن رواية البخارى بالزيادة أو بالنقص ، ثم تذكر الأحاديث التى انفرد بها البخارى بحسب ترتيبها فيه أيضا ، ثم تذكر الأحاديث التى انفرد بها مسلم فى الموضع الذى يناسبها ، ولا يترك حديث واحد من الصحيحين .

ثالثا — يثبت المكرر من أحاديث البخارى كل فى موضعه حيث أتى، ومن مسلم يناسب لأن كل حديث مما نعده مكررا يؤدى فى موضعه غرضا ، ويوضح موضوعا قصد

اليه الامامان ، وترتيبا على اثبات المكرر يثبت الاتفاق فى الأحاديث المكررة التى لم ترد فى كتب المتفق تبعا لمناهج مؤلفيها فى الاختصار • ولتسهيل البحث عن أحاديث البخارى يثبت عقب كل حديث سيتكرر المواضع المقبلة لوروده ، وعند كل موضع مكرر الموضع الأول لوروده •

رابعا — تثبت تعليقات البخارى والآثار والآيات القرآنية الكريمة سواء ما ورد منها فى ترجمات الأبواب أو مع الأحاديث ، والتى يتمثل فيها صلب منهج البخارى ، وبها صار صحيح البخارى مؤلفا له فيه عمل واجتهاد ، لا مجرد ثبت للأحاديث ، وبدونها يصير البخارى شيئا آخر غير ما أراده البخارى ، ويوضح من وصل التعليقات والمتابعات ، وباثبات المكرر والتعليقات والمتابعات تتم المحافظة على جميع معانى الصحيحين بالمحافظة على مبانيهما•

خامسا — ترقم الكتب والأبواب والأحاديث ، ويتبع ترقيم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله فى الكتب والأبواب ، ويعدل حيث يحتاج الأمر الى تعديل • أما ترقيم الأحاديث فاقترح أن ترقم أحاديث كل كتاب من كتب الجامع بمسلسل واحد لا يتقيد فيه بأى ترقيم سابق • وليس ترقيم أحاديث البخارى أمرا سهلا لا فى العمل ولا فى الأهمية ، لأن منهج البخارى فى التعليق وحذف كثير من الأسانيد أوقع كثيرا من الشراح فى الخطأ ، فضلا عن أن المرقمين السابقين قد اعتبروا تعليقات لم يصلها البخارى أحاديث ورقموها •

سادسا — لتسهيل المراجعة على الباحثين يوضح مكان كل حديث من مسلم •

هذا والمنهج معروض على المشتغلين بالسنة لمناقشته ، والله الموفق والهادى الى سواء السبيل •

محمد أحمد بدوى

يا عيد

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

يا عيد وجهك باسم متألق — يضفي الجمال على الحياة ويونق
يا منحة الرحمن في الاسلام تسطع في قلوب المؤمنين وتشرق

بلل بأنداء المسرة أنفسا — ظمأى الى برد الرضى تتشوق
وامسح دموع الاشقياء البائسين بما تفيض من النعيم وتغدق

لك كل عام زورة مقرونة — بتنسك نفحاته تتدفق
تسمو به الارواح فوق الكائنات تهيم في النور الشفيف وتخفق

وترف في روض السكينة حينما — ينتابها قيظ الحياة المحرق

* * *

يا عيد جدد في القلوب ازاهر الايمان تنفح بالعبير وتعبق
ماقي الوجود على الطليح نسائم — اندى من الايمان اذ يترقرق

* * *

يا عيد ألف ما تنافر من قلوب — نالها بالجائحات تفرق
فالحب في الاسلام شرع لا يقص — جناحه الا الغبي الاحمق

* * *

ياعيد وامح اليأس بالآمال تزهر — في النفوس المقفرات وتورق
وارفع الى رب العباد دعاءهم — بالصالحات لعله يتحقق
ماكنت الا مرسلا للمسلمين عليك — من حلل السعادة رونق

محمد عبد الرحمن صان الدين

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٥٨٨ ويقولون : فلان عديم الجود والكرم ، يعنون أنه بخيل لا يعطى خيرا ، ولا يفضل على أحد . وهذا غير سليم ، لأن للعديم معنيين لا صلة لكل منها بالبخل .

أحدهما : الأحمق والمجنون ، جمعه عدماء كبخيل وبخلاء .

والآخر : الفقير والمعدم ، نقول : أعدم الرجل اذا افتقر فهو معدم بالضم وعدم تكرم فهو عديم أى افتقر فهو فقير .

والفصيح – لتأدية المعنى الذى يريدونه – أن يقال : هو خال من الجود والكرم ، أو خلاء بفتح الخاء ، أو خلو بكسرها ، أو خلى بزنة غنى .

٥٨٩ ويقولون : ان جنودنا أبطال مغاوير ، صمدوا صمودا مشرفا فى معركتهم مع الأعداء وأنزلوا بهم الهزائم حتى جعلوهم يفرون مندحرين ، وفى هذه العبارة غلطتان احداهما : أن الصمود مصدر أنشأه العامة ، أما المصدر السليم الذى ورد عن العرب فهو الصمد بزنة العدل ، وله معنيان أحدهما القصد فقول : صمدت الأمير من باب نصر صمدا اذا قصدته فالأمير مصمود وصمد بفتحتين ، ومن هذا قوله تعالى « **الله الصمد** » أى المقصود ، والآخر الضرب ، تقول صمده بالعصا صمدا اذا ضربه بها .

والأخرى : قولهم مندحرين ، والصواب أن يقال مدحورين أى مطردين تقول : دحره يدحره من

باب خضع دحورا اذا طرده وأبعده ، ومنه قوله تعالى **«ويقذفون من كل جانب دحورا»** ، والمطرود مدحور ، ومنه قوله جل شأنه **« قال أخرج منها مذموما مدحورا »** (١) •

فكان عليهم أن يقولوا : ان جنودنا ثبتوا فى معركتهم مع الأعداء ثبوتا مشرفا ، وأنزلوا بهم كثيرا من الهزائم حتى أجلوهم مدحورين •

٥٩٠ ويقولون: فى الجنيه خمسة ريالات ، وفى هذا التعبير غلطتان• احداهما : أن كلمة الجنيه علمية لا وجود لها فى العربية ، والفصيح أن يستبدل بها كلمة الدينار المصرى ، وأصل الدينار دنار بتشديد النون ، أبدلت من احدى النونين ياء ، لئلا يلتبس بالمصادر من نحو كذاب فى قوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذابا » وقولهم: كلمه كلاما ، وحمله حمالا ، ولهذا ترد فى الجمع فيقال دنانير •

والأخرى : كلمة ريال اذ لم ترد عن العرب بالمعنى الذى أرادوه ، وانما معناها اللعاب تقول : رال الصبى يريل ريالا اذا سال لعابه ومثله الروال بالضم ، يقال الطفل يسيل رواله كما فى الصحاح ، وقيل ان الروال لعاب الدابة أو هو خاص بلعاب الفرس كما فى القاموس ، والمرول وزان منبر الرجل الكثير اللعاب

٥٩١ ومما نشأ على ألسنتهم وأسنة أقلامهم قولهم :لفلان شهرة واسعة بين الناس ، يعنون أنه يتمتع بفيض من جمال الذكر وحسن الأحدوثة ، وهذا التعبير فاسد ، لأن الشهرة معناها ظهور الشىء فى شنعته وفظاعته وقبحه حتى يشهره الناس ، وفى الحديث « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب ذلة ، وقال ابن الأعرابى : الشهرة الفضيحة يقال شهره كمنعه شهرا ، وشهره تشهيرا اذا قبحه وفضحه ، ومن المجاز قولك

---

(١) يأتى فعل بمعنى مفعول كثيرا يولد بمعنى مولود ، وقلم بمعنى مقلوم ونفض بمعنى منفوض ، وقبض بمعنى مقبوض ، وحسب بمعنى محسوب •

أشـــتهرت فلانا اذا استخففت به وفضحته وجعلته شـــهرة ، قـــال الأخطل

فـــلأجعلن بنى كليب شـــــــهرة بعوارم (١) ذهبت مع القفال (٢)

ولتأدية المعنى الذى يبتغـــونه ينبغى أن يقال : لفلان صيت ذائع بين الناس ، لأن الصـــيت بكسر الصاد معناه الذكر الجميـــل ، أو يقال ذهب صيته فى النـــاس ، أو ذهب ســـمعه فيهم بكسر الصاد معناه الذكر الجميل ، أو يقال ذهب صيته فى الناس أو ذهب ســـمعه فيهم بكسر السين ، لأن السمع هو الصيت والذكر الحسن كما فى قول الأعشى •

سمعت بســـمع البـــاع والجـــود والندى فألقيت دلوى فاســـتقت برشائكا (٣)

ولك أن تقول : انتشر صوته فى الناس •

٥٩٢ ويقولون : الصراف سلمنا أجورنا فاستلمناها ، وهذا التعبير فيه غلطتان •

احـــداهما أنهم جعلوا الفعـــل الأول ناصبا مفعولين ، والحق أن له حالتين •

١ ـــ أن يكون متعـــديا لواحد كما فى قوله تعالى **« فـــلا جنـــاح عليـــكم اذا ســـلمتم ما آتيتم بالمعروف »** وعلى هـــذا يجب أن يقال : الصرافسلم الينا أو سلم لنا أجورنا •

٢ ـــ أن يكون لازما وذلك اذا كان بمعنى التحية والمصافحة كما فى قولك سلمت على الضـــيفان وقوله سبحانه : **« حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها »** •

هـــذا فى الفعـــل المضعف ، أما المزيد بالهمز فله حالتان أيضا •

١ ـــ أن يتعـــدى الى مفعـــول واحد كما فى قوله تعـــالى: **« ومن**

---

(١) العوارم : يريد بها القوافى الشديدة الوقع •
(٢) القفال : العائدون من ميدان الحرب •
(٣) الرشاء : الحبل يستقى به جمعه أرشية •
(٤) الحطيم : حجر الكعبة أو ما بين الركن وزمزم •

أحسن دينا ممن أسلم وجهه الى الله وهو محسن » وقولك أسلمت فلانا اذا خذلته ، وفى الحديث « المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه » •

٢ ــ أن يكون لازما وذلك بأن يكون بمعنى الانقياد والطاعة كما فى قولك أسلم فلان اسلاما اذا دخل فى دين الاسلام وانقاد ، وقوله جل شأنه : **« اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين »** •

والغلطة الأخرى : انهم استعملوا الفعل الثانى فى غير معناه ، لأن الاستلام معناه اللمس تقول استلم الحاج الحجر الأسود اذا لمسه بالقبلة أو باليد ، وهو مشتق من السلام بكسر السين وهى الحجارة ، وفى المثل « أكتم للسر من السلام » قال الفرزدق يمدح الحسين رضى الله عنه

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

والصواب أن يقال الصراف سلم الينا أجورنا فتسلمناها أى أعطانا الأجور فأخذناها وأما الثلاثى فلازم دائما نقول : سلم فلان من البلاء أو من العيب سلامة وسلاما اذا برىء منه وهذا مما يؤكد أن الفعلين المضعف والمهموز اذا تعديا فلا يتعديان الا الى مفعول به واحد •

٥٩٣ ويقولون: لفلان خاتم ثمين من الماس ، وكلمة الماس لم ترد بهذا المعنى فى كلام العرب والصواب أن يقال : له خاتم فصه من السامور كما فى شفاء العليل •

وقول صاحب القاموس فى مادة (م و س) الماس حجر متقوم أعظم ما يكون كالجرزة ــ وهم لأنه كثيرا ما يعتمد على كتب الطب فيقع فى الغلط •

هذا الى أن كلمة ماس لا تدخل عليها أداة التعريف ، ولا تقع الا صفة فيقال : فلان ماس اذا كان لا ينفع فيه عتاب ، أو كان طياشا خفيفا ، أولا ينتفع بموعظة أحد •

٥٩٤ ويقولون لمن لاغيرة له على أهله معرس بصيغة اسم المفعول أو عرس وزان بفل ، وهذا خطأ صراح •

وذلك لأن هاتين الكلمتين ــ على الرغم من أنهما عربيتان سليمتان ــ تحمل كل منهما معنى لا يمت بأى صلة للمعنى الذى قصدوا اليه •

فالمعرس هو المكان الذى يعرس فيه المسافر ، أى ينزل فيه نزلة يستريح فيها من وعثاء السفر ثم يرتحل •

أما العرس فلفظ يطلق على عمود فى وسط الفسطاط ، وكذلك على الفصيل الصغير ، جمعه أعراس ولتأدية المعنى المبتغى يجب أن يقال له ديوث وزان فروج ، مأخوذ من ديثه اذا ذلله ، تقول : داث الشىء ديثا من باب باع اذا لان وسهل ، ويعدى بالتضعيف فيقال ديثه فلان •

ويقال له أيضا قمعوث بالضم وزان زنبور ، وطزع وزان كتف •

٥٩٥ ويقولون لمن يقرأ القرآن بصوت لين رخيم (مقرىء) ، وهذا خطأ ، والفصيح أن يقال له قارئى اسم فاعل من قرأ الثلاثى ، أو قراء بصيغة المبالغة •

تقول • قرأ الرجل الرسالة قراءة بالكسر ، وقرءا بالفتح ، وقرآنا بالضم فهو قارىء من قرأة ككتبة ، وقارىء من قراء ككتاب ، وقارىء من قارئين وقرائين •

والقراء وزان كتان الحسن القراءة ، جمعه قراءون ولا يكسر، أما القراء بالضم وزان رمان فهو الناسك المتعبد جمعه قراءون وقرارىء ، وفى لسان العرب قرائى كحمائل •

وأما المقرىء فهو من يقرىء غيره ويعلن القراءة ، وكلمة القرآن فى الأصل مصدر كما سبق بيان ذلك ثم جعلت اسما كما فى قولك كتبت القرآن ، وحفظت القرآن •

٥٩٦ ويقولون فى جمع كلمة ألد بفتحتين مع تشديد الدال وهو الخصم الشحيح الذى لا يميل الى الحق كالالندد واليلندد (ألداء) كأنه جمع لديد ، على أن اللديد معناه دواء يصب فى أحد شقى الفم وكذلك هو ماء لبنى أسد ، جمعه ألدة كرغيف وأرغفة ، واللديدة بالهاء الروضة الزهراء • والصواب أن جمع ألد ومؤنثه لداء

لد بضم اللام كحمر وخضر وفى التنزيل « وتنذر به قوما لدا »

٥٩٧ ويزعمون أن كلمة المضاهاة معناها الموازنة بين شيئين وتبيين وجوه الشبه بينهما ، فيقولون • ضاهينا بين كذا وكذا ، ومن ذلك قالوا : فلان خبير لدى المحاكم فى مضاهاة الخطوط ، يعنون بذلك أن الخبير يعمد الى كتابين ، فيفحص عما بينهما من تشابه ، ليحكم بعد ذلك أهما لكاتب واحد أم لكاتبين مختلفين •

وهذان التعبيران لا يؤدى كل منهما المعنى الذى نشىء من أجله لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجار •

والصواب كما فى أساس البلاغة — أن يقال : فلان لا يضاهى كرما ولا يضاهيه أحد ، أى لا يشابه فى كرمه ولا يشبهه أحد •

وفى النهاية : أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله ، أراد المصورين وصانعى التماثيل ، فالمضاهاة المشابهة والمماثلة ، وقد تهمز فيقال مضاهاة كما همز الفعل فى قوله جل شأنه : « **يضاهئون قول الذين كفروا** » ••

وفى لسان العرب : المضاهاة مشاكلة الشىء بالشىء وقد تهمز •

٥٩٨ ويقولون : وقع فلان على عقد البيع ، أو على الشكوى ، أو على الرسالة وهذا خطأ بين ، ووجه الكلام السليم أن يقال : وقع فى الشىء توقيعا ، أى تستعمل مع هذا الفعل فى ، لا على •

وأصل التوقيع أن يرفع الانسان شكاية الى الوالى ، بعد أن يفحص الوالى عما فيها يكتب فى أسفلها أو على ظهرها : ينظر فى أمر هذا الشاكى ، ويستوفى له حقه اذا كان صادقا فى دعواه •

وقال الأزهرى : هو أن يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول ويستعمله المحدثون مجازا فى توفيق ما كتب وذلك بأن يكتب الكاتب اسمه ولقبه فى أسفل الشكوى أو العقد أو غير ذلك دلالة على صحة ما جاء بكل منها •

٥٩٩ واقد شاع على ألسنتهم وأسلات أقلامهم قولهم سررنا برؤياك يعنون سررنا بمرآك وهذا خطأ لم يقتصر شيوعه بين العامة ، وانما تعداهم الى الخاصة وها هو ذا أبو الطيب المتنبى — على جلالة قدره ، وبليغ أسلوبه — قد وقع فيه ، فقد قال لبدر بن عمار حينما سامره ذات ليلة الى قطع من الليل •

مضى الليل والفضل الذى لا يمضى
ورؤياك أملى فى العيون من الغمض

وكان من الواجب عليه أن يقول : ورؤيتك أملى من الغمض ، لأن العرب تجعل الرؤية لما يرى بالعين فى اليقظة ، والرؤيا لما يرى كالخيال فى المنام ، قال تعالى **« يأيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون »** وقال **« لا تقصص رؤياك على اخوتك »**

٦٠٠ وكثير من الخاصة حرصوا فيما ينطقون أو يكتبون على استعمال القياس فى شىء ، وفاتهم أن العرب نطقت بألفاظ شذت عن القياس ينبغى لهم أن يستمسكوا بها دون أن يقيسوا عليها ، لأن ميدان اللغة النقل والسماع •

فقياس اسم من أفعل هو مفعل ومفعلة كمخرج ومخرجة وشذ ذلك ما جاء على صيغة اسم المفعول ومنه •

١ — ألفج التاجر اذا أفلس فهو ملفج بفتح الفاء ولا يجوز كسرها وفى الحديث **« ارحموا ملفجيكم »** •

٢ — اجرأشت الأبل اذا سمنت وملأت بطونها فهى مجرأشة بفتح الهمزة ولا يجوز كسرها •

٣ — أحصن الرجل اذا تزوج فهو محصن بفتح الصاد ، والمرأة محصنة ومن ذلك قوله تعالى : **« والمحصنات من النساء »** وجاء الكسر على قلة ومنه قوله سبحانه **« محصنين غير مسافحين »** •

٤ — أعم فلان وأخول اذا أعمام وأخوال ، فهو معم مخول بفتح العين والواو ، ويجوز كسرهما •

٥ — أسهب الولد فى الكلام اذا أكثر منه فهو مسهب بفتح الهاء •

وقد يأتى اسم الفاعل من أفعل شذوذا على وزن فاعل ، ومنه •

١ — أيفع الغلام اذا شب فهو يافع ، ولا يقال موفع ، جمعه يفعه بالتحريك ككاتب وكتبة .

٢ — أمحل البلد اذا أصابه الجدب وهو انقطاع المطر وييس الأرض فهو ما حل ، وممحل قليل

٣ — أعشب المكان اذا أنبت العشب وهو الكلأ الرطب فالمكان عاشب ، ويجوز على قلة معشب

٤ — أملح الماء اذا أكثر فيه الملح فهو ماء مالح ولايقال مملح ، فان كان الملح بقدر قيل ملح ملوحة فهو مليح وزان فرح كخشن خشونة فهو خشن .

٥ — بقل الموضع ابقالا اذا أنبت البقل فهو باقل ، ومبقل على الأصل .

وشذ أيضا مجيء اسم الفاعل من فعل الثلاثى على وزن غير فاعل : ومن ذلك .

١ — باع الرجل فهو بيع وزان سيد وفى الحديث « **البيعان بالخيار ما لم يتفرقا** » وجاء بائع على الأصل .

٢ — طاب الشيء اذا لذوزكا فهو طيب وزان سيد ، ولا يقال كاتب .

٣ — بان الأمر اذا ظهر واتضح فهو بين وزان سيد ، وجاء بائن على الأصل .

٤ — شاخ الرجل اذا استبانت فيه السن فهو شيخ جمعه شيوخ بالضم والكسر وأشياخ ، وشيخة بالكسر وشيخة بكسر ففتح ، وشيخان بالكسر ، ومشيخة وزان مرحمة ، ومشيخة وزان مدينة ومشيوخار ، ومشايخ .

٥ — نصحت لك بكذا فأنا نصيح ، جمعه نصحا ، وجاء ناصح على الأصل جمعه نصح كركع ونصاح ككتاب .

٦ — مات المريض فهو ميت وزان سيد ، ميت وزان سيف ، وقد ذكرها الشاعر فى قوله .

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الأحياء

والجمع أمـوات ، ومـوتى ، وميتون بتشديد اليـاء ، وميتون باسكانها ، وهى ميتة ، وميتة وجاء ماتت على الأصل ، والمائت والميت بتشديد الياء من لم يمت بعـد ، ومنه قوله تعالى لرسوله صـلى الله عليه وسلم « **انك ميت وأنهم ميتون** » أما الميت بسكون اليـاء فهو من خرجت نفسه •

عباس أبو السعود

« دعـــاء »

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصـمة أمرى وأصـلح لى دنياى التى فيها معاشى •

وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى •

واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير •

واجعل الموت راحة لى من كل شر •

وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :

أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا فى الدعاء

قالوا : نعم يارسول الله •

قال : قولوا (اللهم أعنا عـلى ذكرك وشـكرك وحسـن عبادتك) •

حكم .. وطرائف

اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«من أعجب الأشـــياء»

من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه ، وأن تسمع داعيــه ثم تتأخر عن الاجابة ، وأن تعرف قدر الربح فى معاملته ثم تعــامل غيره ، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له وأن تذوق ألم الوحشة فى معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته ، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض فى غير حديثه وغير الحديث عنه ، ثم لا تشــتاق الى انشراح الصــدر بذكره ومناجاته ، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه الى نعيم الاقبال عليه والانابة اليه وأعجب من هذا علمك انك لابد لك منه وأنك أحوج شىء اليه ، وأنت عنه معرض وفيما يبعدك عنه راغب •

« التحرج من الفتيا »

قال على ــ كرم الله وجهه ــ : من أفتى الناس بغير علم لعنتــه السماء والأرض ، وكان الصحابة يتدافعون أربعة أشــــياء : الامامة والوديعة والوصية والفتوى ، وقيــل أسرع الناس الى الفتــوى أقلهم علما ، وأشدهم دفعا لها أورعهم •

وقال صلى الله عليه وسلم : « أجرؤكم على النار أجرؤكم على الفتوى » •

وقال ابن مسعود ــ رضى الله عنه : ان الذى يفتي الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون ٠

وسأل رجل ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ عن شىء ، فقال : لا أعلم ثم قال بعد أن ولى الرجل : نعم ما قال عمر لما لم يعلم لا أعلم ٠

وسئل مالك بن أنس ــ رضى الله عنه ــ عن ثمان وأربعين مسألة ، فقال فى اثنتين وثلاثين منها : لا أدرى ٠

وكان عبد الله بن يزيد يقول : ينبغى للعالم أن يورث جلساءه من بعده لا أدرى حتى يكون أصلا منه فى أيديهم اذا سئل أحدهم عما لا يعلم أن يقول لا أدرى ٠

وسئل الشعبى عن مسألة فقال : لا أعلم ، فقيل : ألا تستحى وأنت فقيه العراقين ؟ قال : لا أستحى مما لا تستحى منه الملائكة حين قالت : « **لا علم لنا الا ما علمتنا** » ٠

وسئل أبو يوسف عن شىء ، فقال : لا أدرى ، فقيل له : تأكل من بيت المال كل يوم كذا وكذا ؟ وتقول : لا أدرى فقال : أكل منه بقدر علمى ، ولو أكلت بقدر جهلى ما كفانى ما فى الدنيا جميعا ٠

وقال أعرابى : لا تقل فيما لا تعلم فتتهم فيما تعلم ٠

« لو صبرت »

اشترى رجل دارا ، فقال لصاحبها : لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير ، قال له : وأنت لو صبرت لبعتك الذراع بدرهم ٠

« اتجه الى الله »

شكا رجل الى رجل الفقر : فقال له : ياهذا ، تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك ؟

وقال الأحنف بن قيس : شكوت الى عمى وجعا فى بطنى ، فنهرنى ثم قال : ياابن أخى لا تشك الى أحد ما نزل بك ، فانما الناس رجلان :

صديق تسوءه ، وعدو تسره ، يا ابن أخى : لا تشك الى مخلوق مثلك ، لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن اشك الى من ابتلاك به ، فهو قادر على أن يفرج عليك ، يا ابن أخى : احدى عينى هاتين ، ما أبصرت بها سهلا ولا جبلا منذ أربعين سنة ، وما أطلعت على ذلك امرأتى ، ولا أحد من أهلى •

« ترغيب »

« من حج حجة فقد أدى فرضه ، ومن حج ثانية فقد داين ربه ، ومن حج ثالثة حرم الله شعره وبشره على النار » •

« صدق رسول الله »

« أيهما أركب »

خرج ابراهيم بن أدهم فى بعض السنين الى الحج ماشيا ، فرآه رجل على ناقته ، فقال له : الى أين يا ابراهيم ؟

قال : أريد الحج ، قال : أين الراحلة ؟ فان الطريق بعيد ؟!

قال ابراهيم : لى مراكب كثيرة ، ولكن لا تراها ، قال : ما هى ؟

قال : اذا نزلت بى مصيبة ركبت مركب الصبر ، واذا نزلت بى نعمة ركبت مركب الشكر ، واذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء ، واذا دعتنى نفسى الى شىء علمت أن ما بقى من الأجل أقل مما مضى •

قال له الرجل : سر باذن الله ، فأنت الراكب وأنا الماشى •

« أخروا »

كان ابن مسعود اذا مشى خلفه أحد الناس ، قال : أخروا عنى نعالكم فانها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع •

« أعيته الحيلة »

يعتبر أبو جعفر المنصور ، رجل بنى العباس والمؤسس الثانى لدولتهم بعد أن انتقلت اليهم الخلافة من بنى أمية ، وكان اذا دخل البصرة أيام الأمويين دخل متنكرا متكتما ، وكان يجلس فى حلقة أزهر

السـمان العالم الثبت المحقق ، فلما أفضت الخلافة اليه ، قدم عليه أزهر فرحب به وقربه وقال : ما حاجتك يا أزهر ؟ قال : يا امير المؤمنين ، دارى متهدمة وعلى أربعة آلاف درهم ، وأريد أن أزوج ابنى محمدا فوصله بعشرة آلاف درهم ، وقال له : قد قضينا حاجتك ياأزهر ، فلا تأتنا بعد اليوم طالبا ، فأخذها وارتحل ، فلما كان بعد سنة أتاه ، فقال له أبو جعفر ما حاجتك ياأزهر ؟ قال : جئت مسلما ، فقال : لا والله بل جئت طالبا ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم فاذهب ولاتأتينا بعد اليوم طالبا ولا مسلما ، فأخذها ومضى ، فلما كان بعد سنة أتاه ، فقال له ما حاجتك ياأزهر ؟ قال أتيت عائدا ، فقال : لا والله بل جئت طالبا ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم فاذهب ولا تأتينا بعد اليوم طالبا ولا مسلما ولا عائدا ، فأخذها وانصرف ، فلما مضت السنة أقبل ، فقال له : ما حاجتك يا أزهر ؟ قال : يا أمير المؤمنين دعاء كنت سمعتك تدعو به ، جئت لأكتبه ، فضحك أبو جعفر وقال : الدعاء الذى تطلبه منى غير مستجاب ، فانى دعوت الله به أن لا أراك ، فلم يستجب لى ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف ، وتعال اذا شئت ، فقد أعيتنا الحيلة فيك •

« أول جورك »

اختصم عمر بن الخطاب وأبو كعب ــ رضى الله عنهما ــ فى حادثة الى زيد بن ثابت ، فألقى زيد الى عمر بوسادة يجلس عليها ، فقال له عمر : هذا أول جورك وأبعد الوسادة وجلس بين يديه •

« الذنب ذنبى »

كان رجل من الأعراب يعمل فى معمل الذهب فلم يصب شيئا فأنشد يقول :

يارب قدر لى فى هناسى
وفى طلاب الرزق بالتماس
صفراء تجلو كسل النعاس

فضربته عقرب صفراء بذنبها فأسهرته طول الليل فجعل يقول :
يارب الذنب ذنبى اذا لم أبين ما أريد من الصــفراء ، اللهم لك الحمد والشكر ، فقال رجل : أما سمعت قول الله تعالى : « **لئن شكرتم لأزيدنكم** » فوثب الرجــل فزعا من الخوف أن يزيده الله من ضربات العقارب لشكره •

« متى يجــاب الدعــاء ؟ »

قال ابن عطاء : للدعاء : أركان وأجنحة ، وأوقات وأســباب ، فــان وافق أركانه قوى ، وان وافق أجنحته ارتفع ، وان وافق أوقاته فاز ، وان وافق أسبابه نجح !

وأركانه : حضور القلب مع الله — تعالى — والخشــوع للــه والحياء من الله ، ورجاء كرم الله ! •

وأجنحته : الصدق ، وأكل الحلال •

وأوقاته : الفراغ والخلوة •

وأسبابه : الصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — فان الدعاء لا يرد اذا كان قبله وبعده الصلاة على النبى — صــلوات الله وسلامه عليــه •

« دعــاء »

اللهم انك تســمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شىء من أمرى ، فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى •

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

باب الفتاوى

للأستاذ عبد الحميد شاهين

هل يجوز استبدال النقود بالهدى ؟

تحدث كثير من الناس فى استبدال النقود بالهدى والأضاحى ، هل يجوز ذلك أولا يجوز ؟

ووجه بعض الصحف الى العلماء استفتاء فى هذا الشأن فأجاب عليه الأستاذ الامام شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمه الله بما يلى : —

بين الجهل فى التطبيق والنظر القاصر :

يظن كثير من الحجاج أنه يجب على كل حاج أن يذبح هدايا فى حجه ، وأن يكون ذبحه فى أيام معينة هى · أيام النحر الثلاثة ، وفى مكان معين وهو منى خاصة ، ومن هنا نرى الفقراء أو البخلاء يعمدون الى ماقل ثمنه من هدى مريض أو هزيل فيذبحونه ، فلا يطيب لحمه لآكل ولو كان فقيرا يتضور جوعا • وبذلك تتكدس لحوم الهدايا فى منى ، وتتعفن • وتنبعث منها الروائح ، فتفسد الجو ، وتنتشر بها جراثيم المرض، وفى ذلك من الأذى والضرر ما لا يرضاه الشرع الحريص على صحة الناس وطيب الحياة ••

وأمام هذا الواقع الفاسد يبرز آخرون ، يقف نظرهم عندما تقع عليه أبصارهم وتشمه أنوفهم • من تكدس اللحوم وآثارها السيئة ، ولا يكلفون أنفسهم البحث عن أسباب هذه الظاهرة الخبيثة ، فيردونها الى سوء

التشريع ، لا الى سوء التطبيق ، أو الجهل بالتشريع ، وبذلك يصيحون - كلما اظل الناس موسم الحج - بوجوب العدول عن الهدى والذبح - ويلحون فى استبدال النقود بالهدى . وتوزيعها على الفقراء ، بدلا من هذه اللحوم التى تفسد الجو ، أو تدفن فى الأرض ، ويقحمون فيما يبرر رأيهم - جهلا بغير علم - قوله تعالى : « **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** » (١) .

وبذلك وقعت مسألة « الهدى فى الحج » بين جهل فى التطبيق والعمل ، وبين نظر قاصر ، يحاول بهذا الجهل تغيير حكم الله فيها ، دون أن يتعرف واقع المشروع ، ويدعو الناس اليه ، فيبقى حكم الله على ما شرع ، ويسلم الجو من الأذى والضرر ...

كلمات فى الهدى :

وهذه كلمات فى الهدى أكشف بها هنا معنى الهدى الذى شرعه الله فى الحج ، وعن مكانته فى القرآن الكريم ، وعن الحالات التى يطلب فيها عينا دون تخيير بينه وبين غيره ، وعن المكان والزمان اللذين يصح فيهما ذبح الهدى ، وعما ينبغى أن يكون عليه الهدى من سلامة الصحة والجودة والنقاء ...

وأرجو أن يجد الفريقان فى هذه الكلمات ما يردهم الى الصواب ، فيعرف الحجاج أن الهدى ليس واجبا على كل حاج ، ويعرف من يجب عليه : أن الهدى الهزيل هدى خبيث لا يرضاه لنفسه ولا لأهله ، فلا ينبغى أن يرضاه لله « **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه** » (٢) .

ويعرف الآخرون أن الله أرحم بعباده منهم ، وأنه لا يشرع لهم الا كل خير نافع ، وأنه أجل من أن يتعبدهم بما فيه شرأو ضر :

---

(١) الآية ٣٧ من سورة الحج .
(٢) الآية ٢٦٧ من سورة البقرة .

أو ضرر : وأن تشريعــه فــوق ما يربطون به نظرهم من ســوء التصرف المبنى على الجهل بأحكامه وشرائعــه ، وأن من الخــير لهم وللناس أن يتريثوا فى آرائهــم ولا يندفعوا الى اعلان التحلل من أحكام الله بمجرد نظر خــاطف ، فيوقعوا الناس فى شك من دينهم. ويفتحوا على أحكام الله بمثل هذا النظر باب التفكير فى كثير من صور العبادات التى ينحرف الناس بها عن وضــــعها الشرعى ، واذن لا يمضى كثير من الزمن ، وخاصــة فى هذه الفترة التى نعيش فيها ، والتى يستبيح فيها كثــير منا ــ باســم حرية الرأى ومعقوليــة الدين ــ أن يتناولوا بأفكارهــم الشاذة ، ما لا يفقهون من أحكام اللــه العقيدية ، أو ما يفقهــــون ويريدون ــ لحاجة فى نفوسهم ــ القضاء عليه .

معنى الهدى :

والهدى أســم للحيوان الذى يهدى باسم الله الى الحرم، ويذبح فيه ، ويطعم منه الفقير والمسكين **« فاذا وجبت جنوبها فكلوا منهــا وأطعمــوا القانع والمعتر كذلــك سخرناهالكم لعلكم تشكرون »**(١).

وقد أرشد القرآن الى الروح الذى يتقبل به الهدى ، وهو روح الاخلاص والتقوى ، شــأن كل التكاليف ، لا يكفى فى تقبلها شكلها ولا صورتها ، وانما يرفعها اليــه الاخلاص والتقوى ، وهو المعنى بقــوله تعــالى : **« لن ينــال الله لحومها ولا دمــاؤها ولكن ينالــه التقوى منكم »** (٢) كما لا ينــاله من الصلاة الحركات والسكنات ولا من الصــــوم ترك المأكــولات والمشروبات ، ولكن ينــاله منها ما يحملان من معــانى الخشــــوع والاخبات ، ومراقبة القلب وحسن النيات **« انمــا يتقبل اللــه من المتقين »** (٣) .

---

(١) الآية ٣٦ من سورة الحج .
(٢) الآية ٣٧ من سورة الحج .
(٣) الآية ٢٧ من سورة المائدة .

الهدى فى القرآن :

قد عرض القرآن للهدى من جهات ثلاث :

أولها : جهة التنويه بشأنه ، فطلبه وطلب الاخلاص فيه لله ، وجعله من الشعائر التى يجب المحافظة عليها ، ويحرم اهمالها واحلالها ، ففى سورة المائدة « **يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام . ولا الهدى ولا القلائد ، ولا آمين البيت الحرام** » (١) وفى سورة الحج « **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير** » (٢) وفيها « **ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب** » (٣) ...

ثانيها : جهة الحالات التى يطلب فيها . وهى : حالة الاحصار ومعناه : المنع عن اتمام الحج أو العمرة بمرض أو عدو وهى المذكورة بقوله تعالى فى سورة البقرة « **وأتموا الحج والعمرة لله . فان أحصرتم فما استيسر من الهدى** » (٤) وقد طلب فيها الهدى عينا متى تيسر ، ولم يخير بينه وبين غيره .كما لم يجعل له بدل..

وحالة الاعتداء على الاحرام بفعل محظور من محظوراته ، كتغطية الرأس ، أو لبس مفصل على الجسم ، أو قتل صيد الحرم، وهى المذكورة بقوله تعالى فى سورة البقرة « **فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** » (٥) وبقوله فى سورة المائدة « **يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما** » (٦) .

---

(١) أوائل سورة المائدة .
(٢) الآية ٣٦ من سورة الحج .
(٣) الآية ٣٢ من سورة الحج .
(٤) الآية ١٩٦ من سورة البقرة .
(٥) الآية ١٩٦ السابقة .
(٦) الآية ٩٥ من سورة المائدة .

وقـــد طلب الهـــدى فى هاتين الحالتين على سبيل التخيير بينـــه وبين غيره : من الصوم والاطعام ، وقد بين الرسول عليه الصـــلاة والسلام أن المراد : صوم ثـــلاثة أيام أو اطعام ستة مساكين ..

وحـــالة التمتـــع بالتحـــلل من الاحرام الأول على ارادة استئناف احرام آخر للحج عند الخروج الى عرفة ، وهى المذكورة بقوله تعالى: **« فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم »** وقـــد يكـــون طلب الهدى هنا على أن يكون له بـــدل عند العجز .

زمان ومكـــان الهدى :

وكما عرض القرآن للهدى من جهة التنويه بشأنه . ومن جهـــة الحالات التى يطلب فيها : عينـــا أو تخييرا بينه وبين غيره . عرض له من جهة المكان الذى يذبح فيه **« ثم محلها الى البيت العتيـــق »** **« هـــديا بالغ الكعبة »** والمراد ــ لما دل عليه قول الرســـول عليـــه الصلاة والسلام وعمله ــ الحرم كله ، وقد صح عنه « ان منى كلها منحر ، وان مكة وفجاجها منحر » واذن : ففى مكان ذبحه متســـع . ومتسع عظيم ، وليس خاصا بمنى كما يظن كثير من الناس .

أما الوقت الـــذى يذبـــح فيه الهدى ، فلم يعرض القـــرآن ولم يصح فى تعيينه حـــديث ، واذن فلمن وجب عليه الذبح عينا . أن يذبح هديه فى أى وقت شاء بعـــد أن وجب عليه ، وليس هناك ذبح يتعين زمنه سوى « الأضـــحية » التى تكون فى أيام النحر الثلاثة ، وهى غير الهدى . وهى لا تجب ــ ان صح أنها واجبة ــ على حـــاج أو مسافر .

وقد بين الفقهاء أن هدى التمتع يجوز ذبحه بمكة قبل الخروج الى عرفة ، بل قبل الاحرام بالحج وهو أهم ما يجرى فيـــه الجـــدل بين الناس ، وأهم مـــا يحـــدث تلك الظاهرة الكريهة .

الهدى من شعائر الله :

بهـــذا الـــذى ذكرناه نعلم أن الهدى من شعائر الله التى تجب

المحافظة عليها ، ولا يصلح التهاون فيها أو اغفالها ، وحسبنا «**لاتحلوا شعائر الله**» والشعائر هى العلامات الواضحع الظاهرة التى اعتبرها الدين مظهرا من المظاهر العامة ، وهذا لا يتحقق الا بعمل ظاهر يراه الناس فى مناسبات خاصة ، وان أردت زيادة فى الايضاح فانظر الى موقف الشريعة من الأذان • اذا اعتبرته شعيرة من شعائر الدين ، يقاتل أهل القرية أو المدينة على تركها وان لم تكن من الفرائض ألا وان للشعائر فى نظر الاسلام مكانة الفروض المقدسة ، وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء فى ذبائح الحج ، ولم نر لواحد منهم خلافا فى ذلك ، نزولا على حكم تلك الآيات الصريحة الواضحة ، وتحقيقا للغرض المقصود ، وهو التقرب الى الله باراقة الدم • ولله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء : بما يدركون حكمته ، وبمالا لايدركون• وما كان اختلاف الفرائض ــ فى عدد الركعات والكيفيات ، وتحديد الأوقات ، واختلاف مقادير الزكاة والكفارات ، وسائر ما دخله العد، أو اعتبرت فيه الكيفية ــ الا نوعا من هذا التعبد الذى يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الحقة وهو الامتثال لأمر الرب الحكيم ، عقل معناه أم لم يعقل •

من ثمرات الهدى الروحية والاقتصادية :

والعلماء يذكرون فى هذا المقام أن هذه القرية تذكر بحادث الفداء الذى حصل لابراهيم الخليل وولده عليهما السلام • وتنبه النفوس المؤمنة الى مبدأ التضحية فى سبيل الله وطاعته بأعز شىء لديها « **وفديناه بذبح عظيم** » •

على أن فى العمل بهذه القربةسرا اقتصاديا يرجع الى سكان البادية، ولعله من مصداق دعوة أبيهم ابراهيم حين قال : « **ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » (١) •

---

(١) الآية ٣٧ من سورة ابراهيم •

ذلك أن الماشـــية رأس مال أهل البادية • وموسم الحج هو السوق التى تنفق فيه هذه السلعة • عن رغبة لا مشقة فيها ، وبذا يحصلون على أرازقهم من أعمـــالهم • ومن ثمن أموالهم دون أن يتعرضوا لذل السؤال ، أو يترقبوا لمن العطاء •

لا تغيير فى أمور التعبد :

من هذا يتضح جليا أنه لايجوز للمسلمين أن يفكروا فى اســتبدال النقود بالهدى أو الأضــاحى التى طلبها الشــارع بذاتهــا ، اقامة للتصدق بثمنها مقامهـا ، اذ ليس القصد هو التصدق ، وانما القصد ــ كما قلنا ــ التقرب بها نفسها • واننا لو أبحنا لأنفسنا هذا النحو من التفكير ــ بناء على ما نظن من حــكم التشريع ــ لا نفتح علينـــا باب ، التفكير فى التخلى عن الأعداد والكيفيات التى طلبت فى كثير من العبادات ، ولأمكن لقائل أن يقول: ان الغرض من الصلاة هو الخضوع ومراقبة اللـــه ، وهمـــا معنيـــان يحصلان بالقلب ، وبأى مظهر من مظاهر الخضـــوع والمراقبـــة • فليست هناك حاجة الى ركوع أو سـجود أو غيرهمـــا من كيفيـــات الصلاة الخاصة ، وذلك ينفتح باب الشر عـــلى مصراعيـــه ولا يقف ضرره عند حد الأضاحى وفـــدية الحج ••

الشريعة لا ذنب لها :

أمـــا ما يبررون به مثـــل هـــذا التفكير من أن لحـــوم الـــذبائح تتكـــدس فى منى وتتـــرك للتعفن المفسد للجو ، أو للنـــار المذهبـــة للأموال ، فهذه الحالة ــ ان صحت ــ ليست ناشئة عن أصل التشريع الذى هو خير كله ، وانما نشـــأت عن عدم التنظيم ، وعـــدم الالمام بأحكام الشرع ، فـــان الشرع لم يطلب من كل حـــاج أن يـــذبح : فالذى نوى الحج ، واستمر على احرامه حتى أكمل حجـــه لا يجب عليه ذبـــح ولم يوجب أن يكـــون الذبح ــ فيما يوجب فيه الذبح ــ فى خصوص منى ولا مجزرتهـــا ، ولا فى اليـــوم الأول من أيـــام النحر ، فأيام النحـــر كلهـــا زمن للذبح ، والحرم كله مكان للذبح ، والذبح لم يطلب عينا الا فى حالات

مخصوصة ، وما عـداها فالحـاج مخير بينه وبين غيره : من صـدقة أو صيام ••

فلو عرف الحجاج أحكام اللـه على هـذا الوجـه فيمـا يختص بالدماء : فتصـدق من لم يطلب منه الذبح ، وذبح من طلب منـه الذبح ، وفرقوا الذبح على الأماكن والأيام ، ثم تخيروا الذبيحة من غير العجاف والمرضى، وهيئوها بالسلخ والتقطيع ، لما كان لهـذه الشكوى موضع ،ولكن جرت سنتنا فى التفكير ان نعتبر الوضع الذى جرت اليه العادات ــ وان كانت فاسـدة ــ صـورة للتشريع فنحـكم عليـه بالقبح ، ثم نحاول التخلى عنـه بالقضاء على أصله ، وبذلك ندخل فى باب من التغيير والتبـديل فى أحكام الله ، ولا نلبث بعد ذلك أن نترك الشريعـة كلهـا جانبـا باستحساننا الفاسد المبنى عـلى واقع جر اليه الجهـل وعـدم التنظيم •

اقتراح لحل المشكلة :

وبعد : فان الكـلام فى هـذا الموضوع ليس وليد اليوم ، بـل سبق أن تحـدث فيه المرحـوم الهلباوى بك مع فضيلة المغفـور له الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، فأحال على فضيلتـه بحثـه من الوجهة الفقهية الشرعية ، فعـدت اليه بعد البحث الطـويل : بـأن الفقهاء جميعا يعتبرون التعبـد فى هذه المسألة باراقة الـدماء ، دون أن أرى فى كلام واحـد منهم ما يشير ــ ولو من بعيد ــ الى جواز استبدال النقود بها • فاطمأن الى هذا وأقره •

وقد عرضـت على فضـيلته اقتراحا هو : أنه على فرض تكدس اللحوم ــ كما يقولون بعد مراعاة الأحكام الشرعية فى زمان الـذبح ومكانه وطلبه وعدم طلبـه ، يجب على المسـلمين أن يعملـوا عـلى استخدام احدى الوسائل الحديثة لحفظ هذه اللحوم وادخارها طيبة، ثم توزيعها على الفقراء والمحتاجين فى جميع الأقطار الاسلامية • ان

(•) من كتاب « الفتاوى » للمرحوم الشيخ محمود شلتوت •

ضاق عنها القطر الحجــازى ، أو بيعها بأثمان تصرف فيمــا ينفــع الفقراء والمساكين أو فى سبيل الله العــامة ، وانى اعتقــد أن هــذا المشروع متى كفلتــه الدولتــان العظيمتان : مصر والســـعودية ، رأينا آثاره وانتفع الناس بثمراته ان شاء الله ..

أيها المسلمون : هذه أحكـــام الله فى الهدى ، وأحكامه كلها خير وبركة ، فاعرفوها على وجههــا . وعلموها الناس ، ونظموا العمــل بها والمحافظة عليهــا ، ولا تكونوا كالذين ثقلت عليهم أحكام الله مع يسرها وخيرها فبدلوا قولا غــير الذى قيل لهم . فأرسل الله عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون.

عبد الحميد السيد شاهين

« تصـــويب »

وضع خطأ كلشيه « الشعر المملوكى مرآة عصره » فى موضـــوع .. « تعقيب ورد على التعقيب » ص ١٤٤٦ عدد ذى القعدة .

فلزم التنبيه

من أنباء العالم الاسلامي

اعداد الاستاذ فهمى عبداللاه سيد على

« الرئيس الباكستاني يدعو الى وضع نظام تربوى يركز على العقيدة الاسلامية » .

طالب الرئيس ، محمد ضياء الحق ، رجال التربية المسلمين ، بالرجوع الى القرآن الكريم المنهل الأصلى والدائم للمعرفة والرشاد . كما أنه دعا الى وضع نظام تربوى ، يركز على العقيدة الاسلامية وبناء جيل اسلامى قادر على تحمل مسئولياته فى الأزمة الراهنة .

كذلك طالب الرئيس الباكستانى القائمين على التعليم الاسلامى ببذل جهود لتنشئة ابناء المسلمين طبقا لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وتمكين الطلاب المسلمين من التعمق فى العلم والتكنولوجيا . كما أنه أكد على أهمية تدعيم نظم التعليم الاسلامى ومنهجه فى الدول الاسلامية .

وشدد الرئيس ضياء الحق على أهمية مواجهة مروجى التيارات الهدامة التى يواجهها العالم الاسلامى .

وقال ان صراع الأفكار والمبادىء الوضعية التى وضعها الانسان فى عالمنا المعاصر تعرض السلام الدولى للخطر . وأعرب الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق عن سروره لعودة المسلمين الى المعانى الأصيلة لدينهم وتراثهم التعليمى والثقافى المميز ، واندفاعهم نحو التعرف على هويتهم الحقيقية .

« توصيات اتحاد المؤرخين العرب (١) » ..

ناشد المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب الحكومات العربية بضرورة الاحتفاء بحلول القرن الخامس عشر الهجرى بما يليق وتاريخ الأمة الاسلامية ومكانتها الحضارية ، كما دعا الحكومات العربية ومؤسساتها الثقافية للتعاون مع اتحاد المؤرخين العرب ، من أجل كتابة تاريخ الأمة العربية بأسلوب علمى وروح موضوعية ، كذلك طالب الحكومات العربية بضرورة توحيد مناهج تدريس التاريخ العربى الاسلامى فى جميع مراحل التعليم فى الوطن العربى .

كما أوصى المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب الحكومات العربية بضرورة الاسهام فى مشروع احياء مدينة القيروان ومسجدها الجامع، وآثارها الاسلامية ، وايفاد عدد من المؤرخين العرب الى عدد من الجامعات للتعريف بتاريخ الأمة الاسلامية وتراثها .

كذلك دعا المكتب الحكومات العربية الى دعم مراكز وأقسام الدراسات الاسلامية والعربية فى الجامعات الأجنبية لتمكينها من اداء دورها الايجابى ، ودعم الاتحاد فى مشروعه الخاص باقامة ندوة عالمية فى كندا لبحث العلاقات العربية الكندية والعمل على تطويرها .

كما أنه دعا الحكومات العربية الى توحيد جهودها وجمع كلمتها لمجابهة العدوان الصهيونى واسترداد حقوق العرب فى أرض فلسطين .

ووجه الاتحاد نداء الى الأمين العام للأمم المتحدة عن الجرائم التى ترتكبها الصهيونية فى الارض العربية المحتلة .

« الدعوة للمحافظة على مدينة (فاس) المغربية » ..

وجه سعادة المدير العام لمنطقة الاونيسكو ، التابعة للأمم المتحدة الدكتور أحمد ومختار مباوى ، من

---

(١) من النشرة ٨٤ للمركز الثقافى الاسلامى بايطاليا .

جمهورية السنغال ، الدعوة للقيام بحملة عالمية ، لاعادة بناء وترميم مدينة فاس ، أقدم المدن المغربية، والتى كانت فى يـوم من الأيـام عاصمة الجناح الغربى من بـلاد الاسلام ، لتعود اليها عظمتهـا ومجدها ، ليس فقط من الناحيـة الفنية والمعمارية فحسب ولكن من الناحية التجارية والثقافية والأدبية والروحيـة • ان مشروع اعادة تعمير مدينة فاس سيتناول اعـادة بناء وترميم العديد من المسـاكن والمدارس والمعاهـد الدينيـة والثقافية ، بحيث تعاود نشـاطها وتستعيد مجدها ، فضـلا عـن المحافظة عـلى الفن المعمـارى الأندلسى ، وكذاك فكرة بناء كلية الدراسات الاسلامية •

والجدير بالذكر ، أن هذا النداء العالمى ، هو الأول من نوعـه ، والذى تقوم به مؤسسة الأونيسكو التابعة لهيئة الأمم المتحـدة ، فى سبيل اعادة بناء وترميم مدينـة اسلامية ، كما أن هنـاك بعض العقبات التى تعترض هذه الحملة، سواء من الناحية الماليـة أو من الناحية التقنية فمن المقـدر أن تبلغ التكاليف حوالى ستمائة ألف مليون لير ايطالى ، كما أن تنفيـذ الحملة قد يؤى الى تغيير جذرى فى مخططات المدينة •

« رابطة العالم الاسلامى تقدم أربع ملايين ريال لتشييد مساجد فى دول افريقية » ••

قدمت رابطة العالم الاسـلامى مبلغ ٤ مـلايين ريال الى كل من السنغال ، ومالى ، وساحل العاج، وتوجو ، وسـيراليون ، وغانا ، للمساهمة فى انشـاء عـدد من المساجد فى هذه البلدان •

هذا ، وقد قام وفد من رابطـة العالم الاسلامى بجولة فى هـذه الدول ، سلم خلالها حصة كل دولة من هذا المبلغ ، كما أجرى اتصالات مع المسـئولين فى الجمعيات والمراكز الاسـلامية ، فى الدول الست تناولت تشـكيل مجالس محلية للأئمة ، للعناية بالمساجد ، الى جانب شئون الدعوة الاسلامية وتطوير أساليبها ، ودعم العلاقات بين الرابطة والدول الاسلامية •

فهمى عبد اللاه سيد على

١٧٩٥

كتاب الشهر

أبو هريرة المفترى عليه

في كتاب

مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام

تأليف

الأستاذ / عبد الواحد الأنصاري

تعليق

الأستاذ / عبد الجواد محمد الحضري

رد على لغـو تفوه به كاتب فى مصنف منشـور ...

نشرت مؤسسة للمطبوعات فى بيروت ـ مؤخرا ـ كتابا حمـل عنوان (مذاهب ابتدعتها السياسة فى الاسلام) افترى مؤلفـه على أبى هريرة ، ولم يكتف بذلك بل اتهم جل الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ بما لا يقوله مسلم يؤمن بما أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولما كنت أحفظ أثرا عن جابر بن عبد الله يقول : « اذا لعن آخر هـذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره ، فان كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل على محمد » ترانى أكشف الأقنعة عن الطاعنين ... ولم لا ؟ وقد أثبت أعلام الاسلام « أن (١) أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين تصـديقا ، وعلما وعملا وتبليغا ، فالطعن فيهم طعن فى الدين موجب للاعراض عما بعث الله به النبيين » وأشهد أن أبا هريرة ورفاقه مبرءون من كل جريرة ، أما ما يتقوله هؤلاء مثيرو الفتن ، فان يغنى عن الحـق شيئا ، وأنى لهم التناوش ؟ وقد سجل الاسلام فضل صحابة رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مناهجه :

فى القـرآن الكريم

يقول الله « لقد تاب الله عـلى النبى والمهاجرين والأنصار الـذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم » (٢) .

ويقـول : « لقـد رضى الله عن المـؤمنين اذ يبايعـونك تحت الشجرة (٣) » ويقول : «والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحسـان رضى

---

(١) ابن تيمية (منهاج السنة) ج ١ ص٢ ط أنصار السنة المحمدية . القاهرة .

(٢) سورة التوبة ـ ١١٧ .

(٣) سورة الفتح ـ ١٨ .

الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » (٤)٠

فى السنة الشريفة

يقول رسول الله ــ صلى اللــه عليــه وســلم : « لا تســبوا أصحابى فوالذى نفسى بيــده لو أن أحدكم أنفق مثل أحــد ذهبــا ما أدرك مــد أحـــدهم ولا نصيفه » (٥) ويقول « الله ! الله ! فى أصـــحابى لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضــهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقـــد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله فيوشــك أن يأخــــذه » (٦) ويــرى الامــام أحمد أن المرجفين عــلى صحابة النبى « أرادوا القدح فيه فلم يمكنهم ذلك فقدحوا فى أصحابه حتى يقولوا رجل سوء ، ولو كــان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين»

ولا مناص من اتهام اسلام هؤلاء والا فبم يتهمون ؟ !

وحسبك أن الله سبحانه ــ غفر لهم وترضى عنهم ــ وليت المتشككين ينظرون بعين الانصاف الى هؤلاء النجـــوم الذين نوروا للنــاس الظلمات ٠٠٠

مزاعم مدحوضـــة بالــدلائل الثابتة ٠

يقول مصنف الكتاب فى (ص ١٣)

(ان أبا هريرة الذى عاش فى عهــد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سنة وبضعة أشهر وحده يروى عن رسول الله أكثر من ستة أضعاف ما رواه عــلى وأبو بكــر وعمــر وعثمان ، يروى البخــارى منها (٤٤٦) حديثا أى ما يقارب خمسة عشر ضعفا عما رواه عن أبى بكــر وعمر مع اجماع المسلمين أن عمر وعائشة كانا غير واثقين به ويتهمانه بالكذب على رسول الله ، أخــرجه

(٤) سورة التوبة ١٠٠ .
(٥) رواه مسلم وهو صحيح .
(٦) رواه الترمذى وابن حبان .

الامام أبو حنيفة من الثقات واعتبره من الوضاعين .. الخ)
وللرد على هذه الاكاذيب نقول : — الناس متفاوتون فى العقول ، وفى درجة التلقى للعلم ، وليس بمستغرب أن يحصل أبو هريرة ما لم يحصله غيره بيد أنه كان قوى الذاكرة جيد الحفظ لأنه لم يك كاتبا مثل بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا يغيب عن خاطرنا أن الصحابة كانوا يتمنون اسلام الأعراب لأنهم كانوا يسألون الرسول عن أشياء يستحى منها الصحابة ؛ أما أنه عاشر النبى — صلى الله عليه وسلم سنة وأشهر — فهذا كذب والصدق أنه جلس معه « ثلاث سنين وأشهر كما أجمعت معظم الروايات التاريخية الصحيحة (٧)» ولعل كثرة مروياته راجعة فى الأصل الى ملازمته اللصيقة لرسول الله ، فعن أبى هريرة قال : قلت يارسول الله : « من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال « لقد ظننت أن يسألنى عن هذا الحديث أحدا أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث » وأخرج البغوى بسند جيد عن ابن عمر أنه قال لأبى هريرة : « أنت كنت ألزمنا لرسول الله ، وأعلمنا بحديثه »
« وعن طلحة بن عبيد الله قال : لا أشك أن أبا هريرة سمع من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مالم نسمع (٨) » ، ومن عجيب الأمر أنه كان يعلم أن الناس سيتقولون عليه ، وكأنه كان ينظر بستر رقيق من وراء الغيب ، وهذا ان دل فليس الا على نفاذ بصيرته وقوة فراسته وسلامة كرامته ، وتأمل معى — أيدك الله — حديثه الواضح لترى مدى شفافيته قال :
« يقولون ان أبا هريرة قد أكثر والله الموعد ، ويقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه ، وسأخبركم عن ذلك: ان أخوانى من الأنصار كان يشغلهم الصفق بالأسواق وكنت الزم

---

(٧) رشيد رضا (مجلة المنار) ج ١ مجلد ١٩ ص ٣٦ سنة ١٣١٥ هـ .
(٨) ابن حجر — (الاصابة) ج ١ ص ٢٠٧ ط السعادة سنة ١٣٢٨ هـ .

رسول الله ــ صـــلى اللـــه عليـــه وسلم ــ على ملء بطنى ، فأشهد اذا غابوا وأحفظ اذا نسوا ولقـــد قال رسول الله ــ أيكم يبســـط ثوبه فيأخذ من حـــديثى هـــذا ثم يجمعه الى صدره ، فانه لم ينس شيئا سمعه فبسطت بردة على حتى فرغ من حـــديثه ثم جمعتهـــا الى صدرى فما نسيت بعد ذلك اليوم شـــيئا سمعته منه ، ولولا آيتان أنزلهما الله فى كتـــابه ، ما حدثت شيئا أبدا (**ان الذين يكتمـــون ما أنزلنا من البينات والهـــدى ... الى آخـــــر الآيتـــين ــ) رواه** البخـــارى ومســـــلم والترمذى ولا ريب فى ذلـــك ناهيـــــك أن النبى دعا له بعدم النســـيان كما ورد فى سنن النســـائى أنه قال : اسألك علما لا ينسى فقـــال رسول الله : آمين فقال الجلوس : يارسول الله ونحن نســـألك علمـــا لا ينسى فقال:«سبقكم بها الغلام الدوسى» ولم يفت الامام (*) أن يتنبـــــه لهذا الاكثار من المحفوظات فأثبت أن من أعلام الرواة « أبوهريرة » وعدد ماروا ه خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون (٥٣٧٤) حديثا ، وعن الشـــافعى : كان أبـــو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره ، وكان الامام مالك يرضاه وهو ثقة دع عنك ما ينســـــبه المؤلف لأبى حنيفة ، لأن مسائل الفقـــه عنـــده اعتمدت فى أدلتها على أحـــاديث الرسول برواية أبى هريرة ، فكيف يكذبه ثم يعتمد على طريقه ، بـــل كيف يخترع مصـــنف الكتاب تلك الأقاويل ويعزوها للبرآء منهـــا ، وهل نسى « أنا أبا هريرة روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل (٩) » ويقول فى ص ٢٧ ما نصه : « وبعد أن كان الانتهازيون من المحدثين يحدثون الناس فى عهد معـــاوية ، أن الله اصطفى محمدا وجبرائيل ومعاوية ..روى صاحب البداية والنهاية ج ٨ ص ١٢٠ عن أبى هريرة قـــال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه

(*) الذهبى فى ميزان الأعتدال .

(٩) ابن العماد ــ (شذرات الذهب) ج١ ص ٦٣ ط القاهرة سنة ١٣٥٠هـ

وسلم ــ يقول : « ان اللــه ائتمن على وحيــــه ثلاثة : أنا وجبريل ومعاوية » قلت : لعل ســـيادة المؤلف ــ فض الله فاه ــ نسى أن النبى محمدا قال « سيكذب على » وقال : من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (١٠) » وهو النبى المعصوم من قبل اللهتعالى لم ينج من كيــد الأشرار وحيث أن النبى كذلك ليس ببعيد أن يضع الأعداء هــذا الحــديث أو الخبــر على الصحابى الجليل ، ويبدو أن واضع الخبر الكاذب كان يعترف بجــلال أبى هريرة ومكانته ، والا لما تقول عليه بهذا الأسلوب !!• ومن وجهة أخرى نقول : هــذا الخبر ضــمن المثبوت فى كتب التاريخ ، ومعظمها مقطــوع الســند ، مدلس المتن ، مجهــول الرجــال ومن تعــاجيب المفاهيم أن مؤلف الكتاب يجــىء بالطم والــرم وينــكر مــا أورده البخــارى ومســلم والنســـائى والترمذى وأصحاب السنن لصالح أبى هـــريرة وتــراه يحتـــج بالموضوعات ، أليست هذه فــرية بلا دليل وتهمة بلا بينة ، وجور لا يعرف العــدل • وكتب فى ص ٢٨ يقــول : ــ كان أبــو هريرة أول راوية اتهم فى الاسلام بالكذب على رسول الله ــ صــلى الله عليــه وسلم ــ وهو أول والى فضــحه عمر بن الخطاب على أخذ الرشوة لما ولاه على البحرين ، ولكى يرفع من مقام نفسه فيما بين الصــحابة والتابعين ، بدأ بوضع الحديث عن نفسه فزعم أن النبى خصــه دون غيره بالحــديث ، وهــو الكــذاب المرتشى فيجعل من نفسه فيمـــا على حديث النبى حافظا لكل ما نطق به ••• الخ ، وهكــذا يتــوالى سوء الأدب مع صحابى فضله الله ورسوله على أمثالنا ، دع عنــك أن المؤلف يرتد عن عمـــد الى جاهلية فى الهجوم على الأمــوات فينطق بهراء باطل يدحضه البحث العلمى السليم ، وانه ليسوؤنا أن يحمل هذا المسلم نفس الترهــات التى حملها أعداء الاسلام وعــلى

---

(١٠) رواه السيوطى •

رأســـهم القس النصرانى المصرى عام ١٣١٥ هـ ، وتصدى له حينهـا محمد رشيد رضا ــ رحمه الله ــ ويبدو أن شجرة الباطل من أصـل واحد ، وعن عزل الصـــحابى من امــارة البحرين فهــذا أمر يتعلق بصالح المسلمين ، ولا يخفى عــلى منصف أن عمر ــ رضى الله عنه ــ كان من أعدل خلق الله فى شجاعة يقرها العرف الاسلامى ، ولا غرو فهو الفاروق الذى فرق الله به بين الحق والباطل واذا كان المــؤلف ــ سامحه الله ــ يروى أن عمر عزله لشىء يراه ، فــلا يقــدح هــذا الشىء فى شخص أبى هريرة ولا يعيبه أنه أكثر الناس توفيقــا فى حفظ الأحاديث فقد قيــل له ذات يوم « أكثرت ، فقال لو حــدثتكم بما ســمعت لرميتمونى بقشـــع الجلود » (نقــل هــذا الخبر ابن حجر) ، وكان أبو هريرة قد روى حديثا عن الصلاة لم يعجب مروان فســأل عبد الله بن عمر : فقــال عبد الله لقد أكثر أبو هريرة فقالوا له ، أتنكر شيئا مما يقول ؟ فقال لا ! ولكن اجتــرأ وجبنـــا فبلغ ذلك أبا هريرة فقال : « ماذنبى ان كنت حفظت ونسوا » فلا مشــاحة ان روى هــذه الأحــاديث عن يقين وصدق القائل :

سبع من الصحبفوق الألف قدنقلوا
من الحديث عن المختــار خير مضر
أبو هريرة ســـــعد جــابر أنس
صــديقه وابن عباس كذا ابن عمر

ومن ذا الذى ينكر أن محمدا ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان يعلم مطاوى أصــحابه ودواخلهم وقد خــولته معجــزاته أن يخص بعض أصـــحابه بأمور ، تنفــع الاسلام عن طريقهم ، وعلى سبيل المثال رجــل يأتى اليــه فيقــول للرسول أوصنى فيجيبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا تغضــب ثم يستنصحه آخر فينصحه الرسول بالاستقامة ، لذا لا تثريب عليــه وهو الصـــادق الأمين أن يعطى الوصيه لطالبيها ومما أخذه أبــو هريرة هذا الخبر الصحيح قــال له النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ « أوصيك بخصال لا تدعهن مابقيت قال : أوصنى ما شئت فقال لــه : عليك بالغسل يوم الجمعة والبكور

اليها ، ولا تلغ ولا تله ، وأوصيك بركعتى الفجر لا تدعهما وان صليت الليل كله فان فيهما الرغائب قالها ثلاثا ثم قال ، ضم اليك ثوبك فضم ثوبه الى صدره فقال يارسول الله بأبى وأمى أسر هذا أو أعلنه قال : بل اعلنه يا أبا هريرة قالها ثلاثا (١١) .. **فى ص ٢٩ يعتب بلا حياء على ابن خلدون فيقول : —**

« العجب كل العجب ممن اعتبر أصدق كتاب ، بعد كتاب الله الكتاب الذى يروى عن أبى هريرة (٥٣٧٤) هكذا !! ، ولا يروى عن طريق الامام أبى عبد الله رواية واحدة » أقول : حقا الزور مفضوح بنفسه ، وليته سكت حتى لا يكشف القارىء خيوط الأكذوبة ان البخارى لم يرو له الا (٤٤٦) حديثا فقط ، واذا أردت تلاوة هذه الأحاديث وجدت أنها من سماعه ومن روايته عن بعض أصحابه — رأى أن فيها مراسيل — وهى لو جمعت كلها لأمكن قراءتها فى مجلس واحد ،لأن الأحاديث النبوية تأخذ طابع الايجاز والفصاحة فكيف — بالله عليكم — يستكثر هذا الغر هذه الأحاديث على مثل أبى هريرة أو من هو دونه فى الحفظ واننا لنعلم أن فى تاريخنا العربى ، « أناسا حفظوا مجلدات ومنهم ، أبو محمد عبد المجيد عبدون الذى كان أيسر محفوظاته كتاب الأغانى للأصفهانى وهو اثنى عشر مجلدا من القطع الكبير (١٢) » ومن منح الله للعرب ، هذه العقول الجبارة التى نقلت الينا أساسيات الفكر الانسانى فى العلوم والمعارف ، وانها لمفخرة للاسلام والمسلمين على مر الدهور أن يكون فيهم هذا الجم الغفير من الحفاظ الأجلاء !

... ويكتب فى ص ٣٠ ما يلى : —

« أرأيت كيف أن أبا هريرة ، وقد ساوم معاوية على وضع الحديث كيف سد الطريق على غيره فى رواية الحديث والطعن فى

---

(١١) منصور ناصف (التاج) ج ١ ص ٢٠٧ ط الحلبى بالقاهرة .
(١٢) مصطفى صادق (تحت راية القرآن) ص ٧٨ ط لبنان ١٣٩٤ هـ .

الصـــــحابة !! أرأيت كيف أن السياســـة الأموية جعلت من أبى هريرة راوية ٠٠ الاســـــلام دون ســـــواه ؟ » ونجيب على مثاليه لصحابة النبى ــ صلى الله عليــه وسلم ــ بأن معاوية بادىء ذى بدء برىء من هـــــذه الأكـــــذوبة ، والنصوص التى تبرؤه ليست من عندى بل نقلها البخارى ومنهــا أن ابن عباس قيل له « هل لك فى أمير المؤمنين معاوية فانـــه ما أوتر الا بواحدة فقال له انه فقيه ، وعن النبى ــ صلى الله عليــه وسلم ــ « أنه قال لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به (١٣) »ولم يكن من ملوك الاســـــلام ملك خـــيرا من معاوية ، ولا كان الناس فى زمـــان ملك من الملوك خيرا منهم فى زمن معاوية اذا نسبت أيامه الى أيام ما بعده واذا نسبت الى أيام أبى بكر وعمر ظهرت المفاضلة (١٤) » فماذا علينـــا لو تعلمنـــا الاحترام لهؤلاء السادة الكرام وهل جعـــل الأمويون حديث الرســـــول لأبى هريرة وحـــده ؟ كـــلا وما فى كتب الصحاح أظهر دليل على بطـــــلان زعمه ٠

المستشرقون يفترون !!

فى دائرة المعارف الاســـلامية ، التى أعـــدها ثلة من أصـــــحاب الشمال ، مستشرقى الغرب ماينطى له جبين المسلم المؤمن ، ومن المآسى أن يقف المترجمـــــون العـــرب ، موقف المتفرج تجاه مثل هذا الهراء وتعال معى ــ بصرك الله ــ لتقرأ ما نصه « وقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرة أبى هريرة عن الوقوع فى الخطـــأ تلك الذاكرة التى استطاع أن يستوعب بها عددا عظيما من الأحـــــاديث فقالوا : ان النبى لفه بيده فى بردة ونحن نقف من أحـــاديثه مـــوقف الحذر والشك ، وقد وصفه شبرنكر بأنه المتطرف فى الاختلاق وليس فى كتابى البخارى والترمذى ، شىء

(١٣) رواه الترمذى .

(١٤) ابن تيميه (منهاج السنة) ج ٣ ص ١١٥ (نفس المرجع السابق)

خـاص عن أبى هريرة (١٥) » !! نقـول ان الحـركة الاستشراقية، أقيمت لهدم الفكر الاســلامى ، وتقويض أركانه بالطعن فى أعلامه ، ومـاذا تنتظر من أعـدائك الا الانتقـاص منك ومن ذويـك ، والمستشرقون يخضعون النصوص حسب الفرض الذى عليه هواهم ، غـير ناظرين الى المعـايير التى اصطلح عليها أهل الفكر الاسلامى واذا ما عجزوا عن الفهم حـرفوا الأحاديث لكأنها من اختلاق الناس، ويحق للناس الزيادة فيها والنقصان منها ، ووصل الحال الجائر بهم أن شكوا فى أحـاديث النبى بل فى النبى — صلى الله عليه وسـلم — نفسـه !! وقـد ردد جـولد زيهرودوزى وشبرنجر أن السـنة تأخرت فى التدوين ، فأعطى هـذا فرصة للمسـلمين ليزيدوا لخـدمة أغراضهم وليس أبو هريرة وحده — بل كل الصحابة — واننى لمستاء من الـذين يفخـرون بالانتمـاء الاسـتشراقى وتا الله ما كتب الاستشراقى الاسـم فى ترياق ، ولقد شاء الله أن يظهر الحقـائق فروى البخارى هذا الجمع وروى الترمذى أكثر منه فكيف زعمهم وهم أرباب المنهج العلمى كما يدعون ! ومن أكبر الدواهى أن أحد العرب المسـلمين كـاد أن ينفى وجـود شخصية تحمل هذا الاسم (أعنى أبا هريرة) ويبدو أنه عمى عن كتب التاريخ ونجمـل له المراجع التى أنصفت أبا هريرة وله دراستها — ان أراد — (التهذيب : ج ١٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ — الطبقات : ج ٤ ص ٥٢ ، ٥٣ — سير اعلام النبلاء : ج ٢ ص ٤١٧ — تاريخ الاسلام : ج ٢ ص ٣٣٣ — الكـامل ج ٣ ص ٢٥٩ — شذرات الذهب : ج ١ ص ٦٣ — الأصابة ترجمة رقم ١١٧٩ ، حليـة الأوليـاء ج ١ ص ٣٨٦ ، المحبر : ص ٥ ، ٨١ — النجـوم الزاهرة ج ١ ص ، ١٥١ — الوفيات لابن الخطيب ص ٧٢ — المعارف :

---

(١٥) المستشرقون (دائرة المعـارف الاسـلامية) ج ٢ ص ٢٦ ط دار الشعب ١٩٦٩ م .

ص ٢٧٧ ـ حياة الصـــحابة : جـ ١ ص ١٧٧ ـ فجر الاســلام : ج ١ ص ٦٥ ، ١٨٥ ، ٣٢٨ ، ـ أبو هريرة ـ سـلسلة أعــلام العــرب ، للاســتاذ محمـد عجاج الخطيب ـ دفــاع عن أبى هريرة ، للاستاذ عبد المنعم صالح العلى) •

وبعــد ••• فمــاذا بعـد الحق الا الضلال ؟

ليس مـؤلف كتــاب (مذاهب سياسية •••) هو وحده الــذى طعن فى صحابة الرسول ـ صــلى الله عليه وسلم ـ بل غيره كثير ، وقد صنف علماؤنا الكبار رســائل فى الرد على هؤلاء الذين مرقوا عن دين الله واتبعوا سبيل الضالين ، ولن يستفيد المســلمون من هــذه المؤلفات المشـبوهة التى تحمـل أسماء المسلمين أو من تسـموا باسمهم : ، وليس من الاسلام أن أسب أحدا فسباب المؤمن فسـوق وقتاله كفر ، ولا يريد أعـــداء الاسلام الا بذر التيارات المعادية للاســلام فى مناخ الشــعوبية النكـــراء فهــل آن لنـــا معشر المســلمين ، أن نصـــلح أخلاقنا ؟ ونرتفع فوق العصــبية المنتنة ، التى هدت كيــان الأمــة ونخرت فى أركانهــا ، اننى أحس قلقا بالغا على ســلامة التاريخ للصــحابة السلفى ـ رضوان الله عليهم ـ ولا بــدع فواحــد من الكتاب يطلع بمقــال يتهم فيــه « ابن تيمية » اتهاما لا يقره عقل ولا ترضاه فطرة أخلاقية ، وآخر يطالب باعادة كتابة السيرة المحمدية لأنهــا ـ على زعمــه ـ مليئــة بالغزوات ، ولم يك الرســول !! رجل حرب بل رجل ســـــلام !! وياللأسف : ان السيرة التى كتبها ـ ابن اسحاق ، وابن هشــام ، وابن كثير ، والقــاضى عيــاض ، والسهيلى ، وعبد الله بن الشــيخ محمد عبد الوهاب ـ ثم الدكتــور هيكل ، كفيلة بأن تقف متحــدية لأنها مؤيدة بالكتاب والسنة ، ومهما اختلفت المناهج اتحدت النتائج ،

وعلى هؤلاء الأدعياء من محدثى العصر ، أن يلزموا الأدب مع الله ورسوله وأصحابه ـ رضـــوان اللــه عليهم ـ (**ربنــا اغفر لنــا ولاخــواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم**) ٠

عبد الجواد محمد الخضرى



فهرس العدد

الموضوع | صفحة

طبعت بمطابع مؤسسة روزاليوسف